

تاريخ الحضارات العالم

V

العهد المعاصر

منشورات عكايبات
بيروت - لبنان



تاريخ الحضارات العام

موسوعة في سبعة مجلدات بإشراف موريس كروزيه

١

الشرق واليونان القديمة

أندريه ايمار جانين أوبوايه
أستاذ في السريون أستاذة متحف غيمه

٢

روما وأمبراطوريتها

أندريه ايمار جانين أوبوايه
أستاذ في السريون أستاذة متحف غيمه

٣

القرون الوسطى

إدوار جوي أستاذ في السريون

٤

القرنان السادس عشر والسابع عشر

رولان موسنيه أستاذ في السريون

٥

القرن الثامن عشر

رولان موسنيه و أرنست لابروس
أستاذ في السريون أستاذ في السريون

٦

القرن التاسع عشر

رويس شنيوب أستاذ في السريون في الدراسات العليا

٧

العهد المعاصر

موريس كروزيه مفتش المعارف العام في فرنسا

تاريخ الحضارات العام

بإشراف

موريس كروزيه

مفتش المعارف العام في فرنسا

المجلد السابع

تاريخ الحضارات العام

العهد المعاصر

بحثاً عن حضارة جديدة

تأليف

موريس كروزيه

مفتش المعارف العام في فرنسا

نقله الى العربية

فريد م. داغر

يوسف أسعد داغر

منتقورات عويدات

بيروت - لبنان

جميع حقوق الطبعة العربية في العالم محفوظة لدار
منشورات عويدات
بيروت - باريس
بموجب اتفاق خاص مع المطبوعات الجامعية الفرنسية
Presses Universitaires de France

مدخل

تؤلف الحقبة التاريخية التي انتهت عام ١٩١٥ ، في رأي كينز : حقبة مدهشة من جهات التطور الذي حققه الانسان ، كما بلغت فيها الذروة التي سجلها العالم النيراني والرمالي . ففي الوصف البليغ الذي رسمه لنا هذا العالم الاقتصادي المشهور بيان مفصل لهذه التطورات التي تحققت والتي تتمثل ، على لوجه الامثل ، في ازدهار الدول ، وفي هذا الغنى والبخوبة التي توفرت للأفراد وبهذا الشعور العام بالطمانينة . فالعالم كله يبعث الى اوروبا الفلال والمحاصيل التي ترضى بها عليها حقوقها ، كما ترسل اليها المحاصيل الاستوائية الثمينة التي لم تكن لتخطر على بال احد في الامس القريب . وهذه المحاصيل والفلال التي يؤلف وجودها اليوم ، علامة من علامات البذخ والرفاه . كذلك فتح العالم ابوابه على مصراعيها امام المصنوعات التي باستطاعة المصانع الاوروبية وحدها توفيرها له . فبرزت لنا صورة عالم مزدهر منفتح بحيث لم يبق من الحواجز المعلقة سوى ظلالها ، وحيث تتوافد وتسير بحرية مطلقة ، الناس والبضائع والسلع ورؤوس الاموال ، والافكار ، وحيث بلغت حركة الانتاج والتجارة ، في اوروبا ، سيرة التثني ، وسجلت أعلى مستوى عرفه تاريخ البشرية جماعا .

وهذا الموطن الاسطوري للثروة السبعة ، وهذه « الجمهورية المثالية » التي يصلها لنا كبر ، هي ابعد من ان تمثل العالم القديم حتى ولا اوروبا بأكملها . بل هي صورة قسم من اوروبا واوربا السائدة المسيطره ، « بمثابة بعض اقطارها الواقعة الى الغرب او في الغرب » والتي يؤلف كل منها مشعلا من « مشاعل الحضارة الاوروبية » . والدول التي اطلت حديثا على العالم في الخارج ، كقنولات المتحدة الاميركية واليابان ، هذه الدول التي تطمح في ان تكون لها حصتها في المشروعات « الاستعمارية الكبرى » هي من حفيدات اوروبا ومن تليداتها الناهيات بعد ان اقتنست منها : مناهجها وطرائقها ومثلها واساليب عيشها . وعلى لسة ما تحتلها من الطابع الاوروبي استطاعتا تمثيل هذا الدور الذي لعبته اوروبا من قبل .

وهذه السيطرة التي تمت للرجل الابيض - او بالاحرى للفريق منه - وهي سيطرة لا تمدو

مع ذلك ، القرن السادس عشر ، اهترقت بواقعهما الشعوب التي دارت في هلكها ، بعد ان تماس الناس اصولها الحديثة مام ما شهدته من التطورات لمدهشة التي حققتها في القرن التاسع عشر والمجاهات الهائلة التي سجلتها . وبقدر هذه السيادة وفي سبيلها امكن ، على ما يبدو ، لتحقيق الوحدة في كوكبا الارضي هذا . فالنظام لاقتصادي والسياسي الذي مكّن هذه المساحات هو من المثانة والصلابة بحيث تحمّدت كل خطر . فالمشاعر التي تشد الناس الى الماضي واصحاب النظريات الخيالية والتوروية التي قسّلت بها مروج صمير ، هي التي احذت تقتص من قيمة لأهمية الليبرالية والديموقراطية السبابة التي لم يشك مع ذلك ، احد بالمستقبل الزاهر الذي سيطر عليها

وبعد ذلك بأربعين سنة ، وفي اعقاب حريين هائستين وازمة اقتصادية ، لم يشهد التاريخ من قبل مثل هذا الانساع او الشمول الذي اتخذه لها ، تغير الوضغ بميره تماماً . فالازمة التي تخصص عنها العام منذ مطلع القرن ، والتي دفعت مدوية عام ١٩١٤ ، هزّت أوروبا من اساساتها . وهذه الحرب الاهلية التي كتمت أوروبا بلمهيسها المحرق مدة اربع سنوات ، والثورة الروسية التي نشبت عام ١٩١٧ ، كل ذلك وما اليه ، انزل دالمظم الليبرالي الرأسمالي ، هرات لم يعرف له معها استقراراً بعد . والمحاولات المتديدة التي بدلت لاعادة الوضغ القديم الى ما كان عليه ولحمت العصر الذهبي الى الوجود ، والرجوع بالانسانية الى لذة الميش والطمانينة التي كنعهم بها العالم قس ١٩١٤ ، باءت كلها بالفشل . وقبل ان يرحح للعالم من جديد تحت صمط الازمة الاقتصادية التي اطلت عليه عام ١٩٢٩ ، ويبتلى بمقاييل الحرب العالمية الثانية ، بدا المخلال أوروبا أمراً لا مرد له ولا محيص عنه وكذلك النظام الذي كان اساس قوة أوروبا وسيطرتها . وإهلاله الاسوع الاسود على دول ساتريت في ٢٤ تشرين الاول ١٩٢٩ كانت نذيراً بتدهور النظام الرأسمالي ، وبذلك قضى تماماً على هذه الاحلام المعسولة التي راودت خيال رجال السياسة كما راودت حبال رجال الاعمال وكلهم ينفو الى طلوع عهد جديد من الطمانينة مطلقا النفس بمستقبل زاهر بسام . وفي هذا الوقت بالذات تطل علينا حكومات وانظمة جماهية عبثت ساهرة ، بكل المبادئ الليبرالية ، هذه المبادئ التي سكّنت الركن الركين للحضارة الأوروبية منذ القرن الثامن عشر .

والحرب العالمية الثانية التي دعت العالم قبل ان يستعيد قواه الحائرة في اثر الازمة الاقتصادية التي مزلت به ، حملت معها هذه النظم العاشقية كما استفعل معها انقسام العالم محاور واحلاف ، كما راحت بلدان كثيرة اسكبت باحتيا تشرّب باعناقها الى الاستقلال متلثة الحرية أينما هبت . فالقارة الآسيوية بأسرها تنفض عنها بير النول المستعمرة واستخلاص بقايا

لامعراطورية من الاوروبيين بعد ان عاثوا بها وفسدوا ، ومن يمضي كثير وقت حتى تستعيد حريتها
المليح . ولدان ميركا اللاندية التي كانت تعمل على الولايات المتحدة ، ردت نفرة من الدولار
الاميركي ومن استملاء اصحابه .

عالمقة تؤلف ازمة تحمل كل مكسبات الحضارة تهتر وترتجف امام ثورة عارمة لا عيش لها
ولا نظير . وقد ارتدى العام وحياً حديداً ليس في الجوانب السياسي والاقتصادي فحسب ، بل
ايضاً في مجالات العلم والهن والفكر . وهي ثورة عميقة هزت عتقاً النظريات الميزانية وطلعت
عليها بكشوف علمية تأخذ بمجامع القلوب ، وتساعد على إعادة النظر في البيان الفلسفي القائم .
فرجال الفن والكتاب يستنون عن اشكال وصيغ جديدة تساعدهم على فهم وقهم كل معصلات
العصر ومعراته ، كما تفلسف لسا ، بأسلوب جديد ، الوشائج والاواصر الجديدة ، التي تشد
الانسان الى نفسه وإلى العالم .

وهكذا تتم الإنسان نجاحات علمية وفنية قادرة على تغيير نوصاع احياء وظروفها ،
وشرائط الحروب وامرها ، فتضع لأول مرة في التاريخ تحت تصرف البشر ، إذا ما ارادوا
ذلك ، لوسن التي تساعدهم قماماً ، على التغلب على اربلات التي ماتت منذ القدم ، على صدر
الانسانية ، وأوزعنها .

القسم الأول

أفول أوروبا

كتاب لأول

أوروبا تفقد وضعها الممتاز

كل قوة مصححها الفناء . فالقدرة من قومية التاريخ
ليست من الهبات الثابتة . وأوروبا التي تسلمت هذه الهدية
من يد آسيا منذ نحو ثلاثة آلاف سنة ليس ما يضمن لها
الاستمرار بها إلى الأبد والاستقرار بها إلى ما لا نهاية له .

لأفيس - ١٩٩٠

الفصل الأول

السيطرة الأوروبية

قبل الحرب العالمية الأولى

في سنة ١٩١٣ لم تكن سيطرة أوروبا على العالم لتقوم على قوتها العسكرية ، واساطيلها الحربية ، وقواعدها البحرية ، وتفوقها في عتادها العسكري ، وكثرة جيوشها وحسب ، بل كانت ، علاوة مما ذكرنا ، قائمة على تفوقها المادي والتقني الذي جعل منها مصنع ، العالم ، وعلى تفوقها المادي الذي جعل منها مصرفه ، وتفوقها الفكري المعترف به في العالم بأسره .

يمكن تفوق أوروبا المادي أول ما يمكن في قوتها البشرية . لا تضم السكان في أوروبا
تعد أوروبا سوى ٤٦٠ مليون نسمة من أصل ١٨٠٠ مليون ،
مجموع سكان الكرة الأرضية (٢٦ ٪) . ورغم ذلك ، فإن معدل نمو سكانها ، ظل والى
مرتفعاً : ألمانيا تزداد ٨٥٠ ألف نسمة في السنة . والثاني المؤلف من النمسا والمجر ٣٥٠ ألفاً .
والامبراطورية الروسية ما يزيد على المليونين . ولهذا السبب كانت الهجرة الأوروبية أهم هجرة
في العالم . وقد أسهمت في توليد وتطوير الدول « البيضاء » الجديدة ، التي نشأت فيها وراء
البحار ، كالولايات المتحدة ، ودول السومينيم ، والأرجنتين والبرازيل ، هذه الدول الجديدة
التي راحت تستقبل كل سنة ٤٥٠ ألف مهاجر بريطاني و ٤٠٠ ألف مهاجر إيطالي ، ومئات
الألاف من فلاحي أوروبا الوسطى والشرقية ، الذين أزعجهم البؤس في أوطانهم . وفضلاً عن
ذلك فإن هندياً ضخماً ، لا يقل دون شك عن ٧٠٠ ألف قلاح روسي ، كان يتنقش كل سنة
القارة الآسيوية ، ولا سيما المناطق الواقعة فيها وراء جبال الأورال .

وزيادة في تبيان الدور الذي تلعبه أوروبا في بلاد ما وراء البحار ، يلزمنا إلى جانب ذكرنا من
أرقام أن نحيف أيضاً ، جميع أولئك المهاجرين ، الذين ينحسرون عن أوطانهم ، إلى حين ، ليسألوا
في استثمار المشاريع الاقتصادية التي كاقبل « تدبرها أوروبا لمصلحة أوروبا » .

طائفة أوروبا الصناعية والتجارية
 انقسم العمل في العالم انقساماً جوهرياً ، وذلك لمصلحة أوروبا ،
 ولا سيما أوروبا الغربية التي أصبحت أهم مركز صناعي في العالم ،
 على الرغم من سرعة تطور الصناعة في الولايات المتحدة . ذلك ان بريطانيا والمانييا وفرنسا
 مجتمعة ، تلك وحدها $\frac{1}{3}$ ما تملك أوروبا كلها من طاقة إنتاجية ، وقدرة على العمل الموصوف
Travail qualifié . وتترك هذه الدول الثلاث ان تحتكر وحدها ، صناعة السلع الجاهزة
Fabrication des produits manufacturés ، اد انها تنتج منها ما يوازي $\frac{1}{3}$ من مجموع
 الصادرات العالمية . وهي كذلك أهم الدول المستوردة لل مواد الخام و المواد الغذائية . وفرنسا
 تستورد منها ٨٠ ٪ والمانييا ٧٦ ٪ وانكلترا ٧٥ ٪ من مجموع مستوراداتها . وفي مقابل ذلك ،
 تصدر فرنسا من منتجاتها المصنعة ما يوازي ٦٦ ٪ من مجموع صادراتها ، والمانييا ٧٥ ٪ ،
 وبريطانيا ٨٠ ٪ .

ان الولايات المتحدة وإن أصبحت الأولى بين الدول المنتجة للمعم الحجري ، والفلود ،
 والصلب ، فإن السلع الجاهزة التي تصدره الى الخارج لا تساوي سوى ٢٣ ٪ من مجموع
 صادراتها ، واسطولها التجاري لا يغطي سوى $\frac{1}{10}$ من مجموع تجارتها الخارجية . أما الصفقات
 التجارية لدولية ، فإن حصة أوروبا منها ، هي بمثابة حصة الأسد ، إذا قيست الى حصة
 اميركا (١٤ ٪) والى حصة آسيا (١٠ ٪) .

اما في الحقل التجاري ، فأوروبا هي الوسيط الذي لا ممر منه ، بين بلدان العالم بأسرها :
 فانها تسيطر على وسائل النقل وتلك وحدها الخبراء ودور التجارة المتخصصة الممتدة بكل
 حاجات السوق العالمية وسائر إمكانياتها . وتملك فوق ذلك شركات المصارف ، والمصارف التي
 تحيط إحاطة تامة بحركة المشاريع الكبيرة في العالم اجمع . فلا عجب إذن ، ان تلك لندست
 أولا ، ثم أمستردام ، وأنقرس ، وفرانكفورت ، وقينا ودريس ، دور الحكم في التجارة
 العالمية ، وان يكون لها الكلمة الاخيرة في دنيا الاقتصاد .

علاقة أوروبا المالية
 ان أوروبا هي السوق الوحيدة - أو تكاد - بعدد لا بأس به من
 المواد الأولية كالصوف والمعم والنفط والقصدير ، والموردة
 العالم بالسلع المصنوعة الجاهزة جديدة بأن تقرر على تلك المواد والسلع الاسعار التي تريد ،
 وبأن تستوفي ، لقاء خدماتها في شحن تلك البضائع ، وتأمينها وتسهيل معاملاتها المصرفية ،
 عمليات *Commissions* هي في الحقيقة موارد ، ان تمكن غير مرتبة ، فانها ذات شأن
 كبير . اما الموارد التي تسهم ، على افضل وجه ، في تقويم ميزان أوروبا التجاري وحملة في
 الوضع الاكثر ملائمة لمصلحتها ، فإنها بلا شك ، تلك المورد التي تطل عليها من توظيف رؤوس
 اموالها في الخارج . ان المؤسسات المصرفية ، وديوت المضاربات المالية ، التي منها تتردد
 الحكومات والافراد ما تحتاج اليه من الديون الطويلة الاجل ، لا توجد في سوى متاجر أوروبا
 الكبرى . ان نشاط نيويورك لا يزال مقصوراً على تمويل الأمريكيتين . الشمالية والجنوبية .

وحدها أوروبا ، قادرة على بذل رؤوس الأموال الضرورية لفتح مدعهم ، أو مد سكة حديدية ، أو إنشاء مصنع ، في أي جهة من جهات الكرة الأرضية . بها ، والحق يقال ، مصرف العالم بأسره . ثلاث دول أوروبية تقسم فيما بينها ٨٣٪ من مجموع التمويلات الخارجية . موزعة على هذا النحو : ٤٥٪ لبريطانيا العظمى ، ٢٥٪ لفرنسا ، ١٣٪ لألمانيا . أما الولايات المتحدة فتأتي في المؤخرة مع ٥٪ لا غير . إن ربع الثروة القومية البريطانية ، وثمانين الثروة الفرنسية ، ليلتقلان بهذه الطريقة إلى الخارج ، فيتحولان إلى أدوات للسيطرة الاقتصادية ، ويشكلان الطريق للتجارة ، ولأصحاب الإحصاء والمهندسين الذين شولهم إدارة المشاريع الاستثمارية الكبرى ، يتحولون البلاد الراحة تحت وصاية البنوك إلى بلاد تستورد من أوروبا السلع الجاهزة ، وتصدر إليها المواد الأولية .

أوروبا ذات السيادة
إن الدول الدائنة *Créancière* ، المسيطرة على الأسواق ، لا تمثل ، كما ألفت إلى ذلك ، أوروبا بأسرها . إن دول أوروبا الغربية ، المتمتعة بشق الاختيارات هي التي تكون ، على حدة تعبير فر . يير ، أوروبا المسيطرة ، في مقابل أوروبا المسودة *Passive* ذات الزراعة المتأخرة ، والصناعة التي لا تزال في مهبطها . إن قطبي هذه الدول المسيطرة هما : بريطانيا العظمى وألمانيا ، وتأتي فرنسا في المرتبة الثانية ، لوغرة رؤوس أموالها ، ثم تلتها الدول الصغيرة ذات الصناعات لراقية كبلجيكا وسويسرا ، أو تلك التي أثرت بعصل مستعمراتها ، كالبلاد المنخفضة (هولندا) ومن الشائع أن لندن هي محور الاقتصاد العالمي . ومرد ذلك أن سوقها النقدي ، وهو شد الأسواق اقناعاً ورحصاً ، وإلى رسائل مقلها البحري ، التي تملك تكتلاً أكبر نصيب منها . وتحمل الليرة الاسرائيلية مكان الصدارة في العملات الدولية خلفه ورائها ، إلى أبعد مدى ، الفرنك والدولار . إن قوتها انكثراً في المسكاة ، والعملة ، والأسعار ، هو الذي يجعل منها ، سيادة التجارة العالمية . اختار من ذلك ، إن الدول الصناعية الأخرى التي اخذت ، بعد آي ، تتصل اتصالاً مباشر مع علائها في وراء البحار ، إن تلك اسرى نفسها لا تجد سبيلاً إلى ذلك إلا من طريق انكثراً ، ويلضل وساطتها .

أما منافستها ، ألمانيا ، فإنها ، بسكانها الذين يعدون ٦٧ مليوناً ، الأولى بين دول اليابسة . لقد دعيت « بفرديوس » التنمية والتنظيم . واهزرت تقدماً صاعداً يعود الفضل فيه إلى ما تشهده سنوياً من الصليب *Forte* ، ١٣ مليون طن مقابل ١٠ اطنان لبريطانيا العظمى (والدولاد والحديد ١٢٠٥٠ طنًا مقابل ٧٠٥٠ اطنان لبريطانيا العظمى) والفحم الحجري (١٩٠ مليون طن) في السنة . كما يعود إلى اختكادها لبعض الصناعات ، كصناعة الأصباغ مثلاً ، وإلى تنظيم سياستها في مجال التوسع المصري والتجاري ، تنظيماً جعل منها مركز التجارة الخارجية لأوروبا الوسطى ، والبلدان المجاورة لنهر الدانوب .

أوروبا السوية

في مقابل هذا العدد الضئيل من الدول المسيطرة ، تقسم الغلبة
 الباقية من بلدان العالم وفي مقدمتها أوروبا الوسطى وأوروبا
 الشرقية ، وسكانها أهل فلاحة متخلفون ، وهم ، يشقون جهدين ، في سبيل عيش بانس ، زري ،
 تحت إمرة كبار الملاكين ، المتفسيين إبدأ عن أملاكهم . أما الصناعات في هذه البلدان جميعاً فلا
 تزال في عهد البدايات ، ومن النوع القديم في المستعمرات . ، وهي تنشأ ، في الغالب ، بفضل
 رؤوس أموال أجنبية : فرنسية وألمانية وبلجيكية . وتحت إشراف مهندسين أجانب . وقد
 يشول لأحيى إحياء الإشراف على دارقها كذلك ، إن أعظم هذه الدول الشرقية ، وأرسد
 بها الامبراطورية الروسية المترامية الأطراف ، لا تملك سوى صناعة متورة قاصية . وإذا كانت
 هذه الامبراطورية تحمل المقام لاون بين دول لمولة *Créanciers* الصين ، والفصل يعود الى
 رؤوس الأموال الفرنسية ، التي تنوس بها حكومة باريس ، محل القصر الرومي على النقاء
 حليفاً لفرنسا . على ان العلاقات التجارية التي تربط أوروبا الوسطى وأوروبا الشرقية بأوروبا
 الغربية لا تختلف في جوهرها عما هي عليه بين أوروبا ، صاحبة النفود والسلطان ، وسائر بلدان
 العالم الأخرى . انها في كلا الحالتين ، علاقة مبادلة سود أولية ، بمشروعات جائرة .

العالم الراجع تحت
 السيطرة الأوروبية

للدول الصناعية الدتنة ، سيطرة اقتصادية *Monopole* قامة على
 الدول غير الأوروبية ، ما حلا الولايات المتحدة ، واليابان ،
 ولى حد ما الملككات البريطانية . فأسيا وأمريكا اللاتينية ،
 وأفريقيا ، تنحصر جالاً لنظام شبه استعماري ، اما مستعمرات بحصر الكلام ، فسان الدول
 الصناعية المذكورة ، تدبرها بنفسها وتستثمرها استثماراً مباشراً .

المسيين

وغير مثل يقدم للدول غير الأوروبية ، الواقعة تحت سيطرة الدول
 الأوروبية الداتنة ، انما هو الصين ، هذه البلاد الشاسعة ، التي جعل منها
 الأوروبيون ، كما يقول صون يات سات ، شيئاً هو دون المستعمرة *Hypocolonie* . ان الدول
 الثمانية عشرة الموقعة على المعاهدات التي فتحت طريق الصين لأوروبا ، تتنوع «مستبارات تهمس
 لهم رصداً متفوقاً بالمعاس الى المسيين» انهم . وتتلخص هذه الامتيازات في الأمور التالية
 وهي . حق التجارة في الموانئ الثمانية التي تنص عليها المعاهدات ، حق الترافع في لها كالتفضيلية
 دون لها ك الوصنية الصينية ، عشرون منطقة حرة ، هي في الحقيقة عشرون مستعمرة ، دخل
 الأراضي الصينية ، حق قامة حاميات عسكرية في بعض مناطق من البلاد ، حق الافضلية في
 التعامل التجاري ، معرفة حركة أخرى بها ن تكون صربية مالية لا شأن لها ، حق الاعلاء
 من الضرائب ، حق الرقابة على بعض المرفق العامة ، كالموانئ البحرية ، والجبرك ، وجباية
 ضريبة الملح ، على ان يتولى ادارتها مديرون غربيون . يضاف الى ذلك جمعه . ان المصارف
 الأجنبية التي تمول التجارة الخارجية ، وتمتطع ، همة الوسيط بين الحكوم والابواق ادلية
 لخارجية ، تمنح القروض ومدد السكك الحديدية ، ودفع التعويضات (لليابان مثلاً سنة ١٨٩٨

او بعد حرب الموكسر ، تفرض شروطا عالية لا تعرف الرحمة ، من شأنها ان تصاعف قيمة القروض ثلاث مرات زيادة عما هي في الاصل .

ان عدم استقلال الصين استقلالاً اقتصادياً يجرها الى الخضوع التام للسياسة الأوروبية ، ويجعل أهلها أحط منزلة من الأتائب . وذلك ليس في مناطق العمود الأوروبية وحسب ، بل وفي طول البلاد وعرضها . ومن شواهد ذلك ، تلك الرسائل المسيحية التي قلنا نرى حرمة التقاليد القومية ، والشركات الأجنبية التي تدفع للمواطنين أجوراً أدنى بكثير من أجور عمالها وموظفيها . وبدني ان خروج الجمارك من يد السلطة المحلية ، بمقتضى تصنيع البلاد ، كما ان امتياز الأجانب في حقهم بالإحوة الى محاكمهم الخاصة ، يحول دون تمكن السلطات من قمع الظلم ، وقطع دابر الفساد (كل اوكار لعاطي لا يقون ، يديرها الأجانب) . وبدني كذلك ان انشاء مناطق النفوذ ، يهيئ البلاد للتفكك وانفصال أحيائها بعضها عن بعض .

الشرق الأدنى
ان وضع تركيا ومصر لا يختلف في شيء عن وضع الصين ، فها
عدا بعض مظاهر أقل غلظة ومهاجة . فالشركات الأجنبية
هي التي ، في كلا البلدين : تركيا ومصر ، تنشئ وتستغل الموانئ والقطر ومصانع التلغون ،
وتولّد الكهرباء والغاز وتقوم بتوزيعها ، وهي التي تستثمر موارد البلدين الطبيعية ، كاللحم
الحجري والرخام والزنك والكروم ، وموارد السكك الحديدية : « لها خلا سكة حديد
الحجاز التي أنشئت لنقل الحجاج » ولا تعود على البلاد بأي نفع آخر . فان جميع السكك
الحديدية التركية تملكها الشركات الأجنبية . فضلا عن ان ٨٠ ٪ من وسائل النقل البحري في
مصر مملوكة كذلك الى هذه الشركات . اما منابع القبول ، والأموال العامة ، فتقع كلها
تحت رقابة المصارف الأجنبية ، ولا تنتج البلاد سوى المواد الأولية .

اما مصر ، فان رءاء نصف ثروتها الوطنية تعود الى الأجانب وبخاصة الى الفرنسيين منهم
والبريطانيين ، الذين يشغلون المراكز الأولى في الإدارة العامة ، ويهيمنون على شركة قناة
السويس ، وبنك مصر المركزي ، والصناعات والتاجر الضخمة . وعلى عزاء تركيا ، تخضع
مصر لنظام الامتيازات الأجنبية ، الذي يضمن للأوروبيين المعصنة المنزلية ، والمنفعة القضائية ،
وعهم الخفض لشرائع الدولة ، ولا سيما ما كان منها متصلاً بحماية الضرائب والرسوم الجمركية .
للمحاكم الأجنبية وحدها صلاحية النظر في قضايا الأجانب ، المدنية والجزائية ، وقضايا الأحوال
الشخصية ، وهي الباشة بين اجانب متسلس الى دولة واحدة ، وفي القضايا الجزائية وهي التي
يؤلف الأوروبيون طرفاً فيها . واما الدعاوى المختلطة ، فالمحاكم المختلطة هي التي تنظر فيها
بمقتضى تشريع خاص ، « مستوحى من الشرع الفرنسي » .

ان لاوروبا ، هنا ، شريك في التقدم ، هي الولايات المتحدة . « ان اميركا
الجنوبية هي في حقيقة الامر ، مستعمرة ميركية اوروبية » انت رؤوس
الاموال الاحنية الصرف ، هي التي قللك وتستغل ثروة البلاد المنجمية ، ومراقها العامة ،
والصناعات القليلة القائمة فيها . ولما كان اقتصاد هذه البلاد ، مسب على تصدير بعض المنتجات
الصناعية ، فبما سيمس العطب والانبساط . يمثل الكاوتشوك والقهوة ٩٠٪ من صادرات
البرازيل ، والقموة ٥٣٪ من صادرات كولومبيا ، والقصدير ٧٧٪ من صادرات السبيرو ،
والسكر ٧٧٪ من صادرات كود ، والمصنوعات النخلة عن قرية الموشي ٨٤٪ من صادرات
لاوروجواي ، ومتوحات العطب ٧٤٪ من صادرات فنزويلا ، واصناف التبرات ٧٥٪ من
صادرات الشيلي . ان التصدير امر لا يحصى عنه ، ليستطيع البلاد وفاء ما يترقب على ديونها
من فوائد . وان يصعب ، امار اقتصادها كله ، حارفا معه العملة الوطنية والمحكومة في آن
معا . ولما كانت الحكومة لا تملك لايدي العاملة في البلاد ، ولا وسائل التأثير على المصارف ،
فقد لزمها ان تصدع بأمر هذه المصارف ، وان تتركها وشأنها توجه حياة البلاد الاقتصادية ،
الوحدة ثلاثة آثارها الشخصية . ونخلص من هذا الى ان العميل الاجنبي هو الذي يحفز أو يقيد
حركة الانتاج في البلاد ، ويحدد أسعار السلع على اوقاعها . ان الارجمتين « السادة بسين
لممتلكات البريطانية » هي الصورة المودنية للدولة التي تتمتع باستقلال إسمي . ولكنهما في
الواقع شبه مستعمرة لدولة صناعية كل ما هم . من مصانع للدار ، وسكك حديدية ، وقطر ،
ومتودعات حجارة للثريد ، ومما من للمعدات ، ملك بريطانيا . والمركب الاسكليزية ،
دون سواها ، هي التي تفس الى اوروبا ، وحصة الى بريطانيا العظمى ، صادرات الارجمتين
الزراعية من حطة ولحوم وحلود ، وهي التي كذلك تحمل الى الارجمتين المنتوجات الصناعية
الضرورية ، وفي طليعتها السلع المصنوعة في بريطانيا .

لا نزاع في ان لدول الاوروبية الكبرى ، مجالا أوسع ، لبسط سلطانها
استمرت الاوروبية الاقتصادية على مستعمراتها ، واستغلال مواردها الطبيعية ، وبجهودات
سكانها على وجه يكون اشد ملائمة لمصالحها الدافية . ان اقتسام لدول الاوروبية لافريقيا
في الربع الاخير من القرن التاسع عشر ، لم يسبقه تخطيط مرسوم ، وإنما ارتجل على عجل ،
نتيجة للباسات التي رافقت بحث الموث الدينية الى تلك الاصقاع ، وغير ذلك من لماسبات
والمواقفات الدولية . ولذلك كانت الحدود المناصة بين مختلف مستعمرات ، مجرد خطوط
جغرافية ، يلبها العث المطلق احيانا ، وحيانا اخرى كان يكتفى بانحد درجات العرض
والطول حدوداً لتلك المستعمرات دون اي اعتبار للقوارق العرقية ، او القوارق الطبيعية .
وإذا بها تفرق بين الشعوب ، او تجمع بينها ، دون أي مسوغ من منطق او عرف . وهكذا
تكونت تلك الامبراطوريات الاستعمارية المارمية الاطراف . فالامبراطورية البريطانية
مساحتها توازي ١٨٠ مرة مساحة بريطانيا العظمى ، والامبراطورية السليجية ٨٠ مرة مساحة

بلجيكا . والامبراطورية الهولندية ٦٠ مرة مساحة هولندا . والامبراطورية الفرنسية ٣٠ مرة مساحة فرنسا . وسيطرت روسيا على آسيا الوسطى بالإضافة الى سيطرتها على سيبيريا . ان الدول الثلاث : روسيا وبريطانيا وفرنسا ، تسيطر وحدها على اكثر من نصف مساحة الكرة الارضية ، وعلى اكثر من ثلث سكانها . اما نظام استغلال هذه الممتلكات ، فهو نظام المفاوضة . ويقوم بتصدير ، كثير ما يستطاع من المواد الخام ، في مقابل استيراد المنتجات الصناعية . ورؤوس الأموال الأجنبية لا تستخدم الا بسبيل إنتاج المواد الأولية . واما هوائ هذه الأموال فلها تستثمر في البلدان التي صنعتها . وهكذا تم تجرية محاولة لتصنيع هذه البلدان . لقد بقيت حافا ، في الهند البريطانية ، « المستعمرة النموذجية » كما يدعونها ، مرحلة على زراعة القهوة حتى سنة ١٩١٤ . وكانت سائر المواد الأولية تحدّد في امستردام . وأما في الهند الصينية فقد حلت سياسة الامتصاص *Assimilation* - ومن نتائجها إنشاء الوحدة الجراحية في ١٨٩٢ - سوقاً ذات امتياز للصناعة الفرنسية ، مع تبادل بالمثل غير كامل . ذلك ان الشاي والقهوة والسائر الوارد الى فرنسا ، كان خاضعاً للرسوم الجركية . وكان من جراء ذلك ان تدعورت تجارة الهند الصينية مع البلدان الآسيوية التي كانت السوق المثل لمنتجاتها من الارز . وهذا كذلك يجد ان تمويل المشاريع الوطنية *Investissement* يكاد يكون معدوماً . فعمل يظهر الا سنة ١٩١٠ في مشاريع استثمار المخابر وريادة القهوة ، وخاصة في زراعة شجر المطاط *Kévés* . وهكذا تمثل المواد الأولية في سنة ١٩١٣ (٩٥ ٪) من صادرات الهند الصينية ، والمنتجات الصناعية ٧٠ ٪ من استيراداتها .

اهتم البريطانيون في الهند في تنمية المصالحات الزراعية المدة للتصدير . كالقمح ، والقطر ، والاعيون ، والقنب الهندي . تمتعت الرسوم الجركية ، بأدى ديدنه ، قيام صناعات النسيج والتمدين ، ثم راحت تروح المراقيل في سبيل تطورها . ان طغيان الآلات الصناعية العربية ، هذا الطغيان الذي قف على الصناعات والحرف الوطنية الصغيرة ، والتزام التعارض الحدود بقصر استيرادتهم على المنتجات الصناعية البريطانية حوت سواها ، - وهو التزم لا يخدم سوى مصالح الموابين ، والملاكين الكبار البريطانيين - كل هذا قد حل جماعير الفلاحين ، وقد حل بهم السمار ، على التروح الى افريقيا الشرقية والجنوبية ، حيث عملوا معاملة العبيد ، مما أهاب بهندي الى رعب صوفة ، بالاحتجاج والتهديد . ان ٩٠ ٪ من التجارة الخارجية يتم مع دولتيون لامبراطورية البريطانية . وتمثل موارد رؤوس الأموال البريطانية الموظفة وتقدّر بـ ٣٩٠ مليون بيرة ، وفوائد الديون المأمسة ، والالتزامات البيئية *Home Charges* ، وهي الرواتب التي تدفعها الهند للموظفين القدماء ، تمثل كل ذلك ما يزيد على ثلاثين مليون ليرة يتوجب على الهند ان تدفعها سنوياً لاسكتلندا . واسيراً ، ان الهند هي التي حصلت اعاء (مال ورجال) فحلات التي شلتها بريطانيا في نهاية القرن التاسع عشر على السهول والحيثية . وعلاوة على ما سبق ، تقسم الهند لجزء من نفقات الاسطول البريطاني ،

المربط في البحر المتوسط ، ومعقات الفئصيات البريطانية في بلاد المعجم .

ان سيطرة اوروا تقوم ايضاً على قهرها ، عبر المسارح ، في
لنوق اوروا في العلم والتعبية . المحالات العسكرية . فهي اوروا هذه مشأت لتيارات الفكرية ،
والاكتشافات الأشد خصوصية التي برزت في هذه القرون الأخيرة . ومن مختبرات اوروا ،
وجامعاتها ، يخرج الأطباء الذين يصفون الحواجز دون احتياج الكوارث وتقني الأوبئة
والتقنيون والمهندسون الذين يحققون الأمان العظيمة ، ويميزون وجه البسيطة . فلا عجب ان
يسمى اليها بحثاً عن اسرار عظمتها وفعاليتها . فاطلاب ، من كل صوب ، يتدفقون الى الجامعات
البريطانية ، والامانية ، والفرنسية والبلجيكية . والكتب المدرسية التي تخلق ، ولباب العلوم
لمن لا يستطيعون دخول الجامعات المذكورة ، من طلاب لمدارس الثانوية والعلية ، انصب هي
كتب مرجحة من الفرنسية او الالمانية . معشاة يمانية وصينية ، وتركية . . . فقد اى اوروا
تطلع على الامالب المعصية لتكوين الدولة العصرية . وثمة ، من ناحية ثانية ، معشاة عسكرية
المانية او فرنسية ، وأخرى بحرية بريطانية ، تكلف تنشئة الجيوش الوطنية ، وتنقيطها ،
واحياناً تكوين ملاكها . وكمن دون تحاول ان تحاكي المؤسسات التمثيلية الأوروبية . فذا
روسيا في سنة ١٩٠٥ ، وتركيا في سنة ١٩٠٨ ، والصين في سنة ١٩١٢ ، تنجبه كلها شطر
مبادئ التساهل والليبرالية وحتى الديمقراطية ، وهي لمدى لوكائر ، في الانظمة السياسية
الاوروبية . ومن جهة ثانية ، نجد دعاة لاصلاح من الوطنيين الشباب ، يستلهمون الأمثلة التي
يقدمها لهم تاريخ اوروا . فسادا بطرس الاكبر ، وكوتسون ، ومريفي وكافور وبساراك ،
يصنعون المثل التي يقتدى بها ، ويرسم خططها . ويصير الفكر الحر ، وليد الثورة الفرنسية .
ومثله الفكر الرضحي ، مصدر إلهام لدعاة لاصلاح الصينيين ، في مطلع هذا القرن ، وللضابط
الاراك زعماء جمعية الاتحاد والتقدم ، وللقادة المنصلين في السدان الثلقابية

اذن ، في عام ١٩١٤ ، والراأحالية في أوج انتصارها ، نجد
الاضطراب التي تهدد السيادة الاوروبية . اوروا التي جمعت سلطان العلم ، وسلطان القوة ، تسيطر على
العام اجمع سيطرة كاملة . لقد أبشأت بفصل حمرانها ورؤوس أموالها ، لجمهورية محارية دولية ،
تعمل تحت شعار بريطانيا ، ولكها في لرفع تخدم مصالح البيض أجمع (أ . هايبي) . ن
استقرار العملات ، وسهولة انتقال رؤوس الأموال والرجال ، وتعدد وسائل النقل السريع ،
والتوسع لاقتصادي الذي ما برح في لزيادة منذ نهاية فترة الاضطراب الممتدة من سنة ١٨٧٣
- ١٨٩٥ ، كل ذلك قد أوحى بالثقة المطلقة في فاعلية نظام ، قليلون هم الذين يادفون لانقسامهم
بالشك فيه .

مع ذلك ان اوروا هذه ، اوروا الأرمنة السعيدة ، التي يبحث الكتاب كينز ذكرها بشوق
وحسان ، بها مهددة بالفضى المتزايدة في العلاقات الدولية ، وبلباقصات التي تدفع الدول
الامبرالية الى التناحر فيما بينها . ان امانيا ، كمر دولة اقتصادية في العالم القديم هي وحدها

الدولة التي لا مستعمرات لها . وهي ترفض ان تنظر الى هذا الوضع كوضع ثامر ، لا تبدل فيه . وفي أوروبا كما في خارجها ، تنحصر الدول العظمى ، تنحصر ، يشتد أو يضعف تبعاً للأحوال ، وكل منها ، يأمل ان يستفيد من الصعوبات الداخلية التي يلاقيها البعض منها ، في ايرلندا ، وبولوبيا الألمانية والروسية ، وفي مقاطعة ألزاس ولورين ، وهلمدا ، وبين الأقليات السلافية او اللاتينية في الدولة المولفة من النمسا والمجر ، وفي كل مكان تشتد فيه النزعات القومية بزيادة الشعور الوطني في الجماهير الشعبية .

ومن جانب آخر ، برز لأوروبا منافسون أجبروا تقديمهم في شتى المجالات ، على احترامها لهم بحق المساواة . فهي لم تجد بداً من اخذها بعين الاعتبار نفوذ الولايات المتحدة في القارة الأميركية ، ونفوذ اليابان في الشرق الأقصى . وبالرغم من ذلك ، فان أوروبا لا تجد بعد في كل هذا ما يهدده . ويشير قلقها إلى ما لها ذلك ، واسواقها لا تزال على حالها من التوسع والانتشار .

ان بواصر الفلق التي تبرز أحياناً في سنة ١٩١٤ ، لا تصدر عن التنظيم الاضطراب الاجتماعي المستتب في القرن التاسع عشر يصلحه أوروبا اقتصاديه ، بل عن الاضطراب الاجتماعي المتزايد يوماً بعد يوم . منذ سنة ١٩٠٥ بدأت الاضرابات الكبيرة ، ذات الصانع الثوري ، تنفجر في كل من انكلترا ، وفرنسا ، وإيطاليا . وكل سنة راحت مظاهرات اول يوم من أيار تؤكد قوة الدعايات العمالية ، المتصاعدة . على ان الفاقين بهذه المظاهرات لا يرثون ، في مجموعهم ، قوة ضئيلة ، مورعة كما يلي : مليون نقابي في فرنسا أي من ١٢ الى ١٣٪ من مجموع الطبقة العاملة . ام عمال اسناعم ، وهم اكبر العمال عدداً ، فلا يتجاوزون ٣٣٪ من مجموع العمال النقابيين . وتتمتعهم الأرقام في المدن المصنعة تصنعاً أشد . أربعة ملايين في بريطانيا للمهني ، وما يقرب من عدد العدد في ألمانيا . ان سلطات لماركسية اخذت أيضاً تنمو وبتوثق . وقد أوصى بالدولية الثانية التي ضمت لها الاحزاب الاشتراكية العمال يشكلون ٢٨٪ من اعضاء المجلس النيابي في ألمانيا ، و ٢٥٪ في النرويج ، و ٢٠٪ في بلجيكا ، و ١٧٪ في فرنسا ، و ١٠٪ في إيطاليا ، و ٩٪ في البلاد المنخفضة . تشمل حرب العمال البريطاني ٦٪ من مقاعد مجلس العموم . ولكنه في سنة ١٩١٠ نال ٤٢ ٪ . من مجموع الاصوات . وبالرغم من كل هذا ، فاننا لا نجد فقط دولة ، يخشى حكامها ، يجد ورسائه ، ان يمار النظام السائد أمامي روسيا ، حيث لم يعمل الا للزور اليسير معالجة اسباب للقلق الخيم ، منذ ان أجمعت ثورة ١٩٠٥ ، فان النظام السائد هناك ، يبدو مهدداً تهديداً حقيقياً .

ان الحرب التي انفجرت سنة ١٩١٤ ، كانت بداية ايمبار هذه السيادة ، حتى لم يبق لها أثر بعد مرور أربعين سنة على انفجار هذه الحرب . على حين ان الثورة التي ساعدت هذه السيادة على اشتغالها في روسيا ، قد اخذت منذ ذلك الحين تدبلاً كاملاً ، تطور الحركة العمالية ، ومعصيات المنظمة الاجتماعية .

الفصل الثاني

الحرب العالمية الاولى تزعزع ركان البناء

هذه الحرب هي أول حرب خاضت فيها ، في آن واحد تقريباً ، أمم دول العالم . فالحروب *Les Conflits* التي دشت حتى الآن ، عا فيها حروب نابليون ، لم تكن في الواقع الا حروباً اوروبية . كذلك لم ينهياً لاورودا ان تتحالف وتقف معاً صفاً واحداً في وجه فرنسا إلا في فترة ما بين ١٨١٣ و ١٨١٥ . ان الدول التي اشتركت في حروب القرن التاسع عشر ، كانت تتار يطالبها لرراعي ، فلم يُبسّ اقتصادها قط ، او لم يُبسّ الا مساً رفيفاً ، لا سيما وان تلك الحروب قد حرت في حيز محسود من الرمان والمكان . اما الدول التي اشتركت في حرب ١٩١٤ - ١٩١٨ فاما على عكس ذلك ، دول صناعية وتجارية ، راحت وهي في غمرة الحرب تحول قدرتها على حل لانتاج الى لقوة صناعية لاسلحة وتطويعها ، وتوسع الجيوش ومعظمها من سكان الاقاليم ، مما يؤدي بالضرورة الى تقلص السكان وبالتالي الى نقص المؤن والاعذية . وهكذا توقفت حركة المادلات التجارية ، وأصيب بناء الاقتصاد العالمي اصابة خطيرة .

ولم تكن اصابة البناء السياسي أخف وطأة . فلم يبق من سبيل للحكومات المختلفة ، وقد فوجئت بحرب طويلة الامد ، ومشاكل جديدة متنوعة ، لم تتأهب من قبل لحملها ، إلا ان تلجأ الى « سوابق » لا تلائم والوضع الجديد الذي صدمها ، او ان تبحث الحلول ارتحالاً ، وفيها كثير مما يعتمد المستقبل وينقله .

اذا استثنينا الدول ذات النظام الملكي ، نجد ان سائر الدول الاوروبية كانت تأخذ بمبادئها ثابتة ، لا تقلل الجدل من هذه المبادئ بذكر الحكم المدني ، والديموقراطية البرلمانية التي تضمن لمواطني الشعب حق الرقابة على اعمال الحكومة والادارة العامة ، واحترام الحريات الفردية الاولى . لمة احيراً الحرية الاقتصادية التي كادت تكون مطلقة من كل قيد وسدّ . في مثل هذه الحقبة من الليبرالية متصرة ، ولازدهار العام لم يكن يظهر ما في ضلف الدولة من

خطر جدد المصالح القومية العامة .

على ان الحرب من شأنها أن تقضي على هذه المبادئ والعادات ، وعلى كل تقدم وازدهار . فهي ، بحجة انها تقوي السيادة والنظام ، تبرع الحرب الى المصالح او تخضع رقابة المجالس السياسية . وتقدم سلامة الدولة على حقوق الافراد والدواعي عنها . ودعم القوى الاجتماعية ، وتقوية نفوذها ، ضد النفوذ الذي كانت الاظمة الديمقراطية تعمل على اضعافه والحد من نشاطه .

١ - توضيح لاقتصاد الحربي

ان هذا التنظيم ، هو الذي قضى على ما ألفه الناس من عادات وما درجوا عليه من تقاليد وآراء موروثة . فلم تلتأ أجيال الانتاج ، وهي اجيال دقيقة محقة ، ان تعطلت فحياة فالتمت كل حكومة ان ترتفع لاسرائيات خيرية ، وان تتولى بنفسها ادارة الاقتصاد الوطني ، او تضعها تحت سلطتها ، لتتمكن من إمداد الجيوش بالمعدات والمؤن ، وتأمين سوابب الجيش المواطنين . لقد اضطرت كل دولة لسبب اغتارها الى وسائل النقل البحري ، والحصار المفروض عليها من جانب اعدائها ، الى ممارسة ما يعرف بسياسة الاكتفاء الذاتي ، الذي أتى على نظام توزيع العمل ، كما يمارس ايام السلم .

مشكلة الثمن
مسد الاسلحة الاولى للحرب ، برزت مشكلة تمويل الجيوش بالرجال والعتاد على اثر الحقائق الفادحة التي سميت بها الجيوش . هذه الحقائق قد جاسورت من بعد كل التدفقات . ود سرعان ما افرغت استودعات ، ونفذت المؤن . انما ، عند لدون الحربية كلها ما عدا روسيا . لذلك اضطرت هذه الدول الى استباق مواعيد التجديد المحددة لكل فئة من الفئات الشعبية ، واستعداد من تأجل استثمارهم الى وقت لاحق ، واستمادة المستحقين من الجنود القدامى ، والترسيع في تعة جيوش مستعمرات ، والاستعانة بالفرق الاحمية . وقد اضطرت بريطانيا نفسها وهي الدولة الوحيدة التي تتألف جيوشها من المنطوعة الى فرض الخدمة العسكرية الاقسائية ، وذلك في شهر أيار من سنة ١٩١٦ عندما تبين لها ان طرقها المألوفة في استنفار المتطوعين ، بالترغيب والترهيب ، لم تعد تكفي لحشد ما تحتاج اليه من الجيوش .

توريد الجيوش
الى جانب الثمن ، تقدم مشكلة توريد الجيوش بالاعادة الحربية . فالجيوش بحاجة الى سلاح ومكسوة وغذاء لم تكن الدول تنويع حرباً طويلة الأمد ، فلم تمك في التعويض لصنع الاعادة الحربية ، ظناً منها ان ما تخزنته من مدافع كالمكبب المعركة . واكتفت بوحدة اهتمامها لتوفير المؤن ، وما به يحافظ على ما لديها من المعدات الحربية . فلم يمس شهر ايلول من سنة ١٩١٤ ، حتى شمرت كل الجيوش لمتعادلة بالحاجة الماسة الى السلاح والعتاد .

وكان من أعقاب احتلال المانيا للناطق السلافية ، والشمالية الشرقية من فرنسا ، بها فقدت ١٠٪ من فحمها ، و ٩٠٪ من مباحم الحديد التي تملكها ، و ٩٥٪ فورتا غالبا من اهرابها الخمسة والعشرين بعد المئة . على ان مدء من نيسان ١٩١٧ احدثت نتيج ما يسد حاجتها الى استخائر عيار ٧٥ اما بالقياس الى الاسلحة الثقيلة وانعدت الحربية الجديدة ، فقد اضطرت كل من فرنسا وبريطانيا العظمى الى خنق الاحهرة لفادرة على صنع هذه لاسلحة ومعدات والى تصمم عانجها الاولى قوضع لهذا الغرض ، في ايار ١٩١٦ ، برنامج عام ، تبدل مرتين متواليتين على لافل ، قما لتبدل رأي القيادة العليا بمبحث ان الجيوش العرسية لم تدل نصيما من تلك الاسلحة الثقيلة والمعدات الحديدية الا في شهر آب ١٩١٨ ، اي قبل ثلاثة اشهر فقط من توقيع الهدنة . اما في بريطانيا ، حيث يقوم مصمم ووينتش للأسلحة ، وهو مصمم على الزمان على اجهزته وادوته ، فقد قنضى ان يقوم الكولونل ريستون في صحيفة والتيمس ، والبرورد نورث كليف في صحيفة « الديلي مابل » باعنف حملات الصحفية واشدها تشهيرا بالهزيمة الشرية التي كانت تلتهم لجود لمعدن الى الميدان ، عزلا من كل سلاح يدفع عنهم عمرات الموت ، لكي تشط الحكومة الى اشاء وزارة للعناد الحربي عهد بها الى لويد جورج . اما روسيا فكانت علية ان تصاعف مشتراتها من البندق والذخيرة تشاعها من لولايات المتحدة واليابان وان قنمي نتاحسها . ومع ذلك لم تنوفر لها حاجتها من القذائف Ochs الا في تشرين الثاني ١٩١٥ ، وحاجتها من المدفع الرشاشة الا في مطلع ١٩١٧ . ومن ثم راحت صاعدة الحرب تستند الى كل مكان مستأجرة بالقسط الاوفر من موافرة البلاد وبكل ما فيها من يد عاملة . في هذا السبق الدائم بين المسكرين ، يبدو تفوق المانيا وصفا حليا . لقد أمرعت في اتخاذ الاجراءات المكفلة عضافة نتاجها الحربي وراحت منذ ١٩١٧ تصنع كل شهر ألقي مدفع وتسعة آلاف رشاش ، في مقابل ٢٠٠ رشاش كانت تنتجها ١٩١٣ .

مشكلة اليد العاملة بيد ان هذا الانتاج الحربي الضخم قد أثار مشكلة جديدة لم تكن متوقعة . أريد بها مشكلة اليد العاملة ، والفرود بالمواد الأولية ، وتنظيم هذا الانتاج تنظيماً تصهر عنه لماهرة المردية ، فكان لا بد من العثور على من يعمل في الصناعات الحربية ، مسكان ملايين الشباب المحسدين للقتال بحيث تؤمن حاجة الجيوش الى السلاح من هيا مست الحاجة الى تمنة حقيقية اقتصادية . على ان لمانيا كانت الدولة الوحيدة التي طمأت الى التشغيل لاحماري . فأمشأت في الخامس من كلون الاوسمة ١٩١٦ سرعة العمل الوطني الاضائي للرجال المتراوحة اعمارهم بين ١٧ و ٦٠ سنة . اما سكلترا ، فان برلانيا قد صوتت على قانون ، يسمح بالعم في المصانع الحربية بموجب عقود خاصة ، ويبيع لغير اصحاب الاحتصاص ان يتولوا وظائف العمال الاحتصاصيين على الرغم من تصدي النقابات العمالية لهذا التعديل الذي احري في نظم توظيف العمال . وكماالت لاصوات والصحف من كل صوب تدعو النساء ، ومجان مستعمرات ، وأسرى الحرب ، والاحتصاصيين على حصة القنار ، للعمل في المصانع الحربية .

واستعملت ألمانيا كل أولئك الذين اجلبتهم هن بلادهم من بلجيكيين ، وبولنديين وفرنسيين . وكانت في سنة ١٩١٨ تعد مليونين من الذين أُرجئت خدمتهم العسكرية الى وقت لاحق ، نصفهم فقط كان أهلاً لهذه الخدمة . وهكذا وجد الرايخ نفسه في وضع مستحسن ، غريب اذ بينما كانت حبهاته الحربية بحاجة الى الجود ، كانت المعدات من كل فرع تفيض عن حاجته ، وهي في اتم اعادة للعمل .

الدولة تدول بنفسها
ادارة الاقتصاد الوطني
مسح قيام الحصار ونعدام المواصلات البحرية ، يصبح تنظيم الاقتصاد الوطني اقوى سلاح في تقرير المصير . ولذا كان لابد للسلطات العامة ، في كفاحها ضد هدر القوى عبثاً ، وفوضى الانتاج ان تنظم ابادرت المردية ، وتعطيا الوحدة الصحيحة . وانتهى الامر أخيراً بان تولت الدولة نفسها ادارة الاقتصاد الوطني في سائر ميادينه .

انت رايخنو هو اول من لفت الحكومة الألمانية الى ضرورة السهر على مخزون المواد الأولية ومستودعاتها . لقد عمدت اليه الحكومة بادارة « قطاع المواد الأولية للحرب » واطلقت يده في مصادره ما كان منها محروماً ، وقسمته بين المصانع وتوزيع طلبت الحكومة على شتى مما من والورش . ان المانيا في سنة ١٩١٦ هي اول دولة اشأت لنفسها ما يدعى « Zwangswirtschaft » لقد وود « مكتب الحرب » *L'office de guerre* ، بالسلطات المطلقة ، لفرض في قضايا صنع المعدات الحربية ، وقضايا لاستيراد والتصدير ، وفرض الرسوم على السلع المصنوعة ، والمحاصيل المختلفة . ولم تلت سائر الدول ان اقتدت بألمانيا ، من قريب او بعيد . ف راحت تشتغل اسرى الحرب وتدفع لهم اجور عملهم ، وتستعيد من جهة القتال الجود المتفقد اليها قبل موعد خدمتهم العسكرية ، وتمهدهد من تعافيت عن ارحالهم اليها حين يضربون عن العمل . كما انها احدثت تعدد الاسعار ، وتصادر المصانع ، وتشترى على صنع البادج الاولى اعمدة الدفاع لوطني ، وتتحكم بوسائل النقل في البر والبحر ، وتبيح او تحرم الاستيراد والتصدير ، وتنظم زراعة الاراضي المهمة ، وتزود رجال الصناعة برؤوس الاموال اللازمة لإشياء مصانع جديدة لصنع معدات الحربية ... وفي جملة نجد ان حرية التجارة والانتاج والعمل قد صيقت حدودها ، ونظمت تنظيمياً دقيقاً

إن مثل هذه الادارة كانت تقتضي عدداً ضخماً من الموظفين ، والمجالس الادارية ، والجان المختصة فكان في هرسا ، عند توقيع الهدنة ما لا يقل عن ٢٩١ لجنة ادارية ، منها ثمانون لجنة ملحقه بالوزارة الحربية وحدها ، فضلاً عن المجالس المحلية والاقليمية . ان هذه المجالس كثيراً ما كانت تتشاك ، ويقوم بعضها بذات العمل الذي كان يقوم به بعضها الآخر . اما في امانيا ، فان « المكتب الرئيسي للمجهود الحربي » - ومهمته الإشراف على سائر نواحي التجارة الخارجية - كان يمد أكثر من اربعة آلاف موظف ، ويكون اعظم منظمة تجارية في العالم ان اصحاب امن الحرية من تجار وصاعين كانوا يشكلون ، تحت وصاية الدولة ، شركات حقيقية لاحتكار

مشتري المواد لاولية الضرورية لهم ، التي كانوا يتقاسمونها فيما بينهم .

اشاكل المال منذ بداية العمليات الحربية ، اتخذت كل الاجراءات المعروفة ، والتي من شأنها ان تحول دون وقوع اية ازمة مالية . فمدد أجبر استحقاق السندات التجارية والمصرفية ، وغرض نظام التعامل بالعملة الورقية بدلاً من الذهب . ومع ذلك فقد اضطرت سائر الدول الى الأخذ بسياسة القروض الداخلية والخارجية . امسا مصدر هذه القروض فكان انكلا تراثم الولايات المتحدة . وملاحظ من جهة ثانية ، ان قيمة المشتريات الخارجية التي كانت تفوق كثيراً امكانيات البيع ، كانت تزيد على التوالي صجر الميزان التجاري لمصلحة الدول المحايدة ، ومصالح الولايات المتحدة . لقد حشيت فرنسا مراراً كثيرة كما خشيت بريطانيا ان يساعها المجر الى وقف مدفوعاتهما ، ولا سيما في سنة ١٩١٧ لم نحل الأزمة لا بدخول اميركا في الحرب . وهكذا ارتفعت ديون العملة في فرنسا من ٣٢ ملياراً الى ١٧٣ ملياراً . وفي ألمانيا - بسبب القروض الداخلية - من ٥٥٠٠ مليون مارك الى ستين ملياراً . ان الرقبة التي فرضت على اخراج الذهب من البلاد ، والعمليات المصرفية ، بالإضافة الى العون الاميركي الهائل ، كل ذلك قد ساعد على حفظ التوازن بين الثيرة الانكليزية والعمريك الفرنسي من جهة ، وبين الدولار لأميركي من جهة ثانية ، دون ان يتمكن من وقف تدفق اسعار هاتين العمليتين بالعملة الجديدة ، وبالتالي الى وقف ارتفاع اسعار المعيشة .

مشكلة الغذاء صعان على الحكومات كذلك ان تؤمن الغذاء لشعبها . فقد هبط الانتاج الزراعي في كل البلدان ، لسبب نقص اليد العاملة بين الرجال ، ونقص حيوانات ، والأسمدة . وأوشك تأمين الغذاء للسكان المدنيين ان يكون هوئله معرضاً للعجز ، ان ألمانيا تسمي الحاجة الى لحول والاعلاف ان احسن كتابها المقتلة لا تملك في سنة ١٩١٨ سوى ٨٠ / ما كانت تزود به سابقاً . منذ تشرين الثاني سنة ١٩١٤ اخذ مكتب البطاطا ومكتب الحبوب نقص استهلاك الخبز والطعنين والبطاطا ثم تناول التقيين اللحم والمواد الدهنية . ثم أدخل على صنع الخبز مواد غريبة ليس لها حظ كبير من القدرة على التغذية . للمرة الاولى في تاريخ البشرية ، اخضع شعب يعد ٦٧ مليون نسمة لنظام بطاقات التموين . وسارت سائر الدول على هذا النهج ذاته ، ولكن دون ان تذهب بعيداً فيه . لقد خيفت انكلا تراثم حدود استيراد السلع الكدالية واحشكوت استيراد السكر ، وحدث تشجيع انتاج القمح الوطني الذي اورداد ٦٠ / وانتاج البطاطا الذي اورداد ١٠٠ / . وهي قد فرضت الرقبة على دخول السلع الغذائية في البلاد ، واشترت كل انتاج محلي من اللجنة المصدرة الى الخارج ، وكل القمح الاوسترالي ، والـ *Bacon* لأميركي ، وراحت اخيراً تصدر كل غلة البلاد من الحنطة والحب ، والبطاطا ، وتمددت الاسعار . وهكذا انتهت الحكومة الى الاشراف على ٩٤٪ مما كان يستهلك في البلاد . وفي كل مكان ، عاين ذلك البلاد المحايدة ، انشئت *Cantinas* ، والمآوي المختلفة لعلم المصانع ، وطلاب المدارس الخ . وفي كل مكان مست

الحاجة الى السلع الغذائية والمحروقات ، والبذع العاملة ، وارتفعت الاسعار على الرغم من ارتفاع الاجور ، ونقصت القوة الشرائية ، مما راد في عسر المعيشة للجزء الاكبر من السكان

٢ - المشكلات السياسية والاجتماعية خلال الحرب

قاست الشعوب مريراً من التجربة القاسية التي ابتليت بها : فالمهاجرين الاتحاد للقدس التي راودت يوماً خواطر الاطلسات الموجهة حول ما عسى ان يكون الموقف الذي ستقعه الطبقات العاملة في حال اندلاع حرب ، انفتحت ابه ليس ما يبردها ولا تنهض على اساس قطر . فقد ادعى نفوذ الاكليروس الارثوذكسي عند الشعوب العنقيلية ، ونفوذ الاكليروس الكاثوليكي ، في الامبراطوريات المستندة وفي كل من النمسا والمجر ، والولاء الصادق شبه الاجماعي الذي تقنعت به ، الى التعاف لمجاهير الشعبية حولها . فمقدرة التي استطاعت معها روسيا تزيج الحرب ، في نظر رعاياها من الروس ، غنايه حلة دفاع عن السلافية ، وظهور ألمانيا مظهر حولة محاربة لنظام قبصري سديد الكراهية ، في نفوس الليبراليين والاشتراكيين ، حالاً دون ظهور أية معارضة للحرب في كل من روسيا والمائيسا حيث اقر مجلس الريشتناح بالاجماع التدابير والاحكام التي رأت الحكومة فرضها بهذه المناسبة . اما الفرنسيون فقد كان شعورهم العماس اهم راحوا فريسة عدوان لا مبرر له ، فقرروا ، بالاجماع ، الدفاع عن بلادهم ، والدفاع عن الحق والعدالة ومد ان ديسا بالاقصدم . اما في اسكترا فقد راح بعض حروب المال وبمض دعاه السلم من حرب لاجرار يحاولون التصدي لاعلان الحرب . الا ان كل معارضة او احتجاج من قبل الرأي العام ، على الحرب ، ارفع بمد الاهتداء على حياض بلجيكا . وهكذا ، اطل علينا في كل مكان (الاتحاد للقدس) ، وسرعان ما تناسى الناس التهديدات باعلان الاضراب العام ، كانتاسو تلك المقررات التي سبق للمكتب الدولي الاشتراكي فانخذها في ٢٩ تموز (يوليو) وهكذا اقبل الناس على التجنيد والحشد العسكري في جو من الحماسة الملتبة ، وبدأ من صلابة الاتحاد الوطني في الداخل وشدة تماسكه بحيث ان التدابير التي رؤي قبل الحرب اتخاذا كتندير وقائي احترازي للتخفيف من مياج العناصر الثورية ونقص المصابة منهم . مثلاً ، في فرنسا ، تسجيل اسماء الاشخاص المقترح توقيفهم ، في السجل B) ، بقيت سراً على ورق ولم تعد . وهكذا تبعت الشعوب وجهة نظر حكوماتها وهيبتها مفضة .

لا ان لاوصاع لم تلبث ان تغيرت بسرعة . فالأول مرة يشترك ملايين من مواطنين بعملية حشد وتجنيد عامة انتمعو من بين أسرهم ومن اعمسائهم ، في حرب ضروس أكل ، طوية شاقة ، وكل طبقات المجتمع - وليس الطبقات السفلى وحدها - أخذت تهجن بالحرب ، وخضعت عن طيبة خاطر ، لمأسي ولامتحنات شديدة لم تحظر يوماً لها على بال . فالحرب لدورة رحدها يتهمرس بريلاتها وتمرك بتمالها ، المحاربين وغير المهندسين على السواء . فالكل يحسن بالصبح العامض الذي يتمدد العامين في سطرط الدفاع الاول من ابناء الوطن ، ويتم بالمصاع

المادة التي تحف بالمعيش ويصوب الحرمان الذي لن يلبث ان يلف المحاربين لثاً . فلم ير الانسان يوماً مثل ما يمر به المحاربون من اخطار ومحارب قاسية لا سيما بعد ان تركت الحرب وتكررت على جبهات معينة ، وقفوا معها وحماً لوجه مع صدور مكر مترصد فقد وفقوا على سط الدار في شتاء ١٩١١ - ١٩١٥ واحتفروا هم حطوطاً طويلة من الحنادق والدهابر المتصالبة المتشابكة لتباين عمقاً ، يتعرضون معها باستمرار ليس للقصف دار مصم ولا لشكاكات اليدوية ، فحسب ، بل أيضاً للبرد القارس والمطر شواصل . وقد تعطلت رسائل تدويعهم وراحوا هريسة الهوام والحشرات القارصة اللاسعة تعيث بينهم وتعمث في احسامهم ، فحمرت عيونهم لذة النوم وهم في حراسة موصولة وحسن لا يقتوي ، يفترشون ادا ما داموا ببعض الراحة ، ارضاً تحرقها دبابه ويموصون في الوحل حتى الركب ، هؤلاء الجنود الذين رأينهم عائدین هذا الصباح ، ينسوا الحقيقة ، سوى مكثل متراسة من الوحل الكثيف ، كما يصرح الجنرال مسنر ، بعد اشتداد عيب مع المدور وشيئاً فشيئاً بأحد الوضع بالتعفن ، وتقوم شبكة من الاتصالات ربطت الجبهة بالوحدة ، يسرت « لسفحة الحساء » ، من الصفوف الاولى ، بما امكن ، من بعض الاطعمة السخنة ، كما ان سدادل الضلائع تؤمن للجنود المرهقة بعد بضعة ايام من السهر المصلي و حرب في الخطوط الامامية ، حيثال احسد ببعض الراحة لهم في الخطوط الخلفية ، ولاستمتاع بشيء من الراحة والهدوء في القرى و مساكن القناصة في الورا .

ففي القطاعات المشتملة يرى احدي نفسه دوماً عرضة لتوتر عصاب مستمر . فالؤن والذخائر لا تصل في مواعيدها ، والقصف يستمر في دويه رماً اي تحطيم شبكة المواصلات وذلك الحنادق والملاحه ، حيث تحدث القنابل الضخمة عند انفجارها فحوات فجرة تحمّل من ساحة الحرب حقلاً من فوهات البراكين لا تلبث ان تصبح بركة من الماء والوحل . ففي قطاع فردون ، شهد الناس ، لأول مرة ، قصفاً شحاً هداماً يأتي في بضع ساعات ، على فرق بكاملها ، ويقتل في اقوى الفرق و هرباً ، كل قدرة على الهجوم ، كما يحصد افراد الجيش حصداً بالمئات والآلاف . ولقد كان لا بد من تأمين استدال الوحدات المرهقة بحرى حارجية ، وهي عمليات مكلفة لان المؤخرة تنقل ، هي لأخرى ، بصحوا من هذا القصف المدور ليل نهار .

والموت أبداً يتلصص على فريسته في كل لحظة حتى في هذه القطاعات التي لا يأتي والبلاع الحربي على ذكرها إلا نادراً . ففي اواخر عام ١٩١٥ كان الجيش البريطاني قد خسر ثلث أفراد ، أي ٢٧٣,٠٠٠ و ١٦٠,٠٠٠ صابط ، كما ان لجيش الفرنسي كان قد سجل في التاريج نفسه ٥٩٠,٠٠٠ قتيل و ١٦٠,٠٠٠ ضابط ، والجيش الألماني ٦٢٨,٠٩٠ قتيل و ٢٠٠,٠٠٠ صابط ثم اطلق عام ١٩١٦ الحملات الضخمة ، فتكلفت معركة فردون المانيا وهدف ٣٣٦,٠٠٠ قتيل وفردسا ٣٦٢,٠٠٠ قتيل ، ومعركة السوم كلفت بريطانيا ٤٢٠,٠٠٠ قتيل انكليري و ٢٠٠,٠٠٠ فرنسي . فعلى الجبهة الغربية وحدها ، سقطت الحرب ، في هذه السنة ، اكثر من

مليونى جندي وحملتهم غير صالحين للحرب . وكلفت حملة الترهيل الخلفاء ثلثاً جديداً إذ اقتطعت البريطانيين ٢١٥,٠٠٠ قتيل ، والفرنسيين ٢٧,٠٠٠ من مجموع ٧٩,٠٠٠ اشتركوا في هذه حملة . أما روسيا ، فقد بلغت خسائرها في السنتين الاوليين من الحرب ٣,٨٠٠,٠٠٠ بين جريح وقتيل ومفقود ، مع العلم ان الجيش الروسي ، بلغ معدل خسائره بعد ذلك ، مليوناً من الجنود ، في كل فصل دين قتيل وجريح ، الى جانب ٥٠٠,٠٠٠ من الاسرى .

فالعدايات التي لحزبها الهندي ، والمخاطر المديدة التي تهددت حياته أدخلت تغييراً جذرياً على حياته بحيث أصبح يختلف كلياً عما كان عليه عام ١٩١٤ . ومع انه بقي على شعاعته البطولية ، فقد رايه كل وهم وغرور . مهدى تماطقه ومقاومته الشعور يقتصر على رفاق السلاح الملامين له وعلى صفوة الضباط الذين يتقاسم معهم الخطر الواقف لهم بالمرصاد . وهذا الفريق الذي يعيش معه باستمرار في الخندق هم بالفعل لمحاربون الصادقون . وهذه غماسة التي جاشت بين ثنياه عند ادلاع شرارة الحرب ، حل عليها تسليح مرير بالامر الواقع ، بعد ان حلب أشطر الدهر وتوالت عليه عواصف الحسف والفشل . وبعد هذا التسكر او المفرة التي قادت حوله ، هذه الاقوييل والثرثرات التي غدت صراحة فزارة وهؤلاء ، الاحرار الذين يجاهدون كل شيء من الحرب والذين يرمون به مع ذلك ، المضي فيها على حساب هو ، وبأساليب كل عليها الدهر وشرب ، كما يؤكد لنا دكتور ج . بورت كرو ، وبعد هذا الاعياء واحياناً الشعور بعدم جدوى هذه الاصاحي التي تبدل بدون حساب ، وهذه الآلام المبرحة التي يتحتم عصبها

هذه المؤامرة ، تعيش ، هي الاسرى ، ظروفاً صعبة . فقد تحرعت ، هي للوخزة كذلك ، حرارة القصف الجوي وعانت طويلاً ، مباشرة او مداورة ، من عقابيل حرب الغوصات والحصار البحري الذي فرضته .

ان استقرار البلاد اليد العاملة جذب إليها عمالاً من الخارج من رجال وساء . وفي المصانع الحربية نسوة يعملن في حرط القنابر وتركيبها وتصفيتها ، كما ان المرأة في الريف ، اتخذت تصم يدهم اى يد الاولاد والشيوخ ، في معرانة الارض وتأمين العلال . وقد ريدت الاحور بصورة عافيا المعدل والمساواة ، وفقاً لنوع الصناعة ولأوس العمل . ففي كل من امكسرا وفرنسا ، اجلت البقانات العمالية تتعاون مع الحكومة ، الا ان الاسعار احدثت ترفق بيننا انخفضت الطاقة البشرية . ولذا رأيت الحكومة ت نفسها مضطرة للاخذ بالتقنين . فرضت المالب ، صبد عام ١٩١٦ ، مرج البققي - ٣٥٪ من نشاطها للامامل الذي حده استهلاكه اليومي ١١٠٠ غرام ، مع ٢٨٠ غراماً من اللحم ، و ٩٠ غراماً من ادهن والشحم . اما الحليب فاحتفظ باستيمه لبعض المستهلكين ، كما وصفت في التداول مواد بديلة للزيت والمسل . وفي سنة ١٩١٨ على أثر لمواسم البائرة التي عرفت بالبلاد عام ١٩١٦ و ١٩١٧ ، جرى تجميذ في معدل الحصة للمقصصة للرد وذلك من ٢٣٠ الى ١١٦ غراماً من الدقيق في اليوم الواحد ، وإلى ١٨ غراماً من اللحم و ٧ غرامات من للشحم . إلا أن عدم كفاءة المادة الشحمية والتعويل في القداء على

أوران قليلة المادة المدائية ، و شتداد الحاجة الى الصابون والمواد المطهرة الاخرى ، كل ذلك وما اليه ، ساعد في انتشار الأوبئة الجارية ، ومع هبوط معدل المواليد بدرجة ١٠ بالمئة ، ارتفع معدل الوفيات بين السكان لمديين ، من ١٤ بالمئة عام ١٩١٦ الى ٣٧ بالمئة عام ١٩١٨

وامور التغذية في الامبراطورية النمساوية المجرية هي سواء من ذلك بكثير . فان لم تعرف المجر ظم الحرمان ، فالخوع حديقتك ، السكان في المناطق الجبلية او الصناعيه القذمة في النمسا . وقد عرف أفراد الجيش ياماً في الاسوع ، لا يتناولون فيها طعاماً على الاطلاق . والتقنين الشديد المدح للجسم ، والوضع الصحي المتردي باستمرار في البلاد ، عوامل اخرى تركت اثرها المخلخل على وحدت الجيش وعلى الاهليين في المؤخرة . اما عند الانزاع ، فقد هبط معدل الوجبة الغذائية عند الجندي الى ٢٥٠ غراماً في اليوم الواحد .

وقررت فرنسا كذلك ان تحصى حصص الغذاء من السكر كيلوغراماً واحداً في الشهر كما حددت استهلاك الخبز للغد الواحد من ٢٠٠ - ٦٠٠ غرام بحسب عمر المستهلك. وقررت تحديد استهلاك الحليب واللحم والزيوت والتسبع كما قسمت استهلاك العنز والكهرباء ، ومبدأ في ربيع عام ١٩١٧ ، اكل اللحم مرتين في الاسوع وبدون عذوى . وفي ايلول احرى تقنين اربعة والقهوة ، كما حدد استهلاك اللحم والسكر والخبز للجمهور ، وتسمت انكلترا عام ١٩١٨ في نشوب اضطرابات في مدينتي روتردام وامستردام .

وهذه المذاقات التي تجرعها الناس صناعاً والواناً ، والثروات الضخمة تقيد الحريات العامة التي جميعاً « مستهدو الحرب » الذين انشأوا صناعات حربية أو تمهدوا قاعين ثوريات ابيضوش ومهاتما ، والشعور المتزايد باللامساواة الاجتماعية ، كل ذلك أدى ، في الدول المتحاربة ، الى نشوب أزمة سياسية واجتماعية حرجية .

مقد اشتد الخلاف في الحال السياسي بين حكومات والجمهير الشعبية التي تمسك الجيش بالحدود . فقد طرحت ضرورات الحرب بشكل عنيف ، مشكلة الدفاع عن الحريات المدنية والسياسية . ولاجراءات التي رؤي اتخاذها في وفات السلم والتي وضعت موضع التنفيذ ، زمن الحرب ، هي واحدة تقريباً في كل البلدان المتحاربة . فقد أدت الى تحنيد الافكار في كل مكان ، كاعلان حالة الطوارئ ، ابي الاماء الحرية الشخصية ، وانشاء المحاكم العسكرية ، ومراقبة اسبقة على الصحافة ، وغير ذلك من الاحراءات التعسفية كالسيرة والمصادرة ، وكلها اجراءات أولت مسؤولين عن السلطة التنفيذية ، صلاحات واسعة . فقد دى الحد من حرية الصحافة الى عدم الرأى العام لشؤون الدولة ، والى تعطيل الانتفاضات السياسية جريئاً (باستثناء انكلترا) . ففي الامبراطوريات العسكرية حيث نشاط الحكومة لا يتوقف على

البرلمان ، تتمتع السلطة التنفيذية ، على السلطة ، . أما في فرنسا ، فالعمل بالمراسم الاشتراكية يمكن الحكومة من تطبيق القوانين ، ومن الحد منها . وفي إنكلترا ، أمت « القرارات المتعلقة بالدفاع من النرويج » ، للحكومة ، تمديد القوانين المعمول بها ، على شرط فهمها والتدقيق بها من قبل مجلس العموم . وفي سويسرا المحايدة نفسها حول الهندس ، لاتحاد العام ، وصلاحيات غير محدودة ، لضمان أمن البلاد ، ولضمان نشاطها الاقتصادي

والحاجة الملحة أحياناً لاتخاذ قرارات سرية ليس في مصلحة الدولة اجمالية لاعلان عنها ، ساعدت هي الأخرى ، على تجريد البرلمانات من بعض صلاحياتها الأساسية التي تتمتع بها . فقد اضطرت الحكومة للعديد من دورات هذه البرلمانات والاستعانة بالقيادة لكثير أصوات الماديس . ومع ذلك ، فالبلدان التي تتمتع بنظام برلماني ، كثيراً ما كان أعضاء النواب هم يتفقون من أفراد الجيش العاملين في الجبهة ، ومن الضباط ، رسائل ينظم فيها مرسوماً من سير الحروب ومن طريقة توجيه الأعمال الحربية ، كما كانوا يشعرون بها لحاور الحكومة ، ومعالج رجال الإدارة وهواتفهم . ان توجيه أعضاء البرلمان الأسئلة للحكومة في إنكلترا ، وقرار الاعتمادات الحربية بالتصويت ، كانت رسائل ردع للحكومة . وفي فرنسا كذلك كانت لامثلة الموجهة الى الحكومة والى اللجان السرية التي حوى تشكيلها عام ١٩١٦ كابية الى جانب لجان المراقبة ، محاولات صادقة تمكن البرلمان من تثيل دوره وتأمين اصلاح التصورات في كل ما يتعلق بشؤون الجيوش وتأمين حسن سير الصناعات الحربية والمراقبة . وكثيراً ما كان النواب يلاقون معارضة او مقاومة صعبة لم يكن في وسعهم دوماً التغلب عليها . وهكذا اطلقت على البلاد « دكتاتوريات حرب » جمعت من السلطة في ايد رقة . ففي المانيا « رى « هريك (السيكسور) الذي تشكل من هيندورخ ولودندورف ، هو الذي يمسلي ارادته وتعليماته ، على الوزراء والمستشارين . وفي إنكلترا ، هي اللجنة الحربية المألقة من خمسة أعضاء برئاسة لويد جورج ، وفي فرنسا « لجنة حرب » ايضاً مؤلفة من خمسة أعضاء برئاسة كليمنصو ، وهي لجنة تقوم بأعمال مجلس الوزراء ، ولتحكم بالفعل كما نشاء

ومن جهة اخرى ، فالانضباط الذي فرضته ضرورات الحرب ، ساعد على تقوية سلطة « النبلاء » التي ربح تطور الديمقراطية بفرض من صاحبها ، ليس سلطة العسكرية الذين يهرون على امتيازاتهم العسكرية ويشقون بامسئول مع رجال الحكم من المدنيين الذين لم تكن كلفتهم دوماً هي الكلفة المعصل فعسب ، بل ايضاً مع الطبقة النوبرجوارية التي تمد الجيش وحدها ، بما يلزم من أطر وملاكات ، ومن صائد عاملين وصباط الاحتياط ، كذلك عبارة الافكار الصارة بالدفاع الوطني وملاحقة « الامميين » ، وهي اعمال ومشاطات قصدت ، ليس فقط لكن تصرفات القادة او الحكومة ، بل ايضاً لكل رأي يحمل في طياته خطراً بهذه الاتحاد للقدس ، او يقتلون بالهد ، الذين الاجتماعى او يتعرض لمزاولة السلطة الادارية في المصنع او يتصدى للحرقات الدينية .

حماية الاتحاد المقدس وإلى النظم من حد للحريات العمامة وتجاوزات السلطة ، يجب ان
 يضيف هنا الاشتراكي الذي استعوز على الناس ، منذ عام ١٩١٥ ،
 من جراء نكسة موارد الدولة وهدرها جزاءاً ، ولوقوف في وجه سياسة متابعه الحرب
 باعتمادها سياسة خرقه ، لا طائل تحتها ، عاجزة عن تحقيق نصر نهائي حاسم . وهذه
 الدورات والدورات التي ظهرت على اشكال شتى في الاوساط المتحالفة بالسلام ، في امريكا وفي
 اوساط بعض رحا المال و لاعمال من الانكليز والالمان والفرنسيين ، وبني بعض مهربي السياسة
 مثل كايو وبرين ولورد لانسدون ، الذي قدم استقالته من اوزارة في تشرين الثاني (نوفمبر)
 ١٩١٦ ، ولدي نشر ، عام ١٩١٧ ، بياناً بطابع قبيح يمدد مقارصت للصلح) ، والفريق
 الآخر المساميل مع الحكومت كاروي في البرلمان الهربي ، وادريجو وحارب من حزب الوسط
 الذين جنوا مجلس الريشتاخ ، على الاتحاد قرر بالمشورة بمقارصت السلام ، وفريق من حزب
 المال المستقيمين من طلاب السلام هم بين صفوفه . ماكدونالد وسودن وحوت . هذه الحركة
 تلتقي ومعارضة التي قام بها الاشتراكيون في القارة ابعث ساعدها بشدة ويقوى بتفاهم العدايات
 والالام والشعور بالملل والسأم ، أضف الى ذلك عمل اشتراكيين روس لاحسين ابي سويسرا ،
 وايطاليين عصبوا بدحول بلادهم الحرب ، وفرنسيين والمان عقدوا في ريموالد ، في يار ١٩١٥ ،
 مؤقراً دوماً خرجوا منه ما استعاج على الاتحاد المقدس ، وهالباو بعقد د صا ح لا ضم فيه ولا
 تمويصات حرب . وخذت هذه النزعة تشتد والقوى . ففي المانيا راج ليستفنت مع
 عشرين من زملائه يعالون بمقد صلح لا غلب فيه ولا مغلوب ، وأسروا من بينهم حرب اقلية
 مستقلة . وعقد في كيلشان مؤتمر دولي ثان في نيسان ١٩١٦ ودها العمال للممس على مره
 هدية في الحال ، وهذه العكرة التي جاءت تدغغ آمال عدد كبير من المحاربين والعمال الذين
 احتفظوا بولائم بعقيدهم المثالية السابقة ، اخذت تشق طريقها الى اوساط اشتراسية
 عديدة ، واني لا اوساط الدقابية (كاتحاد العمال الفرنسيين للعماد برعامة مبرهيم) ، كما راج
 الوزراء الاشتراكيون الفرنسيون يستقبلون من صفوف الحكومة . وراج ليستفنت يؤسس
 في المانيا ، حزب سباراكوس بوند . وفي النمسا والجر برزت شكل واضح مقاومة القوميات .
 وفي روسيا اخذت السورجورية المستنيرة التي آلمها كثيراً ما شهدت من اندمار الجيوش
 الروسية والنماورات المعهلة ، والفساد لمسيطر على البلاط لامرطوروي وعلى الادارة معاً ،
 فتناول هي الاخرى ان تتولى تأمين توريدات الجيش والمصوعات الحربية ، عن طريق
 « الاتحاد ومستوف » او عن طريق « الاتحاد المدن » بالتعاون مع الدوما . الا ان القيصر امر بحل
 الدوما ، وبذلك حصل تقاضع تام بين البلاط وبين السورجورية . ومنذ عام ١٩١٦ ، اخذ
 انوضع طابعاً ثورياً .

كان للشورة الروسية دور عظيم بين الشعوب التي عيل صيرها
 اصراحت وحركات فرد واستنفذت قواها . فقد رأى فيها بعضهم مثلاً يجب السير على
 مواله تشجيعاً لهم في نهطهم للسلام واحساناً للسلام بأي ثمن كان فال مؤتمر الاشراكي الذي

عقد في ستوكهولم قوى الامل في النموس وحل الناس على الاعتقاد بان السلام ممكن تحقيقه .
ولذا رأينا رؤساء الهيئات النقابية الذين ساعدوا في إقامة الاتحاد لمفسد معمر الحركات
الجهادية . ففي المؤخرة كما في الجبهة قامت مظاهرات تعبر بوضوح عن الروح المسيطرة على
الألمان والمستندة بالنموس . من اعتصامات ارتدى بعضها طابعاً ثورياً لا ندع مجالاً للشك ،
وحركات تمرد وحركات فرار من الجنودية .

فقد انفجرت في ألمانيا اضرابات في ربيع عام ١٩١٧ ، في المعادن والمصانع التي تعمل لأمور
التسليح في كل من برلين ولسربرغ ودوسلدورف ، كما قام مثل هذه الحركات في فرنسا في كل من
باريس وسانت أتيين فالرم من القانون الذي يحظر لاضرابات كما يحد من حرية التبرج في
المعادن . وفي بريطانيا العظمى ، راحت هيئات عمالية ، مستبدة تقف في وجه اتحادات العمال
التي تهتم بالتواطؤ مع الحكومة ، فدخلت بالتنازل عن حقها في الاضراب وسلمت بوقف تنفيذ
القوانين التقاعدية ، وراحت هذه الهيئات تحاول إثارة الاضرابات في المناجم ودور الصناعات
الحربية ، فاستجيب لها أكثر من ٥٠٠٠٠٠ عامل وسدنت في إيطاليا نفسها اضطرابات
حطيرة في آب وايلول ، في كل من ولايات تورينو وجنوى وألكسندريا . وفي كلون الثاني
(يناير) ١٩١٨ ، عادت الاضرابات للظهور بشدة وعنف . الا ان التشويش بقي يحس النموس .
فقد كانت هذه الاضرابات تجديداً للثورة ودعوة صريحة اليها .

والعجز في تأمين ما يلزم من الميقات والذخائر ، والتقليل الى ادنى حد من المادونيات العسكرية ،
وخساسة بعض القادة ، والدعوة النشطة الى السلام ، ومثل التأخي بين الجنود الألمان والروس ،
والمرارة التي اصدها الألمان بدكتوس الخامس عشر حول عدم جدوى هذه المذاهب والامر
الشديد الذي كان لما بين الدول المتعارفة ، كل ذلك ادى الى حركات تمرد وعصيان بين صفوف
الجيش .

فالقتل الدريع الذي اصيب به المرحوم الذي امر به الجنرال بفل في ١٦ نيسان ، ترك
وراءه الحمية المريرة والحقد الصغين بين وحدات الجيش الفرنسي ، فاشترك بعض قطاعاتها بهذا
العصيان ورفضت وحدات بكاملها القيام بمسيرة اسكندال في الخطوط الامامية ، وعدم الانصياع
والامتثال للأوامر الصادرة ، وكلها حركات استمرت بضعة ايام في منطقة سوابون . كذلك
وقعت حوادث عصيان مماثلة في صفوف الجيش الايطالي ، وتكاثرت بين وحداته حوادث الفرار من
الجنودية وقد حدث مثل هذا العصيان بين صفوف وحدات رجال الاسطول في عرض البحر ، في
شهر آب ، كما رفضت فرقة رماة البحر الألمان للتوجه لقمع حركة العصيان هذه . وعشاً حوادث
القيادة العليا لحد من الدعاية للسلام وذلك بنقلها الوحدات المتأثرة الى خطوط القتال ومعرض
للقناة على المراسلات في الجبهة . وكذلك لجيش النمساوي المجري الذي خاضه المناهضة الداخلية
والعصيان القومية بين الاقليات الوطنية من جراء الدعاية التي عمل الحلفاء على بثها بين
صفوفهم ، وعودة لأمري النمساويين من روسيا ، بعد ان جرى لاقراج عنهم في اعقاب

الثورة البلشفية ، وتأثير نقص المواد الغذائية بين صفوف الجيش الأحمر الذي أدى الى طرد أكثر من ٣٠٠,٠٠٠ جندي من صفوف الجيش السوفياتي في الداخل ، عام ١٩١٨ ، قائلوا من بينهم عصيات 'عرفت باسم 'الاشبهطي لاخضر' ، عاثت في البلاد نهباً وسلباً ، في ما تقوم به من اعمال لصوية . واسباباً مع الحركات العمالية ، وقعت حوادث تمرد وعصيان بين الوحدات البحرية العاملة في الدانوب ، واخرى بحارية ، فأخذ بعضها بالانسحاب من الجبهة محدثة فيها فجوات كبيرة . وفي الجيش السلغاري رفضت وحدات عديدة ، قبل نيسان ١٩١٨ ، القيام بالمعوم ، كما تعددت حوادث الحرب من صفوف الجيش ، اسوة بما كان يجري في صفوف الجيش التركي ، إذ وسحلت حوادث الفرار هذه ، نحواً من ٥٠ / من الجيش التركي في العراق وفي فلسطين ، حيث رأت فرقتان شركيتان نفسيهما عاجزتين عن تقديم أكثر من ٢٥٠٠ جندي للوقوف في وجه المعجوم الذي شبه الطرزال الذي ، فوقع كل الجيش التركي الرابع تكامله اسيراً في قبضة الفرقة القادمة من الصحراء . أما الجيش الألماني ، فالظاهرة المهمة التي تتم عن تحاذله تقوم في العدد الكبير من الاسرى (٣٥٠,٠٠٠ في تموز وقشرين الثاني ١٩١٨) . إلا ان حركة التمرد امتدت الى اسطول القنصاات . ووقعت حوادث تخريب ، كما حاول بعض البحارة الاستيلاء على مسافة والحرب بها الى الترويج ، كما وقع عصيان للأوامر بركوب البحر . وفي ٢٨ تشرين الاول (كتوبر) ، رفع البحارة في مرفأ كييل العلم الأحمر وانضموا في ٣ تشرين الثاني (نوفمبر) الى باقي وحدات الاسطول . وهكذا لم تلت لوبيك ومورغ وكوكسهاغن وبرين لن وقعت جميعها بين ايدي البحارة والعمال الثائرين . وفي ٧ تشرين الثاني أعلن كورت لإسدر الجمهورية في بافاريا . وفي ٨ منه ثارت كل من كولوني ودوسلدورف وكوبلنس وماينس ، فانهارت ألمانيا برمتها .

وهكذا أدى انقراض النفوس الناجم عن المذابح الماثلة والمذابات المريعة والتمرد بعسكرو جددى النصبياات الذكية التي 'بذلت' وقسوة الحفظ القاتم والقسمة للضئى ، الى حركات تمرد وانتفاضات عنيفة حلت نهاية الامعراطوريات العسكرية ، كما هزئت من الاساس الدول الليبرالية التي بفضل ما شعرت به من نشوة الظفر ، وظروب الحياة المادية ، الأكثر حلاً ساهمت طقائنها الموجهة في تهدئة الحواظر ، كما ان القصاص على الاضرابات الدامية التي نشبت بعيداً عنها والتي ساهم لتمردون على كبتها ، كل ذلك استطاع ان يعيد الأمن الى نصابه وقامين استناب السلطة الشرعية ، وهي محاولات باءت ، مع ذلك ، بالفشل في روسيا .

المصطلحات

عملية ترسيخ صعبة وقبيلة

(١٩١٩ - ١٩٢٠)

بعد الانهيار السريع الذي أصيبت به ألمانيا فأخذتها السيطرة ، بد نصر خلفاء كاملا ونهائيا ، وهو نصر أدّى الى تدمير خصوم الديمقراطية القدامى ، مثل هذه للكيانات العسكرية التقليدية ، كما أدى الى زحمة الطوائف الاجتماعية الرجعية التي تعتمد على الجيش والكنيسة . فجاء هذا النصر المبين ، معاً من معالم الثورة الفرنسية الكبرى . ولم تق في أوروبا ، من ذلك كله سوى زو زير من الملكيات ، بينة الشكل المالب لعظم النظم والحكومات التي طلعت في احقاب الحرب أولاً كان النظام الجمهوري الذي يكرس مبدأ سيادة الشعب ، هذا المبدأ الذي يعترف به الجميع . والحرب دفاعاً عن الحقوق ، تسهي بانتصار القوى البرالية بعد ان رال من الوحود ، على ما يبدو ، معظم خصومها الملعودين .

ومع ذلك ، فالعالم لا يزال ابعد ما يكون عن الاستقرار والهدوء التي يشهد ، اذ لم تنته الحرب في كل مكان ولا تزال اعمال مقاومة قائمة بين قوميات متناحرة ، كما ان خطر التمدد الاجتماعي للشخص الواسع من الاشكال واللبوس . فهناك عند المغلوبين على امرهم ثورت تصطرم في كل من ألمانيا وهولندا ، واضطرابات اجتماعية خطيرة تنمض الحياة على المنتصرين ، والحياديين ، على السواء .

فالقلق لا يزال يستند بالجميع ، ولكن يمشى من امتداد التيار الثوري البلشفي . ولذا اقتضى الدول التي خرجت مستمرة من الحرب ، سنين كاملتين في محاولة حاهدة لاعادة السلام القديم الى عصر به وإرساء السلام على قواعد جديدة

١ - الاضطرابات السياسي والاعمال العسكرية الجديدة

للثورة في المائتين انهرام حلفاء المانيا وانسحابهم من الحرب ، وضع المانيا في وضع ياقص اذ رفض ولسون التعاون مع حكومتها ، كما ان حركة تمرد الاسطول الالماني وقيام اولى التشكيلات العسكرية ، احبر عليهم التماسي على

اعتزال الحكم والاستقالة . وقام إيبرت الزعيم المستبد للحزب الاشتراكي الديمقراطي بؤلف حكومة ائتلافية مع « الحزب المستقل » . فالجماهير بقيت مصعوقة في شبه جمود كأن على رأسها الطير ، بينما اهدرت الى الخضم حراب اليمين والطبقات الموجهة . فالمناصر الثورية الناشطة تألمت من الهزات المالية بسعد ان انضم اليها الجود والبشارة فأثروا في البلاد الفتن والاضرابات . والفئات الوحيدة التي كان في مقدورها الوقوف في وجهها والصمود ، تألفت من حزب الاشتراكيين الديمقراطيون برئاسة إيبرت ، الذي همه ان ينشئ في البلاد نظاماً ديمقراطياً برلمانياً وهبته اللاركان . ولم يلبث الفريقان ان عقدا اتفاقاً سريعاً منذ التاسع من تشرين الثاني للثورة البلشفية ، وللاعمل على انتخاب مجلس تأسيسى بأسرع ما يمكن . وتمكن الجيش القديم ان يصفى بسرعة كل حركات التمرد والمصيان التي وقعت في جنوبي البلاد وغربها ، بعد ان تقاوم حطرها في الروهر على لاهص دي برلين . واستطاع لوبسكيه ان يجمع بشدة « الاسوع الاحمر » الذي قام في برلين ، في كانون الثاني ١٩١٩ ، ما ادى الى قتل بضع مئات بين صفوف المتمردين ، كما حرت تصفية كل من ليسخنخت ورورا لكسمبورج . وكان هذا القمع مثلاً هائلاً للثورة الشيوعية التي حاولوا القيام بها . الا ان الاضطرابات بقيت تغلق الأمن في بافاريا حيث تم قتل كورت يستر ، وفي هامبورج وبرين ، وفي الساكس والروهر ومجندورج والسار . واضطر المفوضون الثلاثة لمستقلون ان ينسحبوا من الحكم في كانون الاول كما رأى حزب الاشتراكيين الديمقراطيون الذي ألغى اعضاءه اقلية في مجلس الرئاستاع ان يسدعوا الى مشاركتهم في الحكم الكاثوليكي والديمقراطيين وهكذا امكن السيطرة على الثورة الاشتراكية والسياسية في المانيا .

الثورة في هتساريا تخلف نوعاً وانجهاً عن الثورة في المانيا ،
الثورة في هتساريا
ولها جدول خاص . فقد قامت على اكتشاف أهلية صغيرة واستلام الشيوعيين السلطة الفعلية مما اصفى عينا طبعاً عمراً . فبعد انهيار سميات الحرب ، واستقالة لامبر طور الملك شارل ، قام الكونت كارولي ، الرئيس الليبرالي للمملكة ، بطن الجمهورية وقد أدى احتلال الحلفاء للبلاد ، والسؤس نظم عليها ، والبصالة البلشفية بين اوساط العمال تشهد مشاعر القومية التي أثارها المطالبات لجمهورية من قسمل النشيكوسلوفكيين والرومانيين واليوغوسلافيين ، الى حركات من الفتن والاضطرابات واحمل التصويرة ضد كبار ملاكين . فقد شدد الحرب الشيوعي قصته وبعوده في المدن وتسلم رئيسه بيلاكون الحكم في شهر آذار (مارس) بوصفها حركة وطنية صاعدة للاتفق وحلفائه ، وحركة احتجاجية مناهضة لكبار الملاكين العقارين ، اخذت حكومة الكومون الهنغارية تأمخ وسائل الانتاج والملكيات الكبرى والوسطى واستندت ادارتها الى تصويات اشتراكية ، والمؤسسات الصناعية والتعدينية ، ومؤسسات النقل التي يمس في الواحدة اكثر من ٢٠ عاملاً ، والهارن الكبرى والمؤسسات المصرفية والتأمينية والمؤسسات الخربوية ، وهدوا إدارة كل مؤسسة جرى تأميمها الى مفوض

للاشج ، يجري تنفيذه من قبل العمال يساعده في عمله لاداري لجنة مراقبه ، ومكاتب توزيع
البنات ، و مكاتب اقتصادية في لمحافظة ، . الا ان الحصار والنشاطات انصاهه للثورة التي
تمت بتوجيه حكومة الاميرال هورتي والكومت 'نئين' ، وهي حكومة قامت تحت رعاية
الجيش العرسي ، اضعفت كثيراً حركة الثورية . وفي تموز ١٩١٩ قام الرومانيين بهجوم على
مودابست للقضاء على النظام الشيوعي الملاح الذي قام فيها وسحق الفرق الحمراء ، وقاموا
بنهب البلاد خلال احتلالهم لها . وانتصرت الحركة المصادة للثورة بزعامة الاميرال هورتي الذي
الى الجمهورية وهرس على البلاد الهول الابيض ، وبذلك عاد النظام الى منفاريا كما اعيدت
الى كبار الملاكين العقاريين .

الاضطرابات الاجتماعية هذه الاضطرابات والفتائل لاجتماعية التي مزقت أوروبا لم تكن
وقفاً على الدخان المقلوبة على امرها كروسيا وألمانيا وهنغاريا . فقد
تمخضت بمثل هذه الاضطرابات بعض الدول التي خرجت من الحرب منتصرة وبعض الدول
الحبيسية الأخرى . فالسخط الذي ولدته في العوس اوسع سوات متصلة من الحرمان
والعذبات كان عاملاً يبعث في العوس ، يستبسط ويستعجل بالتطلع الى الثورة الروسية
والرجعة في عضدها ومساندتها لتقوى وتصل في وجه الثورة المصادة التي تدمرها الدول الغربية ، خشية
من انه سلام لحق ، لذي لقوا في سبيله ما لقوا من حروب وعنت وعذاب لا تشفه الحكومات
التي تنصب في وجه المبادئ التي أعلنها رلسون بحيث تخيب الآمال التي عدوها خلال هذه السنوات
المعجاف من العمل الشاق والانصباطية العسكرية لآسرة لتحقيق نصيب اكبر من الرعاوية
والحرية ، فارتفع الاسعار الذي بلغ عام ١٩١٩ نحواً من ١٤٢ / مما كانت عليه عام ١٩٢٣ ، في
اسكتلندا ، ٢٥٦ / في فرنسا ، ٢٦٦ / في إيطاليا زادت الثورة ضد النظام المورخواري
احتداماً . دلسوت ١٩١٩ و ١٩٢٠ تميزت بحريش ان الاحقاد المدينة في القلوب ، وبهذا الفشل
الذي منيت به المثل الاجتماعية التي عاقت الى العدالة والسلام بكل جوارحها ، وهي مثل كانت
تغذي الآمال التي رفرقت على سفي الحرب .

وقد ارتفع عالياً عدد أعضاء الاتحادات النقابية في كل مكان ، ففقر عدد العدد في بلجيكا
من ١٢٠ ألف عام ١٩١٣ الى ٢٢٠ ٠٠٠ عام ١٩١٩ . كما ان الاتحاد العام للعمل عد بين اعضائه
١ ٨٠٠ ٠٠٠ عضو في فرنسا والاتحادات العمالية في اسكتلندا ارتفع عدد اعضائها من ٤ ملايين
عام ١٩١٥ ، الى ٨ ٢١٠ ٦٠٠ عام ١٩٢٠ اي بزيادة ٧٠٪ عن سنة ١٩١٧ ، والف اتحاد
الحرف عصبه متأسكة قوامها التحالف بين المعدنين وعمال مناجم الفحم وعمال النقل كما امتلحت
تعديلات اساسية على تشكيلها الداخلي . وطامع كفاح الطبقات الذي برز خلال الاضرابات التي
قامت عام ١٩١٢ - ١٩١٣ ، اشتد واستند اكثر فكثر . ولكي تتمكن الدولة من التغلب على
اضراب عمال مناجم الفحم ، عام ١٩١٩ اضطرت للعودة الى قوى الجيش .

اما في فرنسا ، فقد راحت دعاوة خبيثة تسم افكار العناصر النقابية التي ألقت اقلية

آنذاك ، في البلاد والتي كانت تطالب بانخاض تدابير فعالة ، محاولة إقناعها بان الثورة « ممكنة » وهي آتية لا محصل عنها ولا مرد لها في أنحاء أوروبا كلها . وقد تميز عهد دل إيار عام ١٩٢٠ بأضراب عام عن العمل واشتباكات دامية مع قوى الأمن وقعت في اسدس الصناعة الكبرى وفي حزيران ، أعلن الأضراب ٢٠٠ ٠٠٠ من عمال المصانع و ٨٠ ٠٠٠ من العاملين في الصناعات الكيميائية ، و ٥٠ ٠٠٠ من العاملين في التعدين . وقد انس زعماء اتحاد العمال العام في فرنسا ، كما في انكلترا ، توسيع هذه الحركة كما رفضوا استغلال هذه الفرصة السانحة لإعلان أضراب عام يرمي لاستلامهم مقاليد الحكم ، إذ لا ثقة لهم قط بوحدايتهم غير الميأة والتي تفتقر في الصميم ، الى النظام ، لاستلام الحكم والاحتفاظ به . وعندما راحت نقابة عمال للنقل العاملين على الخط الحديدي بين باريس وليون ومرسيليا تعلن الأضراب العام ، هضمت الحكومة المنبثقة من هيئة التكتل الوطني ، الى التشهير بهذه الحركة ووصفها بانها محاولة ثورية وقشركت « انعادات وطنية » لتحل محل المصربين ، ودعت الى الخدمة العسكرية مواليد ثلاث سنوات . وفي أواخر نيسان ١٩٢٠ ، قام أضراب عام كان له بعض الأثر على الحياة الاقتصادية دون أن يخلخلها ، نظرت اليه الحكومة نظرها الى مؤ مرة صد سلامة الدولة وأمرت بتوقيف رؤساء الاتحاد وسوقهم الى المحبس كما أصدرت محكمة السين حكماً يلقي بقادة العمال العامة وهذا الفشل لم يمس به الحركة النقابية رادها انقساماً على نفسها وكانت بديراً بانقسامها على شاكاة الحزب الاشتراكي نفسه ، اذ راحت اكثرية اعضاء الحزب تعلن في اجتماع لهم عقدوه في مدينة لورس ، انضمامهم الى الدولية الثالثة ، الامر الذي جعل اليأس الى قلوب العمال وحمل الكثيرين منهم على الخروج من صفوف الاتحاد .

اما في ايطاليا حيث لم تلق الحرب اية شعبية ، فقد احدثت الطبقات بؤساً وشقاء بعد انتهاء المعارك ، وفي اثر التصخم المالي و ارتفاع الاسعار الجبوسى وخيبة الأمل التي احدثها في النفوس مؤتمر الصبح ، الامر الذي ادى بالناس الى تأمين سيطرة لاشتراكيين المتطرفين في الحرب الاشتراكي قنالوا ١٧٥ مقعداً من اصل ٥٠٠ مقعد في انتخابات عام ١٩١٩ . وقد تكررت في السنوات ١٩١٩ و ١٩٢٠ المظاهرات ذات الطابع الثوري ، منها مثل اضرابات العمال الزراعيين في ولايات لوقر وبارما ، واحتلال الاملاك الواسعة ، وطلب المباشرة بتوزيعها ، والاضراب العام الذي اعله ٢٠٠ ٠٠٠ من عمال الصناعات الحديدية ، في نابولي وميلانو وبيومينو ، وعمال النسيج في مدينة كوزم ، وعمال دور الصناعات الحربية في ترسانة انسالو في صوى (احتلال مصانع الفا روميو في ميلانو . ومنه انتقلت العدوى الى ١٨٠ مملاً من اصحاب الخاصة بالصناعات الحديدية ، ساهم باحتلاله اكثر من ٦٠٠ ٠٠٠) وقد اخذ يبرز للعيان ، عام ١٩٢١ عن والقيمسان السود ، هذه المنظمة الضيقة النطاق التي نظمتها وسهر على اذرعها كبار الملاكين ورجال الاعمال والصناعة والحكومة ، وهي منظمة لم تلبث ان استشرت واستطرت وحيات للحركة الاشتراكية في ايطاليا هزيمة نكراء دونها بكثير هزيمة

« كلويرينو » المشهورة .

وقد عرفت اسبانيا الحيادية ، هي الاخرى ، ازمة ثورية بين ١٩١٩ - ١٩٢٠ قوامها الثالوث للشلفي : البؤس وغلاء المعيشة والفوضى السياسية في البلاد . فنشبت في اسبانيا سلسلة متصلة الحفلات من الاضرابات قام بها العمال الزراعيون في ولاية الامدلس . كما قامت اضرابات عمالية اخرى في ولايات . كتلونيا وفي المقاطعات الصناعية الواقعة الى الشمال الغربي من البلاد . وفي سنة ١٩١٩ اعلن الاتحاد الدم للعمال ، وهي منظمة نقابية فوضوية تصمد ٣٠٠ . ٠٠٠ عضو الاضراب في الشركة الكهربائية في ساءا ديل ، عقبته حالة من الفوضى والسلسلة معها الجنرال مارتينيز بالدم ، فطبق على العمال قانون التهرب من خدمة العلم .

امما الخطر الاجتماعي الذي يضفي على هذه الحركات
التدخل ضد روسيا والانتفاضات العمالية ضابها مقلدا ، فيتمثل ، على أنه ، في قيام روسيا الاشتراكية ، وفي الخوف من امتداد عدوى هذا النظام الخطر ، الامر الذي حمل دولاً كثيرة على إسلاء هذه الثورة حرباً لا هوادة فيها مع انه لم يكن احد ليتوقع لها الديمومة والاستمرار . ومنذ عام ١٩١٧ ، راج الحلفاء بدافع منهم للبقاء على الجبهة الشرقية ، ضد المانيا برصا ، منذ عام ١٩١٨ ، تحت ستار الدفاع عن العتاد الحربي الذي كدسه الاميركيون والحلفاء في اركنجا السك ومورمانسك وفلاديفوستوك ، حملات عسكرية الى هذه المراكز الحربية . وقد راج الحلفاء برفوف نعون سريع ، كل حركة مضادة للنظام الشلفي ، ابنا طلعت او لاحت في سيبيريا وجنوبي روسيا او في بلدان البلطيق واحبراً في آخر الحرب البولندية الروسية السقي وصحت حداً لمعاودة ريفاً بمقد السلم عام ١٩٢٠ . وقد استطاعت روسيا الثورة ان تصمد بنجاح امام خصومها ولذلك ، بلدت نفسها وضمت بقاها للزعج الخوف ولتشير الشكوك في النفوس . وقد استمدت الحكومات سياسة التدهور المسلح المباشر التي ميّنت بالشلف ، سياسة قهر بطاق الحمر الصحي الذي رمت من ورائها الى عزها وابقائها ضمن الحمر الصحي الى ان تسقط من نفسها . وفي البلدان البلطيقية حيث راج الألمان يحاولون الاحتفاظ بسلطتهم تسادهم الارستوقراطية الالمانية في هذه المقاطعات ، اخذ الجنرال غولتز بشكل كئيب حرة لم يلبث ان اصم اليها الجنود الالمان الذين تم تسريحهم من الخدمة العسكرية ، مما حدا بالحلفاء الى التدخل وراحوا يسلمون الكتائب الليتوانية ، فاضطرت الوحدات الالمانية ، في نهاية الامر الى الانسحاب من هذه المقاطعات ، في كانون الاول (ديسمبر) ١٩١٩ .

٢ - إعادة السلام

بدت المحاولة الالمانية التي مهدت الى انتهاء عهد طويل من السلام تقصد
المدى ، القلة تحقيق توسع جغرافي ودمع البطاق ولتسط سيطرتها على اوروبا بجمعة ،
خروجاً على كل ابداء التي اسطلمت الحضارة المتعاقبة على اعتبارها قضايا ثابتة كرمها

المعرف وأقرها التقليد الشرعي ، تقوم على احترام حياة الأفراد ولحق وتجنب اللجوء الى القوة في حل المشكلات القائمة بين المتنافسين . فالحرب الدفاعية التي حاصرتها الديوقراطيات ضد الامبراطوريات القائمة في وسط وروبا كانت مثابة « حرب المدالة » . وبعبارة اخرى صليبية ضد المذهب والمعدون في سبيل إنقاذ الشعوب التي ترسب في الدل والموهبة ، ولإقامة سلام وطيد الاركان وإشاعة مجتمع دولي تتساوى فيه حقوق الشعوب وتضمن اسوة بالحقوق الشخصية ضمن المجتمعات القومية .

وقبل ان تصح الحرب اورارها من الرئيس ولسون في خطبه الرئاسية وفي رسائله الى مجلس الكونغرس الاميركي ، حرصاً شديداً على ان يحدد لبلاده الاهداف التي لنشدها من دخولها لحار الحرب ، والاسس التي يجب ان يقوم عليها سلام دائم . وطيد . وقد تحدثت خطبه هذه والمبادئ التي حددتها دويماً عظيماً في الرأي العام العالمي ، وقطعاً لأسباب المدرعات التي شعرت بين الشعوب والدول خلال القرن التاسع عشر والتي جاءت الحرب الاخيرة تظهر ما يمكن تحته من مضمهر . رأى ان يطبق الأخذ بمبدأ احترام مطالب القوميات لوطنية في هذه الامبراطوريات التي لا تزال تصرب هذا المبدأ تعرض الحائط ، والاعتراف ، بالذلي ، باستقلال هذه الشعوب التي لا تزال تعاني من الاحتلال الاصحي لها والقضاء على كل مبرر لسياسة الضم القومية والقضاء بالتالي على الدبلوماسية السرية التي تفرض على الشعوب الخاضعة لسيطرتها حروباً يحلون اسبابها ومسبباتها ويلزمونها بها وهم لا فاقة لهم فيها ولا حل ، وتأسيس عصبة لجميع الأمم تنولي فص جميع الاختلافات وحل المشكلات التي تنشأ بين الشعوب والدول ، وبذلك تصحح التحالف والاتحادات الدولية اموراً نافعة لا معنى لها ولا ، يبرر الأخذ بها قط ، وإقامة سلام ينس على العدالة حتى من كتبت عليهم القذبة . هذه هي المبادئ العامة التي حلم بتحقيقها الرأي العام العالمي وراحت الولايات المتحدة الاميركية تصعد بمفورها على الشعوب لتبينوها والسير عليها - عن غير رضى منها . وبعد كل تحفظ - هذه المبادئ التي تضمنها ميثاق الهدنة الذي وقعته ألمانيا بعد ان ارغمها الحلفاء على الركوع .

وهذه المبادئ « ملحق بعضها حثياً بينما بقي البعض الآخر منها حراً على ورق . فالدول المنتصرة عالت النفس باستقلال نصرها لمين وشطب الامبراطوريتين الروسية والالمانية من خريطة العالم ، ولز لأمد قصير ، وبزوال لامبراطورية النمساوية المجرية والسلطة العثمانية توطيداً منها لسيطرتها على العالم ، بحيث يتاح لها اعادة اقتسام المستعمرات والدول التي احتلتها هذه الامبراطوريات وراء البحار ، وبذلك يتم لاوروبا وضع ثقي مع الدول المغلوبة على مرها ، مهيضة الجناح ، مستضعفة ، كما تجعل من المستعمرات قيام حرب جديدة .

فالمصاعدات التي تم الوصول اليها عدها ، عام ١٩١٩ - ١٩٢٠
مصاعدات ١٩١٩ - ١٩٢٠
جاءت بمثابة قسوة وفقت بين المبادئ التي نادى بها ولسون والمبادئ الاخرى التي قامت بها الدبلوماسية الأوروبية القديمة بمثة خير تمثيل في شركائه

بالمفاوضات . فمناشاتهم الدول القومية وتحريرهم للشعوب المستعبدة في أوروبا الشرقية وأوروبا الوسطى ، رمت الدول المنتصرة في الحرب لقطع دابر الخلافات الناشئة عن مطالب القوميات . وهكذا أُطل على الحدود وقسم تحت الشمس ست دون مسة قلة جديدة طلعت من بين عظام روسيا والمسا وجرينا جرى توسيع ثلاث دول أخرى توسعاً كبيراً (هي رومانيا ويوغوسلافيا واليونان) ، كما نالت كل من فرنسا وإيطاليا تمريضاً لها ، أراضيها أصبحت الخاصة من الوصيتين الاقتصادية والستراتيجية . وعلى الأجسام فالحدود الجغرافية التي رسمتها معاهدات عام ١٩٢٠ ، تحققت في مجموعها ، المطالب الوطنية ، والأممي القومية ، والأقليات القومية أصبحت أقل بكثير من الوصية العددية مما كانت عليه عام ١٩١٣ ، وإن لم تزل كلياً . فقد أخذ دمين الاعتبار عند تعيين الحدود الجديدة ، بعض مقتضيات رؤى مرعاتها أخذاً ببعض الحوافر الاقتصادية والستراتيجية والعرقية التي جعلت من اعتماد إنشاء دول قومية صرفة . وكانت من نتائج هذه النظرة البسيطة الخروج على مبدأ تقرير المصير ، هذا المبدأ الذي كان من الأسس التي قامت عليها المعاهدات الجديدة . ألم يكن من الواجب ، تأمينا لاستقلال هذه الدول الجديدة وخصاناً لحمة كرامة لشعوبها ، التوقف ملياً عند ما يؤمن سلامتها وبصون كياناتها سياسياً واقتصادياً وذلك بتأمين الممرات الممعدية والطاعات اللازمة وطرق مواصلات معينة والمرافق اللازمة لتلبية اقتصادها وتأمين مواصلاتها وعبر ذلك من مسيرتها كل استقلال ؟ ألم يكن من الواجب مراعاة مشاعر أكثرية السكان في هذه المناطق التي تشارك فيها المصالح وتعاظم بين أكثرية وأقلية عرقية تتصاب عندها الأهداف وتندهر ؟ وهكذا استطالت دواخل الحدود في أوروبا الوسطى بحيث ارتفعت من ٦٠٠٠ كلم إلى ١٣٠٠٠ كلم ، منها ٤٠٠٠ كلم لتشييكوسلوفاكيا وحدها . وقد رُوي الاستبقاء ، ضمن هذه الحدود ، على بعض الأقليات القومية تمازجت نسبة أفرادها بين ٢٠ - ٣٥ بالمئة من مجموع السكان ، كما أن خط الحدود الفاصلة في بعضها بدا يتعارض والمنطق السليم ، لا بل بدا مخالفاً للمنطق السليم ، كما يبرز هذا الوضوح على رقم صورة في كل من مدينة فيومي وبارا وتيسن والأريج لأعلى وسيليريا وفي مقاطعة بانات (بين يوغوسلافيا ورومانيا) . وفي مقدونيا ، وفي المصيق المولوفي حيث يرى الحدود تباعد بين مكانه ومصانع واسواق تجارية بالرغم مما يجمع بينها من رويد وأوهر تشدها بعضها إلى بعض ، وبذلك قامت بين السكان نزاعات ومطالب لا حد لها ولا حصر . والعيب بمبدأ القوميات الذي ضرب بتطبيقه عرض الحائط أقر في بعض الحالات أحقاداً مريرة بعد أن انتهت المعاهدات لهقودة مصالحهم ودامتها بشكل دريع (اد حسرو ارضهم و ١٢ ٪ من مجموع السكان) ، ولا سيما المجر ، فدنا ٢٠ ٪ من أراضيهم وبصعب سكان بلادهم ، والاتراك معدن انترع منهم ٤ ٪ أراضيهم .

ولما كان المستعمرون في الحرب يمثلون القوة العسكرية والسياسية ، فقد رموا إلى بقاء المعايين على مسيرهم في حجر حديق ، أقصرتهم عليه شروط نزع السلاح وشروط اقتصادية أخرى . فقد

نصت الوثائق المرفوعة على تحديد ألمانيا السؤلة الأولى عن الحرب ، من كل سلاحها ، كما نصت على تخفيض عدد جيوشها ، وحظر عليها العمل بالخدمة العسكرية الإلزامية ، ونصت على احتلال صفا الرين اليسرى مسدة ١٥ سنة ، كما قصت بهدم رؤوس الحسور المحصنة على ضفة النهر اليسرى . فإذا ما احترقوا وحدتها ، فقد رأت نفسها ملزمة بالتخلي عن أراضيها التي لا تقطعها أكثرية المادية كالألزاس واللورين أو حرره من سيليزيا العليا بشرط إجراء استفتاء فيه ، وعن الأراضي البولونية التابعة لها بما في ذلك دانزيبغ ومستعمراتها عبر البحارة ، وأخيراً منحهم السار على أن يقرر سكان هذه المقاطعة مصيرهم في استفتاء شعبي عام ، بعد ١٥ سنة ، والتحدث إجراءات شبيهة هذه مع بلغاريا وتركيا وبلغاريا والنمسا . فاقطعت من جسمها عدة أقطاعات المادية وهنغارية . كما اتخذت إجراءات احترازية للحوادث دون انضمام النمسا إلى ألمانيا .

أما الأحكام الخاصة بالشؤون الاقتصادية ، فقد نُصرت الدولة المفلوبة على مرها ، إلى جانب مستعمراتها ، من أساطيلها التجارية ، وعُرضت عليها تعويضات لم يجوز تحديد ما في وقت كانت فيه أوضاع التجارة الخارجية مضمضة لا بل منهارة بالعمل .

« وهذا الضم القرطاسي الجائر ، أن يكن بالعمل لا حيتراً ولا مكتسباً ولا علياً ؟ أم يكن تحدياً للعادلة والشقة والمقل السليم ، كما أكد ذلك كير بصدق وحرارة ، فساعد كثيراً على تشكيلك الرأي العام الانكليوسكوني كما ساعد على عدم تطبيقه وتنفيذه . ألم يكن بالرغم من ذلك من شواذب ، أقل الحلول سوءاً ، وكان قبلاً للتنفيذ ، على كل حال ، كما دلت على ذلك إبراهيم قاطعة آتين منشور ؟ وسها يمكن فقد كان القصد من إبقاء الجمهوريين على إمرهم ولادة صوبلة ، أعجز من أن يتصدروا للمستعمرين أو أن يراحمهم على الأولوية في العالم .

مما روسيا التي تحمل مؤثر السلام وحريتها رسمياً ، فقد حرص الحلفاء على أن ينشئوا حولها ، عزلاً لها عن العالم ، حزاماً صعباً تألف من جمهوريات صغيرة الحجم ، مثل فنلندا (٣٥٠٠٠٠٠ نسمة) وأستونيا (١٢٥٧٠٠٠٠ نسمة) وليتوانيا (١٩٠٠٠٠٠ نسمة) بيسهم ٢٥ ٪ / محتافو المرق ، ولتتربيا التي تضم مليونين نسمة ١٢ ٪ / من عروق مختلفة . وكلها جمهوريات اقصى لها وضع سوات لتنظيم شؤونها ، ومن جمهوريات متوسطة الحجم ، أمثال بولونيا (التي تعد بين سكانها دشيلا من اصل ثلاثة اصلين) ورومانيا التي خمت أراضي روسية الاصل والطابع كانت من قبل تابعة لروسيا البيضاء ، اوكرانيا وسارابيا . وفي قلب أوروبا وشرقها ، قام عدد من لدول السلافية ، منها على الاخص تشيكوسلوفاكيا ، وبولونيا المتحالفتين مع روسيا للقابعة على صفاء هر الرين . كل هذه الكيانات تحيط بالريخ إحاطة السوار بالمعصم وعراقبه عن كتب .

عصبة الأمم وحماية الأقليات
 هدراً على المبادئ الوصائية ، في المجالين السياسي والجغرافي ،
 تعديلات جديدة ، بينها راح جانب كبير من معاهدات الصلح ،
 هو الجانب الخاص مع انفجار حرب جديدة ، كان تطبيقاً لها وتفيداً ، هذا الجانب المتعلق
 بيشق عصبة الأمم . فإطلاقاً من المبدأ الأول ، « أن كل حرب تنفجر تصيب المجتمع البشري
 مكاملة ، فقد ترتب على هذا الاجتماع أن يتخذ من الأحكام ما يصون سلام الأمم » . فقد عهد
 إلى لجنة خاصة مؤلفة من ٩ أعضاء بينهم خمسة دائمون ، هم الولايات المتحدة وفرنسا وبريطانيا
 العظمى وإيطاليا واليابان ، مهمة اتخاذ الإجراءات الاقتصادية والعسكرية ، ضد كل دولة تعطل
 الحسب على لأخرى . وقد نص الميثاق على أمور كثيرة منها نزع السلاح من كل الدول
 وإعادة النظر في المعاهدات « التي تصبح غير قابلة للتشديد » ، وعلى إنشاء مكتب دولي للعمل ،
 وأخيراً وليس آخراً ، مراقبة المستعمرات الاممية القديمة والأقطار المنصقة عن تركيا ، التي
 تولت مهمة الانتداب عليها وتبقيتها للاستقلال ، الدول المنتصرة . والنص المذكور نص موجز
 هام ، ناقص ، هارثه مهمة على العموم ، ركيكة ، لا يستجيب كثيراً لأماني دعاة السلام (فهو
 يحترم مبدأ السيادة الوطنية ولا يحظر بصورة حازمة اللجوء للحرب ولا ينص على استعمال
 بوليس دولي للحفاظ على الأمن في الحال) ، إلا أنه نص طامح يستجيب لانحيازات إجراءات
 تالية . وفي نطاق خاص هو نطاق حماية الأقليات ، فقد نص الميثاق على إجراءات دقيقة المرحس
 منها معالجة المشكلات للنجاسة عن ادماج اقلية قومية في صلب الدول الجديدة . فقد نص على
 وجوب احترام هذه الاقليات وأوجب معاملتها على قدم المساواة مع باقي رعايا البلاد ، دون
 أي نظر للعرق واللغة والدين ، لا سيما في كل ما يتعلق بالوصول إلى الوظائف العامة وحرية
 استعمال لهجاتهم الخاصة وحرية معتقدهم والتعليم بلغتهم الام . عصبة الأمم التي تضمن تطبيق
 كل هذه حقوق هي الهيئة الصالحة للنظر في كل طلب يشكو من مخالفتها وعدم التقيد بها ،
 والقيام بالتحقيقات اللازمة

وبالفعل ، فعصبة الأمم التي كان من المفروض فيها أن تصبح أداة صالحة في المجال الدولي ،
 لم تلتزم ان استحال أداة تغليب وتسلط بين يدي الدول المنتصرة التي تؤلف الاكثريّة في
 مجلس التسعة ، وفي الجمعية العامة (صوت لكل دولة عضو) . فولايات الدومينيون واسكتلندا
 تؤلف كتلة من ستة أصوات ، بينها ثلث دول أوروبا الوسطى وأوروبا الشرقية المتحالفة فيما
 بينها وتعتمد عسكرياً واقتصادياً على فرنسا وتقف إلى جانبها . أم الولايات المتحدة الاميركية
 فقد رفضت الانسحاب إلى عصبة الأمم بعد أن رفض مجلس الشيوخ الاميركي التصديق على
 مشروع معاهدة فرساي ، بينما حظر على روسيا وألمانيا والدول لأخرى المخالفة ، التقدم إلى
 العصبة بطلب الانسحاب .

مؤثر واشتطرت
 بعد أن أعاد الحلفاء السلام إلى أوروبا ، رأوا ان يعمدوا إلى الشرق
 الأقص ، ليوقفوا عند حد ، تصاعد النفوذ الياباني الذي أخذ يهدد جديداً ،

مصالح الدول الأوروبية والولايات المتحدة في المحيط الهادي فقد اعتسفت اليابان من جهة ،
 المعوصى الصارمة عليها في الصين ، وسعلت ، من جهة ثانية ، حرب التصرف التي اضطرت
 اسكتلندا وغربا السعدي لها عنها ، لتستولي على تركة الخاب في هذه الاصحاح ، وذلك باستيلائها
 على تسامع فاروقشاندوع وعلى الحرر الانانية المتناثره في المحيط الهادي . فقد تمكنت من ان
 تعرض على الصين مط لها ، للولفسه من ٢١ مطلقا ، وهي مطالب تؤمن لها تحقيقها ، امتيازات
 ومنافع اقتصادية وسياسية ، وبذلك وصفت الصين بمرمتها تحت ولايتها . وبالاتفاق المعروف
 بانهاى لانسغ إشي امحقود بين اليابان والولايات المتحدة ، اعترفت لها : الأصبيرة مصالح اليابان
 الخاصة في الصين . ثم انتهى بها الأمر في آخر المطاف بمسألة الثورة الروسية ، الى احتلال
 سيبيريا الشرقية حتى حدود بحيرة سكال ، كما ان مؤتمر السلم أقر لها بكل الامتيازات التي ظننها
 على حساب الصين ، واستطاع مؤتمرو شطرن الذي دعت إليه الولايات المتحدة ان تعرض
 حدودا على اليابان حدودا للتخلع واحترام سيادة الصين واستقلالها وسلامة أراضيها ، والتنازل
 عن امتيازات التي ظننها كما تدركت عن مقاطعة شافونغ ، وخلاء سيبيريا ولاعترافه بالياب
 مفتوح ان تحاف اسكتلندا وولايات اسرمينيون ان حساب الولايات المتحدة ، جعل سياسة
 الولايات المتحدة قشيل على السياسة اليابانية ، وأمس التورن بين القوى هذا التورن الذي احتل
 بدافع الحرب في الشرق الأقصى على حساب الجففس الأبيض .

٣ - اعادة النظام - الاصلاحات السياسية والاجتماعية

بعد ان امكن تجريب الثورة وم توطيد السلام ، اصبح من الضروري ان توضع الحرب بين
 حاضرتين ، وذلك بإعادة المؤسسات الليبرالية الى الوجود ، والعمل على تعميمها ، بتقديم
 التدرجات للطبقات الشعبية بحيث تتحول مآطارها عن المدرس لروسي وما قبله من عبره وعظمة .

كان من شدة نفوذ المنتصرين وما لهم من سطو شديد والى حقيق في النفوس
 الاصلاحات السياسية ان راح المعبون على امرهم والدول التي أطأت حديثا على الوجود
 ترسم ما للدول المدمرة من نظم ومؤسسات . فقد رال النظام الملكي من سيايا وطأطأت
 السلات الملكية منها برأسها الى لأرض امام طعيان الحركة الشعبية و سطرارها . فبحاريا
 وحدها دقت على النظام الملكي ولو خلا العرش من صاحبه امام رفض حيرانها لهذا النظام .
 فكلل الدول الجديدة من بولونيا الى تشيكوسلوفاكيا ، الى الدول البلطيقية رفقت النظام
 الملكي نظاما ها . ولم يبق في اي مكان من يشكو او يستقص من نظام الاقتراع العام .
 فانكسارا تسنه صد عام ١٩١٨ وحدث طميحكا حدود عام ١٩١٩ بعد ان تحت عن نظام تعدد
 الاصوات الذي عملت به من قبل . فالعمل للدستوري الضعيف الذي تم في أوروبا في هذه الحقبة ، غير
 بالنظام البرلماني الذي ساد ركزس المبادئ الفردية التي قالت بها الديموقراطيات التقليدية .
 فطلب حقوق الفرد احر على حقوق الدولة وحقوق العتات الجماعية لأخرى . فالدستور الذي

إرثته تشيكوسلوفاكيا ، عام ١٩٢٠ ، والدساتير التي ارتضتها لها كل من بولونيا ويوغوسلافيا ، عام ١٩٢١ ، كلها مستوحاة من القانون الأساسي الفرنسي . فهي كل من ألمانيا والنمسا برى دساتير حاكمة ي يتولى وضعها مشرعون يجارون « عقلنة » السلطة وذلك باعطائهم النظام الديوقراطي فيها شكلا او صيغة شرعية أكثر وضوحاً مما هي عليه الدساتير المعمول بها في كل من انكلترا وفرنسا لتأتي منسجمة مع مطلب العرف والتقليد . وقد استوحيت بعض الدساتير دستور سويسرا الذي يسمح بحال للسادى الشخصية والاستثناءات الشعبية (بروسيا وبادن وبافاريا واستونيا) ومعظم هذه الدساتير تقرر عالياً بتقديم المجلس المنتخب على السلطة التنفيذية (بافاريا - هسن - بادن) كما اوجب البعض منها انتخاب الرئاسة العليا بالاقتراع الشعبي (ألمانيا - فنلندا) .

الاصلاحات الاجتماعية
 فهي الحين الذي راحت فيه الحكومات تشكبح بشدة الاضطرابات الاجتماعية عمدت هذه الحكومات جهادة ، على تحقيق بعض المطالب التي طالما طالست المنظمات النقابية بتحقيقها . فقد اقرت فرنسا نظام العمل ٨ ساعات في اليوم كما اقرت قانون الاتفاقات الجماعية التي لم تكن مع ذلك مدعمة والتي لا تتم سوى ٧٥ ٪ من مجموع اصحاب الاحور العاملين في عمالي التجارة والصناعة ، الا انها تشريعات لها معاصها ومفراها بالنسبة لعدد ما (٥٧٥ اتفاقاً جماعيا في عام ١٩١٩ و ٣٤٥ في عام ١٩٢٠) وقد متار بعضها ما له من طابع قومي مفرّد . واقرت بلجيكا قانون الثمان ساعات عمل في اليوم ، والصربية التصاعدية على التراكمت ، والصربية النوعية او المعرعة على العمل العردي . وقررت انكلترا لمصنعات المهيئة وللشركة المعروفة R D A حق عقد اتفاقيات جماعية تعترف بشرعية ممثلي نقابة عمالية في مصنع ، وجعل استشارتهم إلزاميا في كل تعديل لمناهج تنظيم العمل وللبلجان المصانع . وفي سنة ١٩٢٠ ، اقر قانون المعاطلين عن العمل وهو قانون يستفيد منه ١٢ مليون عامل في القسم الاكبر من القوة العاملة الذي يفرض بصورة الرامية التأمين ضد البطالة ، وهو قانون حوى تسببه اثنب الحرب في مصانع النسيجة .

مواهب الاصلاح الزراعي في
 القضية الكبرى التي تهدد النظام الاجتماعي فيها - قوحود املاك
 اوروبا الوسطى واوربا الشرقية
 واسعة للغاية تعود ملكيتها في الغالب ، الى ارسنوقراطية المادية او عنقارية او الى الكنيسة ، ووضع التامدية الذي برسم فيه المزارعون الذين لا يكون تحت تصرفهم في الغالب سوى قطعة ارض صغيرة ويخضعون فيه لوضع نصف أرقاء عليهم سخرة ثلاث ايام عمل في الاسودع تسديداً لقيمة ايجار الارض ، كل ذلك كان مثاراً للقلق عميق في المجتمع راد من حدته ارباب عدد السكان في تلك البلاد . واقاديا لثورات الفلاحين ولتوزيع الاملاك كما حدث في روسيا ، راحت الدول احدثنة العهد تضع تشريعات جديدة عام ١٩١٩ و ١٩٢٠ فرضت من ورائها الى الاصلاح الزراعي . فقد امنت تشيكوسلوفاكيا كل ارض زراعية قترتد مساحتها على

١٥٠ هكتاراً أو على ٢٥٠ هكتاراً منها كان نوع الأرض ، وذلك لقاء تمويصات معينة باستثناء دراري اعداد الامه التشيكية . وهكذا امكن توزيع ربع مساحة الأرض الصالحة للزراعة في البلاد بين دراريين . وقد صدرت الحكومة في يوغوسلافيا ، منه عام ١٩١٩ (وافر دستور فيدوفد) الصادر عام ١٩٢١ هذا الاحراء) املاك الطبقة الارستوقراطية لاسلامية في مقاطعة البوسنة واملاك سلاء لبحر والكروات . وفي رومانيا ، أقر ، بمسبة الاميار الذي حصن في روميا عام ١٩١٧ ، مبدأ القيام باصلاح زراعي ثاوار املاك الوقف والاملاك الكبيرة الاخرى ، والقوانين لزراعية التي وضعت عام ١٩١٨ و ١٩١٩ ، ادخلت العمل بالاصلاح الزراعي في مختلف أنحاء البلاد ، وهو اصلاح جاء اكثر حصرية في مقاطعة بيساريا (المتاحة لروسيا) ، وفي المقاطعات الاخرى وفي بولونيا حيث يتمتع كبار الملاكين بمرور قوي ، وفي الوقت الذي كان فيه الجيش الروسي يقرب من خوصوفيا في تموز (يوليو) ١٩٢٠ احد قانون خاص صدر في وضع ساعات لا غير ، يحده ظروف وكيفية القيام باصلاح زراعي . ومثل هذه الاحراءات المتبعة بالاعتدال والمتعلقة ، بالمقارنات الكبرى ، تحدثت في فنلند (قانون كاليو ، عام ١٩٢٢) ، واكثر حصرية منه القانون الذي صدر في استونيا حيث ٩٦٪ من الاملاك الكبيرة حرت مصادرتها وتأميمها ، وفي لتونيا حيث لم يسمح للملاك بحرية اكثر من ٥٠ هكتاراً ، وفي ليتوانيا حيث كانت مساحة بعض الاطيان تزيد عن ١٠٠٠٠ هكتاراً ، فاذا بقانون عام ١٩٢٢ يورعها حصصاً من ٥٥ هكتاراً ، فاستفاد من هذا التوزيع ٥٥٠٠٠ مرة ومعظمها راض تحسن الكثيصة الروسية ، ار كبار الاشراف ادين بالرهاس القباصرة

كل هذه القوانين التي صدرت تحت التهديد بالثورة توصي بتعويصات على اصحابها تختلف سماحة ، هي تعويصات لم تطلق الا حريشاً وسطه كني خلال السنوات التالية . فالاصلاح الزراعي لم يكن جذرياً الا في هذه البلدان التي لا تر لارستوقراطية الوطنية فيها عتسال يوغوسلافيا وتشيكوسلوفاكيا واستونيا ، وكما هي الحال في رومانيا ، حيث راح الحرب لحاكم يحاول ان يدك الى الاساس نفوذ الحرب لعدري الذي يعتمد الى حد بعيد ، على كبار املاكين العقاريين . ففي بولونيا وهنغاريا حيث المشكلة كانت تبدو اكثر حدة وتمقيداً ، وقلت لارستوقراطية تعارض كل حركة صلاحية دوشريه ، ودللك عنسد روال كل خطر بالثورة او نشوب حرب . ولهذا احتفظت البلاد بالوضع الزراعي الذي كانت عليه من قسمل .

وهكذا أعيد السلام والنظام الى هذه البلدان كما بدا ان لا شيء هنالك يبع العودة الى التوازن ، وال تنمية الاقتصاد الوطني والنهوض به بأسرع ما يمكن ، هذا الاقتصاد الذي جعن من أوروبا ، قبل عام ١٩١٤ محور العام وقطبه الاكبر .

٤ - رصيد الحرب

رصيد الحرب في أوروبا منقل مروح . أفلم تعقد أوروبا بصمة ملايين من الشباب الزويت

ونترك وراءها حروبا يئسا ، مهيضة جماع ، موزعة ، تكن فيها اسباب مزارعات قد تمحور بين لحظة واحرى ، فانتقل ثوارها بنوع ممتع في وقت قام فيه عبر البحار منافسون لها اشداء اثروا بسرعة واشتد منهم الساعد المقتول

الخسائر البشرية والمادية الخسائر في الارواح جسيمة جدا . فاستد سحلت الماييسا ١٨٢٦.٠٠٠ قتيلا اي ١٢ / من م بين الخامسة عشر والحمدين كما سحلت فرنسا ١٤٠٠.٠٠٠ قتيلا اي ١١ / ، وانكلترا ٧٤٤.٠٠٠ قتيلا اي ٧ بالمائة ، وبنج مجموع ما خسره مع مستعمراتها ٩٥٠.٠٠٠ ، بما حسرت الولايات المتحدة ٥٤٥ بالمائة اي ١١٥.٠٠٠ . اما ما يتعلق بالبلدان الاحري فملينا ان دفع يتقديرات عامة منها ٧٠٠.٠٠٠ قتيلا لايطاليا ، و ١٤٣٥.٠٠٠ قتيلا لروسيا ولجزر ، و ٣٧٥.٠٠٠ منها للصرى اما روسيا فيقدر عدد القتلى بـ ١٧٠٠.٠٠٠ قتيلا في الفترة التي سكنت فيها حليلة للعلماء ، ونحو ٥ ملايين للفترة الواقعة بين ١٩١٤ - ١٩٢٠ والى هذه الخسائر في الارواح ، يجب ان نصيب الخسائر التي تكبدها السكان المديون من حراء المزو ولاوتة الوافدة والثقنيين الشديدي في وسائل التمديد ، والجماعة والنقص في معدل المواليد . ويمكن ان نقيم النقص العام الذي اصاب الرجال بين العشرين من عمرهم والاربعين ، نتيجة مباشرة للحرب - ١٦ بالمائة في فرنسا وفي المانيا ، و ٧ بالمائة في بريطانيا العظمى . اما تكاليف هذه الحرب فتختلف كليا عن تكاليف الحروب السابقة . فالحرب الذي لحق المدا ان التي كانت مسرحا لصراعات الحربية ، والحرب الذي نجم عن حمل المواصلات سحل ارقما طكية . ويعتري المرء الدوار بمجرد ما تقع عليها العين . فادما ما احدا بعين الاعتبار ، فرق ارتفاع الاسعار ، فقد بلغ معدل كلفة الحرب في فرنسا ٣٢ بالمائة من مجموع الثروة الوطنية ، و ٢٢ بالمائة من الثروة الوطنية في المانيا ، و ٣٢ بالمائة في انكلترا ، و ٢٦ بالمائة في ايطاليا و ٩ بالمائة في الولايات المتحدة الاميركية . كذلك يجب ان نقتد في قسم النيون في حساب اوروبا : انك وسائل النقل وجمعية المصانع التي براها استعمال المعد الاقصى ، بعد ان دعت طاقتها وتملر تجددها او صيانتها بصورة مرضية ، ونقص ملحوظ في الطاقة الاقتصادية .

هذا لك نقص ، ليس فقط في الانتاج وفي المواليد بل ايضا اقواق الدول الحاربة بالديون إذ اضطرت هذه الدول للاستدانة او لتعالي عن قسم كبير من مخزون الذهب فيها (نصف هذا المخزون في فرنسا واكثر من النصف بقليل في ايطاليا و ١/٧ في النمسا والمجر ، فاهيك عن التنازل عن قسم هام من استثمارات في الخارج . والواردات الوطنية هي في عجز مستمر . فقد بلغت واردات الخزينة في فرنسا عام ١٩٢٠ عشرين مليارا مقابل ٤٦ مليارا للنفقات ، بينما لا تقطعي الواردات في ايطاليا ثلث نفقات العامة ، وفي النمسا لا تعطي سوى ٥٢٪ . وفي النمسا ٢٢٪ ، وفي بولونيا ٢١٪ . فاما انكلترا وحدها ان تؤس للتوازن في موازنتها العامة .

لندن أوروبا الخارجي جعلها في ناحية الولايات المتحدة الأميركية التي امتدت اقوى الدول مالياً في العالم .

تحويل التجارة الأوروبية والدولية فقد انقلبت اوضاع لاقتصاد الأوروبي العامة كما اضطريت ايما اضطراب التيارات التجارية شبه المستقرة التي كانت سائدة عام ١٩١٣ . وقد وقعت هذه التغيرات عند الحد الأدنى في أوروبا الوسطى ، بعد ان اضطرت ألمانيا وحلفائها والبلدان التي احتلتها ، امام الحصار البحري الشديد الذي فرضته عليها الدول الحليفة ، ان تضع وارداتها في صندوق مشترك فعمقت بذلك وحدة أوروبا الوسطى . عبر ان الدول المركزية التي توهرت لديها امكانيات التمويل في الخارج ، استبدلت متعدي لوريدها ، في منطقتي الدانوب وروسيا ، بمعهدين في كندا والولايات المتحدة الأميركية والارجنتين ، في الوقت الذي توقفت فيه عن تصدير مستوجاتها الصناعية . فقد أدت الحرب الى حدوث شلل كبير في الحركة التجارية الداخلية في أوروبا ، ونقلت الى ما وراء البحار مصادر تمويل أوروبا ، فأوجدت بذلك تيارات جديدة وبحاري للمدلات لم تكن قائمة من قبل في الحركة التجارية ، في هذه الفترة التي ركز فيها نشاطها الانتاجي . وقد أثرت هذه البلدان وحملت من صيدها السلبي صيداً موحياً ، وانتشاراً منها بارتفاع الاسعار ، راحت تنشط حركة الانتاج فيها ، فانشأت مصانعاً دقيقة تمد مصد الحصر الذي اصاب حركة الانتاج في أوروبا . ولذا كانت اليابان والولايات المتحدة اكبر الدول التي اهدت بالأكبر من هذه التطورات الطارئة التي لم يكن في وسع احد ان يتنبأ ما اذا كانت وقتية او هائية .

أوروبا المنقسمة فالبنود الأربعة عشر التي اقرتها ولسون لاعادة بناء أوروبا على اسس جديدة ، لم تحترمها المعاهدات ، كما رأينا ، الاحترام اللازم . والنقطة على نفسها فقد كان لظهور دول جديدة ان وتكتلفت ، أوروبا ، إذ قامت بين دولها الجوارح ، وعدلت فيها الحدود واوجدت فيها دولاً مستنصعة الجانب فتفقر جذرياً للخصائص والمواد الأولية التي لا بد منها لأي استقلال اقتصادي نسبي ، كما ان وحدتها القومية كانت سريعة المقلب لما قام فيها من عديد الاقلية القومية الزاحرة بالنشاط . وقد توافرت نقاط الاحتكاك ليس في داخل هذه الدول فحسب ، بل ايضاً بين الواحدة والاخرى . بين بولونيا وتشيكوسلوفاكيا مثلاً على قضية تيشن ، وبين ايطاليا وبروسلافيا بشأن فيومي وسلوفينيا ، وبين بولونيا وليتوانيا بشأن فيلدا ، وغير ذلك (راجع شكل ١ ص ٤٠ - ٤١) . وبين الدول المنتصرة نفسها اشتدت المنافسة وتصارعت المنافع والمشارب الخاصة . فلم يرق لانكلازا ولا ايطاليا رؤية الحاميات الفرنسية على صفات الزين والتفوق العسكري الذي تمتعت به فرنسا في القارة حيث بدت كل من بولونيا وتشيكوسلوفاكيا من الدول المتراخية لم الدائرة في قلبها . وخارج أوروبا عبر البحار يرى الدول الامبريالية تتشاحن فيما بينها حول الاستئثار بالقسم الأكبر من التجارة العالمية والاقتصادية التي هاد معظمها لفرنسا واليابان ولا انكلترا ، بالرغم

من الاحتجاجات التي ارتفعت في كل من الدنمارك وبلجيكا التي ثالث رومانيا اورندي ،
وابطاليا التي اضطرت ان تفتح بارض حويالاند وتصحح حدودها الصحراوية في طرابلس
الغرب . ان لوريسع يتحول الشرق الأوسط والسيطرة على سوريا ، واقتسام مناطق النفوذ
جعل الدولتين الكبيرتين اللتين استعادتا اكثر من غيرها من الحرب ، تنصب الوحدرة في
وجه الأخرى .

ومانيا الموضوعة اصحاب التي مسخت معها راحت تشكو من الحلفاء الذين استعملوا ثقبتهم
واسترحصوا براياها بعدم احترام العهد ، الذي وقعته عندما اعربت عن رغبتها في التفاوض
في تشرين الاول (اكتوبر) ١٩١٨ ، وحدثت نسباً الى بؤس ولحسول الاربعة عشر . فقد
تحمطت ، والحقد يقضم احشاءها ، معاهدة مرسي ، كما رست تنمرّد وتتمرّد ضد التطويق ،
العارل الذي وجدوه حولها ، كما لم تستطع ان تسلي ولا ان تنمرّي عن اقتطاع منطقة السار
وسيليريا الميا رد بتزيع عنها ، فاهلك عن التموهضات الفاصحة المفروضة عليها . والنساء ولا سيما
هنغاريا وعربا وبنماديا التي تناقلت عليها جميعاً الضربات والوبلات ، لم ترسخ قط للحيف الذي
وقع عليها فاقنطع بعض اعضائها وفصلها عن مقاطعات معظم سكانها من جميع موطنها
ورعاياها . أما ايطاليا ، فلا تريد ان تنمرّي ولا ان تسمى المعاهدات المعقودة معها سرّاً عام
١٩١٥ ، والتي لم يحترمها الحلفاء ولم يتقيدوا بنصوصها . فلم تلت ان انضمت سريعاً الى حاسب
المهرومين بكافة محفاتها وتشعبها صهم .

وروسيا التي تحولت حائناً وكانت باستمرار موضع مظنة وتشكك من قس الجميع ،
تموضت ، هي الأخرى ، للسر والقطع في بعض مقاطعات لم تقبل به ولم تسلم به كأمر واقعي .
فالاعتساف الجديد للعالم تم بحمل عنها ورغماً منها . وقد ظهرت معها ، بعد تجارب وامتحانات
مريرة قاسية ، يجهار سياسي واقتصادي ضاحك ويمارض اسادي العامة التي ارتصاها له العالم
اجمع . وهكذا يرى العالم المقسم على نفسه شطرين متناقسين يأخذ في تطوره ، في عهد
وخصوصة متضدين .

وهكذا بدا السلام في نظر الكثيرين ، منذ عام ١٩٢٠ ، مبدءاً كل النعم ، من المعدل
والاستقرار . فهناك مشكلات عدة كانت تنتظر الحل المرحى او جرى حلها بصورة ملفقة
او بشكل هزيل . وهذا الوضع العام الذي اليه منا على وصعه عدد بالفشل ، احتمالات نهوض
اوروبا وإجهاضها ، في الوقت الذي اخذت فيه سيطرتها على العام ترتج وترجع .

لما تشكلت جهود الحلفاء بفار النصر إلا بفضل تفوقهم العددي
والحصار البحري الذي فرضوه على المانيا ، فعال دون وصول
ليس فقط السلاح والمتعد الحربي اليها ، بل ايضاً رבות التشجيع والطا والطزير ولا سيما المواد
الثغائية على احتلافها . وبحلول الولايات المتحدة الحرب ، تم للحلفاء التفوق العددي يتحول
فرقها الى ساحة الوعى ، وامكنهم إحكام الحصار البحري عليها وجميعه أداة فعالة لم تلت ان

ظهرت نتائجها الحاسمة . ن الفضل في تحقيق الانتصار الحربي يعود بالدرجة الأولى للحشيش
الفرنسي والانكليزي ، مع العلم ان القوة العسكرية برزت على اتها في ندولة الكبرى الواقعة عبر
السعار والتي عادت عليها احرب بثورت طائفة فاصبحت بالتالي القوة الكبرى في كرتنا لارصة
واوروبا التي فقدت الملايين من ايمانها ، وحدث من طائفها على الانبساط ، فولاها الصعف وأخذ
منها الوهن كل ماأخذ فاصطرت ان تقاسم والولايات المتحدة الاميركية ، السيطرة على العالم

الثورة الروسية
هذلك حادث حديد حلال وقع عام ١٩١٧ ، له أهمية الكبرى يتمثل في
الثورة الروسية . فبعد ان حلفت عن كامل الدنيا مخاض ومخاوف كثيرة
وهيبه الحرب على جبهتين ، بدأ عليها ، في مطلع الامر ، الوقوف الى جانب الامبراطوريات
المركية ، في وسط اورودا ، وبذلك تمكنت الدنيا من تحقيق لانتصارات الشهرة الدائمة على
الحلفاء في ربيع وصيف عام ١٩١٨ ، إلا ان نتائجها جاءت في نهاية الامر ، لتخدم قضية الحلفاء .
ان سقوط القيصرية ، وفتر لرئيس ولسون كل الامكانات لوضع بئروه لاربعة عشر ولاظهار
الحرب عشاة صليبة تقوم بها اسعوفر طببت . كما انها رعرعت في العواد الاتراك ، العرم ووهت
فيهم الرعية في خصي في الحرب ادلم يعرفوا يوجسوت شراً على عاصمتهم القسطنطينية من
المطامع الروسية ، كما سهلت من جهة اخرى عملية فرر الفئوق السلافية من الحشيش النمساوي
المهتاري ، وشجعت احزاب المعارضة في الدنيا ، والحرب مستغل فيها على الاصح ، ليقيموا
بدور حاسم في إدارة المظالم الامبراطوري . وعلى عرار الثورة الروسية انطلقت الثورة الالمانية
بصربيات وسعة وتمركات تمرد في جيش والاسطول . أما في النمسا والمجر ، فقد جاءت
الثورة لتضم بعدبع الثورة الاحماهية والقومية . فقد كان للثورة بين وحدات الجيش الروسي
تلبية اخرى لها أهميتها الخاصة . فبعد الفشل الذي لمست به الاشتراكية الدولية عام ١٩١٤ ،
جاءت الثورة درساً بليغاً كما جاءت تشجيعاً للصهيير الهابية التي مدت ، لفترة قصيرة ،
متمسكة لا قوم لها ولا كيان .

دعوى المنظمات الاشتراكية
عالمادات والآلام التي تجرعاها اماريون ومن هم في المؤخرة على
السواء ، أدت بهم الى الجمع ، بصورة عموية ، بين النظام الرأسمالي
والحرب ، كما نها حملتهم على الاعتقاد بأن هذه الحرب لم تكن حريهم دم . ومن جهة
اخرى ، فقد سجن يعود الطبقات الموحدة التي لم تعرف على السواء ، كيف تتفادى هذا
الصراع ، وكيف تحصره ، ولا كيف تقتصد من حركات لاهراد ولا كيف تصونها ، هبوطاً
درباً ، في وقت عادت الحرب ، على هذه الطبقات بثروات طائلة وبارباح سامية ومدهم هامة
بها حائل العواد العديد من الاسر وحطتها بسعائات من الحزن الباري والاسى للقتان . والفترة
الاولى من الحرب ، التي سيطرت فيها الروح الوطنية والاتحاد المقدس على كل فرعة وشعور
عربي ، لم تلبث ان عفتها رحمة عديمة من احرب الطبقية ، ردتها حرارة وعلف ،
اربعة سنوات متصلة من التؤس والشقاء . وقد وعت الطبقات الطبقية هذا الوقع المرير ، وبعت

لها احتمال هددى الثورة خوفاً عميقاً تبلور عن رغبة او امية قوية تدك معالم الدولة الجديدة حيث خرجت الاشتراكية لأول مرة في التاريخ ، من دنيا الفكر او التحيل الى دنيا الواقع لتحرير ، فقد تحطم اتحاد العالم الابيض ، ومنذ الآن لم يبق على الارض حياضين يوحى ومعرفة او بغير وعي ومعرفة . وهكذا اصححت الثورة الروسية مثلاً للخوف والكراه عند هذا الفريق من الناس ، ومماط الامل المرحى لدى الفريق الآخر . وهما حيزان سيستقطبان الحكومات ولاحزاب ومشاعر الافراد ، بين جذب ودفع ، وكر وقر .

والحرب لم تخلخل الانظمة الاجتماعية فحسب بسبل صدمت في
 حملة الليبرالية
 التصميم ، الانظمة الاقتصادية المعمول بها . فقد عزف الناس عن
 الاقتصادية والسياسية
 المادى ، التي ارتصتها الليبرالية الاقتصادية وقد ثبت بالدليل ان
 المناهج الاشتراكية التي توحىها الاوضاع القائمة ، هذه المناهج التي يبتدئ الناس باعتمادها حيالية
 حاملة معها الضرر والخراب للبلاد التي تعمل بها وتسير عليها ، هي الوحيدة التي تعيد وتؤمن
 خلاص الشعوب . ففي المجال السياسي بدا تقسح الامبراطورية النمساوية المجرية وتحرير القويصات
 المستعبدة للنظام القيصرى والعثماني ، ونهزام الملكيات العسكرية والروح العسكرية الالمانية ،
 تبدت وكأنها تنصار حاسم من لانتصارات الحربية . إلا ان دكتاتورية الحرب ، هرخت
 للعطر الاندراوات التي حققتها الليبرالية الديموقراطية في العصر الماضي ، كما ان الاذى الذي نزل
 «الليبرالية السياسية لحساب السلطة التنفيذية ، ألف سابقة عظيمة كثيراً ما استوثقوا بها
 ووصفوها بها بعد دواء شديداً وعلاسا مستطاداً لجميع اشكالات الاجتماعية . وكل بذور
 المؤسسات والحركات التي ستطلع خلال السنوات الثلاثين التي تلت انتهاء الحرب ، في المجالات
 السياسية والاقتصادية تثبت ، جذورها العميقة خلال هذا الصراع .

ومع ذلك ، فالحقبة التي امتدت من ١٩٣٠ الى ١٩٣٩ ، كانت «حقبة الاوهام» ، خيل
 فيها للناس ، الرجوع بيسر إلى المؤمل لديهم والمرتمى عندهم ، أي إلى الوضع الذي كانت عليه الأمور
 من قبل . الا ان اسحاب الولايات المتحدة وضعوا روسيا الآمي محالا دون رؤية التغييرات التي
 تعتلم بها النفوس وتنبأ عميقاً في الطبقات الاجتماعية ، منذ مطلع القرن ، فبدأت الحرب قهره
 وتجلوها وتطلقها من عقلاها .

الموصل والرواسع

فشل محاولة إعادة الاستقرار الاقتصادي

« فهدت أوروبا الصولجان الاقتصادي والسيلسي بعد
ان اسافرت ، رعة وجيرة ، بأسقية صاعية » عبارة
جعلت ورامعا (زيداً مستقراً في السكان » .
ربيع دومون

تميزت الحقبة التي سبقت الحرب بقليل ، بتطور موصول في الاقتصاد العالمي بالرغم مما حاق
بها من أزمات عائرة ، بينما كانت الحقبة التي أطالت عام ١٩٢٠ ، بعد ان توقف الازدهار ،
بصورة وحشية ، معاجلة ، حكمة ركود عام اختللت مدى واتساعاً ودقماً باختلاف البلدان التي
تقرست بها ، ادمت أوروبا وخلخلتها في الصميم . وهذا الإنتاج الصناعي الذي تميزت به البلدان
الأوروبية الصناعية الست ، الكبرى الذي تتراوح معدل تطوره السوري ، من ١٨٨٠ - ١٩١٣
بين ٤ - ٣ بالمائة ، محيط بحيث تراوح بين ١٦٤ مائة وبين ٨٠ بالمائة . فقد صعب على أوروبا
ان تتخلص بيسر من التضخم المالي الذي غرقت في لججه ، وفوضى النقد التي لم تخطت فيها ،
وعجزت بالرغم من الجهود الصادقة التي بذلتها عن سعة ، من ان تعيد الى اقتصادها ، ما كان
عليه من قمل من ربح ودفع وبطاش ، ولم تستطع كذلك ان تتخذ يداً من الثورة الصناعية
التي وقعت اذ ذاك ، ان تكييف نفسها ولاحوال الجديدة للسوق التجارية ، وان تعيد
الى سابق عهدها ، تيارات التبادل التجاري التي كانت سبب فراغها وفروتها . وهكذا وقعت
حياتها عاجزة لا تدي ولا تبيد في وقف لمصير المحتوم والحظ المقسوم .

١ - أزمة عام ١٩٢٠ واضطراب النقد

اشتدت الحاجة كثيراً ، في اعقاب الحرب ، الى الخامات والمواد
أزمة عام ١٩٢٠
لأولية والحاصلات الغذائية والملابس ، وذلك لاشباع الملايين من
الجوع واكساء الملايين من مسرحي الحرب ، واكفاء هذا الفريق الضخم من الناس الذي منعهما التقنين

الأسير ، من تجديد ملاسهم وتجديد محرومهم بعد ان استنفدوه ، واعادة بناء المصانع المتهدمة وتجهيزها ، وربط ما تقطع من وسائل النقل وطرق المواصلات ، والتمويص عن الاساطيل التجارية التي غارت في أعوار البحار ، واستبدال العتاد المتهالك فاصناعة الأوروبية التي عملت للحرب تحولت فجأة الى مصاعات تعمل لآيام السلم ، وكلمة السلم عندها الانتاج بكثرة وبازدياد تلبية لمطالب الآلية المفعمة ، مستعينة ، في هذا المضمار ، بالدول التي لديها المحاصيل اللازمة . فكان على اليابان والولايات المتحدة ، وكندا والبرازيل والأرجنتين ، ان تليي ليس فقط حاجات البلدان التي اعتادت ان تمتاز منها خلال الحرب ، بل ايضاً امداد ودول أوروبا الوسطى التي حال الحصار البحري المفروض عليها هويلاً ، دون تمويصها ، لتجد نفسها الآن مفتقرة الى كل شيء . والاسعار التي سجلت ارتفاعاً موصولاً خلال الحرب لاشتداد الطلب والتي هبطت بفضل توقف دولاب الحرب ، حدثت ترتفع من جديد بسرعة اعصر تتفق والمجاهدات التي لا حصر لها ولا حصر . فقد تضاعفت الاسعار اربع مرات فيما يتعلق بالثوب والخبوب وراحت ثلاث اضعاف اسعار الحرير ، كما ان اسعار القطن ارتفعت هي الاخرى ٥٠ بالمئة . وهكذا شططت حركة الاستيراد في أوروبا ، بينما بقيت حركة التصدير فيها متدنية للغاية . وبذلك طرأ عجز واضح على ميزان المدفوعات ، في الوقت الذي راحت فيه بريطانيا العظمى والولايات المتحدة تبيعان ، فجأة ، اتفاق التضامن والتكافل ، المعقود بين مالية الدول الحليفة ، فامتنعت عن تسهيل عمليات التسليف التي افاحت ، الى ذلك الحين ، تأمين المعادلة بين الدولار والعملات الاخرى . فالاعتمادات الخاصة ، والسلفات التي قدمتها المصارف لتعزيز المبيعات وتنشيطها في أوروبا كانت عجز من ان تموض عن هذه القطيعة ، مما ادى الى نشوب أزمة حادة لا ترحم اصابت جميع البلدان على السواء .

ان انهيار العملات لاحسية - فارتفع الدولار في سنة واحدة من ١٦ الى ١٧ هونك ، ومن ٨ الى ٢٨ ليرة ايطالية ، ومن ٨ الى ١٠٠ مارك ألماني ، كما ان اقية الستريلية هبطت ٢٧ بالمئة من قيمتها - دى الى هبوط ملحوظ في الطلب ، اذ فقدت أوروبا كل قدرة او وسيلة للشراء ، وانخفض من جراء ذلك استيراد الخبوب الى النصف ، حاراً وراءه هبوط القطن والسكر والنحاس والقصدير والخرصان (الزبدك) والحرير الياباني . وهذا الهبوط ادى بدوره الى هبوط كبير في اسعار الشحن ، والى هرقلة حركة بناء السفن والصناعات الحديدية . كذلك هبط انتاج الصلب في انكلترا الى اقل من نصف إنتاجه ، واندثاج الولايات المتحدة الى الربع ، كما امتدت لارحة الى الصناعات الميكانيكية وصناعة النسيج ومناحم المعجم والشرول والبناء . وجاء هبوط الاحور قاسياً فتكاثرت حوادث البطالة والتوقف عن العمل ، وانكمشت المصارف عن السديف ، ووقع عدد كبير منها في القوصى والندالة ، كما هبطت اسعار الاسهم الى الخصيل . الا ان الامور احدثت بالانتعاش قليلاً في سنة ١٩٢٢ بعد ان خلفت الازمة وراءها آثاراً مقيتات ، لا سيما في أوروبا ، حيث ادى التضخم المالي الى قوصى نقدية قديمة .

هذه الصناعة وهذا الاستقرار اللذان استمتعتهما الصناعة والتجارة ، في أوروبا ، خلال القرن التاسع عشر ، حل محلها

عدم استقرار في النقد والعملات بذل كثير من المعادلات اربعة وعشر من الاعراف معمول بها ورد من صعوبة بعض الاقتصاد فيها . فاستكلر وحدها تفشل جهوداً جديدة لتؤم استقرار نقدها حتى انها تمكنت ، بفضل كسار رجال المال الذين يلقون الى جانب لاكثرية الحكمة فيها من اعادة التبادل بين الحبيبه والدولار ، وقد بذلت عام ١٩١٩ جهوداً قوية لاستهلاك دينها وتأمين تعامل ميو بينها والاحتياض عن كل تصخم في النقد . فبالجنيه التي مضت قيسها بحيث اصبحت تساوي ٣٤٢٠ دولارات ، عام ١٩٢٠ ، اخذت تساوي ، عام ١٩٢٣ ، ١٤٧٠ دولارات ، وفي سنة ١٩٢٥ مكنتها تأمين التبادل مع الذهب وهكذا اصبح في مكانة الحبيبه ان تنظر الى الدولار بأمان حينه ، وبذلك استعادت لندن مركزها واصبحت بالناب كسر سوق ماليه في العالم . وصعرت الدول الاوروبية الاخرى عن ان تعيد نقدها الى المستوى الذي كان عليه قبل الحرب . فقد كان عليها ان تثبت وان تنقلب على النتائج التي افضى اليها تصخم النقد . وشدت لارمة ، على الاخص ، في بلدان اوروبا الوسطى . فقد شهدت المانيا ، وهي حاضرة ، حرب رؤوس الاموال بعد ان آل الحكم فيها الى الاشتراكيين واستيراد مقادير هائلة من وراء البحار ، وتحلخل سواقها الداخلية ، من جراء هداها بعض المظاهرات واحتلال الحلفاء لبعض الاخير فتسحرج المارك هروباً الى الحصى . فالثقة التي كان يتمتع بها فقدها تماماً والمصارفون الاحاب الذين اقبلوا على شرائه عام ١٩١٩ و ١٩٢٠ ، خدروا يسعون ، فجاء الهبوط حاداً ، وسبغت تتحول تتبع خط سير اعداده . فبعد ان كان معدل المارك لدفع الشمري يساري ٤٥٤٦٩ مارك وري ، في كانون الثاني ١٩٢٢ ، ادا به ، يهبط ان ٤٣٨٢ مارك في كانون الاول ١٩٢٣ ، ويهبط من ٦ مليارات في تشرين الاول الى ٥٢٢ مليار مارك في تشرين الثاني ، والى ١٠٠٠ مليار في كانون الاول . اما الاسعار فكانت ، ترتفع وتقفز صعوداً بين ساعة وحري ، وبخارن لا تسمر سلها الا على اساس الدولار والدرمك او درك الذهب وقد امكن انقاذ الارمة في خريف ١٩٢٤ ، بإنشاء مارك نوايح .

وراحت الدول في وسط أوروبا وشرقها ، اتصل هي الأخرى ، على إصلاح نفسها ، في
الدول السلطانية ، عام ١٩٢١ و ١٩٢٢ ، وفي النمسا حيث نبت الكركون عام ١٩٢٢
و سبيل الشل عام ١٩٢٤ ، وفي يولييا حيث لم تلت الا ٨٠٠ مليون صارك ورق التي كانت
في الندون ، عام ١٩١٨ ، بدون تعطينة ذهب ، فاصحت ١٧٨٥٠٠٠ ميسار عام ١٩٣٤ .
وهذا التاريخ ، رل في التمداد الزلوطي الذي 'سحق' على من العريك لذهب ، وكان
يستبدل بمعدل زلوطي واحد مقابل ١٦٨٠٠٠٠٠٠٠٠ صارك ورق . ثم جاء دور هماريا الي وصمت
في اقتداول المبعو ، ثم در تشيكوسلوفاكيا عام ١٩٢٥ . ام ايطاليا التي كلب عارقة في اللي ،
عقد خاصتها معرك حادة بمصل سياسة حارمة في تخفيض حجم النقد لمتداول وبمصل قرض
احدته من الولايات المتحدة الامركة قيمته ١٠٠ مليون دولار استطاعت معه تسجيل فور الير

الايضالية عام ١٩٢٦ .

وكانت فرنسا آخر الدول الكبرى التي تسكت بقدمها المتضخم بعد ان ثالت عليه تقلبات لم يستطع الاستقرار معها على حال . ففقطم النظر عن فقدان الفرسك الفرنسي ٣/٤ قدرته الشرائية خلال الحرب ، فالعصل في استمراره في التداول يعود لمساعدة العملات الحليفة الاخرى له . وللاعتقاد بان « البوش » هم على استعداد لدفع التعميمات ، فقد راحت فرنسا تمول عملية إعادة تعمير المقاطعات الفرنسية التي تاخت عليها الحرب بكاملها ، عن طريق تصخم النقد وعن طريق قروض اوصلت لدين العمومي فيها الى ٢٩٤ مليار فرنك عام ١٩٢١ ، مقابل ٣٢ مليار ، عام ١٩١٤ . ان استمرار المجر في المواردة ، واحتلال مقاطعة الروهر ، ساعدا كثيرا لمصاربت على المصنوع ، بما ادى الى ارتفاع سعر الدولار بحيث اخذ يساري ٢٠ فرنكا عام ١٩٢٣ ، واليرة لاكليزية ٨٥ فرنكا . وعندما وصل الى الفرنك الفرنسي عام ١٩٢٤ ، اكثرية سياسة لوحت بمرض ضريبة على اصحاب رؤوس الاموال ، احدث ذلك موجة من الدعوى قهرت رؤوس الاموال الى الخارج ، وأقل الناس على شراء النقد الاسمي ، كما ان الاقبال على قصص التعميمات على الحكومة وسندت الاعتماد الوطني ، تحوّل بكثير المدفوعات . وقامت مضاربة بيع مكشوف للفرنك كانت من شأنها جعلت الحليف الامكليزي ثمنا ١٩٢٦ نحو ٢٤٠ فرنكا ، والدولار ٤٩ و ٣٢ . واستقرت ودارة هربو من الحكم عند تهديد مصرف فرنسا بوقف مدفوعاته ، نازكا معه تشكيل الحكومة لادواركاريه الذي قلب الوضع رأسا على عقب ، فأعاد الجنيه الى ١٢٦ فرنكا والدولار الى ٢٥ و ٥٢ فرنكا . وفي حزيران ١٩٢٨ كان فرنك فرانكاريه ثابتا منذ ١٨ شهرا ، كما كان خمس مرات ادنى من المستوى الذي كانت عليه في شهر جرمينال ايام الثورة الفرنسية .

سبب التضخم المالي حركة واسعة بين اصحاب رؤوس الاموال
اتصمّم اسبابا
وتشاته استترة
محباً هو ملصاً طاقاري الى تكون معه بعيدة عن التفتيش
مالي ، كما تكون يعمل عن القلق وعدم الاستقرار . فقد اوجد
عند اصحاب رؤوس الاموال وعيّا راحوا يبحثون عن قيم عالية (صرر - تحف غنية)
وسائلك من الذهب وعملات قوية ، و الى ابداع امولهم دولاً وبلداناً حيث تصح عمز عن
كل خصة او رجة ككويصرامثلا . وهذا الظمن في المعاملات تستسلم له رؤوس الاموال ، لم
يلت ان صمصع السوق المالية ، وكثيراً ما حال دون تأمين الاستثمارات الوعسية .

وأدى التصخم المالي ، من جهة اخرى ، الى إشباع الدعوى في توزيع الثروات وذلك
بتعميم القرائب الناجمة عن قروض الدولة الخاصة ، حق ولو أدى ذلك الى إلفها لا سيما
النوبس الزراعية التي يعقدونها المراءعون برهن . وقد تسب هذا الوضع عن إفلاس الدتئين
وأصحاب الدخل وأصحاب الاطيان وكبار الملاكين والتجار الذين عجزوا عن تحديد مخزونهم ،
وأصحاب الاجور الذين لم تكن مرتباتهم تزداد وقرنم نسبة ارتفاع اسعار الحيايات . لقد

فقدوا جانباً كبيراً من القدرة على الشراء . وهكذا نرى كيف ان التضخم الذي ادى الى هبوط محسوس في مستوى عيش اصحاب الاحور ، كما ادى الى هبوط عدد كبير بين الطبقات الوسطى الى مستوى العزلة يتارياً يسببها ساعد اصحاب رؤوس الاموال على استثمار ثروتهم ، والمصدرون على التهورى بحركة التصدير ، لا سيما في هذه المشروعات الاقتصادية الكبرى بعد ان ساعد كثيراً على تركيزها وعقلنتها .

واخيراً وليس آخراً ، فالظروف التي نمت فيها شروط تثبيت النقد أمنت للمعاملات القومية سيطرة نقدية حقيقية تحلّت نتائجها فيما بعد . فقد نالت انكلترا في مؤتمر جنوى ، عام ١٩٢٢ ثني الذهب قاعدة للعملة الاحتية ، بحيث يمكن للنقد الثالث ان يقوم مقام الذهب في المعاملات وان لا يُلَفَ تمعية نقدية احتياطية . وهكذا يستخدم بحرون الذهب ليس فقط تأميناً للنقد المحلي بل ان الدولة التي تسي نقدها على اساس الدولار او الجنيه الاسترليني تحدد نفسها مشدودة الى هاتين الدولتين ، وتبقى شاة أم آيت ، مرتبطة بالبدان الانكلاوسكونية .

٢ - اردهار الدول الواقعة عبر البحار

ان المصاهب التي عانت منها اوربا وتضرست بها يجب رد بعضها الى التغييرات التي وقعت خلال الحرب في التوزيع الجغرافي للمصاهب الطبيعية ، والنقص الآخر الى هذه النجاحات التي حققتها بعض الدول الواقعة عبر البحار بعد ان تمكنت من اشاء صناعة ضخمة قوية في ارضها ، وتوسيع المصاهب التي كانت قائمة فيها من قبل ، وبذلك اوصدت في وجه اوربا امواقها الخاصة ، واحذت تنافسها في الاسواق التي كانت اوروبسا تتمتعها حتى الامس القابر .

الولايات المتحدة الاميركية كانت الحرب امام الولايات المتحدة ، فرصة ذهبية للاراء ولتحقيق ثروات فلكية . فقد كانت هذه البلاد الاحراء التي أمدت الحلفاء ، خلال الحرب ، بما يحتاجون اليه كما اخذت نقد كل الدول التي حاصت عمار الحرب فيما بعد ، على السواء . فقد وجدت الدول الأوروبية فيها بديلاً للمستوجات التي توقفت عن إنتاجها ، كما راحت اميركا توسع انتاجها للمواد الغذائية والمصنوعات الاخرى قليلة للطلب الذي اشتد عليها . والفائض الذي ادى اليه ميّزها التجاري جلب لها من رؤوس الاموال ما أتاح لها تسديد جانب كبير من الديون المترتبة عليها ، كما مكنتها من ان تصنع دائنة بدورها . فقد قرضت اوربا ٣٠٠٠ مليار فردك ، عام ١٩١٩ ، وحلّت محل الدائنين الاوروبيين في قبول بدان اميركا الجنوبية . وحلت الأزمة التي اشتدت وطأتها عام ١٩٣٠-١٩٢٢ ، معها البطالة والاعلاسات العديدة كما سببت انكماشاً خافاً في النقد . الا ان الوضع لم يلبث ان عاد طبيعياً ، بعد لأي قصير . والانتاج الذي جاءت تعضده حافة جبركية شديدة ، ازداد بصورة

عريضة - ففي سنة ١٩٢٣ ، تستثمر الزراعة في اميركا ١٦ مليون هكتار اكثر مما كانت تستثمره عام ١٩١٤ ، وزاد مردود الأرض ٢٥ ٪. بعض التحسينات التقنية التي أدخلت على منهج الزراعة وسجلت الصناعة من ناحية ، تطوراً واسعاً واضحاً - فالدليل الاسمي ارتفع من ٧٣ في المئة ، من ١٩٢٢ الى ١٩٦٠ ، عام ١٩٢٩ ، وذلك بفضل ريادة الطاقة المحركة وبفضل الحكمة التي أخذت تحمل عمل السد العامة . وارتفع انتاج الصلب من ٣١ مليون طن عام ١٩١٥ الى ٤٢ مليون طن ، عام ١٩٢٩ ، وارتفع الفولاذ هو أيضاً من ٣٢ مليون طن الى ٥٤ مليون ، والاسطول التجاري العامل في عرض البحار ارتفع ، بفضل مؤازرة مشروعات بناء السفن ، من مليون طن ، عام ١٩١٣ ، الى ١١ مليون طن عام ١٩٢٩ . فليس من عجب بعد هذا ان تفرق المضائق الاميركية ، والحالة هذه ، اسواق العالم وتطرد الأوروبيين من الاسواق التي كانت بين ايديهم . ففي كل مكان تقدم تجارهم على التجارة الانكليزية في كل مقاطعات الدومينيون البريطاني وفي قطر اميركا اللاتينية ، وبلدان الشرق الاقصى وندونيسيا بينما تحمل الرسوم الجمركية الجديدة المعروضة ، على انحاء كل منافسة في الاسواق الداخلية . كل هذه الصادرات لا تقبل سوى حساب ضئيل من الانتاج الاميركي الضخم الذي يستهلك معظمه في لولايات المتحدة نفسها . فتم لها من جراء ذلك ان تبرز بعيداً الارواح المحدودة التي تجسدها اوروبا حيث كلفة الانتاج باهظة .

واصبحت الولايات المتحدة ، مع انكازها ، مركزاً لمصارف العالم . فقد بلغ ميزان دفن حسابها مبلغاً تجاوز ٧٠٠ مليون دولار ، - حصص حرة كبيره في انشاء استثمارات جديدة في الخارج . فحينها تم تكن المصارف في اميركا بعد عام ١٩١٣ سوى ١٢ فرعاً في الخارج ، فقد ارتفع عدد هذه الفروع ، الى ٢٣٨ فرعاً عام ١٩٣٠ ، مرة على ٣٨ فرعاً مختلفاً . وبأقل من ٣ مليارات دولار ونصف استجمعت اميركا ان تشيخ لها عروفاً وان تشتري لها اسهماً في معظم الشركات الكبرى في الخارج ، وان تشارك في شركات قومية ، وقضت اكثر من ٥ مليارات دولار لحكومات مختلفة وللمدن الكبرى .

وبس وعلى شاكلة الولايات المتحدة الاميركية وقرارها ، فتحت الحرب في اوروبا ، امام اليابان ، امكانات ربح ، لا يمكن تصورها ، سواء أقتلت في طلبات للاسلحة او للواد المعدنية ، من اي جنس كانت ، جانتها من حلفائها او من الدول المحايدة لاسيا من بلدان الشرق الاقصى . وقد عرفت مناهتها كما عرفت اسطولها كيف يفيدن ، في غياب منافسها من الأوروبيين ومحققان تطورات حديثة . فقد ارتفع انتاجها الصناعي ٧٨ في المئة وقصاعف انتاجها من الفولاذ ، كما زاد انتاجها من الحديد ثلاثة اضعاف . وصناعة القطنيت فيها ايرادات اربع ، كاتضاعف حجم اسطولها التجاري العامل في البحار ، وازداد احوال الشحن ارتفع من ٤٨ مليون طن ، عام ١٩١٣ ، الى ٣٨٢ مليون طن ، عام ١٩١٩ . واستحوذت اليابانية وجدت لها موطئ قدم في هذه الاقطار الواقعة الى الجنوب الشرقي من

آسيا وفي اوقيانوسيا . ولأول مرة في تاريخها المعاصر أصبح لليونان التنافس في اليابان موضعاً بعد أن كان سلبياً . ولأول مرة في التاريخ لم يشعر الياباني بأي عسر مالي في تسديد مدفوعاتها في الخارج . وبالإضافة إلى ذلك ، فقد تلقت لها مبيعاتها نوعاً من المكافآت وسعة في سواق لندن ونيويورك . وقد كانت اليابان لا تشعر بالأزمة القصيرة التي ظهرت عام ١٩٢٠-١٩٢٣ ، إذ بقيت معظم الصناعات التي رأت النور عندها ، خلال الحرب ، ناشطة لعمل بل على طاقتها . والمهرة الأرضية التي دكت معالم طوكيو ووكوهاما ، عام ١٩٢٣ ، وأودت بحياة ١٠٠،٠٠٠ صينية ، تسببت في هبوط اللين وأوهنت الوضع المالي في البلاد حتى سنة ١٩٢٦-١٩٢٧ ، إلا أنها لم تحل دون تقويته ولا دون توسيع في التطورات التي حققتها من قبل . وقد ازداد ثلاثة أضعاف عدد أموال الحكاكة فيها بين ١٩١٣-١٩٢٩ ، ومثل تصدير المنسوجات القطنية فيها نصف ما كانت تصدره من قبل ، وأصبحت الهند اشترية الأولى لهذه المنسوجات كما أصبحت الولايات المتحدة الأميركية أكبر سوق للحرير اليابانية التي مثلت ٣٦ في المئة من صادرات هذه الدولة . والصناعات الهندسية والكيميائية فيها ، سجلت ازدهاراً عظيماً كما يشهد على ذلك ارتفاع استيراد المعادن غير الحديدية والمواد الاستهلاكية . أما المواد نصف المشعولة أو نصف جاهزة التي عرفت صناعة اليابان الاحتفاظ بحق إكالاتها ، فقد بلغت ٥٠ في المئة من وارداتها بعد أن كانت ٢٥ في المئة عام ١٩١٠ .

إن وفرة اليد العاملة ورخصتها وتنظيم صناعة عدية في المركزية والتجهيز التقني والملي ، وازدهار التجارة ، كل هذه العوامل جعلت من اليابان منافساً يحسب له حساباً في كل من أوروبا وأميركا ، لا سيما في الشرق الأقصى .

تصنيع البلدان الجديدة
تصنيع البلدان الجديدة
في العالم ، بعد الحرب ، يجب ردها لأسباب قريبة في طبيعتها من الأسباب التي أدت إلى بحث الازدهار في اليابان والولايات المتحدة . فقد كثرت الإيرادات من الاستثمارات الصناعية ، وطورت بعداً استثمارها من الفحم ومن الطاقة الكهربائية المائية ، ومصانع الحديد والسيج (٣٠٠ مصنع ضمت معاً أكثر من ٢،٥٠٠،٠٠٠ تون ، عام ١٩٢٩) مما ساعد هذه البلاد على التصدير . والارحش ، التي كانت تمتلك ، حتى ذلك الحين ، صناعة ناشطة تعتمد على التصدير ، كما تمتلك صناعة صغيرة قادرة على سد حاجات الاسواق المحلية من البضائع المستهلكة - مصانع حربية ، وغيرها من المشروعات الصناعية الصغيرة التي يملكها الآحباب - أنشأت مصانع صنعه للاحدية والخردرات و طيش المستعمل في صنع الأكياس اللازمة لشحن الحبوب . كذلك أعدت تصدير إنتاجها من البنون ، وهي حركة اقتصادية سبغت في نشاطها بالرغم مما حدثت منه قليلة من اصحاب الاملاك الضخمة نمسكت بسياسة حرية التجارة وزعت الى اسكتلرا

وقد كانت الحرب ، دعماً على النشاط الاقتصادي في الدوليسونات البريطانية ، التي هي منذ

ومن بعيد ، ان تراعي مستقبل صناعاتها الناشئة وتؤخذ بيدها برفق ، كما فعلت على الأخص تأمين : « مضجها الاقتصادي » وقد اعتضت كندا عن خاماتها بإنتاج مواد مشغولة كالدهيق وورق الورق ، والحشب المنشور والمعادن وغير ذلك من الأصناف الجاهزة الصنع . واصل ميرابا التجاري إيجابياً كما ساعدتها على تسديد حسابات من دينها الخارجي وساعدتها في الوقت ذاته ، على تصنيع السلاسل ومكننتها . « الاتحاد الجنوبي أفريقي » قم بتحقيق مثل هذه الانجازات الباهرة ، إلا ان اقتصاده القائم على قسوة جبركية عالية ، لم يعد يعتمد كلياً ، على استخراج الخامات الثمينة (الذهب والاساس) وعلى تصدير الأصواف والحلوة . فقد تنوع هذا الاقتصاد وتكون ، وقطعت قيمة الانتاج الصناعي بين ١٩١٣ - ١٩٢٤ ، ووجد قسماً كبيراً من استهلاكه الداخلي في أسواقه المحلية . أما أستراليا وزيلاندا الجديدة ، فقد كان لعددها عن باقي اطراف العالم ، وعدم توفر اسباب للنقل لديها ، ما ألف حائلاً دون تصدير انتاجيها الضخم من لحوم النعم والبقرة ، ومن الصوف والقمح ، وهذا الانتاج الذي استجرحه اسككلرا لنفسها عام ١٩١٥ - ١٩١٦ . وقد امتدت دور صناعة لبناء السفن في مدطعة عدل الجنوبية ، كما نشئت فيها اهران صر ضخمة لصانها . وقد رأى جانب كبير من هذه الصناعة النور خلال الحرب ، حرصت الدولة على الاحتفاظ به وسيجعت حوله بفرص رسوم وتعميمات جبركية ، هاية بحيث مثلت الضائع المصنوعة محلياً ، عام ١٩٢٩ ، ثلث الانتاج العام في البلاد .

وفي آسيا ، استطعت الصين ، بالرغم مما ابتليت به من حروب أهلية مرزحة ان تزيد خسة اضاف طاقاتها على انتاج صناعاتها القطنية . أما الهند ، فقد كانت الدولة التي حققت اكبر الانجازات في هذا المجال . فصناعة الحياكة واستخراج لمعادن وقاشيشها التي كانت لا تزال بعد في لحد ، قبل عام ١٩١٤ ، سجلت تطوراً عظيماً منذ ذلك الحين . وتوفيراً لنفقات الشحن الساعطة ، وقامت بتكوين جيوش القتال في الشرق وفي العراق ، وعموداً في وجه غزو اليابان للأسواق الهندية ، امتدت في الهند صناعات جديدة جاءت التعرف الجبركية ، تدعها وتسيج حولها (٣٣ ملنة) معدل ارسوم على المصنوعات الحديدية ، عام ١٩٢٤) . وقد بقي جانب من هذه الصناعات على مشاطة بعد الحرب ، لا سيما بعد الاعتراف باستقلال الهند الجبركي ، هذا الاستقلال الذي وضع حداً للامتياز الذي تمت به المستوجات القطنية ، في مقاطعة لانكشير . وقد زدد عدد منازل النسيج في الهند ، بين ١٩٢٠ - ١٩٢٩ ، أكثر من ٣٣ ملنة ، بينما سط معدل استيراد المستوجات القطنية في اسككلرا ، الى النصف .

٣ - الثورة الصناعية الثانية والتطور الاقتصادي

سعدت الحرب على تطوير التقنيات التي تم اكتشافها قبل عام ١٩١٤ كما وسعت كثيراً من نطاق تطبيقها العملي . وقد أطلقت تقنيات وكشوف جديدة بعد الحرب مكنت من تحقيق

منتوجات وادّت الى وضع طرائق ومناهج جديدة ساعدت على الانتاج بمقدور هائلة . فكانت الولايات المتحدة الاميركية اكثر الدول التي افسادت من هذه الكشوف الجديدة مما ساهم في تسجيل الانحطاط الاقتصادي في اوروبا

احدث انتشار هذه التقنيات وتطبيقها على نطاق واسع ثورة هائلة في الكهرواء والمحرك
الاحترق الداخلي
يمكن مقارنتها ، من هذه الناحية ، بالثورة التي اطلقها اختراع المحار
في القرن التاسع عشر ، بدلت تماماً من مقومات لاقتصاد ومن
طاقة الانتاج . ان استخدام مساقط المياه الوطنية المنتظمة ، بالإضافة الى المساقط الصناعية
و المتوسطة راد من الطاقة للكهربائية المولدة كما اردف من جهة اخرى ، التقدم الذي حصل من
جاء ربط المصانع الواقعة في المرافئ و القنطرة على مقربة من مصانع الفحم او للبنيت
(صرب من الفحم الحجري) ارفاعة بالقرب من مساقط المياه الوحيد بالآخر بحيث امكن
اجراء تخفيض في نفقات الانتاج وتكثيف اتم للانتاج وفقاً للمحاجات المبرمة والاعلى المزايدة .
ففي مقدور الكهرواء ، في وقتها هذا ، ان تفسد الفحم الحجري بتجراح كفاءة محرك صالحة
لكل المصناعات كما في مقدورها لتحقيق مكسبة صغر لنزاع وأبعادها عن المجتمعات .

وعليه المكنة هذه اولت المحرك الكهربائي شاهداً حاسماً لموت الانتاج الجديدة ولا سيما
لاستبدال حزام النقل ، اي للعمل مسلسل ، مسند الطريقة التي كان ذود اول من استعمالها
وبطاً اليها في معامل صنع السيارات التابعة له ، فس عام ١٩١٤ ، وهي طريقة أدنى اقتناسها
بالتالي ، الى الانتاج بالجملة وال تخفيض كلفة الانتاج ، كما سهلت تقييم عدد كبير من المنتوجات
ولا سيما قطع العيار ، وهي طريقة كانت من بعض نتائجها التقليل من العمل اليدوي وقصره
على بعض وجوه الاصلاح والصيانة .

والمحرك ذو الاحتراق الداخلي الذي يعمل على البنزين ، انتقص من شأن الفحم اكثر بما
انتقصت منه الكهرواء . فقد سهل عملية توزيع حبيدية للصناعة ، كما اوجد امام المناطق
التي لم يدخلها التمنيع بعد ، فرصة فصل لاقتسام العمل وتوزيعه ، اذ انه يساعد على نقل اليد
العامة ونقل البضائع والسلع ، كما يساعد على تشييد المصانع بالقرب من المجتمعات السكانية ،
المستهلكة كثر من تخفيف الضغط على هذه المجتمعات . واستبدال الحصان بالشاحنة امكن
تحقيق زهر في مساحة الارض التي كانت تتررع علفاً من قبل للماشية ، كما انه اقتصد بالوقت
بعض من اليد العاملة . والطيران الذي ساعد على تحقيق تطور مدعش ، اوجد ، هو الآخر ،
صناعة يمكن ان تقارن ، من بعض الوجوه ، بصناعة السيارات .

وهكذا ساعدت الكهرواء و المكنة على تظلم الانتاج العلمي وتقعيده على اصول تقنية ، كما
رادت من طاقة الانتاج سواء في المجال الصناعي وفي مجال التوريد .

فدخلت الاسواق مصوغات جديدة وطرق تقنية جديدة في صنعها وذلك بفضل التطورات
التقنية التي ادخلت على المصناعات الاستخراجية وتأسيسها وعلى المصناعات الكيماوية ، كالاخلاط

غير الحديدية والفولاذ الذي يصدأ والألومنيوم المشعول بكلمة منخفضة في الفهرس الكهربي الذي حل محل الفولاذ ، ومعادن أخرى شملت عنصراً من عناصر الخط ودرج ، واستعمال اللعاب الذاتي ، ومضاعفة طاقة الامران ، وامران الصلب العاليه واحتراف حنار السحب المتتابع ، واكتشاف انزاع من السمت الخاص ، واحتراف الوف شكل الصنوعات الكيماوية والتأليفية (بواسطة الآروت والمكربنات) ، وتحسن طرق تقطير البترول وتصلبته الذي اصبح كالمصم ، مصدراً لخاصيل ومتنوعات فرعية ، والمنسوجات الصناعية كالريون الذي عرفت صناعته ازدهاراً كبيراً والدائن الصناعية ، وغير ذلك كل هذه الاختراعات ساعدت على حدوث بللة في مرتب الحامات الكلاسيكية ، وفي توزيع مراكز الافتتاح المعروفة قبل الحرب واحداث فيها تغييراً عظيماً . كل هذا جعل من المستحيل ارجوع الى الوضع الذي ساد من قبل

التحولات لاقتصاده
فالحلاد المعروفة بنشاطها العام كالولايات المتحدة واليابا مثلاً ، هي التي عرفت ان تستفيد ، قبل غيرها من هذا الوضع . وما كانت هذه الوسائل والذرائع الفنية الجديدة يفتحي لها رؤوس اموال ضخمة كما تتطلب تأمين خدمات متنوعة بعضها من اموال الدولة ، فقد رأت معظم الدول ألا تقتبس منها سوى تلك التي تأتي بدائدة مباشرة محسوسة كنوغيرها المحروقات مثلاً ، كانتاج للطاقة الكهربائية ، والنقل بالسيارات ، والسفن التي تدار بالمحركات ، وسفن الصباريج ، وكذلك صناعات المخطاط والصنوعات الكيماوية . اما في القطاعات الأخرى ، فحسب حالت أهمية رؤوس الأموال الضرورية لاستيراد الأجهزة وامدادات الفنية ، وفسحة التمرينات الجركية التي تحتمى وراها الصناعة التقليدية حرصاً منها على امواقها الداخلية ، دون اقتناس هذه الاعتدة على نطاق واسع . وهكذا فأساليب تنظيم العمل التي اقترحوا وضعها موضع التنفيذ ولافعال عليها كل من قبل وفورد قبل الحرب ، وتقييس الانتاج ، لم يبق بها على غير نظام واستواء ، وبعد تأخر ملحوظ في الدول للصناعة الكبرى ، بعد ان دخلت تعديلات هامة على لاوزاع الحيفة بالاقتصاد ، وذلك بتعجيل المشروعات وتركيزها في محاور او مراكز معينة .

أماحت الإدارة العلمية أي الاخذ بمبدأ التقييد والانتقال من
بين القابسة والتقييد
طور الصناعة التجريبية الى الاختيارية الى طور الصناعة العلمية ، فتم بهذا ادخار أساليب تنظيم العمل التي قال ب وعلم فريدريك وسو تيلور ، على مشاريع الاستثمارات ، بعد أن جرى تحسينها بإدخال طريقة التنظيم العلمي التي اقترح الاحد بها بيسدو والتي أتت ، في وقت واحد ، وقرأ في الحامات وللمجد البشري ، وتحسيناً في مودود الانتاج ، وفي الكلفة العامة والانتاج بالجملة والتقييد . ومبدأ التقييد هذا سجل قديماً ملحوظاً على يد اللجنة المعروفة بلجنة موفر بعد ان عهد اليها النظر في امور الحد والتلف في الصناعة ، في كل قطاع من قطاعات الاختصاص الصناعي ، فاقصرت الانتاج على عدد محدد

من الناجح والعبث . فشكل القياسي مثلاً حمل من ٢١٠ - الى ٤ ، والمصروف من ٦٦ الى ٤ ،
وعجلات الهواء من ٢٨٧ الى ٣٢ . وهكذا بين ١٩٢٥ - ١٩٢٩ ، ردت الطاقة الإنتاجية في
الولايات المتحدة الأمير كيسة ٣١ بالمئة في صناعة السيارات ، و ٣٥ بالمئة في صناعة التمديدات ،
و ٢٨ بالمئة في صناعة مسوحات القطنية ، بينما انخفضت كلفة اليدالة لملة بمعدل ٢٥ بالمئة في كل
قطاعات النشاطات الصناعية . وعملية التنظيم العلمي في الانتاج تحققت كذلك ، على نطاق واسع
في ألمانيا ، تحت إشراف الدولة وموارثها عام ١٩٢٥ ، عندما راحت تشكل لجنة خاصة عهدت
اليها مهمة توحيد النماذج وعبثات الاجهزة الآلية وتوزيع الادارة الى قطاعات صناعية ، ودرس
الشروط وظروف العمل الاهاري والعلمي في مشاريع الاستشهادات . وعلى هذه المادى ، جرى
دمج عدد من الاستشهادات وإقراغها بعضاً بعضاً ، كما حثت تصفية عدد آخر منها ، وبذلك
امكن تحقيق وفر كبير في البلد العاملة ١/٢ في جوهس لرور العلمى . وارتفعت الطاقة
الإنتاجية في أتاب عام ١٩٣٨ الى ٤٠ بالمئة بالرغم من فقدانها لمناطق الصناعية الواقعة في السار
وسيليزيا العليا . اما في فرنسا ، والتنظيم العلمى للانتاج على النمط الاميركي ، دخل قطاع
صناعة السيارات على الاخص ، والصناعات الحديدية الاخرى ، وذلك عندما راج اندريه
سيغروين يدخل في ، عقاب الحرب رأساً ، تمديدات هامة جداً على معامل في حافيل ،
ويتبنى طريقة السلسة في تركيب سياراته الممدة للطبقة الوسطى من الناس . وباستثناء هذا المجال ،
لم تر شيئاً يدرس ، من قريب و بعيد ، قطاعات الصناعة الفرنسية الاخرى ، كما حدث في
الصناعة الألمانية والاميركية في مجال الصناعات الحديدية . فالنظم العلمى للانتاج ، اما تقتصر على تنظيم
المعمل ودخال التخصص الى اقسام المصانع والاكثر من لجان البحث العلمى والتخطيط
والاتفاقات الخاصة بالمبيعات وغير ذلك . فالمستوى الفني في الصناعة الفرنسية بقي على الاجمال
متدنياً للغاية .

في مجموعة البلدان الصناعية الكبرى التي اتبنت على ذكرها هنا والتي كان بالإمكان الاستشهاد
معيها بالسويد وسويسرا وتشيكوسلوفاكيا « معامل باصا » ، ظهر اسم بريطانيا العظمى حيث
الروح الفردية الابرية والخوف من تعقيد مشكلة البطالة فيه أكثر ، الى عام ١٩٢٨ مشروع
عصرنة عتاد مصانع الانتاج وتنظيمه العلمى فيها .

وهكذا يصبح التأكيد ان الإقبال على المعصرنة والتنظيم العلمى للانتاج كان ضعيفاً على الاجمال ،
في أوروبا ، « ان ضعف الاسواق الداخلية فيها وضمف حاققتها الى الاستيعاب حالت دون
اقبال دولها على تجهيز صناعتها بعدة واجهزة انتاجية ضخمة ، صعب استيعابها وبحول دون
تشغيلها كاملاً ، كما ان لاتفاقات مدفوعة بين المنتجين للحد من المنافسة صانت من افلاس
مختم المصانع الهامشية السيئة التجهيز .

تحت ضعف الاسواق وضعف التسويق، رباب الاستثمارات
 الاتفاقات الوطنية والدولية الكبرى المتنافسين، على الوصول الى اتفاقات فيما بينهم بدلاً
 من الاستثمار في مزاحمة حادة، الامر الذي حدا بهم تدريجياً الى عقد اتفاقات وطنية واخرى
 دولية اخذ عددها يشكّر بعد عام ١٩٢٥، وهو تاريخ سجلت فيه حركة الإنتاج تمادى مع ما
 كان عليه انتاجها قبل الحرب، بعد ان تيسر الاضرار التي سببها لجميع من حرمه منافسة
 حادة. وقد وضعت خطط الوصول الى تحديد كمية الإنتاج، وتقنية صفقات المبيعات و تقسام
 مناطق التصدير، اشركت فيه دور صناعية من بلدان مختلفة. وصلت سنة ١٩٢٦، طلع في
 فرنسا مكتب الصناعات الحديدية، وعقبه ظهور مكتب توسيع مناهم الشال ومقاطعة با دي
 كاليس، والمكتب الفرنسي للآزوت، وغيرها، كما ظهر عدد كبير من التكتلات الصناعية في
 ألمانيا، لها الأهداف ذاتها. اما في ارجل اسوي، فقد تأسس عام ١٩٢٦، حلف الفولاذ الذي
 هم في عصرته منتهي للفولاذ من الالمان والفرنسيين والبلجيكيين والاسار والليكسمبورج، وهو
 حلف انضم اليه عام ١٩٢٧ كل من النمسا وتشيكوسلوفاكيا. وراحت لجنة ادارية خاصة تتحدد
 في كل فصل من فصول السنة كمية الفولاذ التي يسمح للفريق الوطني انتاجه. والحلف الاوربي
 بلاومينيوم، وشركة انتاج النحاس التي هيمنت على ٩٠ بالمئة من انتاج النحاس، والاتحاد
 الفرنسي لالمنيوم، وغير ذلك من التكتلات والاحلاف التي بلغ مجموعها ٢٠٠ حلف
 بينها ٤٨ للعديد والفولاذ، و٤٧ للمنتوجات الكيماوية. والسندانرد اوين وكنتي ج.
 هارين، وسيمس - هلسكه وكروب من جهة اخرى، والجنرال الكفريك والدي ج هارين،
 ومويون دي نور وغيرهم، من جهة اخرى، عقدت فيما بينها اتفاقات لتبادل شهادات المنشأ
 (او تعطيلها لدى الاقتضاء) ولتوزيع الاسواق فيما بينها.

كان من بعض نتائج هذه الترتيبات التي تحدثت والقنوات التي صيرت
 التحدث في الانتاج بينها، حد التباين في مستوى الانتاج لدى عدد كبير من الدول المنتجة
 وقد زاد الانتاج لراعي زيادة كبيرة في البلدان الجديدة. فبلغت نسبت من الفصح ٢١٥ بالمئة
 في كندا و ١١٩ بالمئة في الولايات المتحدة الاميركية، و ١٦٥ بالمئة في لارستين و ١٧٢ بالمئة
 في ستراليا. اما انتاج الحرير فقد بلغت نسبة ازياده فيه ٢٠ بالمئة، وهي القطن والصوف
 ٢٥ بالمئة وتضاعف عدد دسوب الاس في البرازيل وجمها كما ان المحصول العالمي من البن تجاوز
 ١٤ مليون شوال في العالم، ومحصول البطاطا ارتفع فيها من ١١٤٠٠٠٠٠ طن عام ١٩١٣،
 الى ٨٣٠٠٠٠٠ طن عام ١٩٣٠، و زاد انتاج السكر عام ١٩٢٩، مليون طن عن استهلاك
 العالمي. وتمكنت الدول لاوروبية ليس من معادلة نتائجها قبل الحرب فحسب، بل ايضاً
 تحورته مراحل، وهي في حى رسوم جمركية عالية. ومعادل الانتاج زد على نفسه قبل
 الحرب في كل قطاعات الانتاج الصناعي، كما رادب ميليريا العليا اناسها من الفحم ستة اصناف
 وكادت لانها تحقق معادلة انتاجها قبل الحرب بالرغم من اقتطاع بعض اقاليمها القمية بالفحم،

وانتاج العالم من الصلب الذي كان معدل ٦٦ مليون طن ، عام ١٩١٠ ، تجاوز ٩٨ مليون طن ، عام ١٩٢٩ ، وارتفعت حروب الى مرتبة الاولى بين الدول المنتجة للصلب في أوروبا ، وحصل نتائجها للصلب المرتبة الثانية . كما كانت بين الدول الرئيسية في تصدير المحاصيل نصف الجماعة او الجاهزة كلياً ، كالسيارات .

الا ان هذا التقدم لم يأت على قياس او وتيرة واحدة . فقد رأت بعض البلدان إنتاجها يزداد ويرتفع بينما يرى دولاً أخرى هي من الدول المهمة ، في تأخر وهبوط وأخرى في تقدم بطيء . ان حركة إعادة بناء أوروبا لم تنته الا في سنة ١٩٢٤ ، كما ان معادلة الدخل القومي في سنة ١٩١٣ ، تم تحقيقها في عام ١٩٢٥ . وتجاوزت هذه الزيادة ٣٠٪ في أوروبا بين ١٩٢٦ - ١٩٢٩ ، الا ان بقيت ادى بكثير بالنسبة لمعدل الانتاج في الولايات المتحدة الاميركية . والصناعات التي عرفت ان تعيد بالاكتر من هذا التطور التقني ، هي التي سجلت اكبر معدل في هذه الزيادة ، كالصناعات الكيماوية وانتاج لمصنوعات الكهربائية ، والمحركات وصناعة الاسمنت ، والمواصلات الكيماوية والسيارات ، وهو مجال بقي انتاج أوروبا فيه متروكاً وعلى عكس ذلك ، فصناعة المنسوجات القطنية . والمصنوعات الحديدية وبناء السفن ظلت تشكو من التعاف في التعجير التقني ، لا سيما وان الطامة الانتاجية في هذه الصناعات لم تستثمر الا بصورة جزئية .

٤ - بلبلة لاقتصاد العالمي

ان الاحوال الجديدة التي طرأت على استخدام اليد العاملة وتحكمت بالاسواق التجارية وقداول الصانع ورؤوس الاموال ، والصف الذي طبع قوة أوروبا لانتاجية كان من بعض نتائج الحتمية هذا اركود الذي لارم التجارة العالمية فعمل على علاقاتها وتبادلها بين اطراف العالم الأخرى وحدث في اقتصادها تشككاً يكاد يكون كاملاً .

مشكلات الناس وقضاياهم
فالصورت لديموغرافي الذي طبع القرن التاسع عشر ، استمر ، وبو وبيداً كما ان انخفاض معدل الوفيات بفضل التقدم الذي حققه العلم ، وحسن الى حد بعيد ، الطائر التي سبقتها الحرب ، كما هو ان نتائج الهدوء العام في معدل المواليد . ومن جهة أخرى ، فقد استمر عدد السكان يزداد ويرتفع في أنحاء أوروبا الشرقية والجنوبية ، فارتداد عدد السكان فيها ٣٦ مليوناً ، بين ١٩١٣-١٩٢٨ ، بعد ان ارتفع هذا العدد من ٤٩٨ مليوناً الى ٥٣٤ مليوناً ، بين اربع مائة سكان الولايات المتحدة من ٩٢ مليوناً الى ١٢٠ مليوناً .

والحال ان قسماً محترماً من هذا الفاضل السكاني في أوروبا وجد
طريقه الى الاعراب والتزوج خارج أوروبا . هنالك زهاء مليونين من
لاوربيين كانوا قد نزحوا من اوطانهم وديارهم ، عام ١٩١٣ ، بحثاً
عن عمل لهم في بلد من بلدان أوروبا او عادوها الى ما وراء البحار . وحركة الزواج هذه بدت

قبارت اصغرة بين
الدول الأوروبية

ملحة ، بعد عام ١٩١٨م إذ ان جانباً مختبراً من سكان أوروبا كانوا يقيمون على وجوههم بحثاً عن وطن جديد يأمنون اليه ، او عن وسيلة لكسب أود العيش . فلاحقون الروس تورعوا في جميع انحاء أوروبا ، وفي بلدان الشرق الأقصى ، في أعقاب الثورة التي بدلت عام ١٩١٧ والحروب الأهلية التي تلتها وقد قدر كولنسر عددهم بنحو ١٥٠٠٠٠٠ ، لم يحد منهم الى وطنهم الأم سوى ١٣٣٠٠٠ ، كما ان معظم المارحين من اوطانهم التي أعلنت على امرها ، هادوا تداء الى بلادهم . فالمانيا استقبلت ٧٠٠ ألف الماني مرحوا من بروسيا و ٢٥٠٠٠٠ مرحوا من المقاطعات السلطانية ، و ١٣٠ ألف من مقاطعتي لالزاس والاوربر ، فاهيك عن الالمان القادمين من المستعمرات الألمانية في ما وراء البحار .

وتحركت السكائن وهجراتهم تهرهم بماريا فلتستقبل ١٠٠٠٠٠٠ بحري قدموا من ترسلفانيا وديوسلافيا ونشيكوسوفو كبا ، كما ان بلغاريا تلقت ، هي لآخرى ٢٠٠٠٠٠٠ لآخرى . مرحوا عن ترافية ومقدونية وديورودجه ، وتركيا واليونان ، وقد ألقت البلدان لاجير ان مجاليين كبيرين لحركة تبادل السكان قيثراً بطابع خاص . فقد نصت معاهدة لويي صراحة على تبادل السكان بين اليونان وبلغاريا مع حق الاحتيار والتعويض عن الاملاك التي يحتلها النازحون وراهم . قال ٧٠ ألف بلماري الذين هروا امام المحرم الذي قام به الحلفاء واليونان ، يجب ان يضاف اليهم ٥٣ ألف بحري تساد لهم مع ٤٦ ألف من اليونان اسين اضطروا للازوح عن المقاطعات البلغارية . وقد أدت هزيمة جيوش البوغاريية في ارمير ، عام ١٩٢٢ ، الى بروج ٩٠٠٠٠٠٠ يوناني من آسيا الصغرى ، و ٢٥٠٠٠٠٠ يوناني عن ترافية ، كما حلت ألوف اليونانيين على مفادرة القسطنطينية . وفرضت معاهدة لوران المدةودة عام ١٩٢٣ ، وجوب مقايضة ١٩٠ ألف يوناني بقوا في آسيا الصغرى بـ ٣٨٨٠٠٠٠ مسم نوحوا بدورهم عن الاراضي اليونانية .

وهنا تطل علينا فئة جديدة من جماعة هائدي اوطانهم او جماعة من لا وطن لهم ، معظمهم من قدامى رعاية النمسا وبلغاريا الذين لم يحصلوا على رعية ما في أي من هذه الدول التي طلعت من بين حطام هذه لامبراطورية المتهدمة ، والمارحين عن تركيا (من الأرمن والاشوريين) ، وهؤلاء اللاحقون السياسيون لدن مرحوا من الاتحاد السوفياتي ، عام ١٩٢٠ ، او من ايطاليا ، عام ١٩٢٦ ، او من امانيا ، عام ١٩٢٣ ، بعد ان حردتهم تشريعات خاصة صدرت بحقهم ، من الرعية التي كانوا يتمتعون بها باعتبارهم غير مرغوب بهم .

توقفت الحركة الى ما وراء البحر
بررت في الولايات المتحدة بعد الحرب ، نزعة قديمة برعت
الى الحد من التسهيلات المصوحة للدخول بحرية اليها ، بعد

ان دخلها ، عام ١٩١٨م وحدها ، كثر من ٨٠٠٠٠٠ مهاجر قبا حسن البطالة ومشكلتها
الطيدة ، رعله القومية متاحة من مملك لا مبر كبيرين من اصل الماني وموقفهم المعادي ، خلال
الحرب ، والاحتقار المصري لهذه الجماعير السهم غير المسؤولة القاسمة من بلدان شرقي أوروبا
وبلدان موحش البحر الابيض المتوسط ، والرغبة الجماعة في الحفاظ على الطابع الانكليزي .

مكسومي في البلاد ، والخوف من نشر الشيوعية وقمعهم من قبل الاميركيين . ، ولارمة الاقتصادية الصارية اطنابها ، كذلك ، كل هذه المومل وما يتصل بها من اعتبارات من قريب او بعيد ، أدت الى إقرار القانون الذي صدر عام ١٩٢١ فبعد من سنة المهاجرة اذ جعلها على اساس ٢٪ من حسيات المهاجرين لاجئين الذين دخلوا لولايات المتحدة ، حتى عام ١٩١٠ ، وهو قانون كان الكونغرس الاميركي يحدد اذ رة سنة بعد سنة ، حتى عام ١٩٢٤ . وفي هذه السنة صدر قانونا هائيا تضمنت بوجه النسبة الى ٢٪ ر تحت أساسا لها الاحصاء للعام الذي جرى سنة ١٨٩٠ ، اذ كانت النسبة الكبرى من المهاجرين الى الولايات المتحدة ، في تلك السنة ، من بين بلدان اوروپا العربية او الشمالية . فقد كان المعدل المتدني للهجرة الى اميركا من نصيب البلدان الاوروبية التي تشتد فيها حركة المواليد . اما البلدان الاميركية الاخرى ، فقد حاد تحديد الهجرة اليها اقل قسوة او كثر مكررا . فقد راحت مناطق كثيرة في كند لفصل استقبال مهاجرين من البلدان الاوروبية الشمالية او العربية وسويسرا ، وهي تدابير وإجراءات جاءت لحماية مصالح البريطانيين وغيرهم من بلدان اوروپا الغربية .

من الطبيعي ان تفرى بلدان اميركا الجنوبية ، ولا سيما البرازيل والارجنتين ، ابوابها مفتوحة على مصرعها امام المهاجرين . فقد استقبلت البرازيل منهم اكثر من ٨٤٠,٠٠٠ بين ١٩٢٠ - ١٩٣٠ ، كمسا جاء لارجنتين اكثر من ١,٤٠٠,٠٠٠ مهاجر ، معظمهم من لاسان والطلين والبرقندلين الا ان الظروف المعاشية غير مستقرة فيها جعلت نصف هذا العدد من المهاجرين على مفادرة البلاد الى غيرها . ومام اشتداد البطالة في بربصانيا العظمى ، سنت الحكومة البريطانية عام ١٩٢٢ قانون لاسكان في لامبرطورية ، نص على تقديم مساعدة للمهاجرين . لان نتائج هذا القانون سادت غير مرضية اذ راعت معظم بلدان النوميبيون التقيد بأحكامه وأصرت على الاتقل سوى لمارعين ، وانكلتر لا يسعها تصدير غير عاطلين عن العمل ، ولد لم ياجر سوى ٢٠٤,٠٠٠ من المهاجرين الذين تلقوا مساعدات .

والبلدان الاخرى التي بقيت مفتوحة الابواب امام المهاجرين هي المانيا التي كانت تستقبل مزارعين موسمين كانوا يأثونها موسميا ، من بونديا ، وفرنسا بعد ان اشتدت عليها وطأة الحرب فأوجدت فيها نقص في معدل المواليد ، رمة حادة لليد العاملة . فقد امها بين ١٩٢٠ - ١٩٢٨ ، اكثر من ١,٦٠٠,٠٠٠ عامل من الخارج بين ايطاليين وبولوبيين (معظمهم يعملون في المناجم) وسويسريين وبلجيكيين عمل معظمهم في الزراعة .

فما الطريقة الملهوسية الانتقائية التي من شأنها ان تؤمن تنويع وتكون هيون الشياك على اساس من العرف او لاصل في القامدين ، والتي طرحها كعبر قطب حذب الهجرة مملا في لولايات المتحدة الاميركية ، هادت على اوروپا بنتائج مبهمة ، إذ ادخلت البلية على تيارات هجرة اليد العاملة وردت من مصاعبها ، لاسيما من نقص اليد العاملة امرض ، وجمعت من هذه القضية مملا في عدم الاستقرار الدولي .

وهذه الروح القومية المستبشطة تحد من حركة اليد العاملة
وقفلاتها كي تحدث تشويشاً لا بل شللاً في انفعال المضائق
وتبادل السلع . ان انقسام أوروبا الى ٣٨ وحدة سياسية أحدث
البلطة في اقتسام مصادر القوة وتوزيعها : كالفحم والحاصل

العراقيل في رسم

قواعد التجاري :

القومية الاقتصادية

الاستعمارية والطاقة ، كما باعد بين الصناعات لثمة بعضها لبعض والتي سبق لها فكانت
البعث الأكبر على تأميم الإردوار والروح لهذه النظم الاقتصادية التي صممت اليوم اعبر من ان
تكتيف وهذه الأطار الوطنية الصلبة . ثم ان تطور الروح الوطنية ، والعصية القومية ، والحدود
المتبدل بين الدول والشعوب ، والمنافسات الحادة بين الدول القديمة والجديدة ، حمل كل واحدة
مها الى شيء من الانطواء على لذات كما دفعا الى الاعتزال والانعكاش على نفسها . فالرعة في
توفير مصادر الطاقة لها ، وللتعويل على الغير بأقل قدر ممكن ، وتجربة الحرب لاجيرة والدرس
التيغ الذي اتخذته منها ، كل ذلك أثبت بشك لا يترك مجالاً للشك ، ان أكثر الدول التي
في وسعها ان تصمد وان تستمر في صمودها هي تلك التي تستطيع ان تكفي نفسها نفسها .
وماجس الاقتصاد السياسي الذي يقوم عليه كل استقلال سياسي ، والحدود الصاعط الذي يولده
في النفس تصمم البقاء ، كل هذه العوامل وما إليها حملت الدول المعنية ، على التحصن وراء
رسوم حركية حدثت كثيراً من نشاط التبادلات التجاري وشجعت إنشاء صناعات تعمل في
ظروف مصطنعة قليلة الإردود والنهط تكون منها تأمين من كل مساعدة . فالعالم كله سار على
خطى الولايات المتحدة في اعتمادها سياسة حياض من الحماية بحركية ، حق انكلفت نفسها ،
موطن مامية حرية التبادل التجاري في العالم . وقد تخلت انكلترا ، منذ عام ١٩١٥ ، تدريجياً
عن هذه السياسة ، خلال الحرب ، أولاً بحجة عدم ايهاط رصيد مدفوعاتا الذي شكا دوماً العصر ،
واحتفاظاً منها بقدرتها على الشح في سبيل الجهود الحربي ، كرسوم وقائية ، مؤقتة على
الكماليات ، كالأقلام السبينية والسيارات والآلات الموسيقية ، وكلها تدابير وإجراءات كانت
تؤخذ لسنة ثم يحدد العمل بها سنة بعد سنة . وبعد سنة ١٩١٩ ، اخذت تبرز سلوكها بدوافع
اقتصادية أكثر منها سياسية أو مالية ، والدون المالي الذي كرم من معاملة الدولة لأكثر رعاية
للدول لاعضاء في الامبراطورية ، ضمن الرسوم بحركية الى السدس للدول الاعضاء في
الكومولت ، على بعض الحاصل (كالبين والشاي والكافور والسكر والبنز) ، ولتلك الرسوم
المفروضة بموجب قانون مكيثا الصادر عام ١٩١٥ . وقطن علينا عام ١٩٢١ ، مرحلة جديدة
مع قانون حاية للصناعات الذي يعتبر اول تدبير صريح على احماية الجركية ذات معمول واسع
الذي هدف لصيانة الصناعات الرئيسية من الإغراق المالي في الدول المتدهور نفدها . من هذه
القوانين قانون المواد الصميمة الذي يحظر استيرد الصبغيات وقد تضمن قائمة الاصناف المحظور
استيراده والاصناف الاخرى التي يخضع استيراده لرسوم مختلفة كالحرير الخاتم والدانتيل

وروزق التتلييف والأدوت المنزلية المصنوعة من المينا ، والزيت والميدروكربوات ، وغير ذلك .

وعلى عرار الدوليين ، سارت دول أوروبا الوسطى وأوروبا الشرقية الموصوفة بدقة وصعها وصعب جانبها فرغت ، هي أيضاً ، في أن تقوم فيها صناعات لا عنيها عنها جميعاً من تطاول الفير ، رسوم جركية منفردة . وهكذا يرى دول العام اجمع تتعصن ضمن حواجز جركية تحول بالطمع دون تحرك المضائع ومثلها اد بها ترى نفسها عرضة لرسوم جركية هي اعلى بكثير مما كانت عليه عام ١٩١٣ ، إذ بلغت احياناً ٤١ بالمائة من قيمة المصنعة في اميبيا ، و ٣٧ بالمائة في الولايات المتحدة الاميركية ، و ٣٢ بالمائة في يورنيا ، و ٢٩ بالمائة في الارجينتين ، و ٢٧ بالمائة في اوستراليا ونيوزيلاندا و ٢٣ بالمائة في يوغوسلافيا ، و ١٨ بالمائة في فرنسا ، و ١٦ بالمائة في الهند . وبالرغم من ارتفاع الانتاج في كل مكان ، لشت المادلات التصديرية محدودة ومحصورة .

اجديد في توزيع
الاستثمارات في الخارج
و حيراً وليس آحرأ ، فقد اصبحت أوروبا بالسر والفقر يعسد ان
فقدت الكثير من استثمارات في الخارج . فالثورة الروسية ، والثورة
في الصين ، والحرب الاهلية التي اشتدت فيها ادت للقضاء على حساب كبير منها ، كما ان العني
الذي رفعت فيه بعض بلدان اميركا الجنوبية ، مكبها من شر ، بعض هذه الاستثمارات واصبح ما
سلم منها اقل مردوداً وعطاء ، فاهيك عن ان العزلة نحو لاستقلال التي جاشت بها معظم البلدان
دات الاقتصاد نصف الاستعماري ، خلقت جهراً من عديم الاستقرار لا تطمئن اليه هذه
الاستثمارات . ومن جهة أخرى ، فقد صممت الى حد كبير طاقات أوروبا الصناعية ؛ بعد ان
حتلت اميركا المرتبة الاولى من حيث الطاقة الصناعية ، كما ان عيوب كلفة الصناعة فيها مكنتها من
قرض شروطها على التصدير وإقصاء صادراتها الاوروبية على معدل من الربح ، ادى من
المتعارف عليه ، الأمر الذي سعد كثيراً من قدرتهم على الاستثمارات في الخارج ، كما ان الازدادات
غير الملحوظة ، لم تعد تؤمن موازنة حساب المدفوعات ، وفقاً لما كان عليه الأمر قبل عام
١٩١٤ . وهكذا هبط كثيراً عائص رؤوس الأموال التي يمكن التصرف به . وندن التي كانت
تستثمر في الخارج ، كثر من ١٦٠ مليون اسفوليني بين ١٩٠٧ - ١٩١٣ ، لم تعد تستثمر
اكثر من ٤٧ مليوناً بين ١٩٣٠ - ١٩٣٧ . وبقيت فرنسا بين الدول الكبرى اندالة في الخارج
غير ان استثمارات تكاد لا تزيد عن نصف ما كان لها منها ، عام ١٩١٣ . ولربح الذي تخمينه
لا يزيد على ٢٠٥ في المائة من ريعي في تلك السنة . وعلى عكس ذلك يرى الولايات المتحدة
الاميركية التي لم تكن استثمارات عام ١٩١٣ تثل سوى ٥ - ٨ بالنسبة من مجموع الاستثمارات
لدولية ، فقد رفقت خمسة اصداف منذ عام ١٩١٣ ، وسوق السندات الاجنبية في نيويورك
تتداول ضمني ما تتداوله سوق لندن . والسوق المالية الاميركية المتسعة اساساً بالطمع المحلي
عام ١٩١٣ ، احدث تشع لان ، الى جميع اطراف العالم ؛ ان ٤٧ مائة من استثمارات هي وقف

على دول ميركا اللاتينية لاسيا على جزر البحر الكاريبي وكوبا والارجنتين والشيلي ، و ٢٢
بالمئة على كندا والارض الجديدة ، و ١٨ بالمئة على اوروبا .

وعد التقدم تسعة اوروبا في هذا المظهر اصف كثيرا من وسائل العمل لدي واحد من
توجيه النشاط لاقتصادي في البلدان النامية ، كما أثر على سياستها التجارية ، وآخر نشاط لتجار
التصنيع فيها وعمل للحد منه ومن تأمين التنسيق بين رؤوس الأموال التي تصدرها وبين منتجاتها
الصناعية . كذلك سجل نموها السياسي تقمقراً آخر لحساب الولايات المتحدة الاميركية التي
قامت بتقديم قروض لكول من بولونيا وايرن . مما حل مصارف يونيا وايران على الاستعانة
بمشارين ماليين وميين اميركيين راحوا يشجعون بالطبع ، تغفل تجارة بلادهم في
ذلك الاقطار .

كانت اوروبا اعجز من ان تستعيد المركز التجاري الذي كان لها في
التجارة التجارية الجديدة - العالم ، قبل عام ١٩١٣ ، إذ جاء امتاجها ... يتراكب مع
انتاج آخر يقع خارج اوروبا ، استثمر نشاطا بدافع من الحرب ومن الاسعار المرتفعة التي
حظي بها خلال الحرب وبعدها رأساً . فقد عرفت ان تحتفظ بالمرتبة الاولى في التصارة
المالية ، الا ان حصتها انخفضت بصورة محسوسة فأصبحت ٥٢.٥ بالمئة مقابل ٦٣ بالمئة عام
١٩١٣ ، بينما ارتفعت حصة اميركا الشمالية من ١١ الى ١٧ في مائة . وحصة آسيا ارتفعت
هي الاخرى ، من ١٠.٦ بالمئة الى ١٤ بالمئة . وهذا التأخر يبرز في كل من الدول الصناعية
الكبرى في بريطانيا العظمى اذ انخفض فيها من ١٣.٩ بالمئة الى ١٠.٤ بالمئة ، وفي ألمانيا حيث
سقط من ١٣.١ الى ٩.٣ بالمئة ، وفي فرنسا حيث هبط من ٧.٢ بالمئة الى ٦.١ بالمئة ، بينما
ارتفع في الولايات المتحدة من ١٣.٣ بالمئة الى ١٥.٨ بالمئة ، وفي اليابان من ١.٧ بالمئة
الى ٣ بالمئة .

والبلدان المنتجة اقامت جميعها ، خلال الحرب ، إتصالات مباشرة مع زبائنهم وفارت
باستقلالها التجاري . فعملية التوزيع والعمولة وما من اسباب إزاء انكسار ، أخذوا في الزوال .
فالاصواف الاسترالية والنرويجية واغريقيا الجنوبية ومقاصع البلا أخذت تساع مباشرة
الآن ولم تعد سوقها قائمة في لندن . والصناعة الأوروبية كسب عليها التكيف وعلتضبات
الاسواق المستوردة : فهي تضع تحت تصرفها المعادن والمنتجات الكيماوية واندسوحات يدينا
هي بحاجة الى الآليات ووسائل النقل . وقد أقفلت في وجه اوروبا منافذ كانت مفتوحة على
مصراعيها من قبل ، بينما مثلت الولايات المتحدة لأميركية حيث الرسوم الجمركية التي فرضت
بحسب قانون فورني أصاب على السواء البضائع التي يمكن فسا انتاجها ، وعلى كل إنتاج
الصناعات الحديدية والنسجية ، بينما ضاقت منافذ أخرى واشدقت ، كالارجنتين مثلاً والبرازيل
اقتن لم تعد فعولان على اوروبا بأصغر من ٦٤ في المئة و ٥٠ في المئة من وارداتها ، مقابل ٨٠
و ٦٢ في المئة في عام ١٩١٣ .

قدما ما انعمنا النظر ملياً في توزيع صادرات اربع دول كسبرى من بين الدول المصدرة الواقعة وراء البحار ، نجد ان صادرات الارجهتين والبرازيل الى فرنسا ، بين ١٩١٣-١٩٢٥ مغطت ثلثي الثالث في الاول والى النصف في الثانية ، كما مغطت الى النصف والى الربع في ككلترا . والصادرات الكندية الى بريطانيا لم تعد سوى $\frac{1}{3}$ مما كانت عليه من قبل ، وكذلك صادرات مصر التي لم تعد تمثل سوى $\frac{1}{4}$ ، بينما كادت الولايات المتحدة تضعف وارداتها من الارحنتين ، وصاعقت اكثر من مرتين وارداتها من البرازيل ، وزادت مستورداها من مصر مرتين ونصف . وصادرات بريطانيا من الفحم الى المصنعين ، وحصد دعائم لاقتصاد البريطاني ، الى دول البلطيق ، انخفض الى الربع عام مدفوعة للفحم البولوني ، ولى النصف في آسيا ، والى اقل من الثلث في الشرق . اما صادراتها للفضة الى الشرق الاوسط ، فقد سجلت هي الاخرى تراجعاً ملحوظاً ببلد الثلث ، بينما سجلت صادرات اليابان والصين والهند عملاً . وفي نطاق المخرقات وانقود ، انخفضت صادرات أوروبا من الفحم بينما ارتفع سترادها من البترول .

والسوق الداخلية في أوروبا تراجعت مرها ، هي الاخرى ، بعد ان تعطلت تماماً حركة التبادل مع روسيا . وعندما عادت الاتصالات معها لم يكن من الممكن الوصول الى الرقم الذي سجلته سنة ١٩١٣ . وعندما امكن لأوروبا الشرقية ان تستأنف ، عام ١٩٢٥ ، سيرتها السابقة من التصدير ، قلص الحرب ، وحدت الأسواق في الغرب تحتلها مصنوعات مستوردة من وراء البحار . وعكس ذلك ، لم يمتد إنتاج أوروبا الصناعي ليجد ، بين هذه الاقطار ، سوى سوق محدودة الطاقة والصادر لمحمية تعريفات جمركية عالية ورسوم باهظة ، وحاجات أوروبا الغربية التي كادت تليها ، عام ١٩١٣ ، بنسبة متساوية ، بلدان أوروبا الشرقية ، والبلدان الاخرى الواقعة عبر البحار ، بعد ان تبدلت هذه النسبة وقدمت ، لتصبح ١٨ في المئة للثمة الاولى ، و ٨٢ في المئة للثمة الثانية .

٥ - المخطط المستمر

ان تحول مراكز الانتاج والتطورات الجديدة التي لحقت بها وحطت من شأنها ، حالاً دون نهوض التجارة العالمية ، وافضت الى انخفاض مزمن هائل فركود ، في لاقتصاد الاوربي وعدم تكيله وللتقصيات الجديدة ، فأديا الى انكماش ملحوظ في سواق الخامات بعد ان كانت أوروبا ، سوقها المفضل . وهذه البلدان التي فقدت الكثير من طاقم الشرائية أخذت بأسباب لتصنيع تحت ستر من الحماية الجمركية المنقذة الامر الذي ادى الى هبوط ملموس في الصادرات لاوروبية ، لا سيما في المنسوجات والاصناف المشقولة ، سيما أحدث الولايات المتحدة الامريكية ، التي كانت تعد ربنها الكثير من مهمات التجهيز ووسائل النقل ، قهرع الى زحزحة أوروبا في هذه الأسواق .

فالمجهود التي بذلت في سبيل إعادة تنظيم الصناعة ، والاهمية التي
انكفاه النظم الاقتصادية اولتها كل من فرنسا واسكترا لامبراطوريتها الاستعمارية ، كانت

اعبر من ان تحقق آمال التي راودت هذا الفريق الذي حلم ، عام ١٩١٩ ، بمودة اوروىا الى
المراكز القوية التي كانت لها قبل عام ١٩١٤ . ان دول اوروىا الرأسمالية تجد نفسها في حركة
انكفاء كلية بالنسبة الى ما كان عليه وضعها قبل الحرب ، فالرغم من الريادة الملحوظة التي حققتها
الصادرات الأمريكية ، والحجم الاجائي الذي غلبه امتصاصات المشغولة في التجارة العالمية ، بين
١٨٧٠-١٩١٣ والذي كان رد ثلاثة اضعاف تقريبا فائداً ، ان الانخفاض تشارف على الاحصاء
بلدان اوروىا وروسيا ، الدول الكبرى الثلاث التي قهمن مسج للولايات المتحدة الأمريكية ،
على التجارة الدولية .

فالوضع المتنازع الذي نعمت به بريطانيا اخذ يتدهى وظهرت عليه اعراض الضعف والمرضى
اثر ما أصيبت به صناعة التمدن عندها ، من تأخر وتقهقر ، وكذلك حركة التصدير التي
هبطت ، عام ١٩٢١ ، الى ٤٩ ، باعتبار دليل ١٩١٣ مساوياً ١٠٠ ، وبعد ان سجل ارتفاعاً
عام ١٩٢٥ بلغ ٧٥ ، عادت قهبطت عام ١٩٣٢ الى ٤١ / ومستوى الحياة لم يعد ممكناً المحافظة
عليه الا بواسطة ربيع رؤوس الاموال المستثمرة في الخارج ، كذلك فرنسا ، فقد سجل
اقتصادها هبوطاً ملحوظاً اذ ان العجز في ميزانها التجاري كان اكبر بكثير مما كان عليه
عام ١٩١٣ . فداد ما بقي ميزان المدفوعات لديها ، عام ١٩٢٩ ، عند المعدل الذي سجله بين
١٩١٠ - ١٩١٣ ، فانه فضل في ذلك يعود اصلاً ، الى الزيادة في الارصدة الناتجة عن حسابات
تتقدم بمدهبوط قيمة الفرنك . وفي عام ١٩٢٧ ، وهي سنة تشييت الفرنك ، اخذت الريادة
لتناقص تدريجياً ، وربع رؤوس الاموال المستثمرة في الخارج مثل بين ١٩٢١ - ١٩٣١ مبنياً
اقل ٥٦ بالمئة مما كان عليه في الفترة ١٩١٠ - ١٩١٣ ولا تعطي سوى ٧٢ بالمئة من النقص
تجاري في تلك الفترة ، بينما كان يمثل قبل عام ١٩١٤ مبلغاً يزيد ١٣ بالمئة عن هذا النقص

والمانيا التي جاءت مع الولايات المتحدة ، في طليعة الدول التي قامت
بتنظيم الانتاج العالمي وحملت دوماً على تحسينه ، حلت في المرتبة الثانية

بين الدول الصناعية . ومع ذلك ، فلم تستطع هذه الدولة الاحتفاظ بمركزتها في مجال الاقتصاد العالمي ،
إذ مثل انتاجها ٤٠ بالمئة من مجموع انتاج اوروىا عام ١٩١٣ ، فلم يسد يمثل سوى ٢٩
بالمئة من هذا الانتاج ، عام ١٩٢٩ ، وسوى ١٧ بالمئة من الانتاج العالمي ، هبطت الان
الى ١١٤٣ بالمئة .

وبعد أزمة المارك التي تعطلت فيها وعانت منها الامرين ، قاست كثيراً من نكسات رؤوس
الاموال لديها . ان بناء مصانع جديدة وحضرة عتادها وتحديد الذي اقتضاها امولاً كثيرة ،
وسر الفائدة العالي (حتى ١٨ بالمئة) كل ذلك جذب بالطبع اليها رؤوس الاموال الأجنبية
لتي تمثلت ، في بادىء الامر ، بقروض قصيرة الامد ، الا انه جرى منذ سنة ١٩٢٦ ،

تسديدها أو تحميلها بشروط باهظة جداً ، وراحت ألمانيا تعتمد قروصاً طويلة الأمد بلغت ٤ مليارات مارك ، عام ١٩٢٤ ، معدل سموي يساوي ١٤٥٠٠٠٠٠٠٠٠ مارك ، خلال السنوات التالية وراحت المدن و المؤسسات العامة فيها كالمصانع الخاصة ، تكثف من سندات الاصدار ، تحقيقاً لاردهار سطحي توصلت الي تحقيقه بواسطة طرح ملكية العقارات المتوسطة وتخفيض اجمالي للاجور الحقيقي عن طريق تضخم النقد ، من جهة ، وبواسطة قروض صحية جديدة ، من جهة اخرى ، جعلت البلاد مرتبطة بتسعينها للاحصي . وهكذا لم تلبث القوائد بالترب دفعها ان اصححت عنها ثقباً إذ بلغت ١٦٦ مليون مارك عام ١٩٢٤ ، و ١٢٥٥ مليون مارك ، عام ١٩٢٩ .

وقد حدث فيها بالفعل نوع من التضخم الصناعي . هذا التضخم الضخم الذي تجهرت به البلاد ، لا يمكن له ان 'يتج' في احسن الحالات ، الا اذا اشتمل بمعدل حاد ، اي الا اذا تمت امامه اسواق القصرىف ورحلت مجالات التوزيع . والحال دهالك عازى شاسع بين طاقة الربح الاقتصادية ، والاسواق الصالحة للاستيعاب ، ولذا شهدت البلاد اردهاراً مصطباً سريع العطب ، اي غير مستقر وقابل للتحويل في بلاد تعاني مريراً من بضاعة تضخمت صفوفها فبلغت المليون من العاطلين ، اي انه يصم عدداً كبيراً ليس له القدرة على الشراء والاحتضاع . والطاقة الانتاحية لهذا التضاد رادت بالفعل من حدة البطالة بحيث اقبل على سوق العمل اعداد ضخمة من الشباب ولدوا قبل عام ١٩١٤ ، في وقت كلث فيه حركة انواليد في البلاد ناشطة لاهية . وهكذا ، استبدلت ألمانيا بداً صامدة رجيصة لديها بوسائل للإنتاج وهذه كلثها غالباً ، اذ ابتاعها بأموال قترضتها من الخارج ففائدة عالية .

من الظواهر المركبة والمربكة والمرعبة ممّا لتفكك الاقتصاد العالمي استمرار الأزمة الزراعية
الأزمة الزراعية التي نجمت عن الانخفاض في الانتاج ، في هذه البلدان ذات الانتاج الواحد . فازدياد المحروون من لانتاج الزراعي وتضخمه المتزايد ، وهبوط الاسعار التي اقصى اليه ، جاء ضمناً على إمالة ، على مجموع المبادلات التجارية .

ان ارتفاع الاسعار بين ١٩٢٠ - ١٩٢٩ ، جاء بديواً بالخطر بين ١٩١٩ - ١٩٢٨ ، انخفاض سعر القمح الى ٢/٣ في كندا ، وثلث النصف في لولايات المتحدة كما انخفض سعر ابرة في ١/٤ والارز الى ١/٨ والقطن الى ١/٤ . فاللذان لزراعية المصدرة الكبرى للمحسوب والتي يتوقع توارث ميرها التجاري على السوق العالمية ، وجدت نفسها عرضة لتذبذب الأسعار وتقلباتها ، وهو بالفعل ، وضع بلدان أوروبا الوسطى على الاخص ، واميركا اللاتينية حتى وروص حصدوا بعضاً فزراعة القمح التي شططت في يربطاب خلال الحرب عادت القمحى من حديد اذ لم تعد تعد البلاد بأكثر من ١٥ بالمئة من استهلاكها المحلي ، حتى فردسا نفسها حيث الانتاج الزراعي هو في احسن حمية جركية ، ممافسد محاصيل لمستعمرات والبلدان الاحدية ، هارت في نهاية المطاف وتحكمت بالاموضاع . ففسر الارض العالمي وثمن التضاد التقني 'يرج' لزراعتين في كل من

بريطانيا ومانيا والولايات المتحدة ، باليونان الثقيلة ، بحيث ان ١٢٪ من الارض الزراعية كانت مرسية ، عام ١٩٢٩ ، مقاييس ٢٨٪ سنة ١٨٩٠ ومستوى العيش متدن جداً في الولايات المتحدة لدى نصف العاملين في الارض ، هذه الفئة التي لم تعد تفتح سوى ١١٪ من المحاصيل الزراعية التي تدخل الاسواق التجارية ، إذ ان إنتاج الوحدة من مجموع ريعهم لم يكن يعادل ، سنة ١٩٣٠ ، سوى ٦٠٠ دولار من المواد المعدنية ، عا فيه المواد لمدة للاستهلاك في المزرعة . وما كانت المزرعة يثقلون وبيع مجموع عدد سكان البلاد ، فهم لا يثقلون سوى ٨,٨٪ من وجهة الدخل القومي عام ١٩٣٧ ، مقابل ١٦٪ عام ١٩١٩ .

وفي رمة الحرب ورمات التضخم المالي ، يمكن لطيفة المزارعين التي تنال اهل نسبة من القتل والجرحى في الجيش ، ان تحسن أوضاعها بصورة مؤقتة إذا ما عرفت ان قفد من ارتفاع اسعار المواد الزراعية (لقائنا اذ ذلك) ، لإبعاد ديونهم . ولكن ما ان يعود النقد الى الاستقرار من جديد ، حتى يسوء وضع المزارعين من جديد ، من جراء ارتفاع معدل الفائدة وهبوط الأسعار . ولقد راح المزارعون يهاثلون بحياة الدولة لصاخمهم ، قتل ان لديهم ارادة عام ١٩٢٩ وثقوه بكلكتها عليهم .

ففي كل مكان تقف التعريفات الجمركية الى جانب الصناعة على حساب الانتاج الزراعي ، وفي كل مكان يبيع المزارع غلاله بالسعر الدولي ، بينما يراه يتنازع حاجياته المشعولة في الاسواق المحلية ، بأسعار محظما الرسوم الجمركية ، عالية . ومن جهة اخرى ، ان ارتفاع مستوى العيش يهضي الى الهبوط في استهلاك الحبوب على حساب اللحوم والأسماك والخضروات الطازجة والفرايج ، بينما الازهال على المتسوسات الاصطناعية يخفض من أسعار الملبوسات القطنية والحريرية .

أدى التضخم المالي في قروب إلى تفتية الرصع الذي الذي أحاط مثل فرنسا بالمزارعين ، إذ ساعدتهم على التخلص مما يرسفون فيه من ديون ، بينما بقي الانتاج باستثناء النبيذ والبطاطا ، على اسعار ادنى من معدل عام ١٩١١ ، في حين كانت المواسم اطلب مرموداً نوعاً ، ولم يجر تجديد قطعان الدشية باستثناء قطعان البقر . فالاستثمارات الصغرى هي في تسأخر مستمر ، والتشريع الخاص بتعويضات الحرب ، والتخفيض لاصحاب الاملاك في مقاطعات التي هكتها الحرب بالنساركة عن تعويضاتهم ، كل هذه العوامل قوت النزعة الى توحيد المزارع . فالاحصاء الزراعي الذي اجري عام ١٩٢٩ ، يساعدنا على تكوين فكرة صادقة عن فرنسا التي بقيت البلاد المثلى للاستثمارات الزراعية الصغيرة ، بينما هي ابعد ما تكون بسلداً من الملكيات الصغرى . فالابحاث الدقيقة التي قام بها آتين فايل ورنال أثبتت بشكل لا يدع مجالاً للشك ان ٧٣٪ من الاستثمارات كانت مساحتها اقل من ١٠ هكتارات ، بينما ١٧٪ تملك نصف المساحة المزروعة . فاداً ما وضعنا جانباً بعض المحافظات الاستثنائية ، كمحافظة السين والوازي مثلاً ، حيث ٤٪ من الاستثمارات الزراعية تملك نصف مساحة الاراضي

المستثمرة ، كان ٢٤ - ٢٥ ٪ من المستثمرين في المحافظة الاخرى ، ينصرفون بمساحات تساوي مجموعتها مساحة الاراضي الباقية مع الآخرين .

فالزروح من اريف الى المدينة ، كانت بالاحرى وقفاً على اصحاب الاحور والفلاحين والمرارعين ، اي من نصيب هذه الطبقة من أفراد الشعب التي تنحصر اكثر من غيرها ، بارتفاع اسعار الحاجيات الصناعية ، بينما هي تمانى اكثر من غيرها ، من ركود اسعار المواد الزراعية . اما الذين يقعون على ولائهم للأرض وينصرفون بلأعمال الزراعية ، يستثمرون اراضيهم مباشرة (٧٥ ٪ من المستثمرين عام ١٩٢٩) ، الا ان سوادهم الاكبر يتألف من صغار المستثمرين ، وبارسون في منطقة باريس ، استشارات ذات طابع رأسمالي ويخنفون بالتناهي بحاصيل طيبة . فالريف ، يشكو مما اوصا ، ازعاجاً وقعيماً ويلتسى حماية فعالة من الدولة .

الفاصل من اليد العاملة ادمى الاعراض البادية على تقهقر قوى الاقتصاد الرأسمالي

الاحسنة دوماً بالتأخر والتراجع ، هي بدون منازع ، للمائر لهدور من اليد العاملة في البلاد . ولأول مرة في تاريخ الحضارة ، تعطلت على الدثيرة ازمة من البطالة المزمنة ظهرت عرصها منذ عام ١٩٢٠ في اميركا ، لم تلت انت امتدت جذورها الى اوروبا . وقبل عام ١٩١٤ ، كانت البطالة حادثة جردية لا يؤبه له حتى في هذه الازمات المصيبة القصيرة المدى ، اذ لم تكن البطالة تتناول اكثر من ١٠ ٪ من مجموع اليد العاملة . والحال ، فقد عدم ١٩٢١-١٩٢٢ ، لم يكن معدل العاطلين عن العمل في بريطانيا العظمى وهو ٢٤ ٪ يريد قليلاً مما كان عليه هذا المعدل في السنوات التي سبقت الحرب قليلاً ، عاذاً به يرتفع فجأة الى ١٥ في المئة ، وبعد ان مرت الازمة لم يعد يسجل اقل من مليون عامل عاطل عن العمل (الشكل ٢) . وهذا الوباء الممدي حدد كل قطاعات العمل ، بدون تمييز . الا ان وطائفة تنافلت ، بالأخص ، على الصناعات القديمة المألوفة وتوكرزت في المناطق والاحواض للفعمية (شكل ٣) فقد عدت الولايات المتحدة الاميركية ١٤٠٠٠٠٠٠ عاطل عن العمل ، عام ١٩٢٠ ، وهو عدد ارتفع عام ١٩٢١ الى ١٧٥٠٠٠٠٠٠ عامل (اي ١٤٢ في المئة) من مجموع التشغيل في تلك البلاد ، من جراء الازمة ، مع زيادة مليونين عام ١٩٢٤ ، و١٦٨٥٠٠٠٠٠ عام ١٩٢٨ .

ما في ألمانيا حيث لم يزد معدل البطالة فيها ، عام ١٩١٣ ، على ٣٠ في المئة فقد هبط الى ١٤٠ في المئة عام ١٩٢٢ . الا انه اخذ منذ عام ١٩٢٤ يبلغ ١٤٢ في المئة حتى وصل ، عام ١٩٢٦ ، الى ما يوازي ١٨٢ في المئة ، اي نحو مليونين من العاطلين عن العمل ، ليهبط فيما بعد ، بحيث بقي ١٤٠٠٠٠٠٠٠ عامل عاطلين عن العمل في السنوات ١٩٢٧ و ١٩٢٨ و ١٣١٩ في المئة عام ١٩٢٩ ، اي في امان ازدهار البلاد الاقتصادي .

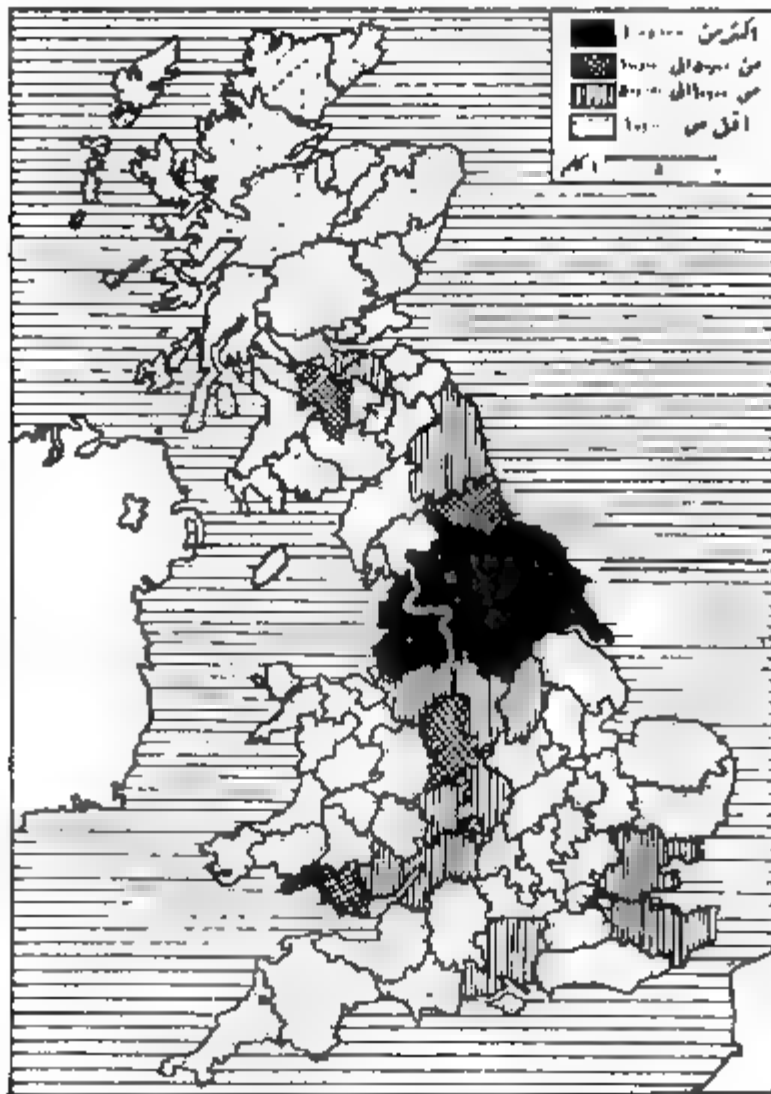
وم تنجح في معالجة هذا الوضع كل الوسائل التي بذلتها الحكومات التي اضطرت ان تتحمل اعباء مالية ثقيلة . فالتكاليف التي جعلت تمريض البطالة بقص بحيث شمل ، منذ عام ١٩٢٠ ،

كل المال ، أصبح التمويض للعامل بزوج بين ١٥ و ٢٠ شل في الأسبوع ، ولم يلبث بالتالي ان أصبح عبثاً أبهى عاتق مائبة السولة وموازرة بعض المدن ، كمدينة بلاكورن حيث ٥٢ ٪ من مجموع ٥٦٠٠٠ عامل ، هم عاطلون عن العمل ، او مدينة بوزمبي حيث ٤٢ ٪ من مجموع ٤٧٠٠٠ عامل . والبطالة التي تفعل فعلها الموهن في العامل وتقتل فيه العزم ، تسال عن الاخص من هؤلاء الشبان الذين لم يجدوا بمصهم عملاً منتظماً ، فاهيبك عن نتائجها الوحيدة على موازنة الدولة فقرحها ، وعلى الموازاة الخاصة لآخرى التي يترقب عليها مد يد المساعدة لنسبة كبيرة من السكان ، عاطلين عن العمل .

لا شك بأن البطالة في اسكتلندا ، عالجها من صفة لاستمرار وبما ضمت النظام الاقتصادي ' عرفت به من حدة ' هي التي استأثرت ، في الاكثر ، باهتمام اكبر بالاقتصاد وحللتهم على هزالة تفسير هذه الظاهرة وفلسفتها وردتها الى مسلماتها فقد ردتوها مجتمعين او مفردين ، نارة الى السمنة المتسمة لاعادة تقييم الحنية الاسترني ، هذه السياسة التي وضعت الإنتاج مقابل الاحتفاظ بسبق التبادل التجاري ، وحافظت على مستوى العالي للاعمار بالنسبة للمصدرين الاسانپ الذين اعدوا كثيراً من التصخم المالي ، ومنهم من ردها الى عزز ارباب العمل او عدم هليتهم للافلات من عاداتهم الفردية والتحرر مما يرسفون فيه من اعراف وساليب تقليدية ، وفشلهم في التكيف مع مقتضيات الانتاج الجديدة ومشروط المنافسة الدولية ، واحيراً وليس آخراً ، فعمل بعضهم بالسياسة الاجتماعية التي رمت الى ان تحمل العاطل عن العمل من اصحاب ' حل اجتماعي ' ، فقتلت الاعسائه التي يتلقاها من الحكومة فيه كل رغبة بالسمي وراء العمل . فقاد ما امكن الاحد بهذه التعليلات المناقضة فيما بينها ، ولطيفها على بريطانيا العظمى ، فلا يصح لمصري ، علاقتها على البلدان الأخرى التي تختلف وصاعها التقنية والاجتماعية والمالية ، اختلافاً كلياً عما يكتنف بريطانيا من هذه الأوضاع ، مع ان هذه البلدان تضررت بالمساوي والمآسي دنيا ، كالأانيا مثلاً ، والولايات المتحدة الاميركية حيث تميز ارباب العمل في كل منها بديناميتهم العارمة ، وحيث دعمت ادارة المصانع ، بتنظيم علمي دقيق للمصن وحيث كانت اليد العاملة لا تقني بحاجة الأولى منها ، كما كانت ، ففيض عن حاجات الثانية ، وحيث تمركز المتعطل عن العمل وشأنه ، لا سنده الا ما يتلقاه من مصدر خاصة ، كما هي الحال في الولايات المتحدة ، او كان يتلقى بعض المساعدة من صندوق الدولة ، كما هي حاله في ألمانيا .

وقد ردت بعضهم إجماع خادمة المهارة هذه واستمرارها الى الفقر الذي نزل بأوروبا . فليس من شك قط ان ما يلبث به هذه القارة من فواصل هائلة ، وما شهدت من هوارات القوميات السياسية والاقتصادية فيها ، وانتشار التقنيات الجديدة ، كل ذلك وما اليه حال ، الى حيد بعيد ، أو آخر ، عن الأقل ، المرحوع الى حلقة المقايضات التي رسمتها لحركة التعارية قبل عام ١٩١٣ . وهذه البطالة الموصولة للحلقات ، تطل علينا في بعض البلدان النامية ، وفي الولايات

المتحدة الاميركية ، بالرغم مما يتمتع به اقتصادها من ازدهار عظيم ومشاط عارم
فقد ما قصرت كل هذه الشروع والتعليلات من انهاء مدى هذه الظاهرة والمخيمات التي



مركز البطالة في اسكتلندا عام ١٩٢٨

ذكر

لنفس عليها قسمتها ، أما يكون هذا امام بطالة من طابع خاص لا تنأى فقد عن الذبذبات
الدورية التي تهل بالانتاج ، بل عن تغييرات جذرية راسخة في اقتصاد المعالي * بعض هذه
التغييرات التي دلفنا عليها بشمل في المخطاط اوروبا والدات ، هذا لاخطاط الذي يجب رده الى

فقدان التورن السريع العطب الذي جاء في مصاحبة عدد صغير من اسرل الاثيرة، هذا التوازن الذي قام على توسع العمل لوربعاً بثناقص والتوزيع الجغرافي للثروات الطبيعية في العالم . ويطلع علينا بعد ذلك المرحلية والتنظيم العلمي الدقيق للاستباج ، فاستبدل المنافسة الحرة « برأسمال يتألف من وحدات ضخمة ومن استثمارات مستبدة لحاجة » ، لتحدها نوعية عارمة الى زحزحة ، ان لم نقس الى رمسط هذا السديم من لشروعات الصغيرة بمعلمته الصاخبة . فهذه الشركات الكبرى التي تقوم الاقتصاد وتوجهه الآن وتتحكم به ، لا يمكن لها ان تزدهر وان تمشط الامع ممكنة في غاية الدقة من لائقان ، ف من السماء ومن الطاقة ما تؤمن معه انتاجاً بالجملة ضعماً ، يتعاظم جمعاً وقدرأ وشأناً مستمراراً له من طاقة لا تنتاج ما ليس في وسع الاسواق الوحدية المحدودة القدرة الاستهلاكية ، استيعابه وهذا لانتاج الضخم ، لم يعد بالامكان نصريه في فتوحات جديدة ، اذ ليس ثمة من اراضٍ لفتح وتمشتر ، كما في الماضي ، ولا في البلدان النامية التي هي من ضعف الطاقة وصر الوسائل ما لا يستطيع معه قط ان تصح اسواقاً واسعة .

هناك ، والحالة على ما وصفنا ، تصاد قائم بين طاقة منتجة آخذة بالامتداد والتوسع مستمر ، وبين سوق ضيقة المجال ، قصيرة المدى ، سواء بسوء ، مع سكان يند او قطر آخدين بالنمو البطيء ، في نظام اقتصادي يصب على الريح ، نظام يحاول ان يخفض معدل الكلفة باحلال الآلة اكثر فاكثر ، من الانسان ، نظام يقوم احد اركانه باستثمار البلدان الواقعة عبر البحار في وقت فاحذ فيه هذه البلدان تطالب باستقلالها الناشز

وبعد التناقضات لم تظهر بعد ، يوصح ، لا لازمها من مصاعب وصاحبها من مشكلات كما بررت يحلاء الأوروبيين ، فاعتبروها عهداً من الزمان ، لدى مقارنتهم لها بالمصائب التي انهالت على العالم في فترة السنوات العشر التالية . ففي اواسط العشرينات فقط ، قطع رحل الاعمال ورحل السياحة ، كل أمل لهم بالرجوع تلقائياً الى الحالة العادية او الطبيعية للاعمال ، اي الى التوسع المستمر فيها . واذ ذلك ، راسد لجنة بلفور ، في سكتلرا ، عام ١٩٢٤ ، ومؤقر حنيف الدولي المعقود عام ١٩٢٧ ، ولجنة التحقيق الألمانية سنة ١٩٢٩ ، تحارون ، كلام من حميتها ، البعث ، مما بعيد النشاط الى التجارية العالمية . ان انتباههم قسمر بنوع خاص ، على مشكلة تداول النقد ، (الامر الذي ادى الى اتباع سياسة انكماش النقد مما زاد الطين بلة والبطالة تعقيداً) وليس الى توسيع الاسواق الداخلية والخارجية . وهكذا ، بقي التشويش قائماً بين ١٩٢٦ - ١٩٢٧ وبدت بانثالي ، في الافق ، علامات احتقان السوق العالمية ، فالصادقة الصناعية ردت قوتها ٥٠٪ عند عام ١٩٢٣ ، والانتاج الزراعي سجل زيادة لا تفص عن هذا المعدل بشيء ، والعرض زاد بدوره على الطلب . فالنظم بأجمعه اصبح تحت رحمة هزة جديدة ستاتي اعنف واهمى من لهزة التي وقعت عام ١٩٢٠ .

الفصل الخامس

البحث السياسي والاجتماعي

« جاز التكاليف على السلع والاستثمار بما لم يسبق له مثيل من قبل في شكل ما شاعدا من نزعته » نتيجة مستمرة لازدياد سلطة الدولة التي حالها دعيت « لدواع اقتصادية » ان للتدخل في شؤون المنطيات القرية ، اقتصادية كالت ام عمالية ، او بروتينارية ، والتي كان في مقدورها ان تخرج الى الحروب ، هذه او تلك من المنظمات المذكورة . فم بعد الامر وفقاً قطع على من القوى الاقتصادية ... »
لوسيان فير

سورة بما حدث في اعتدب الثورة الفرنسية وحروب الامبراطورية ، راحت الرعدة العمة في السلام والحرب من ثورة الى ثورة الثورة الروسية ، يشعمان العلم الرأسمالي على اقامة نظام محافد ، وهكذا دخلت الديمقراطية في أزمة حادة في هذه الوقت بالذات الذي راح فيه حصرها التقليديون - الملكية العسكرية - تمهال الواحدة بعد الاخرى . ولم يكفر انه لم يقع اي إصلاح حذري ، بل راحت الطبقات العليا تشدد من قهرتها على السلطة ومن احتكارها لها ، مما ادى في الواقع الى دفع قوية ضد المادى ، التحررية التي طلع بها القرن التاسع عشر .

١ - القوى المحافظة

الثورة الروسية في الوقت الذي كهرت فيه الثورة الروسية حامداً محترماً من الطبقة المالكة ، اثارته هواجس الطبقات الموحدة . فكما حدث بين ١٧٨٩ - ١٨٠٠ ، رح النازحون عن روسيا يروون المحاسن والفراش من العظائم والاستباحات ويصفون بمعارات ملوها بالاسى والاسف ، الفن والاضطرابات والاسى التي وقعت ، بعد ان جثموا وصغموها وشوهوها ، مما بشروا عنها في الصحافة وانتشروا حولها جواً من النفرة

والملح ، غسوا فيه - من قرب ر بهيد كل من يشتتم منه ميل قلبها او حذب عليها .
 فالأفانيس المروية حول « الملح الآخر » والمعلومات التي لا تصدق التي روجوها عنها
 « كنأيم المرأة » ، أوجدت بين الناس حالة من « المستغيا الجماعية » برى صورة عنها في ما
 قصه لها عنها فوسا ربا دالس عندما يصف لنا الجلسات التي عقدتها لحسة التحقيق في مجلس
 الكونمرس الامركي حول الدعاوة الشيوعية ، عام ١٩١٩ . « هؤلاء الشهود الذين كانوا على شيء
 من التحفظ والحذر في آرائهم » كما يقول ، لم يدعوا للشهادة ولا من رعب في الاستماع اليهم .
 قلندسات الى « الثورة العالمية » ، واطهالة « بجمهورية دولية للسوفيات الشيعة » ، كل هذه
 الشعارات هدت في الناس « الرعب » لا كبر . فالنور الذي لعمته الدولية الثلاثة التي اطلقت
 هذه الشعارات اصبح يشار اليه بالبيان « في كل فتنة يقوم بها الميل » وفي كل مطلب اصلاحي
 يلوحون به امام لانظر .

الروح القومية وهذا الملح وجد حلقا له وشريكا في هذه الروح الوطنية التي
 تجلت قابضة جياشة ، سواء في هذه الدول الحديثة المهد
 بالاستقلال التي ألغت بمظاظه كل اذ لسيطرة الاجنبي - عن طريق نزع الملكية او الإبعاد او
 تعبد معاهدات لاقيات تنفيذاً حزنيا - او في تلك الدول التي عجلت على امرها ، قاعدتها
 بلولة ذرية تثار فيها لشرفها ، او عند الدول المنتصرة نفسها حيث يلحق ترحيماً حاداً لدى
 كل المحافظين التقليديين ولدى الامبياء الملين .

اما الولايات المتحدة ، فقد لبست الردة فيها مظهر روح قومية بروستانتية ، بيوريتانية
 متزمنة ، ردلت كل ما هو غريب ، وكل ما ليس « اميركي » مائة مائة . اللويين واليهود والكاثوليك
 والاشتراكيين والمصلين ، على السواء . وهذه الروح « عجج كل ما ليس بفكر اميركي وتتجسم
 على أمثل ما تكون » في منظمة ككلوكس كلان التي بقيت « بعشت من عديد في جنوبي البلاد
 والقرب والغرب الجنوبي » بعد ان لقيت تصطف كبراً وراقت لمطلق صفار التجار وصغار
 اللور حوازيين وصغار المسلاكين ، فأثارت في البلاد هيجاناً ضد لزواج « في المدن الصناعية في
 الشمال » كما تركت اثرها في التشريعات الرابعة الى تحسين النسل والمحافظة على الجنس التي ظهرت
 في ١٩ ولاية من لولايات الاميركية ، للحد من عمل العذات التي تعمل على هداد العرق الاميركي
 وإفساده ، كما تدخلت في قوانين الهجرة والاعتراب ، عام ١٩٢١ وعام ١٩٢٤ . وهذه الروح
 التي سيطرت على البلاد تقصر اما كيف صدر قانون تحريم المشروبات الكحولية (قانون فولستيد
 عام ١٩١٩) الذي حظر تدريس نظرية التطور والارتقاء في المدارس الرسمية في بعض الولايات
 (نسي ، كشتاكي ، فلوريدا) ، كما كانت هذه الروح بانذات وده سياسة العرلة التي رفضت
 اقرار معاهدة هرساي وبعدت لولايات المتحدة من عصبة الأمم .

اما في فرنسا ، فالروح لوطسة التي استطرت قبل الحرب وحاشت في النفوس توثافة
 القثار ، فطرب لرؤية العلم والجيش ، والتي تتمثل حير تمثيل يراطة المواطنين ، وبالعامل الفرنسي ،
 اخسدت قتشرو توسع حلقاتها بين رجال الفكر الفرنسيين وبين رجال السياسة ، يعذبها في

النموس ، نشوة النصر والظفة لاحتلاكها إمبراطورية استعمارية تضم من الطاقات وابعاد مسا
يدمى ويسج ، يدعدها الحلم الذي يحول في روع البعض برؤية فرنسا تضم دالة مليون نسمة ،
والشعور بأن ثمرة النصر ذهبت جرافاً وراحت بدلاً بعض نفوس عربية احسية مسودة ، وفريق
أخرى أموج من الساسة الفرنسيين ، كما ان الخوف من الثورة البلشفية بعثت في صفوف اليمين
الذي يحيش بمواجهة قومية غلاية ، عذراً لاحتكار مفهوم الوطن ، ضد هذه الحركات التي يبعثها
اليسار المتهم بصلاوة مع الدولية الثالثة . وهذه الروح القومية يلتفت حولها رجال الاثيروس
والجيش الذي أصبح يعوده اقوى من أي وقت مضى ، والظقة النورحوارية العليا ، ولتخلص في
صفوف هذه الطففة من ابناء الشعب التي جعلتها الاصرابات المتكررة تتططف مع اليمين ، كما ان
الحركة النقابية دانتها والجميات المهنية والمطالب العمالية التي تترع للحد من سلطة رب العمل
لمطقة في مصنع ، وللدحول في معاوصت معه على اساس التساوي ، وكل اسين يستجيبون
للشعارات المصادة للديموقراطية ، او المعارضة للروح البرلمانية او المعادية للوظففي الذين يفتون
النقابات وكل ما يث الى الاشتراكية بسب ، وخيبة الامل التي سبقتها معاهدات الصلح ،
وموقف اذنيا ، والصعوبات التي آثارتها قضية دفع التمنوضات ، كل هذه العناصر حملت على
التفاف حاد كبير من رأي العام حول برنامج عام هدف الى لاكثر من التسليح وجمع الاحلاف
والوقوف موقف الحدر من عصدة الامم ، واعتماد سياسة التشدد والحزم ، والتفبد بتطبيق
نصوص الموائق ، والمعاهدات المعقودة التي تنص على انصباط وطني آمر يعتمد على تسلسل
اجتماعي والدفاع عن القيم الوطنية .

اما في الماييب ، فقد لقيت الروح الوطنية معدياً لها وموقفاً في فسوة الشروط وحرمه
الايصاع التي فرضتها عليها معاهدة فرساي ، وفي هذه الروح الالمانية المستكبرة المستطعية التي
تصاغت امام الحسف الذي نالته في الحرب ، واصطارارها للنزول عند رعات شعوب طالما
نظرت اليها من على امتحانات وارءاء ، كاللؤلؤيين مثلاً ، والمادة ٢٣١ من معاهدة فرساي
التي تخرج امانه على الاعتراف بمسؤولياتها في اطلاق شرارة الحرب كما ارغمتها على الاعتراف
بانتمالها اساليب بربرية ودرائع وحشية في النهوض بها . وقد وجدت هذه الروح غذاء لها في
هذه المعايي الجاهدة التي قام بها فريق من الفرنسيين لاقضاء على وحدتها باقتطاعهم اثاره حركات
بعضالية ، وفي السياسة التي انتهجها بواسكاريه بتطدقه المعاهدات المعقودة نصاً وروحاً ،
وباحتلال فرنسا المرمكفورت والبروهر ، وسياسة الاحلاف التي تبعتها فرنسا منبهة امامها
بضرب نطاق حوها يسهن معها التعمك بها ، وهذا الجيش الذي لم يهرم بل راح ضحية طعمة
حنجر في الظهر ، فصاوت المعاهدة الحد من قوته وبطشه ، واندي يحاول بكل الوسائل
المشروعة وغير المشروعة ، لحفاظ على تقاليد العبيدة والبقاء حياً قوياً بعد ن يتكاد من
وسائل التمويه والتممية والتصليل ، وحول فرقة اللتيكوم التي تتألف من متطوعين احمر ر
اولاً ثم حول تشكيلات عديدة شبه عسكرية قسمت وراء مظاهر غرارة ، فراحت الروح

- والوطنية الألمانية تقضي المفوس روح الثأر كما تفنذي فيها روح المدماء لجمهورية ويمار ننت الثورة التي فرضها الاحمي ، والتي وقعت في معاهدة عرساي الظالمة ومقابل لفرق من رجال السياسة ، لا مكانة لهم ولا شأن ، راح الجيش من جهته ، وارباب الصناعة الضعفة من جهة اخرى ، يشجعون المنظمات القومية التي تختدب اليها ، تصار الملكية الذي كان عددهم كبيراً وحصرهم الشيوعيين ، واعداء السامسة ، والوطنيين المناهضين للديوقر طيع ، وهذا العديد من الهبات الشعب ، حسق ومجلس الجمهورية الزينغ ، وهب على البلاد ثمار فكري عامض المعام يتميز بمخاضته للأسمالية والسامية والليبرالية والروح الفردية والماركسية تدور حول فريق من الكتاب وعلماء لاقتصاد الذين يحمون الى ذكريات الماضي الذي انقضى ويبرضون عن حاضره بحث الانقضاء والاسف في النفس ، مثال وبرت ميمارت ، رسول الاشتراكية الالمانية ، واوروالد شمبلر ، صاحب الكتاب المشهور « هروب العرب » و مولر فان دن بروك الذي طلع عليه ، في كتاب الموسوم « الرايخ للشاسات » الصادر عام ١٩٢٢ ، بنظرية صفاء الدم او العرق ، واجهاد وبحرية الرأسمالية الدولية والسود ... وكلها مبادئ تساهها كتاب « كفاحي » اندي ظهرت طمعت الاولى ، عام ١٩٢٥ ، والذي بقي من الرواج واصاب من الانتشار والشيوع ما جعل منه خيراً مداماً .

وفي ايطاليا اتخذ التيار القومي الذي حرر الامة الى الحرب رغماً عنها ردة حديدية وارتدى مشاعراً واحراً من حراء حمية الامل التي مستها له معاهدات السلم . فقد كانت ايطاليا احدى الدول التي عادت عليها اطرب نفوائد ومكاسب حمة ، منها مثلاً ، ضم تربست ومقاطعة استريا ورايت فتمت بذلك وحدتها الجغرافية فانضمام اكثر من ٢٠٠,٠٠٠ الماني واكثر من ٥٠٠,٠٠٠ كرواتي وسلوفي و احتفظت لنفسها بحرم دوديكايز التي يقطنها يونان ، كما كرسست المعاهدة روال منافستها الدولود وعدوتها الكبرى : النمسا والمجر . وقد ساهما حدة عدم تطلسق الاتفاق المظفود ، عام ١٩١٥ الذي تعهد لها باعطائها دلتانيا ، وهدم مشاركتها ماقتسم حركة السلطنة الثمانية ، والامبراطورية لاستعمارية الالمانية . وقد وجدت الروح القومية الايطالية امامها فرصة ذهبية لاستغلال بحقد الحقي المتجمع في القلوب من جرء ارتفاع الاسعار واشتداد البطالة في البلاد ، والقلق الاجتماعي الناجم عن الاضرابات واعتصامات ، ولاضطراب السدي على ارباب العمل من تصرفات البروليتاريا المنظمة . رد دالاي سنة ١٩١٩ ، استندلت كتابات العمل الثوري التي رأت النور عام ١٩١٥ . معها باسم كتائب المعركة الايطالية ، فاحتدمت اليها متطوعي غيريل داولزو ، واتخذت بشن هجمات ثأدية ضد القبيين والاشتراكيين ، والكانتوليك الشعبين ، وبالتواظف مع الحكومة واخيش حامت موسوليني الى الحكم .

وفي اليابان حيث يسم قعدة الجيش بلفود قوي ، قامت منظمات وطنية ذات نزعة حربية رادت هذا القود وسوهاً ووحدة من هذه المنظمات جمعية الحشد الشعبي ، والجمعيات المتأهضة للرأسمالية يعصدها صغار الصباط الذين يعودون الى اصل وصيغ ويفقهون جيداً ما

يعني عندهم ضغط كبار الملاكين وشركات الاحتكار على أسرم وهوائهم ، والنشاطات السرية الصديق الاخرى كمطلة « التين الاسود » ومنظمة لاحتياطي وغير مما ظهرت « داك » عمل اعدها دعاء مثل العروسية والبطولة البامدة عن الرشيد وعن عبادة الوطن العمياء التي هذتها في العوس الحروب المظلمة التي قادوها ضد الصبي وحسد لروس ، والاميد بأن « التينو » او الاميراطور هو ان الالهة ، ولاعتقاد لراسخ في الدهوس بأن البان هي محور العالم ونقطة الدائرة فيه . وفي احتقارهم الشامل لاعضاء البرلمان الذين لا سلطة لهم ولا شأن ، وللحزب المتكسكة ، والسياسيين الفارقين في الفساد والافساد ، راحت طيناث والنظريات تصفي بالقتل كل من تمترهم خربة (وهكذا تم اغتيال لرئيس هدارا عام ١٩٢١ لأنه وقع اتفاق واشطن) وراحت تعدي في القلوب والدموس متسالية تقول بالحاممة الياانية ، على حرار الحاممة الجرمانية .

تنوعت مظاهر هذه الروح القومية المعادية وتلوت اهدافها من مظاهرها العنصرية او العرقية الرئيسية مثلاً : العرقية او العنصرية التي قنعوني على عداة ارق حذري للاجناس السفلى العارية . وقد بررت هذه البرعة في الولايات المتحدة الاميركية حيث لعب التمييز العنصري كل المارين ، في اي قطاع كانوا من قطاعات البلاد حتى في نقابات العمال التي حظروا عليهم دخولها كاعضاء والانتساب اليها ، وبصورة احف ضد اليهود ، وهي نزعة امتدت الى امريكا الجنوبية حيث اشته التمييز العنصري بين البيض وبين سكان البلاد الاصليين ، الذين تم حشدهم وتجميعهم في ماكن فقيرة ، بينما حذو بأحبيد الارض وأجورها للبيض . وعلى هذه السياسة العنصرية سارت كل من ستراليا وريلاندا الجديدة لثنا اعلفت مصادرها واماها دون كل هجرة سيوية اليها (اوستراليا البيضاء) ، لا تلب الا بصوبة كلية لكل هجرة غير « ككولوسكسوية » .

من اشكال هذه للعنصرية وألوانها ايضاً مصادمة السامية ، وهي نزعة ارتكضت بها احشاء اوروبا الوسطى كما جاشت بها اوروبا الشرقية حيث يكثر نسبياً عدد اليهود لاسيا في انصارف والتجارة والاساعد الفكرية والمهن الحرة . وروح صغار النورحو زيبين والواساط لأكبركية يتهمون اليهود « بتجسيد الرأسمالية الحديثة في بعض مظاهرها » ، كما اتهمهم بلعب دور حادهم بين الاحزاب الثورية . ففي بولوبيا ورومانيا حيث اندول الكبرى فرحت على هذه البلاد إعطاء الجنسية البولوية والرومانية لليهود بصورة آلية تلقائية ، كثيراً ما رى من بيدم الربط والحل في هذه البلاد يحالفون القانون ويتصديرون حكاهم في ما يتعلق باليهود . فيوسعون لهم من أسباب العنف والتفخيص حتى ادبايح بالهجة وفي المانيا حيث لا يمثل لليهود سوى نسبة ضئيلة في السكان حتى بعد دخول ١٠٠٠٠٠٠ يهودي اليها من اللينويين والدولويين والاوكرانيين ، لما زالت دعاوة ماكرة بعيدة تنتشر صدم لاسيا في الرنشر بروتوكولات حكاه صهيون ، تجعلهم مسؤولين عن كل المذابات التي تقامي منها البلاد ، كما تمزو اليهم تدبير مؤامرات ودسائس في

الغناء ضد المجتمع لاثالي - وقد استندم الحقد على الاخص ضد هؤلاء اليهود الذين يؤجروا لها من الشرق الذين يتفردون عن سواهم بلعنهم وعط عدشهم ولا يسجد صدار التجار منهم - والامر يجري على الوثيرة ذاتها في فرنسا حيث صاهصة السامية تؤلف منذ حوادث دروسون ودر يعوس ، احد المواصبيح التي تغذي اندماء وطنية

دور الصائس
وهذه الروح القومية التي اخذوا يردوها ، استخر فأكثر ، في مصالح لهاطين والمصالح الاقتصادية الكبرى بدأت حركة تقارب من الكنيسة - فالباوية التي تغيرت بموقعها الجدي التام في الحرب ، والتي ظهر عليها الخزع من احتمال انكسار الدنيا والسما والحر ، اخذت منذ عام ١٩١٩ ، تراخه مشكلات حاده . انت انقيجار الملكية المردوحة - وهي الدولة الكاثوليكية لمثل - وصم طبقات كاثوليكية في دول اكثريتها قتال من لارثودكس (رومانيا ويوغوسلافيا) ، م يعوض عن قط بيت دولة يولوب الكاثوليكية . ولا اضافة الى ذلك ، ان خلوع دولة جديدة ، معروفة بعداها المكشوف للعقائد الدينية ، راد كثيرا من هواجس البوية ومحاربا فراحت تحاول تكيف نفسها مع الظروف الجديدة عن طريق لقوة مركزيتها ، وذلك بقدرها الحق القايوي الذي باشرت بوصه عمام ١٩٠٤ . فالتوحيد لدي احرقه في الليتورجيا ، وفتح المرد من الاكليزيكيات والمعاهد الوطنية في روما ، ومحاولة تحقيق الاتحاد مع الارثودكس ولاسكليكان بواسطة طائفة والاونيات ، كما حاد في البرمة لوسولية (كنيسة الله) الصادرة عام ١٩٢٣ والتي تؤلف بداءهم بهذا المعنى ، وعقد اجتماعات دورية بين رجال اللاهوت ، من ارثودكس وكاثوليك ، في وطر ، وبين كاثوليك واسكليكان ، في مالين ، عام ١٩٢١ ، و ١٩٢٦ ، وتقوية بمؤفا بواسطة الصن الكاثوليكي اندي يترج في بشاء احزاب طائفية في كل يد ، والي تنشيط الممس الرسولي بواسطة المديسين في لاطساط التي يتمون اليها او يعملون فيها - وخبراً حدثت تقرب من الحكومات ، و رحت تتعاون معها وتنفذ معها معاهدات تحالف . وهذه لافئة من المورجوارية التي اخذت على نفسها ، قبل عام ١٩١٣ ، لدفع عن متيارات الدولة ، جمعت من غاواها ضد الكنيسة فوصعت جاساً للفونين التي تتعلق بالكنيسة وعرفت عن فكرة فصل الدين اساس السباسة التي رسمتها للمستقل ، وحادت تدلل عن استعددها التام « قتلخلي التناحر عن الفلسفة التشريعية ، التي عمل بها ووصعت موضع التمييز ، منذ عهد قريبا .

والنا بيوس الحادي عشر الذي عمل سنتين سميلاً بايوياً في بولوبيا ضد تأسيس هذه الدولة وحلال حربها مع روسيا ، والذي بعثت فيه تجربته هذه وخبره الواسع ، الرغب من البلشفية ومن الافكار الثورية التي تحملها ، اسن سياه عقد معاهدات بين الكنيسة والدول التي تصمن للكنيسة امتيازات حزبية ومنازع محترمة . فمقد ١٥ معاهدة دينية تنائية الطرف ، بين ١٩١٩ - ١٩٢٩ تم عقدها بين ليتونيا وبافاريا ، وبولوبيا وفرنسا وبيتوانيا وتشيكوسلوفاكيا ،

والبرتغال وإيطاليا ورومانيا وعلى الأجمال ، تكبر من هذه المواقف ، ولو بصورة ضمنية على الأقل ، بعض أحكام الحق القانوني ، كما أن بعض هذه المعاهدات يحمي النص الحرفي للحق القانوني . وتوجب اعتياده والتقيده به لدى لاقتصاد ، و « يرجع إلى نص الحق القانوني بالذات في كل شرح أو تفسير يعود للمؤسسات اديبية » فالاساقفة يسميهم البابا بعد استشارة شكنية للحكومة المختصة فتقطعهم الدولة ملكاً كمنسباً بشكن وقف أو بشكل معاش تدفعه لهم الدولة ، وتسمى مدني المعاد من كل رسم ، وكذلك الكليريكيات والاسقفيات كما يعمون من الخدمة العسكرية ، وتقوم لهم الدولة كل سلطة في سبيل تمديد أحكام الحاكم الروحية الصادرة بحق الكليريكيين الذي يجري ، تسبب من الأسب ، فصلهم من الخدمة أو طردهم من السلك ، كما تمارت السلطة لرمية ، بمقدور اروج التي تعقدتها الكنيسة وبشكل ما يترتب على هذه المقود من تسات قضائية ومسؤوليات كنسية ، وتأمين حرية التعليم الديني مع مراقبة الاساقفة للتربية الدينية والادبية في المدارس الرسمية ، وحتى تأليف الجمعيات والرهبايات الدينية ، الخ . وقد رأت هذه السبب تمامها وإكمالها بعادة التمثيل الفرنسي بدرجة سفير لدى الكرسي الرسولي ، وكما تمت المصالحة مع الدولة الايطالية بمقد معاهدة اللاتران ، عام ١٩٢٩ ، هذه المعاهدة التي عادت ايطالي إلى الله كما اعدت الله إلى ايطاليا ، كما أنها اعترفت بدولة الفاتيكان . والدولتان الاوروبتان اللتان ذهبت بمبدأ في سياستها المناهضة للكليروس ورجالها ، اتتا الدليل الفاطح على التمسك هذه السياسة وعلى شجتها .

ولمشل الكنيسة في ميركا ، سواء أكانت بروتستانتية أم كاثوليكية ، قوة محافظة لا يستهان بها ، وتتمتع ، إلى حد بعيد ، مع الحكومات الشرعية في أوروبا ، لاسبب مع الفاشية ثم تعدلت ، فيما بعد ، مع نظام فريديكو في سبانيا وسالارار في البرتغال ، وهذه الكنائس تحرص على الظهور بتمسكها الشديد بالقومية الامبركية وبتمانية قنفذ كل حركة اصلاحية احتجاجية شتم بها مجاعة اميركا أو تخرج عن الطابع الاميركي وتقس من قريب ، أو بعد ، نظاماً سياسياً يقوم على مبدأ الكسب لمشروع .

ان تعاضد دولة المؤسسات النظامية القائمة ضمن طبقة العمال
ازمة الديمقراطية البرلمانية

والقوة التي ساقته الثورة الشيوعية المصدية ، أدت إلى تطورات جذرية داخل النظام الديمقراطي الليبرالي . فطالما تعاقب على الحكم احزاب محافظة مهما كانت شكلها ولونها ، متعقة فيما بينها رأياً ونظراً حول المبادئ الاساسية العامة ، أي حول المبادئ الاساسية لمجتمع الشري ، كان من الطبيعي جداً ، وأيم الحق ، أن تلساب هذه الاحزاب على الحكم دون أن تخشى الوحدة منها أية مفاجأة أو أن توجس شراً من موقف الاخرى التي تحمل محلها في الحكم ، بأن توجب صرية قاصمة لنظام الملكية . اما الآن ، ولم يؤد امامنا حزاب من نوع أو جنس واحد ، بل نحن امام طليقتين معاندتين متضادتين ، اما الآن ، ولم تعد الطبقة المالكية لتفصح باصلاحات حرثية تحققها تدريجياً ، بل تحاول ان توسع مفهومها .

الديموقراطية ولما دلت العامة بحيث تعادل الجهالين الاقتصادي والاجتماعي ، وان المطالبة باصلاح اجتماعي يحتمل ان يتم بقوة شاملة ، موضوع حديد وما يكنه من احتمالات مرعبة يؤلف خطراً جدياً في الصميم النظام الاجتماعي القائم . فالنور اخذ يشتد ، كما ان العتمة الحاكمة اردت تضاء في تحفظها وتخوف ، للوقوف في وجه كل اصلاح يلماول الاساس فهذه الهيئات تنحلي عن الاساليب التقليدية التي اتعتها لترغم الحكومة على انتهاز سياسة فأحد على نفسها الدفاع عن مصالحها ، وهي قد هو موطن النظام البرلماني الاحتمل ، روح عضو اشتركي محتدل ، هو هـرونـدج لاسكي ، يتساءل ، وما ان وهي حقيقة هذا التناقض ، ما اذا كان بالامكان ، التوفيق بين الحركة المالية التي ترمي الى ادخال تطوير حديري على الهيئة الاجتماعية وبين النظام البرلماني الذي للتسامي طليته وهذا التطور . ومن جهة اخرى ، لمشروعات الاستعمارية الضخمة التي تشرف او تهيمن على الصناعات الرئيسية لها من القوة والطاقة ومنها من مرحة العطب ما لم يكن له من قبل ، اذ ان ردها هذه المشروعات يتوقف ، قبل كل شيء ، على السياسة الاقتصادية التي تنتهجها الحكومة ، والتي تستطيع ان تشجعها كما تستطيع ان تحد منها عن طريق التشريعات الحركية والصراعية والاجتماعية والنظرية الليبرالية التي كانت تنمى من قبل ألا تتدخل الدولة في الشؤون الاجتماعية والاقتصادية ، عما امرها الآن ، اذ اصبح من اللازم ، اليوم ، وضع الدولة في إطار مصالح الطبقات المتحركة وادخالها في هذا الإطار ، لاستثمار هذه المشروعات ولما رافقتها عن كثب .

تقر بمشروع المشروع
الكبرى
تحت تصرف المشروعات الكبرى ومصلحتها الرئيسية اليوم ،
امكانات عمل لم تكن لتتوفر لها من قبل على هذه النحو من القوة .
وبين الهيئات الضاعفة ، الهيئات الوسيطة التي تدفع عن مصالح اعضائها لدى الحكومات وهي هيئات قوية النفوذ بفضل ما لديها من وسائل التأثير والاغراء ، وبفضل ما لها من قوة في الانتخابات ، باعتبارها المرسع الأخير الذي تعتمد لادارات العامة عندما تود الحصول على معلومات فنية دقيقة ، لوضع تمريرات حركية جديدة ، او لتحديد اسعار الحاجيات - وكلاهما مشكلتان لمتنا دوراً كبيراً في السنوات الأخيرة . وهذه الاقلية (الاوليغارشية) التي تتحكم بالشؤون الاقتصادية العليا لا توجس شراً على مصالحها ولا تخشى بأش من الدولة ، لما بينها وبين الدولة ، من واصر وروابط صميمية (بعضها يتسم الى حد بعيد) بالسرية والخفية لا سيما ، كما جاء في تعليق للسيد ج. بيزو ، « والصناعة بأجمعها تقريباً ما تشاء من احتفظ منها ببعض الجراءة والشجاعة ، تقع مباشرة ، وحادورة تحت اثر هذه القوى التي طامنا نموها »
« بالاحويات الاقتصادية » .

نظم الاحزاب وتطور
عناصر تنفيذها
وراد الديموقراطية البرلمانية ، ضعفاً على ضعف ، التطور الذي لحق
بالاحزاب ، وهذه الاجراءات التي اتخذت ، خيالات الحرب ،
لقوة العنصر التمييزي الضالع بمسؤولياتها ، ولتوسيع من نطاق صلاحياته ، اي نقل السلطة

الفعلية التي تمنع بها الهيئة الانتخابية ، الى البرلمان على ان يتخلى عنها للحكومة ، وهو اسلوب اخذ يزاد ويتسع . فالنظام الحزبي حدد يرتدي طائعا يتسم بالتصلب ، ويتلخص بالركوة ، وبذلك يضعف تأثير المناصرين على من يقدم دفة الامور ، بينما يصبح من مدمم المصير التبعيدي ، على عكس ذلك ، كفي القدرة والسلطة . فهي بريطانيا مثل لا ليس من اميل قسط المرشح المنفرد بالنجاح او لتعدد انتخاياه وبعد ان يجري تعاضد ، يخضع السواب ، ومظلمهم فكرة يمينهم رؤساء الحسوب او اللحدب المختصة ، عن طريق الاحتيال ، في معظم الاحوال ، الامصطية صارمة ، آسرة مراقب ، عن كثب ، حضورهم الحاسبات ، وقصودتهم (بواسطة حامل الوسط في مجلس العموم) وبذلك يصحون آلات او ثوماتيكية في عملية التصويت ، ورئيس حزب الاكثرية في المجلس يصبح بصورة او ثوماتيكية ، بحكم الاكثرية التي تسنده ، رئيساً للحكومة ويرتبط مصيره بحصو المجلس ، اذ لا يمكن قلبه الا عن طريق انتخابات جديدة ، فتحق حل المجلس لم يحد يلعب في عملية تحكيم يشدد حولها الخلاف بين الحكومة والمجلس بل يجب الرجوع فيها الى استفتاء شعبي او اجراء انتخابات عامة في ظروف ملائمة للأكثرية . وفي امانيا ، يأتي تنظيم الاحزاب قبل مروية وطوعية من في دول اخرى . فمظام التمثيل النسبي الكامن يعطي كل حزب عدداً من النواب يتناسب وعدد ناخبيه ، في المجلس ، وعدداً من الوزراء ، يتناسب وعدد مرانه ، وفي الرابع ، عدداً من الوظائف الادارية يتناسب واعمية الحزب . وهكذا يرى الحكم فيها يتقاسم في الواقع ، عدد من هيئات والمؤسسات المتشعبة تتمثل بندوقيين مختارهم ليتولوا باسما ، مراكز في الحكم والوظائف الادارية . والمرشعون للانتخابات يجري انتخابهم هائيا من قسمل لحايات ادارية ، تتدخل في كل قضية هامة تمرض للبحث ويتعمد القطع بها ، في مفاوضات حرية تخضع للمساومات والمساقتات المتعددة . ان عدم توفر احكشيرة ثابتة يؤمن بالعود لمصالح الاقتصادية الكبرى الكلية القدرة كما يقوي صاحب ادارة قنفي امينة وتستجيب لتقاليد السلطة لمرعية .

ومن جهة اخرى ، هناك على المعقدة التي يترتب على الحكومات الت غيها ، والاضطرار لاتحاد الحزول المرجحة ، ومركرية التسييلات التي تفرها الصبالة والتنفون والرادير للاعلان ونقل الاوامر والتعليقات ، كل ذلك وسع كثيراً منذ الحرب من نطاق تعديب . فالمجلس وديانات لاستشارة الي عليها ان تواحه الحزول التي تقتضها مشكلات تقنية حادة ، كثيراً ما حال دون اعطاء الحل السريع المرجحي ، اذ ان ثنائيل الآلة وضعف مردودها كان من بعض نتائج انتقال سلطة القطع او اجرم . وهكذا نرى حاداً كبيراً من سلطة المجلس الاساسية تنتقل امسا الى ايدي الادارة ، وامسا الى المصير التبعيدي في الحرب ، بعد ان قويت سلطته بمجرد اعتماده المتزايد على الخبراء الذين يشعك بهم .

ففي بريطانيا المعظم تركزت السلطة التنفيذية ، بالفعل ، بين يدي فئة صائبة من الوزراء ، عندما يكون على رئاسة الوزارة شخصية قوية ، كما كانه لويد جورج مثلاً . فهو الذي يتخذ في

العالم القارات المتوقع ، ان تشعب هذه المسؤوليات وتعقدتها وتشابكها المربك قصوى بأن يحيط نفسه بعدد من الدوائر والمصالح تؤلف نوعاً من امانة سر الدولة ، تتألف من خبراء وفنيين يتولون دروس المشكلات المارضة التي تدعو ضمن اختصاص وزارة ما من اورارات ، تولى رئيس الوزارة استقلالاً واسماً عن زملائه في الحكم ، الامر الذي سوع للقانوني البريطاني المشهور ومزي هوير ان يتكلم عن « دكتاتورية الوزارة » في انكلترا .

اما في فرنسا ، فقد وسعت السلطة التنفيذية ، من نطاق سلطتها ، فارجوح الى المراسم الاشتراعية ، بعد ان تحول المجلس الحكومة ، سلطة التشريع في موضوع او مواضيع لا تستطيع او لا ترغب الاكثرية تحمل مسؤوليته . ففي عام ١٩٣٤ و ١٩٣٦ ، تحولت وزارة برانكاير ، المتحدة الوسائل التي توغر على البلاد مليار فرنك ، عن طريق الاصلاحات المالية في البلاد ، وتبسيط لبعاملات الادارية بمراسم شراعية يقرها مجلس لوزراء . وهكذا يتغلب البرلمان عن صلاحياته للوزراء ، اي للحكومة ، و مراقبه التي يجرها فيما بعد قاضي صعيقة ان لم نقل لا قاضي لها .

وهكذا فالدول التي تتخبط في خضم المشكلات التي حلقتها الادارة العامة وتقدمها للتصاعد الحروب وراءها ، ترى الادارة فيها تتعد المريد من النفوذ وعظم الشأن ، من مجرد تزايد مداخلات الدولة وتعقد تصيد القوانين ، لامر الذي يفرض قيام هيئة من الموظفين المتخصصين والفنيين جهريين . والحل ، فالادارة العليا تؤحد من بين الطبقات الموسمة عن طريق الاحيار لاملل ، وهكذا ترى في شكلها مثلاً انه لم يعد من الممكن أخذ كبار موظفي لادارة الا من خريجي الجامعات الارستوقراطية كأمس واكسفورد وكمبريدج . اما القانونيون مؤحدون من بين الطبقة الوردوحوارية العليا بحيث تستطيع البلاد ان تصون ما عرفت به من روح محافظة تعتمد المعاهد الرسمية العليا على قنديتها والتربيع لها في النفوس . وفي فرنسا ايضاً ان اعضاء الهيئات الادارية العليا ، كالنقش المالي ومجلس شوري لدولة الذي يلعب دوراً كبيراً في اعداد القوانين وفي تفسيرها وشرحها وتطبيقها عن طريق المذكرات الادارية العامة ، يؤتى بهم عادة من ابعين نفسه اي من اوساط الوردوحوارية العليا ، كما ان عدداً كبيراً من موظفي هذه الفئة ينتقلون للعمل في امصالح الخاصة . ولم يجر اختيار هؤلاء الموظفين عن طريق صلاتهم العائلية او عن طريق صداقات خاصة ، للدفاع عن امصالح الطبقات الحاكمة . تصامناً مع طفتهم او احكاماً لتقاليد فئتهم . لهم يقومون ، من حيث يدرون او لا يدرون ، تحت ضغط اميئات الاقتصادية المعنية ، اذ منها يستمدون ، على العكس ، المعطيات الفنية التي يحتاجون اليها ويعتمدون عليها في تخطيطهم

الرأي العام والصحافة في إطار الحضارة الديمقراطية حيث للجماهير مثل هذا الدور العظيم الشأن ، فالمصالح التي تحرك الأحزاب وتوجه الحكومات ، هي نفسها المصالح التي تحرك الرأي العام ، عن طريق الصحافة . فاجهاد الذي قامت بأمره الصحافة

خلال القرن التاسع عشر لتأمين ما تحتاج اليه من حرية لم يكن سوى عراق صد السلطات العامة يرمي للدفاع عن حرية هذه الصحافة ، من تمديدات للحكام . وقد ظهر خطر آخر على الصحافة ، منذ عهد بعيد ، جاء هذه المرة من « ارباب المال » الذين يتوفر لهم وهدم ، خارج الحكومة والاحزاب القوية ، موارد حسيمة لا يسد من ثوبها لإنشاء وسائل إعلامية يُرعب قلوبها . وقصاصة الرأي العام ، أصبحت اليوم ، صناعة كغيرها من الصناعات الفذقة ، وبذلك أصبح أرباب الجرائد ، رجال اعمال تعيش اعمالهم وتزدهر من الاعلانات توزعها الشركات التجارية ، والصناعية للكبرى . والحال ، والجريدة تكلف اكثر مما تدر على صاحبها . فالجريدة التي تسع فلس (بي) في اسكتلندا والتي لا تدر على الناشر سوى $\frac{1}{2}$ فلس ، تكلف القلم ، ما لا يقل عن فلس وربع . ولذا وجب ان نعد من الجريدة كل ما من شأنه ان يذمر المشركون ويقصي عنهم الاعلان ، اذا لم نشأ الادارة ان تعرض لقصصات ومشاكل مالية . وهكذا يتعدد استقلال الصحافة ، إلا ان تأثير الفئات الضاغطة او الفئات المؤثرة مع تأثير الإعلان ، يلحقان ببعض الصعاب بهذا الاستقلال . فعملهم الموهن او المعطل يقوم على الأحص ، بالاحفاظ ببعض الاخبار او بالتقليل منها ، حتى إذا ما رفضت الجريدة الامتياع لرغبة هذه الفئة ، حرمت من الاعلان فيفقن مواردها ويهددهم الافلاس . وهذا ما أصاب بالفعل صحيفة « شاتبا » قروا ، الاحادية ، التي عاصرت وماتت مشروع وادي نسي ، والتي قفلت أبوابها عام ١٩٣٩ بسبب قطع الشركات الكهربائية الخاصة ، الاعلان عنها ، بما رفضتها لمشروع الرئيس رورفست

وهذه الصناعة - صناعة الصحافة - كثيرا ما من صناعات العصر ، تتميز بكونها وقزح الى الاحتكار والتحصن . هالك لتجارات احتكارية قللك : الجرائد اليومية ولاسبوعية ، كما قللك الجرائد المصورة واحيانا جرائد ذات لون سياسي معين . ففي كل البلدان تؤلف الصحافة صحيفة تجارية كبرى . فهي تحتل في نظرا المراتبة الثمانية عشرة بين الصناعات البريطانية ، اي انها تأتي قبل بناء السفن . فالدائلي بيور في نيويورك تسحب مليون نسخة وربع المليون من كل صحيفة تصدرها اي ما يوازي سحب كل صحيفة نيويورك مجتمعة . ففي عام ١٩٣٠ ، كانت عشر جرائد يومية بريطانية ، تسحب ٩ ملايين نسخة منها مليونان لصحيفة الدائلي هيرالد والدائلي كسبريس . وجرائد يوم الاحد كجريدة فيوريوز اوف ذي وايد ، والشعب ، كانت تطبع ٣,٧٥٠,٠٠٠ و ٣,٠٠٠,٠٠٠ نسخة وكل صحيفة اسكتلندا موزعة بين سبع فئات جدارة ، منها فئة هرمرورث باسم اللورد بورثكليف واحييه اللورد روفر مور ، وفئة اللورد كمرور وفئة اللورد كسلي وفئة وستستر التي تضم ٣٦ صحيفة ، وصحيف المقاطعات التي تشرف عليها أسر تونري وديرسن ، وفئة اودهامز التي تشرف عليها جرائد حرب العمل . وعلى سنة مختلفة ، هالك مثل هسداا التركيبي في البلدان الأخرى . ففي كل بلد ، قللك لاستثمارات الكبرى مباشرة ، جرائدها ولها تأثير مهم على الاتجاهات والسياسات السبسية ، حتى ولا سيما على الجرائد ذات الطابع الاحباري . ونشأ عن هذه القاعدة الصحافة اليسارية المتطرفة ، اشتراكية كانت ام شيوعية

وجريدة التيمس التي ثولاهما بعد وفاة صاحبها اللورد نورثكليف عام ١٩٢٢ ، الميجور أسنور الذي عرف ان يؤسس لها استقلالها بوضعها تحت اشراف خمسة اعضاء . وفي المانيا يقوم الاحتكار الذي يتألف من شيرل واوشاين وستير . وهذا الاخير كان يشرف ، ١٩٢٠ ، على صحيفة ووكالة اخبار ، وعلى دار نشر ، وغير ذلك من المؤسسات .

اما في الولايات المتحدة بين ١٩١٠-١٩١٢ ، فالجرائد اليومية التي كان سحبها بڑه د ١٢٥ ٪ ، سقط ٣١٤٨ ٪ . كما ان نسبة الجرائد التي تقوم فيها الصحافة على المنافسة ، سقطت ، في الفترة ذاتها من ٥٧ الى ٥٤ ٪ كما انها اختفت او انقطعت في ٩٤٠٣ ٪ من المدن التي كانت تصدر فيها . ان ١٤ من مالكي الصحف يشرفون على عدد من الجرائد يمثل ٢٥ ٪ من مجموع السحب اليومي . وهناك ٥٦ سلسلة عالتا ما تكون مرتبطة بمطبات إداعة ، تمثل رؤوس اموال ضخمة ففي سنة ١٩٤٠ ، كانت سلسلة هيرست تقدر بـ ٩٠ مليون دولار

وهذه البرعة تبرز ايضاً في بريطانيا . ان ١٤ ٪ من حرائد الصباح التي كانت تصدر بين ١٩٢٠ - ١٩٤٥ ، و ٢٥ ٪ من الجرائد المسائية ، اختفت وزالت من الوجود فمن اصل الجرائد اليومية للصبح عشر التي كانت تصدر في لندن عام ١٩٣٩ ، كان ١٢ منها فقط لا تزال مستمرة في صدورها ، عام ١٩٥٥ . كذلك في فرنسا ، حيث كان يصدر ٣٣٨ جريدة يومية عام ١٩٣٩ ، فلم يبق منها على الصدور ، عام ١٩٥٣ ، سوى ١٦٤ جريدة لا غير . وفي باريس ندافس الى النصف عدد الجرائد اليومية في الفترة الواقعة بين ١٩٣٩ - ١٩٥٥ ، وفي المقاطعات سقط عدد الجرائد من ١٢٧ جريدة الى ١٢٣ ، وهي عسده النسبة او اقل ، قس بقي النحاء العالم .

والاصطوار دوماً الى تخفيض نفقات اصدار الصحيفة وتأمين استثمار صدورها على نطاق تجاري واقتصادي رابح ، يستدعي حتماً انتهاز وسعة المظاهر والمحافظة عليه . وهكذا تكونت وكالات المراسلين وسلاسل توزيع مقالات قياسية ، يجري إعدادهم وفقاً لخطط معين ، يقتضي ظهورها فريفاً من تحرير بمقلنة او دوسة معينة ، وهي مقالات يجري التقاطها بمض الاحيان بالحسار الاقاط او المصحح للاختصار اللاسلوكية عن بُعد ، وهي طريقة تقصده كثيراً من نفقات اصدار الصحف . ثم تنجم الصحيفة للصدور بمودج معين ، من القاري العادي ، ان عدد كبيراً من الصحف تنشر المقالات ذاتها والاحبار ذاتها والرسورفات ذاتها ، والصور ذاتها ، ولرسوم الهزلية ذاتها ، والتعليقات ذاتها . وهي مركبة تؤدي حرية الصحافة في الصمم ، كما تؤدي الاستقلال في الخبر .

اما في المجال الفكري ، فالمكان المخصص للاعلان والذي يأخذ احبانا نصف الصحيفة في الجرائد الاميركية ، فالرخصة في ارضاء الجمهور الذي يكثر في جريدته ، عن وسيلة للقلية والثرعية اكثر منها جريدة اخبار موضوعية ، ولذا فهي تحفص من الخبر المخصص للأخبار والمقالات العامة لتفسح مجالاً اكبر للأخبار المثيرة ، بعد ان يمن قلم التحرير في تشويها وفي

احتصارها لصيغ من هذا اللون المعروف فيه (ن حوائد الطورد مور شكليف ، نشرت بين ١٩١٧ - ١٩٢٢ ، خيرية مقتن لبتين ٣٧ مرة) كما بها كانت تحوص على احبار الجورثم والفظائع ولاخبار التي تشر الفضول بين الناس ، ولروايات الاربابية لسلسلة والصور لطرية المتبعة ، واحبار الالمب وبلاهي ، ومشتكلات البريدج والشطرنج والكلمات المتصلة ، وصورة سباق العير على بشر الخير كثير ، في احبار ضارحه قصص الصبيحة الى بشره بصوص شوشن او حركات عن قصد عند ثقلي ، او احبار سادة لأوام لا تلت اخوانه ان تكديها ، من ذلك مثلاً عدد خاص اصدرته احدى اجرائد الباريسية ، يوم ٩ ايار ١٩٢٧ ، حول وصول بحسب وكولي الى القارة مع ايجها صلاً في البحر ومنا) .

فكها ان الصحافة هي مشروع استثمار صناعي وتجاري ينتج من الكمار ولا تقتل في اي مرحلة من مراحلها ، اي دور روي او احباري فيه ، فالصحافة التي تنتج من الصغار والتي راحت توداد اعية وشأنا ، تحصى ، هي الأخرى ، لاعتبارات تجارية . فهي تدعو لتوحيد القوة والنفس ، وتمسح السور من وروح اللصوصية والمخامرات . فعملها ان يخلص للأخلاق لا يخلص بشيء من أثر الصحافة العاصمية او الثورية التي تصدر بعدد كبير من النسخ ، ملايين نسخة في الاسوع ، خلال عام ١٩٥٥ ، فتعشر في المحيط المصري ، ديباً محملاً ، شددت التأثير على الشاعر والمواطب البشرية

ولقد قالوصف الذي تركه لنا سينغريد ، م. ١٩٢٧ ، عن الصحافة الاميركية لم يلقه شيئا من قيمته الآن ويمكن اعداده ، ونطسقه على العالم جمع :

« مشرو الدماخ ، هي عملية موصولة في الولايات المتحدة ، إذ أنه لاوجب المال من الوسائل المتشعبة ، والدعوة ما يحكمهم من اظهار للرأي العام بالشكل الذي يردون ، وهو من شأنه لا يرغبون في كتمه له ويتبعون به الى الزحف الذي يبرهه له من موضوع معين ، ومنذك يوقعه في مشاكل لا حصة له منها يجب لا يعود يشتر بأي ارضاء قبل » .

والطابع الرأسمالي الذي يطبع هذه الصناعة ، والتأثير الذي تتركه الصحافة بعض الاعلان والدعارة التي تبثها ، بحيث لا يستطيع الاعلان منها ، والمساعدات التي تتلقاها تضطر السواد الاعظم من جرائد على الترواح جانب الممثل و محقق وهو تأثير يتلصص الضمط والاكرام مع اشتداد الصراع الطبقي واعمة القضايا اضطروا لهجت .

في الولايات المتحدة الاميركية حيث قدمت المشروعات للكبرى
على اساس دقيقة من التنظيم ، وحيث يسهل الناحيون ولا سيما
الفقراء منهم على قدر ضعيف جداً ، كثيراً ما ، قل عن 50 ٪ ، وحيث حصة الساحبين
مطروحة وحاجة ، فتتظم الاتجاهات واختيار المرشحين ، في المرحلة الاولى يتم على يدي قلة
من الساحبين الثانويين ، والدور مهم الذي يشهه موجدو الحملة الانتخابية ورعاء الاحزاب ، يسهل
كثيراً عمل المنظمات الفاعلة الناشطة التي هي دوماً على استعداد كلي لدفع الثمن بحفاوة منها

على ما تنعم به من امتيازات ومنافع ، ورعة منها في انهابها . ن وضع ولاية ويلبور حيث تسيطر اسرة دويون دي مور ، ومثلها ولاية مونتانا الواقعة برمتها تحت مرقعة شركة اكا كوند لتمدين النحاس ، ليس الوحيد . فالاختباء الاعضاء في هذه الشركات هم الذين يتعملون نفقات الحملة الانتخابية ، ويملكون صندوق الحملة لدى كلا الحزبين المتنافسين . وفي حملة انتخابات الرئاسة عام ١٩١٣ و ١٩٢٨ ، ساهم في تمويل الحملة : مليون اغنياء الولايات المتحدة ، و ج . د . روكفلر و بريفي دويون دي مور والفرد سلون وشركة بحرال موفرور وهارفي فايرستون ورومينك غودريتش وغيرهم . وفي عام ١٩٢٨ ، كان عدد ادينس حينذاك ترشيح لرئيس هوفر للرئاسة ٨٧٪ من الاسماء الواردة في قاموس الاعلام (من هو) في ميركا

والكونغرس الاميريكي يتعرض لضغط من قبل اصحاب المصالح المنظمة ، ليس فقط اثار حملة الانتخابات فحسب ، بل بصورة دقة ، وذلك عن طريق الدعة الضاغطة المكلفة بحماية الضئط هذه . وبعدم وجود حزب المال في البلاد يقوم بهذا الضغط النقابات المالية التي كانت ضغطها خفياً قبل هالنج لجديسد ، دا ما قورن بضغط اصحاب المشروعات الانتخابية الكبرى . ويرى صورة وصحة من عدد كله ايان عهد الارحدر الذي وعرف على البلاد بين ١٩٢٣ - ١٩٢٩ . فالحزب الجمهوري الذي يتولى الحكم ، آتداك ، بسدر رئاسة مختلف الدوائر الرئيسية ، لي كارد مثلي لمصالح الكسرى ولا سيما الى ملون اذ يعينه ورياً للمالية الذي فرض على البلاد سياسة تخفيض الضرائب على الثروات الضخمة ، (بحيث ان مجموع ضريبة لدخل المخلص من ٥٥ بالمئة ، عام ١٩١٩ الى ٥٠ بالمئة عام ١٩٢١ ، والى ٣٦ بالمئة في عام ١٩٢٩ .

في بريطانيا
تطفت بريطانيا ، في نظامها لانتخابي على المحافظين فمن جهة ، يرمي الاقتراع الأحادي المنصب على مرشح واحد ، في دورة واحدة ، ال إعطاء لذكرايات البرلمانية الساجدة عن اقلية انتحانية ، فرصة تولي السلطة ، كما ان توزيع المقاعد القليلة على بعض احاديات ، وعلى محبة الجيب في ما يسمى عندهم هالسيقي ، او يوقف على عمل تجاري ، والاقتراع المتعدد ، وحق اقتراع النساء الذي أقر عام ١٩١٧ لن هس فوق الثلاثين (ولم يخلص الى ٢١ إلا في سنة ١٩٢٨) ، كل هذه المظاهر للشككية ، هي في عالبية الأحوال ، لمصالح حزب المحافظين في وجه حزب لاحرار وحزب العمال المنقسمين ، بحيث بات بالفشل كل الاقتراحات التي تقدموها لوضع حد لهذه الشواذات . وهكذا فمصادر السلطة لم تتغير قط ، رغم من التغييرات التي طرأت على البلاد . ففي انتخابات ١٩١٨ ، قال المحافظون الذين التقوا حول لويد جورج ، ٤٨٪ من الاصوات واستأثروا بـ ٦٨،٣٪ من المقاعد . اما في انتخابات عام ١٩٢٢ ، فقد ثالوا ٣٨،١ بالمئة من الاصوات و ٥٦٪ من المقاعد . وفي سنة ١٩٢٣ ، كان من جراء حسارة المحافظين ٥٥٪ من اصوات المقترعين ان اقدم ٨٦ مقعداً في مجلس النواب ، اي ١٤٪ ورجح حزب العمال ١٥٪ من الاصوات عدا عليهم بـ ٥٣ مقعداً في المجلس (٨٤،٦٪) . وقد طرأ تغيير مماكس في

انتخابات عام ١٩٢٤ ، ذن النسبة مئوية لاصوات المحافظين البالغة ٤٧٪. اعطيتهم ٦٨٪ من المقاعد بينما نال حزب العمال ٣٤٪. من الاصوات و ٢٥٠٦٪ من المقاعد. وعلاوة على ذلك ، احتيار أعضاء المجالس ، في بريطانيا ، يتم من بين الطبقة الارستوقراطية او من بين المثلي المصالح المالية ويمثلون فيها عددا كبيرا ، اذ ان اكثر من ٢/٥ نواب المحافظ كانوا ينتمون الى اسر تحصل القاب شرف متوارثة ، وهم على الاجمال ، من خريجي المعاهد العليا الموقوفة على الملا (امثال ايتون وهارو) وهما أعلى المعاهد الثانوية في اسكتلندا ومن اكثرهما اقتصارا على البلاد ، اذ قدمنا بين ١٩١٨ - ١٩٣٩ ، ما معدده ١٧٠٥٪ و ٠.٧٪ من مجموع التمثيل البرلماني . ان ٧٠ نائبا من أعضاء مجلس العموم ، عام ١٩٣٥ ، هم أعضاء في ٦٥٠ مجلسا دياريا ، بينما الـ ٤٥٠ عضوا في مجلس اللوردات ، في فترة ما بين الحربين يتورعون كايلى ٢٧٢ م من مديري شركات مُفتملة ، و ١٠٦ م يتلون ٦٩ شركة قامين ، و ٦٦ م يتلون ٤٢ مصرفا و ٤٩ م يتلون الترسانات البحرية .

قبل من عجب ، بعد هذا ان يكون « معقل لرجعية » السبق - الذي شهر به لويد جورج من قبل وقصص « امره » وراء سياسة الانكماش المالي والرجوع الى عيار الذهب ، هذه السياسة التي اقرتها حكومة المحافظين ، بعد ان قصت على الاضراب العام الذي وقع عام ١٩٢٦ ، وحميتها بقرار ، عام ١٩٢٧ القانون الذي صدر لمحاربة الروح النقابية ، واكثر من الامتيازات رجال الصناعة وعارضة معددة و شتطون التي جعلت يوم العمل ٨ ساعات ورفقت وحدها في حنيف تنعم النظر في اقتراح رمى الى جعل اسبوع العمل ٤٠ ساعة

ولانتخابات التي افضت الى فوز الحكومة الوطنية ، عام ١٩٣١ ، تمت الاستشارات الراس عادية الكبرى في البلاد ، عهدا من الطمأنينة لم تتمتع عليه منذ عام ١٩١٤ ، اذ لم يبق لحرب العمال من شأن يذكر بعد هزيمة الكراء التي اصيب بها والانسحاب للقتال الذي آل اليه . فقد الآن وصعدا ، كل المراسكر الاساسية ، هي وسسقى لامد طويل ، في ايدي مثلي المصالح الكبرى . فالحماد الصاعات البريطانية هو الذي اخذ يرسم سياسة الحماية الجمركية التي سارت عليها الحكومة ، كما يصع هذا الحرب نفسه الخطوط العامة لهذه لاتفاقات الدولية التي تدخل فيها طرفا الحكومة البريطانية ، والتي عقدت مع فرنسا ويلعب دورا بارزا في اللجنة الاستشارية للمبارك التي من بين صلاحاتها تعديل التعريفات الجمركية دون الرجوع الى البرلمان . كذلك خذت هذه اللجنة ، توسع ، اذ كان اكثر ، بعد عام ١٩٣٢ ، من نطاق هذه التعريفات ، وترسم سياسة مساعدة الصاعات و لاعماءات من ارسوم (٣٠ مليون استرليني في سنة) . فلا عجب ان تزداد الارباح التي قدرها كولن كلارك ، عام ١٩٢٩ بـ ٣١٠٦٪. من الدخل القومي في البلد الام ، و ٢٩٠٢٪ عام ١٩٣٢ ، ليصبح في سنة ١٩٣٥ ، ما معدله ٣٤١٠٪ .

ان وجود هذا الحشد الكبير من صغار المستثمرين والمهنيين وهنغار التجار والصناعيين الذين يؤلف المجتمع الفرنسي ، هو وراء عدم استقرار السياسة الفرنسية وتجاهها المستمر نحو اليمين . في هذا الصراع التقليدي بين اتحاد احزاب اليمين واتحاد احزاب اليسار ، كانت الطبقات الاجتماعية سر قوة اليسار ، الا ان الاوضاع المتسديدة التي اطلت على الحياة الاقتصادية ، سبغت حياة قاسية صعبة . فواجهت لقوى اليمين التقليدي المعتمد دوماً على الكنيسة والاسكند ان كسار لموظفين والمبلاء والدورحورية للصناعة العليا ولاوسط ادالية ومصرفية ، انصرفت جهود العلائق وصغار فلاكين ، والمستثمرين وهؤلاء الصناعيين والتجار الصغار والمتوسطين لمحافظة على استقلالهم الشخصي والاقتصادي . لهم يشجبون بشدة الروح الثورية بالذات التي تمحيش في صدور كسار رجال الامور : كالمركبة والتنظيم العلمي الدقيق للانتاج وانشاء مشروعات استثمارية متعددة الفروع والوكالات وغير ذلك ، ويرغون الى الحكومة ان تحميهم من المنافسة الاحتككية . الا اهم من جهة ثانية هم محافظون ولا يحبذون كثيراً استعدادات ومعارضون وضع تشريع اجتماعي يعتبرونه سخفاً في غير محله وتشدراً لا مبرر له . ولذا عليس من السهل لديهم ان يتصالحوا مع طلبة عمالية تشدد في مطالبها وتلحف فيحدث من جراء هذا ضعف في امكانيات العمل لدى اليسار المعروف الذي كان يتألف من تحالف الطبقات الوسطى ومن الهمال بقصد مهاجمة «الكبار» وللدفاع عن «الصغار» . وهكذا لم يعد اليسار متجانساً امام اليمين الذي ينجح بيسر في تأليب كل احزاب الدورحورية . وعندما تأخذ الاحزاب المتعددة ضد رأس المال تشهد التوارى في صلب المواردية ومعدن القطع او التدخل ، وعندما يحشون «عجلة التمهيش الاميرية» ، وعندما تلوخ في الافق خطر الاضطرابات العمالية ، تعدد الطبقات الوسطى التي تتألف منها صفوف الحزب الراديكالي الى الانحياز لجهة اليمين ، فالأكثرية التي صرقت مع اليسار ترى اليمين يعود الى الحكم . وهكذا فانها انما لاتتخبرية التي تمت عدم ١٩٢٤ و ١٩٣٢ و ١٩٣٩ تمسطم عندما يتعلق الامر بتأليب الحكومة . الا ان اراديكاليين الذين يؤلفون الجناح اليميني في كل اكثرية يسارية والجناح اليساري في كل اكثرية يمينية ، يدسمون عملاً في كل حكومة يحري تشكيلها .

وهكذا تتجلى امامنا واضحة ، سرر التغيرات التي تطرأ على السياسة الفرنسية ونهيم كيف ان اليمين الذي كان يستمد من قبل ، في كل حكومة تشكل ، هو الذي كان يتولى الحكم خلال معظم هذه الفترة ، مع مجلس الكتلة الوطنية التي فتحت عام ١٩١٩ ، والتي تألفت من ٣٧ عضواً من احزاب اليمين من اصل ٦٩٣ عضواً ، ومن المجلس الذي تم انتخابه عام ١٩٢٨ بأكثرية من اليمين ، حتى ومع مجلس كتلة اليسار الذي انتخب عام ١٩٣٤ ، عندما راحت المصارف في البلاد ترفع عام ١٩٢٨ ، جسد الفصة في وجه حكومة هريو وجاءت بيوانكارية الى الحكم .

وبالرغم من لازعات الوردية للصح عشر التي وقعت خلال السنوات العشر الاخيرة ،

تبرز للعيان صفة الاستقرار . فالانتخابات التي حثرت عام ١٩١٩ تحت وطأة خوف « من الرجل الحامل سيماً بين أسرته » ، وفي ظل نظام تشيلي ديسي هجين ، تقارب من احزاب اليمين قسم من الراديكاليين الذين اقلعتهم الاصطرابات المالية ، بينما انقسم اليسار على نفسه وفي عام ١٩٣٤ ، آمن القانون الانتخابي الذي جاءه ماكثرين ، الاكثرية المطلقة ولمسحاً الاكثر الى احزاب اليسار ، اكثرية مجلس النواب ، مع ان اتجاه اصوات اليمين نحو اليسار لم يزد على ١/٢ لا غير ، كما ان تشكيل لحزب الشيوعي دون عن التجمع اصوات أقصى اليسار . واعادت الانتخابات التي جرت عام ١٩٣٥ التماثل تقريباً بين الكتلتين ، ذالت احزاب اليسار ٥١٤٦٣ بثلاثة من الاصوات ، بينما فالت حزب اليمين ٤٨٠٣٧ / ، اذ كان بين الذين صوتوا لليبار مليونت مقترح من بين الشيوعيين ، وهي نسبة لم تات مكبر فائدة ، اذ لم يزل الحزب الشيوعي اكثر من ٢٤٣ / من المقعد لعام ١٩٣٨ / من اصوات المقترعين . ان احتفاظ اليمين بمرشحيه أمر نجاح ٦٧ نائباً من احزاب اليمين ومن الوسط في الانتخابات ، في الدورة الانتخابية الثانية ، كما ان ٤٠٠٠٠٠ من المقترعين عادة للحزب الراديكالي ، تمردوا على مساهم من تصاوية تقليدية في لحزب الراديكالي الجمهوري ، اذ لفتوا ، في الدورة الثانية ، حول مرشحي الوسط ، وامنو بهذه الحركة نجاحهم . وهذه النسبة التي عادت ٥ بالمئة من الاصوات هي التي لعبت دوراً حاسماً وجعلت كفة الميزان تميل نحو اليمين .

كثيراً ما عرفت المصالح المركزية الكبرى ان تفرض رادتم اما رأساً او بالدائرة وذلك لتعكسها بمقاييد الحياة الاقتصادية في البلاد ، واحياناً بالاعراء . وقد انضج من تحقيق احري عام ١٩٣٢ ، ان ٩٠ شعبية تحمل ٧٣٥ مركزاً ادارياً ، في عدد من الشركات صاحبة الشأن ، منها ٢٧٧ في شركات التأمين والاصهان و ١٨٠ في مصارف الدولة ، و ٥٥ في درة شبكة الخطوط الحديدية ، حظيت بمقاعد في المجلس النيابي . ويلاحظ ج . بيرو بكل دقة ، ان معارضة الحزب الراديكالي الاحراءات الاشتراكية ورفضه تبنيها يجب ردها ، في التبرجة الاولى الى « عجزهم عن مجابهة القوى المصرفية الكبرى دون ان يعترضوا للخطر ، متانة الفرنك » . ثم اضاف قائلاً : « ان العداء الكامن » الذي يحمله هذا الحزب عند طرح عن بساط المنح امر تأميم شركات التأمين « دكناً لحصن منيع من حصون الرأسمالية الكبرى ... انما يندل هي ان كل شيء قد دبره المعنيون بالامر في حيه » للبحرول دون اتخاذ قرار بهذا الشأن . وقد فرضو رادتهم بعد نشوب لارمة الكبرى ، عن طريق لابقاء على معادلة انذهب ، لمدة طويلة ، بمد متوسط سعر الدولار والحيثيه الاسترليسي ، وعن طريق سياسة امكماش مالي صارمة ، والصمود في وجه اسعار الصداغات لمتكتلة كصناعة الغازات والمعادن والمحاصيل الكيماوية ، بعد ان وصل الى الحكم حكومة الحبة الوطنية للوقوف في وجه هذه الاصلاحات الاجتماعية ومشروعات مكادعة العش في الصرائب وحياتها ، وتأسيس ديون مراقبة القطع وتهريب رؤوس الاموال الى الخارج واختزان النقد الذي سيفضي في هابة الامر

الى سقوط الفرنك ، وارتفاع اسعار المصنوعات المنكثلة الذي اخصى الى تفشيل سياسة مقاومة انكماش النقد . وقد امتنعت المصارف من شراء سندات الخريفة التي اصدرها فنان اوريون ويلوم ، عام ١٩٣٧ ، كما قطعت مع هربو عام ١٩٣٥ ، وفي سنة ١٩٣٨ ، فرض مجلس الشيوخ وجوب الرجوع الى الاساليب المالية التقليدية ، عندما تولى مقدرات وزارة المالية جورج بوليه وبول رينو .

في ايطاليا حيث ضعف التجربة الديمقراطية ادى الى شل ايطاليا لتستطيع بدم الشرعية النظام الديناي ، وحيث الأزمة المالية أفضت الى ثورة عارمة قام بها معاً الفلاحون والعمال ، رأيت الطبقات الموحدة التي أسقطت في يدها ، ان تستعين بالقوة والنفوذ ، محافظة منها على سيطرتها واحتارت له نظاماً دكتاتورياً فالانقلابات الأولى التي جرت في تشرين الثاني ١٩١٩ على أساس الاقتراع النسبي سجلت فوراً حاسماً للحزب الاشتراكي الذي نال ١,٨٠٠,٠٠٠ صوت وفاز به ١٥٧ مقعداً ، وللحزب الشعبي الكاثوليكي الجديد الذي تأسس بوافقة الكورسي الرئاسي ونشجيمه ، على يد راهب يدعى دون لويجي ستورزو الذي نال ١,١٠٠,٠٠٠ صوت و ٩٩ مقعداً . وهكذا تفرقت للاشتراكيين ولحزب الشعب اكثريه كبرى وقفت في وجه احزاب اليمين والوسط التي كان لها ٢١٥ مقعداً في مجلس النواب إلا أن مشاريع الإصلاح الزراعي التي وضعها الحزب الاشاركي ، والاضرابات المتكررة ، واحتلال العمال للمصانع بعد ان عصرت حكومة نيتي عن الوقوف بوجههم ، كل هذه العوامل سببت القلق للبرجوازية القضاية والكنار الملاكين . وهذا أسقط في ايديهم استنجدوا بعسوليبي الذي عرض عليهم مشروعه الديماورجي الذي تميز بمدائه للرأسماليين وللتناميز وعرف بروحه الوطنية ، فأخذ على نفسه شح حركتهم ثم القضاء على حصرهم بالشدة والعنف . وراح الحزب الفاشستي الصغير يحشد حوله ليمسك من لأضرار والمقامرين والاعاطلين عن العمل وحدثن بهم حملات تأديبية ويقوم بأعمال الخرافات والفن ويرتكب ضد أصحاب الأحرار والاعاطلين أعمال وحشية فظة وحسد امدارل الشعبية والبلديات المعروفة بروحها لاشتراكية ، ومنظمات العمال والتماريات ، الأمر الذي أدى الى قتل المشتريات وإصابة عدد يتراوح بين ١٠٠٠ و ٥٠٠٠ شخص ، ونهب بضع مئات من السيوت بتأدارة الجيش النظامي والبوليس والحكومة التي كانت تتولى عرقل او نقل بلوطيين الذين يقاومون هذه الاعمال . فعمت بذلك العوصى صفوف الاحزاب والنفقات المالية ، ثم كشف عن طامعه الرجعي عندما راحت النفقات الفاشستية تعمل ليس لتعطيل الاضرابات فحسب بل ايضاً تحاول المعاد الاتفاقات والعقود المتعلقة بالاحور ، وغير ذلك من هذه الارتباطات الجماعية الخاصة بالعمل .

وقد انضم الفاشيست الى الكتلة الوطنية التي تألفت من المحافظين والأحرار وكنار الملاكين المقاريين . وفي نور وآب ١٩٢١ طلب الى عمال مناجم الفحم الذين أعلنوا الاضراب ، الرجوع عن اضرابهم والعودة الى العمل تحت طائلة التعرض للضرب بالمخاروات ، والموجة الاخيرة من

تهديم منازل العمال في اكثر من ١٥٠ محلة ، مهدت الطريق أمام موسوليني « بالسير على روما »
ثم راح يتفاوض مع زعماء الحرب المورسوارى والأسيرة المالكة ، بينما امده الجيش بالأسلحة
والعتاد الحربي وكلفه الملك بتشكيل حكومة جديدة .

شهدت ألمانيا في اثار أزمة ١٩١٨ - ١٩١٩ ، احزاب اليمين لشدد من قبضتها
في جانب وتستولي على الحكم . تألفت الحكومات الاولى من الاحزاب التي شكلت
« حلف ويمر » ، أي من الاشتراكيين والوسط والديموقراطيين ، تحت سيطرة الحرب
الاشتركي . ولم يلبث هذا الحلف ان فقد تماسكاً رئيساً الحكومة كما فقد ام الوررت في
الحكم الكاثوليك ، منذ ١٩٢٠ ، والديموقراطيين منذ ١٩٢٢ ، يتوالون على الحكم في البلاد
وتوصلوا في نهاية الشوط ، الى التخلص من الاشتراكيين الديموقراطيين . وهذه التحولات التي
حققتها احزاب اليمين ظهرت للعيان بوضوح ، عندما توفي عام ١٩٢٥ ، لرئيس ايبرت ، وراح
حزب اليسار يورج أصواته من مرشح الشيوعي لرئاسة الجمهورية ثنان (الذي نال اكثر من
مليون صوت) وبين الكاثوليكى ماركسي (الذي نال ١٣٧٠٠٠٠٠٠ صوت) . الا ان كل
الاحزاب العمالية تشكلت واعطت اصواتها (١٤٥٠٠٠٠٠٠) للمرشال المس هيندنبورغ ، من
أشد انصار الملكية في ألمانيا لذي يحسم في شخصه الروح العسكرية البروسانية ، والذي كان
هو الأكبر إعادة تسليح الرايخ ، لا انه لم يلبث ان اصبح المورة من يدي حزب اليمين .
وتعاقب على الرايخ ، بين ١٩٢٠ - ١٩٣٠ ، سبع عشر حكومة قامت على أساس تحالف بين
الاحزاب . إلا ان ما اساءها من عجز ومن انقسام ، والدستور التي سبكت حولها ، وتكال
الحرب بعضها ضد بعض ولا سيما حرب الوسط الكاثوليكى الذي بعد ان كان لمدة طويلة
حليف الاشتراكيين ، دعياً لتوطيد الديموقراطية في البلاد ، أخذ يتقرب من الوسط ، هودة
منه للعمل بالنظرية القومية ، مما أدى الى الانتفاص من قمة النظام البرادي ، وخلقة هذا
النظام « المظلم الخافي من كل عقيدة » . وبعد عام ١٩٢٨ ، واستعانة حصول الحكومة على
اكثرية تمضيدها وتساندها ، أعلن عليها نظام حكم رئاسي . فملى عرار المقاطعات المستقلة إدارياً
التي تنعم كل واحدة بحكومتها الخاصة وبرنامجها الخاصة ، عرفت ألمانيا ٢٠ وزارة مختلفة ،
و ١٩ مجلساً نيابياً ضمت جميعها ٢١٤٨ نائباً ، تبرزت كل منها بخصومات صيقة صغيرة على عرار
ما كانت يجري في ألمانيا .

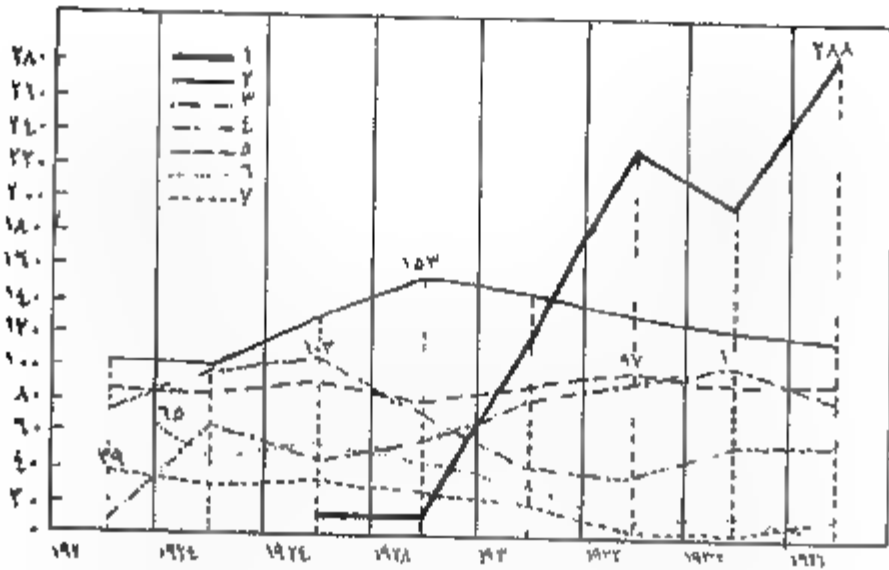
بعد عام ١٩١٩ ، وبالتعاون مع العسكريين المتشترين ، أخذت « الاقطاعية » التي لوحه
لاقتصاد الألماني ، أي هذا المريق من رجال المال والصناعة وكبار الملاكين العقاريين تحول دون
دخال أي تعديل أو تغيير على قوانين التملك المسمول بها في البلاد ، والعمل على صيانتها من كل
عش . وسيطر كبار الملاكين على القوف الزراعية في البلاد وعلى المجالس الزراعية وعلى اتحاد
المزراعين الرئيسي . محالوا دون تنفيذ القادون الذي صدر عام ١٩١٩ والذي يحسب لسهولة
استملاك الملاك الكبيرة في هذه المقاطعات التي تعود ١٠ بالمئة من اراضيها الزراعية

ملكيتها لاكثر من ١٠٠ شخص من سكان البلاد . وفي ناسيا ، اكثر من اى بلد آخر ، ماستشاه الولايات المتحدة الاميركية ، ترى كسر وحد الصناعة يصبون الى كتلتين كبيرتين تسيطر على هذه الشركات العملاقة كما يصفها راتسو التي تتألف من *Konzern* يحكمون بسبيل ايدهم القسم الاكبر من الثروة الوطنية ويصبون أنفسهم بأمر من سلطة الحكومة ليغرضوا عليها سلطتهم فقد عارضوا تطبيق القانون الذي نص ، عام ١٩١٩ ، على القيام بتضمينات وحشية من قرواتهم ، ووقفوا في وجه مجالس الشركات التي تألفت عام ١٩٣٠ ، وعارضوا قانون الثمان ساعات عمل ، وابطلوا معمول الاحكام والقرارات الصادرة عن محكمة التكتلات التي نشئت عام ١٩٢٣ ، للاشراف على الاتفاقات الصناعية ، وانكسر عقودهم واطمنهم لدى الافتضاء . لهم الذين سيطروا على مجلس الرايخشتاغ بصورة مستغرة ولكن مطلقة ، عن طريق « الحزب الوطني الألماني » ورثت حروب اليمين الفرعي والعسكري القديم ، وحرب الشعب الذي كان يرأسه شترسمان وكلاهما يمثلان مصالح الصناعة الصاعدة ، وابتدي غير الأخير منهما بأسلوب أقل تعنتاً مما عرف به أقصى اليمين ، وبذلك يقترب من الحزب الديمقراطي ، هؤلاء البورجوازيون ملتصون حول الجمهورية ، هذا الحزب الذي يعم برعاية رباب المال من اليهود ، رعاية ريتنو دوربرج ، والحزب الكبيرة اليهود ، أمثال برلينر فاغسلات والفرنكفورتر زايتونج . وهذان الحزبان الليبراليان من اليمين والشمال ، هما المسيطران الحقيقيان على كل مجالس الرايخشتاغ . الى اليمين وقف الوسط وحرب الشعب النافاري اللسان يصان بصعوبة كانت تزدهر اكثر فاكثر الصداقات الاجتماعية المتباينة فيما بينها ، وهما حرمان كاثوليكيان في الصميم ، فيادتهما بورجوازية ويتبعان سياسة انتهازية ، أحدهما فانمقري إذ سقطت نسبة اعضائهما من ٢٥ بالمئة قبل الحرب ، الى ١٩٠٧ بالمئة عام ١٩١٩ و الى ١٦٠٦ بالمئة عام ١٩٢٤ ، والى ١٣٠٨ بالمئة عام ١٩٣٣ . أما الاحزاب الاشتراكية صاحبة الاكثريه واستغلة التي كانت تقال ٤٥٥ بالمئة من اصوات المقترعين عام ١٩١٩ الى ٣٠٠ بالمئة قبل الحرب ، فقد ضاقت ، منذ عام ١٩٢٢ ، الحرب الديمقراطي الاشتراكي الذي كان يحظى بتأييد ٢٠٥٥ بالمئة من اصوات الملتاحبين عام ١٩٢٤ بينما كان الشيوعيون يتألفون ١٢٠٦ بالمئة ، وارتفع المعدل ، سنة ١٩٢٨ ، الى ٢٩٠٨ بالمئة بينما هبط معدن الشيوعيين الى ١٠٠٦ بالمئة (شكل ٣) .

ازمة الديمقراطية في أوروبا الوسطى وأوروبا الشرقية ، في الظاهر ، سوى واحدة ديموقراطية بعد ان اشتدت عندها الممارعات القروية والاستقاقات المتدهية ، واشتد الصدام بين جماهير الشعب البائسة وبين الطبقة اوسعها جسمه الصلبة للشقاوة ، تقوم على ادارة والحكم فيها صفة من الموظفين الفاسدين الخشعي الطبع . وقد استقر في ذهن هذه الدول ان الحريات الديمقراطية لا بد لها ان تحترق القوي هذاعة العاملة من الداخل ، وان حرية الصحافة والاحتجاج ، غير المصيدة ، والاقتضابات الحسرة تؤلف سلاحاً خطراً بين ايدي عداة البلاد في بداحي الخواج

فلا عيب ، والحالة هذه ان تشيخ الحكومات بوجهها عنها فتتعاطلها ، وان وُجدت هبشت بها وعملت في النهاية على قتلها .

وبالفعل ، فلم يستقم الامر للنظام الديمقراطي في هذه البلاد ، خلال هذه المدة ، وان عمل فيها يوماً فمضرة سيئة . ولذا سيطر عليها وضع من نظام المراقبة الشديدة واعلانت حالة الطوارئ ، واستلداد قوى الأمن ، وتحكمت فيها وسيطرت ادارة حكومية فـ هذه السلطة والصلاحيات ، كما ان اكثرية السكان الساحقة كانت على مستوى "متدنٍ جداً من القرية الضحلة .



شكل ٣ - عدد مجمل الأحزاب في مجلس الرايشتاغ .

١ - الحزب الوطني الاشتراكي ، ٢ - الحزب الاشتراكي الديمقراطي ، ٣ - الحزب الشيوعي ، ٤ - حزب الوسط وحزب الشعب النافاري ، ٥ - الحزب الوطني الألماني ، ٦ - حزب الشعب ، ٧ - الحزب الديمقراطي .

كل هذه العوامل شوهت النظام الديمقراطي وحالت دون قيام نظام سوري كما حالت دون تطور أي نظام ديمقراطي ، اذ ما وُجد ، تطوراً طفيفاً . ولم تحرف معظم هذه البلدان يوماً معنى للانتخابات الحرة . ففي رومانيا ، كما في دول اميركا اللاتينية ، يشرف على الانتخابات ويقوم بها الحزب الحاكم ، وبذلك يؤمر له اكثرية ساحقة في المجلس التمثيلي ، وباستطاعة أي حزب ، في مثل هذه الظروف والأوضاع ، ان يؤمر له العور بمشر مقاعد او بر ٣٠٠ مقعد في البرلمان حسبما يكون في الوراثة او في صفوف المعارضة .

٢ - ضعف الأحزاب الاشتراكية والشيوعية الممارسة

لم يكن من العسير لعصري ، على القوى التقليدية المحافظة ، ان تفرض نفسها وان تسيطر على الأوضاع ومقدرات البلاد ، على ما ترى فيها من ضعف المعارضة لاشتراكية وانقسامها على نفسها .

فالحركة الاشتراكية التي اخذت قنمو ويستفعل امرها منذ مطلع القرن والتي بات فورها ، عام ١٩١٩ ، امراً لا يمكن تجاهه والخوف دون تحقيقه مما قريب ، عجزت تماماً مع ذلك ، عن تحقيق الاهداف التي رسمتها لنفسها ، بل ممكن زحزحتها بيسر في هذه البدايات التي سيطرت عليها او كادت . والمثل الذي 'مسيب به' ، لا يمكن بوجه من اوجوه ، ردت الى عزوف الطبقات الهامية عنها ، فقد عرفت ، على عكس ذلك ، ان تكتسب باستمرار ، المرید من المریدين والاصغار والمنعطفين معها . الا انها راحت تشكو الضعف المتفديد ، للانقسام على نفسها ، من جهة ، بين اشتراكيين وشيوعيين ، ومن جهة اخرى لمعزها عن تحقيق الاصلاحات لدستورية التي حاولت القيام بها في نطاق الديمقراطية التمثيلية .

فالانفصال الذي وقع خلال الحرب ، بين العناصر الاصلاحية في قلب الحركة الاشتراكية التي ألغت من ضمن كتلة التفتت حول الحكومة ، وبين العناصر الاخرى التي بقيت على ولائها لدولية وللثورية ، اكتمل بشكل نهائي في اثر الحوادث التي جاثمت في عقاب الحرب أولاً ، ولا سي في اعقاب الثورة الروسية .

فالأحزاب الاشتراكية والفايات الهامية انقسمت على ذاتها بوجه عام متوارعة بين النزعتين الرئيسيتين ، بحيث احدا يرى يبعاً ينزع ، اكثر فاكثراً ، الى الاعتدال ، فاذا ما ادعى الماركسية وانتسب لها ، فهو يتنكر لكن حركة ثورية ويديده لكل سياسة 'قومية' ، ويرضى بالتعاون مع الاحزاب المورسوارية ، او يتقيد ، في اصعب الايمان ، باللعبة البرلمانية ، ويقنع ببرامج تأميم واسع يهبط على مراحل ، ولو جاء غافصاً مستوراً ، ونرى من جهة اخرى ، يساراً شيوعياً او نزاعاً للشيوعية ، بقي على ولائه لمبادئ الصراع الطبقي ، يعطل النفس بالاسيلاء على الحكم بواسطة البروليتاريا ، عن طريق ثورة شاملة لا انه عجز من ان يحقق هذه الثورة بالقوة . ولما كان يداهن الحزبين المذكورين قاعدة شعبية كافية ، فلم تر فيها الاحتمالية خصمين رهيبين يطش شرهما .

الاحزاب الاشتراكية اما في انابيا ، والصراع بين الاشتراكيين الديموقراطيين وبين شيوعيين مستقل ، انفجر منذ التاسع من تشرين الثاني ١٩١٨ ، بين وررة إديرت - هار - شيدمن وبين لجنة برلين الثورية . والحلف الذي تم عقده بين إديرت وحيث الاركانت سسا ، اتاح لوسلك ، ان يطعم ، في ادم ، كارياسا ، الحركات السباراكية والثورية . فعند الآن وصاعداً ، باستثناء الحادث الذي أدى الى تحقيق وحدة

اشتراكية قصيرة الأمد ، ضد الانقلاب الذي قام به كابل لوتوت ، في ايار ١٩٢٠ - تبقى المعارضة قائمة بين الحريين الكبيرين في الحركة العمالية - ومنذ ذلك الحين ، تحلى الاشتراكيون الديموقراطيون عن برنامج ارفورت ، هذا البرنامج الذي وضعه «يخسان كارل ماركس» ، وقتصرت مطالبهم على حل التشكيلات والمنظمات العسكرية التي جالب اعضاء الطابع الاشتراكي على الصناعات الرئيسية في البلاد ، كالنسيج والصاعات الكهربائية . فقد كان مهمهم بالدرجة الاولى ، الحفاظ على مصالح اعضاء الحرب في اطار الرأسمالية ، ولم يمسودو سوى عنصر من هذه العناصر التي يتألف منها التحالف الحكومي ، تحت ادارة زعماء بورجوازيين هم اعضاء في حزب الشعب او الحزب الديموقراطي ، حزبي رجال الصناعة ، او من اعضاء الوسط الكاثوليكي . الا ان قوتهم الانتخابية لم تضد قط وعرفوا ان يحافظوا على ما لها من شأن وموعد عظيمين ، إذ حققوا قوراً مهنراً في انتخابات عام ١٩٢٨ ، وراحت اصوات مناصريهم ثلاثة اضعاف ، في الانتخابات البلدية ، ونالوا ما يقرب من ثلث المقاعد في انتخابات الرايشتاغ ، الا انهم كانوا اعجز من ان يستأثروا بالحكم وحدهم . وفي قلب الحلف الكبير الذي انضموا اليه ، اصارهم حلفاؤهم الى الفصل وظهر عجزهم المزيج ، عندما منعت الفرصة لانشاء حركة شعبية للدفاع عن الديموقراطية .

وقد عرفت الحركة الاشتراكية ، في فرنسا ، المصير ذاته ، إذ انقسمت على نفسها في المؤتمر الذي عقده في مدينة تور ، عام ١٩٢١ . الا اننا نرى هنا اكثرية ساحقة (٣٢٠٨ مندوبين مقابل ١٠٢٢ مندوباً) تقترح على الانصاع للحركة الشيوعية وتحافظ على حرية « الاومانية » - الإنسانية - التي سبق لجوريس وانشأها . وقد ألغت الأقلية ما عرف منذ ذلك الحين ، بالحزب الاشتراكي الموحد (S.F.I.O.) ، تحت اارة ليون بلوم ويراك ويول بونكور ورينو ديسل . وصحفتهم : لو بويلير - لم تكن تصد ، عام ١٩٢١ ، سوى ٢٢٢٥ مشتركاً لا غير ، وقد ارفع هذا العدد الى ٦٣٠٠ عام ١٩٢٣ مع ان الحاجة تبدو ملحة الى ١٥٠٠٠ مشترك لتتم للجريدة المذكورة موارد تؤمن لها الاستقلال المالي . ومع ذلك فلحزب اخذ ينمو ويزداد . فقد عدت ٣٩٠٠٠ مشترك ، عام ١٩٢١ ، و ٦٠٠٠٠ عام ١٩٢٤ ، وفي انتخابات عام ١٩٢٤ التي عقد خلالها محالقات له مع الحزب الراديكالي في عدد من المقاعد ، بلغ ما ثاله من الاصوات مليوناً وربع المليون ، وبفضل طريقة الاقتراع التي ساعدت التحالف بين كتلت اليسار ، نال في الانتخابات العامة ١٠٤ مقاعد في مجلس النواب . الا انه عجز عن استلام الحكم وتنافس من الاشتراك فيه عندما عرض عليه الحزب الراديكالي ذلك . فمساعدته لهذا الحزب لم تصد عليه بتطبيق اي اصلاح ذي شأن .

اما حزب العمال ، في انكلترا ، الذي بقي في مجموعه تقريباً على ولائه للدولة الثابتة ، فقد وجد نفسه ، في اعقاب الحرب ، تحت قبضة الفاشيين . فقد سبق لسدي ويب ان وضع برنامجاً أقره الحزب في المؤتمر الذي عقده في شباط ١٩١٨ ، بعنوان : « العمل والنظام الاجتماعي

الجديد ، من مطالبه الرئيسية تحقيق « حد أدنى حياتي » ، عن طريق التخصيص إجراءات وتدابير عامة تتعلق بالصحة والزراعة وبحاربه البطالة ، والمعوق الاجتماعي وتأمين شبكة الخطوط الحديدية ، والتأجير والقوة الكهربائية . فالانتخابات التي حثرت في كانون الأول ١٩١٨ ، أعطته ٢٤٢٤١٠٠٠٠ صوت وأثبت له ٦١ مقعداً بقوا لا حول لهم ولا طول ، أمام ٥٣٥ مقعداً تأهلت التحالف الذي سيطر عليه المحافظون . وقد وثى الخطر هذا ، الحرب في إثر التمسح الذي أصيب به حزب الاحرار ، فأصبح معه حزب العمال الحرب الثاني في بريطانيا . وقد نال في انتخابات ١٩٢٢ نحو ١٥٩٠٠٠٠ مقعداً . ونال ١٩١٠٠٠٠ مقعداً في انتخابات عام ١٩٢٣ وأخذ ٤٤٤٠٠٠٠٠٠ من أصوات الناخبين ، ولأول مرة في تاريخ انكلترا يؤلف اعضاء حزب العمال في كائون الاول ١٩٢٤ ، هو رمزي ماكدونالد ، ول حكومة عمالية في تلك البلاد . ولما كان حزب العمال من أحزاب الاقلية ، فلم يستطع البقاء في الحكم إلا بالتعاون مع حزب الاحرار الذي لم يستطع الحكم ، هو الآخر ، بدورهم ، فاضطر بالتسلي للتخلي عن برنامجهم المقسم مع ذلك بالاعتدال وابتهاج سياسة لبرالية تراعي الواقع . ومشروع المودنة الذي وضعه سودن لم يكن مأثور عمالية وعندها من أي مشروع مودنة من وضع حزب المحافظين ، ولجنة رئيس الوزراء في معالجته قضايا السودان ومصر هي لجنة حزب لاهرار دقة . وعدد الاصوات التي نالها في انتخابات عام ١٩٢٤ راد نحو ٨٠٠٠٠٠٠٠٠ من مليون صوت إذ تجاوز ٥٠٤٨٧٠٠٠٠ . والفشل الذي آل اليه الاضراب العام الذي أعلن سنة ١٩٢٦ ، كان من بعض نتائجها الاولى تسجيل تقهقر ملموس في اعضاء حزب إذ التخص عدد اسجلين في سجلاته الى النصف . الا ان انتخابات عام ١ٹ٢٩ سجلت له انتصاراً كبيراً إذ نال ٨٤٣٦٤٠٠٠٠٠ صوت وأعطته ٢٨١ مقعداً . ومع انه جاء في عداد أحزاب الاقلية في المجلس بسبباً ، فقد كان مع ذلك أكبر حزب فيه ، وهكذا استطاع ان يستأثر بالحكم والسلطة في البلاد ، عام ١٩٣١ . وبالرغم من لطالب المتبدلة التي تضمنها برنامجهم والممو المطود الذي هممه ، فلم يكن استطاعة حزب العمال في انكلترا ان يلعب دوراً بارزاً أو أن يوازن ، بصورة جدية نفوذ المحافظين في البلاد .

اما في يطالب حيث كشفت انتخابات عام ١٩١٩ عن وجود حزب اشتراكي قوي وشيظ إذ ربح ١٤٨٤٠٠٠٠٠ صوت ونال ١٥٧ مقعداً ، فقد انقسم كل نفسه في مؤتمر ليفورد الى اشتراكيين وشيوعيين . وقد أوصى الصغوم المضاد الذي قام به انماشيست عؤارة قوى الحكومة الى هدم كلا الحزبين معاً . وبالرغم من الملاحقات والاضطهادات التي استهدفو لها ، لم يستطع الاشتراكيون والشيوعيون ، بالرغم من مخافة والنشاط الذي مداه عرامشي وعضلياني ان يصلوا الى توحيد عملهم حتى بعد ملن ماثيوني سكرتير الحرب لاشتراكي البرماني على يد الفاشيست ، وبعد التظاهر بالانسحاب من الاكثية ، انتدع الجميع للنشاط السري او الخفي فأصبحوا ابدأ عرضة للتوقيف والابعاد الى الخارج ، ثم للزوح عن البلاد حيث يأخذ كل من الحزبين بقلد مؤثراته العامة .

وفي اليابان حيث لا تشريع ينظم العمل ولا ضمانات احتياطية ، ولا تحديد لساعات العمل في اليوم ولا أوقات راحة أسبوعية (عطلة يومين في الشهر لا غير) ، انفجرت الاضرابات بكثرة ، بعد عام ١٩٢٧ ، وأحدث الحركة العمالية فيها تطوراً بنقطة ، بالرغم من ضعف الأمن العام فيها ومصائبه ، وبالرغم من القوانين التي صدرت عام ١٩٢٥ و ١٩٢٨ ، وفي هذه السنة بالذات ألح العمل بالحكام قدون الاقتراح العام ، ثلاث اشترائيين ، الدخول في اجلاس الاسفل ، والحركة لا تزال بعد ضعيفة . ومع ذلك فهي آخذة بالتطور الصاعد والتقدم ، إذ ارتفع عدد حرب العمال سنة ١٩٢٨ من ٣٥٠٠٠٠ الى ٧٥٠٠٠٠ عام ١٩٣٥ . إلا ان الردة العسكرية حسمت عذبة إذ عصت الاوامر التي صدرت عام ١٩٣٩ ليس محل النقابات العمالية فحسب ، بل ايضاً ، محل الجمعية للصناعية الوطنية .

ليس في وسع الشيوعيين ، أيها كانوا ، ان يلعبوا دوراً بارزاً في ي الاحزاب الشيوعية برلمان او في الحياة السياسية في اي بلد ، بالنظر لما كانوا عليه من امزالية وانكماش على النفس والنظر لما قام بينهم وبين الاشتراكيين من صحن وتخصرمة ، إلا عن طريق النقابات العمالية التي لم في صعودها بعد كبير جعل لتصرفاتهم بعض التأثير . فالحزب في كل من انكلترا وفي الولايات المتحدة الاميركية ضعيف جداً . أم في انابيا ، فالحزب الشيوعي فيها يجد تعاضداً لدى جناح اليساري للحزب المستقل ، وبندى كل هؤلاء الدين سخامته آمالهم من التعاون الذي قام بين الاشتراكيين والشيوعيين وبين الاحزاب البورجوازية فالحزب الشيوعي كان المهرض الأكبر والسبعث الاول للحركات الثورية التي نشبت عام ١٩٢٣ في مقاطعات الساكس - تورنج ومبورج وفي الرومر . إلا ان عمال القمع التي استهدفوا لها تولدت هم سريعاً ، لا رجة فيها ولا هواة . ومع ذلك ، فقد غال مرشحهم ثلاث لرئاسة لجمهورية ضد هندنورج ، أقل من مليون صوت بقليل في انتخابات عام ١٩٢٥ وهذه الحيوية التي جاش بها الحزب فب دليلها القاطع ومدلولها الدافع في الانتخابات العامة التي وقعت عام ١٩٢٤ و ١٩٢٨ حيث بلغت النسبة التي سجلها من أصوات الناخبين له ثماناً ، كما رأينا ١٢٠٦٪ . و ١٠٠٦٪ .

والحزب الشيوعي الفرنسي من حيث ، عام ١٣٠٠٠٠ عضو عام ١٩٢٩ ، إلا انه انقسم واقتطع من عضويته الفئات الفوضوية والانتهازية ، وأهندس المشيرة الحرة (الماسويين) ، ولم يكن له عام ١٩٢٥ سوى ١٠٠٠٠٠ عضو لا غير . واذ ذاك جرى تنظيمه على أسس جديدة ، هدف معها قبل كل شيء ، ليس الى العمل الانتعاشي فحسب ، بل يضماً الى تشيئة العناصر الناشطة لنشر الحزب ومساعدته وتدريب الحلايا العاملة بين صفوف الاضراب والمريدين وتأهيلهم للإعلام والادعارة . فالحلايا تنتظمها حلقات قانونية تلتزم حول حلقات رئيسية تؤلف بدورها ، مجامعات وحر تنظيم فيه كثير من المروية والطواعية ، تشد الأعضاء ببعضاً الى بعض وتؤلفهم وفقاً للمصالح المادية التي تجمعهم بحيث يرتبط الناس ببعضهم البعض على أسس متينة قوية . وتشد

هذه الوحدات روابط شاقولية تجعلهم في مأمن من المراقبة ، ومفاسكات قوى الأمن ، ولانتقال بسهولة الى العمل السري والنشاط الخفي ويجهد الحزب بنشاط ليؤلب حذوله لاشتراكيين المجاهدين ويكشف لهم ما هم عليه رؤساؤهم من تواطؤ مع الطبقة النورحوارية هيكرور ، بكل مناسبة ، عرضه بتشكيل جبهة موحدة معهم ، وهي عروض طلالا اخر من عنها الحزب الاشتراكي وضرب بها عرض لحائط . فنان الحزب في انتخابات عام ١٩٢٤ اكثر من ٨٧٥٠٠٠ صوت و ٢٦ مقعداً في المجلس البلدي الفرنسي ، اي اقل من نصف المعدل الذي كان يؤمنه لهم توزيع نسبي والعودة الى نظام الدائرة في الانتخابات العامة للحد من احتمالات نجاحهم في عملية اقتراع لاحقة اقدهم لمزيد من الاصوات في انتخابات عام ١٩٢٨ . فقد نال الحزب ١١ مقعداً ، سجل ١٠٦٤٥٠٠٠ صوت . والصراع الانتخابي كان ساعداً . فقد رفض الشيوعيون اعطاء اصواتهم لزعيم الحزب الاشتراكي في الانتخابات التكميلية فكان موقعهم لتصلب هذا سبباً في سقوطهم . وهذا الانقسام الذي باعده بين الحزبين أمثله نجاح انتخاب عدد من المحافظين في كثير من المقاطعات وضمن لهم اكثرية ملحوظة في المجلس البلدي . وخيبة لامل التي شعر بها كثيرون من جراء هذا الموقف والموقف الوحيمة التي أدى إليها ، تساعداً على فهم ازمة العدد التي عرفها الحزب اثر الاستقلالات وحركة الانسحابات التي حثرت عام ١٩٢٠ و ١٩٢٣ . أما في البلدان البلقانية فالاحزاب الشيوعية هي محظورة في كل من هنغاريا ورومانيا .

وبالمقابل ، ونتيجة منطقية لهذا الضعف الذي نزل بالاحزاب السياسية الانقسام النقابي العمالية ، ترى الوهن والضعف ذاته يدب الى الحركة النقابية ، من جراء هذه الانقسامات والعشال الذي تسببه في الانتخابات العامة ومع ان الحزب حقق في آخريات الحرب مكاسب سريعة وكبيرة ، فقد ساء لهبوط سريعاً والانهيار عميقاً . وقد كان التباين بين النقابات ورؤسائها وقضارب لأراء حول الموقف الذي يجب وقوفه بالنسبة للثورة الروسية والسير على موالها عند الاقتضاء ، والانقسام الذي فصح إليه خلاف بين الاشتراكيين والشيوعيين أدى بالتالي الى اشتقاق التفتت على بعضها حيث ترى مذاهب متضادة متعاضدة . وقد نجم ، عن ذلك ، في هذه الحقبة التي غيرت تاريخ عام في لاسماروفي الأرياح ، والتي كان من المفروض ان تستجيب حثيثاً لمطالب اصحاب الأحرار ، رأت طبقة العمال نفسها فيها مشاولة وعاصرة عن المطالبة بحقوقها والحصول على نصيبها منها .

وفي الدنيا ، راحت النقابات العمالية تقف ، منذ تشرين الثاني ١٩١٨ الى جانب لاشتراكيين الديموقراطيين ، حذولاً منها حول الثورة العميقة ، بعد ان قعدوا هادج ادراج مدى الاشتراكية في صلب الدستور . لا ان القوانين التي صدرت عام ١٩١٩ ، أفضرت العمليّة على تشكيل هيئات اقتصادية بين للصناعات الاستخراجية وبين العاملين في الطاقة الكهربائية ، وصناعة البوتاس ، وتأمين نوع من الاستقلال الاداري لها تحت اشراف الدولة . وبعد محاولة الانقلاب التي قدم بها كابل ، وتدخل النقابات باعلان اضراب عام انقصد الجمهورية من الانهيار ، راحوا

يحاولون القيام بإصلاحات جاء على ذكرها البرنامج الذي وضعته الرابطة العامة للقطاعات . إلا أن المجلس الاقتصادي الذي عهدت إليه الحكومة مهمة درس هذه المذالب ، سيطر عليه كبار رجال الصناعة ، فتولى ثلاثة منهم وضع صيغة اقتضى جعل منهم أسياد الموقف . فمن بين النعور المسجلة في الدستور ، الحق للقطاعات بتمثيل العمال أيضاً وإنشاء سلطة مماسكة تتألف من مجلس العمال العاملين في المصانع ، والمجلس الاقتصادي ، فقد تحقق فقط إنشاء منظمة العمال العاملين في المصانع . لا أن قانون ثمان ساعات عمل الذي صدر عام ١٩٢٣ تم إلغاؤه بالعمل عام ١٩٢٣ . وهكذا فالتقانات التي كانت تتمتع ، منذ عام ١٩٢٠ ، بموقف متين جداً عادت القهقري أن تندور المارك وتضمم النقود وموافقة لاشتراكيين على مخالفة القوانين الاشتراكية أي البطالة ، كان السبب في المصوطة العظيم في عصوية النقابات إذ نقص عددهم إلى أقل من النصف مما راه في سلبية الطبقة العمالية أمام الاقتراحات التي تقدم بها أرباب الاقتصاد الألماني .

وفي فرنسا أدى فشل الاضرابات عام ١٩٢٠ إلى إضعاف الحركة النقابية . فمن أصل المليونين عضو المسجلين في C. G. T. هبط العدد إلى ٦٠٠,٠٠٠ في أواخر عام ١٩٢٠ ، ثم انقسمت الحركة على نفسها ، وفي شهر كانون الأول ١٩٢١ ، انحسرت العناصر التوددية تؤلف نقابة مستقلة تحت اسم C. G. T. U. أي النقابة العامة لاتحاد العمال ، كما أن النقابة العامة للعمال التي أربكتها هذا الانقسام وأضعفها ، لم يردده عدد أعضائها إلا ببطء كلي وبمشقة . وقد اقتضاها عشر سنوات من الجهد الموصول ليرتفع عدد أعضائها عام ١٩٢١ ، إلى ٣٧٣,٠٠٠ وإلى ٧٣٩,٠٠٠ عام ١٩٣٠ ، ومعظم الأعضاء الجدد من الموظفين ومن عمال المناجم وموظفي مراكز البريد الذين ألفوا في نهاية الأمر ربيع الأعضاء المسجلين . فعزّ تكسبهم للحزب تعديلات هامة في أساليبه وبرامجه ومساحي تفكيره . وبعد سنة ١٩٢٢ ، أخذت النقابة العامة للعمال تتخلى شيئاً فشيئاً عن عادة الرجوع إلى الاضرابات . ووسائل العمال المثل لديها ، لم يعد العمل المباشر ، وهي الطريقة المحببة لدى النقابة العامة لاتحاد العمال ، بل الضبط على السلطات العامة والمفاوضات الرسمية ، والمناقشات النيابية التي أحادت استعمالها . فالرغبة في تأمين الطمأنينة والاستقرار في العمل تتغلب عندها على الرغبة في تحقيق إصلاحات دستورية فهي توحده جهودها لتحقيق لاقتاعات والتحكيم . فهي تعتمد أصلاً طريقة الحضور ، وتحاول سببها في إيجاد روح نقابية بناءة ، ولذا رأت من مصلحتها التعاون مع الحكومة ومع الأحزاب بغية تطبيق القوانين الاشتراكية المعمول بها كقانون ٨ ساعات عمل في اليوم ، والضمان الاجتماعي على أمواجه ، كما تشارك في أعمال مكتب العمل الدولي B. I. T. ، وفي أعمال عصبة الأمم ، ومع المجلس الاقتصادي الوطني الذي تم إنشاؤه عام ١٩٢٥ . ويجعل القول ، أن القسم الأكبر من العمال العاملين في الصناعة ، بقي بعد اليأس الذي انتابه منذ عام ١٩٢٢ على إثر الفشل الذي لحق بحركة الاضرابات وشأ عن الانقسام ، بقي في منزل من جهود نقابتي

العمل العامتين .

كان من نتائج الحلف الذي لحق الحركة العمالية في البلدان الاسكندنافية حيث تم تسجيل الحركة اي انقسام نقابي ، ان وضع الحركة تحت رحمة خصومها فهي الولايات المتحدة التي شهدت فشل المحاولات المبذولة لتحقيق حزب للعمال ، وحيث قال مرشحو الحزبين الاشتراكي والشيوعي لرئاسة الجمهورية ٢٦٧٠٠٠ و ٤٨٢ صوتاً فقد شهدت سنة ١٩١٩ وحدها ٣٦٠٠ اضراب يقوم بها اكثر من ١ ملايين عامل ، وهي اضرابات قلما بقيت نجاحاً او إقبالا في الصناعات الفولاذية حيث امر ارباب العمل بتركيب رشاشات في بوابد المصانع وصربرا حولها حواضر من الاسلاك الشائكة الكهربائية . ثم جاءت سنة ١٩٢٠ ، وجاءت معها حركة انكماش النقود والمطالبة ، وهجوم ارباب الصناعة على الاتفاقات الجماعية وعلى النقابات العمالية . وقد اصدرت المحاكم ، ومن بينها المحكمة العليا ، أحكاماً مختلفة على البعض من هذه النقابات وأعلنت الاضرابات عملاً غير قانوني ، فلا عجب ، و لحالة هذه ، من ان يصاب الاتحاد العام للعمال (A. F. L.) بالفقرى ويلسحب منه أكثر من ٤٠٠٠٠٠ من اعضائه المسجلين مع ان نشاطه اقيم دوماً بموقف معتدل رعى ابدأ للتوفيق . وقد توصل ارباب العمل ، في بعض الصناعات للتحصن من كل تنظيم عمالي ، كما توصلوا أحياناً ، الى تأليف نقابة بصورهم امرها بين أيديهم .

وفي انكلترا اخذت الحركة العمالية الاتحادية تمامي ، هي الاخرى ، من بعض المشكلات الطادة ، ولا سيما من هذه المشكلات التي تثيرها الصناعات الاستخراجية ، وتثيرها البطالة . ان طريقة استعراج الفحم البالية وتكاليف الانتاج العالية أدت الى حد الوضوع الزبري الذي يتسكن فيه العمال ، الى تأليف لجنة خاصة تعرف عندئذ بلجنة هيني ، كان بين الاقتراحات التي تقدمت بها ، تأميم المنجم ورفع الاحور . وقد رد العمال عام ١٩٢١ على اغلاق ابعامل ومصانع في وجه العمال ، باضراب عام ، باء بالفشل لدرج ، بعد ان رفض حمل مناجم الفحم الانضمام الى العمال المضربين . وأطلق الصدام من جديد ، عام ١٩٢٥ ، وطلب ارباب العمل أخيراً احراء تجميع في لأحور وريادة ساعات العمل في المنجم . وأمام هذه المطالب ، قرر اتحاد العمل العام الاضراب الشامل ، فأدلى الرعب في قلب البورجوازية البريطانية ، إلا ان الاضراب أخذت تضعف حدته بعد تسعة أيام ، والفني الفرار بالاضراب العام ، واستمر المندوبون خمسة أشهر في موقفهم يحارلون عنثا الحصول الى نقابة مرضية . وراحت حكومة المحافظين ، تستغل ه اسوأ مثل تصاب به الحركة العمالية في تاريخها ، لتقر قانون عام ١٩٢٧ حول النقابات ، فاعل عدم شرعية اي اضراب عام او اي اضراب يُعمن تضامناً معهم . وقد أدى هذا الفشل ، هذا ايضاً ، الى هبوط في عضوية النقابات في وقت جاء فيه الاستمرار في الاضراب ينتهي وصفاً غير ملائم لتحقيق المطالب العمالية . وهكذا بعد ان أسقط في يدها وأصبحت بالفشل والعمر ، اضطرت الحركة العمالية ان تخضع لسياسة المحافظين .

النظام الدريبي

محد خصوم لأرستالية ومناوئوها ، بعد الانقسام الذي ابتلوا به والمنافسة الحادة التي نشبت بينهم في كل بلد ، واشتد بهم إلى احزاب عمالية وإلى نقابات متخاصمة متباعدة ، إلى بحث المنظمات الدولية التي كانت قلقة قبل عام ١٩١٣ أن هم الاحزاب الاشتراكية هي التي قامت في الدنيا (مليون عصر) وفي النمسا (٧٠٠.٠٠٠) والسويد (١٣٠.٠٠٠) وتشيكوسلوفاكيا وفرنسا (٢٥٠.٠٠٠) أي ما يوازي مجموعه ٦.٠٠٠.٠٠٠ عضو ١٤ فيه الانصار والمتعاطفون مع الحزب من الاحزاب الاخرى . كالأحزاب الاشتراكية البلجيكية والاسكندنافية ، والعلم من مجموعهم للدولية الثانية . أما الدرية الثالثة الكومسترن ، التي تأسست عام ١٩١٩ في موسكو ، فقد تألفت من الاحزاب الشيوعية الا أن بعض الاحزاب الاشتراكية ، كالحزب السويسري ، وحزب العمال المستقل في انكلترا والحزب الاشتراكي المستقل في ألمانيا رفضت ، بادىء الامر ، الانضمام إلى هذه أو تلك من المنظمات الدولية وفصلت ان تشكل وحدها لاتحاد ، لاربع المعروف بالحمدافيدا او المنظمة الدولية الثانية ، وقد باءت بالفشل محاولات التوحيد بين هذه المنظمات التي سعوا إليها في كل من مؤتمرات برلين وبيينا وممورع ، عام ١٩٢٣ ، وفي نهاية الأمر بقيت منقسمة وحدها لوحده : الدولية الثانية والدولية الثالثة .

وهذه الانقسامات وما أدت اليه من مآفسات حادة في مجال النقابية الدولية ، قبلها التحالف الدولي النقابي الذي ضم في صفوفه النقابات الاصلاحية وجميع عام ١٩٢٩ نحو ١٤ مليون عضو ، منهم ٣.٦٠٠.٠٠٠ في انكلترا ، و ٦٠٠.٠٠٠ في فرنسا ، وأصبحت النمسا وتشيكوسلوفاكيا وبلجيكا واسكتلندا مجتمعة أكثر من نصف مليون عضو في كل منها ، وهي على اتصال وثيق بالحزب الدولية الثانية ، وكلها تتعاون مع مكتب العمل الدولي (B / T) ومع السكرتيرية العامة لمنظمة العمل الدولي (O. I. T) وهي منظمة يشترك في اعمالها وشهادتها ممثلون عن الحكومات ورؤساء النقابات العمالية وممثلو أرباب العمل . وتلتصق أمامها المنظمة الدولية للنقابة التي اعيد تشكيلها في موسكو عام ١٩٢١ وعرفت تعاونها العام مع الدولية الثالثة ، ومن بين الهيئات المنتسبة اليها النقابات السوفياتية ، والاتحاد العام للنقابات العمالية (C. G. T. U.) الفرنسية .

وهكذا نرى في كل المجالات ، الحركة الاشتراكية تنقسم إلى قسمين يفرعان جوهريين ويكرسان قواهم في محاربة الوحدة الاخرى ، كل طرف منهما يحاول السيطرة على الطبقات العمالية ، مصداقاً الواحد منهما الآخر .

الخلاصة

تنصرف أهم الدول في العالم التي تولي الامر فيها ، في هذه الفترة الواقعة بين ١٩٢٠ - ١٩٢٩ ، حكومات محافظة ، إلى إعادة تنظيم السيامي والاشتراكي في ظروف قاسية غير متكافئة وعلى قدر متساوية من التوفيق والنجاح . وكل هذه الدول شهدت عن كثب الادوار التي قطلتها حركة التصنيع والمكننة وبالتالي التطور الديموغرافي

وحركة تكاثر السكان بين الطبقات العامة ، سواء في الريف أو في المدينة وطابع التركيز الذي ميز المشروعات الاستعمارية ، وقبضة الطبقات الموجهة على أجهزة الحكم فالولايات المتحدة وحدها بين هذه الدول هي التي عرفت ن تفيد ، الى حد بعيد من هذا الازدهار الموصول بالنار للعيان بينما كانت بريطانيا العظمى تمر في أزمة مستمرة بمسدة العمور ، وبين هذين الحدين والتهابيين المقصوبين ، عرفت البلدان الأخرى حياة مضطربة لا استقرار فيها ولا سكون ، كما عرفت فترات مقطعة من الازدهار تثبت بصورة لا تدع مجالاً للشك عجز الوسائل والأساليب التي استعملها الإنسان وسعورها لاعادة البناء ، والعطب السريع الذي يستهدف لها هذا البنيان . وهذا الوضع وسرعة العطب الذي يتعرض له ، سيكون من شأن أزمة ١٩٢٩ الحادة ان توضحها وتبرزها بجللاء للعيان .

الفرع الأول

بَحث الحياة الفكرية والفنية

« أحد الإنسان يدرك نفسه ويعلم حقيقته كعادت
طاري، وأقل في هذا الوجود ، كما حدد يدرك بأنه مرحلة
مؤقتة في عالم متحول متطور باستمرار » .
ج. د. بلوك

في الوقت الذي شهد فيه أوروبا تقلص سادتها وروال سيطرتها امدية ، كانت هذه الفترة
مسرعا لنشاط فكري عارم طرح على بساط البحث من جديد - كنتيجة منطقية لهذه
الكشوف العلمية التي تم الوصول اليها منذ مطلع القرن - كل المسائل التي قامت عليها المعرفة
العلمية وما من ذلك من قيارات ونظريات فلسفية . وكان من بعض نتائج الجامعة الكبرى التي
منلتها الحرب العالمية ، وعدم الاستقرار السياسي والاقتصادي ان رادت السلمة والعموض اللذين
بعثتهما في النعوس ، النظريات العلمية والفلسفية الجديدة ، والوعي الصادق لهذه التغيرات
الجذرية التي وقعت في العالم ، برزت ، على درجات ونسب متفاوتة من الوضوح ، في كل
مجالات الفن والفكر ، إرادة شائعة للتعدد والبحث . فتمعن اصحاب ثورة حقيقية تتناول كل
مظهر من مظاهر التعبير .

كان مطلع القرن العشرين حتى عشية الحرب العالمية الثانية ، مشحنا بروح من التساؤل
الانقلابي اندي تركبه في النفوس ، القرن الثامن عشر وبعض القرن التاسع عشر ، وهو تساؤل
يظاهره ويلداه العلم انهطور ، بأن لا انسان ان يحكم فيها همه الا وفقا لمعلومات ولداه عقلانية ،
اي عملية . ومع ذلك فقبل عام ١٩٢٤ ، شك كثيرون بهذه العقلانية وهذه التماثلية ، في
القرن التاسع عشر بشخص كبير كلفارد وبكثيرة فاعترافا من الاساس . وتبدو في الاقاي ازمة
هوجاء تهديد بالدمار والخراب ، ايس تراث فنت وكونت الفلسفي فحسب ، بل ايضا هذه
الانسانية نفسها المتحدرة اليانا من عصر الانبعاث في القرن السادس عشر .

١ - الجو الفكري الجديد

الثورة في العلوم الفيزيائية جاوز العلم بمبدأ ، في بضع سنوات ، النظريات القديمة التي قامت على تعاليم اقليدس ونيوتن والتي عليها نهض البنيان العلمي . فقد سبق للعالم الرياضي الالماني هابرث الذي سيطرت تعاليمه ان كان واقفاً الاصل المأخوذ ، عام ١٩٤٣ ، على العلوم لرياضية ، بعد وفاة هيري جوانكاريه ، ان قال بوجود كون له من المقاييس ما لا يمتد ، وترك لنا « نظرية المجموع » ، هذه النظرية التي عرّجت على مساط المبحث من جديد ، أسس الرياضيات . وهكذا أصبحت عين « علوم منطقية جديدة » تدعي بأنها تحطت بعيداً العلوم التي وضعها ارسطو .

وبررت هذه النظريات الجديدة في الوقت الذي تطور فيه علم الفيزياء وصنع علينا نظرية النسبية التي قال بها اينشتاين وعلمهم ، فنقصت من الاساس ، المادى المطلقة التي تقول بها هندسة اقليدس وعلم الميكانيك كما وضعه نيوتن . فادامنا طبعاً على الحركات نظرية اينشتاين التي أقصرتنا حتى الآن على الحركات السوية المستقيمة الاتجاه ، فقد رأى في ظاهرة انحناء الضوء شكلاً من القصور الذاتي دينا رأى فيها نيوتن خاصية من خصائص الاحكام . نظرية الفضاء الزمني التي قال بها اينشتاين أصبحت المحال لهندسة تقوم على رتبة اعداد دخول الزمن بعداً رباعياً . والثورة التي تمت في المجال لنري ليست باقل خطراً وشأناً فقد سم العالم المقلاني في القرن التاسع عشر بالدعوة باستمرار « ادة » والحد ، فلسفة الاختبارات العلمية ، التي قام بها تبعاً علماء اعلام من عيار كروكس وسان برنارد ، رينيه ج ج ثومسن وبيركس وبيار وماري كوري وماكس بلانك وبنز جوهر ، فقد قصت تماماً على هذه الموضوع المزروع ودخلت الاضطراب والتشويش الى ديب الفيزياء . ففي عام ١٩٢١ ، انشأ لويس دي برويل بالتعاوان مع شرودنجر علم الميكانيكا التوافقية . وجاء الاحير منها بالدليل القطع على ان الميكانيكا التوافقية هي نفسها الميكانيكا الكمية التي قل بها هيرنر . وبقطع النظر عن ان لوحة الجزيئي ، مما شئت بهي احدها لآخر ، هي يلتقيان متعبرين في الواقع فالميكانيكا الكمية تحملب عصباً جديداً من اللبلة على الفيزياء . فقد قل هيرنر بزع سطرته اللامحدودية بعد ان اصغى عليها مدلولاً رياضياً واصحها بقوله انها « نسبة عدم اليقين او الشك » الذي يعني مبدأ المطلق الذي ينسكح به حد ، هذا المبدأ الذي يقول بالجمعية المطلقة للظواهر . فكان علماء الفيزياء ليسوا على اتفاق رأياً حول هذه الموضوع . فابرنرغ وبوريسمان عصباً اللامحدودية الحدرية على مستوى الفيزياء بصرية ، بينا يقتصر لويس دي برويل على تفسير احتمالي ، في الوقت الذي يلزم اينشتاين ولاهين حاملي الجمعية .

هذه النظريات العلمية والجدد العلمي اندي اشتد حوله كانت الثورة في الفيزياء
نواة نظريات جديدة حامت حول العلم وتناوأت مشتملاته وحدوده . ان تقهر التحرية او الاختصار كمنصر ليات بعد ان كانت للآن الاداة الوحيدة

الموصلة اليقين لصالح النظريات الرياضية (كنظرية الميكانيكا التوضيحية) ، افنى بالمعلم الى الاسمية التي قال بها هبري براكاريه . فالمعلم لا يعرف شيئاً ولا في مقدوره ان يتوصل الى معرفة شيء عن كنه الاشياء وجوهرها . فكل ما يستطيعه هو تحديد روابط والنسب الموجودة بين الاشياء بالنسبة لبعضها البعض . وهذه الاسمية العلمية خارقة في جو حيث النظريات الفلسفية المثالية المختلفة والتي تحمل من الانسان عقلاً منطقياً ورياضياً وتزورج في النفس الفصحى وعدم الشفقة ، لم يجر تكييفها كما يجب لتتلاءم مع مجتمع تثير فيه الرأسمالية المعادية والبروليتاريا التي تنهض على الصدور والنقود ، مشكلات جنتها تزداد ضغطاً يوماً بعد يوم . وهذه التلامسة التي نندمجها الفلسفة المثالية تحوّل القضايا والمشكلات الواقعية ، لقصر لنا النجاح الذي تلاقيه النظريات الفلسفية اللاعقلانية كالدرامية الاميركية التي حملها برهسون الى اوروا . وفلسفة العمل او الدفولة هلمو ، وفتوح نافذة على اللامعقول واللامنطقي ، الذي يشدد بنوع خاص ، على الدور الاساسي الذي يلعبه اللاهوي . وبالتقابل تقوم في الدنيا ثورة فكرية مريعة وخميلة الجدور الى جانب الفلسفة الظاهرانية التي قال بها هوسيرل وهلم : والحقيقة لا يُنتج اليها لا بالتحريه او الاختصار ولا باليقين العقلي ، بل بشيء من المشاهدة و الاكتناء من نوع خاص يساعدنا على ثبات قراءتها .

وأزمة العلم هذه والتي ردتنا مرحلاً على حرج ، الفلسفة الختمية ، قد هزت من جذورها العميقة الفلسفة العقلانية القديمة . فقد قام مع برهسون وهاينس واوانامو ، تيار لاعقلي اخذ يلقى ويشد شيئاً فشيئاً ، تيار شوهدي في المانيا حلال الحرب وبمدها ، اردف ماكنس شول منهج هوسير الظاهراتي ، فما يتعلق بالمشكلة الادبية ، اذ اقام في وجه عالم حيث لا عمل مطلق ولا هدف اسمي ، نظاماً دقيقاً من القيم في القمة او الذروة منه معرفة اله شخصي مسيحي . وهذا التيار اللاعقلاني يعرف في الثلاثينيات مع هابيدغر ، انتشاراً واسعاً من المظاهر التي تلنسها وبرزت معها الوجودية .

القسم الجوهري او الالاسي من فلسفة هابيدغر ظهر في المانيا ، خلال هذه مايدغر السنوات التي سبقت مباشرة وصول هتلر الى الحكم ، وذلك في مؤلفاته الوجود والزمن ، الذي صدر عام ١٩٢٥ ، وكتابه الآخر ، كنت وقضية الميتافيزيقا ، الذي صدر عام ١٩٢٩ ، واما هي الميتافيزيقا ، الذي صدر عام ١٩٣٥ . وبواسطة هذه المؤلفات وعن طريقها اطلت الوجودية على الحياة وتغلغل بين الملأ العلمي ولقيت ما لقيت في العالم ، من آذان صاغية وافكار واعية . فقد ابعثت من رومنطيقية شمالية مع فلسفة الضنك او الكرب ، التي قال بها كيركشارد ، ثم انتقلت الى اوساط المفكرين والادباء مع هذا الجو الذي خلقت الازمة العقلية ، وعلى الاخص مع هذه الفوضى التي اجتاحت المانيا في فترة ما بعد الحرب والتي تميزت بهذه المحاري الفكرية التي تقول بالذسية ، وقالت بعدم مقدرة الانسان للوصول الى واقعية الحقائق العلمية والى كل ما له قيمة ما ، وهو تيار وجد صداه الدلوي في فلسفة

بارث اللاهوتية ، هذا اللاهوت اللاعقلاني ، لاهوت قانون الايمان المجرد من كل يقين فكري ، وهكذا طلعت فلسفة هايدغر تعبيراً صادقاً عما كانت عليه الحياة الفكرية في المانيا : اللاعقلانية المثالية .

ولما كانت هذه الفلسفة تنهض اساساً على المبدأ القائل بان العالم البشري يخلو تماماً من معيار للقيم المطلقة ولا معيار له سوى المعيار الذي يعطيه هو نفسه ، فقد نقل الى المجال الفلسفي المعايير والمقاييس التي استخدمها في المجالين الادبي والفني منذ مطلع القرن والتي راحت الحرب تزيكها وتبررها . منها إطلالة مبدأ الخلف او الحال لأول مرة . وان وجودنا ينهض على أرضية من العدم او اللاوجود ، وان « الفلسفة ليست سوى الانشغال بما يسبب الكرب واليأس » . فعلى الانسان والحالة هذه ان يخلق بنفسه قواعد سلوكه ومعايير القيم التي يعترف بها ، بينما نرى كارل ياسبرس الذي يعتبر مع هايدغر خير ممثل للوجودية متحرراً من اليأس والخلف عن طريق اعتقاده بالله .

ازمة العلوم البشرية : اضطر كل من علم النفس وعلم الاجتماع ان يعيدا النظر ، من السيكلوجيا وعلم الاجتماع الأساس ، في المناهج التي اعتمداها حتى الآن وسارا عليها . ففي مجال علم النفس تجاوز التفكير البشري بمراحل ، الاستبطان الذي لم يعد من العلم بشيء ، كما تجاوز بعيداً علم النفس الطبيعي . وطريقة الشكل او (الجشطل) ، وعلم النفس التجريبي او الاختباري الذي حاول الروس تشييده على ضوء الانعكاسات المشروطة التي قال بها بافلوف ، وسلوكية الاميركيين ، وطريقة الروايز التي جروا عليها في فرنسا ومانيا ، كل هذه الطرائق السيكلوجية ، قد كسفتها طريقة التحليل النفساني الذي وضعها فرويد في هذه المؤلفات التي اصدرها قبل الحرب وبعد عام ١٩١٧ والتي لقيت رواجاً عظيماً ولا سيما في اميركا تاركة أثراً عميقاً في الأوساط الأدبية والفكرية والفنية ، وبين علماء الاجتماع والاحيائيين . فقد شدد فرويد على اللاوعي او اللاشعور خصوصاً مدلاً على ان العصابي هو انسان « مكبوت » (من جراء الصعوبة التي يلاقها في استحضاره لبعض الصور البديهية) . فاللاشعور هو المكان الذي تنجمع فيه المكبوتات التي تسبب الامراض ولا سيما هذا النوع من الكبت المتعلق بالجنس ، إذ ان الاصابة غالباً ما يكون منشؤها ، الأمور المتعلقة بالحياة الجنسية في المريض . ان ادق الاعمال التي نأتها ، والافكار التي تجول في خاطرننا هي مرتبطة ، بغير وعي منا ، بقوة لاشعورية قد يعود اصلها احياناً الى الطفولة الاولى . فهذه الحياة الخفية المستترة التي يحياها بمعزل عن الحس الواعي ، هي التي تحرك العالم وتقوده بالفعل . اما علم الاجتماع الذي اتخذ في اثر هربرت سبنسر ذريعة للبحث عن النواميس التي يخضع لها تطور المجتمعات البشرية باعتبار ان التاريخ ليس سوى تطور البشرية في خط سوي ، فهو يطبق في دراسات هذه المجتمعات ، الاكتشافات السيكلوجية ، الكبرى التي وقعت في مطلع هذا التاريخ ، كما انه يوجه الانتباه الى قضايا جديدة حرة بالدرس والبحث . فعلماء الاجتماع ، ولا سيما الاميركيون منهم يرون المجتمع

حولهم ، في تطور موصول . فالمدن تنشأ كالقطر ، وتطل علينا ، عن طريق الهجرات ، شعوب جديدة ، كما نشاهد عن كثب اختلاط العروق والسلالات البشرية ، ويولون اهتمامهم الاول لتفهم الحقيقة كما تبرز في حياة المدن بكل ما لها وفيها من حيوية عارمة ، والكشف عن العوامل التي تتحكم بالتطورات الاجتماعية ، وما عسى ان تكون عليه المسلمات العددية التي تربط ما بين هذه الظاهرات وتشدها بعضاً الى بعض . وقد برز من هذه المناقشات السياسية والجدليات الاجتماعية ، نظريات عديدة حاولت ان تربط بين تسلسل الامور وبين غُلف الشمس او الاحوال الجوية المسيطرة ، كما تحاول ان ترى في العروق البشرية العوامل الاصلية في تكوين هذه المجتمعات البشرية ، من ذلك مثلاً علم الاجتماع الصوري الذي قال به تونيز بعد ان تجاهل مادة الحياة المجتمعية ونظريات باريتو الذي لقب بحق « كارل ماركس البورجوازية » وونيارسكي الذي طلع علينا بنظرية اللامساواة الضرورية ، و « علم الاجتماع الشامل » الذي قال به ماكس WEBER الذي بعد ان ميّز في دراسته للرموز او الانماط اربعة « انواع من العمل » ردّ كل شيء الى « سلوك الفرد الشعوري » . ونظرية دلتاي الذي يسيطر كلياً على التيار الذي يضع العلوم الطبيعية وجهاً لوجه مع العلوم الانسانية .

أما في فرنسا ، فقد ربطت مدرسة دوركهايم بين علم الاجتماع وبين الاثنوغرافيا او الاثنوبولوجيا الوصفية . وراح دوركهايم يشدد ، بعكس ليفي بروهل الذي شدد بدوره ، في القسم الاول من آثاره العلمية ، على التعارض القائم بين المنطق وما قبل المنطق (ميزة البدائي غير المتحضر) على استمرار او ديمومة هذه الروابط ، الأمر الذي ينقض من الاساس نظرية تفوق الابيض على الملون ، بينما يحاول موسّان ان يثبت لنا « ان الواقع الاجتماعي الكامل ، لا يجد ملء مدلوله الا إذا دخل بنياناً اجتماعياً كاملاً . وهكذا نرى ان علم الاجتماع يتجه نحو « الجماعات » التي تتألف من الفئات الاجتماعية . وهذا ما يسميه سوروكين : الديناميكا الاجتماعية الحضارية للجماعات . وهكذا ينزع علماء الاجتماع الى التخفيف من شأن العوامل الاجتماعية الخارجية (كالمناسخ مثلاً) ، وللدراك المتضاعف بان اثر هذه العوامل ليس بالضرورة قاطعاً ، وبأن المجتمع البشري ليس مجرد طبائع سيكولوجية فردية متجاورة او متلاصقة ، وان هنالك « وعي اجتماعي » . ومع ذلك ، فالسيكولوجيا الاميركية التي تجاهلت باستمرار النظرية التي قالت دوماً بفئات مميزة واقعية ، تحمل عميقاً اثر الأزمة الكبرى . فسوروكين يقيم في وجه نظرية ماركس ، نظرية الطبقة الاجتماعية ، هذه النظرية التي تقول بان الشعور الطبقي انما ينشأ في الذهن ، من مجرد تصور الدور الذي يمكن لفئة مجتمعية ما ان تلعبه في وسطها الاجتماعي ، وليس من وعي الاحداث الاقتصادية والاجتماعية المتصلة بهذه الفئة . فهو يرى ان « الطبقة » التي تتألف ، في نظره ، من عناصر ناشطة ، كثيرة الحركة ، لا يمكن لها ان تؤلف فئة مضادة لآخرى . وبهذه الذهنية ، ومناهضة منه للايديولوجيا الماركسية ، راح العالم النفساني ج. ل. مورينو يضع نظريته في التحليل النفسي الاجتماعي الذي يرغب في ان يطبق على التصادم

الفنوي ، تقنية التحليل النفسي حلاً منه للمشكلات الفردية (في كتابه « من سيبقى » الذي صدر عام ١٩٣٤) ، وذلك لانقاذ العالم من المشكلات التي تباعد بين ارباب العمل والعمال ، هذه المشكلات التي لا تخرج عن كونها امراضاً اجتماعية عارضة لا بد من معالجتها معالجة سيكولوجية .

وهكذا يرقى علم الاجتماع ببطء كلي الى مرتبة علم مستقل يُعنى بالمجتمعات البشرية ويترك اثره الظاهر على العلوم البشرية الاخرى : على الاقتصاد مع فرنسوا سيميان ، وعلى التاريخ ، مع مارك بلوك ، فعلم التاريخ يفيد الى اقصى حد من عمل علماء الآثار وعلماء الاقتصاد وعلماء الاجتماع فيوسع من نطاق افقه ويعمل على تجديد او عصرنه معلوماته حول الحضارات التي سلفت والتي نرى انفسنا في جهل مطبق عنها : كالاتروسك مثلاً والصين القديمة والسومريين والحضارات الأخرى التي تقدمت كولمبوس . وهو يؤثر ان ينصرف الى تحليل الاوضاع الاجتماعية والاقتصادية والظروف التي اكتشفت حياة الناس في الماضي السحيق .

سدد التطور العلمي ، ولا سيما تطور العلوم الانسانية ، ضربة قاسية للعقلانية والاحتمية : فقضيا معاً على العقل الشامل والقياس ضوئاً جديداً على مفهوم النسبية وعلى الدور الذي يلعبه اللاشعور ، وشدّدا على الدور الذي تلعبه القوى الخفية اللاعقلانية التي تحرك الانسان وتوجه نشاطه . هذا الموقف اللاعقلاني عاد بفائدة ملحوظة على العقائد اليمانية وعلى التقريرية في بعض ملامحها ، مع انه اطلق ، في بدء الامر ، في كل المجالات ، ولا سيما في بحالي الادب والفن ، ردة فعل صاخبة ضد التقاليد التي اصبحت موضع شك في الوقت الذي اخذت فيه تجربة الحرب وما بعد الحرب ترسخ في قلوب الناس ونفوسهم التشاؤم والقلق .

٢ - الثورة الادبية والفنية

عندما يدور الحديث عن الادب والفن لا تعود الاشارة الى الزمن لتكفي او لتفي بالغرض ، اذ ان تجدد وسائل الاعراب عن المشاعر النفسية يتم في جو يحيش بالثورة والفيليان هو على اتصال وثيق بالثورة العلمية والفكرية .

اول ما يطالعهنا في هذا المجال منذ بزوغ القرن ، روح ثورية تهب في وجه المألّ الناخ الجديد البورجوازي « الثقيف » غير المتفهم والمتخلف في بواعث فخره ومباهاته ، وضد الاعراف الاكثر رعاية وقبولاً لدى الرأي العام. وتحاول الموسيقى من جهتها التملص من هوس التلوين والميلوديا اللانهائية الواغترية ، كما يذهب فن الرسم بدوره للبحث عن البيان التصويري والتعبير عن الحجوم بعد ان ادارت التعبيرية لها ظهرها واعرضت عنها اعراضاً كلياً . واخذ الكتّاب بردة عنيفة ضد واقعية زولا بحيث يكونون لهم رؤى جديدة عن العلم . الا ان حركة التسارع التي اتخذتها حركة التطور التي أملت بحضارتنا المادية ، والدوي الذي احداثته

في العالم الكشوف العلمية الحديثة ، والتغيرات الجذرية ، التي تحمل هي الاخرى سمات النسبية ؛ ليس بعد من سلّم او معيار قائم بذاته ولا من فضاء قائم بذاته ، ولا من ابعاد قائمة بذاتها ، ولا قواعد للقريض بعد ذاته . وهذه الثورة في وجه نواميس بدت فجأة وكأنها إصلاحية صحتها ولازمتها ردة فعل ضد « الواقعية » وضد موضوع المدلول العام الذي « تُخيل للجميع انه قائم بذاته بينما المعنى او المفهوم الذي توليه اياه ينشع من سريرتنا نحن . فكل صاحب فن او موهبة من رسام الى شاعر الى موسيقار الى كاتب اخذ يمي ، اكثر فاكثراً ، بان عليه ان يستنبط طريقته التعبيرية الخاصة ، ولغته الخاصة لينقل لنا الصورة التي تبدو له عن العالم . وهذه الذهنية تفسر لنا ما للفن الزنجي من اثر عميق اذ من بعض حسنات هذا الفن ان يأخذ ويُبدأ بيد الفنان الى دنيا الفن التشكيلي الجديد عنده ، كما يبين مسا في الآداب الشعبية ، على انواعها من سحر وفتنة واغراء ، وعنهما يصدر ريتان مترعاً مانويل دافالا وجورج إيلسكو ، وبيللا برتوك وفيللا لوبوس .

والميزتان اللتان تسهان الادب والفن الحديثين هما العمومية او الشمول والاممية . فتحت التنوع القومي والامزجة الفردية المتباينة ، نرى الثورة ذاتها تهب في وجه مجتمع بورجوازي متمسك بقوميته وفعال في تفاؤله ، وشموراً مشتركاً بتأجيج ثورة عميقة في قلب الانسان وفي صميم العلاقات التي تشده الى العالم . ففي البحث عن صور جديدة ، هنالك ليس ردة فعل ضد ما هو رسمي او ضد ما هو موافق فحسب ، بل ايضاً البحث عن انسانية جديدة حيث لا اثر قط لهذا الكائن العقلاني ، كما يراه المذهب العلمي راضياً ، واثقاً بنفسه ، المتشارف في خيلاء انه سيد العالم حيث يسود اللامعقول واللاخلفي (في المفهوم البورجوازي للكلمة) ، له حق الرعوية ، بل ايضاً حيث الانسان الذي تحرر من معبوداته واوثانه ، وحصل على العلم الجديد اخذ يمي ما أوتي من حرية خالقة ، مبدعة بالنسبة لعالم الكائنات بحيث ان في الوقت الذي تبدو معه متعككة بالقضايا والمشكلات الخاصة بالطبع ، نحن بالفعل نكون امام محاولة للتعبير عن الانسان الجديد الذي اطل علينا وعن مشاعره الجديدة ، وعلاقته الجديدة بالكون ، وهي محاولة تطبع في الصميم كل ما في هذه الحقبة . والفن لم يعد يفرق بصورة مصطنعة ، بين مشكلات المبنى والمعنى او المحتوي والمحتوى . فهو يبحث بالاحرى عن صبغة تصلح للتعبير عن المحتوى البشري .

الحرب وما بعد الحرب هذا التقاطع المزدوج مع الصورة القديمة للاشياء ، ومع هذا المجتمع الذي يتناقضها ، اضفى على الفن وهلي ادب ما بعد الحرب ، السمة البارزة التي تميزها ونفردتها ، كانت الحرب في نظر الكثيرين ، حادثاً جهنمياً وشروداً للعقل السليم عن محجة الصواب تحت ستار المحافظة على القيم الروحية والوطنية من وراء الحفاظ على مصالح وسياسة .

فالسام الشامل والردة العامة بعد هذه السنين المديدة من الضغط المرهق التي وجدت تعبيراً

لها في هذه الاضطرابات الاجتماعية التي انفجرت والمطالب السياسية التي انهالت ، يقابلها ، من الجانب الادبي والفني ، هذا الاختيار العام في الافكار الذي زرع الشك في كل ما اصطلح عليه المجتمع وقبنتى من تقاليد واعراف ، ويبرر احياناً بفجور ما نشاهد من حمى الاندفاع نحو الملذات دونما تمييز او خيار ، وحمى التكالب على التحرر والانعتاق التي جاشت بها طبقات المجتمع على اختلافها . وهذا الغليان الشامل لم يبدأ الا بعد عام ١٩٢٥ ، عندما بدأ للجميع بارقة أمل بالوصول الى الاستقرار المنشود .

بعد ان هدا هزيم المدفع المدوي ، وبعد ان وضعت الحرب
عند المنتصرين اوزارها ، راح الجميع يحاولون تناسي كابوس الخنادق الذي

اناخ بكل كلكله على الصدور . فتحت ستار شفاف من التفاؤل واللامبالاة عند البعض ، نرى بوضوح ما يسامر افكار الناس وقلوبهم ، في هذه الحقبة ، من قلق او اضطراب وتشاؤم ، يتجلىان على اتم شكل بالتهرب بجميع الوسائل مما يرهق ويقلق ، وبالرغبة في التمتع بملذات الحياة المادية ، والتحرر من الاعراف والمحرمات . وفي هذه الاثناء أطل علينا محاطين بشهرة واسعة ج. كوكتو وهنري دي مونترلان وألدوس هكسلي ، واجداد اندريه جيد المشبوهة الذي رأى ان العمل لا قيمة له الا في مجانيته ، اي خالياً من كل معنى إنساني (راجع كتابه : « اقبية الفاتيكان ») . وراحت الشبيبة البورجوازية تلتهم كتابه الآخر : « قوت الأرض » المنشور عام ١٨٩٧ الذي لم يُبع منه خمسمائة نسخة في خمس وعشرين سنة لما فيه من دعوة الى نبذ ورذل كل القواعد باستثناء الركض وراء اللذة . وفي هذه الحقبة بالذات ظهر التحليل النفسي الذي جاء ظهوره قهراً أو تزكية لحركة التحرر من كل قاعدة أدبية فحظي باوسع رواج في العالم كله . في هذه الحقبة بالذات نشرت مؤلفات مارسيل بروست فمادت على صاحبها بالمجد الأثيل (بحثاً عن الزمان الضائع ١٩١٣ - ١٩٢٨) وكتاب جويس « اوليس » الذي ظهر عام ١٩٢٢ ، اللذان يدخلاننا بما فيها من استبطان دقيق ، الى مرحلة جديدة من معرفة الانسان لنفسه معرفة جديدة . الا ان الرأي العام رأى فيها دعوة سافرة للقضاء على المتوارث من الأفكار والمبادئ الاخلاقية . ولهذه الاسباب ، كان اندريه جيد القائد الروحي لهذا الجيل كما رأينا كيف ان الفرداني الاهوج الذي على شاكلة هكسلي وبراندلو يمثل التنافر العميق الذي يتخبط فيه الانسان في وسط عالم هو الآخر مصاب بالتفكك والتنافر ، انما يدل على ان معظم الناس ينصرفون بصورة اوتوماتيكية خالية من الصدق ، وبان هنالك دوماً تعارض فاضح بين نوايا الانسان وبين مواقفه وحقيقته تصرفه .

هنالك كذلك كل هؤلاء الذين يحدو بهم القلق الى الحرب : « الحرب هو الكابوس او الفكرة المستبدة هؤلاء الذين تلهج قلوبهم بالتحرر وتشرب نفوسهم الى الحرية » . فالانسان يهرب من ذاته بعد ان هرب من الله ... يهرب ليقع في الغرور وفي هذه الخزعبلات التي تخفي ، ولو لفترة قصيرة ، ما هي عليه النفس من جوع وفقر (بابيني) . فريق تقوده خطاه وهو هارب الى

الكلاسيكية الحديثة حيث لا وزن إلا للجمال الصوري . فالشعر المجنح هو الشعر الكاذب الذي يغلو من كل معنى ومن كل محتوى انساني حيث تحف بكلمة متناغم هالة من اللاعقلاني ومن العاطفي ، وهما المجالان اللذان يسرع فيهما الشعر المهفوف ويمرح . وقصة « *La Jeune Parque* » كأختها : « الأرض المفقودة » ، لأليوت ، هما التزامتان تماماً وتعبيران بما فيها من يأس ومن عجز ، عن ايمان انسان العصر ، بمعجزه وقصوره ، وعن رفضه للمجتمع الذي يحيق به . فهي كالموسيقى الصافية صدى للعبارة الغائلة : « نحن الحضارات على يقين الآن باننا صائرات الى العدم » ، هذه العبارة التي جاءت على لسان بول فاليري . فهذا الانسان الذي لم يعد ليهتم بشيء او يلتذ بشيء ، يتخذ من الجمالية ملجأ له ومعتكفاً لان الحضارة الغربية الغائمة على نظرية تفوق الابيض وتفوق العرق الابيض الذي يستبيح لنفسه ترف الفردانية هي الآن في سبيل الزوال . وهناك من يتلفت باتجاه الكشف عن عالم نسيجه من الخيالات والمرئيات (كوكتو وجيروود) ، باحثين عن تغير المناظر في الرحلة لاجل الرحلة او بحثاً عن عوالم مجهولة (فالاميركيون يهربون من اميركا ويقصدون اوروبا ، والكاتب الشيلي بابلو نيرودا ومالرو يتوجهان نحو الشرق الاقصى) او يهربون باتجاه الخطر والعمل على شاكلة سانت اكزوبيري او نحو مغامرات الروح : الفكر الثابتة والسرالية .

خلافاً لما هو مسلم به عادة كشفت هذه المؤثرات تلك التي تركتها وراءها شخصيات بارزة على غرار رومان رولان . « ان ضمير ... النفس الغربية التي لا تزال ترجو وتؤمن بالرغم من الاجتياح الذي تعرضت له » وشال نفوذ السياسي على نفوذ الادبي ، ووجه مارتن دي غار الذي رسم لنا في روايته : آل تيبو (١٩٢٢ - ١٩٣٩) المظاهر التقليدية لمجتمع يحتضر ، وكلاهما من الروائع الاثيرة التي خلفها لنا الادب الفرنسي في هذه الحقبة ، وبرناتوس وفرنسوا موريالك اللذان حررا القصة الكاثوليكية من الادب التقوي برسمها اناساً مسترسلين في الاثم واحياناً تأثرين في وجه ديانة متمسكة تمسكاً اعمى بالشكليات . هذا الجو المشبع بالمجانبة وبالهراب نجد في الرواية الانكلوسكسونية ، مع الكتاب الاميركيين من « الجيل الضائع » (سنكلير لويس الذي اعطانا بابيت) وسكوت فيتزجيرالد ومنغواي ودرايزر وجون دوس باسوس يملون جانباً وينبذون عالماً منصرفاً بكليته نحو الاستمتاع بالملذات المادية ، وينصرفون الى نقد الحياة الاميركية نقد العائد من اوامره بعد ان زالت الفشاوة عن عينه ، او الذين يؤلهون العاطفة البهيمية أو يفرقون مع هنري ميلر في عبادة حقيقية للجنس . أما الكتاب البريطانيون ، وبينهم عدد بارز من مشاهير وشهيرات الروائيين امثال فرجينيا وولف وكليمانس داني ومارغريت كندي وروزاموند ليمان ، فهم يصفون لنا مجتمعاً رقيقاً وحيوات مترعة ، غائبة ، بواقعية لا تتحرج من مواجهة الحقائق المرة كما لا تتحرج قط من التعرض للمشكلات المحرمة العائدة للمللحة فكتوريا ، واحياناً بأحرج عبارة مع د. ه. لورانس او يسلفون بالسنة حداد عالماً يتخبط في الفوضى كما فعل الدوس مكسلي .

اما المسرح الذي كان يؤلف عام ١٩١٤ آخر معقل للمذهب الواقعي وللذوق في المسرح في سنة ١٩٠٠ ، فقد جرى بعثه من جديد مع المؤلفين المسرحيين الجدد ومع المخرجين الذين تمكنوا من احداث ثورة في دنيا التمثيل . فهؤلاء المؤلفون المسرحيون امثال كركنتو وجيروودو وكلوديل الذين تعبر شاعريتهم « دونغا حسيب او رقيب » عن « مآسي الحياة البشرية » ، وبيرانديلو الذي تقتصب امامنا من خلال مسرحه المتشائم ، هذه الخصومة القائمة باستمرار بين نيات الانسان ومشاعره وبين واقع سلوكه وتصرفاته . كل هؤلاء المؤلفين يسرون على الدروب التي عبدها جاك كوروبو في مسرح فيو-كولومبيه عندما خفض الديكور الى أدنى حد ممكن ، واولى حركات الممثل بعد ان جردها من كل ما يشوه روح المؤلف ويسخها ، ما يلزم من قناعة وبساطة ، كما فعل دولان في مسرح الأتلييه وجوفيه في الأثينييه وبيتوف في مسرح المأثورين ، وباستقلال اوسع ، باقي في مسرح مونبارناس .

هذا مذهب جديد في الفن جاء بعد لقاء تمّ ، سنة ١٩١٥ ، في نيويورك ، بين الرسام الفرنسي مارسيل دوشان والاسباني فرنسيس بيكابيا وعمدوه بهذا الاسم في مدينة مونيخ ، تريستان تزارا في ندوة خاصة بالمبعضدين السياسيين من مختلف البلدان ، ثم تمركز ، منذ عام ١٩١٩ في باريس ومنها انطلق : البيان دادا ، هذا البيان الذي التف حوله واجتمع تحت شعاره فريق من الفنانين والشعراء الاحداث الذين يرون في الحرب القضاء على كل القيم المقدسة ، وعفاء كل المواقع المكتسبة وفشل « النخبة » الذين اتحدوا ليقوموا بالمذابح والقضاء على العلم الذي يشهد عدة القتل والابادة ، وعلى الفلاسفة الذين يسعون دوماً لتبرير هذه الاضاحي وتذككية الاسباب الدافعة اليها ، وعلى الفن الذي يحتفظ بروائعه الفنية لمصلحة المريدين . والثورة التي تختلف عن الثورة التي قامت قبل ١٩١٤ ليست جمالية فحسب ، فهي تجيش بهوم اجتماعية عندما تقع العين على النزيف المفجع الذي استنزف دم الغالب والمغلوب على السواء ، وعندما تلبين خواء اهداف الحرب (وهي اهداف لا تتمدى تعديل الحدود واقتسام المستعمرات بعد ان تكون الانسانية دفعت مثل هذا الثمن الباهظ) . فهم يرون في هذا كله انهيار النظم القائمة ولا سيما انهيار كل الحضارة . وقد عبر بول فاليري خير تعبير عن هذا كله عندما كتب قائلاً :

« بعض آلاف من الكتاب والفناليين الشباب لقوا حتفهم في هذا الصراع الدموي . فنحن امام مرأى انهيار حضارة اوروبا وبيدنا الدليل القاطع على عجز المعرفة البشرية عن انقاذ اي شيء ما ، وعلى اصابة العلم اصابة ممتدة بعد ان رأى حماه وحرمه ينتهك من جراء التطبيق الوحشي والجهنمي لاختراعاته ، وعلى هذه المثالية التي قلما خرجت منتصرة والمنهنة دوماً بالجراح ، خيبة واقعية بعد ان غلبت على امرها واثقل كاهلها بالجرائم والذنوب ، وهزى على السواء بالجشع والتجرد ، واختلطت العقائد وغام مفهومها مع الزم ، اذ كنا نرى الصليب ينتصب في وجه الصليب ، والهلل يقارع الهلال ، وهؤلاء المتشككين انفسهم ، بعد ان صارحتهم الاحداث المفاجئة وصرعتهم الذين يتلاعبون بتفكيرنا وافكارنا نلاعب المر للفارة . فقد اضاع هؤلاء المشككون شكرهم لتعاودهم من جديد ثم يعودون ليفقدوها من جديد (ازمة الفكر ، ١٩١٩) .

وطلع عام ١٩٢٠ فيليب فيهم العدمية ويطلع علينا بحو الدادية خلال هذه التمثيليات وهذه المعارض ، وهذه المظاهرات المخجلة التي تقتل في الصميم كل القيم ولا سيما الجمالية منها .

« ما من رسامين ولا من ادباء ، ولا من موسيقيين ولا من حفارين ، ولا من دباكات ، ولا من جمهوريين او ملكيين ، ولا من امبرياليين ولا من قوضويين ، ولا من اشتراكيين ولا من بلاشفة ولا من سياسيين ، ولا من بروليتاريين ولا من ديموقراطيين ، ولا من بورجوازيين ولا من ارستوقراطيين ، ولا من جيوش ولا من امن عام ، ولا من اوطان ... : كفاية من هذه السخافات والحماقات . لم يعد شيء . لم يعد شيء ، شيء ، شيء ، ولا شيء ... »

اما في المانيا ، فالحركة تلتقى ترحيباً مزدوجاً للهزيمة التي انتهت اليها وللأزمة الاجتماعية التي نشبت اظافرها فيها ، فلم تلبث ان ارتدت طابعاً سياسياً . فهي بعكس ما كانت عليه في فرنسا ، فنية اصكث منها ادبية وأقل مركزية . فئمة في برلين مع الرسام الهزلي للبورجوازية والروح العسكرية الالمانية هو جورج غروتز ، وفئمة كولوني اكثر جذرية على الصعيد الاجتماعي مع بارغيلد وماكس ارنست وهانز آرب ، وفئمة في هانوفر مع الرسام الشاعر كورت شويتزر .

من هذا الاضطراب الفوضوي أطل علينا مذهب السوربالية ، أخصب التيارات السوربالية الفنية التي طلمت علينا في منتصف هذا القرن . هو « العزوف عن كل مناحي الفكر والحس التي اعتمدتها الانسانية الكلاسيكية » في سبيل الرجوع الى الصدق ، وفي سبيل « تفادي اثر العقل المشوه » ، وراح يستثمر اللاشعور . وفي سنة ١٩٢٤ نشر بريتون « البيان السوربالي » وفتح له « مكتباً للأبحاث السوربالية » . وفي سبيل تغيير المناظر واستبدالها بأخرى ، راح يقترح استخدام الوسائل الاوتوماتيكية للخط وترك الحبل على الغارب للفكر لكي يحلو نفسه ويبرز ذاته ، كما يقترح اللجوء الى التنويم المغناطيسي لوصف الاحلام التي لا تقع تحت مراقبة العقل وتدنيننا من الواقع احسن بكثير مما يفعله العقل . ولم يمض كبير وقت حتى انقسمت الحركة على نفسها الى شطرين : تألف الاول من هؤلاء الذين يبحثون عن الثورة « بين الافكار » كما تشكل الثاني من هؤلاء الذين يتقربون ، ولو لأمد قصير ، من الشيوعيين بعد الذي شهدوه من تصلب البورجوازية ، عام ١٩٢٥ .

يتمثل هذا المذهب ، في الشعر ، بشخص أيلوار الذي يُعسّد مع اراغون وروبرت دنوس خير من يمثل هذه الحركة ، كما انه اكبر شاعر بالفرنسية عرفته هذه الحقبة لما أوتي من خصب في الصور ، ولما جاء به من المقارنات المفاجئة التي تعد بحق قوام الصدمة الشعرية ، ومن لباقة فنية ليست وليدة اي عنصر شعري او قريض مصطنع (كالقافية والبحر) ومن سهولة المحتوى مما لا يقنع في نطاق العقلاني . والحركة التي أثرت عميقاً في الشاعر الاسباني الكبير فدريكو غارسيا لوركا ، ذاعت كثيراً وشاعت خارج فرنسا ، منذ عام ١٩٣٠ ، بعد ان اشتد منها الساعد بانضمام عناصر جديدة اليها كالشاعر رنيه شار والمخرج السينمائي بونويل ، والرسام سلفادور دالي الذين اوغلوا في هذا المذهب درساً واستبحاراً ، وألحقوا بعض التغييرات

في معناه . والسوريالية التي اعتمدت حتى الآن التحليل النفساني اخذت تروى في اللاشعور مصدراً لكل شاعرية وينبوعاً لكل إلهام شعري . وبعد ان عوّل دالي على تحليل مرض عقلي معروف هو مرض « جنون الاضطهاد » رغب ان ينصرف الفن الى استثمار ليس مجال اللاشعور فحسب ، بل ايضاً مجال الهاجسية او الاستحواذية وبعض اشكال الهذيان . وهكذا اطلت السوريالية على مشارف العنصرية التي تنبؤ عن كل رقيب لتفضي تدريجياً الى الفوضوية .

يختلف الجوهر هنا عنه لدى المنتصرين: فهو مليء بالثورة والفوضى والارتباكات
 وضع الادب لدى
 والتضخم المسالي . ففي مجتمع ممزق ومضطرب ، فالجو الذي اتخذته
 المغلوبين على امرهم
 التعبيرية في البلاد المنتصرة من الدادية والسوريالية لا يمكن ان يدوم طويلاً
 بهذا الشكل النقدي الذي يميزه . عليه ان يكون ايجابياً وبناءً . ومن جهة اخرى ، فالوقت
 سواء لدى العامة او لدى الفنانين ليس الذي يتلهم فيه الناس ولا يصلح فيه الفن للفن . ففي
 البلدان الجرمانية وحدها دون سواها ، تبقى هذه الروح الطليعة التي كان من طباعها المميّزة
 قبيل الحرب ، انصرافها الى البحث . فالوجة التعبيرية حلت محلها حركة من المحاسبة الذاتية
 الايجابية باتجاه المستقبل . فنحن امام واقعية جديدة . وطلعت في طول البلاد وعرضها
 مذاهب وعت تماماً متطلبات المدنية التي ستشاد في المستقبل ، والاهتمام البالغ بالشكل او القوام ،
 اذ من المطلوب « بناء عالم جديد من حطام الماضي » . فالنفوذ الذي تمتع به هنريخ مان الممثل
 الاكبر لعقلانية القرن التاسع عشر ، قد اخذ بالانحطاط والهبوط بينما بقي نفوذ اخيه توماس
 أشد واظهر ، لما كان عليه من تشاؤمية عميقة الجذور . والجديد الذي ظهر على أتم صورته في
 البلاد ، هو التمرد ضد تأليه الدولة ، وجاذبية الفوضى والشعور بالتعاسة البشرية ، بعد ان
 غمرتها قوى غاشمة لا تعرف الرحمة ، صكالية القدرة ، روح تجلت على خير وجه في مؤلفه
 « الفرد دويلان » الذي يمور بالعنف والمرارة . اما اثر فرانز كافكا الذي لم يظهر مطبوعاً كاملاً
 الا بعد وفاته ، عام ١٩٢٤ ، ففيه الوصف الرمزي لعالم تتحكم به قوى خفية هائلة تطحن
 الانسان طحناً . من بين ابرز الآثار الفكرية الاقل شأناً التي ظهرت تحت علامة (الوضع
 الجديد) يجل ان نذكر هنا الاثر الديني الذي خلفه برتول بريخت ولا سيما مسرحيته : « اوبرا
 بأربع نحاسات » (١٩٢٨) .

لا يمكن لفن الرسم ان يأتي تعبيراً وصافاً للانسان في مثل هذه الحقبة ، العنيفة
 الرسم
 المعقدة حيث تتبدل ظروف الحياة وصروفها بسرعة متزايدة الا في انقلاّب
 شامل تطل معه صيغ وصور جديدة لتعبر عن العلاقات الجديدة التي تربط بين الفرد ونفسه وبينه
 وبين العالم . وبيكاسو الذي يلقي ظلاله على هذا الجيل بما أوتي من نبوغ خلاق ، يبرز خير ممثل
 له بما فيه من قدرة على التجديد . فقد عدّل بعد الحرب من مذهب التكعيبية ، واولى الالوان
 والاصباغ اهمية خاصة بمسند ان عوّل كل التعويل على الازرق والاحمر والاخضر (الطالبة -

ارلكان - القيثارة - والعنب) . ولم يلبث ان وقع تحت تأثير السورالية مع انه بقي خسارج ندوتها . . . واخذ منذ عام ١٩٢٢ ، يرسم لنا شخصاً رمزياً شوهاء ، واشكالاً من المسوخ اتت بعالم يصدم العقل ويشير الضحك . وهو تعبیر عن عالم تتقاذفه الامواج وتلاعب به الريح . وفي سنة ١٩٣٧ ، اعطانا في ما تحفنا من روائعه الفنية ، ما بلغ معه ذروة التعبيرية التصويرية في هذه الحقبة (غرنیکا) .

اما ماتيس ، فقد اخذ ، بعد عام ١٩١٩ يخفف من فنه ، فاصبح اكثر جاذبية برسومه « اوداليسك » وكذلك خوان غري ، ودي ديران ودي دوفي ودي براك الذي قطع كل صلة له مع التكعيبية ، واضفى سحراً اكبر على رسوم الاشياء الطبيعية الميتة وعلى صورته للمري ، وعلى مناظره . اما فرنان ليجيه الذي طلع علينا خلال الحرب بمشاهد الحضارة الصناعية وبحقيقة اجتماعية تنبض بالحياة ، فيكرس فنه الاحتفاء بهذه الانسانية الجديدة ، مع ايلائه اهتماماً خاصاً للقوام الهندسي الذي يراعي ، بنجاح تام النسبة بين الصورة الجدارية والجدار ، ويستعمل ادوات الرسم ذاتها موضوعات تصويرية ويبدط ما للالوان من قوة تعبيرية . ان حسه للمدى التصويري وتحسسه ما يتحملة الموضوع في هذا المدى ، ترك أثره العميق على فن الاعلان ، فارتفع به من الواقعية .

اما السورالية ، فقد التفتت حولها هذه الفئات وبرزت في مجال الرسم خير دليل على ما لها من قيمة عالية في الحركة الفنية . وهذا لا يعني انها تتمتع بجمالية وبتقنية خاصتين بها ، بل هي العكس من ذلك ، هو تجاهل لكل ما خيل للانسان ، حتى الآن ، انه خير ما يحمله في ذاته بحيث تنبجس جاذبية شاعرية تصويرية هامة ترمي لايحساد تغيير كامل في المناظر والارتفاع بالمشاهد او بالمناظر الى العالم من وراء الواقع اليومي . واول معرض للسورالية ظهر عام ١٩٢٥ جمع آثار ماكس ارنست وهانز آرب وميرو وبيكاسيا وغيرهم من الفنانين الذين وقعوا تحت تأثير السورالية ، امثال كلي وشيريكو .

وفي اعقاب عام ١٩٣٠ ، ظهرت تحت تأثير الفنانين الالمان والروس واليهود الذين فروا من اوروبا الوسطى ، معالم الفن التجريدي في فرنسا وفي الولايات المتحدة الاميركية . وتأسس في باريس « ندوة الفن التجريدي » ، عام ١٩٣٢ . وسيراً منهم مع التيار العلمي المعاصر القوي الذي يقول بان ليس من طبيعة بشرية تلقاها الانسان دفعة واحدة وبان تحت الظواهر البارزة للعيان تكن حقيقة متحركة ، أخذ الرسامون التجريديون يحاولون خلق آثار فنية لا نرى فيها شيئاً يمت الى « الطبيعة » ، الى الحياة اليومية بل يكون باستطاعتها ان توحى للانسان مواقف ومشاعر فيها من الشمول ما كان في مقدور « الطبيعة » ايجأؤه حتى الآن . وهذا التيار هو التيار الفني الوحيد الذي تجسم او تحيز حول آرب وكالدير وديلوناي وموهولي - تايجي وفديريان وشويتزر وفي انكلترا حول بن نيكلسون .

الموسيقى
عرفت الموسيقى في هذه البلدان التي خرجت منتصرة من الحرب ما عرفه
الادب والرسم من تنوع في الذرائع والميول . فالمدرسة الواغرية صُنعت في امرها

وجستد سترافنسكي ردة قوية للنيو كلاسيكية وتغلب الشكلية بينما يمضي كل من رافيل
وروسل في « الثورة التي اطلقها ديبوسي » . والفئة المعروفة « بفئة السنة » التي كانت اريك
ساتي قطبها ونقطة الدائرة فيها ، راحت تقف في وجه « تعبيرية ديبوسي » . ونشأ
عام ١٩٣٦ ، حول اوليفيه ميسان فئة « فرنسا الحرة » كما راح خارج فرنسا كل من
مانوبل دي فالو والبرازيلي فيلا لوبوس وبيلارنوك يستلمون التقاليد الفولكلورية في بلادهم .
الا ان الجديد البارز الذي عم اوروبا باجمعها ، فهو موسيقى الجاز الذي استهوى عدداً كبيراً
من الناس دون ان يترك مع ذلك أثراً كبيراً في الموسيقى الغربية التي اختلفت عنها اختلافاً
كبيراً حال دون ثقله واستمرائه . طلع هذا اللون الموسيقي الجديد من اغوار فولكلور
الملونين ، في اوساط اورليان الجديدة ، ثم اخذ ينتشر في جميع انحاء الاتحاد الاميركي ويثبت
قوته دون ان يفقد شيئاً من طابعه الشعبي باعتباره موسيقى جيتاشة تحرك في النفس الحنين الى
الوطن . فكثير انصاره ومريدوه في اوروبا مع كنغ اوليفر ولا سيما مسع لويس ارمسترونغ .
بحماسة الحارة (جدد فيه النموذج النيو اورلياني بعد ان لقعه بالمونوديا تنشد بصوت مع
البوق) وجرشوين مع اغنيته (القصيدة الخضراء) . عرف الجاز في اعقاب ١٩٣٠ تطوراً
عميقاً اذراح يتكيف اكثر فاكثراً ، مع حياة البيئة والمجتمع وتسارع الوزن . وزاد من بحشه
عن تجربته حول الانسجام الفني بحيث اخذت موسيقى الجاز تتطور بسرعة تذكرنا اكثر
بالسرعة التي ميزت التطور التقني منها تطور القوالب او الصيغ الموسيقية . وهكذا فالطراز
(Swing) الذي قام على خدمته عدد من الموسيقيين الاقوياء ، وعدد كبير من الاوركسترات
المتجانسة التي رأت النور ، بلغ بعضها مقاييس الاوركسترات السمفونية مع ديوك ألفتين الذي
توصل الى مساوقة ومزاوجة اوركسترية تفيض فناً وغنى .

وتابعت النمسا ، في المجال الموسيقي ، ثورتها التي كان سبق لشونبرغ فأطلقها قبل الحرب
بقليل ، وراح تلاميذه : البان برغ (الذي انجز « Wozek » عام ١٩٢١) وانطون وويبرن .
والى شونبرغ يعود الفضل في استنباط المسلسلة الصوتية الاثني عشرية احدي ابرز منجزات
العصر والتي لم يباشر باستثمار ما تخفيه من طاقات كامنة الا جيل عام ١٩٤٥ . ان استنباط
المسلسلة في الموسيقى هو من بعض نتائج رفض « طبيعة » مجهزة بقوانين محددة ومفروضة من
الخارج ، هذا الرفض الذي وصل في دنيا الرسم الى التجريد الهندسي ، بعد ان اسقط تدريجياً
الموضوع او المضمون . هي هذه الحركة بالذات التي حملت الانسان على ان يبدع في الموسيقى كما
ابدع في الرسم ، قواعده الخاصة وعالمه الخاص به .

أطلقت علينا ، قبل عام ١٩١٩ ، مستجدات تقنية مهدت السبيل أمام الثورة التي انفجرت في هذا المجال . فالمشكلات الجديدة التي كان على المدن الكبرى مواجهتها ، والتي اختلفت بطبيعتها عن المشكلات السابقة : كارتفاع اسعار الارض ، وضيق المساحات القابلة للاستثمار ، والامور الاخرى المتعلقة بالنقل العام والمواصلات ، والتجديد في نموذجية المباني والعمارات ، المصانع والمدارس والمستشفيات ، والمطالب العصرية الاخرى التي يجب توفرها وتحقيقها (كالتدفئة المركزية وتكييف الهواء ، والتبريد والاضاءة الكهربائية ، والمصاعد) ، كل هذه القضايا اقتضت لها حلاً عاجزاً عن تأمينها في الماضي ، الذرائع التي عول عليها الانسان من قبل . ومن جهة اخرى ، فقد طرأ على شروط البناء ومستلزماته ، تطورات عديدة تناولت مواد البناء (مزج المعادن الخفيفة كاللومينيوم واللدائن والمواد التشكيلية ، والخشب المضغوط) ، والاساليب الجديدة ، كانتاج المصانع لبعض المواد المعمارية الجاهزة بعد ان كانت تُصنع من قبل في الورشة (كالابواب والنوافذ وحجارة البناء ، والطوب ، وكتل الاسمنت والاعمدة) ، وكلها مهياة للاستعمال حالا ، بحيث ان البناء استحال الى عملية تجميع هذه المواد الجاهزة وتركيبها في اماكنها المعدة لها . وفي مجال الانجازات المتواضعة ، فقد توصلوا الى صنع منازل جاهزة لا يستغرق تركيبها في اماكنها سوى بضع ساعات . والتحويل اكثر فاكثراً على الاسمنت المسلح والفلواز ، مكن من تحويل كل ثقل البناء على الهيكل المصنوع من سلسلة من العواميد والجسورة المتشابكة وكلها من الاسمنت المسلح . وبذلك يفقد الجدار اهميته باعتباره عمود ، وقد يستقل تماماً عن المكان الذي تقوم فيه الاعمدة . وقد يكتفى منه بعاجز زجاجي او تقوم فيه فتحات واسعة جداً . وقد عرف المهندسون ان يتخذوا لهم يداً من كل هذه المواد والادوات الجديدة ليعودوا القهقري الى هذه البساطة والى البناء المعقول وبمطابقة البناء الى اقصى حد مع الاهداف الموضوعية له . وهذا بالذات ما يعرف « بالفن الوظيفي » الذي عبرت عنه خير تعبير نكتة لكوربوزيه عندما وصف المنزل « آلة للسكن » .

فكل الحركة الهندسية منذ عام ١٩٢٠ فصاعداً ، وقعت تحت تأثير ميس فان در روه ، ولتر غروبيوس ولوكوربوزيه ، وغروبيوس تولى منذ عام ١٩١٩ ، على ادارة مؤسسة بوهاوس دي ويمار التي انتقلت عام ١٩٢٥ الى ديسو ، فكانت هذه المؤسسة في وقت واحد مدرسة للصنائع والفنون واكاديمية للفنون الجميلة . فيها يدرك الطالب الوحدة التي تسيطر على العنصر العقلاني الذي يلائم بانسجام واتساق ، بين الهندسة والرسم والحفر ويتجاهل تماماً التمييز القديم بين ما يدعى العناصر البنائية والعناصر التزيينية ، والانسجام التام مع مقتضيات الحضارة الصناعية التي عرفت كيف تُدخل الفن على احقر المواد وأخسها واكثرها اتصالاً بالحياة اليومية . والبوهاوس الذي تشده الى التكعيبيين والى ممثلي الفن التجريدي ممثلاً بالحركة المعروفة بـ Merz وبالدادية ، والفن التجريدي الذي تمثله مجلة « Stryl » وبقيادة المهندس

دوسبرغ والرسام وبييت موندريان يحدث تأثيراً كبيراً . فالدروس فيه يُعطيهما فريق من كبار الفنانين المشهود لهم بالتفوق في اختصاصهم والذين يخضعون لنظامية بنّاءة بينهم : بول كلي وكندنسكي وفيننجر ، والمجري موهولي ناجي . وهذه السيطرة تتمتع بها الهندسة الألمانية قضت عليها الحركة النازية إذ امرت باغلاق البوهاوس بعد ان شجبت هذا الفن المنحط ، الذي طلع به اليهود والشيوعيون ، بما يتصف به من عقلانية مفرطة ودولية جامحة ، وبضلوعه بذكريات جمهورية ويمار ، مما يجعل المرء يشك بولائه للدولة الألمانية وللغورر . والمهندس الاميركي فرانك لويد رايت الذي يتمتع اليوم بشهرة عالمية ، يحاول جاهداً تأمين الانسجام والمساوقة الى اقصى حد ، بين المباني التي يشرف على تشييدها ، وبين المسكن او المحيط الذي يقوم فيه البناء ، وبين طبيعة المواد المستخدمة في البناء .

اما المهندس لو كوربوزييه فالنفوذ الذي يتمتع به يعود ، قبل كل شيء الى مؤلفاته النظرية والى هذه العمارات الناعمة الخفيفة التي تستمد اشكالها الهندسية من التكميلية ، والتي يبدو عليها الانفصال او الانقطاع عن الارض ، وهو نفوذ وتأثير يشتد في الخارج حيث له العديد من التلاميذ والمريدين اكثر منه في فرنسا بالذات حيث بقي في شبه عزلة .

السينما ومقتضياتها الاقتصادية لم تصبح السينما فناً قائماً بذاته له اختصاصيه ومتخصصه الا بعد والتقنية الحرب العالمية الاولى ، فخضع منذ هذا التاريخ لقوانين وقواعد وضوابط في الاخراج ، كما خضع لمقتضيات تجارية تُرزحه كلما تطور هذا الفن وتعقد وتشعب . والسينما مشدودة اكثر من اي فن آخر ، الى القوة الاقتصادية التي تعمل في انتاج الفيلم واخراجه وتوجد النظارة الذين ان اقبلوا عليه جاءت عملية الاخراج عملية ناجحة أمنت مردوداً طيباً . ولهذا السبب لم تلبث العملية ان وقعت بسرعة فريسة الاحتكار من قبل اتحادات احتكارية جبارة بما لها من طاقات مالية ، منها في الولايات المتحدة الاميركية : الشركة السينمائية . التي تشدها الى شركة إيستمان كوداك روابط متينة ، التي لا تسلم بواكير افلامها الا لاعضاء الاتحاد ، وهي تشرف على سلسلة من الصالات السينمائية متصلة الحلقات . وفي المانيا يقوم الاتحاد المعروف بـ U. F. A. وشركة بافاريا وكلاهما شركتان ضخمتان هما موضوع اهتمام مصالح مالية واقتصادية قوية ، امثال : ستينز ، وفاربن والـ A. E. G. ، وفي فرنسا : باتيه غومون .

وفي سنة ١٩٢٧ ظهرت السينما الناطقة ، أو الصائتة التي تستنزف صناعتها رؤوس اموال ضخمة ، فأدت التعديلات التقنية على الاخراج الى تغيير جذري في الاجهزة والعتاد المستعمل له . وبعد ان حاولت الشركات الكبرى الاغضاء عن هذا الاختراع الجديد ، رأت نفسها مرغمة لرعايته وتشجيعه ، اذ راحت شركة بل للتلفون وربيبتها شركة وسترن الكتريك ، تؤسسان شركة الكتريكال بروداكت التي تتمتع وحدها بحق توزيع شهادة فيتافون . وبواسطة الشركات الكبرى للتجهيزات الكهربائية ثم المصرف الاميركي المعروف بمصرف روكفلر-مورغان الاشراف النهائي الكامل على صناعة السينما في اميركا . ومنذ عام ١٩٢٣ اخذت تتوزع

به انكلترا بين ١٩٣٥ - ١٩٣٧، هل جاء نتيجة تخفيض قيمة الجنيه الانكليزي او العودة بالبلاد الى نظام الحماية الجمركية ؟ وما عسى ان يكون على العموم ، من التأثير الذي أحدثه هذا العامل المضاد لطبيعة الاقتصاد الذي يتمثل في التسلح ؟

ولكن هذا التحسن الطارئ لم تتوفر له عناصر البقاء والاستمرار اذ
النكسة والتسلح قد ظهر في اواسط عام ١٩٣٧ ، لا سيما في نطاق الصناعات التي تعمل على توفير الحاجيات الانتاجية ، عوارض انكفاء وتقهقر الى الوراء ، يمكن مقارنتها بالمعارض التي بدت عام ١٩٢٩ - ١٩٣٠ . ففي اوروبا ، حيث تمثل نفقات التسلح جانبا هاما من موازنات دولها ، فالنكسة فيها هي اقل عمقا منها في البلدان التي لم تندفع نحو سياسة التسلح هذه ، كالولايات المتحدة الاميركية والدول الصغرى في اوروبا ، وكندا حيث لا تمثل اقتصاديات الحرب سوى جانب ضئيل من اقتصاديات البلاد . فالنشاط الاقتصادي في الولايات المتحدة هبط ٣٧٪ بالنسبة لما كان عليه عام ١٩٢٩ ، وتجاوز عدد العاطلين عن العمل فيها ، عام ١٩٣٨ ، عشرة ملايين عامل ، والعودة الى اتفاق مبالغ ضخمة على الانشاءات العامة فشل في احداث اي تحسن في الوضع الاقتصادي ، اذ ان عدد العمال العاطلين عن العمل ، عام ١٩٣٩ ، يزيد على تسعة ملايين عامل . فالحرب وحدها هي التي « صفت » الازمة ، اذ اقتضت استيعاب اليد العاملة بأسرها . فمنذ عام ١٩٣٧ ، اصبح التسلح الذي لم يكن الى ذلك الحين سوى حافز بسيط من الحوافز الاقتصادية بدا وكأنه السوق الكبرى لاستيعاب الانتاج الصناعي بحيث اصبح « العماد الوحيد » لمعظم البلدان الصناعية الكبرى . والامر واضح جلي في نشاط معظم البلدان الاوروبية التي لم تغرق بعد في التسلح ، كبريطانيا العظمى مثلاً ، حيث النشاطات الاكثر ازدهاراً هي التي تتمثل في صناعة بناء السفن ، وصناعة المحركات والطيران بينما احتدمت البطالة في صناعة النسيج واستخراج الفحم . والدور الرئيسي الذي تلعبه حاجات الجيش ومقتضيات التسلح ، أكفلم يبرز واضعاً في تصريح لوزير الدفاع البريطاني الذي صرح عام ١٩٣٧ بان انكلترا لن تعرف ازمة جديدة قبل خمس سنوات . وسعر الخامات مرتبط بحاجات الدفاع . وفي سنة ١٩٣٨ ، انخفضت اسعار الحبوب واسعار لحم الغنم والمنسوجات والكأكار ، بينما ارتفعت اسعار المعادن على اختلافها .

فالتسلح هو وحده وراء ازدهار انتاج المواد الاولية . الا ان هذا الانتاج كانتاج المواد الزراعية يصعب ضبطه والتخطيط له ، بحيث ان المخزون الدولي اخذ منذ عام ١٩٣٨ ، يتضخم بصورة لا تخلو قط من الخطر . ففي هذا التاريخ بالذات كان مخزون المطاط يزيد ٥٢٪ على مخزون عام ١٩٢٩ ، كما ان مخزون الصوف زاد ٦٥٪ والحرير الخام زاد ٢٣٪ والنحاس الخام زاد مخزونه ٤٥٪ ، وزاد ٢٢٧٪ مخزون النحاس المكرر . فمخزون القصدير وحده كان دون مستوى عام ١٩٢٩ ، ومخزون القطن هو اعلى بكثير من مخزون أسوأ سنة من سنوات الازمة المالية ، بينما مخزون القمح بلغ ٣٢ مليون طن ، مقابل ٢٩ في عام ١٩٢٩ . فهو خفض

تعد نحواً من ٣٠ صالة سينمائية .

ففي الوقت الذي قوت فيه الضائقة المالية من قبضة المصارف على صناعة السينما وفنّها ، بعثت فيها ، من جهة أخرى ، تجديدأ كبيراً ما كان مثيراً في المخرجين والممثلين . انت عددأ كبيراً من الافلام التي صدرت في هذه الحقبة تبرز ، شأنها في ذلك شأن الرواية ، الازمة وردة الفعل التي احدثتها ، والاتجاهات الاجتماعية والسياسية والمطالب التي تتسم بالاحاف احياناً منها مثلاً : ليس من جديد في الجبهة الغربية - اضواء المدينة - الازمنة الحديثة - الدكتور - عنب الغضب ... والموضوع الاجتماعي يوحى كذلك الى بابست الافلام التي قام باخراجها مثل : اوبرا بأربع نحاسات - فاجعة المنجم ، والى لانغ ، الافلام التي اخرجها ، منها مثلاً : وصية الدكتور مابوز الذي منعه النازية ، وافلام ديداو . وعندما تسلم هتلر السلطة العليا في البلاد اتجهت السينما في عهده ، جهة الدعاوة . فقد جرى تطهير الستوديوهات من اليهود والماركسيين والاحرار . وباستثناء الفيلم : انتصار الارادة ، والفيلم الاخباري الآخر : آلهة الستاديوم ، من اخراج ليني ريفنشتول ، أصيبت في الصميم ، كغيرها من الفنون الاخرى والنشاط الفكري الألماني .

وفي فرنسا ، كما في ألمانيا ، مهدت السينما الناطقة السبيل امام السينما الوطنية . فالمعصر عصر رئيسه كلير العظيم (تحت سطوح باريس - المليون) ثم تطلع علينا سلسلة الافلام التي تنزى بنتائج الازمة العالمية كما تنضح بالهواجس السياسية والاقتصادية والاجتماعية (١٤ تموز - لنا الحرية) . ويظهر التطور على أتمه ، مع جانت رينوار عندما يعمل مع بانيول الاختصاصي الضليع بتصوير الجماهير في مقاطعة بروفانس فيعطينا : طوني ، هذا الفيلم الذي يعالج قضايا هموم اليد العاملة النازحة ، ثم افلام من وحي الماركسية (الحياة لنا - الهم الكبير - المارسيلاز - الوحش البشري) ... والوحي ذاته نجده لدى جان فيدر في الفيلم : للسوق الخيرية الضخمة ، حق لدى دوفرييه (المعصر الجميل) . والى جانب هذه الافلام الاجتماعية ظهر نوع جديد يشابه من قريب ، لون افلام رعيان البقر واللصوصية في اميركا ، وهي تنزع لوصف « البيئة » ، والتي تنزى بواقعية مريرة وبائسة امثال فيلم بابيه موكو لدوفرييه . وفي هذا اللون من الافلام المتشائمة الواقعية ، يبرز للعيان مارسيل كارنيه (ومساعده الايمن جاك بريفيير) بالفيلم الذي اخرج به بعنوان : رصيف بروم - وفندق الشمال ... بعد ان اتسمت تشاؤميته بطابع اسطوري خلال الحرب بالفيلم : زوار المساء (١٩٤٢) وقبيل الحرب الاخيرة برز في الصناعة السينمائية الفرنسية ابرز فناً واتقاناً منها لدى هوليوود التي اتسمت افلامها بطابع متوسط جداً جعلت ستروهايم يصفها مازحاً مبسطاً : هذا الجهاز الجبار لاخراج المقاتل .

الكتاب الثاني

الأنهيار الاقتصادي ونتائجها

الفصل الأول

الانهيار الاقتصادي

تتميز الأزمة الاقتصادية التي وقعت عام ١٩٢٩ عن كل ما تقدمها من أزمات اقتصادية، في القرن التاسع عشر والرابع الأول من القرن العشرين . فقد كان لها من العنف والعمق والشمول ما أفضى الى انحلال النظام الاقتصادي وشله تماماً كما أدت الى افلاسات عملاقة ، في عالم تهتز منه العمود والاركان ، ووضعت النظام الرأسمالي وجهاً لوجه مع مشكلات لم يستطع السيطرة عليها بشق المرائر وبعد تعديلات أساسية أدخلت عليه .

١ - انفجار الأزمة وامتدادها الى أقصى المعبور

دورة الازمات الاقتصادية
خبر القرن التاسع عشر ، العديد من هذه الأزمات ونظر إليها نظرقه الى امراض ملازمة للنمو والتطور لا يلبث معها ما يساعده على تصحيح الاوضاع بيسر وبصورة تلقائية ، وذلك باستقطاعه المشروعات التي تشكو العسر او تلاقي المصاعب ، ثم يعود الازدهار وعود العافية الى النشاط التجاري والوضع الاقتصادي يأجمعه . وهذه النظرة المشبعة بالتفاؤل التي اعتاد ان يلقيها على الازمات التي لم يكن من الممكن تفادها والتي ثبتت فائدتها في نهاية المطاف ، اخذ الماركسيون يعالونها بالقول ان تقارب حدوث هذه الأزمات وتوالي وقوعها بعنف الواحدة منها بعد الاخرى ، عجلت كثيراً في حركة تركيز المشروعات وتركزها كما أبرزت ما تصف به هذه الاستثمارات من نزعة عارمة الى الاحتكار ، وان التطورات التي ألحقتها بالهيكل الاقتصادي حتمت وقوعها وجعلتها أكثر قوياً وأكثر ضرراً وأذى ، ليس فقط لمصالح الكادحين المأجورين ، بل أيضاً للمصلحة العامة .

فقد سبق لعلماء الاقتصاد وظنوا بوقوع أزمات دورية عقبها حقب من الازدهار ، ارتفعت خلالها الاسعار وقلت حوادث البطالة وازدادت الارباح ، وحقب من الانهيار الاقتصادي تلتهم

بسمات عكسية . ومع تضارب الآراء بينهم حول مدد هذه الدورات والاسباب الموجبة لها نقدية ، مالية هنا ، واقتصادية هناك وسياسية هنالك ، فقد سلموا مع ذلك ان دورات قصيرة الامد (من ٤ - ٨ سنوات) عقيبتها دوماً دورات اطول مدى واوسع شمولاً ، تراوح معدلها بين ٤٠ - ٧٠ سنة . فالازمة التي كشرت عن انيابها عام ١٩٢٩ ، كانت في زعمهم النهاية الطبيعية ، لحقبة طويلة الامد وان ما اتصفت به من عنف استثنائي وتعقيد وتشابك وطول امد ، يجب رده هنا الى تجمع اسبابها الخاصة مع الاسباب الاخرى التي هي وراء كل أزمة قصيرة ، ومهما يكن من الامر ، فقد برزت بخطورتها ، اية ازمة من هذه الازمات « العالمية » التي عرفها التاريخ الحديث ، حتى تلك التي وقعت منها عام ١٨٥٧ ، والتي نظر اليها الكثيرون آنذاك ، بأنها أعنف أزمة عرفتتها البشرية عبر تاريخها المديد ، هذه الازمة التي طلعت هي الاخرى ، اول ما طلعت ، في الولايات المتحدة الاميركية ، وامتدت عقابيلها الى كل من انكلترا وهلمبورغ والى كل بلدان اوروبا الشمالية والغربية .

انمازت الازمة الجديدة عن مثيلاتها في الماضي ، بعدة سمات لازمة ١٩٢٩ من الاتساع والشمول ما ليس له مثيل
فردتها وطبعتها . لإعادة البناء الاقتصادي ، وإعادة تجهيز العالم صناعياً في أعقاب ازمة ١٩٢٠ - ١٩٢١ ، بحيث يتجاوز الانتاج العام معدله لعام ١٩١٣ ، لم يتم إلا بعد التغلب على صعوبات كبيرة . ثم ان ازمة ١٩٢٩ لدى انطلاقتها ، لم يسبقها كغيرها من الازمات الماضية ، ارتفاع عام في الاسعار والارباح والاعمال . فقد وقعت ، على عكس ذلك ، في فترة من انخفاض الاسعار وهبوطها وفي عالم بدت على القطاع الزراعي فيه ، عوارض خطيرة من الركود والهبوط ، وفي عالم قد يتجاوز عدد العاطلين فيه عن العمل ، العشرة ملايين عاطل ، في عالم معظم الدول الاوروبية فيه رأت نفسها اعجز من ان تصل الى ما كانت عليه تجارتها الخارجية قبل الحرب العالمية . وهذه الازمة تتميز ، من جهة اخرى عن الازمات التي شهدتها القرن التاسع عشر ، بما تم لها من شمول واتساع ، وهو شمول يفسره لنا القطاع الرأسمالي الذي كان يتأثر وحده في الازمات السابقة ، بينما نراه يسيطر الآن على البلدان الصناعية الكبرى . وهكذا نرى ان النظام المالي بأسره اهتز من اساساته . ففي الحين الذي كانت فيه الزراعة ، في القرن التاسع عشر تكاد لا تتأثر ، وكانت الازمة الكبرى الاخيرة التي وقعت خلال الربع الاول من القرن العشرين ، انها كانت ازمة اوروبية على الاخص وأملت بنوع خاص ، بفلال الحبوب ، فأزمة عام ١٩٢٩ كانت صناعية زراعية في آن واحد وتأثر بنتائجها كل قطاع من قطاعات الاقتصاد في البلاد ، فانهضت على الولايات المتحدة الاميركية ، وعلى اوروبا وعلى البلدان نصف الاستعمارية والاستعمارية على السواء ، كما تضرس بها كل قطاع من قطاعات الحياة الاجتماعية . فالازمات الاقتصادية السابقة لم تعرك بثقلها سوى العمال وارباب العمل ، بينما احتفظ المزارعون والموظفون واصحاب الإيرادات بدخلهم سالماً غير منقوص ، بل كثيراً ما كانوا ينعمون ، من جراء انخفاض الاسعار في الوقت الذي كانت فيه مدخراتهم

تساعد على تصفية الازمة . اما ازمة ١٩٢٩ ، فقد اخذت بتلابيب كل فئات المجتمع وأصابته في التصميم دخل كل الطبقات ، مباشرة او مداورة عن طريق هبوط سعر النقد ، إذ أصيبت كل العملات بالهبوط والانهيار ، كما تسببت عن حسومات محسوسة في المداخيل والمربحات . فالعمال لم يعودوا وخدم فريسة البطالة ، بل وقع فريسة لها ايضاً كل من موظفي المكاتب والادارات وصغار الصناعيين وصغار التجار والعمال المهنيين الذين اضطروا الى اقفال متاجرهم والبحث عن عمل يستطيعون معه تأمين اودم وأرد ذويهم .

نقطة انطلاق الازمة : انفجرت الازمة يوم « الجمعة الاسود » في ٢٤ تشرين الاول الولايات المتحدة ١٩٢٩ ، وعلى حين غرة وفي غفلة من الجميع ، وابتدأت بأزمة بورصة . صحيح ان اسعار اسهم النحاس والذهب والفولاذ اخذت بالهبوط منذ ايار ، كما اخذت تهبط في الفصل الثاني من هذه السنة ، أرباح صناعة السيارات ، وبقيت في هبوطها الذريع في الفصل الثالث ايضاً ، بالرغم من تحسن المبيعات ، فقد استمر المعجز في تقهقر موصول . وهذه الدلائل والاعراض التي لم تكن لتخفى على الناس ، صاحبها ضجة مدوية من جراء افلاس المصرف الانكليزي هاتري الذي كان يستثمر فوتوماتون ، مما أدى الى رفع الحسم في بورصة لندن ، وعودة جانب من رؤوس الاموال الانكليزية الى البلاد ، والى بيع السندات والاسهم الاميركية من قبل المضاربين الانكليز . وفجأة وقعت معاملات مالية نهار الاثنين الواقع فيه الحادي والعشرون من تشرين الأول ١٩٢٩ ، ليعاد بيعها ، نهار الخميس بعروض كبيرة بأي سعر كانت ، تنازلت نحواً من ١٣ مليون سهم . ولم يفد شيئاً تدخل ستة من اكبر مصارف بادرت للشراء ، ايقافاً منها الحركة الهبوط الجارف ، في تهدئة الهلع العام الذي دب في القلوب ، وفي ٢٩ تشرين الاول بيع اكثر من ١٦ مليون سهم ، فازداد الهبوط اكثر فاكثر بحيث هبط دليل الاسهم الصناعية ، في منتصف تشرين الثاني من ١٩٢٩ الى ٢٢٠ .

وهكذا فالازمة الصناعية التي اطلت على الناس لن تلبث ان ازدادت حرجاً بعد انهيار المالي والهلع الذي سمر الخوف في القلوب ، فأصاب الى الفشل الذريع ، كل محاولة كبح او تقييم ، لا سيما والعناصر الضرورية للتثبيت كاستهلاك الى اقصى حد وزيادة القيم ، اختفت بسرعة ، كما ان عدداً كبيراً من حملة الاسهم الذين لم يدفعوا إلا جزءاً ضئيلاً من قيمتها ، وجدوا انفسهم فجأة مديونين ، عدا عن ان عدداً كبيراً من التجار ومن أرباب الصناعة الذين اخذوا سلفات على ما لهم من اعتمادات مصرفية اساسها الاسهم التي يحملونها ، رأوا اساس هذه الاعتمادات يضيع ويختفي . كذلك توقفت تماماً صفقات البيع بالتقسيط ، وأجلت او ألغيت طلبات التوصية وتراكم الانتاج والتجهيزات . كل هذا الاستنزاف الضخم انزل الرعب في طول اميركا وعرضها .

وبعد انهيار الاسعار في البورصة اطلت ازمة الانتاج الصناعي ، فازدادت حرجاً يوماً بعد يوم . فقد تداعت بسرعة كلية ادلة الانتاج على اقدار وانساب حسب الصناعات وهبطت الى

ادنى مما كانت عليه في السنة الماضية . فصناعة السيارات اخذ انتاجها منذ تشرين الاول يهبط بحيث بلغ معدل هبوطها في الاشهر الثلاثة التالية الى النصف . واستمرت الازمة في تصاعد مترججة ، بحيث اتصلت في النصف الثاني من عام ١٩٣٠ ، بكل قطاعات الصناعة ، فانخفض انتاج الصلب ، اذ ذاك ، الى النصف . وفور الذي اضطر الى اعتماد خمسة ايام عمل في الاسبوع ، في ربيع عام ١٩٣٠ عاد فأنقصها الى ثلاثة ايام عمل في آب . وهبطت كذلك واردات السكك الحديدية والتجارة الخارجية بالرغم من اعتماد التسعيرة القصوى لحماية التجارة التي أقرها قانون هولي سموت . وأدت البطالة الى انخفاض كبير في دخل الطبقة العمالية العام . وفي ربيع عام ١٩٣١ ، اجريت تخفيضات على الاجور بنسبة ١٠ - ٣٠ ٪ وازدادت اتساعاً في الصيف والخريف من تلك السنة .

كان من جراء الذعر المالي الذي اصبحت به نيويورك ان قضى تماماً على كل حركة تسليف لأوروبا . وتوقف تماماً خروج الدولار من البلاد بعد ان اخذت اميركا باستثماره وتوظيفه على نطاق واسع في الخارج منذ عام ١٩٢٢ ، مع العلم ان اقتصاد أوروبا الوسطى وأوروبا الشرقية ، ولا سيما ألمانيا ، لم يكن ليقف على قدميه الا بواسطة المساعدات الاميركية . وابتداءً من تشرين الاول ، اعلن افلاس بنك بودين للتسليف في النمسا ، وراحت الحكومة النمساوية تحاول تعويمه بواسطة بنك التسليف النمساوي . الا ان الانتخابات الالمانية العامة التي وقعت في ١٤ ايلول ١٩٣٠ والتي تميزت بأول نجاح حققته الحركة النازية في البلاد ، ومعارضة الحكومة الفرنسية والاطالية لمشروع الاتحاد الجمركي بين النمسا وألمانيا اقلقت الاوساط المالية واخذت تسحب اموالها . وفي ايار ١٩٣١ توقف بنك التسليف النمساوي نفسه عن الدفع وهبطت اسهمه ٢ ٪ من قيمتها الاسمية . واذا ذاك حدث اندفاع على المصارف في كل أوروبا الوسطى مما ادى الى سلسلة من الافلاسات . والمصارف السويسرية والهولندية والاميركية التي كانت قد وظفت رؤوس اموال جسيمة لأجل قصيرة في ألمانيا (اكثر من ١٢ مليار مارك) حاولت سحبها واستعادتها الى البلاد . وامام اشتداد حركة السحب هذه ، قالت الحكومة الالمانية من الرئيس هوفر ، في ٢٠ حزيران ١٩٣١ ، امراً بتأجيل وفاء الدين لسنة في كل ما يتعلق بتعويضات الحرب ، وهو تدبير عاجز عن اصلاح الوضع المالي في ألمانيا حيث استمر سحب الودائع الاجنبية والوطنية على أشده . وقد جرّ افلاس شركة قطن الشمال في برمين عن ٢٠٠ مليون مارك الى افلاس مؤسسة داتن المالية وانهار الوضع المالي بكامله . واذا ذاك قرر المستشار الالماني بروتنغ إقفال كل المصارف ومؤسسات التوفير والتسليف الاخرى . وعندما استأنفت هذه المؤسسات نشاطها في شهر آب ، بقيت كل الاعتمادات والارصدة الاجنبية في ألمانيا مجمدة واضطرت ان تنزل عند قرار جديد بتأجيل وفاء الديون .

مربوط سعر الجنيه
واخذت المصارف التي تعاني من صعوبات مالية تنهار الواحدة
بعد الاخرى في كل من ريفيا والنمسا ورومانيا ويوغوسلافيا ،
وفي فرنسا (مصرف اوستري ومجموعة مصارف اركتاف ممبروغ) . وراحت الدول تحاول
حيناً إعادة تنظيمها كما حدث في كل من تشيكوسلوفاكيا وفرنسا ، وفي ٢٤ ايلول ١٩٣١ ، لم
تبق فاتحة ابوابها سوى بورصات نيويورك وباريس وبراغ ، وموجة الافلاس هذه لم تتكسر
حدثها الا في ربيع عام ١٩٣٢ . إلا ان النازلة المالية لم تقف عند هذا الحد . فقد اهتزت
انكلترا من أساساتها أمام الخسارة الجسيمة التي لحقتها من جراء افلاس بنك التسليف الدولي
وتجميد رؤوس الاموال الموظفة في المانيا وفي اوروبا الوسطى ، اذ عجزت المصارف
البريطانية عن سحب ودائعها في الوقت المناسب (٧٣ مليون جنيه لآجال طويلة ، و٩٠ مليون
جنيه لآجال قصيرة) ، مما ألحق هزة عنيفة بحركة القطع . وراح عدد كبير من الاجانب
القلقين على اموالهم ومدخراتهم يحولون ما لديهم من جنيهات الى ذهب أو فرنكات أو فلورين
أو دولارات ، بحيث رأى بنك انكلترا نفسه يفتقر كلياً الى رصيد كافٍ من الذهب . وحركة
سحب رؤوس الاموال هذه أخذت شكلاً خطيراً بالرغم من تقديم مصرف فرنسا له اعتمادات
قيمتها ٥٠ مليون جنيه ، وفي ٢١ تشرين الاول تخلت الحكومة الانكليزية عن قاعدة الذهب .
وهذا التخلي من قبل الانكليز عن تعادل الجنيه لليرة الذهب بعد ان ضحت انكلترا ما ضحت
في سبيل الاحتفاظ بهذا التعادل ، زاد الوضع سوءاً ، إذ أدى الى انهيار فظيع في الاقتصاد النقدي
العالمي . وهبط الجنيه في بضعة ايام الى ٣٠٪ من قيمتها الاسمية بالنسبة الى سعرها الماضي ،
كما ان هذا الهبوط سبب هبوطاً مالياً لدى ٣٠ بلداً نقدها مرتبط بال نقد الانكليزي ، كالبلدان
السكندنافية والدومينيون (باستثناء اتحاد جنوبي افريقيا وكندا) والبرتغال والسيام ومصر
وبوليفيا ، حتى وفي اليابان في كانون الاول ١٩٣١ . وراح عدد كبير من الافراد والامؤسسات
الاقتصادية التي لها جنيهات انكليزية ، والبيوتات التجارية في كل البلدان التي ترتبط بمعقود
حررة بالجنيه الانكليزية ، ومصارف الاصدار التي كانت حولت جانباً كبيراً من ودائعها الى
ليرات انكليزية ، وفقاً لقاعدة الذهب التي اصابها خسائر محسوسة : فقد اصاب بنك فرنسا
خسارة تقدر بلياري فرنك ، وبنك البلاد الواطية ثلاثين مليون فلورين ، وبنك بلجيكا ٦٥٠
مليون فرنك بلجيكي .
وهكذا باستثناء فرنسا التي لحقتها الازمة عام ١٩٣١ ، كل دول العالم تضربت بها منذ
عام ١٩٣٠ .

الازمة في الدول الجديدة
تضربت هذه البلدان بنتائج الازمة من الخارج ، بعد ان
تأثرت عميقاً بالهبوط المفاجيء في صادراتها ومن جراء توقف
رؤوس الاموال من الخارج . ففي كندا هبط سعر القمح من ١٢٤ سنتاً عام ١٩٢٩ الى اقل من
٦٠ عام ١٩٣١ ، وزاد الطين بلة قحط موسم الحبوب في الغرب ، في سنة ١٩٣١ فقضى على

الموسم قضاءً تاماً في مليونين من الهكتارات الزراعية . وراح كبار المزارعين يصرفون عملهم ويستغنون عن الجرارات الزراعية لغلاء الوقود اللازم لها فيعودوا الى الاستعانة بالحصان . والمردود العام للمزارعين الكنديين الذي كان عام ١٩٢٧ - ١٩٢٨ نحواً من ١٨٠٠ مليون دولار هبط في سنة ١٩٣٣ - ١٩٣٤ الى اقل من ٨٠٠ مليون دولار ، كما هبط الدخل الصافي من ١٥٠٠ مليون دولار الى اقل من ٥٠٠ مليون . ودليل المحصول الزراعي هبط بنسبة ٢/٣ بينها لم يهبط الدليل العام للأسعار الى ادنى من الثلث . والقدرة الشرائية عند المزارعين هبطت الى الصفر . وعندما اخذت الاسعار تعود الى الارتفاع بعد عام ١٩٣١ ، بقيت في معدل هزيل اذا ما قيسست بكلفة النقل ونفقات الحزن والعمولة التي لم تكن لتسمح باي عصر او ضغط . وقيمة الارض الزراعية في السهل حيث بلغ سعر الهكتار ٢٥٠ دولاراً عام ١٩٢٨ ، هبط الى ١٢٠٥ دولار حتى في هذه الظروف التي تشجع على البيع . والانتاج الحرجي هبط الى ادنى من الثلثين هو ايضاً كما ان انتاج المناجم الذي كان ٣١١ مليون دولار ، هبط الى ١٨٣ مليون دولار عام ١٩٣٢ ، ثم عاد وارتفع الى ٢٧٣ مليون دولار عام ١٩٣٤ .

وفي استراليا ونيوزيلاندا اخذت تهبط ، هي الاخرى ، اسعار الصوف منذ آب ١٩٢٩ وازداد الهبوط المخدراً حتى مطلع عام ١٩٣٣ . ومع ان حجم الصادرات من الصوف والقمح والغنم والبقر والسكر والارز زاد بشكل ملحوظ واحياناً تضاعف مرتين وثلاثاً ، فان قيمة هذه الصادرات لم تكن تمثل عام ١٩٣١ - ١٩٣٢ سوى ٥٥ ٪ من قيمتها لعام ١٩٢٨ - ١٩٢٩ ، ورافق حدوث الازمة في جنوبي افريقيا حدوث اطول جفاف عرفته تلك البلاد خلال السنوات الستين الاخيرة من تاريخها مع تعرض قطمان الغنم فيها لامراض وافدة ، مما ادى الى هبوط ذريع في اسعار الذرة والصوف والمحاصيل الزراعية الاخرى . واستخراج الماس هبط الى ٥٠٦٠٠٠ قيراط اي ١/٩ محصول البلاد منه عام ١٩٢٧ . والمنجم الاول الواقع على مقربة من بريتوريا جرى سده واقفاله . ولم يبق للاتحاد من منجاة سوى انتاجه من الذهب .

وشمرت الهند من جهتها بشدة وطأة الازمة اكثر من غيرها من هذه البلدان التي عانت منها الامرين اذ ان ٢/٤ السكان فيها يعملون على تصدير الخامات والمواد الأولية بعد ان هبطت اسعار هذه المواد الى اقل من النصف . فبين ١٩٢٨ - ١٩٢٩ و ١٩٣٢ - ١٩٣٣ ، هبطت قيمة الصادرات من ٢٣٩٠ مليون روبية الى ١٣٥٠ مليون كما انخفض الاستيراد الى النصف ، بينها الفوائد المترتبة على القروض والنفقات العامة غير المجدية بقيت على بهاظتها كالمعتاد .

واجتازت البرازيل ازمة جديدة في زيادة انتاجها من البن اعنف واثقل من تلك الازمة التي مرت عليها في مطلع القرن ، كما ان اقتتار البلاد الى مساعدة المصارف الاجنبية الكبرى سبب انهيار الاسعار في بورصة نيويورك ، اذ هبطت من ٢٣ سنتاً الى ٨ سنتات ، وقد جر هبوط الجنيه وراهه الى الافلاس الذريع ، عدداً كبيراً من المزارعين ، والى نزاع اليد عن ملكية

الاراضي المرهونة واستخلاصها من ايدي اصحابها . اما الجزر المنتجة للسكر في اميركا الوسطى والبحر الكرايبي ، فقد عرفت ، هي الاخرى ، مثل هذا الهبوط ، كما ادى الى فقدان الكثيرين لاملاكهم بعد ان نزعوا من حيازتهم . والارجنتين التي يقوم ازدهارها على بعض المحاصيل الزراعية ، فقد تكبدت فيها محاصيل الحبوب واللحوم وغصت بها المستودعات والعنابر الخاصة ، وانخفض بالتالي سعر البيزو كما هبطت قيمة الارض ، الامر الذي اضطر معه عدد كبير من الملاكين الى رهن املاكهم والتقدم الى السلطات المعنية بطلب تأجيل وفاء الديون بعد ان استحال عليهم الوفاء في المواعيد المضروبة له .

٢ - مظاهر الازمة

فإذا ما قارنا بين دلائل الانتاج الزراعي وبين دلائل الانتاج الصناعي
الازمة الصناعية في العالم لظهر لنا ان الانتاج الزراعي بين ١٩٢٩ - ١٩٣٣ ، قلما تغير ولو لحقه بعض النقص الطفيف بينما نقص الانتاج الصناعي ١٥ ٪ من معدله العام .

فالمظهر البارز للازمة يتبلور على اتمه في هذا الانكماش العظيم الذي جاء اشد بكثير من اي انكماش مماثل وقع في الازمات السابقة ، (المانيا من ٣٩ ٪ الى ٦ ٪) من الانتاج الصناعي الذي بلغ ادنى دركاته في تموز ١٩٣٢ ، اذ سجل ٣٨ ٪ ادنى من المعدل المسجل في حزيران ١٩٢٩ . ثم أطلقت حركة ارتفاع بعد ان رسمت خطاً متكسراً بين هبوط وارتفاع لتستمر في الصعود في الحريف . وقد جاء هذا الانكماش اعنف واشد في البلدان الصناعية (اوروبا المصنعة والولايات المتحدة الاميركية) اكثر منه في بلدان اوروبا الزراعية واليابان ، وهكذا نرى ان اكبر خسارة وقعت تركزت على الاخص في مساحة ضيقة نسبياً ، اذ ان ٣ ٪ الانتاج الصناعي في العالم ، كان عام ١٩٢٨ ، موزعاً على اربع دول كبرى هي الولايات المتحدة الاميركية (٤٤،٨ ٪) و المانيا (١١،٥ ٪) والمملكة المتحدة (٩،٢٦ ٪) وفرنسا (٧ ٪) . وتملك هذه الدول مع الخمس التالية : بلجيكا - هولندا - سويسرا - النمسا - كندا ٨٠ ٪ من الانتاج الصناعي ، بينما يتقاسم الباقي كل من الاتحاد السوفياتي وايطاليا واليابان والهند واسبانيا والسويد وبولونيا والارجنتين ، وهي دول يبرز عليها بالاكتر ، للطابع الزراعي . واكبر خسارة سجلت في هذا المجال ، وقعت على الولايات المتحدة (٩٠ ٪) من مجموع الانتاج في البلدان الصناعية الاخرى ، وهو انهيار لم يسبق له مثيل من قبل حتى في ازمات الحروب ، اذ لم يزد عن ٣٠ ٪ في الدول المتحاربة في اوروبا .

المزارعون والوضع
الحرج الذي تخطوا فيه

لما كانت الانتاج الزراعي (ولا سيما انتاج المحاصيل الغذائية)
لم يتغير الا قليلا ، فالازمة في هذا القطاع كانت اقل انتشاراً
وأقل استواء منها في القطاع الصناعي . فقد ارتدت طابع
ازمة خائفة تأثرت بها اسعار المصنوعات بعد ان بلغ المعدل الوسط للهبوط في الولايات المتحدة
٥٧ ٪ ، من حزيران ١٩٢٩ الى كانون الاول ١٩٣٢ . وكان من نتائج انكماش القدرة الشرائية
في المدن ان تسبب عن انكماش مماثل في الريف ، وتكشف بالتسالي عن انكماش في استهلاك
المواد المشتراة . فأينما تكاثرت الاستثمارات الزراعية ، نرى تلك المجتمعات تعود الى «الاقتصاد
الاستهلاكي» . فهي تعمل في معاشها على انتاج المزرعة دون ان تكثرت بمقايضتها بالمواد
المصنوعة . والبلدان التي سبق لها ووجهت اقتصادها الزراعي وجهة تخصص معينة معدة
للأسواق العالمية ، والتي زهد فيها هذا الاجنبي وامتنع عن استيرادها ، فالفائض من هذا الانتاج
كان في وضع يدعو للأسف الشديد . والبلدان التي تعمل على التصدير الزراعي خاصة هي
هذه البلدان بالذات التي تضررت بالأسوأ من اي فئة اخرى من السكان . وهذا
شيء ملموس في الولايات المتحدة واليابان وبولونيا وهنغاريا ورومانيا ويوغوسلافيا
والارجنتين وكندا .

ففي كل هذه البلدان ، اضطر المزارعون لاجراء تخفيضات محسوسة في استهلاكهم للالات
والاسمدة والاعتدة الزراعية ، ولغير ذلك من المستهلكات الزراعية ، مما زاد في حرج بطالة
العمال العاملين في الصناعة (في الولايات المتحدة الاميركية اكثر من مليوني عاطل عن العمل) .
ومن جهة اخرى ان تعذر تجديد الاعتدة الزراعية واجراء اصلاحات ضرورية في المباني كان
من بعض نتائج هبوط ملحوظ في ثمن المزارع وقيمتها .

واخيراً وليس آخراً ، فهذه الازمة التي حدثت من حركة نزوح السكان في الريف باتجاه
المدينة ، قد تسببت في ازدياد حركة العرض في اليد العاملة في الريف ، اي ان الحركة أدت
الى نقص في الاجور جاء محسوساً وعلى نسبة كبيرة ، بحيث ان تطور الاقتصاد الاستهلاكي
شجع المزارعين على صرف العمال المأجورين ، والاستعاضة عنهم باعضاء الاسرة . وهكذا
فالبطالة في المدن تسببت الى حد كبير ، في البطالة في الريف .

وقد اشتدت وطأة الازمة بالاخص على الاستثمارات التي تزرع تحت الديون ، كما هو الوضع
في سويسرا مثلاً (٥١،٨ ٪ من رأس المال المستثمر) ولا سيما الاستثمارات الصغيرة في هذه
البلدان التي سبق لها وقامت باصلاح زراعي في الداخل . ولما كان يستحيل على المزارعين وفاء
الفوائد المترتبة على ما عقدهوا من ديون ، فقد اضطروا الى الاستدانة من جديد . وهكذا
تراكمت الرهونات ووزحت الممتلكات تحت اعباء جديدة في كل من بولونيا وهنغاريا (٤٠ ٪)
وبلغاريا (اكثر من ٥٠ ٪) والمانيا . وفي الولايات المتحدة تحولت ملكية ألوف المزارع الى
المصارف الدائنة ومعاملات الحجز التي اجريت خلال الضائقة المالية انتهت كلها بتملك شركة

متروبوليتن للضمان على الحياة لاكثر من ٧٣٠٠ مزرعة . وفي ولاية مونتانا وحدها ، امتلكت الشركة المغفلة ، عام ١٩٣٧ اكثر من ١٥٤٦ ٪ من مزارع الولاية بعد ان ألقت عليها الحجز . وفي ولاية أيوا ١١٤٩ ٪ . وقصة صفار المزارعين هؤلاء في او كلاهما الذين انتزعت المصارف الدائنة مزارعهم المرتبنة واصبح اصحابها مرابعين بعد ان كانوا اسياداً لها ثم انتهى امرهم بالطرد عندما راحت هذه المصارف تضم المزارع الصغرى بعضها الى بعض ، ترويه لنا رواية « عناقيد العنب » . فليس بغريب قط ان يرى ٢٩ ٪ في عام ١٩٣٩ ، انفسهم مرغين على تسديد الاقساط المترتبة عليهم بالعمل في الخارج . والوضع الذي احاط بالمربعين في الجنوب الشرقي من البلاد كان ادهى واقسى مما اتينا على وصفه ايضاً ، وعلى هذا قس وضع المزارعين ولا سيما من يعمل منهم في مواسم خاصة او يتزحون في مواسم خاصة عن مناطقهم في سبيل العمل في الخارج .

تسببت الازمة في قيام بطالة كثيفة بين صفوف العمال لدى عدد كبير من
اجور ربطالة
البلدان بعد ان تناقلت وطأتها على الفئات والمجتمعات العمالية في القطاع الصناعي ، لنتقل منه فيما بعد الى القطاعات الاخرى . فالبطالة لا تصيب كل الحرف بالسواء ، فصفوف العاطلين عن العمل كانت اكثف بين عمال المناجم وصناعات التحويل والبناء منها في قطاعي الزراعة والنقل (باستثناء الولايات المتحدة الاميركية ، حيث الانكماش بلغ أشده ، بينما لم يعاني القطاع التجاري كثيراً .

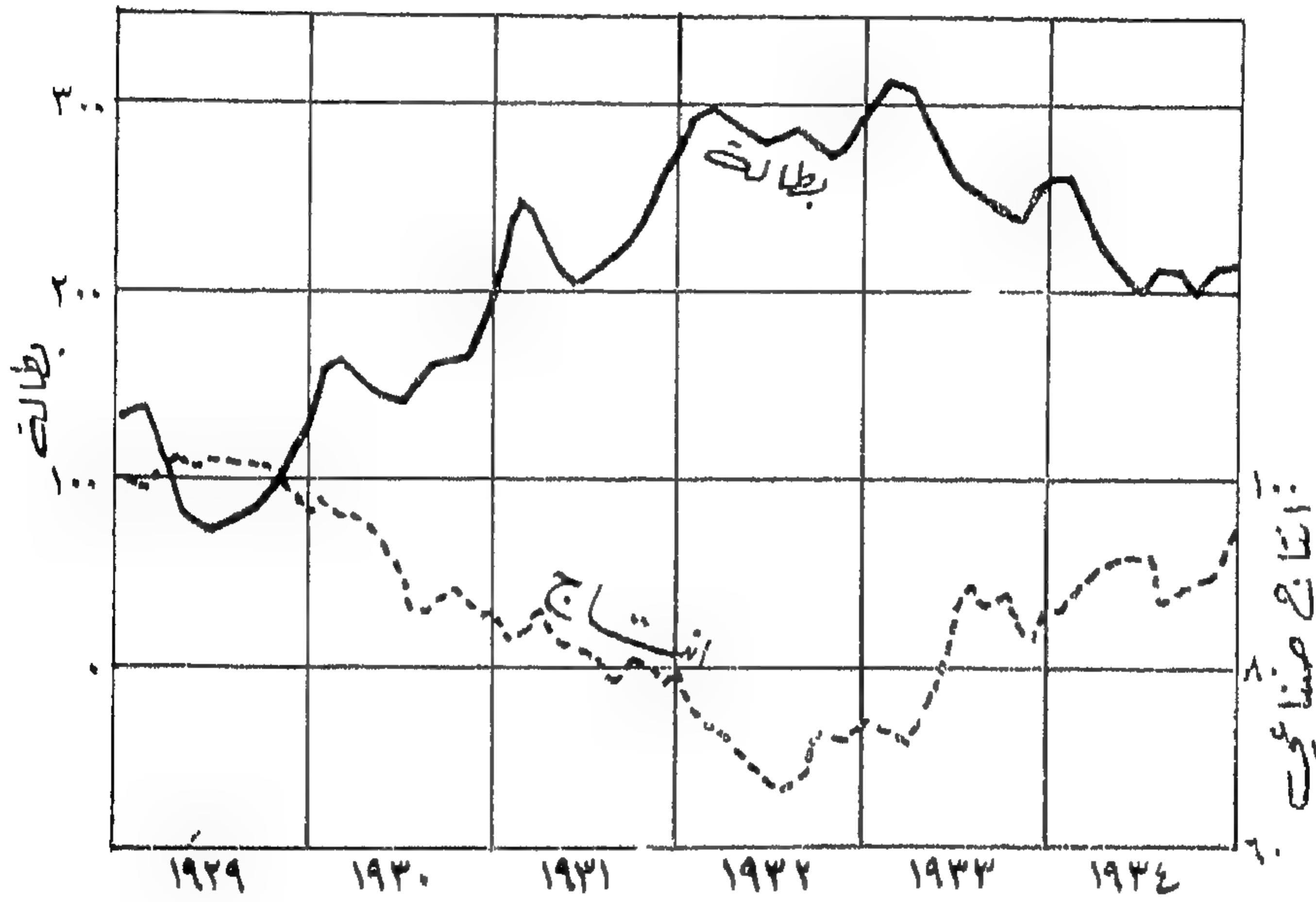
فانكلا ترا وحدها احتفظت باجور كانت مرتفعة نسبياً . فقد اتاحت القوانين الصادرة في الولايات المتحدة رفع هذه الاجور ، كما ان وصول الجبهة الشعبية الى الحكم في فرنسا تميز بحركة إنعاش في اجور العمال . فجاءت الازمة النقدية تفسد عليهم الفوائد التي تم لهم تسجيلها . وفي ايطاليا ، هبطت اجور العمال العاملين في المجال الزراعي ، بين ١٩٢٨ - ١٩٣٤ ما نسبته ٣٠ ٪ في كل من مقاطعة اميليا ، و ٣٢ - ٥٠ ٪ في مقاطعة لومبارديا . ومنذ عام ١٩٣٥ ، مع تطور صناعة النسيج وسياسة الاكتفاء الذاتي ، اصبحت الدولة الايطالية اكبر مستخدم للعمال في البلاد . فنتج عن ذلك ارتفاع في معدل ربح العامل بالساعة ، ولم يلبث هذا المعدل ان عاد الى نسبته عام ١٩٢٨ ، الا انها بالفعل كانت ادنى ، لان ساعات العمل لدى العامل كانت اقل مما كانت عليه عام ١٩٢٨ . وارتفعت الاجور كذلك في المانيا ، بمعدل ١٤ ٪ بين ١٩٣٣ - ١٩٣٩ الا ان ارتفاع تكاليف الحياة في البلاد ، والحسومات العديدة التي تعرضت لها الاجور ، اعادت النسبة الى ما كانت عليه من قبل . وبالرغم من هذا الارتفاع ، ومن ازدياد العمل ، فقد بقيت اجور العمال والمرتبات الموزعة عام ١٩٣٨ في المانيا ، اقل مما كانت عليه على العموم ، سنة ١٩٢٩ .

ومع ان النشاط الصناعي كان في هذا التاريخ على خير ما يكون من الازدهار ، فعدد العاطلين عن العمل لم يكن لينقص عن ١٠ ملايين في العالم ، مع العلم ان هذا العدد ارتفع الى

ثلاثة اضعافه ، بين ١٩٢٩ و ١٩٣٢ . فاذا ما اضعفنا الى هذا العدد ، عدد العاطلين جزئياً والعاطلين غير الملحوظين لبلغ عدد العاطلين عن العمل ٤٠ مليوناً تقريباً . وعدد العاطلين عن العمل في الولايات المتحدة ، عام ١٩٢٩ الذي كان يتراوح بين ١٠,٥٠٠,٠٠٠ و ٢,٥٠٠,٠٠٠ ، ارتفع عام ١٩٣٢ الى رقم تأرجح بين ١١ مليوناً و ١٢ مليوناً ونصف ، وفي عام ١٩٤٠ لن يهبط هذا العدد الى اقل من ٧ ملايين . فالحرب العالمية الثانية وحدها هي التي استطاعت ان تضع حداً لهذا الوضع المحزن . وفي المانيا بلغ عدد العاطلين عن العمل ٣,٨٠٠,٠٠٠ في عام ١٩٣٠ ، و ٥ ملايين بعد هذا التاريخ بشهرين ، و ٥,٢٠٠,٠٠٠ عام ١٩٣٢ . وكان في تشيكوسلوفاكيا ٤١,٦٠٠ عاطل عن العمل عام ١٩٢٩ فاذا بهذا الرقم يرتفع الى ١٠٥,٠٠٠ عام ١٩٣٠ ، والى ٥٥٤,٠٠٠ عام ١٩٣٢ . وعدت النمسا ١٩٠,٠٠٠ عاطل عن العمل سنة ١٩٢٩ ، فارتفع العدد عام ١٩٣١ الى ٣٠٠,٠٠٠ ، ليبلغ ٣٧٨,٠٠٠ عام ١٩٣٢ . فهذه البلدان الثلاث التي تضم معاً ٨٧ مليون نسمة منهم ٦٢,٥٠٠,٠٠٠ صالحون للعمل ، لحقت البطالة بـ ٦,٥٠٠,٠٠٠ عامل مع عائلاتهم . وعدت البطالة في ايطاليا ، عام ١٩٣٢ اكثر من ٣٠٠,٠٠٠ عاطل عن العمل حسب الاحصاءات الرسمية ، بينما كان اكثر من نصف عدد العمال هم عاطلون عن العمل باستمرار او قسماً من وقتهم . وارتفع عدد العاطلين في انكلترا من ١,١٤٢,٠٠٠ (٩,٧٪) عام ١٩٢٩ الى ٢,٦٦٣,٠٠٠ ، في كانون الثاني ١٩٣١ (٢١,٥٪) لتبلغ نسبتهم ٢٢٪ عام ١٩٣٢ من بينهم ٣١,٧٪ يعملون في المباني الجديدة ، و ٢٨,٣٪ في الصناعات الاستخراجية ، و ٢٨,٥٪ في الصناعات الحديدية . وفي فرنسا ، ارتفع عدد العمال العاطلين ، من ١٠٠,٠٠٠ عاطل ، عام ١٩٢٩ الى ٣٠٨,٠٠٠ عام ١٩٣٢ . ومن الملاحظ ان عدداً كبيراً من العمال الاجانب اضطروا للعودة الى بلادهم بعد ان تضاءلت وسائل العمل في فرنسا . وارتفع هذا العدد في شباط ١٩٣٨ الى ٣١٢,٣٨٦ . والى البطالة في المجال الصناعي يجب ان نضيف عدد العاطلين عن العمل في المجال الزراعي ، وهو رقم يستحيل تحديده .

طراً على الازمة ابان اشتدادها عوامل جديدة غير مسعفة . ففي الطور الاول منها قوام توازن مطلق بين نشاط الانتاج الصناعي وبين تطور حركة البطالة ، ولوحظ ان تناقص الانتاج بنسبة ١٪ انما يعني نصف مليون جديد من العاطلين عن العمل . اما في الطور التالي فقد تمطلت هذه النسبة واختل هذا التوازن . فالبطالة لا تخف بنسبة حدة الانتاج الصناعي (راجع شكل ٤ ص ١٤٠) ومرد ذلك ان ملايين من العمال الجدد بين صفوف اليد العاملة اصبحوا الآن صالحين للعمل ، في الوقت الذي مكن التطور التقني الصناعة من زيادة حجم الانتاج بعدد اقل من العمال . وعلى الاجمال ، فقد سجلت البطالة اعلى ارقامها عام ١٩٣٢ و ١٩٣٣ ، وفي بعض البلدان ، عام ١٩٣٤ (امثال فرنسا وبلجيكا وهولندا ولوكسمبورغ) بينما تباينت كثافة البطالة بين بلد وآخر . فقد كانت نسبة البطالة في المانيا ٤٣,٧٪ بين العاطلين تماماً عن العمل بين العمال النقابيين ، و ٢٢,٦٪ يعملون ساعات مخفضة و ٣٣,٧٪ يعملون بصورة منتظمة كل اوقاتهم . ومن غرائب

الامور ان تقع العين على حرفة او مهنة نصف عمالها المؤهلين يعملون بانتظام . وهذه النسبة جاءت ادنى ايضاً في اليابان (اقل من ١٠٪) وفي بولونيا وتشيكوسلوفاكيا (من ١٠ - ١٥٪) ، وفي بريطانيا وبلجيكا (من ١٥ - ٢٠٪) ، وهذا المعدل نفسه في كل من كندا والسويد والولايات المتحدة (٢٠ - ٢٥٪) . وكان المعدل اعلى من ذلك في كل من النمسا وهولندا (٢٥ - ٣٠٪) وفي كل من النرويج والدانمارك (٣٠ - ٣٥ بالمائة) . وهكذا نرى ان التفاوت كان كبيراً بين الدول . وعلى هذا قس ايضاً البطالة بين مختلف العناصر والعروق البشرية . فقد



شكل ٤ - الانتاج الصناعي والبطالة في العالم بين ١٩٢٩ - ١٩٣٤ .
(الدليل ١٠٠ عام ١٩٢٩)

نزلات البطالة بالملوذين اكثر منهم لدى البيض ، في الولايات المتحدة الاميركية . فالعبيد كانوا آخر من يدخلون العمل واول من يصرفون من الورشات والمصانع .

ولكي نقيم البطالة كما يجب علينا ان نأخذ بعين الاعتبار ليس الحوادث الرسمية فحسب بل ايضاً حالات بعض الاسر التي كان كل افرادها او جلهم يجدون لهم عملاً مأجوراً . والحال فليس ثمة اية احصاءات نستطيع معها تبين او تحديد الاوصاف والآلام المادية التي شعر بها ابو الاسرة وزوجته واولاده من جراء وجودهم عاطلين عن العمل .

تسببت الازمة في كل مكان بعملية تصفية جماعية للاستثمارات القصيرة
الجوانب النقدية الاجل ، كما ادخلت التشويش والبلبلة ، في الوقت ذاته ، على نظام

المدفوعات بين الدول .

ان انكماش الاسواق الذي اصاب الجميع برذاذه ، وانخفاض عمام للأسعار في كل اطراف
العالم ، كان من شأنه اقصار الدول المستدينة على وضع يستحيل عليها معه وفاء التزاماتها وما
يترتب عليها من فوائد متراكمة ، كالمانيا وبلدان اوروبا الوسطى والدول البلقانية وجمهوريات
اميركا اللاتينية . ولذا ، اضطرت هذه البلدان لاعلان تأجيل وفاء ديونها والى اجراء تخفيض في
عملاتها ، مكسبة بذلك الدائنين الوف الملايين . وامام هذه الاجراءات والتدابير التمسفية التي
اطال العمل بها مكتب مراقبة القطع واجراءات تأجيل دفع الديون ، كان من الطبيعي جداً
ان يتردد الدائنون في تكرار معاملاتهم المالية هذه . فرؤوس الاموال التي كانت حق الآن
تستثمر في هذه البلدان المتخلفة في تطورها الاقتصادي ، اصبحت الآن ترقد في صناديق اصحابها ،
وبجمدة او مشغلة لأجال قصيرة او في مضاربات نقدية . فالخوف من مصلحة الضرائب ، ومن
تخفيض سعر العملة وتحويل السندات الى عملات ، كل ذلك أدى الى تنفير هذه الأموال
وتهربها ، لا يلوي اصحابها على شيء . فلم نر قط من قبل مثل هذا التجمع لرؤوس
الاموال الهاربة .

واخيراً وليس اخراً فانفجار الازمة كان من بعض نتائجها المباشرة ، هبوط تدريجي في
الاسعار ، وهو هبوط لم يمكن الحد منه والتصدي له الا بإصدار قرارات تخفيض سعر العملات ،
بين ١٩٣١ و ١٩٣٣ ، بينما استمر هبوط الاسعار في الدول المحافظة على قاعدة الذهب ، الى سنة
١٩٣٥ . وقد بلغ هذا الهبوط مستوى لم يسبق له نظير في تاريخ العالم الاقتصادي : فبلغ
٣٦ بالمئة من الاسعار في التجارة بالجملة لدى انكلترا ، و ٣٧ بالمئة في الولايات المتحدة ،
و ٣٤ بالمئة في المانيا ، و ٥٠ بالمئة في هولندا ، و ٤٩ بالمئة في فرنسا (تموز ١٩٣٥) .

الاقتصاد العالمي يتسكع
في فوضى محزنة
وهذه البلبلة والاضطرابات التي خلخلت الانظمة التقدمية ،
جرت وراءها الانهيار الكامل للنظام التجاري في كل اطراف
العالم . فالاسهم التي جرى تبادلها بين ١٩٢٩ - ١٩٣٤ كانت

في تقهقر ملحوظ . فالأسعار بالذهب انخفضت ٥٦ ٪ وحجم المبادلات الذي بلغ نهايته الصغرى
عام ١٩٣٣ ، هبط ٢٥٠ ٪ .

وقد كان في شبه المستحيل أي بحث عن اسواق جديدة تمتص رؤوس اموال جديدة ،
والبضائع الجديدة كانت عملية اشق بكثير مما كانت عليه في الماضي بالنظر للتصنيع العظيم الذي
حققته الدول الواقعة عبر البحار (كالولايات المتحدة واليابان) ، وبالنظر لأوضاع روسيا
والحرب الأهلية التي قامت في الصين ، وقد راح بعض رجال الاقتصاد يقترحون توسعاً موجهاً
في كل من افريقيا وبلدان اوروبا الشرقية ، فتكشفت النتيجة عن محاولة اتصفت بالفوضى الزرية

ويدهوة « للنجاة بنفسه اقتصادياً والمهرب لكل من أمكنه ذلك » . والكل يسعى للخروج من المأزق وتدير أمره بحسب طاقاته . وهذا الصراع يقوم به الفرد ضد الجميع ، للبحث عن أسواق عالمية جديدة لن يلبث ان يصبح ، شيئاً فشيئاً ، غير ذي أثر ، وكان من بعض نتائج المعاملة التخلي عن سياسة حرية التبادل والركون الى الحماية الجمركية المتطرفة ، وتعميم اجراءات الدفاع عن النفس ، والانزواء ضد البضائع وضد الناس ، وضد عملات البلدان الاخرى ، واحتدام المنافسة الدولية في المجال التجاري . وقد برهنت سياسة كل فرد لنفسه على عدم جدواها بالمرّة لالتجاء الجميع الى الاجراءات والتدابير الواحدة ، بعد ان نسي الناس او تناسوا الترابط الوثيق الذي يشد بصورة لا تنفصم ، الاسواق النقدية الكبرى وأسواق الخامات والمواد الاولية بعضاً الى بعض . وهكذا اخذ الاقتصاد العالمي بالتراخي والانحلال والانقسام الى كتل قومية واستعمارية تدير الواحدة منها ظهرها للآخرى . فانكلترا تنطوي على مستعمراتها وعلى الدومنيون ، وفرنسا تنكشف على امبراطوريتها الاستعمارية ، والمانيا ودول اوروبا الوسطى تتطور نحو سياسة الاكتفاء الذاتي والاعتصام وواء الحماية الجمركية . اما في الولايات المتحدة الاميركية « فالخطة الجديدة » تتجه بالضرورة نحو السوق العالمية او الداخلية . وبمعكس ما كان يحدث في الازمات السابقة ، فعودة الاعمال إنما تمت عن طريق تطور الاسواق الوطنية او القومية الخاصة وليس عن طريق توسع الاسواق الخارجية . فالاسواق الداخلية الوطنية هي التي تستهلك القسم الادنى من زيادة الانتاج .

بلغ حجم التجارة العالمية ، عام ١٩٣٦ نحواً من ٨٥،٥ ٪ من المعدل الذي سجلته سنة ١٩٢٩ ، بينما قيمته بالعملة الذهب لم تكن لتزيد على ٣٧،٣ ٪ من اصل المبلغ الذي سجله من قبل . والحركة التجارية في اميركا تأثرت اكثر مما تأثرت به الحركة التجارية في اوروبا . فقد انخفضت نسبة حصتها من التجارة العالمية من جراء زيادة الرسوم الجمركية المنفرة عندها . وهكذا استطاعت اوروبا زحزحة التفوق الذي حققته الولايات المتحدة خلال الحقبة الماضية . ولا يتصور ان احد ان الوضع قد انعكس تماماً . والزيادة في الصادرات الأوروبية جاءت نتيجة اتفاقات عقدها الدول على قاعدة الدول الاكثر رعاية ، ولا سيما بريطانيا العظمى مع بلدان الدومنيون ، والصادرات نحو الامبراطوريات الاستعمارية الفرنسية والانكليزية ، والاتفاقات الثنائية التي توصلت اليها المانيا الى عقدها مع بلدان اميركا الجنوبية وبلدان اوروبا الوسطى . وهذا التحسن كان مع ذلك أعجز من ان يوقف الانحدار الذي اصاب اوروبا لأن صادرات الدول الكبرى الثلاث لم تستطع بلوغ المستوى الذي كانت عليه عام ١٩٢٩ .

أما البلدان المتخلفة ، وهي هذه البلدان الواقعة عبر البحار او البلدان الزراعية في اوروبا الشرقية التي تأثرت عميقاً بهبوط أسعار المواد الاولية ، فقد اخذت تعمل بنشاط اكبر مما عرف عنها في الماضي ، للنهوض بعملية تصنيعها ، وللتخفيف من استيراد المنتوجات الصناعية المشغولة .

وعندما تمت الرجعة ، وعاد النشاط الى سابق ازدهاره ، بقيت الحركة متواضعة يحد منها سياسة الاكتفاء الذاتي التي اخذت بها معظم البلدان ، والاقتصاد الموجه للحرب والتنافر المتزايد بين الاسعار في الداخل واسعار المواد المعدة للتصدير التي سارت عليها كتلة الدول القائم نقدها على قاعدة الذهب ، كهذه الدول (المانيا مثلا) التي تحاول ان تحافظ ولو بصورة مصطنعة ، على استقرار عملتها . كل هذه البلدان تعتمد سياسة إغراق الاسواق بشكله التقليدي المتعارف (المانيا) او بشكل إغراق نقدي ضمن كتلة دول الدولار او كتلة السترليني او كتلة دول الفرنك او كتلة دول الين . فالسوق العالمية ضيقة هي : « فقد قامت فيما مضى وما تبقى منها لم يعد سوى سوق للسيطرة » كما يقول ل. لورات .

الفصل الثاني

تدخل الدولة ونائج الأزمة الاقتصادية

لم يكن في وسع الدول المعنية ان تقف مكتوفة اليدين لا تدخل الدولة بفرض نفسه بنفسه تبدي ولا تعيد امام المشكلات التي تتخبط فيها والمصاعب التي تعانيها مشروعات ضخمة يعمل فيها احياناً عشرات الألوف من العمال ، والاتحاد المالي الذي آلت اليه معظم المصارف مهدد بخاطر مستطير ودائع المودعين لديها والعائدة لغالبية السكان الساحقة من مودعين ورجال الصناعة ، والخطر الذي أطلّ مع الأزمة النقدية والبطالة المتدهورة منها . وهكذا خلافاً لما سبق وجرى في الازمات الاقتصادية الماضية التي تركت معالجاتها لتفاعل « القوى الطبيعية » ، شهدنا تدخلاً مباشراً من قبل الدول وهو تدخل اخذ يزداد ويستفعل نشاطاً يوماً بعد يوم . فاستلمت بيد من حديد شؤون اقتصادها الوطني ، واتخذت في هذا السبيل ، الاجراءات التي يقتضيها الوضع والتي كان من شأنها ان تحد من نشاط رأس المال الخاص في هذا المجال . وهذا الرأسمال المسيطر الموجود لدى الاتحادات الشركات الكبرى او تحت تصرف التكتلات الاقتصادية العملاقة من عامة وخاصة يعمل علانية او في الخفاء ، قد ألحق ضرراً كبيراً بالاقتصاد الحر وضيّق عليه الانفاس . وهؤلاء المنتجعون الذين عرّفوا الآن بحرصهم على استقلالهم وصيانتهم من كل تدخل من جانب الدولة ، اخذوا هم انفسهم يتجهون اليها طالبين حمايتها والتدخل لاتخاذ مايصرون مصالحهم . . من ذلك مثلاً لجنة هاريمان التي عينتها غرفة التجارة في الولايات المتحدة الاميركية بعد ان اخذت تطالب ، منذ تشرين الاول ١٩٣١ ، بوضع « خطة وطنية شاملة تضبط معها الانتاج والتصدير » ، و « التنسيب بين القضايا الاقتصادية » ، عن طريق مجلس وطني . وقام عام ١٩٣٢ ، احد اعضاء المجلس الاقتصادي في الرايخ هو الدكتور هرمان بوخر يصرح على رؤوس الاشهاد بأنه مضي الى حيث لا رجعة « عهد حرية التصرف وحرية المرور » وهذه الروح الفردانية التي لا حد لها ولا نطاق . وراحت الحكومات من جهتها وعلى اختلاف نزعاتها وألوانها تعمل وتسمى ليس لانقاذ النظام الرأسمالي فمحسب بل خوفاً من ان تتسبب لشعوبها بجروح لا تستطب وضربات مميتة . ولهذا راحت الدولة توسع كثيراً من

نطاق عملها خلال هذه السنوات ليس باتخاذها الاجراءات والتدابير العامة فحسب ، بل ايضاً بفرض الضرائب والرسوم الجمركية وفرض نظام التقنين والقيام بنفسها بأشغال ضخمة في البلاد ، كما اتخذت ترتيبات نقدية واستلشت قوانين اجتماعية وازادت الى هذا كله سلسلة من المداخلات الخاصة كمساعدة المشروعات التي تعاني الصعوبات ويتهددها الخطر ، والتشريعات المشجعة او القاضية بتأليف التكتلات والاتفاقات ومن بينها الركون الى التأمين ، وتوجيه الانتاج في بعض المجالات ، وفي البلدان المنتهجة سياسة الاكتفاء الذاتي في كل قطاعات الحياة الاقتصادية .

وهكذا وضعت الدولة كل نفوذها لتأمين تنظيم النشاط الاقتصادي بعد ان ألحقت به وادخلت عليه تشويشاً ، ايجابية الاستثمار الحر فكادت تجره الى الفوضى التامة . فقد حاولت جاهدة تحقيق تنظيم الاسعار والتحكم بها وترويضها ، ومعالجة المصاعب التي يلاقيها الانتاج بعد ان تضخم واستشرى واستبطر ، وبأثرة الطلب وتشجيع الإقدام عليه . وقد اضافت الى هذه الذرائع الاقتصادية الطابع ، وسائل اخرى تدخل في صميم السياسة كتحديد النفوذ الثابت لبعض الهيئات الاستثمارية الكبرى (تأمين البنك الاهلي في فرنسا وبعض المصانع الحربية) ، وتأمين بعض الخدمات للمواطنين ، بكلفة ادنى (كالتشريع الخاص بالبضائع الشعبية في الولايات المتحدة الاميركية) ، وادخال الطمأنينة وتوفيرها للجميع ، ومختصر القول انما قدرة الاممة وزيادة طاقتها في حالة حدوث حرب وغير ذلك من التدابير . كذلك اتخذت الدولة نفسها ، في كل مكان تقريباً الاجراءات ضد البطالة ، وتوجيهه ، وضد الشيخوخة والمرض ، وحملت اخيراً محل الجهود الفردي في القطاعات التي لا حول لهذا الجهود ولا طول لتأمين الفعالية المرجوة .

اولى وسائل التسييج حول المنتجين كان التفكيك بفرض رسوم
سياسة الحماية الجمركية
جمركية تحمي السوق الداخلية وتصونها من المزاخمة الاجنبية .
وقد جاء هذا التدبير فوراً في هذه البلدان التي يسيطر عليها جو من تقاليد الحماية ألقته الجماهير لم يلبث ان فرض نفسه حتى على هؤلاء الذين كانوا مستمسكين ، ولو بشكل متراخ ، بسياسة التجارة الحرة او الباب المفتوح . ومنذ عام ١٩٣٠ ، راحت الولايات المتحدة الاميركية ، اكثر دول الارض اخذاً بسياسة الحماية ، تقوي من وسائل الحماية عندها ، وذلك بفرض التعريفات الجديدة المعروفة بتعريف هارلي سموط . وفي السنة ذاتها حذت حذوها كل من فرنسا وكندا وايطاليا واسبانيا ، ولم تلبث ان نسجت على منوالها ايضاً كل من الهند والارجنتين ، والبرازيل والصين ، ولا سيما انكلترا التي بعد ان استكملت تطورها في هذا المجال ، اعلنت سياسة الحماية التجارية الكاملة . فممنذ تشكيل الحكومة الوطنية برئاسة مكدونالد ، هذه الحكومة التي اطلت على انكلترا اثر الانتخابات العامة التي أجرتها عام ١٩٣١ ، اقر مجلس العموم قانون التعريفات الجمركية على الاستيراد (غير العادي) . وهو قالون : يتيح لوزير المالية ان يفرض لسته اشهر رسوماً جمركية تبلغ احياناً ١٠٠ ٪ من قيمة البضاعة على الاستيرادات غير العادية

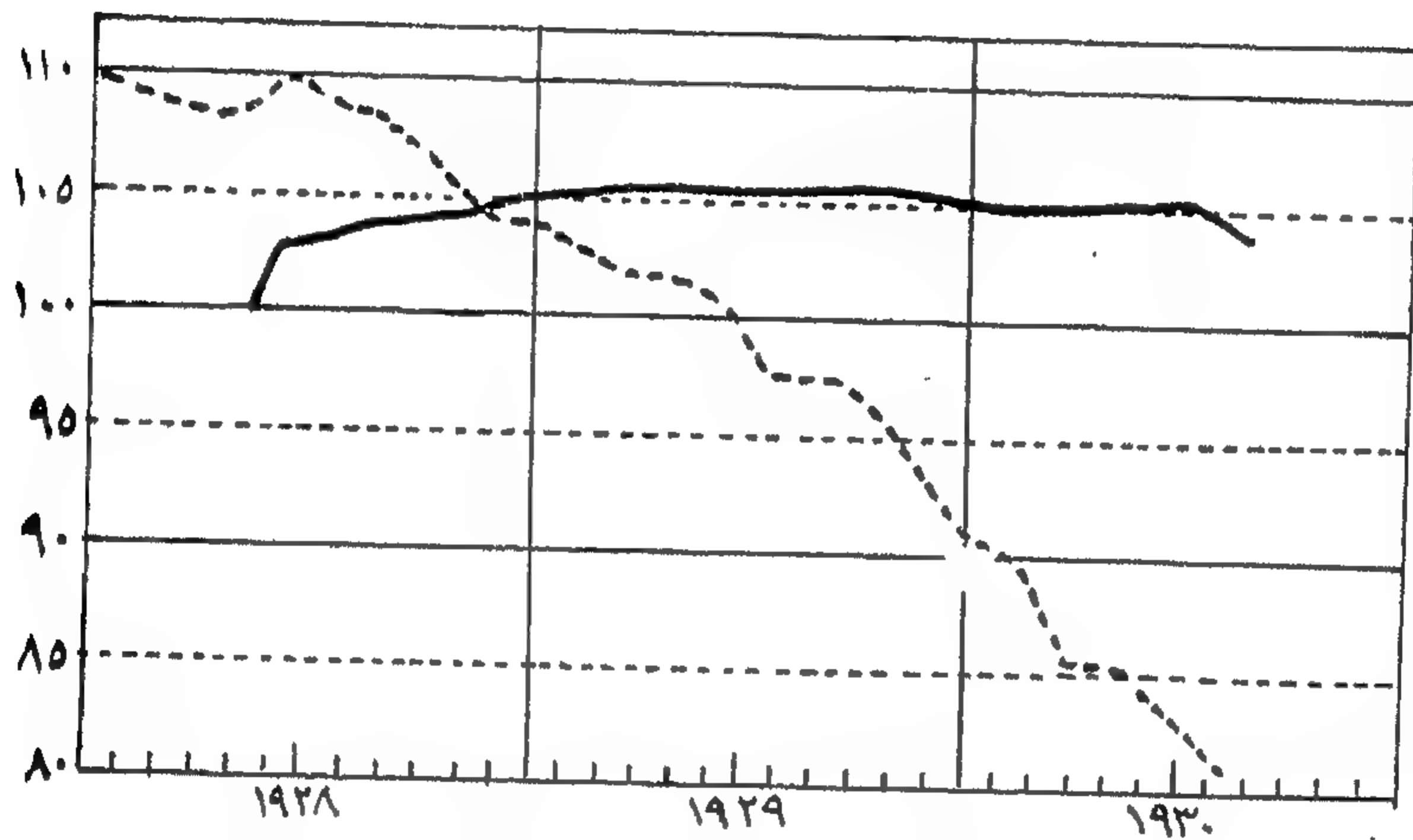
والكاليات) وعلى المصنوعات المشغولة وفي شباط (فبراير) ١٩٣٢ فرض القانون الخاص برسوم الاستيراد ، نظاماً جمركياً متاسكاً كلياً . وهكذا رأت انكلترا نفسها مسلحة لتمتد سلسلة من المعاهدات التجارية ولتؤلف نوعاً من الاتحاد الجمركي ، مع بلدان الدومينيون ، عن طريق اتفاقات اوتوا .

واخذت سياسة الحماية الجمركية تتسع وتشتد في السنوات التالية ، اذ اخذت كل دول العالم تلقى الواحدة منها تلوا الاخرى ، المعاهدات والاتفاقات التي تنص على الدولة الاصحاح رعاية كما راحت تشن حرباً جمركية على بعضها البعض اخذت تقسو وتشتد . وهكذا نرى معاملة الحماية ترتفع تباعاً في فرنسا من ١٧٤٨ بالمائة عام ١٩٣٢ ، الى ٢٩٤ الى ٢٩٤ بالمائة عام ١٩٣٥ ، وفي المانيا من ٨٤١ بالمائة عام ١٩٢٩ ، الى ٢٩٤ بالمائة عام ١٩٣٧ ، وفي ايطاليا من ١١٤٩ بالمائة الى ١٩٤٤ ، حتى في انكلترا نفسها ارتفع هذا المعامل من ١٩٤٣ بالمائة الى ٢٣٤ بالمائة بين التاريخين المذكورين . الا انه كان من نتيجة هبوط الاسعار المتواصل ان عجزت الرسوم الجمركية عن تأمين الدفاع المطلوب ، فعمدت الحكومات ، اذ ذاك ، الى وسائل انجع وافضل للحماية بفرض الحظر على الاستيراد ولا سيما الاعتصام بسياسة تقنين الاستيراد هذه السياسة التي كان من شأنها ان تحدد الكمية المستوردة من هذا الصنف او ذاك . وعلى مثل هذه السياسة سارت فرنسا الى الاخص منذ عام ١٩٣١ .

سياسة الانكماش المالي الى جانب تدابير الحماية ، اخذت الحكومة بسياسة تعويم المشروعات التي تعاني بعض الصعوبات ، وتأمين هامش للربح عن طريق تخفيض اسعار الكلفة . والوسيلة التقليدية المتبعة هنا هي سياسة الانكماش المالي ، اي التقليل من وسائل الدفع وتخفيض الاجور ، وتضييق عمليات التسليف المصرفي الامر الذي تضطر معه البيوتات الصناعية الى تصفية مخزونها كما تضطر بالنهاية الى تصفية المشروعات الهامشية ، والمحافظة على ميزان المدفوعات عن طريق خفض النفقات العامة وزيادة الضرائب . الا ان سياسة الانكماش المالي تبقى أعجز من ان تؤمن الدعم المالي الذي كان يتم من قبل بصورة اوتوماتيكية ، وذلك بسبب الازمة المتزايدة لرأس المال المحدد في المشروعات وبسبب التكاليف العامة التي لا يمكن ضغطها او عصرها ، ولا سيما الاتفاقيات الصناعية التي باستطاعتها الصمود في وجه هبوط الاسعار . والامر يبدو بوضوح في المانيا حيث تهبط الاسعار غير المتكثلة ٥٥ بالمائة بين ١٩٢٩-١٩٣٣ ، بينما الاسعار التي يفرضها التكتل الاحتكاري تبقى مستقرة ولا تهبط في آخر الامر الا بنسبة ٢١ بالمائة . وهذا الانكماش المالي في مثل هذه الاوضاع والحالات ، كان قليل الاثر ، ضعيف الجدوى كما ان تخفيض الاجور جاء متفاوتاً بين فئة واخرى .

اما موازنة الدول فقد كان من الصعب جداً ضغطها وعصرها في الوقت الذي اخذت فيه تؤثر عليها جدياً جباية الرسوم المالية ، وترزح تحت وطأة الاعانات . فمساعدة البطالة وتعويم

الاستثمارات التي يتهدها الخطر ، والتدخل في الاسواق مساعدة للمنتجين بواسطة اعانات توزع بمثابة تشجيع للانتاج او للتقليل منه . وقد امكن للدولة تخفيف الضرائب عن طريق اتفاقات المقاصة او المعاوضة ، وذلك تجنباً ، قدر المستطاع ، لتحويل العملات الصعبة . وقد فرضت في المانيا ، عام ١٩٣٦ ، عقوبات قاسية حتى عقوبة الموت ، على من يحاول تهريب امواله للخارج او يقيمها خارج البلاد . كل هذه التدابير أبقت الاسعار في مستوى أعلى من مستواها في البلدان التي تسير على سياسة الانكماش المالي وتثير الصعوبات والعراقيل في وجه عمليات التصدير . وهكذا راح الدكتور شاخنت يحاول اختباراً اعتبره بديلاً لسياسة الانكماش ، منها مثلاً « الماركات المسجلة » او « الماركات السياحية » التي لم تختلف قيمتها في المانيا عن قيمة



شكل ه - سعر الاحتكار وسعر المنافسة في المانيا بين ١٩٢٨ - ١٩٣٩

المارك العادي بينما كانت تشتري في الخارج بسعر ادنى من السعر العالمي ، ولشاريها الحق بالحصول على شكات محررة بالمارك تقبضها المصارف الالمانية داخل البلاد بسعرها الرسمي . وتكون هذه العملات الاجنبية التي دفعت بالمقابل لها في المصارف الاجنبية ، عملة احتياطية للتبادل تفيد في استهلاك الديون المجددة . وهذه الطريقة الدقيقة للغاية يقتضي لها بالطبع محاسبة معقدة للغاية ، انما كانت تتيح استهلاك الديون تدريجياً ويسهل المشتريات من الخارج دون نقل او انتقال العملات وبدون ان تتعرض العملات الوطنية لقيود القطع وتطوراته ، كما انها ساعدت على التمويل بالخصومات وتأمين عملية التسليح ، وسهلت من جهة اخرى ، تأمين استقرار النقد في الداخل . وهكذا قل عن المارك (Ask) الذي لم يكن يصرف الا في شراء بضائع المانية . اما تمويل الاشغال الكبرى في الداخل ، فقد تأمن اما بسندات على الخزينة او بسحوبات خاصة من قبل متعهدين خصوصيين معتمدين لدى الاسواق العامة ، تعتمد الحكومة وتضمنهم . اما في ايطاليا ، ففي

أيار (مايو) ١٩٣٥ ، ألقت الحكومة ادارة خاصة لم تلبث ان اصبحت وكالة وزارية لمكتب القطع والعمل الصعبة . الا ان انشاء مكتب القطع لم يحل قط دون هبوط سعر اللير في تشرين الاول ١٩٣٦ ، ودون التضخم المالي فيما بعد .

والحكومات التي لم تؤسس فيها مكتباً لمراقبة القطع ، لم تكن اقل احترازاً من غيرها - واهتماماً بتطورات نقدها . فقد انشأت بريطانيا العظمى مكتباً خاصاً لامور القطع تمكنت معه من توجيه هبوط الجنيه بحيث تبقى له الاسبقية على الدولار في كل معاملات التصدير ، بعد ان اتخذت ، عام ١٩٣١ ، الاجراءات اللازمة لذلك . وفي الولايات المتحدة الاميركية ، انتهجت الحكومة سياسة من التدابير النقدية عرفت معها ان « توجه » الدولار .

عملية انقاذ المشروعات
التي تعاني الضيق
من بين المهات الكبيرة التي كان على الحكومات المضطلمة
بمسؤولياتها مواجهتها ، مهمة لإنقاذ مشروعات الاستثمار الكبرى
التي تعاني الضنك ويهددها الخطر . فقد انشأت الحكومة الاميركية ، منذ عام ١٩٣٢ ، الوكالة المالية للتعمير (R. F. C.) التي عهدت اليها بمهمة تسليف الاعتمادات اللازمة للمصارف واشركات التأمين والتسليف الزراعي . وما كادت تظهر حكومة الديوقراطيين حق راح عدد من الولايات في الاتحاد يملن تأجيل وفاء الديون على اراضي الولاية ، واغلاق مؤسسات التسليف . وعندما تسلم الرئيس روزفلت مهام الادارة في الرابع من آذار ١٩٣٣ لم يكن في البلاد مصرف واحد ففتح ابوابه . فعمد ، قبل كل شيء ، الى منع تصدير الدولار للخارج . واتخذ قراراً عاماً بتأجيل وفاء المدينين ، وعمد الى تنزيل قيمة الدولار ، وانشأ مراقبة على المصارف . وقانون طوارئ المصارف أولى وزير المالية حق تعيين مراقب مالي مؤقت على كل مصرف وطني يعاني بعض الصعوبات ، مع تحويل هذا المراقب الصلاحيات الكاملة لاعادة تنظيمه بشرط موافقة ثلثي المساهمين او موافقة ٧٥٪ من اصحاب الودائع فيه .

واضطرت الحكومة للفرنسية ، من جهتها ، الى تعويم بعض المؤسسات المالية التي تعاني صعوبات كبيرة ، بضمانها سلامة المبالغ المودعة فيها والتي تعود للآلاف من المودعين في مصرف الالزاس واللورين والمصرف الاهلي للتسليف . وقد كانت الحكومة ، منذ الاول للشركات العامة عبر الأطلسي ولشركة النقل الجوي . وهذه السياسة التي قامت على تأمين الخسائر انتهجتها ألمانيا هي الاخرى ، بعد ان اضطرت الى ان تضمن الودائع المصرفية . وتجنباً لانهايار عام في النظام المصرفي في البلاد ، اشترت قسماً كبيراً من اسهمها . وفي ايطاليا فتحت وزارة المالية اعتماداً خاصاً للشركة الصناعية المالية الايطالية ، التي بادرت في الحال الى انقاذ مؤسستين للاعمال المصرفية في البلاد ، هما بنك التسليف والبنك التجاري . وفي الوقت ذاته عمدت الحكومة الى تشكيل المعهد الصناعي للتعمير (I. R. I.) الذي حاكى من قريب المعهد الاميركي المعروف (R. F. C.) هووفر والمصرف العقاري الايطالي (I. M. I.) مهمتها اصدار سندات بضمانة الحكومة بقصد تصفية المؤسسات التي يترصدها الخطر ، او لتسليف الاعتمادات الطويلة الاجل

أو قصيرة الاجل للمؤسسات التي تنعم بالعافية . واكبر مثل على بعض الاعمال التي قام بها هذان الممهدان : عملية انقاذ الشركة الكهربائية المائية في مقاطعة (البيامونت S / P) بعد ان هبطت قيمة اسهمها من ٣٦٩ لير في شباط ١٩٢٥ الى ٢١ لير في ٣١ كانون الاول ١٩٣٢ ، ومعهد البناء الصناعي اعاد الى اسهمه القيمة الاسمية التي كانت لها عند الاصدار ، وحولها الى شركات اخرى طرحت في التداول اسهمها ضمنى الحكومة فوائدها . وفي بلجيكا اضطرت الحكومة الى مد يد الانقاذ الى مصرف العمل والى مصارف آخر .

استعملت كل حكومة الاموال العامة كما استعملت كل سياسة المساعدات المالية والتوظيف سلطتها الادارية لتقديم مساعدات مالية الهدف منها تشجيع المؤسسات الانتاجية التي تعاني من الصعوبات ، او لدعم الاسواق ، بالحوول دون مزاحمة بعض المنتوجات الاجنبية لها .

وفي سبيل دعم المزارعين وتوفير قوة شرائية لهم شبيهة بالقوة التي كانت لهم أثناء الحرب ، عمد الرئيس روزفلت الى اصدار قانون التنسيب الزراعي المعروف بالحروف الثلاثة (A A A) وبموجب هذا القانون ، انشئ المكتب الزراعي الذي اتخذ اجراءات حازمة ، منها مثلاً تخفيض المساحات الزراعية الخاصة وبعض المحاصيل (التبغ والقطن) وذبح الماشية ، واجبار الولاية على دفع مكافآت تشجيعية للمزارعين برسم تعويضات لهم تقتطع من الصناعات التي تجري عليها اول تحويل (فدفعت مصانع الطحين رسماً معيناً على القمح) . ودفعت في انكلترا مبالغ لمربي الماشية ، ولمنتجي الحليب (بشكل توزيعات بسعر مخفض لاولاد المدارس) ، ولمنتجي الشوفان والشعير . وفي فرنسا ، اشترت الدولة كل الكحول المستخرجة من النبيذ الفائض عن الاستهلاك المحلي ، وخصصت علاوة صيانة للمزارعين الذين يخزنون محاصيلهم من القمح ، ودفعت ، عام ١٩٣٥ ، تعويضات للكراميين الذين اخطروا بالاستبدال نهوهم ، ومكافآت لمصدري الزبدة والمنتوجات الراقنية .

مسلك الحكومة بشأن الاسعار والاجور لم يتسم قهراف الحكومة في مجالات الاسعار والاجور بذات الطابع . ففي الولايات المتحدة الاميركية ، انصرف نشاط الحكومة الى تنقية السوق الداخلية الضخمة قبل ان تهتم بتأمين اسواق جديدة لها في الخارج . ولذا حرصت قبل كل شيء ، على رفع الاجور واسعار المواد الزراعية بحيث تتوفر للمزارعين وللعمال القدرة الشرائية اللازمة ، وبالتالي اتخاذ الوسائل التي تؤمن انتاجية طيبة للمشاريع الاستثمارية . وحاولت فرنسا من جهتها عن طريق الاتفاقات المعروفة باتفاقات ماتنيون ، بعث النشاط في الحركة الاقتصادية بتقوية القدرة الشرائية ، وبحرصها على الا يفسد ارتفاع الاسعار الغاية من رفع الاجور والمرتبات . اما في المانيا التي كان يهمها ، قبل كل شيء ، تشجيع حركة التصدير ، فقد حرصت حكومتها ، على تأمين الاستقرار ، للمارك الالماني ،

وبالتالي تأمين الاستقرار للأسعار والأجور . فقد جرى تثبيت الأسعار فيها على معدل سنة ١٩٣٢ ، وراحت الشركة الغذائية تفرض رسوماً عالية على المبيعات وتؤمن حاجة المستهلكين عن طريق الزامهم استلام حاجتهم من المواد الغذائية بأسعار محددة . وحاولت الحكومة الإيطالية ، من جهتها ، تحويل المستهلكين عن استهلاك اللحوم والخضروات والثمار الطازجة والزيت ، أي كل هذه المواد الغذائية التي إما لا تفي بالحاجة أو أنه يتوجب استيرادها من الخارج ، أو أنها تصلح للتصدير ، وتؤمن بالتالي قطعاً قادراً للبلاد . فقد انصرف جل عنايتها في هذا المجال إلى توجيه انظار المستهلكين للسّمك والأجبان والنشويات . وجرى في فرنسا ، عام ١٩٣٧ تحديد أسعار بعض المنتجات الزراعية .

انكى الرزايا واشدها هولاً ووطأة على الاطلاق البطالة . قالى جانب هذا معاملة البطالة الفريق من العمال المحظوظين نسبياً الذين استمروا في عملهم ، هنالك ملايين منهم عاطلون عن العمل كلياً أو جزئياً أو بصورة متقطعة . ولذا نراهم عرضة للهواجس والهموم والبؤس التي تقتابهم ليل نهار . فوسائل الاسعاف التقليدية كالضمان ضد البطالة ، والتأمين الخاص أو العام التي كانوا يعملون عليها عادة في المرحلة الاولى من مراحل الازمة ، لم تلبث ان أصبحت عاجزة عن بعث الطمأنينة في النفوس . ولذا كان لا بد من توزيع تعويضات بصورة منتظمة وفقاً للنظام المعمول به في انكلترا ، هذه التعويضات الحاصلة اساساً من الحسومات المقتطعة من اجور العمال الى جانب هذه المساعدات المالية التي تدفعها خزانة الدولة مما يوازي تقريباً نصف مرتب العامل أو أجره قبل انقطاعه عن العمل . وبالنظر لوفرة البضائع المكسدة في العنابر ، على اختلاف انواعها التي لم تكن لتفسح استخدام عمال عاطلين عند المباشرة بإنتاج بضائع جديدة ، لا يمكن تصريفها ، فقد لجأت الحكومات الى اجراءات طالما لجأت اليها من قبل لامتصاص البطالة وتشغيل العاطلين عن العمل ففي كل بلدان العالم ، وفي جميع القارات على السواء ، تفتح ورشات عمل لشق الطرقات وانشاء الاوتوسرادات ، وبناء الخزانات والسدود والمساكن الشعبية وقد بلغ قيمة المبالغ التي صرفتها الدول على هذه الاشغال عام ١٩٣٣ - ١٩٣٤ نحواً من ٦٠ ٪ من مجموع موازنتها . وفي المانيا ، عام ١٩٣٧ ، كان ٧٢،٦ ٪ من الانشاءات والمباني على حساب الدولة . وخصصت انكلترا ١١٥ مليون جنيه لبناء مساكن شعبية وتشكلت في الولايات المتحدة الاميركية ، تحت ادارة مساري هوبكنز وكالة خاصة عُرفت باسم وكالة النهوض بالاشغال ، كان من اهم اهدافها ، استخدام العاطلين عن العمل (بمعدل ٣ - ٥ ملايين عامل) وتدفع لهم اجور تأمينية ادنى قليلاً من الاجور المألوفة ، انما كانت تفي لتأمين حياة كريمة . وتبقى مساعدات التأمين وفقاً على اصحاب العاهات والشيخوخ وغير المؤهلين الذين لا يمكن الانتفاع بهم .

وهكذا نرى ان عودة الامور الى مجاريها الطبيعية انما تمت ، في المرحلة الاولى ، بواسطة

مؤسسات الدولة ، كما ان هذه المؤسسات قامت بالمهمة نفسها ولو بصورة مستورة . وفي سبيل العاطلين الجدد ، انشأت الولايات المتحدة مخيمات عمل (١٥٠٠ مخيم) ضمت بين ١٩٣٣ - ١٩٤٠ نحو ٢٠٠٠٠٠٠ عامل استخدموا في تخفيف المستنقعات واعمال توسيع الطرقات وغير ذلك من الاشغال العامة . وفي المانيا استغرقت الانشاءات العمرانية عدداً كبيراً من العمال . واخذ هذا العدد بالهبوط والتناقص من ٥٠٥٧٩٠٠٠ عام ١٩٣٣ ، الى ٤٠٧٣٣٠٠٠ عام ١٩٣٣ ، والى ٢٠٦٥٧٠٠٠ عام ١٩٣٦ . وجاءت خطة السنوات الاربع التي وضعت لتطوير انتاج المعدات الحربية السريع والكثيف تمكن معامل الصناعة الثقيلة التي لم تكن تستغل سوى ٣٠ ٪ من طاقتها الانتاجية ، من ان تمتص البطالة كلياً في البلاد . وسياسة الاكتفاء الذاتي التي فتحت اسواقاً جديدة للصناعات الكيماوية والميكانيكية ، عملت هي الاخرى في الاتجاه ذاته . . كذلك انشاء مصلحة العمل الالزامي ، ثم في آخر المطاف العودة الى سياسة الخدمة العسكرية العاملة سنة ١٩٣٥ .

والصناعة الحربية اتاحت لاطاليا هي الاخرى ، ان تمتص قسماً كبيراً من العاطلين من العمل . وفرنسا لم تتخذ اجراءات حاسمة بهذا الصدد الا عندما استلمت الجبهة الوطنية الحكم في البلاد . وكان من نتائج العمل باسبوع الاربعين ساعة عمل ان انخفض عدد العاطلين من العمل في البلاد ، وذلك بنسبة ١٣ و ٣ بالمئة بين ١٩٣٦ - ١٩٣٨ ، ولم يخرج الامر عن كونه ، في الواقع ، سوى تدبير يخفف ، وليس امتصاصاً كاملاً اذ ان البطالة الجزئية بقيت قائمة في البلاد ، وقد كان هنا تأثيره الظاهر للقانون الذي قرره الخدمة العسكرية ، وبذلك ازداد الجيش ١٠٠٠٠٠ جندي ، كما ان استخدام ادارة السكة الحديدية لـ ٨٠٠٠٠٠ عامل اضافي وتقوية الصناعات الحربية خففت كثيراً من وطأة البطالة . وهكذا ان عجز الاشغال العامة ، بعد سنة ١٩٣٤ عن استئصال البطالة في البلاد ، وتطور العلاقات الدولية ، كل هذه العوامل وجهت الدول الكبرى وجهة الصناعات الحربية التي جاءت تكمل الدور الذي لعبته الاشغال العامة وتحمل محلها . ومنذ عام ١٩٣٦ ، اخذت الاعتمادات المرسدة في موازعات هذه الدول تفوق بكثير الاعتمادات الاخرى . وهذه الصناعات كانت بالفعل وراء عودة النشاط الصناعي ، عام ١٩٣٤ والتي حالت دون وقوع نكسة اقتصادية عام ١٩٣٨ . وبالمثل ، فالبلدان التي طر غرار المانيا انفقت كثيراً على تسليحها ، شهدت في هذا الوقت بالذات زيادة ملحوظة في نشاطها ، بينما الولايات المتحدة والدول الاخرى التي اتجه اقتصادها وجهة السلام عرفت نكسة محسوسة .

وتدخلت الحكومات ايضاً لتنظيم الانتاج والمبادلات التجارية . فقد انشأت تنظيم الاقتصاد حكومة الولايات المتحدة ، في هذا المجال ، مراقبة لم تراشد منها في كل الدول الحرة ، فالتحذت عدداً من الاجراءات لتحديد معها الاصول والقواعد الخاصة بتأليف رأس المال ، وتعيين المحافظين والمديرين ومراقبة اعمال المصارف التجارية . فالمصارف التي تزيد فيها

قيمة الودائع على مليون دولار ، رأت نفسها مضطرة للتأمين عليها في حلقة المصارف الاتحادية للاحتياطي . وللمصارف المنتسبة للاتحاد وحدها حق بالاسهم . وأخضع اصدار اسهم جديدة لقوانين بغية الحؤول دون تصريف السندات المشبوهة او المزورة او تلك التي لا رصيد فعلي لها .

وحاولت الحكومة في فرنسا ، منذ عام ١٩٣٦ ، الحؤول دون تخفيض سعر الخمر وذلك بمحصر قسم من المحصول في المزرعة . واتخذ التدبير نفسه عام ١٩٣٤ لمحصول القمح . وحظر القانون من زيادة زراعة الكرمة اكثر من ١٠ هكتارات ، كما حظر ري الكرمة وسقايتها ، وبيع تقاوى قمح ذات مردود طيب ، وفرض تغيير طبيعة الفائض من هذا المحصول وحظر من انشاء معامل جديدة للسكر . وانشىء عام ١٩٣٦ مكتب القمح الذي اخذ ينظم مبيعات هذا الصنف ويحدد من اسعاره . وتدخلت الحكومة في سويسرا في صناعة الساعات والصناعة الهندسية والتطريز . واصبحت الزراعة في انكلترا اكثر المجالات تنظيماً وتقييداً مع القوانين التي صدرت عام ١٩٣٣ ، وهي قوانين حددت السعر الأدنى للحليب والكمية التي يمكن التصرف بها ، كما حددت المساحة التي يمكن زرعها بطاطا . وتدخلت الدولة لتنظيم الصناعات النجمية والقطنية ، والصلب والورش البحرية . وفي البرازيل ، امرت الحكومة الاتحادية بحرق ٢٦ مليون شوال من البن الذي لم يمكن تصريفه او بيعه .

ففي المجال الصناعي في الولايات المتحدة الاميركية ، شكل قانون النصوص بالصناعة الوطنية (*N R A*) الصادر في ١٦ حزيران ١٩٣٣ ، والقوانين الاخرى التي تنظم المنافسة الشريفة ، والتي رمت الى مكافحة البطالة ، احدي المراحل الاقصر والاقرب الى الكمال لتجربة الاقتصاد الموجه التي عرفها العالم ، اذ ذاك . . فقد فرضوا اتفاقات ضمن كل حرفة او مهنة ، كما سمحوا بقيام اتفاقات بين مهنة واخرى فعالت القوانين المحرمة للتكتلات التجارية دون القيام بمثلها حق الآن . . وفي ايطاليا راحت مكاتب الاحتكارات بمراقبة دقيقة حول عدد من الصناعات ذات المنفعة العامة . وقد صدرت ، عام ١٩٣٢ ، قوانين ايطالية واخرى المانية عام ١٩٣٣ ، جعلت التكتلات التجارية إلزامية في كلا البلدين . وفي فرنسا حيث كان قانون العقوبات المدني مضاداً للتكتلات الاحتكارية ، فقد فرضت المراسم الاشتراعية ، التي صدرت عام ١٩٣٥ و ١٩٣٦ ، قيام تكتلات مهنية ، بين مصائد الاسماك والمطاحن وتجارة الخردوات ، وسكة الحديد والطرق ، او بين الخطوط الحديدية ، والترع المائية . كذلك حظرت الدول ، لمدة عشر سنوات ، إنشاء مصانع احذية جديدة ، وتوسيع الانشاءات القائمة فيها كما حظرت عام ١٩٣٦ ، انشاء مخازن جديدة موحدة الاسعار ، والاسواق النقلة على الشاحنات عام ١٩٣٧ .

وعلى هذا قس ايضاً الاتفاقات الدولية . فقد سعت الحكومات المعنية جهدها لانجاح مثل هذه الاتفاقات التي تنظم انتاج المطاط ، عام ١٩٣٤ ، والسكر ، مع الخطة المعروفة بخطة

سادبورن للتثبيت الموضوعة عام ١٩٣١ ، والاتفاقات الخاصة بالخشب المنشور، عام ١٩٣٦ ، والاتفاق الآخر الخاص بالتصدير ، عام ١٩٣١ ، الذي استطاع ان يخفض عام ١٩٣٣ ، انتاج هذا الصنف الى ثلث انتاجه عام ١٩٢٩ . وهكذا طلع علينا بين ١٩٢٩ - ١٩٣٢ ، إثنان وخمسون اتفاقاً دولياً ، معظمها اتفاقات اقليمية عقدت بين دول الاتفاق الصغير . من ذلك مثلاً اتفاق لوتارا بين انكلترا ودول الدومنيون . . وبينها هذه الاتفاقات الثنائية العديدة التي عقدتها ألمانيا . وفي عام ١٩٣٦ ، عقدت الدول السكندينية مع بلجيكا وهولندا ولو كسمبورغ ، هدنة جبر صناعية في مدينة اسلو .

وهكذا نرى الدول تتزع الى تشكيل تكتلات اقتصادية ، فأطلت علينا في المجالين الوطني والدولي صورة مسعفة للتخطيط الاقتصادي لا تزال بعد غائمة في الاذهان وغير مكتملة القسمة حتى في هذه الدولة بالذات التي عرفت بتمسكها بسياسة حرية التبادل التجاري كالولايات المتحدة الاميركية . فالاقتصاد ولا سيما الريفي منه خضع للتخطيط الى حد بعيد . فكيف الامر بتلك البلدان التي لم تكن وسخت فيها بعد اصول هذه السياسة واعرافها . فلا عجب والحالة هذه ان يأتي عمل الحكومة فيها اعنى توجيهها واوسع مراقبة .

ونشط القطاع العام للعمل بنسبة ما اصاب به القطاع الخاص من تطور القطاع العام عجز وقعود . فشمرت الحكومات عن سواعدها وقولت بنفسها القيام بالاعمال والنهوض بالمسؤوليات التي لم يسبق لها ان تمرست بها من قبل . وهكذا برزت للعيان مشروعات حكومية جديدة وشركات اقتصادية مشتركة بينها وبين الشركات الخاصة . فقد خصت الحكومة الفيدرالية جانباً كبيراً من نشاطها للقطاع العام ليس بشراؤها اسهماً ممتازة في بعض المصارف فحسب ، بل ايضاً بإنشائها عدداً من المؤسسات الحكومية التي لم يكن لها من وجود ، من قبل للتسليف العام ، في هذه القطاعات بالذات التي املتتها المصارف من قبل . فقد وسّعت من نطاق تصرف المصرف الفدرالي في المجال الزراعي ومصارف التسليف لأجل قصير واوجدت مصارف التسليف العقاري في الداخل لتمويل المساكن الشعبية وانشائها وشركة الرهونات الفدرالية الزراعية لتسهيل معاملات التسليف مع الرهن ، ومصرف التصدير والاستيراد لتمويل اعمال التجارة الخارجية . ولعل امثل صورة لهذا النشاط في القطاع الخاص تبرز في مشروع استثمار وادي تنسي الذي كان مشروعاً عظيماً تقوم به الدولة لتطوير منطقة أهمل شأنها الى ذلك الحين . وقد أدى ترويض النهر وكبح جماحه الى جعله صالحاً للملاحة وتوفير القوى الكهربائية والمياه اللازمة للري بفضل سلسلة من السدود الضخمة .

وملأت الدولة في فرنسا الفراغ والمعجز الذي وقعت فيه رؤوس الاموال ، وذلك بالاشتراك مع رجال المال واصحاب السروات الخاصة لانشاء شركات اقتصادية مشتركة . وبفضل مساعدتها المالية هذه التي جاءت مباشرة او مداورة ، طلعت في البلاد شركات احتكارية منفردة ، منها مثلاً الشركة الوطنية للرون (١٩٣٣) وشركة SNCF التي أنشئت عام ١٩٣٧ برأس

مال بلغت حصة الدولة منه ٥١ بالمئة ، وشركة الرين للقرى الحركة ، وشركة البترول الفرنسية . و أبرمت الدولة اتفاقات مع منتجين في القطاع الخاص محتفظة لهم ببعض الارباح على المبيعات (٣٢ بالمئة) كالكتب الوطني للزوت . واصبحت الدولة في عداد الصناعيين عندما امنت بعض الصناعات الحربية (١٩٣٦) . وتبدو مساهمة القطاع العام بشكل ابرز ايضاً في مجال التسليف ، وتتميز بزيادة حجم التسليف القومي الزراعي ، والمصرف الوطني للتجارة الخارجية للتسليف البحري . وانشأت عام ١٩٣٦ الصندوق الوطني للاسواق الذي اخذ على نفسه تأمين تسهيلات مصرفية لاصحاب الاسواق العامة ، ومصلحة الحوالات البريدية التي بلغت قيمة الودائع التي نقلتها ٤٣٥ ملياراً واصبح بالتالي مصرفاً عملاقاً للتحويلات المالية ، ومصرف التسليف الوطني وهو مصرف حقيقي متخصص في التسليف المتوسط والطويل الأجل في التجارة والصناعة ، وصندوق الودائع والامانات الذي اصبح تحت تصرفه عام ١٩٣٨ ، اكثر من ١٠٠ مليار فرنك ، فكان معاً شركة تأمين ومصرفاً وشركة رسملة الفوائد . وقامت في انكلترا شركات مختلطة ساهمت الدولة في تأسيسها ، منها مثلاً شركة المواصلات والنقل البريطانية عام ١٩٣٣ ، وشركة الاذاعة البريطانية عام ١٩٣٧ .

اما في البلدان ذات الانظمة الدكتاتورية او الجماعية حيث يشتد عمل الدولة ويقسو بعنف ليرتدي شكل مراقبة دقيقة للاقتصاد الوطني ، فالارتباط الوثيق بين الحكومة ورجال المال ، حال دون بروز اي شأن للقطاع العام . ففي المانيا مثلاً تؤلف مشروعات الدولة اصلاً ٩٣ بالمئة من الخدمات العامة (P. T. T.) ومن الخطوط الحديدية ، وتوزيع المياه والغاز والكهرباء . وبما هو ادهى من ذلك بكثير هو ان المؤسسات الاكثر مردوداً وعطاء فقد أعيدت الى القطاع الخاص عام ١٩٣٦ - ١٩٣٧ . والدولة التي كانت عام ١٩٣٣ ، المساهم الاكبر في المصارف الكبرى ، عمدت عام ١٩٣٧ ، الى تصفية مساهمتها في هذا القطاع ولم تبق بين يديها وتحت سيطرتها مباشرة ، سوى الشركات الاستخراجية كشركة هيرنيا التي كانت ملكاً للدولة في سنة ١٩١٤ ، وشركة هرمان غورنغ التي كانت تضم شركات استخراجية وصناعية اعتبرت إذ ذاك قليلة الربح (مناجم حديد فقيرة) وشركة $V I A G$ التي تمثل مساهمة الرايخ في عدد من الشركات الخاصة ، ومصانع توليد الكهرباء . ومصانع الألومنيوم ومعامل الصناعات الميكانيكية .

ادت القومية الاقتصادية الى سياسة الاكتفاء الذاتي بهذه الدول
سياسة الاكتفاء الذاتي
التي تفتقر الى احتياطي الذهب في صناديقها ، وكانت عاجزة عن القيام بالتزاماتها المالية لدفع الديون المترتبة عليها (ديون مجمدة) ، كما كانت عاجزة عن الحصول على قروض جديدة في وقت حرمتها سياسة الحماية الجمركية المتشددة التي جردتها من كل وسائل الوفاء الممكنة . وهكذا نزعت كل من دول المانيا وايطاليا واليابان الى تشكيل وحدات منها منعزلة عن باقي اجزاء العالم ، محاولة ان تؤلف من ذاتها مراكز اقتصادية ، تتضارب

اساليبها بصورة جذرية مع مبادئ الرأسمالية التقليدية ، لا سيما مع حرية التجارة القائمة على أساس الذهب .

ولما كانت هذه الدول أعجز من ان تدفع ثمن المواد الخامات المستوردة بالعملات النادرة ، فقد حاولت جاهدة ان تستغني عنها وذلك بتشجيعها الانتاج الوطني في بلادها او بمبادلة هذه المواد المستوردة بالبضائع التي تُصنع عندها . . وقد كان لندرة العملة الصعبة ، والخوف من فكرة الحصار البحري التي لا تزال ذكرياته المريرة عالقة في الازهان ، ان حل كلا من المانيا وايطاليا على اتخاذ اجراءات تفسد كل عملية استيراد للواد الغذائية والخامات من منشأ زراعي . والتنظيم الذي خضعت له الزراعة في المانيا شجع على تأمين مواسم طيبة من الحرطل (بديلا عن القمح المستورد) ، وغيوط الغزل من انتاج البلاد كالقنب والكتان ، والسكر وتحسين عروق الماشية ، واستمرت في ايطاليا محتمدة فاشطة ، المعركة في سبيل القمح التي ابتدأت عام ١٩٢٥ . فقد وضعت رسوم جمركية عالية على الاستيراد وزيدت كثيراً مساحة الأراضي المستصلحة للزراعة ، لا سيما في الجنوب وفي الجزر الايطالية ، مما أدى الى اعتماد سياسة غلاء الحن (ضعف سعره العالمي) ونجحت سياستها في هذا المجال الى حد بعيد . كذلك اخذت في تشجيع الزراعات نصف الاستوائية كالقطن وما شاكل .

وفي المجال الصناعي نشط كثيراً استثمار الموارد الطبيعية التي كانت مهمة للآن لما هي عليه من فقر (مناجم الحديد) ، او تلك التي تستثمر بشكل مرض (النحاس) وتضاعفت الجهود لتنشيط استثمار مناجم الرصاص والتعدي عن البترول او البحث عن بديل له كالوقود المستخرج من الفحم الحجري ، والمطاط الصناعي (بوتا) والجلد الصناعي والمنسوجات الاصطناعية (كالحرير الصناعي واللاينيتال) ، ومواد التشعيم . وهذه الصناعات الجديدة التي امتدت البلاد بخامات وطنية ، تنعم بتدويل الدولة لها ، بالرغم من التكاليف العالية التي تتطلبها ، وكثيراً ما تكون من جنس ادنى بكثير من المواد الطبيعية .

كذلك اخذوا بتنظيم مكافحة التلف والبذرة في المعادن المستوردة من الخارج . فقد فرضوا ان يستبدل النحاس بالالومينيوم في الاسلاك الكهربائية كما فرضوا جمع الحدائد العتيقة والنفايات على اختلافها التي يمكن صهرها وصبها من جديد والاستفادة منها بشكل من الاشكال ، والقصدير والكروم والنحاس .

كذلك خضعت التجارة الخارجية لتنظيمات دقيقة إذ كانت المعول الاول لد البلاد بالخامات التي لا بد لها منها في أمور التسليح وفي إنتاج مواد صناعية في تصديرها تأمين للعمليات الصعبة ، فقد اخضعت هذه التجارة لاجراءات خاصة من التقنين وإجازات مسبقة للاستيراد والتصدير ، ولاحكام مختلفة أدت الى انشاء عمليات من نماذج مختلفة والتقنين في وسائل توفير أسباب النقد اتينا على ذكرها ، وبفضل هذه التدابير أمكن الوصول الى سياسة من الاغراق التجاري محكمت

التجارة الخارجية في البلدان
المعتمدة سياسة الاكتفاء الذاتي

من تصدير منشوجات شعبية بيعت في الخارج بأدنى من اسعارها في الداخل تحت ستار مصنوعات جاهزة . وهكذا اتاحت اتفاقات تبادل ومقايضة عقدتها الحكومة الالمانية ان تؤمن لها عن طريق مبادلة البضائع المصنوعة ، ما تحتاج اليه من الحاصل والحبوب والتبغ والفساكية ولحم الخنزير التي لم يكن بالامكان تصريفها في البلاد المنتجة لها ، كبلغاريا واليونان وهنغاريا ورومانيا ويوغوسلافيا وتركيا . وأولى التحكم بالتجارة الخارجية الحكومة الالمانية موقفاً قوياً في كل مفاوضات تقوم بها في المجال التجاري إذ مكنتها من ان تشتري بالجملة كل ما يُعرض للبيع من هذا الصنف او ذاك . فلم نر قط في النظام الرأسمالي الحرّ بلداً يتمتع بمثل هذا الموقف المتين المطمئن الذي وقفته المانيا تجاه دول صغرى ، تعاني على درجات مختلفة ، من وضع اقتصادي مهلهل . وهكذا أصبحت المانيا المتعهد الاكبر والزبون الاهم لهذه البلاد . فبين ١٩٣٤ - ١٩٣٨ ، ارتفعت صادرات ألمانيا الى بلغاريا من ٢٢ الى ٥٨ ٪ ، وإلى اليونان من ١٩ الى ٣٢ ٪ . وإلى يوغوسلافيا من ١٦ الى ٥٠ ٪ ، وإلى تركيا من ١٥ الى ٥٢ ٪ ، وإلى هنغاريا من ٢٠ الى ٤٨ ٪ . كما ان حركة الاستيراد في المانيا ارتفعت ، في هذه الفترة من ٣٠ الى ٦٣,٥ ٪ من بلغاريا ، ومن ٨,٥ الى ٥٠ ٪ من يوغوسلافيا ، ومن ١٣ الى ٤٧,٥ ٪ من تركيا ، ومن ٢٢ الى ٥٠ ٪ من هنغاريا . . . وهكذا نرى كيف ان كل هذه البلدان التي وجدت السوق التي هي بحاجة اليها لتصريف انتاجها ، وقعت بحكم الضرورة في تابعة شديدة الرايخ الثالث وأصبحت مدى حيوية ومنطقة نفوذ له . وقبل الحرب بكثير ، كانت هذه البلدان قد أصبحت من تابعه الاقتصادية .

والطريقة ذاتها اتبعت مع اميركا اللاتينية : اتفاقات مقايضة والمارك أسكي يفضي الى النتائج ذاتها . فبين ١٩٣٢ - ١٩٣٧ ، زادت الصادرات الالمانية الى بلدان اميركا اللاتينية اربعة أضعافها ، وأصبحت المانيا بعد سنة ١٩٣٦ اول متعهد للبرازيل ولاشيلي والثشاني في البيرو وبوليفيا وفنزويلا والمكسيك وغواتيمالا .

وسارت كل من ايطاليا واليابان على الخطه ذاتها ولا سيما ايطاليا بعد عام ١٩٣٥ ، بعد ان شعرت بوطأة المعقوبات التي اتخذت ضدها بعد ضمها للحبشة ، وبعد ان تبينت ما هي عليه اوضاعها الاقتصادية والنقدية من وهن وضعف . فقد تألف فيها إذ ذاك ، عشر هيئات تقاسمت فيما بينها التكتلات الصناعية المختلفة ، وعلمية تقنين الاستيراد ، كما أرغم المصدرون على التخلي عن ديونهم في الخارج لمعهد القطع الوطني . وقامت مراقبة شديدة على القطع . واقتصرت مساعدة الحكومة على رجال الصناعة ، بعد أن اطمأنت للخطط والتصميمات التي وضعوها ، واقيمت استمساناً عندها . فحظرت الدولة الاستثمارات في بعض المجالات والقطاعات ، وأصبح الاقتصاد الوطني بالفعل اقتصاد حرب وكانت الدولة زبونها الاكبر ورب العمل الاكبر ، إذ أن معظم الصناعات تعمل من قريب أو بعيد لحسابها .

وعقدت اليابان من جهتها ، عقوداً واتفاقات . مماثلة . فقد تعهدت تجاه العراق بشراء كمية

محترمة من انتاجه الوطني تساوي ٢٥ ٪ من قيمة صادراتها اليه ، كما تعهدت بشراء كل محصوله من القطن . ونص الاتفاق الذي عقده مع الهند على ان تبيعها ٣٢٥ مليون ياردة من المنسوجات القطنية مقابل كل مليون طن من القطن الخام تشتريه منها . وحاولت في الوقت ذاته ان تنشئ لها امبراطورية تؤمن لها الاكتفاء الذاتي ، تألفت من منشوريا والصين التي أخذت تنظم احتلالها تدريجياً منذ عام ١٩٣٧ .

كان من جراء النتائج التقنية لهذه الاجراءات المالية موجبات تركيز الاستثمارات وتجميعها سياسة الاكتفاء الذاتي ، ان شجعت الضائقة المالية على تركيز الاستثمارات وحشدتها وعلى انماء قوة التكتلات الاحتكارية . وخسرت الرأسمالية من حدة طابعها التنافسي لتصبح أكثر فأكثر احتكارية . فقد تألف في انكلترا مثلاً كتلة الحديد البريطاني وكتلة الفولاذ البويطاني ، وأصبح تحت اشرافها أكثر من ٢٠٠٠ مصنع وشركة فرعية وذلك بعد ان عقدت عام ١٩٣٥ ، اتفاقها الممهود من الكتلة الدولية للفولاذ . « ثبتت » أي احتفظت لنفسها كل السوق الداخلية ، وحددت الاسعار وعينت حصص الانتاج ونسبها ، وراقبت مشروعات التوسع التي تضعها شركاتها في المستقبل . وهكذا بطلت كل منافسة لها وانعدمت ، وتم لشريكاتها الثمان عشر التحكم بثلاثي انتاج بريطانيا من الفولاذ . وفي الوقت ذاته ، طلعت علينا التكتلات الاحتكارية للمصنوعات الكيماوية بظهور شركة الصناعة الكيماوية الامبراطورية ، والاونيلفر والكورتوليس والشركة الامبراطورية للتبغ وشركة مصانع سيمنت بورتلا ودنلوب « والست الكبار » التي راحت تنتج ٩٠ بالمئة من مجموع السيارات الخاصة و ٨٠ بالمئة من وسائل النقل التجاري .

كان عدد المؤسسات الصناعية في ايطاليا ، عام ١٩٣٧ ، اقل بـ ٥٠٠٠ عما كان عليه عددها عام ١٩٣٤ ، يعمل فيها ٥٠٠،٠٠٠ عامل اكثر مما في السابق . فالمشروعات الصناعية التي تعد اقل من ١٠ عمال والتي كانت تمثل ٧٥ بالمئة من هذا المجموع ، لم تعد تمثل اذ ذاك ، سوى ١٠ بالمئة لا غير من مجموع الانتاج في البلاد ، كما لم تعد تمثل سوى ١١ بالمئة من مجموع العمال . فعملية تركيز المصانع سارت جنباً الى جنب وعملية تركيز رؤوس الاموال . ففي عام ١٩٣٦ ، كان اقل من ١ بالمئة من الشركات الايطالية المغفلة يؤلف ٥٠ بالمئة من مجموع رأس المال والاسهم ، وأكثر من ٨٠ بالمئة من هذه الشركات لم يكن ليشكل سوى ٨ بالمئة من مجموع رأس مالها . ودليل الشركات المغفلة يشير بوضوح الى ان ١٢٨ من الشركات الكبرى تملك نصف مجموع رأس المال التابع لهذا النوع من الشركات .

وفي اليابان ، كانت ٦٥ بالمئة من الشركات اليابانية ، عام ١٩٢٩ ، تعود ملكيتها لـ ٧٠٠ شركة ينتمي معظمها لاتحادات تجارية كبرى ، وقد كانت تمثل ١٥ بالمئة من مجموع الشركات اليابانية . اما في اواخر عام ١٩٣٥ ، فقد كان ١٤ اتحاداً تجارياً كبيراً يهيمن على ٦٣ بالمئة من رأس المال المدفوع لهذه الشركات ، و ٧٥ بالمئة من مجموع الودائع المصرفية . وفي هذا التاريخ

بالذات، كانت ١١٢ شركة تحت الاتحاد متسوي، عدا عن ٧٠ شركة أخرى تقع تحت إشرافه غير المباشر. وكان اتحاد متسوي يملك ٩٠ بالمئة من النفط الطبيعي، و ٩٢ بالمئة من مجموع الحديد، و ٧٠ بالمئة من الرصاص، و ٧٥ بالمئة من الكبريت، و ٣٠ بالمئة من الأسلحة، و ١٠٠ بالمئة من الحمض الاستيكي، و ٦٥ بالمئة من البترول، و ١٠٠ بالمئة من السلوليد، و ٩٠ بالمئة من الورق، و ٤٠ بالمئة من الصوف الصناعي، و ٥٠ بالمئة من الجمعة والسكر، كما كان يراقب ٤٠ بالمئة من تجارة البلاد الخارجية. أما تروست متسوبيشي، فقد امتد إشرافه إلى أربعة قطاعات رئيسية ودور الصناعة البحرية وصناعة الزجاجيات والقصدير والكحول، كما أن حصته من الإنتاج في ٢٤ قطاعاً آخر كانت تتراوح بين ٢٠-٥٠ بالمئة من المجموع. وبعد عام ١٩٣٣، رسمت حركة التركيز الصناعي هذه خطأ لم يسبق إليه في أي بلد من بلدان العالم، سوى في القطاع الزراعي، حيث هبط عدد المنتجين للحبر من ٧٦٧٦، عام ١٩٢٥ إلى ٥٢٢٤ عام ١٩٣٦، مع زيادة في الإنتاج تزيد قليلاً عن الإنتاج الصناعي. والاتحاد تجار الاسمدة الكيماوية الذي أنشئ عام ١٩٣٢، أخرج من السوق التجارية ٥٠٠ بائع بالفرق، كما غابت عن الأنظار بضع مصارف (فلم يبق منها عام ١٩٣٩، سوى ٣٣٩ مصرفاً مقابلاً ٢١٦٠، في عام ١٩١٢.

وفي ألمانيا، حيث كانت حركة التركيز سجلت دوراً عظيماً من التطور قبل عام ١٩١٤، فقد شاهدنا ظهور الاتحادات التجارية كبرى بحيث بلغ عددها ٣٠٠٠ اتحاد عام ١٩٢٩، ضمت شركات من جميع الألوان والنشاطات. وتكاثر في الوقت ذاته، عدد المصارف. وفي سنة ١٩٢٤، انضم مصرف دارمستادت والمصرف الوطني بحيث ألفا معاً مصرف دانات. وفي سنة ١٩٢٩، انضم البنك الألماني إلى مصرف دسكونتو. والقانون الذي صدر عام ١٩٣٣، بشأن ضرورة التكتلات التجارية عجل كثيراً في عملية التركيز هذه، وزادها نشاطاً وقوى نفوذ الـ (*Konzerns*) في قلب هذه التكتلات. وقد تناقص عدد المؤسسات التجارية بين ١٩٣٢-١٩٣٧ نحواً من ٣١٥٩٨ وحدة أي ٩ بالمئة، في وقت ازدادت فيه بشكل ملحوظ الاستثمارات وهدد العمال الذين ادخلوا إلى العمل. وفي سنة ١٩٣٩ كانت ١٩٥ شركة تجارية، أي ٣،٦ بالمئة من مجموع الشركات، تملك ٥٨ بالمئة من مجموع رأس المال والأسهم. وكانت الصناعة الكيماوية في البلاد، عام ١٩٣٨، تعد ٢٥٨ شركة بلغ رأسمالها الموزع اسهماً ١٩٢٤ مليون مارك، مقابل ٤٦٤ شركة عام ١٩٣٢ بذات رأس المال. وشركة سيمنس التي تهيمن على الصناعة الكهربائية توسع نشاطاتها بحيث تضم الكبلات (الأسلاك) والغراموفونات والصناعات الحربية، كما هيمنت شركة بونا على الصيدلة والأدوات المنزلية، واحتكرت شركة باتمان صناعة أجهزة تصفيح المعادن وصناعة الدراجات واستخراج الفحم الحجري. والصناعة السينائية آلت إلى يد شركتين كبيرتين هما *U.F.A* وتوبيس وشركة إ. ج فارس الصناعية التي كانت تستخدم عام ١٩٣٩ نحواً من ٢٥ بالمئة من مجموع الشفيلة العاملين في الصناعة الكيماوية

الالمانية ، كانت تملك ٣٣ بالمئة من الرأسمال الاسمي الموظف في هذه الصناعة بقطع النظر عن فروعها الاخرى القائمة في سويسرا والسويد ، والعقود التي أبرمتها مع الشركات الاجنبية ، كشركة ستاندارد اويل في نيوجرسي وغيرها .

والشواهد على سياسة التركيز الصناعي في الولايات المتحدة الاميركية اكثر من ان تحصى بعد ان خضعت هذه الشركات للانصهار والتقوية من قبل اتحاد ارباب العمل بعد ان رأت تشجيعاً من القوانين المرعية . ففي مجال صناعة السيارات وشركات الانتاجية الكبرى : فورد والجنرال موتورز والكريسار التي كانت تنتج ، عام ١٩٢٠ نحواً من ٧١ بالمئة و ٨٣ بالمئة من مجموع الانتاج ، عام ١٩٣٠ ، ارتفع انتاجها عام ١٩٣٨ ، الى ٩٠٪ . أما الشركات الكبرى لانتاج الفولاذ ، فقد ارتفع انتاجها ، عام ١٩١٩ من ٥٥ بالمئة الى ٦٤ بالمئة من مجموع الانتاج العام ١٩٣٩ . وفي قطاع تجارة المواد الغذائية ، كانت خمس شركات كبرى ، مع فروعها المختلفة تملك ٧٪ من حركة الأعمال ، عام ١٩٢٢ ، فارتفعت حصتها عام ١٩٣٩ الى ٢٤ بالمئة ، كما ان اربع شركات اخرى كانت تصنع ٧٧ بالمئة من اطارات السيارات . ونفس هذا العدد من الشركات كان يعطي ٧٣ بالمئة من انتاج و ٩١ بالمئة من انتاج الآلات السكّانية ، و ٧٥ بالمئة من الاصواف ، الخ . ومن بين الـ ٥٠٠,٠٠٠ شركة موجودة في اميركا عام ١٩٢٩ ، كانت ١٠ بالمئة منها يحقق ٥٠ بالمئة من مجموع الارباح الصافية ، كما ان اقل من ٤ بالمئة من الشركات الصناعية كانت تحقق ٨٤ بالمئة من مجموع الارباح العامة . وفي الصناعة ، كان ١ بالمئة من هذه المؤسسات يشغل ٥٠٠ عامل فاكثر ويستأثر وحده بـ ٤٨ بالمئة من مجموع اليد العاملة في الصناعة . وفي نظر ستوب لم تكن بضع مئات بل بالأحرى بضع عشرات من هذه الشركات الكبرى او شركات المراقبة ، . كانت تملك القسم الأكبر من ثروة الشركات المختلفة .

وفي بلد انفتحت آفاقه على الصناعة من عهد قريب ، كالارجنتين مثلاً نرى التركيز الصناعي يجري فيه على نطاق واسع . ففي عام ١٩٣٩ ، كان نصف اليد العاملة في الصناعة تقريباً يعمل في ١٠٨ بالمئة من هذه الشركات . ومنذ عام ١٩٣٥ ، كانت ٤٣ بالمئة من هذه الشركات يستخدم ٦٥,٥ بالمئة من العمال . وفي حقل الكهرباء ، كان ٦٦ بالمئة من العمال يعملون في ٢,٧ بالمئة من الشركات المعنية بهذه الصناعة .

وفي فرنسا حيث عدد الشركات الصغير لا يزال هو الذي يطبع النشاط الصناعي في البلاد ، فقد نشطت النزعة نحو التركيز الصناعي ، إلا ان الأزمة اتاحت بكلسها على هذه المؤسسات التي كان لها بعض الشأن ، اكثر من الصغير بحيث ان تيسار التركيز بقي ضعيفاً اذا ما قارناه بما يجري في البلدان الأخرى ذات الاقتصاد المتطور . وبالمقابل فسياسة الاتفاقات التي لم تنشط كثيراً في قطاع المنسوجات القطنية ، اوفشت

تماماً في صناعة الحرير ، سجلت نتائج ملحوظة جداً في حقل المصنوعات الحديدية التي بذلت جهداً طيباً في تحسين عتادها واجهزتها التقنية . ففي سنة ١٩٣٢ ، جدد وكالة صناعة الحديد في فرنسا ، عتادها كما أنشأت وكالات أخرى للخرسان والحديد المصفح . وعقدت اتفاقات ، عام ١٩٣٤ بين العاملين في إنتاج الصلب ، كما عقد اتفاق عام بين منتجي الصلب والفولاذ .

والظاهرة نفسها تبدو بوضوح في الصناعة الكيماوية التي قطعت خطوات حاسمة في مجال التركيز والتجميع الصناعي ، في الصناعات الميكانيكية ، عام ١٩٣٤ - ١٩٣٥ ، وفي صناعة السيارات ، وفي الصناعات الأخرى التي فرض عليها القانون تحقيق مثل هذه الاتفاقات كصناعة الأحذية ، عام ١٩٢٦ ، وصناعة السكر عام ١٩٣٥ .

وكان بعض نتائج هذه الأزمة المالية ان حفزت الدولة على التدخل في المجال النتائج الاقتصادي ، وهو تدخل لم يسبق ان حدث مثله من قبل ، فتجاوز بعيداً ، باتساعه وشموله ، ما سبق وظهر من نشاط مماثل في هذا الصدد . وهكذا أطل علينا في كل البلدان ، مهما كان نظام الحكم فيها استبدادياً أو ليبرالياً ، اقتصاد موجه ، برز اثره في كل القطاعات ، متوسلاً الى ذلك ، بأساليب وفرائع تكاد تكون متماثلة وان تباينت منها الاشكال والمظاهر الخارجية ، حسباً تكون المصالح المعنية المنظمة تمارس أولاً نفوذاً حاسماً ، وفقاً للظروف السياسية والاجتماعية المسيطرة على هذه الدولة أو تلك . فالسياسة التوجيهية ليست مضادة بحذ ذاتها للرأسمالية ، بل على عكس ذلك . فكثيراً ما توطدها وتشد من ازرها ، لا تمس بشيء التركيب المجتمعي وكيانه القائم . ولم نر قط ان مراقبة الحياة الاقتصادية في الدولة وتثبيت الاسعار الجبري ، والحد بصورة تضيق أو تتسع من « الاستثمار الحر » قد انتقصت بشيء من مبدأ الملكية الفردية ، او ان يمهّد السبيل او ان يحقق اشتراكية الدولة . ومذهب التدخل الموسوم بطابع المحافظة ، لانقاذ الاقتصاد المعرض للخطر ، تسليح بكل الاجراءات حق ما ظهر منها بأنها ثورية متطرفة .

الا انه اذا كان باستطاعة بعض البلدان الغنية بما لديها من احتياطي النقد وبما تزخر به من الخامات الوفيرة وتهيمن على مناطق رحبة تسرح فيها وتمرح ، ان تجد مصلحتها في بعض هذه التدابير والاجراءات دون ان تضطر لادخال تعديلات او تغييرات جذرية في تركيبها الاقتصادي ، فالدول الاخرى التي لم تتوفر لها مثل هذه الشروط والأوضاع ، رأت نفسها مضطرة لسلوك طريق كابت لا بد ان يفضي بها الى سياسة الاكتفاء الذاتي . فمن دول الفئة الاولى ، مثلاً ، الولايات المتحدة الاميركية وانكلترا وفرنسا التي كانت تمتلك ، عام ١٩٣٧ ، ٨٠ في المئة من مخزون الذهب في العالم كما كانت تهيمن على اسواق رحبة في الداخل او في مستعمراتها الواسعة الاطراف ،

ومع سويسرا والسويد والارجنتين وبلجيكا والبلاد الديمقراطية امتلك هذا المجموع المتكون من هذه الدول الثمان ، ٩٢ في المئة من مخزون الذهب ، بينما حصة اليابان والمانيا وايطاليا منه لم تكن لتتجاوز ٥ في المئة ، وان اثنتين من مجموع هذه الدول الثلاث لم يكن لها بالفعل ممتلكات او مستعمرات عبر البحار . فاذا ما كانت عاجزة عن الحصول على الحاجيات التي كانت تفتقر اليها حتى تدفع اثمانها ، كالحامات والمحاصيل الغذائية والمصنوعات ، فقد كان عليها اما ان تطور انتاجها الصناعي او ان تبحث لها عن مواد بديلة او ان تخضع لسيطرتها الاقتصادية والسياسية البلدان المنتجة للمواد التي هي بحاجة اليها اما البلدان الاخرى في العالم ، سواء اوقعت في اوربا الوسطى او اوربا الشرقية او في آسيا وفي اميركا الجنوبية ، فقد كانت في وضع قلق مزعزع . وهكذا تسببت الازمة الاقتصادية عن تغييرات جذرية في البنيان الاقتصادي لدى قسم كبير من دول العالم ، وأزكت المنافسات وزرعت بذور اصطدامات جديدة .

الفصل الثالث

الدول وجهاً لوجه مع الأزمة

١ - الحلول الوطنية المختلفة

أدت الأزمة إلى اضطرابات عميقة تباينت نوعاً وكماً هزت الأوضاع الاقتصادية في كل دول العالم ، كما أحدثت ردات فعل لم يخف طابعها العام ، الفوارق التي قامت بين دولة وأخرى ، كما أن وسائل معالجة الأزمة للتخاوص منها لم تعط في كل مكان النتائج ذاتها . فلكل بلد والحالة هذه ، طابع خاص يختلف باختلاف طبيعة « التجربة » التي عانتها وكانت مسرحاً لها والطريقة التي سلكتها الأزمة في تطورها عندها .

الولايات المتحدة الأمريكية :
النظام الجديد
ان الاجراءات التي اتخذها الرئيس هوفر في مجال الانكماش المالي وتركه للهيئات والمؤسسات المحلية والمنظمات الخيرية ، مهمة معالجة الأزمة كما ترى وفشلها في تدبير الامر ، والتدابير الاخرى التي اتخذها لمواجهة البطالة ، وفشل سياسته الزراعية التي اغضبت الولايات الشمالية الغربية ، المعروفة بوقوفها عادة الى جانب الحزب الجمهوري ، كل هذه العوامل ، مهدت الطريق لفوز الحزب الديمقراطي ، عام ١٩٣٢ . وعندما تسلم فرانكلين د . روزفلت مقاليد الحكم في البلاد ، في اذار ١٩٣٣ ، كانت الضائقة المالية في البلاد قد بلغت منها الأوج . ففي الحين الذي قرر فيه اتخاذ التدابير السريعة لانقاذ المصارف التي تعاني العسر ، بتقديم السلفات اللازمة لها ولمازرة المزارعين الذين كانوا في وضع مفرج للغاية ، وخرج من هذه التدابير بخطة شاملة ترمي الى تحقيق اصلاح وطني عام . وهذا لا يعني قط ان القرارات التي اعتمدها قامت على مبادئ بدئية او انها استندت الى خطة موضوعة من قبل في كل جزئياتها ، بل على عكس ذلك ، مرت عليها سلسلة من التغييرات اوحثها الظروف والاضاع القائمة او ردة فعل الاوساط الاميركية وغالباً بدون اي تفسيق فيما بينها . فلم توضع في اي وقت ما ، خطة شاملة قلنا اول الاقتصاد الاميركي في مجموعه . فالمستشارون والخبراء الذين جمعهم حوله فالفوا هيئة الخبراء كما تألف من

رجال القانون وعلماء الاقتصاد على مثال ألفن هانس الاستاذ في جامعة هارفرد وأحد اتباع مذهب كينز الذي كان له تأثير كبير على سياسة الحكومة حول الاعتمادات الكبرى المرصدة لاعادة الحياة والنشاط الى الاقتصاد الاميركي ، والنشاط الى المؤسسات الخاصة التي تعمل على تأمين البضائع الاستهلاكية وبالتالي على تأمين الانتاج . كذلك ضمت هيئة الخبراء هذه بين صفوفها رجال اعمال وصحفيين . وسياسة التدخل هذه عرفت عندئذ باسم « النظام الجديد » الذي حدد روزفلت نفسه بأنه « مفهوم جديد لواجبات الحكومة ومسؤولياتها نحو الاقتصاد العالمي » ، وهي سياسة لا تختلف بشيء عن سياسة اشتراكية دافع عنها الرئيس في خطابه الانتخابي الذي القاه في ١٤ تشرين الاول ١٩٣٦ ، فشدّد قائلاً : « هي ادارتي التي اتفقت على نظام الربح الخاص وعلى سياسة المشروعات الحرة ووقوفها عند حافة الانهيار بعد ان بلغت شفاهاً حيث اوصلها هؤلاء بالذات الذين يحلو لهم تخوينكم الآن » .

فالخطة الجديدة انما هدفت الى اعادة التوازن بين التكاليف والانتاج ، وبين حياة المدن والريف وبين الاسعار الزراعية والاسعار الصناعية ، كما هدفت الى تحرير السوق الداخلية وتلشيظها ، السوق الوحيدة التي لها اهميتها ، وذلك عن طريق مراقبة الاسعار والانتاج ، واعادة تقييم الاجور والطاقة الشرائية لدى الجماهير ، اي لدى المزارعين والعمال ، وضبط ظروف العمل (رفع الاجور وتخفيض ساعات يوم العمل ، وغير ذلك من التدابير) . وهذا هو بالذات ما تهدف اليه الاجراءات التي اوجبت مراقبة المصارف وتنظيمها ومراقبة نشاط البورصة ، وعملية تخفيض قيمة الدولار مرتين : في ايار وتشرين الاول ١٩٣٢ ، وقانون تعديل الادارة الزراعية الذي افسح المجال امام تخفيض بعض الزراعات ، وقانون العودة الى الوضع السليم (R. A. A.) ، وهذه السلسلة من القوانين ، التي نصّت على تخفيض ساعات العمل في اليوم ، ورفع المرتبات والاجور ، وحددت المنتهيات القصوى كما حددت الانتاج منعاً لكل منافسة او لكل مزاحمة غير شريفة . « فالغرض » الذي رمت اليه هذه الخطة ، يقول روزفلت ، هو تطمين الصناعة بتحقيق ارباح معقولة وتطمين العمال بالحصول على اجور مرضية . وكذلك قل عن القوانين الاجتماعية التي فرضت التأمين والضمان ضد البطالة ، ورسمت الحد الأدنى للارباح خلال اربعين ساعة عمل في الاسبوع ، بواسطة قانون العمل الذي صدر عام ١٩٣٨ ، وشجع تشييد مساكن شعبية رخيصة ، والحرب ضد المساكن الزرائب . ومن هنا جاءت هذه الاعمال الانشائية الكبرى تقوم بها الدولة ، وقانون قدامى المحاربين الذي اوجب توزيع اكثر من ملياري دولار ، للمحاربين القدامى ونشطت الى حد بعيد ، تنفيق المواد الاستهلاكية .

والخطة الجديدة قوبلت بنقد عنيف من قبل المحافظين الذين هالمهم تضخم الموازنة ، كما هالمهم من جهة اخرى ، التجاوز على حقوق الولايات وامتيازاتها والتشجيع المعطى للنقابات العمالية ، وكل الاجراءات التي جاءت في مصلحة اصحاب الاجور . وعندما اعلنت المحكمة العليا ، في ايار ١٩٣٥ ، عدم شرعية قانون N.R.A الصادر في كانون الثاني وقانون A.A.A لحقوق

الولايات ، امكن مع ذلك الحفاظ على سياسة الانقاذ هذه بفوز روزفلت بانتخابات الرئاسة لعام ١٩٣٦ . وامام خطر استهداف المحكمة لمحاولة اصلاح جذرية تنزل بها ، اضطرت المحكمة العليا للرضوخ والاعتراف بحق حكومة الاتحاد تنظيم التشريع الاجتماعي في البلاد . فقد اقترت بشرعية قانون العلاقات الوطنية الصادر عام ١٩٣٥ ، هذا القانون الذي ضمن حرية العمل للحركة النقابية ، اسوة بالقانون (*N.R.A* و *A.A.A*) وقانون حماية التربة الذي اعاد تحت ستار حماية التربة ، احكام قانون العلاقات الوطنية (*N.R.A*) . كذلك رفض النظر في الدعوى المقدمة من قبل الشركات الخاصة ضد مشروع سلطة وادي تنسي ، عام ١٩٣٦ .

ما عسى . ان كانت نتائج هذا الجهد ؟ فالاصلاح جاء على غير استواء تشوبه النتائج مساوى عديدة ، وبدا ناقصاً في مجالات عديدة ، كما انه تم ، خلافاً لما جرى في عدد من البلدان ، بمزول عن أي سياسة تسليح . ففي عام ١٩٣٩ ، لم تكن الاعتمادات المخصصة لامور التسليح لتزيد على ١ بالمئة من مجموع الموازنة العامة ، كما ان خطط الانحشاء الذي رسمه الانتاج الصناعي جاء متكسراً . ففي اذار ١٩٣٣ ، عندما تسلم الرئيس مقاليد الحكم ، كان الدليل المسجل ٤٩٠٦ بالمئة ثم اخذ يرتفع ليبلغ ٨٤ بالمئة في تموز ، ثم عاد وهبط في آب واذ ذاك جرى تخفيض الدولار للمرة الثانية واضيفت الى سياسة التضخم المالي سياسة الامتصاص التدريجي . فالتقدم جاء بطيئاً طيلة عام ١٩٣٤ ، وفي الشطر الاول من عام ١٩٣٥ ، اذ لم يكن عدد العاطلين عن العمل في حزيران من هذه السنة ليقل عن ١٣,٥٠٠,٠٠٠ عامل . وحركة العودة الى الوضع الطبيعي اخذت تنطلق من هذا التاريخ ، اذ ارتفع دليل الانتاج الصناعي من ٧١,٤٤ ٪ في ايار ١٩٣٥ ، الى ٧٩,٤٨ ٪ في تشرين الاول ، والى ٨٧,٤٤ ٪ في كانون الاول والى ٩١,٦ ٪ في ايلول ١٩٣٦ ، والى ٩٩ ٪ في اذار ١٩٣٧ . وقد وقعت ردة عكسية في هذا الوقت بالذات ، اذ كان دليل الانتاج الصناعي ، في ايار ١٩٣٨ يوازي ٦٤ ٪ الا ان العودة الى سياسة الامتصاص جعلته يرتفع الى ٨٩ في كانون الاول . وبدا اذ ذاك ان الوضع قد استقر على الاجال بالرغم من انه لا يزال في البلاد ٩ ملايين من العاطلين عن العمل ، كما ان اسعار البضائع ظلت هي الاخرى آخذة بالهبوط .

ارتدت الازمة في الولايات المتحدة الاميركية طابع ثورة فعلية كما اثرت عميقاً في الرأي العام الذي شعر بانه على شفير الهاوية . « فلربما كانت هذه الازمة الحادث الوحيد في تاريخنا الذي احدث تغييراً جذرياً في تاريخنا الوطني ، كما يؤكد غيرارد ، كما ان هذه الازمة انطبعت ذكراها طويلاً في نفوس الاميركيين . فقد اتاحت من الواجهة السياسية ، لحكومة الاتحاد ، بسط نفوذها وتدخلها في مجالات كانت محرمة عليها حتى ذلك الوقت ، وذلك في ما يعود للحالة الاجتماعية ، كما ان الخطة الجديدة امننت للروح النقابية الحرة تحقيق نجاحات حاسمة . فقد الزم قانون واغتر ، ارباب العمل ، الاعتراف للعمال التابعين لهم ، بحرية تنظيم نقاباتهم (وهذا انما يعني نهاية

المنشأة المفتوحة، أي رفض استخدام المصنع والمتجر للعمال النقابيين واللائقبيين على السواء، ونهاية سيطرة العمال المطواعين واجبارهم على مناقشات ظروف العمل مع العمال انفسهم تحديداً للاجور بالاتفاق فيما بينهم . وقد انشئت محكمة وطنية للفصل في المشكلات الناشئة بين العمال وارباب العمل ، مع مراعاة الحق النقابي والعمل على تشجيع العلاقات الجماعية بين ارباب العمال والنقابات . ومع ان قرارات هذه المحكمة لا تكتسب الصفة الالزامية ، فقد تمكنت من ان تحل بين ١٩٣٥ - ١٩٤٥ ، بفضل النفوذ الادبي الذي تتمتع به ، اكثر من ٣٠,٠٠٠ قضية . ومع ان هذا التشريع دخل اميركا بعد اوروبا بمدة طويلة ، فقد قوى من نفوذ العمال في المجتمع الاميركي .

بريطانيا العظمى
جاءت الازمة في بريطانيا اقل فداحة وفضاظة منها في اي بلد آخر . فالوزارة المالية التي وقف حزب الاحرار الى جانبها وساعد بذلك على كبح جماحها ، حاولت عبثاً تجاهل الخطة التي وضعها حزب العمال الدولي (I.L.P.) بعنوان : اشتراكية هذا العصر ، وطبقت مع وزير المالية سنودن سياسة تخفيض النقد . فقد ارغمتها الازمة ، تحت ضغط الخوف الذي ما فتئت صحافة المحافظين تغذيه في النفوس ، لتأليف حكومة اتحاد وطني شددت بدورها من سياسة تخفيض النقد وادت الى تحقيق وفر بلغ ٧٠ مليون جنيه في صلب مشروع الموازنة ، عن طريق تخفيض تراوحت نسبته من ١٠ - ٢٠ ٪ من مرتبات الموظفين وتعويضات العاطلين عن العمل وعن طريق تخفيض مدة التخصصات الى ٢٦ اسبوعاً في السنة . والانتخابات العامة الجديدة التي جرت سنة ١٩٣١ في جو مشبع بالتدهور المالي امنت فوز حكومة وطنية قضت تقريباً على كل معارضة لحزب العمال . ومع ان هذه الحكومة هي برئاسة احد اعضاء حزب العمال السابق ، فالبلاد تخضع لحكومة محافظة موالية للمبادئ الليبرالية يرعاها وزير المالية ، اذ ذاك ، نفيل تشمبرلين . وتخفيض قيمة الجنيه في ايلول ١٩٣١ قبل ان تعتمد اية حكومة الى تخفيض قيمة نقدها في الخارج ، ادى الى تحسين ملحوظ في حركة الصادرات ، اذ عرفت بريطانيا وحدها ان تفيد لبعض الوقت من الاهانة الخاصة بالتصدير التي اعتمدتها . وهكذا توقف الانتاج عن الهبوط الذي كان اخذ يعاينيه ، ولا سيما في قطاع الصناعات الجديدة ، والصناعات الكيماوية والكهرباء وصناعة السيارات ، كما اوقفت حركة البطالة ، ونشطت حركة التصدير وسجلت بعض الارتفاع في صادراتها الى افريقيا الوسطى ومصر ، كما سجلت زيادة محسوسة في التصدير الى الهند واليابان .

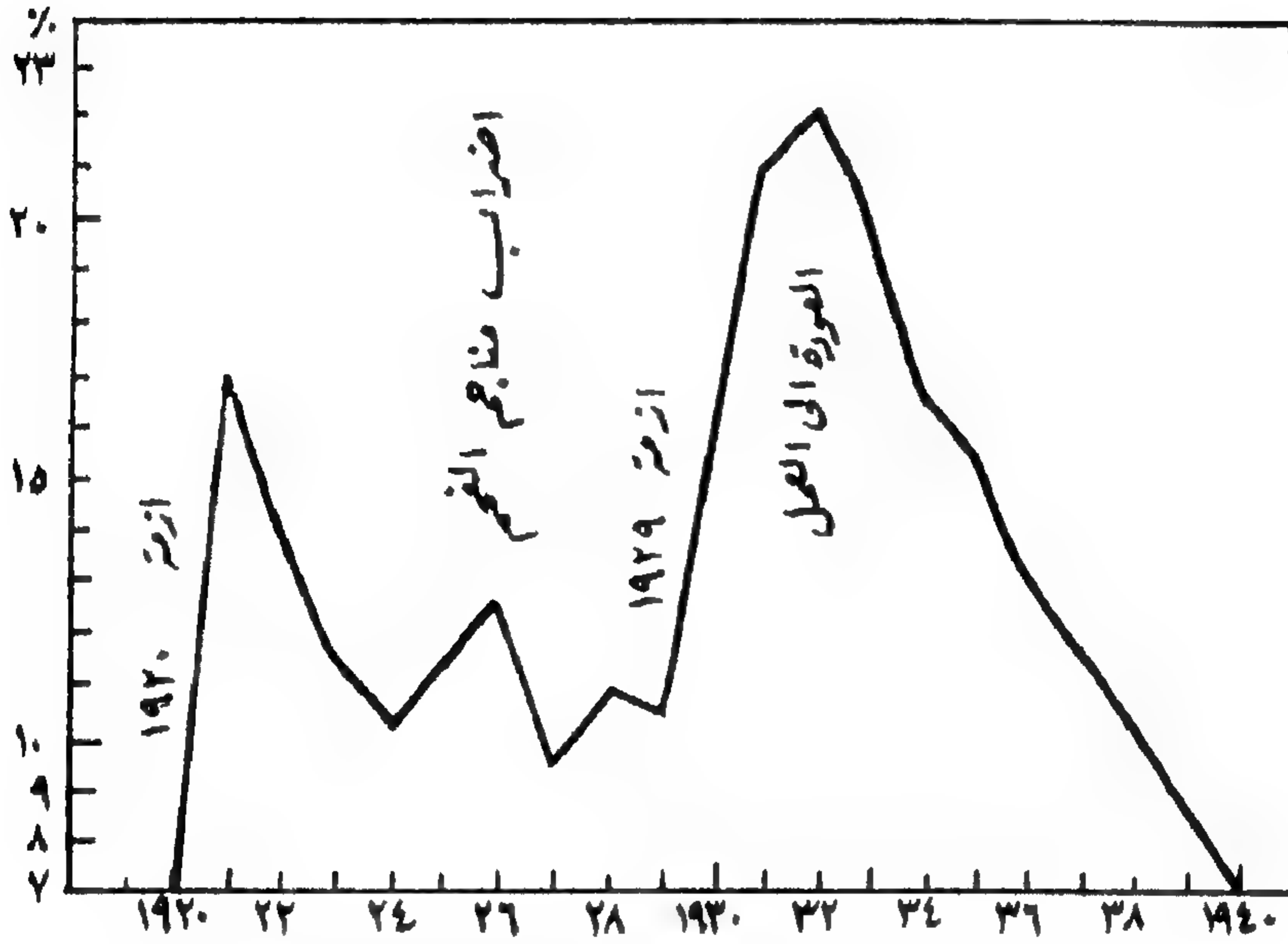
وامكن على اثر هذا النشاط إعادة مخزون الذهب . وعودة البلاد الى سياسة الحماية الجمركية ، واتفاقات اوتوا التي عقدت عام ١٩٣٢ (وهي اتفاقات جاءت في صالح بلدان الدومنيون اكثر منها في صالح انكلترا نفسها) فأتاحت للحكومة سبيلاً اكبر للتدخل في الشؤون الاقتصادية : ك مراقبة الواردات الزراعية والحد منها ، والرسوم الجمركية التي رمت الى تشجيع الصناعات الرئيسية في البلاد يجعلها اكثر مردوداً وأوفر ربحاً ، وتخصيص مساعدات

مالية لهذه الصناعات التي لم تسجح حولها الرسوم الجمركية كما يجب ، وإلى الحد الذي كان متوقفاً ، كالنقل وحركة الانشاءات البحرية ، وتأمين وسائل النقل في لندن ، عام ١٩٣٣ ، والنقل الجوي بدمج شركات الطيران الانكليزية تحت اسم شركة الخطوط البريطانية عبر البحار ، عام ١٩٣٩ ، وعقد معاهدة تجارية ترمي إلى تشجيع تصدير الفحم الحجري ، والجمود المبذولة لتشجيع الصناعات الجديدة وتشجيع حركة بناء المساكن الشعبية . ومختصر الكلام ، فالبطالة التي بلغت الذروة عام ١٩٣٣ (٢٢ بالمئة من مجموع اليد العاملة في البلاد) ، اخذت تهبط تدريجياً لتبلغ ١٢ بالمئة عام ١٩٣٧ ، وهو عدد لا يزال يبرز المعدل الذي كانت عليه البطالة عام ١٩٢٩ ، إلا أن عدد السكان ازداد بنسبة ٣٠٠ بالمئة (راجع شكل ٦) . وقد حدث بالرغم من انخفاض حركة التصدير ازدهار اقتصادي محسوس في الداخل ، عاد بفائدة كبرى على الصناعات التي تؤمن الاستهلاك الداخلي وحركة البناء . وسجلت انكماشاً اذ ذاك ، ارتفاعاً في المستوى العام للحياة لدى السكان ، وعرفت أن تفيد كثيراً من هبوط اسعار المواد الغذائية وال خامات والمواد الاستهلاكية المترتب عليها استيرادها من الخارج ، كما تحسنت ظروف تمويلها كثيراً في الوقت الذي 'حلت فيه مشكلة السكن في البلاد . والنسبة بين اسعار المواد المصدرة التي جرى تخفيضها إلى الثلث ، وبين اسعار الواردات التي انخفضت ١/٨ في المائة ، أصبحت أكثر ملائمة طيلة هذه الفترة بكاملها (شكل ٦) . والميزان التجاري كان إيجابياً عام ١٩٣٥ ، وبعد ذلك اختل هذا الميزان مع أنه لم يصل إلى ما كان عليه الوضع عام ١٩٣١ .

وهكذا ، ومع أن رصيد الموازنة كان واطياً ، فلم يتوقف يوماً ، وانتفت كل زيادة منذ عام ١٩٣٠ ، واخذ منذ عام ١٩٣٥ يظهر نقص مستمر ، كما أن الاستثمارات في الخارج هبطت هي الأخرى بحيث وصلت إلى درجة الصفر ، عام ١٩٣٧ . وجاء هذا الهبوط دليلاً جديداً على أن البلاد آخذة بالافتقار . وتأخر الوضع الاقتصادي ، كما سبق لكينز وتنبأ به ، وقع ، عام ١٩٣٨ ، إذ سجلت البلاد خروج مبالغ كبيرة من الذهب كما سجلت هبوطاً في قيمة أجنبيها . لم تدم هذه الحركة طويلاً ، إذ أن تأزم الوضع الدولي حمل الحكومة على تقوية سلاحها بما أدى إلى نشاط حركة الأعمال في البلاد . وهكذا نرى أن انكماشاً في عام ١٩٣٩ لم تكن استطاعت ، شأنها في ذلك شأن الولايات المتحدة وفرنسا ، أن تجد الدواء الشافي والعلاج النافع للآزمة التي تعاني منها . والبطالة العامة بقيت مستبدة بالبلاد كما بقيت صناعات التصدير تتألم وتلكع في هبوط مزمن . وقد بقي التوتر الاجتماعي محتدماً . فكان على المحافظين ، أن يواجهوا الآن معارضة أشد من جانب العمال الذين نالوا في انتخابات عام ١٩٣٥ ، ما يوازي ٣٨،٤ بالمئة من مجموع الاصوات وهو أكبر معدل سجلوه حتى الآن .

فرنسا
ففي الحين الذي حافظت فيه الولايات المتحدة ، منذ عام ١٩٣٢ ، وبريطانيا العظمى منذ عام ١٩٣١ ، على الحكومة ذاتها بعد أن تباينت سياستها بالطبع تجانساً وتماسكاً مع أنها انبثقت من مبادئ لم تتغير كثيراً في هذه المدة بالذات ، فقد مرت

فرنسا ، في الفترة نفسها ، بمدة تجارب واختبارات متناقضة .
 فاقصادها لم يتأثر بالازمة الدولية الا في عام ١٩٣١ . ومنذ عام ١٩٣٣ ، بدت اسعار
 المواد المعدة للتصدير اعلى بكثير عندها من اسعار هذه المواد في الخارج . فالسوق الوحيدة
 المفتوحة امامها هي سوق الامبراطورية الفرنسية . وهكذا هبط الدخل الوطني ٢٠ بالمائة ، كما
 ان اسعار الجملة هبطت ، هي الاخرى ، ٤٤ بالمائة ، واسعار الفرادي او المفرق ٢٩ بالمائة وأطل
 من جديد المعجز في الموازنة وفي الدين العام . وهذا الاضطراب الاقتصادي والمالي طرح على
 بساط البحث متانة النقد الفرنسي . فمنذ عام ١٩٣٤ ، اخذت تهرب من البلاد مبالغ ضخمة



شكل ٦ - التغيرات الطارئة على حركة البطالة في بريطانيا بين ١٩٢٠-١٩٤٠ .
 (الى اليسار : معدل الماطلين عن العمل)

من الذهب في الوقت الذي حدث فيه هيجان من قبل الاحزاب وتكتلات اقصى اليمين التي
 تُعِدُّ ضد الاكثريّة اليسارية التي جاءت بها انتخابات عام ١٩٣٢ ، ثورة ٦ شباط (فبراير) .
 وعادت هذه المبالغ الى البلاد بعد ان شكل دومرغ وزارته ومعه عادت السلطة الى احزاب
 اليمين . وعادت حركة هرب الاموال عودتها الاولى ، عام ١٩٣٥ . ومصرف فرنسا الذي
 يدير قيامه عن وضع بلد يتألف معظم سكانه من اصحاب الدخل ، وقف يعارض عملية تخفيض
 الفرنك ، سيرا مع الحركة التي قامت بها انكلترا والولايات المتحدة الاميركية ، الامر الذي
 ادى الى هبوط كبير في حركة التصدير ، اذ ان الاسعار الفرنسية بقيت أعلى بكثير من

الاسعار في البلدان التابعة لكتلة الجنيه . واعتمدت حكومة لافال سياسة شديدة لتخفيض سعر الفرنك ، معتمدة في ذلك على المراسيم الاشتراعية الخاصة بمعالجة البؤس (تخفيض ١٠ بالمائة من نفقات الدولة العامة) مع سياسة صارمة ضد الملطوسيانة او تحديد النسل التي ادت بدورها الى تحديد الانتاج الزراعي والصناعي . ولذا لم تشارك فرنسا بعودة الانفراج العام الذي عم العالم بين ١٩٣٣ - ١٩٣٧ . فقد جاءت في المرتبة الدنيا في سلم ارتفاع دليل الانتاج في العالم وحركة الانتاج عندها بين ١٩٣٣ - ١٩٣٧ ، بدت زهيدة للغاية ، اذ لم تزد عن ٤٠٣ بالمائة ، بينما بلغ هذا المعدل ١٠٠ بالمائة في المانيا ، و ٧٤ و ٤٠ بالمائة في اليابان ، وسقطت وحدها بين دول العالم الى ادنى من مستوى عام ١٩٣٣ ، بينما نهضت كل الدول الاخرى وتحسنت فيها الاوضاع ، واستمر انتاجها الصناعي يتراوح بين ٨٢ - ٨٣ بالمائة مما كان عليه عام ١٩٢٨ . وازداد عدم التوازن سوءاً واضطراباً وشكل هبوط الانتاج الزراعي كارثة . وهكذا وجدت البلاد نفسها وجهاً لوجه مع هبوط اقتصادي فريع .

ان الفشل الذي بليت به سياسة تخفيض النقد ، والبؤس الذي سببته هذه الجبهة الوطنية السياسة في جميع اطراف البلاد ، كان وراء نجاح الجبهة الوطنية في انتخابات عام ١٩٣٦ النيابية ، التي نص برنامجها الاقتصادي على اتخاذ اجراءات ترمي لبعث الحركة والنشاط في الحياة الاقتصادية ورفع القيمة الشرائية للفرنك . وعندما تولت حكومة بلوم مقاليد السلطة في البلاد انفجرت غضبة الشعب بعد ان كظمها طويلاً من قبل . فالصعاب التي أدت إليها الازمة ، منذ عام ١٩٢٩ ، اتاحت لارباب العمل بنعمة « الحق الالهي » ان يعملوا بمساعدة الحكومة في السنوات السابقة ، كل تشريع يتعلق بالعمل (الاتفاقات المشتركة ، والضمان الاجتماعي) ، وان يفرضوا سلطتهم ومشيتهم العليا بضربهم كشعاً عن المطالب المالية ، واللجوء بصورة اعتباطية الى صرف العمال وطردهم . وهؤلاء العمال الراحون تحت البؤس ، اخذوا ، بعد ان بلغ اليأس منهم في هذه السنوات الاخيرة ، كل مبلغ ، يتنفسون الصعداء عندما رأوا في الحكم ، وهم لا يصدقون عيونهم ، حكومة تتفهم الى حد بعيد ، المآسي التي يتسكعون فيها والتي يعانون منها الأمرين ، فتدافع عن مصالحهم المشروعة : وعلى ضوء هذه الامور ، ندرك جيداً ، ما وقع من حوادث احتلال المصانع وحركات الاضرابات التي ادت في حزيران ١٩٣٦ ، الى اتفاقات ماتنيون ، في المؤتمر الذي عقده المنتجون الفرنسيون الذين يمثلون ارباب العمل في فرنسا . وفي بضعة ايام لا غير أقرت القوانين التي جاءت توضحاً واعترافاً رسمياً بهذه الاتفاقات . فالاجور زيدت من ٧ - ١٥ بالمائة وتقرر دفع الاجور في الاجازات ، وشرع بمفاوضات حول اتفاقات جماعية مع المنظمات الاكثر تمثيلاً للحركة المالية ، كما ضمن حق تأليف النقابات ، وتعيين انتخاب ممثلين في كل مؤسسات العمل التي يزيد عدد العمال في الواحدة منها على عشرة عمال . وصدر أخيراً قانون يحدد ساعات العمل في الاسبوع بأربعين ساعة عمل الامر الذي ادى الى امتصاص جانب من العاطلين عن العمل . إلا ان معارضة بعض

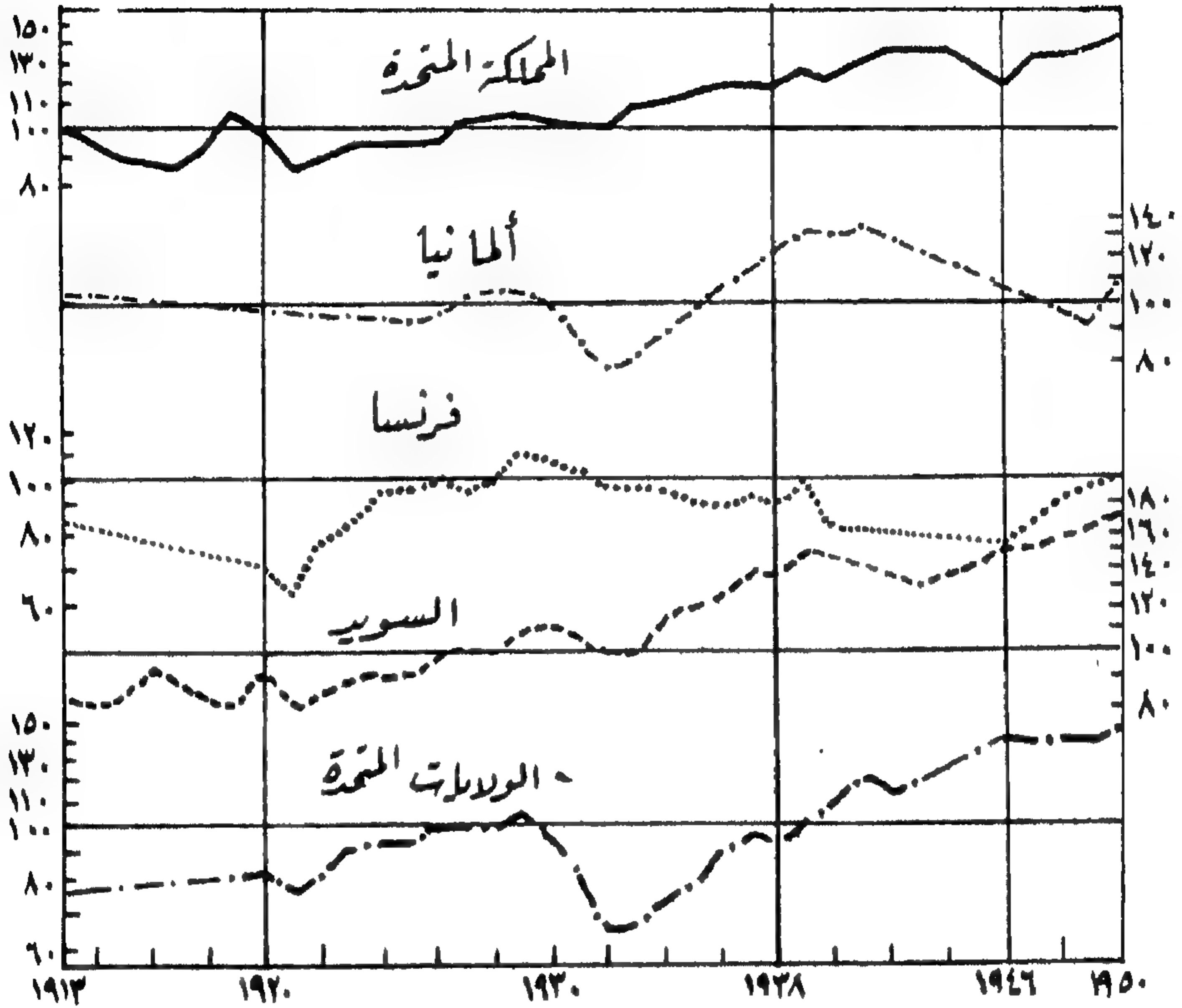
أرباب العمل لهذه الاجراءات القانونية وصمودهم في وجه تطبيقها ، ادخل القلق على أصحاب الثروات ، فأخذت رؤوس الاموال بالهروب الى الخارج ، كما اخذوا في الادخار ، إذ ان زيادة الاجور ، والاجازات المدفوعة وتخفيض ساعات العمل في الاسبوع كل هذه ادت الى زيادة في كلفة الانتاج وترك اثره ظاهراً على اسعار المبيع . والزيادات الجديدة التي لحقت الاجور لم يلبث ان عقبها ارتفاع في اسعار تكاليف الحياة ، كما ان التشویش والقلق اشتد بين الناس وساورتهم المخاوف . وفي ايلول ١٩٣٦ ، بلغ من ارتفاع الاسعار بعد الاصلاحات الاجتماعية ان انقطعت حركة التصدير تماماً . وجاء تخفيض قيمة الفرنك متأخراً جداً كما جاء معدل التخفيض عالياً ، بحيث ان رؤوس الاموال المهربة لم تعد الى البلاد خوفاً من هبوط جديد في الاسعار ، كما ان مبالغ جديدة جرى تهريبها خارج البلاد . وبدلاً من ان يوسع ارباب الاعمال اعمالهم واشغالهم ، راح فريق من ارباب الصناعة ورجال الاعمال والتجار يحولون مديخراتهم ورأس مال محلاتهم الى سبائك من الذهب او الى دولارات . واذ رأت السلطة نفسها عاجزة عن معالجة الامر وأسقط في يدها ، قررت حكومة بلوم « التمهّل » اي التوقف في عملية الاصلاحات الاجتماعية ، ولم تلبث ان انهزمت عندما تقدمت من المجلس بالموافقة على اعطائهم الحق استصدار المراسيم الاشتراعية مكافحة منها للمضاربات المالية .

« فتجربة بلوم » اصبحت بالفشل في معظم قطاعاتها لانها عجزت عن تأمين الاصلاحات الاساسية التي كان من شأنها ، لو تمت ، حرمان خصومها ، مما لديهم من وسائل التأثير على الاعتماد والتسليف وبالتالي على النقد . فقد جاء اصلاح مصرف فرنسا ناقصاً ، كما لم تجر أية مراقبة على المصارف والمؤسسات المالية وعلى عمليات القطع في البلاد . اما مراقبة الاسعار فقد جاءت بدائية ومكثلة وسائل التنفيذ التي اخذت بها ، ولذا لم يمكن لها من اي تأثير . والاسعار التي فرضتها الاحتكارات بقيت جامدة قائمة كما صمدت في وجه تخفيض قيمة النقد .

وعادت حكومة شوتان التي خلفتها الى سياسة التضخم المالي التقليدية ، اي الاستلاف من مصرف فرنسا بحيث تستطيع الحكومة مواجهة التزاماتها . وقد حدث في حزيران ١٩٣٧ تخفيض جديد في قيمة الفرنك بعد ان أخذ يدور في فلك الستوليني ، وخسر ٤١.٥ بالمئة من قيمته الأصلية .

ومن جهة اخرى حدث منذ ١٩٣٨ ، مع وزير المالية الجديد بول رينو ، تحت ستار عملية « تطويع » ردة فعل قوية ضد القوانين والتشريعات الاجتماعية التي صدرت عام ١٩٣٦ ، والعودة الى سياسة الانكماش المالي ، وهصر اعتمادات الموازنة العامة ، والذي تسبب عن الاضراب العام الذي وقع في ٣٠ تشرين الثاني ١٩٣٨ ، والذي كان من فشله ان اضعف الحركة العمالية واثروا عليها الى حد بعيد . وسياسة تزع السلاح كانت اذ ذاك ضاربة اطنائها ، كما ان دليل الانتاج الصناعي كان قد ارتفع من ٧٦ بالمئة عام ١٩٣٨ الى ٨٧ بالمئة عام ١٩٣٩ .

وهكذا فقد مر الاقتصاد الفرنسي طيلة الضائقة الاقتصادية في فترة من الركود والجمود بينما كانت في الدول الاخرى فترة تميزت بالنشاط والديناميكية (شكل ٧) . ان ارتفاع الاسعار الفرنسية حرمت المنتجات الزراعية من اسواق قفي بعاجتهم : فالقمح والنبيد والشندر السكري محاصيل شكت فرط الانتاج والحماية الجمركية التي همها المحافظة على الوضع القائم



شكل ٧ - الدخل القومي للفرد في المملكة المتحدة ، ألمانيا ، فرنسا ، السويد ، الولايات المتحدة

بين ١٩١٣ - ١٩٥٠ (١٠٠ - المعدل لعام ١٩٢٥ - ١٩٢٩)

وحالت دون مقايضة البلاد الفائض من انتاجها الزراعي بما تحتاج اليه من مواد زراعية اخرى ، والاسعار الدارجة هي بالفعل عالية جداً بالنسبة للأسعار العالمية وان كانت واطية بالنسبة لاسعار الكلفة . والطحين والقمح والاحوم والمحاصيل الزراعية الاخرى هي في فرنسا اغلى منها في هولندا وانكلترا والسويد وبلجيكا . وغلاء ثمن المنتجات الصناعية التي لا غنى للزارعين عنها تحد كثيراً من امكانيات الربح بتصدير المحاصيل الزراعية كما تحول دون تجهيز المزارعين

بالاهتدة والتجهيزات التقنية . فالمكننة لا تقي بالفرص كما أن الأساليب الزراعية وأنماطها رديئة للغاية . وهكذا بقيت قائمة ، مرعية الجانب وسائل استثمارية متخلفة جداً ، تعمل في ظروف حياتية قاسية وتنتج في ظروف مرزحة ، فالزراعة في فرنسا هي من هذه القطاعات المتخلفة عن ركب الحضارة وسير الزمن ضمن اقتصاد يشكو الضعف والجمود . أما الصناعة الفرنسية على اختلاف مظاهرها ، فهي تعاني ، منذ عام ١٩٣٠ ، وضماً هزيباً من الانحطاط الموصول من جراء ضعف انتاجية العمل ، إذا ما قيست بالولايات المتحدة وبألمانيا ، باستثناء الصناعات الحديدية والمطاط والكروتون (المقوي) . فالمستوى التقني ، والتركيز الصناعي أدنى بكثير منه في البلدان الصناعية الأخرى . والتجارة الخارجية ، تأخرت هي الأخرى وأصبحت أكثر مما أصيبت به هذه المرافق في الدول الأخرى . فقد كانت تمثل ، عام ١٩١٣ ، نحواً من ٧،٧ بالمائة من مجموع التجارة العالمية ، بينما لم تعد تمثل ، عام ١٩٣٧ ، سوى ٥،١ بالمائة وهو تأخر بلغت نسبته ٣٨،٨ بالمائة ، بينما لم يبلغ هذا التأخر في انكلترا سوى ٨ بالمائة وارتفعت الزيادة في الولايات المتحدة الأميركية ٣ بالمائة . والنقص في الميزان التجاري كان افدح من ذلك وأدهى ايضاً . فبينما كان يمثل ١٦،١ بالمائة من مجموع الصادرات ، عام ١٩٢٩ ، إذا به يهبط الى ما نسبته ٥،٧ بالمائة عام ١٩٣٨ . أما ميزان المدفوعات ، فالزيادة التي تميز بها في الماضي ، حل محلها نقص ملحوظ في الدخل السياحي ، وفي ربيع الخدمات ولا سيما ربيع الأموال المستثمرة في الخارج . ان خروج رؤوس الأموال الضخمة التي فرت الى الخارج لم تكن استثمارات منتجة بل مجرد عملية مضاربات مالية . فالأرصدة الفرنسية في الخارج ، التي بلغت قيمتها ١١٠ مليارات فرنك ، عام ١٩٣٧ ، هي في الغالب ، ديون قصيرة الاجل . وفي حماية من الرسوم المنفردة وعمليات التقنيين التي جاءت قحمة ليس فقط فروع الصناعة الآخذة بالنمو والتطور بل كل الصناعات على اختلاف انواعها ، راحت الهيئات المالية والصناعية تقصر كثيراً من حركة الانتاج ومن الاستثمار ، على امكانيات الامتصاص والتنسيق المباشرة المتوفرة للسوق المحلية التي كانت من الضيق والضعف يحول دون تحقيق ارباح كبيرة . فقد اعتمدوا سياسة مالطوسية تقوم على الاكتفاء الذاتي والانطواء التي لم تستهدف لا فتح اسواق جديدة في الخارج لها ، ولا العمل على توسيع وترحيب السوق الوطنية . أما بشأن صغار التجار ، فقد تضخم عددهم كثيراً دون أي اعتبار او نسبة للكميات المباعة .

وهذا التأخر الاقتصادي جاء نتيجة سياسة مستوحاة من الروح المحافظة في هذا النظام الاجتماعي الذي حرص على ان يحافظ على البنيان الاقتصادي والاجتماعي القائم في البلاد . فالإبقاء على الاستثمارات الصغيرة والمتوسطة الهامشية ، إذ عجز عن منافسة الشركات الكبرى كما عجز عن دفع اجور عالية ، افاح من جهة ثانية للتكتلات الاحتكارية التي تستطيع وحدها تأمين انتاج بكلفة أدنى من البضائع التي تنتجها المحلات الأولى ، ان تفرض رسوماً على المبيع تؤمن لها ارباحاً ضخمة .

كان للآزمة في ألمانيا ، نتائج مزرعة بالنسبة للوضع الحرج الذي احاط باقتصادها
ألمانيا
نتيجة لحركة التصنيع الآلي ولضخامة رؤوس الاموال التي وُظفت بفوائد
عالية ، ولا سيما بالنسبة لتابعيتها ولتعويلها ، الى حد كبير ، على الاستثمارات الاجنبية الضخمة
التي بوشربها منذ عام ١٩٢٥ . وهذا التوازن الضعيف الذي حققته لم يلبث ان هوى عندما
هبطت الاسعار العالمية وعندما جعلت الآزمة الناشئة من الصعب جداً ، على الصناعة الألمانية ،
الحصول على اعتمادات تسليف جديدة سواء من خزانة الدولة او من اسواقها المعروفة .

فالانتاج الصناعي المبني على دليل ١٠٠ لعام ١٩٢٩ ، هبط من ١٠٧ ، عام ١٩٢٩ الى
٥٨,٥٪ في آب ١٩٣٢ ، كما هبط انتاج الفحم من ١٦٣ مليون طن الى ١٠٤ ، والحديد من
١٦ مليون طن الى ٥,٧٠٠,٠٠٠ ، وارتفع عدد العاطلين عن العمل في ألمانيا من ٩٩٤,٠٠٠ الى
٥,٥٧٩,٠٠٠ ، كما هبطت الاجور الى نصف معدلها ، وسجلت الصادرات هبوطاً بلغ ٤٥٪ من
قيمتها ، و ٦٢٪ من حجمها ، رغم سياسة الاغراق التي تمشت عليها الحكومة . والتجأ المستشار
بروننغ الى الوسائل التقليدية في معالجة الوضع ، كتخفيض قيمة النقد ، ومراقبة الارصدة
واقطاعات ضخمة في صلب الموازنة ، وهبوط الاسعار ، ورفع نسبة الخصومات وإعادة تنظيم
حركة التسليف وتخفيض اجور العمال ومرتببات الموظفين ، والقضاء رسوم الحماية الجمركية .
فقد حصل في مؤتمر لوزان في حزيران من عام ١٩٣٢ ، على إلغاء تعويضات الحرب . إلا ان
عنف الحركة واحتدامها والاصاب التي مرت بها الطبقات العمالية بعد ان تضرست بالبطالة ،
والتطرف الذي اخذت تنزع اليه ، زاد كثيراً من عدد انصار الحزب الشيوعي الماملين على اثاره
الاضطرابات الاجتماعية . واذا رأت الطبقات الوسطى نفسها مهددة بالحركة البروليتارية ، فلم تر
الطبقات الموجهة واصحاب الصناعة الضخمة لها منجاة وخلاصاً الا في حل فاشي او دكتاتوري .
واذ ذاك قبض الحزب الوطني الاشتراكي في كانون الثاني ١٩٣٣ ، على السلطة في البلاد في وقت
كان فيه التدهور المالي بلغ الحضيض . فالمهم ، في الدرجة الاولى ، اعادة الحركة والنشاط الى
الاقتصاد الوطني عن طريق فتح منافذ واسواق جديدة ، ومحاربة البطالة . لم يكن هنالك ،
في بادئ الامر خطة موضوعة منظمة . فالخطة الرابعة الاولى التي اطلقوا عليها اسم خطة
الخدمة ، لم تكن في الحقيقة سوى سلسلة من الاجراءات المتخذة لمعالجة البطالة في البلاد .
ورضع في خريف ١٩٣٦ الخطة الرابعة ، الثانية المعروفة « بخطة الانتاج » . فرمت الى تأمين
عهد الحكومة المطلقة ، والدكتاتورية تحت سلطة غورنغ الذي طلع بالفكرة ، وهي عبارة عن
ادارة عملاقة جبارة تعمل على تنظيم الوضع الاقتصادي في الاساس . فالدولة هي ، عند الانطلاق
بالخطة ، الزبون الوحيد وستبقى فيما بعد الزبون الرئيسي . وهي المصرف الرئيسي وتحتكر كل
منافذ التجارة الخارجية . فبدون ان تؤمم الاستثمارات الكبرى او ان تديرها بنفسها ، فهي
تتولى ادارة الاقتصاد باعطائها التوجيهات التي تراها لازمة ، وبمراقبتها الاسعار والاجور بعد ان
حددتها ، وبتوجيه الاعتماد وحركة التسليف . ولاول مرة في التاريخ نشهد اقتصاداً رأسمالياً

يخطط له في وقت السلم . وكان من تحالف الحزب مع الرأسمال الضخم ، ان حال دون استعمال الملاج الذي يوسع من نطاق السوق الداخلية بزيادة القوة الشرائية لدى المجتمعات السكانية ، اي رفع المرتبات . ولذا اعتمدت الحكومة سياسة الاشغال الضخمة ولا سيما انشاء شبكة الاتوسارات ، وسياسة التسليح ، وخلق مصلحة « العمل الازامي » ، وتسليف الدولة مالا للزوجين الجديدين ، اذا ما تمهدت الزوجة بالانقطاع عن العمل خارج منزلها ، والى انشاء منظمة نقابية جديدة . فالانتاج استعاد بسرعة قدرته المنتجة . فقد حقق منذ عام ١٩٣٦ ، معدل عام ١٩٢٩ ، وتجاوزه عام ١٩٣٩ بنسبة ٣٣٪ ، وجرى امتصاص البطالة تدريجياً . ففي عام ١٩٣٨ ، لم يبق عاطلاً عن العمل سوى المسنين وغير المؤهلين . . فقد برزت في الطبيعة مصالح الانتاج (المواد الأولية ، والطاقة) ومصالح الاستثمار والتوظيف (البناء) ، فاخذت تنمو وتطرد وتوسع ، بينما ازداد اقتناج المواد الاستهلاكية ١٣٪ عن معدله لعام ١٩٢٨ ، واصبح يفى تقريباً بمحاجات السكان الآخذ عددهم بالازدياد ونفقات التسليح الضخمة الباهظة ، بحيث ان مستوى عيش السكان المدنيين ، بقي كما هو تقريباً دون اي تغيير . وهكذا بفضل حافز الطلب العام ، أصبحت ألمانيا الدولة الوحيدة التي امنت العمل لليد العاملة في البلاد ولجهازها الصناعي الضخم . ومما هو احسن من ذلك وافضل ، افتقار البلاد للعديد من اليد العاملة الكفؤة ، وللمزيد من العمال المزارعين ، وهي ظاهرة برزت منذ عام ١٩٣٥ .

اليابان ارتدت الازمة العالمية في اليابان مظاهر مختلفة تعارضت مع الكثير من المظاهر التي سجلناها لها في البلدان الصناعية الاخرى . فقد كانت الازمة فيها قصيرة واناخت بكلسكلها على القطاع الزراعي الا انها كانت اعجز من ان تحد من نشاطات عدد كبير في قطاعات الصناعة وحركة التصدير . وعلى الاجمال ، فقد كان اثرها ضعيف الوقع على البلاد واصابها من جانبيين معاً : تخفيض في حركة التصدير نتيجة للهبوط الذي اصاب التجارة العالمية ، كما ان هبوط الاسعار ادى الى خراب العاملين في القطاع الزراعي . فقد الحق هبوط « الازدهار الاميركي » ، ضرراً محسوساً في القطاعات الاكثر تعرضاً للتجريح في اقتصادها القومي ، وأدى الى هبوط في سعر الحرير الخام (٥٠٪ عام ١٩٣٠) وفي صادراتها من المنسوجات القطنية (٢٧٪ عام ١٩٣٠) كما ادى الى انهيار عدد كبير من المزارعين وفرض البطالة على عدد من مصانع النسيج والحياكة حيث تعمل الفتيات اليابانيات .

واشتدت الازمة فيها بعد عام ١٩٣١ ، اثر رفع معدل الرسوم الجمركية في الهند وحركة المقاطعة التي برزت في الصين . وجاء اخيراً تخفيض العملة اليابانية في الوقت الذي كان فيه الين تقريباً على سعره لعام ١٩٢٦ فبسداً عالياً بالنسبة للدولار ، مما ادى الى هبوط في الاسعار بلغ معدله ٣٥٪ ، بين نيسان ١٩٢٩ وتشرين الاول ١٩٣١ . وجاء هبوط اسعار الارز ثلثية الاثاني في خراب الفلاحين الذين رأوا انتاجهم يهبط الى ٤٣٪ ، الا ان انكماش الانتاج الصناعي كان ابعد من ان يكون له الاتساع ذاقه والاستمرار ذاته الذي نراه يحل في المنتوجات الزراعية ، فالهبوط لم يتجاوز ٨٪ ، ومنذ عام ١٩٣٧ ، ارتفع الدليل الى فوق ما كانت

عليه عام ١٩٢٩ ، واستمر في تصاعده بحيث بلغ ١٧٣ عام ١٩٣٧ (مع الملاحظة ان ١٠٠ هو دليل عام ١٩٢٩) . وسبب ذلك هو ان حزب ملسيتو الذي عاد الى الحكم في صيف ١٩٢٩ ، سارع الى اعتماد السياسة التقليدية التي كانت دوماً تعتمد تخفيض قيمة العملة ، مما ادى الى اقالته من قبل الجيش الذي تسلم الحكم . وفي عام ١٩٣١ ، عمدت الحكومة العسكرية الى حظر اخراج الذهب من البلاد وتخلت عن قاعدة الذهب ، وخفضت سعر الدين ثلثي قيمته واعتمدت سياسة الانكماش المالي التي قضت بزيادة الاعتمادات الخاصة بالجيش والاسطول . وقد تضاعف دين الحكومة ، بين ١٩٣١-١٩٣٧ ، وارتفعت اسعار الحاجيات بالجملة حتى انها بلغت مستواها لعام ١٩٢٩ ، ودليل اجور العمال الذين يعملون في مصالح الجيش والتسلح ، ارتفعت بين ١٩٣١-١٩٣٦ ، من ٩١ الى ١٤٠ ٪ (باعتبار دليل ١٠٠ الحد الوسط بين ١٩٣١ - ١٩٣٥) ، بينما اسعار المنسوجات القطنية والحريرية بقيت ادنى مما كانت عليه عام ١٩٢٩ ، اما الازدهار فقد كان من نصيب الصناعات الثقيلة والصناعات الحديدية والميكانيكية والكياوية والانشاءات البحرية (عدد العمال العاملين في هذه الصناعات على اختلافها يمثل نسبة لم تلبث ان ارتفعت من ٢٥ الى ٤٠ ٪) في أواخر عام ١٩٣٧ . وفي عام ١٩٢٩ كان عدد العمال العاملين في هذه المصانع ٨٢٥٠٠٠ ، فارتفع عددهم ، عام ١٩٣٧ ، الى ٢٠٢٥٠٠٠٠ ، وساعد على هذا الارتفاع الضائقة التي نزلت في القطاع الزراعي اذ اجبرت عمالاً كثيرين على النزوح من الريف الى المدن بحثاً لهم عن عمل . وارتفع انتاج الفولاذ الخام من ٢٥٠٠٠٠٠ طن عام ١٩٢٩ ، الى ٥٠٥٠٠٠٠٠ طن عام ١٩٣٦ ، كما تضاعف انتاج البلاد من الحديد ، وازداد كذلك انتاجها من الفحم الى اكثر من الثلث . والحزب العسكري الذي يتولى الحكم في البلاد ويوسع من نطاق سلطته على الحكومة بعد المصيان الذي وقع في شباط ١٩٣٦ ، تابع بنشاط محرم ، تصنيع منشوريا كما واصل تأييد قتلغل الجيش في الصين ، حيث عادت الحرب المكشوفة الى الظهور عام ١٩٣٧ . وفي اليابان ، كما في المانيا وفي ايطاليا ، نحن امام اقتصاد موجه للحرب ، فيخفض المشروعات والاستثمارات الخاصة للاعتبارات الاستراتيجية ، ويوسع ، يوماً بعد يوم ، من اشراف الحكومة على حركة القطع وعلى التجارة الخارجية وحركة التسليف بعد ان وُجّهت نحو الصناعات الحربية ، ونحو الاستهلاك والاسعار والمبيعات .

فاليابان هي الدولة الاستعمارية الوحيدة التي تشجع التصنيع في مستعمراتها في الخارج بتأمين التنسيق التام مع صناعاتها . وبما لا شك فيه قط ان الاقتصاد الحربي الذي كان الدواء الناجع للأزمة في الوقت الذي بقيت فيه القطاعات الاقتصادية الاخرى تحت الضغط ، حتى اقتصاد الولايات المتحدة الاميركية نفسها ، تحيطه اليابان بمعنايتها الكبرى وتوسع من نطاق اقتصادها ، مما ادى الى تسجيل ارتفاع محبوس في الدخل القومي . وقد عملت التجارة دوماً على سد العجز في الميزان التجاري ، عن طريق الخدمات المتنوعة ، والأسطول التجاري الذي ارتفع حجمه الى ٤٠٥٠٠٠٠٠ متر مكعب ، اصبح الآن الاسطول

الثالث في العالم . والاستثمارات الضخمة التي قامت بها الدولة والقطاع الخاص ، لم تتوقف سوى فترة قصيرة ، واستمرت في ارتفاعها كما ارتفعت طلبات السلطات العامة .

ان تدابير الحماية التي لجأت اليها كل الدول وتسبحت بها ،
البلدان ذات الاقتصاد الزراعي
وتطور الانتاج الزراعي في كل من انكلترا والمانيا وايطاليا ،
ادخل الخلل والبلبل على السوق الدولية ، وتسبب بانخفاض هام في المشتريات لدى الدول
المصدرة لها ، كما تسبب ، بالمقابل ، بانخفاض في شراء المنتجات المصنوعة في البلدان المعروفة
باقتصادها الزراعي ، اذ كانت عاجزة عن مواجهة اثمانها . واخذت هذه البلدان تشعر اكثر
من كل وقت مضى بتابعيتها ، وتتألم من فقدان المنتجات المصنوعة . ولذا راحت تقبل على
التصنيع بهمة ونشاط . فقد تمكنت بما لديها من اعتمادات فادحة ، وبواسطة مقايضة انتاجها ،
عملاً بسياسة المقايضات التي دشنتها المانيا ، وتوفر يد عاملة رخيصة في البلاد ، ان تستدرج
رؤوس الاموال . كل هذه العناصر وما اليها اتاحت لها تأمين الاجهزة والابتهدة الآلية التي
تساعد على خلق الصناعة فيها . وهكذا راحت المانيا تطور صناعاتها الغذائية كما تطور
صناعة تركيب الآليات واجهزة الراديو بعد ان فرضت رسوماً جمركية عالية على الاجهزة
الجاهزة التركيب . وفي عام ١٩٤٠ ، كان باستطاعتها تقريباً ان تكفي نفسها بنفسها في عدد
كبير من المصنوعات المشغولة . واخذت الشيلي في تنظيم صناعاتها ، سعياً منها وراء مزاحة
الثروات الصناعية ، وتطور اجهزتها وعتادها في سبيل تطوير الطاقة الكهربائية المائية ، بواسطة
اعتمادات حصلت عليها من بنك التصدير والواردات في واشنطن ، قدمها لشركة التصدير
الشيلية التي تأسست عام ١٩٣٩ . وفي الهند وتركيا والبرازيل ، حققت صناعة النسيج
تطورات عظيمة وبذلت مثل هذا الجهود ، كل من بلدان أوروبا الوسطى وأوروبا الشرقية ،
كما سجل تقدم محسوس في كل من رومانيا واليونان ، وبولونيا وهنغاريا . ففي كل بلدان
أوروبا أو البلدان الواقعة وراء أوروبا ، جاء الاقبال على شراء الآليات الجاهزة خلال هامي
١٩٣٧ و ١٩٣٨ ، دليلاً قاطعاً على هذا العزم الصادق في النهوض بسياسة التصنيع ، وتوفير
القوى المحركة ، وتأمين اسس الاستقلال الاقتصادي الذي ادى في بعض الدول الى الدكتاتورية
الفعلية .

وقد جاءت النتائج بليغة في لغتها . فالبلدان التي لا يزال لها انتاج مرتفع نسبياً خلال الازمة
والتي زادت نسبتها نسبة عام ١٩٢٩ ، هي هذه الدول الزراعية التي اعتصمت بسياسة التصنيع .
فالارقام البيانية او القياسية لصناعة النسيج عام ١٩٣٧ ، هذا النموذج بالذات لانتاج الحاجيات
الاستهلاكية ، بلغ ٢١٦ في ليتوانيا و ٢٠٥ في الشيلي و ١٧٦ في فنلندا و ١٦٣ في السويد ، ١٥٤
في النرويج (مع العلم ان ١٠٠ هو الرقم البياني لعام ١٩٢٩) .

٢ - الوضع الاقتصادي بين ١٩٣٧ - ١٩٣٩

جاءت نتائج هذه الجهود غير متكافئة ، كما رأينا بالنسبة لجميع
البلدان ، باستثناء فرنسا . فالازمة التي ظهرت عام ١٩٢٩ ،
اخذت تحتدم وتشتد حتى عام ١٩٣٢ ، ثم طرأ بعض التحسن على الوضع العام ، مع بعض
التقلبات ، تتسع او تضيق في بعض البلدان ، وبعض الارتكاسات هنا وهناك قتباًين شدة
وحدة . وفي عام ١٩٣٦ ، امكن تسجيل المعدل الذي كان عليه الانتاج عام ١٩١٣ والعودة الى
النشاط المألوف ، هاد سيرته الاولى ، والتوازن بين مختلف قطاعات الانتاج من جهة ، وبين
الاسعار بعضها ببعض يتضح اكثر فاكثراً كما ازداد استهلاك البضائع المختزنة ، وخفت حدة
البطالة كثيراً كما تحسنت كثيراً اوضاع العمال . الا ان المصانع لا تعطي سوى ثلثي طاقتها ،
أشباعاً منها لحاجات السوق المحلية . واخذت ترتفع منذ عام ١٩٣٣ ، اسعار الخامات التي
اشتد حولها الطلب ، وازداد حجم التجارة العالمية . وارتفعت منذ مطلع عام ١٩٣٥ قيمتها على
اساس قاعدة الذهب ، الا انها بقيت ٢٠ ٪ دون قيمتها عام ١٩١٣ . فتجارة الحاجيات المشغولة
كانت اقل تقدماً من جهة الوزن ، نتيجة محتومة لظاهرة التصنيع في البلدان الجديدة ، وامور
التغذية التي كانت اقل تطوراً من حيث قيمتها من جراء سياسة الاكتفاء الذاتي التي سارت عليها
البلدان الكبرى الصناعية .

والتوازن بدأ يقع بين طاقتي الشراء المتممة الواحدة للآخرى : طاقة البلدان الزراعية
وطاقة البلدان الصناعية . والعودة الى الوضع الطبيعي بدت ظاهرة واضحة لاسباب تقدمية كما
هي الحال في بعض البلدان : كاليابان والبلدان السكندنافية والشيلى وبريطانيا العظمى . وقد
بدت هذه العودة ظاهرة واضحة ، ولو اقل اتساعاً ، في كل من المانيا وايطاليا بدافع من
الانشاءات العامة فيها ومقتضيات التسليح ، كما جاءت ضعيفة جداً او لا اثر لها للبتة في بعض
البلدان كفرنسا حيث لعبت اسباب مقاومة الانكماش المالي دوراً كبيراً ولمدة
طويلة .

وللخروج من هذه الضائقة استعملت المحاولات والوسائل والذرائع ذاتها وان تباينت حماسة
واسلوباً بين بلد وآخر ، ولا تزال الافكار تتضارب الآن حول انجع هذه الوسائل التي حملت
معها عوامل التحسين وامثلها . فهل يعود لعمري فضل الابلال من هذه الضائقة للولايات المتحدة
بعد الاجراءات التي اتخذتها وأدت الى تخفيض قيمة الدولار ، أو الى سياسة الانشاءات الكبرى
والتدابير العديدة الرامية لرفع القوة الشرائية لدى الجماهير الشعبية ، بعد ان ضحت الدول
بسخاء بهذه المبالغ الضخمة ؟ والعودة باسعار المواد الزراعية ، بين ١٩٣٣ - ١٩٣٥ هل يجب
رده يا ترى ، الى تخفيض قيمة الدولار او الى سياسة التقليل من المحاصيل والحد من الانتاج
التي فرضتها الدولة وساهمت الاحوال الجوية على تحقيقها ؟ وهذا الازدهار النسبي الذي نعمت

به انكلترا بين ١٩٣٥ - ١٩٣٧، هل جاء نتيجة تخفيض قيمة الجنيه الانكليزي او العودة بالبلاد الى نظام الحماية الجمركية ؟ وما عسى ان يكون على العموم ، من التأثير الذي أحدثه هذا العامل المضاد لطبيعة الاقتصاد الذي يتمثل في التسليح ؟

ولكن هذا التحسن الطارئ لم تتوفر له عناصر البقاء والاستمرار اذ النكسة والتسلح قد ظهر في اواسط عام ١٩٣٧ ، لا سيما في نطاق الصناعات التي تعمل على توفير الحاجيات الانتاجية ، عوارض انكفاء وتقهر الى الوراء ، يمكن مقارنتها بالعوارض التي بدت عام ١٩٢٩ - ١٩٣٠ . ففي اوروبا ، حيث تمثل نفقات التسليح جانباً هاماً من موازنات دولها ، فالنكسة فيها هي اقل عمقاً منها في البلدان التي لم تندفع نحو سياسة التسليح هذه ، كالولايات المتحدة الاميركية والدول الصغرى في اوروبا ، وكندا حيث لا تمثل اقتصاديات الحرب سوى جانب ضئيل من اقتصاديات البلاد . فالنشاط الاقتصادي في الولايات المتحدة هبط ٣٧ ٪ بالنسبة لما كان عليه عام ١٩٢٩ ، وتجاوز عدد العاطلين عن العمل فيها ، عام ١٩٣٨ ، عشرة ملايين عامل ، والعودة الى اتفاق مبالغ ضخمة على الانشاءات العامة فشل في احداث اي تحسن في الوضع الاقتصادي ، اذ ان عدد العمال العاطلين عن العمل ، عام ١٩٣٩ ، يزيد على تسعة ملايين عامل . فالحرب وحدها هي التي « صفت » الازمة ، اذ اقتضت استيعاب اليد العاملة بأسرها . فمنذ عام ١٩٣٧ ، اصبح التسليح الذي لم يكن الى ذلك الحين سوى حافز بسيط من الحوافز الاقتصادية بدا وكأنه السوق الكبرى لاستيعاب الانتاج الصناعي بحيث اصبح « العماد الوحيد » لمعظم البلدان الصناعية الكبرى . والامر واضح جلي في نشاط معظم البلدان الاوروبية التي لم تفرق بعد في التسليح ، كبريطانيا العظمى مثلاً ، حيث النشاطات الاكثر ازدهاراً هي التي تتمثل في صناعة بناء السفن ، وصناعة المحركات والطيران بينما احتدمت البطالة في صناعة النسيج واستخراج الفحم . والدور الرئيسي الذي تلعبه حاجات الجيش ومقتضيات التسليح ، أكفكم يبرز واضحاً في تصريح لوزير الدفاع البريطاني الذي صرح عام ١٩٣٧ بان انكلترا لن تعرف ازمة جديدة قبل خمس سنوات . وسعر الخامات مرتبط بحاجات الدفاع . وفي سنة ١٩٣٨ ، انخفضت اسعار الحبوب واسعار لحم الفم والمنسوجات والكاكاو ، بينما ارتفعت اسعار المعادن على اختلافها .

فالتسلح هو وحده وراء ازدهار انتاج المواد الأولية . الا ان هذا الانتاج كانتاج المواد الزراعية يصعب ضبطه والتخطيط له ، بحيث ان المخزون الدولي اخذ منذ عام ١٩٣٨ ، يتضخم بصورة لا تخلو قط من الخطر . ففي هذا التاريخ بالذات كان مخزون المطاط يزيد ٥٢ ٪ على مخزون عام ١٩٢٩ ، كما ان مخزون الصوف زاد ٦٥ ٪ والحرير الخام زاد ٢٣ ٪ والنحاس الخام زاد مخزونه ٤٥ ٪ ، وزاد ٢٢٧ ٪ مخزون النحاس المكرر . فمخزون القصدير وحده كان دون مستوى عام ١٩٢٩ ، ومخزون القطن هو اعلى بكثير من مخزون اسوأ سنة من سنوات الازمة المالية ، بينما مخزون القمح بلغ ٣٢ مليون طن ، مقابل ٢٩ في عام ١٩٢٩ . فهو ضعف

التصدير العالمي المتوقع . وقد اشترت جانباً من هذا المخزون الحكومات السقي منها ان تنشئ
عندها احتياطياً للحرب ، الا ان تراكم هذا المخزون لم يكن سوى ذريعة ، لم يكتب لها النجاح
دائماً . فقد افادت في تفادي سقوط مفاجيء للأسعار بعض الوقت .

الاقتصاد العالمي والقلق الذي يمانيه
فالنقاهة كانت قصيرة الامد وسريعة العطب . فالاضطرابات
الداخلية التي اقامت بعض البلدان واقدمتها انقطعت
باستثناء فرنسا . الا ان خطر تأزم الوضع السياسي الدولي ازداد تفاقماً . ولذا لم تعد المبادلات
الدولية الى سابق نشاطها المعهود . فنذ ادنى نقطة وصلت اليها الازمة عام ١٩٣٢ ، ازداد
الانتاج بصورة ملحوظة في جميع المجالات ، الا ان الاستهلاك لم يرسم مثل هذا الخط السوي .
فالطلب بقي دون العرض بكثير ، مع ان مستوى العيش لدى غالبية السكان في العالم ، كان
دون مستواه ، عام ١٩٢٩ ، كما ان تراكم المخزون بعد ذلك بعشر سنين بقي في مستودعاته
ليس من يشتره في البلدان التي كانت من قبل في عداد الدول المصدرة له .

وهكذا استمرت البطالة من جراء تضخم اليد العاملة بطولوع اجيال جديدة من العمال ،
ولدت قبل عام ١٩١٤ وبعد الحرب ، في إثر عقلنة الصناعة ومكننة الزراعة ، وفي اعقاب
هذه السياسة التي أدت الى الإقلال من اليد العاملة الى اقصى حد في وسائل الانتاج ومعداته ،
كما جاء هذا الاستمرار نتيجة حتمية لمجود اوركود قسم من الاجهزة المنتجة . فاذا ما كان
٢١ و١٪ من العمال لا يزالون بدون عمل ، عام ١٩٣٢ ، فالنسبة بقيت عالية جداً عام ١٩٣٨ ،
اذ كانت ١١ و٤٪ . وهكذا نرى انه بالرغم من عودة جانب كبير من العمال الى العمل ، فعدد
الماطلين عن العمل بقي عام ١٩٣٧ ، اعلى منه في عام ١٩٢٩ . وهكذا يمكن لنا ان
نساءل ما اذا كانت النظام الاقتصادي اصبح الآن عاجزاً عن تأمين العمل لكل العمال الذين
يستطيعونه .

الاقبال على الاتفاقات الثنائية
كثيراً ما عمدت الدول الى عقد اتفاقات ثنائية قصيرة الأجل ،
غالباً بشكل مقايضات ، لتأمين ما تحتاج اليه من محاصيل وغلل
لا تنتج مثلها . فقد حل محل المبادلات المتعددة الجوانب التي ألفها الانسان من قبل طريقة
المبادلات الثنائية ، فاقترنت المبادلات مع الخارج على مقايضة المواد المنتجة اقليمياً او محلياً .
ففي الوقت الذي كانت فيه الدول الاستعمارية كبريطانيا وفرنسا مثلاً توطدان علاقاتها
بمستعمراتها ، راحت الدول التي لا مستعمرات لها في الخارج ، كالمانيا مثلاً تحاول ان تلتشىء لها
مجالاً حيويّاً تعتمد في توسيع حلقة امتيازها من أوروبا الوسطى واميركا اللاتينية ، بينما راحت
الدول الثانوية تلتشىء فيما بينها تيارات من المبادلات لتتناول المحاصيل الاضافية . فاستيراد
بريطانيا من مستعمراتها ارتفع بين ١٩٢٩ و ١٩٣٧ من ٢٩ و٤٪ الى ٣٩ و٤٪ كما ان صادراتها الى
مختلف مستعمراتها ارتفعت في المدة ذاتها من ٤١ و٤٪ الى ٤٤ و٣٪ . اما فرنسا فالارقام

النسبية هي ١٣ و ١٧٪ (بين ١٩٢٨ - ١٩٣٨) في ما يتعلق بالاستيراد و ١٨ - ٢٧٪ للصادرات . وهكذا نرى العالم متجزئاً او متوزعاً بين كتل شبه موحدة بعضها بوجه البعض . كتلة الاسترليني وكتلة الدين والكتلة الالمانية ، وضمن هذه الكتل تشتد روابط التبادل التجاري وتقوى . فقد انهارت القواعد التي قامت عليها المبادلات المتعددة الجوانب كما زال عهدا وانقطع .

فحركة المحسار اوروبا وانكفائها التي ابتدأت في اعقاب الحرب اخذت
انحسار اوروبا تشتد وتقوى . فقبل عام ١٩٢٠ ، لم يكن هذا الانحسار سوى حركة نسبية . فاوروبا تتطور بسرعة اقل من السرعة التي يتطور فيها باقي اقسام العالم . اما الآن فهناك المحسار قائم في عدد من القطاعات الاقتصادية . فنصيب اوروبا من هذا من الاقتصاد العالمي لم يعد ليتجاوز ، عام ١٩٣٧ ، ٣٩,٥٪ . فقد انخفض فيها انتاجها لمادتي الحرير الخام والصوف ، مع ان هذا الانتاج يزداد ويتضخم في جميع انحاء العالم ، بينما بقي انتاجها للفحم الحجري على معدله المعروف . وفي الصناعات الحديدية ، لم تعد اوروبا لتنتج سوى ٤٢,٥٪ من مجموع انتاج الصلب في العالم ، (مقابل ٥١٪ في عام ١٩١٣) ، و ٤٠,٩٪ من الفولاذ او الصلب ، مقابل ٥٠,٧٪ في عام ١٩١٣ ، ونصيبها من الالومينيوم تناقص كما تناقص كذلك انتاجها من النحاس المعد للصلب (١٠,٥٪ ، مقابل ١٤,٦٪) .

واستئناف العلاقات الخارجية في العالم بين ١٩٣٢ - ١٩٣٧ ، يجب رده الى القارات الاخرى اكثر من رده الى اوروبا .

والتجارة الاوروبية لم تعد تمثل ، في سنة ١٩٣٧ ، سوى ٤٥٪ من مجموع التجارة العالمية لعام ١٩٤٩ ، والنكسة التي وقعت عام ١٩٣٨ جعلت هذا المعدل يهبط الى ٤٠٪ . ولهذا كانت حركة الجزر هذه حركة مطلقة تم عن حرج الوضع بعد ان شال هبوط الصادرات على الواردات .

وهذا لا يعني قط المزيد من الاستقلال لاوروبا في المجال الاقتصادي ، بل انما يعني المزاحة الشديدة التي تلقاها تجارتها ومصنوعاتها في الاسواق العالمية . فلا عجب والحالة هذه ان يقع ميزان مدفوعاتها في عجز متصاعد . فبعد ان توقف دفع الفوائد والارباح ، تناقص ربح الاستثمارات الموظفة في الخارج ، كما ان اجور الشحن هبطت هي الاخرى من جراء التناقص التدريجي في حولة الاساطيل التجارية في اوروبا بعد ان تضاعف اسطول اميركا التجاري ، وزادت طاقة الاسطول الياباني ثلاثة اضعاف ، منذ عام ١٩١٣ ، وتناقص حجم التجارة العالمية عن معدله عام ١٩١٣ .

وهكذا نرى ان الازمة سددت ضربات قاصمة لمركز اوروبا . فبعد ان اقصيت خلال الحرب من اسواقها المعروفة لصادراتها ، فقد عجزت عن ان تستعيد كل الاسواق التي فقدتها كما ان الازمة الاقتصادية كالت لها ضربة جديدة انزلتها بدونها في الخارج . والى هذا يجب ان

نضيف التراجع الذي لحق بإنتاج الفحم فيها أمام سيطرة البترول النامية الذي كانت أميركا وآسيا أكبر منتجين له . وازدهار صناعة المعادن غير الحديدية التي كانت أوروبا تفتقر إليها (باستثناء الألومنيوم) ، وأخيراً وليس آخراً الخسارة المالية التي لحقت أوروبا في تصفية الحرب والخروج منها ، والاستعداد للحرب القادمة ، ابتداء من سنة ١٩٣٣ . أضف إلى ذلك بهيمنة الدين العام والضرائب التي ضخمت أسعار المنتجات ، في وقت كان فيه جانب كبير من الأجهزة الصناعية والعتاد التقني عندهما يعمل للتسلح بدلاً من أن يعمل للتصدير .

نضايًا الخامات والأسواق التجارية لم يعد البحث عن الخامات والأسواق وقفًا على الأفراد والخاصة من أرباب الصناعة والتجارة ، يسعون كل من جانبيه لما فيه نفعه ومصلحته بل آل الأمر إلى مؤسسات متكئة وإلى حكومات اضطرت أمام افتقارها إلى عملة دولية ثابتة وإلى انعدام وسائل الإبراء التقليدية ، أن تبحث لها عن مناطق تموين تكون منسرباً لتجارها النامية ومنفذاً لها . هذا هو بالذات الوضع الذي تشجعه كلمة مأثورة لموسوليني عندما يميز بين « دول بروليتارية ودول بلوتوقراطية » (ثرية) ، كبريطانيا وفرنسا وبلجيكا والبلاد الواطية التي تعمل بنسبة جماعات عام ١٩٣٦ ، في انكاثر ٤٨،٥٪ من المواد الغذائية ، و ٣٨ بالمائة من الخامات الضرورية لها ، وفي فرنسا ، عام ١٩٣٧ بمعدل ١٨ بالمائة و ١٢ بالمائة وفي بلجيكا والبلاد الواطية مقادير كبيرة من الربح والتقد المالي . وبين الدول الأخرى « الراضية » الولايات المتحدة الأميركية والاتحاد السوفياتي اللذين يملكان في أراضيها الشاسعة ، مع كثافة ضئيلة من السكان نسبياً ، كل ما يحتاجان إليه من الخامات تقريباً ، بينما الأولى منها هي أكبر منتج للمواد الأولية في العالم .

وبين الدول الراضية أو غير القائمة تأتي اليابان ، مع أنها تملك امبراطورية استعمارية واسعة ، وقد وجدت في منشوكو وفي الصين الداخلتين في مداها الاقتصادي الحيوي ، الفحم والقليل من البترول وفول الصويا والقمح . إلا أن كل المستعمرات اليابانية لم تكن تعطي اليابان سوى ١ - ٢ من مجموع ما تستهلكه ، و ١/١٠ استيرادها كانت تؤمنه من الهند (٤،٢ بالمائة) ومن الولايات المتحدة الأميركية (٩،٦ بالمائة) . أما إيطاليا ، فقد كان عليها أن تواجه ، أسوة باليابان ، المشكلات التي فرضتها عوامل نموها الديموغرافي وجهودها لتصنيع البلاد ، فالنضال في سبيل القمح لم يوفر لها سوى نتائج متقطعة وضعيفة . ان جذب المواسم سنة ١٩٣٦ اضطرها لاستيراد ربع حاجتها للمواد الاستهلاكية لعام ١٩٣٧ كما أن مواردها من اللحم والزبدة لم تكن تسد حاجتها ، وكذلك الفسبيج (باستثناء القنب والحرير) ، والمنتجات الصناعية (باستثناء البوكسيت والكبريت) . ان اشرافها على آبار البترول في البانيا وتقوية استثمارها لمواردها الطبيعية ، والسياسة الجماعية التي اعتمدتها ، كل ذلك لم يوفر لإيطاليا سوى استقلال نسبي . ففي عام ١٩٣٧ ، كان استيرادها للمواد الأولية يؤلف ٤٥ بالمائة من مجموع استيرادها ، كما أن

استيراد المنتوجات نصف الجاهزة مثل ٢٠ بالمائة ، ومساهمة الامبراطورية الاستعمارية التي أنشأتها من عهد قريب لم يكن بوسعها قط أن يحررها من هذا العبء .

وتأتي ألمانيا في طليعة الدول « غير القابضة » أو غير الراضية . ان اتجاه البلاد نحو الدكتاتورية والتنظيم الشديد الشكينة ، للاستهلاك ، استطاعا أن يؤمنا لها ، منذ عام ١٩٣٧ ، أن تكفي نفسها بنفسها تقريباً من الوجبة الغذائية . وفي مجال الخامات ، هي أوفر حظاً من إيطاليا ومن اليابان . فهي من كبار البلدان المنتجة للفحم والبوتاس واللينيت والملح ، وفيها من المنغنيز ما يفي ، الى حد كبير ، بحاجاتها (٦٠ بالمائة) ، والرصاص ٣٢ بالمائة ، والخشب والغرافيت ٧١ بالمائة ، فهي مضطرة لاستيراد $\frac{1}{8}$ حاجتها من النحاس وثلثي حاجتها من الحديد . واستطاعت صناعتها الكيماوية أن تؤمن لها بديلاً (عن البترول) بهدرجة الفحم الحجري واللينيت . ومع انها ضمت اليها عام ١٩٣٨ كلا من النمسا ومقاطعة السوديت اللتين أمنتا لها جانباً من حاجتها للمواد الغذائية وبعض الخامات الاخرى ، فقد زادت ، مع ذلك ، من مواردها كما زادت من المعجز الذي تعاني منه . واضطرارها للخامات ، ريثما يتم تنظيم صناعاتها وتأمين التنسيق فيما بينهما وبين صناعات الرايخ ، ووضع خطة كاملة في هذا الصدد .

وهناك دول أخرى اعتبرت نفسها غير راضية وإن لم تبد اعتراضات رسمية في هذا الشأن ، وكانت هي الاخرى قلقة جداً لافتقارها للخامات . كان هذا هو بالفعل وضع بولونيا التي كان عليها أن تستورد القطن والأصواف والخرصوات والجلود الخام والنحاس ، بما كان يؤلف معاً ثلث استيرادها عام ١٩٣٧ ، في الحين الذي اشتد فيه الضغط الديموغرافي . وفي مثل هذا الوضع تقريباً تسكمت البرازيل ورسفت ، اذ بالرغم مما لديها من موارد احتياطية ضخمة ، كان عليها أن تفندي صناعاتها التحويلية باستيرادها المستمر للفحم والبترول بينما تفتقر اصلاً للفحم .

في وسط هذا النقاش والجدل الذي قام حول الخامات ، كانت الدول غير القابضة تتعطل قبل كل شيء فيما تتعطل به من حجاج ، افتقارها لوسائل الدفع . « ان ألمانيا تحتاج لمواد أولية تدفع ثمنها بالمارك الألماني » كان يردد أحد خبراءها في علم الاقتصاد ، هو الدكتور شاخنت ، منذ ١٩٢٦ ، وان « ألمانيا لا تستطيع حل المشكلة إلا بإنتاجها هي نفسها للمواد الأولية الضرورية لاستهلاكها ، على أرضها وفي دارها بالذات » ، هذا هو السبب بعينه الذي يحدد بالدول المقتصرة للخامات ، المطالبة بإعادة توزيع المستعمرات توزيعاً عادلاً . وهذا لا يعني قط أن المستعمرات التي لم تكن تعطي مجتمعة سوى ٣ بالمائة من مجموع الخامات ، كان باستطاعتها أن تفي بحاجات دولة واحدة من الدول غير الراضية ، إنما إعادة توزيع المستعمرات قد يكون فيه حل للقضية العملات الصعبة أو النقد النادر .

وقضية الخامات المرتبطة بتوزيع المستعمرات التي تطالب بها كل من ألمانيا وإيطاليا واليابان

ويولونيا ، قرتبط بسبب وثيق بقضية الاسواق التجارية . كل هذه البلدان ترى نفسها مرتبطة باسواق اجنبية في كل ما يتصل بتموينها بالمواد الاولية وبتصريف انتاجها أيضاً . ان توسع صادرات اليابان بواسطة سياسة الاغراق التجاري التي سارت عليها مثلاً في منسوجاتها ، مكنتها من تصريفها بأسعار تقل من ٤٠-٧٠ ٪ عن أسعار المنسوجات الأوروبية ، الامر الذي حمل الدول الاخرى على فرض رسوم حماية عالية والاخذ بسياسة التقنية والاجسازة المسبقة . ففي دول كالمانيا وايطاليا مثلاً تستطيعان الحسد من نتائج سياسة الاغراق التجاري والوقوف في وجهها بصورة فعالة ، فالاسواق الخارجية لم تكن تصلح سوقاً للتنفيذ الا باعتماد اساليب ووسائل نقدية معقدة ، او بواسطة عقود واتفاقات ثنائية تلبسط في وضعها من قبل . ولعل ابسط الحلول واقربها منالاً كان ولا شك الحصول على اراض جديدة . وهذا ما حمل اليابان على التطلع نحو الصين بقصد بسط سيطرتها وفرض الحكر على اسواقها الضخمة . وحاولت المانيا من جهتها ايجاد منطقة نفوذ اقتصادي وسياسي لها في اوروبا الجنوبية والشرقية ، وفي امريكا اللاتينية كما راحت ايطاليا من جهتها تنشئ لها مثل هذا المدى الحيوي في اوروبا الوسطى وفي البلقان ، وفي الشرق الادنى .

النتيجة وهكذا نرى كيف ان الازمة دفعت بالعالم نحو « اقتصاد معقد » جاء حركة عكسية ضد النظام القائم على التوزيع الدولي للعمل وعلى حرية التبادل التجاري . ولذا رأى ان يوجه اقتصاده القومي نحو الاستقلال الذاتي . فنظرية الاقتصاد القومي والرغبة في تأمين الاستقلال السياسي ، والحاجة الشديدة الى القطع النادر والعملات الصعبة والاستعداد لحرب جديدة وشبكة الوقوع ، كل هذه العوامل مجتمعة ، تضافرت معاً لتعجيل عملية مكننة الدول التي لم تتمكن بعد ولم تتصنع ، وعلى حمل الدول الاخرى لتحقيق استقلالها الذاتي في كل ما يتعلق بأمور التموين والتجهيز بالمواد الغذائية والحامات . فكل الذرائع والاساليب التي استخدمت في هذا السبيل ادت الى عزل الدول او مجموعات الدول ، كما ادت بالتالي الى انكفاء ذريع في الحركة التجارية العالمية . وبدلاً من عقد الصفقات الحرة بين الشاري والبائع ، وخلافاً لناموس العرض والطلب ، اخذت المقايضات تلعب دوراً هاماً في هذا المجال . فالحكومات هي التي تتفاوض وتساوم بعضها مع بعض ، فحلت بذلك محل الخاصة والافراط ، وفرضت عليهم ارادتها ووجوب التقيد برغبتها العليا ، حتى ان البعض من هذه الدول عمدت الى سياسة الاحتكار الشامل او الجزئي للتجارة الخارجية . وعلى كل حال ، ففي عام ١٩٢٩ الذي اندلعت فيه شرارة الحرب العالمية الثانية ، لم تكن الازمة الاقتصادية انقضت غيمتها وارتفعت كربتتها بعد ، ولا يزال العالم يرى قسماً من عتاده واجهزته جامداً لا يعمل ولا يتحرك ، كما يرى الملايين من العمال العاطلين عن العمل يتعذر بل يستحيل دمجهم في دوامة الانتاج . فهم يؤلفون بالفعل جيشاً قائماً وليس جيشاً احتياطياً من العاطلين عن العمل . فالبنيان الاقتصادي العالمي مخلع ، مقعد ، اكثر من اي وقت مضى .

الفصل الرابع

الأزمة

ونتائجها الفكرية والاجتماعية

نحن في وقت تنتصب فيه بوجوازية فولتريانية تقليدية
مستمكة بفلسفة « الاقوار » ، لتدافع عن المواقف التي
تحتلها ضد مبادئ حداثةها . فاذا بها تنقلب فجأة لتقف
الى جانب الذين يعارضون التقليد بحرية الضمير وبحلوت
المذهب الفلسفي محل التحليل الموضح ، والشك محل
اليقين .

ر. م. ألبيريس

١ - نتائج الديموغرافيا

ان الامة التي ارتدت الى الازمة وطول مداها واتساع البطالة وازدياد مشكلات
السكان الحياة تعقيدا وابهاما ، كل هذه الامور بعثت في النفوس النزعات القديمة التي
تقول بنكوص او تقهر معدل المواليد ، بينما فقر التغذية بين اولاد العاطلين عن العمل كان
عاملا في تأخر نموهم وتكاملهم كما كان من العوامل التي زادت من نسبة الوفيات . ففقود
الزواج (باستثناء فرنسا) لم يبط معدلها الا قليلا ولمدة وجيزة ، مع ان « الاجيال العجاف »
التي ولدت خلال الحرب ١٩١٤-١٩١٨ ، بلغت سن الزواج ، كما ان معدل المواليد تناقص
في البلدان الصناعية شأنه في البلدان الزراعية .

فتم السكان الذي كان معدله في السنوات العشر الاخيرة من القرن التاسع عشر ١٢ ٪ في
انكلترا لم يعد ، بين ١٩٣٠-١٩٤٠ ، سوى ٤،٥ ٪ . ومبطلت النسبة كذلك في السويد
من ٧ الى ٣،٥ ٪ ، وفي سويسرا من ١٣ الى ٤ بالمائة ، وفي المانيا من ١٤ الى ٩ بالمائة ، وفي
فرنسا من ٢ الى ١ بالمائة . والمعدل الاجمالي للتناسل الذي كان بين ١٩١١-١٩١٤ ، في جميع
بلدان اوروبا الشمالية والغربية ١٤ بالمائة مبط الى ٩،٠ بالمائة عام ١٩٣٣ . والحركة السكانية

لا تحافظ على معدلها او انها لا ترتفع قليلا الا عن طريق انخفاض معدل الوفيات الذي هبط بين ١٩٢٥ - ١٩٣٥ ، من ١٧٤ في الالف ، الى ١٥٧ في الالف في فرنسا ، ومن ١١٩ الى ١١٨ في الالف في ألمانيا ، ومن ١٧١ الى ١١٧ في الالف في انكلترا . والفرق بين المواليد والوفيات اصبح ٢٣٣,٠٠٠ في ألمانيا ، عام ١٩٣٣ و ١٢٢,٠٠٠ في انكلترا ، عام ١٩٣٥ . اما في فرنسا ، فتسجل السنة نفسها عجزاً بلغ ١٨٠,٠٠٠ . ويمكن ان نلاحظ في جميع بلدان أوروبا الشمالية والغربية التي تأثرت اكثر بالأزمة ، منطقة عمر واسعة ، حيث تعجز حركة المواليد عن تعويض السكان باستثناء البلاد الواطية . وهذا المقياس يبرز على اتم في المدن الكبيرة (جنيف ، فيينا ، مونيخ ، فرانكفورت على الماين - ميمبورغ - برلين ، الخ) حيث معدل الانجاب هبط الى ٥ بالمائة .

وفي الولايات المتحدة ، جاءت الازمة بالنتائج ذاتها في الحركة السكانية . فالسكان الذين ازداد عددهم ١٧ مليون نسمة بين ١٩٢٠ - ١٩٣٠ لم يزد عددهم سوى ٨,٨٩٤,٠٠٠ بين ١٩٣٠ - ١٩٤٠ . لمعدل النمو هبط ، والحالة هذه من ١٦,١٪ الى ٧,٢٪ وهو ادنى رقم سجله النمو السكاني في البلاد منذ عام ١٨٨٠ . ولعل سبب ذلك يعود لتقييد حركة الهجرة الى البلاد تقييداً شديداً ، كما ان عدد الذين غادروا البلاد ، زاد ٤٠٠,٠٠٠ فالزيادة ليست ، والحالة هذه ، سوى حيلة فائض المواليد على الوفيات لا غير .

حتى في هذه البلدان المعروفة بنمو السكان وتكاثرهم السريع ، فقد اصبحت الحركة الديموغرافية بالهبوط . ففي بولونيا حيث كان معدل الزيادة يتراوح بين ١٣ و ٢٠ بالالف وفقاً للولايات ، بين ١٩٢٦ - ١٩٣٠ ، إذ بهذا المعدل هبط من ١٤ - ١٠ في الالف بين ١٩٣٣ - ١٩٣٨ . ونمو السكان في اليابان ، بلغ الذروة ، عام ١٩٢٠ ، إذ سجلت الزيادة ٣٦,٢ بالالف . فقد هبطت هذه النسبة الى ٣٠,٨ بالالف عام ١٩٣٨ .

رد الناس في البلدان الليبرالية ظاهرة البطالة الى « تزايد عدد السكان نحو تشجيع الانجاب بحيث بدا لهم ان الحد الأدنى من الأولاد هو خير دواء لتفادي هذا البلاء الوخيم . ولذا رأينا مؤتمر الكنيسة الانكليكانية المعقود في لمبت ، عام ١٩٣٠ يوصي بتحديد النسل . أما الحكومات الدكتاتورية ، التي تهتم كثيراً بالوضع الذي يسببه نقصان النسل في مقبرة البلاد الحربية ، فقد راحت تبذل جهداً طائلاً لعكس الاوضاع ولتأمين زيادة الانجاب والمواليد في البلاد . فنذ عام ١٩٢٧ ، راح موسوليني يدشن « معركة المواليد » . فقد زين للناس ان نفوذ ايطاليا وعظمتها في العالم انما يقومان ، قبل كل شيء ، على نسبة عدد سكانها ، وراح يتخذ بعض الاجراءات والتدابير التي تساعد على نمو السكان وتكاثر الانسال والولدان بين الأسر الإيطالية : كتخفيض الضرائب ، والتسليف بقصد الزواج ، والمخصصات للعائلات الكبيرة ، وتفضيلها على غيرها في التوظيف والسكن ، وتوزيع الاوسمة ، وتخفيض الرسوم على التركات وغير ذلك . وهكذا ارتفع عدد السكان في ايطاليا من ٤١,٢٠٠,٠٠٠ عام ١٩٣٠ .

الى ٤٤,٥٠٠,٠٠٠ في عام ١٩٤١ ، وهي زيادة جاءت اكبر في ايطاليا الجنوبية ، المعروفة بتأخرها وبؤسها الاجتماعي ، منها في ايطاليا الشمالية الشديدة التصنيع والمدينة المدن .
ومنذ ان استولى النازيون على الحكم في المانيا ، اتخذوا على شاكلة ايطاليا والفاشية فيها ، تدابير واجراءات للحد من « الانتحار القومي » ، وللحد من هبوط حركة المواليد في « هذا الشعب الذي لا قتيان ولا احداث عنده » . وهكذا ارتفع معدل المواليد من ١٤٧ في الالف ، عام ١٩٣٣ الى ٢٠٤ في الالف عام ١٩٣٩ .

استمرت الحركة في المدن وان بدت عليها نزعة ملحوسة الى التباطؤ
تباطؤ مركزية المدن والتمهل . فقد حدث في السنوات الاولى من الازمة ، وفي الولايات المتحدة الاميركية واليابان ، على الاخص ، حركة ارتداد بين السكان من المدن الى الريف .
واخذ العاطلون عن العمل يغادرون المدن ليسكنوا مع عائلاتهم وأسرهم في الريف ، واخذ البعض في انكلترا ، اثر استمرار بعض الصناعات التقليدية في تدهورها يتزحون مع أسرهم من هذه « المناطق الموبوءة » بالبطالة في الشمال ومقاطعة بلاد غال ، باتجاه لندن والمنطقة الوسطى حيث تنشط الصناعات الجديدة . وصدر عام ١٩٣٤ في انكلترا قانون بتشجيع تيار الهجرة والنزوح بين العاطلين . ومع ذلك ، فلندن الكبرى التي زادت ٢٧ بالمئة بين ١٩٢١ - ١٩٣١ ، لم يزد معدل نموها سوى ١٩ بالمئة خلال السنوات العشر التالية .

وحركة النزوح والانتقال في داخل الولايات المتحدة تميزت بهجرة الزوج من الولايات الجنوبية نحو الولايات الشمالية ، كما راح السكان العاملون في المرافق الزراعية يتزحون من الوسط نحو الغرب تفادياً للقمح الذي يتعرضون له بعد جذب موسم ١٩٣٤ الذي تضرسوا به .
والاحصاء الذي جرى عام ١٩٤٠ ، اوضح لأول مرة كيف ان معدل نمو السكان في المدن والريف جاء بنسبة واحدة اي في حدود ٧ بالمئة بالمقارنة مع السنوات العشر السابقة حيث كان نمو السكان بمعدل ٢٧,٣ بالمئة في المدن ، و ٤,١ بالمئة في الريف . ومدن الجنوب والغرب هي التي سجلت اعلى نسبة من النمو ، بينما المدن الواقعة الى الشرق بقيت على وضعها او سجل بعضها هبوطاً طفيفاً (فيلادلفيا ٠,٨ بالمئة وكليفلاند ٠,٢ بالمئة) .

فقد استمرت حركة النزوح من الريف الى المدن بالرغم من التدابير والاجراءات التي اتخذتها السلطات المسؤولة للحد منها او للحؤول دونها . وهذا التأكيد لا يصح اطلاقه على الجزر البريطانية فمحب حيث لم يعد سكان الريف يمثلون سوى ٢٠ بالمئة من مجموع السكان ، عام ١٩٣٠ ، بل ايضاً على المانيا وايطاليا . فسكان الريف كانوا يؤلفون ٣٥ بالمئة من مجموع سكان المانيا عام ١٩٢٥ ، فاذا بهذه النسبة تهبط الى ٢٢,٨ بالمئة عام ١٩٣٣ ، والى ١٠,٣ بالمئة عام ١٩٣٩ ، بالرغم من التشريع الذي هدف الى تشجيع الملكية الصغيرة موطداً بذلك العلاقة بين الارض والانسان . فقد انخفض عدد العاملين في الزراعة ، بين ١٩٣٣ - ١٩٣٩ الى ١٠ بالمئة وجاء الهبوط في ايطاليا بمعدل ١٠ بالمئة لا سيما بين العمال المياومين وصغار الملاكين ، مع ان الهجرة حدث منها او منعت تماماً ، من جراء الاجراءات التقليدية التي اتخذتها البلدان التي يتجه

اليها تيار الهجرة او من قبل التشريع الفاشي .

فالحركة لا تقتصر بالطبع على أوروبا . فالبرازيل تشهد تطوراً كبيراً في مدنها الرئيسية كالريو وساو باولو (٦٠ بالمائة) وبلو هوريزنته . والهند شهدت ارتفاعاً كبيراً في سكان مدنها الكبرى . فقد ارتفع عدد سكان هذه المدن من ٤٦ مليوناً الى ٦٢,٣٠٠,٠٠٠ في عام ١٩٤١ كما ارتفع عدد المدن التي يزيد عدد سكان الواحدة منها على ٢٠ ألفاً ، من ٣٧٣ الى ٤٧٤ مدينة ، كما ارتفع عدد المدن التي تجاوز عدد سكان الواحدة منها الـ ١٠٠,٠٠٠ من ٣٦ مدينة الى ٥٧ . وشهدت المدن الكبيرة تطوراً ملحوظاً في امتداد رقعتها السكنية يتراوح بين ٢٠ - ٨٠ بالمائة . فقد تضاعف عدد سكان كوابور خلال عشر سنوات (من ٢٤٣,٠٠٠ - ٤٨٧,٠٠٠ . واحد آباد زادت ٩١ بالمائة وكلكتو ٧٩ بالمائة ، ودكثا ٥٣ بالمائة ، ودلهي ٥٠ بالمائة وكراتشي ٤٥ بالمائة وهلم جرا) . وفي اليابان كان ٤٣ بالمائة من سكان البلاد يقطنون مدناً يزيد عدد سكان الواحدة منها على ١٠٠,٠٠٠ نسمة ، فارتفع هذا العدد ، عام ١٩٤٠ الى ٥٠ بالمائة ، بينما هبط عدد سكان الريف من ٥٤ بالمائة ، عام ١٩٢٠ الى ٤٥ بالمائة عام ١٩٤٠ .

الهجرات
قد تمثل اخطر نتائج الازمة على الأخص في توقف الهجرة بعد ان اخذت حركتها تنبأاً منذ العقد السابق . فقد اقتصر تيار الهجرة ، بين ١٩٢٩ - ١٩٣٩ ، على بضع مئات الألوف من المهاجرين . وبما هو ابلغ من ذلك ، ان عدد النازحين في بعض البلدان يزيد عدد الداخلين اليها ، كالولايات المتحدة مثلاً حيث جاءت نسبة النازحين ، بين ١٩٣٢ - ١٩٣٥ ، تشيل كثيراً على نسبة القادمين اليها . وخلال السنوات العشر الأخيرة ، لم يبلغ عدد القادمين اليها ٣٠ بالمائة من الحصص المحددة رسمياً الا في سنة ١٩٣٩ ، اذ بلغت فيها نسبة القادمين ٤٠ بالمائة من هذه الحصص . وعلة ذلك انه 'طلب من كل طالب هجرة عام ١٩٣١ ان يبرز شهادة تثبت قدرته المالية على العيش فيها دونما عمل ، وهو شرط يرحب بهجرة الاغنياء اليها او قدوم من يستطيعون التمويل على اصدقاء لهم فيها ، وهو قانون اوصد ابواب اغنياء البلدان مورداً واقواها في العالم ، في وجه المعرضين لطغيان النازية واستهدفوا لبطشها . وفي كندا الفيت التشريعات المشربة بالحرية ، وفُرضت عام ١٩٣١ ، قيود قاسية حق على الرعايا البريطانيين ، فالزارعون وحدهم ، باستثناء البريطانيين ، يقبلون دونما شرط . وهكذا ، فعدل المهاجرين الذين كانوا يدخلون البلاد ، بين ١٩٢٠ - ١٩٣٠ ، البالغ ١٢٢,٠٠٠ في السنة هبط الى ٢٧,٠٠٠ عام ١٩٣١ ، والى ١١,٠٠٠ عام ١٩٣٥ ، ليرتفع قليلاً الى ١٧,٠٠٠ عام ١٩٣٨ . وسارت على هذا النمج كل من الأرجنتين والاوروغواي ، واتخذت فيها اجراءات مشابهة . وحاولت البرازيل ، منذ عام ١٩٣٤ ، ان تقف في وجه المهاجرين القادمين من جمهوريات اميركا الوسطى واميركا الشرقية ، واقتصر الدخول اليها على المزارعين دون سواهم . وبجمل القول ، ان المعدل السنوي للمهاجرين في أوروبا بين ١٩٣٥ - ١٩٣٩ هو ادنى من ٥٠,٠٠٠ ، الا ان هذا المعدل عاد وارتفع عام ١٩٣٩ الى ١١٠,٠٠٠ ، يقابله ١,٥٢٧,٠٠٠ عام ١٩١٨ . وفلسطين

وحدها فتحت ابوابها على مصراعيها لتيار قوي موصول من مهاجري اليهود المضطهدين في المانيا . فقد دخلها ٩١,٠٠٠ مهاجر يهودي بين ١٩٣٠ - ١٩٣٤ ، و ٦١,٠٠٠ عام ١٩٣٥ ، بحيث بلغ عدد اليهود فيها ، عام ١٩٤٠ ، الى ٤٧٥,٠٠٠ ، بينما لم يكن عددهم فيها عام ١٩٣٠ سوى ١٦٧,٠٠٠ ، وهو اقصى ما قدرت هذه البلاد استيعابه منهم في تلك الفترة . وبقيت فرنسا الدولة الرئيسية في اوروبا التي تستقبل وفود المهاجرين الا انها وضعت في النهاية حداً لهذا التيار . فقد استقبلت عام ١٩٣٠ ، اكثر من ٢٢٢,٠٠٠ ، كما انها سدت ابوابها في وجه البولونيين .

وقد تأثر بهذه التدابير الزاجرة والاجراءات التقيدية على الأخص ، تلك البلدان التي كانت معيناً لا ينضب للهجرة كبولونيا وايطاليا اللتين الفتا اقوى مراكز الاغتراب في اوروبا . فقد هبط في الاولى معدل النازحين من ١٩٣٠,٠٠٠ بين ١٩٢٦ - ١٩٣٠ ، الى ٤٦,٠٠٠ ، بين ١٩٣١ - ١٩٣٥ ، ثم عساد فارتفع الى ١٢٩,٠٠٠ عام ١٩٣٨ . اما ايطاليا التي نزح منها ٨٧٣,٠٠٠ مهاجر عام ١٩١٣ ، و ٢٠١,٠٠٠ عام ١٩٢١ ، فلم يبارحها ، في الفترة الواقعة بين ١٩٢١ - ١٩٣٠ ، سوى ٥٢٩,٠٠٠ ، وهو عدد هبط الى ١١٨,٠٠٠ بين ١٩٣٨ - ١٩٤٠ ، نتيجة للاجراءات التي اتخذتها الحكومة منذ عام ١٩٢٨ للاحتفاظ بسكان البلاد او بالاحرى استعداداً لفتح افريقيا الشرقية .

ومن نتائج الازمة في القطاع الديموغرافي ومن عقابيلها المؤسفة ، طرد اليهود من الرايخ الثالث . فقد كان في المانيا ، عام ١٩٣٣ ، نحو ٥٠٠,٠٠٠ يهودي ، بينهم ١٠٠,٠٠٠ من يهود اوروبا الشرقية . فالاجراءات الرسمية القاسية التي تعرضوا لها منذ ربيع عام ١٩٣٣ ، ونفست عليهم الحياة ، والعنف الذي ذهبوا فريسة له ، حملهم على الهرب الا ان تصفية املاكهم قوبلت بصعوبات وتعقيدات شتى لم يبق لهم بعدها سوى ١٠٪ من ثرواتهم . فمن ١٩٣٣ الى ١٩٣٩ ، استطاع ٢٢٦,٠٠٠ تقريباً من اليهود مغادرة الرايخ . فاذا ما اضعفنا الى هذا العدد « غير الاربين » والمهاجرين السياسيين لبلغ عدد الذين نزحوا عن البلاد ٤٠٠,٠٠٠ تقريباً توجه معظمهم الى فلسطين ، كما توجه ٢٧٪ منهم الى الولايات المتحدة الاميركية ، و ١٧٪ الى بلدان اميركا الجنوبية ، و ١١٪ الى فرنسا .

وفي اسبانيا حيث حطمت الازمة الحياة الاقتصادية والسياسية في البلاد ، فقد احدثت الحرب الاهلية فيها تيارات قوية للتزوح عن البلاد . فقد كان لتقدم القوات المغربية ولقصف المدن الكبرى في المناطق التابعة للجمهورية ان حمل اكثر من مليونين من السكان كانوا استقروا عام ١٩٣٨ ، في المنطقة الواقعة تحت سيطرة الجمهوريين ، ثم اضطروهم زحف الكتائب الاسبانية التابعة للجنرال فرنكو ، لهجرات جديدة . وعندما تم عام ١٩٣٩ فتح مقاطعة كتلونيا ، دخل اكثر من ٤٥٠,٠٠٠ اسباني ، بينهم ٢٢٠,٠٠٠ من وحدات الجيش الجمهوري الى فرنسا حيث استقر ٢٠٠,٠٠٠ منهم نهائياً ، وغادر ١٥ ألفاً منهم الى اميركا اللاتينية . ويقدر العارفون ان

اسبانيا خسرت عام ١٩٣٩ اكثر من ٧٠٠,٠٠٠ بين قتييل ومهاجر .

ان اهمية القضايا الديموغرافية ، التي اثيرت منذ الحرب العالمية الثانية ، والتي زادت من الازمة الاقتصادية تعقيداً وتشابكاً ، لا يصح الانتقاص من اهميتها . فسياسة تعقيد الهجرة التي سارت عليها الولايات المتحدة الاميركية وحذت حذوها فيما بعد ، الدول الاخرى ، اوجدت في اوروبا وضماً ازداد تعقيداً يوماً بعد يوم ، كما حالت الدكتاتورية ، لدى هذا الفريق ، والحماية القاسية لدى الفريق الآخر ، دون تبادل المحاصيل كما حالت دون تبادل الناس .

٢ - تأثير الازمة في البنيان الاجتماعي

اثارت الازمة في كل البلدان ، انكفاءً في الدخل القومي كما احدثت فيها حركة توزيع من جراء التغييرات العميقة التي اوقعتها في البنيان الاجتماعي . فقد وسعت ، على الاجمال ، من نطاق الفروق الاجتماعية ، كما عملت في تسميم العلاقات بين هذه الطبقات وزادت من خصومة ومنافسة .

بين طبقات عليا وطبقات دنيا
ادى هبوط الاسعار الى زيادة القوة الشرائية للعملة ، كما ادى الى إعادة تقييم الديون والحقوق المكتسبة والاملاك العقارية .
فقد عادت بالنتيجة بفائدة على اصحاب الدخل وعلى الموظفين (في حال عدم اخضاع مرتباتهم للتخفيض) ، وعلى اصحاب الاملاك . فكل هؤلاء الذين استطاعوا الاحتفاظ بموائدهم ، افادوا بكثير من كلا الهبوط كما انهم حققوا بعض الوفرة . فقد حصل ، اقله في مطلع الازمة زيادة في الوفرة المتدخّر ، إلا ان المتدخّرين الصغار منهم والمتوسطين على السواء ، ما لبثوا ان استهلكوا بسرعة مدّخراتهم ، حتى اذا ما كادت تنحسّن الاسعار وترفع انقلب وضعهم رأساً على عقب وذابت ثروتهم .

أما اصحاب رؤوس الاموال الضخمة ، فسقوط الاسهم في البورصة ونقصان الاحتياطي لدى الشركات ، والتضييقات التي تعرضت لها مشروعات الاستثمارات او توقفها الموقت فقد كبدهم كل ذلك خسائر باهظة ولو لفترة قصيرة . ومنذ عام ١٩٣٣ بالذات ، ومع عودة الاشغال واختفاء عدد كبير من الاستثمارات الصغيرة ، طلعت على الشركات الكبرى ، في معظم الحالات فرصة لتحسين اوضاعها . فقد اتاحت الازمة بكلّكلها على صدر الطبقات الصغرى والوسطى اكثر مما اتاحت على الطبقة البورجوازية العليا . جاء تأثير الازمة على الطبقة المتوسطة متقلّباً ، الا انها انتقصت كثيراً من وضع اصحابها على الاجمال وعملت على افقارهم . فرجال الصناعة ، الصغار منهم والمتوسطون واصحاب المهن الراحون تحت الدين او يعملون باجهزة واعتدة قديمة العهد ، وقد قست عليهم الحياة ، هم الذين استهدفوا اكثر من سواهم للاختناق وضيق التنفس من جراء التقييدات الرسمية القاسية ، ومزاومة شركات الاستثمار الكبرى المتكثلة . ففي

إيطاليا ، مثلاً نرى ان معظم الشركات الـ ٥٠٠٠ التي زالت من الوجود انما كانت شركات تشغل
الواحدة اقل من ١٠ عمال. وعلى هذا قس ايضاً المانيا وبريطانيا العظمى . وقد تحول وضع شطر
كبير منهم ، فامسى بعضهم منتجين مستقلين والبعض الآخر من اصحاب الوظائف الكبيرة أو من
متوسطيهم ، ومن تبقى ، عاش عيشاً نكدأ قاسياً . فاصحاب المهن وصغار التجار واحوا
يبحثون لهم عن وظائف في الادارة او يتحولون الى وكلاء متجولين .

ومعظم اصحاب المهن الحرة كالمحاميين والاطباء والصحفيين ، يعيشون في قلق مستمر . فهم
يتزاحمون على زبن فقراء قمد بهم الدهر ، يحاولون التخفيف من حدة المنافسة بالحد من وصول
اعضاء جدد للسنة . ففي ايطاليا ، لم يُقبل في سلك المحاماة اكثر من ٢٠٠ من خريجي حملة
شهادة الحقوق . وما لا شك فيه قط ان هذا الوضع جعل فريقاً من صغار التجار ومن اصحاب
الحرف الصغيرة ومن رجال الفكر اكثر حساسية للدعابة المناهضة للسامية التي نفخ في ريجها
ابواق قوية في كل من اوروبا الوسطى واوروبا الشرقية .

والعاملون في القطاع الزراعي تألموا اكثر من غيرهم من فروق اسعار
بين المزارعين والعمال المواد الصناعية والمحاصيل الزراعية ، بعد ان راحوا فريسة هبوط
الاسعار ففضمت من دخلهم الصافي ، بينما النفقات التي يستهدفون لها (شؤون التغذية ،
والضرائب والديون المصحوبة بالرهن) لم يكن في مستطاعهم عصرها او ضغطها . فحيثما نعموا
بحماية جمركية كافية ، فقد وجدوا انفسهم يتمتعون بشيء من الضمان نوعاً ما . اما في البلدان
الزراعية الطابع ، فقد اصاب المزارعون فيها في الصميم ، بعد ان اضطروا للتقلييل من شراء
الملابس والبترول كما امتنعوا عن شراء اعتدة واجهزة ميكانيكية جديدة . والفلاح المسكين الذي
لا يستطيع تأمين تنفيق محصوله الا في السوق الداخلية ، فقد كان عرضة للشكوى والتدمير
اكثر من سواء ، اذ ان الملاك الكبير كان يقبض رسم مكافأة تشجيعية من قبل الدولة ، على كل
ما يصدره .

اما الطبقة العمالية ، فقد رأت نفسها ، هي الأخرى ، عرضة ليس للحرمان من الأمور
المادية فحسب ، بل استهدفت ايضاً للهوان والهبوط الاجتماعي . فقد اصابها الازمة مادياً ولاسيما
سياسياً . فحطمت ما كان لها من وحدة متماسكة وذلك بوقوف المستثمرين في العمل ضد
الذين لا يجدون لهم عملاً . فقد خلقت طبقة دنيا في صميم البروليتاريا ، هي طبقة العاطلين عن
العمل ، وعطلت ضمن الطبقة العمالية ، الحركة القديمة التي كانت ترمي معها المساواة بين الجميع .
وبسرعة كلية حولت الازمة « توزيع العمل الى توزيع البؤس والشقاء » .

وبعد ان اصابها هبوط الاجور في الصميم ، وبعد ان رأت نفسها منقسمة على ذاتها وروعته ،
وحطمتها البطالة ، لم يعد في مقدور هذه الطبقة اجبار ارباب العمل على تقديم تنازلات والقبول
بتقديم ترضيات لها . ان ما آلت اليه المنظمات العمالية من ضعف ، في الولايات المتحدة الى عهد
الخطوة الجديدة ، والقوة التي تمتع بها ارباب العمل في فرنسا بمثابة هذه الاتفاقيات الجماعية التي تم

الوصول اليها ، قبيل الازمة ، والتي لم يستفد منها سوى ٤ بالمائة من العمال ، ووجود جيش من العاطلين الاحتياطيين لدى ارباب الصناعة ولدى الفائض من سكان الريف ، والفناء كل تشكيلات عمالية في المانيا وفي ايطاليا وفي اليابان ، كل هذه الاعتبارات والعوامل ، جعلت ارباب العمل ، يملون شروطهم ويفرضونها فرضاً على العمال .

اما العمال المنقطعون كلياً عن العمل ، فقد قطعت لهم مساعدات محسوسة في انكلترا . ثم في الولايات المتحدة الاميركية . وقدمت لهم الاستثمارات الكبرى ، في المانيا ، في عداد الاجراءات التي اتخذتها في سبيلهم ، اجوراً متدنية . اما في فرنسا ، فحالتهم فيها لم يطرأ عليها اي تحسن يذكر ، الا بعد عام ١٩٣٦ ، وبقي وضمهم ، في كل مكان ، يترجع بين وضع متقلقل سريع النطب ، ووضع يائس بائس .

فكيف يستطيعون الى العيش سبيلا في هذه الفترة التي بلغ فيها الشقاء الذروة في العنف؟ لاسيما في هذه البلدان التي لا اثر فيها لتنظيم يذكر للاسعاف ، في بودابست مثلاً ، حيث نجد ، في سنة ١٩٣٢ ، نحواً من ١٨٥,٠٠٠ عامل من اصل مليون (اي ١٨ بالمائة) يتلقون بعض العون المالي ، وفي فرسوفيا حيث ٨ بالمائة من العمال يتساولون بعض المساعدات من الاسعاف العام . وبواسطة اشغال عابرة يقوم بها العاطل عن العمل او زوجته (كالاشغال المنزلية والغسيل) وتربية الاطفال والتجارة الصغيرة بدون ترخيص في الاسواق ، والخدمات الصغيرة ، وبيع الملابس المتينة والاثاث ، او تأجير زاوية في غرفة او أسرة وبعض الديون والصدقات . وكثيراً ما لم تتغلب بعض الامر على خطر الفناء والابادة الا بفضل تضافر اعضائها ، يعولهم الشخص الذي يجد لهم عملاً او بعض افراد الاسرة الذين بقوا في الريف . فالحياة المشتركة في الاسرة هي وحدها التي هرفت ان تحقق بعض الارباح الضئيلة التي يوفرها الجميع ، وهي التي انقذت الاسرة من فناء محتوم . كذلك يجب ان نأخذ بعين الاعتبار مسنا مهنة الاستعطاء وتعاطي البغاء ، كما يجب ان نأخذ مورداً آخر ، يؤمنه العمل الاسود ، اذ كان الوف من العمال العاطلين ، على استعداد ليعملوا اي شيء لقاء أجر زهيد ما . اما الذين لا طاقة لهم على العيش في جو من البؤس والشقاء ، فقد صرموا حبل حياتهم بالانتحار تخلصاً من البؤس الذي يتسكمون فيه . فقد بلغ عدد الذين انتحروا في هنغاريا ، بين العاطلين عن العمل ، عام ١٩٣٣ ، ثلاثة اضعاف عددهم عام ١٩٢٩ ، اي ٧٥٠ منتحراً مقابل ٢٤٠ .

٣ - الحركات والاحزاب العمالية

بعثت الازمة الميل الى الثورة كما شعزت الاحقاد بين الطبقات .
الحركة العمالية خلال الازمة
فقد تبان اثرها بين المنظمات العمالية : فادى الهبوط الاقتصادي ، في بادىء الامر الى تخفيض محسوس بين اعضاء النقابات ، كما حد من نشاطها وحملت المنظمات

القائمة في البلدان التي لم تقع تحت نظام دكتاتوري على ان تتطور باستمرار . والبلدان التي تضرست بالاكثر بهذه الازمة ، سجلت الحركة النقابية فيها قهقراً كبيراً . فقد جاء انهارها ، في المانيا ، مباحثاً وصادعاً ، اذ فقدت النقابات الحرة اكثر من ٨٠٠,٠٠٠ من اعضائها المنتسبين ، اي ١٦ بالمائة من مجموع اعضائها المسجلين ، في عام ١٩٣٠ و ١٩٣١ ، كما عادت ففقدت في اواخر سنة ١٩٣٢ ، اكثر من ٥٠٠,٠٠٠ ، ومن بين ٣,٦٠٠,٠٠٠ عضو الباقين ، نرى ٤٤ بالمائة منهم في عطلة مستمرة ، بينما ١,٢٠٠,٠٠٠ منهم يعملون بانتظام . وهكذا نرى ان قواها النشيطة هبطت الى ربع ما كانت عليه عام ١٩٢٩ . والوضع بين النقابات الكاثوليكية لم يختلف كثيراً عما ذكرنا . وهكذا نرى ان المنظمات العمالية في الرايخ قد سحقتها الازمة قبل ان يسحقها النظام النازي الجديد . وكان من عنف الازمة وضراوتها في النمسا ان خففت عدد الاعضاء المنتسبين الى النقابات نحواً من ٣٠ بالمائة بما كان لها من اعضاء بين ١٩٢٩ - ١٩٣٢ ، وخسرت النقابات في انكلترا خلال هذه الفترة ٢٦,٣ بالمائة من مجموع اعضائها . وعلى هذا قس ايضاً : كندا والهند واستراليا ونيوزيلاندا . فقد تطورت الامور فيها على هذا النحو . وعلى عكس ذلك فقد تعاور عدد العمال المنتسبين الى النقابات العمالية في هذه البلدان التي لم تتجاوز فيها البطالة حداً معقولاً (سويسرا وتشيكوسلوفاكيا وهنغاريا) او تلك البلدان التي عرفت فيها النقابات العمالية ان تحافظ على ما تم لها من شأن ونفوذ ، وبقيت الحلقة الموصلة بين الحكومات والعمال عن العمل بفضل مساهمتها في ادارة ضمان البطالة وتأمين استمرارها ، وهذا هو بالذات وضع البلدان السكندنافية وبلجيكا والبلاد الواطية . وتطورت الحركة النقابية في فرنسا ، عن طريق الذي خضع له بالفعل ، الفريق الذي جمع المستخدمين والموظفين ، اي هذه المهن التي بقيت على الغالب بمعزل عن البطالة .

وفي المانيا كما في ايطاليا حيث الطبقة العمالية حرمت من نقاباتها وصار دمجها في جبهة العمل وفي الحركة المهنية ، رأت نفسها مضطرة بعد ان حرمت من كل وسيلة للتعبير عن مشاعرها ، للتسليم والخضوع مرغمة لما رسم لها .

وكذلك قل من اسبانيا . فالاتحاد العام للعمال الاشتراكيين فيها الذي عرف ازدهاراً كبيراً ، والنقابة المعروفة بـ N.C.T. الفوضوية الاتجاه والنزعة فُضي عليهما تماماً من قبل الثورة العسكرية التي قام بها فرنكو بمحاولات اصلاح الزراعي والاصلاحات الاجتماعية التي قامت بها حكومة الجمهورية ، جرت تصفيتا دون رحمة .

الولايات المتحدة الاميركية منذ مطلع عام ١٩٣٣ ، انخفض في الولايات المتحدة الاميركية ، عدد اعضاء الاتحاد العمّال الى مليوني عضو ، بعد ان جاءت الخطة الجديدة تمهد الطريق للطبقة العمالية لتنظيم ذاتها بشكل نهائي . فقد تحرر العمال من وجوب انضمامهم الى الاتحادات الشركات ، وهي نقابات قامت ضمن عمال المشروعات الاستثمارية الخاضعة لارباب العمل ، فقد ترك لهم الخيار بالانضمام الى النقابات التي يرغبون فيها ، ولذا

اقبلوا زرافات ووحدا على تسجيل انفسهم في الاتحاد العمالي القديم المعروف باسم *A F L* الذي ارتفع عدد اعضائه الى ١,٥٠٠,٠٠٠ عضو . واخذت الاضرابات تُتري بكثرة ، اذ وقع ١٧٠٠ اضراب عام ١٩٣٣ ، حملت البلاد خسارة ١٧ مليون يوم عمل ، ووقع ٢٠٠٠ اضراب عام ١٩٣٥ كلفت البلاد ٢٥ مليون يوم عمل .

وجاء انتصار روزفلت ، عام ١٩٣٧ على المحكمة العليا تشجيماً للحركة العمالية . فقد وقع ١٧٥٠ اعتصاماً عندما جرى تعيين الشكل الجديد للاضراب ، وهو الانقطاع عن العمل والقعود في المصنع مما ادى الى اضاءة ٢٨ مليون يوم عمل . وقعت هذه الاضرابات بشمل هذه الذهنية المعروفة عن الطبع الاميركي المتسمة بالعنف ، والوحشية التي خلقتها « لجان المواطنين الاحرار » المعارضة للروح النقابية ، وقوى الحرس الخاص ومحطمو الاضرابات ، وحراس المصانع الخاصة بتشجيع من السلطات والشرطة بغض النظر عن تصرفات ارباب العمل ، والضغط الذي قام به الوسط الاجتماعي ورجال الدين (راجع في ذلك فيلم تشارلي شبلن : العصر الحديث) . وتسبب الحرس الوطني في شيكاغو بقتل وجرح ما يقرب من مائة عامل ، عام ١٩٣٧ في اجتماع لهم عقدوه في الهواء الطلق .

واحدث تماثلت اعضاء كثيرين على الانتماء الى النقابات القديمة ازمة بين العمال وادى بالتالي الى انشقاق اتحاد العمال الى شطرين عام ١٩٣٧ ، اذ قام في وجه اتحاد *A F L* الذي يضم العمال الفنيين من كل حرفة ، اتحاد آخر تآلف على الاخص من اللانظاميين في كل حرفة برئاسة جون ل. لويس ، رئيس نقابة المعدنين ، تشكلت اللجنة العامة للتنظيم الصناعي (*C I O*) التي تؤلف الاتحادات مستقلة قامت ضمن العمال في صناعة المطاط والفولاذ والسيارات ، فاصبحت بعدد اعضائها اقوى شأناً من الاتحاد المعروف بـ *A F L* ، مع ان لويس اعترض على الاضرابات بالقعود في المصانع وشجبت لجنة التنظيم الاجتماعي . وهذا الانقسام لم يوقف الحركة ، اذ ان الاتحادين المذكورين ، ضمما معاً ، عام ١٩٣٩ نحو ٨ ملايين عضو .

في فرنسا تم تأليف اتحاد النقابات العمالية خلال فترة السادس من شباط . فامام الخطر الذي واجهها معاً قام الاتحادان المعروفان بتنظيم الاضراب العام الذي اعلنوه في ١٢ شباط وبعد مداوالات استمرت طيلة اذار ١٩٣٦ ، تم توحيدهما في اتحاد عام . والنجاح العظيم الذي حققته الجبهة الوطنية جاء فوق ما كان متوقفاً ، وبعث الآمال في صفوف العمال وفي نفوسهم ، لا سيما ولاول مرة تشكلت حكومة في فرنسا اشتراكية الطابع والنزعة . وقد بدا للجميع ان الفرصة جد مؤاتية لتحقيق الاصلاحات الجذرية التي تتيح لهم تحقيق مطالبهم . فبعد حقبة من الضغط والكبت استمرت عشر سنوات ، انفجر في البلاد هيجان عام تجاوز الأخطار النقابية من خلال سلسلة الاضرابات التي تسكار وقوعها منذ اواخر ايار . فالفشل الذي آلت اليه الاضرابات التي أعلنت من قبل وفقاً للاسلوب المعروف حمل العمال على احتلال

المصانع ، وهي طريقة اعتمدها المضربون في ايطاليا عام ١٩٢١ ، انما دون ان يحاولوا الاستيلاء على الادارة الفعلية . فالاحتلال المصحوب باللاعنف اسلوب من اساليب الضغط على ارباب العمل في اطار النظام الرأسمالي . وقد كان من نتائج هذه الحركة التي عمت فرنسا ان احدثت تطوراً عظيماً في عدد المنتسبين الى النقابات ، اذ ارتفع عددهم من مليون الى خمسة ملايين في الاتحاد المعروف بـ $C G T$ اي الاتحاد العام للعمال ، عام ١٩٣٧ ، كما ان النقابة العمالية الاخرى المعروفة بـ $C F T C$ التي لم تكن تعد سوى ١٥٠,٠٠٠ عضو ، عام ١٩٣٥ ، ارتفع عدد اعضائها ، عام ١٩٣٦ ، الى ٧٧٩,٠٠٠ عضو ، كما ان اعضاء نقابة الصناعات الكيماوية ارتفع عددهم من ٤٠٠٠ الى ١٩٠,٠٠٠ ، ونقابة الرسامين والتقنيين ، من ٥٠٠٠ الى ٧٩,٠٠٠ ، ونقابة المدنيين من ٥٠,٠٠٠ الى ٧٧٥,٠٠٠ . اما المهندسون والتقنيون الذين بقوا حتى الآن على هامش الحركة النقابية ، فقد راحوا يتكثرون بدورهم . ان الاقبال على عقد الاتفاقات الجماعية (٢٤ اتفاقاً عام ١٩٣٤ ، و ٢٥٣٦ اتفاقاً عام ١٩٣٦ ، وحوالي ٧٠٠٠ اتفاق عام ١٩٣٨) يدل بوضوح على وجود نقابات لها شأنها . فانفجار الاضرابات التي واجهت رغبة ارباب العمل بالتأثر بعد ان عادوا من الهلع الذي استحوذ عليهم في شهر ايار ، وارتفاع تكاليف الحياة بحيث حرم العمال الفوائد والامتيازات التي نالوها ، وجود الحركة الاقتصادية ، وفشل محاولة « التوفيق » وعدم امتصاص البطالة في البلاد ، كل ذلك سبب التهافت على الانتماء الى النقابات وارتفاع عدد اعضائها . وهناك عوامل اخرى اخذت تنسحب من عضوية النقابات بعد تحقيق الاهداف المباشرة كما ان الوحدة التي تمت بشق النفس تحطمت هي الاخرى . والموقف الذي ترتب وقوفه من الحرب الاهلية الاسبانية ومن هتلر وسياسته وضع وجهاً لوجه « للنقابيين الخالص » من فوضويين ودعاة سلام باي ثمن المعارضين لكل صمود في وجه الفاشية التي من شأنها ان تسبب عن حدوث حرب ، مع انصار الصمود الشديد الذين اخذوا يطالبون بعقد اتفاق وطيد مع الاتحاد السوفياتي . وهكذا اخذت بالذوبان على درجات مختلفة ، التشكيلات النقابية . فقد انسحبت من الاتحاد العمالي $C G T$ خمسة ملايين عضو عام ١٩٣٧ ، و ٢,٨٥٤,٠٠٠ عام ١٩٣٩ ، وهزيمة مونيخ اتاحت الفرصة امام ارباب المصالح المالية الكبرى لتعطيم الحركة العمالية ، بعد ان ردوا الضعف الذي تتسكع فيه البلاد الى تخفيض ساعات العمل في اليوم . والمرسوم الصادر بتاريخ ٢٢ تشرين الثاني ١٩٣٨ والذي يشار اليه في كل التشريعات العمالية ولا سيما قانون الاربعين ساعة عمل في الاسبوع ، كان سبباً في الاضراب الذي اعلن في ٣٠ ت ٢ ، الا انه باء بالفشل التام في نتيجة الامر . وفي داخل الحركة العمالية ، تابع المناضلون معارضتهم بعد ان انشقوا بين انصار اتفاقات مونيخ وبين المعارضين لها . وقبيل الحرب بقليل ، هبط عدد الاعضاء المنتمين الى اتحاد $C G T$ الى ما كانت عليه عام ١٩٣٦ ، ومنذ ايلول ١٩٣٩ ، طرد الاتحاد من صفوفه ، اعضاء الحزب الشيوعي الذين دخلوا غمار العمل السري .

وقد تغير خلال السنوات العشر الاخيرة كثير من معالم الحركة العمالية ومظاهرها فبينما كانت ايطاليا الدولة الوحيدة التي تخلت عن النقابية الحرة منذ عام ١٩٢٩ ، فقد سار في اثرها منذ هذا التاريخ ، كل من المانيا والبرتغال ، واسبانيا وفرنسا واليابان ، وفي وجه الدول الدكتاتورية ، لم يعد الاتحاد النقابي الدولي الذي نقل مركزه عام ١٩٣١ من برلين الى باريس ، يتلقى طلبات انكساب الا من اوروبا الغربية واميركا الشمالية . فهبط عدد اعضائه الى ٤٥ مليوناً ، بينما كان عدد اعضائه عام ١٩٣٠ نحواً من ٢٢،٧٠٠،٠٠٠ ، ثم هبط الى ٩ ملايين عام ١٩٣٣ ، بعد القضاء على الروح النقابية الالمانية . والاتحاد مدين بهذا الرقم الى انضمام الاتحاد العمالي الاميركي والاتحاد العمالي في المكسيك .

كان من عنف الازمة وخلخلة التوازن الذي أحدثته ، والفرق الشاسع
مناهضة الرأسمالية بين الانتاج الصناعي وبين ملايين العمال العاطلين عن العمل والعمال الذين لا تكفي اجورهم بأودهم وأود اسرم ، وزيادة الانتاج الزراعي ، وهؤلاء الملايين من الجياع وملايين المزارعين الذين يتسكعون في البؤس ، ان جعل الناس يتشككون في شرعية وقانونية النظام الرأسمالي الذي اقتصر شجبه حتى الآن على شجب نظري او فكري اقتصر على بيئة محدودة المحصرت ضمن خبراء في الاقتصاد ، ودعاة ثوريين ومجاهدين . وقد ارتفعت اصوات الاستنكار حتى في هذه الاوساط المعروفة بروحها المحافظة تشجب هذا الوضع وتستنكره ، معتمدة في ذلك على دوافع ادبية واخلاقية ، منها مثلاً القول بان الخسائر التي سببها الانهيار الاقتصادي لم يتضرس بها هؤلاء الذين كانوا بالفعل مسؤولين عن هذا الانهيار . اما الدعايات الفاشية ، فقد انطلقت من ابواق كثيرة في العديد من البلدان ، تشير احقاد الجماهير وتلهب حفيظتها ، وتحرض الطبقات الوسطى ، اجتذاباً لها واعتناقاً لقضاياها والمطالب التي طالما اعربت عنها . وقد هاجم موسوليني ، في مناسبات عدة « النظريات القديمة التي تقول بها الرأسمالية الليبرالية » وبين ما هي عليه من عجز وخواء . وكتاب « كفاحي » هتلر يفيض بالوعيد والتهديد معلناً استمداه لالغاء كل المداخل والواردات التي لا تأتي عن الجهد الناصب ، كما هدد بتأميم المناجم والكهرباء ووسائل النقل والصناعات الحديدية الكبرى والمصارف كما توعد بتأميم كل المخازن الكبرى ، وتحذير مشترى الاراضي لكل من ليس على استعداد للعمل فيها . و« الكتائب » الاسبانية تعلن من جهتها عالياً رذلتها للرأسمالية ... لا يجوز قط ولا من المحتمل ان تعيش جماهير ضخمة من الناس في البؤس والشقاء بينما يفرق قلة من الناس في التمتع بالذادات . بما لا شك فيه ان مثل هذه التصاريح الداوية وهذه الوعود المصولة لم توضع قط موضع التنفيذ . ان كلا من موسوليني وهتلر وقرانكو الذين وصلوا الى الحكم على اكتاف الرأسمالية ، اضطروا ان يماثلوا وان يصانموا . فهذه التصاريح تشهد عالياً على الرغبة بتحقيق مطالب الطبقات الوسطى وامانيها التي يخشى عليها من التحول الى البروليتاريا ، والى طبقة العاطلين عن العمل ، عن طريق برنامج غوغاني ، غامض الحدود توجه مناهضة

الرأسمالية فيه ضد الاجنبي وضد اليهود ولا يسبب ضرراً لأحد .

حتى في الولايات المتحدة الاميركية التي هزتها الضائقة العنيفة من اساسها ، اقله في السنوات الاولى منها ، انفجرت المؤلفات والمجلات صاحبة النظريات القديمة منها والمستجدة : كالجمهورية الجديدة ، والامة ، وجرائد اليسار واقصى اليسار التي تأخذ على نفسها الدفاع عن الحرية الفردية ، وعن اللاجئين السياسيين والاقليات ، وعن الحق النقابي وحق الاعتصاب ، الا انها ترفع صوتها عالياً بالنكير ضد الرأسمالية . والحظوة المتصاعدة التي صادفتها افكار انصار الاقتصاد الموجه بين افراد التعليم والاطراف الدينية والابسكوبالية والمتوديست ، والموقف « الدفاعي » الذي وقفه المناضلون عن النظام ، كل ذلك يوضح ، بأجلى صورة ، الازمة التي تعرضت لها الرأسمالية في هذه الحقبة بالذات .

ولأول مرة في التاريخ ، نرى الطبقات العمالية والريفية في اميركا تهب للوقوف صفاً واحداً في وجه النظام الاقتصادي المعمول به في البلاد . فالمعركة لم تبقى في المجال النظري او التجريدي . وردة الفعل التي قامت بها الطبقات الوسطى ضد الرأسمالية ، ظهرت على اشدها في الولايات الشمالية الغربية على الاخص التي اشتهرت في الماضي بمعارضتها وصمودها في وجه رجال المصارف ورجال الاعمال في الولايات الشرقية . وخلال هذه الضائقة المالية والازمة الاقتصادية التي اخذت بخناق البلاد ، راح اتحاد المزارعين وجمعية البطالة الزراعية يطالبون في نيسان ١٩٣٣ بتبني النظام النقدي ذي العملات وبمطالبة القانون باعتراف مبدأ حق الزراعة بسعر ادنى يتعادل ونفقة الانتاج ، وتنظيم الاضرابات ، ورفض نقل محاصيلهم الى الاسواق . وتفتحت الازمة في صحنها عن ظهور حزب اشتراكي جديد هو اتحاد الكومنزوات الفيدرالي (C.C.F.) الذي تسلم مقاليد الحكم والادارة المحلية في ولاية ساسكتشوان ، ووضع له برنامجاً مستوحى من الروح القابية والمسيحية لتأمين وسائل الانتاج ، كما ادى الى تأسيس الحزب المعروف بالحزب الاجتماعي للتسليف الذي سيطر بدوره على ولاية ألبرتا ، في عام ١٩٣٥ ، وعارض بعنف الحزبين التقليديين القائمين في هذا الدومنيون .

كان من نتائج اتهام الرأسمالية والظن عليها ، انتشار الروح
تسرب الافكار الاشتراكية
الاشتراكية والشيوعية . فقد ازداد الناس اعتقاداً وإيماناً ان
والشيوعية وتنفلما
قضايا التنظيم والاشراف الدقيق الذي تتطلبه زيادة الانتاج ،
لا يمكن حلها دون اصلاح المجتمع اصلاحاً جذرياً يتناول من الاساس ، فقد كثر اهتمام الناس
في هذه الحقبة واشتد فضولهم للتعرف الى الايديولوجيا الاشتراكية والشيوعية على السواء ، كما
راحت الطبقات الشعبية تتعقلن واخذ جانب كبير من حملة الفكر يديرون ظهورهم لليبرالية
الاقتصادية ويتجهون بشيء من الارتياح نحو النظريات والحزب المرتبطة بالماركسية والشيوعية
بسبب وثيق ، كل ذلك خوفاً من الفاشية والاحتلالية ، وعلا بردة فعل بدريتهم ضد الرأسمالية المسؤولة
الى حد بعيد عن البؤس الذي يسيطر اليوم على العالم والفوضى الاقتصادية التي يتسكع فيها العالم

اليوم . واخذت تظهر في جميع بلدان العالم طبعات جديدة وشروح وتعليقات وتفسيرات يصدرها اصحاب هذه النظريات ومفكروها ، ولا سيما لنظريات كارل ماركس والمجلز ولينين .

ان تجربة « الجبهات الشعبية » لقيت تشجيع المؤتمر السابع الذي عقده الكومنترن ، عام ١٩٣٥ واستحسنه في كل من فرنسا واسبانيا والشيلى والمكسيك كما طربت للنجاح الذي حققته الاحزاب العمالية . ففي عام ١٩٤٠ ، دخل مجلس النواب في الشيلى ٤٠ نائباً شيوعياً (مقابل ٤ عام ١٩٣٠) ، و ١٧ في البرازيل ، و ١٢ في كوكوبا ، و ٦ في كوستاريكا . وبدأت عليها بوادر الانقسام على نفسها حول الاشخاص وتطور الفئات التروتسكية الصغيرة ، جرى انتخابهم من بين العمال ورجال الفكر وضباط الجيش امثال لويس كارلوس برستس ، رئيس الحزب الشيوعي في البرازيل الذي كان من قبل ضابطاً في الجيش وماريا تيفي في البيرو .

جاءت انتخابات عام ١٩٣٦ في فرنسا تشهد عالياً على التطور العظيم الذي حققه الحزب الاشتراكي في تلك البلاد . فبينما لم ينل الحزب المذكور في انتخابات عام ١٩٣٢ سوى ١٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠ صوت ، فقد نال في انتخابات ١٩٣٦ ، نحواً من ١٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠ صوتاً ، اي بخسارة طفيفة ذهبت للحزب الاشتراكي الجديد ، وهي خسارة عوضها عندما وقع الانفصال بينه وبين الشيوعيين . اما الدول الصغيرة التي رست فيها اسباب النظام الديموقراطي واعرقت فقد جاءت الازمة فيمها تشد من جانب الاشتراكية . فالحزب الاشتراكي يشترك بالحكم مع الراديكاليين في الدانمارك ، ويعود الى الحكم في السويد ، واستطاع الحزب ان يؤلف حكومة متجانسة في النرويج عام ١٩٣٥ ، وفي فنلندا حيث كان الحزب الاشتراكي اقوى الاحزاب طراً . وعلى الاجمال ، رأت الاحزاب الاشتراكية او العمالية ، حيث لا تزال بعد قائمة ، نفسها تنمو وتتطور بانضمام اعضاء جدد اليها ، في الفترة الواقعة بين ١٩٢٩ - ١٩٣٩ . فقد تراوحت الزيادة في فرنسا ، بين ١١٩٠٠٠٠ و ٢٧٥٠٠٠٠ ، وفي النرويج من ٥٣٠٠٠٠ الى ٨٢٠٠٠٠ ، مع فرق بسيط مع عام ١٩٣٧ (٨٩٠٠٠) ، وفي السويد من ٢٣٥٠٠٠٠ الى ٤٨٧٠٠٠٩ . وقد بقي الحزب على وضعه في انكلترا وتقهقر في سويسرا من ٤٤٠٠٠ الى ٣٤٠٠٠٠ .

اما الاحزاب الشيوعية فقد حققت نجاحاً باهراً في فرنسا وفي المانيا . ففي فرنسا ، انتقل الحزب في انتخابات عام ١٩٣٦ ، بعد ان خرج من عزله ودخل الجبهة الشعبية من ٧٩٦٠٠٠٠ وهو عدد الاصوات التي نالها عام ١٩٣٢ ، الى ١٠٥٠٢٠٠٠٠ ، وريح ٦٠ مقعداً . وفي المانيا حيث تسببت الازمة بمفارقة جديدة بالملاحظة تمثلت من جهة في سلبية الجماهير العمالية في المعامل كما يشهد على ذلك العدد الضئيل للاضرابات التي اعلنت بين ١٩٢٩ و ١٩٣١ ، وهي ١٣٠٤ اضرابات مختلفة استجاب لها ٦٣٧٠٠٠٠ عامل ، (بينما وقع في فرنسا ٣٦٠١ اضراب اشترك فيها ١٠٨٠٠٠٠٠ عامل) ، كما تتمثل من جهة اخرى براديكالية الجماهير وعقلنتها السياسية . وقد خسر الحزب الاشتراكي بين ١٩٣٠ - ١٩٣٢ نحواً من ١٠٣٨٨٠٠٠٠ صوت بينما

زبح الحزب الشيوعي في المدة نفسها ١٣٨٤،٠٠٠ صوت ، وزاد عدد اعضائه في المجلس على مائة عضو .

تطور الاشتراكية
ليس من ينكر التطور الذي خضعت له الاحزاب الاشتراكية .
وجاء هذا التطور بنزع ، اكثر فاكثر ، نحو الاصلاح ، واخذت
تبتعد عن الماركسية بعد ان تبنت نداءات ثورية ، اخذاً بلعبة الديوقراطية البرلمانية . فقد
تبذروا وعضدوا مشروعات اصلاحية لم تختلف كثيراً عن التصاميم التي جاءت بها الحطة الجديدة
التي وضعها ف. د. روزفلت ، اي الاصلاحات المباشرة ضمن نطاق الرأسمالية . كل هذا جاء
نتيجة حتمية لهذه التطورات التي خضعت لها الاحزاب من الداخل بمجرد انحياز العناصر الفتية
الناشطة نحو الشيوعية ، كما جاء هذا نتيجة لدخول عناصر بورجوازية صغيرة الى صفوفها ، من
موظفين ومستخدمين وعمال يعملون في الدوائر الادارية .

وجاء طلوع الفاشية والهتلرية يقوي هذا التطور وينمي . ان رسوخ الدكتاتورية بمثل هذا
اليسر ، انما جاء دليلاً على ما كانت عليه الطبقة العمالية المنقسمة على ذاتها والاشتراكية من
ضعف ووهن ، وعجزهما عن الوقوف بوجهها والصمود لها ، هذا ان لم تقف الى جانبها وتشد
من أزرها عناصر عديدة من الطبقات الوسطى التي انطوت على العداء لها والحكمه لمقيدتها .
وقد راح العديد من الاشتراكيين يستنتجون من الوضع القائم حالياً ، مع اقتناعهم ان الجماهير
ظاهرة سابقة لأوانها ليس من الممكن لا بل من المستحيل حدوث تطور عنيف كامل في وقت
قريب . لا بد قبل كل شيء من وضع حد لهذه الازمة الاقتصادية الخانقة ، اذ ان البؤس بعينه
هو باعث اليأس والقنوط في النفوس ، وهو الذي يدفع بشطر كبير من الطبقة العمالية نحو
الشيوعية ، كما يدفع بالشطر الآخر نحو الفاشية . ولذا راح عدد من فلاسفة الاشتراكية ومفكرها
يحاولون اعادة النظر في الماركسية ، تكييفاً لها مع الاوضاع الاجتماعية الجديدة ، ومن بين هؤلاء
المفكرين دي مان البلجيكي الذي راح في كتابه الموسوم : « ما وراء الماركسية » الذي صدر
عام ١٩٢٧ ، يركز على نظرية تبتمد كثيراً عن الماركسية بعد ان طرح جانباً قولها بالمسادية
التاريخية . فهو يرى ان لا قاسم مشترك في الطبقة العمالية ، اذ ان المسائل الاشتراكية ليس
سوى « رأسمالي مكبوت كل شيء ان يصبح بورجوازياً » . اما في المجال العملي فالمهم النضال
ضد الرأسمالية الطفيلية التي تعيش على الحكم ، مستقطبة كل الذين يخشون المصير الى صفوف
البروليتاريا ، كالتجار ورجال الصناعة الذين لا يزالون يتمتعون ببعض الاستقلال ، وأصحاب
المهن والمزارعين والموظفين . يجب قبل كل شيء الابتعاد قدر المستطاع ، عن أي اضطراب أو
قلق من شأنه ان ينكأ الجرح ويزيد طنبور الاقتصاد ضعيفاً وصخباً ، وتقاضي كل محاولة تأميم
المالكية المقاربية ، والتحويل على العاطفة القومية التي هي حقيقة واقعية ، ودعم سلطة
الدولة في وجه كل من يحاول الانتقاص منها . ولتحقيق مثل هذا الحشد والتجمع في وجه
التكتلات الكبرى ، يجب الا ننظر الى هذه القضايا من وجهة النظر العمالية ، بل

علينا ان نحاول التوفيق بين مصالح البروليتاريا والطبقات الوسطي . اما التأميم فيجب ان يقتصر على الصناعات الكبرى والمصارف التي لا تخرج عن كونها احتكارات قائمة . اما مؤسسات القطاع التنافسي التي تستهدف لخطر وقوعها تحت سيطرة التكنلات العارمة ، فيجب ان توضع فقط تحت اشراف الدولة .

كان لافكار هنري دي مان ولنظرياته تأثيرها البالغ على الاحزاب الاشتراكية في الخارج ، لا سيما على الحزب الاشتراكي الفرنسي . وقامت عصابة بقيادة رينوديل وماركيه ومنتانيون وديات ، هؤلاء المؤسسون الحقيقيون للاشتراكية الحديثة ، تلبنى هذه الافكار ، كما يستدل من العنوان الفرعي لكتاب : « نظام سلطة ، امة » المثبت على صفحة عنوان كتابه الآنف الذكر ، والمنشور عام ١٩٣٣ . فهم يعارضون « الجمودية والحتمية » التي انتهت اليها قدامى الحزب برئاسة ليون بلوم ، وحاولوا ان يجتذبوا الى هذه الاشتراكية الوطنية ، الحزب الراديكالي الذي يمثل الطبقة الوسطى ، والحزب الشيوعي نفسه الذي صرح رئيسه ليون بلوم بان برنامج ديات « صممه » ، ومع ذلك تبنى سياسة اصلاحية والاتلاف الحكومي الذي الفه مع الراديكاليين ، اجبره على التخلي عن الاصلاحات البناءة الواردة في برنامج الحزب والاخذ بسلسلة الاصلاحات الضحلة النتائج ، كردة فعل لمكتب القمع وقامم مصرف فرنسا ، اذ ان الضغط الذي تعرض له من الجناح المسالم في حزبه ومن اعضاء الحزب الراديكالي جعله يلتزم جانب عدم التدخل في اسبانيا ، واخيراً « التهدة الحاشنة » التي أقرت بها اتفاقات مونيخ ، فكانت الضربة القاضية لمقاطعة العناصر التي بقيت على ولائها لمبادئ الحزب التقليدية .

ففي فرنسا وما شاكلها من الدول الليبرالية ، الاصلاحات اسباب هذا التطور الاصلاحى . البناءة التي تعنيها العقيدة الاشتراكية انما تقتضي افراغاً جديداً كاملاً للنظام الاقتصادي السياسي في البلاد ، وبعبارة اخرى ثورة فعلية اشتراكية . وقد كان عدد كبير من اعضاء الحزب الاشتراكي ، ولا سيما بين رؤساء الحزب قد اجمعوا عن تحقيقه خشية منهم اذكاء الازمة اشتعلاً وتعميم البؤس الذي جرته ، كما اوجسوا ان يعرضوا للخطر البلاد ، بينما كانت الحكومات الدكتاتورية تنمو وتستأسد . ومن جهة اخرى لما كان الحزب لا يعتمد في المجلس على اكثرية فعلية ، وتلماً منه لمؤازرة الاحزاب القائمة الى جمعية (الاحرار في انكلترا وبلجيكا ، والراديكاليون في فرنسا ، فقد رأى نفسه مكبلاً من جراء تحالفه هذا ، ولم يفكر اعضاءه بالوقوف امام تقلبات الاكثرية البرلمانية . ولئلا يهدوا السبيل امام الشيوعية ، انكفأوا عن مراكزهم عندما راحت الطبقات الموجهة التي تسيطر على الادارة العليا والمصارف والصحافة والصناعات الاساسية يزرعون الرعب وينفثون اصحاب رؤوس الاموال ، داعين الى نبذ القوانين الاشتراكية الجديدة والتخلي عنها . وهكذا ، ففي كل بلد تسلمت فيه الاحزاب الاشتراكية مقاليد السلطة ، تزامم يضطرون للتخلي عنها مصانة لخصومهم . وعلى مثل هذا كان الوضع في بريطانيا العظمى ، اذ اضطر مكدونالد ، عام ١٩٣٢ ، الى تشكيل حكومة

ائتلاف وطني ، ووضع فرنسا مع حكومة بلوم . ونظر الحزب الديمقراطي الاشتراكي في ألمانيا ويموا المحتضرة ، الى سياسة بروننغ التي اعتمدت « الانكماش النقدي » كشر ادني ، ولم يحاربها . وفي بلجيكا ، اضطر الحزب العمالي البلجيكي بقيادة دي مان وسباك المعتدلين للتخفيف من غلوائه واللجوء الى المصانعة امام الضغط الشديد الذي مارسه النقابات العمالية والتعاونيات (لا سيما شعبة مدينة غانت العمالية) الذين الفوا اهم مناصريه ومعاونيه ، وعندما دخل فان زيلاند ، مع وزرائه الخمسة ، حوالي عام ١٩٣٥ ، الحكومة الائتلافية التي فيها الكاثوليك لم يحاول هنري دي مان ، الذي كان وزيراً للاشغال العمامة اذ ذاك ، العمل على تطبيق برنامج . ولذا ادت الانتخابات النيابية التي وقعت في بلجيكا ، عام ١٩٣٦ الى خسارة الحزب الاشتراكي ١١٢،٠٠٠ صوت اي ١/٧ الاصوات التي قالوها ، بينما تمكن الشيوعيون من مضاعفة اصواتهم (اذ ارتفع عدد مناصريهم من ٧٧،٠٠٠ الى ١٤٤،٠٠٠) فكانت هذه الانتخابات تجربة قاسية عليهم اذ اضعفتهم وجعلت اليأس يدب الى قلوب المديدين من اولوم الثقة . افلا نستطيع بعد هذا ان نطئلق هنا على المحاولات الاشتراكية المختلفة التي وقعت في ايطاليا ، قبيل ١٩٢٢ ، وفي ألمانيا وفرنسا ، الحكم الذي اصدره ا. هالفه حول الاشتراكية البريطانية ، في عام ١٩٢٩ - ١٩٣١ ، اذ قال : « لم تأت شيئا في سبيل استبدال النظام القائم على الربح ، مع انها جعلت احيانا من المستحيل تطبيق هذا النظام تطبيقا حسنا » .

٤ - الازمة الاقتصادية وتأثيرها على الفكر

عكس طابع الحياة الفكرية والفنية ، منذ عام ١٩١٨ ، صورة مجتمع قلق متأرجح عصي التأثير على اضمحلال المبادئ التقليدية ، اذا ما وقعت العين على ما يثير المشاعر ويلهب العاطفة وحاولت تجاهل واقع الحرب والمشكلات التي خلفتها ، كما ينم عن القلق الذي يخامر الافكار ، على العموم .

وقد حدث منذ ١٩٣٠ ، ما بدّل الجو تحت تأثير الضائقة المالية والظواهر المنبئة للعاصفة التي تتجمع في الافق ، جاء التغيير بنسبة السرعة التي راحت فيها الازمة تؤيد النزعات التي اخذت تبدر شيئا فشيئا للعيان ، منذ عام ١٩١٨ . فقد سددت ضربات صادعة للايمان بتطور مادي وديموقراطي يكون خير ضامن للسلام العالمي ، هذا الايمان الذي لطف كل اجواء القرن التاسع عشر .

مكتب رومان رولان الى هاندي ، عام ١٩٢٨ ،
الجو الجديد
قائلا :

« من المهم ان نترك للشعبية ، التي ستؤت تحت وطأة نصف القرن الذي انقضى ، وثيقة صريحة يمكن ان

يتخذها قاعدة في هذه الحياة . ما هو ذا تلوح في الافق ، مشكلات هائلة لن تلبث ان تنقض عليها وتنزل بها . ليس لدي اي شك قط في ان همداً من الدمار سيطلع عما قريب وستحل بنا حروب عالية تضول حياها كل ما عرف الماضي من امثالها التي تشبه لعب الاطفال : الحرب الكيماوية التي تفني الامم وتدمرها تدميراً .

وجاء في يوميات رولات ، بتاريخ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٣١ ما يلي :

« بعد ١٢ سنة من التلس والتردد وصلنا الى هذه النتيجة ، وهو ان بقاء الوضع الاجتماعي القائم اليوم في الغرب (بالمعنى الشامل ، بما فيه اميركا) حتى حدود روسيا على حاله ، لمن الأمور المستحيلة » .

في هذه الاثناء ، وقعت أزمة ١٩٢٩ . فمنذ سنة ١٩٣١ ، والرؤى التي تجلت بوضوح امام العقول النيرة والبصائر النافذة ، وأمام اهل الحجبى ، هي بؤس البروليتاريا والتهديد المتواصل بالحرب . أضف الى ذلك ، هؤلاء الذين يردون هذا الشقاء وهذه التهديدات الى حضارتنا الصناعية ، والذين يرفعون عقيرتهم عالياً احتجاجاً منهم على طمعان التقنيات وعلى كبرياء العلم الفاجر ، وعلى سحق الفرد ، والذين يظنون على حضارة الغرب برمتها . ان قسماً من النخبة الفكرية ، تتجه من الماركسية ولا تقف تصوراتها والاحلام التي تهددها عند مشروعات اصلاحية بسيطة . فالكل يحكم بالموت على الحضارة القديمة التي نهضت على الفردانية البورجوازية . فالكل يشعر في الصميم ، بأسف او بدون اهتمام ، انهم أمام نهاية العالم .

وخلافاً لما حدث في العشرينيات ، نرى الآثار الفكرية تأخذ جانب الالتزام ، والنظريات الفكرية تتجه ، على اختلافها صوب حل المشكلات الحيوية ، الحسية ، الواقعية ، ولم يعد يطل علينا فلسفات وتجريدات فكرية محضة . ان واقع العالم الخارجي يفرض نفسه ويستبد بالتفكير ، موضوع حساس انطلق من أزمة الحتمية ومن نقد المعرفة المتعمقة ، يشحذها التحليل النفساني ونظرية النسبية المطبقة في كل مجالات الفكر ، هو هذا العالم غير المعقول اخذ بالانتشار الآن تحت ظواهر مختلفة : ادبية وفنية وفلسفية . وفي هذا الجو المشبع بالتشاؤم ، أخذ الانسان يعي نفسه اكثر فاكثراً ، باعتباره فرداً حراً بان يبتدع القيم وان يضيف على المراثيات والاحداث ما يشاء من معان وافكار ، كما أخذ يعي ، اكثر فاكثراً ، وضعه الزائل ودعوته للعزلة وللغناء ويندب فراغ الحياة البشرية من كل معنى . وعلى شاكلة الادباء ، شارك الرسامون (كوكوشكا وهارك شانغالي وبيكاسو) في هذا الصراع ضد الايديولوجيا الفاشية ، بما وضعوا من رسوم رمزية وتاريخية مثيرة .

لم يتم للولايات المتحدة الاميركية بعض من كبار الكتاب الرواية الاميركية وتأثيرها ومشاهير حملة الاقلام ، ما تم لها منهم في مثل هذا الزمن . فقد نال سنكلر ، عام ١٩٣٠ ، واوجين اوناييل ، عام ١٩٣٦ ، جائزة نوبل للادب . والرواية الاميركية تهيم على هذه الحقبة وتلقوها ، بما تم لها من فن وقدرة على تنويع المشاهد من جميع الزوايا استجابة لمطلب الفن السينمائي ومتطلباته . فالقصص لم يعد عبداً اسيراً للسرد في صيغة الحاضر او الماضي . ان استحضار حوادث الماضي وبعثها ، واحلام المستقبل تتمازج مع لحظة

الحاضر . ونجحت القصة على الاخص في ما فشلت بتحقيقه ريشة مارتن دي غار وجول رومان ، اي دمج القصة الروائية في تاريخ العصر ، وذلك باضفاء غلالة من الرمزية على بطل الرواية . حتى المدرسة الادبية في الجنوب التي هامت بالشعر اكثر منها بالواقع المتعيز ، اخذت هي الاخرى ، تصف لنا مع فولكنر ، نهاية حضارة ..

فالمدرسة الرومانسية في الشمال التي اخذت تنزع آنياً الى الماركسية وتضطبع بنزعة شعبية ، اخذت تكثر ، بعد ١٩٣٠ ، من انتقاد الظلم الاجتماعي . قدوس باسوس يساهم في روايته « الجماهير الجديدة » ويمر ، تحت تأثير الظرف القائم من نظرية البطل الحر ، البارز ، الى نقد اجتماعي مرير . والثلاثية التي وضعها بعنوان : « الولايات المتحدة الاميركية » والتي تتركز حول قضية ساكو - فانزتي التي صرغته ، تنتهي بمشهد « امتين » متعاهتين : امة المستثمرين وامة المستثمرين . ومنغواي في روايته : « الحصول او عدم الحصول - ولن تقزع الاجراس » (١٩٤٠) يقص علينا قصة اسبانيا الجمهورية التي كان احد المدافعين عنها . والجيل الجديد على الاخص ومن بينهم ج . شتاينبك وارسكين كولدويل ، وجيمس ت . فيرويل الملقب بـ « زولا الاميركي » يهرب عن نزعة جديدة هي النزعة : « الطبيعية الجديدة » ، ينحرف بعد عام ١٩٣٧ عن النزعة الماركسية بتأثير من الالتزامية الشاملة التي اخذت تمتد في جميع انحاء الولايات المتحدة . والى جانب هؤلاء ، برز للروائي الزنجي ريتشارد رايت الناطق باسم بني جلدته . اما يوجين أونيل فهو يهيم على المسرح بمسرحياته التي يرسم لنا فيها صورة عن ضعف الانسان وعجزه امام عالم وامام مجتمع معادين .

وبريطانيا التي اتاحت عليها الازمة بكلكلها منذ عام ١٩٣٠ ، قامت بردة فعل اشبه بالردة التي وقعت في الولايات المتحدة في مجالي القصة والمسرح . يرافقه نقد اجتماعي ماركسي النزعة رتيار سوريالي مع دافيد غسكوني و رولاند بنروز ، و . و . هـ . اورين الذين عالجوا في كتاباتهم القضية المزدوجة الا وهما البؤس الاجتماعي وعلاقات الفرد بالمجتمع . وهنا ايضا نرى النزعة الماركسية تتحول هن الصد : فالشعراء والكتاب الروائيون ينسحبون من الكفاح الى جانب الشيوعيين . وبالمقابل نرى جملة من الآثار الفكرية ترفض رفضاً باتاً المسدنية الصناهية المتصاعدة ، مع ألدوس هكسلي ومورغان (بروايته) وكاتبين آخرين اعتنقا الكتلكت هما افلين ووغ و غراهام غوين ، وكذلك إليوت في مسرحه الذي اخذ يتجه اكثر فاكثر نحو الماضي .

وفي فرنسا نرى الطابع ذاته يسم الادب الرومانسي والمسرح ، ويبدو ان الكتاب يهتمون فيها بالاكثر بالوجودية الالمانية وبالحوادث التي تقع في ما وراء الحدود المتصلة بها . فالآثار الفكرية التي تأثرت بالحوادث تبرز على الاخص الروايات المتعلقة بالثورة خاصة بمسألة برواية « اجراس بال » و « احياء اراغون الجميلة » و « الوضع البشري »^(١) و « الأمل » لمارلو ، ولا سيما مسرح جينودو وروايته « حرب طروادة لن تقع » ، هذه المسرحية التي ظهرت عام ١٩٣٦ ،

الناشر

١ - صدرت هذه الرواية عن منشورات هويدات .

ومسرحية « إلكترا » التي ظهرت عام ١٩٣٧ حيث التوكيد على سحق مصير الانسان وعلى حريته المطلقة . والعزلة او الانطوائية هي من هذه الادواء التي لا تستطع بحيث يصبح وجود الفرد خطراً على الحرية . وفي مسرحيته « الحلسة السرية » ، يذهب سارتر الى اقصى حدود هذا اليقين عندما يؤكد ان « الجحيم هو الآخرون » . ويستمر جيد في تأكيد فردانيته الصميمية الداعية الى الفوضوية (عودة الاتحاد السوفياتي ، عام ١٩٣٦) . ويحاول جول رومان في آخر المطاف الى بعث الحياة الجماعية في مجتمع يغمره التفاؤل ويتعسر عليه (منذ ١٩٣٢ ، في رواياته « ذرو الارادة الطيبة ») .

وجملة القول ، ان العصر لا يأنس الى البحث عن الجمالية المجردة الا في الرسم (مع ردة فعل تجريدية) ، والآثار التي برزت تتنزى بالالتزام حتى عندما تنبع من مثالية تنضج بالحياة الايجابي .

الماركسية وتجديد العقلانية
فالوجودية اي « الدعوة الى السأم ، الى الموت ، الى القلق » ليست في نظر الجميع شرحاً مقنعاً لمصير الانسان . فالماركسيون يرون ان شقاء البشرية المعاصرة وآلامها لا يمكن ردها للعلم او للتقنيات ولجوهر الانسان نفسه ، بل لشطط الرأسمالية المحتضرة وتجاوزاتها . فالايديولوجيا الماركسية التي رحبت بكل ما يمثل رغبة صادقة في مقاطعة الطبقة البورجوازية ، اخذت تتضح معالمها وتتلور ، والفت جبهة واحدة تقف في وجه اللاعقلانية على مختلف اشكالها ومورها كالسوريالية والبرغسونية والسيكولوجية الاتباعية ، بحيث تصبح المناقشة عن حلبة العلم وعن نظرية الانسان العلمية (ففي سنة ١٩٣٩ ظهرت في باريس مجلة « الفكر ») . فالعلم يمدد بتعليل مرضي لاصول الانسان وبتحليل للمجتمع حيث تبدو منافسة الطبقات بعضها لبعض الحرك الحقيقي للتطور وتفسر لنا التاريخ المعاصر . فهو يولي الانسان القدرة على تحويل العالم بحيث يتلاءم ومعارفه وبحيث ينسجم ومطالبه التي تنمو باستمرار . والعلم الماركسي الذي يؤكد وحدة العلوم الطبيعية والعلوم البشرية بمد الانسان بنظام كامل حيث يمكن للانسان ان يركز وجوده الفردي وان يمي تطور العالم ويسهم به ، كما يعد الانسانية بمستقبل مأوئ السعادة . فهو متفائل في الصميم إذ كل الشرور الحاضرة سترتفع وتزول في مجتمع شيوعي حيث تكون له المرتبة الأولى .

نقد العلم وفكرة الرقي
في الجهة الثانية من هذا الصراع الفكري ، يقوم هؤلاء الذين يجعلون العلم والتكنولوجيا مسؤولين معاً عن الشرور والويلات التي تنزل بالبشرية فهم يشتهرون ، في آن واحد ، بمجز العلم العقلاني عن الوصول الى الحقيقة ، كما يعترفون بما له من قوة هائلة على تغيير هذا العالم . وهذه النظرة تتجسد بأتم صورها في شخص غبريل مارسيل أحد تلامذة برغسون الذي يرفض التسليم بالحضارة الصناعية وبالعلم . فبعد ان ارتد واعتنق المسيحية ، فقد حاول أن يستبدل الوسائل الكفيلة بتأمين المعلومات الطبيعية ،

بالإيمان والرجاء المسيحيين . الا ان تحرزه من العلم البشري تصعبه تشاؤمية عميقة حول معنى تطور الحضارة ، اذ بنسبة ما تتطور الحضارة الصناعية ، فهي تخلق المراقيل أمام الايمان الذي وصل اليه من السلف الكريم . فتحن أمام حركة انكفاء وتقهقر ، يترقب علينا معها ان نتسلق بثبات المرقى الذي انحدر منه الفكر الحديث خلال هذين القرنين .

فكل العناصر المحافظة التي تمي بصورة غامضة النتائج الاجتماعية التي يؤدي اليها تطور الصناعة الضخمة عاجلاً أم آجلاً تشير في أروءه وتكيف به واذا ذاك يتكاثر النقد وتتوالى المظالم التي سبقت وارتفعت عالياً ، خلال القرن التاسع عشر ، شاجبة بشدة الآلية والتقنية ، فتشارك في ازدهارها العلم والمقل معاً . ومنذ عام ١٩٣٠ ، برز جورج دو هاميل في كتابه : « مشاهد من الحياة الأخرى » كالناطق باسم هؤلاء الذين يرغبون في الدفاع عن الفردية ضد دكتاتورية « الآلة » ، الذين ينزلون باللائمة على الحضارة الآلية هذه « السلعة المسائلة » ، « حضارة الحشرات » ، هذه التي ستفضى في نهاية المطاف ، إلى امتصاص الجماعة للفرد ، والتي ستلتهم كلياً كنه الحضارة الحقيقية : التنوع والصفة .

ولما كانت الآلة شراً في ذاتها وتحمل في طياتها المصائب والويلات ، أفلا يتوجب ، والحالة هذه « تكبيل بروموتيه الجديد » وتقييد ؟ هذا المجرم الحقيقي ، ليس « لأنه عدو الفكر » فحسب ، بل ايضاً لأنه مسبب البطالة والبطس ، بتحويل الاجور إلى حصص وأسهم رائجة . ولعل واحداً من أنشط المثابرين لشجب التطور التقني ، هو جوزف كايو الذي يشتهر عالياً « بالتقنية المجرمة » ، مصدر الفوضى الاقتصادية وباعثة عدم التوازن الخلقي . هي هذه الاختراعات التقنية الكبرى بالذات التي جلبت البطالة لمشرين مليوناً من العمال الماطلين . ان درس سد كمبس والعبرة المستمدة منه تؤيد ذلك وتثبت حسب زعمه . الى أي كارثة سيؤول بناء محطة كهربائية ، مركزية عندما تأخذ بالانتاج يديرها ٢٥ عاملاً بمجرد ان طلحت ورمت في البطالة ١٢٠٠ عامل كانوا يعملون في معامل كمبس ، دون أن يؤول هذا كله الى أي تخفيض في سعر الكهرباء . فهو قلق ، مهموم ، يحزع لسطوة وسيطرة « البدائيين » الممثلين بهؤلاء التقنيين . « قال أي مخاطر لا تستهدف » ، والى أي رزايا لا تضره الشعوب ، اذا لم تسارع النخبة للتدخل بسرعة للحد من طغيان الحضارة الصناعية .

هذه الايديولوجيا اللاتقنية ، التي ترتبط وثيقاً بالحنين إلى الماضي الحرفية الجديدة وبالعودة إلى « القيم الروحية » ، تجد متنفساً طبيعياً لها في هذه النظريات والآراء التي تكون النقيض لهذه الفردانية الليبرالية ولهذا النظام القانوني المنحدر اليه من الثورة الفرنسية الكبرى ، هو بالفعل الحرفية الحديثة التي تزغب في تنظيم الانتاج ، وفي القضاء على النزاع الطبقي عن طريق تنظيم المهن او الحرف بعد تحويلها الى هيئات وسيطة تستطيع الهيمنة على فردانية أرباب العمل والصمود في وجه العمال في وقت واحد . هي نظرية قديمة سبق ونادى بها دونما جدوى بعض الكاثوليك المناهضين للديموقراطية ، وللنظام الجمهوري

مما ، من اتباع دي لاتور دي بان الذي صوبت الأزمة الانوار اليه فجأة وأثارت حوله فضول كل هؤلاء الذين يرفضون التمرف بالاشتراكية ، والذين يبحثون ، مع ذلك ، عن علاج للقوضى التي يتخبط فيها النظام الليبرالي . هم في الغالب شبان من مثقفي الكاثوليك يسمون للفاشية ، والذين يبشرون بهذه المثالية الابوية المهنية . وبالفعل ففي كل مكان ارتفع فوقه نظام الحرفية ، أي في هذه البلدان الواقعة تحت النظام الدكتاتوري ، لم يكن هذا النظام تنظيمًا حراً ينسّق مصالح الجميع ، بل أداة طيعة في أيدي القوى الكبرى المتحالفة مع السلطة الدكتاتورية لتسأمين مصالحها الخاصة : ايطاليا الفاشية ، وبرتغال سالارز ، ونمسا دلفوس ، واسبانيا فرنكو . فلم يتحقق في أي مكان الادارة الذاتية ، لأصحاب المصالح حتى لمجموع أرباب العمل .

تجديد الحرفية
نكاد نجد لدى جميع الدعاة للحرفية من فرنسيين وألمان وإيطاليين محاولات تجديد لها وتقييم لمنظمات العمل القديمة على اختلاف مظاهرها كالمهنية والمزارعية . ففي ألمانيا ، سلبوا الأنوار نحو آثار الاقتصادي الكاثوليكي آدم مولر المنافع الأكبر عن النظام الاقطاعي والداعية له . وفي كل من فرنسا وإيطاليا سلطت الادوار على جورج دو هاميل وكايو وجيسنا لبروزو مزيرو الذين يمجّدون « النوع » الذي لا يمكن ان يتسلاّم مع « الكم » ، العمل الاثير الذي هو في صميم ذوق المرق او الجنس . « على العالم ان يتجه وجهة فرنسا نحو الصناعة الزراعية والمهنية » التي تستعين في تجديد عملها ، بادوات دقيقة تيسر الكهرباء استخداما ... » « ان أغلى المصنوعات او المصوغات في وقتنا هذا هي التي لا تخرج من المصانع الكبرى ... » . كل بلدان العالم تبذل اليوم جهوداً طيبة في تنظيم الحرف بمساعدة الحكومات المعنية . فقد تأسس في فرنسا : الاتحاد العام للحرفية ، كما قام في ايطاليا : الاتحاد الفاشي المستقل للمجتمعات الحرفية ، وقامت في بولونيا جمعية عرفت بالغرف الحرفية . والدعوة إلى الحرفية ، انما تستهدف إلى جانب مهاجمة المكننة ، إنقاذ « طبقة اجتماعية تقع بين رأس المال وبين أصحاب الاجور » و « احياء كل ما اضطر الانسان للتخفف منه وللحزوف عنه » . في اندفاعه نحو الاستمتاع الهين : « كالروح العائلية » والروح الحرفية ... و احياءاً الروح الدينية ... ، فبعت الحرفية الى الوجود يعتبر عند الداعين له علاجاً للآزمة التي يتخبط فيها العالم الرأسمالي ، من شأنه أن يحنّث الصناعة الضخمة والمكننة المخاطر التي تتهددها دون أن تمس بشي البنيان الاجتماعي القائم . هذا هو بالذات الموضوع الاثير للدعاة التي يقوم بها الحزب الوطني الاشتراكي في ألمانيا ، هذا الحزب الذي يكتسب الفلاحين في وجه الاستثمارات الضخمة المصنّعة ويعبّئ العمال الشباب في وجه التقنية التي تذلل الانسان وتسخره كآلة وتؤدي به إلى اليأس والشقاء بحيث يجب تدريس الشبيبة الألمانية ضد عمل خالٍ من الروح الذي يقضي شيئاً فشيلاً ، على النفس البشرية ، ويهبط بالروح

الى درك الآلة او الجهاز الآلي . ولذا انصبت الاجراءات الأولى الحرية بالملاحظة والاهتمام التي اتخذها النظام ، على تنفيذ الاشغال الكبرى « بالربش والمجرفة والممول والمنكوش » .. « كل الاعمال يجب أن تتم عن طريق القوى البشرية بنسبة ما يمكن الاستغناء عن المسعفات الآلية . ونحيث يكون من أثر العمل البشري زيادة الاثراء غير المتناسب » . ففي صناعة الزجاجيات ، في مقاطعة التورنج ، حظرت الحكومة استخدام الآلة الميكانيكية في نفخ الزجاج ، ففي هذا توفير « العمل والخبز لعدد كبير من العمال » .

في كل بلدان العالم ، جرت محاولات لبعث العمل اليدوي بعد ان جرى تحديد استخدام بعض الآلات . والتشريعات التي صدرت في عهد روزفلت حددت من استخدام محولات بسمر كما حددت المدة التي يمكن خلالها تشغيل بعض ادوات الحياكة ، كما ان عدداً من البلديات في اميركا اوجبت تنفيذ بعض اعمال الحفر ونقل التربة بالربش والممول . ففي انكلترا وفرنسا ، جرى إتلاف آليات لنسيج القطن والكتان . فارباب العمل والعمال (عمال الموانئ وصانعي البراميل ومدحرجيها) وقفوا في وجه استخدام سفن الصهاريج في نقل الحبوب من الجزائر بعد ان اتضح للجميع « ان التطور التقني يكون منافسة غير مشروعة » .

كل هذه المواقف على اختلافها ، تشهد عالياً على القلق والانتعاج الذي يسببه التطور الآلي والذي يبدي النظام الاقتصادي حياله عجزه التام عن تلافيه . « يترتب الآن تحرير الانسان من نتائج هذا الرقي المادي الذي لم يلاق بمقد توازنه مع الرقي الفكري والادبي » ، كما صرح بذلك ب. فلانندان رئيس مجلس الوزراء .

فباستثناء الماركسيين ، قليلون جداً هم الكتاب والفلاسفة الذين بقوا على ولائهم لفكرة الرقي والتطور . وعندما يعلن اندريه جيد عن ايمانه الوثيق « بالقوى التي يعتبرونها ضارة ومؤذية والتي يمكن ان تصبح بدورها عوامل قوة ورقي » ، فم يقرر العودة الى هذا الموضوع في كتابه : الاغذية الجديدة ، يبقى في شبه عزلة ، ويشير بين اصدقائه هذه الشفقة والحسرة عندما يرون كاتباً يهتم مثله بدقائق الامور ، يتجراً ان يتفوه بشأن الرقي المادي « بمثل هذه التأكيدات الضخمة التي تكاد تكون بدائية » . ففي نظر الفكر البورجوازي ، هذا المثال الذي تبنته النخبة في فرنسا ، منذ القرن الثامن عشر ، اصبح الآن « عقيدة بالية » ، وقيمة مهمة يتمسك بها « الفكر البدائي » .

شجعت الازمة التعجيل باعادة النظر في البنيان الاقتصادي
اعادة النظر في الايديولوجيا الاقتصادية
وخلخلت المبادئ والنظريات التي كانت سائدة بشأنه في مطلع هذا القرن . ان عبرة الحرب العالمية الاولى والقضايا التي طرحتها على بساط البحث مما يتصل بالنقد والتجارة الخارجية وتنظيم الانتاج القومي وتوجيهه والدرس المستمد من تاريخ الاتحاد

السوفيياتي ووضعه حيث قام وترسخ نظام مضاد للرأسمالية ، كل هذه العوامل ، أرغمت علماء الاقتصاد على توجيه أبحاثهم ودراساتهم وجهة أكثر واقعية مما عملوا في الماضي ، وعلى إعادة النظر في النظريات الكلاسيكية على ضوء الوقائع المعاصرة . ان عدداً لا يستهان به من المعطيات او المسلمات التي اعتمدها الاقتصاد التقليدي أصبحت الآن قابلة للتجريح بعد ان اتضح بجلاء ان الاقتصاد الحر لم يكن ، كما كانوا يعلمون ، اقتصاداً تتوازن معه تلقائياً المصلحة العامة ومصلحة المنتجين الخاصة ، وان الملطوسيانية الاقتصادية أصبحت من الأمور المصطلح عليها ، كما ان الحرية القضائية كانت تشجع على الاحتكارات على حساب اصغر الاستثمارات وعلى حساب المستهلكين على اساس اتفاقات يمدقونها فيما بينهم ، تفادياً او بالأحرى تخلصاً من المنافسة . فالضائقة المالية الكبرى التي قضت بالتخلي تدريجياً عن هذه الليبرالية المشبعة بالتفاؤل ، قضت بإنشاء مصلحة او ادارة خاصة بالاقتصاد ، ومراقبة فعالة تحمي المجتمع من جشع المحتكرين ومن المنتجات الفرعية . فانتسح الاتفاق امام رجال الاقتصاد ورحب واخذوا يهتمون على الاخص بظواهر اختلال التوازن وبالازمات بحثاً عن الوسائل التي تؤول الى تقنية النشاط الاقتصادي . وفي الوقت ذاته ، وضعت تحت تصرفهم ادوات جديدة للتحليل في القياس الاقتصادي الذي يساعد على الوصول الى الحقائق والوقائع بصورة ادق والجمع كما تساعد على التنبؤ والتحكم وبالتالي بتطور الانماء . ومن جهة اخرى ، فالاقتصاد الماركسي وانجازاته في الاتحاد السوفيياتي ، وانتفاء الازمات في « البلدان الاشتراكية » أصبح موضوع دراسات دقيقة . فالماركسية لما تعد لتبدو للبعض هرطقة او نشوراً عن طريق الصام . فقد لقيت المزيد من الاهتمام والتحليل ، والتعليق والتفسير من قبل هذا الفريق بالذات الذي لا ثقة له فيها ولا ايمان بفعاليتها او من قبل الذين يوجسون خيفة من نفوذها (اميل جيمس) .

وهكذا برزت للوجود نظريات جديدة حول الربح والاجور والفائدة وطبيعة النقد والاسعار في نظام اقتصادي خاضع لمنافسة فاقصة وللاحتكار من قبل قلة من المحتكرين ، وقد انضمت لتحليل دقيق النظريات التي تفلسف للازمات الاقتصادية « ولدوراتها » بعد ان راحوا يحاولون تحديد اسبابها ومسبباتها (قلة الاستهلاك ، تأخر في رفع معدل الاجور ، حركات التسليف ، الغلو في تصنيع الانتاج) ، والبحث عن العلاجات اللازمة لها . وينصح هؤلاء باللجوء الى التخطيط الكامل مع اعتماد اصلاحات شتى تتناول صميم البنيان الاقتصادي ، والمراقبة الشاملة والتوجيه البسيط للاقتصاد ، مع مراقبة القطاع المصرفي والصناعات الرئيسية . وفي وجه انصار التدخل انتصب انصار الليبرالية التي لا تزال ناشطة « كل مساوىء نظامنا الهجلة يجب ردها اصلاً لتدخل الدولة » كما يؤكد (ويب) ولكن الليبرالية تختلف كثيراً عن الصورة التي بدت منها في مطلع القرن ، ليبرالية مستعددة بالاحرى تستلهم نظريات ولتر ليبان (المدينة الحرة) وتتصدى لمراقبة الدولة دون ان تثبت بالعودة الى حرية التجارة المطلقة ودون ان تستثني كل مظهر من مظاهر تدخل الدولة .

ج. م. كينز في هذه الازمة المطبقة ، وفي الوقت الذي ارتدت فيه علاقات الحكومات ومداخلاتها طابعاً تطبيقياً دون اعتماد اي نظرية علمية متينة ، نشر كينز ، عام ١٩٣٦ كتابه المشهور : نظرية عامة للتوظيف والفائدة والنقد ، كان له من حسن الوقع والتأثير ما حمل بعضهم على وضعه الى جانب كتاب آدم سميث المعنون : « ثمن الامم » ، او الى جانب « النداء » الشيوعي . ويرى سوفي انت كينز هو منقذ او مخلص النظام الرأسمالي بعد ان تخلت نظريته عن بعض وجوه الاكراه والقسوة في الحرية دون ان تستهدف من ناحية اخرى ، للسقوط في وجوه الاكراه التي تعتمد على الجماعة او النظم الدكتاتورية . ومع انه كثيراً ما يدنيسنا من كارل ماركس ، فكينز ليس من خصوم الرأسمالية . فهو لا يرمي قط لقلب هذا النظام عن طريق اصلاحات تتعرض لتركيبه او بليانه في التصميم . بل يهدف الى تحسين عمله : كحرية الاستثمار واحترام الملكية الخاصة ، كما انه لا يوصي بالاقتصاد الموجه ولا بالتخطيط . « فالثورة التي اتى بها كينز ، تقوم في تدليله القاطع على ان النظريات الكلاسيكية لا تصلح الى المجتمع تنتفي منه الاضرابات والاعتصابات وان المهم في الامر هو الانتاج وليس التسويق او الانفاق او التنفق . فالظواهر الاقتصادية يجب النظر اليها ليس من الوجهة الفردية في نطاق المشروع الاستثماري الخاص بل من الوجهة الاقتصادية الاجمالية اي في مجملها او كليتها ، في نطاق النشاط الكلي او الشامل . ففي التفسير الخاص للعالم الاقتصادي الرأسمالي يوضح لنا كينز ان هنالك الآن توازناً في نقص العمل وان هذا التوازن ليس بعارض كما انه ليس باختيارى اورضائى ، بل انما هو حصيله عدم تكافؤ في نفقات الحاجيات الاستهلاكية . وعدم التكافؤ هذا هو الذي يحد من التوظيفات وبالتالي من الاستثمارات . وللخروج من الازمة ، فالملاج التقليدي الذي يعتمد تخفيض الاجور لا يجدي نفعا ، بل يقتضي بالاعرى العمل على تشجيع الطلب بحيث يكف المتأخرون عن الادخار غير المجدى ، ويحملهم على توظيف اموالهم ، والتخلي كلياً عن عبادة المعجل الذهبي او قاعدة الذهب طالما مارسوها وانصرفوا اليها ، وذلك بطرحهم المزيد من النقد في التداول ، وبعتماد سياسة التسليف الطويل الاجل ، وبتخفيض نموذجي لمعدل الفائدة والتوظيفات العامة والاشغال الكبرى مما يؤول بالنتيجة الى توزيع جديد للدخل ويشير بدوره طلبات جديدة . وهكذا يتاح للاقتصاد الخروج من الجمود الذي يرسف فيه . فالحماية الجمركية من شأنها ان تؤول ، اذ ذاك ، الى زيادة في الدخل القومي والى رفع مستوى التوظيف حتى ولو ادى الامر الى استثمارات تكلف غالباً ويأتي مردودها بالطبع عالياً . وهذه النظرية « تزي بصورة متجانسة ، الى حد كبير ، سياسة تدخل الحكومة » . فقد اتاحت انقاذ الرأسمالية والارباح التي تحرقها « بتجنيبها البطالة او بالحد منها » كما يقول ج. مارشال . ومع انها تمثل وضعاً خاصاً الى حد كبير (هو وضع بريطانيا العظمى) ، فهي تحوي الكثير من عوامل التشويق كما « استعملت منطلقاً لهذه التيارات الفكرية التي انطلقت منذ ذلك الحين » . (ا. جيمس) .

التعرض بالأذى لبعض
المبادئ الليبرالية التقليدية
رأينا كيف ان الليبرالية المستحدثة تختلف اصلاً عن الليبرالية
الكلاسيكية التي كانت تتوسل الى الدولة المحافظة على النظام
وصيانة الأمن ، والامتناع على الاخص ، عن كل تدخل ، في
الحياة الاقتصادية . وفي هذا دليل قاطع على ان عدداً من الافكار والمبادئ القديمة التي اعتبرت
للآن « لا تمس » ، اصبحت ، في نهاية الامر ، في الصميم .

من هذه المبادئ ، قبل كل مبدأ آخر ، فكرة الملكية او الحيازة « ففي الاستماعة عن
بعض الجدران او عن بعض اجهزة المصنع برزمة من الاسهم » يقتل التطور الرأسمالي « كل
معنى لفكرة الملكية الخاصة التي اخذت تفيد ، اكثر فأكثر ، معنى الخدمة الاجتماعية » كما
يؤكد شيمتير . هذه هي الحجة التي يتذرع بها مناصروها لتبرير الربح كما يتذرع بها خصومها
الذين يطالبون باخضاعها للمراقبة من قبل المجتمع . فالنصوص القانونية العديدة التي تحد منها
او تقصرها او تنسخها احياناً ، تحاول ان تستبدل المعنى القديم للمالك الذي له ملء الحرية
بالتصرف بملكه كما يشاء ، بالمبدأ القائل بأن الاستثمار هو مصلحة اجتماعية ، وبأن « رب
العمل » لا يستطيع التصرف به على هواه او حسب مقتضيه مصلحة الخاصة ومنفعته الذاتية ،
فيخفض من انتاجه ، ويتوقف عن تأمين حصته من الانتاج وفقاً « للحاجات المشتركة » . فالقوانين
التي تنظم العطلة الاسبوعية او الاسبوع الانكليزي ، كايقولون ، واسبوع الاربعة ساعه
عمل ، والاجازة المدفوعة ، وحوادث العمل والضمان الاجتماعي ومندوبين يمثلون الموظفين ،
تحد من سلطته التي كانت من قبل مطلقة .

كذلك صاحب حرية التعاقد تغييرات جذرية . فقد كانت التعاقد ، فيها مضي ، افرادياً
لا يربط سوى الفريقين المتعاقدين ، ولم يكن بوسع الشارع تغيير مضمونه . اما اليوم ، فالمقد
موجة هو جماعي . فالقانون وضع فوق حرية الجانبين المتعاقدين مراعاة حقوق الشخصية
البشرية . فهو يقف الى جانب الافراد « الضعاف اقتصادياً » : كالعامل والمستخدمين والمديونين
والمستأجرين والزبائن ، وبعين التزاماتهم بينما يزيد من حقوق الاقوياء : كأرباب العمل والدائنين
واصحاب الأملاك ، ليس في وقت تحرير العقد فحسب ، بل ايضاً طيلة استمرار العقد :
كتخفيض الايجارات ورسوم المزارعة وسعر المحلات التجارية وطول يوم العمل وتنظيم شروط
تجديد العقد ، وتبقي مستأجراً في محله بالرغم من إرادة صاحبه ، وتلزم بالتقيد بنصوص الاتفاق
حتى من كان معارضاً أو معادياً له ، والاتفاقات الجماعية التي تعقدها المنظمات النقابية وأرباب
العمل والعامل « الأكثر تمثيلاً » .

وفكرة الأجر دخل تعدي على معناه وفحواه . فقد انقلب المعنى رأساً على عقب من جراء
القوانين التي تنظم التعويضات العائلية والضمانات الاجتماعية . فالعامل لم يعد يتناول أجره عن
العمل الذي يؤديه فقط ، وأجره هذا لم يعد مرتبطاً بقانون العرض والطلب ، إذ ان قسماً منه
يدخل في صميم تعويض الأسرة . والعقود الجماعية تأخذ بعين النظر الحد الأدنى للمرتب اذ لم يعد
الامر محصوراً فقط بعامل الانتاج بل بالعنصر البشري أيضاً .



١ - لينين يتكلم الى الشعب في ١٩١٧ من على منبر مقام في ساحة بتروغراد .



٢ - خندق في ١٩١٧.



٣ - قمع الفتنة الباراكسية في برلين في السنة ١٩١٨ .

١٠ - توقيع معاهدة باريس مع ألمانيا في قصر فرساي ، ٢٨ حزيران ١٩١٩





٥ - مصفق باريس . جلسة السوق اليومية للاموال المنقولة .



٧ - مهرجان نازي في نورمبرغ . مؤتمر الحركة الوطني في ١٩٣٨



٨ — حارسان من الـ « باليلا » في روما. نموذج من الروح العسكرية التي خلقتها الفاشستية في الشبيبة .



١ - ميسر لارد في اموكبوله | كتيف احوش الحلبه ام و د

١٠ - المرفأ العفمنى لائنزال الجىوش فى ارزمائنش .





١١ - الدوائر الحكومية في مدينة جدة، في آب ١٩٤٤.





۱۳ - تھریر باریس . آب ۱۹۴۴ .



١٤ - مؤتمر بالطا : روزفلت ، وشيرشل ، وستالين ، مجتهدون في القرم ، بي ١١ شباط ١٩٤٥ :





الفصل الخامس

الأزمة ونتائجها السياسية

الفاشية ليست سوى الرأسمالية تتنكر لاصولها
الليبرالية بحيث تكيف البنيان الاجتماعي للاقتناع مع
الاوراع التي تكون فيها الفكرة الليبرالية قاضية على
الفكرة الرأسمالية سياسياً واقتصادياً واجتماعياً .
« هـ . لاسكي »

١ - تقهقر الليبرالية وأزمة الديمقراطية البرلمانية

زعمت الأزمة الاقتصادية النظم السياسية من أسسها ولاسيما النظام البرلماني الذي كان يرجى
له أن يؤدي انتصار الحلفاء عام ١٩١٨ وخروجهم ظافرين من الحرب كما كان متوقفاً ، إلى
توطيده وترسيخه أكثر فأكثر . الا ان التقهقر أخذ مع ذلك يدب إلى الليبرالية ايما كانت كما
ان صلاحيات السلطات التنفيذية رَحُبَت واتسعت هي الأخرى .

ساعدت الأزمة بالفعل على زوال الظروف والأحوال التي مكنت من قبل لسيير النظام
البرلماني سيراً سوياً ، اذ ان اتساع البطالة في العالم وانخفاض القدرة الشرائية ، والخراب الذي
نزل بالطبقات الوسطى وبسكان الريف ، زادت من احتدام الصراع الطبقي كما ازدادت
إلحافاً المطالب الإصلاحية التي تبناها وأخذ ينادي عالياً بها انصار العاملين للإصلاح . ألم يكن
ليوجس المرء خيفة على الحريات السياسية ، ولا سيما على حرية التجمع من ان تسيء الجماهير
استعمالها بعد أن أخذت تهفو إلى حقوق جديدة وقطع في تحقيقها ؟ هذه الحريات التي تتهدد
التسلسل الاجتماعي خطيرة هي ولذا كان لا بد من قتلها أو أقله اغفالها وتجنبها . وفي سبيل
إنقاذ الملكية او الحياة ، راح قسم من الطبقات الموجهة يتنكر لليبرالية وينضم للثورة المضادة
بسهولة أكبر بعد ان كشفت الأزمة عن عجز الديمقراطية النيابية وقصورها في حل
مشكلات الساعة .

ان الاستئثار بالسلطة اي توفير الوسيلة التي تحمل الخضم مسؤولية خسارة الاشياء الضرورية او المصيرية ، هو المفهوم العالق للتخلي عن النظام البرلماني من قبل الدول التي كانت تلتزم وراءه راضية ، كما يقول لوفيفر . ففي عام ١٩٣٣ ، لم يعد قائماً على وجه الأرض أي نظام ليبرالي باستثناء الولايات المتحدة الاميركية وانكلترا ودول الدومينيون ، وفرنسا وهذه الدول الصغرى الواقعة الى الشمال الغربي او الى الوسط من القارة الاوروبية ، وبلجيكا ، والبلاده الواطية وسويسرا وتشيكوسلوفاكيا والبلدان السكندينية .

تقوية مقام الرئاسة في
الولايات المتحدة الاميركية
حتى في هذه الولايات المتحدة الاميركية المعروفة بضعف
حكومتها المركزية ، فقد أُنشئت الأمانة للرئيس الاميركي ان
يقوّي من سلطاته إلى حد بعيد . ان الاعتراف للرئيس ، في الخطة الجديدة حق توزيع
مساعدات على سبيل الهبة أو المؤازرة بلغت قيمتها ثلاثة مليارات دولار عام ١٩٣٩ ، دوناً
قيد أو شرط ، مكّنت السلطة الاتحادية من ان تفرض ارادتها على الولايات لا سيما في ما يتعلق
بالشروط والكيفية التي ترى صرف هذه المساعدات والتعهد من قبل الولاية المستفيدة بالـ
بعض القواعد والتقيّد بالاصول والتدابير التي تتعلق بوضع العمال او بالخدمة العامة . وهكذا
تمكنت الحكومة الفدرالية من وضع يدها على أراض وممتلكات كانت ترجع من قبل للولايات .
وانشأ الرئيس روزفلت مصالح ودوائر جديدة امتدت صلاحياتها إلى عدد من الولايات وأنشأ
مؤسسات تشترك الحكومة الفدرالية بإدارتها مع ولايات أخرى (مشروع سلطة وادي تنسي
وكثيراً ما استحوّلت الولاية إلى مأمور تنفيذ لسياسة الاتحاد . ولم تعد وظيفة الكونغرس
الوحيدة ، منذ ذاك ، تحديد السياسة العامة للدولة . فهو يوسع عن طريق مشاريع القوانين
من الاختصاص التشريعي للسلطة التنفيذية . « فالتفسير الثنائي » للتعديل المباشر للدستور
الاميركي الذي كان يمنع السلطة الاتحادية من التدخل في الشؤون الاقتصادية والاجتماعية المحفوظة
بها للولاية ، قد وضع جانباً منذ عام ١٩٤٣ ، عندما اعترفت المحكمة العليا بشرعية القوانين
الاتحادية حول علاقات العمل والضمان الاجتماعي وتنظيم سوق الفحم والاسواق الزراعية . وفي
سنة ١٩٤١ ، على اثر إلغاء كل التشريع القديم ، لم يبق من املاك تعود للولايات لا تستطيع
الحكومة الاتحادية ان تطالها . وكان الرئيس هو المستفيد الأكبر من توسيع السلطات الاتحادية ،
مهما بلغ من حرص مجلس الكونغرس على تشديد مراقبته على السلطة التنفيذية .

في بريطانيا العظمى
اشدّت وطأة الازمة في انكلترا وطن النظام البرلماني الاصيل .
فقد اخذت البلاد ، في المجال التشريعي ، إسناد صلاحية
التشريع لبعض الدوائر التابعة للسلطة التنفيذية وبعض وزراء التاج . فالقانون الذي فرض
عام ١٩٣٢ الرسوم على الاستيراد ، ترك لوزير المالية حرية الاعفاء او زيادة هذه الرسوم .
والقانون الآخر الذي صدر عام ١٩٣١ ، على المحاصيل الزراعية فوض الى الوزير المسؤول سلطة

فرض رسوم مانعة على المحاصيل التي يرى منعها أو التقليل منها . والقانون الصادر في عام ١٩٣١ ، بشأن التوفير لا يشير من قريب أو بعيد الى الوفرة الذي يجب تحقيقه . فعلى الوزراء ان يحددوها كل في ما يتعلق بوزارته . كذلك القانون المتعلق بالبطالة ، فهو يعهد بهيئة خاصة من الموظفين الاداريين وليس بالسلطات المحلية مهمة توزيع الاعتمادات المخصصة للتوزيع على المحتاجين . ولعمل القانون الاكثر تعبيراً لظاهرة الابتعاد عن المبادئ الليبرالية هو قانون الاغراء على التمرد والتحريض عليه الذي صدر عام ١٩٣٥ الذي يمنع بكل شدة محاولات الاغراء والتحريض على العصيان أو على التمرد ، فرمى الى حماية افراد الجيش من الدعايات المفرضة والدعاوة للسلم بأي ثمن . فهو ينص على امكان إصدار مذكرات استنابة على بياض التي لم يكن إصدارها يُعد عملاً مشروعاً أو قانونياً ، منذ نحو ١٥ سنة مضت . كذلك بطل العمل ، في ايرلندا الشمالية بالامر للشول منذ عام ١٩٣٥ .

والاحتراز من بعض المؤسسات أو من بعض النقاد ظهر جلياً بين جميع الاحزاب ، فقد قام افراد امثال ونستون تشرشل وسدني ويب يلاحظون ان البرلمان لا يستطيع الاهتمام ، كما يلزم ، بالقضايا الاقتصادية واقترحوا بان يتولى امر الاعتناء بمثل هذه الامور هيئة خاصة تتألف من خبراء مستقلين ينتخب افرادها من بين جميع الاحزاب ، وليس من بين اعضاء المجلس النيابي .

اما في فرنسا ، فقد ادت الازمة الى إضفاف النظام البرلماني ، فأل الامر الى في فرنسا شلل عام عطل أو خلخل الانظمة الدستورية في البلاد . فالقاعدة التقليدية للسياسة الفرنسية التي تقول ان الاتجاه الى اليمين في تشكيل الحكومات يقضي عند الشعب على الخوف من اليسار ، لا تزال قائمة . فكتلة اليسار تفوز مرتين بنجاح في الانتخابات العامة ١٩٣٤ و ١٩٣٦ . وقد تمكن اليمين من طردها من الحكم عام ١٩٣٤ و ١٩٣٨ . وفي سنة ١٩٣٤ فسخ الراديكاليون تحالفهم مع الاشتراكيين برفضهم مشروع مراقبة القطع ، كما وقفوا ، عام ١٩٣٨ في وجه كل مشروع يرمي لتأميم التسليف أو بقتراح اصلاحات جذرية ، بعد ان ادخلوا على القوانين الاخرى التي سبق للجبهة الشعبية ان أقرتها ، تعديلات جعلتها غير ذي جدوى . ولما كان للقضايا المالية والاجتماعية اهمية قصوى ، فقد احتدم حولها صراع الاحزاب التي اخذت تقف منها موقفاً متصلباً يتفق ومبادئها ، والامتناع عن المساومات التي تهدد بحرب اهلية .

فالنجاح الذي حققه الحزب الاشتراكي في انتخابات ١٩٣٢ ، ولا سيما انتصار الجبهة الشعبية عام ١٩٣٦ ، ادخلت القلق الى نفوس الطبقات الموجهة ، في الحين الذي كان فيه فوز الانظمة الدكتاتورية في كل من ايطاليا والمانيا يدعو للاحتذاء بهما والتسج على منوالهما . والحال ، فبعد انتخابات عام ١٩٣٢ التي اعطت المجلس النيابي اكثرية تشبه الاكثرية التي نالها التجمع عام ١٩٢٤ اخذ عدد من « الاعيان » المتربصين بالازمة المالية ، والذين كانوا يعيشون تحت كابوس الامثلة الروسية ، يفقدون كل ثقة باللجنة البرلمانية بعد ان كانوا رضخوا لها واستسلموا لها مسaire ،

فراحوا ينضمون كأسلافهم عام ١٨٤٨ ، الى هذا الفريق الذي كان يقترح قيام حكومة قوية تكبح من جماح زعماء « الحركة » وتأخذ دونما خوف او وجل بسياسة حازمة تدافع عن مصالحهم ، لا تتغير دورياً مع الانتخابات ومعارضة العمال ، ولا تكون في كل مرة موضوع بحث ونظر .

فتقاليد اليمين الفرنسي ، وموقفه العدائي من النظم الديمقراطية والجمهورية لها عروقها القديمة . ان ثقافة بعض رجال السياسة ، والاعمال المريبة التي يأتونها في المجالات السياسية والمالية ، غدت في النفوس نفرة من النظام البرلماني اعترت افراد الشعب من قبل ، فراحوا يذكونها في صدور الشبيبة البورجوازية والمنظمات القومية : كالشباب القومي وعصبة القوميين الذين كان برنامجهم الغامض الوقوف الى جانب السلطة التنفيذية ويمتد بسبب وثيق الى التيسار الاستقلالي البونابرتي . اما الفئة الاكثر تصلباً من هذه كلها بالرغم من قلة ععدد اعضائها ، فكانت فئة « الاكسيون فرنسيس » التي كانت تعمل وفاقاً لبرنامج سياسي معين هو اعادة الملكية الى فرنسا . والى جانب المؤسسات القديمة التي كانت تنادي على اقدار وانساب متفاوتة ، من التصريحات العنيفة الداوية ببرنامج اساسه المحافظة في الحقلين السياسي والاجتماعي ، اطل عدد من الاحزاب والهيئات السياسية الجديدة ، منها عصبة جورج فالوا ، والفرنسيسية ، والتضامن الفرنسي ، الذين لم يكن عدد اعضائها مجتمعين ليتجاوز بضعة آلاف ، الا انها كانت فاشية الطابع والصبغة في تنظيماتها شبه العسكرية وتفكيرها ودعوتها الى استعمال العنف . أما حزب « صليبان النار » الذي تألف من قدامى المحاربين والحاملين اوسمة حربية ، اعترافاً بأعمال البطولة والتضحية التي قاموا بها ، ويلقى مساعدة مالية من مؤسسة كوتي ومن ارنست مرسيه ، فقد انصرفت للعمل منذ عام ١٩٣١ ، فارتفع عدد اعضائها ، عام ١٩٣٢ من ١٥ ألفاً الى ٣٥ ألفاً ، الى ان ارتفع الى ٦٠ ألفاً عام ١٩٣٣ ، وتكون حوله تشكيلات فرعية ، كأبناء الصليبان النارية ، والتجمع القومي للمتطوعين الوطنيين . كل هذه الفئات والاحزاب اخذت تكثر من المظاهرات المضادة للروح البرلمانية . وفي ٦ شباط ١٩٣٤ واستغلاً منها للهيجان الذي اقام الشعب الفرنسي لفضيحة ستافسكي المالية ، وتعبيراً عن عدم ارتياحهم لمعجز الحكومة وعدم تجانسها ، قام بمظاهرة اتجهت نحو مبنى المجلس النيابي ، انتهت بفتنة ، عقبها اصطدام دام مع البوليس ، الامر الذي أدى بالحكومة ، بعد انقسامها على نفسها ، وبعد عدم اطمئنانها لموقف بعض الموظفين المدنيين والعسكريين ، قدمت استقالتها ، وتخلت عن الحكم للسيد دومرغ رئيس الجمهورية الاسبق الذي الف وزارة اركززت قاعدتها بوضوح على اليمين ، مع المارشال بيتان ولافال وفلانندان . فهذه الوزارة والوزارة الاخرى التي عقيبتها برئاسة لافال سارت على سياسة انكماش مالي استمرت سنتين . واخذت الاحزاب التي استندت اليها تزداد نفوذاً ، اهمها حزب صليب النار الذي ضم اكثر من مليوني عضو . ولم تلبث هذه المنظمة ان اتخذت طابعاً شبه عسكري على مثال الحزب الفاشي ، بينما بقي برنامجها غامضاً اذ لم يخرج عن كونه

حزباً يمينياً ، ينزع الى فرض السلطة كما هي تقاليد المرعية . ولم يعد الصراع ليقتصر على المجال السياسي والاجتماعي . ورغبة في عدم إضعاف « قوى النظام » العاملة في القارة ، تخلى اليمين عن سياسة الحزم والتشدد حيال ألمانيا ، وهي سياسة طالما حبذها وأوصى باتباعها ، كما تخلى عن مشروع الاتفاق الفرنسي الروسي وانطلقت من جديد الروح الوطنية المتعصبة ضد بريطانيا . وما عثم ان اعرب الحزب عن رضاه وارتياحه لمهاجمة إيطاليا الحبشة ولمساعدة الدول الفاشية لفرنكو وللاتفاقات التي عقدت في مونيخ .

والتهديد الذي تمثله هذه الأحزاب ، لم يلبث أن انعكس أثره في التجمع وتوطين الرأي بين الأحزاب والهيئات اليسارية : كالحزب الراديكالي والحزب الاشتراكي والحزب الشيوعي والاتحاد العمالي العام ، ورابطة التعليم ورابطة حقوق الانسان ، الخ . ليؤلفوا من بينهم لجنة متابعة وتوعية قوامها مفكرون من خصوم الفاشية ، أخذت تمهد للاتصالات وعقد الاتفاقات بين هذه الفئات ، مما أدت الى عقد ميثاق وحدة عمل والى انشاء جبهة شعبية فازت بانتخابات ١٩٣٦ . وكان من شدة وجوم للطبقة الموجهة وأصحاب الشأن في البلاد أمام تشكيل حكومة ذات ميول اشتراكية يعضدها حزب شيوعي قوي أن أخذ زعماءها يميلون أكثر فأكثر نحو حلول بالقوة . وعلى الأثر ظهرت من جديد تجمعات فاشية الطابع ، منها على الأخص الحزب القومي الفرنسي (P.P.F.) الذي تألف عام ١٩٣٦ بمسمى من العضو الشيوعي السابق دوريو الذي تلقى مساعدات ضخمة من رجال الصناعة ومن الحزب الفاشي الإيطالي . ومن هذه الأحزاب ، الحزب المسمى « كاغول » ويشار اليه بالأحرف C.S.A.R. وهو عبارة عن جمعية سرية نعمت بحماية بعض الدوائر العليا في الحكومة والجيش . وأقامت هذه الجمعية علاقات مباشرة لها مع الحزب الشقيق الآخر بعد أن أمدته بالمساعدة ، وفي سبيله قام بعض أعضائه بقتل الأخوة روزلي .

وهذا الصراع الذي تجاوز حدة وعنفاً كل ما سبقه من عراك في الفترة السابقة حال ، ليس دون القيام بأي محاولة اصلاح للنظم والمؤسسات الفرنسية فحسب ، بل زاد عمل الحزب سوءاً في الوقت الذي استمر النظام في تطوره الوئيد الرامي لتعزيز السلطة التنفيذية . وهكذا أخذت شخصية رئيس الوزارة تبرز بوضوح من بين الوزراء بعد أن خلط بينهم الدستور الفرنسي الصادر ، عام ١٨٧٥ . ولأول مرة اعترف له القانون الصادر في ٣ كانون الأول ١٩٣٤ ، بوجود متميز ، كما خصه بخدمات وأدوار ادارية دائمة وقفاً عليه دون سواه . وبعد أن أصبح بالفعل رئيساً للحكومة أخذ رئيس الوزارة يمارس حقه بتأمين الانسجام والترابط بين مختلف الوزارات واللجان الوزارية المشتركة والتي اربطت صلاحياتها بعمله . كذلك أنيط به الاشراف على اللجنة الاقتصادية واللجنة المتوسطة العليا ، واللجنة العسكرية العليا ولجنة الشؤون الاسلامية ؛ والمراسيم الاشتراعية بنوع خاص التي تتجلى فيها السلطة التشريعية عن بعض صلاحياتها تسهيلاً لعمل السلطة التنفيذية ، لم تلبث أن أصبحت أداة كثيراً ما تكرر اللجوء اليها لاعداد

مشروعات القوانين ، بحيث تفرض على البلاد تدابير واجراءات لا تحظى كثيراً بتأييد الشعب لها . ومنذ عام ١٩٣٣ ، ولا سيما منذ ١٩٣٧ ، تكرر مراراً طلب التسليح بمراسيم اشتراعية بشأن التشريعات الاقتصادية المعدة لتأمين التوازن في موازنة الدولة ، والدفاع عن الفرنك ضد المضاربات المالية ، وكبح التعديلات على أموال الدولة ، ومراقبة الاسعار والاصلاح الاقتصادي . وبعد سنة ١٩٣٤ ، تمت معظم الاصلاحات الكبرى في البلاد عن طريق المراسيم الاشتراعية . فقد عملت الحكومة بهذه المراسيم بين ١٩٣٧ - ١٩٣٩ ، ثلاثة عشر شهراً على ٢٦ شهراً .

هنالك بلدان ودول أخرى بقيت على ولائها لحرية
الدول الليبرالية الاخرى التجارة تركت فيها الأزمة الاقتصادية أثراً ظاهراً في سياستها.

فمع استمرار العمل بالنظام البرلماني في بعض البلدان ، فقد قامت فيها ، بالرغم من ذلك أحزاب فاشية بعضها ضعيف يدعو للسخرية برئاسة موسلي في انكلترا ، مثلاً وبعضها انشط وأقوى ، كما في بلجيكا حيث أسس شاب كاثوليكي هو ليون دفريل منشور جريدة أسبوعية بعنوان « ركس » اشارة بذلك الى المسيح الملك كما أنشأ حزباً « ركسياً » أخذ على نفسه مهاجمة « حكومة الفاسدين » ، كما أخذ ينشر بين الملأ ، صوفية الزعيم ، واستأنف العمل بأساليب الدعاوة مردداً : « الظفر المركس » ، منادياً بالشعارات التالية : مناهضة الرأسمالية . مناهضة الاشتراكية . مناهضة الليبرالية ، كما راح يطالب بتأسيس نظام يركز على الأسرة والمهنة ، مع هيئات ومجالس مهنية ، وسلطة تنفيذية قوية ، ومجلس نيابي له صلاحيات ضيقة للغاية . وبعد أن جمع أنصاره من رجال الفكر الكاثوليكي وتحالف مع القوميين الفلمنكيين الذين كانوا حصلوا على حق « فلمنكة » التعليم في مقاطعة الفلاندر ، فقد كتب له الكتائب من سكان الريف ومن بين العمال الكاثوليك ، وحصل في انتخابات عام ١٩٣٦ على نحو ١٢ بالمئة من مجموع أصوات الناخبين وعلى ٢١ مقعداً . وأخذ يجهل سياسة موالية للدكتاتوريات .

وعرفت سويسرا نفسها تجمعات فاشية هي الأخرى ، تألفت منها « جبهة وطنية » ، بمساعدة عدد من الضباط « للعمل على البعث الوطني » ومكافحة الشيوعية ، وأخذ يُنادي بنهاية الديمقراطية والنقابية . وقال عام ١٩٣٥ ، ستة مقاعد في مجلس مقاطعة زوريخ ، وانتخب رئيسها مستشاراً وطنياً . الا ان نشاط النازية في سويسرا بعث هزة في الرأي العام ، والغضب الذي سببه ضم النمسا الى الرايخ وضم المانيا مقاطعة السوديت اليها ، جعلت النواب النازيين يفقدون مقاعدهم في انتخابات عام ١٩٣٥ ، و ٣٠٠٠٠ صوت عام ١٩٣٩ ، مع فقدان ٣ مقاعد في البرلمان . وفي النرويج ، اتحد الفلاحون المدنيون للوقوف في وجه البيع القشري للاراضي . وفي عام ١٩٣٣ ، جرى التجمع الوطني ، بمسمى كوبسلنغ . وفي فنلندا قامت حركة وطنية في لابوا ، ذات طابع فاشي زرعت الاضطراب في البلاد ، بين ١٩٢٩ - ١٩٣٢ .

٢ - الدكتاتوريات الفاشية

قبل وقوع أزمة ١٩٢٩ الاقتصادية ، كان النظام البرلماني ، في عدد من الدول الأوروبية ، قد انهار تماماً ، لتقوم مقامه نظم دكتاتورية . فمنذ عام ١٩٣٤ ، اقام الجنرال بريمو دي ريفارا في اسبانيا دكتاتورية عسكرية ، ولن يلبث ان قام الجنرال كارمونا بتجربة مماثلة في البرتغال عام ١٩٢٩ ، بعد ان استولى على مدينة لشبونة على يد الجنرال غوميز دي كوستا ، وعرفت بلغاريا نفسها لبضع سنوات ، نظاماً دكتاتورياً بزعامة تسانكوف (١٩٢٣ - ١٩٢٦) ، كما اجتازت اليونان ، عام ١٩٢٥ ، مع الجنرال بنغالومس ، فترة مماثلة عقبها نظام شبه برلماني . واخيراً قام الجنرال بلسدسكي بانقلاب عسكري في بولونيا ، افصى به الى تولى زمام الامر في البلاد ، مع استبقاء حكومة ذات مظهر برلماني . الا ان كل هذه النظم لم تكن سوى دكتاتوريات من طراز قديم ، بينما نظام الحكم الذي قام في ايطاليا ، منذ عام ١٩٢٢ اتصف بميزات عديدة جديدة ، جعلت منه اول مثال يسجله القرن العشرون لثورة معاكسة حقيقية . فقد اقتضى له بضع سنوات من التجارب والتطبيقات قبل ان يضع نهائياً فلسفته ، وقبل ان يوضح صفاته المميزة . فمع وقوع الازمة الاقتصادية فقط ، ولا سيما بعد سنة ١٩٣٣ ، عندما استولى الحزب الوطني الاشتراكي على السلطة في المانيا ، اخذت الدكتاتورية الفاشية ، تؤلف الظاهرة الكبرى الاولى لليبرالية ، كما تمثل في التاريخ المعاصر حدثاً له مدلوله العالي اذ ان الصورة الموسولونية لهذه الدكتاتورية كانت الصورة الاكثر نسخاً وتقليداً في العالم .

هذه النظم الفاشية التي فجّرتها الازمة في كل مكان في العالم تقريباً جاءت كلها على
الفاشية
منوال الدكتاتورية الالمانية والايطالية ، تقتبس عنها في معظم الحالات ،
مظاهرها الخارجية وتدين لموسوليني ولهتلر بالشكر والولاء . وقد برزت حركات اتسمت كلها
بالطابع الفاشي ، وان اخفت في الباطن ، اوضاعاً اجتماعية وتباينت عنها واختلفت .

السماة المميزة للواقع الفاشي ، يمكن استنتاجها من درس الحوادث التي وقعت
أصولها
في ايطاليا حيث قامت الحركة ، ومن ثم في المانيا ، المسرحين الرئيسيين لها .
برزت الفاشية بأوضح وجوها ، في بلدين « كان مطروحاً على بساط البحث في كل منها مشكلة
اجتماعية ومشكلة قومية حادة » ، بلدين راحا ، الى حد بعيد ، فريسة للاضطرابات والقلق
الاجتماعي من جراء ما عانتا من حدة البطالة والصراع الطبقي ولعدم استقرار النقدي فيها . فقد
شهد كلا البلدين ثورة شعبية حركت من الأعماق ، الجماهير الهائلة ، بعد ان ضمتا الى مطالبها
القومية والاجتماعية ما شعرتا به من ذل الانتقاص الوطني ، ومن وضع اقتصادي اعتبرناه لا يطاق ،
ومن نظام سياسي اعتبرناه عاجزاً في الاساس وفاسداً في الصميم . وبما لا شك فيه قط ان الحركة
وجدت مسعفاً لها ، افتقار كلا البلدين لتقاليد ديموقراطية عريضة ، سواء منها لدى الشعب

الايطالي او في المانيا ، حيث عجزت تحسون سنة من نظام تمثيلي ، عن ترسيخ مثل هذه التقاليد وتوطيدها في البلاد ، وحيث تصارعت الاحزاب ، وحيث عجزها واقتارها الى النفوذ كاد يؤدي بالبلاد ، الى الخراب . وفي مثل هذا الجو المؤاتي ، ليس من عجب ان تساعد الازمة ، بعد ان نشبت في ايطاليا منذ عام ١٩٢٠ ، وفي المانيا ، منذ عام ١٩٢٩ ، على انكفاء الصراع الطبقي باثارتها ردة فعل ، دفاعاً عن الامتيازات والمكاسب المهددة .

تساعدنا نظرة فاعمة محالة ، الى العناصر التي تؤلف القوى التي تعتمد عليها كل من القوى هاتين الدكتاتوريتين ، على تكوين فكرة اصح ، وفهم ادق ، للطابع الذي ارتدته الحركة . تتألف هذه القوى من عناصر متباينة ، اوسعها قاعدة ، وامضاهما عزمًا ، العناصر المستمدة من الطبقات الوسطى . ففي ايطاليا هذه التي تعاني بين ١٩٢٠ - ١٩٢٢ ، من ازمة اقتصادية حادة ، في الوقت الذي كان يعقد فيه مؤتمر روما عام ١٩٢١ ، فمن اصل الـ ١٥٠ الف عضو المسجلين في الحزب الفاشي ، نجد ١٨ الف بينهم من الملاكين و ١٤ الفاً من التجار ، و ٤ آلاف من الصناعيين ، و ١٠ آلاف من اصحاب المهن الحرة ، و ٢٢ الفاً من المستخدمين (بينهم الثلث من الموظفين) ، ونحو ٢٠ الفاً من الطلاب ، أي ما يوازي مجموعه ٩٠ الفاً ليسوا بعمال ، بينما الباقون يعملون في مرافق الزراعة (٣٧ الفاً) و ٢٤ الفاً يعملون في المدن ، معظمهم عاطلون عن العمل او مستخدمون في المصالح العامة . ونرى النسبة ذاتها تقريباً ، عام ١٩٣٠ اذ ان ٢٥٤ من أصل ٣٠٨ من زعماء الحركة الفاشية الايطالية ، ظلموا من صفوف البورجوازية الصغرى .

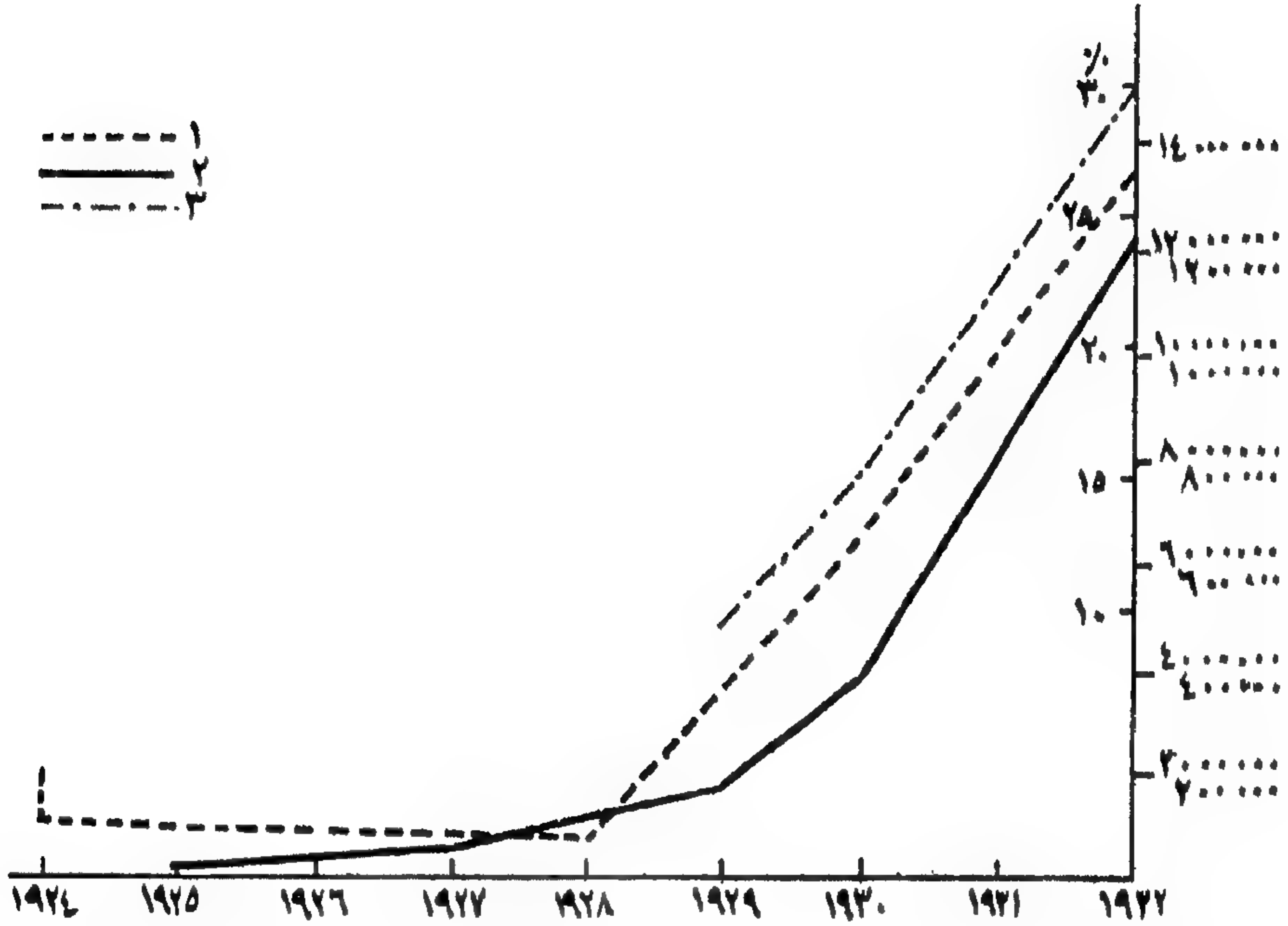
وفي المانيا حيث تعاني البلاد في الفترة ١٩٣٠ - ١٩٣٣ ، من بطالة مقعدة ، وحيث نكاد لا نجد ٢,٥٠٠,٠٠٠ شخص يملك الواحد منهم ثروة ادناها لا يتعدى ٥ آلاف مارك راينخ ، اي في بلد صارت فيه الطبقة الوسطى الى وضع البروليتاريا ، لا يختلف الوضع هنا كثيراً عنه في ايطاليا . واخذت الاشتراكية الوطنية تجمع انصارها ومؤيديها من بين صفوف الطبقة البورجوازية الصغرى ، والمستخدمين والموظفين واصحاب المهن الحرة ، ورجال الفكر المنبوذين وقدامى الضباط ، وصغار الملاكين ، ومتوسطي رجال الصناعة والتجار ، والعمال العاطلين عن العمل . والدليل القاطع على ان الطبقة العمالية لم تعضد الحرسية ، يظهره عام ١٩٣١ من خلال الانتخابات للجان المصانع وهيئاتها ، حيث مرشحوا الحزب ، لم ينالوا سوى ٥٠٠ بالمية من اصوات المقترعين ، بينما نالوا ٤٧٥ بالمية في الانتخابات لمجلس الرايشستاخ ، بعد ذلك التاريخ ، ببضعة اشهر ، اي في تموز ١٩٣٢ ، كانت اصوات البروليتاريا في صف اصوات صغار العمال . فالفاشية اذاً ، كما يتضح جلياً هي ثورة انفجرت من صميم الطبقات الوسطى . فتكون تكونت من هذه العناصر بالذات المكونة من صغار البورجوازيين او من البورجوازيين (بروليتاريا اليافة المكوية) ، والبروليتاريا الفكرية او العقلية الذين انزلوا منزلة البروليتاريا أو كفوا على وشك الصيرورة إليها بعد لأي قصير ، فناروا ضد النظام القائم . وتمسكاً بشرف

طبقتهم رفضوا التسليم بأي تبديل جذري للمجتمع ، هذا التبديل الذي هدف الى تحقيقه ، كل ما في الاشتراكية والشيوعية . ومع ان بعض العناصر كانت تكتاول اجوراً أدنى من اجور العمال فقد كانوا يشعرون مع ذلك ، بأنهم من طبقة اخرى ، او من طبقة أعلى مرتبة ، كما اعتبروا محطاً من شأنهم اجتماعياً وطبقياً ان ينزلوا منزلة العمال . والى هذه العناصر يجب ان نضيف هنا هؤلاء الشبان من ابناء الطبقة البورجوازية الذين لا عمل لهم ولا امل لهم بالعثور على عمل ، ولا سيما الطلاب منهم و « طبقات السن » الذين ضحت بهم الازمة وسدت في وجوههم كل المنافذ اي هؤلاء المنبوذين في كل الطبقات . كذلك يجب ان نضيف الى هذا اللجم ، عدداً كبيراً من صغار الملاكين الذين رزحوا تحت الدين ، ومحاربين قدامى لم يجدوا لهم عملاً في ايطاليا ، بين ١٩٢٠ - ١٩٢٢ ، او الذين عادوا من الحرب لا مهنة لهم ولا حرفة ، فتطوعوا في القنصة أو في هذه العصابات العسكرية التي مارت بها المانيا ، فرأى اعضاؤها ، في الحزب النازي ، مغامرة بطولة ، وبينهم عدد كبير لم يتأثروا باللبؤس الاقتصادي الذي افنخ على البلاد . بل اوجسوا خيفة من ان يخسروا مرتباتهم او « سعادتهم الاجتماعية » ووضعهم ، وان ينزلوا الى دركة الكادحين من رجال الصناعة ، والمساعدات التي قررت تقديمها المصالح الكبرى ضد الاشتراكية وضد الشيوعية ، لم تصل للحزب إلا بعد ذلك بكثير ، أي عندما حقق له بعض الشان في البلاد .

ان إزعام النظر في تطور الحركة النازية في المانيا يرينا بوضوح مقدار ارتباطها ارتباطاً وثيقاً بتقلبات الحياة الاقتصادية في تلك البلاد ، هذه التقلبات التي تبرز صورتها في حركة البطالة وما آلت اليه من وضع مفرج . فعدد الانصار والاصوات التي ينالها الحزب يزداد بنسبة ازدياد معدل العاطلين عن العمل (شكل ٢١٨، ٨) ففي شهر أيار ١٩٢٤ ، أي مباشرة بعد تجربة التضخم المالي المرعبة ، نال الحزب قرابة مليون صوت (٦٦ ٪) وما كادت المانيا تتخطى الازمة بعد ذلك مباشرة في كانون الأول من السنة ذاتها حتى هبط المعدل الى ٣ ٪ ؛ وفي أيار ١٩٢٨ ، عهد « الازدهار » ، هبط هذا المعدل الى ٢٦ ٪ . واذ ذاك تطل الازمة العالمية ، فاذا بالمعدل يرتفع في ايلول ١٩٣٠ ، الى ٦٤٠٧٠٠٠٠ صوت (١٨ و ٣ ٪) ليبلغ في تموز ١٩٣٢ ، نحواً من ١٣ و ٨٠٠٠٠٠٠ (٣٧ و ٣ ٪) . كل هذه الاصوات جاءت من بين صفوف الأحزاب البورجوازية غير الكاثوليكية : كاشعبيين والحزب الاقتصادي والحزب الديموقراطي والوطنيين ، بينما الأحزاب الوسطى والحزب الشعبي البافاري (كاثوليك) ، والأحزاب الاشتراكية والشيوعية بقيت ثابتة صامدة بصورة تدعو للدهشة .

جاء هذا التجمع مضاداً في الصميم للروح البرلمانية كما جاء الى الدعاية وشعاراتها
حد من الرأسمالية ، الا انه ضد البروليتاريا في جوهره .
فالايديولوجيا الفاشية والنازية تستمد بعض شعاراتها ونداءاتها من صميم مطالب الطبقة العمالية بعد ان جردتها من طابعها الدولي والبروليتاري الذي يسمو الخوف في القلوب .

« فالاشتراكية أعجز من أن تؤمن العدالة للناس ان لم تسبقها عدالة بين الشعوب . فمسلى العمال الالماني ان يعترفوا وان يسلموا انه لم يسبق لهم ان بلغوا مثل هذا الدرك من الرق والعبودية الذي اصابهم اليه الرأسمالية الاجنبية والذي فيه يرسفون اليوم ... وهذا الصراع في سبيل تحريرهم ، هو حرب أهلية بعينها نقودها ضد البورجوازية العالمية ... »
 هذا ما كتبه مولرفان دن بروك . وبعد ان تبلى غوبلز فكرة شبنغلر نراه يكتب :



شكل ٨ - كشف بياني مقارن بإزدهار وتطور الحزب الوطني الاشتراكي الالماني مع تطورات
 الازمة الاقتصادية حسبما تعبر عنها ارقام البطالة

١ - عدد الناخبين ، ٢ - عدد الاعضاء ، ٣ - نسبة العاطلين عن العمل .

« اشتراكيتنا هذه ، هي التي جاش بها ملوك بروسيا والتي ألهمت خطى الفرسان التوتونيين ... اشتراكية الواجب » . فالروح المناوئة للرأسمالية في الفاشية ، تتلاءم تماماً وهذه الالمانى الغامضة التي تجيش بها صدور الطبقات الوسطى . فهي تتجه ضد المصرف ، وتستبدل الصراع الطبقي بالكفاح ضد الرأسمالية الأجنبية ، ضد « الثراء الأجنبي » . وهذه الدعاوة يرجى لها ان تضع حداً لهذه الشرور التي تعاني منها مختلف الفئات النشابة لتعليقها بوعود مبهمه غير محدودة ، وأحياناً متضاربة ، الا انها تعمل مجتمعة على تفادي انهيار اجتماعي وهو سبب النعمة والخوف الذي بعثته الماركسية . وهذا يتفق تماماً بما لحظه لوسيان فيفر عندما كتب :

« فالامر لا يقتصر في هذه القيادات على الروح المضادة للنظام البرلماني . فهناك الروح المضادة للنقابية ، ومثلها للحرفية ، هذه الصورة المسوخة للروح النقابية (أقله من بعض وجوهها) . هنالك المظهر الخداع « الرجوع الى الحرفية » . هنالك سياسة اقتصادية ترتبط ارتباطاً وثيقاً باننيار نظام متفسخ مهمل عن طريق اغلاق البلدان الجديدة والانتاج المفرط للأجهزة الداهية الى أقصى حدود الدماء » .

ونختصر القول ، فالفاشية هي في الأساس حركة رجعية مضادة للعمالية ، قامت على اسطورة القضاء على الصراع الطبقي : فالاجراءات التي عمدت اليها في بادىء الامر تجرد العمال من سلاحهم وتحيلهم الى وضع من الدونية لا خروج لهم منها أمام أرباب العمل ، وذلك بالقضاء على الأحزاب وعلى النقابات العمالية .

ظروف وصولها للحكم
قوة الفاشية تكن أصلاً في الحزب الذي خضع لتنظيم جديد
أساسه البزة والانضباطية والتدريب العسكري والاستعراضات
والحشود المتواترة بحيث تسيطر بالقوة . في خدمتها أجهزة داهية من الدعاوة الماكرة أساسها الصحافة والراديو والسينما ، كل هذا الى شيء من إيقاع الرهبة والتجسس والرقابة الشديدة . فلم تكن مشكلة الحزب الحصول على الحكم . ففي ايطاليا كما في المانيا توصلت الحركة الى السلطة بصورة شرعية ، وسيطرة الحزب على السلطة انما جاءت نتيجة سلسلة من تواطؤ السلطات : كالقضاة والشرطة والادارة والجيش الذين غضوا النظر عن مخالفات الحزب وتجاوزاته ، كما ان هيندنبيرغ نفسه استدعى هتلر لاستلام مقاليد المستشارية في المانيا ، وعن طريق هذا الدستور الذي طالما هاجموا ورجموا تقلدوا مقاليد الحكم بشكل تحلى بملاءة الشرعية . ففي كلا البلدين اضطرت الحركة لدخول الصراع مع المنظمات العمالية التي انتهكتها العراك الطويل بين الاشتراكيين وبين الشيوعيين ، وقضوا عليها قضاء مبرماً تحت ستار الحكومة الشرعية .

العقيدة
العقيدة الفاشية هي « مزيج من التراكيب والألفاظ الثورية الطابع » وأفكار صفار البورجوازيين يجمعها مِلاط نصفي الثقافة وتعتبر ان الكفاح أمر ملازم للحياة . فالحزب هو ميليشيا مدنية في خدمة الأمة التي هي في حالة حرب مستمرة تناضل ضد الذين يحاولون خنق هذه الأمة ، فهو يحارب في سبيل تأمين السلطة للشعب وتوطيدها ، وهو ينبذ جانباً النزعة السلمية واللاعنف ، ويكون الاحتقار لما تدعوه « الديمقراطية العاجزة » . ففكرتها العائدة للقرن الثامن عشر التي ترى السعادة والازدهار شيئاً واحداً . وقد أعلنها روزنبيرغ مدوية على رؤوس الاشهاد : « لم نعد أمام صراع طبقة مع طبقة أخرى ، والعقيدة الدينية ضد عقيدة أخرى ، بل صراع الدم ضد الدم ، والعرق ضد العرق والشعب ضد الشعب » . لا مكان قط لحقوق فردية تتمسارح ومصلحة الدولة وحاجاتها بعد . أن أصبح الفرد خاضعاً لها بالكلية . كذلك في المجال الاقتصادي ، كل البنيان الاقتصادي يجب أن يخضع لمراقبة الدولة ، كالتوسع في التسليف والاسعار وتثبيت القِطع

وغير ذلك . وفي المجال الديني يجب على الدولة أن تسيطر هنا أيضاً مع انه سبق للفاشية وأعلنت عالياً ان الدولة الفاشية تنظر الى الدين نظرتها إلى أسمى مظاهر الفكر . فهو ليس موضوع احترام فقط ، بل يجب الدفاع عنه ، كما ان النازيين أعلنوا من جهتهم : الحرية التامة لكل العقائد والأديان في الدولة . فعلى الدولة أن تراقب كذلك كل نشاطات الفكر .

ومن مميزات النظام الفاشي طابعه اللاعقلاني . فهو يستنير بالمشاعر والمواطف ويغذي في الجماهير الحماسة بصورة مستمرة . وقد شدد توماس مان على « ترنح الثورة الهتلرية » . فالناطقون باسمها ، يتكلمون كمن أوقوا النبوءة . « ليس هو العقل الذي شطر الشعر إلى أربعة أقسام وأنقذ ألمانيا من كربتها » بل إيمانها ، كما يصرح هتلر أمام كتائبه . والعقل قد يكون نصيحكم بعدم الالتفاف حولي . انما الايمان وحده هو الذي استمعتم الى صوته . زعيم الحزب معصوم عن الخطأ . له ملء المعرفة والعلم . فعبادة الدوتشه أو الفوهرر والتسليم الكامل لارادتهما هي القاعدة المطلقة ! أفما نصت المادة الثامنة من وصايا الميليشيا الفاشية على ان الحق هو دوماً الى جانب موسوليني ، كما نصت المادة العاشرة « على ان حياة الدوتشه هي أثمن من كل شيء » . فهتلر هو المختار من الله وله شخصية مكرسة وموضوع عبادة حقيقية . فهو أشبه ما يكون « بمسيح في السياسة » . آمن ، وطع ، وحارب ، هذه هي كلمة السر عند الشبيبة الفاشية .

الحزب ودوره الرئيسي يعتمد نظام الحكم ، في كل مكان ، على حزب وحيد أوحد يحسّم رغبات الدولة ويمثل أمانى النخبة . فهو يتألف أصلاً من هذه فئات تتميز بانضباطيتها وتخضع لارادة زعيم الحزب أو الدوتشه المطلقة الذي يوزع الوظائف ويعين الرؤساء . فالحزب يمثل الدولة ، ويتولى أعضاؤه كل نشاط في البلاد ويشرف على توجيهها ، كما تخضع له منظمات شبه عسكرية يواجه بها خصوم الحزب وأعداءه ، منها مثلاً : فرقة الهجوم (S. A.) وسرية الدفاع (S. S.) في ألمانيا ، ومنها الميليشيا في إيطاليا ، والكتائب البرتغالية ، والكتائب الاسبانية . ويعلق أهمية قصوى على إعداد الشبيبة وتهيتها وتوحيد تفكيرها ، ويراقب نظام التعليم الذي تخضع له ويكتبها في كتائب خاصة . هنالك منظمات نسائية ومنظمات طلابية ، ومنظمات للفلاحين وأخرى للعمال تنظم فراغهم قبل العمل وبعده كجبهة العمل والنقابات الفاشية ، ثم الحرف ، ويخضعونها لنشاطات رياضية وثقافية بحيث لا يشذ أحسد عن الطوق ولا يخرج عن الصدد المرسوم ولا يخرج عن نفوذ الحزب .

كل النشاط الثقافي أو الفكري يقع تحت اشراف الحزب فيضع تحت مراقبته المباشرة اجهزة الاعلان والراديو والسينما والصحافة والمسرح والادب ... كذلك انشأ الحزب في البلاد رقابة صارمة ، والنمى كل صحافة معارضة أو حيادية ، ويوحى اليها بالموضوعات التي يجب ان تعالجها وبالطريقة التي يجب ان تعالج بها . والحزب وحده يسيطر على الشرطة الخاصة بالنظام بعد ان

اولاه سلطات واسعة جداً . فيستعمل اعنف الاساليب ومنهـا الضرب لانتزاع الاعترافات والاقراءات وارغام المتهمين على الاعتراف بما عليهم ان يعترفوا به ، ويرسل الى مخيمات الاعتقال كل من يرى وجوب اعتقاله . والقوانين النازية كالقوانين الفاشية ، عام ١٩٢٦ ، تلاحق بمعنف كل كلمة شاردة او مشبوهة ، وكل ظاهرة عداوية . فقد جرى في المانيا ، بين ١٩٣٣ - ١٩٣٨ ، توقيف اكثر من ٤٣٥،٠٠٠ شخص وجرت ملاحقتهم القانونية لمعارضتهم لنظام الحكم . كما ان المحكمة الخاصة في ايطاليا للدفاع عن الدولة لم تكن تتقيد بأي شكل من اشكال القانون ، اذ كان بإمكانها ان تصدر احكاماً لا تقبل الاعتراض على اعمال او مخالقات تبقى فيها الظنة او الشبهة غامضة ، مبهمه ، كالاتهام مثلا بعمل جماعي من شأنه ان يחדش الشعور الوطني . فقد بلغ مجموع السنين التي حُكمت بها المحكمة على ٣٠٠٠ ظنين ، ٤٥٨،٤١ سنة .

ومحافظة على نقاء الحزب ، وتخليصاً له من الفاترين او الخصوم المتنكرين ، نزع الحزب ، منذ توليه السلطة الى عملية تطهير عامة ، واحتفظ منذ ذلك الحين ، بحق العضوية والانتساب اليه ، للشباب الذين جرى تدريبهم بعد ان اطمأن اليهم . اما الهيئات والمنظمات شبه المستقلة القائمة الى جانب الحزب : كالمشاريع الانمائية الكبرى ، والكنائس والجيش ، فقد اخضعها للمراقبة وازال كل خطر عن طريق اقطاعها انعامات مادية وادبية ، بعد ان افهمتم جيداً ان الحزب وحده يستطيع ان يكبح وان يمنع عنها اي اعتداء من قبل اعدائها التقليديين المعروفين وهم : الاشتراكيون والشيوعيون .

افراغ الشبيبة وقولبتها حرصت كل الاحزاب الفاشية على تمجيد القوة وعلى اعتماد سياسة عامة سداها النفوذ ولحمتها البطش والبأس ، مما يفترض اعتمادها على جيش قوي ، لـجب ، وبالتالى على شعب مفتول العضل ينمو ويزداد بسرعة ، كما يفرض السهر على نقاء العرق والاصل : كالتخلص من اليهود ونبذهم بعيداً عن جسم الامة السليم ، وفقاً لقوانين نورمبرغ التي حظرت كل زواج او عقد زواج بين اليهود و « الآريين » ، وتعقيم الضعفاء والمرضى المصابين بمرض عضال ، والمجرمين في جميع انحاء المانيا ، وتشجيع الاهلين على الانخراط والانسال في كل البلدان . وهؤلاء الاطفال الذين تود الدولة ان تراهـم بأكبر اعداد ممكنة ، تعنى الدولة عناية خاصة بتنشئتهم وتربيتهم . فهم ملك الدولة وعلى الدولة ان تؤمن صحتهم وافراغهم وتنشئتهم بحيث يصبحون رجالاً اقوياء ، اشداء ، يزخرون بالقوة والصحة والنشاط والاستعداد للامتنال والطاعة . فالتربية الرياضية التي تستهدف الطمـاع والاخلاق ، يجب ان تحتل مكانها البارز في عملية التربية والتعليم ، هذه التربية التي يجب ان تزرع في نفوس الذشء ، عبادة الابطال وروح البذل والتضحية في سبيل الوطن . وقد جرى تنقية الهيئـة التعليمية فلم تعد لتعد في صفوفها اي يهودي ، كما نبذ منها الماركسيون وخضعت لمراقبة دقيقة . فالتعليم والدعاوة ، عاملان متلازمان في كل عملية تنشئة . فالعقيدة النازية يجب ان تغرس في نفس الطالب الابتدائي ، وكذلك في ايطاليا .

« على المدرسة ان تكون ذات طابع فاشي . ولا يعتقدن احد قط انه يمكن الاستهداف للشطط او للمبالاة في هذا المجال . انا احب التطرف في كل ما يتصل بالفاشية ... يتعلل بعضهم ان الجغرافيا والرياضيات ليست علوماً سياسية بطبيعتها ... بضع كلمات . نبرة صوت ، تلبح بسيط ، رأي معتل ، واحصائية يستشهد بها الاستاذ في معرض الحديث من على منبر التدريس ، تكفي لافرة الشك او للدخول في السياسة . لهذه الاسباب كلها ، فعمل الرياضيات له دور يلعبه في المجال السياسي ويجب ان يكون فاشياً ... » كما صرح موسوليني ، عام ١٩٣٣ .

والبيولوجيا كانت تدرس في المانيا باعتبارها علم العنصرية او العرقية ، من وجهة الدور الذي مثلته عبر التاريخ السلالات الشمالية . فالتاريخ يركز اساساً على المعاني التي تمور بها كلمات : العرق ، الشعب ، الرايخ ، الزعيم . فالى جانب المدرسة ، يعتمد الحزب في افراغ الشبيبة على مجموعة من المنظمات التي تعمل في نطاق تربية الشبيبة من بينها المنظمات الرياضية والكشفية التي تتناول الولد من ابن ثمان سنوات وتتخلى عنه وهو في الرابعة عشر لمنظمات أخرى تتم عمل الاولى وتكملها : كالخدمة الالزامية للعمل وبعد الثانية عشرة يؤول امره الى منظمة *Mocidade* في البرتغال والى جبهة الشباب ، في اسبانيا .

فخلافاً لموسوليني الذي خلق الحركة الفاشية وأسسها بعد ان تولى مقاليد آراء هتلر ونظرياته الحكم في بلاده ، كان هتلر عندما تولى مستشارية الرايخ قد سبق له ووضع برنامجاً كاملاً وخطة واضحة وتحت تصرفه كتائب منظمة وعدده مهيء من الاداريين المدربين على استعداد تام للعمل بمنأى من التطبيق التجريبي والارتجال .

فالمبادئ التي قال بها وعلم عبر عنها عالياً في *Hofbrau Haus* عام ١٩٢٠ وفي البرنامج الذي اعلنه وتآلف من ٢٥ بنسداً او نقطة محددة ، كما عبر عن مشروعاته مفصلاً في كتابه « كفاحي » الذي وضعه وهو في سجن لندسبرغ ، في اثر محاولة الانقلاب الفاشلة التي قام بها في مونيخ عام ١٩٢٣ فنظريته للعالم تنهض على نظرية الدم او العرق وهي نظرية دان هيسا لغوبينو ولوستن ستوار وتشمبرلن وبول دي لاغارد هذه النظرية التي سبق لمولر فان دن بروك ، وعرضها بتبسط ، عام ١٩٢٢ في كتابه حول الرايخ الثالث ، تقول يوجد عرق بشري اهل او اسمى هو العرق الآري الذي يتعمق بقاؤه نقياً بعد تنقيته من هذه العناصر التي حاولت ولا تزال افساده . لا سيما العنصر اليهودي الذي كان دائماً وابدأ خبير فساد وفساد .

وفي المجال السياسي اتخذ موقفاً معارضاً من المبادئ التي نادى بها وعملت الثورة الفرنسية الكبرى : هذه الايديولوجيا الليبرالية التي فرضت فرضاً على جمهورية ويمار من قبل الحلفاء الذين خرجوا منتصرين من الحرب العالمية الاولى ، واقصاها اياها على وضع من التسابعية والذي كان لازماً « ايقاظ الشعور القومي » وبعثه في النفوس . ألم يكن شعار القمصان السود وهتافهم الحربي : « استيةظي بالمانيا » ، ودعوة الشعب الالماني الى ان ينبذ جانباً الفردية والليبرالية التي لا تمتاز قط والعقلية الالمانية ، وكلها انظمة عقلانية تخلو من الطبيعة ، اذ ان المساواة والحرية هي مطالب مناقضة للعقل ، مخالفة للمنطقي ومضادة للطبيعة البشرية ، فالانسان ليس معزولاً

فهم حلقة موصلة لجميع الاجيال بعضها ببعض. فهمة الدولة المضادة للبرالية والمضادة للحزب والمضادة للمساواة ، القائمة على الترابط المسلسل ، هي المحافظة على وحدة الدم ، ووحدة اللغة ، والرجوع الى التقاليد الالمانية النوع والى كل ما انبثق من الشعب وصدر عن الشعب ، وتأمين المدى الحيوي الذي هو بحاجة ماسة اليه والذي يقتضيه تطوره ونموه . فمصدر السلطة لا يمكن في اكثرية من الافراد بل في الشعب نفسه ، في الشعب ككل ، الذي يجد ملء تعبيره الكامل في الزعيم او الفوهرر ، هذا الزعيم الذي هو تعبير لارادة الشعب والناهض بحقوقه .

اما اعداء الشعب فهم ، في الخارج روسيا وفرنسا ، وفي الداخل : الماسون ، واليهود والديموقراطية الاشتراكية التي استخدمها والتي جعل منها كارل ماركس اليهودي ، اداة لافساد المانيا والقضاء عليها . وفي المجال الاقتصادي ، ينزل هتلر باللائمة على الاحتكارات وعلى الاثرياء الجشعين ، هؤلاء الاجهزة الآلية التي لا نفس لها ولا روح ، ويعلم مناصرته للفلاحين والطبقات والملكية الخاصة . ويختصر القول فالشعب الالمانى هو شعب *Ohne Raum* يجب ان يمتد وان يتوسع نحو الشرق والجنوب والغرب من اوروبا .

كل هذه الافكار : من ازدياد للديموقراطية ولما تمثله ، واليأس الذي وصوله الى السلطة تبعته معاهدة فرساي ، والناهضة للرأسمالية وللسامية والتي تقول بالعنصرية او العرقية وتطمح الى الدكتاتورية ، ليست بافكار جديدة . فقد سبق لشبنغلر ولمولر فان دن بروك ان عبر عنها كل من شميت وعثمان سبان وكل دعاة الرابطة الجرمانية . وقد عرف هتلر ان يعرضها بعنف وحماس وقوة بحيث تعبر عن مخاوف وعن احقاد وعن المشاعر التي جاشت في صدور الجماهير الالمانية . وقد لاقى كتابه رواجاً منقطع النظير . فقد كان يبيع منه ، حتى نيسان ١٩٤٠ ، ستة ملايين نسخة بعد ان ترجم الى معظم لغات العالم : « فهو يمثل اكبر نجاح سجلته دار نشر في العالم حتى الآن » وقد جرى تعميم هذه الافكار والمبادئ وسكبها من قبل فلاسفة النازية ، امثال غوبلز وداريه وروزنبرغ امثلهم جميعاً ، وقام بتلاوتها على الجماهير المتألبة وشرحها من قبل خطباء مفوهين يفيضون بلاغة وعاطفة وحماسة ، التفت حول الحزب وناصرته ، كما قامت منظمات القمصان السود التي تولى ملر رئاستها منذ عام ١٩٢٩ بمهاجمة العمال المضربين والاشتراكيين والشيوعيين وخاضوا معهم معارك واشتبكات دامية . فمئذ ١٩٢٧ ، عد الحزب بين صفوفه ٧٢٤٠٠٠ عضو ، والمؤتمر الثالث الذي عقده الحزب في نورنبرغ اكثر من ٣٠٤٠٠٠ من كتائب الصاعقة بقمصانهم السود . وارتفع عددهم ، عام ١٩٢٨ الى ١٠٩٤٠٠٠ كما ازداد يمثل هذه النسبة عدد المناصرين .

فالبرنامج المعروف يشبع مطالب الطبقات الوسطى التي رأت في النازية حماة للنظام وللامن من « الهول الاحمر » كما زين لصغار التجار الامل بقرب زوال المخازن والمحلات التجارية ذات السعر الواحد والتي لها فروع عدة في البلاد ، كما علمهم بزوال التعاونيات كما لوح امام انظار المهنيين ورجال الصناعة بحرب سياسة التأميم ومهاجمة الرأسمالية وعلل الامل

في نفوس المزارعين بالتخفيف من اعباء الديون التي يرزحون تحتها ، وبشر العاطلين عن العمل الذين طالما دفعوهم لشاكلة العمال الذين لا يزالون في عملهم « بامتيازات ماركسية » ووعدهم بتدبير عمل لهم . وهاجم بعنف كلي اليهود الذين يحتكرون المصارف والمخازن الكبرى في البلاد والذين يتحكمون بالبورصة ، وبالحاماة والمهن الحرة . فليس من عجب ان تتضمن صفوف الحزب ويشهد ساعده يوماً بعد يوم ، فقد عدد في صفوفه ، عام ١٩٣٠ ، نحواً من ٣٨٩٠٠٠ ، وفي نيسان ١٩٣٢ ، اكثر من مليون ، وفي عام ١٩٣٣ ، اكثر من ١,٥٠٠,٠٠٠ ، كما ازدادت عدداً وقوة المنظمات شبه العسكرية بما يقرب من هذا المعدل . وقام الحزب برئاسة غوبلز بدعاية جبارة اغرقت البلاد بفيض من الجرائد والنشرات التي توزع كالطر الهتان ، ونظمت دورات مناوئة حتى في اصغر وادق المجتمعات ، واكثر الحزب من عرض قوته وبطشه ، ومن المظاهرات الجماهيرية ، والرحلات ومن خطب الفوهرر الذي اخذ يقنع الجميع بان في مقدوره وحده ان يضع حداً لهذا الوضع المفجع الذي صارت اليه الامة من جراء عبث الحاكمين .

المانيا هذه التي عاشت الفترة الواقعة بين ١٩٣٠ - ١٩٣٣ حقبة من الفواجع وشهدت صراعاً مريراً بين الاحزاب بحيث راح كل حزب يكتب كتابه الخاصة للحرب والنزال ، كالجبهة الحمراء في الحزب الشيوعي ، « والانتيفا » لعصبة مكافحة الفاشية ، والجبهة الحديدية التي ضمت المناهضين عن النظام القائم والعاملة الى جانب العلم الالماني (نحو مليونين من الاعضاء) ، والـ *Stalilhem* المرتبط بالحزب القومي الالماني ، برئاسة هوجنبرغ رئيس المجلس الاداري لمصانع كروب الخاصة بالفولاذ ، والمسيطر على جانب كبير من صحافة البلاد ، ولا سيما الجبهة السمراء للحزب الوطني الاشتراكي اقوى هذه الاحزاب وانشطها . فالنظام القائم يفتقر كلياً للسلطة ولا قوة له ، والانتخابات العامة عجزت عن اعطاء اكثرية ثابتة ، ولذا راح المارشال هيندنبورغ يحلم بوزارة لا رأي للبرلمان في قيامها وبقائها . وبالاتحاد الى المادة ٤٨ من الدستور ، كانت معظم المقررات التشريعية منذ عام ١٩٣٠ ، تصدر بشكل مراسيم (فقد صدر عام ١٩٣٢ ٥٩ مرسوماً بشأن خمسة قوانين اقرها المجلس) . وهكذا نرى ان النظام الليبرالي والبرلماني كان قد زال بالفعل من البلاد قبل ان يصل هتلر الى الحكم . وفي انتخابات تموز ، نال الحزب النازي ١٣,٨٠٠,٠٠٠ صوتاً و ٢٣٠ مقعداً في مجلس الرايشتاغ (شكل ٣، ص ١٠٨) ، وبالرغم من خسارة الحزب ٣٤ مقعداً في انتخابات تشرين الثاني ، فقد كان بإمكانهم ان يعطوا كل حركة في حكومة بروننغ ويشلوها تماماً ، كما كان باستطاعتهم ان يشلوا « حكومة البارونات » التي ألفها فون بابن . وفي ٣٠ كانون الثاني ١٩٣٣ ، وبعد ان رفض هتلر مراراً وبعد مفاوضات غامضة ، خلف هتلر دون إهراق اي نقطة دم ودون اطلاق اي عيار قاري ، المستشار شليخر ، على كرسي المستشارية في البلاد .

فهو السيد المطلق في الحكم . وألقى بشطحة قلم كل الحقوق التي نص عليها دستور ويمار ، وراح المستشار وفقاً للسلطات العامة التي اعطيت له في ٢٤ من اذار ، يرسم القوانين الجديدة ،

واتخذ من حريق مجلس الرايشتاغ ذريعة لاتخاذ الاجراءات الشديدة ولتزويد البوليس بصلاحيات واسعة لمهاجمة خصوم النظام وتوقيفهم وسومهم اشهد المعاملات قسوة وعنفاً ، وارسالهم الى مخيمات الاعتقال . ومع ذلك ، فقد ادت الانتخابات التي وقعت في ٥ آذار ، بالرغم من حوادث التوقيف والتهديد والترويع الى ٢٢٨ نائباً للحزب النازي مقابل ٣٥٩ نائباً غير نازيين ، فقد نال الاشتراكيون والشيوعيون ١٢ مليون صوت . ومع ذلك فالصراع بقي على احتدامه الشديد ، فصدرت الاوامر بالغاء الاحزاب وحظرت النقابات العمالية ، كما اسقطت حقوق اليهود واصلحوا غير صالحين قانوناً وفقاً للبند الثالث من القانون الصادر في ٧ نيسان ، كما جرت تصفية الشيوعيين والنقابيين ، وأزيل من البلاد كل اهل المطالب والنزعات الاقليمية . وجرت تنقية الإدارة العامة ووقعت باكملها تحت اشراف إدارة الحزب النازي ولم تلبث ان انصهرت بها ، كما اجبر كل الموظفين في آذار ١٩٣٤ على الانضمام لعضوية الحزب بعد ان جرى تنظيمه من جديد بحيث كان له اعضاء في اصغر القرى والديساكر . وبعد مقتل روم في ٣٠ حزيران أعيد تنظيم فرقة الصاعقة التي كان يرأسها . وما كادت تفيض روح هندنبرغ في ٢ آب ١٩٣٤ حتى كان الحزب والبلاد بأسرها في قبضة الفوهرر .

زينت دعاوة الحزب الوطني الاشتراكي العنيفة للناس الآمال وهللتهم النظام الجديد بقرب وقوع ثورة . الا انه لم يحدث شيء من ذلك بعد ان آلت السلطة الى هتلر فلم يخطر له قط على بال مس التركيب الاجتماعي في البلاد حتى ولا التعرض بشيء للمصالح الكبرى التي سهلت له الوصول الى السلطة العليا . فبند مطلع عام ١٩٣٣ ، اخذ يعلن « انتهاء عهد الثورة والازمات الذي استمر خمسة عشر سنة » ، مدخلاً بذلك الطمأنينة لأصحاب هذه المصالح . وفي هذا السبيل تنحى عن الجناح اليساري الاشتراكي في الحزب الذي كان بقيادة الاخوة شتراسر كما تخلص من العناصر المفلقة الطموحة ومن طغمة المغامرين الذين كانوا يطمعون بان يروا تحت تصرفهم ، في « اعقاب الثورة الثانية » الثروات المحترنة لدى كبار المزارعين وفي المصارف ولدى رجال الصناعة . وفي ٢٠ حزيران ، يأمر هتلر نفسه باعتقال روم زعيم هذا الفريق من رجال الصاعقة ، خصوم التسلسل الاجتماعي وخصوم عقلنة النظام وينفذ الحكم بقتله في الحال . وقد جرت إذ ذاك تصفية كل هؤلاء الذين كان ولازم موضع شك وارتباب او كان بإمكانهم ان يتزعموا حركة عصيان وتمرد امثال غرينور شتراسر او الجنرال فون شليخر وجرى تنفيذ حكم الموت فيهم .

الترجييد والركزية
جرى بسرعة تطبيق مجموعة من التشريعات الدقيقة سبق
لفلاسفة الحزب ان اعدوها من قبل . فقد جرى في المجال
السياسي توحيد الرايخ وعلان المركزية بعد ان ألغى التنظيم الفدرالي وأزيلت من الوجود كل
معالم النزعات والمطالب الاقليمية وإلغاء مجلس اللاندتاخ ونقلت الصلاحيات التي كان يتمتع بها

للحكومة المركزية وتوحدت المصالح العامة بعد إلغاء الوزارات والحكومات الخاصة بالمقاطعات والولايات واستبدلت الإدارة بأشخاص يتمتعون بثقة الحزب .

وحل محل النظام النيابي نظام رئاسي . فالفوهرر المستشار يتمتع بسلطة شخصية لا حد لها . فارادته هي التعبير بالذات عن روح الشعب الألماني ولا يعلو عليها أي قانون أو دستور تعمل به البلاد . فهو لم يتلق السلطة من أحد ولا يتقاسمها مع أحد . فهو يجمع في شخصه السلطة التشريعية والسلطة القضائية . فالقانون الجديد الذي يتعارض مع القانون الكلاسيكي ، حرر القاضي من اعتماد حرفية النص والتقيدها بها ، إذ يكفي أن يأتي قضاؤه أو حكمه منسجماً مع « الشعور الطبيعي » للشعب الألماني . كذلك أعيد النظر في قانون الجزاء بصورة جذرية ، وجرى التشديد على العقوبات . وقسا التشريع بنوع خاص على الجرائم التي تمس أو تتعرض بشيء إلى « ما فيه خير الأمة الألمانية وصلاحها » ، والخيانة (بما فيه نشر الأخبار التي تفترى القول على الحكومة والجرائم الأخرى ضد العرق أو الدم) .

بين النازية والمسيحية
في المجال الديني ، حمل العداء ضد الوسط الكاثوليكي ومحاربة السامية (مما المسيحية سوى ديانة يهودية) وعبادة الماضي الجرمانى ، الحزب النازي على اتخاذ موقف معادٍ من المسيحية ورجال الدين ، وإلى بحث الطقوس الوثنية ، أو بعبارة أخرى ، إلى جرمنة المسيحية . وراحت المسيحية الجرمانية تطهر العقيدة المسيحية من العقائد غير الآرية . واستهدفت الكنيسة المجاهدة للاضطهاد وجرى توقيف عدد من القساوسة بينهم نيمولر . ومع ذلك فقد شجبت النازية المذهب المادي والشيوعية على السواء ، وكان من بين التدابير الأولى التي اتخذتها ، حل المؤسسات المناهضة للدين وإعادة التعليم الديني إلى المدارس في بروسيا . ولذا راحت الكنيسة الكاثوليكية تعلن رضوخها ، كما راح الأساقفة يشجعون المنشورات التي صدرت من قبل ضد النازية ، وعقدت الحكومة في تموز ١٩٣٣ معاهدة دينية مع الكنيسة نصت على الاعتراف بالدولة الوطنية الاشتراكية . وحظر على الكهنة ورجال الدين التدخل بالسياسة ، وفرض على الأساقفة الذين يجري تعيينهم من قبل البابا تأدية قسم الولاء للدولة قبل المباشرة بوظائفهم . والمهم في الأمر كله هو أن المنظمات والهيئات الخيرية والتعليمات والاخويات لم يؤت على ذكرها بحيث أن الاختلافات كانت تنشب من جديد كلما جرى علنة إحدى المدارس أو أحد المستشفيات ، كما أن الملاحقات التي تجر إليها المخالفات التي يأتيها رجال الدين ومتاجرتهم بالقطع النادر وتهريب رؤوس الأموال إلى الخارج أو بعض الشطط في الأخلاق ، كانت موضوع دعاية فاجرة من قبل السلطة . والمرسوم البابوي الذي صدر عام ١٩٣٧ ، أعلن على رؤوس الأشهاد بأن العرقية مذهب يتناقض والآداب المسيحية .

النازية والحياة الفكرية
« أن الثورة التي قمنا بها ، هي ثورة شاملة جمعاء ، تناولت جميع الحقوق والمجالات وقطاعات الحياة العامة ، وقلبتنا ظهراً لبطن ورأساً على عقب ، أخذ يصرح غوبلز في فالادب والفن وقعا كغيرهما من نشاطات الحياة في

المانيا تحت نفوذها ، وحرص النظام بكل ما يملك من قوة على بث فلسفة جديدة للجمالية الفنية . فالليبرالية والمذهب العقلي لا يعطيان سوى آثار يصعب على الشعب تفهمها ، كما يفضيان الى فن شعوبي لا اخلاقي . وعلى عكس ذلك تماماً ، فالمثالية «الشهالية» للفن تقوم اصلاً على «الاعتقاد الراسخ» بان الدم والارض يكونان كنه المجتمع الالماني ... وان «الفن في انطلاقه ليس من القضايا الجمالية بل هو في الصميم قضية بيولوجية» . فعلى الفنان ان يعبر عن العرق ، عن الأمة ، عن المثال الجمالي الجرمانى ، كما عليه ان يصلح روح الشعب ويجعلها تعبر العناصر المقيمة لوحدها ولقوتها . فالنظام يعارض والحالة هذه كل حركة تعصير او تحديث . وراح الحزب يقوم بعملية تطهير شاملة في المكتبات فينتزع من بين مجموعات ليس آثار الكتاب الاشتراكيين والشيوعيين واحرار الفكر ويجعلها طعماً للنار والحريق فحسب ، بل ايضاً آثار كتاب كبار غيرهم امثال انشتاين وفرويد وويلز وجيد حتى جاك لندن ... كل الآثار الفنية التي انجبتها الكتاب البلاشفة والشعوبيون ، فانتزعت من المتاحف والمجموعات الفنية العامة ، كما جرى تنظيم معارض نقالة «للفن الفاسد الذوق» من وضع بورباخ وكورنث وكاندنسكي وكلي وكوشكا ولهمبروك والجزء من اصحابها . كذلك من غير المرغوب فيها آثار الرسامين الايطاليين المحدثين ، والانطباعيين الفرنسيين امثال مانيه وسيزان وفان غوغ . وقد بيعت آثار كثيرة بالمزاد العلني في صالات لوسرث أو أحرقت .

وقد احيطت بالتشجيع والتقييم العالي الآثار الشعبية اي تلك التي تعبر عن «روح الشعب» وقصص البطولة ، لا سيما قصص الحروب . واستطاع المسرح وحده ان يخلق او يبتدع شكلاً اصيلاً من هذه المسارح التي اقيمت في الهواء الطلق حيث جرى تمثيل المسرحيات الشعبية التي يشترك الشعب بتمثيلها في الاغاني والانشيد التي تقوم بها الجوقة . كل مظاهر الفكر على اختلافها تخضع لمراقبة المكتب المعروف بـ R. K. K. وفروعه السبعة الاخرى التي على كل من معنى بأمر الفكر ان ينتمي الى واحد منها ، وهكذا اصبح المسرح احدى مصالح الدولة يراقب الفوهرر منها المحتوى والاخراج والتوزيع . والفن الالماني الاسمى ، الموسيقى ، يخضع من الآن فصاعداً للمعهد الموسيقي الالماني . فما من نوبة واحدة يمكن لها ان تدوي في الجو الا باذن من هذا المعهد . والفنان ورؤساء الفرق الموسيقية (اكثر من خمسين بينهم برونو ولتر) والكتاب (بينهم توماس مان وواسرمان ودويلن وريمارك) والعلماء ، جرى قناعتهم جانباً عملاً بالتميز العنصري او السياسي واضطروا لمغادرة البلاد .

الممل الاقتصادي هدف النشاط الاقتصادي للقضاء على البطالة قبل كل شيء والى تأمين استقلال المانيا اقتصادياً بحيث تكفي نفسها بنفسها . وبعد الاتفاق الذي عقده هتلر ، عام ١٩٣٢ ، مع كبار رجال الصناعة الثقيلة امثال هوجنبرغ وكيردوف ونيسن ومع شاخت (ممثل جبهة هارزبرغ) ، لم يحاول النظام الجديد شيئاً من شأنه ان يمس

حقوق الملكية او ليزيد من الطاقة الشرائية لدى الفلاحين والحرفيين وصغار التجار - باستثناء تخفيضه معدل الفائدة - ولدى العمال ايضاً .

طبقة الفلاحين
التشريع الزراعي لم يمس بشيء الملكية العقارية الضخمة (فقد عدت البلاد عام ١٩٣٨ نحواً من ٧٠٠٠ استثمار عقاري تزيد مساحة العقار الواحد على ٥٠٠ هكتار) فقد هدف الاصلاح المذكور ، محافظة منه على تركيب البلاد الاجتماعي ، الى توطيد اسس الملكية الصغيرة بتأمين ارتباط الفلاح بالأرض عن طريق انشاء ملكيات عائلية لا تخضع للتجزئة ولا للتحويل ولا المصادرة يكون بالاستطاعة توريثها لواحد من ابناء الاسرة . وصاحب الحيازة الذي تعرف الأرض باسمه يجب ان يكون من العرق الآري الصرف ، وفلاحاً حقيقياً ، أميناً ويخضع لسلطة خاصة تتمتع وحدها بصلاحيات قرار التصرف بقسم من الأرض ، والسماح بتأجيرها لمدة لا تتجاوز ثلاث سنوات او لعقد قرض بشأنها . وقد كان في البلاد ، عام ١٩٣٨ ، نحواً من ٦٧٣٠٠٠ قطعة أرض او مزرعة بهذه الاوصاف ، تكون معاً ٣٢ ٪ من مجموع الأراضي الزراعية . وقد تسبب انشاؤها بعدد لا يحصى من الدعاوي والاختلافات بين افراد الاسرة الواحدة كما نجم عن هذا الوضع تعقيدات لا تحصى حالت دون ارتهاق الأرض او الاستلاف كما حالت دون تغيير صاحب الحيازة مهنته او تعاطي مهنة اخرى .

وتأميناً لأسباب تموين البلاد في حالة تعرضها لحصار بري او بحري ، تألفت في الرايخ مؤسسة ضمت بين اعضائها كل الذين يعملون في مصالح التموين : كالفلاحين المزارعين ومقدمي التقاوي وتجار الأسمدة والاجهزة الزراعية ومربي المواشي والجزارين وشركات التسليف الزراعي ، والتعاونيات واصحاب المطاحن ومعامل السكر ومصانع المواد الغذائية والمعلبات على اختلافها . وقد وزعت الى زراعات محلية وزراعات اقليمية . ويرأس كل زراعية رئيس او فوهرر ، ويأتي في رأس السلم فوهرر الفلاحين الالمان الذي يترتب عليه اتخاذ التدابير التي تؤمن احسن مردود واطيب مواسم واحسن اصناف . وقد أدت التدابير التي اتخذت لتنظيم الاسواق ولتحديد الرسوم على الغلال عند جني المواسم ، الى تأمين الاكتفاء الذاتي بنوع عام في جميع انحاء المانيا . الا انه لم يجر تقييم المحاصيل الزراعية كما ان زيادة الانتاج لم تفض الى زيادة الأرباح بحيث لم يكن باستطاعة المزارعين تأمين تجديد اجهزتهم الزراعية او صيانتها كما عجزوا عن تأمين صيانة مبانيهم . ثم ان الغاء نقابات العمال الزراعيين الذين استثنوا من ضمان البطالة ، وتخفيض الاجور ، والتنظيم الدقيق الذي خضع له اصحاب الاملاك ، كل ذلك لم يضع حداً للقلق الذي كان يتسكع فيه المزارعون ، كما يشهد على ذلك حركة النزوح من الريف الى المدن بالرغم من التدابير الجزرية التي اتخذتها السلطة بهذا الشأن ، كمنع تشغيلهم في المدن ، ووسائل ابعادهم ، وارجاعهم .

الصناعة
وسياسة الاكتفاء الذاتي ، سار عليها الحزب كذلك في القطاعين الصناعي والتجاري وأدت الى استثمار اشمل واوسع لموارد البلاد وان جاء اقل مردوداً وربحاً كما أدت الى زيادة كبرى في المواد البديلة وازدهارها ولكن لفائدة المشاريع الكبرى والمؤسسات الاستثمارية ، عن طريق حصر عمليات التسليف المالية (لهذه الشركات التي لها القدرة على « الوفاء ») ، وبفضل القانون الذي اوجب التكتلات الاحتكارية . وقد قنعت مشاريع الاستثمار الصغرى والحرفية بمظاهر خداعة من الاستقلال كما انه لم يطرأ اي تغيير على حق التملك ، الا ان التعديلات التي فرضت (كتحديد الاسعار ، وحظر رفعها) اصابستثمارات الهامشية اكثر منها الاستثمارات والمشاريع الكبرى التي جاء قانون ١٩٣٣ يقوي من شأنها على حساب التكتلات الالزامية ولا سيما على حساب المصارف (التي تحتكر سوق الاعتماد المالي) والتي تسيطر على النظام الاقتصادي والغرف التجارية . وقد انشأت براءة العمل الصادرة عام ١٩٣٤ ، الى جانب وزارة الاقتصاد الوطني ، المجلس الاقتصادي الالماني . وقد وُزِع الاقتصاد عمودياً ، الى ست اقسام او فئات ، خضع كل واحد منها لتقسيم آخر ميز بين فئات رئيسية وفئات ثانوية مهنية ، كما وزع أفقياً الى ١٨ غرفة تجارية توزعت مناطق البلاد المختلفة ، ألحقت بها ٩٠ غرفة صناعية وتجارية محلية ، تعمل كلها على مبدأ الفوهرر او الزعيم الذي يأتي على رأس كل فئة او قسم من هذه الفئات والاقسام . وكانت مهمة هذه الغرف التجارية والصناعية النظر في امثل الوسائل وخير الذرائع التي تؤول الى تحسين الانتاج وتطبيق القرارات التي تتخذها الحكومة في هذا المجال ، لا سيما ما تعلق منها بالخطط الرباعية . ولذا اخذت تتكاثر ، منذ عام ١٩٣٦ ، حوادث الافلاسات بين صفوف الصناعيين المهنيين ، بحيث هبط عددهم في البلاد الى ١٠٤٠٠٠ ، بين ١٩٣٦ - ١٩٣٨ . وفي اذار ١٩٣٩ ، صدر قرار جعل كل الحرفيين الذين « ينصرفون لعمل غير ملائم » اورد لا يتفق ومؤهلاتهم ، عرضة لاستبدال نشاطهم بآخر . وبعد ذلك ببضعة ايام صدر قرار آخر الفيت بوجبه كل مشروعات الاستثمار التي لا يجعل نشاطها التجاري حشداً ادنى ، كما الزم كل من خسر عمله من جراء هذا القرار ، الانضمام الى المشروعات الكبرى والعمل فيها ، قبل اول نيسان ١٩٣٩ . اما العمال الذين « حرموا من نقاباتهم او من اتفاقاتهم الجماعية » فقد حال تثبيت الاجور دون ادخال اي تحسين الى اوضاعهم . فقد جرى تحطيم النقابات من الاساس وأرغم الاعضاء المنتمون اليها الانسحاب الى جبهة العمل ، هذه المؤسسة الوحيدة الالزامية التي تتألف من اتحادات ومن فئات مهنية لكل منها فوهررها الاعلى ويأتي في رأس السلم الدكتور لي الذي كان عليه ان « ينظم العلاقات التي تشد الرأسمال الى العمل بما فيه المصلحة المشتركة » . وذوور الخبرات ممن هم موضوع ثقة في قلب كل مهنة او حرفة الذين يكلفون التوسط في حال نشوب اختلاف او صعوبات ما ، فقد كانوا ينتقون من بين اعضاء الحزب النازي ، من اصل لوائح من المرشحين بعدها ارباب العمل بعد الاتفاق مع رئيس الخلية صاحبة العلاقة .

انتهازية الفاشية الإيطالية مع ان الفاشية كانت أطول عمراً من النازية ، فلم تتوصل قط الى ما بلغت من المثانة والقوة المطلقة زميلتها وحليفاتها النظام النازي . فقد رأيا النور في ظروف متشابهة وفي اثر انتفاضة للشعور القومي المهروح في كبرياته ، وأثر ردة عنيفة ارتكضت بها الطبقات الموجهة ضد المخاطر التي تبعثها الاشتراكية . فقد كانت الفاشية في تطور دائم وتحول مستمر . « نحن الفاشيين ، كان موسوليني يصرح ، عام ١٩١٩ ، ليس لنا عقيدة مرسومة من قبل . فمقيدتنا هي الواقع القائم » . وعلى شاكلة هتلر ، فقد كان صنيع نفسه ، « حنكته الأيام وعركته وتركته اعجز من ان يحدد الثورة التي يتزعمها » . ان طموحه الى السلطة وكبرياهه الجامح وعزمه السيطرة على المجتمع الذي نبذه ، جعله يلجأ الى كل الوسائل ويستغل كل المناسبات التي تساعد على تحقيق أمانيه ، دون اي اهتمام او اكترات بالمبادئ الكلاسيكية . وهذا ما يفسر لنا مفاطاة الكثيرة وتراجعاته المتكررة . وباطلا يتبجح مدعياً انه تليذ نيتشه وباريتو وسوريل ، فهو انتهازي 'فَرَصِي' في الصميم . وعندما تم له الاستيلاء على السلطة ، لم يكن احد يعرف ما الذي سيأتيه فيما بعد ، اذ لم تكن الفاشية بعد سوى حركة احتجاج واسعة تحاول ان تحافظ ، بشكل ديموغوجي ، على حق الحياة والنظام والملكية . ولم يستطع قبل مسيرته المظفرة ان يؤلف له وزارة فاشية الا بعد دخوله روما بسنة واحدة ، عام ١٩٢٤ ، بعد ان تمت له اكثرية محترمة في المجلس النيابي بفضل العنف الذي اعتمده والقانون الانتخابي الذي جاء يعضد اكثر الأحزاب قوة ونفوذاً . وبعد ذلك بسنتين ، اي في سنة ١٩٢٦ ، توصل الى طرد الاحزاب المعارضة في المجلس واعلنها رسمياً غير شرعية . وهكذا نرى ان استشاره بالسلطة اقتضى له اربع سنوات لكي يرسخ النظام الذي وضعه ويوطده في البلاد ، بعد ان اتمن مراقبة الصحافة ، ونظم الحرفية تنظيماً قاسياً ، ونحى جانبا خصومه السياسيين . والمؤسسة النوعية الوحيدة الجديدة التي طلع بها ، قتلور في المجلس الفاشي الاعلى ، وهو عبارة عن مجلس استشاري لتأمين الانسجام والتنسيق بين الحزب والحكومة . وفي هذا الوقت بعينه اخذ موسوليني يقع اكثر فأكثر ، تحت تأثير الزعماء الوطنيين امثال : كوراديني وركو وفدرزوني وأصبح منذ ذلك الحين حامياً للدولة والجيش والنظام الملكي ، حق والكنيسة . والمقال حول « الفاشية » الذي ظهر في الموسوعة الإيطالية تولى وضعه وكتابته الكاتب جيوفاني جنتيلي ، فيلسوف الفاشية ، ووقعه موسوليني ، وفيه تعريف دقيق بالنظام واهدافه .

الدولة النيابية والنقابية التي هي من اخص مميزات اثره والتي جعل منها ، اول رئيس دولة في اوربا ، ابرز خصائص الفاشية التي اسسها ، لم يعمل بها الا متأخراً فظهرت المؤسسات وعُمل بها بعد ان اتصف النظام بهذه الصفة بوقت طويل . والفكرة مستمدة من نظرية التعاون الطبقي التي المع اليها البابا في براءته *Rerum Novarum* فهي تهدف للقضاء على الصراع الطبقي في المجتمع عن طريق دمج مصالح

كل الفئات في صلب البنيان الدولي بحيث تتمكن من الاشراف عليها والتوفيق فيما بينها .
والمقصود من هذا ليس تأميم المشاريع الاستثمارية بل بالاحرى اشرالك العمال في ملكيتها ، في
ارباحها وفي ادارتها ، واستبدال التمثيل الشعبي التقليدي القائم على المقاطعات بتمثيل آخر
اقتصادي الطابع والسمة ، خلى بالتعبير عن مصالح معينة واضحة بدلاً من مجموع انتخابي وهمي .
وتم تنظيم هذه المؤسسات تدريجياً مع ازدياد التفاهم بين الدوتشييه وارباب الصناعة وثوقاً وتوطيد
سلطته في البلاد . واولى مظاهر النقابات الفاشية تمثلت في الحلف الوطني للحرف النقابية
وكانت مختلطة ، اذ كان المطلوب كما تقتضي الحركة الوطنية احلال تعاون الطبقات بعضها مع
بعض محل تصارعها وتخاصمها . فالاتفاقات التي عقدت في قصر شيغي وقصر فيدونى مع ارباب
العمل عام ١٩٢٣ و ١٩٢٥ ، ألغت هذه الهيئات واستبدلتها بنقابات فاشية احتفظ الصناعيون
مقابلها بيهنتهم الخاصة : « تحالف الصناعيين » الذي اعترف به رسمياً وقد ألغى حق الاضراب
كما ألغيت لجان الاستثمار المنتخبة ، وأنشئت عام ١٩٢٦ وزارة النقابات التي اسندت الى
ج. بوتاي ، كما ان قانون روكو خلق « الدولة النقابية » . وبطل العمل بالنقابات المختلطة وحل
محلها هيئات او فئات عمالية وهيئات من ارباب العمل وخولت الحق باستيفاء اشراكات من جميع
ابناء المهنة ، المسجلين منهم وغير المسجلين ، كما خولت سلطة وضع تنظيمات ادارية تلزم
الجميع . وهكذا وقعت المنظمات العمالية تحت تابعية الحزب الفاشي الا انه لم يتم دمجها بعد في
التشكيل الحكومي .

وجاء ميثاق العمل عام ١٩٢٧ يقر مبدأ التنظيم على أساس تعاون الطبقات . ولم ينشأ
المجلس الوطني للنقابات الا في سنة ١٩٣٠ الذي ضم اعضائه ممثلين عن ارباب العمل وعن العمال ،
واخيراً ظهرت عام ١٩٣٤ النقابات التي كان وجودها من قبل حبراً على ورق وعددها ٢٢ نقابة
تألفت كل منها من ممثلين من المنظمات الخاصة بالصناعة والزراعة ، والتجارة ، وهناك عنصر
ثالث يتألف من ممثلي القطاع العام ، اي من موظفي وزارة النقابات . وتوج التنظيم ، عام ١٩٣٨
بتشكيل « غرفة الحزائم والنقابات » التي حلت محل المجلس النيابي . وقد تكونت هذه الهيئة
بالفعل بضم هيئتين سابقتين هما : المجلس الوطني للنقابات والمجلس الوطني للحزب الفاشي ،
وقد هيمن عليها العنصر السيامى وشد من قوتها اذ افاط بها تطبيق الاجراءات والتدابير التي
تتخذها الحكومة ، بينما اقرارها نهائياً يبقى بيد الدوتشييه ، بينما يتمتع فيها ارباب العمل بنفوذ
قوي اذ ان ممثلي العمال ليسوا سوى موظفين في النقابات الفاشية جرى تدريبهم في معاهد خاصة
محفوظة المقاعد فيها للشبان من الطبقة البورجوازية . اما ارباب العمل فقد مثلهم ممثلون عن القطاع
الصناعي وممثلون عن اصحاب الاملاك وكانت لهم فيه الكلمة المسموعة والرأي الفصل ، لا سيما
وعلاقتهم الخاصة بزعماء الحزب الفاشي وثيقة جداً . وهكذا فالتعايش بين العناصر المضادة
لليموقراطية : الأقلية الممثلة للاستشارات الكبرى والأقلية الادارية على الوجه الامثل .

هنالك كما نرى ، « هوة سحيقة بين الروح النقابية وبين الواقع المتحيز في ايطاليا » ، فالنقابية

الوضع من الضغط والاثارة المستمرين على الشعب ، لم يتمرس به سوى قلة من الناس : الشباب ، ولفترة قصيرة . فالسواد الاعظم من هذا الشعب الصابر ، العامل بقي يتسكع في حياة قاسية مستسامة . فالازمة زادت الناس سأمًا ومالا : فقد غاص الفلاحون والعمال في البؤس واليأس بحيث رفرف على النظام جو مشبع بالشك وبعدم الانضباط ايضا . فبعد عام ١٩٣٣ ، نرى اقل من نصف الاولاد ينخرطون في التشكيلات الفاشية على اختلاف انواعها ، بعد ان اعرض عنها العمال والفلاحون . فالطبقات الموجهة وحدها توجه اولادها شطر هذه المنظمات لانها المفتاح الذي يفتح امامهم ابواب الوظائف الادارية والمهن الحرة . ومن جهة أخرى ، ان اشراف الحزب على البلاد ، حتى على الاعضاء المسجلين فيه لم يبلغ قط من القدرة ما بلغه النظام النازي في المانيا . وقد حدث في وقت مبكر جداً تراخ امتد من اعلى السلم الاداري الى اسفله ، كما ان الفساد اخذ يدب في صفوف الحزب وكثرت مساوئ الادارة .

فطالما عرفت الفاشية ان تشدد من قبضتها على الفقراء والمساكين وعرفت ان تصون المكاسب والمنافع وحققت انتصارات سهلة في المجالات الدبلوماسية ، فقد حظيت برضى الطبقات الموجهة وحظوتها ، وقد حرص فريق من بنيتها ان لا يتورط بعيداً معها ، وبقيت متحفظة للغاية لأن دستور عام ١٨٤٨ لم يجر الفأوه رسمياً ، وهكذا فقد انتصب دوماً في وجه موسوليني نظام ملكي كامل غير منقوص . فالملك الذي عرض نفسه للنقد باستدعائه موسوليني للحكم وبوقفه المشبوه من مقتل متيوتي ، قد ارتضى بواقع السلطة الثنائية وسلم بها ، الا انه بقي مع ذلك ، في نظر عدد كبير من الايطاليين ، ولا سيما في نظر الارستوقراطية الغنية الشديدة البأس ، الرئيس الحقيقي للبلاد ، وكذلك في نظر كبار ضباط الجيش ، والدبلوماسيين ، وفي نظر كل العناصر التقليدية التي لا تزال تنعم بنفوذ قوي في البلاد . وهذه الطبقة المتشككة والمهترة للفاشية واحياناً معادية لها ، عرفت ان تحافظ على البعد الذي يفصل بينها وبين الحزب . اما طغمة الاكليروس فقد اخذت تأتي بالدليل تلو الدليل على رضاهما عن الفاشية (ألم يحى بيوس الحادي عشر منذ عام ١٩٢٦ ، في موسوليني ، رحل العناية الالهية) كلها توفرت لديه امارات الرضى والحظوة ممثلة باعادة تعليق الصليب في المباني الرسمية ، واعادة التعليم الديني الى المدارس الرسمية ، ولا سيما بعد عقد اتفاقات لاتران التي اعترفت للكنيسة بمركز ممتاز . ولذا راح رجال الاكليروس من جميع الطبقات والدرجات ، وجريدة الفاتيكان الرسمية : الاوسرفاتوراه رومانو ، يؤيدون بقوة مشروعات الدوتشييه ، لا سيما حرب فتوح الحبشة والتدخل المسلح في اسبانيا . الا ان الكنيسة احتفظت لوحدها بالمنظمة الوحيدة التي لا تخضع لمراقبة الفاشية ، اعني بها « العمل الكاثوليكي » . وما عمت هذه المنظمة ان اصبحت محور معارضة سياسية حيث اخذت تظهر للوجود أطُر الحزب الشعبي الذي حل وضحي به عام ١٩٢٢ . وعندما اعلنت الحكومة حل منظمات الشبيبة والمنظمات الطلابية ، رد البابا على ذلك برسالة عنيفة شجب فيها وندد عالياً بهذه الروح الوثنية التي تجيش بها الدولة الفاشية ، كما ان البابا احتج ، عام ١٩٣٨ على التشريعات المضادة للاسامية (مع انه كان سبق لجريدة شيفلنا

كاثوليكاً ان اثنت عالياً على التدابير الاولى التي اتخذتها . ومن نافل القول ان تعاون
الاكليروس مع الدولة لم يفتقر قط .

المعارضة في الداخل والخارج والمعارضة التي انهكتها ملاحقات البوليس وتحرياته الشديدة ،
والانشقاق المؤسف الذي تعرضت له بعد مقتل متيوتي ، ارغمتها
على السكوت أو على اللجوء الى التستر والتخفي . والمعارضة الوحيدة التي بقيت قائمة — دونما
خطر — تنحصر في مجلس الشيوخ حيث كان باستطاعة بعض الشيوخ التكلم بحرية ورفع عقيرتهم
عالياً ، كما انحصرت في مجلة النقد حيث حافظ كروتشي على تقاليد الفكر الحر . فالمعارضة
الصامتة كانت منحصرة في الاوساط الجامعية والاساتذة الذين أدوا عام ١٩٣١ ، باستثناء ١١
استاذاً منهم يمين الولاء للنظام الفاشي ، مع وجود بعض خلايا تركز فيها الفكر الحر ، وبعض
زعماء حزب الشعب . الا ان هذه « الهجرة » في الداخل لم يكن لها أي شأن كما انها لم تحاول
قط ان تلعب أي دور . اما المناضلون ، فبعضهم — وهم الشباب — يعملون في الخفاء والسرية في
جميع انحاء ايطاليا ، يطاردون البوليس ، ويوزعون الصحافة المعبرة عن المقاومة من بينها مثلاً
جريدة كارلو روسلي ، وينتهي بهم الامر عاجلاً ام آجلاً الى يد البوليس الذي يسيمهم العذابات
الاليمة او يرسل بهم الى معسكرات الاعتقال في اقاصى ايطاليا او الى الجزر الموحشة في البحر
التيرنتي ، حيث قضى المديدون منهم امثال انطونيو غرامشي ، ومنهم من يفر ناجياً بنفسه الى
الخارج ، ليعمل في الخفاء ، امثال دون ستورزو وفرنيسكو نيقي ، والكونت سفورزا ،
وبيترو ننتي ، وجيوزيب سراغات وفيليب طوراتي الذين القوا في باريس « التمركز اللافاشي » ،
وكارلو روسلي اخيراً الذي نظم الحركة المعروفة بحركة : « العدالة والحرية » واضمة نصب
اعينها تعاليم الاشتراكية الليبرالية . وقد لقيت نجاحاً كبيراً في صفوف رجال الفكر ونجحت
بتأسيس خلايا كثيرة لها في ايطاليا ، وهي خلايا لم تلبث ان صفاها البوليس الواحدة بعد
الآخرى بحيث اصبح التأكيد انه بعد عام ١٩٣٦ قضى تماماً على مناهضة الفاشية ذات النزعة
الليبرالية . وفي سنة ١٩٣٤ ، اخذ الشيوعيون الايطاليون ، في المنفى ، يتقربون من الاشتراكيين
وعقدوا مع بيترو ننتي ، في آب من تلك السنة اتفاقاً خاصاً ينص على وحدة العمل المشترك .
ثم ان مساهمة اللاجئيين الايطاليين باعداد كبيرة في الحرب الاسبانية ، شددت من موقف
الشيوعيين الذين ألفوا الطوابير الدولية برئاسة شخصيات شيوعية ، باستثناء راندولفو بتشياردي ،
قائد فرقة غاريبالدي ، واخيراً وليس آخراً مقتل الاخوة روسلي ، عام ١٩٣٧ فانزل ذلك
ضربة قاصمة بالمعارضة غير الشيوعية في ايطاليا .

٣ - انتشار الأنظمة الدكتاتورية في أنحاء أوروبا

في أوروبا الوسطى جاءت الازمة الاقتصادية في أوروبا الوسطى بتغييرات اساسية وتسببت باننيار عام لكل ما تبقي فيها من اثر للأنظمة الديمقراطية البرلمانية، التي رأت النور في اعقاب الحرب العالمية الاولى . وتشيكوسلوفاكيا بقيت وحدها امينة للنظام البرلماني لما كان عليه تركيبها الاجتماعي وتقاليدھا الادارية من مماثلة وتشابه لمؤسسات أوروبا الغربية . وكل البلدان الاخرى التي سيطرت عليها ديمقراطية صورية دبت اليها عدوى النظام الايطالي والالماني .

كان من الصعب جدا في هذه البلدان الزراعية الطابع التي رزحت تحت واقع الازمة ، ابقاء جماهير الفلاحين البائسة والبروليتاريا الصناعية التي تراصت صفوفها وتكاثفت على اثر الازدهار الصناعي الذي عرفته مؤخراً ، مسترسلة في خضوعها واستسلامها . فالاصلاحيات الزراعية لم تدخل اي تحسين يذكر على اوضاع الفلاحين والمزارعين اينما وقعت وحيثما تمت ، فبقوا يرسفون في يأس ممت ، بعد ان ناؤوا تحت وطأة الضرائب وثقل الديون المتراكمة عليهم ، في الوقت الذي جعلهم فيه هبوط المحاصيل الزراعية عاجزين تماماً عن شراء بعض ضرورات العيش من المدينة . فأوروبا الوسطى وأوروبا الشرقية تكتظ بالسكان ، والسواد الاعظم من السكان اي ما يتراوح بين الثلثين والثلاثة ارباع من هؤلاء الفلاحين يملكون مزارع لا تقى بأودهم وأود ذويهم . كما ان معظمهم يحتاج الى العمل ، اذ ان اليد العاملة الفائضة في هذه القرى تتراوح بين ثلث السكان ونصفهم . وطبقة الفهراء في هذه البلدان ، التي تعود جذورها الرئيسية الى الطبقات الفقيرة او الى الطبقة البورجوازية الصغرى والمتوسطة ، تعد بين صفوفها الكثيرين ممن يعانون من البطالة . والطبقة العمالية نفسها التي تتضخم صفوفها وتنمو باستمرار ، تشكو من بنحس الاجور كما ان البوليس يلاحق بوحشية كلية وفظاظة ، كل شكل من اشكال النقابات اذ يرى فيها خلية محتملة من خلايا البلشفية ، كما تميز بالعنف قمع لاعتصاب عمال مناجم الفحم في وادي جيو ، عام ١٩٢٩ ، وورش الخط الحديدي في غريفلسا من اعمال رومانيا ، والاعتصاب العام الذي اعلن في قولا ، من اعمال اليونان . وقد نجم عن هذا الوضع احتدام العنف بين طبقات المجتمع المتصارعة بعد احتدام التنافس بين القوميات المستاءة . فلا عجب ، والحالة هذه ان تقلق الخواطر بين الملاكين ورجال الأعمال والحكومات الرجعية من جراء الهدير المتصاعد من هذه الاوساط التي يتأكلها الحقد والبؤس . فالحل الوحيد ، في نظرهم ، للتغلب على المضاعب الاقتصادية التي يترتبصوت بها ، وعلى الضغط الاجتماعي الذي يرزحون تحته ، يقوم في تقوية سياستهم المحافظة . وهكذا طلعت في تلك البلدان ، أنظمة دكتاتورية شكت من الضعف والهزال في وجه معارضة فاشطة .

الاحزاب الفاشية قامت الى جانب الاحزاب القديمة التي انقسمت على نفسها امام الضائقة الاقتصادية الى فئات قناصر الدكتاتورية واخرى تطالب بتحقيق اصلاحات ديموقراطية جذرية ، احزاب جديدة طلعت من بين الدماء اخذت تنسج على متوال الفاشية والهنارية بعد ان تبنت مناهجها ونظم عملها . وقد اشتد ساعد هذه الاحزاب لا سيما في هذه الاقطار التي تقوم فيها اقلية يهودية قوية تتمتع ببعض النفوذ والشأن : كبولونيا وهنغاريا ورومانيا ، لا سيما في هذه البلدان بالذات حيث اخذ عدد حملة الشهادات العليا وخريجي الجامعات يزداد ويتعاظم ، وقد تناقصت امامهم ان لم نقل 'سدت' منافذ الرقي الاجتماعي التي توفرت من قبل واخذوا يشعرون ، اكثر فاكثر ، بمزاحمة اليهود لهم على المهن الحرة . فقد ألقت هذه الشبيبة المستنيرة الصفوف الأولى للحزب الوطني الراديكالي (نارا) و « ممسكر الاتحاد الوطني » بقيادة الكولونيل سكوك واخذوا يطالبون بدكتاتورية عنصرية تأخذ على نفسها تطهير البلاد من اليهود ويقطع دابرهم من الاساس مع دابر الديموقراطيين . كذلك شهدت هنغاريا طلوع « الصليبان ذات الأسهم » كما شهدت رومانيا « الحرس الحديدي » يجمع اعضاءه ومناصريه من ابناء الطبقة نفسها وتحديث دويماً قوياً بين صفوف الفلاحين والعمال . والحركتان تسجلان المزيد من الانصار والمريدين بين الفلاحين اثر حملة قوية مطالبتين بالاصلاح الزراعي ، شاجبتين بعنف وقوة اصحاب رؤوس الاموال ولا سيما اليهود . وكلمة السر عند الحرس الحديدي : « لكل انسان قدان من الأرض » والذي عرف ان يحتذب الى صفوفه العمال العاملين في هذه الصناعات الجديدة الذين تزحوا من عهد قريب من الريف ، ولم يلبث معمل مالاكسا الكبير للأسلحة في بوخارست ان اصبح قلعة الحرس الحديدي في البلاد . وعلى شاكلة ما تم في كل من المانيا وايطاليا ، فقد تلقوا تبرعات ومساعدات ضخمة من ارباب الصناعة ومن احزاب اليمين ، كما ان الادارة والمحاكم احاطوهم بالكثير من مظاهر العطف .

النظام الدكتاتوري في النمسا اما النمسا فقد احتدم الصراع فيها واشتد بين الاشتراكيين المسيطرين على فيينا تساندهم منظمة خاصة من الميليشيا افرادها من العمال ، وبين الكاثوليك اصحاب الامر والسلطة برئاسة المستشار دولفوس ، يشد من أزرم ميليشيا خاصة بقيادة الامير ستاهرنبرغ . وفي اذار عام ١٩٣٣ ، اصدر المستشار دولفوس قراراً بتأجيل انعقاد البرلمان ، وامر بحل الحزب الشيوعي والحزب النازي وفرض على البلاد دكتاتورية . وقد اصبحت الميليشيا التي تسانده ، البوليس الرسمي في البلاد ، فقمعوا بشدة فتنة اطلقها الاشتراكيون في فيينا ، بعد معركة حامية دامت ثلاثة ايام بطولها (شباط ١٩٣٤) . وخلافاً للدكتاتوريات المجاورة لم تكن الحركة التي قامت بها حركة جماهيرية ولم تمنح الحركة بأن تولي الحكم في البلاد إطار جديد من الحكم ، اذ ان وحدات الميليشيا تألفت صفوفها من رجال النظام القديم . فالحكومة القائمة برئاسة دولفوس الكاثوليكي وخلفه شوشنيغ ، هي حكومة شرعية في الصميم ومضادة للجماهير . وهذا النظام الدكتاتوري الجديد الذي تقاسمه

نزعة فاشية ممثلة بالميليشيا ، وقدامى العسكريين والارستوقراطية القديمة ورجال الاكايروس ، ونزعة مضادة للفاشية تدعمها البورجوازية اليهودية التي توجس شراً من الفتنة الاشتراكية ومن المذابح النازية ، بدت عليه معالم الضعف . والدستور الجديد الذي استلهم فيه واضعوه ايديولوجيا كاثوليكية صرفة ، وضع الدولة تحت سلطة « الله العلي العظيم مصدر كل حق وسلطان » . وهو لا ينص على انتخابات ولا على استفتاءات ، بل يؤسس دولة اساسها النقابية .

فليس من عجب بعد هذا ان يستفحل أمر النازية في ظل هذا النظام وفي مثل هذه البلاد المعروفة بمعداتها الشديدة للسامية ، حيث الشباب والعمال وكل هؤلاء الذين يكونون في صدورهم حقداً دفيناً لكل حكومة مسيحية اشتراكية ترتكز على الارستوقراطية وعلى الرجال العسكريين من الملكية الماضية ، هم على اتم استعداد للأخذ بعمود وعود التجدد . وفي ٩ اذار ١٩٣٨ ، وتحت كابوس الغزو وخطر الاجتياح ، حاول المستشار شوشنيغ أن يقوم باستفتاء هام ، في سبيل الحفاظ على « نمسا حرة » مستقلة ، اشتراكية ومسيحية . فقد سبق السيف العذل ، إذ وقع بعد ذلك بثلاثة أيام ، ضم النمسا إلى الرايخ .

أعلن دستور عام ١٩٣٥ في بولونيا ، في اثر وفاة بلسودسكي في بولونيا ومنغاريا
عام ١٩٣٥ نظاماً دكتاتورياً ظاهراً ، إلا انه لقي معارضة هنيئة من مجموع السكان الذين تبعوا كلمة السر لدى أحزاب المعارضة وامتنعوا عن الاشتراك « بالانتخابات المبينة » ، التي اشترك فيها ٤٧ ٪ لا غير من مجموع الناخبين . جرى الغاء ١٣ ٪ من أصواتهم . وقد اعتبر ثلثا الناخبين معارضين . ومع ذلك ، فموت المارشال ترك المجال حراً امام كتلة الزعماء في الجيش الذين يشددون على الدكتاتورية بدون دكتاتور ، مع انتهائهم سياسة تفاهم مع هتلر .

أما في هنغاريا ، فعزب المحافظين استمر بالحكم منذ عام ١٩٢٠ بدعم النبلاء وأرباب الأعمال ، إلا انه اخذ ينزع الى الفاشية بعد عام ١٩٣١ عندما حل على رأس الحكومة الجنرال كيبوس قائد المنظمة الارهابية المعروفة بمنظمة « المجر المسيحية » محل الكونت بثلن . وقويت النزعة واشتدت اكثر فساكثر مع خلفه المالي إمردي الذي تأثر كثيراً بحزب الصلبان ذات الاسهم .

ومنذ كانون الثاني ١٩٢٩ ، اصدر الملك اسكندر امراً بحل في اوربا الجنوبية
المجلس ووقف العمل بدستور فيدوفدان ، واعطى يوغوسلافيا الشرقية والشمالية
عام ١٩٣١ دستوراً استبدادياً ، جعل الوزراء مسؤولين أمام الملك وحده . وبعد وفاته عام ١٩٣٤ ، خفف بولس الوصي على العرش من قبضة النظام دون ان يعيد الى البلاد الحريات المدنية والسياسية . وتألقت في البلاد نقابات Jugoras عام ١٩٣٥ ، على شاكلة النقابات الفاشية ببنائها الرسمية .

اما في بلغاريا ، فقد انشأ الملك بوريس ، في اثر الانقلاب العسكري الذي قام به الجنرال جورجيف (٢٩ ايار) ادى الى حل المجلس وحل الاحزاب في البلاد ، دكتاتورية ملكية . ومع ذلك بقيت المعارضة قوية . وبالرغم من عنف البوليس وفظاظته والعذابات التي سامها ، وبالرغم من الفساد والهلل ، كان ثلث النواب الذين انتخبوا ، عام ١٩٣٨ ، من رجال المعارضة .

وفي رومانيا ، طرد حزب الفلاحين من الحكم بعد ان استأثر به منذ عام ١٩٢٨ ، وذلك في اثر القلق الذي ساد البلاد من جراء الازمة المالية . وانتهر الامير كارل هذه المناسبة للعودة الى بلاده ، ١٩٣٠ ، ويخلع ابنه عن العرش ويوسع حكمه وسلطته تدريجياً وبعد ان نجح في شباط ١٩٣٨ ، بنسف الاحزاب التقليدية في البلاد ، انشأ على المكشوف بمساعدة حكومة اتحاد وطني برئاسة البطريرك ميرون كريستيا ، دكتاتورية ذات دستور مسيحي لانيابي ، الغى الاحزاب السياسية كما الغى النقابات العمالية ، ولم يبق قائماً سوى حزب جديد المعروف بجهة البعث القومي الذي جاء تشكيكه على غرار الحزب الفاشي ببنزته الرسمية ، كما استعمل المصطلحات والتراكيب الفاشية .

اما اليونان التي اشتدت عليها قبضة فينزلوس منذ ١٩٢٧ ، فقد أعيدت الملكية اليها ، عام ١٩٣٥ ، وكان الجمهوريون والملكيون على توازن فيما بينهم ، في البرلمان . ولما تكررت فيها حوادث الاضرابات التي دعا اليها الشيوعيون ، اتخذ الجنرال من ذلك ذريعة لحل المجلس وانشاء دكتاتورية ، كما اعلن في البلاد الاحكام العرفية وقد حاكى النظام الجديد بقوته ، والعنف الذي قسح به الاضرابات الناذج الدكتاتورية التي نسج على غرارها ، بتأسيسه كتائب *Neolaia* شبه ما تكون بفرقة الصاعقة في النازية وبدعاية شخصية تحمي « مؤسس الحضارة الهلينية الثالثة » .

وقام النظام الدكتاتوري في بلدان البلطيق ، في استونيا مثلاً ، عام ١٩٣٣ ، حيث 'حل البرلمان والغيت الاحزاب ، وفي ليتونيا كذلك حيث لم يلبث أولمانيس ان اصبح ، عام ١٩٣٤ ، قادونيس او الفوهرر .

شهدت دول شبه الجزيرة الايبيرية هي ايضاً قيام دكتاتوريات . في اوروبا الجنوبية : برتغال سالازار فالجنرال كرمونا الذي اصبح رئيساً للجمهورية بعد ان طرد الجنرال غويز دا كوستا الذي استأثر بالحكم اثر حركة انقلابية قام بها عام ١٩٢٦ ، سلم مقاليد الحكم في البلاد الى سالازار استاذ الرياضيات في جامعة كويمبرا الذي اخضع البلاد لنظام دكتاتوري من جنس معين . فقد كان كاثوليكياً متزمتاً تلمذ على شارل موراس فحاول اخضاع البلاد وحكمها وفقاً لمعطيات السيلابوس او جريدة التعاليم المحرمة التي تحظر من اي تنازلات لليبرالية والاشتراكية والديموقراطية . وبصفته رئيساً لنظام حكم محافظ في الصميم ، واعتماداً منه على الجيش والكنيسة ، هدف سالازار للدفع عن الحضارة المسيحية التي تهددها تعاليم

عصرنا هذه وفلسفاته الناشزة : كالشعوبية والشيوعية والاشتراكية ، وكل ما من شأنه ان يمس بأذى « العقول والمقائد الاساسية » ، ويجعل النفوس تتشكك « بالحقائق الخالدة » . وأنشأ الدستور الجديد الذي نشر عام ١٩٣٣ ، أنشأ « دولة جديدة » نقابية ، مناهضة للديموقراطية وللنظام البرلماني . فالدولة البرتغالية هي في الصميم ، دولة مسيحية ، قومية تقوم على الاسرة والحرفية والادارة البلدية ، تلغى منها الاحزاب والماسونية . فالبلاد تتخلى عن نظام الانتخابات العامة وتعتمد بديلا عنه نظاما حرفيا او مهنيا يتصدى للروح الطبعية ويحاول ان ينظم البلاد بعد ان رزحت تحت وطأة الضائقة المالية . فالتعليم بيد الكنيسة في جميع مراحلها ، و « قانون العمل » فيها ، هو صدى قريب لبراءة العمل في ايطاليا : نقابات عمالية وحيدة ، غير ملزمة تمثل مجموع العمال ، ونقابات ارباب العمل ، بعضها إلزامي ، يعهد اليها بتحديد الحد الاعلى للاسعار ، يكونون بحكم وظيفتهم وسطاء المنتجين ، فيسهلون بيع محاصيلهم ويفصلون في الاختلافات الناشئة . ويتألف من الفئتين تحالفات مهنية واتحادات ، تعمل تحت اشراف الدولة ، على تأمين الانسجام في المجال الاقتصادي . وهذا النظام النقابي هو أقل خضوعا في البرتغال للسلطة التنفيذية منه في ايطاليا . هنالك مجلس نقابي استشاري يبدي رأيه في مشروعات القوانين التي تعرض عليها ثم تحال امام مجلس وطني يتألف من ٩٠ عضواً ينتخب لاربع سنوات . وتعمل الدولة على استفتاء الرأي العام بعملية اقتراع عام يحرم من التصويت فيه كل من يحمل القراءة والكتابة الا اذا دفعوا ضريبة معينة ، وذلك بتقديم لائحة موحدة من المرشحين « للاتحاد الوطني » يحق للناخبين فقط شطب اسم من لا يرغبون فيه . والوزراء مسؤولون امام رئيس الحكومة وحده الذي يبقى مسؤولا امام رئيس الجمهورية ، وهذا الاخير ينتخب بواسطة استفتاء شعبي لمدة سبع سنوات وتتمتع السلطة التنفيذية بحق رفض اي مشروع قانون اقره المجلس الوطني كما تتمتع بحق حل المجلس المذكور .

اسبانيا تخضت اسبانيا بحركة اختار سياسي واسعة في هذه الحقبة من تاريخها الحديث حيث ازدهرت الفنون والآداب بكتابة وفنانين لمعوا في صماء البلاد ، أمثال مينغال اوتامونيو واورتينا دي غاست والشعراء خوان رامون خيمينيس وفريدريكو غارسيا لوركا والموسيقار الشهير مانويل دي فاللا . وكان من جراء الضائقة الاقتصادية ان زاد الناس تأففا من نظام الجنرال بريز دي ريفارير الدكتاتوري ، ولم تلبث الحركة الجمهورية فيها ان طفت بعد ان اشتد ساعدها إثر الاضطرابات الاجتماعية العنيفة التي هزت البلاد واشاعت الفوضى فيها في نيسان ١٩٣١ . وتماقبت على الحكم في اسبانيا ، بين ١٩٣١ - ١٩٣٦ ، حكومات ذات ميول متضاربة : تناوحت بين تحالف اليسار بعد ان انقسموا الى اشتراكيين شيوعيين ، وجمهوريين بوجوازيين ، واشتراكيين معتدلين الذين اقرروا مجتمعين ، دستورا ديموقراطيا علمانيا ووضعوا مشروعا لاصلاح زراعي شامل . الا ان عملية الاصلاح هذه اعترضتها صعوبات حمة اخرت تطبيقها الامر الذي حمل الفلاحين على الثورة واخذوا يحتلون الاراضي . وجاءت

النتائج تخيب الآمال مما أدى في انتخابات عام ١٩٣٤ الى دخول المجلس اكثرية رجعية ساحقة تمثلت في الحاد اليمين المستقل بقيادة جيل روبلس وتوجيهاته ، والفت كتائب ميليشيا عرفت عندهم بالاحرف J. O. N. S. كانت تتنذى بالمبادئ الهتلرية والنازية ، مناهضة للماركسية وذات مطالب قومية (ضم طنجة وجبل طارق) كما أدت الى ظهور الكتائب الاسبانية بقيادة خوزه ابن بريو دي ريفيرا . وحاولت الحكومة المستندة الى احزاب اليمين خلال سنتين انتهاز سياسة النكاش مالي ، كما سعت جهدها لالغاء التشريعات الزراعية وتعديل نصوصها بإنشاء ملكية عائلية ، على الطريقة الالمانية ، لا تجزأ ولا تنقل الا للارملة او لاحد البنين ، ولا يجوز بصورة من الصور تأجيرها او رهنها ولا بيعها (الا لعائلة اخرى تكون مؤهلة هي ايضاً لمثل هذه الحيازة) . الا ان هذه السياسة التي اتسمت بالرجعية ، وقع الاضطرابات العمالية التي وقعت في مقاطعة استوريا ، بالدم والنار على يد الفرقة الاجنبية وفرقة المغاربة والطيران ، كل ذلك ساعد على تشكيل جبهة شعبية في البلاد . ولما كانوا تلقوا درساً بليغاً من انهزام الاشتراكيين في فيينا ، ومن الامثلة الفرنسية التي حدثت في باريس في السادس من شباط فقد تكتل الاشتراكيون والشيوعيون ودخلوا الانتخابات العامة في ١٦ شباط ١٩٣٦ كتلة واحدة أدت بهم الى فوز مبين لاحزاب اليسار التي ربحت ٢٦٥ مقعداً ، منها ٨٨ للاشتراكيين و ١٥ للشيوعيين مما افاح للجمهوريين العمل بنشاط لتحقيق مشروع الاصلاح الزراعي فجرى عليك ٧٥,٠٠٠ مزارع في مقاطعة استرامادور . وقد حمل هذا الفوز الطبقات الموجهة والجيش والاكليس لاستعمال العنف ، وراح الكتائبيون والفاشيون بقيادة زعمائهم خوسيه انطونيو بريو دي ريفيرا وكالفو سوتيلو ينظمون انفسهم حربياً ويستعدون للقتال . وترأس الجنرال فرنكو حركة ثورية نشبت في ١٨ تموز ، فجاء انقلاباً كلاسيكياً أعد بكل اعتناء . الا انه لقي مقاومة شعبية مفاجئة لم تكن في الحسبان . فقد تمكنت الجماهير في برشلونة ومدريد من تجريد الجند من سلاحهم . ولم يستطع الضباط ، بعد ان تخلت عنهم وحداتهم الا الاحتفاظ بقسم ضئيل من البلاد بمساعدة الفرقة الاجنبية وكتائب المغاربة وبعض المقاطعات والجزر ، ومناطق اراغون ونافار الجبلية وقشتالة وغاليسيا ، وراح الفلاحون والعمال في كل مكان يتسلحون ، بعد ان انضم اليها ١٠ رجال الاسطول وعدد كبير من افراد الجيش بتواطؤ مع احرار البورجوازيين . وهذا الصدام بين شقي اسبانيا : شق شعبي متحرر يعضده الكاثوليك الكتولونيون والباسك ، وشق ثان يعضده رجال الدين والضباط تشد ازرهم ايطاليا الفاشية والمانيا الهتلرية ، لم يلبث ان استحال الى حرب اهلية دامية هوجاء .

وفي الوقت الذي كانت تدور فيه الأعمال الحربية ، اخذت الحكومة الجمهورية في المناطق الخاضعة لنفوذها تقوم باصلاحات جذرية : فوسمت من نطاق الاصلاح الزراعي كما اخذت في تطوير الملكية الفردية الصغيرة . فقد امت في مقاطعة كتلونيا كل مشاريع الاستثمار التي يزيد عدد العمال في الواحدة على مائة عامل ، بينما اعيدت الاملاك الى اصحابها في المناطق التي سيطر

عليها الوطنيون . واخذت الدولة بعد هزيمة الجمهوريين بتنظيم البلاد على غرار التنظيم المعمول به في النظام الفاشي . فقد برهن الزعيم فرنكو على انه عسكري فطِن ، عنيد وكاثوليكي مجيش نفسه بالبغض للماسونيين وللشيوعيين . فهو يتمتع عن طريق الجيش والبوليس والادارة والمحاكم بسلطة لا حدود لها اتخذ منها اداة لتصفية الثورة واجراء مذابح في صفوف منائيه اثناء المعارك وبعدها ، كما ارسل الى المعتقلات مئات الالوف من المحصوم . فقد صرح منذ عام ١٩٣٧ قائلاً : « ان اسبانيا لتحذو حذو النظم الدكتاتورية كإيطاليا والمانيا ، وستعمد الى تبني الهيئات النقابية وبذلك تضع حداً نهائياً للمؤسسات الليبرالية التي سميت للشعب » . وهو في ذلك انما يعتمد على القوى التقليدية في اسبانيا : الكنيسة الاسبانية التي وضعت عام ١٩٣٧ في رسالة راعوية عامة ، الحركة الانقلابية « استفتاء مسلحاً » ، والتي احتفلات عام ١٩٢٩ « بانتصار الصليبيين » والجيش والبوليس اللذين يستترقان لوحدهما ، نصف موازنة الدولة ، وكذلك « الكتائب » التي انصهرت فيها ، عام ١٩٣٤ وحدات الجونز . وان انضم الحزب الكارلي المعروف بروحه الرجعية الى الحزب اصبح قانون الحزب عام ١٩٣٧ ، « مصدر الوحي والقانون للحكومة الاسبانية » . والكتائب هذا الحزب الاوحد الذي انصهرت فيه الدولة يمدّها بالمنصر الحكومي والاداري ، كما يضع تحت تصرفها بوليس امن سري ، يوجه الصحافة والدعاوة والتعليم ومنظمات الشباب والنقابات العمودية في هذه « الدولة الوطنية النقابية » ، وبذلك تتم لها السيطرة على الطبقة العمالية .

وهكذا خضعت اسبانيا لنظام دكتاتوري يختلف في وجوه عديدة عن النظامين الالماني والايطالي لوقوعه تحت قبضة الحزب اكثر منه تحت قبضة الجيش ، وبروحه الاكثريكية البارزة وبروحه الوطنية التي لم تكن تهتم كثيراً بالتوسع الخارجي ، وبسيطرة المصالح الزراعية دون الصناعة الكبرى . وقد جاء هذا النظام في طبيعة البلاد والمقلية الاسبانية اكثر منه في صنويه الآخرين .

اما البلدان المرتبطة بغيرها والتي تأثرت عميقاً بالازمة فقد انفلتت في باقي انحاء العالم هي الاخرى بالمبادئ الفاشية . ففي بلدان اميركا اللاتينية حيث، تكاثرت حوادث الانقلاب السياسية والثورات ، قسامت حركات اخذت كثيراً من ملامح الفاشية في ايطاليا والنازية في المانيا . من ذلك مثلاً « العمال التكهالي » في البرازيل وقمصانه الخضراء مع شارة خضراء على الساعد تذكراً بالصليب المعقوف « والقمصان الذهبية » في المكسيك بادارة الاكليروس الذي ينعم بعطف الجنرال فرنكو ، و « الحزب الوطني للأمن العام » المعروف بمبادئه للسامية .. وقام في الأرجنتين : الحزب الوطني الاشتراكي في الأرجنتين كما قامت منظمات تسير على هذا المنوال في كل من البيرو والشيلى وكولومبيا وبناما .

العالم الرأسمالي عام ١٩٣٩

العالم الذي شهد انفجار الحرب العالمية الثانية يختلف كل الاختلاف عن هذا العالم الذي روع، قبل ذلك ، بخمس وعشرين سنة ، بالحرب العالمية الاولى .

فمنذ عام ١٩١٤ ، اشتد التطور الذي بدت معالمه تلوح في الافق سرعة ، واخذ يعمل من الرأسمالية المتنافسة في القرن التاسع عشر ، رأسمالية اكثر احتكاراً ، تحت سيطرة قبضة من الشركات الكبرى وثقلت علائقها بالرأسمال المصرفي للسيطر سيطرة تامة على الانتاج وعلى الاسواق التي تشرف عليها هذه الشركات . وقد كان من تمركز رأس المال بيد قلة من الناس ، ومن انضمام رأس المال المصرفي الى الرأس المال الصناعي ان غير كثيراً من تقنية الرأس المال المصرفي والوسائل التي يعتمد عليها . فالشركة المغفلة حلت محل الشركة الاسمية ذات الطابع العائلي ، و « الاتفاقات » المبرمة حلت محل المنافسة ، وسياسة الحماية الجبركية التي اخذت تشتد وتقسو اكثر فاستحوذت والتي انتقل امرها من يد الحكومات الى بعض هيئات اقتصادية مهيمنة ، حلت محل مبدأ حرية التجارة . كذلك حل محل رأسمالية ترغب في التوسع ، رأسمالية تميل الى الانكماش او الانطواء وشابه شيء كثير من المملوسية الاقتصادية ، التي باستطاعتها وحدها - في اوقات البعبوحة - المحافظة على ارتفاع الاسعار عن طريق لجم وسائل الانتاج ، والتخفيف من طاقتها حسبما ترى . وعندما وقعت الازمة ، اضطرت حكومات الدول الرأسمالية للتدخل مباشرة . وسياسة التدخل التي ميزت الحقبة المنصرمة والتي لم يكن لتظهر الا لماماً ، وفي بعض قطاعات خاصة ، حل محلها ، منذ عام ١٩٣١ ، توجيه عام للاقتصاد الوطني هدف الى استغلال القوى الانتاجية تحسب تصرفه ، استغلالاً اكثر عقلانية ، كما حرص شديد الحرص على تفادي الخسائر والهزات في تطوير الانتاج ، مستعينة على ذلك بوسائل مختلفة : كالتضييق والمناصرة ، والاستئصال الكبرى ، ومراقبة المؤسسات الصناعية والمبادلات التجارية ، وسياسة التسليح . والروح الوطنية الاقتصادية المتأتمنة ، كل هذه الوسائل ادت الى خلق قيار من المقايضات العقلية بين النظم الوطنية للاقتصاد . وهذه السياسة سارت عليها ونسجت على منوالها كل الحكومات ولا سيما الدول ذات النظم الدكتاتورية ، وعلى الاخص المانيا ، وطبقوا مبادئها بصورة منهجية .

غني عن القول ان الازمة التي انفجرت في الولايات المتحدة ، عام ١٩٢٩ ، سددت ضربة قاصمة للحركة الاقتصادية في العالم اجمع واخرتها ، الامر الذي احدث حركة انتفاض وبفظة في

اقتصاديات كل الدول التي تجيش بالقومية ، وهيات ، كما حدث في المانيا السبيل لظهور هتلر واستلامه السلطة في البلاد ، كما ادت الى الجهود التي بذلتها البلدان الديموقراطية للحد من مساوئها ، استنفذت قدراً كبيراً من طاقات تلك الدول وقدراتها كان بإمكانها استغدامها للصمود للتحديات التي تعرضت لها ، وهكذا مهدت الضائقة المالية الكبرى ، الى حد كبير ، الطريق امام انفجار الحرب العالمية الثانية .

وهذا التغيير لم يقتصر على البنيان الاقتصادي بل اصاب ايضاً القوى السياسية كما نراها موزعة توزيع القوى السياسية واجرى فيها تبديلاً جذرياً . فالدول الكبرى في العالم عند اعلان الحرب العالمية الاولى ، كانت : الولايات المتحدة ومانيا وبريطانيا العظمى وفرنسا وتأتي دونها درجة ومرتبة : النمسا والمجر واليابان وروسيا وايطاليا . والنظم الديموقراطية التي كانت تستند في اكثر الاحيان الى تقاليد قديمة ، كانت مزدهرة كل الازدهار ، في الولايات المتحدة وبريطانيا العظمى وفرنسا والدول السكندنافية والدول الصغرى الواقعة الى الغرب من اوروبا . اما في ما عدا هذه البلدان ، فقد كانت هذه النظم تطلع وتأخذ بالتطور كما هي الحال في المانيا حتى وفي روسيا القيصرية .

اما في عام ١٩٣٩ ، فالصورة تختلف كلياً عما كانت عليه عام ١٩١٤ والوضع اصبح غيره تماماً . ففي منزلة الدول الكبرى ، تأتي الولايات المتحدة في الطليعة ، حتى ان قوتها برزت بكثير اية دولة أخرى ، سواء كان بانتاجها الصناعي او بمستوى العيش الرفيع الذي حققته في بلادها . فهي ارسخ دولة اجتماعياً ، كما انها رأس المال العالمي ومحوره الصناعي والمالي الاكبر . وتأتي المانيا في المرتبة الثانية من حيث القوة ، ولكن وراء الولايات المتحدة بمراحل ، يتبعها من قريب الاتحاد السوفياتي الذي يبرز قوة وقدرة اليابان ، وحتى بريطانيا العظمى وفرنسا .

وقد كشفت الازمة في المجالين الاجتماعي والسياسي المتناقضات والمفارقات التي احاطت بالديموقراطية البورجوازية ، هذا التعبير السياسي للرأسمالية الليبرالية : هذا التناقض القائم بين السلم الاجتماعي وقوى الانتاج ، والتناقض بين سيادة الجماهير السياسية وبين السيطرة الاقتصادية التي تمارسها اقلية متميزة . فالبطالة الجماهيرية الدائمة ، هذه الظاهرة الجديدة التي لم يعرفها القرن التاسع عشر ، وعدم المساواة المتزايدة في توزيع دخل المجتمع ، وتركز السلطة الاقتصادية في عدد من البيوتات آخذاً ابداً في الهبوط والنقصان ، زادت في حدة المتناقضات الاجتماعية . وراحت الجماهير ، بعد ان احسنت تنظيمها ، تحاول تطبيق مبادئ الديموقراطية في المجالين الاقتصادي والاجتماعي . ولاول مرة ، قامت حكومات اشتراكية او يدخلها اشتراكيون وبذلك كسروا الطوق وابطلوا الحكر الذي فرضته الطبقات الموجهة على الحكومة . والحال ، فكل نظام ديموقراطي يحتاج ، ليقوى ويرسخ في المجتمع ، الى نظام اقتصادي يأخذ بالتوسع والامتداد .

والحد الذي بلغه توسع الاقتصاد الرأسمالي لم يعد يسمح للطبقات الموجهة القيام بمنازلات جديدة التي حملت حتى الآن ، على تهدة المتذمرين بعد ان رفعت من مستوى عيش الطبقة العمالية . « فمبادئ المجتمع الرأسمالي أصبحت اعجز من ان تؤمن الرفاهية الشاملة التي تقتضيها الديمقراطية » (هـ . لاسكي) . فالاستيلاء على السلطة كان له أهمية كبرى في هذا الصراع القائم بين الطبقة السائدة والطبقة المسودة . وإذا ذلك انقطع التيار الذي كان يغذي المؤسسات الديمقراطية . ففي بريطانيا العظمى وفي دول غربي اوروبا حيث كان الوضع الاقتصادي أقل تعرضاً للاخضغضة ، استمرت هذه المؤسسات تعمل ضمن اطارها الرأسمالي ، مع تعرضها للشك والجدل واصابتها بالضعف عن طريق تقوية السلطة التنفيذية . أما البلدان الاخرى ، وفي اقوى البلدان الاوروبية صناعياً ، أي في المانيا بالذات التي اصبحت اكثر من غيرها من الهزيمة في الحرب ومن الازمة ، ومثلها ايطاليا واوروبا الوسطى والشرقية ، اخذت الطبقة الحاكمة ترى انه لا سبيل للبقاء والحفاظ على الحياة الا بالتخلي تماماً عن هذه المؤسسات الديمقراطية . فالثورة الفاشية المضادة قضت تماماً على منظمات الطبقة العمالية القائمة ، واعتمدت سياسة محمومة تدعو للتسلح وللبسط سيطرتها الامبريالية ، كان من شأنها تعقيد المشكلات القائمة بين الدول وبين الشعوب . والنجاحات الباهرة التي حققتها سياسة اليابان في آسيا انزلت الوهن في مراكز الدول الاستعمارية ، بينما ادت ، من جهة ثانية ، الى خلخلة النظم الاجتماعية التي قامت عليها الطبقة الحاكمة في الصين . كذلك اخذت الحركات الوطنية المطالبة بالاستقلال تنشط وتستفحل سواء في الهند او في مستعمرات فرنسا وانكلترا وهولندا .

ومع ان النظام الرأسمالي لا يزال معمولاً به في القسم الاكبر من الكرة الارضية ، فقد اخذ يشكو الضعف وتبدو عليه امارات الوهن . ونجم عن هذا الوضع المزيد من الاصطدامات الاجتماعية التي اتخذت لها مكاناً مرموقاً واصبحت عنصراً هاماً من عناصر السياسة الخارجية واخذت تلعب دوراً بارزاً في العلاقات الدولية . ففي الوقت الذي راحت فيه الشعوب تدخل حرب عام ١٩١٤ ، راضية مرضية ، نجد الطبقات المسؤولة — التي نراها منقسمة فيما بينها عام ١٩٣٩ ، يلتأها الشك والخوف من عدم اقرار الجماهير الشعبية لخطتها السياسية . فخلف الصراع الناشب بين البلدان الفاشية والبلدان الديمقراطية البرلمانية يطل علينا شبح الامبراطورية القيصريّة حيث قامت ، منذ نحو ٢٢ سنة ، دولة اشتراكية مجاهلت الازمة التي تضرس بها الجميع والتي لها من التأثير البالغ على الطبقات الحاكمة وعلى سكان المستعمرات ما يجعلها مفزعة للجميع .

القسم الثاني

العالم السوفيائي

« بينما يتراجع النظام الاقتصادي والسياسي الحر في البلدان
الرأسمالية ، نراه يزول كلياً في سدس اليابسة حيث كانت
الثورة الروسية أولى مراحل تحول اساسي في المبسادي،
الاجتاهية للحضارة الغربية » .

هـ . لاسكبي

كانت اهم نتائج الحرب العالمية الاولى الثورة الروسية — « اعظم حدث تاريخي منذ
الاصلاح ... » — لانها حطمت، وحسدة العالم التي كانت شبه محقة في السنة ١٩١٣ . فتحت
قيادة الدول الاوروبية الكبرى والولايات المتحدة ، اضطرت كافة الدول « المتخلفة » اقتصادياً
وعسكرياً ، طوعاً او كرهاً ، الى اعتماد نظام اقتصادي واجتماعي واحد ، وتبني مثل عليا
واحدة وطرائق تفكير واحدة وتقنية واحدة . ثم جاءت السنة ١٩١٧ لتحداث انفصاماً
مفاجئاً . فمنذ هذا التاريخ اخذت تتكون في وجه عالم النظام الحر والرأسمالي طريقة جديدة
كل الجدة ، تختلف مبادئها الاساسية كل الاختلاف ، ستتطور وفقاً لقواعدها الخاصة . فقد
انطلقت روسيا البلشفية من اقتصاد فردي بدائي لتتحول الى دولة صناعية وعسكرية من المرتبة
الاولى . وقد استطعنا — في الصفحات السابقة — تقدير التأثير الذي كان للدولة الروسية
الجديدة على تطور العالم الرأسمالي : تأثير ايجابي محدود نسبياً اذ افسه ارغم على انكماش وعزلة
اصبحا عامين في بعض الاحيان ، واذ ان تدخلاته المباشرة وغير المباشرة قد انتهت في النتيجة
الى فشل ، وتأثير سلبي عظيم جداً بافقاده توازن العلاقات بين الدول ؛ فلم يسهم هذا « الفراغ »
السياسي والاقتصادي في تشويش نظام المقايضات والانتاج فحسب ، بل ميزان القوى بين
الدول ايضاً ، كما زاد من حدة التوتر بين هذه الدول وبين الطبقات الاجتماعية في كل منها .

الفصل الأول

الثورة الروسية

انهيار النظام القيصري خلال ايام معدودة بفعل ضربات حركة تلقائية لم يلعب الثوار في اعدادها ، في البدء ، سوى دور محدود . فما لبثت الملكية الدستورية التي رغب زعماء الثورة الاولون في تحقيقها ان افسحت المجال لجمهورية بورجوازية تدين بالنظام الحر انهارت بدورها ، بعد اشهر قليلة ، بفعل ومن هذا النظام وافلاس ؛ فأقدم الحزب البلشفي حينذاك على تأسيس دولة اشتراكية .

١ - النار في البيت

يفسر سرعة حدوث هذا الانهيار المحلل النظام القيصري المحللاً كلياً . فان امبراطورية نقولا الثاني ، المرتكزة الى الضغط على القوميات الخاضعة لها والى سيطرة ارستوقراطية قليلة العدد ، قد تعرضت لهزة عنيفة بفعل الهزيمة والمحاولات الثورية في السنة ١٩٠٥ ؛ ولم يتيسر توطيد السلطة الا بفضل عملية قمع حازمة سبلتها مساعدة مالية فرنسية ؛ ولكن المنازعات الداخلية استمرت في كافة المستويات ؛ وقد زادت الحرب من حدتها وجعلتها صعبة الاحتمال .

ان سياسة الترويس ، التي اعتمدتها الحكومة والكنيسة
الارثوذكسية والجيش ، لا حيال القوميات الغربية فحسب ،
بل حتى حيال الاوكرانيين ايضاً ، قد ثقلت وطأتها منذ
١٩٠٥ - ١٩٠٦ واقامت في وجه النظام الشعوب الموحدة الرأي ، فتسببت في كل مكان بنشأة
أحزاب قومية انفصالية الميول . كما ان تزايد عدد السكان قد ضاعف « سعار الارض » بين
الفلاحين بينما أدى نمو الصناعة الكبرى الى قيام طبقة عمالية وفيرة العدد سهل تجنُّع
الصناعات ، في صفوفها ، ولادة وعي طبقي . أضف الى ذلك ان البورجوازية ، القليلة العدد

نسبياً ، لم تكن راضية بل كانت تشكو من تجويز الادارة وفسادها وعجزها ، ومن نظام بال يتجاهل مصالحها ويقيم العقوبات في طريق تقديمها .

ثم جاءت الحرب تزيد من حدة منازعات القوميات والطبقات . فالبولنديون ، الذين خاب املمهم بسبب نكث العهود المقطوعة لهم في بيان الغراندوق نقولا ، ولتوا وجههم شطر النمسا والمانيا ، والفنلنديون وسكان البلدان البلطيقية لم يخفوا ميولهم الألمانية او الثورية ، بينما افضى تشويش الاقتصاد والحن الشعبية والهزائم الى تفاقم الاختلافات بين الفلاحين واصحاب الاملاك ، وبين العمال والبورجوازيين ، وبين الجنود والضباط .

اذن انهار النظام شيئاً فشيئاً بدون مقاومة تقريباً تحت ضغط
الحكومة المؤقتة
العمال والجنود الثائرين ، اذ ان مستلمي زمام السلطة - باستثناء
البورجوازية
بعض اجهزة الشرطة - قد تخلوا عنه . فشكل المنتصرون
تلقائياً ، كما في السنة ١٩٠٥ ، مجلساً (سوفيات) مؤلفاً من مندوبي العمال والجنود ترأس
لجنته التنفيذية احد المنشفيك و « كرنسكي » الذي كان اشتراكياً ثورياً . وشكلت الـ « دوما »
من جهتها ، حكومة مؤقتة برئاسة الامير « لفوف » وزير الداخلية .

كانت نتيجة ذلك ان زوال الملكية ، التي كان البورجوازيون والاشراف القائلون بالنظام
الحر راغبين في الابقاء عليها بغية اعادة الانضباط العسكري والنظام الاجتماعي ، افسح المجال
لنظام ثنوي تقابلت فيه حكومة مؤقتة « شرعية » تمثل بورجوازية الاحرار دون ان تتمتع
بالسلطة اللازمة ، ومجلس السوفيات النشيط والقوي الذي يضغط عليها ويتعاطم تأثيره بقيام
مجالس السوفيات حتى في اصغر القرى . فحققت الحكومة المؤقتة اصلاحات ادخلت الى روسيا
الحريات الكلاسيكية التي تنعم بها الدول الغربية : استقلال الكنيسة الارثوذكسية ، تعيين
المحلفين في المحاكم ، مجالس ادارية محلية منتخبة بالاقتراع العام ؛ وحددت ساعات العمل بثمان
في اليوم ، ولكنها تشبثت بمبدأ « روسيا واحدة » بمنع التجزؤ ، ولم تعترف بالاستقلال
بولونيا ، وواصلت الحرب ، وأرجأت اصلاح الزراعة وقربت من الطبقات الحاكمة القديمة .
فسهل موقفها هذا نجاحات حزب البولشفيك الذي استمال الشعب ببرنامجه الاصلاحى العاجل :
سلم ، حرية القوميات ، انتزاع الاراضي من مالكيها وتأميم الارض والمصارف والمشاريع
الكبرى ، رقابة عمالية على الانتاج . فجاءت ثورة تشرين الاول ، التي كانت دون ثورة آذار
إراقة للدماء الى حد بعيد ، تسقط حكومة كرنسكي ، الذي تخلى عنه كافة من كان يعتبرهم
أنصاره ، والسكان يشاهدون ما يحدث بلا مبالاة .

اخذ كافة المعارضين ، انصار الحكومة المؤقتة ومقاوموها ،
طلبة اعمال
والاشتراكيون والضباط يجمعون شملهم . ورفضت لجنة انقاذ
الحكومة البلشفيكية
الوطن والثورة ، المؤلفة من بعض اعضاء مجلس بتروغراد
البلدي ، ولجان اخرى بمائة تأسست في المدن الهامة ، الاعتراف بحكومة لينين . فلم يكن

للحكومة الجديدة أية وسيلة عمل في مثل هذا الجو من الفوضى الغريبة . ولكنها ، على الرغم من ذلك ، تصرفت بحزم وجسارة احبطا تدابير خصومها المتعالفين . فالتحذت بسرعة ، على التوالي ، تدابير كثيرة بالغة الاهمية : نداء الى المتحاربين من اجل صلح مستعجل ، التخلي بجائاً عن الاراضي للفلاحين ، وفي كانون الثاني من السنة ١٩١٨ ، المناذاة بـ « اعلان حقوق شعوب روسيا » الذي اعدّه ستالين مفوض الشعب الجديد للقوميات ، والذي بني على « سياسة تحالف حرّ وصادق بين شعوب روسيا » ، ثم « نداء للشعوب الاسلامية العمالية في روسيا والشرق » ، وصهر مجالس سوفيات الفلاحين وسوفيات العمال والجنود ، واخيراً حل الجمعية التأسيسية المنتخبة في تشرين الثاني بعد ان اقرت قانوناً زراعياً . وحل الحزب بمناضليه محل كل الموظفين الذين بذلوا جهدهم لشلّ نشاطه ، مزيلا بذلك كل ما كان من شأنه اطالة بقاء جهاز الدولة القديم وتقاليد . وفي تموز من السنة ١٩١٨ تبني المؤتمر الخامس لمجالس السوفيات دستوراً يكرس النظام المعمول به منذ عدة اشهر . فكان دستور كفاح احظى البروليتاريا ، السند الرئيسي للنظام : يمثل لـ ٢٥٠٠٠ نسمة من سكان المدن مقابل ممثل لـ ١٢٥٠٠٠ نسمة من سكان الارياف ، اقتراع عام على عدة درجات يتيح معرفة المنتخبين معرفة فضلى ، حرمان الفئات المشتبه فيها بتعلقها بالنظام القديم من حق التصويت : النبلاء ، اعضاء الاكليروس ، ارباب العمل ، السياسيون القدماء . واسندت السلطة الى مجالس عدة تتفاوت شأناً وتؤلف هرماً يرتكز في قاعدته الى مجالس سوفيات المدن او القرى المنتخبة وحدها بالاقتراع المباشر ؛ وفي القمة ، المؤتمر الاعلى الشامل لمجالس السوفيات الذي ينتخب لجنة قومية تنفيذية يفوض اليها بكافة سلطاته في الفترات الممتدة بين دورات التشامه وتعين مفوضي الشعب الذين تسند اليهم السلطة التنفيذية . هذه هي « جمهورية مجالس سوفيات مندوبي العمال والفلاحين والجنود » ، ولكنها ابعد من ان تكون ثابتة الاركان اذ انها اجتازت ازمة رهيبية تخللتها حرب اهلية وحرب خارجية ولم تنته الا في السنة ١٩٢٢ .

لم يواجه مفوضو الشعب الصعوبات المادية الكبرى الناجمة عن تشوش
برادر
الاقتصاد وانهيائه ، والحلال الجهاز الحكومي والاداري ، ومعارضة
التدخل الاجنبي
الطبقات الحاكمة القديمة والاطر الاجتماعية القديمة فحسب ؛ بل
توجب عليهم مجابهة حرب اهلية رهيبه نهضت بها عناصر مسلحة ساندتها الحلفاء القدماء ،
وحتى حرب خارجية حقيقية أيضاً .

فمنذ ان انتقلت السيطرة الى العناصر العازمة على عقد الصلح ، وقفت الحكومات الحليفة منها ، وقفاً عدائياً . وبموجب معاهدة « برست - ليتوفسك » التي اقتطعت من روسيا اكثر اراضيها سكاناً و ثروات طبيعية ، احتل الالمان اوكرانيا الغنية بالخططة حيث ساندوا حكومة « سكورا بادسكي » الانفصالية ؛ وانزلوا كذلك في فنلندا جيوشاً ساعدت القائد « مانرهايم » على سحق الحكومة البلشفيكية التي كانت قد تولت الامور فيها ؛ ولجوا نداء الجمهورية المنشيكية

التي تأسست في جيورجيا بأسراعهم في ارسال الجيوش اليها، بينما كان الاقراك يدخلون القفقاس وباكو ويحتلون اذربيجان ويقومون بدعارة طورانية شاملة في تركستان وحتى في القرم. فكان ان الامبراطوريات الوسطى قد سلخت بذلك عن الاراضي الروسية طريدة تمتد من فنلندا الى قزوين فوضعت ايديها على خير الاراضي واوفر المناجم والصناعات ثروة وبتروول روسيا القديمة .

احتج الحلفاء على هذه « الخيانة » وسعوا لاعادة حكم يدخل روسيا الحرب مرة اخرى ويميد انشاء جبهة في الشرق ، ويضع حداً للدعارة البلشفية في الخارج ويعترف بالديون التي عقدتها الحكومة القيصرية ويحترم الممتلكات الاجنبية . فكان هذا منطلق سياسة التدخل التي تحولت تدريجياً ، بعد هزيمة المانيا ، الى سياسة حرب مباشرة تستهدف اسقاط النظام الجديد . وقد تميزت هذه السياسة اما بانزال جيوش حليفة في الاراضي الروسية ، واما بمساعدة الروس البيض ، المحافظين على اختلاف ميولهم ، والاشتراكيين الثوريين والمنشفيك ، انصار النظام القديم وانصار النظام البرلماني الحر ، وانصار القوميات ومعارض استقلالها ، الراغبين جميعاً في إعادة وحدة روسيا ، بارسال الاسلحة والتجهيزات والاموال والبعثات العسكرية اليهم .

احتل البريطانيون مراكزهم على شواطئ بحر قزوين ، واقاموا حكومة منشيفية - اشتراكية - ثورية في اشكباد واستولوا على مرو . وفي الشمال انزلوا جيوشاً في مورمانسك واركنجلسك بغية اهابة الجيوش الالمانية الموجودة في فنلندا . وفي الشرق انزلت جيوش يابانية الى البر في فلاديفوستوك بحجة تجميع الجيوش التشيكوسلوفاكية المؤلفة من جنود فارين او من اسرى حرب قدماء ينسحبون نحو شاطئ المحيط الهادىء للذهاب الى فرنسا والاشتراك في الحرب .

الحكومات المناهضة للحكومة البلشفية

في الوقت نفسه الذي ابتداء فيه هذا التدخل المباشر ، ساعد الحلفاء مناهضي الحكم البلشفية الذين تنظموا في الداخل ولا سيما في الولايات الدائرية . فقامت ولايات ثائرة مستقلة قلصت الى حد بعيد الاراضي الخاضعة خضوعاً فعلياً لسلطة حكومة موسكو (شكل ١١) : ثورة « سافتكوف » في « ياروسلاف » في شهر تموز ، تنظيم جيش مناهض للحكم البلشفية في اراضي قوزاق ال « دون » بقيادة « كورنييلوف » و « الكسياف » من بعده ، قيام حكومة « بيضاء » في اركنجلسك ، وفي الوقت نفسه اوقف الجنود التشيكوسلوفاكيون انسحابهم وعادوا واتجهوا شطر الغرب واحتلوا سامارا وقازان . وفي ايلول تألفت في « أومسك » حكومة اشتراكية ثورية . ثم أتاح عقد الهدنة في ١١ تشرين الثاني تدخل الحلفاء بنشاط وقوة : نزات جيوش فرنسية في « اوديسا » ، وفي شهر كانون الاول من السنة ١٩١٨ استولى جنود فرنسيون وبولونيون ويونانيون على طريدة ساحلية حول البحر الاسود يناهز

عرضها ١٥٠ كيلومتراً . ومن جهة أخرى قلب بعض ضباط سيبيريا حكومة اومسك وقادوا بالاميرال « كولتشاك » ، رئيساً اعظم لروسيا ، وتحقق توحيد النضال ضد البلشفيك : فان دنيكين الذي خلف « الكسياف » في قيادة جيوش « كوبان » اعترف بسلطة كولتشاك . وقد كتب كليمنصو في ٢١ كانون الاول : « ان مخطط عمل الحلفاء يستهدف محاصرة البلشفيك اقتصادياً وتنظيم الامن على ايدي العناصر الروسية » . فنفذ البرنامج في اوائل السنة ١٩١٩ وخلال الاشهر الاولى منها ؛ ففي الشرق توفق الاميرال كولتشاك ، بمشورة القائدين « جانين » و « نوكس » ، الى ارغام البلشفيك على الانسحاب نحو الفولغا . وتوفق القائد « يودنيتش » ، الذي جهزه البريطانيون بالعتدة ، الى الاستيلاء على بسكوف وبساوغ مشارف بتروغراد ، كما ان دنيكين هدد موسكو بفضل فرقة فرسانه المختارة ؛ ولكنه منذ اواخر السنة ١٩١٩ ارتد الى الوراء امام الفرسان الحمر وتخلي عنه القوزاق كما تخلى الاستونيون عن يودنيتش . وفي اوائل السنة ١٩٢٠ كان الانسحاب عاماً . فقد ارغمت جيوش كولتشاك على الهرب سيراً على الاقدام او بواسطة المزالج الى سيبيريا ، وقتل الاميرال رمياً بالرصاص منذ شهر شباط . كما ان دنيكين ، الذي حل « رانجل » محله ، قد عاد يجيوشه الى القرم التي سيجلو عنها في شهر تشرين الثاني . وجاء التهديد الاخير من بولونيا التي قامت بهجوم في اوكرانيا ، فاستولت على كييف في شهر نوار ، ولكن جيوشها ردت الى الوراء وغزيت بولونيا وهددت فارصوفيا ، فأفندتها هجوم معاكس في شهر آب ورقعت في شهر تشرين الاول الخطوط الكبرى لمعالجة الصلح التي ستعقد في « ريفا » . وفي اوائل السنة ١٩٢١ توقفت الحرب الاهلية والحرب الخارجية وابيدت الجيوش البيضاء او نفيت ، وفي السنة نفسها سقطت جمهورية جيورجيا المنشعبية التي كان الحلفاء قد اعترفوا بها اعترافاً قانونياً . وحين جلا اليابانيون ، تحت ضغط البريطانيين والاميركيين ، عن الولاية البحرية في شهر ايلول من السنة ١٩٢٢ ، انهار الحكم الابيض في جمهورية الشرق الأقصى التي اعيدت اراضيها الى الوحدة الروسية .

اذن حالف النصر الحكم البلشفيكي . اما اسباب نصره فكثيرة ومتنوعة . فشل التدخل
فالحلفاء الذين حاربوه توخوا اهدافاً متناقضة احياناً ، كما ان الرئيس
ولسون ، الذي عارض كل تدبير من شأنه النيل من وحدة الاراضي الروسية قد كبح بصورة
دائمة جراح القائلين بوجوب التدخل . اضيف الى ذلك من جهة ثانية حوادث العصيان والفرار
في وسط الجيوش التي ملت الاستمرار في الحرب ؛ ووقوف العمال الفرنسيين والبريطانيين موقفاً
عدائياً صريحاً من هذه السياسة ؛ اعتراضات الاتحاد العام للعمل والحزب الاشتراكي الفرنسي ،
واعمال الشغب والاضرابات في المدن العمالية الانكليزية ، وتبني حزب العمال هذا الشعار :
« لا تمسوا روسيا » . واقتضى اخيراً إرسال جيوش الى الهند ، وايرلندا ، ومقاومة الثورة
الهنغارية ، كما ان الاضطرابات في المانيا والخشية من اعراض الحكومة الالمانية عن توقيع معاهدة
الصلح قد حدت بالحلفاء الى الفطنة والحكمة . زد على ذلك ان الحملة العسكرية تستلزم ، كي

تكون مجدية ، ٤٠٠.٠٠٠ رجل لم تكن تعبثهم لهذه الغاية موضوع بحث . واخيراً اقتنع
انصار إعادة بناء أوروبا في اسرع وقت ممكن ، ومنهم العديد من رجال الاعمال البريطانيين ،
بانها عملية مستحيلة اذا ابقيت روسيا على انفراد . وكان من شأن مساعيهم النافذة من اجل
إعادة العلائق الاقتصادية بكافة البلدان ان ضعفت سياسة التدخل . فتدخل الحلفاء من ثم عن
التدخل المباشر ، وجعلوا عن اوديسا والقفقاس ، واعتمدوا سياسة الحجر الصحي .

اما مناهضو البلشفيكية الروس ، فكانوا هم ايضاً ضعفاء ومنقسمين :
مزينة
الثورة المساكنة
فالى اليسار ممثل اعظم قوة شعبية شأنها الاشتراكيون الثوريون
والمنشفيك ، ولكنهم اناطوا الاصلاح الزراعي باقتراح جمعية تأسيسية .

والى اليمين حيث عدد الضباط الشباب لم يكن مرتفعاً ، كانت القوة الى جانب عناصر اليمين
واقصى اليمين : كبار الملاكين ، وكبار الموظفين ، ولا سيما الضباط ، وجلهم ملكيون ، الذين
لم يتراجعوا عن اعمال العنف في سبيل إزاحة خصومهم واقامة حكومات دكتاتورية . وهو هذا
الموقف الهجومي تقفه الطبقات الحاكمة القديمة ما حاددا بالطبقات الشعبية الى الالتحاق
بالبلشفيكية . ففي الاقاليم الخاضعة للحكومات المناهضة للبلشفيكية استعاد الملاكون الاراضي
التي انتزعت منهم وحاولوا استعادة سلطتهم على « فلاحهم » ، وكان العمال المشبه « دون
برهان » بميولهم البلشفيكية ، موضوع مراقبة وعرضة للتوقيف ، فافتقرت من ثم هذه
الحكومات الى مرتكز شعبي ، ولم تتمكن في يوم من الايام من تعبئة جيوش على بعض الأهمية ؛
لا بل انفجرت ثورات قروية هائلة ، حين تألفت وراء جيوش كولتشاك ودينكين زمر انصار
ميالة الى مجالس السوفييات او زمر فوضوية فقط كزمر « ماكنو » في اوكرانيا ؛ وجسوات
القوميات اخيراً تقف في وجه سياستهم التوحيدية . فان انتصارات يودنيتش الاولى قد احرزت
بفضل مساعدة الاستونيين ، ولكن حين رأى هؤلاء ان انتصاره سوف يخضعهم مرة اخرى
للسيطرة الروسية ، احبطوا هجومه الذي انتهى الى الفشل ؛ وللسبب عينه تخلى قوزاق الدون
وكوبان و« ترك » عن كراسنوف ودينكين ؛ وفي اوكرانيا وقف السكان منهم موقفاً عدائياً دائماً ،
ولم يقاوم « بتليورا » البلشفيك مقاومته لمناهضتهم . زد على ذلك ان غطرسة القادة وجلهم
وتحكمهم وتقصيرهم ، وما سيطر على ادارتهم وقياداتهم العسكرية من فوضى وتبذير وفساد ،
كل ذلك قد ابعد عنهم السكان ، لا سيما وقد ظهروا لهم وكأنهم عملاء الاجنبي . فالهجوم البولوني
بصورة خاصة وغزو اوكرانيا قد اثارا شعوراً وطنياً متأججا انضم بتأثيره الى الجيش الأحمر
القائد بروسيلوف ، القائد العام الاخير للجيش القديم ، والعديد من الضباط القيصريين .

وفي وجه « البيض » المنقسمين ، انتصرت الحكومة البلشفيكية بفضل عزم لينين ومعاونيه
وذكايم ؛ وان سلطتها المسلم بها قد اعطت الجيوش التي قامت بعملياتها في مثل هذه المساحات
الشاسعة وحدة عمل عجز خصومها عن تحقيقها . وقد طمأننت سياسة السوفييات الاتحادية
القوميات وسياسة الحكومة الزراعية الفلاحين ، بينما انطوى برنامج البيض على العودة الى

«الوحدة» وعلى إعادة الاراضي الى مالكيها السابقين ، وبدا النظام الجديد اخيراً وكأنه الذائد عن حياض الوطن ضد حلفاء الاجنبي. وقد دعم هذا الموقف المعنوي القوي تنظيم الجيش الاحمر الذي تآلف ، في صيف السنة ١٩١٨ ، من جنود قدماء وعمال شباب وفلاحين استلم زمام قيادتهم ضباط من بينهم او من الجيش القديم نفسه . فان هؤلاء الجنود والفلاحين الذين سبق لهم ، منذ اشهر قليلة ، وولوا الادبار عن الجبهة الالمانية ، ولاذوا بالفرار ، ورفضوا القتال ، قد قبلوا بان يجندوا مرة اخرى حين ادرهكو اهمية هذا الصراع ضد عودة قوى الماضي . ولا عجب بعد ذلك اذا ما ارتفع عدد افراد القوى المسلحة من ٣٥٠.٠٠٠ في تشرين الاول من السنة ١٩١٨ الى ١.٥٠٠.٠٠٠ في ايار من السنة ١٩١٩ . وحين اقترب يودنييتش من بتروغراد وبلغت جيوش دنيكين «اوريل» حمل عمال المصانع السلاح وتجنّدوا وعبأ الحزب الشيوعي في اوكرانيا ٩٠٪ من عماله وارسلهم للاشتراك في القتال . فكان الجيش الاحمر متفوقاً هداً ومناقبية ، وقد استفاد بالاضافة الى ذلك من مركزه الوسطي ، اي من قدرته على المناورة في الخطوط الداخلية ، ومن وسائل نقل فضلى .

انتهت الحملة على البلشفية الى الفشل اذ ان القوى الحليفة كانت اقل نتائج التدخل والحرب الاهلية عدداً من ان تلعب دوراً حاسماً ، و «الحكومات» المساعدة ، المحدثه ، والمؤلفة تأليفاً صنعياً في بعض الاحيان ، قد برهنت عن عجزها . فهي لم تتقدم يوماً من السكان الا ببرنامج ملكية دستورية يكتنفه الغموض ، بينما نم سلوكها عن تصميمها على إعادة النظام الاجتماعي القديم .

اطال التدخل امس الحرب الاهلية وزاد في تفشي الفوضى الادارية واغرق البلاد ، ولا سيما اوكرانيا وسبيرييا ، في بلبلة لم تسمع بها اذن من قبل . فكانت نتيجة الحرب الاقتصادية والحرب الخارجية ، طيلة ثلاث سنوات ، مزبداً من السلب والتقتيل والنهب والبؤس والدمار في كافة الاراضي الروسية .

اختار المهزومون المنفى : فان الروس البيض على اختلاف نزعاتهم ، ويناhez عدهم المليونى نسمة بين ارستوقراطيين وضباط وصناعيين وتجار وممثلي طبقات الاحرار وافراد جيوش رانجل وكولتشاك ، ورجال فكر ، واشتراكيين - ثوريين ، وجيورجيين واوكرانيين ، قد اقاموا في منشوريا والصين وتشيكوسلوفاكيا وبلغاريا ويوغوسلافيا وكافة انحاء الشرق واميركا ، وفرنسا بنوع خاص ، متكيفين جهد المستطاع وفاقاً لظروفهم الجديدة ، وغارقين احياناً في اسوأ حالات البؤس . وقد انقسموا سياسياً الى فئات متعددة حتمل بعضها البعض مسؤولية فشل الثورة المعاكسة وتبادلت تهم الخيانة ، ولكنهم ، على الرغم من ذلك ، اثروا على الحكومات وعلى شطر من الرأي العام في البلدان التي لجأوا اليها ، تأثيراً كبيراً وطد العداة ضد روسيا البلشفية .

لذلك تركت الحرب الاهلية اثرها العميق حتى بعد زوال الدمار الذي خلفته وراءها . فان سياسة التدخل وتأثير المهاجرين على الحكومات قد اثبتت للسوفيات تصميم العالم الرأسمالي على

قلب نظامهم بكل وسيلة ممكنة ، وهذا هو مرد حذرهم امام كل تكتل وخوفهم من التطويق والحصار الذي سيرافقهم ابدًا . وبسبب عزلتهم التي فرضها عليهم نظامهم الاجتماعي الجديد وحصار اعدائهم الحاقدين المحيطين بهم ، سيصادفون صعوبات جمة في اعادة الحياة الى اقتصادهم ، وسوف يعوج تطورهم الداخلي الى حد بعيد بفعل اضطرارهم الى تجهيز وابقاء آلة حربية قوية مستعدة لمواجهة كافة التهديدات ، وبفعل حرصهم على ملاشاة كل معارضة من شأنها اضعاف طاقات الامة وعزمهم على الدفاع عن النظام . وليست بعض مميزات الدكتاتورية سوى نتيجة التدخل الحليف وذبوله .

٢ - الشيوعية الحربية والسياسة الاقتصادية الجديدة

١٩٢١ - ١٩٢٤

اقتضى عشر سنوات لانتقال النظام البلشفيكي من الاقتصاد الرأسمالي الى الاشتراكية . فالطبقات الحاكمة القديمة لم تفقد قوتها الاقتصادية والسياسية فحسب ، بل زالت بمعظمها من الوجود مادياً . وصودرت اراضيها ومصانعها وكل الرأسمال الاجنبي . فبدت الظروف من ثم مؤاتية لمراقبة وادارة الانتاج وللسيطرة على مفاتيح الاقتصاد والمصارف ووسائل النقل . ولكن روسيا كانت اكثر البلدان الاوروبية تخلفاً في حقول الصناعة ، من حيث ان المزارعين كانوا يمثلون ٨٠٪ على الاقل من مجموع السكان (نسبة اوروبا الغربية حوالي السنة ١٨٠٠) ، والطبقة العمالية ، التي كانت الركن الرئيس للحزب البلشفيكي ، لم تمثل سوى اقلية ضئيلة ، واذا وقف ملايين الفلاحين في وجه « البيض » ببسالة ، فهم لم يفعلوا ذلك من اجل السوفييات ، بل لانهم كانوا عالمين بأن هزيمة البلشفيك سوف تفقد الارض التي حصلوا عليها .

ولذلك ادرك البلشفيك الحاجة الى مرحلة انتقالية تؤمن
ازالة الحراب الذي تركته الحرب الخارجية والحرب الأهلية وتعد
الرأي العام لبناء الاشتراكية .

مرحلة الانتقال
التي تكلم عنها لينين

خلال اشهر الثورة الاولى . اشبعت التدابير المعتمدة ، على الفور ، رغائب الفلاحين والعمال والجنود ، ولكن واحداً منها لم يرق طابع الاشتراكية او الشيوعية المميز ؛ فقد نادى بالكثير منها بعض البورجوازيين الراديكاليين . فلم يواجه لينين من ثم - على الفور - اشتراكية وسائل الانتاج وانتزاع املاك الرأسماليين ، بل رقابة الدولة عن كسب على مراكز الاقتصاد الاساسية ، أعني بها المصارف ، فـان هذه الأخيرة سوف تؤمم ، كما ستؤمم شركات التأمين والشركات الاحتكارية (سكر ، بترول ، فحم حجري ، صناعة المعادن) ، ويرغم الصناعيون والتجار على الاتحاد في نقابات والتخلي عن السر التجاري ، ويجمع السكان جماعات استهلاكية . ولم يكن المقصود من ثم برنامجاً اشتراكياً ، اعتبر سابقاً لوانه ، بل نظاماً انتقالياً معداً لأن يؤدي الى الاشتراكية التي لا يمكن تحقيقها ما لم يستطع العمال تأمين المشاريع بأنفسهم ، وما لم يبع سواد

السكان « الحاجة الملحة الى ثورة اشتراكية » .

وزاد من عزم لينين على السير في طريق الفطنة هذه اعتقاده بأن من شأن الثورة الأوروبية الشاملة وحدها ان تتيح لروسيا تحويل النظام الرأسمالي الى نظام اشتراكي . وهو المخطط الذي تعتمده الطبقة الرأسمالية ، كما لفت الانتباه الى ذلك ، ما ارغمه على الشروع في اصلاحات اقتصادية عميقة الجذور قبل ان ينوي القيام بها . فان هذه السياسة كانت تفترض تعاوان الطبقات المملوكة ، والموظفين القدماء ، والفنيين البورجوازيين . والحال رغبت كل هذه القيادة الاقتصادية وسواد المثقفين في جعل كل حكم مستحيلاً وارغام رجال النظام الجديد على الانسحاب ، فقاطعت النظام . لذلك كان من الصعوبة بمكان تنفيذ التدابير المقررة خلال الاسابيع التي تلت الثورة والمدخلة بعد ذلك في قانون العمل الذي صدر في السنة ١٩١٨ : فرض العمل على كافة المواطنين (« من لا يعمل لا يأكل ») ، رقابة عمالية على الصناعة ، تأمين المصارف والارض والتجارة الخارجية ، تنظيم تعاونيات استهلاكية ، مصادرة الاملاك الكبرى دون تعويض ، الغاء حق الملكية العقارية ونقله الى الدولة ، نقل حق التمتع بالارض الى اولئك الذين يحرقونها بأيديهم وتحريم كل عمل زراعي مأجور . ونص القانون على تأليف لجان زراعية من صغار الفلاحين ومتوسطيهم تكون مهمتها مراقبة التقسيم .

الا ان تلف الآلات وسوء حالة وسائل النقل قد حال دون استثمار الارض استثماراً معقولاً ومنظماً ، وأرباب العمل الذين ما زالوا يمتلكون مشاريعهم ساندوا الحركات المناهضة للبشفيكية وأثاروا ارتياب العمال الذين اهتموم بالتخريب . وعلى الرغم من تدني عدد سكان المدن الكبرى الى أكثر من نصفه في بتروغراد ، و ٤٥٪ في موسكو ، و ٣٣٪ في عواصم اربعين ولاية ، فان تموينهم وتموين الجيش قد اثارا شجوناً كبيراً كادت تقضي على النتائج المرغوبة من التدابير المتخذة . وان الحكم الجديد ، الذي حرم من آلة جباية الضرائب القديمة ، لم يستطع تمويل المدن والجيش الا عن طريق المصادرة في الارياف . فلما كان تموين المدن مؤمناً من قبل بفائض انتاج الاملاك الكبرى ، افقد توزيع هذه الاخيرة أسواق المدن ٣٪ القمح الذي يرد عليها . لذلك توجبت المصادرة .

اما الانتاج الصناعي فقد تأخر تأخراً محزناً : ففي السنة ١٩٢٠ لم يبلغ انتاج الحديد المصبوب سوى ٢٤٪ من معدله في السنة ١٩١٣ ، وانتاج الفولاذ سوى ٤٪ ، وانتاج معامل القطن سوى ٥٪ ، وانتاج معامل السكر سوى ٨٥٪ ، ولم تواز قيمة البضائع المصنوعة المسلمة للاستهلاك سوى ثمنها في السنة ١٩١٢ . وكانت نتيجة التعبئة وفقدان العديد من العمال ابان الحرب ، ونزوح الكثير من الجياع الى الارياف ، انخفاض عدد العمال ٢٤٪ بالنسبة للمجموع ، و ٣٧٪ في اعمال الخطوط الحديدية ، و ٢٤٪ في اعمال البناء .

شيوعية الحرب في مثل هذه الظروف اعتمدت التدابير التي تميز ما دعي به « شيوعية الحرب » . فقد استهدفت هذه الاخيرة « تنظيم الاستهلاك والانتاج تنظيماً دقيقاً ملزماً في بلاد محاصرة » ، ولكنها احدثت في نظام الاقتصاد تغييرات نهائية . فهناك اولاً تأمين كافة المشاريع التي تستخدم خمسة عمال على الاقل ، اذا كان لديها محرك واحد ، وعشرة عمال في الحالات الاخرى . وهذا يعني ابتزاع ملكية الصناعة الكبرى ومعظم المشاريع الصغرى والمتوسطة ، واستبدال مجرد الرقابة العمالية بالادارة العمالية ، واسناد ادارة كل مشروع الى مدير تعينه النقابات ويعاونه مجلس عمالي منتخب ، وتنظيم انتاج كل فرع من فروع الصناعة الى ادارات مركزية . فأحدثت حينذاك ادارة حصر الحبوب الرسمية و « لجان الفلاحين الفقراء » المكلفة محاربة النفوذ السيامي الذي كان للزراعيين الميسورين من اصحاب الماشية والمعدات والمعرضين على العصيان والمقاومة ، ومصادرة مخازن الحنطة من الفلاحين الاثرياء . واسندت الى هذه اللجان كذلك مهمة توزيع البذار والتجهيزات الزراعية ، وتحديد الاسعار والاجور ، ومراقبة التعاوانيات والاسواق . واخذت تنظم اخيراً ، كلياً او جزئياً ، مزارع جماعية للانتاج والاستهلاك لم يحاوز عددها ، في السنة ١٩٢١ ، ١٪ من كافة الاستثمارات القروية .

الا ان الحرب التي عاثت فساداً ، منذ ست سنوات ، في اغنى الاراضي الزراعية (اوكرانيا) ، لم تخلف فيها سوى الخراب والدمار ؛ فتوجب اللجوء الى فائض انتاج الفلاحين المتوسطين والفقراء والاقتطاع من مؤنهم العائلية ، مما اثار استياءهم وجعلهم يشعرون على اعمال المصادرة وينكمشون على انفسهم ؛ فاجتمعوا عن انتاج كميات تفوق ما يستلزمه استهلاكهم الشخصي ، لا سيما وقد استحال عليهم الحصول على الادوات المنتجة في المصانع والبترول والصابون التي كانوا بحاجة اليها ؛ وانخفضت المساحات المزروعة من ثم ٣٠٪ ، ولم يبلغ محصول السنة ١٩٢٠ سوى ثلثي محصول السنة ١٩١٧ ونصف محصول السنة ١٩١٣ . وبعند ان تخلص الفلاحون ، بفضل هزيمة البيض ، من خطر فقدان الارض وعودة النظام القديم ، وقفوا آنذاك من الحكومة موقفاً معادياً . وبلغ اخيراً من زيادة التضخم المالي ان هذه الاخيرة حاولت جهد المستطاع الحد من دور النقد بتنظيمها ، بين العمال ومستخدمي الدولة ، طريقة معادلة مجانية للخدمات المتمثلة ببطاقات خاصة تؤمن المقايضة والدفع عينياً دون ان توقف ، من جهة ثانية ، تيار التضخم وارتفاع الاسعار الجنوني ؛ فدفعت الاجور عينياً ، وسار النقد ، الذي تزايد انخفاض قيمته يوماً بعد يوم ، في طريق التلاشي والزوال . وهكذا امسى الاقتصاد السوفياتي اقتصاداً طبيعياً ، بفعل تفكك المجتمع والقضاء على القوى المنتجة وندرة المحاصيل واليد العاملة . ولكن مقاطعة خطيرة قامت بين الارياف والمدن ، فصرف النظر عن شيوعية الحرب .

السياسة الاقتصادية الجديدة
في الوقت الذي انتهت فيه الحرب الاهلية ، وجه النداء الى المبادنة الشخصية من اجل اعادة بنساء الاقتصاد ؛ فاستبدلت المصادرات بالضريبة العينية ، وشجعت نهضة الصناعة الصغرى الضرورية لتمكين الفلاحين من تنمية انتاجهم ، واعيدت معها الرأسمالية الى حد ما . انه « انكفاء استراتيجي » لم يكن سوى حيلة مؤقتة ، لان جزءاً من تدابير شيوعية الحرب سيعتمد مرة اخرى وسوف يصبح عنصراً اساسياً من عناصر الخطة الخمسية (تأميم ، رقابة الصناعة ، تعبئة العمل) ؛ ولكن تدابير اخرى تتعلق بالشؤون المالية والنقد قد صرف النظر عنها نهائياً . ووضع نظام اقتصاد مختلط صادرت الدولة بموجبه قطاعاً هاماً يشمل وسائل النقل والمصارف والتجارة الخارجية والصناعة الكبرى والمتوسطة . وقد استخدمت مشاريع الدولة هذه من جهة ثانية ٨٤،٥ ٪ من مجموع اليد العاملة انتجت ٩٢،٤ ٪ من الانتاج النقدي ، بينما انتج اقل من ١٥ ٪ من اليد العاملة المأجورة ٢،٧ ٪ منه في التعاونيات ، ووفرت المشاريع الخاصة - ولا سيما التغذية والجلود - ٤،٩ ٪ من قيمة البضائع بواسطة ٢ ٪ فقط من العمال . فيتضح من ثم ان القطاع الصناعي الذي بقي حراً كان ضيقاً جداً .

ان السياسة الاقتصادية الجديدة التي اصبحت سارية المفعول في شهر اذار من السنة ١٩٢١ كانت في جوهرها تنازلاً للفلاحين والمنتجين الذين مست الحاجة الى ترغيبهم في الانتاج . فقد خففت وطأة الضرائب ، وكان للفلاح ، بعد تسديدها ، ملء الحرية في بيع باقي حصيده في الاسواق ؛ وعمل مجدداً ، في الوقت نفسه ، بالاقتصاد النقدي ؛ وألغيت المقايضات المباشرة الالزامية ، وأجيز لصغار الصناعيين اليدويين - على غرار الفلاحين - بيع مصنوعاتهم بحرية ؛ واعاد مصرف الدولة ، الذي تأسس في تشرين الاول ، الحسابات الجارية ، والذي تحديد المبالغ المالية الممكن اقتناؤها ، وأجيز انتقال الاراضي بالارث ، وحظرت بيع العقارات وسمح بتأجيرها ، واجيز اخيراً استخدام العمال المأجورين . وفي السنة ١٩٢٤ استبدلت الضريبة العينية بالضريبة النقدية ، وأوقف تيسار التضخم باصدار نقد جديد اطلق عليه اسم « تشرفونتنز » .

وانسجاماً مع مبادئ السياسة الاقتصادية الجديدة ، لم يعد قانون العمل ، الصادر في السنة ١٩٢٢ ، مبنياً على الزامية العمل . (التي يؤكدتها دستور السنة ١٩٢٥ مع ذلك) ؛ فهو قد اوقف العمل بها بالنسبة لشطر كبير من السكان ، ملفياً « عملياً » ان لم يكن قانوناً ، احد المبادئ الاساسية التي عمل بها في الفترة السابقة ، وعاد الى بعض مفاهيم الاقتصاد الرأسمالي ، فاعتبر عقد العمل بمثابة عقد بيع لطاقة العمل ، وحددت الاجور باتفاقات جماعية تعقد بين النقابات وارباب الاعمال ، وواجه القانون حداً ادنى من المكافأة وحماية العامل مما ونص في الوقت نفسه على دفع الاجور عن ساعات العمل والقطع المنجزة .

اما الجدة الكبرى في السياسة الاقتصادية الجديدة فكانت في محاولة تنشيط انتاج المواد

الاستهلاكية وتنمية « استقلال ومبادعة » مشاريع الدولة ، بحيث تصبح مسؤولة عن ادارتها الخاصة وتؤمن سيرها بمواردها الخاصة ، وقد واجهت تجميع هذه المشاريع في الاتحادات تعتمد الطرائق نفسها . وفي اواخر السنة ١٩٢٢ كان هناك ٤٢١ اتحاداً خارج صناعة الفحم الحجري والبتروكول ضم ٣٨٠ منها ٨٤٠ ٠٠٠ عامل ، وكان اعظمها شأنًا اتحاد صناعات النسيج في « ايفانوفو - فوسنسك » الذي ضم ٥٤ ٠٠٠ عامل ، واستخدم ٢١ اتحاداً اكثر من ١٠ ٠٠٠ في الاتحاد الواحد . وبات الاتحاد الدولة الشكل الرئيسي لتنظيم الصناعة في الدولة السوفياتية .

بفعل هذه التنازلات تقدم انتاج الزراعة تقدماً سريعاً . وعلى الرغم من الجفاف الذي قضى في السنة ١٩٢١ على محاصيل اوكرانيا ومناطق الفولغا الوسطى ، متسبباً في حدوث مجاعة رهيبية ، فقد ارتفعت المساحات المزروعة من ٦٣ مليون هكتار في السنة ١٩٢٢ الى ٨٢ في السنة ١٩٢٣ ، و ٨٧ في السنة ١٩٢٤ ، و ٩٤ ٤٠٠ ٠٠٠ في السنة ١٩٢٧ . وتحسن الدخل ، وارتفع عدد الماشية من ٤٦ مليوناً في السنة ١٩٢٢ الى ٦٢ في السنة ١٩٢٥ . وبفضل حصادي ١٩٢٢ و ١٩٢٣ الوفيرين كاد الانتاج يبلغ مستواه في السنة ١٩١٦ . وتفسر سرعة هذه النهضة بالطابع البدائي للزراعة الروسية : فلم تمس الحاجة لا الى رؤوس اموال ، ولا الى آلات ، ولا الى طرائق معقدة ، بل اغري الفلاح الروسي بعودة التجارة الخاصة ، فعاد الى محراثه الخشبي ومنجله . فكان لتحسن مصيره من ثم عظيماً جداً اذ ان السياسة الاقتصادية الجديدة قد مكنته من بيع محاصيله بسعر مرتفع ، وقانون الفلاحين الصادر في السنة ١٩٢٢ ضمن له اقتناء الارض ، واستقرار النقد التدريجي حماه من عودة التضخم الذي كان هو اولى ضحاياه ، فرأى نفسه بعد حصاد السنة ١٩٢٢ الوافر ، الذي اتاح تصدير بعض المحاصيل ، على خير ما يرام منذ الثورة .

كان حدوث نهضة على مثل هذه السرعة امراً مستحيلاً في حقول الصناعة . فقد دمر العديد من المصانع أثناء الحرب واهملت الآلات وصدئت وبقيت دون استعمال . وكانت الحرب الاهلية قد شلت العمال ، فهلك اكثر عناصر الطبقة العمالية نشاطاً واعظمها وعياً اجتماعياً في ساحات المعارك ، او وزعت على الادارات الجديدة للاشراف عليها . وكان عدد كبير من العمال قد تشتتوا في الأرياف وعادوا مجدداً الى صفوف الفلاحين التي كانوا ينتسبون إليها منذ زمن قريب . أضف الى ذلك ان طلب المواد الاستهلاكية المتزايد واستعادة التجارة الخاصة واقتصاد الكسب نشاطهما قد دفعا بصناعة المواد الاستهلاكية الى الامام ، ولكن الصناعة الثقيلة بقيت مصابة بالشلل . وارتفع الانتاج - مع بقائه متأخراً جداً - ، ففي الصناعات الريفية او اليدوية بلغ ٥٤٪ من مستواه في السنة ١٩١٢ ، وفي الصناعات الصوفية ٥٥٪ ، وفي الصناعات الكتانية ٧٢٪ ، وفي صناعة القطن ، الذي لم تأت مادته الخام الا من تركستان طيلة اكثر من سنتين ، ١٥٠٪ فقط ؛ وفي الصناعات الاستخراجية ٣٦٪ ، وفي البتروكول ٣٩٪ ، وفي صناعة استخراج

المعادن التي تعتبر انطلاقتها ضرورية جداً لتصنيع البلاد لم يبلغ سوى ٧٪ في السنة ١٩٢٢ . وفي السنة ١٩٢٣ لم يستمد مجموع الصناعة سوى ٣٤٪ من طاقتها . وجلة القول ان الزراعة بلغت ٣/٤ انتاجها قبل الحرب بينما لم تبلغ الصناعة سوى ١/٤ انتاجها فقط .

يرد ذلك الى ان السياسة الاقتصادية الجديدة لم تستلزم ، اكراماً للعامل ، تنازلات شبيهة بتلك التي استفاد منها الفلاح . فان طرائق المحاسبة الجديدة التي فرضت على الصناعة ، والزام المشاريع بان تكفي نفسها بنفسها قد حرماها من اعتمادات الدولة المالية ، بينما ارغمتها الحاجة الى دفع الاجور عيناً على تصفية مخزوناتا في السنة ١٩٢١ بأسعار منخفضة نسبياً ، ادنى من اسعار الانتاج . ولذلك عمدت المشاريع ، للتخفيف من الأعباء الملقاة على عاتقها ، الى تسريح شطر من المستخدمين ، فارتفع عدد العاطلين عن العمل من ١٥٠ ألفاً في تشرين الاول ١٩٢١ الى ٦٥٠ ألفاً في كانون الثاني ١٩٢٣ و ١٠٢٤٠٠٠٠ في كانون الثاني ١٩٢٤ ، لا سيما في منطقتي موسكو وبتروغراد . وتدنى عدد النقابيين من ٨٠٤٠٠٠٠ في تموز ١٩٢١ الى ٤٠٥٠٠٠٠ في تشرين الاول ١٩٢٢ ولم يرتفع ثانية الى ٥٠٥٠٠٠٠ الا بعد مرور سنة كاملة . ولم تلبث ان برزت نتائج اخرى للسياسة الاقتصادية الجديدة سبق للينين ان ارتقبها منذ السنة ١٩٢١ .

« اذا نحن تكلفنا عن التجارة الحرة ، فهذا يعني تشجيع الاحتكارات ، كما يعني استبدال الاقطاعات العينية بالضرائب ان طبقات المحتكرين ستغدو اقوى واعظم شأنًا منها من ذي قبل » .

والواقع هو ان ازدهار الزراعة عاد بالفائدة على اثرياء الفلاحين وقد شوهد في الارياض تمييز متزايد مطرد بين الاثرياء والفقراء . فقد هبط البعض الى دون المستوى الضروري للحفاظ على استقلالهم ، واضطروا الى تأجير اراضيهم وسواعدهم لمن هم اوسع ثروة منهم ؛ ومنذ السنة ١٩٢٣ استخدم ٤٠٠٠٠٠ فلاح و ٦٠٠٠٠٠٠ عامل مأجور ، وفي السنة ١٩٢٦ - ١٩٢٧ كان هناك ٥٠٨٠٠٠٠٠ عامل زراعي ، واتسمت هجرة الفلاحين الفقراء الى ما وراء الاورال أو الى المدن حيث رفعوا عدد العاطلين عن العمل .

وفي الصناعة قضت الحاجة الى الانتاج المهدى بنقل الادارة الى « اختصاصيين » ينتسبون الى الطبقات الحاكمة القديمة ، فاعطوا صلاحيات واسعة تتناول الاستخدام والاجور والتسريح . أما التجارة الداخلية ، واعني بها شراء الاتحادات والتعاونيات للكمالات التي تحتاج اليها وتوزيع ما يصنع منها ، فقد كانت حرة وسيطر عليها (بنسبة ٨٣٪ في اوائل السنة ١٩٢٤) رجال الاعمال السابقون وجهات جديدة ايضاً من المضاربين والمغامرين الذين فرضوا وجودهم وتسلبوا الى التعاونيات التي امسى بعضها مجرد مشاريع خاصة . وقد انفق هؤلاء دون حساب وحققوا ثروات طائلة هربوا منها قسماً الى الخارج . ويروي « كراسين » ان موسكو استعادت وجه ما قبل الحرب بعملها الليلية ومقاهيها ومقارها وبغاياها وسائقي سياراتها المعمومة وخدام مقاهيها الذين حيوا زبائنهم من جديد بلقب « بارين » .

واخيراً اشتد التوتر بين الصناعة والزراعة الذي لم تتوفق السياسة
 أزمة المقص الاقتصادية الجديدة الا الى اخفائه بظواهر كاذبة فترة من الزمن . وفي
 اواخر صيف السنة ١٩٢٣ انفجرت أزمة المقص . فان التفاوت بين الاسعار الزراعية والاسعار
 الصناعية ، الذي اعتقد المسؤولون بانهم تمكنوا من ايقافه ، قد ازداد بروزاً يوماً بعد يوم .
 فكانت اسعار الحمل والمفرق للمنتجات الصناعية ، في شهر تشرين الاول ، ١٨٧ و ١٨١ ٪
 بالنسبة لمستواها في السنة ١٩١٣ ، واسعار الحمل والمفرق للمحاصيل الزراعية ٥٨ و ٤٩ ٪ .
 وعلى نقيض الازمات السابقة التي كانت منذ السنة ١٩١٧ ازمات حادة وعوز ، فالمخازن
 آنذاك كانت ملاءى والحصاد وفر فائضاً هاماً من المحاصيل الزراعية . فليست علة الازمة من ثم
 نقصاً في الانتاج بل استحالة تأمين مقايضة المنتجات الصناعية والزراعية . فالفلاحون ، على
 الرغم من حاجتهم ، كانوا عاجزين عن ابتياع المنتجات الصناعية الباهظة الثمن . ومن جهة
 ثانية برز قلق العمال باضرابات واسعة انفجرت تلقائياً في الصناعة الثقيلة . فبات لزاماً إعادة
 الرقابة على اسعار الحمل ولا سيما المفرق التي سلمت من الرقابة بفعل وجودها في ايدي التجارة
 الخاصة ، وتخفيض عدد الوسطاء ، فألقي القبض على الوف المضاربين والمغامرين وأبعدوا عن
 موسكو . وفي أواخر السنة ١٩٢٣ خفت حدة أزمة المقص . ففي سنتين متواليتين اتاح حصاد
 وفير تصدير كميات هامة افضى الى رفع الاسعار الزراعية في الوقت الذي ادى فيه تقلص الديون
 والتدابير الرسمية المتخذة لمراقبة الاسعار الى تخفيض الاسعار الصناعية . ولكن الانتاج الصناعي
 في السنة ١٩٢٣ لم يبلغ بعد سوى ضعفه في السنة ١٩٢٢ (اسوأ سنة منذ الثورة) ، والصناعة
 الثقيلة ، اكثر قطاعات الاقتصاد صعوبة ، لم تجاوز ٣٤ بالمائة من مستواها في
 السنة ١٩١٣ .

في السنوات التالية ، واصل الانتاج الزراعي تقدمه ، ولكنه لم يبلغ في السنة ١٩٢٧ الا
 ٧٢٧ مليون قنطار ، اي اقل من انتاج السنة ١٩١٣ بـ ٤٠ مليوناً ، بينما ارتفع عدد السكان
 ١٠ ملايين نسمة وبلغت نسبة الارتفاع ٣ ملايين نفس كل سنة ؛ وفي السنتين ١٩٢٨ و ١٩٢٩
 استقر الانتاج حوالي هذا الرقم بسبب حد الفلاحين من تسليمهم بعد ان لمسوا ان الحبوب لا توفر
 لهم كسباً وفراً . وبات تموين المدن اكثر صعوبة يوماً بعد يوم بسبب نقص الحبوب المرسلة الى
 الاسواق التي لم تجاوز ١١ ٪ في السنة ١٩٢٨ (مقابل ٢٥ ٪ في السنة ١٩١٣) . فتكشفت
 السياسة الاقتصادية الجديدة من ثم عن عجزها عن تنمية الاشكال الزراعية الانتاجية ، وباتت
 البلاد على « ابواب المجاعة » . وزادت حدة التفاوت الاجتماعي ، فاكثرت الفلاحون المسورون
 مزيداً من الاراضي واليد العاملة وجمعوا بين ايديهم استخدام الأرض ووسائل الانتاج . ففي
 السنة ١٩٢٧ كان لدى ٦ ٪ من الاستثمارات الزراعية ٥٨ ٪ من الحبوب المعدة للتجارة ، وكانت
 الاستثمارات « الفقيرة » سائرة نحو الزوال . فتكونت بسرعة من ثم بورجوازية قروية كانت
 خطراً على النظام بمصالحها الاقتصادية ونزعاتها الايدولوجية .

في سبيل استمالة هذه الطبقة اضطرت الحكومة الى رفع سعر شراء القمح كل سنة ، جساعة حياة سكان المدن وتوازن الموازنة ، وبالتالي تصنيع البلاد ، اشد صعوبة سنة بعد سنة ، فبات الكولاك ، بفضل المخزونات التي كدسوها ، قادرين في السنة ١٩٢٨ على تجويع المدن . اما الانتاج الصناعي ، اذا استثنينا الطاقة الكهربائية ، فلم يحقق سوى نتائج متوسطة ، وكانت الصناعة الثقيلة متأخرة بصورة خاصة . واذا اخذنا تزايد عدد السكان بعين الاعتبار ، رأينا استهلاك الفرد ينخفض في كافة الحقول بالنسبة للسنة ١٩١٣ ، ونقص البضائع يتزايد اكثر فاكثرا ، واسعار الكافة ترتفع ارتفاعاً كبيراً (اعلى منها في الاسواق العالمية بمرتين ونصف على الرغم من ان الاجور كانت اكثر تدنياً) بسبب دروس المعدات وبعثرة المواد الخام والنفقات الادارية . ولم يكن الوضع المالي احسن حالاً : فالدولة لم تستطع سد عجزها الا بقروض عقدها بفوائد مرتفعة جداً لدى الكولاك الذين تعاضلوا بتأثيرهم الاقتصادي بفعل ذلك ، وباصدار اوراق نقدية خفضت قيمة الروبية ، وبالتالي قيمتها الشرائية .

وخاب كذلك الامل في الحصول على رؤوس الاموال من الخارج .
« السياسة الاقتصادية الجديدة »
فبعوازة السياسة الاقتصادية الجديدة في الداخل ، اعتمدت الدبلوماسية
سياسة اقتصادية جديدة في السياسة الخارجية . ومع ارتجاء
لينين لنجاح الثورات البروليتارية الخارجية ، فانه تدارك ان روسيا اعجزت من ان تتطور داخلياً وتواجه حرباً خارجية في آن واحد ؛ كما ادرك اهمية مكسب الوقت بالنسبة لها ؛ وهذا ما جعله يوقع في « برست ليتوفسك » ، معاهدة تلسيت ، التي عيره خصومه بها . ومع ان حروب التدخل قد اثبتت له بطلان ارتجاء المساعدة من البلدان الرأسمالية ، فانه قد سعى لاهادة العلاقات الطبيعية بالدول الاخرى الى حالها . وقد تحدت هذه السياسة الاقتصادية الجديدة بالمفاوضات التجارية مع انكلترا في ١٩٢٠ - ١٩٢١ ولا سيما بمعاهدة « رابالو » في السنة ١٩٢٢ - التي حطمت حصار الدول لروسيا - وبمعاهدات الصداقة والحياد التي عقدت مع البلدان المجاورة ، وبالاسهام في المؤتمرات الدولية المنعقدة باشراف جمعية الامم ، الخ . ولكن هذه الجهود لم تضع حداً للعداء الذي استهدف روسيا ، حتى في آسيا ، حيث عقدت معاهدات مع تركيا وايران وافغانستان تخلت فيها روسيا عن « المعاهدات غير المتساوية » وعن الامتيازات التي كان الحكم القيصري قد حصل عليها ؛ وهي معاهدة السنة ١٩٢٣ مع « صن يات صن » وحدها ما اتاح لروسيا ان تلعب دوراً ناشطاً خارج حدودها . ثم اعترفت معظم الدول الكبرى والصغرى بحكمها في السنتين ١٩٢٤ و ١٩٢٥ ، ولكنها بقيت منعزلة عملياً . يضاف الى ذلك من جهة ثانية ان فشل محاولة الثورة البلشفية في المانيا في السنة ١٩٢٣ ، بعد ازمة الرور ، قد جاء دليلاً على ان الآمال في اندلاع الثورة في اوروبا كانت سابقة لاوانها .

فقد اثبت الاختبار من ثم ، على الصعيد السياسي والصعيد الاقتصادي معاً ، ان الاتحاد السوفياتي يجب الا يعتمد الا على نفسه .

تخطيط
السياسة الاقتصادية الجديدة
خلال السنوات التي شكتلت ، منذ مرض لينين ، ما عرف بفترة
الخلا ، بين السنة ١٩٢٣ والسنة ١٩٢٩ ، أعدت ، تحت تأثير
مصاعب السياسة الاقتصادية الجديدة في الداخل وفشل السياسة
الاقتصادية الجديدة الدبلوماسية ، الحل الذي سيقرر اعتماده ، اعني به حل « الاشتراكية في
بلاد واحدة » .

ان عداء الحكومات والطبقات الحاكمة ، التي اعتبرت السياسة الاقتصادية الجديدة بمثابة
اقرار بالضعف ، والخطوة الاولى التي خطاها « كلب اوروبا الكلب » نحو « العودة الى العقل » ،
والمساعدة والحماية اللتين توفرنا للمهاجرين ، والمجلات الصحفية المستمرة ، وذكريات حرب
التدخل ، وضعف الاحزاب الشيوعية الخارجية الذي خيب الآمال ، كل ذلك يفسر وقوف
الحكم السوفيياتي الدائم ، طيلة هذه الفترة ، موقف الحذر من العالم الرأسمالي ، وكابوس الخشية
من التحالف المناهض له الذي تخيل له قيامه في كل يوم . وفي كافة مجموعات الوثائق الدبلوماسية
السوفيياتية ما يثبت هذه الحالة النفسية . فقد ظن بمشروع « داووز » انه يعد « جبهة متحدة
من الدول الرأسمالية ضد الاتحاد » ، وباتفاق لوكارلو انه يطلق أيدي المانيا في الشرق « لمواصلة
سياسة تطويق الاتحاد السوفيياتي » . وفي السنة ١٩٢٧ اثار قطع العلاقات الدبلوماسية بين
بريطانيا العظمى والاتحاد السوفيياتي ، ومقاطعة « تشان كاي تشك » للشيوعيين الصينيين قلقاً
وجزعاً كبيرين ، فصرح ستالين ان « المسألة الهامة اليوم هي خطر حرب استعمارية جديدة » ؛
وقد اضاف الى ذلك قوله : « ان التعايش السلمي بين الاتحاد السوفيياتي والبلدان الرأسمالية ،
الذي قام حتى الآن ، قد دخل في التاريخ » .

توفقت السياسة الاقتصادية الجديدة الى انهاض الزراعة واستمالة الفلاحين الى النظام الجديد
والدفع بالصناعة الى الامام ؛ ولكنها تسببت في قيام طبقة قروية ميسورة وبورجوازية مؤلفة
جزئياً من أعضاء الطبقات الحاكمة القديمة لعبت دوراً متزايد الأهمية في الحياة الاقتصادية .
فلم يتأخر بناء الاشتراكية فحسب ، بل ارتسمت في الافق عودة النظام البائد الهجومي . بينا
اتضح ان الطبقة العمالية التي قامت بالثورة وكانت خير حاتم لم تستفد استفادة تذكر من النظام
الاقتصادي ؛ واخيراً كانت الصناعة الثقيلة ، المعول عليها في بناء مجتمع اشتراكي مستقل
ومزدهر ، اعجزت ان تتقدم ، في اطار السياسة الاقتصادية الجديدة ، تقدماً هاماً وسريعاً ،
بسبب افتقارها الى رؤوس الاموال في الدرجة الاولى .

انعكست كافة هذه المتناقضات في تضارب الاتجاهات داخل الحزب الشيوعي نفسه حين
افقده موت لينين زعيماً كبيراً اعترف بفضل كافة الاعضاء . وبعد سبع سنوات في ظل السياسة
الاقتصادية الجديدة وجد الاتحاد نفسه امام مأزق ؛ فانطلاقة الزراعة اعاقبتها تجزئة الاراضي
وفقدان المعدات العصرية ، والمنتجات الزراعية والصناعية لم تتوفر للاسواق الداخلية ،
وتدني الصادرات هدد بالحد من استيراد الحامات الضرورية ، والتوتر بين المدن والريف زادت

حدثه ، وروسيا عجزت عن توفير رؤوس الاموال التي كانت بحاجة اليها لتنمية اقتصادها ، لذلك اضطر النظام السوفيياتي الى التخلي عن السياسة الاقتصادية الجديدة خوفاً من ان يرغب على اعادة نظام رأسمالي صرف ، وان يرغب من ثم على الزوال . لذلك فرضت اعتبارات السياسة الداخلية والخارجية هذه ، التبدل الذي اقره المؤتمر الخامس عشر للحزب الشيوعي حين شرع في تنفيذ الخطة الخمسية الاولى .

الفصل الثاني

الارتقاء الى مصاف الدول الاقتصادية الكبرى الانكماش والتنظيم الاقتصادي الجديد

١ - الخطط الخمسية

هي الاسباب العملية ، لا الاسباب النظرية ، ما فرضت سياسة الخطط الخمسية ؛ المنفذ الوحيد الذي كان امام الحكم السوفياتي للخروج من مأزق السياسة الاقتصادية الجديدة ، وهو حل متأخر وشبه ميؤوس منه يفسر طابعه الجذري منذ البدء .

اثبتت الاملاك الصغرى المألوفة انها غير خلية بزيادة الانتاج والطاقة الانتاجية ، ولن يكون خليفاً بها سوى استثمارات زراعية رسمية كبرى او تعاونيات تستخدم آلات متقنة وتمتد طرائق علمية . وكي توضع في تصرفها معدات عصرية وفيرة ، من جرارات ومحاصد ودراسات واسمدة كيميائية ، وكي يؤمن كذلك استقلال البلاد ، يقتضي صناعة قوية ولا سيما في حقل استخراج وانتاج الحديد والحديد المصبوب والفولاذ ؛ وسوف يتيح استخدام الآلات في الزراعة تزايد الانتاج بيد عاملة اقل عدداً ، فيتحول العمال الذين يستغنى عنهم الى الصناعة ، ويمكن اذ ذاك رفع مستوى الجماهير القروية والمدنية ، وازالة الاختلافات جزئياً بين المدن والارياف ، وجعل الانسان سيد الانتاج لا مقيداً بقوانين الاسواق التجارية .

اعداد الخطة
هذا هو البرنامج الذي اتجه اليه الحزب الشيوعي خلال السنتين ١٩٢٨ و ١٩٢٩ ؛ فقد وقف ستالين موقفاً عدائياً صريحاً من الاقتصاد القروي الصغير في شهر تشرين الثاني من السنة ١٩٢٩ بمقاله الشهير ، « سنة الازمة الكبرى » ، الذي برر التصنيع وعمله . وسوف يبدأ حينذاك الاختبار الكبير الاول للتخطيط المعد « لان يحدث ،

على مستوى قارة وفي اطارها ، انظمة اقتصادية جديدة . . وسينفذ التصنيع والتأميم لمصلحة الجماعات في وقت واحد ، وفاقاً لتصميم واضح مدروس بكل دقة . وقد سبق ، منذ سنوات عدة ، ان يشر جمع وثائق احصائية ، وان وضعت برامج اقتصادية لهذا الفرع او ذاك من فروع الصناعة ، وان اسند منذ السنة ١٩٢٠ الى لجنة الكهرباء الروسية الشاملة (غويلرو) ، ومنذ السنة ١٩٢١ الى لجنة مجلس العمل والدفاع (غوسبلان) اعداد تصميم شامل واحد ؛ وقد استمرت هذه الاعمال والدروس حتى بعد ان افضى اعتماد السياسة الاقتصادية الجديدة الى ارجاء كل تخطيط .

ما ان تقرر « المدول عن حافز المنافسة الرأسمالية » ، حتى عهد الغوسبلان ، بالاتفاق مع لجأت التصميم المؤلفة في المناطق (اوبلبلان) والدوائر (رايبلان) والمدن (غوربلان) وخلايا المشاريع ، الى مباشرة عمل مراجعة الدروس السابقة وتنسيقها . فلم تكن الخطة الخمسية الاولى من ثم مرتجلة ارجحاً ، اذ ان اعدادها الفطري استغرق سبع سنوات واعدادها التقني استلزم سنتين .

بعد اقراره « شمول التصميم كافة النشاطات الصناعية » ، اتخذ الحكم السوفياتي قراراً ثانياً بالغ الاهمية : حصر الجهود في القطاعات التي تتحكم بكافة القطاعات الاخرى : الطاقة ، الصناعة الثقيلة ، صناعات المواد الانتاجية التي سوف تتيح ، في المستقبل ، زيادة المواد الاستهلاكية بسرعة ، واضعاً بذلك رفع مستوى معيشة السكان في المرتبة الثانية . « وبعد مدة طويلة اثبت هذا البرهان انه ينطوي على مزيد من الفطنة والفعالية » (الاب شامبر) ، ولكن الصعوبات التي اضطدم بها كانت هائلة جداً : وفي الدرجة الاولى الافتقار الى رؤوس الاموال باحجام العالم الرأسمالي عن الاقراض ، الذي جعل استيراد التجهيزات بكميات كبرى امراً مستحيلاً . فتوجب البحث من ثم عن الوسائل الضرورية لبناء صناعة قوية في الموارد الداخلية دون غيرها ، وتطوير الاقتصاد في استقلال اقتصادي حقيقي . وتوجب كذلك ، من جهة ثانية ، تحقيق تصنيع سريع وتأميم زراعي معاً ، اي احداث ثورة اجتماعية عميقة في هذا الحقل . واخيراً ، في الفترة التي تلت السنة ١٩٣٠ ، فرض خطر الحرب ومستلزمات الدفاع خطوة سريعة جديدة في التصنيع وتحويلات غير مرتقبة في التصاميم الجاري تنفيذها . ولكن هذا التنفيذ قد غير شكل العالم في سنوات معدودة ؛ ففي غضون عشر سنوات جعل من بلاد متخلفة دولة اقتصادية عظمى ؛ وقلب في الوقت نفسه نظام المجتمع السوفياتي رأساً على عقب .

لحظت الخطة (بياتيلسكا) ان مجموع الانتاج سيضاعف ،

الخطة الخمسية الاولى

ولكن من حيث هي استهدفت تصنيع البلاد ولا سيما تنمية الصناعة

١٩٢٨ - ١٩٣٣

الثقيلة بنوع خاص ، فقد توجب ان ينتقل نصيب الصناعة من ٦٠٠ ٨

مليون روبية الى ٨٠٠ ٢٥ اي بزيادة ٣٠٠٪ ، ونصيب الكهرباء من ١٠٠٠ مليون الى ٥٣٠٠

مليون اي بزيادة ٥٣٠٪ ، اما نصيب الزراعة فلن ينتقل الا من ٢٨٠ ٢٠٠ ٠٠٠ الى ٣٨٠ ٩٠٠ ٠٠٠

أي زيادة ٣٦ ٪ فقط . وقد اختلفت نسبة الزيادة في كل فرع من فروع الصناعة : ٣,٣ في وسائل الانتاج ، و ٢ فقط في المواد الاستهلاكية ، وعلى صناعة التعدين ان تزيد طاقتها الانتاجية ثلاثة اضعاف ، والصناعة الكيميائية خمسة اضعاف ، وصناعة مواد البناء ثلاثة اضعاف ونصف الضعف ، وصناعة انتاج المحروقات الجامدة ضعفين ونصف الضعف . وسوف ينتقل عدد عمال الصناعة من ١١ الى ١٦ مليوناً . وسوف يؤمن التمويل ، الذي سيستلزم ٨٠ مليار روبية ، من زيادة قيمة العمل القومي : كل سنة تقطع الموازنة ٣٠ ٪ من الدخل القومي لتوظف في المشاريع ، وتضاف الى ذلك القروض التي يؤمنها التوفير وزيادة الصادرات على الواردات الضرورية بغية التمكين من شراء الادوات اللازمة من الخارج (سيتوجب تصدير خمسة الى ثمانية ملايين طن حبوباً) .

يجب ان يحقق هذا التصنيع في اطار الوحدات الاقتصادية الكبرى : المشاريع والمناطق . وسوف يكون للمصانع الجديدة اتساع وطاقات اعم المصانع الاميركية : محطة دذير الكهربائية ، المجموعات التمديدية في ماغنيتوغورسك وكوزنتسك وكريفوي - روغ وزابورويه ، ومصانع الجرارات في ستالينغراد ، ومصانع الآلات الزراعية في روستوف ونيجنني - نونفورود ، وسوف تنشأ مراكز صناعية جديدة واستثمارات منجمية جديدة في الشرق ، في الاورال وآسيا ، بعيداً عن المواسم والحدود ، في ماغنيتوغورسك وكوزنتسك وقاراغندا ، الخ ...

كان تحقيق هذه الخطة الاولى ناقصاً وغير متساو وتميز بتوقفات فجائية تحددها وصعوبات غير مرتقبة نجمت اما من حصاد سيء ، واما عن الازمة العالمية التي خفضت حجم وقيمة التجارة الخارجية الى مستوى متدن جداً . وجاء النقص في اليد العاملة ، المؤهلة وغير المؤهلة على السواء ، ووسائل النقل للتجارة المتزايدة ، يزيد في الطين بلة . يضاف الى ذلك من جهة ثانية ان نتائج السنة الاولى ، التي فاقت كل التقديرات ، قد ولدت تفاؤلاً عظيماً حمل على الاسراع في تنفيذ الخطة واطلاق صيغة «تحقيق الخطة في اربع سنوات» ؛ ولكن سرعان ما توجب التخلي عن هذه الصيغة امام الاستياء الذي اثاره الاسراع في التأميم وانتزاع الملكية وانخفاض مستوى المعيشة الذي فرضه هذا المجهود . وخلال السنة الثانية انتهت بعض القطاعات الهامة ، كالنعم الحجرى والفولاذ والحديد المصبوب ، الى عجز جسيم بالنسبة للتقديرات ؛ ولكن الوضع تحسن خلال السنة الثالثة حين بوشر العمل في بعض المصانع الكبرى ، وحين ادت زيادة الانتاج الزراعي ، بفضل استخدام الآلات ، الى جعل التموين اسهل منالاً . وجملة القول ان النتيجة النهائية انطوت على بعض التفاوت : اذا ما تحقق مشروع صنع الآلات بنسبة ١٨١,٢ ٪ ، والتجهيز الكهربائي بنسبة ١٣٦ ٪ ، وانتاج البترول بنسبة ١٠٢ ٪ ، فان استخراج الفحم الحجري لم يحقق الا بنسبة ٨٦ ٪ ، والفولاذ بنسبة ٥٧ ٪ ، والحديد المصبوب بنسبة ٦٢ ٪ ، والصوفيات بنسبة ٣٤ ٪ (نتيجة لابادة المواشي) ، والسكر بنسبة ٣٢ بالمائة . اما الاموال الموظفة ، فاذا بدا انها وظفت ١٠٠ ٪ بالارقام المطلقة ، فان ارتفاع الاسعار الذي بلغ ٣٢ بالمائة

(بينما 'قدّر انها ستخفض بنسبة ٢٣ ٪) قد كذب كافة التقديرات .

الخطتان الخمستان
الثانية والثالثة

بينما ضحي بكل شيء في الخطة الخمسية الاولى على مذبح ما اعتبر
جوهرياً : الصناعة الثقيلة وزيادة المساحات المزروعة ، على
حساب فروع الانتاج الاخرى : الصناعة الخفيفة ، وسائل النقل
محاصيل الزراعة ، الخ . ، تميزت المرحلة التالية بتخطيط كافة قطاعات الاقتصاد تخطيطاً اكثر
تساوياً على الرغم من ان بعضها قد اعير اهمية خاصة . يضاف الى ذلك ان تحقيق الخطة قد اصبح
اكثر سهولة بفضل اعتمادات اكثر وفرة وتمويل اكثر تيسراً .

في آخر الخطة الثانية (١٩٣٣ - ١٩٣٧) ازدادت الصناعة الثقيلة ، منذ السنة ١٩٢٨ ،
٦,٩ اضعاف والصناعة الخفيفة ٣,٩ اضعاف . وبلغ تحقيق الخطة العام ١٠٢ ٪ . ولكن
التوزيع كان على بعض التباين : ١٠٧ ٪ في صناعة الاحذية و ١٠٤ ٪ في صناعة السكر ،
١٠٠ ٪ في صناعة تصفيح المعادن و ١٠٤ ٪ في صناعة الفولاذ ، و ٩٦ ٪ في الكهرباء ، و ٩١ ٪ في
الحديد المصبوب ، و ٨٩ ٪ في استخراج الفحم الحجري ، و ٦٤ ٪ فقط في صناعة القطنيات و ٤٦ ٪
في صناعة الصوفيات . أما الخطة الثالثة المطلوب منها إلغاء صناعات التخصص ، ولا سيما الصناعات
الكيميائية ، فكان مقدراً لتقدمها ان يكون اعظم سرعة من تقدم الخطتين السابقتين ؛ ولكن
الحرب العالمية الثانية اوقفت تحقيقها الذي ربما كان بلغ ٧٠ ٪ في السنة ١٩٤١ على الرغم من
ارتفاع النفقات العسكرية ارتفاعاً كبيراً (منذ السنة ١٩٣٦) .

التتائج في السنة ١٩٤٠

حين ادخل الهجوم الالماني الاتحاد السوفياتي في الحرب العالمية
الثانية ، كان التصنيع واقعاً راهناً والتأميم الزراعي امراً منجزاً
عملياً ؛ فألغيت التجارة والصناعة الخاصة ، واضطربت كافة علائق الدولة الصناعية : لقد غدا
الاتحاد الدولة الاقتصادية الثالثة في العالم والثانية في اوروبا ، وغدا الدولة الثانية في العالم في حقل
انتاج الحديد والبتروول والذهب ، والثالثة في حقل انتاج الطاقة الكهربائية والحديد المصبوب
والفولاذ والقطن ، والرابعة في حقل انتاج الفحم الحجري ومحركات السيارات ، الخ . . ولعل
خير مثل على هذا التطور انطلاقة الكهرباء التي قفزت من انتاج ٢٥٠٠ مليون كيلوات ساعة
في السنة ١٩٢٨ الى ٤٠ ملياراً في السنة ١٩٣٨ . وقد انتجت هذه الطاقة معامل حرارية واسعة ،
ومعامل مائية ايضاً فان اهمها معمل الدنيبر السفلي الذي انشئ بين السنة ١٩٢٧ والسنة ١٩٣٢
واقام تسير ٩ عنفات بقوة ١٠٠,٠٠٠ حصان ، وحدث الشيء نفسه في صناعة المطاط - الشبه
المعدومة حتى هذا التاريخ - التي سدت نصف الحاجات ، وقد استخدمت النباتات الصمغية
المبلدة وانتجت المطاط التركيبي .

وحسنت وسائل النقل تحسيناً عظيماً ، ولكنها ما زالت احد عوائق الاقتصاد الرئيسية .
وحسنت كذلك شبكة الأتقنية والانهر بقناة البلطيك - البحر الابيض التي فتحت في السنة
١٩٣٣ ، وقناة موسكوف - فولغا التي انجزت في السنة ١٩٣٧ وجعلت من موسكو مرفأً نهرياً

كبيراً ، ولكن وسيلة النقل الرئيسية كانت السكك الحديدية. فقد ألحزت أعمال كبرى جددت الخط الحديدي عبر سيبيريا بين أومسك وتشليابنسك ، والخطوط الحديدية بين موسكو ولينينغراد وال « دونباس » ، وبين أركانجلسك وموسكو ، وأعيد بناء الخط الحديدي بين موسكو وخاركوف ، وتحقيق خط « تور كسيب » وخطوط الأورال - كوزنتسك ، وقاراغندا - بالكاش ، والأورال - قاراغندا ، ووضع أخيراً مشروع خط ستراتيجي من شأنه تسهيل استثمار وادي ال « آمور » الأسفل بغية ربط بايكال بالمحيط الهادي ، هو خط بايكال - آمورسكي - ماجيسترال .

الميزات الجديدة
لهذه الانطلاقة الصناعية

تبدل وجه هذه الصناعة تبديلاً كبيراً لأن أهميتها المطلقة قد ازدادت إلى حد بعيد فحسب ، بل لأن نظامها وتوزيعها الجغرافي قد انقلبا رأساً على عقب أيضاً. فإن صناعة انتاج المواد الاستهلاكية التي كانت في السنة ١٩١٣ ضعف صناعة مواد الانتاج والتي ما زالت في السنة ١٩٢٩ تفوقها بنسبة ٥٠ بالمائة ، لم تبلغ في السنة ١٩٤٠ سوى ٦٧ بالمائة منها إذ ان نسبة الزيادة قد بلغت ٢٢ في مواد الانتاج و ٦٠,٥ فقط في المواد الاستهلاكية . وزاد الانتاج الزراعي ٥٧ بالمائة بالنسبة للسنة ١٩١٣ (٣٢ بالمائة للحبوب ، ٩٨ بالمائة للشمندر السكري ، ٢٨١ بالمائة للقطن) ، ولكن الانتاج الصناعي زاد بنسبة ٧١٤ بالمائة . أما مركز الاتحاد في التجارة العالمية ، الذي كان ابداً محدوداً ، فقد تضاعف أكثر فأكثر : بعد ان قدنى إلى ١,٤ بالمائة من التجارة العالمية ، ارتفع إلى ٢,٣ بالمائة في السنة ١٩٣٢ ثم عاد فهبط إلى ١,٣ بالمائة في السنة ١٩٣٧ ، وكان ذلك نتيجة الأزمة العالمية وتزايد الاستهلاك الداخلي الذي لم يترك للتصدير سوى ٨ بالمائة من الانتاج القومي مقابل ١١,٦ في السنة ١٩١٣ . وهناك تبدل آخر يظهر تطور النظام الاقتصادي في البلاد ، اعني به تزايد نسبة المنتجات المصنوعة في الصادرات ، التي ارتفعت من ٢٩,٤ بالمائة في ١٩٠٩ - ١٩١٣ إلى ٦٨,١ بالمائة في السنة ١٩٣٢ ، وفي الوقت نفسه تزايد نسبة استيراد الخامات .

ويزيد في أهمية هذه الانطلاقة انها صادفت في الزمن الأزمة الاقتصادية الدائمة التي ثقلت وطأتها على العالم الرأسمالي ، حين هبط فيه الانتاج بسرعة وبشكل محسوس لم يعرفها من ذي قبل . ففي السنة ١٩٢٨ بلغ الانتاج الصناعي في الولايات المتحدة ٤٤,٨ بالمائة من الانتاج العالمي ، وفي ألمانيا ١١,٦ بالمائة ، وفي بريطانيا العظمى ٩,٣ بالمائة ، وفي روسيا ٤,٧ بالمائة ، وفي السنة ١٩٣٢ تغيرت النسبة في كل من هذه الدول كما يلي : ٣٤,٤ ، ٨,٩ ، ١١,٣ ، ١٣,١ بالمائة . ويتضح من ذلك ، خلال السنوات العشر الممتدة بين اوائل الأزمة والحرب العالمية الثانية ، ان العالم الرأسمالي لم يستطع بلوغ مستوى الانتاج في السنة ١٩٢٩ الا بصعوبة كبرى ، بينما رفع الاتحاد السوفياتي مستواه مرات عدة . وبينما لم تبلغ اليابان والولايات المتحدة وبريطانيا العظمى ، خلال عهد انطلاقتها الكبرى ، سوى نسبة زيادة سنوية تقارب

٥ بالمائة ، حقق الاتحاد السوفياتي بين السنة ١٩٢٨ والسنة ١٩٤٠ زيادة ١٣ - ١٤ بالمائة سنوياً ، اي ضعفين وثلاثة أضعاف واربعة أضعاف نسبة الزيادة الطويلة الأجل في البلدان الرأسمالية . وان مقارنة هذا الرقم بأرقام أوروبا الغربية التي كان معدل الزيادة فيها ٣,٥ بالمائة بين السنة ١٩٠٠ والسنة ١٩٢٩ ، وبرقم أوروبا جمعاء (باستثناء الاتحاد السوفياتي) بين السنة ١٩١٣ والسنة ١٩٣٨ ، حيث تراوح معدل الزيادة بين ١,٤ و ١,٧ بالمائة ، لدليل على ان هذا التقدم كان بالغ السرعة .

أحرز التقدم بفضل أعداد الاختصاصيين بتعليم تقني تأسست مدارس كثيرة بغية توزيعه ، والاستعانة بأكثر من ٢٠.٠٠٠ فني واختصاصي اجني ، الماني او اميركي - من امثال « هيو كوبر » الذي وضع التصاميم لسدّ الدنيبر - ، وتنظيم العمل تنظيماً عقلياً جعل عامل المناجم « ستاخانوف » يستخرج أكثر من ١٠٠ طن فحمًا حجرياً (مقابل معدل ٦,٥) في يوم عمل واحد ، و « المنافسة الاشتراكية » التي دفعت ، في كافة فروع الصناعة ، الى ضرب ارقام إنتاجية قياسية .

لم يتوقف الاتحاد السوفياتي من ثم في مراحل الثورة الصناعية . فحتى ذلك التاريخ لم تحقق البلدان الزراعية تصنيعها الا ببطء ولم تتوفق الى ذلك الا بالارتباط مالياً بالدول الرأسمالية المتقدمة ؛ اما الاتحاد السوفياتي فقد بات في السنة ١٩٣٩ الدولة الصناعية الثالثة في العالم دون ان يضحى بشيء من استقلاله لمصلحة الدائنين الأجانب ، وبات لديه الآن المرتكز الصناعي المتين اللازم لكل دولة عسكرية . الا ان مستوى الانتاج بالنسبة للشخص الواحد ما زال ادنى منه في البلدان الصناعية الأخرى الى حد بعيد : ٣,٤ مرات اقل منه في الولايات المتحدة ، ٢,٧ اقل منه في انكلترا ، نصفه في المانيا ، ادنى منه قليلاً في فرنسا .

وقامت الجدة الكبرى أخيراً في الطابع النظامي والشامل الذي ارتداه تدخل الدولة في الاقتصاد .

فحتى ذلك التاريخ أقرت بعض انواع الرقابة خلال الحرب وبذلت الجهود في كافة الدول المحاربة لتوجيه الاقتصاد ، ولكن هذه الرقابة وهذه الجهود لم تكن سوى حيل فرضتها الظروف وقد أهملت منذ توقف الأعمال الحربية . وحين أقدم الاتحاد السوفياتي على تنفيذ الخطة الخمسية الأولى ، كان هو الدولة الأولى التي تتولى ، عن قصد وتصميم ، وفي أيام السلم ، رقابة مجموع نظامها الاقتصادي وإعادة تنظيمه . فاعطى بذلك مثلاً سارت عليه دول كثيرة فيما بعد . يضاف الى هذا ان الهدف هنا لم يكن تنسيق نشاط اقتصاد بلاد في إطار النظام القائم فحسب ، بل تحويله كلياً وتبديل النظام الاجتماعي بأكمله .

٢ - تحول قارة

ادى التصنيع والتأميم الى تحول عميق في الشكل الطبيعي « للجزء السادس من العالم » الذي يؤلفه الاتحاد السوفياتي ، فقد انقلب توزيع الكتل البشرية وتوزيع مراكز الانتاج رأساً على عقب ، بينما تبدلت طرائق الانتاج نفسها ايضاً .

على غرار الولايات المتحدة التي يبرز فيها التضاد الكبير نفسه بين الانطلاقة الديموغرافية سكان قليلي العدد نسبياً وموارد وفيرة ومتنوعة ، استطاع الاتحاد السوفياتي الاستفادة في وقت واحد من انطلاقة ديموغرافية عظيمة الشأن ومن تقدم اقتصادي سريع الخطى . فقد قدر عدد السكان بـ ١٤٥ مليوناً في السنة ١٩١٤ (في حدود ما بعد الحرب) ، فبلغ في السنة ١٩٢٦ ، عند الاحصاء الاول ، ١٤٧ مليون نسمة . وقدرت الخسائر بالارواح الناجمة عن الحرب ، والابوة - لا سيما التيفوس - وسوء التغذية والمجاعة في ١٩٢١ - ١٩٢٢ ، ومذابح الحرب الاهلية ، والهجرة السياسية ، بـ ١٥ الى ٢٥ مليوناً . ومنذ نهاية الحرب الاهلية ، اصبح الازدياد سريعاً على الرغم من الوفيات الناجمة في ١٩٣٢ - ١٩٣٣ عن المجاعة الكبرى التي فتكت قسماً كبيراً من سكان اوكرانيا ومنطقة الفولغا الاسفل وبعض المحاء سيبيريا الغربية . فارتفعت زيادة الولادات بالنسبة للوفيات ، في القسم الاوروي ، من ١٩٠٣ ٪ في السنة ١٩٢٣ الى ٢٤ ٪ في السنة ١٩٢٤ ، وبلغت ١٩ ٪ في مجموع المحاء الاتحاد في السنة ١٩٣٠ ، ثم ارتفعت الى ٢٠،٥ بالمائة في السنة ١٩٣٨ . وقد بلغ عدد السكان ، في السنة ١٩٣٩ ، ١٧٠ مليون نسمة اي بزيادة ٢٣ مليوناً منذ السنة ١٩٢٦ ؛ واتصفت الزيادة بمزيد من السرعة عند الاعراق غير الروسية حيث تحسنت الظروف الصحية تحسناً كبيراً ؛ كما اتصف هؤلاء السكان اخيراً ، في السنة ١٩٣٩ ، بنسبة عليا من الشباب ، اذ ان الذين كانوا دون العشرين من سنهم بلغوا آنذاك ٤٥،١ بالمائة .

كانت حركة الانتقال عظيمة جداً ، شبيهة بها في الولايات حركات انتقال السكان المتحدة بين السنة ١٨٧٠ والسنة ١٩٢٠ ، او في انكلترا خلال القرن التاسع عشر . اجل ان هذه الحركة لم تترك اثرأ يذكر خلال الحرب ، ولكن ما ان أُشرع في تنفيذ سياسة التصنيع حتى بدأت عملية توزيع السكان توزيعاً نظامياً . فقد كان الهدف استثمار الموارد الطبيعية استثماراً منظماً وصوابياً ، وفي مكان وجودها ، اذا امكن ذلك ، بغية الحد من نفقات النقل ، وتقريب المصانع من مراكز انتاج الطاقة والمعادن الطبيعية ، وانشاء مراكز صناعية جديدة في داخل البلاد بعيداً عن مناطق الحدود ، وتوزيع مراكز الانتاج توزيعاً اكثر تساوياً . لذلك وجّه الفلاحون الكثيرون ، الذين لم تعد الارياض بحاجة اليهم بعد اعتماد الآلات ، نحو المناطق الغنية بالموارد غير المستثمرة او المستثمرة جزئياً ، او نحو نقاط قريبة من خطوط المواصلات ، ولا سيما خطوط المواصلات المائية .

منذ السنة ١٩٢٦ حتى السنة ١٩٣٩ ، أي خلال ١٢ سنة ، انتقل ٢٣ مليون نسمة ، على هذا النحو ، من الارياف نحو المدن . وقد حدث قبل ذلك ، أي بين السنة ١٩٢٣ والسنة ١٩٢٧ ان ارتفع عدد المدن التي تضم أكثر من ١٠٠ ٠٠٠ نسمة ، من ٢٢ الى ٣١ ، ثم ارتفع في السنة ١٩٣٩ الى ٨٢ ضم ٤١ منها أكثر من ٢٠٠ ٠٠٠ نسمة ، وبين السنة ١٩٢٧ والسنة ١٩٣٩ قفز عدد سكان المدن من ٢٦ ٣٠٠ ٠٠٠ الى ٥٥ ٦٠٠ ٠٠٠ ، أي ما يوازي ٣٢،٨ بالمائة مقابل ١٧،٩ بالمائة ، بينما تراجع عدد سكان الارياف من ١٢٠ ٧٠٠ ٠٠٠ الى ١١٤ ٦٠٠ ٠٠٠ ، أي من ٨٢،١ الى ٦٧،٢ بالمائة ، وفي السنة ١٩٣٩ كان خمسا سكان المدن فلاحين استقروا فيها منذ اقل من ١٢ سنة . وللمرة الاولى في تاريخهم ، بلغت روسيا درجة التطور التي مرت بها أوروبا الغربية منذ زمن بعيد : كانت المدن المستفيد الوحيد من زيادة عدد السكان . ففي ١٢ سنة استوطن موسكو زهاء مليوني نسمة (١٣٧ ٠٠٠ في السنة ١٩٣٩) ، وارتفع عدد سكان اقليمها بنسبة ٧٤ بالمائة ، وبلغ عدد سكان لينينغراد ٣ ١٩١ ٠٠٠ نسمة . واستقبلت منطقة الحديد والفحم الحجري في أوكرانيا الشرقية ، مع مدينتي خاركوف ودينبر وبتروفسك الصناعيتين ، أكثر من مليوني شخص جديد ، وارتفع عدد سكان ماريوبول من ٦٣ ٠٠٠ الى ٢٢٢ ٠٠٠ نسمة ، وسكان ماكيافكا من ٧٩ ٠٠٠ الى ٢٤٠ ٠٠٠ ، كما ارتفع سكان اقليم ستالينو بنسبة ٩١ بالمائة ، وسكان اقليم فوروشيلوفسك بنسبة ٣٧ بالمائة ، وخلال ١٢ سنة ارتفع عدد سكان ٩ مدن في هذه المنطقة الى ثلاثة اضعاف ، وقفز عدد سكان خاركوف من ٤١٧ ٠٠٠ الى ٨٠٠ ٠٠٠ ، وسكان روستوف من ٣١٨ ٠٠٠ الى ٦٣٠ ٠٠٠ . وفي الشمال ، قفز عدد سكان مورمانسك من ٨ ٠٠٠ الى ١٠٠ ٠٠٠ نسمة . ولم تنحصر المدن السريعة النمو في أوروبا وحدها ، اذ ان المراكز الصناعية الجديدة في آسيا قد عرفت نمواً سريعاً جداً ايضاً .

وتغير مظهر المدن القديمة ، اذ انها فقدت احد ادوارها القديمة الرئيسية ، اعني به دور السوق التجارية ، بفعل زوال التجارة الخاصة ، فاحيطت بمدن تابعة حين قامت الصناعة في ضواحيها ، والا عاشت في ضيق وتأخرت . اما المدن الجديدة التي نشأت على مقربة من الخيام فكانت مدناً - مصانع استخدم كافة سكانها في المشاريع الصناعية . ونجم عن ارتفاع عدد السكان حركة بناء واسعة لم تتوفق الى حل د ازمة إسكان ، بحادة جداً ، وكانت الابنية الجديدة اما مساكن - مدناً عمالية كبرى احياناً ، او بيوتاً فردية صغرى احياناً اخرى ، وفاقاً لمواد البناء المتوفرة - واما مساكن جماعية وابنية عمامة باعداد كبرى : مدارس ، مستوصفات مجانية ، دور توليد ، مستشفيات ، امكنة اجتماع ، قاعات لعب ، مسارح ، ملاعب ، نواد رياضية . وتشابه السكان في كل مكان ، فكانوا عمالاً او موظفين لا يميز بينهم لا نوع المعيشة ولا الزي .

وفي الوقت نفسه الذي اعمرت فيه بورات الفولغا الاسفل وصُنِّعت ، استقرت قبائل

البدو الرحل ، ولم يستمر في حياة البداوة ، في السنة ١٩٣٥ ، سوى ٤٥٠٠٠٠ من اصل مليونين او ثلاثة ملايين عائلة بدوية : ففي قازاخستان نقص عدد سكان الارياف اكثر من مليون نسمة بفعل زراعة المراعي والتصنيع ، بينما ارتفع عدد سكان المدن من ٥٠٠ ٠٠٠ الى ١٧٠٠ ٠٠٠ . وتحولت كذلك قبائل الـ « وارتو » في الالتاي والـ « بوريات - المغول » ، البدو او شبه البدو ، والكرغيز والكالموك الى رعاة يتنقلون مع الفصول من مكان الى مكان ويسلكون مسالك ثابتة . وما لبث هؤلاء ان استقروا وتحضروا تدريجياً ، حيثما انشئت المروج الصناعية واستثمرت الغابات والمناجم .

تبدل ظاهر البلاد نفسه تبديلاً عميقاً . مظهر الحقول اولا ، التي تحول مظهر البلاد تمتد الى ما لا نهاية له في كافة الاتجاهات دون اثر للحدود ، والتي حلت محل فسيفساء الطرائد القديمة المحددة تحديداً دقيقاً ، بعد ان اتاح انشاء تعاونيات الانتاج زراعة مئات الهكتارات زراعة مماثلة في وقت واحد ؛ وغير الاقتصاد الزراعي الجديد طابع القرية ؛ فالجموعة السكنية ، المؤلفة من بيوت عمال التعاونيات وما يحيط بها من حظائر وحدائق ، منفصلة عن ابنية الاستثمار التي باتت جماعية : المطامير والزرائب والسقائف والمخازن التعاونية والمستوصفات المجانية وقاعات الاجتماع والمدارس تتجمع حول مستودع المياه . وامتدت المساحات المزروعة التي ارتفعت من ١٠٥ ملايين هكتار في السنة ١٩١٣ الى ١١٣ في السنة ١٩٢٨ و ١٤٠ في السنة ١٩٣٨ . وان تصريف المياه والري والاحتياطات المتخذة للحوول دون ضياع التربة وغزو الرمول قد وفرت لازراعة اراضي باثرة ومهمة : ٤ ملايين هكتار من المستنقعات الجففة في بيلوروسيا ومنطقة لينينغراد وموسكو وسيبيريا وكوبان ، حيث تحولت الى مرزات ، وفي منطقة بحر ازوف حيث تحولت الى بساتين . ووفر الري مساحة مماثلة . واتاح تحسين التربة وتقدم فن الزراعة استثمار الاراضي استثماراً افضل : اتسمت زراعة القطن في روسيا الجنوبية والارز في الشمال وفي آسيا الوسطى . وادت دروس معهد ليسنكو للانتاج النباتي حول اختصار فترة نمو النباتات المزروعة الى امتداد الزراعات حتى المناطق القطبية حيث زرعت في شبه جزيرة « كولا » ، في ما وراء الدائرة القطبية ، الحنطة والاشجار المثمرة والبقول . وادخلت زراعات جديدة (البسلتي الصيفية الى اوكرانيا) ، ووسعت في كل منطقة الزراعات الاكثر ملاءمة لطبيعة الارض والمناخ : احتل دوّار الشمس مساحات شاسعة في اوكرانيا وكيرغيزيا والقرم ، وزراعة البقول والاشجار المثمرة في تاجيكستان . ولم تحتل شجرة الشاي ، في السنة ١٩١٣ ، اكثر من الف هكتار ولم تنتج اكثر من ٢٠٠٠ قنطار ، فاحتلت في السنة ١٩٤١ اكثر من ٥٠٠٠٠ هكتار وانتجت اكثر من ١٤٥٠٠٠ قنطار . وادخلت الى تركمانيا واذربيجان ، من آسيا الوسطى والمكسيك ، نباتات برية تنتج المادة الصمغية التي يصنع منها المطاط . اما القطن الذي لم يزرع في السنة ١٩١٥ الا في ٨٢٥٠٠٠ هكتار ، و ٩٧١٠٠٠ هكتار فقط في السنة ١٩٢٧ ، فقد احتل

٢٥٠٠٠٠ هكتار في السنة ١٩٤٠ بفضل بناء السدود الكبرى على الـ « فاخته » ، وتنظيم مياه الـ « سكورا » والـ « اراكس » ونجاح زراعة القطن « البعلية » على ضفاف البحر الاسود .

ارتكز تنظيم الصناعة الجديد الى تأسيس الوحدات تضم بعض
نظام الصناعة
الوحدات الصناعية على الصعيد الافقي ، بلغ عددها ٦٤٠ في
السنة ١٩٤٠ وادارت ٥٧٣٠٠٠ مؤسسة ، ووحدات صناعية كبرى توحد على الصعيد العمودي
المشاريع المترابطة النشاطات ؛ هذه كانت « جبارة » الصناعة : « وحدة » ماغنيتوكورسك
التي تأسست في السنة ١٩٢٧ عند لحف « ماغنيتنايا غورا » ، جبل المعدن الحديدي الاديس
اللون ، وانتجت في السنة ١٩٤١ مليون طن فولاذاً ، وتوفرت لديها افران الحديد المصبوب
ومصاهر الحديد وآلات تصفيح المعادن ومعامل المواد الكيميائية ومعامل انتاج الكهرباء ،
النخ . ، ووحدة كونراد على مقربة من بحيرة بالكاش التي استثمرت معدن النحاس الطبيعي
المكتشف في السنة ١٩٢٨ ، وانتجت ، بالاضافة الى النحاس ، كبريتور الكربون والحض
الكبريتي ، النخ ؛ ووحدة « ميكويان في موسكو » للحووم التي استخدمت ١٠٠٠٠ عامل
وامتدت فروعها المختلفة على طول ٤٣ كلم ؛ فقد جزر فيها ١٠٠٠٠ حيوان في اليوم ، وصنع
فيها الآحين ، والمواد الصيدلية ، والمواد المجردة عن الماء ، والفراء ، النخ . واستلزمت هذه
الوحدات مصانع جبارة خاصة ، كمصنع كراماتورسك الذي انتج الآلات وامتد على مساحة
١٠ كلم^٢ ، ومصنع موسكو للاجهزة الكهربائية « الكترولسيل » الذي استخدم ١٠٠٠٠ عامل
وامتد ، مع المدينة العمالية ، المتسعة لـ ٢٠٠٠٠ شخص ، على مساحة ٥ كلم^٢ . وان الوحدة
الصناعية المزدوجة « اورال - كوزنتسك » التي جمعت بين حديد الاورال الطبيعي وفحم
كوزباس الحجري اتاحت للمنطقتين الكهربيين اللتين تفصلهما مسافة ٢٠٠٠ كيلومتر تبادل المعدن
والفحم وتزمية مركزين ضخمين لصناعة التعدين .

الا ان تبديلاً ارتسم عند الشروع في المشروع الحسي الثالث ، فلم يعد « الجبار الصناعي »
ليعتبر خير مثال للتنظيم ، بل بدا من الافضل ، على الصعيد الاقتصادي والصعيد الاجتماعي
معاً ، توزيع المؤسسات الصناعية على كافة انحاء البلاد وتقسيمها الى مراكز صناعية اكثر عدداً
وادخالها في الوقت نفسه في مجموعة اقليمية واسعة .

ان البحث عن مناجم جديدة غنية والتصميم على نقل مراكز
تحول مراكز الانتاج
الانتاج الى الشرق قد ادخلا تغييراً كبيراً على الامة النسبية
للمراكز المنجمية والصناعية . اجل ما زالت منطقة دونباس تتقدم تقدماً مستمراً ، وقد بقيت
اهم منتج للفحم الحجري ، ولكنها ما عادت لتنتج سوى ٦٠ ٪ من الفحم الحجري السوفياتي
مقابل ٨٧ ٪ في السنة ١٩١٣ ؛ ومرد ذلك الى تقدم هذا الانتاج في مناطق آسيوية مختلفة :
منطقة كوزباس التي كانت تنتج اقل من مليون طن في السنة ١٩١٣ وبانت تنتج اكثر من ٢٠

مليوناً في السنة ١٩٤٠ ، وحوض قاراغندا الذي بوشر استثماره قبل الحرب ، ثم توقف ، ثم تجدد في السنة ١٩٣٠ ، والذي بلغ انتاجه ٥ ملايين طن في السنة ١٩٣٨ ، وحوض الاورال الذي انتج اكثر من ٥ ملايين طن ، وحوض « بتشورا » الذي انتج ٣ ملايين .
ويصح هذا القول كذلك في البترول الذي ارتفع انتاجه ، بين السنة ١٩٢٩ والسنة ١٩٤٠ ، من ١٤,٤٤٧,٠٠٠ الى ٣٥,٥٠٠,٠٠٠ طن ، والذي لم يعد ينبع في المنطقة القفقازية وحدها بعد ان افضى استثمار بترول « باكو الثانية » ومنطقة « فولغا - الاورال » ومنطقتي « امبا » و « نفتيباد » الى خفض نسبة انتاجها من ٩٥ بالمائة في السنة ١٨٣٥ الى ٨٠ بالمائة في السنة ١٩٤٠ .

وتحول استخراج الحديد بفعل اكتشاف واستثمار مناجم جديدة غنية جداً في الاورال (ماغنيتو كورسك) وشبه جزيرة كرتش ، ولا سيما في منطقة كورسك ، في آسيا الوسطى ، وفي منطقة « خوريا » الجبلية ، فبات حوض كريفوي - روغ لا ينتج سوى نصف الحديد السوفياتي . وتغاسمت منطقة الاورال ومنطقة كوزراد و « الملك » قرب طشقند انتاج النحاس .

وانتقلت الصناعات النسيجية تدريجياً كذلك نحو مناطق انتاج الخامات ، اي نحو آسيا الوسطى حيث يزرع القطن ، ونحو آسيا والقفقاس واركرايا الجنوبية حيث ينتج الصوف ، ونحو الشمال الغربي حيث يزرع الكتان ، وانتقلت صناعة الجلود من الوسط نحو مناطق جزر المواشي وتربيتها ، وصناعة التبغ نحو الجنوب ، في جيورجيا ، على مقربة من مواطن زراعة التبغ .

لعل التغييرات الكبرى حدثت في آسيا الروسية (ثلث آسيا)
آسيا السوفياتية
وعالم المناطق المتجمدة الشمالية . وكانت في آسيا نتيجة سرعة
الاممار وتنقل السكان وتطور طرائق معيشتهم . فقد استقبلت سيبيريا ١٠ ملايين شخص لم يكونوا ، كما في اوائل القرن ، موظفين ، وعسكريين ، وفلاحين جاؤوا لاهمار الارياض ، بل كان معظمهم عمالاً اتوا - هنا كما في آسيا الوسطى التي استقبلت ٥ ملايين مهاجر - للعمل في المناجم والمصانع . وفي مناطق الشرق الأقصى حيث بلغ عدد السكان ٣ ملايين نسمة في السنة ١٩٤٠ ، ارتفع هذا العدد الى خمسة اضعافه منذ السنة ١٩٢٣ ؛ وارتفع عدد سكان اقليم « خاباروفسك » بنسبة ١٣٦ بالمائة . ونشأت بعض المدن بسرعة ضخمة : ارتفع عدد سكان « تشليابنسك » خلال ١٢ سنة ، من ٥٩,٠٠٠ الى ٣٠٠,٠٠٠ نسمة ، وعدد سكان ماغنيتو كورسك من بضع مئات الى ١٥٠,٠٠٠ .

وفي القفقاس جعل التخصص الاقتصادي ، والتصنيع حول باكو وتفليس ، وري مزارع القطن في الشرق وفي الغرب ، وادخال المزارع المتخصصة (شجرة الشاي ، والكرمة ، والتبغ والمحاصيل) ، في تفكيك الوحدات الاقليمية القديمة ولا سيما في الحياصة الراحوية ،

وتقلصت الحياة البدوية ، هنا ايضاً ، لتحل محلها طريقة الانتقال بالمواشي الى المراعي الجبلية . وارتفع عد السكان بنسبة ٥٠ بالمائة بين السنة ١٩٢٦ والسنة ١٩٣٩ ، ولكن عدد سكان المدن تضاعف بينما لم يرتفع عدد سكان الارياف ارتفاعاً يذكر . وصنعت كذلك ارمينيا المهمة والمنمذلة نسبياً ، بفضل احتياطياتها الهام من طاقة توليد الكهرباء من القوة المائية .

امما في آسيا الوسطى فهي منطقة قازاخستان ما عرفت اعظم تطور . فان ثروة باطن ارضها التي تشمل ، بالاضافة الى بتروا امبا ، وفحم قاراغندا ونحاس بحيرة بالكاش ، الرصاص والخاصين والقصدير والمنغنيز والكروم والمولبدن والذهب ، اجتذبت العمال الى د بورة الجوع ، القاسية المناخ شتاء وغير الصالحة المزارعة والمفجرة حتى هذا التاريخ ، فنمت مدن - مصانع جديدة نمواً سريعاً جداً : بريبالكاش ، كارساك - باي ، تشمكنت ، قاراغندا ، جزكازغان ، بينما تضاعف عدد سكان العاصمة « الما - آتا » . واتاحت الزراعة غير المروية الزراعة حول الوحدات الصناعية ، واخذت المنطقة الجنوبية التي التفت من قبل سلسلة من الواحات المتشعبة ، تتحول كلها الى منطقة مروية متصلة ؛ وفي « اوستراليا السوفياتية » هذه حولت نباتات الكلأ البدو الرحل الى تعاونيين يربون الماشية ، ولكن عدد سكان الارياف تدنى بنسبة ٣٠ بالمائة . وبات باستطاعة آسيا السوفياتية ، التي لم تفتح في السنة ١٩٢٨ سوى ٦,٦٠٠,٠٠٠ طن فحماً حجرياً ومليون طن فولاذاً ، انتاج ٥٧ مليوناً و ٦,٥٠٠,٠٠٠ في السنة ١٩٤٠ ، اي ٣٤,٣ ٪ من فحم الولايات المتحدة الاميركية و ٣١,٦ بالمائة من فولاذها .

على الرغم من ارتفاع عدد السكان في هذه المنطقة ، منذ السنة ١٩٢٦ حتى السنة ١٩٣٩ ، بين ٢٥,٦ بالمئة و ٤٥,٧ بالمئة ، بحسب الجمهوريات ، فان هذا الارتفاع لم يحصل الا في المدن بصورة خاصة ؛ فبلغ هذا العدد ثلاثة اضعافه في تاجيكستان واكثر من ضعفه في تركمانستان و ١٥٠ ٪ في ازبكستان ؛ واصبحت هناك عشرة مدن جاوز سكانها ٥٠,٠٠٠ نسمة ، مقابل ٦ في السنة ١٩٣٦ ؛ ومنذ السنة ١٩٢٦ ، ارتفع عدد سكان « تشارجوي » بنسبة ٤٠٠ بالمائة ، وعدد سكان « فروزيه » واشقباد ٢٥٠ بالمائة ، وطشقند قرابة ٢٠٠ بالمائة . وانميت المزارعات المروية بفضل السدود والاقنية . وساعد بناء خط توركسيب المعد لتصريف القطن نحو الشمال وتموين البلاد عن طريق سيبيريا ، على تسهيل التخصيص الذي جعل المساحة المزروعة قطناً في الجمهوريات الاربع ترتفع من اقل من نصف مليون هكتار الى مليون ونصف المليون . وتقدمت الصناعة النسيجية ولاسيما صناعة الصوفيات والقطنيات في اشقباد وفرغانا وستاليناباد وخوجند وتشارجوي وكيروفاباد وطشقند . وبات مجموع آسيا الوسطى منذئذ المركز الاول في الاتحاد لتعدين المعادن غير الحديدية .

امما بلدان المنطقة المتجمدة ، فقد استفادت من مجهود منظم
بلدان المنطقة المتجمدة
انتهى ، بفضل العزم العنيد ، الى خلق مراكز نشاط ما كان
احد ليعلم بها من قبل . وكان استثمارها وتطورها ثمرة اتعاب « معهد المنطقة المتجمدة » ،

و « مصلحة استكشاف الطريق البحرية الشمالية » التي استخدمت منذ السنة ١٩٢٢ عدداً كبيراً من علماء طبقات الأرض ، وعلماء النبات ، وعلماء الحوادث الجوية ، والملاحين ، وعلماء آخرين كثيرين ، وزودتهم بالطائرات والبواخر المعدة لتعظيم الجليد ، فتوسعت بفضل استكشافاتهم معرفتنا للمنطقة القطبية والقطب نفسه (باباين) . واجتازت الـ « سيبيرياكوف » منذ السنة ١٩٣٢ ، والـ « تشليوسكين » منذ السنة ١٩٣٣ ، المجاز الشمالي الشرقي في رحلة واحدة ، فمُرفت مواطن الموارد المنجمية وأنشئت تحت سطح الأرض (بغية تجنب اضرار الجليد في فصل الشتاء) مصانع لتوليد الكهرباء انتجت مليون كيلوات في شبه جزيرة كولا حيث اتاح اكتشاف فلوروفوسفات الكالسيوم في جبل « خيبيني » تنمية صناعة هامة لانتاج الفوسفات . فقامت في هذا « الجو القمرى » وفي هذه المنطقة الباردة مدينة صناعية تضم ٤٠.٠٠٠ نسمة ، هي كيروفسك ، التي انتجت الفوسفات والمعادن غير الحديدية . وعلى الشاطئ غدت مورمانسك مرفأً كبيراً ، وقد انشئت فيها ، بفضل خط لينينغراد - مورمانسك وقناة البلطيق - البحر الابيض ، منطقة صناعية هاشت من استثمار الماچم ، وصناعات خشبية وسلولوزية ومصانع لبناء السفن ، ومصانع لحفظ الاسماك . وادى مجهود العلماء الروس العنيد في توسيع نطاق المزروعات الغذائية أكثر فأكثر نحو الشمال الى نتائج هامة جداً ، فبات الملفوف والجزر والبصل والبقول تنتج منذئذ ، في ما وراء الدائرة القطبية ، بكية كافية لسد الحاجات المحلية . وابتعت البقول في مدافىء منشأة تحت الأرض تنار بكهرباء تنتجها مراوح هوائية مثبتة فوق سطح الأرض (لذلك قيل : « عواصف الشمال تثبت البقول ») . والى الشرق باتت اركانجلسك التي ضمت ٢٨١.٠٠٠ نسمة في السنة ١٩٣٩ (مقابل ٣٥.٠٠٠ في السنة ١٩١٣) مركزاً صناعياً كبيراً ايضاً . وفي آسيا الشمالية ، عند الـ « ياقوت » الرحل ، وفي اقصى الشمال الشرقي ، عند الـ « كمشدال » والـ « تشوكتش » اخذت في الترعير حضارة شمالية جديدة بفضل تعاريفات ضمت مربى الايليات والبقريات وساعدت على استقرار السكان ، ومحطات اشتهاء انشئت على الشاطئ بغية اعداد النقل ، خلال فصل الشتاء الطويل ، الذي لا يمكن تأمينه الاّ خلال اسابيع معدودة والذي يجري منذ السنة ١٩٣٥ بدون محطات اشتهاء بين مورمانسك وفلاديفوستوك عن طريق المرافىء على مصاب الـ « اوب » و « ينيساين » و « لينا » .

الفصل الثالث

قلب الأنظمة

في السنة ١٩١٨ ، كتب لينين ما يلي :

« الاشتراكية هي إلغاء الطبقات . وإلغاء الطبقات يقتضي أولاً قلب مالكي الأراضي والرأسماليين . لقد نفذنا هذا الجزء من المهمة ، ولكنه ليس سوى جزء وليس أصعب ما علينا تنفيذه . وإلغاء الطبقات يتوجب علينا تالياً تحويل كافة العمال والفلاحين الى « عمال » ... »

كان « التوقف » ، الذي شكلته السياسة الاقتصادية الجديدة ، خطراً مهدد بالقضاء على النتائج الأولى التي حققتها ثورة تشرين الأول ، لأنه أتاح قيام طبقة المحتكرين البورجوازية المدنية وطبقة الكولاك الريفية ؛ ولكن هذه النتائج أصبحت نهائية بفضل سياسة التخطيط والتصنيع وتأميم الأرياف .

١ - النظام الاقتصادي الجديد

ليس هناك ما يشبه استثمار « القارة السوفياتية » ، من حيث اتساعه ، سوى استثمار القارة الأميركية ، ولكنه يختلف عنه ببعض المظاهر الأساسية . فهو أولاً عمل الدولة بدالة تصميم وضعته هي ، لا عمل افراد بدالة السعي وراء كسب مرتقب . واعطيت الأولوية لانتاج مواد التجهيز بحسب مفهوم معين للمصالح العام ، ونظم الانتاج في مجموعه دونما اهتمام لدخول الافراد ولطاقاتهم على الشراء . واخيراً اختلف النظام القانوني للملكية اختلافاً جذرياً : فبينما ارتكز الاقتصاد الرأسمالي الى الملكية والمبادأة الشخصيتين ، ارتكز الاقتصاد السوفياتي الى الملكية والمبادأة العامتين .

الغنى الحسك السوفياتي الملكية الخاصة لوسائل الانتاج وحول الى ملكية الدولة الارض والغابات والمناجم والمصانع والمصارف ؛ والى جانب هذا القطاع العام ، سمح باستمرار قطاع خاص قوامه بعض استثمارات ، اما جماعية كالتعاونيات ، واما خاصة وفردية ، زراعية أو صناعية ، تتركز

الملكية الاشتراكية

والملكية الفردية

الى العمل الشخصي وقتنا في استثمار عمل الغير ؛ وقوامه كذلك الملكية الخاصة التي يحققها المواطنون بدخول عملهم . لذلك كان لحق الملكية الخاصة عند مواطني الاتحاد السوفياتي دور « استهلاكي » في جوهره ، وهو يقوم باستخدام دخل العمل والتوفيرات الممكن تحقيقها للاستحصال على مواد الاستهلاك والرفاهية : المساكن ، الادوات المنزلية الخ . فباستطاعة الفرد « استثمار معمل صغير شريطة الا يستخدم فيه اي عامل ، اي ان لا يحقق كسباً بفضل عمل شخص ثالث » ؛ هذه هي حال الحرف الصغرى ، كحرفة الحداد وحرفة الاسكاف ، أو بعض التجارات الصغرى .

والملكية الشخصية « لا تشمل الا المواد التي تستخدم لسد الحاجات الفردية او العائلية » ؛ فوظيفتها ، كما حددها دستور السنة ١٩٣٦ ، هي سد حاجات الفرد الشخصية وحاجات هائلته وتمكينه من بلوغ حياة ثقافية رخيصة . وحق ارض مواد الاستهلاك الشخصي والانتاج الفردي من ثم حقيقة راحة ، فد المساكن والدخول والتوفير وثمره العمل والاقتصاد البيتي الاضافي وأدوات المنزل والأدوات الشخصية والترفيهية ، تدخل في هذه الملكية الشخصية .

كان الهدف منه إعادة تنظيم الزراعة وفقاً لأسس جديدة ، اعني بها تأميم الأرياف
ضم ملايين الاستثمارات الخاصة التي كانت تتناول مئات ملايين قطع الارض الصغرى على العموم ، والتي كانت تؤلف عائفاً في طريق تنمية زراعة منظمة . ففي شهر كانون الاول من السنة ١٩٢٧ قرر المؤتمر الخامس عشر للحزب « الانتقال الى الهجوم الاشتراكي » ضد الاقتصاد الفردي ، وتنمية القطاع الاشتراكي الذي لم يضم في السنة ١٩٢٨ سوى ٣٣٠٠٠ تعاونية تنتمي اليها ٣٧٠٠٠٠ عائلة (١,٥ بالمائة من الاستثمارات القروية) و ٤٠٠٠ مزرعة رسمية مثالية تضم ٦٠٠٠٠٠ عامل وتوفر بمجموعها بين ٣ و ٤ بالمائة من الانتاج الزراعي . وعند البدء بتنفيذ الخطة الخمسية الاولى ، دفع بتنظيم التعاونيات دفعاً سريعاً الى الامام منذ السنة ١٩٢٩ ، فاقصد ٢٥٠٠٠٠ عامل الى الأرياف بغية تشجيع تأسيسها وتسيير « محطات الآلات والجرارات » التي ستؤجر الفلاحين معداتها . ونجحت عملية التأميم لمصلحة المجموع ، التي منحت الفلاحين المنضمين الى التعاونيات حق الاولوية في بيع الدولة حاجاتها ، نجاحاً كبيراً مطرداً ، ولا سيما في المناطق التي يزيد انتاجها عن طلب السكان : اوكرانيا ، منطقة الفولغا الاسفل ، شمالي القفقاس ، القرم ، المناطق المجاورة لموسكو ؛ وفي الوقت نفسه تعزز الهجوم على الكولالك : ضريبة تصاعدية ، مصادرة ممتلكاتهم ، نفى . وخلال شتاء ١٩٢٩ - ١٩٣٠ تقدمت عملية التأميم تقدماً ناشطاً ، وإنما برزت بوادر استياء كثيرة . فطمان ستالين الفلاحين في مقاله « النجاح ينفخ في رأسنا » ؛ فسمح للفلاحين بالانسحاب من التعاونيات التي انخفض عددها - المتفاوت تفاوتاً كبيراً بحسب المناطق - الى نصفه بصورة عامة ؛ ثم تجدد التقدم في السنة ١٩٣١ ولم يتوقف بعد ذلك : فارتفع عدد المشاريع المؤممة من

٢٣,٦ بالمائة في السنة ١٩٣٠ الى ٥٢,٧ بالمائة في السنة ١٩٣١ ، و ٧١,٤ بالمائة في السنة ١٩٣٤ ،
و ٩٠,٥ بالمائة في السنة ١٩٣٦ ، و ٩٦,٩ بالمائة في السنة ١٩٤٠ .

في غضون هذه السنوات الاولى حدد التشريع شروط الاستثمار الجماعي : عمل بالقبالة بغية
ارغام الكسالى على الانتاج ، منع تأميم الابقار والحيوانات الداجنة الاخرى ، حق البيع في
الاسواق حين تقدم التعاوقية ما هو مطلوب منها . وفي السنة ١٩٣٥ صدر نظام الشركة
التعاونية الزراعية ، : للتعاونية حق التمتع الدائم بالأرض التي تملكها الدولة ، ولكل عضو
حق تملك بيته وبستانه او مبقلة (بين ١/٢ هكتار وهكتار) وامتلاك بقرة او عدة عترات .
فلم يشمل التأميم من ثم المساكن والمواشي الصغيرة والحديقة القريبة من المساكن . وقد اختلفت
التعاونيات اختلافاً كبيراً ، فاستثمرت بين ٥٠٠ و ٣٢٠٠ هكتار وضمت بين ٦٠
و ٢٠٠ عائلة .

اما المزارع المثالية ال ٤٠٠٠ ، فمشاريع زراعية تملكها الدولة وتخضع لنظام شبيه بنظام
الصناعات . وهي تؤلف استثمارات كبرى اذ ان مزرعة مثالية لزراعة الحبوب قد تبلغ بين
٥٠٠٠ و ٨٠٠٠ هكتار ، ومزرعة مثالية لتربية المواشي قد تبلغ ٢٠٠٠٠ هكتار وتمتلك
عدة آلاف من المواشي . كما انها تقوم بأعمال تخصيصية (قطن ، حنطة ، اغنام ، حليب
وزبدة ، الخ .) وتعتمد الآلات المتوفرة لديها ، وتؤلف التحادات بحسب تخصصها . وقد
ارتفعت مساحتها من ١٧٠٠٠٠٠ هكتار في السنة ١٩٣٨ الى ١٣٢٠٠٠٠٠ في السنة
١٩٣٠ والى ١٦ مليوناً في السنة ١٩٣٦ ، ثم تدنت الى ١٢١٠٠٠٠٠ في السنة ١٩٣٨
(٨٤٩ بالمائة من المساحات المزروعة مقابل ١٢٤١ بالمائة) ، حين وزعت الحكومة اراضي
بعضها على التعاونيات المجاورة ، فهبط عددها من ثم من ٤٣٣٧ في السنة ١٩٣٢ الى ٣٩٦١ في
السنة ١٩٣٨ ؛ يضاف الى ذلك من جهة ثانية ان وضع العمال اخذ يشبه وضع التعاونيين حين
منحوا حق تملك قطعة ارض صغيرة .

تنظيم التعاونيات
تحتل التعاونية من ثم المركز الاول بين اشكال الاستثمار الزراعي .
فهي تملك ، جماعياً ، الارض وابنية الاستثمار والآلات والماشية وكل
ما ليس ملكاً شخصياً لعضو التعاونية كما حدده النظام . وفي داخل التعاونية بعد قواعده
العمل مجلس الادارة المنتخب وتلبنها الجمعية العامة . ويقوم الاعضاء بعمل مشترك ، ولكن
الريع يوزع عليهم بنسبة العمل الذي يأتيه كل منهم ؛ اما وحدة القياس فهي (يوم العمل)
الذي يوافق عدداً معيناً من الآلات المحروثة او كمية معينة من الحب المدروس . وقد قسمت
كافة الاعمال الزراعية الى سبع فئات عودلت بأيام عمل توجب على كل عضو تأمين حد أدنى
منها يتراوح بين ٦٠ و ١٠٠ وحدة . وتجمع الآلات الزراعية ، التي هي ملك الدولة ، في
محطات الآلات والجرارات بمعدل واحدة لثلاثين تعاونية تقريباً ، وتوضع بتصرف هذه
التعاونيات مقابل فريضة عينية او نقدية .

يسلم الربيع جزئياً للدولة التي تحدد قيمته وفقاً لسعر تفرره ، ويخصص جزء من هذا الثمن لمكافحة خدمات محطات الآلات والجرارات ، وجزء آخر لشراء البذور اللازمة للتعاونية وجمع حبوب احتياطية ، ويوزع الباقي على الاعضاء بحسب ايام عملهم . فيستفيد عضو التعاونية من ثم من مكافأة عمله في الاستثمار الجماعي ومن انتاج الأرض والماشية الذي يعود له شخصياً والذي يستطيع بيعه بسعر حر اما في السوق واما في التعاونية ، ومن اجر العمل الذي قد يقوم به اما في القرية واما في المدينة .

الدولة تملك وسائل الانتاج والمناجم والمصانع ووسائل النقل التنظيم الصناعي والمصارف ، كما تملك الارض ، وتساعد ادارتها الى جماعات خاصة تنفذ موجبات الخطة . فالاقتصاد في هذا الحقل اشتراكي كله ، ان من حيث التملك وان من حيث اشكال الاستثمار .

تتناول الخطط كافة نواحي الحياة الاقتصادية والاجتماعية في الاتحاد . وقد بنيت اعداد الخطة كل خطة على دراسة دقيقة لكافة الموارد المستثمرة او الدفينة التي وضع بها جدول منظم ، وحالة القوى الاقتصادية وامكانيات نموها ، وهي تعد بالاتفاق مع الاقتصاديين والاختصاصيين في مختلف الحقول ، فهي « خطة ابعادية » ، اي انها ترسم برنامجاً لفترة طويلة الاجل (٥ سنوات) - الطريقة الوحيدة لتحقيق تغييرات هامة في الانظمة - ، ولكنها تنطوي في الوقت نفسه على خطط قصيرة الاجل (سنوية بصورة عامة) تعين الاهداف العملية الواجب بلوغها في آخر كل من السنوات الخمس ، او حتى في آخر كل فصل ، آخذة بعين الاعتبار الامكانيات الجديدة التي ترسم خلال الاعمال ، بحيث يصبح التكيف الدائم امراً ممكناً .

فالحكومة ترسم التوجيهات والد « غوسبلان » ، وهو مجرد جهاز فني استشاري ، يحدد مهام كل فرع من فروع الصناعة ، ثم تدرس اجهزة التخطيط الدنيا هذه المشاريع ، فترفع ملاحظاتها او مقترحاتها ، « التي ليست مجرد كتب بالموافقة » ، الى ال « غوسبلان » الذي ينتج المشروع الشامل النهائي . حينذاك يؤمن صغار الموظفين تنفيذه تحت اشراف ورقابة الادارات المتخصصة المعروفة باسم « غلافكي » .

تعين الخطة كميات ونوعيات المنتوجات الاستهلاكية والتجهيزية المفروضة على كل فرع من فروع الانتاج وعلى كل دائرة اقليمية ، وطريقة توزيعها ، والنسبة الممكن تصديرها ، وتنطوي كذلك على نصوص خاصة بالتعليم بسبب الحاجة الماسة الى التقنيين والعمال الكفاء ، وتحاول مراعاة النسبة بين تخصصهم وكفاءتهم وبين حاجات العمل .

ولما تمذر الاعتماد على قروض خارجية هامة لتوفير الاموال اللازمة حول في تمويل الخطة على فائض العمل القومي بشكل ضريبة على قيمة الاعمال ، وضريبة على الارباح ، وضريبة استهلاك ، ويرد ذلك الى ان القروض الخارجية واحتياطي الذهب والبلاطين (بعض مشات ملايين الروبيات) وزيادة دخل الصادرات بالنسبة الى الواردات (بضع عشرات الملايين) لم

تمثل سوى مبلغ زهيد جداً . فضحي من ثم برؤسامة السكان على مذبح رفاهية اخیال المستقبل .

سير الخطة لكل مشروع مخططه الفني ومخططه الخاص المرتكز الى هذا المبدأ : « كل زيادة انتاج يجب ان يقابلها تدني مستوى اسعار البيع بالتفصيل وزيادة حجم الاجور » . وتتمتع المشاريع باستقلال حقيقي وبمحاسبة مستقلة ، وتصرف باموالها المتداولة الخاصة ، ولها محاسبتها الخاصة وحسابها الجاري في المصارف ، وتسدد ديونها ، فيما بينها ، بعمليات تقييم ومقايضة . ويجب ان يؤمن سيرها ارباحها دون ان تحتاج يوماً الى مساعدة مالية . ولكل منها مدير تعينه السلطة العليا او تعزله عند الاقتضاء ، ويتحمل مسؤولية نشاط مصنعه ادارياً وجزائياً . وينص قانون الجزاء على عقوبات صارمة يتعرض لها المهندسون والمديرون والمراقبون الفنيون المسؤولون « عن عمل تخريبي ضد الثورة » ، او عدم تنفيذ واجبات معينة عن قصد وقصيم ، او اهمال مقصود في تنفيذها ، ، وكذلك عن مخالفات « النظام الاداري المركبة دون قصد مناهضة الثورة » ، التي تزعزع مرتكز الدولة الاداري وطاقتها الاقتصادية . فيتضح من ثم ان العقوبة تتناول سوء الادارة والاهمال وسوء النية والانتاج الدولي .

باستطاعة المصانع ومجموعات المصانع والاتحادات والوحدات الصناعية الحصول على اعتمادات قصيرة الاجل من مصرف الدولة ، وعلى اعتمادات طويلة الاجل ، لتمويل الاعمال الكبرى ، من المصارف الخاصة : مصرف الصناعة ، ومصرف الزراعة ، ومصرف التجارة ، وهنالك ايضاً مصرف الاشغال العامة . ويكرس كل مشروع محصول بيع منتجات مصانعه لدفع ثمن الخامات المشتراة والطاقة التي احتاج إليها عند الاقتضاء ، ولصيانة معداته ، ولدفع الضرائب والاجور وأقساط التأمينات الاجتماعية (وهي على عاتق المشاريع لا على عاتق الاجراء) وفقاً لنسبة مئوية تختلف باختلاف الصناعات ويبلغ معدلها بين ٦ و ٩ ٪ من الاجور .

وباستطاعة المشاريع من ثم - ومن واجبها - اذا ما احسنت ادارتها تخفيض أسعار الكلفة المقدرة في تخطيط الـ « غوسبلان » وتحقيق بعض الادخارات . وقد جاءت النتائج مختلفة باختلاف الصناعات ، ولكن أسعار الكلفة كانت في السنة ١٩٣٧ ادنى على العموم منها في السنة ١٩٣٢ بنسبة ٣٢,٥ ٪ في الصناعة الثقيلة ، و ٤٠ ٪ بالمائة في صنع الآلات ، و ٣٣ بالمائة في صناعة الفولاذ و ٣٢,٤ ٪ في استخراج الفحم الحجري .

موازنة الدولة هي ما يؤمن رؤوس الاموال والمساعدات بواسطة المصارف الخاصة ، فتمويل الاقتصاد من ثم يرتكز بمعظمه لالـ الادخار الخاص الفردي بل الى الادخار الجماعي والالزامي اذ ان اكثر من نصف واردات الموازنة يصرف في هذا السبيل ، وتؤمن هذه الواردات الضريبة على مجموع المعاملات (٥٠ بالمائة في السنة ١٩٣١ و ٧١,٤ بالمائة في السنة ١٩٣٨) والضريبة على ارباح مشاريع الدولة (بين ٨ و ٦ بالمائة من الواردات) ، والقروض من صناديق التوفير والقروض العامة (٦ بالمائة في السنة ١٩٣٧) .

اما الصناعة اليدوية فلا تلعب بعد اليوم سوى دور ثانوي ، اقله الصناعة اليدوية الفردية ، ولكن هناك صناعة يدوية تعاونية يؤلف فيها الخياطون والحذاؤون والحلاقون تعاونيات انتاجية ؛ اجل لا يخضع عملها لمخطط انتاجي ولكن نشاطها مراقب (لجهة نسبة الخامات الموزعة بنوع خاص) كي لا تتحول الى مشاريع رأسمالية تستخدم الاجراء .

التنظيم التجاري
الغاء كلياً . والتجارة الداخلية اما في ايدي الدولة واما في ايدي التعاونيات . الا ان تجارة الدولة لم تثل في السنة ١٩٢٩ سوى ١٣ بالمائة من عدد المخازن و ٢٠ بالمائة من مجموع المعاملات التجارية ، فارتفعت هذه النسبة في السنة ١٩٣٧ الى ٧٤ بالمائة بفضل انضمام المئات من تعاونيات المستهلكين المدنيين . وابقى قسم هام من التجارة الريفية (١٥ بالمائة من تجارة التفصيل) للسوق التعاونية ، « سوق بدون تجار » - التي ارتدت طابع الفردية والمنافسة ، من حيث ان الباعة هم المنتجون انفسهم ، يصرفون في السوق المحلية المواد الغذائية التي يحق لهم التصرف بها بحرية وبسعر يحدد بحرية ، ولكنه يكاد لا يختلف عن سعر مخازن الدولة باستثناء ايام الحاجة والفاقة .

كائناً من كان مالك المشروع التجاري ، الدولة او المشروع المؤمم او التعاونية ، فان البيع والشراء في اطار التخطيط كانا حريين وكان ممكناً ان يوفرا الارباح او يخسروا الخسائر . فهناك من ثم سوق تنافسية . والكل يدفعون ضرائب على الارباح ومجموع المعاملات التجارية ويوظفون فوائد مالهم .

« لا نستطيع تكوين فكرة عن النظام التجاري السوفيياتي الا بتأمل النظام التجاري في مدينة فرنسية صغرى وفرعيها « كوب » و « بونين » (« ج . روموف ») .

في تجارة الدولة لتحديد الاسعار في الحطة وتكون الزامية للمشاريع البائعة والمشتري . وهي تتكون من حاصل عناصر ثلاثة : سعر الكلفة ، والضريبة على مجموع المعاملات ، والمبالغ التي تدخل في الاموال المعدة للتجميع (الفوائد المدفوعة للمصارف ، الكراء ، الخ .) ، ويضاف اليها زيادة تجارية . وكان من شأن عدم الحاجة الى نفقات الاعلان وضآلة اعباء الفوائد وانعدام المزاحمة في منطقة بيع واحدة وضآلة عدد المستخدمين العاملين في التجارة ، ان نفقات التوزيع لم ترفع الاسعار الا بنسبة ٧ الى ٨ بالمائة تقريباً . ولما كان سعر الحمل وحده خاضعاً للتخطيط ، فكذلك كانت نفقات الادارة قليلة تدنت اسعار بيع التفصيل وزادت الارباح . ولما كان لمستخدمي المخزن نصيبهم من الارباح ، كانت من مصلحتهم حصر كلفة التوزيع ، اضافة الى ذلك من جهة ثانية ان الارباح التي حققتها الاجهزة التجارية كانت زهيدة جداً : ٢٢ . بالمائة في السنة ١٩٣٤ ؛ و ٦٤ . بالمائة في السنة ١٩٣٦ . فالتجارة السوفيائية هي تجارة لا تعمل « من اجل الربح بل من اجل المستهلكين » (بتلهاييم) . وفي السنة ١٩٣٤ استند الى مفوضتين - تجارة داخلية وصناعة المواد الغذائية - مهعة الاشراف على التوزيع وتحديد الاسعار ورقابة مؤسسات

البيع بالتفصيل وإدارة مخازن الدولة، مخازن البيع بالجمل ومخازن البيع بالتفصيل. وتأمين تموين منطقة معينة بمخازن خاص (تورغ) ، متخصص او غير متخصص ، يتمتع في اغلب الاحيان بالاستقلال المالي ويوزع المنتوجات بواسطة فروعه في المنطقة . وهناك بالإضافة الى ذلك مخازن كبرى ومخازن عامة للتغذية . وإلى جانب شبكة أجهزة الدولة هذه ، تمثل تجارة البيع بالتفصيل في الأرياف بمخازن تعاونية (سلبو) في القرية ومجموعات تضم بعض المخازن التعاونية الصغرى (ريزويوز).

تميزت سنوات التخطيط الأولى بنقص كافة المنتوجات تقريباً ؛ فاضطرت التقنين الحكومة الى الالتجاء الى التقنين كي تتمكن من تأمين السلع الضرورية لكل شخص . وقد اعتمد التقنين في موسكو في السنة ١٩٢٨ ، ثم شمل المدن الكبرى ، واخيراً شمل كافة انحاء الاتحاد السوفياتي ، وطبق على كافة السلع المعتادة ، شرط التسجيل الإلزامي في مخزن معين عرف باسم «المخزن المغفل» . وغالباً ما قامت ، الى جانب هذه السوق القانونية ، سوق غير قانونية ، غرض النظر عنها حيناً وتعرضت لمكافحة قاسية حيناً آخر ، ارتكزت في معظم الاحيان الى المقايضة واستعمال الحلي والذهب والنقد الاجنبي ، وبغية مكافحتها مكافحة فعالة ، تأسست في السنة ١٩٣٢ سوق قانونية ثانية شملت مخازن عرفت بـ «المخازن التجارية» سمح بالشراء منها دون تسجيل ودون تقديم بطاقات ، ولكن بأسعار أعلى منها في المخازن المغلقة بصورة ملموسة ؛ وحين زال التقنين في السنة ١٩٣٥ ، لم يبق ما يميز بين السوقين . فكان هنالك في آن واحد ثلاث حلقات تجارية تختلف الاسعار فيها بعض الاختلاف : تعاونيات المزارعين او القرى (افضلها) واسعارها ادنى من اسعار التجارة العادية بنسبة ١٠ الى ١٥ بالمائة ، سوق التعاونيات الانتاجية المقتصرة على المواد الغذائية ، سوقاً مخازن الدولة ذات الاسعار الحرة ومخازن الدولة ذات الاسعار القانونية المحددة . ولكن المواد الاستهلاكية لم تنتج يوماً بكمية كافية لسد كافة الحاجات نظراً لتزايد عدد السكان تزايداً اسرع من قزايد انتاج المواد الاستهلاكية ، مما ادى ، حتى بعد زوال التقنين في السنة ١٩٣٥ ، الى استمرار التباين بين العرض والطلب ، وإلى مساس الحاجة اساساً دائماً الى الاحذية ، والمنسوجات ، ولا سيما الالبسة . ولذلك عمدت الدولة الى الحد من طلب المستهلكين اما برفع اسعار البيع بالتفصيل وتخفيضها واما باللجوء الى السوق المزدوجة .

التجارة الخارجية - اما التجارة الخارجية فقد أتمت دون ان يترك فيها اي مكان للعبادة الخاصة . فوزارة التجارة الخارجية هي ما تعد مخططات التصدير والاستيراد وتراقب نشاط «الوكالات التجارية المركزية» المتخصصة في تصدير بعض المنتوجات او الادوات ، التي يجب ان تجري بواسطتها كافة العمليات التجارية . ولا توجد وكالات تجارية خاصة بكل بلد الا للتجارة - بشروط معينة - مع الشرقين الأدنى والاقصى . فان هذه الوكالات ، التي تتمتع بالاستقلال المالي ، ممثلة باستمرار في الخارج بعملاء ، عرفوا باسم «الممثلين

التجارين ، ، يسهل معاملاتهم المالية مصرف الدولة او مصرف التجارة الخارجية او المصارف السوفياتية المؤسسة في الخارج (مصرف التجارة الروسية في لندن ، المصرف التجاري لاوروبا الشمالية في باريس ، الخ.) او المصارف الاجنبية التي تفتح الاعتمادات للمستوردين السوفيات ، واخيراً القروض الطويلة الاجل التي تعطيها بعض الحكومات الاجنبية للشراء من بلدانها (تشيكوسلوفاكيا في السنة ١٩٣٥ ، بريطانيا العظمى في السنة ١٩٣٦) .

لم يكتمل مثل هذا التنظيم دفعة واحدة وبدون صعوبات جديدة
صعوبات التطبيق
احياناً ، ولم يتح الاختبار اصلاح اخطاء السنوات الاولى الا تدريجياً .
فاشتركية الصناعة قد تحققت عملياً خلال فترة الخطة الخمسية الاولى ، اذ هبطت حصة القطاع الخاص الى ٥.٥ بالمائة في السنة ١٩٣٢ بعد ان كانت ٥٦ بالمائة في السنة ١٩٣٠ . اما تأميم الزراعة فكان اقل سرعة الى حد بعيد وقد اصطدم بمقاومات عنيفة من قبل الفلاحين الذين تعرضوا لتدابير قسرية وتسببوا في تأخير الانتاج وانقاصه احياناً ، ولا سيما في حقول تربية المواشي . وهي « محطيات الآلات والجرارات » ، الموقع الستراتيجي الرئيسي للدولة في الارياض ، ما سهلت تحقيق هذا التأميم بفضل رقابتها على الزراعة وعملها التنسيق .

اصطدم تنفيذ الخطة الصناعية بصعوبات من نوع آخر اكثر تعقيداً الى حد بعيد ، فهي قد استلزمت تنسيقاً وثيقاً بين الخطط الجزئية المترابطة : خطة التمويل ، والتجهيز ، واليد العاملة ، والطاقة ، ووسائل النقل ، الخ. ، وكانت ضرورياً ، كل سنة ، ان تصحح الخطة السنوية الخطة الابعادية وتكيفها وفقاً للمتطلبات الجديدة والنتائج المحققة . والحال كان الكثير الكثير من اقسام الخطة الاولى قد رسم « تقديرياً » دون معرفة كافية بالشروط العامة لتنفيذها ، وانطوى تخطيط اسعار البيع بالجمل على عيوب كثيرة احياناً لانه لم يترك اي مجال لارباح المشاريع ، فحدث تشويش جزئي بين فروع الاقتصاد المختلفة مما ادى الى الفشل احياناً .

اضف الى ذلك من جهة ثانية ان تطبيق الخطة الاولى قد جرى بسرعة فائقة ادت الى نهكة المستخدمين وخلق المعدات ، فبرزت عيوب في المصنوعات نجمت عن استثمار سريع وتقديرات خاطئة للموارد ، وحاجة الى المستخ.مين الاختصاصيين او المعدات الضرورية ، وسوء توزيع في الاموال (بين مصانع غزل القطن ومصانع حياكته مثلاً) ، وعجز في بعض مراحل التنفيذ (ولا سيما في وسائل النقل) ، وسوء تقدير للحاجات . الا ان الخطة الخمسية الثانية توفقت الى ازالة هذه الصعوبات جزئياً . وحينذاك تعززت اللامركزية في هذه البلاد التي قامت احدي نقاط الضعف فيها في نقص وسائل النقل ، وفضلت مصانع اكثر تواضعاً ودخلا على المصانع « الجبارة » الاولى . وكانت هناك صعوبة اخرى غير مرتقبة : فخلال الخطة الخمسية الاولى ، بلغ التجاوز في خطة اليسد العاملة نسبة ٥٠ بالمائة ، مما ادى الى تجاوز كبير في خطة الاجور تسبب في مزيد من التشويش بين ازدياد حجم الدخول الاسمية وزيادة حجم المواد الاستهلاكية المتوفرة في السوق التجارية .

بيد ان اجهزة التخطيط تكاملت تدريجياً يوماً بعد يوم ، ففي اوائل الخطة الخمسية الثالثة تيسر تكييف التنظيم وفقاً لقاعدة تتطور تطوراً دائماً ، ولانت اساليب ادارة الاقتصاد كما يثبت ذلك توسع المحاسبات المستقلة والتمويل الذاتي وانخفاض مساعدات الدولة . فان المشروع الذي اعتبر في الاصل « كمجموعة مهام حسية واجبة التحقيق » قد اخذ يتحول شيئاً فشيئاً الى مجموعة تدابير اقتصادية تضايق متطلبات الشخص اكثر فأكثر .

ولم يرسم تخطيط استخدام اليد العاملة بطريقة استبدادية بعد اليوم ، فقد كان حساب الاجور التفاضلي كافياً لاجتذاب اليد العاملة نحو فروع الصناعة الخاسرة ، كما افاح تقدم المدارس والدروس التقنية التغلب على الصعوبات التي صودفت في البدء بسبب يد عاملة جاهلة آتية من الارياك وعاجزة عن تطبيق التقنيات الجديدة .

بينما كانت الدول الاخرى غارقة في الازمة الاقتصادية
الاتحاد السوفياتي
الخطيرة التي ابتدأت في السنة ١٩٢٩ ، خلتص التخطيط
في الازمة الاقتصادية العالمية
واستراكية الاقتصاد الاتحاد السوفياتي من نتائج الازمات
الكلاسيكية : البطالة ، هبوط الاسعار ، تضخم الانتاج . فان الاقتصاد الروسي قد عمد
— خلال اسوأ سنوات الازمة — الى توظيف رؤوس اموال كبيرة جداً ، واستخدم مزيداً من
العمال وزاد انتاجه زيادة كبرى حين كان هذا الانتاج آخذاً في الهبوط في كافة البلدان
الاخرى . وفي العالم اجمع لم تجد منتجات الزراعة والصناعة من يشتريها ، لا لأن الحاجات
كلها كانت مشبعة ، بل بسبب عدم توفر طاقة الشراء الكافية للاستحصال عليها ، فالبطالة
كانت نتيجة استخدام التقدم التقني والتنظيم اللذين خفضا عدد الاجراء ، فحدثا من عدد
المستهلكين ، وأدى هذا الحد بدوره الى تفاقم البطالة . اما الاتحاد السوفياتي ، الذي توفرت
له موارد عظيمة في ارضه وباطن ارضه ، فقد تمكن في آن واحد من تحسين تقنياته
وانتاجيته واستخدام كافة عماله ورفع مستوى الاستهلاك تدريجياً .

في الحقل الصناعي احرز الانتاج تقدماً عظيماً ، ففي السنة ١٩٣٢ ارتقى الاتحاد السوفياتي
الى المرتبة الثانية بين البلدان الصناعية ، ويبدو ان هذا الارتقاء كان سريع الزوال ، لان المانيا
تفوقت عليها بسرعة مرة اخرى بفعل نشاط صناعات التسلح ، إلا ان روسيا توفقت في السنة
١٩٣٩ الى احتلال مرتبة القوة الكبرى الثالثة بصورة نهائية ، قبل بريطانيا العظمى وفرنسا ،
وقد بلغ انتاجها آنذاك ٤/١ انتاج المانيا .

هل يعني ذلك ان الازمة العالمية لم تترك انعكاساً على تطور الخطط ؟ ان الازمة قد شوش
تشويشاً خطيراً النتائج المقدرة للخطة الخمسية الاولى باهابها الصادرات الى ما دون المعدل
المرتقب او المرجى ؛ فبات لزاماً ، من اجل استيراد معدات التجهيز الضرورية ، اللجوء الى
احتياطي الذهب والنقد الأجنبي ، وعلى الرغم من ذلك بقيت المعدات المستوردة دون تقديرات
الخطة . لذلك فان الحصة المقدرة للتجارة الخارجية في الخطة الخمسية الثانية قد خفضت تخفيضاً

هاماً لا بالنسبة للسنوات السابقة فحسب بل بالنسبة للسنة ١٩١٣ التي لم يُبلغ سوى ٢/٣ مستواها. فاضطر الاقتصاد السوفياتي من ثم الى الانعزال أكثر فأكثراً والاتجاه نحو مزيد من الاستقلال عن التجارة الخارجية ؛ ففي السنة ١٩٣٩ بلغ من هبوط هذه الأخيرة انها لم تمثل سوى ١٠٣ بالمائة من التجارة العالمية بينما بلغ الانتاج الصناعي ١٢ بالمائة (في السنة ١٩١٣ : ٤ بالمائة من الانتاج الصناعي ، و ٣ الى ٤ بالمائة من التجارة العالمية) .

عبء التسليح في حقول أخرى ، زادت الازمة العالمية من حدة التوتر بين الدول فتركت ايراً عظيماً في تطور الاتحاد السوفياتي . فمنذ ان اصبحت النازية سيده المانيا ، اتضح الخطر الذي خشيته الاتحاد السوفياتي ابداً . وكانت النتيجة الطبيعية لتعزيز الاقتصاد الحربي الالماني ارغام الاتحاد على بذل مجهود عسكري عظيم . وعلى نقبض ردود الفعل الضعيفة والبطيئة في الدول الغربية امام الخطر الالماني ، عمد الاتحاد السوفياتي دون تأخر الى زيادة نفقاته العسكرية ؛ ومنذ السنة ١٩٣٥ بلغت هذه النفقات ثلثها في المانيا الى ان بلغت خمسة اضعافها في السنة ١٩٤٠ ، اي ان المجهود السوفياتي كان مساوياً للمجهود الالماني ، اذا ما اخذنا بعين الاعتبار طاقة الاتحاد الصناعية .

لا شك في ان الأموال الطائلة التي استلزم توظيفها انتاج الاسلحة هذا ووجوب تخزين كميات كبرى من المنتوجات الغذائية والمواد الخام ، لمواجهة حرب محتملة ، وتعزيز الجيش الاحمر بانتزاع ملايين الشبان من الصناعة والزراعة ، قد زادت صعوبات تنفيذ الخطط . وعلى نقبض هتلر الذي جمع جنود جيشه وعمال مصانع الحربية من بين ملايين البطالين ، اضطر الاتحاد السوفياتي الى جمعهم من بلاد لم يكن فيها بطال واحد . وكانت النتيجة تأخراً في انتاج مواد الاستهلاك (عينت الخطة الخمسية الثالثة الهدف الواجب بلوغه في السنة ١٩٤٢ في حقل المنسوجات بمستوى ادنى من المستوى الذي قدرته الخطة الثانية في السنة ١٩٣٧) . وبلغ من نقص اليد العاملة ان التدابير قد اتخذت لاستقرارها وتأمين تعبئتها : منذ السنة ١٩٣١ عقدت اتفاقات مع المزارع المؤممة لتقديم عدد من العمال بأجر محدد لفترة تتراوح بين ستة اشهر واثنى عشر شهراً ؛ وفي السنة ١٩٣٨ بلغ عدد مثل هؤلاء العمال ١ ٥٠٠ ٠٠٠ ؛ وفي هذه السنة نفسها ، وبغية الحد من ابطال العقد من طرف واحد ، وضعت « بطاقة » لدون فيها ظروف انتهاء الاستخدام الاول . ونظمت الاجازات المدفوعة وخدمات الضمان الاجتماعي ؛ وفي حزيران من السنة ١٩٤٠ ، تحولت الصناعة الى انتاج المعدات الحربية ، وحدد يوم العمل بثمانى ساعات بدلا من سبع ساعات ، وحظرت مفادرة العمل بدون اجازة . ونظم في شهر تشرين الاول - بغية اعداد مسؤولين يشرفون على الاعمال - « احتياطي عمل » يضم بين ٨٠٠ الف ومليون شاب تتراوح اعمارهم بين الرابعة عشرة والسابعة عشرة ، يلحقون بمدارس فنية حيث تتعهد الدولة وتعلمهم وتدريبهم على نفقتها ؛ وكانت عليهم بعد ذلك العمل طيلة اربع سنوات في احد المصانع او احد المشاريع ، فيمفون بالمقابلة من كل واجب عسكري . يضاف الى ذلك من جهة ثانية ان المفاوضات الصناعية

منحت 'صلاحيات مطلقة لنقل العمال والفنيين الى حيث تمس الحاجة اليهم .

الدخل القومي
اتاحت انطلاقة الانتاج الصناعي وزيادة الدخل القومي مواجهة هذه النفقات العسكرية الباهظة . وقد قدر « كولين كلارك » ارتفاع الدخل القومي للشخص العامل الواحد من ١١٧ في السنة ١٩٢١ الى ٢٩٠ في السنة ١٩٢٨ ، و ٣٧٩ في السنة ١٩٣٧ ، وهو ارتفاع اسرع منه الى حد بعيد في الدول الاخرى ، وان بقيت النسبة في هذه الدول اكثراً ارتفاعاً (للسنة ١٩٢٨ والسنة ١٩٣٦ او ١٩٣٧ ، ١٠٩٠ و ١٢٧٥ في بريطانيا العظمى ، ٢٩٣ و ٣٣٧ في اليابان ، ٦٧٥ و ٧٤١ في ألمانيا) ، في حين هبطت في الولايات المتحدة من ١٥٥٧ الى ١٤٨٥ وفي فرنسا من ٧٢٩ الى ٦٤١ (في السنة ١٩٣٤) . وعلى الرغم من هذه النجاحات الجبارة فان الاتحاد السوفياتي كان في السنة ١٩٤٠ ابعد من ان يدرك منافسيه .

اذا كان هدف الاشتراكية « تأمين اشباع حاجات المجتمع المادية والثقافية المتزايدة تزايداً دائماً بتنشيط وانتاج الانتاج الاشتراكي ابدأ على اساس تقنية رفيعة » (ستالين) ، جاز لنا القول ان هذا الهدف لم يتحقق تحققاً كاملاً قبل السنة ١٩٤٠ وان توزيع المنتجات مع مراعاة اذواق المستهلكين لم يكن ممكناً في يوم من الايام ، وذلك بسبب الاخطار الخارجية وارتفاع عدد السكان والفرق المتعظم بين الاجور المتزايدة ومواد الاستهلاك التي لم يرتفع حجمها بالنسبة نفسها .

٢ - النظام الاجتماعي الجديد

تحديد الاجور
ليس شكل البلاد المادي ما تحول فحسب ، بل المجتمع ايضاً . فان الاقتصاد السوفياتي ، الذي لم يكن بعد اقتصاداً شيوعياً ، لم يحاول تطبيق المبدأ الفائل : « من كل شخص بحسب طاقاته الى كل شخص بحسب حاجاته » . والى ان يمكن تحقيق مجتمع يتقاضى كل شخص فيه اجره عيناً ودون اي تحديد سوى حاجاته ، يجري توزيع مواد الاستهلاك بدالة القيمة الاجتماعية التي ينطوي عليها العمل المؤدى للجماعة . وقد سبق للينين ان لفت الانتباه الى ما يلي :

« الزعم باننا سنجعل كافة البشر متساوين فيما بينهم كلام اجوف وبلاهة ادباء » ؛ ثم قال ستالين موضعاً : « المساواة في كافة حاجات الحياة الخاصة بلاهة بورجوازية رجعية خليقة بشيخ النساك القديمة ، لا يجمع اشتراكي منظم تنظيمياً ماركسياً ، لاننا لا نستطيع ان نفرس على الناس ان تكون لهم حاجات واحدة واذواق واحدة وان يعتمدوا في حياتهم الشخصية معياراً معيشياً واحداً » .

فعدم المساواة في مكافأة العمل هو من ثم القاعدة ، وسلم الاجور خايته تشجيع الانتاجية والمساعدة على ترقية العمال . وقد قال ستالين في السنة ١٩٣١ :

« لن تتحقق زيادة الانتاج الصناعي الا بوضع سلم للدخول يبرز الفوارق بين العمل ، الاختصاصي والعمل غير الاختصاصي ، وبين العمال المتمرنين والعمال المبتدئين » .

ولكن الاجر ، خلافاً لمفهومه في الاقتصاد الرأسمالي ، اي « ثمن طاقة العمل المبذولة في سوق العمل » ، هو « نتيجة توزيع القسم القابل الاستهلاك من الدخل القومي بنسبة العمل الذي ينجزه كل شخص » . ويحري هذا التوزيع بناء على « مخطط اجور » يوازن بين حجم الاجور الموزعة في كافة حقول الاقتصاد وبين حجم - و ثمن مبيع - المواد الاستهلاكية : يحدد « مال الاجور » لكل صناعة وفروع الاقتصاد المختلفة بدالة عدد العمال في كل منها ، ومستواهم التقني ، وانتاجيتهم ، والصعوبات الخاصة التي قد تعترضها ، وينفذ العمل بعد ذلك بين المصانع بواسطة اتفاقات جماعية ، اما عامة (معقودة بين الوزارات او الادارات المركزية للصناعات المختلفة وبين النقابات المحلية) ، واما محلية (معقودة بين الاجهزة والنقابات المحلية) ، توزع في كل مشروع الاموال المخصصة لعماله . وتمتد هذه الاتفاقات لمدة سنة ، اي انها تدخل في صلب المخطط السنوي وتعديل بدالة تقديرات السنة . اما موظفو ومستخدمو الادارات الذين يتقاضون اجورهم مباشرة من موازنة الدولة ولا ينتسبون لمؤسسات تتمتع بالاستقلال المالي ، فهم الوحيدون الذين لا تشملهم العقود الجماعية .

يتألف الاجر من ثم من عدة عناصر : الاجر الاساسي ، عناصر الاجر المكافآت ، الاجر الجماعي . ويؤلف « الاجر الاسمي الاساسي » الحد الأدنى اللازم للمعيشة ويؤمن لكل شخص سبل الحصول على المنتجات والخدمات الضرورية له . هذا هو اجر القبالة الذي اصبح هو القاعدة منذ السنة ١٩٣١ (٨٠ ٪ في السنة ١٩٣٥ و ٩٠ ٪ في بعض الصناعات) . ويختلف هذا الجزء من الاجر لا بحسب كمية ونوعية العمل المنجز فحسب ، بل بحسب طبيعة الاعمال (المتفاوتة مشقة وظروفاً صحية) والكفاءة الشخصية وحاجات اليد العاملة ايضاً ، بحيث 'يحتذب العمال لمحو فروع الصناعة المفتقرة اليهم . ويتوزع العمال على ثماني فئات اولاهما فئة العمال المبتدئين الماديين واخيرتها فئة العمال الكفاء جداً ، ففي سنوات الخطة الاولى كانت النسبة بين هاتين الفئتين القصويين نسبة ١ الى ٢٤٨ ، وفي السنة ١٩٣١ اتسعت الفوارق بين الفئتين وارتفعت النسبة الى ٣٤٦ (في فرنسا : خمس فئات كانت النسبة بين درجتيها القصويين نسبة ١ الى ١٤٧٠) . وبصورة عامة كاد متوسط الاجر الاسمي يتضاعف خلال كل من المخطط الخمسية ، مرتفعاً من ٩٢٩ روبية في السنة ١٩٢٩ الى ١٥٧٩ في السنة ١٩٣٣ ، و ٢٩٠٠ في السنة ١٩٣٧ ، و ٤٠٦٧ في السنة ١٩٤٠ . اما الاجر الحقيقي فلم يسلك الطريق الصاعدة نفسها ، وربما بدا ، كما يقول بتلهام ، ان ارتفاع الاجر الحقيقي كان بنسبة ٢٥ ٪ بينما ارتفعت اسعار البيع بالتفصيل الى اربعة اضعافها خلال الفترة نفسها . كما يبدو ، بعد السنة ١٩٣٧ ، ان هذا التحسن اصبح اكثر ظهوراً وانه ربما بلغ ٣٠ ٪ .

يضاف الى هذا الاجر الأدنى مكافأة انتاج حين يتخطى العامل المستقل او الفريق الذي

ينتسب اليه المعدل المحدد ، وهي مكافأة تصاعدية بحيث يتضاعف الاجر ، كما في المناجم مثلاً ، اذا بلغت نسبة تخطي المعدل ١٠ بالمائة ، ويرتفع الى ثلاثة اضعافه اذا بلغت ٢٠ بالمائة ، الخ . وهناك طريقة اخرى للمكافأة تأخذ بعين الاعتبار نوعية الانتاج ، بحيث ترتفع المكافأة اذا كانت هناك نسبة معينة من القطع المنتجة « غاية في الجودة » . ويضاف اليه كذلك مكافآت اقدمية تستهدف استقرار اليد العاملة ، قد تبلغ ١٥ بالمائة بعد مرور ٥ سنوات ، و ٣٠ بالمائة بعد مرور ١٥ سنة . وباستطاعة العمال اخيراً تقاضي حصة من ارباح المشروع الذي يعملون فيه . وكان هذا التوزيع سهلاً في التعاونية الزراعية او المصنع اليدوي ، ولكن عمال الصناعة الثقيلة استفادوا منه اما بشكل فوائد يقدمها لهم المشروع وتدخل في الاجر الجماعي ، واما بشكل مكافآت فردية تحدد قيمتها النقابات نفسها . ففي الحقيقة يشمل الاجر قسماً لا يقبض نقداً ، هو « الاجر الجماعي » المتساوي للجميع الذي يكفي الانتساب الى جماعة للاستفادة منه . الا انه ينطوي على الرغم من ذلك على بعض التفاوت لأن هنالك ، الى جانب الاجر الجماعي الذي هو واحد في كافة النحاء الاتحاد ، « اجر المشروع الجماعي » الذي تفديه ارباح المشروع . ويشمل هذا الاجر معاش التقاعد في سن الخمسين ، وبعد عشرين سنة عملاً للنساء ، وفي سن الخامسة والخمسين وبعد خمس وعشرين سنة عملاً للرجال ، وهو مساو لنصف الاجر الاخير ، وقد يبلغ الـ ٦٠ بالمائة في بعض فروع الاقتصاد ، والعناية الطبية المجانية ، والمعالجة الوقائية ، وخدمات الامومة ، والتعويضات العائلية منذ السنة ١٩٣٦ للعائلات التي تضم سبعة اولاد على الاقل (ثلاثة اولاد منذ السنة ١٩٤٤ ، حين اقرت في الوقت نفسه منح ولادة) ، واجازات الامومة ، والاجازات المرضية ، والملاجيء النهارية للاطفال ، والتهنئات الصيفية ، والتعاونيات ومحلات بيع المأكولات والمشروبات ، والاجازات (بين ١٢ و ٤٨ يوم عمل بحسب طبيعة العمل ، مع اضافة تتراوح بين اسبوعين و ٣٦ يوماً للحرف الشاقة : عمال المناجم وعمال مصانع الفولاذ والتعدين ، وبين ٢٤ و ٤٨ يوماً للعمال المثقفين ، و ٤٨ يوماً للهيئة التعليمية) ، والنوادي والمكتبات والمسارح والملاعب الرياضية ، الخ . وان هذه الفوائد ، التي كانت في السنوات الاولى نظرية اكثر منها حقيقية ، تمثل في السنة ١٩٤٠ زهاء ٣٠ بالمائة من الاجر الاسمي ، وسوف تزداد اهمية يوماً بعد يوم ، حتى اذا ما مثلت ١٠٠ بالمائة من الاجر يكون المجتمع الشيوعي قد تحقق .

اما اجور مستخدمي التجارة والمكاتب وصغار الموظفين فقد حددت بالاستناد الى قواعد الاعمال المأجورة الاخرى نفسها ، ولكن بمعدل ادنى من معدل اجور فئات العمال الاخرى ، ففي السنة ١٩٣٩ كانت تتراوح بين ١٠٠ روبية شهرياً لادنى البياعين اجرا شهرياً و ٢٠٠ الى ٣٠٠ روبية لمدير المتجر او المكتب ، وكان يضاف اليها مكافآت نسبية لمدخل المبيعات .

وحددت اجور المهندسين والمستخدمين الفنيين استناداً الى القواعد نفسها التي حددت بموجبها

اجور العمال ، مع سلم تصاعدي ومكافآت انتاج قد تضاعف الاجر الاسمي . وعلى العموم تقاضى المستخدم الفني المبتدىء اجراً يفوق اجر العامل الاختصاصي . فاذا تقاضى العامل غير الماهر ١٠٠ ، فان العامل يتقاضى بين ١٠٠ و ٣٧٠ ، ورئيس العمال بين ١٥٠ و ٤٠٠ ، والمهندس المبتدىء بين ٢٠٠ و ٦٠٠ والمهندس المدرب بين ٣٠٠ و ١٠٠٠ ، ومسدير المشروع الصغير بين خمسمائة و الف ، ومدير المشروع الكبير بين ٨٠٠ و ٢٠٠٠ ، اي بنسبة ٢٠ الى ١ . وحسدت اجور العلماء والمهندسين المشتغلين في المختبرات استناداً الى القواعد نفسها ايضاً وبالنسبة عينها مع امكانية تقاضي مكافآت تعادل الفوائد التي يمكن ان يجنيوها ، في البلدان الاخرى ، من براءات الاختراع ، فتتراوح مرتباتهم من ثم بين المعدل ٤ والمعدل ٢٥ الاستثنائي (بالنسبة للعامل غير الماهر) . وبصورة عامة ، يمتاز وضع الفنيين عن وضع اقرانهم من الاجانب ، (ج . روموف) . أما مرتبات كبار الموظفين والقادة ، وهي ادنى من مرتبات ارفع الفنيين رتبة ، فتبلغ المعدل ٢٥ بالنسبة للمستخدم المبتدىء ، ويصل بعض كبار الموظفين الى المعدل ٣٠ . وتفرض على الاجور ضريبة تصاعدية متفاوتة تمثل ٢١ بالمائة من مرتب موظف اعزب يتقاضى ١٢ الف روبية .

اما ذور « المهن الحرة » ، من اطباء ومحامين ، فموظفون ايضاً ، وهم يتقاضون مرتباً يوافق ، فيما خص الطبيب ، خمس ساعات عملاً ويختلف باختلاف المكان وقيمة الشخص الذي قد يتقاضى عدة مرتبات (في عدة مشاريع معاً مثلاً) ويقبض بعض المكافآت .

الفئات الاجتماعية منذ ثورة تشرين الاول تأكد الهدف الاخير للحزب الشيوعي وهو خلق مجتمع بدون طبقات . فقد شرع في تصفية الطبقات المتسلطة منذ تشرين الاول بالقضاء على قوتها السياسية ، ثم قضى نزع الملكية قسراً على طبقة الملاكين العقاريين والبورجوازية الكبرى ، واخيراً وجه الانتصار على مناهضي الثورة ، خلال الحرب الأهلية ، ضربة قاضية لكل ما تبقى منها . بيد ان تصنيفهما لم تكن في السنة ١٩٢٨ لا كاملة ولا نهائية لان السياسة الاقتصادية الجديدة اتاحت لبورجوازية جديدة من المحتكرين والكولاك ان تبرز الى الوجود بسرعة ، فلم يتبدل نظام المجتمع السوفياتي من ثم تبديلاً نهائياً الا بفعل سياسة التخطيط . ففي السنة ١٩٢٨ كان العمال والمستخدمون يمثلون ١٧ بالمائة من المجتمع ، وفلاحو التعاونيات الزراعية ٣ بالمائة ، والمستثمرون الفرديون والصناعيون اليدويون غير المنتسبين الى التعاونيات ٧٣ بالمائة ، والعناصر البورجوازية (محتكرون وكولاك) ٥ بالمائة ، وباقي السكان (الجيش والطلاب وذور المرتبات ، الخ .) ٢ بالمائة . وبعد انقضاء عشر سنوات اصبح ٩٠ بالمائة من السكان عمالاً ومستخدمين (٣٥ بالمائة) وفلاحين (٥٥ بالمائة) يشتغلون في قطاع الدولة الاشتراكي وفي التعاونيات الزراعية ، ولم يمثل المستثمرون الفرديون والصناعيون اليدويون آنذاك سوى ٦ بالمائة ، وتلاشت الفئة البورجوازية ، وارتفعت نسبة العناصر المختلفة ، من

طلاب وجيش ، النخ . ، الى ٤ بالمائة . فالفتتان الاساسيتان من ثم هما العمال والفلاحون ، ويجب ان يضاف اليهما فئة ثالثة هي فئة المثقفين . وقد خفت فوارق ما قبل الثورة بين هذه الفئات الثلاث ، ولكن بعضها ما زال قائماً . وقد نجمت في الدرجة الأولى عن وجود شكلي ملكية : ملكية الدولة و ملكية التعاونيات . فالعمال يشتغلون ، بصورة حصرية ، في اطار مشاريع الدولة (مناجم ، معامل ، مصانع ، محطات الآلات والجرارات ، مزارع نموذجية كبرى ..) ، ويكافأون على اتماعهم بشكل اجور ، بينما يقوم الفلاحون ببعض عملهم في اطار ملكية التعاونيات الجماعية (التعاونيات الزراعية) وبالبعض الآخر في اطار الملكية التي يتمتعون بها شخصياً ، ويكافأون على اتماعهم باجور عينية او باجور نقدية توفرها لهم دخول تعاونياتهم ، ويكملونها بالمواد الزراعية التي تنتجها اراضيهم الخاصة . وكانت نتيجة ذلك - بين العمال والفلاحين - اختلافات في العقلية وفي مستوى التقدم التقني والثقافي . فان العمال ، الذين اشتركوا منذ البدء في النضال الثوري ، وتنظموا نقابات منذ ابعد من ذلك ، قد استسهلوا النظام الاقتصادي الجديد ، بينما حافظ الفلاحون على مثالية وسيكولوجية صغار الملاكين . الا ان الفوارق خفت حديثاً مع الاجيال الطالعة : فان العمل في التعاونية الزراعية قد خلق فيما بينها ذهنية مشتركة بين العمال والفلاحين ، واسهم اعتماد الآلات بصورة خاصة في تبديل مفهوم الفلاح تبديلاً جذرياً ، اذ انه قد قرب العمل الزراعي من العمل الصناعي بالتجهيزات التقنية المشابهة اكثر فاكثر للتجهيزات الصناعية ، وبادخال الاساليب والمعارف العلمية . وفي السنة ١٩٤٠ كان اعتماد الآلات في العمل الزراعي قد احرز تقدماً عظيماً : فقد بلغت نسبة اعتماد الآلات في اعمال الحقول (احرثة ، اسلاف ...) ٦٦,٦ بالمائة في زراعة الحبوب الربيعية ، و ٨٢,١ بالمائة في الزراعات الخريفية ، و ٥٢,٤ بالمائة في البذر الربيعي و ٥٣,٤ بالمائة في البذر الخريفي ، وفي هذا التاريخ ايضاً ، جمع ٤٢,٦ بالمائة من الحبوب و ٧٧,٦ بالمائة من الشمندر بواسطة الآلات . وكما يلاحظ ذلك « هنري اردان » ،

« يفرض ارتفاع المعدل العام لانتاج الحنطة ، من ٧ قناطر في الهكتار قبيل الحرب العالمية الاولى الى قرابة ١٢ قنطاراً قبيل الثانية ، ارتفاع مستوى الفلاح التقني ارتفاعاً يلفت الانتباه » .

وهكذا اصبح عدد كبير من الشبان الفلاحين فنيين مهرة فتمثلوا اكثر فأكثر بالعمال بفعل ثقافتهم وظروف عملهم . وأخذت تتلاشى الفوارق بين سكان القرية وسكان المدينة .

وتألفت الفئة الثالثة في المجتمع السوفياتي من العلماء والفنيين والاساتذة والاطباء والبياطرة ، النخ . وقد أسهم التعليم الابتدائي الالزامي ، والمدرسة الوسيطة المؤلفة من ٧ الى ١٠ صفوف ، والتعليم العالي ، اسهاماً كبيراً في زيادة أفرادها ، كما ان دروساً قد القيت في المشاريع الكبرى والتعاونيات الزراعية بغية اذاحة الفرصة للعمال والفلاحين ، في اية فترة من حياتهم ، لتوسيع معارفهم العلمية وتمكين كفاءتهم المهنية . فارتفع عدد الطلاب في التعليم العالي من ١١٢.٠٠٠ في السنة ١٩١٤ الى ١٧٦.٠٠٠ في السنة ١٩٢٩ و ٦٥٧.٠٠٠ في السنة ١٩٤١ . واذا ما استندنا الى

الارقام الواردة في احصاء السنة ١٩٣٧ ، كان في الاتحاد آنذاك ١٧٥٠٠٠٠ رئيس للمشاريع والمؤسسات الادارية والمعاهد الثقافية ، الخ . بينهم ٣٥٠٠٠ مدير لمشاريع صناعية ، وكان هناك من جهة ثانية ٢٥٠ ألف مهندس ومهندس معماري ، و ٨١٠ آلاف فني متوسط الاختصاص في الصناعة . كما كان هنالك ايضاً ٨٢٢ ألف عالم اقتصادي واحصائي ، و ٥٨٢ ألف رئيس تعاونية زراعية ومدير مزرعة لتربية المواشي في الحقل الزراعي ، و ١٩ ألف مدير مزرعة نموذجية ومحطة آلات وجارات ، و ٨٠ ألف مهندس زراعي و ٩٦ ألف فني متوسط الاختصاص في الزراعة ، فيكون المجموع زهاء ٥ ٪ . من السكان المتعاملين عملاً من الاعمال .

ودون ان يكون هناك مجال للكلام عن قطاع ثالث ليس اقل اهمية منه في البلدان الاخرى ، فمن الثابت اطراف نمو فئة الفنيين والاداريين وكل من لا يأتي عملاً يدوياً . فهل يسمنا القول والحالة هذه اننا امام بوجوازية جديدة في طريق التكون ، او امام « طبقة حاكمة » تتألف من كافة المسؤولين عن ادارة الاقتصاد الذين قد يميلون الى جمع السلطة السياسية بين ايديهم ؟ ام اننا امام عناصر من الطبقة العمالية والقروية يقومون اليوم بوظائف اقصوا عنها في ظل العهد القديم ويحتفظون باتصال وثيق بالبيئة التي انحدروا منها ، وأنواع المعيشة نفسها وطرائق التفكير نفسها والمثل العليا نفسها ؟ كل ما يسمنا قوله ان الكثيرين من هؤلاء « المطوقين بطوق ابيض » ابعد من ان ينتسبوا الى الفئات التي تتقاضى الاجور المرفوعة وان تسلسل الاجور والتميز بين الوظائف لا يبدو ان منتسبين الى استتباع تمييز بين مستويات المعيشة وارتفاع الحواجز المائلة لها في البلدان الرأسمالية .

مستويات المعيشة
فالفرق في الاجور من ثم كبير جداً بين فئات العمال المختلفة ، وفاقاً لكفاءتهم ومنحة الانتاج والاقدمية التي يتقاضونها ، وبين الصناعات ، وبين المدن الكبرى والصغرى ، ولكن الفرق في المستويات ، كما يلاحظ ذلك « م . سوفي » اقل بروزاً بفعل وجود حركتي بضائع احداً ما تليح الحصول بأسعار معتدلة على الكميات التي تقابل الحد المعيشي الادنى ، والثانية التي لا يمكن الحصول فيها على البضائع نفسها الا بسعر اكثر ارتفاعاً الى حد بعيد ، وبفعل ندرة المنتجات « البذخية » ايضاً .

ونظراً الى نقص العقارات المبنية بسبب الدمار الذي تركته الحرب وتزايد سكان المدن ، كانت المساحة الموضوعة بتصرف العائلة الواحدة محدودة بنسب تختلف باختلاف المناطق والمهنة ، اي ١٢ م^٢ للعامل العادي ، و ١٦ م^٢ للعامل المحكم ، و ٣٠ م^٢ للمهندس . واختلف السعر الاساسي للمتر المربع باختلاف الاجور بحيث لا يتجاوز ١٠ بالمائة لأفضل الاختصاصيين ، اي بين ٨ و ٤ بالمائة على وجه متوسط . وثبتت مؤلفات « روموف » والموازات النموذجية التي وضعها ان الكلفة ضئيلة نسبياً فيما يخص الكراء والتدفئة والاضاءة والانتقال ، وان المواد الضرورية للتنفيذ تحافظ على مستوى متوسط ، ولكن الاسعار ، فيما يخص المنتجات غير الضرورية ، ترتفع ارتفاعاً عظيماً ، اما الملابس فباهظة الثمن . ونادراً ما يتناول العامل

وجبة الطعام المعول عليها خارج محلات بيع المأكولات في المزارع ، وتختلف كلفتها باختلاف وضعه المادي . و « بمقدور العامل ان يعيش حياة محترمة اذا ما تقاضى ٦٠٠ روبية ، وحياة كريهة اذا ما تقاضى ٩٠٠ روبية » (ج. روموف) . وان المقارنات المجرأة بين مستويات المعيشة السوفياتية والفرنسية تسمح بالاستنتاج (المقبول في السنة ١٩٥٣) ان مستوى معيشة عامل الصناعة السوفياتي ادى بقليل من مستوى عامل الصناعة الفرنسي (١٠ بالمائة تقريباً) وانه يوافق العزّاب ولا يوافق العائلات ، ولكن المساعدات غير المباشرة المقدمة للعائلات الكثيرة الافراد تعيد التوازن الى حاله .

الفصل الرابع

النظام السياسي الجديد

منذ ثورة تشرين الاول حتى الحرب العالمية الثانية ، خضعت روسيا لثلاثة دساتير متعاقبة - ١٩١٨ ، ١٩٢٤ ، ١٩٣٦ - قلبت التنظيم القديم واقامت دولة جديدة ، الاتحادية ، متعددة القوميات لاوحدوية ، ديموقراطية لا استبدادية ، ولكنها مبنية على مدلول للديموقراطية يختلف كل الاختلاف عن المدلول التقليدي .

ترد مميزات النظام ، في مرحلة الانتقال هذه نحو الشيوعية الكاملة ، الى الظروف التاريخية التي بني فيها وتوطد ونما . فمنذ ان اوضح لينين في السنة ١٩١٧ وضع الاتحاد على حقيقته : « ان جمهورية الاتحاد السوفياتي حصن يحاصره الرأسمال العالمي .. لذلك كان من حقنا ومن واجبنا تعبئة كافة السكان لمواجهة حرب محتملة » ، اعتبر الاتحاد نفسه وكأنه يعيش تحت خطر الحرب الدائم . وهذا ما يفسر بعض مواقف حكوماته ، كالتخلي المؤقت عن بعض الاهداف ، والدكتاتورية وتطبيقها الواقعي على الظروف غير المرقبة الناجمة عن اتفاق الظروف الاقتصادية او السياسية العالمية . فالمؤسسات المعتمدة هي من ثم اختلاط ابتكارات اوجحتها المبادئ الماركسية اللينينية وتمهد الطريق لتحقيق الشيوعية ، ومؤسسات مؤقتة فرضتها الظروف ويجب ان تزول حين يُبلغ الهدف .

١ - الاطار السياسي

كان احد مواطن الضعف في الامبراطورية القديمة الجور الذي عانت منه القوميات غير الروسية المخفضة لنظام روسيا الكبرى الدولة المتعددة القوميات المركزي ، مضطهد تقاليدھا ولغاتها واديانها . لذلك اسهمت هذه القوميات اسهاماً فاشطاً في الازمة الثورية ، وقد اثار تردد الحكومة المؤقتة حركات انفصالية شجعها الاجانب تشجيعاً متفاوتاً ، الالمان اولا والحلفاء من بعدم . فكانت مسألة القوميات من ثم غاية في الامة ، على الصعيد النظري والصعيد العملي على السواء . وكان لينين ، قبل الحرب بزمان بعيد ، قد دافع عن

مبدأ حق الشعوب بحرية تقرير مصيرها ، لان من شأن هذا الحق وحده ان يقضي الى « انصهار حر وطوعي » . ولكنه كان مقتنعا بأن تحقيق الاشتراكية يستلزم دولة مركزية السلطة ، فلا يمكن من ثم ان يكون النظام الاتحادي سوى وسيلة لوقف موجة الانفصالية التي خلفتها الثورة ، او « احد اشكال الانتقال على طريق الوحدة » . ومنذ السنة ١٩٢١ ، اشار ستالين ، مفوض شؤون القوميات ، الى وجه حل المسألة :

« في الحقيقة تنعصر المسألة القومية ... في إزالة تأخر القوميات (اقتصادياً وسياسياً وثقافياً) الذي ورثناه عن الماضي بنية السماح للشعوب المتخلفة بالعحاق بروسيا المركزية من الجهة الدولية والثقافية والاقتصادية » .

منذ نهاية ثورة تشرين الاول ، اذاع مجلس مفوضي الشعب « ميثاق امم روسيا » الذي اعترف بمساواة شعوب روسيا وسيادتها وحقوقها في تقرير مصيرها ، بما فيه حق الانفصال ، وإبطال الامتيازات الممنوحة لبعضها ومبدأ حرية نمو الاقليات القومية والعنصرية . ومنذ هذا التاريخ اعاد الحكم البلشفيكي الفئات الاسلامية انقباضاً خاصاً ، فوجه الى كافة مسلمي روسيا والشرق إعلام يطعنهم الى ان معتقداتهم وعاداتهم و « مؤسساتهم ... القومية ... والثقافية » هي بعد اليوم حرة ومصونة . واتخذت في الحال تدابير تستهدف ازالة آثار الاستعمار ، فأقضي المهاجرون القوزاق المستعمرون عن مناطق اورنبورغ وسميرتشييه وقازاخستان واقليم الجمهورية التتشتينو - انغوشيه ، واعترف باللغات البلدية لغات رسمية في الجمهوريات المستقلة استقلالاً ادارياً ، وتأسست جامعة عمال الشرق في موسكو ، كما تأسست فروع لها في اشكباد وطشقند وباكو . ثم كلما توطدت السلطة السوفياتية المركزية وتراجع التدخل الاجنبي ، تحولت القوميات التي كانت قد اعلنت استقلالها الى « جمهوريات اشتراكية سوفياتية » وانضمت الى « جمهورية مجالس السوفيات الروسية الاشتراكية الاتحادية » التي تأسست في السنة ١٩١٨ ، وارتبطت جمهوريتا اوكرانيا وروسيا البيضاء ، وجمهوريات اذربيجان وجيورجيا وارمينيا - التي التحدت والفت جمهورية ما وراء القفقاس الاتحادية - الى الجمهورية الروسية لتؤلف معها ، في السنة ١٩٢٢ ، « اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفياتية » المنفتحة لكل دولة ترتدي طابع جمهورية اشتراكية سوفياتية . والى هذه الجمهوريات الاربع انضمت جمهوريتا اوزبكستان وتركمانستان في السنة ١٩٢٤ وجمهورية تاجكستان في السنة ١٩٢٩ . وفي السنة ١٩٣٦ سيكون هنالك ١١ جمهورية متحدة بعد انضمام جمهوريات قازاخستان وكرغيزيا وجمهوريات اتحاد ما وراء القفقاس الثلاث (الذي 'حل') و ٢٢ جمهورية و ٩ مناطق مستقلة استقلالاً ادارياً و ١٢ اقليماً قومياً . فاتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفياتية هو من ثم دولة اتحادية تألف من جمهوريات اتحادية تضم داخل اراضيها جمهوريات واطاليم مستقلة استقلالاً ادارياً . وقد قامت فيها كلها المؤسسات نفسها، وكان لكافة سكان الاتحاد ، الى اية منطقة انتسبوا ، الحقوق نفسها والواجبات عينها .

أن هذا الاتحاد ، المنشأ على النحو المذكور منذ السنة ١٩٢٤

والحدد في دستور السنة ١٩٣٦ ، قد نُظِّم على غرار كافة

الدول الاتحادية في العالم : حكومة اتحادية تمسك بزمام

السلطة في الشؤون المشتركة التي يتولاها مفوضون (ثم وزراء) للشؤون الخارجية والتجارة

الخارجية ، والحرب والبحرية ، والنقل ، والبرق والبريد ، وإدارة الدولة السياسية ، والخطط

الخسبية بما فيها اعداد الخطة والاشراف على تنفيذها . وبقي في ايدي الحكومات المحلية : القضاء

والادارة الداخلية ، والتعليم العام ، والصحة والخدمات الاجتماعية ، وكلها شؤون قد تصدر

بها للحكومات المذكورة توجيهات عامة من الاتحاد .

اجهزة الحكم هي : مؤتمر سوفيات الاتحاد الذي ينعقد اقله مرة كل سنتين ، لجنة الاتحاد

المركزية التنفيذية (تسيك) وقد اصبحت مجلس السوفيات الاعلى ، التي ينتخبها المؤتمر وتجتمع

مرتين في السنة وتتألف من مجلسين متساويين في الحقوق ، مجلس سوفيات الاتحاد (المنتخب

بنسبة سكان كل جمهورية او اقليم) ومجلس سوفيات القوميات الذي يمثل - بعدد متساو من

النواب - الجمهوريات المتحدة (٥ نواب ثم ٢٥ لكل منها) والجمهوريات المستقلة استقلالاً ادارياً

(١ ثم ٥ لكل اقليم) ، على اساس مجلس لكل جمهورية او اقليم ، مما جعل العنصر السلافي

اقلية . وينتخب المجلسان رئاسة مجلس السوفيات الاعلى المؤلف من ٢٧ عضواً (مكتباً المجلسين

و ٩ اعضاء آخرين ينتخبهم المجلسان) ، وهي اشبه برئاسة دولة جمعية تمارس بالفعل الوظائف

الحكومية بتفويض صلاحيات مجلس السوفيات اليها تفويضاً دائماً خلال الفترات التي تفصل بين

دورة وأخرى وتشبه امتيازاتها امتيازات رئيس الولايات المتحدة . اما مجلس مفوضي الشعب ،

او « سوفناركون » ، فمرتبط برئاسة مجلس السوفيات الاعلى وبمجلس السوفيات الاعلى .

فالنظام الاتحادي السوفياتي ، من ثم ، « يتعلق بالاجهزة اكثر من الاختصاصات » اذ ان

صلاحيات الحكومة الاتحادية واسعة جداً وصلاحيات السلطات المحلية محدودة . وان اتحاد

الجمهوريات الاشتراكية السوفياتية هو في الواقع دولة يغلب فيها طابع المركزية على الرغم من ان

لكل دولة دستورها واجهزتها الخاصة .

ان هذا النظام الاتحادي المحدود اتاح للقوميات المحافظة على لغتها وتقاليدها الثقافية ،

وممكن من اجراء الاختبارات المحلية في الحقل الاجتماعي ودرجات التعليم الثلاث التي ارتبطت

(باستثناء التعليم العالي) بالجمهوريات . وبفضل اتساع الاراضي وكثرة المهام الملقاة على عاتق

السلطات العامة ، تمتعت الاجهزة المحلية بحرية عمل كبرى . ولذلك فان النظام الاتحادي

« يرتبط بسياسة متلاحمة وحاذقة ، وحازمة اذا اقتضى الامر ، انطوت على احترام القوميات

وتنميتها » (ر . بنتو) .

انطلاقة القوميات
حيال هؤلاء السكان انتهج النظام الاستعماري القيصري ، تسانده الاقلية
المستأجرة بالاراضي ، اما سياسة تمثيل حيث استقر المستعمرون السلافيون
بأعداد كبرى ، واما سياسة لامبالاة واهمال حين يكون هؤلاء السكان منعزلين .

منذ الايام الاولى وجد النظام الجديد حلاً للمسألة الزراعية - وهي شغل الجماهير الشاغل -
وعمل كذلك على ازالة التفاوت في التطور الفكري والاقتصادي ، وضمنان تطور السكان
الفكري في اطار كل ثقافة من الثقافات القومية ، والمحافظة على لغتهم وعاداتهم المحلية ، بينما
سمى على الصعيد الاقتصادي لانهاض الاقاليم المتخلفة . وقد اعلن ستالين في السنة ١٩٢٥ مايلي :

« بروليتارية في مضمونها وقومية في شكلها ، تلك هي الثقافة الانسانية الشاملة التي تدير نحوها الاشتراكية .
فالثقافة البروليتارية لا تلاشي الثقافة القومية بل تقدم لها مضمونها » .

ولذلك فقد شجع تطور القوميات الثقافي بتأسيس المدارس والصحف وبطبع الكتب باللغة
الام ؛ وبمقدار بلوغها درجات معينة من الوعي ، ترقى الى مرتبة الاقليم المستقل ادارياً (هذه
هي حال الشركس في السنة ١٩٢٨) او الجمهورية المستقلة استقلالاً ادارياً (« ال موردف ») او
الجمهورية الاتحادية (تاجكستان) . وحين يسمح المستوى الفكري بذلك « تبلتد » الاقاليم ، فتحل
اللغة المحلية محل الروسية في الادارة والقضاء والمدرسة ، ويزداد عدد البلديين في الوظائف
الادارية تزايداً مطرداً . وتلقن الدروس ، التي كانت تلقن من قبل باللغة الروسية في الجامعات ،
بلغة روسيا الصغرى ولغة روسيا البيضاء واللغة الجيورجية في كييف ومنسك وتفليس . وتحل
الاسماء التاريخية القديمة او القومية محل الاسماء الروسية : ف « ايكاترينوغراد » تصبح ماركسنادات
عند المان الفولغا وتحمل عاصمة تركمانستان اسم اشكباد القديم . وتبتكر كتابة واجدية عند
اكثر القوميات تخلفاً وبعداً ، التي لم تكن لغاتها سوى لهجات لفظية . ونوضع قواميس
واجروميات لاستعمال الكاريليين الذين لم يكن لهم لغة مكتوبة . وللمرة الاولى في التاريخ تنشر
كتب باللغة البورياتية ، واللغة الراكامية (لغة اترك التاي) . وتجمع المؤلفات الشعبية المنقولة
في كتب وترجم الى اللغة الروسية كما تترجم الى اللغات القومية مؤلفات الادب العالمي الكبرى ،
وتولد آداب قومية عند هذه الشعوب التي لم تعرف الكتابة نفسها حتى ذاك التاريخ والتي تنتج
مؤلفات تستحق الاعتبار ، كسيرة جانسي كيمونكو ، المكتوبة بقلمه « على ضفاف السوكباي » ،
حيث يصف المؤلف معيشة اخوانه ، ال « اودينه الرحل » ، القناصين والصيادين في اقصى
سبيريا الشمالية الشرقية . وتنشأ المسارح بأعداد كبرى وتشجع الفنون البلدية . وهكذا تنطلق
الآداب السوفياتية غير الروسية انطلاقة كبرى ، الادب الارمني بفضل اسحاقيان ، والادب
الغازاخستاني بفضل « اوازوف » و « جبول جاباييف » ، والادب الجيورجي بفضل
« لورد كيبانيته » ، والادب اللسغي بفضل « سليمان ستالسي » ، والادب الكاراكباكي بفضل
« كوربانباي » ، والادب الاوزبكي بفضل « نافوي » ... ووضعت كتب مدرسية في السنة
١٩٣٦ باللغات البلدية الثلاثة عشر لاستعمال القوميات الثلاثة عشر في المناطق المتجمدة الشمالية .

واسست في هذه المناطق مراكز ثقافية تضم مدارس ومستشفى وفرع طب بيطري .. كما اعتمد فيها تعليم متنقل لمرافقة البدو الرحل ، « الاخبية الحمراء » .

وفي اذربيجان ، حيث لم يوجد سوى ١٨ مدرسة قبل السنة ١٩١٣ ، احصي ٢٠٠٠ مدرسة في السنة ١٩٤٠ ، واصبح هناك ٦٦ معهداً للابحاث العلمية واكاديمية علوم في باكو ، واصبح عدد تلامذة المدارس في جيورجيا ٨٠٠ الف بعد ان كان ١٥٧ الف ، واصبح عدد المدارس في جمهورية اجيرستان (باتوم) المستقلة استقلالاً ادارياً ٢٥٠ مدرسة لـ ١٦٠ الف نسمة . وفي اوزبكستان تدنت نسبة الاميين من ٩٧ - ٩٨٪ الى ٣٢,٢٪ في السنة ١٩٣٩ . وكانت لكل من طشقند وسمرقند جامعتها التي ضمت ١٢ معهداً و ٤ كليات في الاولى ، و ٥ معاهد و ٥ كليات في الثانية ، وارتفع عدد التلامذة في الجمهورية من ١٧ الف الى اكثر من مليون ؛ وفي كيرغيزيا كذلك ، تدنى عدد الاميين بين السنة ١٩١٤ والسنة ١٩٤٠ من ٩٨٪ الى ٣٠٪ . وارتفع عدد التلامذة من ٨ آلاف الى ٣٢٧ الف ، وتأسست جامعة في «فرونزيه» . واصبح في قازاخستان ٦٠ الف طالب وزهاء ٢٥٠ صحيفة باللغة القازاخستانية مقابل صحيفة واحدة في السنة ١٩١٣ . كانت نهضة الحضارات القومية وسيلة لمكافحة الأمية ، ولكنها كانت كذلك وسيلة لرفع مستوى الشعوب غير الروسية وتأمين المساواة في قلب الاتحاد تأميناً فعلياً .

يعود الفضل في الدرجة الأولى الى تنمية اقتصاد هذه الجمهوريات
حل المسألة الاستعمارية
بتحويلها من مستعمرات الى جمهوريات متشاركة تركز المساواة في الحقوق فيها الى أساس اقتصادي متين بفضل سياسة اللاحصرية الصناعية التي تمت عليها الخطط ، ولا سيما الخطة الثالثة منها . فقد رافق الجهود الجبار الذي بذل لرفع المستوى الفكري والثقافي فيها تنمية اقتصادها التي هي شرط تحقيقه الاكبر .

وضع تأمين الأراضي حداً للعقد الذي تولد بين البلديين والمستعمرين الروس ؛ وكان للتصنيع كذلك دور اكثر فعالية بصهره السكان ، وبخلق حاجة كبرى لليد العاملة ، وبدفعه البلديين الى التحصيل العلمي : هندسة ، ادارة ، فن ، وبتسهيله تقدم الرفاهية وارتفاع مستوى المعيشة . ولم تعد هذه الاقاليم مناطق استثمار استعماري لتزويد الوطن الام بال خامات ؛ فقد اخذت تحول منتجاتها اكثر فأكثر يوماً بعد يوم ، واتاحت لها الخطوط الحديدية الجديدة استثمار كافة مواردها . وكان نموها اسرع منه في اوروبا ، كما ان الاموال الموظفة فيها كانت اضخم منها في الجزء الاوروبي من الاتحاد الى حد بعيد . ففي السنة ١٩٣١ ، لم تبلغ زيادة موازنة الجمهورية الروسية الا ٣١٪ بالنسبة للسنة ١٩٣٠ ، بينما ارتفعت موازنة اوزبكستان بنسبة ٦١٪ وموازنة تركمانستان بنسبة ٨٧٪ وموازنة تاجيكستان بنسبة ١٠٨٪ . لذلك عرفت كل هذه البلدان تحولاً بسبب الدور بسرعه ، جعلها تدخل اقتصاد نهائياً على قدم المساواة . فاستطاع « ج . باراكوف » ان يكتنب ما يلي : « اثبت اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفياتية ان مسألة القوميات قابلة للحل على صعيد المساواة الاقتصادية » ، و اضاف الى ذلك قوله « انه ادى لسكان

المناطق المتجمعة الشمالية والغرفاس ، خلال ربع قرن ، خدمة اجل من تلك التي اداها
البريطانيون للهند اثناء احتلال دام قرابة قرنين .

اذا تحققت المساواة بين الافراد ، فالواقع هو ان المساواة بين الثقافات واللغات كانت
نظرية اكثر منها حقيقية لان العنصر الروسي قد حافظ ، في الحياة الاقتصادية والسياسية ، على
تفوق عددي ودور قيادي امنا للغة مركزا مسيطرا ، هو مركز الثقافة العلمية والتقنية ،
يضاف اليه انها كانت الرابطة اللازمة بين كافة القوميات ولغة التعليم الالزامية في المرتبة الثانية
بعد اللغة الام .

انبتق التنظيم السياسي للاتحاد السوفياتي من الفكر الماركسي
تطور النظام السياسي واللينيني ، ولكن مصادره الايدولوجية اقدم عهدا ، نجدها
عند جان جاك روسو في الدستور الجبلي (١٧٩٣) ، وعند سان - جوست وبابوف ، وعند
كل اولئك الذين شددوا على الطابع الخادع الذي ترتديه المساواة النظرية في الحقوق التي تنادي
بها الديموقراطية السياسية وانتهوا الى ان هذه المساواة لا يمكن ان تكون فعلية الا اذا انتقلت
السلطة الاقتصادية من ايدي بعض الافراد الى ايدي الدولة ، اي الى ايدي الجميع . وهي
الاشتراكية وحدها ما تستطيع تحقيق هذه المساواة فعليا ، لانها «تبقى على كافة الحريات
السياسية ، ولكنها تزيل الحريات الاقتصادية المزعومة» التي ليست سوى « وسائل سيطرة في
ايدي اقلية مقتدرة » . « وهي تضمن حرية الجميع بحماية الضعفاء » ، وتضمن المساواة بتأمينها
للجميع المساواة في الامكانيات على الاقل .

كيف 'تحقق' الاشتراكية وشرطها اللازم ، المجتمع بدون طبقات ؟ لقد اشار لينين الى
ذلك في كتابه « الدولة والثورة » الذي وضعه في ايام ثورة تشرين الاول وعرض فيه بقوة
المبادئ التي ستطبق . على البروليتاريا ان تقوم بثورة عنيفة وتستولي بنتيجتها على آلة الدولة
(جيش ، شرطة ، وظائف ادارية) وتتحول الى طبقة مهيمنة ، اي تفرض دكتاتوريتها ،
وليست هذه الاخيرة غاية في حد ذاتها بل وسيلة فقط يتوقف عملها حين تزول الطبقات القديمة
صاحبة الامتيازات وحين تتوطد الاسس الاقتصادية للاشتراكية . هذا هو النظام الذي اقره ،
في عهد شيوعية الحرب ، دستور السنة ١٩١٨ ، دستور النضال الذي وضع اسس الاقتراع
العام ، ولكنه حرم الطبقات الحاكمة القديمة ومؤيديها من حق الانتخاب ، واعطى بروليتاريا
المدن ، وهي دعامة النظام الرئيسية ، تمثيلا اوفر عددا من التمثيل الذي اعطاه سكان الارياف .
وتنتخب مجالس المندوبين (المدنية) على درجتين ومجالس المندوبين الريفية على ثلاث درجات
مجلس مندوبي كافة المناطق الروسية الذي يعين بدوره اللجنة المركزية التنفيذية ، التي تؤلف
الـ « سوفناركون » . وبعد الانتصار ، وحين تأمن انضمام السكات غير الروس ، اسس
دستور السنة ١٩٢٤ دولة اتحادية لها مجالسها الاعلى المؤلف من مجلسي القوميات والاتحاد ولجنتها
المركزية الادارية ورئاسة مجلسها الاعلى ، ولكنه ابقى على النظام الانتخابي غير المتساوي .

ومرد ذلك الى ان الأهمية العددية والاقتصادية لجسائر الفلاحين الذين وقفوا موقفاً حذراً من التأميم ، وعزلة اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفياتية المحيط ببلدان معادية قد فرضتا على النظام عدم الثقة بكل من لم يعلن إخلاصه الصريح له . وبصورة خاصة كان التصنيع السريع المشروع فيه ، بالنسبة للنظام ، مسألة حياة او موت ، ولا يمكن تحقيقه الا بتضحيات كبرى يفرض بذلها على الشعب بكلية وتستلزم سلطة مركزية حازمة . . وقد احسن « هارولد لاسكي » إظهار منطق الطريقة المتبعة التي افضت الى الابقاء على الدكتاتورية وتعزيزها :

« كان من الواجب ، في هذه البلاد الواسعة الآهلة بأكثرية قروية امية ، ان يفرض على السكان نظام تستطيع الدكتاتورية وحدها تأمينه . . . وربما كان الاغضاء عن استمرار وجود طبقة كبرى من الكولاك المهادين للتدابير التقنية التي استلزمها سياسة التصنيع خطراً كبيراً محتوماً على هذه السياسة . وكل من يتذكر الثمن الباهظ الذي دفعته أوروبا الغربية لنورتها الصناعية وقرأ ما افترته من اعتراضات عنيفة يستطيع تكوين فكرة عن طابع الجسامة الذي ارتدته محاولة الزعماء السوفييات . ولست اعتقد ان تحقيقها كان ممكناً ، بعد اقرارها ، بوسائل ديمقراطية . فان حكومة ترضى بالخضوع لانتخاب شعبي ثان على اساس التضحيات التي فرضها البلشفيك ، ستقضى كلياً ، بدون اي ريب ، عن السلطة ؛ وبالنظر الى الهدف المطلوب تحقيقه ، كان الحل الداخلي ، بصرف النظر عن غيره ، يستلزم اعتماد الدكتاتورية » .

وليس من باب الاتفاق من ثم ان تصادف الخطط الخمسية في الزمن دكتاتورية ستالين والحزب الشيوعي .

بعد مرور اثني عشرة سنة ، ارسخ نجاح الخطط ، وتصفية الكولاك والمقاومات الرأسمالية الاخيرة « اركان النظام ارساخاً نهائياً ، واتاح له ادخال نصوص جديدة في دستور السنة ١٩٣٦ ؛ اصبح الاقتراع شاملاً بالفعل ومتساوياً للرجال والنساء بعد سن الثامنة عشرة ، دون اي استثناء لاي شخص ، وتمثلت الحقوق الانتخابية في المدن والارياف ، وبات الاقتراع سرياً ومباشراً لانتخاب نائب عن ٣٠٠ الف نسمة لمدة ٤ سنوات ، واعطي الناخب حق طلب عزل النائب « خادم الشعب » ، اذا لم يسلك بمقتضى وكالة ناخبه . وقدمت الترشيحات على لائحة واحدة تضم « الشيوعيين وغير الحزبيين » ، « المنظمات الاجتماعية وجمعيات العمال » .

عدد الدستور اخيراً الحقوق الاساسية المعترف بها للمواطنين وواجباتهم : الحق في العمل ، الحق في الاستراحة ، الحق في الضمان المادي في سن الشيخوخة وفي حالة المرض والمعجز عن العمل ، الحق في التعليم ، مساواة المرأة ، مساواة المواطنين دون تمييز في القومية او العرق ؛ حرية المعتقد ، وكافة الحريات السياسية ، حرية التعبير عن الرأي ، وحرية الصحافة ، وحرية الاجتماع . اما الواجبات فهي احترام الدستور وقانون العمل و « الواجب الاجتماعي » و « نظام الحياة في المجتمع الاشتراكي » ، وحماية الملكية الاجتماعية وارساء قواعدها ، والخدمة العسكرية للدفاع عن البلاد .

الحزب الشيوعي نحن في الحقيقة امام « مجتمع ديموقراطي تحكمه دكتاتورية » ، هي دكتاتورية الحزب الشيوعي . فان المادة ١٢٦ من دستور السنة ١٩٣٦ حين تعدد المنظمات الاجتماعية التي يحق للمواطنين السوفيات تأسيسها او تنميتها بحرية : النقابات المهنية ، الاتحادات التعاونية ، الجمعيات الثقافية ، المنظمات الرياضية ، الخ. ، انما تكرس امتياز الحزب باعلانها ان « اكثر المواطنين وعياً في الطبقة العمالية وطبقات الفعلة الاخرى تتحد في الحزب الشيوعي الذي هو طليعة العمال » . وتوافق « دكتاتورية البروليتاريا » التي يارسها الحزب الواحد المذهب الماركسي الذي ليست الاحزاب السياسية في نظره التعبير عن نزعات ايديولوجية ومفاهيم عقلية ، بل عن نزعات جماعات ذات صوالح اقتصادية هي الطبقات ؛ وان زوال هذه الاخيرة ، الذي يحجر وراءه زوال كل خصومة اجتماعية ، يجعل من النافل قيام احزاب متميزة . وتبررها كذلك متطلبات مرحلة الانتقال الراهنة نحو الاشتراكية : فطالما لم يكن المجتمع بدون طبقات ، اي طالما يوجد هناك خطر انبعاث الطبقة البورجوازية ، فان الطبقة العمالية التي استولت على السلطة لا تستطيع الاحتفاظ بها ، ما لم تبتزع — بسلطة مستبدة — من الطبقات صاحبة الامتيازات وسائل العمل الكثيرة التي توفرت لها منذ قرون وقرون .

فما هي وظيفة الحزب ؟ انها في الدرجة الاولى اختيار الخاصة الجديدة التي سوف تؤول اليها زعامة الامة ، واعدادها لوظيفتها القيادية . وهي في الدرجة الثانية رقابة اجهزة الدولة وبعث نشاطها واستثبات ولائها . وهو الحزب اخيراً ما يبقى المسؤولين على اتصال دائم بالجماهير : فبواسطة خلاياه وفروعه الكثيرة يطلمهم على حالة الرأي العام وردود فعله ويتعاضى بذلك ان يبتعد النظام عن الشعب . اضاف الى ذلك انه يؤمن ، في كل وسط من اوساط الشعب ، تعميم التوجيهات الصادرة من المراجع العليا ويشرح معناها وضرورتها للجماهير .

الحزب الشيوعي هو من ثم « المنصر الاساسي الاول في قاعدة النظام اختيار اعضائه السياسي الروسي » . وقد تميزت نجاحاته بتعاقب ارتفاع وتدنّي عدد اعضائه تعاقباً دورياً ، بفعل حرص رؤسائه المسؤولين على ان يقصوا عنه ، بين حين وآخر ، العناصر غير المرغوب فيها التي تمكنت من التسلل اليه . ففي السنة ١٩١٧ ، حين خرج من الحفاء ، كان عدد اعضائه ٨٠ ألفاً ، وفي شهر آب من السنة نفسها ارتفع هذا العدد الى ٢٤٠ ألفاً وبعد ثورة تشرين الاول ، اطرده ارتفاع هذا العدد الى ان بلغ ٢٧٠ ألفاً في شهر آذار من السنة ١٩١٨ ، ولكن مؤتمره الثامن المنعقد في شهر آذار من السنة ١٩١٩ اوجب « اعادة تسجيل » الاعضاء ، فكان ذلك بمثابة عملية تطهير اولى ؛ ثم نُظِم في آخر السنة « اسبوع الحزب » اي اسبوع اختيار فاشط رفع عدد الاعضاء الى ٣٠٠ الف في شهر آذار من السنة ١٩٢٠ ، والى ٧٣٢٥٢١ في شهر آذار من السنة ١٩٢١ بينهم ٤١٪ من العمال ، و ٢٨٪ من الفلاحين ، و ٣٠،٨٪ من المستخدمين . واندس بين الاعضاء « بعض صفار البورجوازيين وسواهم ممن لا يؤمنون بالروح الشيوعية » ، و « الوصوليين » ، و « العناصر البيروقراطية » من عادمي

الاستقامة ، والمتريدين ، والمنشفيك ، والمقنعين ، والمخاتلين ، وفي السنة ١٩٢١ اجريت عملية تطهير جديدة خفضت العدد بنسبة ٢٥ بالمائة تقريباً ، وحدد المؤتمر الحادي عشر للحزب ، في شهر آذار من السنة ١٩٢٢ ، شروط الانتماء التي ميزت بين الصناعيين اليدويين والفلاحين الذين لا يستثمرون عمل الغير ، وبين الجنود والعمال المنتسبين الى اوساط الفلاحين والعمال ، وبين غيرهم من المواطنين . ففيما يعني الفئتين الاوليين يقتضي توصية من ثلاثة اعضاء من الحزب وتدرج ثلاث سنوات ، وفيما يعني الفئة الثالثة ، توصية من خمسة اعضاء وتدرج خمس سنوات . وبعد وفاة لينين حدثت حركة انتمايات هامة جداً ؛ فارتفعت نسبة العمال في السنة ١٩٢٥ الى ٥٧,٩ بالمائة وارتفع عدد كافة الاعضاء الى اكثر من ٨٠٠ الف . وقد عدلت آنذاك شروط انتماء العمال الصناعيين المتعاطين عملاً جسمانياً مأجوراً : فاكتمفي بتوصية من عضوين من الحزب وتدرج سنة واحدة ، كما اكتمفي لانتماء العمال غير الصناعيين ، والجنود المنتسبين الى اوساط العمال والفلاحين بثلاث توصيات وتدرج ثلاث سنوات . وفي السنة ١٩٢٧ ضم الحزب ١١٤٧٠٧٤ شخصاً ، وفي السنة ١٩٢٩ ، مليوناً و ٥٠٠ الف ، وفي السنة ١٩٣٠ ، مليوناً و ٦٧٧ الف ، وفي السنة ١٩٣٣ ، مليونين و ٥٥٥ الف ، وبلغت نسبة العمال آنذاك ٦٨,٢ بالمائة . وارتفع كذلك عدد النساء : ٨,٢ بالمائة في السنة ١٩٢٤ و ١٥,٩ بالمائة في السنة ١٩٣٢ ، كما ارتفع كذلك عدد المواطنين من غير الروس . ثم اجريت عملية تطهير جديدة في السنة ١٩٣٤ والسنة ١٩٣٥ ، ولا سيما بعد مقتل كيروف ، فتدنى عدد الاعضاء الى ٢٣٥٨٠٠٠ في السنة ١٩٣٥ ، والى مليون و ١٩٢ الف في السنة ١٩٣٨ ، ثم ارتفع الى مليونين و ٣٠٦ الف في السنة ١٩٣٩ ، والى ٣ ملايين و ٤٠٠ الف تقريباً في السنة ١٩٤٠ . وفي السنة ١٩٣٩ عدل المؤتمر الثالث عشر للحزب شروط الانتساب مرة اخرى : فقد اتاح توطد اركان النظام وزوال الطبقات الحاكمة القديمة اعتماد نظام واحد للانتماء حل محل التمييز بين الفئات بحسب وضع المرشحين الاجتماعيين ؛ بتوصية من ثلاثة اعضاء مضت عليهم ثلاث سنوات في الحزب ويعرفون المرشح في مركز عمل مشترك منذ سنة على الاقل ، وتدرج سنة واحدة . وبالنظر الى زوال خطر تسلل عناصر الفساد ، وبقظة العناصر القديمة ، حظرت منذئذ التطهيرات الجماهيرية وتولت منظمات الحزب عملية اختيار المرشحين .

يتميز المرشحون المختارون تميزاً يلفت الانتباه بفتوتهم ؛ فبحسب احصاء السنة ١٩٢٧ كان عمر ٢٥,٣ بالمائة من الاعضاء دون الـ ٢٥ سنة ، وعمر ٨٥,٨ بالمائة دون الـ ٤٠ . ولذلك فقد نيطت مسؤوليات كبرى بالشبيبة ؛ والدليل على ذلك ان ٥٦ شخصاً من اصل ١٢١ انتخبهم المؤتمر الخامس عشر للحزب اعضاء في اللجنة المركزية ، اي ٤٦,٣ بالمائة ، كانوا دون الـ ٤٠ سنة ، و ٩٠ ، اي ٧٤,٤ بالمائة ، كانوا دون الـ ٤٥ ، و ١٠٥ اي ٨٦,٨ بالمائة ، كانوا دون الـ ٥٠ . وبعد عملية التطهير الكبرى في ١٩٣٦ - ٣٨ التي تناولات عدداً كبيراً من قدماء الحزب ، سدّت الفراغات بالجيل الجديد ، ثم ارتفعت نسبة الشباب في مؤتمر السنة ١٩٣٩ ،

اذ ان ٤٩٠٥ بالمائة من المندوبين كانوا دون الـ ٣٥ سنة ، و ٨١٠٥ بالمائة دون الـ ٤٠ و ٩٧ بالمائة دون الخمسين ؛ وتولى الوظائف القيادية عدد كبير من موظفي الحزب الذين انخرطوا فيه بعد موت لينين . وهو جيل ما بعد الثورة هذا ما ارسخ نفوذ ستالين .

اما المستوى الثقافي فقد ارتفع تدريجياً . ففي السنة ١٩٢٧ ، كان في الحزب ٠٠٨ بالمائة فقط ممن تابعوا دروسهم العليا ، و ٦٢٠٨ بالمائة ممن تابعوا دروسهم الثانوية ، و ٢٦٠١ بالمائة ممن تلقوا دروساً خاصة ، و ٢٠٤ بالمائة من الاميين . وقد تعذر آنذاك وجود حدود كاف من الاعضاء القادرين على تولي مهام ادارية او قيادية ، في حين زادت الحاجة اليهم بسبب التصنيع . ففي السنة ١٩٢٨ كانت ٨٩ بالمائة من مدراء مشاريع الدولة اعضاء في الحزب ، ولكن ٢٠٨ بالمائة فقط من بينهم كانوا قد تلقوا تعليماً عالياً ، و ٧٨٠٦ بالمائة تعليماً ابتدائياً عالياً . وكان ٧٠ بالمائة منهم عمالاً رفعوا الى مراكز قيادية . وفي السنة ١٩٣٩ عدل نظام الحزب تعديلاً ملحوظاً ؛ فاستقبل الحزب بأعداد كبرى افراد طبقة المثقفين الجديدة ، اي الفنيين والمهندسين والعلماء الكثيرين الذين افتقر اليهم تحقيق الخطط الخمسية ، فارتفع مستوى المسؤولين الثقافي ارتفاعاً كبيراً .

تنظيم
ابتداء من السنة ١٩٢٥ ، وكلما توطد نفوذ ستالين ، امين سر الحزب منذ
السنة ١٩٢٢ ، اتضح التنظيم وتمزز . فمنذ السنة ١٩٢٥ ، ضم الحزب هداً
من الاجهزة لا يقل موظفوها عن خمسة والعشرين الفا ؛ وفي المقدمة الـ « بوليتبورو »
(المكتب السياسي) المؤلف من ٩ ، ثم من ٢٥ عضواً تنتخبهم اللجنة المركزية المؤلفة من عدة
فروع اهمها الـ « اورغراسبرد » اي فرع التنظيم الذي يعنى بتعيين ورقابة مختلف مسؤولي
الحزب ، والمفوضيات ، والنقابات ، والتعاونيات ؛ ويعد كذلك التوجيهات في كافة المسائل
المتعلقة بنظام الحزب ، وتضمن فروع اخرى بالدعاوة (اجيتبروب) ، والصحافة ، والنساء ،
الخ . وتحت تأثير الاحداث : تنفيذ الخطة الخمسية الاولى ، ثم انطلاق الاقتصاد بفضل
نجاحات التصنيع والتأميم ، واخيراً الحاجة الى اصحاب الكفاءات بعد عملية التطهير الكبرى
التي عقت موت كيروف ، أعيد التنظيم تكراراً بحيث تعاقب اقرار اللاحصرية وما تستتبعه
من انشاء فروع ذات اختصاص يوافق كل منها قطاعاً خاصاً من الحياة الاقتصادية (١٩٣٠ ،
١٩٣٤ ، ١٩٤٨) واقرار العودة الى التوحيد والمركزية (١٩٣٩) .

ان تنظيم الحزب - على غرار تنظيم الحكم - شبه بهرم ذي ٤ او ٥ درجات مختلفة . فتحت
تنظيم الاتحاد العام تقوم تنظيمات كل من الجمهوريات ، وتنقسم هذه بدورها الى وحدات اقليمية
(اوبلاستي) . اما الجمهورية الروسية ، وهي اوسعها طراً ، فتتنقسم الى ٨ تنظيمات اقليمية
(كراي) تضم وحدات اقليمية ودوائر (او كروغ) . وتنقسم كل وحدة اقليمية الى وحدات
صغرى (على اساس المدن والنواحي) ، وتتألف المدن الكبرى بدورها من عدة وحدات
صغرى . وفي ادنى درجات الهرم تقوم التنظيمات الابتدائية للمصانع (٣٥٠ . ٠٠٠ تقريباً) ،
ومحطات الآلات والجرارات ، والمزارع النموذجية ، والمزارع التعاونية ، والوحدات

المسكزية ، الخ . ، التي يبلغ متوسط اعضاء كل منها اقل من عشرين . اما التنظيم العام فواحد من اعلى الى اسفل : مؤتمرات ، لجان ، امانات سر . وكما ان ارفع جهاز في الحزب هو المؤتمر الروسي الشامل ، كذلك لكل من الجمهوريات مؤتمرها ولجنتها المركزية وامانة سرها ، المنظمة على غرار اللجنة المركزية في موسكو ، وللوحدات الاقليمية مؤتمر حزبي ولجنتها وامانة سرها ، وللمدن والنواحي مؤتمر ولجنة وامانة سر تنتخب موظفي مكتبها . والمهام واحدة في اطار الدائرة الانتخابية : تقديم وثبیت مسؤولي الدرجات الدنيا ، رقابة تنفيذ مقررات الحزب ، دعاوة ، اعداد المنتمين الجدد .

يرتكز الحزب الى « المركزية الديمقراطية » التي يحددها نظامه كما يلي : « انتخاب كافة اجهزة الحزب القيادية ، من ادناها مرتبة الى اعلاها ، علائق منتظمة بين هذه الاجهزة وتنظيمات الحزب ، انضباط كلي وخضوع الاقلية للأكثرية ، إلزامية مقررات الاجهزة العليا بالنسبة للأجهزة الدنيا » .

فهو يضم من ثم اكثر المواطنين نشاطاً الذين يطلب منهم اخلاص مطلق وقيظ دائم ، ويفرض عليهم ان يكونوا في كافة الحقول مرشدين لمواطنيهم . فدوره في حياة اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفياتية دور رئيسي لأنه هو ما يؤلف العنصر الجوهري لوحدة الاتحاد ، انه يلاشي النزعات الى الابتعاد عن المركز الناجمة عن التنظيم الاتحادي وتجزئة السلطة بين مئات آلاف الدوائر الاقليمية والمهنية التي قد تؤلف كل منها ، مع مجلسها المنتخب ، جمهورية صغرى منزلة . واخيراً يتولى شطراً هاماً من الوظائف الادارية والحكومية اعضاء من الحزب ، بحيث ان الحزب ، « بفضل وحدته ومركزيته » قد يستطيع ابداً ترجيح وجهات نظره على آراء لا يمكن ان تكون الا آراء محصورة (دوفرجيه) . وتؤلف الـ « كومسومول » المؤسسة الرئيسية لاعداد اعضاء الحزب .

على غرار كافة الاحزاب الثورية ، علق الحزب البلشفيكي آماله على الكومسومول والرواد الشباب الذي له المستقبل . وحين انعقد ، في تشرين الاول من السنة ١٩١٨ ، المؤتمر الاول لجمعية الشباب الشيوعية (كومسومول) ، كان عدد اعضاء هذه الجمعية ٢٢٥٠٠ ، وفي تشرين الاول من السنة ١٩١٩ ، تمثل في المؤتمر الثاني ٩٦ الف شاب اشترك عدد كبير منهم في الحرب الاهلية في فرق الاصطدام ، وفي السنة ١٩٢٠ ، ارتدت الحركة طابع حركية جماهيرية حين بلغ اعضاؤها ٤٨٠ الف عضو تقريباً حدد لهم لينين مهمتهم : « بناء المجتمع الشيوعي » . الا ان انتهاج السياسة الاقتصادية الجديدة ، التي بدت للعديد من الشباب وكأنها استسلام الاشتراكية ، والبطالة ، وصعوبات الحياة المادية ، ولدت خيبات امل كانت تبيتها قدني عدد اعضاء الحزب الى ٢٤٧ الفا في السنة ١٩٢٢ ؛ ثم ادى تحسين ظروف المعيشة والتدابير المتخذة لمصلحة العمال الشباب وتنظيم مدارس المصانع الى رفع العدد الى مليون في كانون الثاني من السنة ١٩٢٥ ، والى مليونين في السنة ١٩٢٧ قبيل الخطوة الحسية الاولى . ثم

ولدت هذه الاخيرة ، بفعل ضخامة المشروع والدعوة الى التضحية ، موجة حماس وحمية في صفوف هؤلاء الشبان . فهم من قدموا الوف العمال الذين حققوا «الجبايرة» : مصانع الجرارات في ستالينغراد ، وسد دنيبروغ ، والمصانع الجديدة في الاورال وسيبيريا ، وهم من انموا استخراج الفحم الحجري من مناجم الـ « دونتز » ، حين كادت الحاجة تمس اليه ، وهم من توجهوا بالآلاف الى الارياف للاسهام في عملية التأمين وتصفية الكولاك ولتأسيس التعاونيات الزراعية واعداد موظفي ادارات محطات الآلات والجرارات ، وهم من الفوا فصائل الاصطدام التي تنافست في خدمة الاشتراكية وقدمت معظم منظمي العمل من العمال . وهم من توافسوا على مؤسسات التعليم التقني الحديثة واصبحوا مسؤولي الصناعة الجديدة والدولة الجديدة . وفي السنة ١٩٣١ جاوز عدد الكومسومول المليون الثالث ، وفي السنة ١٩٣٦ المليون الرابع . حينذاك وسعت المنظمة اطار الاختيار ، فاستقبلت الشبان دونما نظر الى منشأهم ، فاصبح عدد اعضائها تسعة ملايين في السنة ١٩٣٩ و ١٦ مليوناً في السنة ١٩٥١ .

اختير الكومسومول من بين « الرواد الشبان » (بين ٩ و ١٥ سنة) وخضعوا لتنظيم مماثل لتنظيم الحزب . فمن هنا ايضاً امام هرم تقوم في اسفله منظمات المصنع ، والمزرعة الجماعية ، ومؤسسة التعليم ، والناحية ، والمدينة ، والاقليم ، والجمهورية ، والاتحاد . اما نشاط المنظمة فهو في الدرجة الاولى تثقيف الاعضاء والشبان غير المنتمين تثقيفاً سياسياً ، والرياضة ، والاعداد العسكري ، والاسهام في تنفيذ اوامر الحكومة ، والتربية الاجتماعية والثقافية . فعلى الكومسومول ان يكون في كل مكان قدوة ومثلاً للشبان الآخرين ، وان يذهب الى حيث ترسله منظمته . وعليه ، في المدرسة او المصنع ، ان يكون عاملاً ممتازاً ومدرّباً لرفاقه ومساعداً لرؤسائه . وعليه ان يتشرف حتى يصبح انساناً كاملاً ، وان يكون في الحياة المدنية والحياة العسكرية على السواء مثلاً مشعاً بالتفاني والانضباط .

٢ - «الانسان اعز راسمال»

ان احد الاهداف الاولى التي سمى وراءها النظام الجديد هو رفع مستوى السكان مادياً وثقافياً ، فبذل النظام البلشفيكي من ثم نشاطاً عظيماً في حقول الصحة والتربية الشعبية والثقافية المتأخرة .

تناول محمود تجهيز البلاد بالمؤسسات الصحية تأسيس المستوصفات ودور الصحة العامة التوليد والمستشفيات ومستشفيات التدريب ... التي افاحت ، بالإضافة الى مجانية الخدمات الطبية ، تخفيض نسبة الوفيات بسرعة الى ١٥ ٪ اي الى نسبتها في فرنسا ، وتناولت كذلك تأسيس المصحات ودور المعالجة والراحة للشيخوخة والمعجزة والذئبة . وكانت الطفولة موضوع عناية خاصة : ملاجئ ، للاطفال ، استشارات طبية للحبالى والرضع ،

واجازات للرجال لمدة ٣٥ يوماً قبل الوضع و ٢٨ يوماً بعده في مؤسسات الدولة ومشاريعها ،
ولمدة شهر قبل الوضع وشهر بعده لنساء التعاونيات الزراعية ، ادت كلها الى تخفيض نسبة
الوفيات بين الاطفال ، وساعدت حدائق الاطفال وتشجيع الالعاب الرياضية ، وانشاء الملاعب
الرياضية الكثيرة على تنمية متناسقة .

بموازاة هذه التدابير التي لم تفضل من حيث النوعية خير ما اتخذ منها في
العائلة
وتحرر المرأة
اكثر الدول الغربية تقدماً ، كما يقول لاسكي ، وانها « ما تحقق يصعب
تصوره في اي مجتمع رأسمالي » ، قامت العائلة على اسس جديدة . فنشأ
الثورة ، نرى العائلة التقليدية ، المبنية على دونية المرأة وعلى طابع الزواج الديني الممتنع الانفساخ
وسلطة الاب المطلقة ، تنهار بفعل علمنة الزواج وزوال سلطة الزوج المطلقة . وقد حددت ،
حيال الاولاد ، حقوق الرعاية والتمثيل ، واجبات العناية والتربية والتعليم . وبرز مفهوم جديد
للعلاقات بين الزوجين التي بنيت على المساواة الكلية بينهما ، وشرعية الزواج الواقع المعفى من كل
تسجيل والطلاق برضى الطرفين او بناء على رغبة احدهما المعلنه ، وابطال التمييز بين الاولاد
الشرعيين والاولاد غير الشرعيين . واستهدف قانون صدر في السنة ١٩٢٠ حول « حماية
صحة المرأة » منع الاجهاض في الحفاء باجازة الاجهاض تحت شروط معينة . وهكذا تحررت
المرأة والاولاد من وضعهم القانوني الدولي ، بينما خففت ملاجىء الاطفال ، وحدائق الاطفال ،
ومحلات البيع من العمال في المشاريع ، والمطاعم النقابية والتعاونية ، وتبييض الانسجة
الصناعية ، الخ . ، من اعباء ام العائلة وحررتها من عبوديات الحياة المنزلية ، وذلك نتيجة
لسمي المسؤولين وراء تحقيق المساواة المطلقة بين الجنسين التي ينص عليها القانون . وهذا ما
اتاح للامهات تمثيل نسبة كبرى - اكثرية احياناً - في الصناعة (حتى الثقيلة منها حيث بلغت
هذه النسبة ٥٠ ٪) ، والعمل في مهن تعتبر في البلدان الاخرى محصورة في الرجال (ميكانيكي
القاطرة الحديدية مثلاً) ، وممارسة وظائف قيادية في المزارع التعاونية (٢٠ ٪ من وظائف
المدراء اسندت الى النساء) او المصانع او المجالس على مختلف مستوياتها . وفي البلدان الآسيوية
بصورة خاصة ، كان تحرر المرأة ، والمظلومة على ايدي المظلومين ، كما قال لينين ، ثورة وضعت
حداً لعزلتها ولارتداء الحجاب ، وفتحت امامها ابواب المدارس والجامعات والمصانع والحياة
العامة . لا بل ان التدابير الكثيرة التي حسنت وضع المرأة الحبلى او ام العائلة ، واستقرار
المجتمع عند تنفيذ الخطط الخمسية الذي استلزم يدا عاملة نسائية وفيرة وزيادة الطاقة البشرية ،
قد استوجبت اقباع سياسة تشجيع الولادات والعائلات التي برزت منذ السنة ١٩٣٦ بمنح
الاجهاض الا تحت شروط معينة ، وبتدابير استهدفت ارساخ وثاق الزواج بالحد من عدد
الطلاقات وتكررها (منيع الطلاق بناء على رغبة زوج واحد وارتفعت نفقات الاجراءات) ،
وبفرض عقوبات صارمة على من يتغلى عن عائلته او يمتنع عن دفع النفقة المترتبة
للام والاولاد .

بذلت الجهود لزيادة عدد السكان ولخلق شبكية قوية ونشطة ، كما بذلت الجهود التعليم لتعليمها ايضاً . في السنة ١٩١٣ ، كانت نسبة الاميين بين ٧٥ و ٨٠٪ ، وحق ٩٧٪ بين شعوب آسيا غير الروسية ؛ ومنذ السنة ١٩٤٠ ، اختلف الى المدارس الابتدائية والثانوية ٣٢ مليون تلميذ ، فسيطرت نسبة الاميين الى ثلاثين بالمائة في اكثر المناطق تخلفاً . وقد هدفت المؤسسات الدراسية « لخلق الظروف البشرية الضرورية لقيام المجتمع الشيوعي » ، إذ ان على المدرسة ضمان « تحقيقات الثورة السياسية والاجتماعية » ، ولا يجوز لها ان تكون « لا خارج الحياة ولا خارج السياسة » . وان في هذه الصيغ لدليلاً على الاهمية المعترف لها بها والاهتمام الذي اعاره النظام المسائل التربوية ، « الجبهة الثالثة » ، « الجبهة التربوية » ، التي كانت موضوع احدى قصائد « ماياكوفسكي » . وارتبطت التربية ارتباطاً وثيقاً بالمجتمع الذي اوجدته الثورة ؛ فالانسان ليس لا صالحاً ولا شريراً عند ولادته ، وهو المجتمع ما يكونه ويكون مسؤولاً في النهاية عما ينتهي اليه . يضاف الى ذلك من جهة ثانية ان تفاوت الاجور ، التي هي نسبية لكمية ونوعية العمل المؤدى ، لا يمكن الاعاضة منها الا اذا كانت هنالك « المساواة عند نقطة الانطلاق » ، اي الا اذا تمكن كافة الاولاد من تنمية معارفهم واستعداداتهم على قدم المساواة . ولذلك اعلن الدستور ان « لمواطني الاتحاد الجمهوريات الاشتراكية الروسية الحق في التعليم » ؛ لهم الحق في ان يتعلموا بلغتهم الام ، وهي الوسيلة الوحيدة لتأمين المساواة الفعلية للقوميات ، ولاتاحة بروز الكفاءات ، ولتوزيع التعليم في اسرع وقت ممكن دونما اضطرار لتعلم لغة اجنبية .

تؤمن المساواة عند نقطة الانطلاق مدارس كثيرة جداً وسهولة دخول الجميع ، في اي وقت ، الى التعليم العالي . فابواب المدرسة مفتوحة في كافة درجات التعليم ، وتتوفر تسهيلات عديدة - ولا سيما التعليم بالمراسلة الذي استفاد منه ٦ ملايين شخص في السنة ١٩٤٠ - للوصول الى المعاهد والكلية بأعداد كبرى عن غير طريق المدارس . فتقوم وحدة التعليم من ثم في روح البرامج والكتب المدرسية الواحدة في كافة أنحاء الاتحاد المستوحاة من التعليم الماركسي-اللينيني في تفسيرها للعالم والعلائق البشرية .

من بين اكثر النظريات التربوية بياناً ولفناً للانتباه تلك التي طلع بها « ماكارفكو » : كان مديراً لاصلاحاتي احداث مجرمين ، فاستخلص من خبرته مذهباً تعليمياً في مؤلفه المشهور ، « القصيدة التربوية » . لقد اقتنع ماكارفكو بان للبيئة الحسنة التنظيم تأثيراً فاعلاً قوياً على الفرد ، ف « يبوسة طينة الولد كلام محال » ، وليس من اولاد مطبوعين على الجريمة ، واولاد يستحيل اصلاحهم ، وهي الجماعة التي يكون منخرطاً فيها ما تكتيفه بالمنافسة التي تثيرها والرقابة التي تقارسها ، وهذا يفسر اهمية الجو العائلي الذي يصنع الولد على صورته . فالتربية تستهدف تدريب الاولاد على ان يحلوا بانفسهم المسائل التي تواجههم في الحياة اليومية ، وان يوافقوا بين الحرية الفردية والتقييد الضروري بموجبات الجماعة . ويشدد ماكارفكو من ثم على الصلة التي

يجب ان تقوم بين التربية والحياة . فعلى العائلة والمدرسة ومنظمات الشبيبة ان تضع نصب اعينها تحقيق تفتح الفرد ، اذ ان الوالدين لن يستطيعا الى ذلك سبيلا الا اذا فكروا ابدأ بتأثير مثلها على ولدهما . وعلى المربي ان يكون متطلباً جدياً ، على ان يوفق في الوقت نفسه بين متطلباته وامكانات الولد . وكلما طلب من الولد بذل مجهود جديد ، شعر الولد بتعاضد الثقة الموضوعية فيه .

فمن ثم امام تربية تلنكر للنظام التقليدي الصارم ، لكنها تربية لا يعترضها وهن ، « لتطلب ابدأ أقصى ما يستطيع الولد اعطاه ، ولكنها لا ترضى بالابتهاجات التي غالباً ما يسع الولد اعدادها بنفسه » ، وتقول الى « اقامه بفرح يسيطر على كافة مستويات وجوده » (هـ . فالون) .

التعليم نظري وعملي ويشمل علوماً وفنوناً شتى ، ويجمع بين العمل الفكري والعمل اليدوي . وهو علماني فتولاها الدولة التي تعدد التوجيهات العامة ، والزامي ومجاني في مدرسة السنوات السبع (التعليم الابتدائي و ٣ سنوات من التعليم الالزامي) بين سن السابعة (بعد حذيقية الاطفال) والرابعة عشرة . ويُلَقَّن باللغة القومية ، على ان تعلم اللغة الروسية الزامي . وتليه اما ٣ سنوات دراسة تنهي التعليم الوسيط الكامل في مدارس العشر سنوات ، واما التعليم المهني . ويقود كلا التعليمين ، بعد التقدم الى امتحان ، الى تعليم الدرجة الثالثة ، جامعات ومعاهد . وبعد ذلك يلتحق الراغبون في البحث العلمي او التعليم بدروس « المرشحين » (في السنة ١٩٤٠ بلغ عدد الطلاب في التعليم العالي ستماية وعشرين الف طالب) .

كانت الثورة قد تسببت في هجرة عدد من الكتاب والفنانين والعلماء ، ولكن الكثيرين الذين لم يهاجروا اسهموا في تجديد الحياة الفكرية بعد الحرب الاهلية . فقد اتجه مجهود النظام الجديد ، منذ البدء ، الى ازالة الثقافة الى مستوى الشعب بمكافحة الامية والجهل ، وبتعميم التعليم على كافة الطبقات ، وبتأسيس كليات عمل (رابفاك) تستقبل العمال وتوزع عليهم تعليمات سريعاً ، وبالاكثر من دور الكتب واعادة طبع المؤلفات الكلاسيكية الكبرى . وكانت النتيجة ان شغف المعرفة العظيم الذي سيطر على العمال وانتشار التعليم هذا لم يلبث ان خلفا جمهوراً وفيراً اختلفت متطلباته كل الاختلاف عن متطلبات جمهور النظام القديم . وطالما بقيت الحكومة على الحياد بين النزعات المختلفة والفئات الفنية والادبية التي تقاسمت الكتاب والفنانين . وكان معظم هؤلاء اتباعاً لمدرسة الرمزية او مدرسة المستقبل ، وانضم بعضهم ، من امثال ماياكوفسكي والرسام بونين ، بصراحة الى البلشفيكية ، ولكن كثيرين غيرهم بقوا منعزلين عن هذا الجمهور الجديد بفعل مناشتهم ونزعاتهم الادبية ولغتهم المغفلة وفرديتهم . امثال (بروتكولت) ، او الثقافة الشعبية ، فقد استقطبت كتاباً ماركسيين حاولوا خلق ادب بروتيتاري .

في السنة ١٩٢٩ ، دعي الكتاب ، الاعضاء في الجمعية الروسية للكتاب البروليتاريين ، الى الاشتراك في معركة التخطيط ، وفي السنة ١٩٣٢ ، انضموا كلهم الى جمعية الكتاب السوفيات التي اسندت اليها مهمة « دعم قاعدة السلطة السوفياتية » والاشتراك في الصراع الى جانب

البروليتاريا بغية اعداد ادب اشتراكي .

بينما شدد في التعليم على الماركسية والمادية الجدلية ، وبقي بعض المستقلين من امثال «فيدين» على وفائهم للأدب السيكلولوجي ، اخذ الادب الجديد على عاتقه ، بحسب امنية لينين ، ان يصبح «مرآة وعي الامة» . وهكذا صدرت مؤلفات تأثرت تأثراً بعيداً بـ «غوركي» ، وانتسبت الى ما عرف بعد السنة ١٩٣٢ بـ «الواقعية الاشتراكية» التي ألغت مذهباً رسمياً حقيقياً . فأمام عظمة تطور المجتمع والانسان الذي شاهده الكاتب ، توجب على هذا الاخير تحليل الواقع وإظهار الانسان في حزبه وعمله ، وطرح المسائل الانسانية الناجمة عن كل ذلك ومساعدة القراء على حلها والتخلص مما يحملونه في انفسهم لمجاعة العالم المادي الآخذ في التطور . والادب الجديد واقعي لأنه يغمس في الواقع ويصف «الانسان من حيث هو عضو في المجتمع» ، بعيداً عن عبادة الذات ، وعن «عذابات رجال الفكر المترددين» ، ولذلك فانه يلاشي ابتذال الحياة اليومية ويمجد البطل الفرد ، وبطولة الجماهير المغفلة التي تصارع وتقدم نفسها ضحية للدفاع عن الوطن او لبناء عالم جديد ، وكل من تتحول حياتهم الى معركة ضارية يشتركون فيها بكليتهم من اجل تحقيق الاشتراكية . هذه هي حال «فورمالوف» الذي يصف بطولة «تشاباييف» (١٩٢٣) المغوار ، وحال «الكسي تولستوي» في «الف وتسماية وثمانية عشر» ، وحال «سيرافيموفيتش» في «السيل الحديدي» ، وحال «فادياف» في «الهزيمة» (١٩٢٧) ، وحال ايفانوف («الانصار» ، «القطار المصفح رقم ١٤ - ٦٩») ، وحال «ماياكوفسكي» الذي اصبح بفضل قصائده النضالية («مائة وخمسون مليوناً») وشعره الغنائي ، «الشاعر الهامي عن حقوق الشعب» بالذات . وهذه حال «نقولا اوستروفسكي» الذي تظهر رواية سيرة حياته بخط يده ، «وسقبي الفولاذ» (١٩٣٢) ، ما هي حياة التضحية التي يعيشها احد اعضاء الحزب . وتبرز مأساة المحلل المجتمع القديم ونشأة اخلاق جديدة في المصنع والعمل ، في كتاب «الاسمنت» (١٩٢٥) لـ «غلادكوف» ، ومأساة ملاشاة الكولاك وتأميم الاراضي في «الاراضي الحية» (١٩٣٦) لـ «شولوكوف» الذي وصف كذلك الحزب الاهلية عند قوزاق الـ «دون» في «الدون الهادي» . ووصف كاتاييف تأسيس وحدة ماغنيتوغورسك الصناعية . هو الاهتمام باعطاء الجماهير الشغفة بالمعرفة والتعليم فناً وادباً يسهل تمثلها ولا يبتعدان عن التقاليد القديمة ما يفسر كذلك المجادلات الكتابية المتكررة التي تناوأت الادب المقفل والفن الجرد والموسيقى المسيرة : مهاجمة طابع التمسك المفرط بالشكليات في فن «بيكاسو» او فن «ماتيس» ، ومهاجمة بعض مؤلفات «بروكوفياف» و«شوستاكوفيتش» ، ثم التخلي ، بعد السنة ١٩٢٨ ، عن قوانين هندسة العبارة العصرية التي حظيت بمزيد من التقدير والمطف في السنوات الأولى للثورة ، والعودة الى نمط كلاسيكي - جديد عادم الرشاقة وعلى شيء من الابتذال .

انما انتج الفن الجديد اشهر روائعه في الموسيقى والسينما بفضل «سرج بروكوفياف» و«ديمتري شوستاكوفيتش» و«ارام خاتشادوريان» و«ديمتري قبلفسكي» .

كان لينين قد كتب ما يلي : « السينما ، اعظم الفنون شأنًا في نظرنا » ؛ فقد بذل الاختصاصيون مجهوداً كبيراً لكي يجعلوا منها الفن الشعبي بالذات . فحرصوا في الدرجة الاولى على ان يبعدوا عنها كل ما ليس طبيعياً ، فكانت مدرسة الـ « كينو غلاز » (السينما العين) التي رفضت كل اخراج وابتقت ، قبل اي شيء آخر ، تصوير الحياة على حين غرة ، « مباغتة الانسان في وسطه الاجتماعي وفي حياته » . وكان لهذه النظرية تأثير كبير على كافة العاملين في حقل السينما بلفتها الانتباه الى اهمية اختيار وجمع المشاهد واستنادها الى الواقع . وقد تميز في هذه السينما غير الناطقة اربعة مبتكرين عظام : « ايزنستين » الذي حقق الرائعة السينمائية السوفياتية الاولى في « المدرعة بومكين » ، و« بودوفكين » الذي انتج « الام » المقتبسة عن رواية غوركي ، « نهاية سان بطرسبرغ » ، و« عاصفة على آسيا » ، الفيلمين الاجتماعيين اللذين يتوصل فيهما الابطال شيئاً فشيئاً الى « رؤية واجبات الطبقة التي ينتمون اليها رؤية واضحة » ، و« دوفجنكو » في « الارض » ، و« فرتوف » الذي انتج ، في اوائل عهد السينما الناطقة ، رائعة « اغاني لينين الثلاث » . وبعد هذه الفترة الاولى التي سيطرت فيها السينما السوفياتية على كافة السينمات الاخرى ، كانت السنوات الاولى للسينما الناطقة سنوات جمود وجذب ، الى ان حدثت في السنة ١٩٣٤ ، بفضل المبتكرين الاخوين فاسيليف ، مخرجي « تشاباييف » ، فيلم الحرب الاهلية ، نهضة غاية في التآلق كرسها انتاج الافلام التاريخية : « بطرس الاكبر » ، « بتروف » ، و« اسكندر نوسكي » ، لايزنستين .

ان المبادئ نفسها التي استوحيت في التعليم استوحيت في ادارة القضاء
القضاء
(باستثناء الجرائم السياسية) الذي يسمو عليه الى حد بعيد في الدول الاخرى
بفهمه الواقعي والانساني .

فقد اظهرت الدراسة التي قام بها « هارولد ج. برمان » حول القرارات المتخذة في المحاكم السوفياتية ، طابع الابوة والحماية الذي يرتديه القانون السوفياتي . وقد يشبه جو محاكمة جنائية سوفياتية - بحسب المؤلف الذي هو اميركي - جو محاكم الاحداث الاميركية ، كما قد يشبه جو محكمة مدنية جو محاكم المصالحة العائلية . ومرة ذلك الى ان القانون يعتبر الجريمة وكأنها صورة البيئة الاقتصادية التي حدثت فيها : فالجرم من ثم ضحية المجتمع اكثر منه عدوه ، والسجن يجب ان يكون مكان تربية جديدة لا مكان عقاب . وهذه الاراء ، التي لم تكن خاصة بالحقوقيين السوفيات والتي بشر بها القاضي براندس في الولايات المتحدة ، هي ما عمل بها في نظام المحاكم الجزائية والاصلاحيات . والمقصود في الدرجة الاولى هو اعادة تربية المحكوم عليهم ، و« تبديل طبيعتهم » بحسب تعبير غوركي ، وتنمية الخصال التي تتسم بقيمة اجتماعية عند الافراد . وتنحصر اعادة التربية هذه بفضل اسهام المحكوم عليهم اسهاماً فاعلاً في الاعمال المفيدة اجتماعياً ولا سيما اعمال الانتاج الوفير التي تساعد من جهة على فهم الاساليب الاشتراكية في تنظيم العمل (المنافسة الاشتراكية ، الدعاوة التقنية ، النقاش حول الانتاج)

وتوفر لهم من جهة ثانية تربية مهنية تعدم لاحتلال مركز مفيد في المجتمع بعد الخروج من السجن ، يذكر القانون الجزائري ثلاثة اشكال « للعمل الاصلاحي » (حل هذا التعبير محل تعبير العمل الشاق في السنة ١٩٣٣) : عمل دون حرمان الحرية ، عمل مع تحديد الإقامة ، عمل مع حرمان الحرية في معسكرات العمل . وتنطبق العقوبة الاولى على الاحكام التي لا تتعدى السنة وتنفذ على العموم في مكان العمل العادي او في دائرة محددة الشعاع بالنسبة لمركز الإقامة . وتنفذ عقوبة الاحكام المتراوحة بين سنة وثلاث سنوات في « مراكز الاعتقال العادية » او في معسكرات العمل ، والعقوبة التي تتعدى ثلاث سنوات في معسكر عمل اصلاحي يقوم في منطقة بعيدة من مناطق اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفياتية ؛ وهناك اخيراً « تحديد اقامة مع عمل اصلاحي » لعزل المحكوم عليه عن بيئته السابقة . ويتقاضى المحكوم عليهم الاجر نفسه الذي يتقاضاه العمال التعاقدون المساوون لهم جدارة وكفاءة وانما يحتفظ لهم بنسبة ٥ الى ١٥٪ من هذا الاجر ، ويخضعون لشروط العمل نفسها .

٣ - الديمقراطية الحرة والديموقراطية السوفياتية

كان من نتيجة انقسام العالم الى معسكرين انقسام الرأي ايضاً بحيث لم يبق على الحياد سوى نزر قليل من الناس امام المؤسسات السوفياتية والنظام السوفياتي ؛ وغتضت المجادلات ما قد نتوصل اليه من معرفة بها وما قد نعطيه من تفسير لها ، الا ان مؤلفات علماء الاقتصاد والحقوقيين واصحاب النظريات في العلوم السياسية ، على اختلاف اتجاهاتهم ، تلبح استخلاص مميزات النوعية الاساسية . هو مفهوم « الحرية » ما تدور حوله الانتقادات الموجهة للنظام السوفياتي .

بتأسيسه الحزب الواحد ، الذي يسيطر عليه رجل واحد لا يتميز عن الدولة التي يمسك هو بمراكزها الحساسة ، ويستحيل انتقاد سياسته العامة ، وينحصر فيه حق تقديم المرشحين لانتخابات قد يعتبر الامتناع عن التصويت فيها اعلان معارضة ، ويحتكر كافة وسائل التعبير والدعاوة ، وتؤول فيه المجالس الى مجرد مجالس للتسجيل ، لم يترك النظام السوفياتي لمواطنيه سوى حرية ظاهرية وصورية ، بحيث ان الديمقراطية ليست سوى خديعة . وليست الحرية الفكرية والادبية ما قضي عليها من ثم فحسب ، بل الحياة المادية نفسها التي تعرضت للخطر بفعل ملء سلطة الدولة السوفياتية ، المالكة الوحيدة والمنتجة الوحيدة والموزعة الوحيدة للمواد الاستهلاكية . وبالفعل زادت اشتراكية وسائل الانتساج من قوة الدولة زيادة عظيمة ، وجعل منها تخطيط الاقتصاد سيادة حياة كافة سكان الاتحاد . وحتى في الحقل الزراعي ، الذي ابقى فيه على « قطاع حر » ، وانعم فيه على المزارع الجماعية « بالتمتع تمتعاً دائماً » بالارض التي تستثمرها ، توفرت للدولة وسيلة تأثير غير مباشرة وحاسمة على الفلاحين ، لان الجرارات

والمعدات الآلية الضرورية الأخرى بقيت ملكاً لها ، وكانت هي التي تحدّد شروط استعمالها في التعاونيات الزراعية . وجملة القول ان « كسب المعيشة منوط بالرأي المستقيم » . لا بل ان أهمية دور الشرطة ، وقوتها ووسائل عملها ، وتمثيل كل معارض به « عدو الشعب » ، قد خلقت هلعاً حقيقياً ، شبيهاً به في البلدان الفاشستية ، يضع النظام السوفيياتي في عداد الانظمة الاستبدادية . فالمواطن ليس حراً ، وكرامته تتهن في كل وقت لانه اصبح آلة في ايدي سلطة قضائية به دونما اية مراعاة للروح الانسانية الاولى ، ولا يتمتع بآية حرية من الحريات المعتبرة ضرورية ، ولا سيما حرية الاجتماع والصحافة والقول ، الخ .

ان تمثيل النظام السوفيياتي بالانظمة الفاشستية على هذه الصورة
النظام السوفيياتي
والمعاشية
يعارضه العديد من اصحاب النظريات في العلوم السياسية . ففي
الدرجة الأولى ، كما اثبت ذلك « دوفرجييه » ، تختلف مصادر
وحيثها الفلسفي اختلافاً اساسياً . فالماركسية تبدو وكأنها مذهب عقلي وعلمي يرتبط بفلسفة
الانوار والايمان بالتقدم . وهي تعلم ان الانسان ، اذا هو لا يولد لا صالحاً ولا شريراً ، يستطيع
ان يتحسن بزوال النظام الرأسمالي ، وان الغد سوف يصبح ، بفضل قيام الاشتراكية ، افضل من
اليوم ، ولا سيما افضل من الامس . وفلسفتها متلاحمة الاجزاء ، تعطي « تفسيراً شاملاً ومتناسقاً
للكون » ، يحمل على التفاؤل حقاً . اما فلسفة الفاشستية فتشاؤمية . العصر الذهبي قد ولى ،
والانسان المطبوع على الشر يجب ان يخضع لرؤساء لا يطلب منهم تأدية حساب للجماهير المحترقة
والمعاجزة ، التي يتوجب عليها الامتثال للمقررات المتخذة دون ارادتها . فامام التعامل الفاشستية
التي تستند الى الابتغاءات الفرزية المخالفة للصواب التي هي ارسوقراطية في جوهرها ، نرى ان
النظام الشيوعي صوابي ومحب للمساواة في مبادئه وفي اهدافه .

اما تركيب الحزب الواحد فينطوي على خلافات جوهرية . فاذا استعانت الاحزاب
الفاشستية بالطبقات الشعبية ، خلال فترة الاستيلاء على السلطة ، واذا هي افلحت في ضم جماهير
عمالية وقروية هامة ، فان سياستها تكون محافظة بعد استلام زمام السلطة ، وقد استندت
اصحها فاكثراً ، في الدرجة الاولى ، الى الطبقات المتوسطة والغنية . ثم ان انتخاب المسؤولين ،
في حياة الحزب الداخلية ، قاعدة قانونية في الحزب الشيوعي ، بينما يعين المسؤولون في الاحزاب
الفاشستية من قبل السلطة العليا . اما دور خلايا الحزب ، فيينا هو ازداد شأناً في الاتحاد
السوفيياتي الى جانب الدولة وفي داخلها ، وازداد النقاش فيها حدّة ، نرى ان تأثير الجماعات
الحزبية المنظمة في ايطاليا والمانيا قد تضاعف بسرعة كلية .

ونرى أخيراً ان الاختلاف عظيم جداً في اختيار اعضاء الحزب ايضاً . فقد وقفت الاحزاب
الفاشستية موقفاً حذراً من اللامبالين والعاديين النشاط الذين لم يلتحقوا بها قبل استلام السلطة ،
ورفضت كل طلب انضمام جديد (في السنة ١٩٢٥ في ايطاليا ، وبعد السنة ١٩٣٣ في المانيا) ،
باستثناء انضمام الشباب الذين كانت تقدمهم في جماعات الـ «باليل» والطلائع والـ «هتلر جوجند» .

اما الحزب الشيوعي السوفيياتي فقد محض المواطنين ثقته وفتح ذراعيه لا للكومسومول فحسب ، بل لكل مواطن تتوفر فيه شروط تقديم الطلب والتمرس التي خففت تخفيفاً مستمراً ، لا سيما في السنة ١٩٣٩ . لذلك اهتمت الاحزاب الفاشستية عن الامة والفت طبقة مقفلة ذات امتيازات ، بينما وسع الحزب الشيوعي يوماً بعد يوم عملية اختيار خاصته . ويرد ذلك الى ان دور الحزب قد نُظر اليه نظرة مختلفة في كل من النظامين . ففي البلدان الفاشستية ، تسلم النظام السلطنة بفضل ردة فعل الطبقات المتوسطة والبرجوازية امام خطر البروليتاريا . وعلى الرغم من ان الكلام تناول « الثورة المستمرة » احياناً ، فان وظيفته كانت وظيفة محافظة حقاً . والغاية المنشودة هي تمكين التركيب الاقتصادي والاجتماعي الراهن ، والابقاء عليه بعد اصلاحه . وعلى الحزب ان يراعي المصالح الكبرى والجيش الذي تنخرط فيه جماهير المنظمة والمسلحة . ويفسر هذا التطور الرجعي سرعة التنفيذ ، وطرد او تقتيل العناصر البروليتارية وانصار « ثورة ثانية » محتملة . اما في الاتحاد السوفيياتي فوظيفة الحزب هي المساعدة على تطوير المجتمع والاقتصاد والحؤول دون التوقف والجمود بشحن العزائم ومقاومة التبارد واللامبالاة وشرح الحاجة الى الاصلاحات والتضحيات . وعلى الرغم من ان الدستور السوفيياتي لم يخص الحزب الشيوعي بمركز كبير فان دوره قد تعاظم يوماً بعد يوم ، والانتماء اليه قد سهل تسهلاً مستمراً .

يفسر هذا الاختلاف كذلك طابع السياسة الخارجية في كل من النظامين . فبينما رفض الحزب الفاشستي تحقيق تطور داخلي ووجه الطاقات القومية شطر الفتوحات الخارجية ولم يحافظ على النظام الا بسياسة نفوذ لاحتها الاستفزات وسداها اعمال القوة ، استخدم النظام السوفيياتي كافة موارده وطاقاته في تطوير المجتمع والاقتصاد وانتهج سياسة مسالمة لأنه كان بحاجة الى الهدوء لتحقيق هذا التطوير . اضيف الى ذلك اخيراً ان الدكتاتورية السوفيياتية لم تظهر يوماً بمظهر نظام سياسي نهائي يحل ، « لمدة الف سنة » ، محل الديمقراطية الفاسدة . فهي وسيلة لا غاية ، وقد صرحت بانها انتقالية ومعدة للتواري حين تزول الاخطار الداخلية والخارجية ، وحين ينهي النظام مرحلة الاشتراكية الحالية التي هي « طور الشيوعية الأدنى » ويدخل « طوره الأعلى » الذي تتلاشى فيه الدولة وتنتهي الى الزوال .

هل ان النظام السوفيياتي « مثال الديمقراطية الحققة » ام انه الديمقراطية السوفيياتية
دكتاتورية لا وجود للحرية فيها « في الحقول الهامة » ؟ ان السيد

« فيديل » ، بعد تحليله المستفيض لحجج الخصوم والانصار قد خلص الى القول :

« من المبعث البحث في مفهوم الديمقراطية بالذات عن المقياس الذي يتيح اصدار الحكم في الرأيين المتقابلين . فكلاما صحيح من وجهة نظر الديمقراطية فقط . وكلاما يتولد عن الاندفاع نحو الحرية الذي هو المنور العميق لكل ابتغاء ديمقراطي » .

واضاف الى ذلك قوله :

« ان ثنويتها وتضادها يعزبان كلياً الى ثنوية مفاهيم العالم التي تنكسران عبرهما ... وان مقياس صحتها او

بطلانها ... يفتح الباب امام فلسفة اسانية ومذهب يتناولان الكون » .

يمكن ان نجد ايضاح المعنى السوفيياتي لكلمة الديمقراطية في شرح ستالين لدستور السنة ١٩٣٦ :

« ما هي الديمقراطية ؟ ان الديمقراطية في البلدان الرأسمالية ، حيث توجد طبقات متخصصة ، هي باختصار ديمقراطية الاقوياء ، وديموقراطية الاقلية الحاكمة . اما في الاتحاد السوفيياتي فالديموقراطية هي ديمقراطية العمال ، اي ديمقراطية الجميع » .

وفي شرح احد الحقوقين السوفييات :

« ان البلاد التي يبطل فيها استثمار الانسان للانسان ؛ والتي تتوفر فيها المساواة السياسية ، والاقتصادية ايضاً ، لكافة المواطنين ؛ والتي لا تعلن فيها الحريات الديمقراطية رسمياً او قانوناً فعصب ، بل تؤمن عملياً بالظروف المادية للحياة الاجتماعية ؛ والتي ليست مساواة الشعوب فيها كلمة كاذبة ولا تزول فيها صداقتها ، ان هذه البلاد قد قطعت لعمري شوطاً بعيداً على طريق الديمقراطية . فالديموقراطية قبل ان تكون مبدأ سياسياً من مبادئ الحكم هي نظام اقتصادي اجتماعي يحدد واقع النظام السياسي ، ولا يمكن ان تلحيز الديمقراطية الا في مجتمع خال من الطبقات يوجد وحده ظروف تفتح الفرد » .

تظهر هذه النصوص ان الاتحاد السوفيياتي يشدد على « الشروط الموضوعية للحريّة » . ويأتي بعض الضوء عليها الحديث الذي نقله « وندل ولكي » المنافس الجمهوري الفاشل لـ « ف. د. روزفلت » . فهو قد لفت في السنة ١٩٤١ نظر رئيس مصلحة في احد المصانع السوفيياتية الى انه لا يمكن ان يكون حراً حقاً ما دام يعترف بانه لا يستطيع لا التعبير ولا الدفاع عن آراء غير آراء الحكومة ، فسمع منه الجواب التالي :

« انك لا تفهم مني ، ايها السيد ولكي . انا اتمتع بحرية لم يعرفها ابي وجدي قط . فلم يسمح لهما بتعلم القراءة والكتابة . وكنا عبيدين مرتبطين بالارض . وحين كنا مصابون بمرض لم يكن هناك مستشفى للاعتناء بهما . انا اول شخص في سلسلة جردودي الطويلة استطاع التعلم والتقدم والوصول الى نتيجة ما . هذه هي حريتي . واعلمك ان تعترف بأنها الحرية . ولكن يجب ألا تنسى اننا ما زلنا في اول عهد نظامنا . فسوف يأتي يوم نتمتع فيه نحن ايضاً بالحرية السياسية » .

وكما يلاحظ « م. س. ستلنغ - ميشو » ، الذي ننقل عنه هذه النصوص ، ان « الحرية » ، في نظر السوفييات ، تقوم في جوهرها في الانتماء الاقتصادي والاجتماعي ، في « التحرر من الاستثمار » . وهكذا فان المعسكرين يقصدان خدمة حرية الانسان ولكنها ينفذان قصدهما بطريقتين مختلفتين . فبزوال الطبقات زال مبرر تعدد الاحزاب ، اذ ان زوال كل مصلحة طبقية يستتبع آلياً زوال الخلافات السياسية . ولذلك لا تشمل حرية تأسيس الشركات الاحزاب السياسية ولا تتعلق الا بالمؤسسات الاجتماعية . وكذلك فان حرية الرأي واقع رامن ، ولكنها لا تبرز بقيام الاحزاب السياسية . ان المناقشة حامية في داخل الحزب وحول المسائل التي يواجهها نشاط الحزب . وانما تنتقد ادارة الحكم والموظفين في خملات المشاريع والنقابات والصحف ، وطبيعي في النهاية ان تنصاع الاقلية لقرار الاكثرية كما هي الحال في كافة

الديموقراطيات الاخرى . اصف الى ذلك من جهة ثانية ان الديمقراطية موجودة هنا في نطاق هي غريبة عنه في البلاد الرأسمالية : في التعاونيات الزراعية ، في المصنع ، حيث لا يتولى ادارة المشروع مالك واحد حر التصرف في عمله وقادر على ايقاف استثماره وحتى اقفاله اذا استصوب ذلك . والرقابة العمالية هنا رقابة فعلية وتمارس في كل آن ، لا سيما وان انتفاء مفهوم الكسب يسهل البحث عن الخير العام ؛ فيصبح الاضراب في مثل هذا التنظيم امراً غير وارد لا يمكن تصوره . وهو هذا المبدأ نفسه ما وضع في ايدي الدولة كل اجهزة الدعاوة : التعليم ، والكتب ، والصحافة ، والسينما ، والاذاعة ، التي تشرف عليها ، في البلدان الرأسمالية ، الصوالح الخاصة سيده الاقتصاد .

فهل ان النظام السوفيياتي كما كتب « هـ . لاسكي » ، ليس سوى مجتمع ديمقراطي تحكمه دكتاتورية ؟ على هذا السؤال يجيب انصاره ان الدكتاتورية كانت ولا تزال حاجة ملحة . افلا يعترف فلاسفة الديمقراطية باستحالة تجنب فترة تكون فيها الدكتاتورية امراً ضرورياً ؟ وقد شدد « جون مولتون موري » على :

« ان اشتراكية مصادرة الاملاك الشاملة والحكومة البرلمانية ... امران متناقضان لسبب بسيط هو ان التبدلات في النظام الاجتماعي ترتدي طابعاً من الصرامة لا نستطيع معه ، من الوجهة البشرية ، توقع تسليم الانكسارية بها ، حتى اذا جمعت مثل هذه الاشتراكية حولها اكثرية برلمانية » .

ويلاحظ « ف . غوغيل » :

« ان الديمقراطية لم تقم في اي مكان ... حتى في بريطانيا العظمى والولايات المتحدة ، بدون منازعات وبدون اقصاء بعض الفئات الاجتماعية عن الحياة السياسية اقصاء مؤقتاً على الاقل » .

كان من شأن حرية النقابات والاضراب من اجل تحسين الاجور كلما تزايد الانتاج ان يعرضه للخطر تنفيذ الخطط الخمسية ، ولا سيما تقديم الصناعة الثقيلة على المواد الاستهلاكية ، اي المستقبل كله .

النظام « متلاحم ومتماسك منطقياً انطلاقاً من المقدمات الماركسية » ، كما يلاحظ ذلك حقوقي آخر ، هو « مارسيل والين » ، الذي يضيف الى ذلك قوله : « من الصعب عدم الاعتراف بان الماركسي قد يكون حسن النية عندما يدعي بأنه ديمقراطي » . فالمسألة تتناول في النهاية مفهوم العالم في نظرنا ، والماركسية تقترح ، في وجه المذاهب الحرة ، مذهباً كاملاً يستطيع ، كما يعتقد ممثلوها ، حل « كافة المناقضات بين كل شخص والاشخاص الآخرين ، بين الفرد والمجتمع ، ويكون اتحاداً في الحق والسعادة » .

« قد تنفي الديمقراطية الماركسية عن نفسها صفة احتكار السلطة ، لان احتكار السلطة هو استعباد الانسان للاهواء والصوالح الخاصة . ولكن المجتمع الماركسي احتكاري حقاً لان شيئاً مما هو انساني ليس غريباً عنه . انه تفسير كامل وحي للانسان والعالم » . (ج . فيديل) .

٤ - قوة النظام والمعارضة

تحقق تدعيم النظام بفضل احراز الاقتصاد الجديد نجاحات شاملة اتاحت تحسن مستوى معيشة المواطنين تحسناً تدريجياً ، وبفضل جمع كافة السلطات في ايدي الحزب الواحد والحكومة التي لا يتميز الحزب عنها والتي توفرت لها كافة الوسائل اللازمة لمراقبة كل نشاط عدائي وقمعه بصرامة . وتحقق كذلك بفضل انتهاز سياسة كريمة حيال القوميات ازالته كافة آثار النظام القديم الاستعماري بتأمينها المساواة الفعلية بين الحاكمين القدماء والمحكومين القدماء . ولكن هذه العوامل ما كانت لتخلق امة سوفياتية وتضمن المستقبل لو لم تشترك معها عوامل اخرى ، وبخاصة التوجيه الماركسي اللينيني في التعليم والصحافة والاذاعة والسينما ، ودأب هذه الاجهزة على استمالة السكان الى النظام وعلى اقناعهم بانهم يعيشون في ظل نظام اكثر موافقة من النظام القديم ، مما كانت الاخطاء وخيبات الامل الناجمة عنها ، وعلى حملهم على الدفاع عنه ضد الهجمات الداخلية والخارجية ووعدهم بمستقبل افضل اكيد .

الانسان الجديد
ابتدع النظام البلشفيكي انساناً جديداً . فعلى غرار الثورة الفرنسية من ذي قبل ، فتحت الثورة الروسية ، بتوسيعها قواعد المجتمع ، حق عمل فسيحاً وغير مؤتمل امام المواهب والقابليات . وحررت الطاقات الجديدة ، المهمة والمكبوتة حتى ذاك التاريخ ، الكامنة في شعب يحاوز المائة مليون نسمة عدداً ، والمؤلفة احتياطياً كبيراً من « الاهليات لكافة المهام الممكنة » . فليس زعماء الثورة ، لينين وتروتسكي وستالين ومولوتوف ... وحدهم من كان مقدراً لهم بدونها ان يبقوا « منفين حزانى » او « متآمرين مغمورين » ، ومن كشفت الظروف كفاءاتهم القيادية ، او قيادة الجيش والضباط الادنون وصفوف الضباط والجنود العاديين والعمال ، الذين اصبحوا في وقت قصير قادة الجيش الاحمر الشبان ، بل عدد كبير من الافراد الموزعين على كافة انحاء البلاد الذين « اكتشفوا قدرتهم على النشاط الخلاق الذي لم تسمح الظروف السابقة بافتراس وجوده ... فمنذ السنة ١٩١٧ ، ربما لم توجد قرية واحدة في الاتحاد السوفياتي لم تنتج ، في اطار حاجاتها الخاصة ، احد امثال « هامبدن » القادرين على الاهابة بها الى بذل جهود لم تكن تتصور قدرتها عليها من ذي قبل ، (هـ . لاسكي) .

ان الانسان السوفياتي الجديد ، المختلف كل الاختلاف عن الفلاح الروسي القديم ، قد تكوّن في اثناء معارك الحرب الاهلية والتدخل الاجنبي ، وخلال سنوات الجهود الطويلة التي فرضتها اعادة اعمار البلاد وتحقيق الخطط الخمسية . واتجهت التربية التي اكتسبها بفضل المدرسة والكومسومول والجيش الاحمر والصحافة والسينما والاذاعة والادب الى تنمية الشعور فيه بان « المجتمع الجديد لا يمكن ان يبنى الا بالتحاد كافة طاقات الشعب الحية » ، وبان « نعمل الانسان

الشخصية مرتبطة بالازدهار الاجتماعي ، وبأن الشخص لا يستطيع الافادة افادة كلية من قابلياته المختلفة الا في المجتمع فقط .

منذ السنة ١٩٣٦ ، تألفت اكثرية الشعب السوفيياتي من اناس لم يعرفوا قط النظام القديم أو لم يحفظوا عنه سوى ذكرى بعيدة ، وترعرعت في هذا الجو الحماسي الذي خلقت له الثورة ، مقتنعة بان الحياة الجديدة لن تكون الا اكثر جمالاً يوماً بعد يوم وافر ارضاء يوماً بعد يوم ، ولم يثر المستقبل مخاوفها ، ولا سيما من زيادة الانتاج ، لانها على يقين بان المستقبل سوف يكون افضل سنة بعد سنة . وسيظهر الاثر العميق للتربية الاخلاقية السوفيائية هذه في الحرب ضد المانيا وفي سنوات اعادة بناء البلاد الصعبة .

الجيش الأحمر بغية مواجهة الحرب الأهلية والتدخل الاجنبي ، توجب على النظام الجديد انشاء جيش مخلص وقوي . وكان عليه ، في هذه المهمة ، ان يتغلب على الصعوبات نفسها التي قامت في وجه الثورة الفرنسية . ففي شهر تشرين الاول من السنة ١٩١٧ ، حل محل الجيش القديم ، السائر بخطى سريعة في طريق الانحلال ، جيش اشترافي اختير افراده عن طريق التطوع : « جيش العمال والفلاحين الاحمر » المؤلف من « عناصر الطبقات المجددة والمنظمة » المتأثرة اكثر من غيرها بالروح الطبقيية . فبعثت النتائج غيبة للآمال ، ان لجهة عدد المتطوعين (اقل من ٣٠٠ ٠٠٠ في شهر ايار من السنة ١٩١٨) ، وان لجهة الانضباط . لذلك ادخل تروتسكي اصلاحات حازمة منذ شهر اذار من السنة ١٩١٨ : انشاء سلطة عسكرية مركزية ، خدمة عسكرية الزامية وقيد اسماء الشبان البالغين سن الخدمة العسكرية ما بين السنة ١٩٢١ والسنة ١٩٢٥ في المناطق الغربية التي يهددها الجيش الابيض . وأبطل انتخاب الضباط منذ صيف السنة ١٩١٨ ، وانزلت عقوبات صارمة بالفارين والمتعربين . واخيراً بذلت جهود كبرى لاستخدام قادة الجيش القيصري القديم ريثما يتوفر للجيش الاحمر اعداد ضباط يحضهم ثقته الكاملة . الا ان الحكومة ، التي لم تغتر بدقة واحدة باخلاص هؤلاء الضباط ، عينت في مختلف الوحدات مفوضين يمثلون النظام رغبة منها في استدراك الحياتات واعمال التخريب ، وتربية المهندسين الجدد تربية سياسية . واسندت ادارة العمليات الحربية للقيادة ؛ ولكن الاوامر والتقارير يجب ان تحصل توقيع المفوض . واستدعي كذلك صفوف ضباط الجيش القديم (٢١٥٠٠٠) الذين رفعوا الى رتب ضباط ، وانشئت مراكز تدريب تعلم ، خلال اشهر معدودة ، ضباط الغد المنحدرين من عائلات عمالية قروية . فارتفعت نسبة الشيوعيين بين الضباط من ٥٤ ٪ في السنة ١٩١٩ الى ٦٥ ٪ في السنة ١٩٢١ ، ووضمت الى الوحدات ، ولا سيما وحدات الاصطدام ، فرق جديدة هامة من المهندسين الشيوعيين . وهي هذه الوحدات ، مع المفوضين والضباط الشيوعيين ، ما لفت ، بحسب تعبير تروتسكي ، « طائفة شيوعية جديدة من الساموراي يهرقت ، بدون اي امتياز طبقي ، كيف تموت وعلمت الآخرين كيف يموتون من اجل قضية الطبقة العمالية » . وحين قضى البلشفيك ، في ربيع السنة ١٩٢١ ، على الجيوش

البيضاء وارغموا الحلفاء على الانسحاب ، كان قد برز جيل جديد من القادة العسكريين الهنكيين ضم ضباطاً قدماء (شابوشنيكوف ، كامنيف ، توكاتشفسكي) او صفوف ضباط قدماء (فوروشيلوف ، تيموشنكو ، بلوشر ، بودينسي ، ايجوروف) ، او مدنيين (فرونزيه) . اما الضباط المنحدرون من اصل قروي وعمالي ، الذين اتوا اعمالاً بطولية خلال الحرب الأهلية ، فقد حصلوا في الاكاديميات العسكرية الدروس التي اتاحت لهم بلوغ الرتب العليا ، ولم يبق في الخدمة ، في السنة ١٩٣٠ ، سوى عدة مئات من ضباط الجيش القديم (١٠٪ من الضباط مقابل ٧٨٪ في السنة ١٩١٨) ؛ وفي السنة ١٩٣١ كان ٥١٪ من الضباط اعضاء في الحزب الشيوعي . وارتفعت هذه النسبة الى ٦٨,٣٪ في السنة ١٩٣٤ . ومنذ السنة ١٩٢٨ ، كانت هذه حال ٥٣,٦٪ من قادة الفرق ، و ٧١,٩٪ من قادة الفيلق و ١٠٠٪ من قادة الجيوش . وقد قلل تزايد العنصر الامين هذا في المراتب العليا من شأن دور المفوضين الذي المحصر في تربية المهندسين السياسية والمعنوية . ولكن سلطتهم توسعت مجدداً في اعقاب عملية تطهير كبار الضباط ، التي اجريت في السنة ١٩٣٧ ، ورفعت في الوقت نفسه ضباط الصف الثاني ، الاوفياء للحزب والواقفون على التقنيات المصرية ، الذين احتلوا المراكز الشاغرة الهامة .

كانت الحكومة السوفياتية ، وهي حكومة ثورية لمحقق بها الاخطار
الشرطة والقضاء السياسي
من الداخل والخارج على السواء ، اعجز من ان تستمر وتنتصر بدون
دكتاتورية ، وكانت هذه اعجز من ان تقوم بعمل مجد بدون مساعدة
شرطة ناشطة تمارس رقابتها في كافة الاوساط وفي كافة أنحاء البلاد . وهو ستالين من شرح هذا
الوضع ، في السنة ١٩٢٧ ، لوفد من العمال الاجانب :

« نحن بلاد تحيط بها الدول الرأسمالية . واعضاء ثورتنا في الداخل هم عملاء رأسماليي كافة البلدان ... ، بحاربتهم نحارب العناصر الرجعية في كافة البلدان ... ، وما دام هناك تطويق رأسمالي ، فسوف يكون هناك مخربون ومنفذو اعمال جانبية وجواسيس وارهابيون آتون من وراء حدود الاتحاد السوفياتي لخدمة دوائر التجسس في الدول الأجنبية ... لا ، ايها الرفاق ، يجب الا ترتكب الاخطاء التي ارتكبتها الشوار الباريسيون في السنة ١٨٧١ . ان جهاز الشرطة السياسية في الدولة ضروري للثورة وسوف نبقى عليه لارهاب اعداء البروليتاريا » .

نظم جهاز الشرطة السياسية (G.P.U. ، ثم O.G.P.U. ، ثم N.K.V.D. — اي مفوضية الشعب للشؤون الخارجية — في السنة ١٩٣٤) في السنة ١٩٢٢ في اعقاب الثورة الاهلية ، ومارس نشاطه في اثناء السياسة الاقتصادية الجديدة ضد انصار النظام القديم وممثلي الطبقات الحاكمة القديمة ، وضد « السياسيين » : المنشفيك ، والاشتراكيون الثوريون ، والفوضيون . وعند البدء بتنفيذ الخطط الخمسية ، تناول نشاطه المعتكرين والكولاك وكافة مقيمي العقبات في طريق التصنيع والمنسوب اليهم « تخريب » الانتاج : كاختصاصيي الصناعات الغذائية الـ ٨ الذين ادينوا في خريف سنة ١٩٣٠ ، ومهندسي « الحزب الصناعي » في موسكو الذين حوكموا في شهر كانون الاول وعفي عنهم في السنة التالية . وحتى اوائل السنة ١٩٣٥ انزلت العقوبات

الصارمة : كالحكم بالموت الذي ابقى عليه في الشؤون السياسية ، والنفي الى معسكرات المناطق المتجمدة وسيبيريا ، بنهاضي الثورة من محتكرين وكولاك بصورة خاصة ؛ اما المعارضون الخارجون من صفوف الحزب فقد استفادوا من قانون غير صارم شبيه بالقانون « السياسي » في السجون الغربية ، ولكن هذه المعاملة زالت بعد مقتل كيروف الذي يبدو انه زاد من حذر ستالين .

المعارضة
كان النظام مقتنعاً بان الرأسمالية مصممة منذ السنة ١٩١٧ على تفويض الدولة الاشتراكية الجديدة ، ثم ايد مخاوفه هذه التدخل الاجنبي والمساعدة المقدمة للمهاجرين ومشاريعهم من قبل الحكومات الاجنبية وتهديدات الصحافة والعديد من الشخصيات العسكرية والمدنية الاجنبية ، فرأى طبعاً في كافة مظاهر المعارضة والمؤامرات و« اعمال التخريب » اثر التدخل الاجنبي . فاتهم كل معارض بانه متواطئ مع الاجنبي واداة في يديه ، وهذا ما يفسر ضراوة المنازعات والقمع الذي لم يعرف للرحمة معنى .

ان زوال معظم الطبقات الحاكمة القديمة لم يقض على كل معارضة . فان بعض ممثليها بمن بقوا في الارض السوفياتية قد ظهروا علانية مرة اخرى خلال سنوات السياسة الاقتصادية الجديدة ، ولكنهم ما لبثوا ان تواروا امام المحتكرين . اما معارضة الكولاك والمقاومة الريفية في اوائل عهد التأميم فكانتا اعظم شأناً الى حد بعيد . وقد تحيزتا بثورات مسلحة قمعت دونما صعوبة بتدابير التوقيف والنفي ، وبمقاومة انشاء التعاونيات الزراعية (كما يصفها شولوكوف في روايته « الاراضي الحية ») في العلى او في الخفاء ، وبتخفيض مساحة اراضي زراعة الحبوب ، ولا سيما بمجزرة المواشي التي ربما قضت بين السنة ١٩٢٩ والسنة ١٩٣٣ على نصف الخيول و٣٠ مليون ماشية كبرى و١٠٠ مليون خروف ، مما سيستلزم عشر سنوات لبلوغ ارقام السنة ١٩٢٩ مرة اخرى .

المعارضة
وقامت هناك معارضة اخرى ، شديدة الخطر على النظام ، هي التي تكونت في داخل الحزب
في داخل الحزب
فان الخلاف الذي طالما نشب منذ السنة ١٩١٧ بين تروتسكي ولينين قد اتسع خرقه حين هاجم تروتسكي السياسة الاقتصادية الجديدة وكأنها استسلام امام الرأسماليين ، ثم بعد وفاة لينين حين تجابه الرأيان المتناقضان حول توجيه سياسة الاتحاد : الرأي التروتسكي القائل بالثورة المستمرة ، والرأي القائل بالثورة الاشتراكية في بلاد واحدة ، الذي دافع عنه ستالين . وخلال خمس سنوات قاوم ستالين « ثالث » تروتسكي وزيموفياف وكامينيف ، فتجابه الجناحان في اجهزة الحزب المختلفة والصحافة والمؤتمرات الى ان قرر النصر الستاليني تحقيق الاشتراكية في بلاد واحدة ، ومن ثم ، التخلي عن السياسة الاقتصادية الجديدة ، وتأميم الارياض ، والتصنيع بواسطة الخطط الخمسية . فنفي تروتسكي الى « الما آتا » واقصي اخيراً عن الاتحاد السوفياتي في شهر كانون الثاني من السنة ١٩٢٩ . وفي السنة ١٩٣٠ قضى كذلك

على معارضة بوخارين اليمينية المعادية لتأميم الارياض . ومنذ ذاك التاريخ لم تبرز المعارضة الا بأعمال التخريب وسلبية الاختصاصيين الذين كانوا يتحسرون على النظام القديم ، والذين بقوا على اتصال باوساط الهجرة .

في حقلين آخرين - تشدما الروابط في اغلب الاحيان - اصطدم النظام
المقارمة الدينية
بين آن وآخر بمعارضة عنيفة جداً : الحقل الديني وحقل القوميات . لقد
والقومية
كانت الكنيسة الارثوذكسية حليفة السلطة المطلقة ، فقدت بسبب
الثورة امتيازات فخرية ومادية كثيرة ؛ واذا هي استعادت حقها في اختيار بطريرك ، فانها
قد فقدت ممتلكاتها ودورها السياسي وخشيت خطر حكم ينادي بالاحاد رسمياً ؛ فاستهلت ،
في اثناء ولاية البطريرك تيمخون ، صراعاً عنيداً ضد النظام الجديد ، وحرمت الزعماء الشيوعيين
وحرابت سياستهم بعزم وقوة . فأجاب النظام بفصل الكنيسة عن الدولة فصلاً مطلقاً ،
وبعدد من التدابير التي زادت اكثر فأكثر من عزلة الكنيسة وأقصتها عن كل حياة سياسية ؛
اقرار الحالة المدنية ، وحرمان الكهنة من الحقوق المدنية ، وفي السنة ١٩٢١ ، حظر تعليم
الشبيبة تعليماً دينياً ، الا بصفة خاصة ، وتعليم مضاد للدين في المدارس والكتيب المدرسية ،
والغاء كل ادب ديني ، واقفال مراكز التعليم الكنسي ، ومصادرة ادوات العبادة ... ولم
يسمح عملياً الا بالاحتفالات الدينية . فقد طورد الرهبان والكهنة والقي القبض عليهم ، بحجة
مخالفة منع التعليم في اغلب الاحيان . وفي السنة ١٩٢٥ ، تأسست « عصابة الملحدون المناضلين »
التي استهدفت دعاوتها الناشطة نشر احتقار الدين وتقويض سلطة الكنيسة التسلطية . وتولت
بعض المتاحف اللادينية ، والصحافة ، والاعلان ، مهاجمة الظلامية والخرافات الدينية ، ونشر
التعاليم المادية . وعلى غرار ما حدث اثناء الثورة الفرنسية ، قاطع شطر من الكليروس كافة
القوى المناهضة للثورة وأسس « الكنيسة الحية » التي سمح لها بعقد ثلاثة مجامع . وفي السنة
١٩٢٧ اخيراً ، أوصى رئيس الاساقفة سرجيوس رعاياه بالوقوف موقفاً مخلصاً من الدولة وأمر
باقامة الصلوات من اجل البلاد والحكومة . فأثارت هذه المصالحة للكنيسة ان تعيش كمؤسسة
خاصة في ظل حرية الضمير التي ينادي بها الدستور . اجل لقد استمرت الدعاوة المضادة للدين ،
ولكن قوتها تضائلت كلما تضائل الخطر على الثورة وكلما اعربت الاجيال الجديدة المؤمنة
عن موالاتها ؛ ثم اعاد دستور السنة ١٩٣٦ الحقوق المدنية للكليروس ؛ ويشير احصاء يعود
الى السنة ١٩٤١ الى وجود ٣٠ ٠٠٠ جمعية دينية مختلفة ، و ٨٣٣٨ مكان عبادة مسموحاً بها
منها ٤٢٢٥ كنيسة ارثوذكسية (مقابل ٤٦٤٥٧ في السنة ١٩١٧) ، و ٨٧٦٥ كاهناً ارثوذكسياً
وشماساً (مقابل ٦٦١٧٠) ، و ٣٨ ديراً (مقابل ١٠٢٦) .

بينما كان السبب الرئيسي للنزاع مع الكنيسة الارثوذكسية تحالف الكنيسة مع الطبقات
الحاكمة القديمة ، كان السبب الرئيسي للنزاع بين الحكومة السوفياتية والسكان المسلمين التحالف
الوثيق بين المسلمين والحركات القومية المحلية ، وتناول الاصلاحات العصرية التقاليد الدينية

بصورة حتمية بسبب ارتباط الحياة المدنية والحياة الدينية ارتباطاً وثيقاً . فعولج الوضع في البدء بمزيد من الإدارة ، وتأخرت العلنة عنها في أوروبا ، وبقي التعليم القرآني مسموحاً به حتى السنة ١٩٢٨ : لم تؤمم الممتلكات الوقفية الا في هذا التاريخ . وكانت نتيجة المقاومة التي جمعت بين القوميين الانفصاليين من ذوي النزعات الطورانية الشاملة وبين العناصر الدينية في جميعيات مناهضة للثورة تحت الستار الديني (شوري الاسلام) اثاره نزاع على جانب كبير من الخطورة ، فردت الحكومة بقوة بتشجيعها الدهاوة المضادة للدين : سخر المسرح والسينما من اولياء الاسلام ومن الاعياد الدينية ، ثم ابدت عصبية « الله - زيسلاف » ، وهي احد فروع عصبية الملحددين التي تأسست في السنة ١٩٢٥ ، نشاطاً كبيراً وواسعاً جداً ، فاقفل ٨٠٠٠ جامع والمدارس القرآنية في الجمهوريتين القزمية والبشكيرية ، و ٥٠٠ جامع في مناطق القفقاس الشمالية ، وطورد الخاتون . وفي السنة ١٩٣٨ ، بدت الحركة الطورانية الشاملة مشلولة ، وماتى الدين الروح المصرية وبات اكثر مرونة ، وسلم على ما يبدو بمنع تعدد الزوجات وزواج القصر ، وبحرية النساء في الخروج من منازلهن ، فتوقفت من ثم الحملة الهادفة الى محاربة الدين الاسلامي ، والدهاوة المضادة للدين . الا ان التقاليد والعادات الموروثة عرفت البقاء بالرغم من القانون واستفادت من حلم سلطات محلية كثيرة : فما زال تعدد الزوجات ، وارغام القاصرات على الزواج ، وارقداء الحجاب ، واقامة النساء في الحرم ، اموراً غير نادرة ، بينما استمرت الروح القومية .

ان المعارضة السياسية او القومية - اقله في أوروبا - لم تظهر الدعوى الكبرى
قط بعد السنة ١٩٣٠ (تاريخ دعوى الانفصاليين الاوكرانيين
في كييف) ، على الرغم من استمرار وجود الفئات المنظمة (١٩٣٦ - ١٩٣٨)
في داخل الحزب حتى السنة ١٩٣٤ . ولكن ذلك لا يعني زوالها ، كما تؤيد ذلك عمليات
التطهير المتكررة التي لم تقص الفاترين والفاستين والمعجزة فحسب ، بل اعداء الفريقين
الحكام ايضاً .

كان مقتل كيروف الذي صادف في الزمن فترة تأزم دولي على جانب كبير من الخطورة ، مثاراً لسلسلة من الدعوى امام المحاكم العسكرية رفعت على زيموفيايف وكامينيف من « مركز ليننغراد » ، في السنة ١٩٣٦ ، ثم على راديك وأحد عشر ممرضاً آخر في شهر كانون الثاني من السنة ١٩٣٧ ، ثم على سبعة قواد والمارشال توكاتشفسكي في تموز ، واخيراً على بوخارين وريكوف وياغودا في شهر آذار من السنة ١٩٣٨ . وقد اتهموا كلهم ، بدرجات مختلفة ، بانهم عملوا بالاتفاق مع عملاء الاجنبي اما على اغتيال ستالين وسحب الزعماء الآخرين ، واما على تهديد الطريق لمجور مسلح على الاتحاد السوفياتي ، واما على اعداد انقلاب عسكري . فاجريت خلال هاتين السنتين عملية تطهير عام تناول عدداً كبيراً جداً من المسؤولين وكبار الموظفين ، ولا سيما في الهيئة الدبلوماسية والادارة الاقتصادية والجيش ومحاكم الحزب ، وقد احدثت

الأحكام الصادرة بالطرد من الحزب والتوقيف والاعدام جواً رهيباً من الضمضة والقنوط ،
وفوضى خطيرة في كافة الإدارات والمصالح ؛ وبعد عزل « اياجوف » اعتمدت تدابير تهدئة
اصلحت الاخطاء والظلمات المرتكبة ، فأخلى سبيل أكثر من ٦٠٠٠ ضابط ومهندس
وموظف ، أو أعيد لهم اعتبارهم .

الخلاصة

مكذا قام في الاتحاد السوفياتي ، خلال سنوات ما بين الحربين ، عالم جديد يختلف عن باقي الإنسانية . ففي ظروف مادية غاية في الصعوبة ، وفي وسط كون معاد كان يرتقب ويرجو كل يوم نهاية النظام ، بنى البلشفيك - دون اية مساعدة خارجية - دولة اقتصادية من المرتبة الاولى . فكان الهدف المعلن للشعب السوفياتي تمويض بخسارة الوقت والتساوي بأعظم الدول : الولايات المتحدة ؛ اجل ما زالت المسافة كبيرة ، في السنة ١٩٣٩ ، بين الجبارين ، ولكن سرعة النمو بعثت اعظم الآمال لمستقبل قريب . فأوجه الشبه بين البلدين كثيرة : الثروة نفسها وتنوع الموارد الطبيعية نفسه ، وتدني نسبة كثافة السكان نفسه ، وحضارة جامهيرية واحدة يحركها الايمان بالتقدم العلمي والتقنية المبيلة على العقل ، و وثقة غير محدودة واحدة في فاعلية تأثير الانسان على البيئة .

وهو هذا التقدم غير الاعتيادي ما يفسر نفوذ الاتحاد السوفياتي في العالم اجمع على الرغم من الحصار الذي فرض عليه ، وعلى الرغم من عزله وانكماشه على نفسه ؛ وهو ما جعل منه نظيراً للولايات المتحدة التي اصبحت زعيمة الدول المتمسكة بالرأسمالية والحرية السياسية . ان المبادئ التي يعمل بوحيتها ويبنها ليست جديدة ما دامت ترقى في معظمها الى كارل ماركس ، ولكن الاتحاد السوفياتي هو ما اخرجها من حقل النظرية ليجعل منها قوة سياسية ، وما جعل تفسير الكون الوارد في الفكرة الماركسية والحلول التي تقترحها امام متناقضات العالم الرأسمالي تنتشر انتشاراً جديداً .

منذ السنة ١٩١٧ ، لم يعد نقد الديمقراطية الحرة نقداً ايديولوجياً امراً يستهان به ، بعد ان انتزع قناعة عقول كثيرة ومصلحين كثيرين . فان مفهوم الاقتصاد المخطط ، الذي اعتُبر خيالاً لفترة طويلة ، قد فرض نفسه على علماء الاقتصاد والسياسيين . وهكذا طرحت المبادئ والامثلة مسائل جديدة وادخلت على انظمة الدول الحرة تعديلات عميقة . وفي الملائق الدولية لم يكن تأثير الاتحاد السوفياتي اقل شأنًا . فان استخدام الدعاية الرسمية ، واحتكار التجارة الخارجية ، قد ارغما الدول المتقابلة على اعتماد وسائل متماثلة او تعديل طرائقها التقليدية .

ولم يكن اقل شأنًا كذلك تأثير الاحزاب الشيوعية الوطنية التي بدلت نشاطها ظروف حياة الدول الغربية وتطورها السياسي تبديلاً عميقاً احياناً . وكان هذا التأثير مباشراً وغير مباشر .

افلم يلاحظ ان حركة فاشستية كانت تولد ابدأ في كل بلاد يوجد فيها حزب شيوعي قوي ؟ اولم
تمزق الخشية من الاتحاد السوفياتي ، في بعض الاوساط ، الوعي الرأسمالي ؟ اولم تدفع هذه
الاورساط الى الوقوف موقفاً معساهلاً من الحركات الفاشستية ؟

في الواقع تطور العالمات المختلفان كل على حدة دونما تخالط تقريباً . فمن جهة ، اشمزاز
ووجوم ودهشة لرؤية قيام واستمرار ونمو نظام اقتصادي وسياسي مبني على مبادئ تعتبر
متنافية والنظام الطبيعي ، وخاطئة ، وحتى غير معقولة ؛ وجزع امام هذا الاستقرار وهذه
القوة المتزايدة النمو من جانب الدول الرأسمالية . ومن جهة ثانية ، قناعة في الاتحاد السوفياتي
بأن المخطاط الرأسمالية المحتوم تستعجله الازمات ، وبأن اشتداد هذه المتناقضات وتزايد عدم
القرار يولدان الاضطرابات ويهددان السلم تهديداً اكثر خطورة يوماً بعد يوم . 'وجاءت عملية
التطهير الكبرى (١٩٣٦ - ١٩٣٨) ، التي تناولت بصورة خاصة القادة العسكريين والمدنيين
المعروفة اسماؤهم واشكالهم خارج الاتحاد السوفياتي ، تمزق فقدان الثقة بدولة بفيضة وتحدث
انطبهاً بأن الاتحاد السوفياتي اقل قوة وركانة مما يمتقد الناس . وهو الخطر المشترك وحده
ما سوف يزيل هذا الاختلاف جزئياً بعد السنة ١٩٤١ .

القسم الثالث

العالم المنقسم

تأثر الأمبراطوريات الاستعمارية

الكتاب الأول

الحرب العالمية الثانية

لم تضعف أوروبا بفعل تأخرها الاقتصادي وحركات التحرر الآخذة في النمو بين الشعوب المسودة فحسب ، بل ضعفت كذلك بفعل الانقسامات العميقة التي أقامت الدول بعضها في وجه بعض . فان الخلافات التي برزت بين المنتصرين في مؤتمر الصلح قد استمرت وتفاقت حين أدى رجحان كفة الانعزالية الاميركية الى اعراض الولايات المتحدة عن كل تعاون دولي فعلي . وازداد « سوء التفاهم الودادي » بين فرنسا وبريطانيا العظمى في المسائل المتعلقة بالشرق ومسائل التعويضات ونزع الاسلحة على السواء . فعمز هذا الانشقاق موقف المطالبين باعادة النظر : المستائين منهم كإيطالييـا ، والمهزومين ، ولا سيما ألمانيا التي توفقت ، على مراحل ، الى تصفية التعويضات ، واستعادت مركزاً من المرتبة الاولى في الدبلوماسية الأوروبية بفضل معاهدة « لوكارنو » .

لم تقس هيئة الأمم محكمة الرقابة العالمية التي حلم بها الرئيس ولسون ، ولم تكن سوى جهاز أوروبي في الدرجة الاولى ، تسيطر عليه الدول الكبرى ، ولا سيما فرنسا وبريطانيا العظمى ؛ وقد برهنت عن عجزها في اقامة التعاون العام التلقائي ضد التعديات . وبقي نشاطها محصوراً في المسائل الصغرى ، بينما عولجت كافة المسائل الهامة بمعزل عنها عن طريق مفاوضات مباشرة بين الدول الكبرى . لذلك فان تقسيم الكرة الأرضية ، الذي تحقّق في معاهدتي السنة ١٩١٩ والسنة ١٩٢٠ ، والذي ما لبثت إيطاليا والاتحاد السوفياتي والبلدان المهزومة ان اعترضت عليه ، لم يرتد طابع الديمومة .

فمنذ السنة ١٩٣٠ ، شقّت الطريق امام الفاتحين ، وُلّخ « وضع قابل الانفجار » بفعل ادعاءات اليابان وإيطاليا اللتين استندتا فيها الى كثافة سكانها المطردة الارتفاع ، وادعاءات الشعب الألماني الآخذ في الاختناق في رقعة ضيقة جداً . وقد يسر نجاحات هذه الدول نفور الحكومات من تنظيم الأمن الجماعي والتسليم بتعاون دولي ضد التعدي ؛ وبرزت حينذاك مثل هذه الاشعة الشمسية : « العقوبات تعني الحرب » ، ويجب « حصر النزاعات » لا توسيعها . ومن جهة ثانية ، رأى شطرها من الرأي العام ، في الدكتاتوريات العسكرية ، هاملاً أساسياً من

عوامل مقاومة الاتحاد السوفياتي ، وكانت مناهضة موسوليني وهتلر للبلشفيكية واحداً من اعظم عناصر نفوذها ؛ يضاف الى ذلك اخيراً ان الخوف من تحول ايطاليا والمانيا الى الشيوعية ، والرغبة في تحاشي استياء اليابان التي قد تهدد مستعمراتهم الآسيوية ، حملاً خصوم هذه الدول على مراعاة جانبها وتجنب تكبيدها هزائم معنوية من شأنها اسقاط حكوماتها .

ومكثاً نجحت اعمال القوة اليابانية في منشوريا والصين ، واحتلال ايطاليا لاثيوبيا ، والتدخل الجرمانى الايطالى في الحرب الاهلية الاسبانية ، وضم النمسا (انشلوس) وتجزئة تشيكوسلوفاكيا (الشكلاڤ ١٠ و ٩) وبالمقابلة تفكك جهاز التحالفات الذي انشأه المنتصرون ، وعزلت تشيكوسلوفاكيا ، فأسرعت بلدان اوروبا الوسطى والشرقية الى انتهاز السياسة التي توافقها : ابتعدت رومانيا ويوغوسلافيا وبولونيا عن فرنسا وولت وجهها شطر ايطاليا والمانيا ، بينما عادت بلجيكا الى انتهاز « سياسة خارجية بلجيكية بحثة » . ثم جاء اسسلام مونيخ الذي تخلى لهتلر عن بوهيميا ، الحصن الامامى للدفاع الروسى ، يقلب التوازن الاوروبى لصالح المانيا ، وينحصر الامن الجماعى ، ويقضى في المهد على التحالف المرتسم بين انكلترا وفرنسا والاتحاد السوفياتي . فكان مقدراً للحرب العالمية الجديدة ، التي اندلعت بعد مرور خمس وعشرين سنة على الحرب الاولى ، ان تستعجل التطور الذي ابتدأ في السنة ١٩١٤ .

الفصل الأول

الحربان العالميتان

« لقد حدث لي مرتين ، في حربين مختلفتين ، يفصل بينهما أكثر من عشرين سنة ، ان سمعت ضابطين من حاملي الشهادات يقولان عن التعليم الذي تلقوه : « ان المدرسة الحربية خدعتنا » .

« مارك بلوك »

طوال فترة الخمس وعشرين سنة هذه ، استوطن القلق والجزع قلوب البشر ؛ ومرد ذلك الى ان الحرب تسلطت على العقول : الحرب التي خيضت بين السنة ١٩١٤ والسنة ١٩١٨ ، وذكرى فظاعاتها وآلامها ، والخشية من تجددها ، وتجدها بالفعل في السنة ١٩٣٩ . فقد كان من شأن ضخامة عدد المهندسين الواقفين في وجه العدو بحكم الخدمة العسكرية الالزامية التي اصبحت شاملة حقاً ، وانقلاب ظروف الحياة الذي عانت منه كافة طبقات المجتمع وكافة بلدان العالم ، واتساع مدى الخسائر في الارواح والثروات التي يمتد بها المنتصرون والمهزومون على السواء تقريباً ، ان الحرب لم تعد ، في حياة الشعوب ، حدثاً هاماً يستعاد النشاط والعافية بعده بسرعة متفاوتة ، بل ارتدت طابع كارثة وطنية لا تسد ثلثتها . وطيلة ما بين الحربين ، غدت قلقلة الاقتصاد ، واضطراب العلاقات الدبلوماسية ، وعنف الادعاءات القومية وحدة المنازعات من اجل ايجاد الاسواق ، والعداء بين العالم الرأسمالي والعالم السوفياتي ، توتراً دبلوماسياً شبه دائم دفع بالدول الى تكريس شطر هام من مواردها لاعداد العدة للحرب ، والى تطبيق اخر ما توصل اليه العلم والتقنية في تعليم جيوشها وتجهيزها . ولذلك حدثت في « فن الحرب » ، واساليب المعركة واستخدام الاسلحة تطورات عميقة غيرت وجه المعركة البرية والمعركة البحرية تغييراً كلياً . وقد اسهمت محاولة الدول الفاشستية اليائسة فرض هيمنتها على العالم في طبع الحرب العالمية الثانية بطابع الحرب الشاملة ، الضارية ، التي تجاوزت مجاوزا بعيدا كل ما شوهد من ذي قبل .

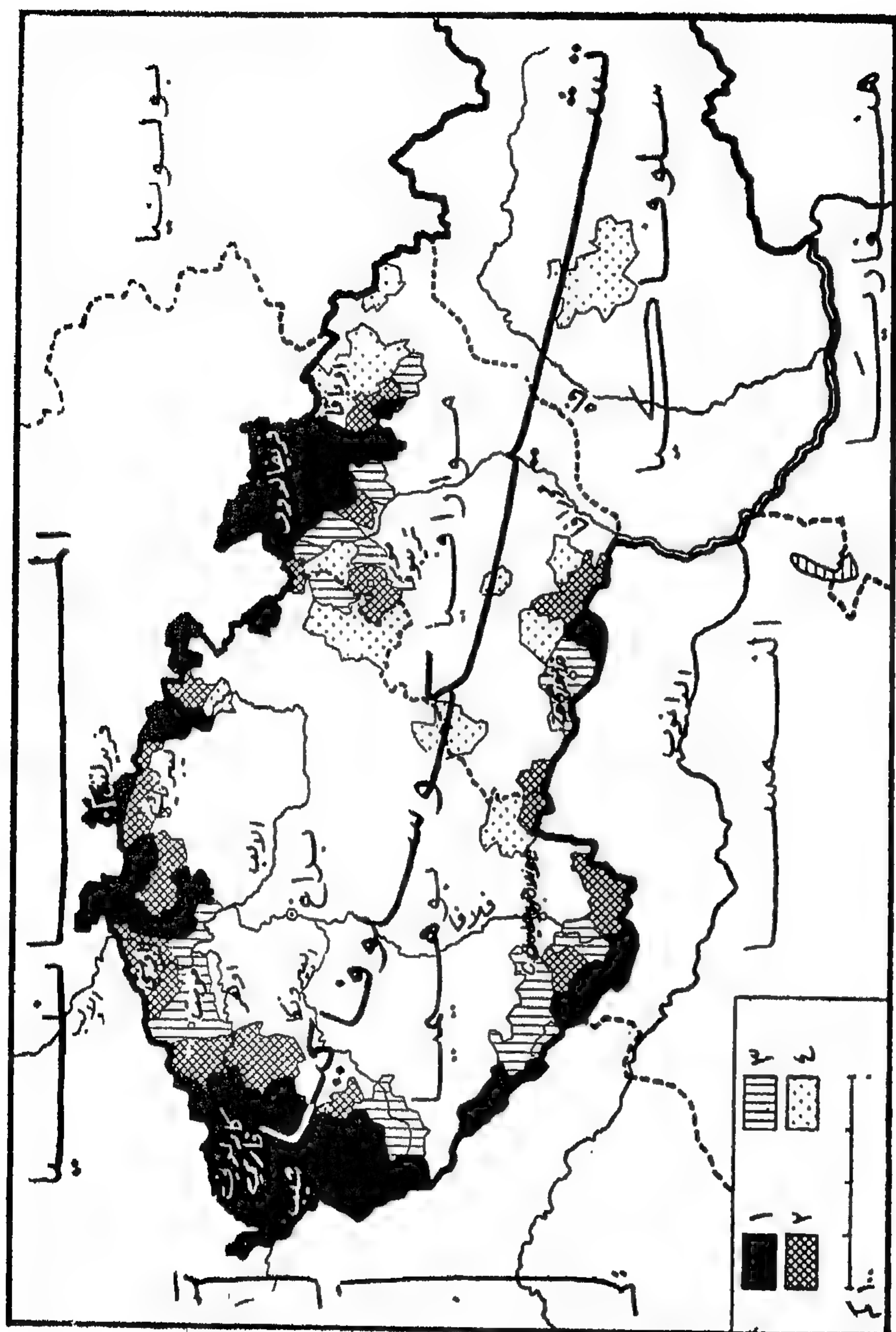
١ - فن الحرب والعدد الحربية خلال الحرب العالمية الاولى

منذ السنة ١٨٧١ لم تحدث نزاعات تقابلت فيها جيوش الدول الكبرى . فلم تتوفر من ثم لاركان حربها ، المسؤولية عن اعداد وادارة العمليات ، خبرة حربية شخصية باستثناء خبرة الغزوات الاستعمارية في بعض البلدان . وقد استوحيت مفاهيمها من درس النزاعات الاخيرة في افريقيا الجنوبية ومنشوريا والبلقان ، والاكتراعات التي طورت عدد الحرب ، وطورت من ثم ظروف المعركة . وكان الكل مقتنعين بان الحرب لا يمكن ان تطول ، وبان النصر سيحرز بمبارك طاحنة قصيرة . فاعدوا العدة من ثم لمثل هذه الحرب . وقد قال غليوم الثاني في شهر آب من السنة ١٩١٤ : « سوف نعود الى ديارنا في عيد الميلاد » .

الا ان الحرب التي اندلعت في هذا التاريخ قد دامت اربع سنوات ظهرت خلالها اسلحة جديدة وظروف معارك غير مرتقبة ارغمت اركان الحرب على اعادة النظر كليا في مفاهيمها واساليبها . فتطور الجيش ووجه المعركة من ثم تطورا كبيرا خلال العمليات ، وكثا في السنة ١٩١٨ مختلفين اختلافا كبيرا عنها في السنة ١٩١٤ .

للمرة الاولى ، ستتجابه الدول الكبرى - باستثناء بريطانيا العظمى مفهوم المعركة
- بجيوش وطنية استندت في تأليفها الى مبدأ « الامة في حرب » . فان في السنة ١٩١٤
هذه الجيوش المعبأة بحكم الخدمة العسكرية الالزامية ، اتاحت ارسال أعداد كبرى من المجندين الى خطوط القتال في حين زادت التحسينات التقنية من قوة النار . لقد اصبح اطلاق النار اكثر دقة وتوصلا بفضل استعمال البارود B (وقد حل محل البارود الاسود) الذي لا ينشر دخانا ، ولا يوسخ جدران المدافع الداخلية ، فيتيح من ثم رماية سريعة ، وبفضل استعمال بندقية تطلق طلقات نارية متواترة ، وبفضل استعمال المدفع الرشاش . وكان من شأن هذا الاخير منع كل تجمع عسكري كثيف حتى مسافة ٢٠٠٠ متر ، ومن شأن البندقية الفرنسية (ليبل) ان تصيب الهدف على مسافة ٨٠٠ متر ، وامتدت فاعلية المدفع من عيار ٧٥ حتى مسافة ٥ كيلومترات ، والمدفعية الثقيلة الالمانية حتى ١٢ كيلومترا . وفي منطقة المعركة هذه المتراوح عمقها بين ٦ كلم و ١٢ كلم ، وجب ان تتوزع القوى كي لا تؤلف هدفا سهلا للاصابة ، وان يطبق « فراغ ساحة المعركة » الذي سبق للبوير ان حققوه ، وان ينتشر المشاة ويطلقوا النار بتواتر ويتقدموا الى الامام تباعا على ان يعمدوا بين تقدم وآخر الى الانبطاح ارضا واستخدام الملاجىء الطبيعية او حفر ملاجىء فردية بواسطة الادوات التي ينقلونها . وقد بوشر استخدام ثورقين تقنيتين حديثتي العهد : فمن جهة ، محرك الانفجار الذي اتاح نقل وتوزيع الجيوش برا بمزيد من السرعة وجمع المعلومات جوا بواسطة الطائرة او المنطاد المسير ، ومن جهة ثانية ، التلغراف اللاسلكي والهاتف اللذان اتاحا الاتصالات السريعة .

قواعد استخدام الاسلحة في المانيا تمخضت قيادة الاركان العامة ، المشبعة بتعاليم « مولتكه » و « شليفن » ، بمذهب متلاحم يتفق والحرب المرتقبة على جبهتين وظروف النزاع ضد الجيش الفرنسي الذي توفر له المدفع الممتاز من عيار



الشكل ١ - توزيع الألاف في تشيكوسلوفاكيا بين ١٩١٨ و ١٩٣٩ .

١ - أكثر من ٩٠ ٪ ، ٢ - بين ٧٠ و ٩٠ ٪ ، ٣ - بين ٤٠ و ٧٠ ٪ ، ٤ - بين ٢٠ و ٤٠ ٪ .

٧٥ والتحصينات القوية التي شيدها « سيريه دي ريفيير » . فان الوضع يفرض نصراً سريعاً وحاسماً على فرنسا ، والقضاء على العدو سوف يتحقق بهجوم ضار يستلزم مناورة تطويقية وهجوماً جانبياً . لذلك شددت انظمة المشاة الموضوعة في السنة ١٩٠٦ وانظمة الخدمة في الارياض الموضوعة في السنة ١٩٠٨ ، على الروح الهجومية وضبط وقوة اطلاق النار ، وعلى عامل المفاجأة الاساسي . وانما النصر حليف الفريق الذي يتغلب على ثار الفريق الآخر بمزيد من السرعة ؛ فيجب ان تسيطر على اعمال المشاة فكرة واحدة : « الى الامام » هجوماً على العدو ، مهما كان الثمن » ... « ويقوم الهجوم باطلاق النار على العدو من اقرب مسافة . وفي الهجوم بالسلاح الابيض يتكسّر النصر على العدو » . فسلح المشاة هو من ثم السلاح الرئيسي لانه وحده « يتغلب على المقاومة الاخيرة . انه يحمل عبء المعركة الرئيسي ويقدم اسمى التضحيات » . بيد ان هذه الانظمة تعترف « بحتمية المراحل الهجومية » التي يفرضها اقتصاد القوى قبل العودة الى الهجوم . ولذلك وُجّه تعليم الضباط والجنود نحو الاعداد الدقيق لاستخدام طبيعة الارض والاعمال في الارياض ؛ وتحقيقاً لهذه الغاية اعتمدت عدّة ملائمة كاملة : عتاد متحرك يستخدم بالجملة ، كالمدافع القصيرة من عيار ١٠٥ و ٢١٠ لاجل تدمير التحصينات (اتاحت مادة المليثيت خرق عقود مبلية تبلغ المتر سماكة) ، والمدافع الطويلة البعيدة المدى والمدافع الثقيلة من عيار ١٥٠ لاجل ضرب مدفعية العدو .

اما في فرنسا ، فان « فوش » ، الذي علم « ان معركة خامسة هي معركة نمتقد باننا خسرناها » لان المعركة لا تُخسر معنوياً ، والكولونيل « دي غرانمزيون » ، قد نوّها بتفوق السلاح الابيض وروح الهجوم على الرغم من كل شيء . وان اراء الكولونيل دي غرانمزيون ، التي هي نقض تعاليم الحرب المنشورية ، قد اعتمدت في التعليمات حول ساوك الوحدات الكبرى والخدمة في الارياض ، التي وضعت في شهري تشرين الاول وسكانون الاول من السنة ١٩١٣ . فبصدد سلاح الفرسان ، جاء « ان الهجوم على صهوة الحصان وبالسلاح الابيض هو اسلوب العمل النظامي العادي » . اما سلاح المشاة فهو السلاح الرئيسي ... الذي [يمكن القول] عن سيره الى الامام حتى الالتحام بالعدو انه حاسم ومحمّ . وفي هذا القول تأكيد لتفوق الحركة بالنسبة الى النار ، ولتفوق العدد بالنسبة الى العتاد . فتصبح المدفعية من ثم سلاحاً تكميلياً ، ويحمل اطلاق النار واستخدام الادوات ، وتعتبر مفاهيم السلامة وتوزيع الجيوش على مسافات مختلفة من الجبهة اموراً ثانوية .

وقد لخص القائد « هير » هذه الآراء كما يلي : « سوف تكون الحرب حرباً قصيرة الاعد ، تنتقل فيها الجيوش بسرعة وتلعب فيها المناورة دوراً رئيسياً : سوف تكون حرب حركة . وسوف تكون المعركة في جوهرها نزاعاً بين سلاحي المشاة ... يجب ان يكون الجيش جيش مجندين كثيرين لا جيش عتاد ... لن تكون المدفعية سوى سلاح ثانوي ... وقد يكون التلبك بمدفعية وفيرة دون اية جدوى ... »



الشكل ١٠٣ - التغييرات الإقليمية في أوروبا بين ١٩٣٣ و ١٩٣٩.

- ١ - عودة السار الى ألمانيا (١٣ كانون الثاني ١٩٣٥) ، ٢ - المنطقة غير المحصنة التي احتلتها ألمانيا ثانية (٧ آذار ١٩٣٦) ، ٣ - ضم النمسا (١١ آذار ١٩٣٨) ، ٤ - ضم السويد (٣٠ ايلول ١٩٣٨) ، ٥ - استقلال سلوفاكيا (١٤ آذار ١٩٣٩) ، ٦ - اقامة محمية بوهيميا - مورافيا (١٦ آذار ١٩٣٩) ، ٧ - ضم ميل (٢٢ آذار ١٩٣٩) ، ٨ - احتلال إيطاليا لألبانيا (٧ نيسان ١٩٣٩) .

حين اندلعت الحرب ، ارتكب كافة القادة العسكريين من ثم
الاطباء نفسها بتقديرهم قوة الهجوم اكثر من قوة الدفاع الى حد
بعيد . وبعد حين ، تكييفوا بحسب الظروف الجديدة غير المرتقبة .

المبادأة
في ايدي الالمان

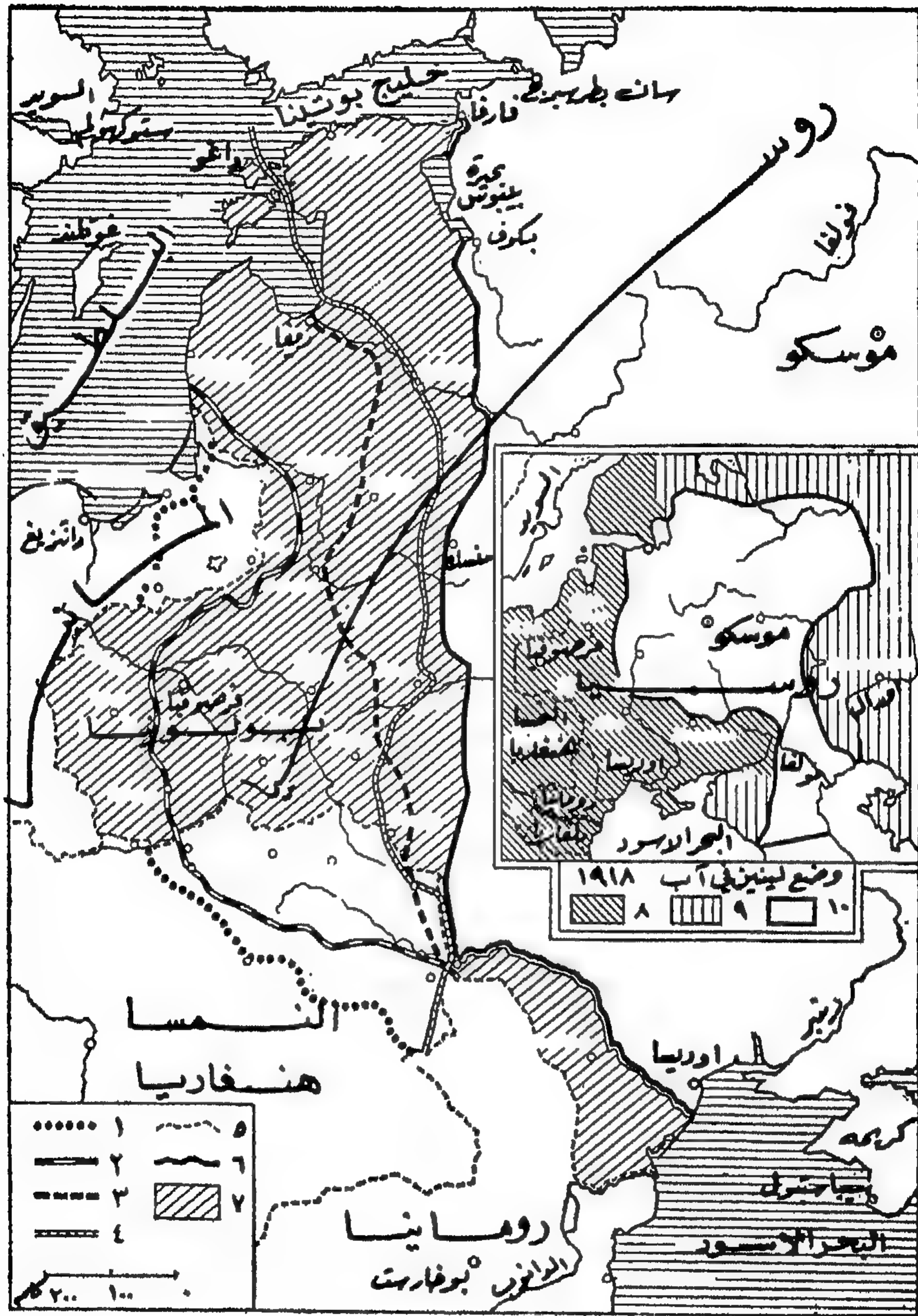
ولكن فريق هندنبرغ - لودندورف - هوفمن هو ما احسن التكيف قبل سواه . فهم الالمان
من استلموا زمام المبادأة استلاماً شبه دائم تقريباً ، في ما يتعلق بالعمليات وبالعتاد على حد سواء ؛
مبادأة حرب الخنادق واحكام تقنية التحصن وراء الخنادق في الجبهة التي بلغت درجة من الكمال لم
يعرفها اي جيش آخر . اساليب القصف المتواصل الشامل الذي يحق مواقع العدو الدفاعية ،
ثم القصف القصير المركز على نقطة واحدة الذي يتيح فتح ثمة في الجبهة . وكانوا السابقين في
استخدام الاسلحة الجديدة (باستثناء الدبابة) : الغازات السامة ، قاذفات اللهب ، قاذفات
الالغام . كما انهم اتقنوا استعمال المدافع الرشاشة والفواصات ، واستخدموا الطائرات قبل غيرهم
لقذف القنابل .

بعد الهزيمة الالمانية في معركة المارن التي اوقفت محاولة

الشكل الجديد للحرب في الغرب
الخنادق

اندفاع جانبي والتفاف استهلت بنجاح في بلجيكا في شهر
آب من السنة ١٩١٤ ، وبعد فشل « السباق نحو البحر »

بغية بلوغ « كاليه » ، استقرت الجيوش الممركة في خنادق محفورة على عجل . وقد بسدا استقرار
الجبهة هذا للقيادة الالمانية وسيلة اقتصادية توفر لها حرية العمل في الشرق حيث كانت تنوي
التوصل الى نتيجة حاسمة ؛ ولذلك سوف يرتدي تنظيم الجبهة طابع الديمومة بحيث لن يتمكن
اي من الخصمين المتحاربين ، طيلة اربع سنوات ، من اختراقها ؛ وستصبح الجبهة مجموعة كاملة
من التحصينات الممتدة على طول اكثر من ٧٠٠ كلم بين بحر الشمال والحدود السويسرية لن يطرأ
عليها في بعض النقاط اي تبدل حتى السنة ١٩١٨ . فتغلبت النار على الحركة ولم تكن الحرب
بمعدن سوى « صراع يائس ضد المدفع الرشاش ، وضد المدفعية . واتصلت الخنادق العميقة
والموازية والموجة الخطوط (بغية تأمين الحماية الجانبية والافادة جهـد المستطاع من طبيعة
الارض) بممرات ضيقة وطويلة ، وتقدمتها شبك من الشريط الشائك ؛ وانشئت فيها « مراكز
صغرى » للمراقبة وملاجئ عميقة ، وزودت بعدد وفير من المدافع والمدافع الرشاشة . فألف
المجموع حصوناً حقيقية . وانشئ وراء الخط الاول ، القريب من خطوط الاهداء ، خط ثان ،
وخط ثالث احياناً بغية درء انهيار الجبهة بتوزيع القوى على مسافات مختلفة من الخط الاول .
كانت نتيجة هذه الحرب الموضعية ثورة في الفن العسكري . في العدة الحربية اولا : فقد
توجب ، حتى عند الالمان الذين كان لديهم مدفعية ثقيلة سريعة الاطلاق من عيار ١٠٥ و ١٥٠
و ٢١٠ ، قدرة على قذف القنابل وفاقاً لخطوط مختلفة الانحناء ، الاكثار من استخدام مدفعية
الخنادق : مدافع لقذف القنابل وفاقاً لخطوط منعنية جداً ، مدافع لقذف القنابل الصغيرة ،
مدافع خاصة بالخنادق ، الخ . ، بينما اصبح المدفع الرشاش ، القادر على ضرب الزوايا الميتة



الشكل ١١ - الجبهة الشرقية ، ١٩١٤ - ١٩١٨

- ١ - أقصى تقدم روسي ، ٢ - الجبهة في نيسان ١٩١٥ ، ٣ - الجبهة في ايلول ١٩١٥ ، ٤ - الجبهة عند وقف إطلاق النار في السنة ١٩١٧ ، ٥ - حدود ١٩١٤ ، ٦ - حدود ١٩١٧ الجديدة ، ٧ - اقاليم خسرتها روسيا ، ٨ - اقاليم تحت نفوذ الماني في آب ١٩١٨ ، ٩ - اقاليم تحت نفوذ حليف ، ١٠ - اقاليم تحت سلطة حكومة موسكو .

ضرباً فاعلاً بقذائفه والحوول دون اجتياز منطقة معينة امام الخطوط ، مع القنبلة الصغيرة ،
خير سلاح دفاعي في ايدي المشاة .

بيد ان القيادة الفرنسية ، التي لم تسلم بسهولة بتنظيم اجهزة دفاعية شبيهة بأجهزة الالمان ،
فقد تكييفت مرغمة بحسب هذه الظروف الجديدة المناقضة لتعاليمها . وقد عندت وقتاً طويلاً
في العودة ، بأسرع وقت ممكن ، الى « الحرب في الارض المكشوفة » . ورغبة منها في تجنب
« تواني الجنود » والمحافظة على روحهم الهجومية ، و « تهديد العدو بخاطر دائم » ، وايهان
جنوده ايهاً متواصلاً - هذا هو المقصود بتعبير « القضم » - ، قامت طوال السنة ١٩١٥
بهجمات محلية كثيرة طاحنة من اجل الاستيلاء على اهداف لا أهمية حقيقية لها في اغلب
الاحيان : كمركز مراقبة أو جزء من خندق ... ، لم تستهدف المناورة ولا المفاجأة ولم تسفر
الا عن خسائر فادحة في الارواح لا يبررها مبرر ، لا سيما وان الحاجة الى الذخائر لم تكن
لنسمح بضرب العدو بالقنابل ضرباً كافياً وفعالاً . وهكذا كانت « لوتردام - دي - لوريت »
و « بواله برتر » ، و « اكمة ال » « ايبارج » ، و « هارتمسويلر كوف » ، ومنطقة « سواسون »
وال « ارغون » ، (التي زرعت بالالغام) ، و « قتل » « فوكوا » ، وغابة « غروري » ، مسرح
نزاعات دامية ، هائلة ومثبطة ، طوال أشهر كاملة .

محاولات الهجوم في الغرب
امام هذه التحصينات القوية في الجهة الغربية ، بات من
الضروري التوصل الى نتيجة حاسمة ، اما على ساحة
معارك اخرى - حاول الالمان البحث عنها في الشرق ،
وان يحدروا الا في السنة ١٩١٧ (الشكل ١١، ص ٣٣٥) وبحيث الحلفاء عنها فترة من الزمن في
الشرق - ، واما بواسطة « منفذ » استخدمت من اجل فتحه اما اسلحة جديدة : كالفازات
السامة ، والدبابات ... ، من شأنها اذهال العدو ، واما بسحق مركز العدو بالقنابل ، الذي
يفترض تفوقاً عظيماً في الوسائل . وعلى اية حال ، توجب 'تحطيم هذا الدرع الدفاعي ' وفي
سبيل ذلك تطورت العدد الحربية وفن الحرب . وقد اقنعت مجازر الشتاء باستحالة هجوم المشاة
دون اعداد دقيق ، ودون ان تسبق المدفعية تقدمهم ورفاقه . ولكن توزيع النجندات على
اماكنها ، وتنظيم نقاط الانطلاق وتجهيز الخطوط الخلفية ، تتطلب اسابيع هدة ولا يمكن ان
يغرب امرها عن مراكز رقابة العدو ودوائر استخباراته . يضاف الى ذلك ان الضرب بالقنابل
طيلة ايام عدة بغية تقويض تحصينات العدو لا يترك اي مجال لعامل المفاجأة ، واذا تم الاستيلاء
على خطه الامامي ، اصطدم المشاة المهاجمون بخط ثان سليم وتوجب عليهم القيام بالاستعدادات
الطويلة والباهظة النفقات نفسها . وهذا ما يفسر الفشل الذريع الذي انتهت اليه الهجمات
الحليفة في منطقة « ارتوا » ، في اشهر آذار وايار وايلول ، وفي منطقة « شامبانيا » ، في شهري
شباط وايلول من السنة ١٩١٥ .

حين قام « فالكنهاين » بهجومه على « فردان » ، في السنة ١٩١٦ ، لجأ الى اساليب جديدة

لتحقيق عامل المفاجأة : اخفاء النجندات والمعدات في غابات المنطقة الكثيرة ، ضرب عنيف جداً بالقنابل لفترة قصيرة (٩ ساعات عوضاً عن عدة ايام) يتولاه اكثر من الف مدفع ، قنابل مدفعية على الخط الاول ، قنابل من العيار الثقيل ، ٢٨٠ ، ٣٠٥ ، ٣٨٠ ، ٤٢٠ على الخط الثاني ، هجوم ٦ فيالق معاً على جبهة لا تتجاوز ٧,٥ كلم طولا . لقد كان لنجاحات الالمان وقع كبير في النفس ، ولكنها انتهت الى الفشل ، اذ ان القيادة الفرنسية نجحت في تأمين وصول النجندات والذخائر والمؤن الكافية بفضل تنظيم النقل بالسيارات على « الطريق المقدسة » . ويغلب ان القوى استبدلت تكراراً ، فقد اوهن ٦٦ فيلقاً بين شهري شباط وتموز ، ولكن الهدف المطلوب لم يُبلغ : فالجبهة الفرنسية لم تتصدع ، واذا كانت الخسائر الفرنسية فادحة ، فانها لا تكاد تتجاوز خسائر الالمان الذين حسبوا انها ستكون اعلى من خسائرهم بمرتين ونصف المرة .

اما الهجوم الفرنسي البريطاني على الد « سوم » ، في شهر تموز من السنة ١٩١٦ ، فقد ابرز مرة اخرى دور المدفعية المتفوق : ليس دور المشاة بعد اليوم سوى احتلال الارض التي استولى عليها المدفع والدفاع عنها . فزيد من عدد المدافع البعيدة المرمى لمقاومة هجوم مدافع العدو بمثلها ، ومن المدافع الثقيلة لاجل حرب الخنادق ، واتقن تعيين مكان المدفعية بواسطة الصوت ، والرقابة البرية والرقابة بواسطة المناطيد المقيدة . ونظم جهاز كامل للاتصالات والتحويل استطاعت المدفعية بفضلها ، ليلاً ونهاراً ، وكلها طلب المشاة منها ذلك ، تركيز نيرانها على الاهداف الهامة وتوجيه ضرباتها على الفور الى مدافع العدو لاسكانها ، واطالة عملية قصفها الخاصة .

وزود سلاح المشاة بمعدات اضافية تساعد على « الدرع » (خنادق ومدافع رشاشة وشريط شائك) الذي جعل الدفاع عملية رابحة منذ سنتين : مدافع خفيفة ، مدافع لقذف اللهب ، مدافع من عيار ٣٧ ، مدافع هاون . كما زود بقنابل صغيرة تقذف بواسطة البندقية (V. B.) ، وببنادق رشاشة ، ومدافع رشاشة بلغت اربعة اضعافها من ذي قبل . وعلى الرغم من تسدي عدد افراد هذا السلاح بالنسبة للأسلحة الاخرى (من ٧١ الى ٥٠ ٪) ، فان تزايد الاسلحة الذاتية الحركة قد زاد قوة نار المشاة زيادة عظيمة .

يضاف الى ذلك من جهة ثانية ان اعداد عملية الهجوم وتنفيذها قد ساعدتها الرقابة الجوية واجهزة معقدة للاتصال والتحويل بواسطة الهاتف والتلغراف اللاسلكي ولوحات تعيين المسالك والاسهم النارية ، التي امنت الاتصال بين المشاة والمدفعية والقيادة . وفتح التصوير من الجو ، الذي احكم في السنة ١٩١٥ ، تعييناً مسبقاً لنقاط الارتكاز الواجب تدميرها على جبهة الهجوم ، كما ادارت الطائرات عملية اطلاق النيران وراقبت نتائجها . وكانت نسبة المدافع مرتفعة جداً : فقد اقتضى هجوم ١٦ نيسان من السنة ١٩١٧ مدفعاً خفيفاً ومدفع خنادق لكل ٢٣ جندياً ومدفعاً ثقيلًا لكل ٢١ .

بيد ان هذه الاستعدادات ، على غرارها في السنوات السابقة ، لم تكن لتخفى عن البصر .
فقد اقامت القيادة الالمانية جهازاً دفاعياً مؤلفاً من ٣ او ٤ خطوط موزعة على مسافة ٥ او ٧
كيلومترات من الجبهة ، في ارض غير متساوية تكثر فيها الوديان والغابات . وقد سيطرت جواً
في القطاع المهاجم ، فاستطاعت من ثم منع او مضايقة ادارة عملية القصف والرقابة ، وتعيين
مراكز المدافع الفرنسية بسهولة . لذلك فان الضرب بالقنابل طيلة ثلاثة اسابيع من اجل شق
طريق في الشريط الشائك ونيران المدفعية بالجملة طيلة خمسة ايام ، لم تحل دون انتهاء هذا
المهجوم الى فشل ذريع دام .

وهكذا فبقدر زيادة المدفعية التي اصبحت سيدة ساحة المعركة من
تقدم الاسلحة الجديدة حيث كثافتها ومرماها وقوتها التدميرية ، تحسنت التحصينات كذلك
واثبتت اجهزة خنادقها وممراتها الطويلة الضيقة قدرتها على مقاومة كل هجوم . فبدت المناورة
وكأنها مستحيلة وتحتم ان لا تكون المعركة سوى هجوم الى الامام يحاول الامتداد الى الجناحين .
وبالمقابلة تطور شكل الجيوش . فان الفيلق الفرنسي في السنة ١٩١٨ يختلف عنه كثيراً في
السنة ١٩١٤ : ضم في السنة ١٩١٤ ١٠٠٠٠ جندي راجل ، مسلحين ب ٩٦٠٠ بندقية و ٢٤
مدفعاً رشاشاً ، فاصبح يضم ، في السنة ١٩١٨ ٤٣٠٠ جندي راجل مسلحين ب ٢٣٠٠
بندقية و ٤٢٠ سلاحاً حريباً آخر . وارتفعت قوة نار مدفعيته الى اربعة اضعافها ، وقد استفني
عن الاسلحة غير الجديرة بالبقاء وحلت الطائرة والسيارة محل سلاح الفرسان الذي اقتصر دوره
على الاشتراك في المعركة على غرار سلاح المشاة ، وبالمقابلة احسنت انواع اسلحة جديدة ازدادت
اهميتها يوماً بعد يوم : الاسلحة الذاتية الحركة . وقنابل الغاز او الايريت ، التي من شأنها
جعل مناطق واسعة غير صالحة للسكنى ، والطيران والدبابات بصورة خاصة . فقد
استخدمت الطائرة منذ السنة ١٩١٤ للمراقبة والاستكشاف وادارة عملية القصف ، ثم
اصبحت سلاح مطاردة منذ ابتكار الـ « فوكر » التي اتاحت اطلاق نيران المدفع الرشاش عبر
محجر المروحة ، ومنذ السنة ١٩١٧ نشبت معارك ، لا بين طائرات منفردة ، بل بين اسراب
يضم كل منها حق ٥٠ او ٦٠ طائرة . وفي السنة ١٩١٨ اخذت الطائرات تهاجم تجمعات
الجيوش على الارض . وحلت طائرات قصف خطوط المواصلات والمطارات والمستودعات محل
المناطيد منذ صيف السنة ١٩١٥ ، ولكن النتائج ما زالت متوسطة بسبب ضآلة عدد الطائرات
المشاركة في مثل هذه العملية (٤٠ في اقوى غارة على لندن) . وانتقلت السيطرة على الجو
بالتناوب من معسكر الى آخر بحسب تقدم التقنية : فكانت في ايدي الالمان حتى السنة ١٩١٦
ثم في شهر ايار من السنة ١٩١٧ ، وفي ايدي الحلفاء ابان معارك فردان والسوم ، ثم في السنة
١٩١٨ . اما الدبابة التي جمعت بين النار والحركة ، فقد استخدمت استخداماً صوابياً للمرة
الاولى في شهر تشرين الثاني من السنة ١٩١٧ . فبدون اعداد مدفعية ، قذف الجيش البريطاني
في قطاع « كمبريه » بدباباته الـ ٣٨١ وكانت مدفعات مدرعة باغتت العدو وشقت الطريق امام

سلاح المشاة محدثة في الخطوط الألمانية جيباً بقياس ١٢ كلم طولا و ٩ عرضاً . اجل ان الهجوم الذي شن على جبهة ضيقة جداً لم يؤد الى انهيار تحصينات العدو، ولكنه اثبت امكان الاستيلاء، بواسطة الدبابات، على عدة خطوط متعاقبة دون اعداد مدفعية وبخسائر طفيفة نسبياً . وهكذا اعدت الطريقة التي سوف تضمن نصر الحلفاء في السنة ١٩١٨ .

كانت احدى نتائج استخدام هذه الاسلحة الجديدة اشتداد الحاجة الى المجندين . فهي قد ارغمت القيادة على تخصيص عدد متزايد منهم لخدمات الداخل او المؤخرة : فان الدبابة التي تشترك في المعركة يجنديين والطائرة التي تطير بملاحها ومطلق مدفعها الرشاش تفترضان على التوالي ٤٦ و ٦٠ رجلاً في المؤخرة لاصلاحها وتعهدها وتموينها والاعاضة منها .

لم يعد هناك من جبهة شرقية بعد الثورة الروسية وانسحاب الجيش الروماني . فكان من ثم لدى هندنبرغ ولودندورف ، معركة السنة ١٩١٨ في وجه ١٨٠ فيلقاً فرنسياً - بريطانياً وبلجيكيًا ، ١٩٨ فيلقاً سيحاولان بواسطتها شق طريق لها في الجبهة الغربية . فاعد الهجوم على ضوء دروس معركتي كمبريه وريفا ، حيث اختبرت بنجاح الطريقة الهجومية الجديدة التي نادى بها الكولونيل « بروشمولر » والتي بموجبها تسحب خيرة الفيالق من الجبهة الى مناطق بعيدة في المؤخرة . وتُسند اليها مهام المناورة وتجهز بعتاد جديد، وتعود طرائق التسلل : على فرق الهجوم امتحان النقاط الضعيفة واختراقها والالتفاف حول النقاط المحصنة التي سوف تقهرها الخطوط التي تليها . ومن الطبيعي بعد ذلك ان يؤدي احكام عمل المدفعية في الكتان ، وتجميع المدافع بالجملة في مراكز معينة ، واطلاق قنابل الغاز بوفرة - مما يقصر فترة الاعداد على ساعات قليلة - ونقل الجيوش من جبهة الهجوم تحت جنح الظلام كي لا يثار انتباه العدو ، واستخدام اسراب كثيفة من الطائرات تقذف بقنابلها ، من علو منخفض ، محطات السكك الحديدية ، والمطارات ، ومؤخرة الجبهة وتهاجم المشاة والمدفعية بمدافعها الرشاشة ، الى مباغته العدو والسباح بفتح المنفذ والافادة منه .

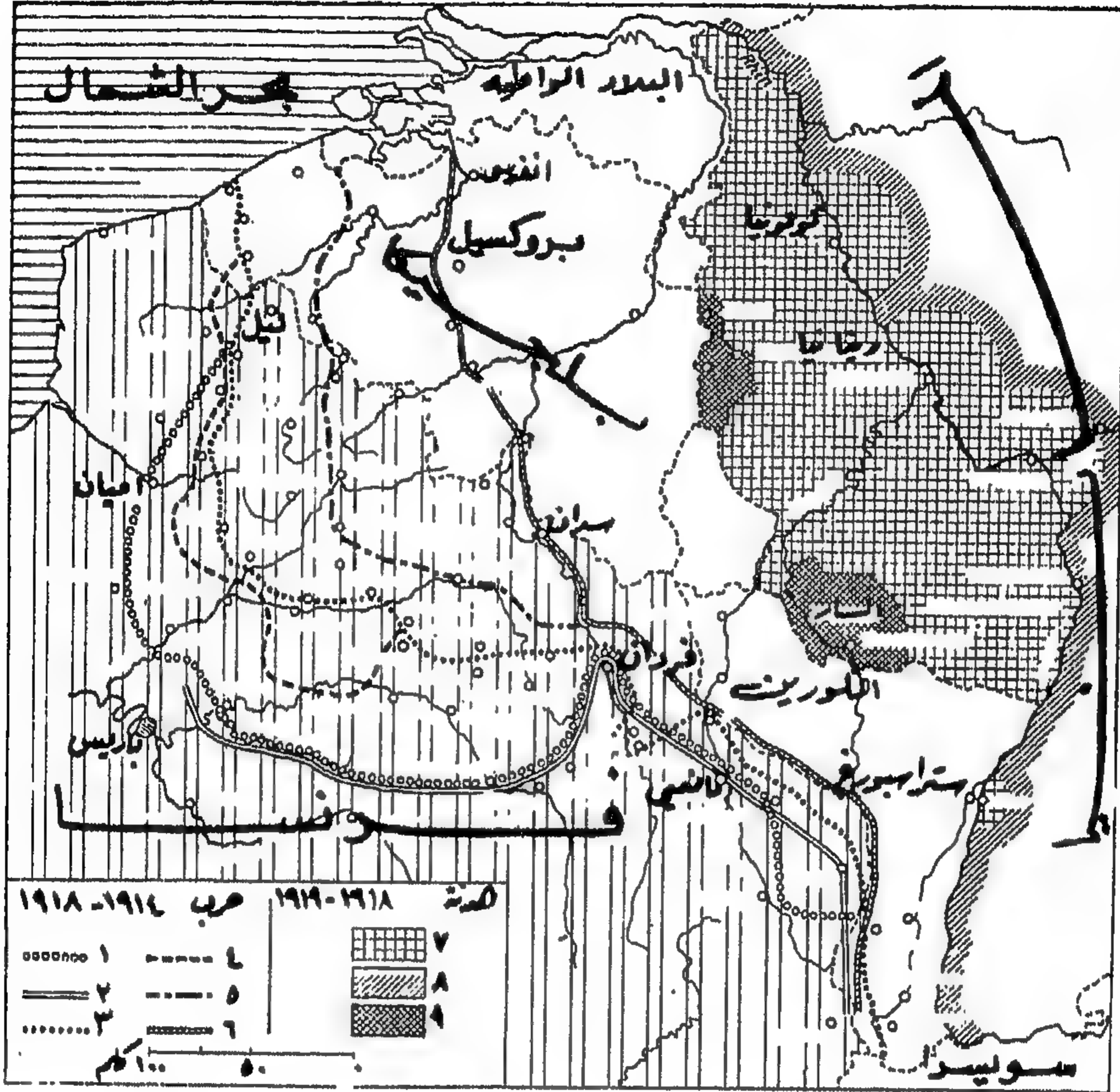
استعد الحلفاء من جهتهم الى صد الهجوم مستفيدين من المثل الألماني : اتقان استخدام الاسلحة الذاتية الحركة ، انشاء نقاط ارتكاز على مسافات مختلفة من الجبهة ومراكز مقاومة في داخل كل خط . ولم يكونوا آنذاك ليعتبروا دفاع الخط الاول امراً ضرورياً كما في السنة ١٩١٥ ، بل ارتأوا تجميع معظم الجيش في خط متوسط (بين ٣ و ٤ كلم الى الوراء) او في الخط الثاني (بين ٦ و ٧ كلم) . فهنا يكون خط الصمود الذي سوف يصطدم به المهاجمون بعد ان تكون نقاط المقاومة ، المتروكة في الخنادق الاولى ، قد فرقت بينهم . ولا يزال الحلفاء يستبعدون امكان فتح منفذ في الجبهة : فاذا نجح العدو في اختراق الخط الاول ، فانه لن يلبث ان يصطدم بجبهة جديدة معززة يستحيل اختراقها .

الا ان هذه الثقة امتحنت امتحاناً عسيراً في ربيع وصيف السنة ١٩١٨ (الشكل ١٢، ص ٣١١) . لقد رُدت قوات الحلفاء الى الوراء اربع مرات متوالية بهجمات سريعة ضارية جعلت الألمان على قاب

قوسين من النتيجة الحاسمة بفضل مدفعيتهم السريعة الاطلاق ومهارة ضباطهم في استثمار عامل المفاجأة وفي استخدام سهولة تحريك معداتهم. ففي الحادي والعشرين من شهر آذار ، وبعد قصف بقنابل الغاز والقنابل الداخنة دام اربع ساعات ونصف الساعة ، فتحت ثلثة بطول ٨٠ كلم هندنقطة التقاء الجيوش البريطانية والفرنسية ، لم تسد الا بكل صعوبة ؛ وفي التاسع من ايلول شن هجوم جديد في الفلاندر ، فوصل الالماني الى مسافة ١٦ كلم من اميان و ٦٠ كلم من كاليه ، وجعلوا ربيع الجيش البريطاني عاجزاً عن القتال . وفي السابع والعشرين من شهر ايار ، بعد ضرب دام ثلاث ساعات بقنابل ١٢٠٠ « بطارية » مدفعية ومئات مدافع الخنادق ، وعلى جبهة يبلغ طولها ٦٢ كلم بين سواسون و « ريس » ، تقدم ٢٠ فيلقاً مسافة ٢٠ كلم وسيطرت على جسور ال « اين » ؛ وقد اشترك في هذه المعركة ثلث الجيش الفرنسي ، الذي اوهن جزئياً ، وفقدت معدات كثيرة ، وواجه الجنرال « بيتان » انكفاء عاماً . وفي الثامن من حزيران ، شن هجوم جديد الى الشرق من « نوايون » على جبهة طولها ٧٤ كلم ، اوقف عند خط « شاتو تيارى » - « مونديدييه » . وفي كل مرة استفاد الجيش الالماني من عامل المفاجأة واستطاع الاستيلاء على جيوب عميقة في الخط الحليف . ولكن المفاجأة لم تلعب اي دور في الهجوم الجديد الذي شن في الخامس عشر من شهر تموز بين « شاتو تيارى » ، والد « ارغون » : فقد اخلي الخط الفرنسي الاول بغية تجنب نيران مدافع الهاون واحتل معظم الجيش مركز المقاومة ، وصدرت الاوامر لفرق الاحتياط في المؤخرة بالتأهب . فقبل ان تفتح المدفعية الالمانية نيرانها القوية ردت المدفعية الفرنسية على النار بنار كثيفة جداً ، وانتهى الهجوم الالماني على طول ٤٠ كلم من جبهة شيمانيا الى الفشل .

اوهنت هذه الهجمات فرق لودندورف الاحتياطية . فقد رسم الخط الالماني جبهة غير منتظمة تألفت من جيوب يسهل شن الهجمات الجانبية عليها ؛ ومنذ الثامن عشر من شهر تموز تحولت المبادأة الى ايدي الحلفاء الذين استخدموا عدداً كبيراً من الدبابات ، الاداة الحاسمة في ستراتيجية التفكيك الجديدة ؛ وفي ليل ١٧ - ١٨ ، وبدون اعداد مدفعية ، ادى استخدام الدبابات بالجملة الى فتح ثلثة عرضها ٥٠ كلم وعمقها ١٠ كلم في خط العدو الى الجنوب من « سواسون » . ومنذئذ اضطر الجيش الالماني ، الذي ارغم على الوقوف موقف الدفاع وعانى من حاجته الملحة الى المهندسين ، للتراجع امام سلسلة من الهجمات السريعة ، المتكررة ، التي لم تستهدف اي منها التوصل الى نتيجة حاسمة ، ولكنها شنت في قطاعات متباعدة فمنعت لودندورف من ان يستخدم فرق الاحتياطية الضئيلة وينقلها الى ميدان المعارك . وفي الثامن من شهر آب ، « يوم حداد الجيش الالماني » ، حدثت مفاجأة تامة ؛ فان نقل الجيوش تحت جناح الظلام ، ودوريات الطائرات المستمرة التي منعت كل رقابة ، واحكام نيران المدفعية التي وضعت في اماكنها دون اثاره الانتباه ، واستخدام القنابل الداخنة التي اعمت الرقابة البرية والمدافع المضادة للدبابات ، واستخدام ٥٦ دبابة على جبهة طولها ٢٣ كلم ، قد جعلت الحلفاء يحرزون نصراً كاملاً . وابتداء من شهر ايلول شن هجوم عام بشكل كاشة ارغم الالماني على

الجلء عن الشاطئ البلجيكي والانسحاب الى خط «هيرمن» دون أن تنسدد جبهتهم .
ولكن الجبهات الشرقية انهارت في ذاك التاريخ ؛ فطلب الاتراك والبلغار والنمساويون وقف



الشكل ١٢ - الجبهة الغربية بين ١٩١٥ و ١٩١٨

- ١ - أقصى تقدم الجيش الألماني (ايلول ١٩١٤) ، ٢ - جبهة الجيش الفرنسي في ايلول ١٩١٤ ،
- ٣ - جبهة الحرب الموضعية ، ٤ - الجبهة في تموز ١٩١٨ ، ٥ - الجبهة في تشرين الاول ١٩١٨ ،
- ٦ - الجبهة في ١١ تشرين الثاني ١٩١٨ ، ٧ - ارض احتلتها الحلفاء بعد الهدنة ، ٨ - منطقة
- جعلت محايدة بعرض ١٠ كلم ، ٩ - اقاليم تقرر اجراء استفتاء فيها .

اطلاق النار ، وسلّمت المانيا بالواقع فطلبت وقف اطلاق النار قبيل هجوم كان مقرراً شه
على جبهة اللورين في الرابع والعشرين من شهر تشرين الثاني .

٢ - المفاهيم الاستراتيجية وفن الحرب اثناء الحرب العالمية الثانية

المذاهب الاستراتيجية
بين الحربين

حين نشبت الحرب مرة اخرى بعد مرور احدى وعشرين سنة ، كانت المانيا اكثر تقدماً على اعدائها منها في السنة ١٩١٤ ، بفضل تعزيز تسليحتها ثانية منذ السنة ١٩٣٣ . ولكن هذا التفوق المادي كان دون الدعاوة التي احاطته بها اهمية ، وقد تخلف الحلفاء عنها في نطاق المفاهيم الاستراتيجية بصورة خاصة .

المذهب الفرنسي

كانت النتيجة الكبرى المستخلصة من الحرب العالمية الاولى قوة الجبهة المتصلة التي تدافع عنها نيران قوية تطلقها المدفعية والاسلحة الذاتية الحركة ، اذ ان الهجمات الامامية بواسطة وسائل على جانب كبير من الامة قد برهنت وحدها عن قدرتها على تصديعها . الا ان بطء التقدم ، بعد كل تصديع ، كان يتيح للدفاع سد الثمة المفتوحة وانشاء جبهة جديدة وراء الخط المتصدع . لابل وضع جدول بياني حدد العمق الممكن بلوغه بنصف طول جبهة الهجوم . اجل لقد أسهمت الاسلحة الجديدة ، كالدبابات والطائرات التي ازداد شأنها ازياداً مطرداً ، في تحسين ظروف العمليات : فان الدبابة ، التي اعتبرت « عشاً متنقلاً للدافع الرشاشة » ، كانت ترافق سلاح المشاة وتشق امامه الطريق او تسانده في تقدمه بتدميرها الاسلحة الذاتية الحركة ، وكان الطيران يستكشف مراكز دفاع العدو وحركاته ويحول دون قيام طيران العدو بامة مهمة استطلاعية . واذا هزمت المانيا في السنة ١٩١٨ فمرد ذلك افتقارها الى الرديف الضروري لسد الجيوب التي احدثتها الهجمات الحليفة .

الى هذا الاختبار ارتكزت الاستراتيجية الفرنسية التي لم تجر اية محاولة ، منذ السنة ١٩١٨ ، لتجديدها او تبديلها . فان الاقتناع بمناعة الجبهة المتصلة وبالامة الاولى لقوة النار وبتأثير طبيعة الارض « الاستبدادي » على كل مناورة ، قد حملت اركان الحرب على انتهاج استراتيجية دفاعية بحتة . ولما كان نصر السنة ١٩١٨ قد احرز على ايدي دول متحالفة ، فكان على فرنسا الاحتفاظ بموقف دفاعي في وجه قوات المانيا المتفوقة والدفاع عن سلامة ارض الوطن طيلة الفترة اللازمة لان يعبر حلفاؤها الوسائل القوية التي تتيح الانتقال الى الهجوم . يضاف الى ذلك من جهة ثانية ان اختبار المعركة القديمة الذي ابعد كل فكرة مناورة هجومية ، قد جرّ الى نوع من الحصرية في عمل اركان الحرب التي تعودت تطبيق انظمة ثابتة والتدخل في اصغر التفاصيل وانتزاع كل مبادهة من المسؤولين عن التنفيذ . وبالرغم من ان دبابات السنة ١٩١٨ البطيئة والسريعة المطب قد اصبحت حصوناً سريعة الحركة ومزودة بالمدافع والتلغراف اللاسلكي ، فان المهمة التي اسندت اليها ما زالت مهمة سلاح في ايدي المشاة يحتاج الى حماية

المدفعية : وبدالة هذه المبادئ نظم الجيش الجديد ودرّب ، وشيّدت بين السنة ١٩٢٩ والسنة ١٩٣٩ التحصينات القوية الثابتة بين « بال » و « لونغويون » .

اما الطيران الذي أصبح سلاحاً مستقلاً في السنة ١٩٢٨ ، فقد عانى في تنظيمه من المنازعات بين المدارس المختلفة ومن تردد التعليم . فان آراء الجنرال الايطالي « دوهيه » الذي اعتبر الطيران « القوة الدفاعية الحاسمة » القادرة ، بغاراتها الكثيفة ، على تدمير طاقة العدو الحربية ومن ثم على احراز نصر سريع بمفردها ، قد وقعت في نفوس القادة العسكريين الفرنسيين موقعاً جيلاً ؛ واخيراً انشئت في السنة ١٩٣٦ وحدات جوية مستقلة ، وصممت نماذج طائرات جديدة كثيرة ؛ الا ان فرنسا لم تمتلك في السنة ١٩٣٩ الا عدداً قليلاً من قاذفات القنابل ؛ اجل كان لديها طائرات مطاردة ذات فعالية كبرى ، ولكن عددها لم يكن كافياً . فبقيت الطائرة من ثم مساهداً للجيش البري ولم تعتبر سلاح معركة (وقد كتب المارشال بيتان : « ان العمل المباشر للقوى الجوية في المعركة باطل ووهمي ») . ولم يكن هناك طيران هجوم انتقاضي ولا طائرات لنقل الجيوش جواً . اما انكلترا فقد توفر لديها طيران استراتيجي من قاذفات القنابل قادر على مهاجمة الاهداف الصناعية الالمانية ، ولكنها افتقرت ، على غرار فرنسا ، الى طائرات قادرة على تقديم المساعدة للوحدات البرية .

ان قيادة الاركان الالمانية التي اختلف نشاطها عن « الجمود الفكري » المذهب الالمانى الذي اتصف به قيادتا الاركان الفرنسية والبريطانية قد استخلصت

دروساً اخرى من هزيمتها في السنة ١٩١٨ . فقد ارتكز مذهبها الى الحاجة الى هجوم سريع من شأنه مفاجأة العدو محلياً بقوى متفوقة ، في اضعف مراكزه ، ومنعه بعد ذلك من توطيد جبهته ؛ فيجب من ثم مباغتته بضرب سريع وقوي بغية القضاء عليه . ويحذر بالتالي الاستفادة بجهد المستطاع من وسائل النقل الآلية ، التي توازي سرعتها خمسة اضعاف سرعة الوسائل القديمة وتتيح مرونة كبرى في المناورة وسرعة في تجميع القوات في مركز الثقل ؛ ويكفي من ثم تحقيق تفوق ساحق على جبهة ضيقة ، في النقطة الحاسمة ، وفتح ثلثة فيها ، وتوسيع هذه الاخيرة ، والاندفاع نحو الداخل قبل ان يكون للعدو مجال للمقاومة . وبعد اجتياز الثلثة المفتوحة ، يستغل النجاح استغلالاً منظماً باندفاعات جانبية تحمي جناحي الوحدة المتقدمة . وسوف تسند هذه المهمة المزدوجة الاساسية الى الدبابات . وان هذا الفن الحربي الجديد ، الذي احكمه « غودريان » منذ السنة ١٩٢٩ ، ووضحه في مقال داو (*Achtung Panzer*) في السنة ١٩٣٧ ، يستلزم جمع الدبابات في وحدات كبرى - فيالتى ووحدات مدرعة - تتوفر لديها كافة الاجهزة التي تتيح لها الاندفاع اندفاعاً مستقلاً الى مسافات بعيدة امام الجيوش ، واثارة الفوضى في صفوف العدو ، وتحقيق انهيار مقاومته بالمباغتة وسرعة الحركات ، ومنعه من جمع شمله في مركز انكفاء . هذا هو فن الحرب الجديد (*Blitzkrieg*) الذي سيضمن لالمانيا انتصاراتها الداوية بين السنة ١٩٣٩ والسنة ١٩٤٢ .

أما الطيران فقد اسندت اليه ايضاً مهمة هجومية ؛ فان اسرابه الكبرى المستقلة ، تنقل الفوضى الى قلب بلاد العدو ، ولكنها ، في الدرجة الاولى ، تتعاون تعاوناً وثيقاً والقوات البرية ، لا بالاستكشاف والرقابة وكتان سر المنطقة المهاجمة فحسب ، بل بالحلول محل المدفعية بأعداد الهجمات عن طريق قذف القنابل بالجملة ، وبالتعاون والمدفعات والمشاة بالانقضاض والقاء القنابل على جيوش العدو . والحقت المدفعية المضادة للطائرات بالجيش الجوي الذي يعمل بالاتفاق مع الجيوش البرية ، وتطورت تطورا عظيماً . واخيراً اعيرت الاتصالات الكهربائية اللاسلكية اهتماماً خاصاً لأن الاتصال السلكي لا يليق بسرعة الحرب الصاعقة ؛ فان التعاون بين الاسلحة والاتصال بالوحدات المندفعة بعيداً وراء خطوط العدو منوطان بتقدمها ودقتها على السواء .

لم تكن هذه الآراء وهذه الاستعدادات مبهولة خارج المانيا ، ولكن المفهوم الفرنسي لاستخدام المدرعات الجمود التي بذلت لابرازها ذهبت مع الريح . فان انشاء جيش مناور قوي ، مؤلف من ٧ فيالق مدرعة ، الذي اقترحه القومندان ديغول في كتابه ، « نحو جيش محترف » ، الصادر في السنة ١٩٣٥ ، قد صرف النظر عنه اجمالاً باعتبار انه « مناقض لمنطق التاريخ » . ولم يستخلص احد مغزى امتحان الحرب الاسبانية ، والمختبر النازي ، الحقيقي الذي احكم فيه الالمان استخدام قاذفة القنابل الانقضاضية والمدفع الرشاش والاتصال بين الدبابات والطائرات ، ودور المدن او القرى المستخدمة كنقاط مقاومة منعزلة قادرة على الدفاع عن نفسها في كافة الاتجاهات والصمود في وجه تطويق كامل ؛ ولم يستوقف نظير المراقبين سوى فشل الدبابات في عمليات « غوادالاجارا » و « برونيت » ، دون ان يأخذوا بعين الاعتبار الاساليب الجديدة التي ظهرت في معارك اراغون وكاتالونيا منذ السنة ١٩٣٨ والتي كانت الظواهر الاولى لفن الحرب الجديد .

بيد ان فرنسا اخذت تنشىء ، في خريف السنة ١٩٣٨ ، فيالق مدرعة مازالت تختلف اختلافاً كبيراً عن مثال البانزر . فان الفيلق المدرع بقي سلاحاً من اسلحة المشاة ، ولم يكن استخدامه ممكناً الا في اطار وحدة مشاة كبرى ، وكان سلاحاً للهجوم المعاكس معداً لسد الثغرات في الجبهة ، اي لاحتراز نجاح محدود . ولم يزود لا بوسائل استكشاف ولا بوسائل دفاع ضد الطائرات والدبابات ، ولا بفرق مشاة ومدفعية تنقل بالسيارات . وكان عاجزاً عن العيش ونحوض المعركة مستقلاً ، بينما كان البانزر سلاحاً سريع الحركة ترتبط به كافة الاسلحة الاخرى .

في وجه الدبابات الالمانية الـ ٢٧٠٠ ، امتلكت فرنسا القوات المتقابلة ٢٣٠٠ تضاف اليها الدبابات البريطانية ، اي زهاء ٣٠٠٠ . وفي النطاق الجوي ، كان لدى الالمان ، في اوائل شهر ايار من السنة ١٩٤٠ ، بين ٧٠٠ و ٨٠٠ طائرة مطاردة (٧٠٠ لدى الفرنسيين والبريطانيين) و ١٢٠٠ قاذفة قنابل (مقابل ١٥٠ الى ١٧٥) و ٤٠٠ طائرة انقضاضية (Stuka) . فيكون المجموع

٢٦٠٠ طائرة مقابل ١٧٠٠ طائرة فرنسية وبريطانية قد لا توازيها سرعة واستقلالاً ، ولكنها انزلت بالامان ، خلال معارك السنة ١٩٤٠ ثلاثة اضعاف خسائرها . فلم يكن الجو من ثم خاليا كما اعتقدت الجيوش البرية التي تأثرت تأثراً قوياً بنشاط الطائرات الانقضاضية ، بينما كانت الطائرات الفرنسية موزعة ، و « ذائبة الى اللانهاية » (« سانت - اكزوبيري ») بين الوحدات البرية في الجبهة . ولم يكن في الحقيقة من تفوق « ساحق » للقوات الالمانية الا في نطاق الدفاع ضد الطائرات (٩٣٠٠ قطعة مقابل ١٦٠٠) ، وقاذفات القنابل الانقضاضية والسلاح المنقول جواً التي لم يجهز بها لا الجيش الفرنسي ولا الجيش البريطاني . وبالمقابلة كانت المدفعية الفرنسية متفوقة عدداً ولوعية - ولكنها كانت معدة لحرب جامدة (ولذلك كان معظمها يُجرى بواسطة الجياد) ، وكان الاسطول البريطاني متفوقاً على الاسطول الالمانى تفوقاً اعظم منه في السنة ١٩١٤ الى حد بعيد .

ولكن الجيش الالمانى لم يخل من نقاط ضعف خطيرة بسبب اعادة تنظيمه بسرعة كلية . فقد افتقر الى الضباط - ولا سيما الصغار منهم - والفرق الاحتياطية المدربة ، وسلم عتاده المتفاوت النوعية الى مجندين تعوزهم الخبرة ، ثم الى « الجدار الغربي » الذي انشأه على عجل لسد الطريق في وجه هجوم يشن من الغرب ، لم يكن في الواقع على جانب كبير من الركالة . ولعل نقاط الضعف هذه تفسر مخاوف القيادة الالمانية الخطيرة وقلة حماسها وثقتها في السنة ١٩٣٩ ، على الرغم من « الخدعة » الهتلرية .

٣ - تطورات التسليح

والاستحداثات في فن الحرب

خلال العمليات الحربية ، سيطر على ظروف المعركة البرية رجحان دور السلاح المدرع والطيران . وفي البحر اصبح الطيران العنصر الاساسي في الممارك ، التي عرفت منذئذ بـ « الجوية البحرية » ، وحتى في الصراع ضد الغواصات . وان كافة الابحاث التي اجريت ، والتي افضى بعضها الى اختراعات هامة جداً ، قد استهدفت اما تحسين هذه الاسلحة واما توفير دفاع فعال ضدها . فتكيف فن الحرب من ثم بحسب التطورات التقنية التي طرأت على الدبابة والطائرة ، وبحسب الوسائل الجديدة المكتشفة لاقتائها . وكانت النتيجة ادخال تغييرات على تنظيم الجيش وتجهيزه وظروف الحرب نفسها .

تطور الاسلحة المختلفة
هما الدبابة والطائرة ما طبعتا الحرب العالمية الثانية بالطابع الذي يميزها كلياً عن الحرب العالمية الاولى : السرعة القصوى في تحرك الجيوش . وبينما كادت الجبهة الرئيسية تكون ثابتة بين السنة ١٩١٥ والسنة ١٩١٨ ، استعادت الحركة في السنة ١٩٣٩ تفوقها على النار ، واعادت وسائل النقل السريع الى الحرب عاملي

المباغتة والسرعة اللذين قد تلاشيا من ذي قبل . فقاذفة القنابل ، والجيش المنقولة جـسـواً والوحدات الآلية الكبرى قد اعادت تقييم عامل المباغتة . وكان باستطاعة الدبابات المسلحة بمدافع من عيار ٥٠ و ٧٥ و ٨٨ و ٩٠ ان تسحق الآن نقاط الدفاع في طريقها وتتلف الاسلحة الآلية التي كانت توقف ، فيما مضى ، سلاحى الفرسان والمشاة ، بينما تهاجم قاذفات القنابل الامدادات وتدمر المواصلات والقوافل المتوجهة الى ميدان المعركة وتفكك الوحدات قبل وصولها الى مراكزها في الجبهة ، وتعمل استخدام قوات الاحتياط الاستراتيجية امراً مستحيلاً . وهو عامل المفاجأة هذا ما افاح للاقوى الافادة من تفوقه واحراز كافة الانتصارات الحربية .

بدالة هذا المركز الرئيسي الذي احتلته الدبابة والطائرة ، تطور تجهيز وتنظيم الاسلحة الاخرى . فامام الدبابات التي اصبحت سيدة ميدان المعركة تسلم سلاح المشاة التقليدي اسلحة ذاتية الحركة متزايدة للقوة والفعالية (المدفع الرشاش الصغير ، والبندقية الذاتية الحركة) ومدافع هاون خفيفة وثقيلة ، واخيراً اسلحة لاقاء القذائف ذات الحشوة المحوفة التي اتاحت للمشاة بحماية الدبابة على مسافة قريبة . وزود سلاح المشاة كذلك بمدافع رشاشة مضادة للطائرات مثبتة في القسم الامامي من الشاحنات للدفاع عن القوافل . وتحسنت الاتصالات تحسناً عظيماً ، فبات المذيع وسيلة الاتصال الاعتيادية حتى مستوى قائد الفصيلة . وزود اخيراً بالآليات ، ففقد كافة حيواناته ، باستثناء الوحدات الجبلية التي احتفظت ببغالها .

وتدل وفرة مدافع الهاون وتزويد وحدات المشاة بمدافع على المركز المتعظم اهمية الذي احتلته اسلحة الاطلاق المنحني المتزايدة على حساب الاسلحة الذاتية الحركة . وقد برزت افضلية المدفع القصير على المدفع الطويل ، التي اتضحت منذ ما بين الحربين ، في كافة العمليات الحربية . فمنذ السنة ١٩٣٩ سلح الفيلق الالماني بـ ١١ مجموعة مدافع قصيرة مقابل مجموعة مدافع طويلة واحدة ، وفي آخر الحرب لم تسلم الفيلق المدرعة الالمانية والاميركية سوى بمدافع قصيرة . اما التطورات الهامة التي طرأت على المدفعية فهي نقلها الآلي ، اذ ان المدافع المجرورة جراً قد استبدلت اكثر فاكثر بمدافع مثبتة على اسناد تتحرك آلياً ، وظهور المدفع الذي لا يندفع الى الوراء . فخفف بذلك وزن المدفع وسنده ، وبات بمقدور المظليين والمقاوير استخدامه ، ولكن المرمى اصبح ادنى مسافة وتعين الموضع اسهل منالاً .

اما سلاح الهندسة فقد تماظم دوره جداً في المعركة . فهو لم يعد يعمل منفرداً ، وقد لحقت وحداته ، التي ارتفع عدد افرادها ارتفاعاً كبيراً ، بوحدات المشاة والمدفعيين ، وغالباً ما تقدمتها لاستكشاف المسالك ، ونزع الالغام او زرعها تحت نيران العدو ، وتركيب الجسور . وتولت صيانة او شق الطرق ، ومهدت ارض المطارات بالجرافة . وقد زودت كذلك بالآليات

والمعدات القوية المختلفة .

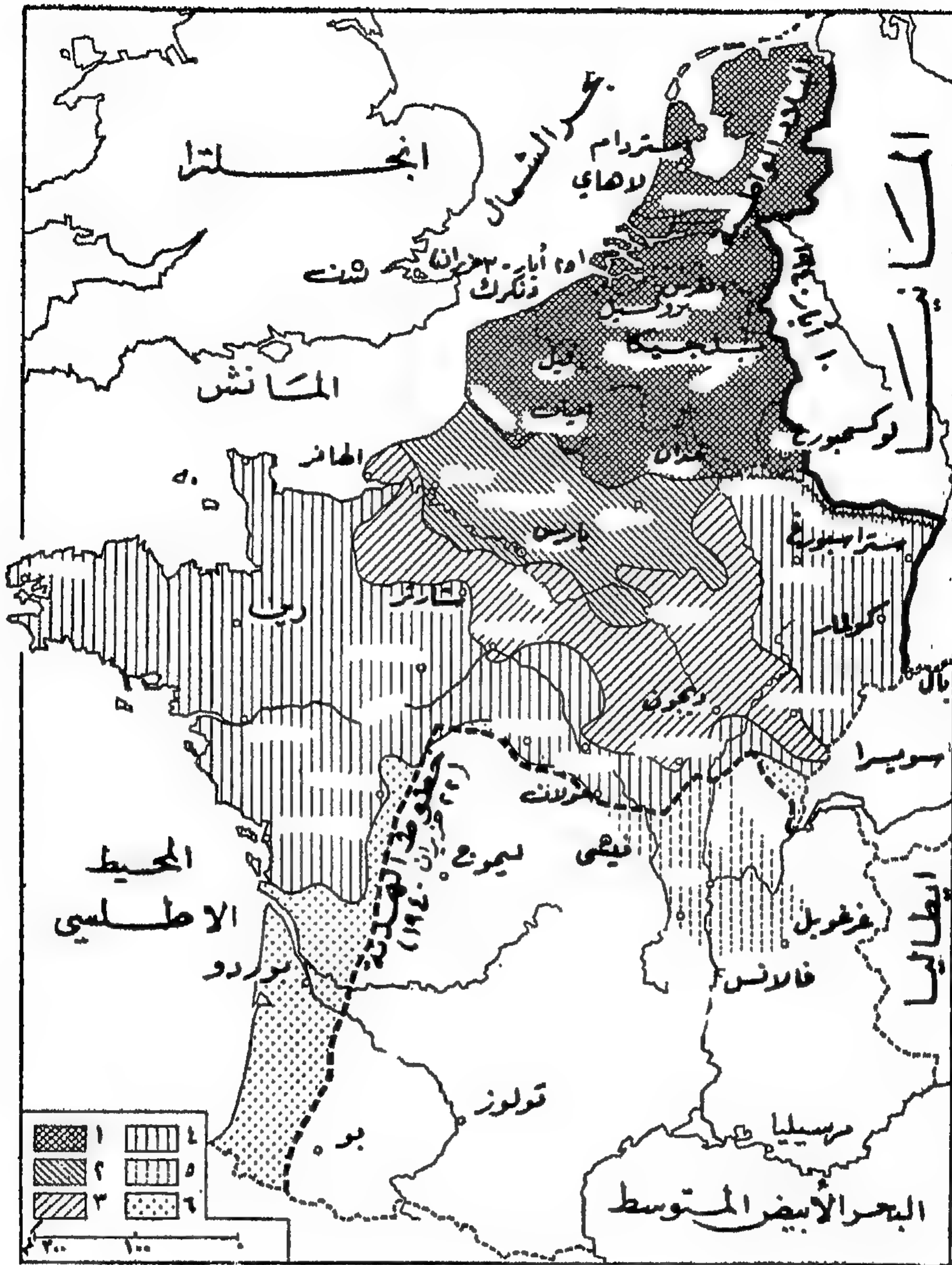
تنتظم المعركة حول الوحدات المدرعة الكبرى وبدائلها ؛ ولكن النجاح ليس
الدبابة منوطاً بها وحدها ، اذ انه يستلزم السيطرة على الجو ايضاً ؛ فهو من ثم تنسيق
الهجوم بين الدبابة والطائرة ما اتاح انتصارات الالمان العظيمة في بولونيا وبلجيكا وفرنسا .
(الشكل ١٣ ، ص ٣٤٩) والبلقان وافريقيا في المرحلة الاولى من الحرب ، وانتصارات الحلفاء ابتداء من
السنة ١٩٤٢ . وهو الجيش الالماني من ثم ما تُسج على منواله وما عيّن الطرائق في البدء ،
بسبب نجاحاته الجديدة بالاعتبار . وقد سبق ورأينا ان اليازر كانت وحدة تستطيع التصرف
باستقلال واسع ؛ وقد ضمت فرقة استكشاف مؤلفة من كافة الاسلحة : قصائل مدافع رشاشة
سيارة ودراجات بخارية ، وقصائل مدافع مشاة ومدافع مضادة للدبابات ، وقصائل من سلاح
الهندسة والمخبرات . ثم لوازم يضم احدهما ٤٨٨ دبابة ويتألف الثاني من رماة ينقلون في
السيارات وفرقة مدافع سيارة من عيار ٧٥ ومدافع مضادة للدبابات من عيار ٣٧ ، وفوج من
سائقي الدراجات البخارية مع مدافع رشاشة ، ومدافع هاوت من عيار ٨١ ومدافع
من عيار ٣٧ ، وفرق صغيرة مسلحة بمدافع مضادة للطائرات والدبابات وفرق من سلاح
الهندسة والنقل وفرقة مدافع تخرجراً من عيار ١٠٥ ، وفوج مخبرات ، ووحدات سيارة
في المؤخرة تؤمن تمويلاً منتظماً ؛ فكان بإمكانها ، بالاتفاق التمام مع سلاح الطيران الموجود
ابداً فوق ساحة المعركة ، ان تحقق عامل المفاجأة . وقد اتاحت لها سرعتها ومرونة مناورتها
فتح ثلمات عميقة والقيام بعمليات تطويقية .

خلال الحرب ، تقابلت وتوازت التحسينات الدفاعية والتحسينات الهجومية : ازدياد
تصفيح الابراج (حتى ٢٠٠ مم في القسم الامامي) ، وعيار المدافع : ٧٥ و ٨٨ و ١٠٥
و ١٥٠ ... ، ومن ثم وزن الدبابة : مارك ٦ (٦٥ طناً) ، فردينان (٧٠ طناً) ، شرمن
الاميركية (٣١ طناً) ، شرشل (٣٥ طناً) ، كونيغستيجر وناغدانتر (٦٨ و ٤٦ طناً) ،
برشنغ (٤٣ طناً) وجوزف - ستالين (٥٠ طناً) ، د ارهب سلاح بحنز حقه اي من
المتحاربين ، بمدفعه البالغ ١٢٢ سم طولاً ومدفعيه الرشاشين تحت البرج .

الا ان الدبابة قد اخضعتها حقول الالغام (التي كانت متصلة على طول ١٤ كلم امام موسكو
وتخللتها اغاور ضد الدبابات) . فلكي تتمكن من التقدم ، يجب تزع الالغام - تحت نيران
العدو - من الممرات الضيقة التي ستسلكها ، واكتشاف الالغام بواسطة كاشف مغناطيسي
واخراجها من الارض ، وقد بقي ذلك عملية خطيرة حتى السنة ١٩٤٤ حين ظهرت دبابات
شرمن المزودة بجهاز يكس الالغام (حتى تلك التي لا يكشفها الكاشف العادي) على مسافة
عدة امتار امام الجنائز . ولكن اهم ما تعرضت له هو نيران المدافع الكثيفة التي حققها الروس
ولا سيما المدفع « كوستيكوف » (الذي اسماه الالمان « ستالينورجيل » والروس « كاتوشا »)
المركب على جنازير ، الذي يطلق في آن واحد ١٦ او ٢٤ قنبلة من عيار ١٥ كيلوغراماً ،

وبصورة خاصة الـ « بازوكا » ، الابتكار الاميركي العظيم ، الذي كان اول سلاح فردي مضاد للدبابات في ايدي المشاة . فحتى ظهوره لم تبرهن كافة الاسلحة المستخدمة ، كالمدافع من عيار ٢٥ و ٣٧ ، والبندقية الروسية المضادة للدبابات من عيار ١٤ ، النخ . ، عن فعالية كافية امام تزايد سماكة تصفيح الدبابات ، مما ارغم تدريجياً على زيادة عيار - ومن ثم وزن - المدافع المضادة للدبابات : فعند الانكليز انتقل العيار من ٥٧ الى ٧٦ ، وعند الالمان من ٥٠ الى ٧٥ و ٨٨ ، دون ان يمكن ذلك المشاة من الدفاع عن انفسهم بوسائلهم الخاصة . اما البازوكا فأنبوب بسيط من الحديد المصفح يطلق من على الكتف او على الحاصرة فيقذف قنبلة ذات حشوة بحبوة قادرة على خرق سماكة ١٠ الى ١٢ سم من الحديد . وهي هذه الحشوة المحبوة ما اتاحت انقلاب الموقف وما شكلت منذئذ ارباب عدو للدبابات . وتآلف في جوهرها من مادة متفجرة ، تلتصق مغناطيسياً بجدار البندقية ، قادرة على ان توجه الى الحديد المصفح غازاً ملتهباً بسرعة تبلغ ١٥٠٠٠ م في الثانية ينفذ الى الداخل . وابتكر البريطانيون كذلك من جهتهم الـ « بيات » . كما ابتكر الالمان ، في السنة ١٧٤٤ ، الـ « بانزر شريك » ، من عيار ٨٨ مم القادر على اختراق سماكة ١٦٠ مم من الحديد المصفح على مسافة ١٠٠ م بواسطة قذائفه المجنحة ، و « البانزر فوست » القادر على اختراق سماكة ٢٠٠ ملم من الحديد المصفح على مسافة ٥٠ متراً . ومهما بلغ من قوة تصفيح الدبابات وقوة اسلحتها ، فقد اصبحت اصغر وحدات المشاة ، بعد اليوم ، مزودة بأسلحة فعالة ضدها .

وحتى قبل ظهور هذه الاسلحة الجديدة في ساحة المعركة ، اخذت المخطاط الدبابية اهمية الدبابات تتدنى شيئاً فشيئاً . فمنذ السنة ١٩٤٢ ، عاد الالمان الى اساليبهم القديمة : لم تعد الدبابات اداة اختراق مستقلة ، بل اصبحت مرة اخرى سلاحاً مواكباً . وقد اوضحت مذكرة صادرة عن قيادة اركان الجيش « ان مهمتها هي تسهيل تقدم المشاة » . وتطور من ثم تأليف البانزر . فبينما ضمت هذه الوحدة في السنة ١٩٤٠ فرقتين من الدبابات مقابل فرقة من المشاة ، انعكست النسبة في السنة ١٩٤٢ : فرقة من الدبابات مقابل فرقتين من المشاة . والدبابات بحاجة الى حماية المشاة ولا سيما الى حماية المدفعية التي حلت محل الطائرات الانقضاضية ، وهذا هو الدور الذي اسند الى المدافع السيارة اي الى فصائل المدفعية التي نظمها الالمان في السنة ١٩٤٣ . فالبانزر الرابعة التي طلب اليها انقاذ فون بولوس في السنة ١٩٤٢ لم تضم سوى ١٩٠ دبابة . وفي السنة ١٩٤٤ لم تضم فيالق البانزر الاربعة التي اسندت اليها مهمة قطع خطوط مواصلات الجيش الاميركي الثالث في « مورتين » سوى ١٢٠ دبابة فقط . وتفسير ذلك ان مشاة الدبابات امام قنابل الطائرات والالغام والاسلحة الذاتية الحركة قد ظهرت بكل وضوح . ثم جاء المدفع الذي لا يندفع الى الوراء والمطاردات التي تقذف القنابل تستعمل المخطاطها . فهم المشاة ونازعو الالغام من شحلوها وراء جبهة العدو رقبة الجسر التي انطلقت منها الدبابات البريطانية الى المعركة ، لا من اجل فتح ثمة بل من اجل المطاردة . واصبحت



الشكل ١٣ - الحرب في الغرب في السنة ١٩٤٠

- ١ - التقدم بين ١٠ أيار و ٤ حزيران ، ٢ - التقدم بين ٥ حزيران و ١٤ حزيران ، ٣ - التقدم بين ١٥ حزيران و ١٧ حزيران ، ٤ - التقدم بين ١٨ حزيران و ٢٥ حزيران ، ٥ - اندفاع العناصر المتقدمة ، ٦ - منطقة إضافية احتلها الألمان .

المدفعية مرة أخرى السلاح البري الحاسم لأنها تشق الطريق امام الدبابات . وهذا ما يفسر كثافة المدافع التي استخدمتها منذئذ فرق المدفعية الروسية .

وهكذا اعتمد كافة المتحاربين ، منذ صيف السنة ١٩٤٣ ، حلولاً متشابهة جداً لاستخدام دباباتهم : فان الفرقة المدرعة السوفياتية والبانزر الالمانية والفرقة المدرعة البريطانية قد ضمت عدداً محدوداً من الدبابات (زهاء ٢٥٠) تساندها مدفعية سيارة هامة وسلاح المشاة . ومن جهة ثانية ، ظهر في كافة الجيوش ميل الى جمع مجندين من كافة الاسلحة في وحدة جديدة اصغر من الفيلق وقادرة على التوفيق بين النار والحركة . وهم الاميركيون من سبقوا سواهم الى تطبيق هذه اللاحصرية ، بينما توصل الالمان الى النتيجة نفسها بزيادة عدد الفيالق التي تدنى هدد افرادها وعدد دباباتها تدنياً مطرداً . فكانت الجسدة عند الاميركيين في احلالهم ، في مستوى الفرقة ، وحدة الاسلحة المتألفة التي احلها الالمان في مستوى الفيلق والروس في مستوى الفصيلة . فاصبحت الوحدة الحربية الاميركية ، القادرة على القيام بعمليات مستقلة ، وحدة « قيادة المعركة » - المؤلفة من فوج دبابات خفيفة ومتوسطة وفوج رماة ينقلون في الشاحنات وبمجموعة مدافع سيارة من عيار ١٠٥ - يفصل الفيلق اليها مجموعة استكشاف مؤلفة من سيارات مصفحة ودبابات خفيفة ، ومدافع سيارة مجنزرة .

كما رأينا بصدد الدبابة ، تحسنت الطائرات تحسناً مطرداً طيلة ايام الحرب ،
الطائرات وتحسنت بالمقابلة وسائل مقاومتها ؛ ولكن بينما اتضح يوماً بعد يوم ان الدبابة اعجز من ان تعمل بمفردها وانها في الواقع سلاح هش ، وصعب الاستعمال ، ومعرض لاهطار كبرى ، لعب الطيران دوراً حاسماً مطرد الاهمية ؛ وفي حين لم يستطع اي من الاسلحة الاخرى الاستغناء عنه ، برهن هو عن ان باستطاعته الاستغناء عن سواه اذ انه ربح وحده معارك بحرية وحتى جوية بوحداته المنقولة جواً والمنزلة بواسطة المظلات .

جاءت تحسينات الطيران نتيجة نوعين من التقدم : فمن جهة ازدادت قوته الحركة ازدياداً عظيماً منتقلة من ١٠٠٠ الى ٢٠٠٠ وحتى الى ٥٠٠٠ حصان (Me - ٣٢٣) ؛ ومن جهة ثانية ازدادت قوة ناره بفضل ازدياد عدد وعيار وسرعة اطلاق نار المدافع الرشاشة (من ٦ مم الى ١٢ و ١٣ و ١٣ و ١٣) والمدافع (٣٧ ، ٤٠ ، وحتى ٧٥ مع قنابل متفجرة) واطلاق الصواريخ .

وهي المانيا ، هنا ايضاً ، ما يعود اليها فضل الابتكار في المرحلة الاولى من الحرب باستخدامها الطائرات الانقضاضية المطلوب منها « احداث الفراغ في ميدان المعركة والسباح لوحداث الهجوم باختراق صفوف العدو دون التعرض تعرضاً كبيراً لنيرانه » . فقد قامت مئات الطائرات بضرب العدو وتفريغ متفجراتها وكسب ساحه المعركة بطيرانها المنخفض ومهاجمة القوافل على طول الطرقات وتدمير الجسور ومراكز المدفعية الثقيلة وضعف المهندسين وغير المتمرنين على الحرب بالدوي الجهني الذي تحدثه الطائرة اثناء انقضاضها ، فتعظم الاعصاب

وتشل الدفاع . ولكن كلما اكتشف سر طريقتهما الحربية ، نرى فعاليتها ، الكاملة في بولونيا وحتى في الغرب في شهر ايار من السنة ١٩٤٠ ، تقدرى تدنياً محسوساً خلال المرحلة الثانية من معركة فرنسا على السوم والايين في شهر حزيران من السنة ١٩٤٠ ، واكثر فاكثراً في السنوات التالية . وان طائرات «لايتننج» و «موسلنج» و«ثندربولت» الانكلوساكسونية و «ستورموفيك» السوفييتية سوف تستخدم بدورها هذه الطريقة نفسها في اوروبا وافريقيا ، وفي الغرب كما في الشرق .

كانت معركة انكلترا المعركة الجوية الحاسمة الكبرى الاولى في الحرب . فان ٣٠٠٠ طائرة ، ثلثها مطاردات من طراز *Me ١٠٩* و *Me ١١٠* لحماية قاذفات القنابل ، قد وجدت أمامها ٥٤٠ طائرة مطاردة من طراز *Spitfire* و *Hurricane* انقذت البلاد من الغزو بمساعدة سلاح الدفاع ضد الطائرات واجهزة الرادار . ومنذ ذاك التاريخ اخذ تفوق الحلفاء يتعاظم وانتقل اليهم زمام المبادأة في الحرب الجوية .

حول الانكلوساكسون بمجهودهم الرئيسي الى الغارات الجوية
الغارات الجوية الاستراتيجية . فقد كان المقصود تدمير طاقة العدو الصناعية والاقتصادية والعسكرية بضرب المراكز الصناعية الألمانية الكبرى . ولذلك جهز الانكليز طائرة قادرة على قذف عدة اطنان من القنابل خلال هجوم واحد : بلنهايم ٤ ، - افرو لنكستر ، افضل قاذفات القنابل في السلاح الجوي البريطاني ، ولنغتون ، هاليفكس ٦ ، وموسكيتو التي كانت خير طراز ناجح . واحكم الامير كيون « القلمة الطائرة » المسلحة بـ ١٣ مدفعاً رشاشاً ثقيلاً ركبت بحيث لا يبقى اية زاوية ميتة . فقد بلغت سرعتها ٤٨٠ كلم وتراوح مداها بين ٢٠٠٠ و ٥٠٠٠ كلم وفقاً لوزن محمولها . ثم انتجت القلمة الطائرة الجبارة التي استخدمت في المحيط الهادي . وكان لدى الامير كيون « ليداتور » و « مارودر » ايضاً .

ومع السرعة والحمول والمسافة ، ازداد ايضاً وزن القنابل القابلة للانفجار : ١٨٠٠ كيلوغرام ، ثم ٣٦٠٠ ، و ٥٥٠٠ ، و ١٠٠٠٠ بالاضافة الى الصواريخ والقنابل المحرقة الفوسفورية . وقد جهزت كافة الطائرات بالرادار ، واستخدمت نظام « جي » (*Gee*) وطريقة « لوران » (*Loran*) اللذين اتاحا ارشاد الطائرات عبر الاطلسي او فوق المانيا ، ونظام « او بو » (*Oboe*) (١٩٤٣) الذي اتاح للسائقين معرفة مركز وجودهم مع فارق ٥٠ متراً تقريباً وسلوك الطريق المرسومة امامهم على شاشة مضاءة ، ونبه السائقون حين يقتربون من الهدف وحين تأزف ساعة اللقاء قنابلهم . واستخدمت في السنة ١٩٤٣ - ١٩٤٤ اللعبة « جن » (*Gen*) التي عرضت امام اعينهم على شاشة الرادار ، حتى على ارتفاع شاهق وعبر الغيوم الكثيفة ، صورة صحيحة للارض التي يطرون فوقها . وبفنية جعل المدافع والمطاردات والانوار الكاشفة تخطى هدفها استخدمت « النوافذ » (*Windows*) ، وهي اشربة صغيرة من الورق المفضض تحدث موجات عكسية تشوش اجهزة الرادار الألمانية . وقامت بالغارات عدة مئات من الطائرات التي كانت تتقدمها طائرات تلقي قنابل ملونة وقنابل مضئية .

بينما تخصص الطيران الجوي البريطاني بالغارات الليلية ، هاجم الطيران الاستراتيجي الاميركي نهراً ، ولكن الخسائر كانت فادحة - اذ ان متوسط عمر قاذفة القنابل لم يتجاوز ١٦٠ يوماً حينذاك - حتى ظهور طراز الـ «مستانغ» الذي قلب الاستراتيجية الجوية رأساً على عقب في اواخر السنة ١٩٤٣ . ومنذ هذا التاريخ اصبحت التفوق الاميركي في المعركة النهارية تاماً ؛ ففي ٣٠ كانون الثاني من السنة ١٩٤٤ هاجمت مدينة فرانكفورت ٨٠٠ قاذفة قنابل ، تخفروها ٧٠٠ طائرة ، ولم تفقد سوى ٤٤ طائرة . ولكن هذه الغارات بالجملة لم تسفر من جهة ثانية عن نتيجة كبرى ، لانها لم تدمر سوى جزء يسير من الانتاج الصناعي الالماني .

بات الجيش الجوي من ثم وفير العدد جداً ، واستلزم عشرة اضعافه على الارض : ٢٥٠٠ جندي لسرب مؤلف من ٢٤ «لنكستر» يضم ٢٥٠ طياراً . واستلزم كذلك موارد ضخمة . فكل غارة من الغارات التي اشتركت فيها ١٠٠٠ طائرة ، والتي ابتدأت في شهر ايار من السنة ١٩٤٢ ، وتعددت ابتداء من السنة ١٩٤٣ استهلكت بضعة ملايين ليتر من البنزين ، والقي فيها ٦٠٠٠ طن من القنابل . وان غارة الثاني من شهر شباط من السنة ١٩٤٥ على برلين ، التي قامت بها ١٥٠٠ قلعة طائرة تخفروها ٩٠٠ طائرة ، قد استهلكت ١٦ مليون ليتر من البنزين .

على صعيد الطيران التكتيكي الذي اشترك في المعركة البرية ، نرى الطيران التكتيكي ان تفوق سلاح الجو الالماني ، الذي ما زال حاسماً على الجبهة الشرقية

في شهر حزيران من السنة ١٩٤١ ، قد ثلاثى في السنة ١٩٤٣ امام الوف طائرات المطاردة من طراز «ميغ» وطراز «ياك» ؛ فان هذا الاخير ، المسلح بمدفع من عيار ٣٠ مم ومدفعين رشاشين ثقيلين وستة صفوف من صواريخ يزن كل منها ٢٥ كيلوغراماً ، كان سلاحاً رهيباً جداً ، على غرار طائرة الستورموفيك ، المسلحة بمدفعين من عيار ٣٢ وممدفعين رشاشين ثقيلين و٨ صفوف من الصواريخ ، التي تهاجم بسرعة ٤٠٠ كلم في الساعة ، انقضاضاً او على ارتفاع منخفض جداً ، الدبابات والمؤسسات الصناعية واستخدام الانكليز المحوريين والـ «سبتيار» من اطرزة مختلفة ، والـ «تيفون» التي حسنت واصبحت الـ «توبست» التي بلغت سرعتها ٧٠٠ كلم في الساعة وكانت احدث طائرة مطاردة خلال الحرب . وكان لدى الاميركيين الـ «مارودر» ، والـ «ثندربولت» اللتين بلغت سرعتهما ٧٠٠ كلم في الساعة ايضاً وامكن تجهيزهما بالصواريخ والـ «دوغلاس» - ٣٦ - التي استخدمت للمرة الاولى في السنة ١٩٤٥ ، وصككت اصرع الطائرات طراً وافضلها تسليحاً . ولكن منذ السنة ١٩٤٥ ظهرت الطائرة النفائة الاولى التي استمض فيها عن محرك الانفجار بعنفة احتراق تنفث بسرعة الى الوراء غازاً محترقاً يدفعها في الاتجاه المعاكس . وكانت هذه الطائرة الجديدة اخف وزناً واصغر حجماً اذ ان طريقة دفعها الى الامام قد اتاحت الاستغناء عن قطع كثيرة ، من جملتها المروحة ، وبلغت سرعة ٩٠٠ كلم في الساعة . وكان «هنكل» قد اجري تجربة ، منذ السنة ١٩٤١ ، على طائرة نفائة ، ولكن قراراً طائشاً اصدره القومرر قد اخراستخدامها حتى السنة ١٩٤٣ حين ظهرت الطائرة Me ٢٦٢

وفي هذا التاريخ استخدمت الـ « غلوستر متيور » التي بلغت سرعتها ٩٧٠ كلم في الساعة وكانت اولى الطائرات المشتركة في عمليات حربية في شهر آب من السنة ١٩٤٤ ، باسقاطها صواريخ ١٢١ ، والـ « فامبير » التي بلغت سرعتها ٨٧٠ كلم في الساعة . ومن الجهة الالمانية ، كانت طائرات الـ « ناتر » (ثعبان) ، بالإضافة الى الـ Me ٢٦٢ والـ He ١٦٢ ، متفوقة بسرعتها على مكافة الطائرات الحليفة ، ولكن استخدامها جاء متأخراً ، فلم يكن لها تأثير على العمليات .

استُخدم هذا الطيران التكتيكي اسراباً كثيفة ، في مصر اولاً حيث سحلت الف مطاردة وقاذفة قنابل هجوم الجيش الثامن وتجاوزته في تقدمه وحالت دون التموين الالمانى بجزراً . وهو هذا الطيران ما اعد وساعد عمليات انزال الجيوش في صقلية و « سالرن » و « انزوي » ونورمانديا (الشكل ١٤، ص ٣٦٠) ففي اليوم المحدد، انقلب وضع السنة ١٩٤٠ لصالح الحلفاء، اذ لم تصادف ٦٠٠٠ طائرة ، نصفها من المطاردات القاذفة القنابل ، امامها سوى ٩٠٠ مطاردة المانية . وفي اعظم معارك تقويض الجبهات شأناً ، في « سان - لو » ، اغارت طائرات الـ « ثندربولت » ، كل دقيقتين او ثلاثة ، بالقنابل الفوسفورية ، ثم المتفجرة ، على خطوط العدو الاولى . والقت ٣٠٠ طائرات ٧٠٠٠ طن من القنابل في « منديل الجيب » هذا البالغ ٩ كلم طولاً و كيلومترين عرضاً ، وفتحت الثمة التي اندفعت فيها جيوش الجنرال « باتون » . وقد اسندت الى الطيران وحده مهمة حماية جناحيه . ونشرت طائرات الـ « تمبست » والـ « ثندربولت » والـ « موسكيتو » الذعر في كافة الطرقات . فاشتركت في المعركة بكثافة وبسرعة مذهلة وصدت الهجمات المعاكسة ، كما في « مورتين » في السادس من آب وفي الاردن في شهر كانون الاول من السنة ١٩٤٤ .

كان من اهم مستحداث الحرب استخدام المظليين والجيوش المنقولة جواً
الجيوش المنقولة جواً استخداماً واسم النطاق . ففتح ذلك بلوغ الهدف الذي سعت وراءه الاستراتيجية منذ عهد قديم : مهاجمة العدو من الورا بقاءات هامة . وفي السنة ١٩٣٩ لم يكن هناك من وحدات مظليين الا في الاتحاد السوفياتي وفي المانيا ، ولم يفكر الحلفاء بانشاء وحدات مماثلة بدورهم الا بعد الفتوحات الالمانية . وتحسنت كذلك المعدات اللازمة من طائرات نقل وطائرات هوائية متطورة ، فتابحت نقل عدد متزايد من الجنود والمدافع والعربات والدبابات . الا ان استخدام المظليين والنقل بواسطة الطائرات الهوائية لم يتسع اتساعاً كبيراً الا منذ غزو جزيرة « كريت » . فحتى ذاك التاريخ اقتصر هذا الاستخدام على انزال مجموعات صغيرة من الجنود البواسل وراء الخطوط للقيام بعمليات تدمير او باحتلال نقاط هامة رئيسية : المطارات ، كطيار اوسلو ، والجسور الهامة على الـ « موز » والرين في هولندا وبلجيكا ، وجسور قناة الملك « البير » ، وحصن « ابسن - اميل » . وليس من يشك في اهمية هذه العمليات التي يقدم احتلال النروج مثلاً على نجاحها التام ، ولكن عدد الجنود المشتركين فيها ما زال محدوداً . اما احتلال

كريت - المركز الاستراتيجي الهام جداً - فقد استلزم وسائل اعظم شأنها الى حد بعيد : ١٢٣٠ طائرة منها ٥٣٠ / u - ٥٢ تحميمها مطارادات وطائرات انقضاضية ؛ ٧٣٠٠ مظلي (فقد ٤٠ ٪ منهم) واكثر من ٢٠٠٠٠ جندي نقلوا جواً . وفي اواخر السنة ١٩٤٢ ظهرت الوحدات الحليفة الكبرى المعدة للنقل الجوي ، التي اشتركت في كافة العمليات الهامة : في صقلية ، في رقبة جسر سالرن ، في نورمانديا حيث انزلت من الجو ثلاثة فيالتي وراء الخطوط الالمانية في « سانت - مار - اغليز » و « بايو » وفقدت ٥٠ ٪ من افرادها ، وعلى الرين الذي سبق اجتيازه انزال ١٤٠٠٠ من المظليين والجنود المنقولين جواً (فيلقان) مع ٧٠٠ سيارة و ١٠٠ مدفع وذخائرهم التي نقلتها ٣٠٠٠ طائرة و ١٣٢٦ طائرة هوائية .

الاسلحة الذاتية الاندفاع
انت تفوق الحلفاء الجوي الساحق دفع الالمان الى البحث عن وسائل جديدة لبلوغ اهدافهم . وكان ذلك منطلق تقنية ثورية تستخدم اسلحة ذاتية الاندفاع قد يقودها او لا يقودها ملاحون . ف منذ السنة ١٩٤٢ احكم الالمان في « بينموند » ، في جزيرة « اوسدوم » ، اسلحة بوشر درسها منذ السنة ١٩٣٧ هي الـ ١ (اسلحة الانتقام : Vergeltungswaffe) و ٢ . وكانت الـ ١ صواريخ تبلغ سبعة امتار طولاً تسيرها قوة اندفاع عكسي وتحمل طناً من المتفجرات . وكانت تطلق في قواعد خاصة ثابتة ، حتى مسافة ٢٥٠ كلم . ولكن الطيران والمدفعية المضادة للطائرات اللذين كانا مزودين بأجهزة رادار للتصويب آلياً وبأنايبب مسيرة تطلق صواريخ تعمل عملها حين تمر على مسافة دون الـ ٤٠ متراً ، قد تغلبا بسهولة عليها ؛ فلم يبلغ الهدف سوى ربعها ودمرت قاذفات القنابل قواعد اطلاقها او ازالتهما كلياً . اما الـ ٢ ، فكانت اعظم خطراً : فهي صواريخ سدئية تبلغ ١٤٠٥ م طولاً وتزن ١٣٠٥ طناً ، كانت تطلق اطلاقاً يكاد يكون عمودياً بواسطة جهاز خاص ، فتبلغ ارتفاع ٥٠ كلم ، وحين تصل الى الارض مسيرة بسرعة ١٣٠٠ متر في الثانية ، كان يستحيل سماعها ، مما جعل الدفاع ضدها محالاً وجعلها تترك وراءها دماراً وخراباً كثيراً . ولكن ٦٠٠ طائرة من سلاح الجو البريطاني ضربت بالقنابل تجهيزات بينموند في السنة ١٩٤٣ مما أخر اطلاقها وحال دون تعريضها نصر الحلفاء للخطر .

الحرب البحرية
طرات على الحرب البحرية تغييرات كبرى ايضاً ، فتبدل وجه المعركة البحرية تبديلاً كلياً . وان تبدلاتها خلال الحرب العالمية الاولى لا تقارن بتبدلات الحرب البرية . فامام اسطول بريطاني ، كان على العموم اكثر من ضعفي اسطولها ، وقفت المانيا موقفاً دفاعياً ، ولم تستلم المبادرة الا في عهد متأخر في نطاق حرب الغواصات الخاص .

قامت في البدء ببعض غارات سريعة على شواطئ « نورفولك » و « يوركشاير » . وكانت اكبر عملية ، بعد معركة « دوغر بانك » ، في اوائل السنة ١٩١٥ ، عملية « جتلند » في شهر ايار من السنة ١٩١٦ ، حيث ارغم الاسطول الالماني على الانحناء امام الانكليز والانزواء في

مرافقه على الرغم من المهارة في المناورة التي برهن عنها اسطول الاميرال « فون سي » في « كورونيل » و « فالكلند » منذ اواخر السنة ١٩١٤ .

وهاجت السفن التجارية الحليفة بسفن قرصنة اتقن امدادها بالموث والمعلومات ، ولكنها دمرت بسرعة . وفي السنة ١٩١٦ ظهرت مرة اخرى بعض السفن الشراعية او التجارية التي ما كان احد ليشك في هويتها : « سيدلر » ، و « مو » ، و « وولف » (التي بقيت ٥١ يوماً في البحر) ، ولكن مآثرها لم تؤثر قط على مجرى الحرب . الا ان الاستحداث الالمانى الهام على الصعيد البحري كان في اتساع مدى استخدام الغواصات التي هاجت بدون تبصر وبدون سابق انذار ، ابتداء من السنة ١٩١٧ ، كافة السفن التي تصادفها في المياه البريطانية . وقد استخدمت المانيا غواصات كثيرة مسلحة بمدافع من عيار ٨٨ ، يقودها ضباط مهرة جداً في الهجوم بالمدفع و « الطوربيد » ، قادرة على القيام برحلات طويلة جداً (حتى ١٠٠ يوم) لمراقبة الملاحة ، انزلت بالخلفاء خسائر كبرى وهددت تموين الجزر البريطانية بالخطر : ففي شهر نيسان من السنة ١٩١٧ ، أغرقت سفينة من كل اربع سفن تغادر الارخبيل .

ردّ الحلفاء بزيادة انتاج السفن المعدة للاعاضة من المحمول المدمر ، وألفوا قوافل تحميها المدمرات واصحروا من سفن الاستطلاع ومطاردة الغواصات ، وشجعوا تركيب اجهزة اللاسلكي ، وسلاحوا السفن التجارية وزرعوا الالغام في الممرات البحرية التي تركها الالمان مفتوحة في جون « هليغولند » وبحر الشمال ، وضربوا قواعد الغواصات في « زيبروغ » و « اوستند » وهرقلوا الحركة فيها ... ومنذ اواخر السنة ١٩١٧ ، زال الخطر وبلغ من الخسائر الالمانية (دمرت ١٩٩ غواصة) ان اولى بوادر الثورة ظهرت بين البحارة الذين قتل منهم عدد كبير جداً .

اما « امثلة الحرب » فكانت ان الطائرات والالغام والغواصات قد اثبتت انها اسلحة رهيبه بالنسبة للسفن السائرة فوق سطح المياه . وان الغواصة بصورة خاصة استطاعت ان تلعب دور سفن القرصنة القديمة وتفرض حصاراً فعالاً . فبدت من ثم اهمية السفن الحربية متدنية جداً : انها تستهلك كميات كبرى من الوقود كما انها معرضة ابدأ لخطر الالغام والطائرات والغواصات ، فلم يمكن ابقاؤها وقتاً طويلاً في البحر ، بل اقتصر دورها على القيام بالغارات او منع غارات سفن الاعداء . الا ان الجهود المبذولة بين الحربين قد اتاحت اصلاح بعض هذه النواقص : فان انشاء قوة خفر من الطائرات والسفن الصغرى المضادة للغواصات ، وتميز دفاعها ضد الطائرات ، ولا سيما زيادة محمولها ، وتحسين آلاتها وزيادة سرعتها ، واخيراً امكانية تموينها في عرض البحر بفضل المازوت ، قد اتاحت لها البقاء في البحر طيلة اسابيع عدة والعمل في نطاق اوسع منه في ما مضى . وعزز الطيران واسندت اليه مهمة الاستكشاف وقذف القنابل والنسف ، ولكن اليابانيين وحدهم فكروا بالنسف الانقضاضي . ومن جهة ثانية ، كانت

البحريتان الاميركية واليابانية وحدهما قد بنتا عدة حاملات طائرات ، وهي سفن اعتبرتها الدول الاخرى ملبكة وسريعة العطب .

والحال ابرزت معركة النروج فجأة اهمية الغطاء الجوي ، فاقتضى معركة الأطلسي ذلك - كما رأينا - اعادة نظر شاملة في المفاهيم ، وتوزيعاً جديداً للقوات ، واللجوء الى اساليب قتال جديدة . فبات السلاحان الاوليان ، منذئذ ، الغواصة والطائرة .

في الغرب اقتصرَت « معركة الأطلسي » بالنسبة للبريطانيين ، اذا ما استثنينا مراقبة وتدمير بعض الوحدات الالمانية السطحية الكبرى (بسمارك) ، على مطاردة غواصات العدو التي حاولت قطع مواصلات الارخبيل بالنحاء العالم الاخرى .

وخلافاً لما حدث في الحرب العالمية الاولى ، لم تعد الغواصة لتستطيع المهاجمة بالمدفع لانها لم تستطع الظهور على سطح البحر دون خطر . فان الاميرالية البريطانية قد استخدمت جهازاً كاشفاً يثبت موجات فوق الصوتية يتيح صداها ، الذي يعكسه الجسم الموجود في ميساء البحر ، كشف هذا الجسم وتحديد مكانه . فتقذفها الطائرات ومطاردات الغواصات والمدمرات حينذاك بسيل من القنابل . وخفرت القوافل البوارج والحراقات والمدمرات ؛ وامّنت حماية السواحل بالالغام ، وراقبت طائرات قيادة الشواطئ البحر رقابة دائمة . أما الغواصات الالمانية التي كانت في السنة ١٩٤٠ مهارات يتراوح وزنها بين ٥٠٠ و ٨٠٠ طن ويبلغ شعاع نشاطها حتى ثلاثة اسابيع ، فقد تحسنت وبات باستطاعتها بلوغ ٢٠٠ متر عمقاً ؛ وفي السنة ١٩٤١ ظهرت غواصات تزن ١٥٠٠ طن ويبلغ شعاع نشاطها ٢٠٠٠ ميل (٣٧٠٠٠ كلم) ، يمكن استخدامها حتى في المحيط الهندي في ما وراء الدكاب . وقد اعتمدت طريقة سرب الضراء (Rudeltaktik) : ما ان تكتشف الغواصة قافلة ما حتى تنبه اليها القيادة في فرنسا التي توجه اليها كافة غواصات المجموعة (١٥ او ٢٠) ؛ وقد آثرت العمل في « الكوة السوداء » في الأطلسي حيث تستعمل الرقابة على الطائرات . ولكن الدفاع تحسن وتكامل ، فتزايد شعاع نشاط الطائرات واتاح الجهاز الكاشف آنذاك ليس معرفة مكان وبعد الغواصة فحسب ، بل عمقها عن سطح البحر ايضاً ، واستطاعت الطائرات المزودة بالرادار واجهزة الكشف الضوئي البقاء على اتصال بالغواصة بعد غوصها بفضل الكاشف المغنطيسي . وجمزت السفن بشباك تقيها من خطر الطوربيد ؛ وفي شهر آب من السنة ١٩٤٣ استخدمت للمرة الأولى القنبلة الحائمة المسيرة . واستخدمت بعض سفن القوافل كحاملات طائرات ؛ وزودت بجهاز يطلق في آن واحد ٢٤ صاروخاً تتفجر عند اصطدامها بالهدف . وفي أواخر السنة ١٩٤٣ ظهر الـ «سكويده» ، مدفع الهاون المحكم الذي يسدده الجهاز الكاشف ، ويطلق ثلاث قنابل كبرى في آن واحد . وباتت الطائرات بصورة خاصة ، بعد ان طال شعاع عملها ، وزاد عددها ، قادرة الآن على سد « كوة الأطلسي » . وقد استخدمت قنابل محشوة بمادة متفجرة عظيمة الفعالية (Minol) . وخفرت القوافل

المتزايدة أهمية (٧٠ ، ٩٠ سفينة) خفراً قوياً ، وفتكت الطائرات المجهزة بعاكسات الوار قوية فتكاً ذريعاً بالفواصات التي تحاول الاستفادة من ظلام الليل للصعود الى سطح الماء . وقد اعطت هذه التدابير مفعولها : فان الخسائر التي بلغت ٨٠٠ . ٠٠٠ طن في شهر تشرين الثاني من السنة ١٩٤٢ قد هبطت الى ٩٦ . ٠٠٠ طن في شهر حزيران من السنة ١٩٤٣ ، ودمرت ١٧ غواصة المانية . ومنذ شهر كانون الثاني من السنة ١٩٤٣ ، اخذت مصانع السفن الانكلوساكسونية تبني سفناً جاوزت محمولها الخسائر الى حد بعيد . ومنذ ذاك التاريخ ، اختل التوازن نهائياً ، في البحر والجو على السواء ، لمصلحة الحلفاء . ففي اواخر السنة ١٩٤٣ ، بلغ عدد الفواصات الالمانية والايطالية المدمرة ٤٧٥ ، وهبط محمول السفن المفرقة في شهر ايار من السنة ١٩٤٤ الى ٢٤ . ٠٠٠ طن ، بينما ارتفعت الخسائر في الفواصات ارتفاعاً مطرداً . ففي شهر كانون الثاني من السنة ١٩٤٥ ، لم يبق في عرض البحر سوى ٦٠ غواصة فقط (الشكل رقم ١٥) .

الآن ان ظهور الـ « شنورشل » في ربيع السنة ١٩٤٤ ، اي حين تعرضت الفواصة لضربات حاسمة ، قد احدث ثورة في ظروف الملاحة تحت سطح الماء . فقد تألف من انبوب عازل للهواء يرتفع فوق الغواصة الغائصة ؛ واتاح تأمين الهواء النظيف الضروري للحياة في الغواصة تحت سطح المياه ولسير المحركات واخراج الهواء الفاسد وغازات الاحتراق ؛ فاستطاعت الغواصة من ثم النجاة من رادار الطائرة والاحتفاظ بسرعة تكاد تعادل سرعة سفن خفر القافلة والبقاء تحت سطح الماء طيلة اسابيع عدة . ولكن الاوان قد فات ، في هذا المجال ايضاً ، اذ ان الاختراع الجديد لم يستطع قاب الموقف لصالح المانيا .

بينما نسبت الفواصات لنفسها ٥٠ ٪ من محمول السفن المفرقة والطيران ٣٥ ٪ ، لم يعد للالغام سوى ٦ - ٧ ٪ ، بالرغم من ان حرب الالغام قد عرفت نشاطاً عظيماً متزايداً . فلم تستخدم الالغام الكلاسيكية المتزايدة القوة فحسب ، بل الالغام المغنطيسية منذ السنة ١٩٣٩ ، والالغام السمعية في السنة ١٩٤١ ايضاً ؛ كما استخدمت الالغام الضغطية التي تنفجر تحت تأثير المياه التي تحركها السفن ، والتي اتاح لها تركيبها ان تعمل سمعياً ومغنطيسياً وضغطياً . ولكن الايطاليين توفقوا منذ كانون الاول ١٩٤١ ، بغية الوصول الى السفن في المرافىء والدوران حول شبكات الحماية او المرور من تحتها والاقتراب من الهدف بجهد المستطاع ، الى استخدام طوربيد يسيّره رجلان تنزلها الفواصات قرب الهدف ، والى اصابة مدرعتين وناقلة بترول في مرفأ الاسكندرية نفسه . وفي اواخر الحرب استخدم الالمان الطوربيد « ماردر » المؤلف من طوربيد يحمل ملاحاً يقذف بطوربيد متفجر حين يصبح على مسافة قصيرة من الهدف ، واستخدم اليابانيون الطوربيد « كايتن » الانتحاري الذي يسيّره الملاح حتى الهدف وينفجر معه ؛ وفي سبيل بلوغ الغاية نفسها انتج المزيد من غواصات الجيب التي قد تبلغ سرعتها ٢٢ عقدة تحت المياه ، فبنى البريطانيون الـ « مدجت » (وقد استخدمت احداها في ضرب الـ « تربيتز » في احد الخلجان الضيقة) وبنى الالمان الـ « سيهوند » .

إذا ما قورنت حرب الغواصات في الحرب العالمية الثانية بحرب الغواصات في الحرب العالمية الأولى ، لا تضح أنها كانت أقل فعالية وأقل ارضاء للألمان : فانهم قد اغرقوا متوسط المحمول الشهري نفسه تقريباً ، ولكن عدد السفن المفرقة أقل منه بنسبة النصف بسبب تزايد محمولها ، وكانت الخسائر الألمانية فادحة جداً .

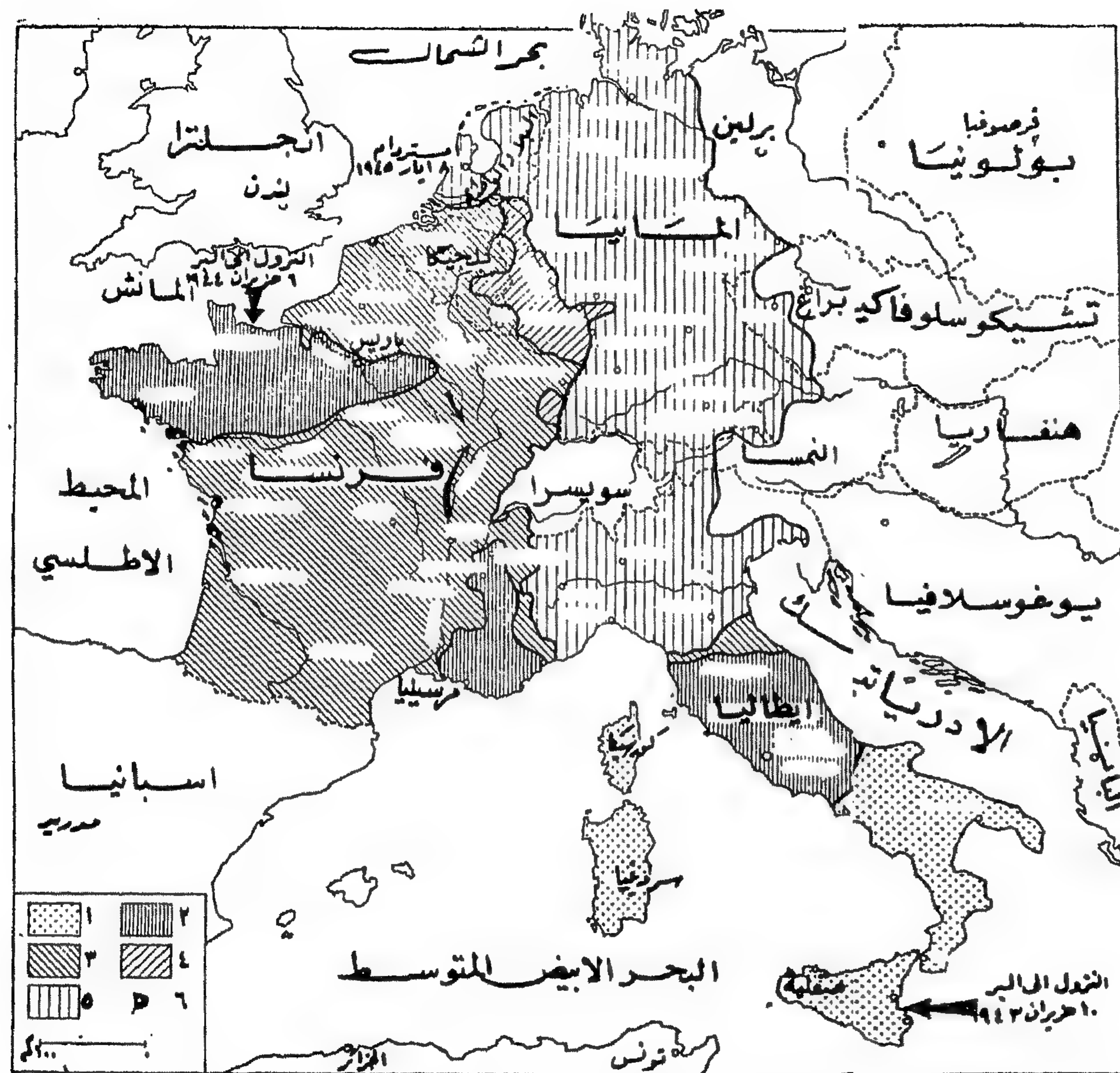
المعركة في المحيط الهادي
يختلف وجه المعركة في الهادي اختلافاً كلياً ؛ فقد توفرت هنا للطرفين وسائل العمل نفسها ، وكانت السيادة هنا للأسطولين الجوي والبحري . فبعد النجاحات العظيمة التي أحرزها اليابانيون في الأشهر الأولى من الحرب (بيرل هاربور ، وتدمير الد « برنس أوف وايلز » ، والد « ريبلس » بواسطة الطائرات الانقضاضية) ، سمحت الطائرات والغواصات الاميركية الى تدمير سفن قوين الجيوش اليابانية الموزعة على كافة المحاء آسيا الجنوبية الشرقية والارخبيلات ، موقعة بها خسائر ما لبثت ان ارتسدت حجم الكارثة . وقد استعاد الامير كيون سيطرتهم على المحيط الهادي بفضل سيطرتهم الجوية .

ان الممول عليه بعد اليوم ، اكثر من عدد السفن المسلحة بالمدافع ، هو عدد حاملات الطائرات والطائرات المنقولة ، لأن النتيجة الحاسمة تنتزعها هذه او تلك . وقد ارتفع عدد الطائرات المشتركة في المعركة ارتفاعاً مطرداً : ١٨٠ طائرة يابانية مقابل ١٤٤ طائرة اميركية في معركة بحر المرجان ، و ٣١٢ طائرة يابانية مقابل ٣٠٥ طائرات اميركية في معركة جزر « مدواي » ، و ٤٩٨ طائرة يابانية مقابل ٨٢٠ طائرة اميركية في جزر « ماريان » . وفي شهر ايلول من السنة ١٩٤٤ ، في معركة الفلبين الثانية من اجل الاستيلاء على جزيرة « لايت » التي انتهت بتدمير الاسطول الياباني ، كان لدى الامير كين ١٢ حاملة طائرات يدخل في عدادها ست حاملات كبرى ، و ١٨ حاملة طائرات خافرة ، و ١٢٨٠ طائرة ، مقابل ٤ حاملات طائرات لدى اليابانيين و ٦٠٠ طائرة في المطارات ، اي مجموع ٧١٦ طائرة . وكانت الجودة الهامة ، من جهة ثانية ، مدى وعدد المعارك البحرية الكبرى التي تصادمت فيها اساطيل قوية والتي لم تعرفها الحرب العالمية الاولى قط . فقد تقابلت اساطيل ضخمة بمقدورها البقاء في البحر طيلة اسابيع عديدة ، كما في عهد السفن الشراعية ، ولكن بصورة غير منتظرة . فلا تدور المعارك النهارية على مسافة ١٠ او ١٥ كلم كما كان مرتقباً ، ولا تدور المعارك الليلية على مسافة ٥٠٠ او ١٠٠٠ متر ؛ دارت ١٣ معركة بحرية كبرى على مسافات تتراوح بين ٣٠٠ و ٧٠٠ كلم ، ودارت ٦ معارك ليلية ، بحيث لم تصل المدرعات الى مرمى المدفع ولم تلعب الدور الذي كان منوطاً بها من ذي قبل . وفي المعركتين الحاسمتين في حرب المحيط الهادي : معركة مدواي في حزيران ١٩٤٢ ، ومعركة الفلبين الاولى في حزيران ١٩٤٤ ، لم تشترك اية مدرعة كبرى الا بمدافعها المضادة للطائرات . اما في الليل فقد نشبت المعركة ، بفضل الرادار ، بواسطة المدفع والطوربيد ، على مسافة ١٥ كيلومتراً . وباستثناء حاملة طائرات واحدة اغرقها المدفع ،

دمرت ٤٠ حاملة طائرات اثناء الحرب بفعل الطائرات او الغواصات . اما المدرعات الاميركية والانكليزية والالمانية ال ٢٤ التي دمرت ، فقد غرق ٩ منها في معارك بحرية و ٥ فقط بفعل المدافع بينها ٣ اصبحت بالطوربيد ايضا .

لذلك فان تأليف الاساطيل في السنة ١٩٤٥ يوضح تدني دور المدرعة الكبرى التي لم تعد « السفينة الحربية الرئيسية » المعهودة . ليست بعد اليوم سوى سفينة تابعة اعظم نفعا بمدافعها المضادة للطائرات منها بمدافعها الضخمة . فان الاسطول الذي كان يستعد ، في شهر آب من السنة ١٩٤٥ ، لتنفيذ عملية « اولمبيك » (النزول الى اليابان) قد ضم ٢٣ مدرعة كبرى و ٢٦ حاملة طائرات حربية و ٦٤ حاملة طائرات خافرة . وبينما كانت النسبة بين فئتي السفن نسبة ٩ الى ٤ ، فقد انتقلت الى نسبة ٢٠٣ الى ٩ . لقد اصبحت حاملة الطائرات محور كافة العمليات .

العمليات البرمائية من المظاهر المميزة لهذه الحرب ايضا عدد واتساع العمليات البرمائية التي تجاوزت المئة واختلفت اهمية ، فاقصر بعضها على اعمال المغاوير واتسع بعضها الآخر ، كعملية « اوفرلورد » في نورمانديا ، التي انطوت على ازال ٧٥ فيلقا وتكوينها . لقد برهنت حملة الدردنيل الفاشلة واخفاق ازال الجيوش على ساحل الفلاندر خلال الحرب السابقة ، على ما يبدو ، على استحالة نجاح ازال جيوش بالقوة على ساحل منيع التحصين . ولذلك لم يكن اي من الجيوش معدا لمثل هذه العمليات . الا ان اخفاق ازال الجيوش الخليفة في النروج ، والنجاح الألماني المقابل ، واجهاض خطة « سيلو » لانزال الجيوش في انكلترا ، ونجاح احتلال كريت الباهر على يد جيوش وبواسطة معدات نقل معظمها جوا ، قد اثبتت ان شرط النجاح هو امتلاك معدات نقل وانزال معدة خصيصا لهذه الغاية ولا سيما امتلاك غطاء جوي يتيح « اقتراب » وحدات الهجوم . وبعد السنة ١٩٤٢ اجريت عمليات انزال الجيوش الكبرى الحاسمة في افريقيا واوروبا والمحيط الهادي : وقد تاهز عددها الستين - ١٠ في اوروبا وافريقيا ، و ٥٠ في المحيط الهادي - وتحسنت خلالها المعدات والاساليب . ففي الدرجة الاولى تأمنت الحماية بالطيران ومدافع الاسطول الضخمة . واستخدمت للنقل زوارق بإمكانها الجنوح على بضعة امتار من الشاطئ او القيام برحلة طويلة في عرض البحر : زوارق ذات طبقتين مسطحة القعر لا تدخل كثيراً في الماء وتفتح فيها مصاريح ضخمة تنتقل عليها السيارات والدبابات . وسفن كبرى قادرة على نقل زوارق انزال صغرى مختلفة الحمول (اكثر من ٤٠ نموذجاً) : ناقلات دبابات ، زوارق هجوم ، سيارات برمائية ، ودبابات ، الخ . ولما كانت عملية الانزال في « دياب » قد اظهرت المخاطر التي تنطوي عليها محاولة الاستيلاء على احد المرافئ ، فقد تقرر ، لعملية الانزال في نورمانديا ، اختيار ساحل لا مرفأ فيه ، يكون من ثم اقل تحصيناً ، وإنشاء خمسة مرافئ اصطناعية ، ثلاثة منها للسفن الصغرى واثنان للسفن الكبرى ، مع ما يستلزمان من ارسفة ثابتة متوازية مؤلفة من سفن قديمة مهيئة مثقلة في قعرها بالاسمنت المسلح والفولاذ ، و ارسفة عائمة (من الفولاذ) تستطيع زوارق الانزال الاقتراب منها .



الشكل ١٤ - الحرب في الغرب : حزيران ١٩٤٤ - أيار ١٩٤٥ .

- ١ - إقليم مسقودة قبيل النزول إلى نورماندي . ٢ - أراض مسقودة في ٢٨ آب ١٩٤٤ . ٣ - أراض مسقودة في ٣١ كانون الأول ١٩٤٤ . ٤ - الموقف في ٢٦ آذار ١٩٤٥ . ٥ - الموقف في ٨ أيار ١٩٤٥ . ٦ - جيوب ما زالت تحت سيطرة الجيش الألماني في ٨ أيار ١٩٤٥ .

وإنما كثرت العمليات البرمائية في المحيط الهادي . فلأجل رد اليابانيين إلى الوراء انتهج الأميركيون خطة انزال نظامية كان الهدف منها تجاوز معظم المواقع البحرية حيث وزع اليابانيون أكثر من ٦٠٠.٠٠٠ جندي بقية الاستيلاء على قواعد توصل الأميركيون ، انطلاقاً منها ، بفضل تفوقهم الجوي والبحري ، إلى ملاشاة تأثير الارخبيلات أو الجزر الصغيرة المنعزلة الباقية وراهم أو إلى إخضاعها . وبعد الانتصارات البحرية الكبرى في شهري أيار وحزيران من السنة ١٩٤٣ في بحر المرجان وفي مدواي ، أقصى هذا الهجوم المعاكس اليابانيين عن غينيا الجديدة وجزر سليمان ، وتم عن « راجول » في بريطانيا - الجديدة ، واتاحت سلسلة جديدة من القفزات الاستيلاء على جزر جيلبرت ومارشال والماريان (سايبان) وغوام ؛ وأخيراً تم الاستيلاء على الفلبين بعد النصر الحاسم في جزيرة « لايت » في شهر تشرين الأول من السنة ١٩٤٤ . وأتاح الاستيلاء على أيفوشيا ضرب طوكيو والمرافئ والمراكز الصناعية اليابانية بالقنابل . وفي أشهر نيسان وأيار وحزيران وقوز اتاح الاستيلاء على أو كيناوا رقابة الحركة التجارية بين الصين الجنوبية واليابان . ومنذ ذلك التاريخ حوَصر الارخبيل وأُخضع لضرب كثيف بالقنابل توجه في السادس من شهر آب من السنة ١٩٤٥ القاء القنبلة الذرية الأولى على هيروشيما التي دمرت ٦٠٪ من المدينة وأودت بحياة ١٥٠.٠٠٠ نسمة . وفي التاسع منه القيت القنبلة الثانية على ناغازاكي .

نولت كل عملية انزال قوة تكتيكية مستقلة مؤلفة من حاملات طائرات ومدرعات وسفن حربية صغيرة وناقلات جيوش . وكانت السيطرة الجوية هنا أيضاً الشرط الأولي الضروري للنجاح . فهي طائرات اقربيا الشمالية ما أمنت نجاح عملية الانزال في صقلية ، ثم في سالرنو وآنزوي . ومن انتكرا جاءت ألوف الطائرات التي كانت بمثابة « مظلة » لأسطول الانزال في نورمانديا . وهي حاملات الطائرات ومطارات الجزر في المحيط الهادي ما أمنت لكل فيلق ١٢٠ طائرة اعتبرتها القيادة ضرورية لنجاح عملياته .

نقل الجيوش وتموينها
ان ما اسمى من قبل « فن نقل الممدد اللازم من الجنود الى المكان اللازم من ميدان المعركة وفي الوقت اللازم وممع التجهيزات اللازمة » قد استعاد - بواسطة الامير كيكن - اسمه القديم ، « فن نقل الجيوش وتموينها » (*Logistique*) ، وارتدى طابع اهمية لم يعرفه من قبل بسبب طول خطوط التموين (عدة آلاف من الكيلومترات) وتزايد حجم المواد والمعدات - ألوف الاطنان من المواد الغذائية والذخائر الضرورية للمحاربين - الذي يمكن تقديره بعشرة اضعافه في السنة ١٩١٧ . فان فيلق مشاة امير كيكن يستهلك ١٥٠ طنساً من البنزين في اليوم ، ويستهلك الفيلق المدرع ٣٥٠ . ويستخدم اثنان من كل سبعة جنود امير كيكن في اعمال النقل والاتصال . وفي المحيط الهادي ، اقتضى لكل فيلق مؤلف من ١٤٠٠٠ جنسدي عند خط النار ، ١٤٠٠٠ جنسدي للعمل في المؤخرة و ١٢٠٠٠ للعمل في المحطات المنتثرة على طرق المواصلات . فتوجب من ثم اعداد تنظيم معقد يستخدم مئات الالوف من الجنود لتحضير العمليات في ادق تفاصيلها ، قبل اشهر عدة ، وتنفيذها تنفيذاً ناجحاً .

هنا يمكن سر اهمية وسائل النقل المتزايدة وعناد المتحاربين في مهاجمة خطوط مواصلات العدو البحرية والبرية . فهو تشويش حرسكة وسائل النقل بفعل قاذفات القنابل الالمانية ما منع البنزين جزئياً عن الدبابات الفرنسية في بلجيكا في شهر ايار من السنة ١٩٤٠ ، في حال ان التنظيم الامثل في وسائل النقل الالمانية قد افاح انتصارات الالمان المشهودة الاولى . وفي روسيا ، المفتقرة الى الخطوط الحديدية والطرق ، تنظمت فرق المقاومة المنعزلة عند مفترقات الطرق والخطوط الحديدية . وادى توغل الالمان في قلب روسيا مسافة تزيد عن ١٠٠٠ كلم في المرحلة الاولى من الحرب الى اضعاف قوة الجيش الالمانى الهجومية اضعافاً ملموساً ، وفي السنة ١٩٤٢ ، اثناء التقدم نحو القفقاس وستالينغراد في آن واحد ، عجزت القيادة الالمانية عن ان تضع تحت تصرف جيوشها المهاجمة كافة الوسائل التي كانت بحاجة اليها . وفي ليبيا اكثرت من روسيا تحمكت ظروف التموين بحركات جيوش الاعداء . وقد كتب « ايزبيك » ، رئيس اركان « رومل » ما يلي : « ان الاستيلاء على مزيد من المناطق لم يعن تحقيق النصر ، بل كان من شأنه ، على نقيض ذلك ، ان يشكل ضرراً وخطراً » . وطوال الوقت الذي تستغرقه المعركة ، نشاهد سابقاً حقيقياً نحو المرافىء التي يجب بلوغها قبل ان يكون للعدو متسع من الوقت لتعطيلها ؛ نشاهد تعاقب تقدم وتراجع جيشين يضعفهما البعد عن قواعدهما حين يتقدمان ، ولا يلبثان ان يتوقفا لان تموينها يتأخر عنهما بسبب هجمات طيران العدو . فهذه حال « رشقي » في شهر كانون الاول من السنة ١٩٤١ حين تقدم حتى « غزاله » ، وحال رومل نفسه بعد استيلائه على بنغازي وطبرق ، فان الغنائم التي كسبها في هذه المدينة وفي سيدي براني قد اتاحت له التقدم حتى العلين ، ولكن خطوط تموينه الطويلة تعرضت للخطر ، اذ ان الطيران البريطانى انزل بوسائل نقله البحرية خسائر فادحة ، فأرغم على التوقف .

وأثارت العمليات البرمائية - كما رأينا - مسائل نقل وتموين اعظم اهمية حين توجب نقل

وتموين الجيوش التي انزلت في افريقيا الشمالية وصقلية وإيطاليا واورمانديا وبروفنسا. وهي قدرة الاميركيين الصناعية الفائقة ما اتاحت لهم ، في المحيط الهادي ، التغلب على صعوبات حرب تدور رحاها على مسافة عدة الوف من الكيلومترات من بلادهم . فقد توجب عليهم احكام تنظيم لم يسمح بنقل احجام كبرى من الرجال والتجهيزات فحسب ، بل بتمهد عمليات متواصلة دائمة ايضاً . ومن اجل ذلك اضطروا الى بناء مرافئ جاهزة بمواد موحدة القياسات واستحضار خشب البناء والاسمنت والمواد اللازمة لانشاء الطرق ومهابط الطائرات ومساكن الجنود ، الخ . وقد رافقت الاسطول في انتقاله مراكب مساعدة معدة كلها لشحن معين او لخدمة معينة : احواض سفن عائمة - تجمع بين السفينة ومصنع السفن - قادرة على ايواء اكبر السفن واصلاحها في عرض البحر ونقل المؤن ؛ وزودت ناقلات البترول في عرض البحر اثناء مواصلة تقدمها ، ونقلت اليها الذخائر والمؤن من السفن التي تحملها . وقد حضرت «حزم جاهزة للنقل والتموين» زنة الواحدة منها ١٤٠٠٠ طن معدة لانشاء مطار ، يرافق كلا منها ٦٦ ضابطاً و ١٦٠٠ جندي ، فكانت ترسل الى القيادة حال طلبها ؛ وحضرت كذلك في مصانع التصليح حزم جاهزة لكل نوع من الطائرات والآلات تسلّم عند الحاجة للطائرات او السفن المنعقدة .

فكانت الكيانات المنقولة من ثم كبيرة جداً : وقد قدر في السنة ١٩٤٤ ان ٦٠٠٠٠٠ طن نقلت شهرياً عبر المحيط الهادي ، الى مسافة ٥٠٠٠ كلم من القواعد الاميركية ، لا يدخل فيها الفحم الحجري والبنزين . ففي عملية ازال الجيوش في جزيرة «لايت» وحدها ، استخدمت ٨٠ ناقلة بترول ، ٢٠ ناقلة تعبئة او تفرغ ، و ٦٠ اخرى تنقل البنزين الضروري للقوات المنزلة في الجزيرة . وهكذا استطاع الاميركيون ، طيلة ١٦ شهراً ، القيام «بهجوم دون توقف» تعاضم عنفاً يوماً بعد يوم ادى في النهاية الى سحق اليابان .

كان كذلك اشترك المدنيين المسلح في مقاومة الغازي أحد مميزات هذه
حرب المصائب
الحرب العالمية الثانية . فمنذ نهاية حروب الامبراطورية الاولى التي ثار فيها السكان الاسبان والثيروليون والروس على جيوش نابليون ، انحصرت العمليات ابدأ في الجيوش النظامية ، اقله في اوروبا .

اخذت حرب المصائب المصرية تتنظم وتوسع اتساعاً كبيراً في الصين منذ السنة ١٩٣٨ . وقد شرح ماوتسي تونغ النظرية لطلاب الاكاديمية الحمراء في السنة ١٩٣٦ في الدروس التي نشرت في السنة ١٩٤١ . فحين يصبح امر تطبيق الاساليب الحربية الكلاسيكية مستحيلاً ، كما يقول ، يجب الاستمرار في مقاومة الغازي بوسائل اخرى : هذه هي حرب المصائب التي يناوش فيه العدو دون مجابهته في معركة . وهي في جوهرها حرب ضارية لا مكان فيها للشفقة ، لان القمع يتناول المدنيين بقسوة لا يتناول بها العسكريين ، فيجب من ثم ، كي تشكل بالنجاح ، ان يساند سكان البلاد المقاومة المسلحة فيها مساندة كلية . ويجب ان تذوب بين السكان وتتلأثي بينهم لتظهر مرة اخرى بعد ذلك في الزمان والمكان الموافقين . وحين تقوم هذه الرابطة بين

الأنصار والسكان ، يصبح بمقدور الأنصار تنظيم جبهة حقيقية وراء العدو وارغامه على التجمع في بعض النقاط كالمدن وخطوط او عقد المواصلات ، ومهاجمة مراكزه الضعيفة ، واضعاف معنوياته ، وجعل الاتصال بين وحداته وتموينه غير مستقرين ، الى ان يسمح تجهيز القوات اللازمة بتطويقه وابدائه . وان هذه الاساليب التي حالت دون تمكن اليابانيين من السيطرة على معظم الاراضي الصيلية قد اعتمدت في كافة البلدان المغزوة . فأحدثت حرب الأنصار من ثم ثورة حقيقية في مفاهيم الحرب الكلاسيكية بأشراكها في المعركة جماهير كبيرة من المدنيين المسلحين ، العاملين باتصال يختلف وثوقه مع الجيوش النظامية . وباتساعها وضعت دول المحور امام مسائل غير مرتقبة على جانب كبير من الخطورة . وقد اتخذت اشكالا مختلفة باختلاف جرياتها في فرنسا ، او روسيا ، او بولونيا ، او البلقان ، او المناطق الكثيفة السكان ، او المناطق الصحراوية ، او الغابات المتلبدة ... وفي كل مكان - باستثناء الاتحاد السوفياتي - وقفت الحكومات المؤلفة في المنفى او الحكومات الخليفة موقفاً حذراً من هذه الثورات الشعبية المؤدية الى تسليح جماهير اعتبرت شيوعية لم تكن الحكومات لتضمن في المستقبل الاشراف عليها وانكر المستشارون العسكريون المحترفون فعاليتها . وهنا يكن سر التباطؤ والتردد في تزويدها بالاسلحة من الجو ، وسر الجهود المبذولة لعرقلة او ايقاف نشاطها ، مما ادى احياناً الى منازعات داخلية وخيانات ،

في اوروبا ، اتسمت حرب العصابات في البلقان أولاً . ففي
في البلقان وبولونيا
اوروبا ضمت جيوش تيتو ، منذ آخر السنة ١٩٤١ ، الوف
المحاربين - ١٥٠.٠٠٠ في السنة ١٩٤٣ - وحررت اقاليم واسعة ، وفي اليونان تنظمت حركة التحرير الوطني التي ألقت بعد ذلك جيش التحرير الوطني . وفي البانيا تنظمت جيوش الأنصار بقيادة نور خوجه . ولكن هذه الجماعات المتميزة بارتفاع عددها ونشاطها الفعال ضد الغازي كانت بقيادة الشيوعيين ، فتقاومتها جماعات محافظة اقل عدداً حالفت الالمان انفسهم أحياناً ؛ كجماعات ميخالوفتش ، وجماعات الكولونيل زرقاس ، والد « بالي كومبتار » الالبانيين . ولكن الأنصار البلقانيين ارغموا زملاء ثلاثين فيلقاً ايطاليا وبعض الفياق البلغارية وجيوش بافليك الكرواتية وبعض الجيوش الالمانية احياناً على البقاء في البلقان .

وفي بولونيا ، حيث تشكل منذ السنة ١٩٣٩ جيش سري لمقاومة الالمان والروس معاً ، كان الانقسام عميقاً ايضاً بين الشيوعيين وخصومهم . وبعد السنة ١٩٤١ ، أثار نشاط العصابات السوفياتية في بولونيا الشرقية التي استولى الاتحاد السوفياتي على بعض أراضيها ، مسألة الحدود الشائكة . ولذلك كان التعاون ضد الالمان محدوداً . فقد دخلت العناصر الشيوعية في جيش « برلنغ » الذي حارب في اطار الجيش الأحمر ، بينما قامت العناصر المرتبطة بحكومة بولونيا في لندن ، بمعزل عن الجيش السوفياتي ، بنشاط أدى الى تدمير فرصوفيا .

في روسيا أمر ستالين ، في نداء وجهه في شهر تموز من السنة ١٩٤١ ، باعتماد في روسيا ... خطة « الأرض المحرقة » ، وفي الوقت نفسه بتشكيل جماعات من الانصار في المناطق المحتلة . فلسنا هنا ، كما في غير مكان ، امام فلاحين مسلحين بأسلحة عادية يرتجلون تنظيمهم ، دون ارتباط بالحكومات او ضدها أحياناً ، بل امام مدنيين منظمين ، قادرين على العمل كتائب صغيرة منفردة او مجتمعة ، وحق مع الجيش النظامي ، وخاضعين لقادة هم ممثلو الحكومة الشرعيون المختارون على العموم من بين رؤساء التعاونيات الزراعية او اعضاء الحزب الشيوعي او ضباط الجيش . وينضم اليهم أحياناً عدد من الجنود المحاصرين الذين نجحوا في الافلات من قبضة الالمان . وقد ساعدتهم مساعدة كبرى ندرة خطوط المواصلات والمسافات بين القرى ، واتساع الاحراج والمستنقعات والمناطق الوعرة ، التي يستحيل اجلاؤهم عنها الا باستخدام فرق عسكرية كبرى ، مما اتاح لهم تأليف جماعات وثابة اخذت منذ شهر آب من السنة ١٩٤١ تهاجم قوافل التموين وتخرب الخطوط الحديدية وتدمر الجسور وتغني الالمان من دخول مناطق واسعة في البلاد . فأرغمت القيادة الألمانية على ترك فيالق كاملة في المؤخرة لحماية قوافلها والتجرد لعمليات انتقامية : كاعدام الرهائن وتدمير القرى اللذين زادا من عطف السكان على الانصار وحمل الرجال الأصحاء على الالتحاق بمصابات الجوار هرباً من الاخطار المحدقة بهم . وهكذا تشكل جيش عظيم ، مؤلف من جماعات ، قد تضم عدة مئات ، بل عدة الوف من الاعضاء ، « زودت من الجو ، بالأسلحة (والمدافع أحياناً) والذخائر والادوية ، وكانت على اتصال لاسلكي بالقيادة المركزية لحركة الانصار ، وتلقّت منها التعليمات ونقلت اليها المعلومات . وقد ساعدت الانصار النساء والاولاد ، كتملك الكومسومول الصغيرة « زويا » ، البالغة من العمر ١٧ سنة ، التي حكم عليها بالموت شنقاً بتهمة احراق مستودع ألماني ، وكنساء واولاد الانصار الـ ١٠٠٠ المختبئين في « دياميس » اوديسا ، الذين أمنوا لهم مؤنهم بانتظام واتاحوا لهم ، طيلة سنتين ونصف السنة ، الصمود والحيولة دون اعمال تخريبية كثيرة حين كان الجيش الأحمر يقترب من المدينة ، والاسهام مع هذا الجيش في تحرير مدينتهم .

في فرنسا ، بدأت حرب المصائب منذ السنة ١٩٤١ حين تشكل الجيش السري في فرنسا وأعيد تباعاً تنظيم الحزب الشيوعي الذي والت منظمته العسكرية ، « المتطوعون والانصار الفرنسيون » ، اعتداءاتها على الالمان . ثم اتسعت الحركة حين انضم اليها شبان كثيرون مهددون باخطار شتى رغبوا في الحياة السرية وتأسيس جيوب مقاومة عززها أحياناً بعض الجنود الفارين من الجيش الألماني . ولكن جيوب المقاومة التي نظمت في جبال الالب والجورا والسلسلة الوسطى افتقرت الى الأسلحة ، لان الحلفاء ، جهلاً منهم او تجاهلاً ، لم يزودوها من الجو الا بأسلحة غير كافية ومتأخرة ، فجاء القمع الذي تولته الجيوش الألمانية غاية في القساوة والوحشية : ففي هضبة الـ « غليار » ، وفي شهري شباط واذار من السنة ١٩٤٤ ، لم يخضع ١٢٠٠٠ الماني ، مع الطائرات والمدفعية ، جيب المقاومة المنظم فيها الا بعد ١٨ يوماً . وتوجب

على الالمان ارسال ثلاثة فيالق ضد جيب المقاومة في الـ « اين » ، وفيلقين ، احدهما مدرع ، ومظليين ، للقضاء على جيب المقاومة في فركور في شهر تموز من السنة ١٩٤٤ ثم توحدت الحركات المختلفة بعد قيام المجلس الوطني للمقاومة الذي اسند الاشراف عليها الى لجنة عمل هي الـ « كوماك » . واتتاء معركة التحرير ادت هجمات جيوب المقاومة على الخطوط الحديدية ، بالاتفاق مع هجمات الطيران الحليف ، الى عرقلة في سير القطارات الحديدية استتبعته تأخيراً في نقل الجيوش الالمانية بلغ خمسة ايام احياناً . وفي بريتانيا ساهمت جيوب المقاومة مساهمة فعالة مع المظليين الاميركيين بتنظيفها المنطقة بعد فتح ثلثة افراش . والى الجنوب من الـ « لوار » ، وفي الجنوب الشرقي ، حالت اعمالها دون انسحاب ٢/٣ القوات الالمانية . وقد اسرت ٢٥.٠٠٠ جندي في الجنوب الغربي و ٤٢.٠٠٠ في الجنوب الشرقي . وقد قدرت فعالية عملها بفاعلية زهاء عشرين فيلقاً .

منذ اعلان الهدنة التي عقدها المارشال « بادوليو » مع الحلفاء ، نزع الالمان في ايطاليا الاسلحة من الجيش النظامي في ايطاليا واسروا اكثر من ٦٠٠.٠٠٠ . ولكن بعض الوحدات بادرت طوعاً الى المقاومة : في بيومبينو ، وكورسكا ، وسردينيا ، والدوديكانيز ، وكورفو وكيفالونيا . . . والف العديد من الجنود الذين فروا من الاسر جماعات انصار في « بيمون » ، ومنطقة البندقية حيث توحد خصوم الفاشستية الايطاليون والسلوفينيون ، وفي اميليا وليغوريا انضموا الى جماعات العمال والفلاحين الذين رفضوا الحرب الى جانب الالمان ، فلم يستطيعوا هرباً من انتقام حكومة سالو الفاشستية الجديدة - الا رفع علم المقاومة . وامتدت الحركة الى منطقة الـ « مارش » في اواسط ايطاليا ، وتوسكانه ، ولاسيوم ، والـ « ابروز » ، وراء الخطوط الالمانية . ثم احكت خطة الانصار وتكاملت : تسلل ، انسحاب فجائي ، وتفرق ، ثم مباغطة جديدة وتفرق جديد ، وتشكيل وحدات سريعة الانتقال تهاجم الالمان في كل مكان وترغمه على تشتيت قواته اكثر فاكثر . وفي ايطاليا الشمالية بلغ عدد الانصار ٨٠.٠٠٠ في شهر حزيران من السنة ١٩٤٤ بالرغم من الارهاب البوليسي وعمليات « الشراذم السوداء » الانتقامية الدامية . وبذلت المساعي للاعاضة من « حرب العصابات » بمنظمة ذات شأن ، بغية توحيد القائمين بها في قوة عسكرية . فانشئت « قيادة عامة » كان الجنرال « كادورنا » مستشارها العسكري . وقد اوجد اتفاقاً « برشونيت » و « فريول » تعاوناً وثيقاً بين المقاومة الفرنسية والانصار السلوفينيين شمل تبادل المعلومات . وهكذا وضعت اسس « دولية الانصار » التي ضمت في حروب العصابات كافة خصوم النازية والفاشستية في كافة البلدان ، اذ ان بعض الفارين من الاسرى الانكليز والاميركيين والاورسترياليين والروس والتشييكوسلوفاكيين قد انخرطوا في صفوفهم . وقد تسلم بعض هؤلاء الاجانب زمام قيادة جماعات الانصار . وكما في الخارج ، حارب الايطاليون الى جانب السوفييات واليوغوسلافيين والالبانيين واليونان والفرنسيين .

في صيف السنة ١٩٤٤ ، لم تعد اعمال الانصار هجمات فجائية او اعمالاً تخريبية فحسب بل

معارك حقيقية كمعركة « مولتيفيورنو » بين « ريحيو » و« مودينا » حيث صمد ٨٠٠٠ نصير في وجه ثلاثة فيالق المانية مزودة بمدفعية قوية ودبابات وقاذفات لهب ثم انسحبوا بعد قتل ٢٠٠٠ الماني . وفي اواخر الصيف كانت هناك مناطق محررة فعلا في ايطاليا الشمالية : الوديان العليا في البييمون و« مونفرا » ، وجزء من لومبارديا ، و« جمهورية توريليا » بين جنوى وبلينانس في ليفوريا ، ومدن الابنين الرئيسية بين بارم ومودينا في اميليا ، وكارنيا ، ومنطقة واسعة في « فريول » ، ولكن الهجوم الحليف على الخط القوطي قد فشل وفقد معه الأمل بتحرير ايطاليا الوسطى كلها في وقت قريب . فكان ان الانصار ، الذين تغلّت عنهم القيادة الحليفة وأشارت عليهم في شهر تشرين الثاني بـ « التسرح » ، قد سحقوا وتفرق شملهم . ولعنهم تنظموا مرة أخرى في السهل اثناء شتاء ١٩٤٤ - ١٩٤٥ . فتجدد القتال في شهر آذار من السنة ١٩٤٥ وتم الاستيلاء مرة أخرى على المناطق المحررة من قبل . وفي شهر نيسان اندلعت الثورة الوطنية . واثناء تقدم الحلفاء هاجم الانصار الجيوش الألمانية المنسحبة في الابنين وانقضوا جنوى من التدمير . ثم ثارت ميلانو وتورينو وحررتا . وفي الثامن من شهر ايار ، حين توقفت العمليات الحربية في اوروبا ، كان عدد القتلى من الانصار قد بلغ ٤٦٠٠٠ وعدد الجرحى والمشوهين ٢١٠٠٠ ، يضاف اليهم ٣٠٠٠٠ ايطالي قتلوا في حروب العصابات خارج بلادهم .

اهتم الالمان بدورهم بتنظيم العصابات حين احدث خطر الغزو ببلادهم . ومنذ شهر نيسان من السنة ١٩٤٥ طُلب الى الرجال المتميزين بمهارة وخبرة وشجاعة فادرة ان يستعدوا لمثل هذه الحرب . فكان ذلك الـ « وهرولف » المطلوب منها مواصلة القتال في جيوب المقاومة في الالب ، ولكن نشاطها لم يكن ذا شأن عمليا .

ان العمليات التي جرت في كل الفصول وفي كل المناخات ، طيلة
بعض مظاهر الحرب الخاصة
خمس سنوات تقريبا ، قد ارتدت ، كما هو طبيعي ، مظاهر
الحرب في روسيا
مختلفة كل الاختلاف . لا بل ان ظروف المحاربين نفسها ، وقد

تميزت ابدأ بالقساوة ، كانت كذلك مختلفة جداً .

في روسيا ارتدى القتال طابعا بالغ الفظاعة بفعل الظروف الطبيعية وشدة عناد الطرفين المتحاربين . وكان اتساع الرقعة الروسية وندرة خطوط المواصلات كافيين لتطلب مجهود لا حد له من المحاربين ومعداتهم (الشكل ١٧ ، ص ٣٨٦-٣٨٧) . فان ندرة القرى والشكنات ، واطوار رجال العصابات الذين يخرجون فجأة ، وفي كل وقت ، من الغابات ليهاجموا المنفردين والمفارز الصغرى والقوافل ، قد اوجدت عند الغازي حالة عصبية متوترة وسببت له مشقات غير اعتيادية . وجاء المناخ يزيد في الطين بلة : ففي الصيف القبار والمسيرات المنهكة تحمت اشعة الشمس المحرقة ، دون ماء في أغلب الاحيان ، وفي الربيع والخريف الامطار التي تحول الارض الى بحسيرات وحول يصعب السير فيها ، لا يقوى سوى الحصان على اجتيازها وتأمين تأمين غير مؤكد وغير كاف ، وتحول الطرقات وراطلاً ومشتنعات يغوص الانسان فيها فلا يستطيع التقدم ، وفي

فصل الامطار القرم الذي يجمد الدم في عروق الالمان المفتقرين الى الملابس الدافئة وحتى القفافيز احياناً ، ويعطل الاسلحة الذاتية الحركة ويجمد البنزين والزيت ، والحريف الذي يخفض الحرارة الى ٤٠ - او ٥٠ ° - ، والعواصف الثلجية التي يجب خوض معارك ضارية اثناء هبوبها ضد عدو لا يمكن على ما يبدو تصور جلده وطاقته على مقاومة العذاب وهمته القعساء في القتال . ويضاف الى الدمار الذي يخلفه الالمان اثناء تقدمهم ، التخريب الذي يأتيه السوفييات بانتهاجهم خطة « الارض المحرقة » ، ثم ذاك الذي يخلفه الالمان - بصورة منظمة - اثناء تراجعهم وانسحابهم .

فقد كتب « بولفوي » في اوكرانيا في السنة ١٩٤٣ :

« الارض كلها منطقة صحراوية . فبدافع نوع من البغضاء الجنونية احرق الالمان القرى احراقاً شاملاً ، وقطعوا اشجار البساتين ، واتلفوا المزروعات ومحو كل اثر لاقامة الانسان . وفي المزارع ، جمعوا المحاريث والآلات الحاصدة والآلات الفاصلة ونسفوها بالمتفجرات » .

وفي المعارك الرهيبة التي خاضها الطرفان المتحاربان استخدمت جيوش واعتدة لم يشاهد مثل كشافتها وقوتها في اي بلد آخر . ففي شهر تموز من السنة ١٩٤٣ ، وصف احد الصحفيين الالمان معركة بيبالغورود كما يلي :

« بلغ عدد الدبابات المشتركة في المعركة في آن واحد حوالي ٢٥٠٠ دبابة ، وحي وطيح المعركة طيلة ثلاثة انهر وثلاث ليال ... سار في المقدمة الاختصاصيون الذين شقوا الطريق امام الدبابات وسط حقول الالغام ، وسارت وراء الدبابات مدافع الهجوم . ففتحت الدبابات الهجوم واطلقت نيرانها الى مسافات بعيدة . واضطر رماة القنابل تكراراً الى القفز من على الدبابات لتطهير الحقول من القناصة الروس المختبئين بين المزروعات والاعشاب . واكتشفت مدافع رشاشة تارة الى اليسار وتارة الى اليمين ، وحتى في المؤخرة احياناً . ومن اعالي الجدران انقضت الطائرات ، واطلقت المدفعية نيراناً جهنمية متواصلة وارتدت المركبة طابعاً من العنف لا يتصوره انسان ، والليل لم يوقفها . واضي السهل الواسع الاطراف اضاءة محزنة بوميض الانفجارات ، وارتسمت في السماء خطوط مفاجئة تتركها القذائف المتشابكة وراها .. » .

في الشرق الاقصى في الشرق الاقصى لم تجر العمليات الحاسمة بحراً وجواً فحسب ، بل برأ ايضاً . وقد ارتدت في كل مكان طابع الضراوة القصوى . ففي الغابة والدغل ، حيث كانت شاقة جداً بفعل المناخ الوخيم ، توجب احباط المكائد اليابانية الكثيرة ، ومعرفة المسالك في وسط الآجام ، ومواجهة الاحابيل والنيران المطلقة من كل صوب ، وفي اغلب الاحيان ، من الاشجار التي برع اليابانيون في تسلقها والاختباء فيها والتعلق بثمنونها ، والتسلل الى الخطوط حيث تبلغ « فرقهم الانتحارية » مجموعات المدفعية وتنسفها بالمتفجرات التي تقضي عليها وعلى المدفعية معاً . فنجم عن كل ذلك تورع عصبي لا يطاق وتعب مضم . واستمات اليابانيون في المقاومة ولم يخلفوا سوى عدد ضئيل جداً من الأمري : جنود جرحى او مرضى عاجزين عن القتال . ففي او كيناوا قتل ١٦٠٠٠٠ ياباني ولم يقع في الاسر سوى ٧٤٠٠ جندي . وفي شهر تموز من السنة ١٩٤٤ ، افندت حامية جزيرة تينيان الصغيرة في ارنجيل الماريان ، قرب

سايبان ، حيث استخدمت قنابل النابالم للمرة الاولى ، افناء تاماً ، وكانت مؤلفة من ٩٠٠٠ رجل . وفي بورما كانت النسبة ٦ اسرى مقابل الف قتيل . وفي كل مكان قاوم المدافعون حتى الموت هجوم الدبابات وقاذفات الالب والمدمعية الثقيلة والطائرات . وحين انزل الطيران الاميركي بالاسطول والطيران اليابانيين خسائر لا تموض ، ظهرت « الطائرات الانتحارية » (كاميكازيه) التي يلقي ملاحوها بانفسهم مع طائراتهم على الاهداف المهاجمة ، ود القنابل الانتحارية « (باكا) ، الشبيهة بالصواريخ ٧١ ، التي يقودها حتى الهدف ملاحون ينفجرون معها . وشكل الاسطول من جهته وحدة « كاميشيو » من الطرايد الانتحارية التي يوجهها رجل او رجلان الى الهدف ، وزوارق عملة بالقنابل او الطوربيد تهاجم بها السفن ، وحتى سباحين يحملون مواد تنفجر عند اصطدامها بالسفن الاميركية .

الحرب ضد المدنيين هوجم السكان المدنيون هجوماً مباشراً ومنظماً . فخلال الحرب العالمية الاولى عانوا من حرب الغواصات ، والحصار ، والاقتسارات المختلفة التي استهدفت سكان المناطق المحتلة ، والخرق الصريح للاتفاقات الدولية حول العمل الالزامي في صناعات الغازي الحربية او في اعماله التحصيلية . اما اليوم فقد عانوا مباشرة من قنابل الطائرات . ومنذ قبل السنة ١٩٣٩ ووجه احتمال قصف المراكز الصناعية الكبرى والعواصم بالقنابل . وارتفعت خسائر مرتفعة في الارواح (في انكترا ٦٠٠ ٠٠٠ قتيل مدني وضعفهم من الجرحى في الايام الستين الاولى) ، مما حمل الحكومات على وضع مخطط لاجلاء السكان باعداد كبرى عن المدن الكبرى بغية تلافي الضرر واختلال نظام الادارات العامة : وبصورة خاصة اجلاء تلامذة المدارس والاولاد الصغار وامهاتهم . فمنذ شهر ايلول من السنة ١٩٣٩ اجلي في بريطانيا العظمى اكثر من مليوني شخص بينهم ١ ٥٠٠ ٠٠٠ طفل مع امهاتهم . وفي فرنسا اجلي سكان مدينة ستراسبورغ كلهم وعدد كبير من الالزاسيين واللورينيين ، وتلامذة كثيرون من مدارس باريس ، الخ .

وحين حدث الغزو ، حدث ما يشبه « الخروج » حين هرب ملايين الهولنديين والبلجيكيين والفرنسيين هائمين على وجهم ، تلقائياً وبدون نظام ، في طرقات تهاجمها الطائرات الانقضاضية بمدافعها الرشاشة ، ودون موارد كافية احياناً . فاستقبلت مقاطعات فرنسا الغربية وحدها ٩٠٠ ٠٠٠ لاجيء توجب اعالتهم واسكانهم . وتسبب التقدم الالمانى في الاتحاد السوفياتي في مشاهد السكان الهاربين نفسها . وفي السنة ١٩٤٥ عرفت المانيا بدورها هذه الصفوف الطويلة من الهاربين الذين عرقلوا السير على الطرقات وتركوا على ضفاف ال « اودير » ، جنث الشيوخ والنساء والاطفال ، رغبة منهم في السير بمزيد من السرعة باتجاه الجنوب .

احدثت كافة الدول ، لمواجهة خطر القصف بالقنابل ، مصالح « دفاع » سلمي دائمة استخدمت مئات الالوف من الاشخاص (٤٠٠ ٠٠٠ في فرنسا ، ١ ٢٠٠ ٠٠٠ في انكترا) الذين كلفوا الاهتمام بفتح الملاجئ منذ بداية اطلاق صفارات الخطر ، واطفاء الحرائق ، ومساعدة

الجرحي، وتقديم العون لمن حرمتهم القنابل من مساكنهم ومن كل ما يملكون. ولكن الخسائر، على بعدها عن التقديرات، كانت فادحة: في انكلترا ٦٠.٠٠٠ مدني قتل و ٢٠٠.٠٠٠ جريح وبيتان مدمران او متضرران من كل ٧ بيوت، و ٩ من كل ١٠ في وسط لندن. وان القصف المتواصل الذي اخضعت له المانيا قد حول عدداً من المدن الكبرى، كـ «كارلسروه»، وشتوتغارت ومونيخ وبرلين ودرسدن الى حقول انقاض، واثت الحرائق الهائلة على عدة كيلومترات مربعة من مدينة هامبورغ. وعانت اليابان كذلك، حتى قبل قنبلي هيروشيما وناغازاكي وضحاياهما الـ ٢٠٠.٠٠٠، من تدمير الابنية والخسائر المرتفعة في الارواح خلال الغارات الكثيفة على طوكيو والمدن الصناعية.

الفصل الثاني

النظام الأوروبي والآسيوي الجديد

طيلة سنوات عدة ، احتل القسم الأكبر من أوروبا وقسم هام من آسيا ، واديرا واستثمرا على أيدي المنتصرين في الحرب الصاعدة : الألمان واليابانيين الذين أزالوا الحدود (الشكل ١٨) وأعلنوا عن رغبتهم في إقامة « نظام جديد » وإيجاد « نطاق ازدهار مشترك » يكون ضماناً للرفاهية والسلم . وكان هذا الشعار معداً لاختفاء استثمار الموارد للبشر الذي تستلزمه آلتهم الحربية . إلا ان المنتصرين استطاعوا ، الى جانب هذا الاستثمار ، تخطيط تطوير اقتصادي واجتماعي مبنياً على العنصرية والمبادئ « الفاشستية » .

١ - النظام الجديد الألماني

النظام الجديد بموجب الاتفاق الثلاثي ، الذي عقد في شهر أيلول من السنة ١٩٤٠ بين ألمانيا وإيطاليا واليابان ، والذي وصف بـ « الميثاق العظيم للنظام الجديد » ، قبلت اليابان بسيادة ألمانيا وإيطاليا في أوروبا من اجل إقامة نظام جديد ، واعترفت لها حليفاتها بالهمة نفسها في آسيا . فماذا كان المقصود بهذا النظام الجديد يا ترى ؟

ان خطب بعض الوزراء الألمان ، ومقالات الصحف وكتب الصحافيين النازيين تكاد لا تعطي اي ايضاح بهذا الصدد ، لا سيما وان الآراء قد تبدلت بتبدل احوال الحرب .

أما بحسب المبادئ الايديولوجية الواردة في « كفاحي » ، فقد كان المقصود إيجاد مناطق حيوية مؤلفة من عدد معين من « المجالات الكبرى » المستقلة سياسياً واقتصادياً والمرتبطة باتفاقات ثنائية ، لمصلحة بعض الأمم الجديدة بذلك . فتقام قبل كل شيء آخر وحدة اقتصادية بإدارة ألمانيا تحمل محل النظام الحر الفوضوي تخطيطاً مركزياً وتقسيماً دولياً للعمل ، ما أمكن التقسيم ، شبيهاً بذلك الذي نظمته الاتفاقات الثنائية المعقودة بين الـ « راينخ » وبلدان أوروبا

الجنوبية الشرقية قبيل الحرب . وبصورة عامة ، يستغنى عن تصنيع قسم من أوروبا غير الألمانية ، وتحتكر ألمانيا معظم الانتاج الصناعي في ارضها ، وتقدم أوروبا الشرقية والغربية المنتوجات الغذائية والاعلاف . وحين خيضت الحرب ضد روسيا فسر احتلال الاقاليم الشرقية بأنه وسيلة للمحافظة محافظة دائمة على المجال الحيوي لأوروبا الكبرى التي تديرها ألمانيا ؛ ولم تكن مهمة النظام الجديد محاربة البلشفية فحسب ، بل ضم هذه الأقاليم الى أوروبا واقامة « سور من الفلاحين » فيها بواسطة كل من يأتي لاستعمارها والاستقرار فيها . وتستمر الدول الصغرى في هذه المجالات الكبرى تحت ادارة شعب قائد تخضع له بحكم الطبيعة . ولكن اللهجة تبدلت بعد هزيمة ستالين فراد . فقد صرف النظر عن القيادة الألمانية في أوروبا وعن تنظيم الاقاليم الشرقية ، واقتصر الكلام على الدفاع عن أوروبا ضد الخطر البلشفيكي والمطامع الاقليمية السوفياتية . ولن يبنى النظام الجديد على القوة بل على الحرية ، وسوف تكون الدول الصغرى والوسطى والعظمى متساوية فيها بينها .

نجاح العنصرية
اما هتلر فلم يحدد في يوم من الايام ما يقصده بالنظام الجديد . ولم يوضح قط ما يمكن ان تنتظره الدول المغلوبة من تسوية الصلح النهائية ، ولم يسلم قط بعقد معاهدة صلح تستوفي شروطها القانونية ؛ ولم يخف قط تصميمه على ضم كل اقليم يمكن تشيله بالرقعة الألمانية . وكان أول عمل تلقائي قام به بعد هزيمة فرنسا الاسراع الى ضم شطر كبير من اراضيها الى الرايخ ، ثم قرر ارجاء هذا الضم املاً منه بأن تساعد فرنسا المهزومة على محاربة انكلترا . وفي اواخر السنة ١٩٤٠ ، رسم مخططاً يقضي بتقسيم الامبراطورية البريطانية بين ايطاليا ، واليابان ، والولايات المتحدة ، وألمانيا (في افريقيا الوسطى) ، ثم عاد الى مشاريعه التوسعية القديمة في الشرق ، حين لم يحصل على العون الاسباني الضروري . ففي الشرق ، سوف تصبح المناطق البلطيقية المضمومة الى الرايخ منطقة استعمار للمستعمرين الالمان والدانماركيين والنرويجيين والهولنديين . وسوف تصبح اوكرانيا دولة حليفة ، والقفقاس دولة اتحادية يعين فيها مفوض سام الماني . وكل ما ليس المانياً ، كالحلفاء والتوابع والشعوب الخضعة ، يجب ان يؤول الى وضع دوني ، وضع سكان الامبراطورية الاستعمارية الاوروبية للرايخ الالماني الاعظم . وبهذه الروح نفسها ، اعتبر زمناً طويلاً ان الشعب الالماني وحده هو ما يجب ان يسمح له بحمل السلاح . ولم يسمح الا في المرحلة الاخيرة من الحرب باستخدام اسرى الحرب من قوميات الاتحاد السوفياتي غير الروسية والجنود المنتمين الى الأحزاب المتعاونة والالمان . ولكنه لم يقل قط كلمة واحدة تسمح لحلفائه بالاعتقاد بأنه يعتبر مصيرهم ماثلاً لمصير الشعب الالماني . لقد عوملت الشعوب النيرلاندية والفلمنكية والسكندنافية معاملة دونها معاملة الشعوب الاخرى ، لأنها اعتبرت فروعاً من العنصر الجرمانى ومعدّة للتمثيل . اما في الشرق ، فان الشعوب السلافية ، التي هي شعوب متخلفة ، فمصيرها المعلن هو الاستعباد والإبادة . ويجب ان تستثمر الحميات لمصلحة ألمانيا دون غيرها ، وسوف يبقى السكان الاصليون في ادنى مستوى

عقلي يمكن ، وسوف يكون الارهاب سبيل الحكم : « ان الجيوش التي يمكننا الاستعانة بها لتوطيد سيطرتنا على الاقاليم الشرقية لن تكون كافية بسبب اتساع هذه الاقاليم ... (فيجب) على الدولة المحتلة ان توحى الارهاب القادر وحده على إزالة كل رغبة في المعارضة عند السكان » . ففي المنطقة الغربية من بولونيا المضمومة الى الرايخ ، التي بلغ سكانها ١٦٠٠.٠٠٠ نسمة ، بينهم ١٢٠.٠٠٠ الماني فقط ، اقصى كل من ليس المانياً ، اي البولونيون واليهود ، الى الشرق في شتاء ١٩٣٩ - ١٩٤٠ ، والحق اقتصاد هذه الاقاليم باقتصاد الرايخ . وان الجزء الذي الف « الحاكمة العامة » كان مجرد بلاد استعمارية لم يحدد نظامها قط . وقد اوضحت التعليقات التي اعطاها غورنغ ان « كل الخامات والادوات الممكن استخدامها في الاقتصاد الالماني » يجب الاستيلاء عليها . وان « المشاريع التي لم تكن جوهرية للمحافظة على ادنى مستوى معيشي كاف للسكان يجب ان تنقل الى المانيا او ان تستثمر لمصلحة المانيا » حيث هي موجودة . وقد استهدفت التدابير التي اتخذها الحاكم العام « فرانك » وهملر القضاء على اليهود والطبقة البولونية المثقفة : فالبيت كافة مؤسسات التعليم العالي ، ولم يحتفظ للبولونيين الا بالتعليم الابتدائي والتقني . وعلى الصعيد الاقتصادي ، عريت البلاد واستثمرت لمصلحة الالمان وحاولت سلطات الاحتلال الحد من ارتفاع عدد البولونيين واضعاف العرق بسوء التغذية . كما حاولت في الوقت نفسه جرمسة بعض مناطق ولاية « لوبلين » بواسطة المستعمرين الالمان . ومنذ خريف السنة ١٩٣٩ نقل عمال بولونيون كثيرون الى المانيا ، وبلغ عددهم زهاء المليون في شهر آب من السنة ١٩٤٢ .

في ال « اوستلند » والاقاليم السوفياتية الاخرى ، انتهج الالمان السياسة للفظة نفسها ، الا في الجمهوريات البلطية الثلاث التي كان الاتحاد السوفياتي قد ضمها في السنة ١٩٣٩ والتي عومل سكانها معاملة اقل سوءاً لأنهم اعتُبروا انساباً في العرق . اما روسيا البيضاء واورانيا فقد عانت من مصير اشبه بمصير بولونيا . فقد الفت اوكراينا « مفوضية المانية » لم يسند الى الاوكرانيين فيها سوى ادارة شؤون القرى والنواحي . واحتل الالمان كافة المراكز الادارية المتوسطة والعليا . وان روزنبرغ ، وزير الاقاليم الشرقية المحتلة ، الذي كان راغباً في اقامة دول تكون بمثابة صمام امان بين الرايخ والاتحاد السوفياتي ، والذي سعى وراء تشجيع قومية اوكرانية ، قد اصطدم بمفوض الرايخ ، « اريك كوخ » ، الذي جاهر بأنه لا يسعى وراء إقامة « اوكرانيا حرة » بل وراء « تشغيل الاوكرانيين لمصلحة المانيا » . وقد قال في كييف في الخامس من آذار ١٩٤٣ .

« لم آت الى هنا لاشيع السعادة ، انما جئت لابعاد الفومرر ... لنا هنا لنأتي بالن ، بل لايحاد قواعد النصر . نحن عرق اسياح عليه ان يتذكر ابداً بان اوضع عامل الماني يفضل الف مرة سكان هذه البلاد اجتماعياً ربولوجياً » .

فاستهدفت سياسته من ثم اضطهاد المثقفين الاوكرانيين اضطهاداً منظماً بغية حرمان الشعب من قاداته ، والقضاء على مظاهر القومية الاوكرانية واستثمار الفلاحين ما امكن الاستثمار لمصلحة المانيا . واراد روزنبرغ إعادة حق تملك الارض وتطبيق « النظام الجديد الزراعي »

بشعوب التعاونيات الانتاجية الى مزارع اقليمية وتعاونية ، ولكن كوخ ، الذي كان يتوخى ملء اوكرانيا بالاستثمارات الالمانية الكبرى التي تستخدم اليد العاملة المحلية المأجورة ، أسس شركة خاصة استثمرت هذه المزارع الاقليمية الجديدة كما تستثمر المزارع النموذجية الكبرى : في بحيرة بوهيميا - مورافيا حيث سبق هتلر ان قرر تمثيل نصف السكان - بتشتيت العمال التشيكيين في مناطق الرايخ المختلفة بنوع خاص - وابعاد النصف الثاني ، ولا سيما العناصر « المفولية » (٢) ورجال الفكر ، اقفلت الجامعات التشيكية لمدة ثلاث سنوات منذ شهر تشرين الاول من السنة ١٩٣٩ . وجرممت المدارس الثانوية وحق الابتدائية تدريجياً . ومن جهة ثانية سهلت غارات الطائرات الحليفة على المانيا جرمنة البلاد بدفعها العديد من الالمان الى نقل مشاريعهم الى بوهيميا حيث تمتعوا بحق الحصانة الدولية .

وفي الشرق خضعت كافة القضايا الجنائية ومعظم القضايا المدنية ، التي اشتركت فيها فئات الالمان المختلفة ، من مواطنين ، ورجال دولة ، ولمان اصليين او منجدرين من اصل الماني ، لاحد القضاة الالمان وللقانون الالماني . كما ان النظر في بعض المخالفات المرتكبة ضد السلطة المحتلة وقراراتها والحزب النازي والمنظمات الملحقة به ، قد حصر في المحاكم الالمانية مهما كانت قومية المتهم المدعى عليه . والمحصرت صلاحية المحاكم المحلية في القضايا المدنية بين الاطراف غير الالمانية وفي القضايا الجنائية ، واحتفظ للمحاكم الالمانية بحق اعادة النظر في احكامها .

« امبراطورية الـ S. S. » في الواقع لم يوضع قط مخطط شامل ومتناسق لتنظيم اوروبا الالمانية تنظيمياً نهائياً . فقد رسمت توجيهات كبرى عامة جداً : اباداة اليهود ، ابعاد « الماركسيين » : شيوعيين ، واشتراكيين وبنسائين احرار ، والقضاء على المبادئ الديمقراطية والنقابية ، واعادة تنظيم الاقتصاد الاوربي لمصلحة الرايخ بحيث يؤمن للشعب الالماني دور قيادة ممتاز في وسط الشعوب المستعمرة المقترصة نشاطها على الزراعة فقط . واذا ما انتهجت سياسة شاملة ما فان الفضل في انتاجها يعود الى ادارة الـ S. S. (مصالح الامن) . فقد الفت هذه الادارة دولة ضمن الدولة ولم تخضع لقوانين الرايخ وحتى لانظمة الحزب ، وكان لها تسلسلها الاداري الخاص ودوائر أمنها ، المستقلة ، فكانت السيدة المطلقة على الشعوب الخضعة . ففي كافة البلدان المحتلة اشرف على الشرطة احد كبار ضباط الـ S.S. الذي كان واثقاً من ان الكلمة الاخيرة ستكون له حين تلشب الخلافات بينه وبين السلطات المدنية والعسكرية المحلية . اما رئيسها هتلر ، الذي كان رئيساً لـ « هنزرب » (ومكلفاً الدفاع عن « الدم والارض والعرق ») ، فقد عين في السنة ١٩٣٩ واعطي صلاحيات مطلقة واسندت اليه مهمة تنظيم استعمار البلدان المحتلة ، اي امكانية اعادة رسم خريطة اوروبا الديموغرافية والعنصرية . وفي السنة ١٩٤٢ اعطي صلاحية الاشراف على الجماعات القومية الجرمانية في الدانمارك والنرويج وهولندا وبلجيكا ، وحق الرقابة ، لا على المنظمات النازية الميول فحسب ، بل على ادارات الرايخ الرسمية في هذه البلدان ايضاً . وتحت اشرافه قامت ادارة الـ S.S.

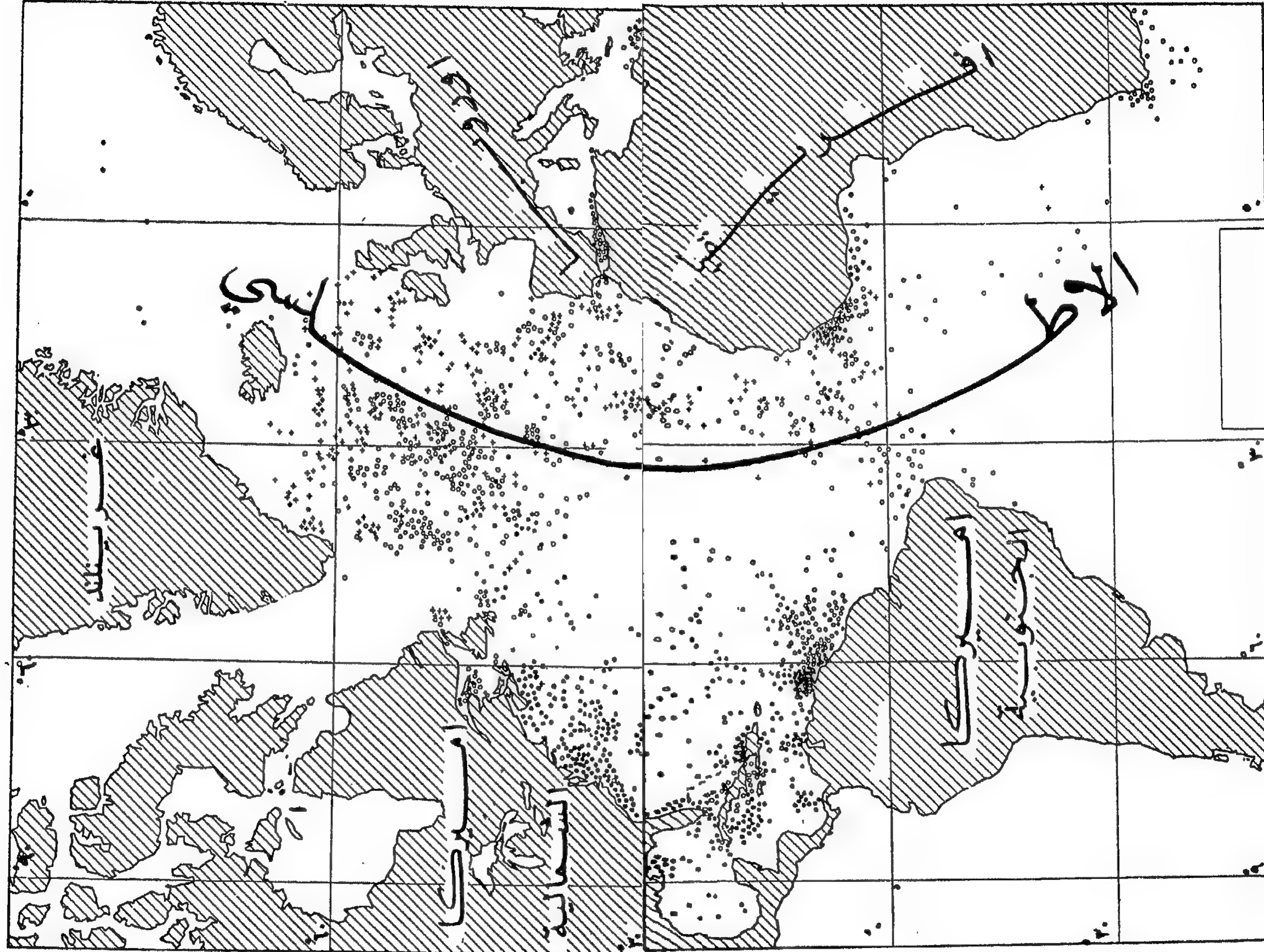
بارساخ السيطرة الالمانية سياسياً واقتصادياً بتوطينها ، في نقاط مختارة ، الأقليات الألمانية المتشتملة في أوروبا ، التي أعيدت الى الرايخ : في الاراضي البولونية المضمومة ، والد « وورتلند » ، والالزاس - لورين ، واللوكسمبورغ ، وسيليزيا العليا ، وكارنيول العليا ، وستيريا السفلى . واجتهدت ادارة الـ s. s. كذلك في إعادة الجماعات المرغوب فيها عنصرياً الى « الشراكة الجرمانية » : الالمان المنصهرون في الشعب التشيكي والشعب البولوني وانسال المهاجرين الى السويد من الالمان ... وقد عبأت من بين هذه الجماعات « جنود الاصطدام في النظام الجديد » : الـ *Waffen s. s.* . ولم تصرف النظر عن هذا التجنيد المرتكز الى اعتبار عنصري ، مستعينة بالعناصر غير الجرمانية التي استثمرت خوفها من البلشفية ، الا بعد معركة ستالينغراد .

ان النظام الجديد ، المبني على تفوق العرق الجرمني واستئثار أوروبا على أيدي الابادة « شعب السيادة » واحتقار واستعباد كل ما ليس المانياً ، قد اقتضى ، بالإضافة الى ذلك ، القضاء « الطبيعي » على كل من يعتبرون خطراً طبيعياً أو ادبياً على الرايخ الثالث . وكما يتأسس تأسيساً راسخاً « لألف سنة » ، كان من الضروري القضاء على كافة أعدائه بدون شفقة .

بين الالمان « عقيم غير » الاجتماعيين ، والمنحطون والمعتوهون والفاسدون جنسياً ؛ امسا « الهراطقة » الماركسيون أو الاحرار فقد سجنوا وأعدموا الحياة . ففي المعسكرات التي اعتقلوا فيها لم تلبث المعاملات السيئة وسوء التغذية والعمل المضني ، التي اخضعوا لها ، ان حطمتهم معنوياً وجسمانياً وقادتهم الى الموت . واما اليهود الذين كان القضاء عليهم فكرة متسلطة على نخيلة هتلر فقد فجعوا بقوانين نورمبرغ في السنة ١٩٣٥ ، المكملة بمراسيم السنتين ١٩٣٧ و ١٩٣٨ التي حكمت عليهم بالموت البطيء . وأثناء الحرب اشتدت هذه السياسة وتناولات فئات اجتماعية وقومية اخرى ، كالنور والسلافيين عموماً وكافة الشعوب المعتبرة متخلفة . فبالاضافة الى التدابير الممدة للحيلولة دون تكاثرهم : كالتعقيم والاجهاض وفصل الرجال عن النساء ، لم يتراجع هتلر امام تقتيلهم ، كما شرح ذلك لـ « روشنغ » :

« اذا كان بوسعي ارسال نخبة الشعب الالمانى الى جميع الحرب دون اية شفقة على اوراق الدم الالمانى العزيز ، فليس من شك في ان من حقي القضاء على ملايين الاشخاص المنتسبين الى عرق متخلف يتكاثر تكاثر القمل والبراغيث والبق وغيرها من الهوام » .

اهملت من ثم ، اكثر فاكثر ، اساليب الموت البطيء ، واعتمدت طرائق اسرع نتيجة تطبق مخططاً منظماً للابادة . فبينما فرغت مدن المانية كثيرة من طرد اليهود الباقين فيها متباهية « بنخلوها من اليهود » ، طبقت على يهود البلدان المحتلة قوانين نورمبرغ . وخلال اسابيع الحرب البولونية الثلاثة ، قتل افراد الـ s. s. واعداء السامية البولونيون ٢٥٠.٠٠٠ شخص منهم ، وصودرت ممتلكاتهم ، وعينت لهم حصص غذائية زهيدة جداً ، وزربوا في احيائهم او نقلوا الى المانيا لتأدية اعمال الزامية . ومنذ شهري ايار وحزيران من السنة ١٩٤٠ عانت الجماعات اليهودية



الشكل ١٥ - توزيع السفن التجارية المفرقة في الاطلسي

- ١- بين ١٥ اذار ١٩٤١ و ١ كانون الثاني ١٩٤٢ / ٢- بين ١ كانون الثاني ١٩٤٢ و ٣١ تموز ١٩٤٢
- ٣- بين ١ آب ١٩٤٢ و ٣١ ايار ١٩٤٣

في الدانمارك والنرويج وهولندا وبلجيكا واللوكسمبورغ وفرنسا بدورها من المصير نفسه ، ويدخل في عدادها الوف اللاجئين الالمان والنمساويين الذين وقعوا في ايدي النازيين . وعرفت الدانمارك وحدها تشريعاً خفيف الوطأة ضد الساميين بفضل معارضة الملك . اما في فرنسا فقد عمل بنظام شبيه جداً بالنظام الالماني . وفي كل مكان اتخذت التدابير المعادية للسامية على انصورة التدريجية نفسها : نفي اليهود اللاجئين ، فرض غرامات ثقيلة وتبرعات الزامية على الآخرين ، مظالم شتى جعلتهم يؤولون الى حال البهائم المطاردة ، مصادرة الممتلكات الخاصة والمؤسسات الثقافية ، حرمان من الحصص الغذائية العادية . وبعد الهجوم على الاتحاد السوفياتي ، اشتدت الاقتسارات والمظالم ، واعتبر استتبع اباداة اليهود امراً واجباً للوصول الى « حل نهائي » للمسألة اليهودية . فأحدثت للقضاء عليهم فرق خاصة مجهزة بشاحنات غاز تتيح لها اباداة ضحاياها باعداد كبرى . وانشىء المزيد من معسكرات الاعتقال التي جهزت بغرف غاز واقران احراق في « تربلنكا » و « مايدانيك » ، و « بوكنوولد » ... ولا سيما في « اوشويز » حيث امكن امائة ٢٠٠٠ شخص بالغاز دفعة واحدة في مدة نصف ساعة ، وتنفيذ العملية نفسها اربع مرات في اليوم . ففي غرف الغاز هذه هلك ٢ ٥٠٠ ٠٠٠ ضحية بينما مات ٥٠٠ ٠٠٠ من الحرمان وشظف العيش .

في معارك اوكرانيا وبسارابيا ، حيث اشترك الرومانيون في حركات شعبية ضخمة ضد اليهود ، مات اكثر من مليوني يهودي قتلاً . وكان العمل الاخير تدمير احياء اليهود . ولكن يهود « لودز » قد نجوا من الابداء بسبب الحاجة الى اليد العاملة في مصانع النسيج . اما في فارصوفيا حيث ما زال هناك ٤٠٠ ٠٠٠ يهودي في السنة ١٩٤٢ ، فقد اندلعت ثورة يائسة حين اراد الالمان ، في كانون الثاني من السنة ١٩٤٣ ، تصفية الـ ٤٠ ٠٠٠ يهودي الباقين على قيد الحياة . فاقتضى لهم ٤٢ يوماً من المعارك الضارية لآبادتهم . وهكذا بين السنة ١٩٣٩ والسنة ١٩٤٥ ، مات قتلاً اكثر من ستة ملايين يهودي (عباد ٦٠٠ يهودي هولندي من اصل ٩٠ ٠٠٠ منفي ، اي اقل من ٧٠ ٪ . وعاد ٢٨٠٠ يهودي فرنسي من اصل ١١٠ ٠٠٠ ، اي ٢٠ ٪) .

« معسكرات الموت » ان تدابير الابداء المنظمة هذه استهدفت « اعداء » الرايخ الآخرين ايضاً . فالعذابات والعمل الالزامي وسوء التغذية (بين ٦٠٠ و ٧٠٠ وحدة حرارية في اليوم في بوكنوولد) ، والاعدام للعاجزين عن العمل ، كانت المصير الذي ينتظر الماركسيين والمقاومين والسلافيين والمظليين الحلفاء والاسرى الفارين . وقد نفذت هذه الابداء المنظمة في معسكرات الاعتقال التي مرت فيها زهاء عشرة ملايين ضحية ، زال اثر القسم الاكبر منها ، ولا سيما خلال الاشهر الاخيرة من الحرب - اذار ونيسان ١٩٤٥ - اذ نظمت في كل مكان عمليات تقتيل واجلاء بالجملة في ظروف وحشية رهيبة . فقد تعرض المعتقلون لعبودية مطلقة ، ولم يكن لهم من ملاذ يقيهم مظالم الـ « كابوس » - رؤساء

فرق اختيار جالهم من بين الالمان المحكومين وسعوا جهدهم لاذلالهم واساءة معاملتهم - وافتهروا الى الغذاء واللباس ، واخضعوا لنظام قاس ، وارغموا على القيام بأعمال شاقة وخيمة في المعامل والمصانع ، فهاقوا ضعفاً او ضرباً ، وحكم على المرضى والسقياء منهم بالموت في غرفة الغاز او فرت الاحراق حيث كانوا يختفون دون ان يتركوا اي اثر . وقد وصف لنا الحياة في المعسكرات الشهود الذين عادوا من هذا « الجحيم المنظم » ؛ وليس سوى التضامن والحياة الداخلية القوية ما انقذ اولئك الذين اتاحت لهم قوتهم الجسدية والمعنوية احتمال العذاب والعناء ؛ الا ان النضال السري الذي استطاع « السياسيون » - ولا سيما الشيوعيون - من كافة الجلسيات ، المنظمون في الخفاء ، القيام به ضد اسياهم الـ « S.S. » وعملاتهم محكومي الحق العام ، من اجل قبض زمسام الامور في المعسكرات (امانة السر ، رعاية المرضى ، رقابة التجمعات) ، قد ساعد على انقاذ حياة العديد من المعتقلين .

ابتداء من السنة ١٩٤١ ، لم يعد الهدف الرئيسي للمعتقلات اباداة اعداء الرايخ فحسب ، بل اصبح لها هدف اقتصادي ايضاً . فان اليد العاملة الاجنبية التي لم تفلح ادارة العمل الالزامي وجهود « سوكل » ، المفوض العام لليد العاملة ، في احضارها الى المانيا ، قد تعززت بمئات الالوف من العبيد الذين وجهتهم الـ « غستابو » نحو ١٥ معسكراً كبيراً : « داشو » ، « فونزهايم » ، « دوتوزن » ، « رافنسبروك » ... ، واكثر من ٩٠٠ معسكر ثانوي . فاستخدموا بصورة خاصة في المعامل المنشأة تحت الارض ومعامل المنتجات الكيميائية ، دون تحديد لمسدة العمل ، حق النهمكة التامة . واسندت الاعمال الى الرجال الاقوياء دون غيرهم ؛ اما الشيوخ والنساء والاولاد فقد سيقوا مباشرة الى غرف الغاز . واستخدم بعض الاسرى للاختبارات الطبية : فقد اختبر بعض اطباء الـ « S.S. » فيهم تأثير الضغوط المنخفضة على الطيارين المحلقين على ارتفاع عظيم ، او تأثير التجمد على الفريق . ولقّح بعض السجناء والسجينات الاصحاء بحراثم الامراض ، كالتييفوس والسرطان والملاريا ، المرغوب في مراقبة تطورها ، واختبرت فيهم ادوية جديدة (جربت مؤسسة « باير » مخدراً في ١٥٠ يهودية قضين كلهن) ، واستخدم الرجال والنساء محل الارانب لاجراء الاختبارات : « احدثت قروح والتهابات بحقن منتجات بترولية تحت الجلد . وقتل التوائم بغية « تشريحهم » واجريت اختبارات تشريح اشخاص احياء . ومن لم يميت بهذه الطرق حقن بالفينول النقي في القلب .

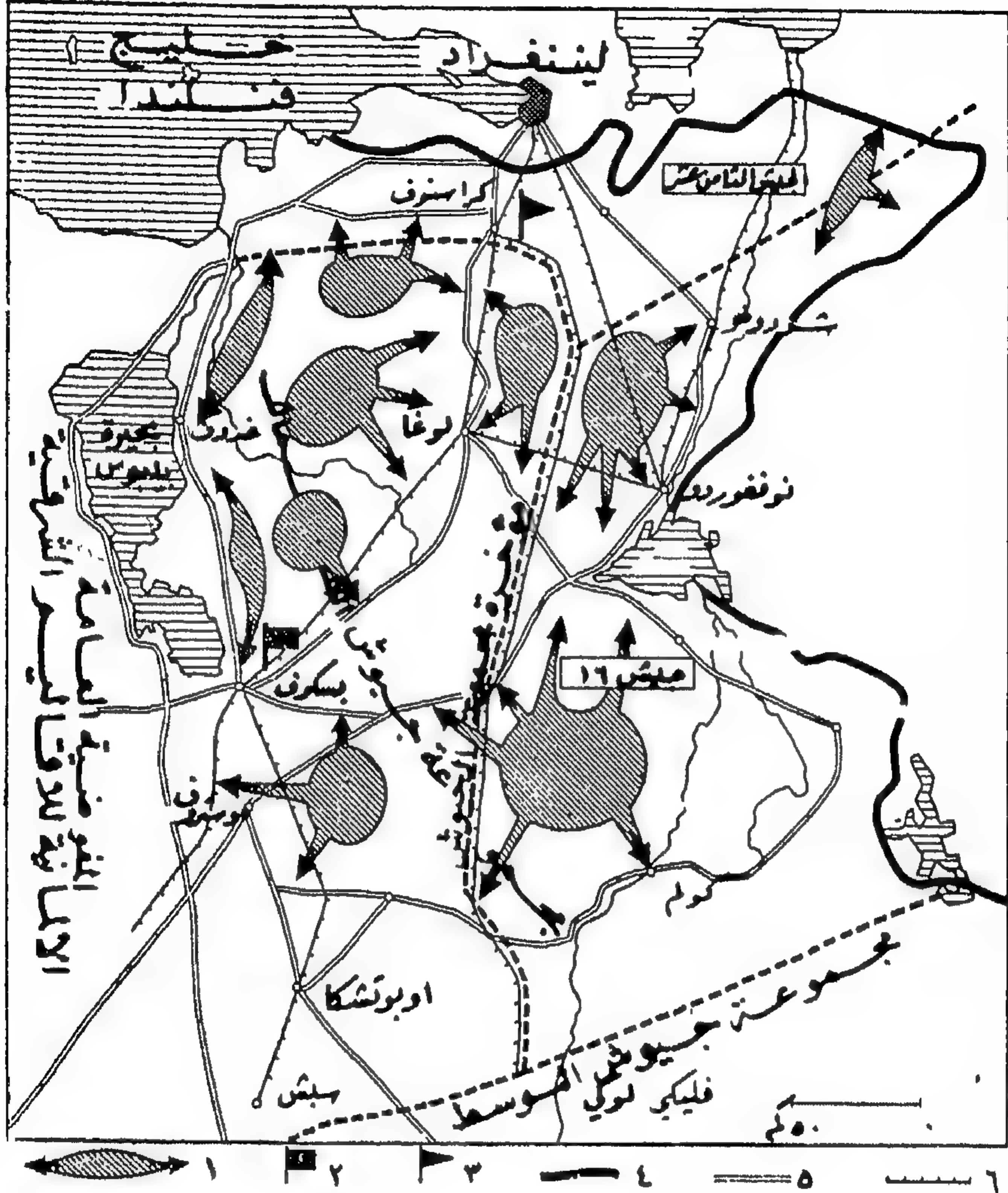
لجميع هذه الاسباب كان عدد الوفيات مرتفعاً جداً ؛ ففي رافنسبروك كانت نسبة الوفيات ٢٤٪ في السنة ١٩٤٣ ، فارتفعت الى ٦٠٪ في السنة ١٩٤٥ ، وزادت ارتفاعاً في الشهرين الاخيرين . ومن المعلوم اليوم ان الجيوش البريطانية ، حين دخلت الى معسكر « برغن - بلسن » ، « قد شاهدت مستودعاً ضخماً للبحث يضطجع فيه ، بين ٣٣.٠٠٠ جثة ثلثة تنتشر منها الروائح الكريهة و ١٠.٠٠٠ مصاب بالتييفوس يلفظون انفاسهم الاخيرة معانين عذابات العطش » .

استثمار البلدان المحتلة
احتل استثمار البلدان المحتلة (الشكل ١٩) مركزاً هاماً في اقتصاد
الحزب النازي . فحين امكن استخدام الطاقة الصناعية في البلدان
المحتلة للمساعدة على بلوغ اهداف الحرب الالمانية ، ابقى على الانتاج ، لا بل عززاً حيناً ؛ اما
اذا استحال ذلك فيضحي به : فان الصناعات النسيجية والزجاجية المتوفرة في المانيا قد اوقفت ،
وحين توجب توزيع المواد الاولية على الصناعات ، كان للصناعات القائمة في الارض الالمانية حق
الأولية في استلام نصيبها من هذه المواد والمعدات واليد العاملة . وفي كافة الاراضي التي سقطت
تباعاً في ايديهم ، اتخذ الألمان التدابير الأولية نفسها : تعتمد الدوائر التابعة لمصاحبة الحرب
الاقتصادية ، والمرافقة جيوش الغزو ، الى لاستيلاء على مخزونات المواد الأولية والمنتجات
المصنوعة واعادة تسيير المصانع . وكانت تتخذ بعد ذلك تدابير مختلفة باختلاف البلدان المحتلة
ومركزها المستقبل في « النظام الجديد » ، موزعة الى اربع فئات : البلدان المضمومة او المنوي
ضمها الى الرايخ : الألزاس - لورين ، اللوكسمبورغ ، محمية بوهيميا - مورافيا ، سيليزيا العليا
البولونية . البلدان الاستعمارية : حاكمية بولونيا العامة ، البلدان البلطيقية . المناطق المحتلة في
اوروبا الغربية . فرنسا حكومة فيشي .

الصناعة
في بلدان الفئة الاولى ، اخذ الالمان على عاتقهم الاشراف المباشر على الحياة
الاقتصادية ؛ الا ان التشيكيين قد احتفظوا ، في المحمية المعتبرة مستقلة استقلالاً
ذاقياً ، بنصيب غير مستقل من الادارة . وحدث الشيء نفسه في بلدي اوروبا الجنوبية الشرقية ،
صربيا واليونان ، حيث شكلت حكومات صورية . وفي الحاكمية العسامة والاراضي الشرقية
المحتلة : الدول البلطيقية ، وليتوانيا ، وروسيا البيضاء واوركrania ، حيث لم يقم اي جهاز حكم
ذاتي ، ادير الاقتصاد كما لو كان جزءاً لا يتجزأ من اقتصاد الرايخ ، فاسندت الى شركات تتمتع
بمقوق احتكارات رسمية وترتبط بالمشاريع الالمانية الكبرى ، مهمة استثمار الموارد في الاطوار
الذي تعينه سلطات الرايخ . اما في البلدان المضمونة ، فان الصناعات قد اُلحقت باقتصاد الرايخ
الحاقاً مباشراً وكلياً ، وقد عزز بعضها حين كان من شأن بعضها ان يجعلها في مأمن نسبياً من
الغارات الجوية : كانت هذه حال مصانع سكودا ومصانع الاسلحة في « برنو » ومراكز سيليزيا
العليا البولونية ، حيث انمي استثمار الفحم الحجري وانشئت مصانع بنزين تركيبي . واما في
البلدان الاستعمارية فقد اقتصرت الصناعة على انتاج المواد الأولية والمحاصيل الضرورية لتأمين
القوات المسلحة والحاجيات الضرورية جداً لحاجات السكان .

في الاقاليم التي لم تكن لا معدة للضم الى الرايخ ولا معتبرة منطقة استعمارية : البلدان
السكندنافية ، وبلجيكا ، وهولندا ، وفرنسا ، وايطاليا الشمالية بعد ايلول ١٩٤٣ ، ابقيت
ادارة الاقتصاد في ايدي السلطات المحلية التي كانت تتلقى من الالمان توجيهات عامة ؛ وقد
انشئت الى جانب كبار موظفي الادارات المحلية دوائر المانية غالباً ما اقامت في الابنية نفسها
لمراقبة تنفيذ التدابير المتخذة .

استخدمت كافة الصناعات القادرة على توفير الاسلحة والعمل لمؤسسة « تودت » او لحاجات الرايخ ، فلهلحة هاتين الفئتين الاخيرتين اقتطعت نسبة عليا من انتاجها ، كما في فرنسا مثلا :



الشكل ١٦ - مناطق تحت سيطرة العصابات وراء الجيوش الالمانية

في الشمال في كانون الاول ١٩١٨ .

١ - مناطق تحت سيطرة العصابات واتجاهات هجبتها ، ٢ - مركز قيادة مجموعات الجيوش ، ٣ - مركز قيادة الجيش ، ٤ - الجبهة ، ٥ - طرقات ، ٦ - خطوط حديدية .

٧٥ ٪ من الالومينيوم والنحاس ، ٨٠ ٪ من البترول ، ٤٠ ٪ من البوكسيت ، ٣٨ ٪ من المطاط ، ٥٩ ٪ من الصوف ، ٥٣ ٪ من القطن ، ٦٧ ٪ من الجلد ، ١٠٠ ٪ من الادوات الدقيقة ،

٩٠ ٪ من انتاج مصانع الطائرات ، ٧٥ ٪ من انتاج مصانع السفن ، ٧٠ ٪ من السيارات ، ٤٥ ٪ من الاجهزة الكهربائية واجهزة الراديو ، الخ . وقد توفرت للامان وسائل ضغط لا تقاوم . فانهم قد اشرفوا على كافة مصادر التموين بالمواد الاولية ، بحيث كان كل مصنع لا يريد اقفال ابوابه مضطراً لاستلام المواد الاولية منهم ، واجازات الاستيراد والتصدير عند الحاجة ؛ واشرفوا كذلك على كافة المصارف ، فكان من ثم بوسعهم رفض الاعتمادات الضرورية ؛ وقد اتاحت المبالغ الطائلة التي وفرتها لهم ضرائب الحرب اخيراً عرض اسعار مرتفعة جداً للمؤن التي كانوا بحاجة اليها . وفي حال الرفض ، كان المصنع يتعرض لخطر تفكيك آلاته ، كما تتعرض المعدات غير المستعملة لخطر المصادرة والنقل مع العمال الى المانيا .

في الوقت نفسه اتسعت المساهمات الصناعية الالمانية اتساعاً كبيراً جداً في كافة أنحاء أوروبا: فقد بسطت المصارف والمصالح الحكومية والمشاريع الخاصة سيطرتها على مؤسسات اجنبية كثيرة، ولا سيما في البلدان المضمومة وبلدان أوروبا الجنوبية الشرقية ، بالشراء والمصادرة والحجز . وكثرت المصادرات بصورة خاصة في الأراضي السوفياتية حيث اعلن الرايخ نفسه خليفة الدولة السوفياتية ، ومن ثم صاحب كافة الممتلكات . وقد انتقلت هذه الأخيرة الى الشركات الاحتكارية التي استستها الدولة الالمانية ، والمؤسسات التعاونية للصناعيين الالمان المتصرفين تصرف عملاء للرايخ . وأجبرت بعض المصانع لمؤسسات ألمانية كبرى : مانسمان ، سيمنس ... وفي الحاكمية العامة صودرت كذلك ممتلكات الدولة البولونية القديمة ، وصودرت في كافة المناطق المحتلة ، كما هو طبيعي ، ممتلكات اليهود و « اعداء الرايخ » .

في أوروبا الغربية انتهجت المانيا طريقة المشتريات « العنصرية » ، ولكن مركزها المسيطر غالباً ما فرض المعاملات والصفقات التي ترغب فيها ؛ فاقدمت على مشتريات مساهمات ، حتى في المشاريع المتوسطة الاهمية ، في الدانمارك وهولندا . واتخذت التدابير لرفع يد الفرنسيين والبريطانيين عن اموالهم الموظفة في أوروبا الجنوبية الشرقية : فقد ارغم اصحاب الاسهم المالية على بيعها بالسعر الذي يحدده الالمان ، والا تعرضوا لمصادرتها منهم . وهكذا اضطر مصرف « ميرابود » للتخلي عن الاشراف على مناجم « بور » للمصرف البروسي . وأسس الالمان كذلك شركات مختلطة كان لهم فيها الحصة الكبرى ، وارغموا المغلوبين على الانضمام الى الاتحادات الالمانية (اتحاد الزجاج ، واتحاد الاسمنت) . وانتهجوا كذلك طريقة مشتري المؤسسات المصرفية المستفيدة استفادة كبرى من المشاريع الصناعية ، فحققوا بذلك الاشراف على عدد من المصارف الكبرى في الحمية والبلدان البلطيقية ويوغوسلافيا وبولونيا وهنغاريا وهولندا .

حدث في البلدان المحتلة ان ادارة الزراعة والتموين التي انشئت منذ اوائل الحرب قد عززت ومائلت على العموم الادارة القائمة في المانيا .

فقد اخضعت اوروبا البرية كلها لقانون تحديد المساحات الواجب زرعها والحبوب الواجب بذرها والكميات الواجب تسليمها للتموين . وانشئت في كل مكان مؤسسات تعاونية بلدية ، مستوحاة من المؤسسات الالمانية ومكلفة تنفيذ اوامر السلطة المحتلة : التعاونية القروية في فرنسا وبلجيكا والـ « بوند سامبند » في النرويج . . . ونظم التقنين بحسب المبادئ الالمانية : تقنين مطلق تناول الخنطة والطحين والحبوب والاحوم والحليب والمواد الدهنية ، والبطاطا احياناً ، باسعار تختلف باختلاف المستهلكين . وكانت التقنين اشد قساوة في الدانمارك واكثر فعالية في اوروبا الشمالية والشمالية الغربية منه في فرنسا وايطاليا . وفي كل مكان كانت نسبة النخالة في الطحين مرتفعة ، وبلغت ٩٠ ٪ احياناً ، الامر الذي استتبع تحضير خبز صعب الهضم كزبد المذاق ، وفرزت الكثافة عن الحليب ، وحدد استهلاك اللحوم . يضاف الى ذلك من جهة ثانية ان ظروف الزراعة لم تلبث ان ساءت ، وان تعذر العناية بالمعدات الزراعية واستخدام الاسمدة الكيميائية (ولا سيما بعد نزول الحلفاء في افريقيا الشمالية) قد خفض المحاصيل بحيث هبط الانتاج الزراعي - كما في الحرب العالمية الاولى تقريباً - بنسبة ١٠ ٪ عموماً في المرحلة الاولى من الحرب ، و ٢٥ ٪ حين وضعت الحرب اوزارها . اجل لم يبلغ معدل النقص النظري في كمية الوجعات الحرارية اكثر من ربع مستواها في السنة ١٩٣٨ ، ولكن الفلاحين استمروا في التغذي كما قبل الحرب ، ولما كانت الحصص التي اعطيت للقائمين بالاعمال الالزامية اكبر حجماً ، فقد تاه النقص بوطاته على سكان المدينة من غير العمال ، والمستخدمين والاولاد والشيوخ ، حين لم تتوفر لهم موارد كافية لشراء موادهم الغذائية من السوق السوداء ؛ فاضطر ملايين الاشخاص من ثم للاكتفاء باقل من ٢٠٠٠ وحدة حرارية في اليوم ، اي اقل من ١/٤ او ٢/٣ الكمية في السنة ١٩٣٨ ، وقد حصل النقص في الدرجة الاولى في المواد الدهنية والبروتينات الحيوانية ، وفي الدرجة الثانية في مركبات الهيدروكربيد والبروتينات النباتية . وفي كل مكان ، باستثناء الدانمارك ، كانت الحصص غير متساوية ، واقل منها في المانيا . ففي بولونيا استلم سكان المدن اقل من نصف الحصص الموزعة في المانيا على الفئات المماثلة من المستهلكين . وفي السنتين ١٩٤١ و ١٩٤٢ انخفضت هذه الحصص لمعظم السكان في منطقة ائينا - البيرييه الى ٦٠٠ - ٨٠٠ وحدة حرارية متسببة في حوادث وفاة كثيرة بفعل الجوع .

كان لكل ذلك نتائجه الطبيعية على صحة السكان : انخفاض وزن الجميع مع تأخر في نمو الاولاد ، وخرابة ، واضطرابات معوية ، ووذعات الجوع في اكثر المناطق اصابة . وارتفعت نسبة الوفيات بين الاطفال ، كما ارتفع عدد المصابين بالتدرن الرئوي : الا ان الحسائر في الارواح كانت على العموم اقل منها في الحرب العالمية الاولى بصورة محسوسة .

العمل الالزامي استخدمت اليد العاملة في البلدان المحتلة محلياً ، إما في بناء التحصينات (سور الاطلسي ، سور ليفوريا بين طولون ولاسبيزيا) في اطار مؤسسة « قودت » التي شغلت زهاء ٧٠٠ . ٠٠٠ عامل اجنبي ومسؤول الماني في شهر ايار من السنة ١٩٤٣ ، وإما في المصانع الحربية-العاملة لمصلحة المانيا التي توصلت في السنة ١٩٤٤ الى انتاج ٢٥ - ٣٠ ٪ من الاسلحة الالمانية وتشغيل زهاء ٣ ملايين عامل ، واستخدمت كذلك خارج الرايخ .

وفي معاملة العمال الاجانب ، استوحيت السلطة الالمانية مبدأ تفوق العرق الالمانى :

« اننا لا اكثرث البنية لما يحدث للروسي او للتشيكي ... ولا اهتم لازدهار حياة الامم اولموتها خوفاً الا بنسبة حاجتنا الى استعبادها لمصلحة « ثقافتنا » والا فليس لها في نظري اي شأن . واذا ما سقطت ١٠٠٠٠ امرأة روسية منهوكة من حفر خندق مضاد للدبابات ، فان ذلك لا يهمني الا بنسبة انجاز حفر الخندق لمصلحة المانيا » .

هذا ما قاله هتلر في اجتماع ضم قادة ال S.S. في باريس في شهر تشرين الاول من السنة ١٩٤٣ . لذلك فان طرائق اختيار العمال ، وظروف المعيشة ، وظروف الاستخدام قد استوحيت مبدأ التفريق العنصري . ففي ادنى المراتب كان اليهود الذين انتهجت حيالهم سياسة الابادة بصرف النظر عن الخدمة التي قد يستطيعون تأديتها . وفي المراتب التالية ، يأتي « الشرقيون » ، الروس الذين احتلوا مركزاً ادنى من مركز البولونيين والبلطيين ، ثم عمال الدول الغربية ، وقد احطى بينهم الهنغاريون والدانماركيون والفلمنك ، ثم الفرنسيون والهولنديون ، وقد احلوا فوق العمال الايطاليين والبلغاريين والرومانيين والاسبان الذين كانوا دونهم تخصصاً واسماً . وانطلاقاً من الاعتبار العنصري نفسه ، كان مسكن وغذاء الاجانب دون مسكن وغذاء الالمان .

اعتمد العمل الالزامي منذ اوائل الحرب في الدول الشرقية ، ورافقه توقيف عائلات الفارين واختطاف الرجال من الشوارع والمنازل والكنائس ، بينما تأخر اعتماده في الغرب الى ان ساءت حالة اليد العاملة في السنة ١٩٤٢ . وقد لجأت السلطات الالمانية في البدء الى الاقتناع : وعهد بأجور مرتفعة وسهولة في النقل من مركز الى مركز ، وظروف معيشة مغرية ، وفي فرنسا ، وعد بتحرير اسير مقابل ثلاثة عمال متطوعين . ثم لجأوا الى ضغوط غير مباشرة : إلغاء مساعدات البطالة ، سحب بطاقات الاعاشة ، اقفال المصانع بغية توسيع نطاق البطالة ، خفض الأجور . ومنذ السنة ١٩٤٢ اوجب العمل في بلجيكا وهولندا على الرجال المتراوحة اعمارهم بين ١٨ سنة و ٥٠ سنة وعلى البنات المتراوحة اعمارهن بين ١٨ سنة و ٢٥ سنة . ولم ينبج من العمل الالزامي حق شهر آب من السنة ١٩٤٣ سوى الدانمارك « المحمية النموذجية » . وفي هذا التاريخ اي بعد سقوط موسوليني ، ارغم العمال في ايطاليا على العمل الالزامي كما في البلدان الاخرى .

خضعت معاملة العمال لما جاء في برنامج سوكل لتعبئة العمل في ٢٠ نيسان من السنة ١٩٤٢ : « سوف يعامل كافة الرجال ويؤمن لهم غذاؤهم ومسكنهم بحيث يعطون اعلى انتاج بأدنى الاسعار » . فكان للعمال الاجانب يجمعون في مساكن خشبية جماعية تفتقر الى التدفئة والتجهيز

الصحي اللائق ، ويتناولون الغذاء في محلات خاصة بهم ، عاجزين عن شراء الاطعمة في السوق بسبب احتفاظ قادة المعسكرات ببطاقات اعاشتهم .

في الحقل المالي ، تحقق استثمار البلدان المحتلة باعتماد تقنيات مختلفة الاستثمار المالي تحتفظ بظواهر الشرعية : غرامات مختلفة ، وإلزام بيع الذهب والنقد النادر وبعض الاوراق المالية الاجنبية ، واصدار كميات كبرى من النقد الورقي الالماني لتداولها للبلدان المحتلة ويستحيل تبديلها بالاوراق النقدية التي يصدرها مصرف الرايخ ، ومصادرة الذهب من مصارف الاصدار في البلدان المحتلة ، وفرض اتفاقات مالية مضرّة بصوالح المغلوبين : اقرار سعر قطع متدن جداً بالنسبة للمارك الالماني (في فرنسا ٢٠ فرنكاً لكل مارك مقابل ١١ في السنة ١٩٣٩) ، ايجاب تحمل نفقات احتلال مرقعة جداً لتحديد بحيث نلتج لا تمهد الجيوش فحسب بل مشتريات اخرى كثيرة ايضاً . ففي فرنسا مثلاً ، باستثناء القتصاد الحربي ووسائل النقل ، دفع الالمانيون كل ما استولوا عليه . وامدوا وسائل الدفع بمجرد الاستفادة من اتفاقية وقف اطلاق النار التي حملت فرنسا عبء نفقات تمهد جيوش الاحتلال ؛ فاستوفوا بذلك مبالغ طائلة تفوق حاجات هذه الجيوش . يضاف الى ذلك من جهة ثانية ان الاتفاقات المالية قد أفادت منها المانيا وحدها لانها لم تسلم المغلوبين شيئاً مقابل كل ما يقدمونه لها ، فأرغمت الحكومات من ثم على تحمل ما تنفقه هي في بلدان هذه الحكومات .

جاءت النتائج بصورة عامة وبالأعلى على البلدان المحتلة : فمن جهة اقتطع الالماني حصة مطردة الزيادة من الانتاج ، ومن جهة ثانية وسعوا حجم وسائل الدفع ، فخلقوا بذلك وضعاً تضخيمياً . وتسبب ارتفاع النقد المتداول ، وما رافقه من نقص في السلع ، في اتساع نشاط السوق السوداء التي شجعها الالماني لانها اتاحت لهم الحصول على البضائع التي كانوا بحاجة اليها بالاضافة الى الكميات المحددة في الاتفاقيات والعقود الخاصة ؛ ولجأت مكاتب الشراء في بعض المصالح الكبرى (البحرية ، الطيران ، مؤسسة تودت ...) الى خدمات كبار التجار للحصول على كافة البضائع المتوفرة .

كانت نتيجة الطابع القومي للحرب الالمانية ، التي تعذر معها البقاء على الحياد ، في العلائق بين الغالب والمغلوب ، تعزيز موقفها المقاوم والتعاون المتناقضين تعزيزاً لم يسبق له مثيل . فقد اثار النظام النازي نفسه ، والعصبية والوحشية اللتان عومل بهما السلافيون ، واليهود ، واللاتين المعتبرون متخلفين عنصرياً ، والماركسيون والديموقراطيون المعتبرون اعداء خطرين ، مقاومات ضارية شجعتها الانكلوساكسون والسوفييات وجهازها من الخارج .

في كافة البلدان المحتلة ، حيث اعترفت المانيا بالحكومات او شكلتها كما يطيب لها ذلك ، جُرّت هذه الحكومات ، مسيرة أو بخيرة ، الى انتهاج سياسة تعاون اقتصادي وسياسي وحق عسكري مطرد الوثوق . فبعد ان استغلت في البدء الغضبة الشعبية على الحكام السابقين الذين

اعتبروا مسؤولين عن الهزيمة ، لم تلبث ان ظهرت على حقيقتها : مطية للاجنبي ؛ ولذلك اشتدت المقاومة كلما طالت الحرب ، وقضاء لخط الالمان في احراز النصر ، وثقلت من جهة ثانية وطأة الجور والاستغلال على الشعوب .

اذن « تعاونت » الحكومات التابعة وبعض سكان المناطق المحتلة مع الالمان — اي ساعدت آلهم الحربية ونظامهم الجائر . وكانت فئات « المتعاونين » كثيرة ومتنوعة . فكان هناك اولئك الذين دخلوا ، منذ قبل السنة ١٩٣٩ ، وبدافع من ميولهم الفاشستية او مطامعهم الشخصية ، في خدمة دول المحور ، وساعدوها اثناء فتح بلادهم وبعده ؛ ويتمثلون خير تمثيل بـ « كويسلنغ » . والى جانب هذه الفئة يمكن افصاح مكان لـ « مثل فلاسوف » ، القائد السوفيياتي الذي اسر في السنة ١٩٤٢ وحاول ان يجمع الفارين واسرى الحرب حول بيان وضعه في سمولنسك اعلن فيه ان « روسيا الجديدة » المحررة من ستالين والبلشفية ، سوف « تظهر من اليهود » وتعيد الملكية الخاصة ، الخ. فعبئت افواج من المتعاونين في المعسكرات حيث كان الروس مخضعين لخطّة ابادية ، وبالتفضيل بين الاوكرانيين والجيورجيين وتتر القرم ومسلمي القفقاس وآسيا الذين تمثل بعضهم في الوحدات البوليسية التي تولت العمل في صربيا وفرنسا .

وهناك اولئك الذين كانوا ينتمون الى اقلية قومية او الى قوميات تابعة فقالوا بشرعية كل تحالف يساعد على قطع اوصال الدول التي يخضعون لها ، وتحالفوا مع المحور على رجاء تحرير امتهم الخاصة : وهذه حال السلوفاكيين والـ « اوستاشي » الكرواتيين ، والاقليات الرومانية واليوغوسلافية والتشييكوسلوفاكية . وهناك اولئك الذين ساروا وراء حكومتهم حتى الهزيمة وتوقيع اتفاق وقف اطلاق النار (اليونان ، يوغوسلافيا) والذين اقتنعوا بعد ذلك بأن المحور كسب الحرب فتعاونوا مع الالمان ظناً منهم بانهم ربما استطاعوا حماية مواطنيهم باقتهاج سياسة تصالح واتفاق مع الظافر ؛ وهذه حال الجنرال « ناديك » في بلغراد . ولكن هؤلاء « الترقبيين الانتهازيين » لم يلبثوا ان ارغموا على تحديد موقفهم على صميدين هامين لم يسمهم تجنب الوقوف الى جانب العدو فيها : مكافحة المقاومة وتقديم اليد العاملة للآلة الحربية الالمانية . وهناك اخيراً اولئك الذين استمروا في هدائهم للغزاة ، ولكنهم باتوا اكثر قلقاً وجزعاً يوماً بعد يوم امام نمو حركات المقاومة بادارة رؤساء جدد ، مجهولين ، ثوريين ، فساعدوا الغزاة حرصاً منهم على السلامة الاجتماعية . وقد خشوا في صميم قوادهم من ان يؤدي نصر ساحق يحرزّه الانكلوساكسون ولا سيما الاتحاد السوفيياتي ، الى تدمير السور القائم في وجه البلشفية الذي يمثّل ، في نظرهم ، بالجيش الالمانى .

لذلك يمكننا القول بصورة عامة ان التعاون على مفارقاته المختلفة ، الطوعي ، والمعلن ، والمتردد ، والخافر ، قد استند في معظمه الى العناصر المحافظة في البلدان المحتلة .

فرنسا فيشي
في شهري ايار وحزيران من السنة ١٩٤٠ ، المنحت فرنسا ، التي اغرقها
الغزو وجلاء السكان عن منازلهم في خضم نشوش حقيقي ، امام
الحكومة التي ألفها المارشال بيتان ؛ فأقدم المجلسان التمثيليان ، دون صعوبة ، وبدافع ادراكهما
عدم شعبية النظام البرلماني ، وخوفهما من عنف الدعاوة المعادية للجمهورية التي حملتها وحدهما
مسؤولية الكارثة ، وتأثير بيار لافال ، على اقرار مبدأ اعادة النظر في القوانين الدستورية ،
واعطيا المارشال بيتان - ب ٥٦٩ صوتاً مقابل ٨٠ معارضاً - صلاحيات استثنائية لاعتماد
دستور جديد .

« الثورة القومية »
فكان ما يفتظر فرنسا ، تحت سلطة بيتان ، نظاماً جديداً ، دكتاتورية
رئاسية تعيد الى الذاكرة دكتاتورية الامير الرئيس في السنة ١٨٥٢ .
وعاد معه الى الحكم « الاعيان » الذين سيطر اجسادهم على الجمعية الوطنية المنتخبة في السنة
١٨٧١ ، والذين اقصتهم « الطبقات الاجتماعية الجديدة » - البورجوازية الصغرى والطبقة
المهالية - طيلة الجمهورية الثالثة . فكان ان الملاكين العقاريين ، والضباط المحترفين ، وكبار
الموظفين ، والاكليروس ، والاشراف الريفيين ، وكل الذين تولوا ادارة المقاومة الاكثريكية
الرجعية في عهد الجمهورية الثالثة وحاولوا اسقاطها بمناسبة ازمات « الحركة البولونجية » وباناماس
وقضية دريفوس ، اتحدوا مع ممثلي المصالح المالية والصناعية المعادين لتشريع الجبهة الشعبية
الاجتماعي ، بغية الاستيلاء على الحكومة والادارات ؛ وقد ساعدهم مساعدة قوية كبار الموظفين
واعضاء « الهيئات الكبرى » الذين اتاحوا وحدهم للنظام الجديد حكم البلاد . وقد اغتبطوا
بتخلصهم من رقابة البرلمانيين الذين احتقروا عدم كفاءتهم وعجزهم ، ورقابة نقابات العمال
والموظفين ، فاداروا البلاد ادارة مطلقة بالروح الابوية التي اشتهرت بها « الثورة القومية » .

ثم حدثت عملية تطهير شديدة تناولت موظفي الادارات البلدية والموظفين المشتبه بتعلقهم
بالمبادئ الجمهورية : اليهود ، البناؤون الاحرار ، الاشتراكيون ، المدافعون عن المدرسة العلمانية
التي ألقيت عليها مسؤولية اضعاف الروح المدنية والوطنية . وارتجلت ادارة جديدة اسندت
اعمالها الى عناصر مختلفة غير منسجمة ، بل الى جمهور من « الصختابين والهوآشين » ، كما يصفها
رئيس غرفة المارشال ، « هـ . دي مولين دي لباريت » .

كان قوام النظام الجديد السيامي والاجتماعي الذي حلم به هؤلاء الموظفون ، ولا سيما بطانة
المارشال حيث سيطر رجال اقصى اليمين ، تطبيق مبادئ اليمين التقليدية : محاربة « العقائد
الباطلة » التي ظهرت في السنة ١٧٨٩ ، اقصاء الآراء الديمقراطية ، محاربة الفردية والنظام الحر
والماركسية ، الصراع الطبقي (« انما الشعب تسلسل عائلات ومهن ومسؤوليات ادارية وعائلات
روحية ») ، واحياء مجتمع تسلسلي مبني على مبادئ سلطة الرئيس (« يجب ان تكون الدولة
استبدادية وتسلسلية ») ، وتنظيم مهني تعاوني ، واحترام القيم العائلية التي لا يستطيع المحافظة
عليها سوى مجتمع بطريركي وقروى ومجتمع صناعيين يدويين . فعل شعار « العمل » العائلة ،

الوطن ، لحل الشعار الجمهوري « حرية ، مساواة ، أخوة » . ونما حدث بعيد ثورة السنة ١٨٤٨ وفي أيام « النظام الأدبي » ، استند الحكم الى الدين لمحاربة فوضى الافكار والتماليم الخطرة . وقدمت له الكنيسة مساندة فعالة بصوت الكردينال « جرلييه » : « بيتان هو فرنسا وفرنسا هي بيتان » ، واهلن الراعي بوغتر ، رئيس الكنيسة البروتستانتية من جهته ان ليس هناك سوى واجب واحد : « السير وراء المارشال » .

وقد نفذ هذا البرنامج : زوال اسم « الجمهورية » ، اعطاء سلطة شخصية (« نحن ، فيليب بيتان ... ») للمارشال الذي ادعى لنفسه بالسلطة التشريعية حتى تشكيل المجلسين الجديدين . إلغاء كافة الانتخابات في القرى التي يتجاوز عدد سكانها ٢٠٠٠ نسمة ، وحل اتحادات العمل . تنظيم الحرف على اساس تعاوني على يد لجان تنظيم الصناعة (التي يديرها كبار الصناعيين) ، والاتحاد العمالي وميثاق العمل . وابطال التشريع المتعلق بالجمعيات الدينية ، وتقديم المساعدات المالية لمؤسسات التعليم الدينية . والغاء دور المعلمين الابتدائية ، ومحاولة ادخال التعليم الديني في برامج المدرسة الابتدائية (« لقد ولي عهد المدرسة بدون اله ») . والعمل بالتشريع المعادي للسامية المستوحى من قوانين نورمبرغ : فأقصى اليهود عن الوظائف العامة وعن بعض الحرف ، وانشئت مفوضية عامة للشؤون اليهودية وابطل قانون كريميو . رحلت كافة الاحزاب السياسية وطورد الحزب الشيوعي (كان هناك ٣٠٠٠٠ شيوعي في السجون في شهر ايار من السنة ١٩٤١) .

اتفق رجال الثورة القومية على محاربة النظام البرلماني ومقاومة المبادئ تطور النظام الديمقراطية والاشتراكية . وقد اقتنعوا كلهم بأن نصر المانيا اكيد وقريب وان مقاومتها امر مستحيل . ولكنهم شككوا فئات ذات مصالح ومطامع متناقضة . ففي فيشي تفوق ممثلو اليمين القديم الوطني والمحافظ والكاثوليكي ، تلامذة « شارل موراس » ، واعضاء الحزب الاشتراكي الفرنسي الذين لم يكونوا ضد الانكليز فحسب بل ضد الالمان ايضاً ، واستندوا الى « جوقه المحاربين » . ووقف في وجههم بعض العناصر المنحدرة من اليسار ، من امثال محبي السلم القدماء والاشتراكيين الجدد كـ « مرسيل ديا » الذي سيؤسس « التجمع القومي الشعبي » ، والنقابيين المحبي السلم كـ « جورج ديمولين » ، وبعض الشيوعيين القدماء كـ « جاك دوريو » الذي طرد من الحزب في السنة ١٩٣٤ ثم اسس الحزب الشعبي الفرنسي في السنة ١٩٣٦ ، وضموا جهودهم الى جهود بعض الفئات اليمينية ، كـ « الكاغولاد » واللجان السرية للعمل الثوري ، للطالبة بتعاون وثيق مع المانيا . واسسوا جوقه معادية للبشفية (لن تضم يوماً اكثر من ٣٠٠٠ متطوع) للمحاربة الى جانب الالمان في الاتحاد السوفياتي . وقامت في حقل المصارف والصناعة الثقيلة عناصر المانية الميول ذات نفوذ قوي قالت بالتعاون الاقتصادي الفعلي : « بارنو » ، من مصرف « وورمس » الذي سيمسي مندوباً عاماً للعلائق الاقتصادية الفرنسية الالمانية ، و « لوهدو » ، صهر « رينو » ، الذي سيمسي مندوباً عاماً للتجهيز الوطني ،

و « بيشو » مدير الجمعيات الصناعية التعديلية ، الذي سيمسي وزيراً للداخلية ، الخ . فحدث في جوار المارشال بين هذه النزعات صراع من اجل النفوذ والاستيلاء على السلطة من احداثه الخطيرة إبعاد لافال في ١٣ كانون الاول ١٩٤٠ ثم عودته الى الحكم في نيسان ١٩٤٢ .

هو لافال من مثل في الحقيقة سياسة التعاون الوثيق التي كانت في نظره الوسيلة الوحيدة للتخلص من نتائج الهزيمة او أقله لتخفيف وطأتها . وكانت باكورة هذه السياسة ، التي نمت اكثر فاكثر كلما تزايدت المتطلبات الالمانية ، اجتماع هتلر بالمارشال في « مونتوار » . « وان بين فيشي ١٩٤٠ الوطنية والحفاظة وفيشي ١٩٤٤ المتعاونة والفاشية تسلسلاً صارماً ... وتضامناً سلبياً ضد النظام المبطل » (هوفمان) .

فان استمرار الحرب في روسيا وهزائم المحور في افريقيا قد جعلت نصر المانيا النهائي امراً مشكوكاً فيه جداً . وباتت المقاومة أشد نشاطاً ، والقمع اكثر وحشية بإدارة « بيشو » ، وزير الداخلية ، مع محاكمة الخاصة ومجلس « غانسا » العرفي ، ومحاكم الدولة في ليون وباريس . واشتد القمع حين اصبح « دارفان » اميناً عاماً للمحافظة على الامن في كانون الثاني ١٩٤٤ ، فقدم الالمان مؤازرة الميليشيا والمحاكم العرفية الخاضعة للرقابة البوليسية . ومن جهة ثانية عزز نزول الحلفاء في افريقيا الشمالية واحتلال كافة اراضيها موقف التعاونيين الفرنسيين : كان ذلك نهاية فيشي الثورة القومية التي خسرت الامبراطورية ، فاقدم اسطولها على اغراق نفسه ، وتضامن نفوذها في البلاد ، فلم يبق للالمان اية مصلحة في الابقاء على حكومة مستقلة وهمية . واكتفوا بالابقاء على شبكة الموظفين والادارات التي يستغلون بواسطتها البلاد . ومنذ اواخر السنة ١٩٤٣ سيطر « التعاونيون » الباريسيون نهائياً على فيشي ، فدخل دارفان وهنريو الوزارة التي ضمت « كاتالا » و « دي برينون » و « آبل بوتار » و « بيشلون » و « ماريون » ، الخ . واصبح « ديا » اخيراً وزيراً للعمل . فانتهجت سياسة تعاون كامل ، ولكن البلاد كانت في حالة حرب اهلية غير معلنة ، والاطراف المحافظة التقليدية - ولا سيما البورجوازية الكاثوليكية التي استألتها نفوذ المارشال - اصبحت ترقبية على غرار الدهماء والمتحذرين . فكان ذلك ، قبل النزول في نورماندي والتقدم الحليف ، نكبة نزلت بالتعاونيين .

ان الدول الصغرى في اورربا الشمالية الشرقية ، التي احتلت دون الدول المحتلة الاخرى اعلان حرب في اعقاب غزو صاعق ، قد لاقت ، مع بعض المفارقات ، المصير الذي لاقتة فرنسا . فان التصريحات الاولى الرسمية حول ابقاء واحترام المؤسسات التقليدية والوعود باحترام نظامها السياسي والاقليمي ، والتأكيد بأن الاحتلال لا يستهدف سوى حمايتها من غزو الفرنسيين والبريطانيين القريب الوقوع ، لم تلبث ان قللتها تدابير يقصد منها اما ضمها فوراً الى الرايخ العظمى ، واما تجزئتها بالذات ، وتستهدف في كل مكان استثمار مواردها استثماراً منظماً . وبالرغم من ان الحكومات الالاجئة الى بريطانيا العظمى كانت لاشعبية في بعض هذه البلدان (حكومة بييرلو ، الحكومة النرويجية) ، ومن ان الرأي العام قد اتصف ببعض

الاضطراب ، فان الموقف كان اكثر جلاء منه في فرنسا حيث استمر مع حكومة فيشي وهم الحكومة المستقلة . ولم تلبث المقاومة السلبية ، ثم الناشطة ، ان تنظمت دون ان تتبرا منها الحكومة الشرعية . وفي كل مكان لم تفلح الفئات التعاونية والحكومات الصورية في استمالة سوى جزء لا شأن له من السكان .

حلت النقابات والاحزاب السياسية باستثناء الحزب النازي المحلي : ففي بلجيكا اقصى الالمان « دغريل » الذي اسس الجوقة الفالونية وحارب في روسيا ، ومحمضوا ثقتهم حزب « اصدقاء الرايخ » . كما محضوها « موسير » رئيس الحزب الوطني الاشتراكي في هولندا ، وكويسلنغ رئيس الحزب الوطني في التروبيج ، الذي شكل الحكومة في السنة ١٩٤٢ ، الخ . وهكذا عين « التعاونيون » في كل مكان في المراكز الادارية الهامة .

الا ان الدانمارك شذت عن القاعدة واستفادت من بعض المراعاة لأن حكومتها الشرعية لم تغادر البلاد ولأن المانيا ارادت ان تجمل منها « محمية نموذجية » . فقد سبق للملك ان اصدر اوامره بعدم مقاومة الغزو واعترف بواقع الاحتلال ، وان اعترض عليه . ورغبة منه في الحيلولة دون قيام حكم عسكري او استيلاء النازيين الدانماركيين برئاسة « كلوزن » على السلطة ، لم يتراجع امام بعض التنازلات : اتفاق مالي مضر بمصالح الدانمارك ، سحب الحاميات الدانماركية من « جتلند » ، انضمام الى ميثاق مكافحة الشيوعية ، الخ . . ولكن الدستور الدانماركي لم يبطل ابطلا صريحا ، فنجح اليهود من الابداء والجور واستمرت الادارات المركزية والمحلية في عملها .

٢ - المقاومات

بينما لم يكن « التعاونيون » في كافة البلدان المحتلة سوى طائفة قليلة « المقارمة » العدد ، تنظمت مقاومة الغازي - السلبية او الناشطة - واتخذت اشكالا مختلفة بحسب الاوقات والازمنة واستهوت اعدادا كبرى من السكان تزايدت يوما بعد يوم كلما اتضح لهؤلاء هدف الصراع على حقيقته .

على غرار التعاون ، تميزت المقاومة بمفارقات كثيرة ، وببعض الصفات المشتركة ايضا : نقمة شديدة على الغازي كانت فورية عند البولونيين والصرب والتشيكيين واليونان والسكندنافيين ، وفي اوروبا الغربية حيث كانت وطأة الجور ثقيلة بصورة خاصة ، واكثر تأخرا عند السلوفاكيين والكرواتيين الذين بدا لهم النصر الالمانى وكأنه سوف يحقق استقلالهم . واقل حرارة عند الرومانيين والهنغاريين . ومن جهة ثانية اتسعت المقاومة بسرعة في المناطق الحرجية والجبلية حيث سهل احتواء المتمردين ، وحيث لم يكن يوسع الالمانى مطاردهم بسبب افتقاره الى الجيوش اللازمة . فكانت يوغوسلافيا والبانيسا واليونان وجبال الألب والاحراج البولونية ، من هذا القبيل ، اكثر موافقة لمقاومة ناشطة من تشيكوسلوفاكيا حيث

كانت السهول مكتظة بالسكان وحيث اهل الجبل بأكثرية المانية . واتضح بسرعة اخيراً ان حركات المقاومة لم تحارب الالمان فعصب ، بل حاربت من اجل بلوغ أهداف خاصة ، من اجل تنظيم اجتماعي وسياسي هو نقيض النظام الذي كان قائماً قبل الغزو .

لا ريب في انه يصعب تحديد النزعات السياسية التي سَـيَـرت الداخلين في المقاومة . وإنما يبدو جلياً — من مطالعة الصحف الصادرة في الحفاء — ان الأكثرية الساحقة ابتغت تبديل النظام الاقتصادي والاجتماعي تبديلاً جذرياً . فان كافة البرامج التي وضعتها وحدات المقاومة المختلفة في الغرب قد وعدت بادخال اصلاحات ديموقراطية على النظام السياسي ، وبخاصة على النظام الاجتماعي والاقتصادي ، ولا سيما بتأميم الصناعات الرئيسية . أما في اوروبا الوسطى والشرقية ، فقد طالب المقاومون باصلاح زراعي جذري ومصادرة املاك كبار الملاكين قبل كل شيء . وحين غزا الالمان الاتحاد السوفياتي اصبح الوضع اكثر تعقيداً : فقد برز الخلاف بين معلمي الآمال بتحريرهم على الانكلاوساكسون وبين متوقعيه من الاتحاد السوفياتي . فبصورة عامة كانت العناصر المحافظة اشد ميلاً للانكلاوساكسون ، وكان كافة المتطلعين الى الاتحاد السوفياتي تواقين الى اصلاح النظام ، ولكن المطالبين بمثل هذه الإصلاحات لم يتجهوا كلهم نحو الاتحاد السوفياتي ، كما ان انكليزي الميول لم يوافقوا ، بمجرد ميولهم ، احياء النظام القديم . وفي بولونيا بقي العديد من انصار الإصلاحات اوفياء لعدائهم التقليدي للروس ، بينها مالت اكثرية المقاومين في يوغوسلافيا واليونان ، منها كانت نزعاتهم السياسية والاجتماعية ، الى الشعب السلافي العظيم .

الا ان تعاضل نفوذ الشيوعيين في حركات المقاومة ، وتعاضل نشاطهم من ثم ضد احتمال احياء النظام القديم ، قد اسهما في حمل بعض اشياح التنظيم السابق وبعض المخلصين لحكومات المنفى على الالتفاف حول الالمان لانهم اعتبروا الشيوعيين اخيراً اعداء ادهى خطراً من الالمان (اليونان ، يوغوسلافيا ، بولونيا) . وإنما عرضت الطبقات الحاكمة عن المقاومة في البلدان التي كان فيها التأثير الشيوعي كبيراً . ويرد الخلاف الى سبب آخر هو ان انتقام العدو قد استهدف الفلاحين الميسورين او الأثرياء بصورة خاصة . ولم ينظر هؤلاء من ثم بمعين راضية الى نشاط المقاومين الشيوعيين . فتعاون البعض عليهم وحملوا السلاح الى جانب القوات المحتلة لمنع أعمال التخريب . وقد انفجرت نزاعات مسلحة منذ السنة ١٩٤١ في يوغوسلافيا ، ومنذ السنة ١٩٤٣ في اليونان وبولونيا ، بين الوطنيين والشيوعيين . وفي اوكرانيا ايضاً ، انفجرت هذه النزاعات بين الالمان ، والوطنيين الأوكرانيين المعادين للسوفيات ، والانصار الشيوعيين الأوكرانيين الذين كانوا في حربهم على اتصال بالجيش الاحمر . وكلما اقترب النصر الحليف انتهى الصراع من اجل الاستيلاء على السلطة بعد وقف اطلاق النار الى التقدم على الصراع ضد الالمان ؛ وقد شوهد ذلك في اليونان حيث حاربت قوات « زرفاس » القوات الشيوعية ، وفي يوغوسلافيا مع حركة ميخالوفيتش ، وفي اوكرانيا مع القوات الأوكرانية المعادية للسوفيات ، وفي ألبانيا حيث

جرّت الـ « باتي كومتار » الى دعم الجهود الحربي الالماني المائل الى الزوال .

حكومات المنفى ساعدت المقاومات الداخلية وشجعتها وادارتها ونسقتها من الخارج
اجهزة لجأت الى لندن وكان بعضها حكومات شرعية افلنت من الغازي .
نظمت كافة هذه الحكومات في محطة الاذاعة البريطانية برامج اذاعية شجعت الشعوب
المخضعة ، وبشت الاخبار وعلقت عليها ، ووجهت الى المقاومين التعليمات و« الرسائل الشخصية »
وجمعت معلومات عسكرية او سياسية مفيدة للقيادات والحكومات الحليفة ، وجندت جيوشاً
اشتركت في العمليات العسكرية ، وألقت من الجو اسلحة ، وضباطاً ، ومفاوضين لتولي اعمال
التخريب في البلدان المحتلة . ومن جهة ثانية غالباً ما كانت علائقها بالمقاومة الداخلية غير وثيقة ،
وغالباً ما انقسمت هي على نفسها بسبب المنافسات والدسائس ، واختلاف نزعاتها المحافظة
والثورية ، فانهط الاتصال بينها وبين السكان الذين دفعت بهم آلامهم الى الحلول الجذرية .
ووقفت موقفاً حذراً من الحركات الطوعية التي لم تكن تحت اشرافها . فالكل يعلم اليوم ان
« جان كافايس » الذي ذهب الى لندن في شهر شباط من السنة ١٩٤٣ قد عاد منها متقرز
النفس من « ذهنية المهاجر » و« روح المعبد » اللتين لمسهما في الاشخاص القليان الدائرين في فلك
الجنرال « دينول » . وقد نجم عن كل ذلك سوء تفاهم ، ونزاع ، حاد احياناً ، كما حدث في
يوغوسلافيا واليونان ، وحق بين الجيوش ، كما يتضح ذلك من تمرد الأسطول والجيش اليونانيين
في مصر .

وبرزت كذلك مقاومة خارجية ايطالية قبل السنة ١٩٤٣ ، نهض بها « الفارون » المهاجرون
منذ السنة ١٩٢٤ الى جنيف ونيويورك ولا سيما باريس ، الذين توحدت قواتهم خلال الحرب
الاسبانية . وفي السنة ١٩٤١ تأسست في تولوز « لجنة تجمع ضد الفاشستية » من ممثلي الحزب
الشيوعي ، وبخاصة « نيني » و« ساراغات » و« سيلفيو ترنتين » و« نيتتي » . وفي نيويورك اذاع
الكونت « سفورزا » بيان النقاط الثماني « من اجل ايطاليا بعد الفاشستية » ، وكذلك حملت
الجمعية المازينية في نيويورك و« لجنة ايطاليا الحرة » بنشاط الى جانب الحلفاء من اجل اعداد
التحرير .

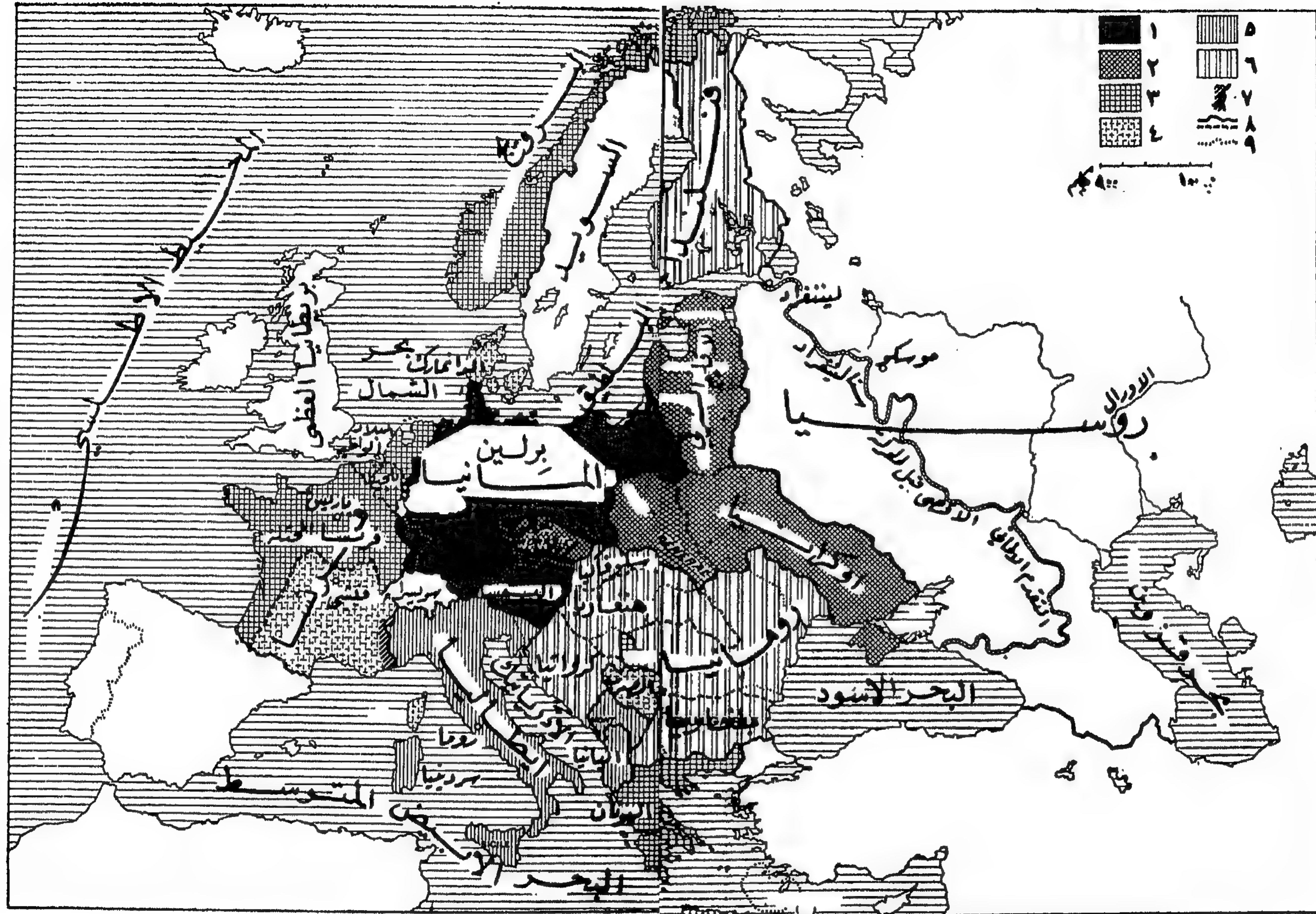
رأى المقاومون عددهم يتزايد كلما ثقلت وطأة الاحتلال واصبح النصر الالماني مريباً . فكم
من متعاونين خاضعين للألمان او متحمسين لهم اصبحوا ترقبين في السنة ١٩٤١ ثم اصبحوا
مقاومين بعد السنة ١٩٤٢ . لقد تجمع المقاومون الأولون كما هو طبيعي من بين الأحزاب اليسارية
التي كان الألمان والحلفاء على السواء يحاولون القضاء عليها : الشيوعيين ، الاشتراكيين ، الاحرار .
ثم انضم اليهم ممثلون عن البورجوازية اليمينية اوفياء للقيم التي دافعت عنها ، في ما مضى ،
القومية والحقد على « المانيا الخالدة » . وتزايد عددهم بعد انزال الجيوش الحليفة في افريقيا الشمالية
واحتلال المنطقة الجنوبية .

المقاومة في أوروبا الشمالية الغربية على نقيض فرنسا حيث حاربت الحكومة المقاومة ، اتسعت الحركات في الدول الاخرى المحتلة ، وغالباً ما حظيت بتشجيع وهدي السلطات الاجتماعية . فكثر من ثم في كل مكان اعمال التخريب والاعتداءات على الألمان والتعاونيين . وقد تجلّت من جهة ثانية بطرائق مختلفة . ففي بلجيكا رفضت الكنيسة قبول تقدم مرتدي البزات السياسية لتناول القربان المقدس والسماح برفع الاعلام السياسية في بيوت العبادة . واعتضت على ترحيل العمال الى المانيا وعلى الزام القصر بالعمل ايام الاحاد . وقاطع الطلاب الاساتذة التعاونيين الذين يعينون في الجامعات . وعلنوا الاضراب استنكاراً لقانون العمل الالزامي ، طيلة سنة كاملة ، قبل تسجيل اسمائهم في الجامعات . وأعلنت محكمة التمييز الاضراب كذلك اعتراضاً على توقيف بعض قضاة محكمة الاستئناف . وبين شباط وايار ١٩٤٣ ، أعلنت اضرابات كبرى في لياج (٦٠ ٠٠٠ مضرب) ، و « شارلروا » ، و « لوفيفر » ، و « مون » ، و « فرنييه » ، ضد ترحيل العمال بالجملة الى المانيا .

لم تكن المقاومة أقل قسلاً وعناداً في اللوكسمبورغ . ففي احصاء تشرين الأول ١٩٤١ ، وبالرغم من منع الادعاء بجنسية لوكسمبورغية « مزعومة » ، وبلغه « لتزبورجيش » لم يكن لها من وجود في يوم من الأيام ، تعصب ٩٦ ٪ من سكان المسكن و ٩٩ ٪ من سكان الارياف للجنسية اللوكسمبورغية وللغة ال (لتزبورجيش) ، مما تسبب في ترحيل عدة ألوف من السكان وابطال الاحصاء . وفي شهر آب أعلن اضراب عام كان اول اضراب أعلن في بلد محتل . وفي السنة ١٩٤٣ تنظم الحزب الوطني اللوكسمبورغي الذي قام باعمال تخريبية كثيرة . وفر من الجيش اكثر من ٥٠٠٠ شاب لوكسمبورغي ورُحِّلَت بين ١١٠٠ و ١٢٠٠ عائلة الى بولونيا ، وفي الأشهر الأخيرة شكل ألوف المقاومين عصابات مسلحة في احراج الآردن .

في هولندا اضطهنت المقاومة بلون سياسي اقل بروزاً . ففي شهر شباط من السنة ١٩٤١ ، أعلنت اضرابات لمدة ثلاثة ايام في امستردام ثم شملت المدن الاخرى . وادان الاكليروس الكاثوليكي والبروتستانت ، من على منابر الكنائس ، اضطهاد اليهود وترحيل العمال الى المانيا . وفي شهري نيسان وايار ١٩٤٣ أعلنت اضرابات جديدة حين تقرر حجز كافة قدامى صفوف المضباط الهولنديين في معسكرات اعتقال المانية . وفي ايلول اعلن مستخدمو السكك الحديدية وعملها اضراباً عاماً .

في الدانمارك تنظمت المقاومة ، بعد تشتت طويل ، بفضل « مجلس الحرية » الذي تألف في شهر آب من السنة ١٩٤٣ من ممثلين عن كافة الاحزاب النشطة ، وقد ركز كافة الجهود على الصناعات الحيوية التي تخدم المصالح الالمانية وعلى وسائل النقل ، ففي ٢٤ حزيران ١٩٤٤ مثلاً قام ٧٠ وطنياً في مرفأ كوبنهاغن الحر ، بتخريب مصنع للمدافع الرشاشة والمدافع المضادة للدبابات والبنادق ذات الاطلاق المتواتر تخريباً كاملاً ، وكانت الوحيد من نوعه في الدانمارك .



الشكل ١٩ - أوروبا المحتلة

٤ - أقاليم محتلة مستقلة إدارياً ، ٥ - إيطاليا وأقاليم تحت إدارة إيطالية ، ٦ - دول تابعة للمحور ،
٩ - حدود معاهدات ١٩١٩ - ١٩٢٠

١ - ألمانيا ، ٢ - أقاليم تابعة ودومينيونات ، ٣ - أقاليم محتلة تحت إدارة ألمانية ،
٧ - أقاليم فرنسية احتلتها إيطاليا (حتى تشرين الثاني ١٩٤٢) ، ٨ - حدود أوروبا في عهد السيطرة النازية ،

وفي النرويج كانت اعمال المقاومة الاولى من مآثر رئيس المحكمة العليا ، « بال برغ » ، اهل
قضاة الدولة ، واسقف اوسلو ، حبر الكنيسة اللوثرية ، « برغراف » ، اللذين اسسا « جبهة
الوطن » الصرية . فانتشرت « الجبهة » في كافة انحاء البلاد واصدرت زهاء ٣٠٠ صحيفة غير
شرعية ونظمت ادارة مهاجرة الى السويد او انكلترا استفاد منها ٥٠.٠٠٠ شخص . وفي شباط
١٩٤٢ استقال اساقفة النرويج السبعة ومعظم الرعاة . وعرقلت المصالح الادارية اعمال قيد الشبان
للعمل في المصانع الالمانية ؛ ففي كانون الاول ١٩٤٣ ، اوقف ١٥٠٠ طالب من طلبة جامعة
اوسلو - المظلة - و ٦٥ استاذاً بسبب اعتراضهم على فرض الاختبارات السياسية من اجل
تسجيل اسمائهم في الجامعات .

ان نظام القوة والجور الذي اخضع له السكان ليفسر نشاط
وعنف حركة المقاومة التي نمت في كافة انحاء الارض البولونية .
فان تقليد المقاومة القديم الذي يرقى الى عهد الاقتسامات ،
في اوربا الشرقية
والجنوبية الشرقية
والمهارة في التنظيم السري التي انتقلت من جيل الى جيل ، قد اثابا ، منذ خريف السنة ١٩٣٩ ،
بناء جهاز سري ضخم كان بمثابة حكومة حقيقية على اتصال وثيق بحكومة المنفى ، بفضل
الاحزاب السياسية الاربعة الرئيسية : الحزب القروي ، الاشتراكيين ، الوطنيين الديموقراطيين ،
الديموقراطيين المسيحيين . واعيد تأليف جيش بري (ضم ٣٨٠.٠٠٠ رجل في السنة ١٩٤٤) .
وزاولت السلطة الادارية « مندوبية حكومية » ضمت عملاء لكل منطقة ، وادارات بمثابة
وزارات ، و « تمثيلاً سياسياً » سرياً ضم ممثلين عن الاحزاب الاربعة . ومما بدا ذلك غريباً
فقد استمر ، بعد اقفال مؤسسات التعليم الثانوي والعالي ، في توزيع العلم في الخفاء بحسب التقليد
البولوني وفي اجراء الامتحانات . وطبعت صحف سرية ووزعت ، واستمر العمل في بعض
مصانع الاسلحة والذخائر . وارتدى الصراع ضد العدو طابع ادهاب ووحشية لا يعرفان
للرحمة معنى .

تجزأت يوغوسلافيا بعد حرب لم تدم سوى ايام معدودة ؛ فبينما حظيت كرواتيا بمطف
الابطاليين والالمان ، وتقاسمت الدول المجاورة اشلاء الدولة القديمة ، اخضع ما تبقى منها اي
صربيا ، لنظام جاء ثقیل الوطأة . ولكن القسم الاكبر من البلاد قفري وجبلي ، وعرف للبقاء
هنا ايضاً تقليد مقاومة قديم جداً ضد تعسف الاجني . فقد نجحت بعض وحدات الجيش
المهزوم ، بقيادة الكولوتيل ميخالوفيتش ، في الالتجاء الى الجبال . وكان لدى الشيوعيين
اليوغوسلافيين من جهتهم ، بقيادة تيتو الكرواتي منظمة قوية وواسعة الانتشار . ولكن
الحلاف لم يلبث ان ذر قرنه بين الفريقين : فقال فريق ميخالوفيتش بالتقليد المركزي الصربي ،
الارثوذكسي والملكي ، بينما قال فريق تيتو بنظام المحادي وديموقراطي يحقق اصلاحات حقيقية .
فاستمال الشيوعيون بنشاطهم وحيويتهم كل من رغب في محاربة الالمان والاوستاشي ، بينما خشي
فريق ميخالوفيتش (تشتيك) من انتقام الالمان الوحشي وتعاون على الكرواتيين والانصار

الشيوعيين مع حكومة الانقاذ الوطني الخاضعة للامان التي اسسها الجنرال « نديك » في بلغراد ومع الايطاليين المعسكرين في الجبل الاسود .

بفضل سرعة حركتهم ومهارتهم في المناورة نجح الانصار في الاقلاط من الهجمات المختلفة التي شنت عليهم ، لا بل جمعوا في « بيهاك » ، في تشرين الثاني ١٩٤٢ ، (جمعية تحرير يوغوسلافيا الوطنية المعادية للفاشية) - افنوج - التي تبنت مبدأ اتحاد يوغوسلافي . وفي ١٩٤٣ اشتركت قوات ميخالوفيتش جهاراً في عمليات الهجوم الالمانى الرابع على الانصار ، العملية البيضاء ، ، فاروق الحلفاء عنها حينذاك كل مساعدة مادية وحصروا مساعدتهم كلها في تيتو . وعند الاستسلام الايطالي ، كان هذا الاخير قد نجح في الاستيلاء على « دالماتيا » باستثناء « سبليت » وعلى مخزونات هامة من الاسلحة الايطالية فتوطدت سلطته على اسس متينة ؛ وفي السنة ١٩٤٣ قرر مجلس التحرير الوطني ان مسألة الملكية سيسويها الشعب بعد تحرير البلاد .

وكانت اليونان المحتلة كذلك مسرح منازعات غامضة بين عدة قوات مختلفة ومتنافسة ومنقسمة على نفسها : الحكومة اليونانية في المنفى مع انصارها ، المقاومة الداخلية غير الشيوعية (أدس) وأكتا ، واخيراً الحزب الشيوعي اليوناني والمنظمات التي يشرف عليها .

في ايطاليا ، زال نفوذ الحكم الفاشستي زوالاً كلياً بفعل عجزه عن المقاومة الايطالية اعداد الحرب وتسييرها ، وبفعل فساد وفساد تكتلاته المختلفة . وفي الحقل الاقتصادي ارتدى الوضع طابع البلبلة . ففي شهر آذار ١٩٤٣ حددت حصص الفرد من الخبز بـ ٢٠٠ الى ١٥٠ غراماً (نصف الحصص الالمانية) . ثم ان نقص الحامات والفحم الحجري والبتروك قد خفضت انتاج الصناعة الى ٤٠ او ٦٠٪ من امكاناتها الاولى ، فأقفلت عدة مشاريع ابوابها او ضمت الى المشاريع الالمانية الكبرى . فاحرز مناوئو الفاشستية تقدماً ملموساً : ارفع عدد الشيوعيين والاشتراكيين في جنوى وميلانو وتورينو ، وانضمت الاوساط الجامعية الى مناوئو الفاشستية ، وبات شطر كبير من البورجوازية انكليزي الميول ، فصدرت صحف سرية في كل الجهات . وفي ربيع السنة ١٩٤٣ ، انفجرت اخرابات في تورينو تطالب بـ « الخبز والسلم والحرية » ، وفي مؤسسة كابروني في ميلانو ، وفي مصانع بيرلي وفيات - مينافيوري . ومنذ السنة ١٩٤٢ عقد تحالف بين الاحزاب السرية : الشيوعيين ، والاشتراكيين ، والديموقراطيين المسيحيين ، وحزب الوسط اليساري الصغير الذي سيدعى الديموقراطيين العمال ، واليسار المازيني الذي سيؤلف (حزب العمل) . وحدد التحالف هدفه له قلب موسوليني وعقد الصلح . وكان البلاط والعائلة المالكة على اتصال بهم وعلى علم بما يدبر . ومن جهة ثانية فكر عدد من كبار المسؤولين الفاشستيين المستائين ، كـ « شيانو » (وبوتاي) و (غراندي) بفاشية تسدين بالحرية بدون موسوليني . وفي ٢٥ تموز ١٩٤٣ قرر المجلس الفاشستي الاعلى بالتصويت المطالبة باعادة كافة الصلاحيات الدستورية الى التساج . فاروق موسوليني وحل محله

المارشال « بادوليو » الذي دخل في مفاوضات سرية لوقف إطلاق النار . الا ان موسوليني ، الذي حرره هتلر ، قد اسس حكماً وطنياً فاشستياً أمسى في كانون الاول (الجمهورية الاجتماعية الإيطالية) التي لم تكن اكثر استقلالاً من الدول التابعة الاخرى .

تميزت المقاومة الإيطالية بفعالية خاصة على الرغم من انها فاضلت في ظروف صعبة بسبب تصرفات بادوليو الخرقاء ومناورات الحلفاء الخادعة وعدم ادراكهم الذي جعل الالمان يستفيدون من فترة الـ ١٥ يوماً الثمينة التي انتقضت بين سقوط موسوليني ووقف إطلاق النار لاحتلال روما وتثبيت اقدامهم في كافة أنحاء البلاد . ولكن المقاومة عبات الامة في حركة وطنية عامة ، في موجة عارمة من الحماس للمعاداة والحرية مثلتها بـ (ثورة ثانية) اشتركت فيها هذه المرة الطبقة العمالية وشطر من القرويين ، على نقيض الثورة الاولى التي قامت على اكتاف سكان المدن البورجوازيين .

لم ترد هذه المقاومة الطابع نفسه في كل مكان : فقد كانت اقل نشاطاً في ايطاليا الجنوبية وايطاليا الوسطى حيث ادارتها الاحزاب الديموقراطية المعتدلة في لجنة التحرير الوطني التي يشرف عليها الحلفاء الانكليز ساكسون والحكومة الملكية منها في شمالي الابنين حيث تشددت احزاب اليسار - حزب العمل والشيوعيون بنوع خاص - في تصميمها على تحقيق « ديموقراطية تدريجية » وتجديد البلاد تجديداً كاملاً . وكان لجيوش الانصار فيها ، على العموم ، لون سياسي وصريح جداً ، اقله عند القادة الذين لم يفرضوا قط اعلان الاخلاص للملكية . ففي اودية جبال الالب ، وفي لينغوريا ومنطقة البندقية الجولية ، تمكنت بعض جماعات المقاومين المسلحين من تأليف وحدات محاربة حقيقية . وقد الفت لجان تحرير وطني اقليمية ومحلية ، ولجان مصانع ، واحياء ، واخيراً لجنة التحرير الوطني العليا التي ضمت ممثلين عن الاحزاب الخمسة الرئيسية . فجمعت كل هذه اللجان الاموال والمؤن للانصار وشجعت الصحف السرية ونظمت اعمال التخريب ، والاضرابات (في ميلانو في كانون الاول ١٩٤٣ واذار ١٩٤٤ ، وفي تورينو في حزيران) وحق الاضرابات الثورية في جنوى وميلانو في شهر نيسان ١٩٤٥ . وهكذا كانت مخافة المدن الهامة في ايطاليا الشمالية في قبضة الوطنيين قبل وصول الجيوش الحليفة .

المقاومة الألمانية في المانيا، افضت قوة تنظيم الحزب النازي وقوانينه، والفظاظة التي لجأ اليها في تشييت كل من يقف حجرة عثرة في سبيله قبل استيلائه على السلطة وفي قمع كل معارضة ، والنجاحات الباهرة التي احرزتها سياسته الخارجية ، الى ملاشاة كل بادرة معارضة صريحة . اجل مازال للشيوعيين الموجودين في السجون او في معسكرات الاعتقال او في المنفى ، بعض الخلايا المنتشرة في البلاد ولكن نشاطهم كان مشلولاً شلاً تاماً . وآل الديموقراطيون والاجتماعيون الديموقراطيون الى العجز نفسه . وأزيل كذلك المعارضون معارضة مبدئية . وقد جاز للمناصر المحافظة وحدها ، على نطاق محدود جداً ،

مخالفة نظام الحكم بعض المخالفة : القادة والدبلوماسيون الذين اقضت مضجهم جسارة المشاريع الهتلرية فاقصوا عن مراكزم ، والاشراف الريفيون الذين ابتعدوا عن اسياد المانيا الجدد ، مفتاين من فسادهم ومن دناءة الحكم وبهيمنته ، والمسيحيون وعظام الاسياد المملكون والاحرار ، والكنائس التي لم تهددها مبادئ فلاسفة النازية فعسب ، بل سيطرتهم على الشبيبة والتهجمات الصريحة وغير الصريحة على اعضاءها والجمعيات المنتمية اليها . ولكن المقاومة لم ترد سوى طابع فردي : اعتراضات الراعي « نيمولر » الذي دافع عن « الكنيسة المعترفة » ، أو اسقف « مونستر » ، الكونت « غالن » . ومنذ السنة ١٩٤١ ، اعترض بعض الاساقفة - حاذين حذو اسقف فريبورغ - في رسائلهم الراعية على مصادرة الاديرة (التي حوت الى مستشفيات) واقفال المدارس وإلغاء صحف الاسقفيات ومخالفة الاتفاقية الموقعة مع الفاتيكان وتعميم المرضي الزمنيين والمعتوهين وقتلهم . ثم حدثت بعض المبادرات كنوزيع مناشير « الوردة البيضاء » على طلاب مونيخ بواسطة كريستوف بروست و هانس و صوفي شول في السنة ١٩٤٣ ، ولكنها مبادرات افراد او جماعات صغرى اعجز من ان تقوم بعمل فعال .

من هذه الاوساط خرجت ، منذ السنة ١٩٣٩ ، المقاومة الالمانية المعسودة التي بلغتنا اخبارها : فقد حاكت المؤامرات واتصلت بالمصالح السرية الحليفة . وكلما طالبت الحرب - التي لم يرض عنها الشعب قط - وثقلت اعباؤها وتزايدت الغارات الجوية الانكلوساكسونية وبدت الهزيمة النهائية اكيدة ، ابتعدت جماهير السكان عن الحكم . ولكن هذه الجماهير كانت اعجز من ان تبدي اي نشاط بسبب ضغط السلطات ، ولا وجود للمنظمات التي كان باستطاعتها استثمار استيائها . فليس سوى الجيش المتمتع بالقوة ما قد يستطيع القيام بعمل ما . وقد كان عدد كبير من القادة معادين للنازية : رئيس الاركان السابق (بك) ، والمارشال (فون وتزلين) ، و (اولبرخت) ، و (هالدر) ، و (فون تروشكوف) و (اوستر) . وكانوا على اتصال بامير البحر (كاتاري) الذي كان يسهل نشاطاتهم ويبررها ، بالاتفاق مع (فون كلوج) و (رومل) ومعظم كبار القادة الآخرين . واشترك في المؤامرة بعض كبار الموظفين المدنيين السابقين والحاليين : (غوردلر) الذي كان حاكم مدينة ليبزيغ ثم مفوض مراقبة الاسعار ، ووزير المالية البروسي (بوبيتز) ، و (جيزفيوس) احد موظفي ال (ابهر) ، والجنرال (س. س. نبي) رئيس الشرطة الجنائية ، والكونت (وولف فون هلدورف) ، مدير شرطة برلين ، وبعض الدبلوماسيين من امثال (اولريخ فون هاسل) ، و (فون وايزاكر) ، و (ورنر فون دير شولنبورغ) الذي كان قد تزوج من ابنة الاميرال فون تربيتز ، و (اريك كوردت) ، الخ . فقد كان كل هؤلاء محافظين ملكيين يمثلون المانيا ما قبل السنة ١٩١٤ ، على غرار اعضاء (جمعية كريزو) التي يعود الفضل في تأسيسها الى (هلموت فون مولتكه) ، حفيد شقيق مارشال السنة ١٨٧٠ ، و (بيتر يورك فون وارتنبورغ) ، ورئيس الكنيسة اللوثرية (اوجين جريستناير) ، الخ . الذين شكلوا النواة

الاساسية للمقاومة ، واتصلوا ببعض الزعماء الاشتراكيين الديموقراطيين (ميرندورف وتيودور هوباخ) وربما بالحزب الشيوعي السري ايضاً . فتوصلوا في صيف السنة ١٩٤٤ الى الاتفاق على برنامج مشترك وعلى الوزارة التي سوف تتولى السلطة بعد اقضاء هتلر . الا ان الحاجة كانت ماسة الى حل القادة - المقتنعين منذ زمن بعيد بضرر الفوهرر - على فرض وقف العمليات ، وازالة هتلر وغورنغ والمقربين اليها . فاصطدم المتآمرون بتردد ضمايرهم ، ويمين اخلاصهم لهتلر ومخاوفهم ، واحترافهم الطاعة ، وقد قيل ان اخفاقهم دليل على استقامة المحافظين الالمان الشخصية وعجزهم السياسي . وكان من الواجب ، في الحقيقة ، ان تحدث موجة عصيان عميق الجذور تشمل جنود الجبهة والطبقات الشعبية ، ولكنها لم تحدث . واخفقت كذلك محاولة الكولونيل (فون ستوفنبيرغ) قتل هتلر في ٢٠ تموز . ولكنها ادت الى عمليات قمع ضارية تناولت كافة المشتبه بهم دون تمييز (اوقف ٧٠٠٠ اعدم منهم ٥٠٠٠ او عذبوا حتى الموت) . لعل المتآمرين كانوا على اتصال بالحركة المعادية للنازية (المانيا الحرة) التي تكونت في الاتحاد السوفياتي في اعقاب معركة ستالينغراد وتمثلت بلجنتين : اللجنة الوطنية المؤلفة من قدامى الالجئين السياسيين ، ولجنة الضباط من اسرى الحرب . اما اللجنة الاولى التي كان نائب رئيسها الكونت (فون ايلسيدلن) ، ابن حفيد بسمارك ، فقد أسسها شيوعيون يدخل في عدادهم الكاتب (اريك واينرت) ، والعامل في صناعة استخراج المعادن (ولهم بيك) . واما اللجنة العسكرية فقد ترأسها الجنرال (فون سيدليتز - كارسباخ) واشترك في عضويتها ٢٤ قائداً انضم اليهم ، بعد اخفاق محاولة العشرين من شهر تموز ، الجنرال « فون ارنيم » والمارشال « فون بولوس » . وقد انحصر نشاط اللجنتين في معسكرات اعتقال اسرى الحرب ، والمهندسين الالمان الذين امكن الاتصال بهم بواسطة الاذاعة ، والصحف ، والمنشairs التي كانت تلقى فوق الخطوط داعية ايتام الى ايقاف القتال .

جاء القمع وحشياً ومتعدد الاشكال ، وقد تولته قوات الرايخ البوليسية المختلفة : غستاو ، ابوهر ، S.D. ، امن هام ، استخبارات ، بالاتفاق مع قوات الشرطة في الحكومات التابعة ، مستخدمة كافة وسائل الضغط الممكنة : وبصورة خاصة مصادرة اجهزة الراديو اللاقطة ، منع التجول ، توقيف الرهائن ونفيها ، تعذيب ، اعدام ، وتقتيل .

لم تلبث الوسائل الشرعية ان املت لان المحاكم المعادية قد برهنت عن عجزها عن معاقبة المسؤولين عن اعمال التخريب الموجهة ضد الجيش ، ولأن هتلر - الذي استشهد بمثل هوفر وشلاجر - قد انف من استخفافها خوفاً من ان يظهر المحاكمون بمظهر الشهداء . فلجأت السلطات بسرعة الى توقيف الرهائن . ومنذ السنة ١٩٤١ قرر الجنرال (فون ستولبناغل) اعتبار كافة الاسرى المحتجزين لدى السلطات الفرنسية كرهائن . ثم شمل مبدأ المسؤولية الجماعية عائلات المشتبه بهم وطبق للمرة الاولى حين حدوث مجزرة (ليديس) في شهر حزيران من السنة ١٩٤٢ . وفي

هولندا اوقف ٤٦٠ شخصاً ممن لعبوا دوراً هاماً في الحياة العامة واعتبروا مسؤولين ، تحت طائلة الاعدام ، عن « دساتر اللاجئين الى لندن » . وفي بولونيا اصدر الحاكم العام فرانك أمره بقتل ١٠٠ عضو من اعضاء المقاومة رمياً بالرصاص مقابل كل الماني يعتدى عليه ويقتل . وأصدر كيتل في ايلول ١٩٤١ أمراً باعتبار كل عمل مقاومة صادراً عن الشيوعيين وباعدام ٥٠ - ١٠٠ شيوعي مقابل كل جندي الماني قتل ؛ واخيراً صدرت الاوامر في كانون الاول بابعاد كل متهم لا يحكم عليه بالموت الى المانيا ، حيث لن يعرف شيء بعد ذلك عن مصيره . وفي تموز ١٩٤٤ ، بعد نزول الحلفاء في نورمانديا ، صدر قانون اشد قسوة يقضي بقتل « الارهابيين » والمخربين في مكان اعتدائهم بالذات .

في كافة الاقاليم المحتلة ، نقلت حالة الطوارئ السلطة القضائية الى محاكم خاصة (مجالس عرفية) برئاسة ضباط من الـ S. S. تصدر احكاماً سريعة ، غير قابلة للاستئناف ، دون استماع الى محامي دفاع ، وتقضي احكامها اما باعدام المتهم واما بتسليمه الى الغستابو . واعتمدت احياناً تدابير لـ « مكافحة الارهاب » و « مكافحة التخريب » ، اي جرائم قتل انتقامية يكون ضحاياها المقاومون او المشتبه بهم ويكون ابطالها افراد الـ S. S. او النازيون المحليون .

واخضع الوف الوطنيون من ابطال اعمال المقاومة أو من المشتبه بهم فقط بسبب آرائهم السابقة ، او من الرهائن الابرياء الموقوفين في احدى عمليات الخطف السريعة ، لعذابات برعت الشرطة النازية في تنويعها . وقد اعتمد « التعذيب الاعدادي » منذ زمن طويل ضد مقاومي النظام ، الا انه أصبح مرعي الاجراء رسمياً بموجب مذكرة اصدرها هتلر في ١٢ حزيران ١٩٤٢ ونصت على استخدام « الدرجة الثالثة » : حرمان من الغذاء والنوم ، تمارين مضنية ، جلد ، عقوبة المغطس ، تعذيب كهربائي ، الخ . ، لانتزاع اعترافات بعض فئات المساجين « كالشيوعيين والماركسيين و « شهود يهوه » والمخربين والارهابيين ، واعضاء حركات المقاومة ، والمعملاء الاجانب المنزليين من الجو والعناصر المعادية للمجتمع ، والفارين البولونيين والسوفييات من الجندية » . فقتل عشرات الوف النساء شتقاً او رمياً بالرصاص او ضربت اعناقهم بالفاوس أو ما قوا اثناء التحقيق ؛ وجرت اعدامات بالجملة كما حدث في « فوس اردياتين » (حيث قتل ٣٥٠ رهينة ايطالية رمياً بالرصاص) ، وشنت هجمات انتقامية افنت سكان مدينة او سكان قرية باجمعهم ، بمن فيهم الاولاد والنساء ، كالهجمات على « ليديس » و « كراكيافانس » (٧٠٠٠ قتل) ، و « اورادور - سور - غلان » ، وآسك ، ومرزابوتو ، الخ . وقد رحل المنفيون في ظروف فظيعة مستهجنة ، مكذسين في قاطرات نقل البهائم ، هاجزين عن الحركة ، محرومين طيلة سبعة ايام متعاقبة احياناً من الغذاء والماء ، فكانت الوفيات بينهم مرتفعة جداً :

« كنا ٢٥٢١ عند مغادرتنا « كومبيانيه » فمات منا ٩٨٤ في الطريق ، ولم يعد منا من الاسر سوى

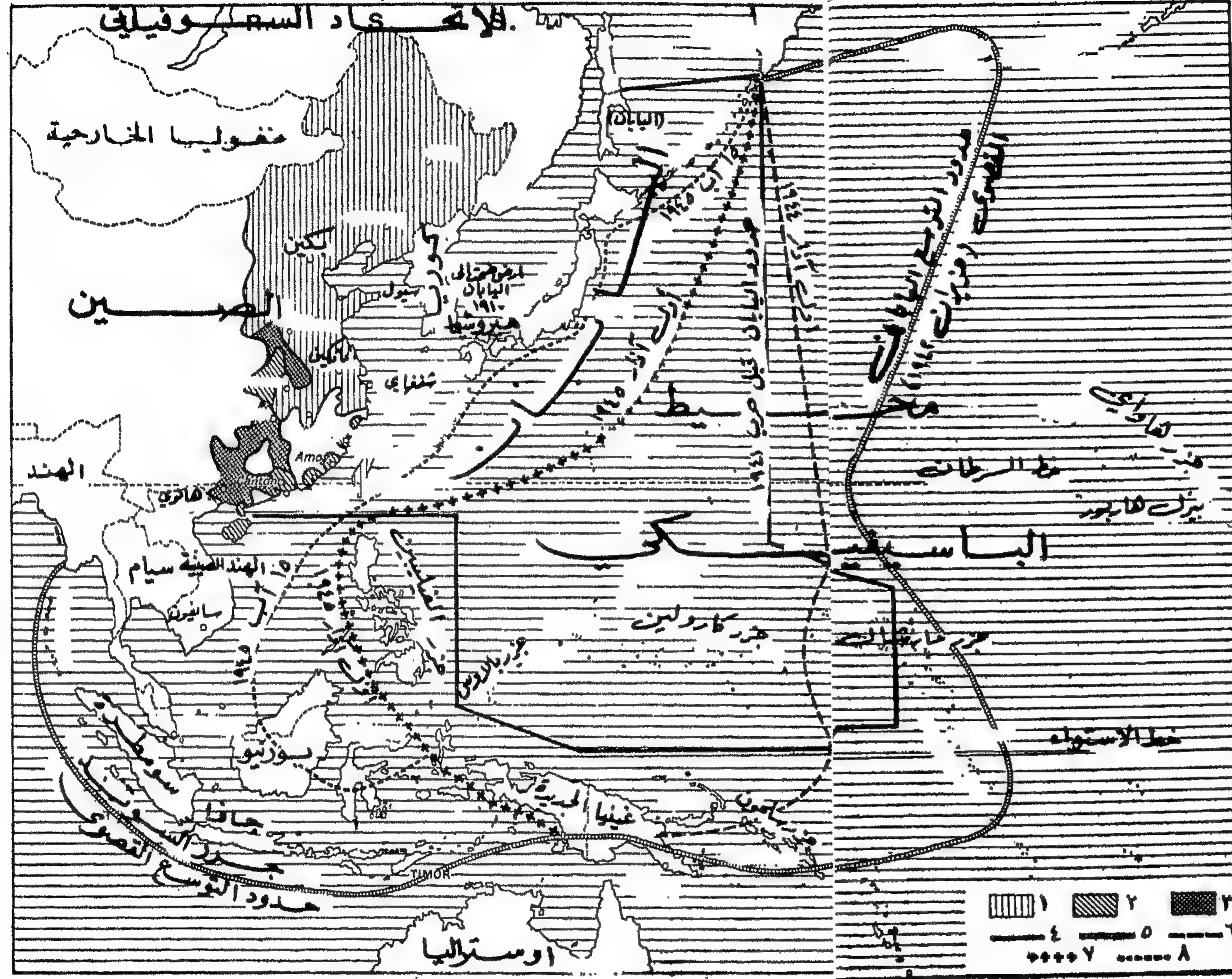
١٨١ فقط » .

هذا ما كتبه احد منفيي قافلة الثاني من
تموز ١٩٤٤ . ولكن نسبة الناجين هنا أعلى من
المعدل العام .

٣ - النظام الياباني الجديد

النظام الياباني الجديد
ان التوسع الياباني ، الذي
ابتدأ منذ أواخر القرن
التاسع عشر وازدادت
سرعته بعبء الحرب العالمية الاولى ، قد
استوحى - على غرار للتوسع الألماني - الايمان
بتفوق العرق ، وبعض الشواغل الاقتصادية
والاجتماعية ، واستهدف بسط السيطرة اليابانية
على القسم الشرقي من القارة الآسيوية بكليته
وعلى أرخبيلات « البعور الجنوبية » .

آسيا الشرقية
الكبرى
شجعت النجاحات الألمانية
في أوروبا الحزب العسكري
الياباني ، ففرض في النهاية
سياسته التوسعية على الاسطول والامبراطور .
ومنذ شهر تموز ١٩٤٠ المحدد ما يجب ان تكونه
« منطقة الازدهار المشترك في آسيا الشرقية
الكبرى » : تطرد اليابان من الشرق الأقصى
الدول الاستعمارية : الكملترا ، فرنسا ، الولايات
المتحدة ، هولندا ، وتزيل تأثيرات الفلسفة
المادية الغربية ، وتطور الشعوب المحررة على
الصعيدن السياسي والاقتصادي بهداها . ويقام
حينذاك (نظام جديد) تدخله الصين والهند
الصينية وتايلندا وماليزيا والهند النييرلندية ،
وبحكم الطبيعة ، المناطق الخاصة للنفوذ الياباني
كال (منشووكو) . فأتاحت الفارة على الاسطول
الاميركي في (بيرل هاربور) ، في ٨ كانون الأول
١٩٤١ ، وتدمير طائرات الفيلبين ، تحقيق



الشكل ٢٠ - الحرب في الشرق الاقصى

- ١ - في اول ايلول ١٩٣٩ ، ٢ - في تموز ١٩٤٣ ، ٣ - في شباط ١٩٤٥
- ٤ - في السنة ١٩٣٩ ، ٥ - حين توسعها الاقصى ، ٦ - في اول اذار ١٩٤٤
- ٧ - في اول آذار ١٩٤٤ ، ٨ - في ١٥ آب ١٩٤٥

فتوحات عظيمة خلال اسابيع قليلة : الفلبين ، بورنيو البريطانية ، ماليزيا ، هونغ - كونغ ، وايك ، غوام ، انسولندا . وكانت الهند الصينية قد سقطت في ايديهم ، فانضمت تايلندا الى اليابان وارسلت جيوشاً تشترك في غزو بورما الذي عزل الصين عزلاً تاماً . وكانت خسائر الحلفاء فادحة : بالإضافة الى البوارج الحربية المدمرة او المعطلة ، و ٢٠٠ ٠٠٠ طن من السفن التجارية ، و ٣٠٠ ٠٠٠ اسير أو قتيل ، وإضرار لا تسد ثلثه بنفوذ البيض ، وفقدان امبراطورية آهله بـ ٤٥٠ مليون نسمة وغنية بالخامات الهامة جداً ، وانفجار حماس فريد من نوعه بين الشعوب المستعمرة . وكان من شأن سرعة وسهولة هذه الفتوحات ان شجعت القيادة اليابانية على محاولة توسيع محيط دائرة دفاعها حتى ميدواي وجزر سليمان ، وحتى كاليدونيا الجديدة ، وجزر ساموا وجزر فيدجي اذا امكن ذلك ، وفي الشمال حتى الجزر الاليوسية ، بغية ملاءمة شأن آلاسكا من جهة ، وشأن استراليا ونيوزيلندا الجديدة من جهة اخرى . وعلى الرغم من فشل هذه المحاولات فشلاً جزئياً ومن ايقاف التقدم الياباني في صيف السنة ١٩٤٢ ، فقد امتدت آسيا الشرقية الكبرى من منشوريا الى غينيا الجديدة والفت منطقة شاسعة الأطراف يستطيع النظام الجديد ان يقوم فيها (الشكل ٢٠) .

تجلت رسالة اليابان ، قبل أي شيء آخر ، كرسالة ثقافية
حكومات الشعوب الخضعة
تستهدف المحافظة على التأثيرات التقليدية الاجتماعية والدينية واقصاء التأثيرات الاجنبية . ففي كل مكان سمعت اليابان جاهدة الى تقوية المثل المتسلطة على المجتمع الآسيوي : سلطة رئيس العائلة ، معنى تضامن الدم الواحد ، عقيدة مسؤولية الجماعة ، تبعية المرأة . وفي الصين ومنشوريا حاولت احياء الكونفوشيوسية ، وفي سيام وبورما شجعت البوذية وتعززت الروابط بالطوائف البوذية اليابانية . وفي ماليزيا واندونيسيا جاهرت بالاحترام نفسه للاسلام ، وفي الفلبين للكاتوليكية ، التي هي دين سلطة ، وان كانت غربية ؛ وحافظت على علائق صداقة بالفاتيكان ، اذ ان الدعاوة المضادة للغرب استهدفت التأثيرات الاميركية اكثر من ارث روما واسبانيا . وعن اليابان يجب ان تقتبس الشعوب المحتلة مثلها الادبية والروحية ، ويجب ان تكون لغتها اللغة الثانية للجميع ، وان تكون الاعياد الوطنية اليابانية (عيد مولد الامبراطور ، وعيد تاسيس الامبراطورية) أعياداً وطنية في كل مكان ، وان تسلط الاضواء على تجانس العرق بين اليابانيين والفلبينيين والماليزيين والسياميين .

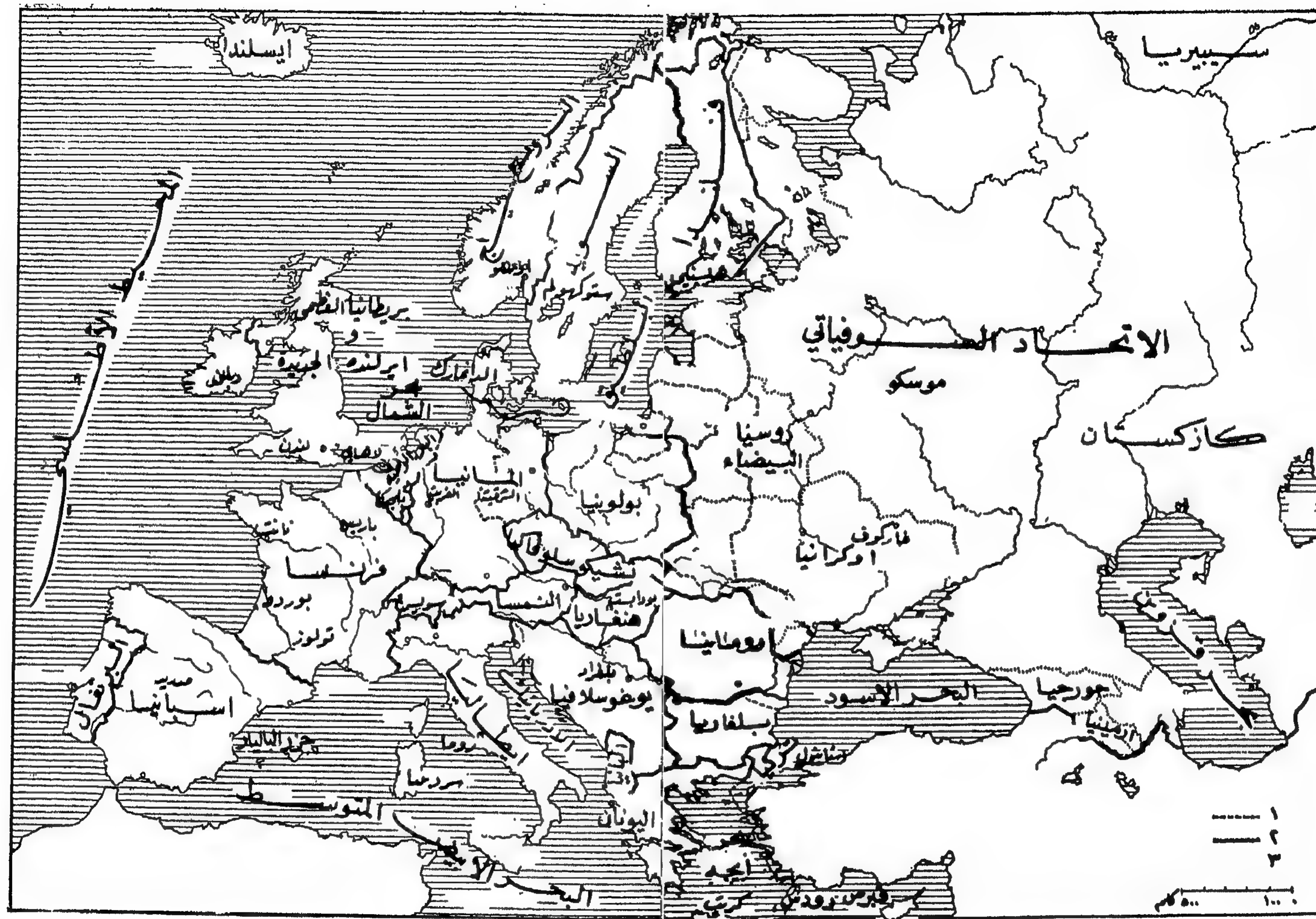
ان التنظيم السياسي لآسيا الشرقية الكبرى كان في الواقع بسيطاً جداً : تتولى اليابان القيادة ، وعلى الدول التابعة المرتبطة بها ارتباطاً سياسياً وثيقاً ان تسهم في تكوين دائرة الازدهار المشترك . وسوف تقسم الاقاليم المحتلة الى ثلاث فئات : الاقاليم التي سوف تضم الى اليابان بسبب اهميتها الاستراتيجية بغية المحافظة على تفوق اليابان البحري والعسكري : هونغ - كونغ ، سنغافورة ، بورنيو ، غينيا الجديدة ، تيمور ؛ الدول التي تحكمها اليابان حكماً مباشراً وقد تمنح استقلالاً محدوداً : الدول الماليزية ، الاتحاد الاندونيسي ؛ وأخيراً البلدان

الحليفة : مندشوكو ، الفيليبين ، الصين ، الهند الصينية ، سيام ، بورما ، التي سوف تستقبل حاميات عسكرية يابانية في النقاط الاستراتيجية وتوقع معاهدات تحالف عسكري .

في الحقل الاقتصادي ، خططت اليابان للاقتصاد الاستعماري المبني على نظام المغارس ورفض انشاء الصناعات ، ووعدت بالازدهار المشترك والاستقلال الاقتصادي : ان كل قطاع من قطاعات دائرة الازدهار المشترك سوف ينتج مايتناسب وامكاناته ويحصل من القطاعات الاخرى على ما يفتقر اليه . وكان الهدف في الحقيقة تنظيم البلدان المحتلة بحيث تحصل منها على الخامات التي تحتاج اليها وتبيع مصنوعات منها . ويبدو ان هناك خطة اقتصادية طويلة الاجل قد ووجهت : تكون اليابان ومندشوكو ، وكوريا ، والصين الشمالية الى حد ما ، مركز انتاج الفولاذ والحديد والمواد الكيميائية والآلات على اختلاف أنواعها وتوفر آسيا الجنوبية الشرقية الخامات وتصنع الانسجة والمطاط : وتنشأ فيها صناعات خفيفة لاستخراج المعادن وتنقيتها ومعالجتها . ولكن حاجات اليابان يجب ان تتقدم حاجات الدول الاخرى ، ويجب ان ينحصر التنظيم الاقتصادي في اليابانيين ، اذ ان مؤسساتها التجارية وشركاتها الملاحية تشرف على معظم النشاطات المالية والتجارية في كافة بلدان كتلة الـ « د ن » ، والتخطيط الاقتصادي منوط بالوزارة اليابانية لآسيا الشرقية الكبرى .

طيلة استمرار العمليات الحربية ، خضع الاقتصاد في الواقع لحاجات القوات المقاومة المسلحة المحاربة واملأه تطور العمليات المعاكس . ففي كل مكان تكررت الوقائع نفسها : منذ السنة ١٩٤٣ ، شلت الحركة التجارية بسبب الخسائر الفادحة في الاسطول الياباني بفعل الغارات الجوية وهجمات الفواصات ؛ وكانت نتيجة تزايد حاجات قوات الاحتلال الى الغذاء واليد العاملة ، والتضخم المالي الذي افتعله اليابانيون ، والنقص العام في المصنوعات التي كانت تستورد من اوروبا واميركا ، وندرة المواد الغذائية في المدن والبلدان التي تعودت الحصول عليها من الخارج ، ضيقاً وحرماناً وتشويشاً عاماً في الاقتصاد ، وبالتالي استياء بين السكان .

في كل مكان اصطدم النظام الجديد الياباني - على غرار نظام الالمان ، وللأسباب نفسها - بالصعوبات عينها وانتهى الى فشل يكاد يكون تاماً . فقد استقبله السكان - باستثناء الصينيين - بعطف ، ولكنه ما لبث ان صدمهم واثار استيائهم : عواقب الحرب ، والاحتلال ، والصعوبات الاقتصادية والحرمانات ، وخصوصاً عواقب الفظاظة والمجرفة اللتين عاملهم بهما الجنود والضباط المدليون الذين غالباً ما اتزلت بهم عقوبات جسدية فاعتقدوا يجاوز كل شيء لهم حيال السكان المدنيين . يضاف الى ذلك ان تأجيل تنفيذ الوعود بالاستقلال خيب آمال الوطنيين الذين رفضوا ابدأً قسماً مصالحهم القومية لصالح اليابان والقبول بأن يصبحوا مجرد اعوان توابس . والحقيقة هي ان معظم الذين سلمهم اليابانيون زمام الحكم ، كـ « سوكارنو » ، و « هاتا » ، و « لوريل » ، و « بامو » ... لم يكونوا تعاونيين على طريقة كويسلنغ : آمنوا بالوعود المقطوعة



شكل ٢١ - أوروبا في السنة ١٩٦٥
 ١ - حدود ١٩٢٠ ، ٢ - الحدود الحالية ، ٣ - عواصم الدول .

بالاستقلال، ولكنهم ما ان استثبتوا عدم خلوص النية حتى استعدوا للاستفادة من هزيمة الغزاة. ففي اندونيسيا وسيام وبورما والهند الصينية استخدم الوطنيون اليابانيين ضد الهولنديين والبريطانيين والفرنسيين، ثم انقلبوا عليهم.

الهند الصينية في الهند الصينية، اتصف الموقف بالتناقض؛ فان اليابان التي نشطت دعاوتها ضد السياسة التوسعية والاستعمارية الغربية قد تركت للفرنسيين امر حكم البلاد بسبب افتقارها الى جهاز فني كاف تحمله محلمهم. فقد كان بمقدور الفرنسيين وحدهم المحافظة على النظام وتنمية الانتاج في هذه البلاد التي كانت ضرورية لمواصلاتهم مع الجنوب والهند والتي كانت توفر لهم منتجات ثمينة. وفي شهر آب ١٩٤٠، اعترفت حكومة فيشي بتفوق اليابان سياسياً واقتصادياً في الشرق الاقصى ومنحتها امتيازات اقتصادية في الهند الصينية، وقواعد جوية وبحرية مقابل وعد الحكومة اليابانية باحترام السيادة الفرنسية. ولكن تطلبات الحكومة اليابانية لم تقف عند حد: وضع اليد على منتجات المناجم، ربط القرش باليكن، المساواة بين المشاريع الفرنسية واليابانية، الخ، وقد اخذت في الوقت نفسه تمهد السبيل لاقصاء الفرنسيين بتشجيع العناصر البلدية المعادية للشيوعية كشبيعة الـ «كاووداي». يضاف الى ذلك من جهة ثانية ان وجود الجيوش اليابانية، وغطرسة الظافرين - العسكريين والمدنيين المتوافدين على السواء - الذين استطابوا اذلال البيض والظهور بمظهر انصار الاستقلال الانثامي، قد اضعفا نفوذ الفرنسيين اضعافاً خطيراً. وفي ٩ اذار ١٩٤٥، قلب اليابانيون الادارة الفرنسية واعتقلوا الفرنسيين الذين استطاعوا ايقافهم وانشأوا «التحاد تونكين الوطني»؛ فاعلن امبراطور انام «باو - داي»، وملك كمبوديا من بعده، ابطال معاهدة الحماية الموقعة في السنة ١٨٨٤، واستقلال البلاد استقلالاً تاماً، ووعدا بالتعاون مع اليابان، في حين ان المقاومين الـ «فيات منه» رفضوا الانحناء امام اليابانيين وعززوا الصراع ضدهم؛ وبعد استسلام اليابانيين اعلنوا استقلال فيتنام.

اذن انتهت خطة احتلال الشرق الاقصى التي وضعها العسكريون اليابانيون الى الفشل، وغمر النصر الحليف فكرة آسيا الشرقية الكبرى؛ الا ان نجاح الحركات القومية التي ساعدتها اليابان مساعدة كبرى، ولا سيما بمثلها وبأثرة نفعتها على سياستها التوسعية، قد قوّض الامبراطوريات الاوروبية الاستعمارية. ومن هذا القبيل يمكن القول ان اليابان لم تخض غمار الحرب عبثاً.

الخلاصة

تسببت الحرب العالمية الثانية بخراب ودمار دونها ما تسببت به الحرب الاولى ، اذ انها على نقيض الاولى كانت شاملة بعدد القوات المتجابهة في آن واحد ، وباتساع وشمول ميادين العمليات الحربية ، وبتعبئة كافة طاقات وموارد الدول المشتركة فيها ايضاً . لقد كانت الحرب العالمية الاولى حرباً بين الدول الاوروبية من حيث ان نصيب اليابان فيها لم يكن بذي شأن وتدخل الولايات المتحدة فيها جاء متأخراً ومحدوداً . اما في الحرب الثانية فقد تدخلت هاتان الدولتان تدخلاً كلياً وتدخل معها القسم الاكبر من العالم الآسيوي ، في الوقت الذي كانت فيه اوروبا مسرحاً للعمليات الكبرى .

لم يكن تدمير الآلة الصناعية ، التي ما كان العدو ليستطيع بدونها مواصلة القتال ، دون تدمير الجيوش اهمية . لذلك آمن المتحاربون في مهاجمة القطاع المدني حيث تتجمع هذه الطاقة الصناعية . فقد عانت كافة الدول المحاربة - باستثناء الولايات المتحدة - من الغارات الجوية الكثيفة ، ولا سيما بريطانيا العظمى واليابان . اما الاتحاد السوفياتي والمانيا حيث قاتل ملايين الرجال ، فقد جمل منها القصف الجوي والقصف البري ومعارك الشوارع وخطوة « الارض المحرقة » والتدمير المنظم اثناء الانسحاب ، مسرحاً لدمار شامل رهيب .

ولكن بينما قامت في السنة ١٩١٨ ، الى جانب الدول الظافرة ، الولايات المتحدة ، وانكلترا ، وفرنسا ، دول هامة اخرى ، وحتى من المرتبة الاولى - يدخل في عدادها المانيا وروسيا بالرغم من افول نجمها الى حين - ، ففي السنة ١٩٤٥ ، سيطرت الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي بطاقتهم العسكرية والاقتصادية ، وقتلها انكلترا من مسافة بعيدة . اما اوروبا البرية ، الخربة والمقطعة الاوصال ، فليست بعد اليوم مؤلفة الا من دول ثانوية آلت الى وضع دوني . وفي آسيا لم تعد اليابان المغلوبة على امرها سوى ارخبيل صغير مكتظ بالسكان ، تحتلها الجيوش الاميركية ويرتبط ارتباطاً وثيقاً بسياسة الولايات المتحدة . وفي كافة الحماة منطقة « الازدهار المشترك » التي سيطرت عليها خلال سنوات قليلة ، حرك انهيار الامبراطوريات الانتفاضات القومية البلدية تحريكاً حاسماً ، وانبأت الحركة التي انتشرت في العالم الاسلامي بهجوم شامل على الامبراطوريات الاستعمارية .

الكتاب الثاني

العالم الحرّ الجديد

« في معظم المواسم راقبت الدوائر الاميركية ردود فعل الاقتصاد وتقدم التسليح قبل توزيع القروض ومراقبة استخدامهما . فجعلت المساعدة الاقتصادية من الدول الاوروبية شريكات ممددة بالمال ، وجعلت منها المساعدة العسكرية حليقات منصورة . وكانت الولايات المتحدة ، في الواقع ، حامية اوروبا الضعيفة » .

« غي دي كارموا »

« ان خير حقل للحرية هو السلم ، وان كافة أنظمة الحرب ، وحتى أنظمة الحرب الباردة ، صائبة حتماً الى المحورية والاستبداد والتحكم » .

« وولتر ليهان »

الفصل الأول

انقسام العالم واختلال توازنه

على غرار الحربين العالميتين تتميز الفترتان اللتان تلتها بخلافات هامة . ففي اعقاب الحرب العالمية الاولى مباشرة سرّحت الجيوش تسريحاً شاملاً في كافة البلدان وتوقف انتاج الاسلحة . لا بل حين حدثت الازمة الاقتصادية العالمية لم يفكر احد قط بمعالجتها بتنشيط الصناعات الحربية . ولم يشاهد اقتصاد دولة كهوى يكرّس ، في وقت السلم ، معظم طاقته الانتاجية لصناعات الاسلحة ، لأول مرة في تاريخ البشرية ، الا حين استلم النازيون الحكم في المانيا ؛ فاكتفت حينذاك الدول المهددة الاخرى - باستثناء الاتحاد السوفياتي - بتنشيط صناعة مماثلة على نطاق أقل اتساعاً .

فقدان الثقة بين الحلفاء
اما بعد هزيمة المانيا واليابان في الحرب العالمية الثانية ، فلم تنقص الولايات المتحدة وبريطانيا العظمى والاتحاد السوفياتي طاقتها الحربية الا انقاصاً جزئياً ؛ فأبقت كلها على جيوش قوية وصناعات حربية هامة ، وواصلت ابحاثها المجمومة في نطاق الاسلحة الجديدة . ثم أفسح نزاع الاسلحة الجزئي والوقتي هذا المكان لتسلّح جديد واسع النطاق ؛ لا بل ان الحرب قد اشتدت عنفاً وشمولاً خلال النزاعات المحلية التي اندلعت ، ولا سيما خلال حرب كوريا ، حيث فاقت ضراوة القصف ضراوة الحرب العالمية في اوروبا .

يرد ذلك الى ان العالم قد انقسم انقساماً عميقاً الى كتلتين ، قرب بينهما الخطر المشترك الى حين ، وفرقت بينهما خلافات النظام الاقتصادي والاجتماعي ، والامواء والمصالح . فقد حل محل نظام التوازن المتعدد الاطراف الذي كان مركزه اوروبا نظام توازن بين طرفين اثنين هما دولتان كبيرتان غير اوروبيتين : الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي ؛ وقد عزز هذا التوازن الجديد ان هاتين الدولتين كادتا تحتكران الاسلحة الذرية . فقد افضى النصر السوفياتي ، وانشاء ديموقراطيات شعبية في اوروبا الشرقية والوسطى ، ثم انتصار ماوتسي تونغ في الصين بعد سنوات قليلة ، الى توسيع « معسكر الشيوعية » توسيعاً مدهشاً ؛ ومنذ السنة ١٩٤٣ ، كان الامر الذي تركته

الانتصارات الروسية وتجلي قوة الدولة العسكرية وركانة النظام الذي وصف بالهشاشة منذ زهاء ثلاثين سنة ، ضربة هائلة للمجتمع القديم اقضت مضجع الدول الانكلوساكسونية . ولنتذكر هنا مساعي ونستون تشرشل من اجل توجيه « الجبهة الثانية » ، التي طالب بفتحها ستالين ، نحو « بطن أوروبا الرخي » - حوض الدانوب - ونصائحه الى ايزنهاور ببلوغ برلين قبل الصوفيات . ولنتذكر كذلك حسن التفات المسؤولين والدبلوماسيين الانكلوساكسون ومراعاتهم للحكومات والشخصيات المحافظة في كافة البلدان : حكومة فيشي ، حكومة بادوليو ، حكومتى اليونان ويوغوسلافيا الملكيتين ... ، وترددن حيال « المقاومة » ، فيتضح لنا ان الثقة بين الحلفاء ، حتى قبل نهاية الحرب ، ابعثت من ان تكون تامة . فان السيطرة الاقتصادية والسياسية التي حسبت الولايات المتحدة انها ستفرضها بدت محدودة ومعتزلاً عليها منذ السنة ١٩٤٥ ، في الوقت الذي أدت فيه احلام الاصلاح العميق التي حرّكت « المقاومة » في كافة البلدان الى القاء الذعر في الطبقات الحاكمة وحملها على الانضمام الى المعسكر الاميركي .

منذ نهاية العمليات العسكرية في أوروبا وآسيا ، اشتد الحذر المتبادل وتراكت في كلا المعسكرين بوادر سوء التفاهم والشكوك والشكاوى ؛ فاشتدت من ثم الخلافات بين الحلفاء وأفضت خلال سنوات قليلة الى نزاع ارتدى في كافة الحقول - باستثناء حقل الاسلحة - طابع حرب حقيقية ؛ هذه هي الحرب الباردة التي رافقها انقلاب غريب في التحالفات والتي ميزت فترة ما بعد الحرب الثانية ؛ بدأت في السنة ١٩٤٧ ، ولم تبد بوادر الانفراج الا في السنة ١٩٥٣ . وكانت نتيجة الخلاف بين الدولتين الكبيرين اشتداد الانقسامات في داخل كل بلاد ؛ فان انصار وخصوم النظامين قد تعادوا وعبأوا كافة طاقاتهم ودخلوا في صراع لا هوادة فيه وفرضوا على الجميع تحديد موقفهم دون ان يتركوا لاحد امكانية البقاء على الحياد او التردد . وخارج أوروبا حاول كل معسكر توسيع منطقة نفوذه وتعزيز مراكزه بما اثار في كل مكان منازعات تحوّل بعضها ، في آسيا ، الى حروب محلية محدودة . وقد ارتبطت المسائل السياسية والمسائل الاقتصادية ارتباطاً وثيقاً في هذا الاستعداد لحرب عالمية ثالثة يعتقد كل طرف او يتظاهر بالاعتقاد بان الطرف الآخر قادر على اعلانها وخوضها ؛ فطُبعت كافة مظاهر الحضارة المعاصرة بطابع جديد من التقلقل المتزايد ، واشتد في الوقت نفسه التوتر القديم .

تأسيس
الامم المتحدة

سار تفكك التحالف من ثم بخطى سريعة . وبغية سدّ فراغ جمعية الامم التي برهنت عن عجزها في الحيلولة دون نشوب الحرب ، أقر الثلاثة الكبار في « يالطا » انشاء منظمة دولية جديدة حدد مؤتمر سان فرانسيسكو في السنة ١٩٤٥ دستورها في « ميثاق الامم المتحدة » . ولم يكن الهدف منها « المحافظة على السلام والامن الدولي » ، فحسب ، بل اقامة تعاون دولي يفرض احترام حريات البشر الاساسية دون تمييز ويشجع التقدم الاجتماعي ايضاً . وبموجب هذا الميثاق ، يقوم ، الى جانب جمعية عامة ليس لها سوى دور استشاري - درس المسائل والتصويت على التوصيات -

جهاز اساسي هو مجلس الامن الذي تنتخبه . ويخضع هذا الاخير لسلطة الدول الكبرى دون غيرها اذ ان اعضاءه الـ ١١ يضمون خمسة اعضاء دائمين (الولايات المتحدة ، بريطانيا العظمى ، فرنسا ، الصين ، الاتحاد السوفياتي) يتمتع كل منهم بحق النقض : فكل خلاف بين اثنين منهم يؤدي من ثم الى شل عمل المجلس . وقد اسندت الى هذا الاخير مهمة تسهيل تسوية الخلافات سلمياً ، واتخاذ مقررات مؤقتة فورية اذا ما بدا نزاع وشيك الحدوث ، والنظر في الشكاوى المرفوعة اليه . وضمت منظمة الامم المتحدة كذلك مجلساً اقتصادياً واجتماعياً ارتبطت به اجهزة عدة كالـ « اونسكو » الذي اسندت اليه مهمة التعاون الثقافي والعلمي ؛ وقامت كذلك منظمة العمل الدولية ومجلس الوصاية الذي انتقلت اليه اختصاصات جمعية الامم المتعلقة بالمناطق المشمولة بالانتداب ، ومجلس القضاء الدولي ، وامانة السر .

زاوالت المؤسسة اعمالها مزاوله غير ناجحة بسبب الخلافات التي قامت بين الدول الكبرى منذ البدء ، وفي معظم المنازعات ، وبسبب استخدام حق النقض الذي لجأ اليه ، بصورة خاصة ، الاتحاد السوفياتي المنزول امام تحالف الدول الاخرى . وغالباً ما بدت منظمة الامم المتحدة وكأنها اداة في ايدي الولايات المتحدة - كما كانت جمعية الامم وسيلة للسيطرة في ايدي انكلترا وفرنسا قبل السنة ١٩٣٩ - ولا سيما بعد السنة ١٩٤٩ حين بقيت عضوية المجلس الدائمة الخاصة بالصين في ايدي حكومة فورموزا .

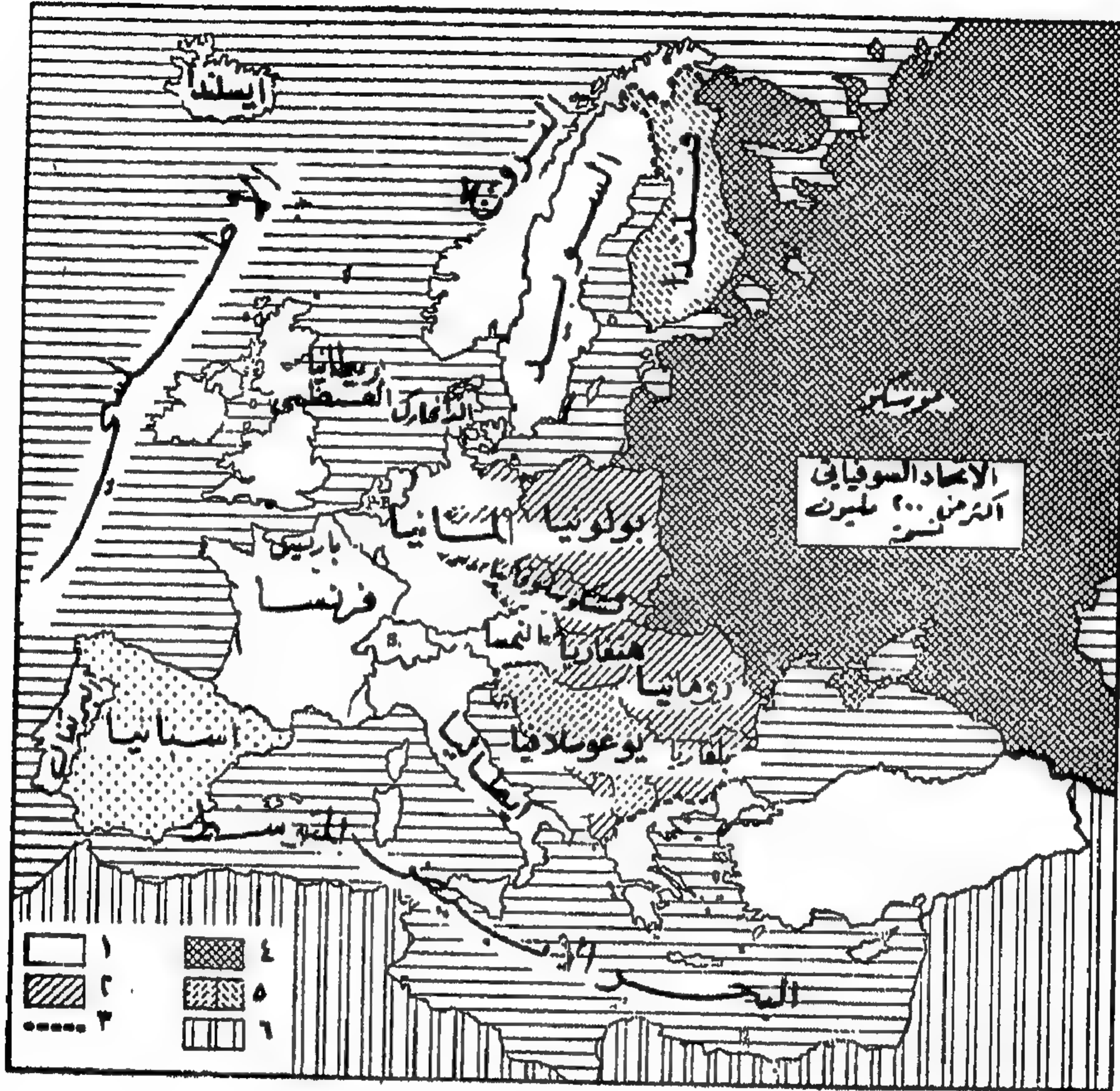
الحرب الباردة
تكرست القطيعة بعد خطبة الثاني عشر من اذار ١٩٤٧ التي عبرت عن « رأي ترومان » . فقد اعلن الرئيس الاميركي تصميم الولايات المتحدة على الحل محل انكلترا في تقديم المساعدة العسكرية للحكومة اليونانية ضد العصابات الشيوعية ولتركيا ، ووضح ان هدفه هو « كبح » الشيوعية والنفوذ السوفياتي في هاتين البلدين .

« لن نبلغ امدافنا ... ما لم نكن مصممين على مساعدة الشعوب الحرة على الاحتفاظ بمؤسساتها الحرة ووحدها القومية بمقاومة الاعمال العدرائية التي تحاول فرض انظمة غير ديموقراطية . وليس ذلك سوى اقتناع صريح بان الانظمة غير الديموقراطية المفروضة على شعوب حرة باعتداءات مباشرة او غير مباشرة تقوض ركائز السلم الدولي وتقوض بالفعل نفسه ركائز امن الولايات المتحدة ... فاني اعتقد بان سياسة الولايات المتحدة يجب ان تبنى على مساعدة الشعوب التي تقاوم محاولات الاقليات المسلحة او الضغوط الخارجية لاجضاعها » .

وأبان وزيره « دين اتشسون » بمزيد من الوضوح ، بعد ذلك بشهرين ، انه ينبغي حصر المساعدة الاميركية في الدول التي تقر الولايات المتحدة نظامها السياسي والاقتصادي .

« ان تدابير مساعدة واعادة بناء (البلدان التي خربتها الحرب) لم تنبثق عن روح انسانية الا جزئياً . فان مؤتمر كم قد اجاز ، وحكومتمكم تنتهج ، سياسة مساعدة واعادة بناء هي اليوم بمثابة قضية من قضايا المصلحة الوطنية ... وبما ان الظلم العالمي يفوق قدرتنا على تلبيته ، فاننا سوف نحصر مساعدتنا في البلدان التي ستكون المساعدة فيها اكثر فعالية لبناء عالم مستقر سياسياً واقتصادياً ، بمساعدة الحرية الانسانية والمؤسسات الديموقراطية وتشجيع سياسة التجارة الحرة وتميز سلطة الامم المتحدة . وبديهي ان هذا التدبير يفرضه الصواب ... ولذلك

فإن الشعوب التي تسعى للمحافظة على استقلالها والمؤسسات الديمقراطية والحريات الانسانية في وجه الضغوط غير الديمقراطية الداخلية او الخارجية سوف تستفيد من المساعدة الاميركية قبل سواها .
كانت النتيجة الفورية لمشروع « مارشال » الذي نظم هذه المساعدة قد دعم الكتلتين وتوسيع



شكل ٢٢ - أوروبا المقسمة

- ١ - بلدان انضمت الى مشروع مارشال ، ٢ - ديمقراطيات شعبية مرتبطة بالاتحاد السوفياتي بماهدة
فرصها ، ٣ - « الستار الحديدي » ، ٤ - ارض الاتحاد السوفياتي ، ٥ - بلدان بقيت خارج الكتلتين ،
٦ - بلدان غير تابعة لاوروبا .
ملاحظة - اسبانيا لم تكن منضمة الى مشروع مارشال .

الهوة التي تفصل بين العالم الشيوعي والغرب . فقد انصرفت السياسة السوفياتية الى توثيق
الروابط بين دول الشرق هادفة من وراء ذلك الى خلق ميثاق يشبه مشروع مارشال في الشرق

وجعل الكتلة الشرقية ، ما استطاعت الى ذلك سبيلاً ، مستقلة استقلالاً تاماً عن الغرب .

منذ هذا التاريخ نظر كل من الكتلتين الى كل قرار يتخذه الطرف الآخر كما الى عمل هجومي يستلزم جواباً ، واعتبر كل جواب بدوره تهديداً يجب ان يستتبع استعدادات دفاعية جديدة . وهكذا استمر الخلاف وازدادت الشكوك . واقتنع كل طرف مخلصاً بان اعماله دفاعية بجملة ، وبان اعمال الطرف الآخر هجومية . فكان من الغرب ، الذي اعتبر الاتفاقات الاقتصادية وانشاء مكتب الاعلام الشيوعي (كومنفرم) بادرة هجومية شيوعية ، ان اسرع في وضع الخطط لتحالف سياسي وعسكري متين : حلف بروكسل بين بريطانيا العظمى وفرنسا ودول البنلوكس (بلجيكا وهولندا واللوكسمبورغ) ، ومعاهدة الاطلسي الشمالي التي وقعتها اثنتا عشرة دولة انضمت اليها اليونان وتركيا في السنة ١٩٥٢ .

بينما كانت المعاهدات المعقودة في اعقاب الحرب معاهدات الميثاق الاطلسي

ثنائية موجهة ضد اعتداء الماني محتمل الوقوع فحسب ، تجاهل هذا الميثاق كلياً امكانية اعتداء الماني ؛ فقد وجه بوضوح ضد الاتحاد السوفياتي ، وان لم يرد فيه اسم هذا الاخير . وجاء في مادته الرابعة ما يلي : « سوف تتشاور الاطراف كلما بدا ، في رأي احدها ، ان سلامة اراضي احد الاطراف او استقلاله السياسي او امته عرضة للخطر » . وجلي ان هذه التعابير المبهمة لا تعني الهجوم المسلح على احدى الدول الحليفة فحسب ، بل استلام زمام السلطة من قبل اكثرية تعطف على الشيوعية . فالميثاق الاطلسي يكمل من ثم مشروع مارشال ، وتصبح المساعدات العسكرية والاقتصادية مظهرين مختلفين لمساعدة واحدة . وقد قدمت مساعدة عسكرية للبلدان الاوروبية الموقعة على الميثاق واليونان وتركيا وايران وكوريا والفلبين ايضا . وانشئت « منظمة معاهدة الاطلسي الشمالي » (اوتان) التي ضمت قيادة اركان مشتركة تشرف على عمليات المجموعات الاقليمية الخمس . وتوجب على كافة الدول الموقعة تعزيز تسليحها واللحاق بشريكتها على الصعيد العسكري والصعيد الاقتصادي على السواء ؛ فعززت جيوش دول الحلف ووحدت معداتها واساليب قيادتها وقتالها . وانصرف الحلفاء بصورة خاصة الى اعادة انشاء جيش الماني قوي اعتبر السبيل الوحيد لاقامة حاجز فعال في وجه هجوم سوفياتي محتمل الوقوع .

بصرف النظر عن الرأي النافذ القائل بشن حرب وقائية قبل زوال التقدم
ذروة
الاميركي في حقل الاسلحة الذرية ، اعتمد التحالف الاطلسي سياسة
الحرب الباردة
« احتباس » و « توزيع قوى » انطوت على امتلاك اسلحة قادرة على اهابة

الاتحاد السوفياتي و « بناء حاجز عسكري وبوليسي وسياسي » في وجهه ولكن انصار
السياسة الهجومية و « تحرير » البلدان التي تؤلف الديمقراطيات الشعبية ، واعضاء « الكتلة »
الصينية التي تدافع عن شان كاي شك وتطالب لمصلحته بمساعدة عسكرية ومالية متزايدة ،

قد احرزوا نجاحات هامة في انتخابات السنة ١٩٥٢ . فنجم عن ذلك تصليب سياسي تشهد عليه الاعمال الاولى التي قامت بها الادارة الجمهورية في الصين وكوريا والمانيا . الا ان السياسة الاميركية اضطرت للتسليم بـ «التعايش السلمي» ، والعدول عن التدخل مباشرة في حرب الهند الصينية وكبح مبادرات فورموزا الحربية والدخول في حوار جديد مع الشرق .

ان حلفاء الولايات المتحدة ، ولا سيما بريطانيا العظمى ، قد الاستراحة السريعة الزوال راقبوا مبادرات الحكومة الاميركية بتردد . فمنذ السنة ١٩٤٩ امتلك الاتحاد السوفياتي القنبلة الذرية ولن يلبث ان يمتلك القنبلة الهيدروجينية ؛ وكان من الواضح ان حرباً عالمية جديدة لن تهدد باحداث أضرار لا يمكن تلافيها والقضاء ، بكل ما للكلمة من معنى ، على أمم كاملة فحسب ، بل ستكون دول أوروبا الغربية ، ولا سيما بريطانيا العظمى ، القاعدة الجوية الاميركية الرئيسية ، من بين الدول الاولى التي ستعاني من ويلات الحرب . يضاف الى ذلك من جهة ثانية ان تجديد القوة الصناعية الالمانية واليابانية لن يلبث أن يخلق منافسة تجارية خطيرة ، بينما سيهدد تسليح المانيا بقيام حرب انتقامية ضد بولونيا والاتحاد السوفياتي . وفقد اقضاء الصين عن منظمة الأمم المتحدة شيئاً فشيئاً ما يبرره كلما توطن نظام حكمها وأقدم عدد متزايد من الدول ، ومنها بريطانيا العظمى ، على الاعتراف رسمياً بحكومتها . وأخيراً ردت الصعوبات الاقتصادية في أوروبا الغربية ، جزئياً ، الى قطع العلاقات التجارية اما بالصين واما بدول أوروبا الشرقية ، وقد استدعت مصالح هامة في أوروبا ، وحتى في اميركا ، اعادة المقايضات الى سابق حالها . ثم ان نجاحات سياسة الحياد في الدول الأوروبية ، ولا سيما في فرنسا ، قد حملت أنصار سياسة القوة على التفكير ، كما ان السباق الى التسلح قد زاد الخطر والحذر بدلاً من ان يساعد على ازالتهما ؛ فبدأ أكثر وضوحاً يوماً بعد يوم ان التعايش السلمي دون غيره بين العالمين هو الحل الوحيد الممكن اذا اريد تجنب حرب عالمية ثالثة . وجاء موت ستالين في الخامس من آذار ١٩٥٣ يمهّد السبيل امام انفراج مرتسم في الأفق . وكانت اولي الظواهر الهامة لهذه الحالة النفسية ، مؤتمر جنيف الذي انعقد في السنة ١٩٥٤ ، والذي سلكت فيه دولتان هامتان من دول الغرب ، هما بريطانيا العظمى وفرنسا ، سلوكاً مستقلاً عن الولايات المتحدة ، ففاوضتا الصين الشعبية في موضوع الهند الصينية ، على قدم المساواة .

بيد ان الانفراج أخرته الارتيابات والخاوف التي اثارها في الدول الغربية الذفوذ السوفياتي في آسيا الشرقية ولا سيما في الشرق الأوسط ، اذ بدا وكأنه على كف عفريت بسبب تدخل الاتحاد السوفياتي المسلح في هنغاريا ؛ ولكنه بات ضرورة ملحة حين هددت الحملة الفرنسية البريطانية على قناة السويس في تشرين الاول ١٩٥٦ ، لا بنشوب حرب محدودة ، بل بنشوب حرب عالمية . وقد صادف للمرة الاولى ان اتفقت الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي على فرض ايقاف العمليات العسكرية . وفي الوقت نفسه أدت النجاحات التي احرزها الاتحاد السوفياتي في حقل الصواريخ العابرة القارات الى اقامة « توازن ارهاب » جعل اخطار الاقناء

في حرب ذرية أكثر فاعلية في النفوس . فخفضت منذئذ حدة الخلافات و « ذاب الجليد » ، مما أفضى الى قيام رئيس الحكومة السوفياتية بزيارة الولايات المتحدة في شهر ايلول من السنة ١٩٥٩ .

منذ هذا التاريخ ، ميّز دخول الدول الآسيوية والافريقية الحديثة منظمة الأمم المتحدة ، بصورة مؤثرة ، الوحدة العضوية لكثرة لا تستطيع اية دولة من دولها الوقوف موقف لامبالاة من سواها . فلم تعد أحداث أوروبا وحدها ما ترتدي طابع الأهمية العالمية ، بل هي أحداث بحر الكرايب (كوبا) وأحداث افريقيا (الكونغو وحق حرب الجزائر) ايضاً ما أرغمت كل دولة على تحديد موقفها وهددت السلم العالمي بالخطر . لا بل قام اتصال وثيق بين القضايا الأوروبية وقضايا الانحاء الأخرى من العالم — ولا سيما العالم الباسيفيكي — التي كادت تحتل المرتبة الأولى . ومن جهة أخرى كان للانفراج اثره في التفاف العالم حول الكبيرين المتوازنين : فاتجهت الروابط في داخل كل كتلة الى الارتقاء ، لا بل ان الازمة الصينية السوفياتية ايقظت عند بعض الدول الغربية الأمل بأن تستفيد منها لضعاف الكتلة المنافسة . وعلى أية حال ، فإن جو « الحرب الدينية » او الصراع الذي لا يكفتر عنه بين الخير والشر كما تصوره عضو مجلس الشيوخ « ماك كارتني » و « جون فوستر دالاس » قد تبدل ، وتطورت الكتل واتجهت نحو فقدان طابعها السياسي : فإن الباكستان مثلاً ، وهي إحدى موقعي المعاهدة المركزية ، واحد اعضاء ميثاق بغداد بعد ذلك ، قد تعاونت مع الصين ، الصديقة ان لم تكن الحليفة ، على الاتحاد الهندي . وان هذا الموقف الاستقلالي تقفه الدول الحديثة ، التي غدت عصبية قومية متصلبة بغية تعزيز تلاحمها الداخلي ، ليعيد الى الذاكرة العصبية القومية القديمة في الدول الغربية الحريصة على ان لا تتغلى عن عظمتها السالفة ، وعلى صيانة او احياء نفوذها المتفوق في ما وراء البحار ، اقله في الحقل الاقتصادي . وليس هذا التضاد بين عالم يسلك فيه الميل الى التدويل طريقه في الدول المتطورة (التي تعي ان التكتلات السياسية او الاقتصادية وحدها قابلة للحياة والتقدم) وبين عالم يضم عدداً كبيراً من الدول الصغيرة المتنازعة والاقليميات الاقتصادية المضرة ، بأقل مفايرات ايماننا هذه للصواب .

واخيراً ، أدى وجود الاسلحة النووية الى تبديل توازن القوى تبديلاً ظروف الحرب الجديدة
عميقاً وخلق ظروف جديدة كل الجدة في العلائق بين الدول . لقد انحصرت هذه الاسلحة عملياً في ايدي الكبيرين دون غيرهما ، فأوجدت « توازن ارهاب » اثبت فعاليتيه حين ارتسم في الأفق خطر نزاع بالغ الأهمية بمناسبة انشاء قواعد للصواريخ السوفياتية في كوبا . فحتى ذاك التاريخ ، استخدمت في الحروب المندلعة منذ السنة ١٩٤٥ الاسلحة « الكلاسيكية » ، اي الاسلحة التي استخدمت خلال الحرب العالمية الأخيرة ، والحرب بين اسرائيل وجيرانها ، وحروب كوريا والهند الصينية والجزائر وفيتنام الجنوبية ... ولكن الابحاث العلمية لم تتوقف منذ نهاية الاعمال الحربية — على نقيضها في ما بعد الحرب العالمية

الاولى - وتوصلت الى نتائج حاسمة . فان الطاقة التدميرية قد ازدادت ازدياداً يكاد يكون غير محدود ولا يتصوره عقل : ان القوة التدميرية للقنابل الحالية توازي الف ضعف بالنسبة لقوة قنبلة هيروشيا (وقد قدرت قوتها بـ ٢٠.٠٠٠ طن من الـ ت. ن. ت.) التي كانت خاتمة الحرب العالمية الثانية . والحال لم تستخدم هذه الاخيرة اجمالاً سوى قنابل وزن ١٠ اطنان من الـ ت. ن. ت. كحد اقصى ، لا تتناسب كذلك وقنابل الـ ٥٠ او ١٠٠ لبرة في الحرب الكبرى ! وفي الوقت نفسه بلغ مرمى المدافع ١٥٠ ميلاً ومدى الطائرات بين ٥٠٠٠ و ٦٠٠٠ ميل ، ومدى الصواريخ ٨٠٠٠ . فليس بعد اليوم مركز واحد آهل بالسكان بنأى عن الاسلحة النووية المطلقة من البر او من الغواصات . وباستطاعة هذه الاسلحة اجراق مساحات تبلغ عدة كيلومترات مربعة ، وتلويت الجو والمياه ، ويمكن ان يبقى اثر اشعاعاتها القتال طيلة اشهر عدة في مساحات قد تبلغ ٥٠ ضعفاً بالنسبة للمساحات المحرقة . فارتكز الدفاع منذئذ الى مبدأ ابتكار ما يصعب ابتكاره : يجب ايجاد « قوة دفاعية » تكون قدرتها الثارية كافية لاهابة من قد يفكر بالاعتداء ومنعه من المخاطرة بالاقدام على نزاع مسلح . وتستلزم هذه القوة ، بالإضافة الى كميات كبرى من الاسلحة النووية ، محاولة تحقيق السيطرة في الجو ، وإنشاء شبكة رادار للمراقبة والاتقاء ، وتكوين مدفعية قوية مضادة للطائرات ، وصواريخ مسيّرة ، وطائرات تعترض سبيل الطائرات المهاجمة ، وتشيت مستودعات الاسلحة والمصانع ومراكز التموين ومراكز القيادات ، وحفر ملاجئ فسيحة للسكان . وبالاختصار ، نفقات باهظة تفوق كل تصور تقرر كاهل موازات بعض البلدان الغنية جداً وتعجز عن تأمينها موازات كافة البلدان الاخرى .

حدثت الحرب انطلاقة لا سابقة لها في الانتاج . فان المشاريع التي
اشتداد اختلال
كانت مقفلة الابواب او كانت ابعيد من ان تستخدم طاقتها
التوازن الاقتصادي والسياسي
الانتاجية الكاملة اخذت تعمل مجدداً وفتحت ما أمكنها انتاجه ،
في العالم
وانشئت مصانع جديدة ومعامل جديدة ، لا في الولايات المتحدة
وكندا فحسب ، بل في البرازيل والارجنتين والشيلي وافريقيا الجنوبية واستراليا واسبانيا
وتركيا والسويد والدول المحتلة في اوروبا الوسطى التي كانت اقل تعرضاً للغارات الجوية ايضاً .
وانغى الاتحاد السوفياتي من جهته طاقته الانتاجية إغناء كبيراً . وفي الوقت نفسه تحسنت
الاساليب وارتفع الانتاج ارتفاعاً عظيماً ربما بلغ ٢٠٪ .

كانت النتيجة ان اختلال الاقتصاد العالمي ، الذي برز جيداً بعد الحرب العالمية الاولى ، قد تعاضم بفعل هذه الزيادة الكبرى في الانتاج . فحرصت الدول الصناعية اكثر من أي وقت مضى على حماية سوقها الداخلية والبحث عن اسواق خارجية . وسوف تتصف المنافسة الدولية والصراع من اجل هذه الاسواق بمزيد من الحدة لا سيما وان البلدان التي افقرتها الحرب كانت اكثر حاجة الى التصدير منها قبل الحرب لتسديد اثمان مستورداتها ، والحصول على الدولارات ،

وتوظيف الاموال في المشاريع الضرورية . وهو تدخل الحكومات المتيقظ وحده ما حمى هذا الاقتصاد من الازمات التي كانت تهدده . والحال اعتمد شطر من العالم اقتصاداً اشتراكياً يجنبه الحلقة الاقتصادية القديمة ويقلل من ثم من الاسواق المحتملة . وليست روسيا وحدها ، كما في السنة ١٩١٨ ، ما كانت معزولة أمام عالم حر ورأسمالي . ففي السنة ١٩٤٥ ، كانت هنالك ، من جهة ، كتلة الاتحاد السوفياتي والديمقراطيات الشعبية ، التي ستندمج اليها بلاد الصين الشاسعة في السنة ١٩٤٩ ، ومن جهة ثانية عالم رأسمالي اعينته ثورة الشعوب المستعمرة وحركة تحرير الشعوب المسودة . ففي آسيا بنوع خاص نمت الحركات القومية نمواً سريعاً غير منتظر وفازت بالاستقلال . وفي افريقيا انهارت الامبراطوريات الاستعمارية . لقد رفض العالم بصراحة الانحناء ابداً أمام سلطة اوروبا والولايات المتحدة .

وهكذا فان هذه الفترة قد شاهدت تقهقر اوروبا والمخطاط النظام الحر الاقتصادي والسياسي اللذين برزا منذ السنة ١٩١٤ ، لان جو الحرب الباردة وانقسام العالم الى كتلتين لم يكونا موافقين لمبادئ الحرية . وفي الوقت نفسه ابرزت تصفية الامبراطوريات الاستعمارية واستقلال الشعوب الملونة والانسحاب من السويس ، نهاية هيمنة دول تولت منذ خمسة قرون امر استعمار الكرة الارضية . لا بل هددت مرتكزات ازدهارها بالذات .

الفصل الثاني

الولايات المتحدة

اصبحت الولايات المتحدة ، بعد الحرب العالمية الاولى ، اعظم دولة في العالم ، قبات بمقدورها ، بعد السنة ١٩٤٥ ، فرض نفوذ متفوق ساحق ، لابل هيمنة حقيقية ، على كافة الدول الاخرى المضعفة او المخربة .

تضم الولايات المتحدة ٧٪ من سكان الكرة الارضية وتحتل ٧٪ من مساحة الارض ، ولكن دخلها القومي يفوق ثلث الدخل العالمي ، وينتج سكانها ، الذين كانوا ١٥١ مليوناً في السنة ١٩٥٠ واصبحوا ١٩٠ مليوناً في السنة ١٩٦٣ ، ٦٠٪ من مصنوعات العالم بأسره ، اي اكثر من الملياري نسمة الموزعين على كافة انحاء العالم الاخرى . ومثل احتياطياتها من الذهب والنقد النادر ٧٨٪ من الاحتياطي العالمي في السنة ١٩٥٧ (باستثناء الاتحاد السوفياتي) . وهي تمتلك في كل قطاع اقتصادي نسبة انتاج مثوية تتيح لها تحديد الاسعار وسن القانون في السوق العالمية ، بينما يتعذر على الدول الاخرى الاستغناء عن مساعدتها المالية للقبول بشروطها في الحقلين الاقتصادي والسياسي . وفي اعقاب الحرب ، التي لم تكن بالنسبة لها سوى « امتحان ثانوي » ، اذا ما قورنت بالازمة الكبرى ، مارست « زعامة » لا جدال فيها على العالم الحر .

بصورة عامة ، تعاظمت الطاقة الصناعية خلال الحرب في كافة الدول
تزايد الانتاج المحاربة — وحتى في المانيا التي عانت ما عانت من الغارات الجوية — وفي الدول التي حافظت على حيادها . ولكن الولايات المتحدة امتلكت طاقة صناعية ضخمة دونها طاقتها في اعقاب الحرب العالمية الاولى . فان انتاجها الصناعي في السنة ١٩٤٥ كان ضعفه في السنة ١٩٣٩ . وقد تحققت هذه النتيجة باستخدام الآلة الانتاجية واليد العاملة استخداماً كاملاً وبانشاء مصانع او استثمارات جديدة كبرى . ففضي على البطالة قضاء تاماً ، اذ هبط عدد البطالين من ٩ ٤٨٠ ٠٠٠ في السنة ١٩٣٩ الى ٦٧٠ ٠٠٠ في السنة ١٩٤٤ . لابل ارتفع عدد العمال ارتفاعاً عظيماً على الرغم من رفع عدد القوات المسلحة ، بفعل استدعاء النساء والفتيان والكهول الذين عادوا الى المصانع ، بينما انخفض عدد عمال الزراعة . وبالاختصار ارتفع عدد

العاملين في المشاريع المدنية المختلفة من ٤٥ ٧٥٠ ٠٠٠ في السنة ١٩٣٩ إلى ٥٤ مليوناً في السنة ١٩٤٤ .

عند نهاية الحرب ، كان انتاج الولايات المتحدة ٦٨٤ مليون طن من الفحم الحجري (نصف الانتاج العالمي) ، و ٢٤٤ مليون طن من البترول (الـ ٢/٣) ، واكثر من نصف الانتاج العالمي من الكهرباء . وكانت الصناعة الاميركية تجهزة الانتاج ٩٥ مليون طن من الفولاذ ، ومليون طن من الالومينيوم ، و ٢٠ مليون طن من السفن ، و ١٠٠ ٠٠٠ طائرة ، و ١٢٠ ٠٠٠٠ طن من المطاط التركيبي . وكان لديها اكبر اسطول تجاري (يوازي بحوله ثلاثة اضعاف بحول اسطول المملكة المتحدة) والطيران التجاري الوحيد الذي يضم ١٥ ٠٠٠ طائرة .

طرحت نهاية العمليات الحربية وتسريح جزء من القوات العوده الى احوال ما قبل الحرب المسلحة وتوقف جزء من صناعات الاسلحة مسألة العوده الى احوال ما قبل الحرب . فهل سيؤدي الافراط في تجهيز البلاد الى قيام أزمة اقتصادية جديدة وانتشار البطالة مرة اخرى ؟ كلا فان المخاوف من حدوث ذلك لم تتأيد ؛ وقد تمت العوده الى احوال ما قبل الحرب بسرعة ودون اثاره صعوبات كبرى . فان الصناعات الحربية الهامة (السفن والطيران والالومينيوم والآلات) قد خفضت تخفيضاً كبيراً ، ولكن هذا التخفيض قد اعاض منه ازدياد نشاط فروع صناعية اخرى ، وبصورة خاصة فروع صناعة المواد الاستهلاكية التي انميت من اجل تلبية حاجات السوق الداخلية والخارجية . فحافظت نسبة الانتاج على مستوى واحد تقريباً : ١٧٠ في السنة ١٩٤٦ ، ١٨٧ في السنة ١٩٤٧ ، ١٩٢ في السنة ١٩٤٨ ، ١٧٥ في السنة ١٩٤٩ . واتاح التقدم التقني انماء صناعات جديدة : المنتجات الكيميائية والالياف التركيبية ، والمصنوعات البلاستيكية ، وانواع الوقود السائل (انطلاقاً من الغاز الطبيعي) واجهزة التلفزة ، والمأكولات المجمدة ... وانطلقت الخدمات العامة (غاز ، كهرباء ، هاتف) كذلك انطلاقاً عظيمة جداً . وزادت الابحاث العلمية والتقنية مخترعاتها ، على غرار مصالح الدولة الاتحادية والولايات .

بالرغم من انتشار البطالة مرة اخرى - ارتفع عدد البطالين من ١ ٠٧٠ ٠٠٠ في السنة ١٩٤٥ الى ٢ ١٢٤ ٠٠٠ في السنة ١٩٤٧ ، ثم الى ٣ ٣٩٥ ٠٠٠ في السنة ١٩٤٩ . فان الانتاج نفسه ، وان انخفاض النسبة لارقام الانطلاقة الكبرى في ايام الحرب ، قد حافظ اجمالاً على مستوى رفيع جداً اذا ما قورن به في السنوات الاخيرة من فترة ما قبل الحرب ؛ فقد بلغ تقدمه التدريجي ، بين ١٩٤٥ و ١٩٤٩ ، معدله خلال القرن التاسع عشر ، واتاح ارتفاعاً محسوساً في مستوى المعيشة العام . واذا قورن الانتاج الاميركي بالانتاج الاوروبي (باستثناء الاتحاد السوفياتي) ، لا تضح انه مثل ١٥١٪ منه في السنة ١٩٤٧ و ١٣٥٪ في السنة ١٩٤٨ ، في حين لم يمثل سوى ٧٦٪ في السنة ١٩٣٧ .

خطر الازمة
في السنة ١٩٤٩

يرد هذا الوضع الممتاز في السنوات الأولى من فترة ما بعد الحرب الى اسباب عدة : امكن الاحتفاظ بالقدرة الانتاجية بفضل ارتفاع عدد الاميركيين وبفضل « ارجاء طلب » المواد الاستهلاكية التي يحرم منها السكان في سنوات الحرب . فبيعت من ثم اعداد كبرى من السيارات والادوات المنزلية واجهزة الراديو اللاقطة . وشيدت مساكن كثيرة . وسهلت هذه المبيعات والابنية وفرة وسائل الدفع الناجمة عن التوفيرات الجوية المحققة خلال الحرب وسرعة زيادة حجم الاعتمادات المفتوحة للاستهلاك . ويجب ان يضاف الى انطلاقة التجارة الداخلية هذه الدور الذي لعبته التجارة الخارجية . فقد كانت الولايات المتحدة قادرة وحدها آنذاك على ان توفر للسوق العالمية المواد الأولية ، والآلات الضرورية لاعادة بناء اوروبا ، والمواد الغذائية التي تحتاج اليها اوروبا وآسيا .

الا ان الاتجاه انقلب في السنة ١٩٤٩ وارتسم في الافق تأخر اقتصادي ناجم عن تحسن الانتاج الزراعي والصناعي في الدول الاوروبية وتدني الطلب في الاسواق الداخلية . فانخفض انتاج الصناعات الاساسية . واشتدت بصورة خاصة الازمة الزراعية بفعل تعاقب الحصاد الجيدة التي استتبعته انخفاض الاسعار انخفاضاً محسوساً جداً . فبلغ عدد البطالين زهاء ٤ ملايين شخص وجاوز الـ ٥٠٠ ٠٠٠ في اوائل السنة ١٩٥٠ .

التدابير المتخذة
لايقافه

هو تدخل الدولة والعودة الى سياسة التسلح ما اوقف خطر الازمة . لقد عمل الرئيس بمشورة خبراءه الاقتصاديين واستخدم صلاحياته للتأثير تأثيراً سريعاً وفعالاً على الاقراض (بواسطة الخزنة العامة ودائرة الاحتياط الاتحادي) وعلى الدخل القومي (بسياسته الجبائية) . فتمكن من ثم من ايقاف الازمة بتنظيم المبيعات بالدين (تخفيض الاجال الى ١٥ او ١٨ شهراً ، ايجاب دفع ٢٠٪ من قيمة السلع عند البيع ، و ٣٣٪ من قيمة السيارات) ، وبزيادة معدل احتياطي المصارف بالنسبة للودائع ، مما يحد من امكاناتها الاقراضية ، وبمراقبة الرهونات المعقودة من اجل بناء المساكن ، وباعتماد سياسة اعمال كبرى او بتخفيض الضرائب ، وبمنح المزارعين قروضاً وفيرة بشراء الفوائض المخزونة او بفتح الاعتمادات ، وبضمان المساواة التي قامت قبل السنة ١٩١٤ بين الاسعار الزراعية والاسعار الصناعية لمساعدة « سعر المساندة » . واخيراً بالاكتثار من طلبات البضائع المعدة للدول المقررة مساعدتها في اوروبا وآسيا .

وبغية الابقاء على ما يشتريه من الولايات المتحدة الاجانب الفقرون ، والمفتقرون الى النقد النادر ، والعاجزون عن التصدير ، رفعت الحكومة - او مصرف التصدير والاستيراد - قيمة القروض ، وحتى الهبات ، اي انها « امدت المشتريين المحتملين بقيمة مشترياتهم » . ومنذ السنة ١٩٤٨ زادت اهمية الهبات وتدنيت اهمية القروض : فان الدول التي قد تدفعها البطالة والاضطرابات الاجتماعية الى اعتماد خطة اشتراكية ، وتكون محالقتها ضرورية للولايات المتحدة بغية اقامة « نظام دفاع اميركي » في وجه الاتحاد السوفياتي : الصين ، الفيليبين ، كوريا ،

اليابان ، تركيا ، إيطاليا ، فرنسا ، النمسا ، اليونان ، ألمانيا ، قد استفادت بموجب مشروع مارشال من قروض لا تسدد ، و سلع مجانية ، وقروض طويلة الاجل .

ثم ان النهضة الاقتصادية ، التي بدأت قبل انفجار الحرب ، قد تعززت بعد السنة ١٩٥٠ بفعل الحرب الكورية واعادة تسليح اوروبا الغربية . فقد اجريت تعبئة صناعية واقتصادية جديدة خزنت المواد الاستراتيجية الطابع . وارتفع انتاج الفولاذ (١٩٥١ = ١٠٣ ملايين طن) وأعيد فتح بعض المصانع المغفلة في السنة ١٩٤٥ ، كمصانع المطاط التركيبي ، والمطاط التركيبي ، والطيران . وفتحت مشاريع ومعامل جديدة . وجرت نهاية الحرب الكورية في السنة ١٩٥٣ الى تأخر اقتصادي جديد . فرفع هبوط الانتاج الصناعي مرة اخرى عدد البطالين الى زهاء ٤ ملايين في شهر آذار من السنة ١٩٥٤ . ولكن الابقاء على ميزانية عسكرية مرتفعة (٦٤٪ من الميزانية الاتحادية في السنة ١٩٥٨) ، وتوسع حركة بناء المساكن بفضل توسيع القروض مقابل رهن العقارات ، وانطلاقة صناعة السيارات بصورة خاصة (٨ ملايين سيارة في السنة ١٩٥٥) والمبيعات التقسيطية التي بلغت ٦٢ مليار دولار في السنة ١٩٥٥ ، وزيادة تعويضات البطالة وتخفيض الضرائب ، كل ذلك قد اوقف حركة الهبوط .

وهو تدخل الدولة كذلك ما مكن الاستهلاك وحال دون انفجار ازمة جديدة عند نهاية الحرب ، ولكنه لم يحل المسألة التي طرحها ابدأ الفرق الكبير بين حجم انتاجي ضخمة والامكانيات الاستهلاكية التي لم توازن قط . فان الطاقة الانتاجية الصناعية التي ارتفعت بنسبة ٥٥٪ بين السنة ١٩٤٧ والسنة ١٩٥٣ ، وربما بلغت ، في السنة ١٩٥٥ ، ١٩٠٪ من مستواها في السنة ١٩٤١ ، كانت ابعد من أن تستخدم كلها ، ولا سيما في انتاج المواد الاستهلاكية : فهي لم تبلغ سوى نسبة ٧٥٪ في صناعة السيارات وصناعة اجهزة التلفزيون ، و ٥٠ بالمائة في صناعة الأدوات الكهربائية المنزلية ، و ٣٠ بالمائة فقط في الصناعة القطنية بفعل انطلاقة المنسوجات الاصطناعية بصورة خاصة . وفي بعض الحقول الهامة ، كالمنسوجات والملابس ، لم يرتفع الانتاج عملياً منذ السنة ١٩٤٧ ، فشملت البطالة ٢,٥٦٤,٠٠٠ عامل . وفي السنة ١٩٥٤ جر حجم المبيعات التي توقر دخول المشترين لمدة طويلة ، وحجم القروض مقابل رهن العقارات ، الى تدني معدل الصفقات وتكدس المخزونات . وفي هذه الاثناء ارتفعت قيمة الأموال الموظفة في الصناعة ارتفاعاً مطرداً ، فزادت الطاقة الانتاجية ، وبالتالي المخزونات التي لن ينقصها سوى ارتفاع عدد المستهلكين وقدرتهم على الشراء .

كانت الولايات المتحدة « دار صناعة الديموقراطيات » ، وفوقت التوسع الاميركي لكافة الحلفاء ، بموجب قانون الاعارة والتأجير ، الاسلحة والمنتجات الضرورية للحرب . ولكن البلدان المدينة لم يتوفر لديها ، لتسديد ديونها ، لا دولارات ولا ذهب بكمية كافية ، ولا سلع . يضاف الى ذلك انها كانت كلها بأمس الحاجة الى رؤوس الأموال من اجل الحصول على المواد الغذائية والمواد الأولية والأدوات الضرورية . فأتاحت هذه الظروف

للولايات المتحدة ، بفضل تفوقها المالي الساحق ، احتلال مراكز من المرتبة الاولى في العالم غير الشيوعي .

وبغية تسهيل المقايضات ، اضطرت الولايات المتحدة الى منح قروض للبلدان صاحبة العلاقة بواسطة مصرف التصدير والاستيراد ، وبعد السنة ١٩٤٧ ، بواسطة مشروع مارشال الذي لحظ هبات (٨٠ بالمائة اجمالاً) وقروضاً طويلة الاجل (٢٠ بالمائة) . فارتدى التوسع الأميركي في جوهره من ثم طابعاً مالياً ، وزاد انفاق الأموال في الخارج بعد السنة ١٩٤٩ بواسطة النقطة الرابعة التي أقرها الرئيس ترومان من أجل تنمية المناطق المتخلفة عن طريق انفاق اموال اميركية خاصة .

وهي الصناعة البترولية والمنجمية (معادن غير حديدية) بصورة خاصة ، وصناعة المطاط والصناعات الكيماوية ما اجتذبت رؤوس الأموال الأميركية : في كندا - حيث اشرفت على انتاج النيكل والبترول والفولاذ والالومينيوم والكتان الحجري - واميركا اللاتينية ، ولا سيما البرازيل ومنطقة الكرايب (امتعت القارة الاميركية من ثم ٢/٣ الاموال الموظفة) والبلدان الاوروبية (٢٠ بالمائة) وممتلكاتها الافريقية بصورة خاصة ، والشرق الادنى . وفي الشرقين الادنى والأوسط اللذين يمتلكان ٢/٣ احتياطي البترول في العالم ، ساعدت الدولة الاميركية الشركات الاميركية ، ستاندر د اويل ، وسوكوني فاكوم ، وارامكو ، على حصر واقتضاء المصالح البريطانية في العراق وايران والكويت ومصر والمملكة العربية السعودية ؛ وفي اميركا الجنوبية اشرفت الولايات المتحدة على ثلثي الانتاج وثلاثة أرباع التكرير في فنزويلا .

وفي الحقل الجوي ، حيث وقفت الولايات المتحدة موقف الدفاع عن «حرية الاجواء المطلقة» ، اي عن حق التحليق فوق اراضي الدول الموقمة اتفاقات دولية ونقل المسافرين والبضائع اليها ، بصرف النظر عن نقاط الانطلاق والوصول ، أمنت شركات الطيران الاميركية اتصالات مباشرة بكافة بلدان العالم الحر .

مشروع مارشال
ان مشروع مارشال الذي اوحته دوافع انسانية والتصميم على الدفاع عن مفهوم معين للحياة تهدده الشيوعية ، قد كان كذلك افضل وسيلة لبسط وتدعيم النفوذ الأميركي في العالم واحدى ادوات توسعها الكبرى . فان هذا المشروع المعد لان يمد البلدان الاوروبية ، عن طريق القروض او الهبات ، بالدولارات الضرورية لانتعاشها الاقتصادي ، قد دخل في حيز التنفيذ في السنة ١٩٤٨ ، بعد انشاء منظمة التعاون الاقتصادي الاوروبية التي ضمت ١٦ دولة غربية . واشترط القانون بعض التدابير « لحماية الاقتصاد الأميركي » : على كل دولة ان تتعهد باستخدام المساعدات الاميركية لتعديل موازنتها وتمكين نفسها ، وللتعاون مع الدول الاخرى الداخلة في المنظمة ، وتسهيل نقل الخامات الضرورية (الكروم ، التونغستين ، الانتيموان ، الخ .) الى الولايات المتحدة . وانخفض استخدام المساعدات لمراقبة دقيقة تتولاها ادارة التعاون الاقتصادي - باشراف بعض رجال الاعمال -

التي حق لها مراقبة الادارة المالية والاقتصادية في الحكومات المستفيدة. وفرض القانون على هذه الاخيرة اتفاقات ثنائية تمكن اميركا من الحصول على الخامات النادرة والستراتيجية التي تنتجها اراضيها الاقليمية والاستعمارية والتي تشجع توظيف الاموال الاميركية الخاصة في هذه الاراضي. ثم برز هذا الطابع المعتدل التجرد حين انصهر مشروع مارشال في المشروع المعروف بـ «مشروع الامن المتبادل» وارتدي بعد السنة ١٩٥٢ طابعاً عسكرياً بصورة خاصة .

اتاح تطبيقه للحكومات الاوروبية إعادة بناء اقتصادها بالوسائل الحرة الكلاسيكية دونما حاجة الى اللجوء الى النظام الموجه والتخطيط اللذين يتعينان على كل اقتصاد متقهقر. فاستطاعت الولايات المتحدة من ثم نشر مبادئها الاقتصادية والسياسية في البلدان التي كاد البؤس وفقدان الامن فيها يتسببان في اثاره اضطرابات اجتماعية ويهددان من ثم مراكز نظام الحكم الرأسمالي بتضييق نطاق ممارسة النظام الحر بانتقال هذه البلدان الى معسكر الشيوعية ؛ واستطاعت كذلك تصريف مخزوناتهما من المحاصيل غير المبيمة وحل مسألتها الزراعية الخطيرة جزئياً . وأفادت اخيراً من تدعيم تفوقها الاقتصادي ، اذ ان القروض والهبات الموفرة للبلدان الاوروبية قد ربطت هذه الاخيرة بالدولة المقرضة .

يضاف الى ذلك من جهة ثانية ان حق رقابة استخدام الاموال الذي أولاها إياه قانون مساعدة الدول الاجنبية ، قد اتاح للسلطات الاميركية الاشراف على المشاريع الصناعية وابداء الرأي في ملاممتها وجانب اهميتها (اقتضى عرهن مشروع مونثيه عليها) ، فتدخلت في اتفاق الاموال العامة وتمكنت من مقاومة انشاء مشاريع قد تعمق مشاريع مواطنيها . ولم تشمل مراقبتها السياسية الاقتصادية فحسب ، بل ميزانيات الدول ، اي سياستها المالية ايضاً ؛ فأتاحت لها من ثم التدخل تدخلاً مستمراً في السياسة العامة للدول المساعدة . ولما كانت المساعدات « قابلة الابطال حين لا تتفق ومصلحة الولايات المتحدة الوطنية » ، فقد كانت منوطة بانقياد الحكومات .

واخيراً ، كانت نتيجة منع تصدير « المواد الاستراتيجية » الى الدول الشرقية اشبه بانعدام العلاقات التجارية بين الشرق والغرب وزيادة ارتباط الغرب اقتصادياً بالولايات المتحدة .

الازمة الزراعية . ان القطاع الزراعي ، وهو موضع الضعف في الاقتصاد الاميركي ، قد استمر في التأخر اكثر فأكثر ؛ فقد تدنى قسطه في الدخل القومي الى ٧,٢٪ في السنة ١٩٥٠ والى ٥,٦٪ في السنة ١٩٥٥ ؛ وفي السنة ١٩٤٧ لم يعمل فيه سوى ١٩٪ من مجموع السكان ، وفي السنة ١٩٦٢ ٧,٧٪ فقط . الا ان الحرب وفترة ما بعد الحرب قد اعطتا الزراعة ازدهاراً حقيقياً . فان الانتاج ، الذي حرّكه طلب داخلي وخارجي متزايد ، قد أدى في الزراعة الى استخدام المزيد من الآلات والاسمدة والمواد المبيدة للحشرات وطرائق تحسين الاصناف . فارتفع عدد آلات كثيرة الى اربعة اضعافه خلال عشر سنوات . ولكن حركة لجميع الاستثمارات ، بالمقابلة ، كانت آخذة بالاتساع ، بحيث ان المزارع الضامسة

أقل من ٤٠ هكتاراً ، التي كانت تمثل ١٣,٥ ٪ من المساحة المزروعة في السنة ١٩٤٠ ، لم تمثل سوى ١١,٤ ٪ منها في السنة ١٩٤٥ وأقل من ١٠ ٪ في السنة ١٩٥٥ ، بينما ارتفع معدل مساحة الاستثمارات من ٧٠,٤ هكتاراً في السنة ١٩٤٠ الى ٨٨ في السنة ١٩٥٤ ، وإلى ١٢٨ في السنة ١٩٩٤ . وهبط عدد الاستثمارات الزراعية من ٥٨٩٥.٠٠٠ في السنة ١٩٤٥ الى ٣٤٧٤.٠٠٠ في السنة ١٩٦٤ . وقد انتج زهاء ٨٠ ٪ من كافة المحاصيل الزراعية ٣٣,٧ بالمائة من المزارعين ، بينما لم ينتج الثلثان الآخران سوى ٢٠,٥ بالمائة . وإذا ما تطلعتنا في ملكية الأرض ، لتبين لنا ان ٧٣ بالمائة من المزارعين كانوا ملاكين في السنة ١٩٥٠ مقابل ٦١ بالمائة في السنة ١٩٤٠ ، ولكن ١,٩ بالمائة من بينهم يملكون أكثر من ٤٠ بالمائة من الأرض الصالحة للزراعة ، و ١٣ بالمائة يملكون ٦٥ بالمائة ، بينما لا يستثمر ٦٩ بالمائة من بينهم سوى ١٧,٨ بالمائة . وإنما قامت في الجنوب والجنوب الشرقي بصورة خاصة الاستثمارات الصغرى الحفيرة حيث اقتصرت المزرعة على حكوخ خشبي بسيط ، والقوة المحركة على بغلة واحدة ، بينما قامت في الغرب الاملاك الكبرى المصنعة ، « المصانع الريفية » ، حيث يدفع استخدام المزيد من الآلات الى تجميع الاملاك لانه لا يعطي إنتاجاً كبيراً الا في الاستثمارات الكبرى . فمقابل ذلك في تقهر المزارع التي لم يبلغ رقم مبيعاتها السنوية ٢٥٠٠ دولار . وكانت النتيجة ان الثورة التقنية التي بدأت منذ السنة ١٩٣٠ ، وتحسين طرائق الاقتراض ، والتمويل والتجارة ، أدت الى رأسمالية زراعية جديدة وقوية ، محكوم عليها بتوسع مستمر ، لا يفيد منها سوى عدد مطرد الانحصار من الافراد والمشاريع ، (ج. غومن) . ومنذ السنة ١٩٦٤ ، أنتج ٣ بالمائة من المزارعين ثلث قيمة كافة الانتاج الزراعي المعد للتجارة .

استمر الانتاج من ثم في الارتفاع ، ولكن على الرغم من ازدياد الاستهلاك الداخلي والصادرات ، ازدادت مخزونات الحبوب كل سنة ، فبلغت ١٥ مليون طن في السنة ١٩٥٢ ، و ٢٤ في السنة ١٩٥٣ ، و ٣٨ في السنة ١٩٦١ ، فأصبح الوضع عسيراً لاث المخزونات العالمية الفائضة عن الحاجة تتكدس سنة بعد سنة .

بغية معالجة هذه الازمة العميقة ، الناجمة عن تضخم الانتاج ، فكر بعضهم بتحسين التغذية القومية . وهذا ما استهدفه مشروع قانون « ايكن » في السنة ١٩٤٨ ، الذي اقترح ان تؤمن لكل مواطن حصة سنوية اساسية تضمن « الصحة الكاملة » ، وان ينظم كذلك التصدير الى مئات الملايين من سكان الكرة الارضية الذين تعنى بهم منظمة التغذية (فاو) . ولكن مشروع قانون ايكن قد رُفض في السنة ١٩٤٩ ، وكان التصدير المجاني عرضياً وغير ذي اهمية . فبعد من الازمة الزراعية بتدخل مستمر من قبل الدولة التي اعتمدت سياسة مساندة الاسعار (٧ مليارات دولار في السنة ١٩٥٥) : قروض ، شراء الفائض ، تعويضات عن تخفيض مساحات زراعة الحبوب ، التي لم يفد منها سوى كبار المزارعين ومتوسطيهم . ومنذ السنة ١٩٥٠ انخفضت الدخول الزراعية انخفاضاً مطرداً منتظماً . فبلغت في السنة ١٩٥٥ ادنى مستواها

منذ السنة ١٩٤٢ ، بالرغم من ان الانتاج قد بلغ رقماً قياسياً ، وهبطت قوتها الشرائية بنسبة ٣٤ ٪ منذ السنة ١٩٤٨ .

يتضح من ثم ان تدخل الدولة كان مستمراً في كافة الحقول . وعلى تدخل الدولة المتزايد
الرغم من ارتفاع الاسعار خلال الحرب وسمولة تحويل المصانع العسكرية
حالت ذكرى الازمة الكبرى دون العودة الى النظام الحر القديم . وقد اعرب « قانون
الاستخدام » الصادر في السنة ١٩٤٦ عن شاغل الاطمئنان الذي سيطر على كافة الافكار : كل
حكومة ملزمة ببعض الواجبات حيال المواطنين . عليها ممارسة صلاحياتها للابقاء على حد
اقصى من الاستخدام والانتاج والقوة الشرائية . فدولة النظام الحر خلال العشرينيات قد دخلت
التاريخ ، ونحن اليوم امام « نظام اقتصادي يرتكز الى مبدأ الحرية ، ولكنه لا يستقيم ولا يتسع
ولا يقوم عيوبه الا بالافادة من نظام تدخل قوي » (د . فوشيه) . لقد تعود المتمهدون
والنقابات العمالية الاعتماد على الدولة ، على غرار المزارعين الذين ما كانوا ليستطيعوا العيش بدون
مساعدتها . وقد رفضوا كلهم نظاماً موحداً يكون بمثابة تخطيط ملزم ويحرم المتمهد من حق
التقرير ، ولكنهم طالبوا جميعهم بتدخل يسهل التسليم به . ان الادارات الاقتصادية في الدولة
خالباً ما تكون مسندة الى صناعيين وصيارفة مقتنعين بان صوالح الاعمال وصوالح الامة تتطابق
مطابقة تامة (« ان ما هو صالح لـ « جنرال موتورز صالح لاميركا ») . يضاف الى ذلك ان
هناك بداية تخطيط اعلامي : فقد ضمت معظم المشاريع الكبرى دوائر تخطيط معدة في الدرجة
الاولى لدور اعلامي . اما تخطيط السياسة الاقتصادية فقد تحقق في « التقرير الاقتصادي »
السنوي الذي يضعه الرئيس ويوضح الاهداف التي يفرضها اتفاق الظروف (الاستخدام ، نسبة
الزيادة ، الاسعار ، ميزان المدفوعات ...) والتي اضيفت اليها ، في وقت متأخر ، اهداف
يفرضها نظام الدولة وتتعلق بالصحة والتربية الوطنية .

ان هذا الدور تقوم به الدولة في الحياة الاقتصادية ليس الدور الوحيد الذي رآته يتم اظام
ويتسع . فان ميزانية الدولة الاتحادية التي بلغت ٣ مليارات دولار في السنة ١٩٢٩ قد ارتفعت
الى ٤٢ ملياراً في السنة ١٩٤٨ حين اخذت موازنة السلم العسكرية تتزايد تزايداً فقط ، كما ان
نفقات الاتحاد العامة التي مثلت ٩٠٩ بالمائة من الدخل القومي في السنة ١٩٢٩ ، قد مثلت
٢٥٠٨ بالمائة في السنة ١٩٥٥ . وانشئت ونظمت نهائياً في السنة ١٩٤٩ هيئة موظفين ينعمون
بنظام خاص . وفي هذا التاريخ ارتفع عدد الموظفين الاتحاديين من ٥٧٠ . ٠٠٠ في السنة ١٩٢٩
الى اكثر من مليونين ، وجاوز مجموع العاملين في مصالح الخدمة العامة الستة ملايين . وكان
لدى الدولة احتياطي مدني وعسكري من الممتلكات المنقولة يساوي اكثر من ٢٧ ملياراً
ويشتمل على مليون وسيلة نقل واكثر من ١٠٠ مشروع صناعي وتجاري . فألفت « اوسع
مشروع مستقل في العالم » بحسب تعبير لجنة « هوفر » .

فلا عجب ، والحالة هذه ، اذا ما زادت سرعة التطور الذي سبقت الاشارة اليه والذي

اتجه اكثر فاكثر الى احلال العمل الاتحادي محل العمل المحلي ، واذا مسح « نظام المحادي جديد » ، يحول الولايات الاعضاء الى وحلاء تنفيذ سياسة الاتحاد ، محل النظام الاتحادي التقليدي . وقد تأيدت السلطة الاتحادية نهائياً منذ ان ابطال التفسير الثنائي للتعديل العاشر الذي سبق وغيره قرار المحكمة العليا في السنة ١٩٣٧ . وكان ان هذه الاخيرة ، التي غالباً ما تعدت صلاحياتها الاساسية للوقوف في وجه الكونغرس ، لم تعد منذئذ سوى محكمة تنحصر مهمتها في تأويل القوانين وابداء الرأي في مطابقتها للدستور .

امام هذا الطغيان ، اكتفى مجلس الكونغرس بالتصويت على القوانين - الاطر ، بما افضى الى تعزيز السلطة الرئاسية المطلقة التي لم يتوفق لاحق مجلس الشيوخ بالنقض ولا الرقابة اليقظي الحد منها كما من قبل . ومن اجل مقاومة اتساع صلاحيات الرئيس هذه « ودكتاتورية » ف.د. روزفلت الذي اعيد انتخابه في السنة ١٩٤٤ للمرة الرابعة ، اقر في السنة ١٩٤٧ التعديل الذي حظر اعادة الانتخاب للمرة الثالثة والذي اصبح ساري المفعول في السنة ١٩٥١ .

كانت نتيجة الازدهار العام ، على الرغم من تأخر الانتاج في نظام المجتمع :
السنة ١٩٤٩ ، والسنتين ١٩٥٣ و ١٩٥٤ ، والقوانين الاجتماعية
ضمن الطبقة العمالية
الموروثة عن « النهج الجديد » ، ابقاء القوة الشرائية في مستوى
على بعض الارتفاع . الا ان التفاوت الاجتماعي ما زال كبيراً جداً ، اذا ما اخذنا بعين الاعتبار
ارتفاع الاسعار وارتفاع مستوى المعيشة الذي جعل دخل الـ ٣٠٠٠ دولار في السنة ١٩٥٨
مجاوراً للفقر . فان نسبة الدخل المثوية التي لم تبلغ ٢٠٠٠ دولار والتي كانت ٦٤ بالمائة في
السنة ١٩٤١ قد هبطت في السنة ١٩٤٨ الى ٢٦ و ٥ بالمائة ، والى ١٤ و ٩ بالمائة في السنة ١٩٥٧ .
اما الدخل التي تجاوزت ٥٠٠٠ دولار ، والتي لم يحصلها سوى ٤ بالمائة من السكان في السنة
١٩٤١ ، فقد حصلها ٢٦ و ٥ بالمائة منهم في السنة ١٩٤٨ و ٣٤ بالمائة في السنة ١٩٥٤ (٤٤ بالمائة
من مجموع الدخل) . فيتضح من ثم ان عدد الفقراء الذين يحصلون اقل من ٢٠٠٠ دولار قدنى كثيراً ،
ولكن ارتفاع كلفة المعيشة قد ثقلت وطأته عليهم . فان ١/٥ السكان قد عاشوا عند حدود
الفقر ، وبقي عدد الاغنياء ضئيلاً نسبياً ؛ وما زال التفاوت كبيراً جداً في مستويات المعيشة ،
على الرغم من تضائله منذ ١٥ سنة ، لا سيما وان معظم الدخل المتوسطة والمرتفعة هي دخول
العائلات التي ما كانت لتبلغ هذا المجموع لولا عمل عدد من اعضائها (الـ ٢/٣) . وان
الـ ٦٥ ٠٠ ٠٠٠ شخص الذين امتلكوا اسهم الشركات المغفلة مثلوا اقل من ٧٪ من مجموع السكان
البالغين وتقاضى ربعهم اكثر من ١٠ ٠٠٠ دولار وحصل ١ بالمائة منهم ٤٢ بالمائة من مجموع
الربائح . وديبدو ٢ و ٥ - ٣ و ٥ بالمائة من الاميركيين ، كحد اقصى ، تقاسموا الفوائد المالية التي
وفرتها الاعمال الكبرى ، (و. رايت ملز) . زد على ذلك ان تفاوت الدخل الظاهرة قد
ازداد بفعل شتى اشكال المكافآت غير الخاضعة للضرائب او الخاضعة لرسوم ادنى من رسوم
الدخل ، ولا سيما بفعل قوائم النفقات التي يتقدم بها مسؤولو الادارات ، والفوائد العينية

(سيارات المشروع ، الاجازات المدفوعة ، الرحلات ، محطات الاستحمام ، الاشتراك في النوادي الخاصة ، شراء البنزين بموجب بطاقات) ، التي يجب ان يضاف اليها طريقة التمويل الذاتي ، التي انقضت ، ولا ريب في ذلك ، الربائح المدفوعة الخاضعة للضريبة ، ولكنها اتاحت توزيع الاسهم المعفاة منها ، بصرف النظر عن التهرب من الضرائب « الذي سهله تعقيد غريب في التشريع ومهارة خبراء الجباية » .

كانت نتيجة كل ذلك مجتمعاً يختلف كل الاختلاف عن مجتمع اوروبا بنظامه وايدولوجيته ؛ فقد بدت القوى النقابية وكأنها تتمتع بقدرة عظيمة ، وضمت اعداداً كبرى ارتفعت من قرابة ٩ ملايين عضو الى قرابة ١٥ مليوناً . اما في الواقع فانها لم تضم سوى ٢٥ ٪ من العمال وكانت اعجز من ان تعادل خصومها . اجل لقد نظمت الاضرابات وفازت احياناً برفع الاجور الذي اعاد الاجور الحقيقية بعد ان كاد ارتفاع الاسعار يفقدها قيمتها ، ولكن تدخلاتها في الحياة السياسية كانت متفاوتة الفعالية : ففي السنة ١٩٤٨ اوعزت النقابات بالتصويت للرئيس ترومان ؛ اما في السنة ١٩٥٢ فلم توّزع بانتخاب المرشح الديموقراطي ، ولكنها بالمقابلة قامت بدور حاسم في فوز الرئيس كينيدي في السنة ١٩٦٠ . ويرد ذلك الى ان الحركة النقابية في هذه البلاد ، التي ليس فيها لا حزب اشتراكي (٨٠.٠٠٠ صوت في انتخابات السنة ١٩٤٤ ، اي ١٢٥.٠٠٠ بالمائة من المقترعين) ولا حزب شيوعي ، بقيت منقسمة بين الاتحادين لم ينصهرا في اتحاد واحد الا في السنة ١٩٥٥ وبين النقابات المستقلة ؛ انها « حركة نقابية مصلحية » يديرها موظفون نقابيون يتقاضون اجوراً مرتفعة تشبعوا من مبادئ الحرية ويقوا اوفياء لأحلام المهاجرين الاول الذين اعتبروا الارتقاء الاجتماعي شأناً فردياً ؛ اعتبروا صوالح التجارة والعمل متكاملة واعتبروا التعاون بينهما ضرورياً ؛ فلم يحاولوا سوى تحقيق فوائد جزئية خاصة وبلوغ اهداف قصيرة الاجل ، بل نفروا من مبدأ الصراع الطبقي .

على ان في الولايات المتحدة طبقات ، ولكن الوعي الطبقي نادر الوجود . فان ازدهار البلاد العام ، ونظام التقاعد ، والتأمين على الحياة الذي افاد منه اكثر من نصف الاجراء ، والتأمين ضد البطالة ، والاجازات المدفوعة ، وتحديد مدة العمل الاسبوعي بقرابة اربعين ساعة ، وقيام الاتفاقات الجماعية التي أمنت ، في العديد من المشاريع ، ضد المرض ، وحوادث العمل ، والعمليات الجراحية ، وتوفير المتاجر التعاونية ، ودور التوليد ، والمكتبات ، والمدارس احياناً ، وإقدام شرطي فورد وجنرال موتورز على تعيين اجر سنوي ادنى مضمون - وكان من شأن مثلها هذا ان امتد الى مؤسسات اخرى - ، وارتفاع الاجور الذي غالباً ما عقب ارتفاع كلفة المعيشة ، واخيراً بعض التجانس في اشكال الحياة والملبس ، وفقـدان وسائل التعبير الخاصة بالطبقة العمالية ، كل ذلك قد اسهم في خلق مناخ غير ملائم لنشوء الصراع الطبقي . ويجب ان يؤخذ بعين الاعتبار كذلك التطور الذي حدث في المجتمع الاميركي بفعل ارتفاع عدد المنتمين الى « الطبقة المتوسطة » . فان طبقة صغار اصحاب المشاريع المستقلين في حياتهم والعمالين

لحسابهم ، ولا سيما فئة اصحاب المشاريع الريفيين المستقلين ، قد هبطت أعداداً امام توسع حركة جميع المشاريع ؛ وبالمقابلة احرز القطاعان الثاني (٢٦ بالمائة في السنة ١٩٥٠) والثالث (٥٧ بالمائة في السنة ١٩٥٣ مقابل ٤٠ في السنة ١٩٢٠) نجاحاً وتقدماً كبيرين . كما ان عدد المستخدمين ، والعمال الاختصاصيين واعضاء المهن الحرة ، كان آخذاً في الارتفاع بينما كان عدد العمال غير الاختصاصيين آخذاً في التدنّي . اجل لقد كان العديد من « ربط العنق البيضاء » اجراء ولم يفضل مستوى معيشتهم مستوى معيشة العمال ، وغالباً ما كان عملهم ، بفعل استخدام الآلات ، شبيهاً بعمل عمال المصانع ، ولكن هذه العناصر المتزايد عددها يوماً بعد يوم قد ألفت ما يشبه بورجوازية صغيرة تحرص على اعتبار نفسها متميزة عن الطبقة العمالية بذهنيتهما ونوع معيشتها . لذلك فان شطراً كبيراً من البروليتاريا قد ارتبطت شخصياً بالطبقات المتوسطة ولم تصطبغ بأية صبغة من الذهنية البروليتارية ، بينما خفف ارتفاع مستوى المعيشة من حدة العداء لأصحاب الامتيازات .

على ان تصلباً لا يمكن انكاره قد حدث في موقف الطبقات الاجتماعية . فان سهولة الانتقال من طبقة الى أخرى ، التي كانت كبيرة نسبياً في اوائل القرن ، والتي اتاحت الامكانات المتشابهة بفضلها ارتفاعات كثيرة وسريعة ، قد تضاعفت تضاعفاً كبيراً . كما ان الدرجات الوسيطة قد تكاثرت بينما تضاعفت امكانات الوصول الى المراكز القيادية . فقد احتل المزيد من الوظائف العليا في الصناعة ائس متخرجون من معاهد مهنية او معاهد هندسة او جامعات . وانتمى نصف ارباب الصناعة الى الطبقة العليا . وبلغت النسبة بين رجال السياسة اكثر من الثلث ، وبات انتقال الوظائف بالوراثة امراً كثيراً الوقوع يوماً بعد يوم (٥٧ بالمائة بين ارباب الصناعة ، مع العلم ان هذه النسبة اكثر ارتفاعاً في المهن الحرة) ، والارتفاع العمودي ابطأ منه في ما مضى ، والمحصرات التخييرية الوظيفية في الانتقال من الدرجة الدنيا الى الدرجة العليا . ووفر الصناعيون وارباب المهن الحرة ، الذين الفوا ١٠ بالمائة من السكان ، ٧٠ بالمائة من رؤساء المشاريع . فتتضح من ثم النزعة الى تأليف طبقات مغلقة شبيهة بها في اوروبا ، على الرغم من ان الثروة ما زالت هنا ، اكثر من اوروبا ، الطابع المميز للطبقة .

كان هناك من ثم اميركا محجوبة ، « اميركا الاخرى » ، التي وصفها اميركا الاخرى « ميكائيل هارنغتون » ، والتي تمثل بين ٢٠ و ٢٥ بالمائة من السكان تقريباً . ان اميركا غير المنظورة هذه هي اميركا الفقراء الذين « لا وجه ولا صوت لهم » ، ولا ينتسبون الى اية نقابة او جمعية اخوية ، وليس لهم اية « كتلة » تدافع عنهم ، ويتجاهلهم رجال السياسة ، ويتضورون جوعاً ، ويفتقرون الى مساكن لائقة (١٢ مليون مسكن من اصل ٥٥ مليوناً اعتبرت في السنة ١٩٥٦ غير صالحة للسكنى) ، ويعيشون دون مستوى المعيشة العادي . لقد تألف هذا « العالم السفلي » من العمال الاتفاقيين ، والعمال غير الاختصاصيين ، ومهاجري الزراعة الفصلين ، و « المزارعين » ، الكثيرين الذين يعيشون حياة بائسة في استثمارات ضيقة جداً او ينزحون الى

المدن (١ ٥٠٠ ٠٠٠ غادروا مزارعهم في الابلش خلال ١٠ سنوات) ، وعمال بعض المناطق المتأخرة ، (عمال المناجم في الشمال الغربي الباسيفيكي ، وفرجينيا الغربية ، وملتوتا) ، والطاعنين في السن المضطرين للاكتفاء بمساعدة المحادية حددت ، منذ السنة ١٩٥٩ ، بـ ٧٠ دولاراً في الشهر بعد سن الـ ٦٥ ، وبعض الاقليات العنصرية : البورتوريكيين ، والمكسيكيين ، والزنوج بصورة خاصة . فقد تعاطى هؤلاء الاعمال الدونية واكثر المهن قذارة واقلها دخلاً ، وعاشوا في احياء مغلقة شبيهة بالاحياء اليهودية القديمة (في هارلم) بلغت نسبة الوفيات بين الاطفال ٤٥,٣ بالمائة في السنة ١٩٥٩ ، بينما لم تبلغ ١٥,٤ بالمائة في اواخر احياء البيض) . فهم من يعانون من البطالة قبل غيرهم واكثر من غيرهم ، لانهم اول من يسرحون في ظروف الازمات .

نجحت هذه البطالة عن التقدم التقني ولم تنخفض منذئذ الى اقل من ٤,٣ بالمائة (رقم السنة ١٩٥٤ الذي بات عادياً) . وفي السنة ١٩٥٨ بلغت ٥,١ بالمائة (رقم التأخر الاقتصادي في السنة ١٩٤٩) ، وفي السنة ١٩٦١ ، ٧ بالمائة . وفي اواخر السنة ١٩٦٥ انخفضت الى ٤,٤ بالمائة من مجموع اليد العاملة . فلم يحل « المجتمع الميسور » من ثم مسألة اشباع الحاجات الضرورية الاولى لمجموع المواطنين .

وهكذا تألفت طبقة موجهة ضئيلة العدد سيطرت على الحياة الاقتصادية وقامت منذ نصف قرن بدور متزايد الهمية في التطور المحافظ المتزايد

ادارة البلاد السياسية . فكما قدمت الدليل على ذلك مؤلفات « و. رايت ملز » (النخبة المسيطرة) ، المحذر اوفر الاميركيين ثروة (اولئك الذين يملكون اكثر من ٣٠ مليون دولار) ، بنسبة متزايدة ، من الطبقات العليا : ٦٨ ٪ في جيل السنة ١٩٥٠ ، مقابل ٥٦ ٪ في جيل السنة ١٩٢٥ و ٣٩ ٪ في جيل السنة ١٩٠٠ . وحدث الشيء نفسه في وظائف الحكومة الاتحادية الهامة : فبين الشخصيات الـ ٥١٣ التي شغلتها منذ السنة ١٧٨٩ حتى السنة ١٩٥٣ ، لاحظ ملز ان ٦٠ بالمائة المحذروا من اوفر عائلات البلاد ثروة (وهي تمثل بين ٥ و ٦ بالمائة من عدد السكان) وان ٥ بالمائة فقط المحذروا من عائلات العمال وصغار التجار والفلاحين المتواضعين . وقد تكامل امتزاج ادارة الاعمال بالادارة الحكومية تكاملاً متزايداً . ومع عودة الجمهوريين الى الحكم في السنة ١٩٥٢ تألف اكثر من نصف موظفي الادارة الاخيرة من رجال جاؤوا مباشرة من الاوساط المرتبطة شخصياً ومالياً بالاعمال الكبرى واختيروا بالتعيين لا بالانتخاب ولم يسبق لهم قط ان تعاطوا السياسة . لقد اصبحت الدولة والاقتصاد ، اكثر من اي وقت مضى ، في ايدي الطبقة نفسها .

فلا عجب والحالة هذه اذا ما تعززت النزعتان الانتهازية والحفاظة واذا ما املت روح « النهج الجديد » او حوربت . فان المعارضة العنيدة التي صادفها ف.د. روزفلت وبعض مستشاريه لدى بعض الصوالح الكبرى والقوى المحافظة ، قد استمادت كل قوتها بعد موت

الرئيس . وتشهد المؤلفات الادبية على زوال حظوة هذه « اليسارية » التي احرزت ذاك النجاح العظيم في الثلاثينيات ؛ وهي تعكس تشوش الرأي العام امام زعزعة النظم التقليدية ؛ فحتى في الاوساط الجامعية والفكرية برزت حركة مناهضة للتقدمية عمت الرأي المضاد للمساواة الذي قال به ادباء ومؤرخون من امثال « ت.س. اليوت » و « ارنولد توينبي » ، ودلت على حنين الى حقيقة ثابتة وشغف بما هو مخالف للصواب اذاعتها كافة وسائل التعبير : السينما ، والراديو ، والتلفزة ، والصحافة طبعاً . فنجم عن ذلك ازدياد حقيقي بالقيم الفكرية في حقل التعليم ، وحذر عميق من كل روح نقدية ورفض البحث في الآراء المقبولة . وهكذا تمادى تأثير جوهريبي القرن التاسع عشر ، واولئك الذين ايدوا في العشرينيات عدااء الـ « كوكلوكس كلان » لليهود والكاثوليك وتحريم تعليم فلسفة التطور ، واولئك الذين قاوموا النهج الجديد الذي سار عليه ف.د. روزفلت بعد السنة ١٩٣٠ ثم اصبحوا انصاراً نشاطاً للفاشية و « مطاردة الساحرات » ، قبل ان يصوتوا لمصلحة « ب. غولدووتر » ويؤيدوا نشاط « جمعية جوت بيرتش » . وهكذا وجد جو عزز الانتهازية كما ابان ذلك دافيد ريسمن (الجمهور المهمل) ، واحترام السلطات الاجتماعية ، والروح القومية ، والاعتقاد بان الطريقة الاميركية في الحياة اعلى شكل حضاري وبأن الذين يتجادلون فيها يكونون « غير اميركيين » اي خونة بالحق يجب على قوى الامن مراقبتهم .

على الصعيد الداخلي ، كانت الغلبة لسياسة ثورة اجتماعية : انه انتقام ارباب الاعمال من التشريع الاجتماعي الـ روزفلتي الذي اقره قانون « فاغنر » في السنة ١٩٣٥ ؛ فالفي هذا القانون بمشروع قانون « مارتلي - تافت » الذي حدد من ممارسة حق الاضراب في النشاطات القومية الصالح واعطى الرئيس حق تحريمه في الصناعات الرئيسية . ومن ظواهر هذه الحالة النفسية ، في السنة ١٩٥٢ ، اقرار قانون الهجرة (قانون ماك كارن - وولتر) الذي ادخل المزيد من الصعوبات على قوانين الهجرة السابقة ، اي على هجرة سكان اوروبا الشرقية والجنوبية . ولكن السلطات الاتحادية بذلت مجهوداً يهدف الى تحسين وضع الزوج - الذين يملغ عددهم ١٧ ٣٠٠ ٠٠٠ في السنة ١٩٥٧ - كما يدل على ذلك قرار المحكمة العليا في ١٧ ايار ١٩٥٤ الذي جعل قبول الزوج الزامياً في كافة المدارس ، ولكنه اصطدم بمقاومة ضارية وظافرة عملياً ابداهها السكان البيض في الولايات الجنوبية (قضية « لتل روك ») . بيد ان الزوج خرجوا من سلبيتهم ولجأوا الى المظاهرات السلمية والعصيان المدني بغية الفوز بالمساواة الممنوعة عنهم - بالرغم من ورودها في التعديل الرابع عشر للدستور - ووضع حد للتمييز العنصري في المؤسسات ووسائل النقل العامة ، والمدارس والجامعات ، والاحياء المقفلة التي يعيشون فيها . وتوصل عناد الرئيس كنيدي وجونسون الى اقرار قانون وفر لهم ضمانات هامة لاحترام حقوقهم المدنية (اب ١٩٦٥) ، ولكنه اثار موجة جديدة من اعمال العنف والتقتيل التي استهدفت القائلين بالغاء التمييز ، وعمل في الوقت نفسه صبر الزوج . ثم تخلى عن سياسة اللاعنف حين بدا انها

انتهت الى الفشل ؛ فبرزت حركة « الزنوج المسلمين » الذين قاموا بهجوم معاكس متنصلين كلياً من الثقافة الغربية اليهودية - المسيحية . وكان لهذه الحركة ، بالرغم من قلة عدد الناهضين بها ، جاذب قوي على الجماهير السوداء التي تخلت اكثر فاكثر عن انقيادها كما تشهد بذلك انفجارات الهيجان الخربة والدامية في ديترويت (١٩٤٣) و هارلم ولوس انجلوس في تموز ١٩٦٤ وآب ١٩٦٥ .

الحياة السياسية
يضاف الى ذلك ان نطاق المجادلات السياسية اصبح اكثر انحصاراً يوماً بعد يوم . فان تدخل الدولة ، وتوجيهها للحياة الاقتصادية ، ودور النقابات ، والتدابير المتخذة لتوطيد الدخول الزراعي ، اي كافة الاستحداث التي اعتبرت ثورية في زمن النهج الجديد ، لم تكن لتثير منازعة جدية من قبل الجمهوريين منذ ان استمالوا اليهم شطراً من الطبقات المتوسطة والعمالية المتخلقة بالاخلاق البورجوازية ، و شطراً من الزنوج ايضاً . اما الحزب الديموقراطي فلم يتقدم من المنتخبين ، منذ فشله ، بأية فكرة جديدة حقاً . فكانت المسائل التي تناولتها المناقشات مسائل ظرفية : التعريفات الجمركية ، تأثير التجارة الكبرى ، مناهج السياسة الخارجية ؛ فكانت النتيجة إعادة انتخاب الرئيس ايزنهاور في السنة ١٩٥٦ بـ ٥٧,٢٨٪ من الأصوات ، بينما هو لم يفز الا بـ ٥٥,٤٪ منها في السنة ١٩٥٢ .

بيد ان فوز كنيدي باكثرية ضئيلة في السنة ١٩٦٠ بدا وكأنه احدث تغييراً في حياة البلاد السياسية . فان الآمال التي بعثها اسلوب ادارته الجديد ، وتأليف وزارته التي ضمت - كما في عهد روزفلت - عدداً كبيراً من رجال الفكر واساتذة الجامعات ، وبرنامج « الحدود الجديدة » الذي انطوى على اصلاحات عميقة بغية ازالة بؤس « اميركا الاخرى » ، والحزم الذي اعتمده الرئيس في مقاومة ملوك الفولاذ والقائلين بالتمييز العنصري في الجنوب رغبة منه في الدفاع عن الزنوج ، قد زالت كلها بزواله . واذا استفاد خليفته ج. لندون جونسون من اكثرية استثنائية تشهد بوجود تيار حرية قوي بمثابة ردة فعل للتيار الفاشستي الطابع الذي تزعمه منافسه « باري غولدووتر » ، فانه قد عاد الى انتهاج سياسة محافظة في الداخل (باستثناء ما يتعلق بحقوق الزنوج) وسياسة تدخل في الخارج تعيد الى الذاكرة عهد « القضيبي الطويل » .

فهل كان تجديد الحياة السياسية امراً ممكناً يا ترى ؟ ان النظام الانتخابي الذي يشوه التعبير عن الرأي ، والمؤسسات نفسها قد ساعدت بقوة على الجمود . فان عدد « كبار الناخبين » ، لا يطابق ، عند انتخاب الرئيس ، عدد الاصوات المجموعة : في السنة ١٩٣٦ جمع روزفلت ٩٨٪ من المقتربين بـ ٦٢٪ من الاصوات . وفي السنة ١٩٦٠ فاز جون كنيدي على منافسه بـ ٥٠,١ فقط من المقتربين ، باكثرية ٨٤ صوتاً من اصوات كبار الناخبين . وفي السنة ١٩٦٤ ، فاز « ج. لندون جونسون » ، باكثر من ٦٠٪ من المقتربين ، بـ ٤٨٦ صوتاً من كبار المنتخبين مقابل ٥٢ صوتاً لمنافسه . وساد انتخاب اعضاء المجالس التشريعية وانتخاب الممثلين كذلك

تباين كبير جداً: فان الاصول المحددة في السنة ١٩٢٩ تعيد آلياً توزيع المقاعد في مجلس الممثلين على الولايات بدالة التغييرات الديموغرافية الطارئة في الاحصاءات العشرية ، ولكن تقسيم الدوائر في كل ولاية - وهو من اختصاص السلطة المحلية دون غيرها - متباين جداً وموآت - كما في اوروبا - للمناطق الريفية التي لا تقيم فيها سوى اقلية ضئيلة جداً ؛ وهكذا فان المناطق الآخذة بالاستيحاء تتمتع بنفوذ كبير جداً بالنسبة للمناطق الآهلة بالسكان (في كونكتكت نجد دائرة صغرى تضم ١٩١ شخصاً ودائرة كبرى تضم ٨١٠٠٠) . وقد استتبعت تساوي عدد الشيوخ بين الولايات ، بصرف النظر عن عدد سكانها ، رجحان كفة اقل الولايات سكاناً في مجلس الشيوخ ؛ فان آلاسكا التي لا يمثلها سوى نائب واحد تتمثل بشيخين على غرار ولاية نيفادا التي يبلغ سكانها ٢٨٥٠٠٠ نسمة ، وولاية نيويورك التي تضم ١٧ مليوناً . وفي مجلس الشيوخ كما في مجلس النواب تقوم بالدور الأساسي اللجان الدائمة حيث يقضي العرف بان يكون الرئيس ، الذي يتمتع بصلاحيات شبه مطلقة ، لا منتخباً من قبل زملائه ، بل اقدم عضو بين اعضاء اللجنة . فهو من ثم ممتنع العزل عملياً ومستقل عن الذين يحدد انتخابهم بين دورة واخرى ، ويحتل المراكز الشاغرة زعماء الاحزاب . فنحن من ثم امام حكم شيوخ يمارسون نفوذاً راجحاً لانهم احرار في تعجيل المناقشات أو تأخيرها الى ما لا نهاية له . واذا ما اضعفنا الى ذلك ان النفقات الانتخابية باهظة وتجاوز مليون دولار لمجلس الشيوخ ، لاتضحت لنا الفائدة الكبرى التي يمكن ان تجنيها من هذا الوضع الفئآت النافذة التي باتت مؤسسات رسمية والتي تدافع بكافة الوسائل (الحملة الصحفية ، الافلام ، الاذاعة ، وحتى الرشوة) عن مصالح الدول الاجنبية (كتلة الصين الوطنية ، كتلة تشومي) ، ومصالح التكتلات الاقتصادية (كتلة السكر) .

وأثر التأثير نفسه نفوذ آخر حذر الرئيس ايزنهاور مواطنيه منه في خطابه الوداعي الذي القاه في كانون الثاني ١٩٦١ : « في مجالسنا الحكومية يجب ان نحترز من النفوذ الكبير جداً الذي يتمتع به العسكريون والصناعيون ... فيجب الان سمح البتة لهذه القوة المزدوجة ان تمس حرياتنا الديموقراطية » . وجلي ان هذه الكلمات تشدد على المكانة الكبرى التي يحتلها الجيش اليوم في بلاد لم يكن لها قبل السنة ١٩١٧ سوى نواة جيش لا اهمية لها . فان الحرب الباردة ، وفقدان الاستقرار العالمي ، والدور النافذ الذي تقوم به الولايات المتحدة منذ السنة ١٩٤٥ ، وتدخلاتها الكثيرة في « العالم الحر » ، وقواعدها البحرية والجوية وبعثاتها العسكرية الموزعة على كافة القارات ، ودورها البوليسي في مقاومة الشيوعية او ما يعتبر شيوعياً ، والسباق الى التسلح النووي ، والدفاع عن المصالح الاقتصادية حيثما بدت مهددة بخطر الاصلاحات الاجتماعية ، كل ذلك يفسر اهمية الجيش الذي يخصّ بميزانية ضخمة يغذي قسم منها دعاوة فاشطة جداً ومتعددة الاشكال غالباً ما ترتدي طابع التخويف والوطنية المتطرفة .

يضاف الى ذلك اخيراً ان اهمية طلبيات الدولة في حياة المؤسسات الصناعية ، التي يعمل معظمها للدفاع الوطني ، تحمل هذه المؤسسات على التأثير على الادارة واقامة العلاقات بالسلطة العسكرية من اجل الحصول على الطلبيات ، خصوصاً بواسطة العديد من كبار الضباط والقادة

المتقاعدين الداخلين في خدمتها ، وعلى تغذية الحملات التي تظهر اميركا وكأنها مهددة بخطر التخريب ، ومن ثم تغذية الروح الوطنية والوطنية المتطرفة وذهنية المحافظة السياسية .

هدد هذا الاستقرار الخطر الناجم في تموز ١٩٥٧ عن ظهور
الهبوط الاقتصادي الاخير
ازمة اقتصادية جديدة ، هي الثالثة وخطر ازمة منذ السنة
والتوسع الجديد
١٩٤٥. فان التوسع الذي اتاح منذ السنة ١٩٥٣ ارتفاعاً متواصلاً
في الدخل القومي والاموال الموظفة ، ومن ثم في الطاقة الصناعية ، قد أفسح المكان حينذاك
لركود واضح المعالم جداً عقبه تأخر بارز منذ تشرين الاول : فلم يبلغ ارتفاع الاستهلاك القومي
سوى ١ بالمائة ، وهو رقم لا يوازي الحاجات الناجمة عن التزايد السنوي (الذي يبلغ ٢٧٠٠ ٠٠٠
شخص) في عدد السكان ، وتدنّت ارباح الشركات بنسبة ٣ - ٤ بالمائة عنها في السنة ١٩٥٦ ،
وانخفضت مبيعات المخازن الكبرى ، وتكدست المخزونات ، وانخفض معدل الانتاج الصناعي
بنسبة ٩ بالمائة في كانون الثاني ١٩٥٨ عنه في كانون الثاني ١٩٥٧ ، وتواصل الغاء الاستثمارات
الزراعية الهامشية ، واستمر عدد المزارع في التبدل ؛ واخيراً ارتفع عدد البطالين في نيسان
١٩٥٨ الى ١٩٨ ٠٠٠ ٥ ، اي ٦٧ بالمائة من اليد العاملة الموجودة في البلاد ، وهو رقم لم يبلغ
قط منذ ١٩٤٢ . وكانت اكثر الصناعات تأثراً بالازمة صناعة الفولاذ حيث هبطت نسبة طاقة
الانتاج المستخدمة الى ٥٣ بالمائة في شهر آذار من السنة ١٩٥٨ ؛ وتأخرت كذلك تأخراً بيتناً
الصناعات الكيميائية (المنتجات المعجمية) وصناعات الاجهزة المنزلية الكهربائية ، وصناعة
مواد البناء ، بينما استمرت كلفة المعيشة في الارتفاع . وقد أدت حدة اعراض التدهور هذه الى
ظهور « شبح فقدان الثقة الاقتصادية » ، وتطلبت علاج « المستخات الآلية » التي باقت
كلاسيكية : تدخل الدولة بواسطة تعويضات البطالة ، وزيادة القروض من اجل تأمين حاجات
الدفاع الوطني ، والاعمال الكبرى ، وخطط التجهيز ، والمساعدات لتشديد الابنية ...

انفجرت الازمة ، وفي السنة ١٩٦٠ ، دخلت الولايات المتحدة ، التي احرزت أقل تقدم بين
الدول الصناعية الكبرى منذ السنة ١٩٥٣ ، في طور ازدهار عظيم لم تعرفه منذ السنة ١٩٢٩ . فان
معدل الانتاج الصناعي الذي ارتفع بنسبة ٩٠ بالمائة خلال السنوات ١٩٦١ - ١٩٦٣ قد ارتفع الى
٧ ٪ في السنة ١٩٦٤ و ٨ بالمائة في تموز ١٩٦٥ . ولم تعرف البلاد قط ، منذ ١٩٣٣ - ٣٧ ، فترة نمو
متواصل على مثل هذا التماهي . وكان ذلك نتيجة سياسة تدخلية تمشت عليها ادارة كندي التي
استهدفت النمو والمحافظة على نسبة نمو مرتفعة بتنشيط التجارة الخارجية وضمنان العمل لكافة
السكان . وشجّع توظيف الاموال في الصناعة بسلسلة من التدابير المالية والنقدية وبتمخيف
الضرائب ، الخ . ، في الوقت الذي زيدت فيه زيادة محسوسة المساعدة الاقتصادية للدول غير
النامية . فبلغت التجارة الخارجية في السنة ١٩٦٤ مستوى قياسياً اذ بلغ الرصيد الدائن الصافي
٧ مليارات دولار . الا ان ميزان المدفوعات قد بقي في عجز بفعل النفقات الحكومية
والعسكرية واطراد اخراج رؤوس الاموال الخاصة الموظفة في الخارج ، ولا سيما في بلدان السوق

المشاركة (هولندا ، بلجيكا ، ألمانيا ، فرنسا) ؛ وهكذا فقد انشأت فروع الشركات الاميركية اكثر من ٣٠٠٠ مصنع فافست الشركات الأصلية نفسها احيانا في العالم وحتى في الولايات المتحدة . وهي الاتجاهات نحو التضخم المالي المتسببة عن ارتفاع الأجور والنفقات غير المنتجة ، « تسليح » مكافآت تخفيض المساحات الزراعية ، « ما يهدد قيمة الدولار المعبر اليوم ذا قيمة مرتفعة على العموم .

ما تزال الولايات المتحدة أقوى دول الكرة الارضية ولكن مركز الهيمنة الذي احتلته بعيد النصر الحليف آخذ في التضاؤل يوماً بعد يوم . فان النجاحات التقنية التي حققها الاتحاد السوفياتي قد ارغمتها منذ اليوم على إعادة النظر في سياستها الخارجية التي أمست دفاعية . واذا ما أضيفت هذه النجاحات الى تجديد بناء اوروبا الاقتصادي ، فانها تهددها - في اجل بعيد - بصعوبات شبيهة بصعوبات البلدان القديمة .

الفصل الثالث

أوروبا الغربية واليابان

حين وضعت الحرب العالمية الثانية أوزارها ، كانت أوروبا الغربية في حالة يرثى لها . فإن اقتصادها كان أكثر تلفاً وزعزعة منه بعد الحرب السابقة ، وهبط معدل الانتاج الصناعي في فرنسا وبلجيكا وهولندا الى ٧٣ ، ٧٤ ، ٧٥ بالمائة من مستواه قبل الحرب ، وفي ألمانيا الغربية الى ٣٤ بالمائة . وتدنّى انتاج الحبوب ، واقلّ أكثر من نصف وسائل النقل أو أصيب بأضرار كبرى . وفي بعض المناطق عرفت أوروبا المجاعة ، وفي كل مكان تقريباً عرفت بؤساً حقيقياً . وانفدت الخزونات والمؤن . وخلال ست سنوات لم تجدد اية آلة ولم يشيد اي بناء ، بل على نقيض ذلك درست كافة الآلات بسرعة بينما اقفلت اسواق أوروبا التقليدية وتعودت الحماة العالم الأخرى الاستغناء عنها . واخيراً تبدل نظام المقايضات تبديلاً عميقاً بحيث ان الدول ، التي كانت من قبل دائنات العالم ، اضطرت لتصفية أموالها في الخارج واستدانة مبالغ طائلة : لقد انتهت الى الإفلاس .

قبل السنة ١٩٤٠ ، لم يكن تفوق الولايات المتحدة ساحقاً بعد ، وبالرغم من ان أوروبا لم تعد سوى المركز الصناعي الثاني في العالم ، فإنها قد بقيت المركز التجاري الأول . ففي السنة ١٩٤٥ كان الانهيار كاملاً في الحقل التجاري والمالي ، وعلى الرغم من إعادة بناء سريعة ، فإن تأخرها سيزداد يوماً بعد يوم . ويرد ذلك في السنة ١٩٤٥ ، الى ان البيئة التاريخية التي بنيت فيها قوتها قد تغيرت في اتجاه أكثر معاكسة لها منه بعد السنة ١٩١٨ . وليست روسيا وحدها بعد اليوم ما اخذت تتخلص من نفوذها الاقتصادي كما في اعقاب الحرب العالمية الأولى ، فأوروبا الشرقية جمعاء وجزء من أوروبا الوسطى لم يعودا مستودعاً لحاجاتها من المنتجات الغذائية والمواد الأولية . ومنذ السنة ١٩٤٩ ، أصبح للصين الشاسعة الاطراف ، والمستعمرات المتحررة ، كالهند واندونيسيا ، سياسة اقتصادية لا تهتم الا بصوالحها الخاصة . ولم تعد هذه البلدان مدينة لأوروبا ، لا بل رغبت كلها رغبة متزايدة الوضوح في استخدام خاماتها الخاصة وتنظيم نقلها البحري وغيره . وغالباً ما صادرت الحكومات رؤوس الأموال الأجنبية وابطلت ،

امتيازات المشاريع الاجنبية . وفي مناطق ما وراء البحر التي ما تزال مخضعة ، وفي آسيا وحتى في افريقيا ، وفي بلدان الشرق الاوسط النصف مستعمرة ، هددت الحركات القومية المكاسب التي تحققتها اوروبا من استثمار الثروات الطبيعية . اما تفوق الولايات المتحدة الاقتصادي فقد اصبح ساحقاً .

الحاجات المتناقضة
كان لازماً اعادة بناء كل شيء في اوروبا ؛ والحال خلفت الحرب إرثاً ثقيلاً تناقضت ردود فعل الرأي العام حوله تناقضاً لا شعورياً . فمن جهة اثار طاعة الاقتصاد الموجه ، والتقنين الذي فرضه « اقتصاد الحاجة » ، استياء كبيراً لا في اوساط الصناعيين بسبب الحد من سلطتهم في عملهم وفي اوساط التجار فحسب ، بل في اوساط المستهلكين الذين تضايقوا في عاداتهم وحرمو ما يرغبون في ابتياحه أيضاً . فكان هناك من ثم ترقى شامل الى العودة الى الحرية ، والغاء الرقابات الادارية المختلفة والتحديدات . وبرزت في الوقت نفسه رغبة مماثلة في العودة الى الحرية الفردية ، الى حرية الفكر والتعبير التي عطلت في البلدان الخضعة للنازية ، والتي حددت تحديداً متبانياً في البلدان الحرة بفعل الرقابة والتشريع الحربي . فبدأ النظام الاقتصادي الحر والنظام السياسي الحر من ثم متضامنين ، ولكن الفوضى الاقتصادية والاضطراب السياسي اللذين قادا المانيا ، قبل السنة ١٩٣٣ ، الى النازية وقادا الدول الحرة ، بعد السنة ١٩٣٩ ، الى الهزيمة ، قد خلقا رغبة في نظام اقتصادي وسياسي لا تكون فيه المصلحة الشخصية القاعدة السائدة ؛ وظهر اختبار الأزمة والحرب ان المنافسة الحرة غير المحدودة والسعي وراء المكسب غالباً ما يضران بالمصلحة الوطنية ، وان قوة الدولة وحدها قادرة على استثمار كافة موارد البلاد في سبيل المصلحة العامة ، وان هذه الاخيرة تقضي بأن تسند الى الجماعة رقابة قطاعات الاقتصاد الرئيسية . وأثارت ذكرى ضائقة الممال والفلاحين ابان الازمة الرغبة في نظام يؤمن العمل للجميع ويبعد عن الناس كابوس الخوف وعدم الاطمئنان ؛ « العمل للجميع في مجتمع حر » ، هذه كانت الصيغة التي توجز نظرية « بفردج » الذي أحدثت خطته ، وقد أقرها البرلمان البريطاني في ايام الحرب ، دويلاً عميقاً جداً . وعلى الصعيد السياسي طالب كل من فكر بالاصلاحات الواجب ادخالها على النظام البرلماني بسلطة تنفيذية قوية قادرة على فرض الانحاء أمام المصالح الكبرى ، وباعادة تنظيم الاحزاب ، وتجديد البشر والاساليب تجديداً كاملاً .

وهكذا وجدت في البلدان المحررة حديثاً على ايدي « المقاومة » رغبات في نظام شبيه بالاشتراكية لا يتفق كثيراً والنظام الاقتصادي الحر ، وفي تنظيم لا تكون فيه الديمقراطية شكلية فحسب . اما في الواقع فيكون فشل هذه الابتغاءات كاملاً ، لأن اعادة بناء اوروبا ستتم في اطار النظام الاقتصادي والسياسي القديم .

١ - التطور الاجتماعي

النزوحات البشرية
في أوروبا
انضاف الى الدمار المادي الذي خلفته الحرب، والخسائر الفادحة
بالارواح التي سببتها، مثار آخر للصعوبات، هو تجدد النزوحات
البشرية التي لم تبلغ قط مثل هذا الاتساع منذ قرون العهود
الميلادي الاولى، والتي غيرت وجه أوروبا تغييراً هاماً (الشكل ٢٣) .

إبان العمليات الحربية بالذات ارغم ملايين البشر على النزوح بفعل النفى (البولونيون ،
اليهود ، الاوكرانيون ، الروس) ونقل اسرى الحرب والعمال للقيام بالاعمال الالزامية ، وسياسة
« الارض المحرقة » واخلاء المناطق من السكان اخلاء منظماً . ومن جهة ثانية ، انتهت الاتفاقات
التي عقدها هتلر في السنة ١٩٣٩ مع ايطاليا والاتحاد السوفياتي الى نقل الاقليات الالمانية في
التيروول والبلدان البلطيقية ... الى الرايخ . ثم اقصى الالمانيون عن الالزاس - لورين اكثر من
١٠٠ ٠٠٠ فرنسي ، وادى دخولهم البلدان البلغانية الى فرار العديد من اليوغوسلافيين ويونانيي
اقليمي مقدونيا وتراقيا الذين ضمتها بلغاريا الى اراضيها واحلت فيهما مستعمرين بلغاريين محليهم .
وفي رومانيا كذلك نزح ٢٠٠ ٠٠٠ روماني عن ترانسلفانيا الشمالية و ١١٠ ٠٠٠ عن دوبرودجا
الجنوبية ، بينما نزح ١٦٠ ٠٠٠ مجري عن ترانسلفانيا الجنوبية . وقد قدر « كوليشير » باكثر
من ٣٠ مليون اوروبي، يدخل في عدادهم المدنيون الفارون امام الغزو ، عدد المنقولين والمشردين
والمنفقين بين تاريخ اندلاع الحرب واولئل السنة ١٩٤٣ . وبعد ذلك جرد انسحاب الجيوش
الالمانية معه اللاجئين الالمانيون من « الشرق » ، وروسيا البيضاء ، والبلدان البلطيقية ، وبولونيا
(١١٠٠ ٠٠٠) ، وبلدان جنوبي شرقي أوروبا ، لانهم كانوا يخشون انتقام الشعوب التي تسلطوا
عليها واستغلوها . وقد تم الجلاء اثناء انسحاب الجيوش ، في ظروف صعبة جداً ، في الثلج
والزمهرير ، سيراً على الاقدام او في شتى وسائل النقل ، صفوفاً طويلة على الطرقات . فهذا ما
حدث فعلاً لـ ٣٥٠ ٠٠٠ الماني كانوا في القرم واوكرانيا واجلوا الى بولونيا الغربية وما لبثوا ان
نزحوا نحو الغرب امام التقدم السوفياتي . وهذا ما حدث كذلك لـ ٢٠٠ ٠٠٠ الماني كانوا في
رومانيا ، والالمان الذين كانوا في يوغوسلافيا ، وهنغاريا ...

لم يكن النزوح بسبب الحرب من نصيب الالماني وحدهم . فان السكارييلين - ربما بلغ عددهم
٢٥٠ ٠٠٠ - الذين فروا الى فنلندا في السنة ١٩٣٩ خلال الحرب الفنلندية الاولى ، قد عادوا
في السنوات ١٩٤١ - ١٩٤٣ الى كارييليا اثناء الحرب الثانية ، ثم فروا مرة اخرى في السنة
١٩٤٤ . وارغم كذلك عشرات الوف الفنلنديين والنرويجيين الى الابتعاد عن ميادين المعارك في
لانونيا . ولجأ اسوجيو استونيا و ٦٥ ٠٠٠ انغري الى السويد وفنلندا . واضطر كذلك الى الفرار
نحو الغرب الفلاحون الاوكرانيون والروس الذين ما كانوا يستطيعوا البقاء في مناطق الحدود ،
و « المتعاونون » مع الالمانيون الذين خافوا من تأدية الحساب ، والرومانيون الذين استوطنوا

برانسلسترا حديشاً ، ورومانيو بوكوفينا وبسارابيا ، وربما بلغ مجموعهم ٧٠٠ ٠٠٠ . وكذلك في الغرب دفعت الجيوش الخليفة المتقدمة امامها الألمان المقيمين في البلدان المحتلة و « التعاونيين » الفرنسيين والبلجيكيين والهولنديين ...

اوقف سيل اللاجئين الآتين من الغرب بسرعة . اما سيل اللاجئين الآتين من الشرق فلم يكن من اليسير إيقافه . فان ملايين الألمان الفارين من الشرق قد لحق بهم سيل آخر . وفي مؤتمر بوتسدام تخلى الحلفاء كلياً عن سياسة حماية الأقليات التي انتهجت في معاهدات ١٩١٩ - ١٩٢٠ والتي أمكن تقدير مدى فشلها . وقادم الخوف من مطالبة إيطاليا بالأقاليم الإيطالية اللغة والسكان ومن انبعاث الحركة الجرمانية الشاملة الى اعتماد سياسة تقضي بأن ينقل الى ألمانيا الألمان الموجودون في بولونيا (٣ ٥٠٠ ٠٠٠) وتشيكوسلوفاكيا (٢ ٥٠٠ ٠٠٠) والنمسا وهنغاريا . فنقل زهاء ٩ ٥٠٠ ٠٠٠ لاجيء لا موارد لهم تقريباً الى ألمانيا التي خفضت مساحتها بنسبة ٢٥ بالمائة . وعقدت اتفاقات بين الاتحاد السوفياتي ورومانيا ويوغوسلافيا وتشيكوسلوفاكيا وهنغاريا بغية تبادل اقليتها او اقله تسهيل عودة مواطنيها . ومن جهة ثانية احتل قرابة مليوني تشيكي وسلوفاكيي الأقاليم التي غادرها الألمان . ووطنت بولونيا في الأقاليم الألمانية التي استولت عليها في الغرب ، وكانت شبه خالية من السكان ، ٣ ملايين فلاح بولوني ، بينما استقبلت أكثر من مليون بولوني من الأقاليم الواقعة الى الشرق من خط كورزون التي أصبحت سوفياتية ، وانتقل زهاء ٧٠٠ ٠٠٠ اوكراني بغية استيطان اوكرانيا .

في يوغوسلافيا غادر استريا أكثر من ١٠٠ ٠٠٠ ايطالي ، واجريت مفاوضات مع هنغاريا لتبادل السكان ؛ وبالمقابل وصل ٢٠ ٠٠٠ يوغوسلافي من مقدونيا و ١٠ ٠٠٠ من بلغاريا . وفي الاتحاد السوفياتي ، استوطن الجمهورية القومية الأرمنية ٦٠ ٠٠٠ أرمني جاؤوا من مختلف أنحاء الشرق الأوسط ، ولكن الـ ٤٠٠ ٠٠٠ الماني المقيمين في جمهورية الفولغا المستقلة قد نقلوا بتدبير اتخذته السلطات حرصاً منها على سلامة البلاد ، واتخذت التدابير نفسها بعد الحرب في أربع جمهوريات مستقلة تقيم فيها أقليات غير سلافية بسبب تعاونها والألمان : تتر القرم ، الكملوك ، التشنشين - انغوش ، الكبرد البلقار (وقد بلغ مجموعهم ٥٦٠ ٠٠٠ شخص تقريباً) الذين نقلوا الى آسيا الوسطى وحل محلهم فلاحون روس . وهم الفلاحون الروس كذلك من استوطنوا الأقاليم المحتلة او المستردة في الغرب ولا سيما بروسيا الشرقية القديمة .

ارتدى معظم هذه التنقلات ، التي ربما تناولت ٢٥ مليون شخص ، طابعاً نهائياً ؛ وبدلت تبديلاً كلياً خريطة توزيع الأعراق في أوروبا الوسطى والشرقية التي لم تتبدل منذ أواخر القرون الوسطى . فنقلت بعيداً نحو الغرب حدود استيطان السلافيين ، من روس وبولونيين ، على حساب الفنلنديين والبلطيقين ولا سيما الألمان ، وحدود اليوغوسلافيين بعض الشيء على حساب الإيطاليين . وكانت النتيجة ان المستعمرات الألمانية في أوروبا الشرقية والجنوبية الشرقية ، التي كانت تولى جالية مزدهرة وثاقذة من ٣ ٥٠٠ ٠٠٠ الماني بين البلطيق

والبحر الأسود وبين الكريبات والفولغا ، والتي يعود تاريخ بعضها الى القرن الثاني عشر ، قد صفت تصفية نهائية خلال سنوات معدودة .

تجمع العدد الأكبر من هؤلاء اللاجئين (١٠ ملايين) في المانيا الغربية ، وقد أثار وجودهم مسائل صعبة من حيث التكيف وفاقاً للبيئة الجديدة وللحياة الاقتصادية . وتوجب ان يؤخذ بعين الاعتبار كذلك اللاجئين ، او « الأشخاص المرتحلون » الذين ما زال بعضهم في النمسا وايطاليا وبريطانيا العظمى . فـهؤلاء يؤلفون جمهوراً ينيف على المليون شخص نزحوا بخيرين أو مكرهين منذ السنة ١٩٣٩ : امري حرب لم يعودوا الى بلدانهم ، عمال مدنيون من غير الألمان ساروا على أثر الجيوش الالمانية ، لاجئون من بعد الحرب ، وقد جاء معظمهم من اوروبا الشرقية : بولنديون ، سبق ان انخرط منهم ١٦٠ ٠٠٠ في جيش اندرز ، بلطيقيون ، اوكرانيون ، يوغوسلافيون ... من المتعاونين والالمان ، او اعضاء الطبقات الحاكمة القديمة ، الذين لم يرغبوا في العودة الى بلادهم بعد ان اصبحت شيوعية ، او اليهود الخائفين من اعداء السامية ، الخ . لقد تمهدتهم منظمة الامم المتحدة التي اصطلحت بمقاومة الدول الراغبة عن قبول المهاجرين ، فشكّلوا طيلة سنوات عدة عنصراً يثير القلق والارتياح في اوروبا المضطربة والمنقسمة .

لقد زالت امكانية المهاجرة . وهناك في اوروبا اربع بلدان عجزت عن تأمين المعيشة لسكانها الزائدين عن طاقتها السكانية : اليونان ، ايطاليا ، المانيا الغربية ، هولندا . وقد بلغ مجموع

مسألة
الهجرة الأوروبية

هذه الزيادة في اوروبا وحدها بين ٣ و ٤ ملايين شخص لا يجدون مكاناً لهم في اقتصاد بلادهم ويرتفع عددهم كل سنة بفعل زيادة الولادات على الوفيات . وكانت المهاجرة داخل اوروبا محدودة وغير ذات شأن . الا ان المهاجرة الى ما وراء البحار ، التي توقفت عملياً منذ السنة ١٩٣٠ ، قد استؤنفت مجدداً في السنة ١٩٤٧ . فسافر كل سنة ، بين السنة ١٩٤٧ والسنة ١٩٥١ ، زهاء ٤٦٠ ٠٠٠ شخص ، جلهم من « الأشخاص المرتحلين » ، بفضل القانون الخاص بهؤلاء الذي سمح في السنة ١٩٤٨ بدخولهم الى الولايات المتحدة دونما تعيد بالانظمة المرعية . الا ان منظمة اللاجئين الدولية التي كانت تشرف على تسفير « اللاجئين المرتحلين » قد ألغيت آنذاك ، ولم يسمح قانون ماك كارن - وولتر ، الذي عمل به في اواخر السنة ١٩٥٢ بقبول سوى ١٥٤,٠٠٠ مهاجر سنوياً ، اي قرابة ٣٠,٠٠٠ في السنة من البلدان الأوروبية المكتظة بالسكان ، ولكن عدد المهاجرين بلغ ٢٥٣,٠٠٠ في السنة ١٩٥٨ التي انتهى فيها العمل بقانون استثنائي لمساعدة اللاجئين .

بين السنة ١٩٤٧ والسنة ١٩٥١ قبلت كندا بدخول ٧٦,٠٠٠ مهاجر في السنة ، أما اوستراليا التي بدلت سياستها حيال المهاجرة تبديلاً كلياً ، فقد استقبلت ٥٣,٠٠٠ مهاجر اتوا من اوروبا ، ولكن الافتقار الى الاموال والصعوبات الاقتصادية قد ادت الى تخفيض هذا العدد

منذ السنة ١٩٥٢ . ولم تستقبل منهم دول اميركا اللاتينية ، البرازيل والأرجنتين وفنزويلا والشيلى ، سوى عدد ضئيل جداً . ففي كل مكان اصطدم اتساع الهجرة الاوروبية بمراقيل خطيرة : خوف من فقدان التوازن الاجتماعي والعنصري في بلاد المهجر ، رقابة سياسية شديدة جداً ، تعذر استيعاب المهاجرين في المؤسسات الراهنة ، حاجة الى الاموال التي تتيح ادخالهم في اقتصاد البلدان غير النامية ، لان بسلدان المهجر باتت ترغب في المتخصصين في الادارة والاعمال لا في اليد العاملة . ولم يبق هناك سوى تيار هجرة واحد ، ولكنه محدود بطبيعته الدينية ، اعني به تيار هجرة اليهود الى دولة اسرائيل . وربما قدر بـ ١,٥٠٠,٠٠٠ شخص عدد الذين غادروا اوروبا بين السنة ١٩٤٦ والسنة ١٩٥٢ . وبالمقابلة ادى تحرر المستعمرات الى عودة زهاء مليوني فرنسي وبلجيكي الى اوطانهم .

النظام الاجتماعي
كاد نظام المجتمع لم يتغير قط ، لا بل ازداد التباين بين المستفيدين من اجور ودخول محدودة ثابتة من جهة ، وبين المنتجين والمشرفين على توزيع السلع من جهة اخرى . وزاد التجمع الصناعي وتقدم التصنيع نسبياً من اهمية المشاريع التي تقدمت تقدماً كبيراً ، ولا سيما بفعل تقدم الاسعار على الاجور . ويصح هذا القول في فرنسا حيث ارتفع عدد الاجراء بعض الارتفاع - منتقلاً من ٦٢ الى ٦٤٪ من السكان العاملين بين ١٩٤٦ و ١٩٥٤ - ولكنهم تقاضوا اجوراً تمثل ابدأ النصيب نفسه من الدخل القومي ، بينما ارتفعت قيمة المواد الاستهلاكية وطالت مدة العمل . اما ارتفاع الاجر الاجتماعي بالنسبة للاجر المباشر (الذي مبسوط من ٨٦٪ من المجموع في السنة ١٩٣٨ الى ٧٧٪ في السنة ١٩٥٣) فقد ادى الى توزيع اجور موافق لارباب العائلات على حساب العمال الآخرين . وتعمل الطبقة العمالية عملها وكأنها تعاونية كبرى معدة لان تتيح لأقل العمال حظوة تربية اولادهم .

ويصح هذا القول كذلك في ايطاليا : امام طبقة غنية جداً وقليلة العدد ، يعيش جمهور الشعب حياة فقر متدنية المستوى جداً . فالصناعيون والملاكون العقاريون الذين أفادوا من ارتفاع الاسعار ومن التضخم ، والارستوقراطية التي ما زالت ، بفضل قاعدتها العقارية المتينة ، القوة الرئيسية في المجتمع (اذ ان العائلات النبيلة القديمة لم تحتفظ في اي بقعة من اوروبا ، باستثناء اسبانيا والبرتغال ، بامتيازاتها الاجتماعية والاقتصادية مثل هذا الاحتفاظ الكلي) يؤلفون طبقة عليا تستفيد من نظام جبائي خفيف الوطأة جداً (لا تمثل ضريبة الدخل سوى ١١ بالمائة من المداخيل ، وهناك مجال واسع للغش) . اما الطبقات المتوسطة التي افلسها التضخم المالي فقد انفقتم اموالها المدخرة ، وسدت في وجه ابنائها سبل العمل . فهناك بطالة حاملة الشهادات لان المهن الحرة ووظائف الدولة كانت في زحمة من اهلها ، بالرغم من ضآلة الرواتب التي كانت ادنى منها في السنة ١٩٣٨ بصورة جلية . وفي المناطق الجنوبية ، عاش المجتمع الريفي بأجمعه ، من ملاكين صغار (١,٥٠٠,٠٠٠ عائلة في اراض تتراوح مساحتها بين نصف هكتار و ٥ هكتارات) ومزارعين وعمال زراعيين ، في جو يسيطر عليه القلق وعدم الاطمئنان .

وأثارت سرعة ارتفاع السكان للملاكين التوفيق أبداً الى استخدام عمال بأجر ادنى من الاجر القانوني . وكثيراً ما شوهد هنا اولئك «العمال» الذين ينتظرون سحابة ايام كاملة في شوارع القرية وساحتها مجيء احد المستثمرين ليختار بينهم واحداً او اثنين بسبب حاجته الى «يوم عمل» كان اجره ١٥٠ ليراً في السنة ١٩٥٤ !

كان البؤس من ثم شديداً جداً . وفي السنة ١٩٥٣ اظهر التحقيق الذي اجرته لجنة فيغورلتي البرلمانية ان مستوى معيشة ربع السكان تقريباً (١١ مليون نسمة) كان متدنياً او متدنياً جداً ، اي ان نصفهم كان يعيش في الاكواخ الخشبية او المفـاور او المرائب او السقائف ، والنصف الآخر في ابنية مكتظة بالسكان ؛ وان ٥٠٪ كانوا يرتدون الحرق والراث ، واكثر من ٥٠٪ لم يستهلكوا لا لحوماً ولا سكرأ ولا نبيذاً ؛ وان هذه الفئة البائسة لم تؤلف سوى ٦ بالمائة من سكان ايطاليا الشمالية ، ولكنها جاوزت نصف سكان الجنوب ونصف سكان الجزر .

وفي المانيا حيث استهدفت سياسة الوزير اهرارد توظيف الاموال بفائدة مرتفعة جداً وتنشيط حركة الصادرات ، اقيمت الاجور متدنية جداً بحيث ان ٦٤ بالمائة من السكان تقاضوا في شهر ايار من السنة ١٩٥٠ اجراً لم يبلغ ٢٥٠ ماركاً في الشهر وتقاسموا ٣٥,٦ بالمائة من مجموع الدخل ؛ وان ١ بالمائة من العمال و ١٥ بالمائة فقط من المستخدمين تقاضوا اكثر من ٤٠٠ مارك في الشهر ، بينما تقاسم ٢,٣ بالمائة من السكان ١٦,٥ بالمائة من مجموع الدخل بدخول شهرية تفوق ١٠٠٠ مارك . زد على ذلك ان المانيا الغربية لم تعرف اي اصلاح زراعي ، اذ ان بضعة آلاف هكتار فقط قد اعيد توزيعها ، وان حل «المشاريع» الكبرى التي تتحمل قسطاً كبيراً من مسؤولية وصول هتلر الى الحكم ، لم يؤد الا الى انقاص التجميع الصناعي العمودي . وان الرغبات المترددة في تأمين الصناعات الاساسية لمصلحة المجموع في القطاع البريطاني ، التي ابداهها حزب العمال في السنة ١٩٤٥ ، قد اصطدمت بالمعارضة الاميركية . فسرعان ما عاد المسؤولون القداماء عن الاقتصاد الى مراكزهم القيادية ، وما استعاد الملاكون القداماء ممتلكاتهم . واستؤنفت عمليات التجميع والصهر ، ولا سيما في الصناعات الفولاذية حيث شجعتها ادارة الوحدة الاوروبية للفحم الحجري والفولاذ .

في بريطانيا العظمى ، اعتمدت سياسة اجتماعية متلاحمة تؤمن للجميع حداً ادنى من الدخل وتضمن العمل لكافة السكان وتوفر الخدمات الاجتماعية ، كخدمات الضمان الاجتماعي والادارة الصحية ، كما اعتمدت بصورة خاصة سياسة جبائية صارمة فرضت ضرائب تصاعديّة على الدخل الكبرى والمتوسطة ، فأدت هاتان السياستان الى الحد من التفاوت الاجتماعي حداً اقوى منه في اي بلاد غربية كبرى .

ان دخول رأس المال الذي مثلت في السنة ١٩٣٨ ٢٢,٦ بالمائة من مجموع الدخل ، لم تعسد لتمثل في السنة ١٩٥٠ سوى ١٤ بالمائة قبل اقتطاع اية ضريبة . وارتفعت الدخول المختلطة (اي دخول الذين يعملون ويديرون في الوقت نفسه رأسمال استثمارهم : التجارة ، المشاريع الزراعية ،

الصناعيون اليدويون ، المهن الحرة) من ١٢ الى ١٢,٣ بالمائة . اما دخول العمل ، واعني بها الاجور والمرتببات التي تضاف اليها « الدخل الاجتماعية » : الضمان الاجتماعي ، التعويضات العائلية ، معاشات الشيخوخة والتعويضات عن حوادث العمل ، والمساعدات المرضية ، فقد ارتفعت من ٥٩,٧ بالمائة الى ٦٦,٧ بالمائة . فقد حدث من ثم انخفاض كبير في دخول رأس المال (٣٠ بالمائة) ، وزيادة في الدخل المختلطة ، وزيادة كبرى في دخول العمل (٣٦ بالمائة) . فهل يعني ذلك ان الحكومة العمالية قد قامت والحالة هذه « بثورة صامتة » واعادت النظر في توزيع الدخل ؟

قطعاً لا ، اذ ان معظم الخدمات الاجتماعية المشتركة الجديدة قد امتنتها زيادة الضرائب المفروضة على الطبقات الفقيرة ، في حال ان الثروات الطائلة بقيت طائلة . لا بل ان جمع الاملاك في ايد قليلة العدد قد بات اكثر بروزاً منه في عهد لويد جورج الذي احتج عليه بحدة . فقد قدر في السنة ١٩٤٧ بأن ١ بالمائة من السكان البالغين كانوا يملكون نصف الثروة القومية ، و ١٠ بالمائة يملكون الـ ١/٤ . لقد حققت حكومة العمال « الدولة المزدهرة » ، وتوفقت بحسب تعبير كروسمن ، « الى تحديد المرحلة الاخيرة من مراحل قرن تخللته اصلاحات المجتمع الرأسمالي وتنظيمه » ولكنها لم تفتح قط عهد الاشتراكية .

ما زال التفاوت الاجتماعي بارزاً على العموم شأنه في العمود السالفة ، ولكن تطورات الاقتصاد استتبعت توزيع السكان توزيعاً جديداً بين مختلف قطاعات النشاط ، وتحول النظام

انطلاقة
القطاعين الثاني والثالث

الاجتماعي تحولاً تدريجياً .

منذ زمن بعيد ، أدى اعتماد الآلات في الأرياف الى نزوح واسع مطرد السرعة الى القرى ، في البلدان القديمة التصنيع ، كالولايات المتحدة ، كما في البلدان القليلة التطور اقتصادياً ، كبلدان أوروبا الشرقية حيث كان اكتظاظ الأرياف بالسكان سبباً هاماً من اسباب البؤس الشديد . اجل لا يرد هذا النزوح الى اعتماد الآلات دون سواء ، اذ ان استثمار المستعمرات قد رحل عن الوطن الام الى المستعمرات جزءاً من انتاج المواد الغذائية او الخامات الصناعية النباتية الأصل ، بينما جمع من المستعمرات جزء من اليد العاملة اللازمة للأعمال الشاقة ، او غير الصحية ، او البالية الصعبة . الا ان انكماش القطاع الاول (زراعة ، احراج ، صيد) ، بحسب تصنيف كولن كلارك ، قد لوحظ في كافة البلدان ، بينما اتسع القطاعان الثاني (الانتاج الصناعي ، المناجم ، النقل) والثالث (كل ما تبقى) . ففي الولايات المتحدة زاد عدد المستخدمين بنسبة ٤٥٠ بالمائة بين السنة ١٩٠٠ والسنة ١٩٤٠ ، بينما لم يرتفع عدد العمال الا بنسبة ٢٧٥ بالمائة . وفي فرنسا كان هناك ١٠ مستخدمين مقابل ١٤٥ عاملاً في السنة ١٩٠٠ ، ومقابل ٧٦ في السنة ١٩٣١ ، ومقابل ٤٧ في السنة ١٩٤٨ . وهبطت نسبة السكان العاملين المستخدمين في القطاع الاول ، بين السنة ١٩٢٠ والسنة ١٩٤٠ ، من ٣٦,٣ بالمائة الى ١٧,٦ بالمائة (وحق الى ١٦ بالمائة في السنة

(١٩٥٠) في الولايات المتحدة ؛ ومن ٦٠٨ بالمائة الى ٤٠٨ بالمائة في بريطانيا العظمى ؛ ومن ٤٠٣ بالمائة الى ٢٨٠٨ بالمائة في السويد ؛ ومن ٤١٥ بالمائة الى ٣٥٠٦ بالمائة في فرنسا . اما القطاع الثاني فقد تأخر بعض الشيء في الولايات المتحدة : ٣٣٠٤ بالمائة و ٣١٠٤ بالمائة (وهبط الى ٢٦ بالمائة في السنة ١٩٥٠ ، وفي بريطانيا العظمى : ٤٥٠٧ بالمائة و ٤٥٠٥ بالمائة ، بينما استمر في التقدم ببطء في البلدان التي لم تصنع سوى تصنيع محدود كالسويد (٣٠٠٨ و ٣٥٠٦ بالمائة) وفرنسا (٣٠ و ٣٠٠٩ بالمائة) . واما القطاع الثالث الذي استقبل كل من ليس له محل في عمل الارض او في المصنع ، فقد انتقل من ٤٠٣ بالمائة الى ٥١ بالمائة (و ٥٧ بالمائة في السنة ١٩٥٠) في الولايات المتحدة ، ومن ٤٥٠٧ الى ٤٩٠٧ بالمائة في بريطانيا العظمى ، ومن ٢٨٠٩ بالمائة الى ٣٥٠٦ بالمائة في السويد ، ومن ٢٨٠٥ الى ٣٣٠٥ بالمائة في فرنسا .

يرد ذلك الى ان تقنيات الانتاج تستتبع احداث وظائف عديدة ذهنية الطابع . ويشمل هذا القطاع الثالث من جهة ثانية نشاطات عديدة منتجة بصورة غير مباشرة من حيث انها تحسن ظروف العمل : التعليم ، الخدمات الطبية والاجتماعية ، الخدمات العامة ، المصارف ... او توجهها : الفنيون ، موظفو ادارة المشاريع ، وكذلك النشاطات التجارية و الخدمات ، كالتشييلات مثلا ، وجهازاً اعلانياً موزعاً ايضاً (غالباً ما يكون طفيلياً ، ولا سيما في فرنسا) يفرضه الانتاج الكبير ، الذي يحنو لخدمة صغار التجار الكثيرين جداً جمهوراً من الجوالين التجاريين والوسطاء والمعلمين . ويجب ان ندخل فيه كذلك ابناء الوطن الام الذين يقيمون في المستعمرات حيث يمارسون وظائف ادارية وتوجيهية .

رأت كافة البلدان من ثم اتساع قطاعها الثالث وانكاش قطاعاتها المنتجة . وتوقف نمو الطبقة القروية والعمالية عددياً بينما ارتفع عدد المنتمين الى الطبقات الاجتماعية في حين انها لا تنتج انتاجاً مباشراً .

ليس من الصعب استخلاص النتائج السياسية لاتساع القطاع الثالث وانخفاض عدد عمال القطاع الأول انخفاضاً نسبياً . فان تحليل السلوك السياسي الذي يسلكه هؤلاء «الاطواق البيضاء» ، مستخدمين كانوا ام موظفين مرؤوسين ، يكشف القناع عن طابع التناقض في ردود فعلهم : فهم بورجوازيون صغار انتهازيون يمانون في عملهم الطبقات الموجهة التي يحملون بالتشبه بها ، أو أقله تمثيل اولادهم بها ، ويقتبسون ازياءها ، ويقرأون صحفها ، وبها - أقله في المشاريع الخاصة - ترتبك ترقيتهم ، فيرغبون في الانضمام الى الطبقة المسيطرة ، ولكنهم في الوقت نفسه عمال مستغلون واصحاب مطالب يمكن مقارنتهم بالعمال من حيث قدني اجورهم (وهي ادنى من اجور العمال اليدويين في اغلب الاحيان) وظروف العمل التي فرضها عليهم اعتماد الآلات المتزايد . لقد دخلوا صفوف البروليتاريا باعداد كبيرة بفعل التطور الاقتصادي والتقني ، فشمروا انهم بورجوازيون صغار ثارة وعمال ثارة اخرى . فنحن لعمري امام بروليتاريا حقيقية ، ولكنها خلو من الوعي الطبقي ، وسريعة التأثير بسبب ضعف تربيتها السياسية وميولها الى نفوذ

الصحافة الكبرى . وهي تقوم بدور سياسي متعاظم يوماً بعد يوم وتسلك الاتجاه المحافظ نفسه الذي يسلكه الصناعيون اليدويون وصغار التجار الشعرون شعوراً غامضاً بانهم ضحية التطور الاقتصادي .

٢ - التطور الاقتصادي

عرف اقتصاد « المشروع الحر » ، بصورة عامة ، منذ السنة ١٩٤٥ ، انتشاراً سريعاً تخللته بعض الازمات حدثت في السنة ١٩٤٩ حين انجزت عملية إعادة البناء ، وفي السنة ١٩٥٢ - ١٩٥٣ حين توقف الانتاج الوفير الذي اوجبه الحرب الكورية وطراً التأخر الاقتصادي الاميركي .

خلفاً لما حدث في القرن التاسع عشر أو في الفترة التي سبقت الحرب التطور العام العالمية الثانية ، لم يعرف العالم ، منذ السنة ١٩٤٥ ، ازمات كبرى خانقة ذات طابع دوري . فخلال هذه السنوات العشرين تقدم الاقتصاد تقدماً متفاوت السرعة ماراً بمراحل توسع وتأخر ، على ان مراحل التأخر كانت « فترات توقف في الارتفاع » ، لا فترات هبوط حقيقية . وفي رأي « جان مارشال » ان علماء الاقتصاد يعتبرون ان الازمات الكبرى الشبيهة بأزمة السنة ١٩٣٠ والازمات التي تدوم ثلاث سنوات واكثر لم تعد ممكنة الحدوث . ويرد ذلك الى التطور العميق الذي طرأ على الانظمة العامة للاقتصاد الغربي .

ان المحافظة على النظام العام ، والحرص على تجنب الازمات الاجتماعية وتوزيع الدخل القومي على مختلف الفئات الاجتماعية ، قد فرضا على الحكومات واجب تأمين العمل والرفاهية للجميع بواسطة اقتصاد يختلف توجيهاً وتخطيطاً وينمو نمواً منتظماً . فعملها من ثم مراقبة تغير الفرص عن كثب واستخدام « المثبتات » . زد على ذلك من جهة ثانية ان ذوي العلاقة : فئات المستخدمين ، ونقابات العمال والمستخدمين ، وجمعيات المزارعين ، قد تضامنوا وألفوا تكتلات قوية النفوذ ، وبات بوسع الشركات الكبرى ، التي ألفت اتحادات واسعة ، والتجمعات المالية التي كانت تشرف على مشاريع كثيرة ، التأثير على الحكومات تأثيراً قوياً . وكان لدى المشاريع والحكومات كلها دوائر مراقبة متخصصة تحلل يوماً فيوماً وضع الاسواق وتراقب الميزان التجاري ، وتوجه الاقتصاد ، كما كان بمقدورها ان تلجأ على الفور الى عدد من هذه المثبتات . وفي كل مكان - باستثناء ألمانيا الاتحادية ، حيث لم يسيطر سوى التخطيط الخاص - انتهجت التخطيط انتهاجاً متفاوتاً . فحتى في الولايات المتحدة ، كما سبق ورأينا ، حيث تمتع الاحرار الجدد بنفوذ قوي وشنوا هجمات معاكسة قوية على كل تدخل ، استخدمت الحكومة الاتحادية ، في لجنة مستشاري الرئيس الاقتصاديين ، وفي لجنة البيان الاقتصادي المختلطة لدى الكونغرس ، خبراء كثيرين اسندت اليهم مهمة درس الفرص . واخذت بريطانيا العظمى بدورها رسمياً بالتخطيط في السنة ١٩٦٥ .

في عداد هذه المثبتات يدخل تحديد القروض الممنوحة لهذا الفرع أو ذاك من فروع النشاط (هذه هي إحدى وسائل محاربة التضخم المالي بتخفيضها الأرباح وبارغامها المستخدمين على رفض زيادات الأجور) ، وتصدير الذهب أو النقود الأجنبية ، ورفع الرسوم الجمركية بغية توقيف انخفاض سعر النقد الذي ينجم عن العجز في الميزان التجاري . يضاف الى ذلك تشجيع توظيف الاموال بتخفيض الضرائب ، والمحافظة على مستوى الاسعار بالمكافآت والتخزين ، وتحديد بعض الانتاجات ، والتأثير على التوسع اما بزيادة واما بتخفيض النفقات الادارية والثقافية الرسمية والنفقات المتعلقة بالقطاع المؤمم . واستطاعت المشاريع المجموعة من جهتها ان تقاوم الانخفاض مقاومة اجدى بانتهاج خطة آخذة بالانتشار ، اعني بها اللجوء الى ادخار شطر هام من الأرباح والى التمويل الذاتي . أما الاجراء فكانوا بمأمن نسبي من هبوط هام يطرأ على مستوى معيشتهم بفضل الفوائد التي أمنتها لهم القوانين الاجتماعية : الاجازات المدفوعة ، معاشات التقاعد ، تحديد الاجور بموجب اتفاقات جماعية ، الاجر غير المباشر المتقاضى عن طريق الضمان الاجتماعي والتعويضات العائلية ، وتعريف الحد الأدنى ، الخ .

استلزم هذا الجهاز المعقد عدداً كبيراً من الخبراء الكفاء ، القادرين على ان يؤمنوا تأميناً فعالاً مراقبة دقيقة على مختلف فروع الاقتصاد : الاقراض ، الانتاج الزراعي والصناعي ، أهمية اليد العاملة نوعاً وكماً ، وضمان تنسيقها ونموها المتوافق . والحال تمتع هؤلاء الرؤساء الفنيون ، الذين اصبح دورهم رئيسياً في المجتمع المعاصر ، بنفوذ عظيم (تفسره كفاءتهم وخبرتهم) على الحكومات التي اضطرت ، شاءت ام أبوت ، الى العمل بأرائهم وتنفيذ مقرراتهم .

ارقدت هذه الانطلاقة طوابع جديدة ترد الى التغييرات الطارئة على العوامل الجديدة التوزيع الجغرافي للمنتجات الكبرى وعلى نظام التجارة العالمية . فنحن نرى من جهة ان الدول المنتجة المواد الأولية الاساسية : (الهند ، استراليا ، كندا ، الأرجنتين) قد خفضت صادراتها لان استهلاكها قد ازداد بازدياد عدد سكانها وحاجات تصنيعها . كما ان الدول المستوردة المواد الأولية والمواد الغذائية قد خفضت استيرادها على كل حال لانها اخذت تنشط الانتاج الداخلي ، ولان التحسينات التقنية اتاحت اما توفيرها اصكث من ذي قبل واما استخدام منتجات اخرى بديلة . ونرى من جهة ثانية ان التجارة العالمية توزعت قطاعات متباينة الحصرية : لقد حدث انفصال يكاد يكون تاماً بين البلدان الشيوعية والبلدان الرأسمالية ، بينما اصبحت المقايضات في داخل كل كتلة ناشطة جداً ؛ كما حدثت انفصالات - اقل عمقاً ، ولكنها على جانب كبير من الأهمية - بين المناطق النقدية المختلفة : مناطق الدولار ، والسترليني ، والفرنك الفرنسي والبلجيكي ، والفلورين ، والاسكودو وبلدان الاتحاد الاوروي للمدفوعات . فتألفت ٣/ الصادرات العالمية تقريباً في السنة ١٩٥٣ من مقايضات في داخل مناطق المقايضة الثلاث الرئيسية : البلدان الشيوعية ، منطقة الدولار ، منطقة الاتحاد الاوروي للمدفوعات ؛

وجرى ١/٥ المقايضات بين المناطق الثلاث ، ومثل الـ ١/٥ الاخير تجارة الفحم العالم الاخرى .

اعادة البناء
سهل اعادة البناء واقع مزدوج هو ان قسماً كبيراً من الصناعة انتج
قبل الحرب انتاجاً اقل من طاقتها الى حد بعيد ، ولا سيما في الصناعات
الثقيلة والمنجمية ، وكذلك في الصناعات التي تغذي التصدير : المواد الكيميائية ، الصوف ، الخ .
وان الطاقة الصناعية قد ازدادت في كل مكان بين السنة ١٩٣٩ والسنة ١٩٤٥ ، حتى في المانيا
حيث اقتطعت التعويضات — التي تمثل ٥٪ من طاقتها الانتاجية — من الصناعات المجهزة خير
تجهيز التي لم تتضرر بفعل القارات الجوية ؟

وقد جرت بأسرع مما كان منتظراً وفي وقت اقل منه بعد الحرب السابقة ، بالرغم من ان
التدمير كان اكثر تخريباً وشمولاً . يضاف الى ذلك ان تحويل الصناعات الحربية قد كان ايسر
بما امكن تصوره . فمنذ آخر السنة ١٩٤٨ — اي اقل من اربع سنوات بعد توقف العمليات
الحربية — استطاعت اوروبا الغربية بلوغ مستوى انتاج ما قبل الحرب . وفي أواخر السنة
١٩٤٩ بلغت مستوى الصادرات نفسه .

هو تدمير ودروس معدات النقل ما اثار اكبر الصعوبات في عملية اعادة البناء . ففي السنة
١٩٤٧ نفسها ، ما زالت قاطرات ومقطورات السكة الحديدية ادنى عددا منها في السنة ١٩٣٩
بنسبة تتراوح بين ١٠ و ٢٥ بالمائة ، وما زال محمول الاسطول النهري سوى ١/٤ محموله مسا قبل
الحرب . اما خسائر الاسطول التجاري فكانت اكثر فداحة ايضاً : ٢٤ مليون طن من اصل
٤٤ ، ولم يعض منها جزئياً سوى ابتياع السفن وبناء السفن الجديدة . فان الاسطول الاوربي
قد انخفض في السنة ١٩٤٥ الى ثلثيه في السنة ١٩٣٩ . فكان من ثم على عملية اعادة البناء تحمل
عبء ثقيل هو دفع اكلاف الشحن للاسطول الاميركي . واخيراً كانت الابنية الخاصة والعامة قد
دمرت بنسبة ٢٠ بالمائة في المانيا ، و ٩ الى ١٠ بالمائة في بلجيكا ، وهولندا ، وفرنسا ، والمملكة
المتحدة ، و ٥ بالمائة في ايطاليا . فلا عجب من ثم اذا ما كانت آثار الحرب في هذا القطاع ،
الذي يمثل اموالاً ضخمة ، اكثر عمقاً واطول ديمومة ، لا سيما وان توقف حركة البناء ابان الحرب
قد اضاف الى الخراب حاجة اخرى . فكان عدد المساكن الواجب تشييدها ٥٠ مليون مسكن ،
اي ١٦ بالمائة من مجموع المساكن العام .

لقد يسرت اعادة البناء القروض والهبات التي قدمتها الولايات المتحدة ولا سيما تنفيذ مشروع
مارشال ، والطلب الذي اوجده الحرب الكورية ونفقات التسليح . وقد اعيقت في بعض
البلدان بعدم استقرار الاسعار وبالتضخم المالي الذي لم يوضع له حد في فرنسا الا في السنة
١٩٥٢ بعد تخفيض الفرنك في السنة ١٩٤٦ والسنة ١٩٤٩ الذي رفع قيمة الدولار من ٤٣ و ٦٠
في السنة ١٩٢٩ الى ١١٩ و ١٠ ، ثم الى ٣٥٠ فرنكاً ، وفي ايطاليا حيث ثبت سعر اللير في
السنة ١٩٤٧ بـ ١/٥ من قيمته في السنة ١٩٣٨ . وفي المانيا الغربية حيث اتاح الاصلاح النقدي
للاقتصاد ان ينطلق في السنة ١٩٤٨ من اسس سليمة .

كانت اعادة البناء اكثر تباطؤاً عند المهزومين ، في المانيا واليابان اللتين ابدى المنتصرون رغبتهن في اقتلاع جذور قوتها العسكرية . واذا كانت المشاريع المعدة اثناء الحرب لجعل المانيا دولة زراعية بجثة لم تعد واردة ، فان التصميم على نزع الاسلحة منها ومن اليابان قد حمل على اقرار تخفيض طاقة انتاجها الصناعي بنسبة ٥٠ بالمائة من مستواها في السنة ١٩٣٨ : فليس بعد اليوم من صناعة بنزين ومطاط تركيبى ، ومن مواد مشعة ، وقد خفضت الصناعة الكيميائية الاساسية الى ٤٠ بالمائة (من مستواها في السنة ١٩٣٦) ، وانتاج الفولاذ الى ٧٥٠٠٠٠٠ طن . وان معدل الانتاج الصناعي الذي كان ٣٣ (بالنسبة لمستواه في السنة ١٩٣٨) في السنة ١٩٤٦ ، لم يبلغ سوى ٥١ في شهر حزيران من السنة ١٩٤٨ . وفي اليابان لم يبلغ في شهر آب من السنة ١٩٤٧ سوى ٤٠,٥ بالمائة من مستواه في ١٩٣٠ - ١٩٣٤ . ولكن النهضة بدأت في ١٩٤٧ - ١٩٤٨ حين قررت الولايات المتحدة تحويل المهزومين الى حلفاء على الاتحاد السوفياتي ودشنت « التطور العكسي » الذي اعاد تسليح من نزع سلاحهم واعاد لهم طاقتهم الصناعية وعززها .

منذ منتصف السنة ١٩٤٠ حتى اواخر السنة ١٩٥٢ ، ادى تجديد التسليح
 الى ارتفاع الانتاج بسرعة ؛ ولكن الهبوط حدث منذ السنة ١٩٥٢ ،
 حين اتضح ان العمليات العسكرية في كوريا سوف تبقى محدودة . الا ان
 الازمة التي حدثت في الولايات المتحدة في ١٩٥٣ - ١٩٥٤ لم تؤثر تأثيراً يذكر على الاقتصاد
 الاوروبي الذي دخل ، بعد السنة ١٩٥٣ ، مرحلة توسع على نطاق كبير . اما اليابان فقد بلغت
 منذ السنة ١٩٥١ ، بفضل الحرب الكورية ، مستوى انتاجها في السنوات ١٩٣٠ - ١٩٣٤ .
 فان ضعف المراقبة وسخاء الاقراض قد شجعا انتاج المواد الاستهلاكية ، ولا سيما السيارات ،
 وتشيد الابنية ، وتوظيف الاموال . فليس ثمة من تأخر الا في الصناعات الدسجية التي تراجعت
 امام الخيوط الاصطناعية وامام اقفال الاسواق التدريجي في افريقيا والشرق الادنى حيث
 كانت منافسة اليابان والهند ناجحة بفعل تدني الاجور فيها . اما زيادة الانتاج الصناعي
 والزراعي والمنجمي بين السنة ١٩٤٠ والسنة ١٩٥٤ فقد تجاوزت ٤٠ بالمائة كماً ، وكانت منذ
 السنة ١٩٤٨ اسرع في اوروبا الغربية منها في الولايات المتحدة ، وانما عوض عنها جزئياً بارتفاع
 عدد السكان وبتباين تقدمها ، من حيث ان جزءاً كبيراً من اوروبا الحرة قد ضم مناطق
 غير نامية كابطاليا الجنوبية واسبانيا والبرتغال واليونان . يضاف الى ذلك انها اختلفت باختلاف
 البلدان ، فكانت اكثر تباطؤاً في فرنسا مثلاً حيث لم ترتفع بين السنة ١٩٢٩ والسنة ١٩٥٤ الا
 بنسبة ١٨ بالمائة ، بينما ارتفعت بنسبة ٦١ بالمائة في بريطانيا العظمى ، و ٧٠ بالمائة في ايطاليا ،
 و ٨٦ بالمائة في المانيا ، و ٩٩ بالمائة في هولندا (و ١١١ بالمائة في الولايات المتحدة) . وكانت
 نهضة المانيا الغربية سريعة جداً منذ السنة ١٩٤٨ : فان معدل انتاجها الصناعي قد انتقل من
 ٧٩ في هذا التاريخ الى ١٥٠ في السنة ١٩٥٢ والى ١٧٦ في السنة ١٩٥٤ ، كما ان نصيبها من

الانتاج الصناعي الاوروبي ، الذي كان بنسبة ٢٠ بالمائة في السنة ١٩٣٨ ، وهبط الى ٨ بالمائة في السنة ١٩٤٧ ، قد ارتفع في اواخر السنة ١٩٥٠ ، فاحتلت الاسواق الخارجية مرة اخرى ، وبات المارك احد اقوى نقود اوروبا . وهي الصناعات المعدنية والميكانيكية (٦٠ بالمائة) ، والصناعات الكيماوية - بما فيها مصافي البترول - ما احرزت اكبر تقدم وما بلغت اعلى الارقام بالنسبة لمستواها قبل الحرب ؛ وتضاعف انتاج الكهرباء خلال عشر سنوات بينما استقر انتاج الفحم الحجري وارتسم فيه اتجاه نحو التراجع .

بعد السنة ١٩٥٠ ، تواصلت انطلاقة الانتاج الصناعي بسرعة : فان معدل التقدم السنوي ، في العقد السادس ، قد اختلف في اوروبا بين ٧،٤ بالمائة في المانيا الغربية و ٢،٥ بالمائة في المملكة المتحدة ، و ٦ بالمائة في النمسا وايطاليا ، وبين ٤،٢٥ و ٥،٢٥ في سويسرا وهولندا وفرنسا ، وبين ٣ و ٣،٧٥ بالمائة في النرويج والسويد والدانمارك وبلجيكا . ولكن السنة ١٩٦١ التي رأت اقتصاد الولايات المتحدة يخرج من الازمة وينطلق انطلاقة جديدة ، تشكل نهاية التقدم السريع في صناعة بلدان اوروبا الغربية . وقد اختلف التطور باختلاف البلدان : فاحتفظت المانيا الغربية وحدها بمعدل تقدمها المرتفع (٧ بالمائة في اوائل السنة ١٩٦٥) ، بينما لم يبلغ معدل تقدم فرنسا سوى ٣،٣ بالمائة فقط ، بفعل خطة الاستقرار وتحديد القروض وتجميد الاسعار . اما التقدم الايطالي فقد طرأ عليه هبوط كبير بفعل الازمة التي حدثت في اعقاب الانتخابات التي كانت نتائجها مؤاتية لـ « منفذ الى اليسار » : ارتفاع الاسعار ، تهريب رؤوس الاموال ، عجز في ميزان المدفوعات . فكان ذلك نهاية « المعجزة الايطالية » التي ترد في الدرجة الاولى الى وفرة اليد العاملة الضئيلة الاجور ، وكانت النهضة في السنة ١٩٦٥ بطيئة ومترددة . اما بريطانيا العظمى ، التي كانت عنصر الاختلال الرئيسي في مدفوعات اوروبا الغربية ، فكان معدل الزيادة فيها ابطأ منه في كافة الدول (٢،٤٥ بالمائة) ، وميزان مدفوعاتها في عجز ، ونقدها مهدداً ابداً .

يرد هذا الوضع الى تدني الطلب من خارج اوروبا ، بحيث اصبحت زيادة الاستهلاك آنثذ العامل الاول بين عوامل التقدم . ولكن العائق الرئيسي كان الحاجة الى اليد العاملة (ولا سيما المتخصصة) قبل نقصان الطاقة الانتاجية لانها هي كانت السبب الاول في ارتفاع الاجور والاسعار الزراعية ، الذي لم يلبث ان بلغ نسبة عالية في المانيا وايطاليا وجاوز تقدم الانتاجية الى حد بعيد . فقد صادفت في الزمن زيادة في الاحتياط النقدي ، واسهمت من ثم في زيادة التضخم . ومع ارتفاع الانتاج احرز تجمع المشاريع تقدماً سريعاً جداً ، بغية مواجهة المنافسة في الدرجة الاولى ، في البلدان التي تحققت فيها فكرة السوق المشتركة تحقفاً بطيئاً . وقد تم التجمع عن طريق الانصهار ، وانشاء فروع مشتركة ، واقامة علائق مالية على جانب كبير من التعقيد : زهاء ٩٠٠ علاقة بين المشاريع المرنسية المئة التي جاوز رأسمالها مليار فرنك في السنة ١٩٥٨ (تمثل ٦٠ بالمائة من اموال الشركات المسعرة اسهمها في المصنف والمستخدم

... ٧٠٠ عامل) ، و ٦٧٧ بين المصارف التجارية الفرنسية الاثني عشر وحدها ... ثم اتسعت الحركة . فتحقق بين السنة ١٩٦١ والسنة ١٩٦٤ مائتا انصهار بين المشاريع الصناعية الكبرى الـ ٥٠٠ في ألمانيا الاتحادية . وفي السنة ١٩٦٤ حقق ٥٣٤ ، بالمائة من المشاريع (الصناعية والتجارية) الفرنسية ٥٠٤٩ بالمائة من مجموع المبيعات ودفعت ٥٤٤٩ بالمائة من الاجور . وبالرغم من ذلك كان التجمع في اوروبا اقل تقدماً منه في الولايات المتحدة ، اذ ان اهم مشروع الماني لم يأت في السنة ١٩٦٤ الا في المرتبة التاسعة والعشرين في لائحة المشاريع الصناعية العالمية الكبرى ، واهم مشروع ايطالي في المرتبة الثامنة والثلاثين ، واهم مشروع فرنسي في المرتبة الخمسين .

نجم عن ذلك انخفاض سريع في عدد مشاريع الصناعة اليدوية المستقلة والمؤسسات الصناعية المستخدمة اقل من ٥٠ اجيراً . وفي فرنسا ، حيث نعلم ان المشاريع الصناعية والتجارية الكبرى اقل عدداً واقل شأناً منها في الولايات المتحدة او في ألمانيا ، لم يرتفع ، بين احصاءي السنة ١٩٥٤ والسنة ١٩٦٢ ، سوى عدد المشاريع المستخدمة بين ٥٠ و ٢٠٠ اجير (١٥٠ بالمائة) واكثر من ٢٠٠ اجير (١٢ بالمائة) ، بينما زال من الوجود ٨٤٠٠٠ مشروع صناعة يدوية و ٤٣٠٠٠ مؤسسة صناعية تستخدم بين اجير وعشرة اجراء .

الوضع الزراعي كان التقدم بطيئاً بصورة عامة بعد السنة ١٩٤٩ حين بلغ الانتاج الزراعي مستواه قبل الحرب . فان المعدل السنوي الذي بلغ ١٠ بالمائة بين السنة ١٩٤٥ والسنة ١٩٤٩ قد هبط بعد ذلك الى ٧ بالمائة ثم الى ٢ بالمائة (في ١٩٥٢ - ١٩٥٣) . فتكاد الزيادة توازي من ثم زيادة مجموع عدد السكان ، بالرغم من ان المساحة المخصصة للانتاج الزراعي قد انخفضت منذ السنة ١٩٣٨ بنسبة ٢ - ٣ بالمائة . وقد اعاض تحسن الانتاج من انخفاض المساحات المزروعة بفضل استخدام المزيد من الاسمدة ومن الآلات الزراعية (جرارة لكل ٢٠ هكتاراً من الأراضي الزراعية في المملكة المتحدة وسويسرا ، ولكل ١٤٠ هكتاراً في فرنسا ، و ٢١٠ هكتارات في ايطاليا) ، ولكن الاموال الموظفة في الزراعة كانت اقل شأناً الى حد بعيد من الاموال الموظفة في قطاعات الاقتصاد الاخرى : ٧٥ ، بالمائة في المملكة المتحدة ، ٤٢ ، بالمائة في ألمانيا ، ٣٥ ، بالمائة في بلجيكا ، ٣٤ ، بالمائة في فرنسا ، ١٣ ، بالمائة في ايطاليا ، واستقر الانتاج في مستوى لم يتبدل تبديلاً يذكر . الا ان تنظيم الزراعة الاوروبية ، المتباين تقدماً ، غالباً ما اعاقه عجز العمال عن شراء ما يريدون ، ووجود ملايين صغار الملاكين الذين كانت املاكهم اضيق من ان تؤمن لهم طيلة ايام السنة عملاً منتجاً ، والذين افتقروا الى الاموال اللازمة لتنظيم استثمارها ، فحدوا من الانتاجية والتقدم الاجتماعي .

يضاف الى ذلك من جهة ثانية ان الزراعة الغربية لم تضمن الازدهار الا لجزء من مزاويلها . فبالاضافة الى قلة العمل ، وبالتالي الى قلة الاستخدام ، اللذين ولدا بؤساً حقيقياً احياناً ، ليس

من شك في وجود املاق لا جدال فيه بين الفلاحين ، فاجم عن الفرق الكبير بين الدخول الزراعية والدخول الصناعية وعن انخفاض اسعار البيع بالمجمل . ومرد ذلك الى ان نصيب الزراعة الاجمالي في البلدان الصناعية ذات الدخل القومي المتزايد ، اخذ في التدنّي يوماً بعد يوم (هبط من ٣٥ الى ١٢ بالمائة من الدخل القومي في فرنسا بين السنة ١٩٠٠ والسنة ١٩٦٠) ، بحيث انخفض معدل مستوى معيشة الفلاحين انخفاضاً كبيراً بالرغم من انخفاض عددهم انخفاضاً كبيراً ايضاً . وقد افضى هذا الانخفاض في مستوى المعيشة بالنسبة له في المدينة الى الحدار طبقي حقيقي والى امتعاض عام سببه « شعور بالحرمان والحيف والاهمال وعدم الاطمئنان للغد » .

فلا عجب والحالة هذه اذا ما اتسمت حركة الهجرة الريفية : فان نسبة العمل الزراعي بين الذكور ، التي انخفضت في النصف الاول من القرن العشرين في كافة البلدان (بمعدل ٥٢ بالمائة في بلجيكا و ٤٨ بالمائة في السويد ، و ٤٦ بالمائة في انكلترا ، و ٤٠ بالمائة في سويسرا وهولندا والمانيا الغربية ، و ٣٠ بالمائة في فرنسا) ، قد استمرت في الانخفاض ، اذ ان فرنسا قد « حرمت » بين السنة ١٩٥٤ والسنة ١٩٦٠ من اكثر من ١/٢ فلاحينها ، ولا تزال « تُحرّم » من ٥٠.٠٠٠ فلاح تقريباً في السنة ، كما ان المانيا الغربية « حرمت » من ١٦,٤ بالمائة ، وهولندا من ١١,٧ بالمائة ، وايطاليا من ١٠ بالمائة ، وبلجيكا من ٥ بالمائة ، الخ .

تجلى هذا الامتعاض احياناً باضطرابات وانفجارات استياء عنيفة تستهدف ارغام الدولة على التدخل لمصلحة الفلاحين الراغبين في التوصل الى وضع اجتماعي يعادل مستواه مستوى الفئات الحرفية الاخرى المماثلة . وبهذا الصدد شجعت الانظمة الانتخابية الغربية الدوائر الريفية ، حتى القليلة السكان منها ، لان وجود طبقة قروية راضية عنصر من عناصر استقرار المجتمع وديمومته . لذلك تنبّهت الحكومات ، بصورة عامة ، الى قلبية مطالبها : فهذه كانت الغاية في المانيا الاتحادية من « المشروع الاخضر » الذي اقر في السنة ١٩٥٥ ، والمشروع الاخضر الايطالي (١٩٦١) ، والقانون الزراعي السويسري الاساسي (١٩٥١) ، وكافة التشريعات الفرنسية منذ السنة ١٩٦٤ ، التي يمكن مقارنتها ، من اوجه عديدة ، بالتدابير التي سبقت الاشارة اليها في الولايات المتحدة .

في اليابان تحققت اصلاحات اقتصادية اساسية بغية جعل تنظيم الانتاج الزراعي والصناعي في متناول الجميع . وكان أهمها الاصلاح الزراعي الذي فرضته السلطات الاميركية في السنة ١٩٤٦ . ففي هذا التاريخ كان ٦٤٪ من سكان الأرياف يعملون في اراض مكثرة بجزئياً او كلياً ويدفعون كراء يبلغ نصف الحصيد او اكثر من نصفه . وكان الهدف من الاصلاح وضع حد لبؤس هؤلاء المكترين باعطائه اولئك الذين يزرعون الارض امكانية امتلاكها . فاضطر الملاكون الذين لا يقيمون في اراضيهم الى بيعها من الحكومة بأسعارها في السنة ١٩٣٩ ، اي ان هذه الاراضي انتقلت الى الحكومة بما يشبه المصادرة والاستملاك . ولم يسمح للفلاحين بامتلاك

أكثر من سبعة أكرات ونصف ولغير الفلاحين من أكرين ونصف ، باستثناء « هوكايدو » ، حيث سمح بامتلاك أربعة أضعاف هذه المساحات . وتمكن المكثرون من الحصول على هذه الأراضي إما بدفع ثمنها ، وإما بدفع فائدة سنوية توازي ٣,٢٪ من ثمنها طيلة ٣٠ سنة . وحددت بدلات الكراء بحيث لا تتجاوز ٢٥٪ من محاصيل الأرز و ١٥٪ من محاصيل الزراعات « البعلية » . وصادف تطبيق الإصلاح صعوبات كثيرة بفعل معارضة بعض الوزراء الذين عرقلوه (خصوصاً في تسجيل انتقال الملكية) ولا سيما معارضة الملاكين السابقين الذين غالباً ما اشرفوا على عمليات اللجوء المحلية وخوفوا المشترين . ولكن ٧٠٪ من المستثمرين الريفيين ، مقابل ٣٦,٥٪ في السنة ١٩٤٥ ، أصبحوا منذ السنة ١٩٤٩ يملكون ٨٢٪ من الأرض الزراعية مقابل ٥٤,٢٪ . وبالرغم من هذه النتائج ، فإن أكثر من ٦٠٪ من الفلاحين كانوا يستثمرون في السنة ١٩٥٦ حقولاً لا تبلغ مساحتها الـ « شو » (١,٢٤ هكتار) . ولذلك اعتمدت منذ السنة ١٩٤٩ سياسة تحديد النسل التي نجحت في تخفيض معدل الولادات (الذي كان ٣,٤ بالآلف في السنة ١٩٤٧) إلى ١,٨ بالآلف في السنة ١٩٥٦ ، بينما تدنى معدل الوفيات من ١٤,٦ إلى ٨ .

أما في إيطاليا الوسطى ، وخصوصاً في إيطاليا الجنوبية ، فلم يحقق إصلاح واسع بغية تسوية المسألة الزراعية ، بالرغم من استيلاء فلاحي كلابريا وصقلية ، في السنة ١٩٤٩ ، على أملاك كبرى ، وبالرغم من الاضرابات العامة التي أعلنها العمال الذين ينتظرون في شوارع القرى من يستخدمهم . ولم يطبق سوى قانون خاص عمل به في منطقة « سيليا » ، هو قانون « سترالشيو » الذي اتساح استملاك ١٠٠,٠٠٠ هكتار ، وقانون خاص آخر عمل به في صقلية . فبلغ مجموع الأراضي الموزعة حتى هذا التاريخ ٥٠٠,٠٠٠ هكتار ، وبمجموع المستفيدين من هذا التوزيع ٩٠,٠٠٠ عائلة .

لم ينقطع الاستخدام عن التقدم ، وقد أتاح تشغيل الجماهير الفقيرة التي هاجرت الأرياف إلى المدن . لقد زالت آفة البطالة في البلدان الصناعية الكبرى باستثناء بلدان أوروبا الجنوبية . لا بل لوحظت في كثير من البلدان حاجة كبرى إلى العمال الاختصاصيين ، ففي إيطاليا حيث استقر عدد البطالين زمنياً طويلاً حول رقم الـ ٢,٠٠٠,٠٠٠ (بطالة كلية) ، أي ١٠٪ من اليد العاملة ، وسجلت نسبة مماثلة من البطالين الجزئيين ، هبط هذا العدد إلى ١,٧٠٠,٠٠٠ في السنة ١٩٦٠ وإلى ١,٢٠٠,٠٠٠ في السنة ١٩٦٤ . وفي ألمانيا الاتحادية هبط عدد البطالين من ١,٨٠٠,٠٠٠ في السنة ١٩٥١ إلى ١,٣٠٠,٠٠٠ في أواخر السنة ١٩٥٤ وإلى الصفر منذ السنة ١٩٦٠ . لا يسجل جاءها منذ السنة ١٩٦٤ أكثر من مليون عامل أجنبي (٣٥٠,٠٠٠ إيطالي ، والمديد من اليونانيين والاسبان والأتراك والبرتغاليين وسكان الدول المتاخمة) . ويصح هذا القول في سويسرا أيضاً حيث يوجد عامل أجنبي من كل ثلاثة (٢٧١,٠٠٠ في السنة ١٩٥٥ و ٩٠٠,٠٠٠ في السنة ١٩٦٤) . لذلك بادت نسبة البطالة ضئيلة جداً : ٥,٠٪ في ألمانيا ، ٨,٠٪ في هولندا ، ١٢ بالمائة في فرنسا ، ١٤ بالمائة في المملكة المتحدة ، ٢٠ بالمائة في إيطاليا .

وبالمقابلة ارتفعت الاجور الاسمية .

الانبعثات التجارية
استلزم الانبعثات التجاري تكييفاً جديداً عسيراً، ولكن تقدمه كان سريعاً بالرغم من العراقيل الكثيرة التي أقامتها في طريقه الرقابات ، والانظمة النقدية ، والتعريفات الجمركية . ففي السنة ١٩٥٥ تجاوزت التجارة العالمية ، بنسبة ٥٠ بالمائة ، مستواها في السنة ١٩٤٨ (وستين بالمائة ، مستواها في السنة ١٩٣٨) . الا ان اوروبا الغربية خسرت جزءاً كبيراً من دخل الاموال الموظفة في ما وراء البحار والمقدرة في ١٩٥٠ - ١٩٥١ بأكثر من خمسمئة مليون دولار في السنة ١٩٣٨ . وان هذا الدخل ، الذي كان يمثل ٣٢ بالمائة من حجم الصادرات في الستة ١٩٣٨ ، لم يمثل سوى ٩ بالمائة فقط في ١٩٥٠ - ١٩٥١ . وأضيف الى هذه الخسائر عبء تسديد الديون الجديدة المتراكمة اثناء الحرب . فحتى البلدان التي توفرت لديها اموال احتياطية بفضل صادراتها في الحماة اخرى من العالم (كبريطانيا العظمى وخصوصاً البلدان التي لم تتضرر تضرراً كبيراً من الحرب كبلجيكا وسويسرا والسويد) قد اضطهدت بصعوبات كبرى نجمت بصورة خاصة عن استحالة تحويل كافة النقود تقريباً ، باستثناء الدولار والفرنك السويسري .

اذن كانت مسألة سد هذا المعجز الكبير في ميزان المدفوعات على جانب كبير جداً من الخطورة . فان اوروبا الغربية ، باستثناء ايطاليا ، لم تستفد من المساعدات المخصصة للبلدان الفقيرة ، بحيث لم تؤمن المدفوعات الا بالفاق احتياطي الذهب او الدولار ، او بفضل القروض التي منحتها الحكومة الاميركية : اعني بها القروض الممدة لدفع قيمة « فائض » الخزونات الحربية المتروكة في اوروبا ، او ثمن السفن المعروفة بـ « سفن الحرية » . والحال كانت الحاجة الى معدات التجهيز والمواد الغذائية كبيرة جداً ، والموارد اللازمة لدفع قيمة هذه الواردات المتزايدة اخذت في التناقص ، وتقدم الانتاج الصناعي مؤدياً ، كما هو طبيعي ، الى انقاص الفوائض الممدة للتصدير ؛ كما ان الاسطول التجاري قد خسر جزءاً كبيراً من محموله ، والتقنين الغذائي قد منع السياحة من استعادة اهميتها القديمة ، والجزء الاكبر من الاموال الموظفة في ما وراء البحار ، ولا سيما في اميركا الشمالية ، قد صفى حسابه . وهكذا كانت اوروبا الغربية ، اقله خلال السنوات الاولى ، مدينة للولايات المتحدة ، حتى في حقل الخدمات . اما العلائق باوروبا الشرقية ، التي كانت في البدء متوقفة توقفاً تاماً ، فلم تتجدد بعد ذلك الا على نطاق ضيق ، بسبب الدمار الذي خلفته الحرب فيها وحاجات اعادة بناء هذه البلدان وادخال الاصلاحات الزراعية من جهة ، واتجاه تيارات التجارة الجديدة نحو الاتحاد السوفياتي ، من جهة ثانية . ثم كادت تنقطع انقطاعاً كلياً حين اشتدت الحرب الباردة .

وهكذا ازداد المعجز في المبادلات بين اوروبا الغربية ومنطقة « حرة الدولار »
الدولار . فارتفع من ٧٠٠ مليون دولار في السنة ١٩٣٨ الى ثلاثة آلاف وخمسمئة مليون في السنة ١٩٤٦ والى خمسة آلاف وسبعمئة مليون في السنة ١٩٤٨ فيما

نخص الولايات المتحدة وحدها .

وزاد تأخر صادرات المنتجات الأساسية من بلدان ما وراء البحار من هذا الارتباط بالولايات المتحدة لان معظم الواردات الأوروبية التي حلت محلها قد اتيحت من منطقة الدولار (٣٠ بالمائة اكثر من السنة ١٩٣٨) .

كادت الصادرات الأوروبية تتضاعف بين السنة ١٩٤٨ والسنة ١٩٥٤ ، بفضل ألمانيا والسويد بصورة خاصة ، ولكنها كانت لتزيل اختلال التوازن ، اذ ان أوروبا ما كانت لتستطيع زيادة وارداتها من الدولارات باستغنائها عن المنتجات الأميركية في أوروبا او في النحاء منطقة الدولار الأخرى . أما بريطانيا العظمى وفرنسا فقد حققت صادراتهما أعلى ارتفاع (٨٥٪ بين السنة ١٩٣٨ والسنة ١٩٥١) في منطقة السترليني او في منطقة الفرنك أي في مستعمراتها في ما وراء البحار ؛ ولكن القضية كانت ، في الدرجة الأولى ، قضية توظيف اموال من أجل تنفيذ خطة تجميدية او اتفاق عسكري (ماليزيا ، الهند الصينية) . واذا تدنى العجز فليس ذلك بفضل الحصول على الدولارات بل بفضل القروض التي قدمتها المشاريع الخاصة والحكومة الأميركية والمصارف المرتبطة بها ، وبفضل ارتفاع نفقات القوات الأميركية المتمركزة في أوروبا وطلبات بلدان ما وراء البحار . ولكن المقصود هنا هو مساعدة مرتبطة بالوضع السياسي والعسكري لم تفلح سوى في « اخفاء » عجز دائم بلغ زهاء ٢٤٠٠ مليون دولار في السنة ١٩٥٤ و ٣٤٠٠ مليون في السنة ١٩٥٥ . فان اطراد ارتفاع صادرات الولايات المتحدة (خصوصاً صادرات البترول والقطن في اعقاب أزمة السويس واقفال التربة) ، وتباطؤ انتاجها الصناعي الذي خفض مشترياتها من المواد الأولية واحسث تدنياً جليلاً في اسعارها ، ورفضها تخفيض تعريفاتها الجمركية ، قد ادت في السنة ١٩٥٧ الى اتفاق كميات كبيرى من احتياطي الذهب والدولارات في بلدان كثيرة — البلدان المنتجة الخامات والبلدان الصناعية على السواء — وزادت من عجزها التجاري وفرضت على البعض منها تدابير تقييدية واكراهتها على استئانة مبالغ باهظة من صندوق النقد الدولي . تلك هي الازمة الأميركية في السنة ١٩٥٨ التي كان اثرها على التجارة الأوروبية غير ذي شأن ، وذلك هو انخفاض سعر المواد الأولية التي اتاحت وحدها للاقتصادات الأوروبية ان تجدد مخزوناتا من النقد النادر وتستعيد مكاناً اكبر في التجارة العالمية .

من أجل تنظيم اقتصادات أوروبا تنظيمًا صوابيًا ، ومن أجل تنسيقها
مشاريع توحيد
تنسيقاً أكثر فاعلية ، ومن أجل تأليف « قوة ثالثة تكون على قدر
أوروبا الغربية
كاف من الركائز والازدهار لتميش مستقلة عن الكتلتين ، الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي ، نشأت الحركة الهادفة الى توحيد دول أوروبا غير الشيوعية . فان « حركة اوروبية » تأسست في لاهاي ورأسها و. تشرشل ول. بلوم وسباك وغاسبري اقترحت في السنة ١٩٤٨ انشاء « اتحاد اوروبي » مع جمعية استشارية تكون نواة لبرلمان الغد الاوروبي ؛ الا ان المشروع أثار معارضة البريطانيين المتمسكين بمعلائقهم بالملكيات ولم يؤد الا الى انشاء

« مجلس أوروبا » الذي عين مركزه في ستراسبورغ ولم تتوفر له اية وسيلة عمل . ولمسا كانت الوحدة السياسية وحتى « الدستورية » صدمة كبرى للمشاعر القومية ولا سبيل الى تحقيقها ، فقد فكر محرروها بالتوصل الى خلق جو مؤات بتحقيق وحدة اقتصادية تضع حداً لاضطراب الاقتصاد الدولي الناجم عن نظام الحماية والاكتفاء الذاتي وعن القيود المفروضة على انتقال السلع ، والبشر (بايقاف الهجرة) ، ورؤوس الأموال . وكان المقصود جعل أوروبا « سوقاً واحدة » تمكن من توزيع العمل توزيعاً صوابياً وتوزيع الصناعات توزيعاً جديداً من شأنه تحسين الانتاجية وتوفير قوائد الانتاج الكثيف . ويفترض هذا التحول ، في كافة المناطق الموحدة ، ان تقلل السلع واليد العاملة ورؤوس الأموال بحرية . ولكن اقتصادات أوروبا المنقسمة هذه كانت عرضة ومعرضة للمنافسة . فان اقرار حرية التبادل بين الدول الأوروبية قد يعني بالنتيجة تقويض اقتصاد عدد كبير من الدول والمناطق . وهكذا طرحت مسألة المناطق الفقيرة التي تتعرض لان تسمي اكثر بؤساً اذا تركت الحرية لنشاطات السوق ، كما حدث في ايطاليا بعد التوحيد اذ رأى الجنوب ، وقد كان ضحية الشمال الذي يفضل تجهيزاً ، ان صناعاته تهمرت بسرعة لانها لم تعد محمية بالحواجز الجمركية . فبدون تدابير تحمي مناطق أوروبا الجنوبية التي يكثف فيها الفلاحون ، قد يزداد الفرق بين مستويات النمو الاقتصادي في المناطق الأوروبية ذات الدخل المرتفع والمناطق ذات الدخل الزهيد .

اتضح من ثم ان مشروع انشاء وحدة جمركية واسعة ، الذي حظي بمعطف الاميركيين ، كان مشرعاً خيالياً ، وقد اعمل واستفيض عنه بفكرة انشاء وحدات جمركية ضيقة النطاق ، ولكن المفاوضات ، هنا ايضاً ، اظهرت صعوبات يستحيل التغلب عليها ، ولم تنته اية محاولة الى نتائج عملية ، باستثناء اختيار وحدة البنلوكس (١٩٤٨ - ١٩٤٩) التي تعتبر نجاحاً اذا ما قورنت بالمحاولات العديدة الفاشلة في مناطق اخرى ، فقد كان انتقال اليد العاملة محدوداً جداً ، وانتقال رؤوس الأموال محصوراً جداً ، والمبادلات التجارية ، على الرغم من تزايدها ، قليلة جداً بسبب اختلاف الانظمة في البلدان الداخلة في الوحدة : زراعة بلجيكية متقدمة معدة لتغذية بلاد مصنعة واسعار مرتفعة ، وزراعة هولندية موجهة نحو التصدير . وصناعة بلجيكية تهددها المنافسة الهولندية . وخيبت الآمال كذلك الوحدة الجمركية الفرنسية الايطالية في السنة ١٩٤٩ ومحاوله الوحدة السكندينية في السنة ١٩٥٠ .

اكتفي آنذاك بصيغة اكثر تواضعاً هي صيغة « وحدة القطاعات » ، ولا سيما القطاعين اللذين لم تؤد حرية التجارة فيهما الى نتائج ثابتة : صناعات الفحم الحجري والفلاد (خطة شومان ، في شهر ايار ١٩٥٠) ، والزراعة . فقد أسست خطة شومان « وحدة الفحم الحجري والفلاد » ، وانطوت على مقاصد سياسية بعيدة اذ كان مفروضاً فيها ان تهيه لاتفاق فرنسي الماني يكون بمثابة خطوة اولى نحو أوروبا موحدة سياسياً ، وقد استهدفت بادىء ذي بدء ايجاد تضامن

خطة شومان ،

السوق المشتركة

والادوات

اقتصادي فرنسي الماني يجمعها في وحدة اوسع نطاقاً الدول التي تتجمع فيها صناعات الفحم الحجري (الفرنسية والبلجيكية والالمانية واللوكسمبورغية) في رقعة ضيقة نسبياً ، والتي تحول فيها عوائق الحدود دون استخدام الموارد الطبيعية استخداماً حوالياً . فانخرطت فيها من ثم المانيا وفرنسا وايطاليا والبنلوكس ؛ اما بريطانيا العظمى فقد اعرضت طوعاً عن الانخراط فيها . أسندت الى « سلطة عليا » الصلاحيات الضرورية لتنظيم السوق المشتركة والاشراف عليها ، وتنسيق توظيف الأموال ، وتمويل او ضمان المشاريع المرغوب فيها ، والحؤول دون قيام اتحادات مهنية او اية اتفاقات اخرى احتكارية الطابع ، ومن جهة ثانية ، لاتخاذ التدابير المجدية في حال ازمة او حاجة .

في الحقل الزراعي ، اصطدمت شتى خطط « الاتحاد الاخضر » التي حاولت توحيد اسواق اوروبا الغربية توحيداً تدريجياً ، فيما يتعلق بعدد من المحاصيل الزراعية ، بصعوبات كبرى مختلفة ، اذ ان الحكومات كانت كثيرة الاهتمام بان تضمن لطبقة فلاحها دخلاً ثابتاً كافياً لم تتدخل ، حفاظاً عليه ، عن جزء من مهامها لمصلحة جهاز دولي .

خطيت الخطوة الحاسمة في شهر آذار من السنة ١٩٥٧ حين وقعت في روما المعاهدات التي انشأت الـ « اوراتوم » (من اجل اشتراك الاعضاء في مصادر الطاقة النووية) ولا سيما « الوحدة الاقتصادية الاوروبية » او « السوق المشتركة » التي تخطت الوحدة الجزئية التي حققتها وحدة الفحم الحجري والفولاذ . وكانت الغاية من السوق المشتركة التوصل ، خلال ١٢ او ١٥ سنة ، الى إقامة وحدة جمركية مع تعريف خارجي واحدة وحرية انتقال كاملة ، داخل الوحدة ، للأشخاص ورؤوس الأموال والخدمات ؛ وسن قوانين وانظمة تتوافق والسياسات التجارية الموحدة تدريجياً . وقد سبق لوحدة الفحم الحجري والفولاذ ان اظهرت في نطاقها الخاص الفوائد الجلى الناجمة عن انشاء نطاق اقتصادي واسع : الملاءمة بين التعريفات الجمركية وظروف النقل ، تنظيم العمل الصناعي ، تأسيس شركات كبرى (عن طريق الصهر) قادرة وحدها على جمع رؤوس الاموال الضخمة التي تستلزمها معدات واجهزة متقنة ، تنسيق السياسات التجارية ، الا ان التقسيم الدولي للعمل لما يكن متقدماً .

اصبحت الوحدة الاقتصادية الاوروبية سارية المفعول في السنة ١٩٥٩ ، بعد ان اصبحت العملات الاوروبية الرئيسية قابلة التحويل ، وبمسد ان اطلقت حرية (٤٠ الى ٩٠ ٪ من) المبادلات الاوروبية الداخلية . وفي الوقت نفسه دشن مؤتمر بروكسل مرحلة ثانية بتبني ميثاق زراعي كان منطلقاً لمفاوضات طويلة معدة لان قفسق اوضاعاً مختلفة كل الاختلاف (كانت الاسعار الزراعية الالمانية اعلى من الاسعار الفرنسية بنسبة ٢٥ ٪ ، وقد احتلت فرنسا مركزاً مسيطراً بعد ان كانت مصدرة كبرى للمحاصيل الزراعية ، الخ .) ، وانضمت الى السوق المشتركة اخيراً اليونان وتركيا و ١٨ جمهورية افريقية وبلغاشية . اما بريطانيا العظمى التي لم تبال بكسل هذه المساعي ، ولم تؤمن بان الوحدة الاقتصادية الاوروبية سوف تعرف البقاء ، واهاقها « ثقل

امبراطوريتها ، ، قد انشأت في السنة ١٩٥٩ ، في وجه الوحدة الاقتصادية الأوروبية (أوروبا الدول الست) ، جمعية أوروبية للمبادلة الحرة ، أو « أوروبا الدول السبع » (مع السويد والنرويج والدانمارك والبرتغال وسويسرا والنمسا) التي لم توجد سوى مجرد تعاون جمركي .

في أواخر السنة ١٩٦٢ برزت فوائد السوق المشتركة بارتفاع في المبادلات بين الدول الست بنسبة ٩٣ بالمائة خلال خمس سنوات ، وتقدم صناعي كبير ، وتدني البطالة ، ان لم يكن زوالها كلياً . إلا ان الصعوبات المتكاثرة كادت توقف تطور المؤسسة . ويرد ذلك الى ان أوروبا مقتصرة على الدول الست ، تكون منطقة الرور قطبها الرئيسي ، بعثت الخوف من ان توفر الوحدة الناجزة لمانيا الاتحادية مركزاً مهيمناً في أوروبا الغربية ، لا سيما وان التوحيد الاقتصادي يستتبع حتماً قيام سلطة سياسية تتقدم كافة الحكومات في الدول الموحدة ، كما هو « منطق الاحداث » (ج ويلر) ؛ هذا كان موقف الذين قالوا غير ما قاله الجنرال ديغول ومشايعوه : « أوروبا الاوطان » . وكان من شأن انضمام بريطانيا العظمى الى السوق المشتركة ان يعيد التوازن ، او اقله التوازن السياسي ، ولكن هذا الحل قد طرح جانبا بمعارضة رئيس الحكومة الفرنسية طلب الانضمام الذي تقدمت به (كانون الثاني ١٩٦٣) . وأخيراً انتهت المفاوضات بين الدول الست من اجل تنظيم تحويل السياسة الزراعية المشتركة الى الفشل (تموز ١٩٦٥) ، بينما كانت تعدّ معارك جديدة حول « جولة كندي » ، اي مفاوضات من اجل تخفيف الحواجز الجمركية الذي اقترحه الولايات المتحدة . فقد أقر الكونغرس بالفعل مشروع « قانون التوسع التجاري » الذي اعطى الرئيس صلاحيات واسعة للتفاوض في موضوع تخفيض التعريفات . ويبدو اليوم تخلي الولايات المتحدة عن مذهب حماية الصناعة ، اذا ما اخذنا بعين الاعتبار تفوق صناعاتها والوسائل المالية المتوفرة لديها ، غير متفق والغاية التي نشدها مؤسسو السوق المشتركة : ايجاد « قوة اقتصادية ثالثة » مستقلة عن « الكبيرين » .

٣ - تراجع الديمقراطية الكلاسيكية

في السنة ١٩٤٥ ، خرج المبدأ الديمقراطي ظاهراً من الصراع ضد الانظمة « الفاشستية » في المانيا وايطاليا واليابان . فلم تثبت الفكرة الديمقراطية قوتها الاشعاعية فحسب باجتذابها المزيد من الدول ، بل اثبتت الانظمة الديمقراطية فعاليتها وتفوقها عملياً حتى في النطاق الذي بدا فيه خصومها على خير استعداد ، اي في نطاق تسيير الحرب . ففي كافة بلدان العالم - باستثناء اسبانيا والبرتغال والارجنتين - تسلمت الاحزاب الديمقراطية السلطة ووضعت خططاً لإصلاحات معدة لتجديد اصول الدولة وتقنينها ولتحديد حقوق الانسان الاجتماعية . إلا ان تحالف المقاومين قد اضطر الى مماشة اكثر اعضاءه اعتدالاً ، فلم تتناول الإصلاحات المحققة من ثم سوى المؤسسات السياسية العليا ، دون ان تحدث اي تبديل في المؤسسات الاجتماعية الدنيا ، واقترت دساتير جديدة ، ولكن السلطة بقيت في ايدي الطبقات الحاكمة القديمة .

بيد ان خطط الاصلاحات العميقة هذه ، الهادفة الى وضع حدٍ للنناقض المتمثل « بمجتمع متسار قانوناً وسياسياً ، ومتسلسل السلطات اقتصادياً واجتماعياً » ، قد اثارت لدى الطبقات الحاكمة ارتياكات زادت من شدتها ان تعاضم قوة الاتحاد السوفياتي وقيام الديمقراطية الشعبية قد جسّما خطر نفوذ الشيوعية على الطبقات العمالية التي كانت الضحايا الرئيسية للحرب والاحتلال . وبدأ زوال الفاشستية ، التي اعتبرها شطر كبير من البورجوازية ، قبل الحرب وخلالها ، ضمن خط دفاع ضد اخطار انتشار البلشفية ، وكأنه ترك هذه البورجوازية دون دفاع . وامام سيل المطالبات الاجتماعية وخطار التأمين بالجملة ، اعيت الحيلة الطبقات الحاكمة ، فأعربت بمزيد من القوة ، خلال سنوات ما بعد الحرب ، عن ميولها المحافظة والتسلطية وعدائها للحركات التقدمية والشيوعية . وقد شجّعها في هذا التصلب الدعم الذي جاءها من الحكومات الانكلو ساكسونية التي انتهجت على الدوام نهجاً محافظاً جداً : دعم حتى الساعة الاخيرة الملكية التي اعتبرت عنصر استقرار في ايطاليا ويوغوسلافيا ، اعادة الملكية الى اليونان ، مراعاة ورعاية للدكتاتوريات الاخيرة التي عرفت البقاء في اوروبا الغربية (البرتغال ، اسبانيا) ، مساعدة وتشجيع للأحزاب المحافظة في كافة البلدان بوجه عام .

الدساتير الجديدة باستثناء بلجيكا ، وهولندا ، والنرويج ، والسويد ، والمملكة المتحدة (حيث خفض مفعول حق النقض في مجلس اللوردات من سكتين الى سنة) ، عدلت كافة مؤسسات دول اوروبا الغربية الحرة في السنوات التي عقيبت الحرب . فان الدساتير السارية المفعول بعد السنة ١٩١٩ والممارسة الدستورية في كافة الدول الاوروبية قد اتجهت الى جعل النظام البرلماني نظاماً « صوابياً » ، يعين شروط الاستقرار الحكومي . الا انه في كل البلدان — باستثناء انكلترا — ثلاثي او تفكك بفعل الازمة ، « موهناً بدسائس متوسطي الذكاء ومؤامرات المفسدين » ؛ ولذلك اعد كافة وطنيي البلدان المشتركة في المقاومة مشاريع عدّة انطوت كلها على الفكرة المشتركة التالية :

« تكوين طبقة حاكمة جديدة ، وحكام جدد ، يحلون محل الطبقات التي اضعفت دوريتها وعدم جدارتها في تسيير الشؤون قبل السنة ١٩٣٩ ، والتي اقدم شطر كبير منها على ممارسة الحكومات التي تعاونت والنازية . لقد اجمعت الآراء على الاحتفاظ بالمبدأ الانتخابي والتصويت العام ، ولكن الكثيرين ميزوا بين الديمقراطية والنظام البرلماني ... فالنظام البرلماني ليس الشكل الوحيد والناصح والضروري للديموقراطية ... ليست هاتان الكلمتان ، بأي شكل ، متعادلتيْن او متماثلتيْن » (ليون بلوم) .

ان النظام الذي مكّنْ عندهم كان نظاماً على الطريقة الاميركية يضمن للسلطة التنفيذية صلاحية واسعة ومستقلة . ولذلك فان النصوص الاساسية التي تضمنتها الدساتير الجديدة (فرنسا ، ١٩٤٦ ، ايطاليا ، ١٩٤٨ ؛ المانيا الاتحادية ، ١٩٤٩) قد جعلت المؤسسات اكثر فعالية رغبة من واضعها ، كما اعتقدوا ، في ضمان الاستقرار الحكومي لمدة معينة وتعزيز سلطة رئيس الحكومة الذي هو رئيس الاكثرية ايضاً . وسهلت هذه النصوص ممارسة حق حل المجلس

ووضعت اصولاً استهدفت الحد من الازمات الوزارية (في فرنسا : تولية رئيس مجلس الوزراء بالاقتراح العلني والاكثرية المطلقة ، احتمال الحل اذا حدثت ازمستان خلال ١٨ شهراً) . وفي ايطاليا ، اقتضى للتصويت على اقتراح بعدم الثقة ، ان يحمل الاقتراح توقييع عشر اعضاء المجلس وان لا يطرح الاقتراح على المناقشة قبل انقضاء ثلاثة ايام على تقديمه ؛ وفي المانيا الاتحادية ، لا تسقط الوزارة سوى اكثرية « بناءة » : « لا يحق للمجلس الاتحادي ان يعبر عن عدم ثقته بالمستشار الاتحادي الا بانتخاب خليفته بأكثرية الاعضاء وبدعوة رئيس الاتحاد الى اعفاء المستشار الاتحادي من مهامه » ... « ويجب ان تمر ٤٨ ساعة بين تقديم الاقتراح بعدم الثقة والتصويت عليه » . وباستثناء المانيا الاتحادية اوضح في كافة البلدان ان هذه النصوص لم تكن ذات فعالية كبرى .

اتسعت مهام الدولة في كافة الحقول . ففي السنوات التي عكبت
التحرير ، سنتت قوانين اقتصادية توجيهية كثيرة دونها سياسة
في الحقل الاقتصادي التدخل في سنوات الازمة . وليس المقصود هنا التدابير المؤقتة
التي استلزماتها مرحلة العوز والحاجة ، كالابقاء على التقنيين الغذائي ، وتوزيع المواد الاولية ، وتحديد الاسعار ورقابتها ، ورقابة التجارة الخارجية وحركات النقود النادرة ، وتنظيم الاجور ، حتى ولا تدخل السلطات العامة بغية « اعادة النظام الى الاجور ، اي بغية تنظيم ارتفاعها (ارتفعت سبع مرات في فرنسا بين السنة ١٩٤٥ والسنة ١٩٤٨) ، بل تدابير هامة جديدة ونهائية كالتأميم واعداد الخطط الاقتصادية .

هكذا ولدت اشكال جديدة للملكية العامة اقامت في البلدان الغربية نظام اقتصاد مختلط حيث شوهدت مؤسسات غير مؤمنة تستثمر قطاعاً هاماً من النشاط الاقتصادي غير الخاضع للملكية الخاصة . هذه هي حال « التعاونيات العامة » البريطانية (الفحم الحجري ، الكهرباء ، وسائل النقل العام ، الغاز) و « المؤسسات العامة الاقتصادية » الايطالية : « ادارة المعادن الايطالية » و « ادارة الهيدروكاربور الايطالية » التي اسسها انريكو ماتيني ، ومصرف ايطاليا ، والمعهد الوطني لاعادة بناء الصناعة ، الذي احتل المرتبة الرابعة بين المؤسسات الاوروبية الكبرى واشرف على قطاعات واسعة من الاقتصاد الوطني (نقل الركاب ، بناء السفن ، الصناعات الميكانيكية ، الفولاذ ، اربعة مصارف كبرى ، « ايطاليا » ، شركة « اوتوسترادا » ، الاذاعة ، الخ .) وشطر كبير من صناعة الفولاذ في النمسا ، و « كهرباء وغاز فرنسا » ومصانع رينو في فرنسا ، ومصانع آردال للألومينيوم و « مورابي - رانا » للصب في النرويج ... فقد خضعت كافة هذه المؤسسات لانظمة خاصة ، وتمتعت بالاستقلال المالي ، وكانت لها موازنات مماثلة لموازنات المشاريع الخاصة ، ونجت ، اقله نظرياً ، من التدخل الحكومي .

التأمينات
ادى عجز الاقتصاد الرأسمالي عن التغلب على الازمة والبطالة وعن اعداد الحرب
اعداداً فعالاً ، ومن ثم عن صيانة الاستقلال الوطني ، والنمو العظيم في الانتاج
الذي حققه الاقتصاد البريطاني المراقب خلال الحرب ، على نقيض ركوده قبل الحرب ، الى
القناعة بان اعادة البناء بعد الحرب وتحويل الصناعات الى اقتصاد ايام السلم لا يمكن
ان يترك للمبادرة الخاصة ، وبأنهما يجب ان يخضعا لتخطيط الدولة وتوجيهها اقله في
القطاعات الرئيسية .

وكانت هنالك بواعث اخرى قامت بدورها ايضاً : كالموقف الذي وقفه في البلدان المحتلة
عدد كبير من اعضاء الطبقات الحاكمة الذين تعاونوا مع المحتلين وعملوا في خدمة آلتهم الحربية ،
فنقلت مصانعهم الى اسم الدولة واشترك العمال في ادارتها . يضاف الى ذلك ان
الامان اسهموا خلال الاحتلال في مشاريع كثيرة واشرفوا على معظم المشاريع الكبرى ؛
فأصبحت هذه الملكيات الالمانية ، بعد التحرير ، املاك دولة ايضاً ؛ وهكذا تحقق تأمين
قطاع هام .

واخيراً بدا من الضروري ضمان ادارة اكثر فعالية منها في السابق . وكان ذلك باعث تأمين
الصناعات القديمة المتدهورة كصناعات الفحم الحجري البريطانية حيث برهنت الملكية الخاصة
عن عجزها عن توظيف الاموال اللازمة وتحقيق اعادة التنظيم الضرورية لزيادة الانتاج .
وهي الرغبة في تنظيم ادارتها ما حمل على تأمين المصارف الفرنسية الكبرى التي كثرت
في ادارتها الوظائف المزدوجة ، وما حملت على تأسيس مثل « معهد الصناعة الوطني »
في اسبانيا و « المعهد الوطني لانماء الصناعة » في ايطاليا اللذين اسهما إسهامات واسعة في عدد
من المشاريع .

يجب اخيراً ان نضيف الى ذلك الاقتناع بخطور الاحتكار الخاص بسبب التجاوزات التي قد
تنجم عن اثره السياسي . ففي بريطانيا العظمى ، ولا سيما في فرنسا ، مازال الناس
يتذكرون السنوات الاخيرة التي نجحت الرأسمالية المالية فيها في احباط محاولات الاصلاحات
الاجتماعية التي قامت بها الحكومات اليسارية ؛ وهو هذا العداء للاحتكارات ما دفع الى
تأمين السكك الحديدية البريطانية وشركات الضمان والمصارف الكبرى في فرنسا ، والخدمات
العامة (غاز ، كهرباء) في البلدين .

لم نجح في اي مكان ، من جهة ثانية ، محاولة تأمين كامل ، وباستثناء حالات الاحكام ،
دفعت التعويضات لاصحاب المشاريع المستملكة . اذن اجريت تأمينات صناعات رئيسية .
ليس في الديمقراطيات الشعبية فحسب ، بل في بلدان اخرى عديدة . ففي السنة ١٩٤٥ والسنة
١٩٤٦ قضى عدد من الاحكام والقوانين الفرنسية بتأمين مصانع رينسو ، وشركة محركات
« غنوم ورون » ، والنقل الجوي ، ومصرف فرنسا ، ومصارف الودائع الاربعة الكبرى ،
والمصرف الجزائري ، و ٣٤ شركة ضمان ، وانتاج وتوزيع الكهرباء والغاز ، ومصانع الفحم

الحجري . وفي الترويج اامت المناجم والجزء الأكبر من الصناعة الكهربائية - التقنية . وفي بريطانيا العظمى اقدمت الحكومة العمالية بين السنة ١٩٤٦ والسنة ١٩٤٩ على ثماني عمليات تأميم كبرى تناولت : مصرف انكلترا ، الاسلاك والاتصال اللاسلكي ، الطيران المدني ، مصانع الفحم الحجري ، النقل الداخلي ، الكهرباء ، الغاز ، وفي السنة ١٩٥١ ، الفولاذ .

وفي كل الدول ، من جهة ثانية ، تدخلت الدولة في الاقتصاد بتخفيف الضرائب ،^{الخطط} واستئجار المصانع ، وتسهيل الاقراض او تقييده . واسندت الابحاث المتعلقة بالطاقة النووية وبناء منشآت تحليل الذرة ، التي تستلزم اموالاً طائلة ، الى ادارات رسمية في انكلترا وفرنسا والمانيا . وبرز تدخل الدولة كذلك في رسم الخطط الخاصة ، كخطط وصل الشبكات الكهربائية ، والخطط الشاملة للاقتصاد الوطني . ففي انكلترا حيث لم ترسم خطة شاملة ملزمة تنفذ طيلة سنوات عدة ، كانت السياسة الاقتصادية ، بالرغم من ذلك ، منسقة ومخططة : في السنة ١٩٤٨ اعلنت خطة موضوعة للسنوات ١٩٤٨ - ١٩٥٢ كان الهدف منها اعلام الأمة بالمهام الاقتصادية الواجبة التحقيق وابرار ما يمثل بينها مركز الأولوية ، على ان تستخدم الحكومة صلاحيتها الرقابية من اجل توجيه الصناعيين نحو تحقيقها . واعتمدت هولندا بعد الحرب خطة اتمائية يستغرق تنفيذها اربع سنوات كان من المنتظر ان تعيد ، في السنة ١٩٥٠ ، مستوى المعيشة الى ما كان عليه في السنة ١٩٤٠ ، وتصلح ما هدمته الحرب ، وتعوض خسارة دخول الأموال الموظفة والتجارة مع المستعمرات الاندونيسية السابقة ، وخسارة تجارة الترانزيت مع المانيا . ورسمت ايطاليا الخطة المعروفة بـ «خطة قانوني» المدة لايحاد ٤ ملايين وظيفة او استخدام . الا انها لم تتوفق حتى السنة ١٩٦٠ لا الى ازالة البطالة ولا الى ادخال اي تعديل على الفرق العظيم بين الدخل في الشمال والدخول في الجنوب .

بالإضافة الى هذه الخطط الجزئية التي فرضتها الظروف ، اعتمد تخطيط قياسي طويل الاجل في ثماني دول غربية : فرنسا والترويج أولا ، ثم هولندا والسويد وفنلندا والبرتغال واليونان وتركيا ، ثم ايطاليا (١٩٦٥) وبلجيكا والمملكة المتحدة . لقد اختلفت هذه الخطط الجديدة فيما يخص هدفها وطرائقها ، ورسمت ابدأ بالاتفاق بين القطاع الخاص والدولة ، وانطوت في جوهرها على تقديرات تتناول معدل الزيادة ، وعلى نصوص بيانية غير الزامية معدة لان توجهه او تنظم تطورات الانتاج ، وتوزع الموارد والاعتمادات المالية في اطار النظام الرأسمالي . فكان المقصود منها لمعري « تنظيمًا مخططًا » وتخطيطًا محافظًا يوطد النظام القائم ، لا تخطيطًا حقيقياً كما اريد تحقيقه في مستوى المشروع او في البلدان الاشتراكية .

في فرنسا ، انشأ « جان مونييه » في السنة ١٩٤٦ « لجنة التخطيط » التي تمخضت في السنة ١٩٤٧ بخطة وطنية « للتجهيز والتجديد وفقاً لمتطلبات العصر » ، كانت اوسع خطة في اوروبا الغربية ، ووضعت في السنة ١٩٦٥ خطة خمسية خامسة .

توظيف الأموال

بات دور الدولة رئيسياً في حقل توظيف الأموال بصورة خاصة . ففي
السنة ١٩٣٨ خصص ٥٪ فقط من موارد الموازنة الفرنسية للتوظيف في
المشاريع . وارتفع هذا الرقم الى ٢٩٪ في السنة ١٩٤٦ ، و ٤٠٪ في السنة ١٩٤٩ ، ولكن تزايد
ارتفاع الاعتمادات العسكرية جعله يهبط الى ٣٠٪ في السنة ١٩٥١ . فمن اصل الـ ١٢٠٠ مليار
الموظفة في الاقتصاد الفرنسي في فرنسا في السنة ١٩٥٠ ، جاء ٧٤٩ ملياراً (٦٢٪) من الأموال
العمومية بشكل اعتمادات واعانات مالية ، وتعويضات عن اضرار الحرب ، وخصوصاً بشكل
قررض منحها صندوق التجهيز والتجديد وفقاً لمتطلبات العصر . وعلى نقيض ما حدث قبل
الحرب ، كان دور اصدارات الاسهم والسندات غير ذي شأن ، ودور التمويل الذاتي اكثر
اهمية (٢٥٪) ، ولكن شطراً كبيراً من رؤوس الأموال المتوفرة للانتاج قد تأمن باللجوء
الى الأموال العامة .

مثل سويسرا

في سويسرا ، ادخل التعديل الدستوري على الدستور في السنة ١٩٤٧
« بنوداً اقتصادية » جديدة أضافت بالصلاحيات الاتحادية تشريع العمل
والضمان الاجتماعي ، وسمحت لها بنقض حرية الصناعة والزراعة من اجل المحافظة على التوازن
الاقتصادي في البلاد واستدراك الازمات الاقتصادية والبطالة . والحال كانت السلطة الاتحادية
قد عززت وسائل تأثيرها على سلطات الولايات بالاعانات المالية التي منحتها اياها بشكل اعفاء من
بعض الضرائب ؛ فاصبحت بعض الولايات ، التي تألف ٢٠ بالمائة من مواردها من هذه الاعادة ،
خاضعة لها ، شأن الولايات بالنسبة للدولة الاتحادية في الولايات المتحدة .

اتساع الوظيفة العامة

ومن ظواهر توسع سلطة الدولة هذا الارتفاع التدريجي ، الذي سبقت
الاشارة اليه في الولايات المتحدة ، في عدد الموظفين في كافة البلدان ؛
فالنسبة في انكلترا اعلى منها ، بشكل ظاهر ، في فرنسا حيث ارتفع العدد الى ثلاثة اضعافه
منذ السنة ١٩١٤ ، كما هي الحال في سويسرا حيث ارتفع عدد موظفي الادارة المركزية الى اكثر
من خمسة اضعافه بين السنة ١٩١٣ والسنة ١٩٤٩ ، وارتفع عدد الموظفين الاتحاديين ، في الوقت
نفسه ، بنسبة ٣٧ بالمائة ، وموظفي الشؤون الخارجية الى ثلاثة اضعافه ، وموظفي الاقتصاد
العام الى عشرة اضعافه ، وموظفي البرق والهيدرو والكهرباء الحديدية الى اربعة اضعافه .

تدخل الدولة في الحقل الاجتماعي

ان التدخلات التي دفعت بعض الحكومات - وحكومة
المانيا البسماركية قبل سواها - ، قبل الحرب العالمية الاولى
سياسة الازدهار والرفاهية
بزمن طويل ، الى ولوج الحقل الاجتماعي ، قد تكاثرت
منذ السنة ١٩١٨ ، وباتت مألوفة اثناء الازمة الكبرى . وجاءت الحرب العالمية الثانية ، التي
عبأت كافة طاقات الدول المتعاربة ، لتحثها احتشاشاً حاسماً ، حتى في الولايات المتحدة حيث لم
تقو المقاومة التي تعرضت لها سياسة « النهج الجديد » ، على هرقة اتساعها .
لم تتدخل الحكومات تدخلاً شبه دائم ، بصورة مباشرة او غير مباشرة ، في العلاقات بين

المستخدمين والمستخدمين ، وفي تحديد الاجور الدنيا وشروط العمل (المدة ، الاجازات المدفوعة ، الخ) فحسب ، بل كان الابتكار الكبير بعد الحرب اعتماد انظمة حماية اجتماعية تستجيب لها جس الضمان والاستقرار الذي تسلط على كافة الطبقات الاجتماعية . اما اسباب ذلك فكثيرة . فهناك ذكرى الازمة الكبرى والبطالة المزمنة ، والتصميم على تأمين العمل الكامل بدافع النظام الاجتماعي وتمكين الاقتصاد وضمان الفاعلية ، والسياسة المالية السليمة والحرص على توفير المزيد من الرفاهية والاطمئنان للطبقات الفقيرة ومقاومة المرض مقاومة فعالة باتقائه اولا وبمعالجته ثانياً في افضل ظروف ممكنة ؛ وهناك اخيراً سياسة التجهت الى تعديل توزيع الدخل بالمساواة بين الاعباء الاجتماعية بحيث تتحمل الموازنة ، اي الامة بكاملها ، الاعباء التي كانت فردية من ذي قبل : العلاجات الطبية ، تقاعد الشيخوخة ، الضمانات الاجتماعية بوجه عام . فالضمان الاجتماعي بمفهومه هذا يفوق من ثم كل مفهوم تقليدي للضمان الذي لم يؤمن على بعض الاخطار المعينة سوى عدد من السكان فحسب . وهو لم يعد مرتبطاً بمقدار العمل بل ارتكز الى مبدأ التضامن القومي : على الامة ان تؤمن رفاهية الجميع . وخلال الحرب ، اي منذ السنة ١٩٤٢ ، اعتمدت بريطانيا العظمى ، التي عانت اكثر من غيرها من فقدان الضمان الاجتماعي والاستقرار الاقتصادي ، المبادئ التي وضعها السير وليم بفردج في التقرير التاريخي الذي ارتبط به اسمه . ومنذ السنة ١٩٤٥ ، رسمت معظم الدول خطط ضمان اجتماعي استوعبت استيعام متفاوتا .

بالامكان ربط النظام البريطاني بالنظام الذي تديره الدولة ويشمل كافة السكان والاطار كما في الاتحاد السوفياتي والديموقراطيات الشعبية . وقد اقرت بين السنة ١٩٤٥ والسنة ١٩٥٦ قوانين عدة تؤلف كلا كاملاً ومتلاحماً : تقاعد شيخوخة يبلغ ٣٢ شلناً في الاسبوع ، تأدية كل او بعض النفقات الطبية (معالجة ، ادوية ، استشفاء) ، على ان يؤمن التمويل بواسطة الضريبة . فاستتبع النظام تأمين المستشفيات وبلدية المهنة الطبية ، اذ اخضع الطبيب لقانون شبيه بقانون الوظيفة العامة . وبديهي ان ثمن هذا الاجراء كان مرتفعاً جداً : فقد مثل ١٥ ٪ (٦٩٣ مليون ستيرليني) من موازنة ١٩٥٣ .

وقام في السويد كذلك نظام كامل لضمان شيخوخة يضاف الى تقاعد الاجراء (الذي يضمن دخلاً يوازي ٢/٣ مبدل الاجور خلال سني العمل الاخيرة الـ ١٥) ، وتعويضات عائلية ، وتعويضات سكنى وتدفئة ، وتنظيم صحي فعال وزهيد الكلفة ، وطبابة مؤمنة عملياً اذ ان ٨٠٠ طبيب فقط من اصل ٥٠٠٠ كان لهم مجموع زبن خاص .

وهناك دول اخرى ، كالولايات المتحدة مثلاً ، لم تسلم بالضمان الالزامي الا لبعض الفئات وبعض الاخطار (البطالة ، الشيخوخة) ، على ان توفر الاموال اللازمة اشتراكات العمال وأرباب العمل ؛ لذلك فان الاجر المباشر وغير المباشر لم يختلف على العموم بالنسبة للدخل القومي ، ولا يصح الكلام هنا عن اعادة توزيع الدخل لمصلحة الاجراء . واعتمدت

فرنسا في السنة ١٩٤٥ والسنة ١٩٤٦ نظاماً وسيطاً قضى بإنشاء «صناديق» مختلفة واجهزة مستقلة بحسب الفئات الاجتماعية المختلفة ، اذ ان ذوي الدخول قد رفضوا الاختلاط بالاجراء . على ان الاستفادة من الضمان الاجتماعي كانت محصورة في البدء في القطاع الصناعي والتجاري ، والتمويل امنه الاجراء دون غيرهم ، وانتفاع فئات الاجراء المؤمنين الاخرى من الفوائد نفسها قد تم بعد ذلك تدريجياً .

وهو هذا الحرص نفسه ما دفع الحكومات الى الحلول محل المبادرات الخاصة من أجل حل مسألة السكنى . فان كافة الدول قد واجهت هذه المسألة بعد الحرب بسبب تزايد سكان المدن والدمار الذي خلفته الحرب واكتظاظ الاحياء القديمة والاحياء المرتجلة بسكان عاشوا فيها في ظروف يرثى لها صحياً واخلاقياً ، مما جعل حركة البناء الواسعة فوق وسائل وامكانيات الافراد . لذلك ، وحتى في الولايات المتحدة ، حيث معظم الناس يقيمون في المدن وحيث كثيراً ما ينتقل السكان من مدينة الى اخرى ، بنيت بعض الوحدات السكنية بمساعدة الاموال العامة : قيام الحكومة الاتحادية ببناء مساكن زهيدة الثمن ، منح قروض من أجل البناء او سلفيات من اجل احداث الخدمات الجماعية (ماء ، براليع ، طرقات ...) . وفي بريطانيا العظمى كذلك ، اكرت الحكومة من القروض المباشرة ، والمساعدات المالية للسلطات المحلية من اجل تشجيع البناء .

في حقل التعليم اخيراً ، اضطرت حتى اكثر الانظمة تشجيعاً للمبادرة الخاصة ،
التعليم لمواجهة اقبال عظيم على التعليم في كافة درجاته ، هو احد الطوابع المميزة لـ « حضارة الجماهير » . لقد ولى زمن المفاهيم القديمة التي كانت تحصر التعليم في نخبة محدودة العدد تنتسب الى الطبقات الحاكمة ، وتخصصها بمنح تعليمية قلما يخصص بها سواها ، ولا توفر لباقي السكان سوى تعليم ابتدائي . الم تتبن الامم المتحدة مبادئ حق « الجميع بالتساوي وبحسب استعدادهم » في التربية والتعليم العالي ؟

لقد فرضت مستلزمات المصلحة الوطنية ، هنا ايضاً ، رقابة شديدة ، وتعليماً إلزامياً أخترت فيه السن القصوى جهد المستطاع : يجب اعداد اجيال متعلمة قادرة على استساغة التقنيات والعلوم العصرية . يجب ان يربى المزيد من النحاتين والاطباء والمهندسين والفنانين والاساتذة . فبرزت هذا الاتجاه ثورة حقيقية في بريطانيا العظمى احدثها قانون بتلر الصادر في السنة ١٩٤٤ الذي اطال مدة الدراسة حتى ١٥ سنة منذ السنة ١٩٤٧ وحتى ١٦ سنة حالما يصبح ذلك ممكناً ، ووفر التسهيلات للوصول الى التعليم العالي . اما الشبان الذين لن يواصلوا تحصيلهم ، فسوف يتلقون حتى سن الثانية عشرة دروساً تكميلية خاصة مدة يوم او يومين في الاسبوع .

اعلنت الحرب على الامية (٨٠ ٪ في الشرق الادنى ، بين ٥٠ و ٧٥ ٪ في اميركا اللاتينية ، بين ٩٠ و ٩٥ ٪ في افريقيا السوداء) في كافة البلدان بتعليم الاولاد في المدرسة الابتدائية

والفتيان بطرائق التربية الاساسية المختلفة . فمن الواجب ان يضع تنظيم التعليم بتصرف كل فرد وسيلة إنماء كفاءاته خير إنماء : تكاملت الاساليب التربوية الجديدة بأبحاث سيكولوجية الطفولة ، فسعت الى تنمية قوى المبادأة والملاحظة والتفكير عند الاطفال بواسطة تعليم مباشر وحسي وفردى يضيف الى الثقافة العامة ثقافة هندية . ووضعت فرنسا منذ السنة ١٩٤٤ ، بفضل اجاث لجنة « لانجفين - فالون » اسس اصلاح في هذا الاتجاه حال الظرف السيامي دون وضعه في حيز التنفيذ .

اذا كان التعليم الذي تتولاه الدولة او المؤسسات الخاصة لا يخلو من الغرض احياناً ويفرض على الاولاد والفتيان رأياً قوياً وطنياً ، او سياسياً (لنفكر مثلاً بالايمن التي فرضتها بعض الولايات في الولايات المتحدة على اعضاء الهيئة التعليمية) ، او معتقدياً ، فان الوسائل الجديدة لنشر الفكر قد اصبحت صناعة عظيمة وظفت فيها رؤوس اموال هامة ؛ فان الاعلام بأشكاله المختلفة : الصحافة ، والاذاعة ، والتلفزة ، ومستوياته المختلفة : وكالات الصحافة ، المطابع ، الاعلان ، المبيع ، قد خضع من ثم ، شأن كافة الصناعات الاخرى ، لقوانين الكسب والتجمع ، عوضاً عن ان يكون وسيلة لا مثيل لها للتربية ونشر الثقافة . « ان اهمية رؤوس الاموال اللازمة للحصول على المعدات العصرية الضرورية لاصدار صحيفة كبرى قد جعلت من امكانية التعبير وقفاً على عدد ضئيل من الناس ... لقد خلفت صحافة الاحزاب والافراد وصحافة الرأسمالية ، (ب. لازاريف) . فأصبح الاعلام من ثم ، اكثر منه قبل ٢٥ سنة خلت ، احتكاراً في ايدي المصالح الكبرى او حكومات اوفر البلدان ثروة .

لما كانت الصحف كلها عاجزة بمكاناتها الخاصة عن تحمل اعباء النفقات وكالات الاعلام التي يستلزمها في العالم الحالي استقصاء الاخبار ، فهي وكالات الاعلام ما توفر للصحافة ٣/٤ الاخبار التي تنشرها . وبين الـ ٧٥ وكالة التي ترتدي اهمية عظيمة ، ترتدي ست فقط طابعاً عالمياً وتوزع على كافة انحاء الكرة الارضية الاخبار الدولية ، وهي : وكالة « رويتر » البريطانية ، ووكالة الصحافة الفرنسية ، ووكالة تاس السوفياتية ، وثلاث وكالات اميركية ، « الصحافة المشتركة » وهي اكبر وكالة في العالم وتؤمن الاخبار لأربعة آلاف صحيفة ، و « جمعية الصحافة المتحدة » و « دائرة الاخبار الدولية » . فيجب ان تتوفر لهذه الوسائل موارد عظيمة لتتعمد مراسليها في الخارج ، وتقنني وسائل الاتصال السريعة الضرورية ، ونقل الاخبار في اسرع وقت ممكن برقياً او بواسطة التلغراف اللاسلكي ، او بواسطة التلغراف اللاسلكي الآلي التسجيل . فمن اين تأتي هذه الموارد يا ترى ؟ ان رويتر اتحاد دولي في ايدي الصحف الاقليمية البريطانية وصحف بعض الممتلكات ، وترتبط كلياً بالدولة وكالتان : وكالة الصحافة الفرنسية التي هي جهاز تؤمن موارده الاشتراكات والاعتمادات التي يقرها البرلمان - مديرها تعيينه الحكومة الفرنسية التي من حقها عزله من منصبه ايضاً -

ووكالة ناس ؛ اما الوكالات الاميركية الثلاث ، المسيطرة على اكبر قطاع ، فانها مشاريع خاصة . وهكذا فان ٨١،٧ ٪ من سكان العالم يطلعون على اخبار الاحداث بواسطة وكالات اجنبية توزع كذلك على العالم اخبار بلدانها .

ان ارتباط معظم سكان الارض بالدول التي تنتسب اليها وكالات الاعلام العالمية الست قد استتبع بالضرورة مساوىء خطيرة ؛ فمن الطبيعي ان تترك المصالح والآراء المقبولة في الدول الاربع التي تمتلك هذه الوكالات اثرها في طريقة نشر الاخبار ، وبطء او سرعة نقلها وعدم نقلها . أما الوكالات الوطنية ، فلا تجد اية واحدة منها في صحافة بلادها الموارد الكافية لان تتوفر لها موازنة مستقلة . فتضطر من ثم الى الحصول على المساعدات المالية من الموازنات العامة او السرية في بلدانها او من مقرضي مال آخرين .

أما بصدد الصحافة حيث - كما رأينا - ما زال التجمع يتزايد يوماً بعد يوم ، فان التفاوت بين البلدان ليس اقل شأناً : فان ست بلدان فقط توفر ٣/٤ الانتاج العالمي من ورق الصحف ؛ اما المعدات الآلية ، فان صناعتها محصورة في بعض الدول : كندا ، الولايات المتحدة ، اوروبا الغربية والشمالية ، الاتحاد السوفياتي ، استراليا ، زيلندا الجديدة ، التي تمتلك وحدها ، بدرجات مختلفة كل الاختلاف ، الوسائل الاعلامية المادية الموافقة .

ان الاذاعة ، التي اصبحت خلال ٢٠ سنة « احد العوامل
الاذاعة والتلفزة
الاساسية للحضارة المعاصرة » ، جاءت تكمل الصحافة وتحل محلها في اغلب الاحيان كوسيلة الاعلام . فهي تتيح الوصول حتى الى الاميين والى المناطق التي تحول صعوبة المواصلات دون وصول الصحافة بسهولة اليها . وكان دورها عظيماً خلال الحرب العالمية الثانية ؛ فقد كانت آنذاك اداة دعاوة وإعلام من الدرجة الاولى تسد في الدول المحتلة مسدّ صحافة لا يثق احد بها . فأصبحت من ثم وسيلة مألوفة للاعلام واللهو زاد انتشارها يوماً بعد يوم . وهي في بعض البلدان ، كالولايات المتحدة مثلاً ، مشروع تجاري خاص يوفر الاعلان فيها موارد الشركات التي تمتلك وتستثمر محطات الارسال . « تبسيع المواقيت » من الشركات المملوكة . وهنا ايضاً تتدخل سنة التجمع . فهناك ٢٦٣٦ محطة اميركية مجازة تملك نصفها اربع شبكات رئيسية . والاذاعة في بلدان أخرى مصلحة من مصالح الدولة التي تشرف عليها وتراقبها مراقبة متفاوتة الكتمان .

ولكن نوعية برامج الاذاعة والتلفزة ضحية العدد ، كما في الصحافة . فهي البرامج المبتذلة ، تلك التي تتوجه الى المثقفين « ثقافة ابتدائية فقط » ، ما تحظى بالمزيد من الشعبية . وقد لفت الانتباه تكراراً في الولايات المتحدة الى ما تتركه الاذاعة والتلفزيون من اثر سيء على الاخلاق ، اذ ان اعمال العنف التي تشاهد في البرامج ربما كانت ، مع السينما ، سبب تزايد الاجرام بين الفتيان في هذه البلاد .

اما التلفزة فقد احرزت تقدماً كبيراً ان من حيث التحسينات التقنية وان من حيث سرعة

الانتشار : ففي ١٩٦٠ بلغ عدد المحطات المرسله في الولايات المتحدة ٦٠٠ مقابل ١٢٥ في السنة ١٩٥٣ ؛ وفي السنة ١٩٤١ ، كان هناك ٥٠٠٠ محطة لاقطة ، فارتفع هذا العدد في السنة ١٩٦٥ الى ٧٣ مليوناً من اصل الـ ١٧٣ مليوناً الموجودة في العالم. وقد وفر هذا التقدم ٦٨٩ مليون دولار من ربيع الاعلان في السنة ١٩٥٥ (وهو رقم ارتفع الى اكثر من ثلاثة اضعافه خلال ثلاث سنوات) ؛ وسيطرت على التلفزة كذلك بعض الشبكات القوية ، اذ على الرغم من ان القانون يحظر امتلاك اكثر من ٥ محطات مرسله ، فان اربع شبكات تسيطر على كافة الشبكات الاخرى. وقد تأيد دور التلفزة كسلاح للدعاوة بين الجماهير بشهادات واستبانات كثيرة ؛ ففي الحقل السياسي بنوع خاص ، كان تأثيرها حاسماً خلال الانتخابات الاميركية منذ السنة ١٩٥٢ ، اذ ان اسعار الاستئجار (بين ٥٠ و ٦٠ الف دولار للشبكة الواحدة ولمدة ١/٢ ساعة) قد اظهرت ضعف الحزب الديموقراطي بالنسبة لمنافسه .

العودة الى الماضي
ان الاحزاب والمصالح المحافظة ، التي نبذت في السنة ١٩٤٥ بسبب انهامها بالتعاون والفاشستيات ، قد نجحت ، بسرعة متفاوتة ، في استعادة مركزها المسيطر كلما خفت وطأة الفاقة واشتد الخوف من الاتحاد السوفياتي . ففي فرنسا وايطاليا تألفت في ايام التحرير حكومات اتحاد وطني ضمت الحزبين الشيوعي والاشتراكي وبعض الاحزاب الجديدة : الحركة الجمهورية الشعبية في فرنسا ، والديموقراطية المسيحية ، وحزب العمل ، والاحرار في ايطاليا . وفي ايطاليا ، اتفق الحزبان اليمينيان ؛ الديموقراطيون المسيحيون والاحرار ، منذ اواخر السنة ١٩٤٥ ، وتوفقا بمساندة السلطات الحليفة الى قلب الحكومة التي يرأسها « فروشيو بارتي » ، احد زعماء حزب العمل . فانتقلت رئاسة الحكومة الى « السيد غاسبري » ، زعيم الديموقراطيين المسيحيين . وفي السنة ١٩٤٧ حدثت العطفة الكبرى . فقد حدثت في تلك السنة التعمئة الكبرى ضد الشيوعية في كافة أنحاء العالم الغربي : في بلجيكا وفرنسا وايطاليا اقصى الشيوعيون عن الحكم ، وانقسمت القوى اليسارية ، وتخلى الاشتراكيون ، - باستثناء اكثرية الحزب الاشتراكي بزعامة « ننسي » - عن فكرة تحقيق المدينة الاشتراكية ، واكتفوا اكثر فاكثر بتكييف النظام الرأسمالي بسياسة اصلاحية تستهدف تأمين العمل للجميع والضمان الاجتماعي ، وانضموا الى سياسة المعتدلين الكاثوليك . وكلما ارتسمت خطوط الحرب الصليبية بمزيد من الوضوح ، قضت الحاجة الى استخدام اشد العناصر عداء للاتحاد السوفياتي بتسليم زمام السلطة والمراكز الهامة في الادارة لاقوى الاحزاب نزعة محافظة ، حتى لتلك التي تعاونت والنازيين ، ومراكز الادارة في المانيا الغربية للنازيين القدماء انفسهم . وتعزز هذا الاتجاه في السنة ١٩٤٨ بالذعر الذي اثاره استيلاء الشيوعيين على السلطة في تشيكوسلوفاكيا ، وباشتداد الحرب الباردة . ففي ايطاليا اعتمدت حكومة غاسبري ولا سيما الوزير « شلبا » سياسة صارمة لمحاربة تضخم ورق النقد وابتقت ، دون اي تغيير تقريبي ، على تشريع ومؤسسات الفاشستية . واستمرت منظمة الصناعيين ، التي بقيت عملياً كما كانت في ظل النظام السابق ،

في التأثير تأثيراً عظيماً على الحكومة . ولم يجر قط بحث في التأميم كما حدث في فرنسا وبريطانيا العظمى . وارجئت كافة الاصلاحات التنظيمية ، ولا سيما الاصلاح الجبائي والاصلاح الزراعي . ومنذ السنة ١٩٤٨ اعيد كافة الموظفين الفاشستيين السابقين تقريباً ، حتى الكبار بينهم ، الى وظائفهم . وفي اليابان استلم زمام السلطة اولئك الذين كانوا يتولونها قبل السنة ١٩٣٩ ، وقد « طهر » معظمهم في السنة ١٩٤٥ ، لا بل لوحق بعضهم (هاتوياما) قضائياً كمجرمي حرب . في فرنسا تعاقبت تحالفات ظهر اتجاهها اليميني يوماً بعد يوم ، وبرزت هذه الظاهرة تطوّر الديغوليين الذين انتقلوا من المعارضة الى الحكومة بينما خرج منها الاشتراكيون . فلم يؤد ذلك الى الغاء التأميمات المحققة في السنة ١٩٤٥ والسنة ١٩٤٦ ، ولكن المشرفين السابقين على المشاريع المؤممة وممثلي مصالحها غالباً ما عينوا في مجالس ادارتها وحتى في مراكز المسؤولية فيها الى جانب ممثلي الدولة ، بحيث لم تتغير الطرائق قط .

كأنت نتيجة الحركة العسكرية التي اطاحت بالجمهورية الرابعة
رجحان لفرد المحافظين
قيام « ملكية » حقيقية استثنائية الطابع اعطت السلطة التنفيذية امتيازات عظيمة . فمن جهة استلقي لرئيس الحكومة نطاق خاص به ، ولا سيما ادارة السياسة الخارجية والشؤون العسكرية والاقتصادية . ومن جهة ثانية قيّد نشاط البرلمان التشريعي الذي آل دوره ، بحسب تعبير بعض اساتذة الحق الدستوري ، الى دور « تمثيلي » بحت : اعطاء الاولوية ، في جدول اعمال المجالس ، للمشاريع التي تتقدم بها الحكومة ، اخضاع تقديم مشاريع تعديل القوانين والاستجابات لنظام شديد ملزم ، تخفيض عدد الالمان الدائمة التي كانت تقوم بدور هام جداً في عهد الجمهوريتين السابقتين ، حصر صلاحية اعداد الموازنة في الحكومة دون غيرها . ثم ان واقع قيام المركز الذي تصدر عنه القرارات الهامة فوق الحكومة نفسها ، والسلطة الواسعة التي تمتع بها كبار الموظفين ، قد افضيا عملياً الى انتزاع كل سلطة اشراف حقيقية من البرلمان . وانتهج النظام الجديد بالمقابلة سياسة جبائية عاطفة على المصالح الكبرى بالغاء الرسوم المفروضة على ربايح المساهمين وارباح الشركات ، وبتخفيض الرسوم على انتقال الارث ، في حين انه فرض رسوماً ثقيلة على عدد متزايد الارتفاع من الاجراء ، اذ ان معدل الضريبة التصاعدية على الاجور لم يعدل تعديلاً يذكر .

في المانيا ، نشاهد بعد السنة ١٩٤٧ توقف العمل بحظر جمعيات التجار والصناعيين وحظر النازية الذي لم يكن ذا فعالية هامة كما يظهر ذلك ، بعد انقضاء عشرين سنة على انهيار النازية ، اكتشاف العديد من مجرمي الحرب - الناجين من العقاب - في وظائف هامة احياناً .

في بريطانيا العظمى ، ألغى تأميم الفولاذ والنقل البري ، منذ عودة المحافظين الى الحكم . وبعد ان بقي حزب العمال بعيداً عن الحكم طيلة ١٢ سنة ، احرز في السنة ١٩٦٤ فوزاً انتخابياً هزئلاً (بأكثرية ٣ اصوات) جعله رهين حزب الاحرار القليل العدد . فاصطدم منذ تأليف الحكومة بأزمة مالية خطيرة جداً وبانخفاض مقلق في سعر الاسترليني قيداً حريته في العمل ،

وارغما على اتخاذ تدابير تقشفية لم يرض عنها الشعب ، كان الاجراء ام ضحاياها ، ومنعاه من تحقيق برنامجه . واصطدمت بصعوبات مماثلة حكومة « الوسط اليساري » الايطالية التي تألفت في السنة ١٩٦٠ ، بعد ازمة وزارية دامت شهرين ، بفضل ائتلاف حزب « نني » الاشتراكي وحزب الديموقراطيين المسيحيين . الا ان خروج رؤوس الاموال ، وارتفاع الاسعار السريع ، والازمة الاقتصادية ، قد نجحت — بفعل تأثير الجناح الايمن في حزب الديموقراطيين المسيحيين وتأثير الكنيسة ومنظمة الصناعيين — في شل هذا التحالف وفي مقاومة كافة مشاريعها الاصلاحية باستثناء تأمين الطاقة الكهربائية .

طهرت الادارات العامة من العناصر الشيوعية او العناصر اليسارية المعتبرة « شيوعية متسترة » ، بالرغم من النصوص الدستورية التي تضمن المساواة في الحقوق دونما تمييز في المعتقد أو الرأي ، ومن مبادئ ميثاق الامم المتحدة واعلان حقوق الانسان الذي أقرته الجمعية العمومية للامم المتحدة في السنة ١٩٤٨ . وأدى انشقاق القوى النقابية ، الذي حدث في السنة ١٩٤٨ (فرنسا) والسنة ١٩٤٩ (ايطاليا) الى اضعاف إحدى القوى القادرة على الوقوف في وجه سياسة مكافحة التضخم المالي وعودة العناصر الحاكمة السابقة الى الحكم .

يضاف الى ذلك من جهة ثانية ان الحركة النقابية الغربية — باستثناء الاتحادات الايطالية والفرنسية الكبرى التي يسيطر عليها النفوذ الشيوعي — قد اصبحت « نقابية موحدة » تهدف الى الحصول على الفوائد المادية عن طريقة التعاقد في اطار النظام الرأسمالي . فهي مرتبطة بالاحزاب الاشتراكية التي ازداد تطورها الاصلاحية نحو التعاون بين الطبقات ، كما يتضح من موقف الحزب الاشتراكي الفرنسي وموقف الاحزاب السويدية والنمساوية ، ومؤتمر الحزب الاشتراكي الديموقراطي الالماني في « باد - غودسبرغ » (تشرين الثاني ١٩٥٩) الذي دافع عن « الملكية الخاصة لوسائل الانتاج » و « حرية تأسيس المشاريع » ، ومؤتمر حزب العمال في « بلاكبول » حيث قادت اقلية يمينية بالتخلي عن التأميمات . واخيراً من مذكرات مؤتمر الاتحاد الدولي الاشتراكي في تل ابيب في شهر نيسان ١٩٦٠ . ثم لم يستكمل « بيترو نني » نفسه ، في السنة ١٩٦٦ ، تطوره نحو المطالبة المعتدلة بالاصلاحات بسميه من اجل صهر حزبه مع حزب ساراغات (الحزب الاشتراكي الايطالي) وبالمصاداة ، على غرار ساراغات ، بـ « اشتراكية خلو من الصراع الطبقي » ؟ زد على ذلك ان الاحزاب الاشتراكية في البلدان ذات العلاقة المباشرة بتصفية الاستعمار لم تختلف قط عن المحافظين في قمع الحركات الاستقلالية سواء في اندونيسيا ، ام في الكونغو البلجيكي ، ام في قبرص وافريقيا الغربية ، ام في الهند الصينية والجزائر . ويجب ان لا ننفل هنا الحملة الفرنسية البريطانية على بورسعيد والسويس .

كان من المقرر ، في فكر الظافرين ، ان تخضع المانيا واليابان ، الخاضعتان تطور المانيا لاحتلال الحلفاء وادارتهم — وقد خلت الاولى من كافة اجهزة الدولة — لفترة طويلة من الوصاية الضرورية لازالة الطابع النازي عنها وجعلها ديموقراطيتين . الا انه استحال

ابعاد سبعة ملايين نازي مع عائلاتهم عن كل نشاط ، كما ان السلطات المحتلة افتقرت الى العدد اللازم من الموظفين الاختصاصيين لمواجهة كافة الاعباء ، فاضطرت من ثم الى استخدام كافة « الفنيين » الذين كان الكثيرون منهم نازيين او نازيين الميول . ثم جاءت الحرب الباردة والحرب الكورية ، كما سبق ورأينا ، تدفعان الى التخلي عن استئصال النازية ، باعتبار ان النازيين خير حلفاء لـ « محاربة مبادئ الشيوعية والاستراكية » .

ان عملية استئصال النازية التي بوشر تنفيذها بأساليب اختلفت باختلاف القطاعات قد فشلت من ثم في كل مكان . وبرز مثل على ذلك مثل القطاع الاميركي حيث توجب على مكافة الالمان البالغين اكثر من ١٨ سنة ان يجيبوا على عدد من الاسئلة في السنة ١٩٤٦ ؛ فتبين ان ٣٥٠٠٠٠٠ ، اي ٢٧ ٪ من الهيبين ، نازيون . فصدرت قوانين عفو متعاقبة خفضت هذا العدد الى ٢٣٧٣٠٠٠ ، ثم الى ٩٠٠٠٠٠ ، ثم الى ٢٣٠٠٠ مجرم كبير ، واخيراً الى ١٨٠٠٠ برتسي اعظمهم مسؤولية .

شاهد من ثم في كافة الحقول رجوع القوى القديمة والتقليدية الى مراكزها الاولى : فالتعليم على كافة مستوياته في ايدي اكثر العناصر نزعة محافظة ، وجمعيات المحاربين القدماء اخذت في الانتشار من اجل الدفاع عن شرف الجيش الالماني والـ S.S. . وباستثناء « ادب الدمار » الذي وصف آلام الحرب والاسر ومشاق وضغائن فترة ما بعد الحرب ، انحصرت النجاحات الادبية في مؤلفات (كـ « ذكريات » لغودريان ، و « اسئلة » لـ « ارنست فون سلون ») تؤيد نفوذ التقاليد القومية الراسخ ، « الشرف » ، والبطولة . وعلى غرار الادب ، عبّرت الصحافة الكبرى احياناً عن بعض الحنين الى النظام المنهار وعن عداؤها للمهاجرين من مقاومي النازية ، ولا سيما اليهود ، ولـ « مجرمي » اعتداء العشرين من تموز ١٩٤٤ .

تطور اليابان
سلكت اليابان في تطورها الطريق نفسها . فمرت اولاً ، بين السنة

١٩٤٥ والسنة ١٩٤٧ ، في مرحلة تحول ديموقراطي : فقد نادى

« اعلان حقوق » بحرية المعتقد وحرية الصحافة والمساواة التامة بين الاعراق والاجناس . وافصيت العناصر الرجعية عن المراكز الهامة في الادارة ، والمؤسسات الاقتصادية ، والصحافة . وظهرت الاحزاب مرة اخرى ، ولا سيما الاحزاب اليسارية . للمرة الاولى اصبح الحزب الشيوعي شرعياً ، واعلن في شهر اذار من السنة ١٩٤٦ دستور جديد تمخضت به اعمال تمهيدية كثيرة ، بالرغم من نفور الحكومة من تبديل جوهر النظام القائم . وبوجب الدستور الجديد ، لم يعد الامبراطور ، الذي تخلى بصراحة عن فكرة الدخول في حرب ، سوى رمز الدولة ووحدة الشعب ، وقيمت صلاحياته . وكان الجهاز الرئيسي للحكم « الجمع » المؤلف من مجلسين هما الامينان الوحيدان على الوظيفة التشريعية والسلطة . وكان لمجلس الممثلين المنتخبين وحده حق اعداد الموازنة ، وكان اعلى من مجلس المستشارين ؛ وكان على هؤلاء ان يعلنوا موقفهم من كل قانون يقره الممثلون خلال مدة ٦٠ يوماً ، وفي حال الرفض ، حق للممثلين فرضه باكثرية الثلثين . وحددت بدقة صلاحيات مجلس الوزراء المسؤول ؛ فوجب ان يكون كافة الوزراء مدنيين وان

يكون نصفهم أعضاء في المجمع . وهو رئيس الوزراء ، الذي ينتخبه المجمع ، من بينهم . وكان استقلال القضاء مضموناً . واتخذت التدابير من أجل حماية حقوق الإنسان والحريات الرئيسية ، ولا سيما المساواة بين الجنسين ، والحريات النقابية ، ومنع التوقيفات التعسفية . واصلت وسائل عمل الدكتاتورية ، وأصبحت قوى الأمن لامركزية ، ورفعت عنها سلطة وزير الداخلية ، ووضعت قوانين جديدة : القانون المدني المبني على المساواة بين الأفراد والحرية الفردية ، الذي أحدث ثورة في المجتمع القديم بإبطاله النظام العائلي التقليدي ، ونص على تقسيم الأرض بالتساوي ، وإجاز الطلاق ، والقانون الجنائي الذي عدل . وكان إصلاح التعليم كذلك أحد شروط التحول إلى الديمقراطية . وقد استوحى المبادئ المناقضة مناقضة مطلقة للمبادئ المقبولة حتى ذاك التاريخ . وطهرت الهيئة التعليمية من عناصرها العسكرية والمتطرفة الوطنية ، ومنع التدريب العسكري منعاً باتاً . كما منعت الكتب القديمة الموضوعة لتعليم الاخلاق والتاريخ والجغرافيا . واشهرت براءة امبراطورية المفهوم الخاطئ لالوهية الامبراطور وللتفوق العنصري للشعب الياباني المدعو لحكم العالم ، وفقد الـ « شنتو » طابعه الرسمي . وبني التعليم على حرية رأي الهيئة التعليمية ، واعطيت المبادرة الفردية أهمية خاصة . وأقر التعليم الإلزامي حتى سن التاسعة ، والتربية المشتركة ، ونظام متلاحم الأجزاء يوجب قضاء ٦ سنوات في المدرسة الابتدائية ، و ٣ سنوات في التعليم الثانوي الأدنى ، و ٣ سنوات في التعليم الثانوي الأعلى ، و ٤ سنوات في الجامعة . وغدت المراقبة لامركزية ، واسندت ، كما في الولايات المتحدة ، إلى إدارات مدرسية محلية تلتخبها الجماعة . ووضع تشريع للعمل ، واستحدثت وزارة العمل ، وأقرت الحرية النقابية والتأمين ضد البطالة والحوادث ، وحدد يوم العمل بثمان ساعات ، وفرض دفع الأجور نقداً ، كما أقرت قوانين الضمان في المناسج . . . وبموازاة تنفيذ الإصلاح الزراعي حلت الـ « زيباتسو » مع ٥٠ جمعية صناعية وتجارية و ٦٧ جمعية لتوظيف الأموال ، واقصيت العائلات الكبرى عن كل وظيفة إدارية ، وحظر تأليف الاتحادات .

في السنة ١٩٤٨ ، انقلبت هذه السياسة على غرارها في ألمانيا وللأسباب عينها ، واستهلت عملية تطهير معاكس بينما أعيدت الحقوق السياسية والمدنية لـ ٢٠١ ٠٠٠ شخص من أصل الـ ٢٢٠ ٠٠٠ الذين قتلواهم التطهير . فطُرد الصحفيون والاساتذة والموظفون والنقابيون المناضلون اليساريون ، ثم اتخذت بعض التدابير ضد العمال : حظر الاضراب العام في السنة ١٩٤٧ ثم حظر كل نوع من أنواع الاضراب وكل مطالبة جماعية في القطاع العام في السنة ١٩٤٨ . ولم يحدد القانون القاضي بمنع تأليف الاتحادات الذي انتهى العمل به في السنة ١٩٤٩ ، فاتيح للاتحادات السابقة استعادة نشاطها . وفي السنة ١٩٥١ أخيراً أجاز الجنرال ريجواي للحكومة اليابانية إعادة النظر في كافة القوانين الصادرة في ظل الاحتلال . وهكذا استعادت الأحزاب اليمينية التي لم تُقص قط عن السلطة ، والسلطات الاجتماعية التي لم تفقد قط نفوذها ، والـ « زيباتسو » كل قوتها الاقتصادية والسياسية .

بجميع هذه الاسباب كانت اعادة البناء الاقتصادي في اليابان موفقة وسريعة ، فجاءت « معجزة » على غرار المعجزتين الالمانية والايطالية . فمنذ السنة ١٩٥٤ ، بُلغ مستوى انتاج السنة ١٩٣٩ ، ومنذ هذا التاريخ ، وبفضل وفرة رؤوس الاموال (وجلبها اميركي المنشأ) واليد العاملة الاختصاصية ، وقوة ميل السكان (١٠٠ مليون نسمة) الى الادخار ، تقدم الدخل القومي بمعدل ٦،٥ بالمائة في السنة . وبحسب تقليد الميجي ، قدمت الدولة مساعدة عظيمة للشركات الخاصة الكبرى التي مازال يقوم الى جانبها قطاع مستقل يضم عدداً كبيراً من المشاريع الهامشية الصغرى المجهزة تجهيزاً دونياً . وقد الف عمال هذا القطاع الـ ١٠ ملايين جيشاً صناعياً احتياطياً جليل الفائدة معداً للدخول في الاتحادات .

اذن خابت آمال المقاومين في الحقل السيامي والحقل الاقتصادي على ازمة النظام الحر
السواء . « انتظرت الشعوب واملت طيلة ليال عديدة غير منجمة .
المقاومون كلهم - فرنسيين كانوا ام بلجيكيين ، يونانيين ام يوغوسلافيين ، ايطاليين ام بولونيين -
انتظروا التحرير - الثورة الذي قدروا انه لن يطرد الخونة فحسب ، بل سوف يؤسس
ديموقراطية جديدة ايضاً ، (مركين - غلزييتش) .

لم تؤسس هذه « الديموقراطية الجديدة » في اوروبا الغربية . ولم تصهر الدولة صهراً جديداً شاملاً في اي بلد من بلدان الغرب ؛ ولذلك تفاقمت ازمة النظام البرلماني المفتوحة منذ السنة ١٩٣٩ . لقد تلاشى التقسيم القديم بين السلطتين التنفيذية والتشريعية تلاشياً تاماً . فاذا كان هنالك حزب واحد ، كما في تركيا حتى السنة ١٩٤٦ ، فان واقع السلطة بجميع اشكاله في ايدي زعماء الحزب ؛ واذا كان هناك حزبان ، كما في البلدان الانكلوساكسونية ، فان الحزب المنتصر يؤلف الحكومة التي يكون رئيسها في الوقت نفسه زعيم الاكثريّة ، وان السلطتين التنفيذية والتشريعية تكونان مرتبطتين ارتباطاً وثيقاً ، ويستحيل عملياً على المجلس اسقاط الحكومة . وهذا ما حدث في بريطانيا العظمى : ففي الحالين دكتاتورية حزبية حقيقية . اما اذا كانت هنالك احزاب متعددة ، فتقوم تحالفات معرضة للتفكك بين احزاب مختلفة ، وتكون الحكومة ضعيفة ويسيطر عليها الجمود ، لان كل مبادعة من مبادعاتها قد تهدد بذسف التحالف . وهي غالباً ما تُسقط ، فتحاول البقاء بتخفيض عدد ممثلي خصومها . وهذا هو الهدف من الاصلاحات الانتخابية المعدة لا الى ضمان خير تمثيل بل اقضاء عناصر الاقليات عن المجالس وضمان اكبر عدد ممكن للاكثريّة . تلك كانت الغاية من القانون الانتخابي الالمانى في السنة ١٩٤٩ : يُختار ٣/٢ اعضاء المجلس بموجب لوائح فردية باكثريّة الاصوات ، ويختار الثلث الآخر بالاكثريّة النسبية : يُسلم كل منتخب بطاقةتين ، احدهما لانتخاب مرشح بموجب اللائحة الفردية ، والثانية لتعيين حزب سوف يتمثل في المجلس بنسبة عدد الاصوات التي يفوز بها ؛ واعطى القانون الانتخابي الفرنسي الصادر في ايار ١٩٥١ مجموع مراكز الدائرة الانتخابية للوائح التي تحصل على اكثريّة الاصوات ، على ان لا يؤخذ بالاكثريّة النسبية الا في حال وجود مرشحين منفردين . اما

القانون الايطالي الصادر في السنة ١٩٥٣ ، فقد اعطى اللوائح ٦٤ و ٥ ٪ من المراكز ، اذا فازت بأكثرية الاصوات . وقد اسفر القانون الفرنسي عن النتيجة التي سعت وراءها الاكثرية التي اقرته : فان احزاب الوسط المتحالفة قد فازت في عدد كبير من الدوائر الانتخابية بالاكثرية المطلقة على حساب الحزبين المطرفين ، تجمع الشعب الفرنسي والحزب الشيوعي ، اللذين جاء تمثيلهما دون اهميتها الحقيقية في البلاد . وكان من جهة ثانية ان القانون نفسه قد خيب في كانون الثاني ١٩٥٦ آمال المستفيدين السابقين منه بتيسيره فوز الاحزاب الشيوعية . اما في ايطاليا فلم تعط النصوص النتيجة المتوخاة منها اذ ان الحزب الديموقراطي المسيحي لم يحصل على الاكثرية المطلقة .

ذهبت القوانين الانتخابية الفرنسية الصادرة في السنة ١٩٥٨ الى ابعد من ذلك : فقد قسمت البلاد تقسيماً موفقاً امن للمناطق الزراعية تمثيلاً كبيراً على حساب سكان المدن ، بحيث « اقتضى معدل ٢٢٠ ٢٨٨ مقترعاً لانتخاب نائب شيوعي و ٧٣٣ ٤٧ لانتخاب ممثل للحركة الجمهورية الشعبية و ١٩ ١٧١ لانتخاب ممثل للاتحاد الوطني الجمهوري » . اما الهيئة الانتخابية لمجلس الشيوخ فقد تمتع فيها الاعيان الريفيون بتفوق ساحق جعل التصويت تصويتاً محصوراً حقيقياً .

ان التطور الذي برزت معالمه قبل ١٩١٤ قد ازدادت سرعته في كافة سلطة الاختصاصيين البلدان الحرة ، بريطانيا العظمى وممتلكاتها ، فرنسا ، ايطاليا ، البلدان السكندنافية ، المانيا الاتحادية . فشاهد تراجع مستمر في الرقابة البرلمانية على السلطة التنفيذية ، وبالمقابلة تزايد نفوذ الاختصاصيين والخبراء الذين اكتظت بهم الادارات والجهزة الفنية الشبه حكومية .

يرد ذلك الى الطابع الفني المتعظم في المسائل المطلوب حلها من الحكومات ، خصوصاً في الحقول المالية والاقتصادية والعسكرية ، والمكان الذي احتلته التقنيات الحسابية في اقرار العمليات العسكرية والتجارية والصناعية والبحث عنها (التي تفرض لعبة رياضية لا يدرك معناها سواد الموظفين السياسيين) قد اضفى اهمية متصاعدة على الخبراء والاختصاصيين . فان الصعوبات المالية والتقنية التي تعترض الموازنة من الضخامة والاهمية بحيث ان الادارة التي تضمها - مديرية الموازنة في فرنسا - تكلفت طبعا الاشراف على كل النشاط الاداري ، وبالتالي على كل النشاط السياسي . ويصح القول نفسه في مستلزمات الدفاع الوطني الذي يحتاج اليوم الى استخدام كافة موارد البلاد . فليس من ثم اية مسألة اقتصادية او مالية او سياسية - بما في ذلك التعليم والتربية المدنية - لا تخضع ، حتى في ايام السلم ، لبعض الرقابة من قبل الاركان العامة .

الا ان عدد هؤلاء الاختصاصيين محدود . فقد قدر « م. دبريه » بـ ٧٠٠ او ٨٠٠ عدد الشخصيات النافذة حقاً في فرنسا : موظفين مدنيين (منتسبين الى الهيئات الكبرى) وعسكريين ، ورجال سياسيين (يناهزون المئة) يحتلون مراكز وزارية ، ومستشاري حكومة (اقتصاديين ، علماء) . وقدّر « ف. م. ج. ولسون » هذا العدد في بريطانيا العظمى وحدها بـ ٣٥٠ يدخل في عدادهم زهاء خمسين رجلاً سياسياً كحد اقصى . فاذا اضعفنا الى ذلك ان امر تحرير منشور وانظمة

الادارة العامة المعدة لتوضيح كيفية تطبيق القوانين متروك ابداً لصغار الموظفين الذين يستطيعون الانحراف بسهولة عن مقاصد المشرع ، لرأينا الدور المحدود جداً المتبقي للهيئات المعنية ديمقراطياً .

الاختصاصيون اكثرية بين هذه الشخصيات النافذة القليلة العدد . ويتخرج معظمهم في فرنسا من مدرسة الـ « بوليتكنيك » ومن « معهد الادارة الوطني » ، وفي انكلترا من « المدارس العامة » التي ينتسب معظم طلابها الى الطبقتين البورجوازيتين العليا والمتوسطة (وينتسب ٦٥٪ من طلاب معهد الادارة الوطني الى فئتين : فئة الصناعيين وارباب المهن الحرة ، وفئة كبار الموظفين) . وينتمي هؤلاء الموظفون الكبار الى الطبقة الاجتماعية نفسها التي ينتمي اليها ارباب الاعمال ، وغالباً ما تجمع بينهم الثقافة الواحدة وأواصر القربى ، والطرائق والآراء المشتركة . وكثيراً ما يقوم بين هذين العالمين تبادل الموظفين (ولكن على نقيض الولايات المتحدة حيث ارباب الاعمال « يعيرون » الحكومة موظفيهم الاختصاصيين) . فها يؤلفان « الاقطاعية الاقتصادية والادارية والعسكرية الجديدة » التي اشتهرها « جورج غورفيتش » ، و « نخبة السلطة » غير المسؤولة والكلية القدرة التي سبق لـ « رايت » ان اشار اليها في الولايات المتحدة ، والتي انتزعت عملياً من الزعماء السياسيين زمام الامور وباتت « تهدد بابتلاع الدولة » . فنشأ عن هذا التقارب بين « نظرية اولوية ارباب العمل ونظرية اولوية بيروقراطية الدولة » (ج. بيردو) « استبداد مستنير » قد يكون - في افضل الاحوال - مجدياً وفعالاً ، ولكنه غير مسؤول لأنه هو من يعين معظم ممثليه .

استمرار تدني الرقابة البرلمانية
اضطر البرلمانيون المنتخبون اكثر فأكثر الى التخلي عن بعض
صلاحياتهم للجنة التشريعية والسلطة الادارية بالتصويت على
« قوانين مبدئية » ومراسم اشتراعية (١٦٠ في ظل وزارة لانيل ، ١٣٠ في ظل وزارة منديس - فرانس ، ١٦٥ في ظل وزارة ادغار فور) ، حيث يترك تفصيل الانظمة لقرارات خبراء الادارة . واذا كان من المفالة القول ان « بريطانيا العظمى دكتاتورية مستترة في ايدي الادارة الدائمة » فبإمكاننا التأكيد ان نفوذ الادارة في كافة دول اوربا الغربية يحساري نفوذ الهيئات المنتخبة وغالباً ما يشله .

اما السبب في ذلك فهو ان رقابة اعمال البيروقراطية تصبح وهماً خادعاً كلما توسعت المصالح الحكومية . فان انكلترا وسويسرا والولايات المتحدة تعرف هذا الوضع ، والدول الاخرى ، كفرنسا مثلاً ، حيث تسقط الحكومة بسهولة ، تعرفه معرفة فضلى ايضاً . وان طريقة « الاسئلة » والاستجابات التي يلجأ اليها النواب للتنبيه الى تجاوزات الادارة ، ليست مجدية قط لأن وزيراً تسانده الاكثرية غير ملزم بالإجابة . فالادارة العليا ، المسيطرة سيطرة شبه مطلقة على كافة دوائر الدولة ، والمستيقنة من عدم المسؤولية وغير القابلة العزل ، تشل عمل الوزراء والنواب على السواء . وينبثق معظم مشاريع القوانين عن دوائر الوزارات و« المصالح » ،

فليست المجالس النيابية من ثم سوى جمعيات تبحث فيها هذه الاقتراحات . أليس جديراً بالملاحظة ان المجلس النيابي الفرنسي كان غريباً عن فكرة وإعداد الخطتين الاوليين للتجديد والتجهيز وفقاً لمقتضيات العصر بالرغم من اهميتها بالنسبة لمستقبل البلاد ؟ وتصح المناقشات نفسها شكلية لا طائل تحتها بسبب تصلب مواقف الاحزاب التي تلبس مبدئياً وجهة نظر لا تقوى أية مناقشة على تغييرها . فلم تعد المناقشات من ثم وسيلة فعالة للوصول الى الحقيقة .

يرد ذلك الى ان المقررات الهامة تتخذ في داخل الاحزاب لا في الجمعيات . ولكن تطور هذه الاحزاب العام يزيد اكثر فاكثراً من تصلبها . فمركزية السلطة المتزايدة في الاحزاب تعد من نفوذ الاعضاء على المسؤولين . ولم يعد اختيار المسؤولين لمعاونيهم سرّاً خفياً ، لا بل قد يحدث احياناً ان تنص الانظمة الاساسية على شرعية هذا الاختيار . ولذلك فان الاعضاء اصبحوا يخضعون اكثر فاكثراً لنظام ملازم صارم . والبرلمانيون انفسهم ملزمون بطاعة تحولهم الى آلات انتخابية يسيرها رؤساؤهم .

على غرار « التكتلات » الاميركية اخيراً ، التي قيل عنها انها « الحكومة غير المنظورة » ، برز اكثر فاكثراً تأثير « الجماعات الضاغطة » الفعّال . فهي تؤثر على الرأي العام (لأنها توصلت الى الاشراف على كافة الصحف تقريباً) وعلى الاوساط البرلمانية أو الحكومية بالتهديد بالامتناع عن انتخابها مرة اخرى وتمويل الاحزاب السياسية ، وبتقديم مشاريع القوانين أو مشاريع تعديل القوانين ، وبالسئلة الخطية او الشفهية التي يوجهها الى الوزراء النواب المتفانون في خدمتها وبالمساعي المنطوية على التهديد وحتى بالعمل المباشر : عرقلة السير في الطرقات العامة ، إقامة الحواجز في الشوارع ، اضرابات المنتجين ... وهي متعددة الاشكال : جمعيات محاربين قداماء (الجوقة البريطانية) وجمعيات مهنية كالاتحاد الوطني للمستثمرين الزراعيين ، والاتحاد العام لكرومي الجنوب ، والمعهد التقني الفرنسي للشندرات الصناعي ، والاتحاد الوطني للمالكي وسائل النقل البري ، واتحاد الصناعة البريطانية ، وجمعية صانعي الجمعة ، وجمعية المزارعين الوطنية ، الخ . وقد سيطرت كلها على فئات برلمانية معروفة او مستترة يؤثر نشاطها على استقلال السلطات العامة والمنتخبين . فنتجحت من ثم في عرقلة نشاط المؤسسات البرلمانية .

لم يستطع البرلمان التكيف وفقاً للظروف الجديدة الناجمة عن واجب تجسد السلطة حل المسائل بسرعة وفي كل مكان ، فلم يعد من ثم المصدر الوحيد للسلطة الحكومية . فقد اضطرت هذه الاخيرة - كي تكون فعالة - الى التمرکز والتوحد في ايدي عدد من الرجال او في ايدي رجل واحد احياناً . ففي هذا الاخير - الذي قد يكون مجرد رمز او رئيساً فعلياً - تجسدت السلطة . فكانت النتيجة ان ضرب عرض الحائط بفصل السلطات شيئاً فشيئاً ، لا بل كاد البرلمان في بعض البلدان يفقد دوره في رقابة السلطة التنفيذية الذي كان رئيسياً في القرن التاسع عشر .

ليست ظاهرة تجسد السلطة ظاهرة جديدة ، ولكن وسائل عمل قوية جداً برزت حين طرأ هذا التأخر على المجالس التمثيلية . فان الاذاعة والتلفزة والسينما قد قربت المسؤولين من الجماهير الشعبية ، وجعلت اسماءهم وصورهم مألوفة ، وساعدت على ان تتكون حولهم اسطورة استتبعت المشايعة العاطفية ، اي عاطفة اعجاب او تقدير نحو « المنقذ » ، نحو « الرجل الذي لا بديل له » . وان تجسيد السلطة هذا ، الذي استفادت منه الحكومات الدكتاتورية قبيل الحرب ، لم يخل دائماً من عبادة الشخصية ، لانه ينطوي على تملق للرجال العظام الذين حذرهم ديموقراطيون الاخير لأسباب وجيهة كثيرة .

الخلاصة

اذن واجهت العالم الرأسمالي والحرب ، بعد الحرب ، صموبات مردها وجود عالم شيوعي عرف نهضة صناعية واسعة وتحرر الشعوب المستعمرة ، ولكن مردها كذلك متناقضات داخلية ليس أقلها شأناً فقدان التوازن بين القوة التي تتولى ادارته وقوة الدول التي يتألف منها . فقد خرجت الولايات المتحدة من الحرب دون خسائر مادية وبشرية هامة ، وبطاقة صناعية واحتياط مالي متزايدين ، فاستطاعت ، بفضل تفوقها الاقتصادي والمالي الساحق ، ان تفرض زعامتها باستغلالها ، بصورة خاصة ، الخوف من الثورة الاجتماعية المسيطر على الطبقات الحاكمة في اوروبا . وأدى النفوذ الاقتصادي والمالي الذي عناء مشروع مارشال بعد السنة ١٩٤٨ ، ثم الارتباط بالميثاق الاطلسي في الحقل العسكري في السنة ١٩٤٩ ، والاشراف على القوات المسلحة (ومن ثم على الموازنات) ، والحرب الباردة ، الى توسيم الهوية بين اوروبا الغربية واوروبا الشرقية ، واستمرار ارتباط الغرب اقتصادياً بالولايات المتحدة الاميركية — بالرغم من نهضته الاقتصادية . فهل كان ذلك تمهيداً لـ « امبراطورية الاميركية » التي حلم بها « بورنهام » ، المبلىة على السيطرة الاقتصادية والمالية ، وشبكة متصلة الحلقات مؤلفة من ٩٠٠ قاعدة عسكرية بحرية وجوية موزعة على كافة القارات ، واحلاف عسكرية قوية محاصرة الاتحاد السوفياتي وحلفاءه (الشكل ٢٤ ، ص ٤٨٤ - ٤٨٥) والشبيهة بالامبراطورية البريطانية في القرن التاسع عشر ؟

ان هذا التفوق الاميركي قد خلف في الحقيقة التفوق الذي حققته بريطانيا العظمى في القرن السابق ، ولكنه اختلف عنه بعض الشيء . فبينما كان التفوق البريطاني يمثل اوفر الحضارات حرية واكثرها تقدماً في ذاك العهد ، ويساعد الحركات التحررية والديموقراطية على المؤسسات المحافظة المسيطرة على البر الاوروي ، استندت الولايات المتحدة الى القوى المحافظة في العالم التي تقاوم حركات التحرر القومي والاجتماعي . وهكذا فان الزعامة الاميركية ، التي

تساند النظام الرأسمالي المتخلخل في كل بلاد، تعرضه لخطر بعيد الاجل بإبقائها في مراكز السلطة القوى التي تحول دون تحقيق الاصلاحات الضرورية .

لا ريب في ان تحسن العلاقات الدبلوماسية منذ السنة ١٩٥٧ ، والتقدم الذي احرزه الاتحاد السوفياتي ، ونهضة الاقتصاد الاوروبي ، وتعاظم النزعات الجهادية البارزة في العالم الثالث التابع ، قد اضعفت هذه الهيمنة الاميركية وشجعت قيام سياسة داخلية ذات طابع حر في الولايات المتحدة . وانما ازداد في الوقت نفسه ، في الحقل الاقتصادي ، تجمع المشاريع الذي عزز قوة الشركات الكبرى ووسائل تأثيرها على الحكومات ؛ وفي الحقل السياسي ، توطدت بالمقابلة دعائم الحكومات المحافظة في الدول الغربية . فان الاحزاب اليسارية - حتى اكثرها اعتدالا - آلت في كل مكان الى العجز او وقفت موقف الدفاع .

الفصل الرابع

الفكر والفن والحياة الدينية في فترة ما بعد الحرب الثانية

ان انتصار السنة ١٩٤٥ ، الذي عقبه على الفور تأزم دولي جديد ، لم يتسم كآخر الحرب العالمية الاولى بالاسترخاء على الصعيدين الفكري والفني . فهو لم يولد لا تفاؤلاً ولا غروراً حيال المستقبل . وان ادب هذه الفترة قد « انف من العواطف النبيلة » ، وحرص على ان يكون واضحاً ويتجنب الاكاذيب والصور الخادعة على السواء . « لقد اختبر الانسان ، على مقياس العالم ، قوته المادية وفشله الاخلاقي » ؛ ولا يمكن اعتبار توسع الحضارة المادية تقدماً او تأخراً : « انه النتيجة الطبيعية للنشاط البشري ، التي اصبحت ضرورية بفعل تزايد سكان الكرة الارضية وتزايد متطلباتهم » . انتهت الحرب ولكن مسائل اخرى تستوجب الحل ، وفي مقدمتها بناء السلم :

... « ان نهاية الحرب تعني نهاية « هذه » الحرب فقط . ليس المستقبل مضموناً ؛ نحن لا نؤمن بنهاية الحروب ... رافنا يجب ان نراهن ، فحين تضع الحرب اوزارها تترك الانسان عارياً ، وغير مفكر مدركاً اخيراً انه لا يمكنه الاعتماد الا على ذاته » .

(ج. - ب. سارتر)

تعلم الانسان تعبير عقله ، وعرف ما يمكن ان ينتظره منه وما لا يمكن ان يؤمله ؛ الاطلاق ، والكمال ، والمثالية ، وكل المقولات التي خلت من معناها والتي اعاض عنها بالقيمة والذسبية ... لذلك تخشن الحس في كافة الحقول ؛ وبات الارتياح والتشكك بعد ذلك يحومان حول كل مذهب مقفل يبدو في الظاهر نهائياً .

١ - الفكر وفنون الادب

لقد سيطر على كل فترة ما بعد الحرب هذه ج. - ب. سارتر - البعيد
ج. - ب. سارتر
عن اوهام سلفه « هايدغر » - الذي عرض اسس فلسفته في « الوجود والعدم » (١٩٤٣) . ففي هذا المؤلف نرى الانسان في جوهره محكوماً عليه بحرية مطلقة

وغير معقولة معاً ، وبالعيش في عزلة وانفراد . ولا معنى لحياة كل انسان الا ذلك الذي يعطيها اياه ، وليس للاحداث نفسها من حقيقة ومعنى سوى ما يعزوه اليها « ذاك الضمير الزائل على غير هدى الذي هو الانسان » ، ومن هذه الزاوية وهذا المنظور ، تفقد المعرفة العلمية والموضوعية قيمتها كحقيقة ، ولا يبقى لها سوى قيمة وجودية . ولكن هناك شيئاً آخر في فكرة سارتر ؛ ان عدم التقدم لا يستلزم بالضرورة الحطاط البشرية ، فانما هو انعدام مفهوم عام وموضوعي للتاريخ ، ويعود لكل انسان تحديد هذا التاريخ ، وتاريخ الماضي ، والتاريخ الذي يعيشه ، والتاريخ الذي يستشعره . « اذا كان كل شيء جائزاً ، فلا شيء سواء ، حتى السواء نفسه » . وفي الواقع ، ان ما يبرز في « الوجود والعدم » ، هو المهارة في الجدل على صعيد الاسلوب الفلسفي : الانسان منفرد وليس منفرداً قط . انه حر ، ولكن « في وضع معين » . واذا صرفنا النظر عن الآراء الماركسية ، فان هذا المفهوم للانسان وللعمل الانساني الذي يعبر عنه هو بالذشر والطبي مفهوم ما بعد الحرب : انعدام اي نظام سام ، انعدام اي فعل ايمان . ولكن القلق امام غير المعقول لا يجوز ان يستحيل الى يأس ، انه يقود الانسان الى اختيار واضح للعمل ، الى تولي امر مصيره الخاص والوضع الذي هو ملقى فيه .

تكاملت علوم الانسان ، بعد ازمة اوائل القرن ، واصبحت علوماً النسبية والعقل مختلفة عن علوم الطبيعة ، وباتت كلها ، ولا سيما علم الاجتماع الذي احرز اكبر تقدم خلال السنوات الـ ٣٥ الاخيرة ، تعلمنا نسبية شاملة بما فيها نسبية العقل البشري .

كانت هذه النسبية حصيلة كل الحركة الفكرية في اوائل القرن التي اجتمعت في احتقار العقل كدالة للحقيقة وافضت ، عبر علم الظواهر ، الى رفض العقل العاقل بواسطة الوجودية . فقد سبق لـ « هايدغر » ، في العشرينيات ، ان جاهر بازدرائه الشامل لكل المعارف التي قد تنبثق عن العلم : « ان ضبط اي علم لا يوازي ركادة علم ما وراء الطبيعة » . ان علم ما وراء الطبيعة والعلم على طرفي نقيض : فهو يبحث عن الوجود في اختبار عاطفة الانسان وتأثره . ومنذ الثلاثينيات رغب علم الظواهر في ان يكون معرفة الانسان فقط ، وهي معرفة ناقصة في جوهرها كما يعرف علم الظواهر ذلك . فهو يضاعف من ثم ، بوصفه الظاهرة ادق وصف ممكن ، كما تبدو للضمير الناقد ، نتائج علم تحليل النفس . وينطلق هذا الاخير ، من جهة ، من تحليل اعماق العقل الباطن لتقديم الدليل على عدم موضوعية اكثر الافكار صوابية في الظاهر : وهو يجد مصادر هذه الافكار في غريزة الجنس على غرار « فرويد » ، او في طلب العظمة ، على غرار أدلر ، او في الامثلة الرمزية ، الشاملة والثابتة في طبيعتها ومتزاها على السواء ، لعقل باطن جماعي أبانه « يونغ » .

تبني علم الاجتماع مدلول العقل الباطن هذا ، فأثار ابحاثاً كثيرة : علم اجتماع المعرفة ، الذي

ابتغى تحديد المفازي الخفية اللاشعورية للأفكار المعبر عنها . ومنذ ماركس الذي طاب له ان يرى في افكار الانسان انعكاساً لطبقته الاجتماعية ، تعددت واختلفت تحويلات الافكار الى غير جوهرها ، ولكنها انطوت كلها على ان الافكار ليست سوى مجرد حصيلة عقل خالص : تصدر عن شعور او عن ردة فعل يحدثها موقف معين ، فهي نسبية بفعل منشأها . ويظهر تحليل النفس في مدلوله الواسع (البحث عن المصادر اللاشعورية للأفكار) ان تعريضه ليس سوى احتمال من جملة الاحتمالات .

ويبدو تحول الفلسفة في حقل علم الاخلاق ماثلاً للعيان : فبعد ان جعل نسبياً ككل شيء آخر ، استحال قيام مذهب اخلاقي متلاحم ، صوابي ، يمكن تعليمه . وحين يقترح « كامو » ، في « اسطورة سيزيف » ، علماً أخلاقياً معيناً ، فهو يعترف بمجزه عن تبرير بنائه الا بالحاجة الى جعل الحياة جديرة بأن تعاش . ولعل سارتر نفسه ، بتأجيله تكراراً نشر كتاب « بحث في الانسان » ، يعترف بمجزه عن اقتراح علم اخلاقي مبني على أسس ركيكة . « ان مدلول استحالة العالم يبدو مثبتاً اثباتاً نهائياً في الفلسفة » ، ويرد ضمناً في كل مؤلف فلسفي . ولا يتخلص المؤمن منه الا « بقفزة » في الايمان ، كما يقول كامو ، ولكنه يسلم بالفاصل الكبير بين قدرة الفكر البشري واثبات وجود الله ، ويزعم في الوقت نفسه بأنه يكمل بفعل الايمان حركة انعكاس الفكر على الانسان والعالم .

وهناك قطاع من قطاعات البحث بات توسعه ذا شأن كبير بالرغم من حداثة عهده ، واصبح له في العهد المعاصر اهمية ومغزى خاصان ، اعني به قطاع تاريخ العلوم : ففي الوقت الذي يفقد فيه العقل ، في الفلسفة والعلوم البشرية ، قيمته كمصدر للحقيقة ، لا يسعنا سوى مشاهدة تحقيقاته في حقل العلوم وتطبيقاتها التقنية . فالعقل البشري يعي هنا فعاليتته وركانه مساعيه . وهو يؤثر على مدلول الحقيقة مدلول « المعرفة الدانية » (باشلار) ؛ وليس موضوع العلم ، على كل حال ، العودة الى الايمان الكلي بإمكانات العلم أو الى التفاؤل المطلق الذي جوهر به في أواخر القرن التاسع عشر : فان نمو العلم ليس نمواً خطياً دون اخطاء وتراجعات ، ومن الضروري تحليل المعرفة العلمية تحليلاً نفسياً ؛ فان صوراً كثيرة شبه اسطورية وأمثلة كثيرة تتسلط على الضمائر وتكسب خلسة الى براهين علمية مزعومة . وانما قام غاستون باشلار بتحليل العناصر الاربعة (ماء وهواء وتراب ونار) تحليلاً نفسياً رغبة منه في تبيان هذه الامثلة .

من جهة ثانية تغلب العلم المعاصر على الازمة النظرية التي برزت في أوائل القرن : فان ظهور علم الطبيعة النووي مع تطبيقاته الرهيبة (القنبلة الذرية ، القنبلة الهيدروجينية) ، وتأسيس علم كيميائي عقلي مبني لا على وصف اختبري لخصائص الاجسام كما في السابق ، بل على معرفة التركيب الذري الذي يعين هذه الخصائص ، قد اعاد للعقل اطمئناناً كان قد فقده . وان النظريات المحيرة التي رأت النور في اوائل القرن قد مكنت من ادراك الظواهر ادراكاً جديداً ، ولا سبيل لانكار حقيقةها بحجة

انها بالغة الجرأة او متناقضة : لقد اثبتت صحتها، ولكن عقل العالم قد تحول بسببها لمحولا كلياً، لا بل انه في تحول دائم ، إذ أن النتائج الجديدة تخلق مسائل جديدة، وتعتبر هذه التجددات منذئذ شرط التقدم بالذات .

تسير أزمة الحتمية نفسها في طريق الحل . فان خطوات العلم الذري الاولى (تفجير الذرة في السنة ١٩٣٨) كانت تأكيداً كافياً بأن العلم ما زال يتمتع ببعض القدرة على صعيد الذرة . ولكن الابحاث الاخيرة التي قام بها الفرنسي « ج . - ب . فيجيه » والاميركي « دافيسد بوم » قد اثبتت ان نظرية عدم تحديد الظواهر على الصعيد الذري كان مردها الى ادخال مبدأ خمني وغير ضروري مسلم به دون برهان البرهنة : ليس عدم التحديد الموضوعي للظواهر ما اثبت ، بل الحدود الراهنة لقدرةنا على معرفة هذه الظواهر فقط . فتبقى نسب الارتياح التي يقول بها « هايزنبرغ » مقبولة عملياً ، وانما لم يعد لها المعنى النظري الذي كان يعزى اليها . فان انشتاين لم يستطع قط التسليم بعدم الحتمية . ولكن « لويس دي بروي » نفسه اعلن في السنة ١٩٥٢ ان ابحاث فيجيه وبوم قد قادت الى اعادة النظر في التفسير الاحتمالي الصرف لآليات التموجي الذي سبق له وسلم به منذ عشرين سنة وانه يواجه امكانية حل حتمي من شأنه وضع حد «لأساة علم طبيعة الاجسام الصغرى المعاصر ... اكتشاف ثنوية الموجات والجسيمات ، . (وهل يبقى علم الطبيعة الكمي غير حتمي ؟) .

المدلول الجدلي للعلم من جهة ثانية ، ولتى زمان فلسفة العلوم القديمة بدورها ايضاً : انبثقت عن موقف فلسفي تأملي صرف ، فتحوّلت الى مذهب عقلي اعتدالي اعتبرت الاشياء فيه بسيطة وثابتة ، والمعرفة سبجينة مقولات مقبولة كأنها ازلية . فجاءت سرعة تقدم العلم والتقنيات بعد السنة ١٩٣٠ ، والصعوبة القصوى التي اتصف بها العمل العلمي ، تظهر ان نشاط العقل يبرز بشكل آخر مختلف جداً . وهو المنطقي « كافاييس » من برهن ان العلم ليس مستقلاً عن موضوعه ، وان ليس هناك من عقلية مجرد ذاتها ، بل ان عقلية العلم قائمة في بنائه الاجمالي : ان نسبية العلم هذه انقضت من مخالفة الصواب اذ انها لم تأت من ضعف تركيبه ، بل من طبيعته الجدلية في جوهرها التي تجعله لا وجود له الا في الجهد الذي يبذله للسيطرة على موضوع حقيقي .

في هذا الافق الجدلي نفسه توجد فلسفة العلوم التي طلع بها « ج . باشلار » : انها تعطي تاريخ العلوم كل معناه ، لأن « العقل يتكوّن بتبصره في العالم » ، ولأننا نكتشف من خلال توسع الآراء العلمية شروط تطبيق الفكر على موضوع ما ، والاختفاء الواجب لتجنبها في المستقبل ، وتولد الافكار العلمية الراهنة . فلا عجب من ثم اذا ما طلب ج . باشلار الى العالم ان يمتلك كل ماضي العقل ، اي كل ماضي علمه ، وفي الوقت نفسه كل حاضر التقنية (والعقلية التطبيقية) (١٩٤٩) ، وهذا جديد كله : « المجهود العلمي ليس مجرد تأمل في الموضوع ، انه التحام بالمادة ، ومعرفة هذه المادة ممتعة الانفصال عن القدرة عليها » . وهكذا يبرز مدلول جدلي للعلم هو

على ملتقى « عقلية تطبيقية » و « مادية متهذبة » ، يقابل بها باشلار المادية الفلسفية الغليظة (« المادية العقلية ») .

اذن هو مدلول الجدل ما يبدو جوهرياً في الفلسفة المعاصرة . وقد اتاح إحكامه بعلم الظواهر (خصوصاً بشكله الوجودي مع سارتر) خلال العقود المنصرمة استخدامه استخداماً شاملاً . أجل لا يعرف الانسان قط سوى فكره الخاص ، لا واقع الاشياء ، ولكنه يكتفي طوعاً بهذا التأكيد شرط الاعتراف بصحة تفكيره في بعض الظروف . « هو تضامن الانسان الفاعل والموضوع المادي ، وهو تضامن الفرد والمجتمع في الزمان والمكان ما يتيحان التبصر جدلياً في العلم وحياة الفرد في المجتمع » .

علم الاجتماع اما بصدد حجم الابحاث ، فهي مدرسة علم الاجتماع الاميركية لعمرى ما تفوقت تفوقاً كبيراً على سواها ، حتى في فرنسا حيث لا يزال مركز الدروس الاجتماعية مدينياً للأبحاث الاميركية . وتسيطر على هذه المدرسة مؤلفات « ر. بنديكت » ، و « م. ميد » ، و « ر. لينتون » الذين يقاومون الفكرة التطورية ، و « بيديريم ا. سوروكين » الذي يرى ان المجتمعات البشرية تنمو ، لا في اتجاه تقدم قد يكون تحسناً ، بل « بموجات ودورات نسقية » . ولكن اتجاه بعض ممثليها ، ممن يعتبرون المجتمعات مجرد آليات ، الى اقصار ابحاثهم على درس وقائع تفصيلية كثيرة وعلى « اختبار كاذب » بصرف النظر عن كل تفكير فلسفي ، وعلى التعبير عن « صورة الواقع هذه » بصيغ حسابية ، ينطوي على خطر الافضاء الى « مرض الاختبار » و « جنون الكم » الفارغين والعقيمين حقاً .

ارتبط علم الاجتماع الفرنسي منذ نشأته ارتباطاً وثيقاً بعلم الشعوب ، ونما تحت تأثير « مارسيل موس » وتلميذه « ليفي - شتراوس » باتجاه درس الهيئات الذي يعتبر ان التحليل البحث في علم الاجتماع لا يمكن ان يؤدي لأية نتيجة ، لأن كل عنصر لا مغزى له سوى في مجموع هو فيه ضروري وقابل للتغير بدالة كافة العناصر الاخرى .

ان لـ « كلود ليفي - شتراوس » الفيلسوف والعالم باصول الشعوب واخلاقتها تأثيراً بتخطى جمهور مستمعيه في كلية فرنسا الى حد بعيد . فان مؤلفاته « دوائر الانقلاب الحزينة » ، و « الفكر البائر » ، و « النوى والمطبوع » ، و « الوثنية المعاصرة » ، وسواها ، قد جعلت الكثيرين يألّفون افكاره وأسلوبه . وبالفعل ، فتح علم الانسان التركيبي آفاقاً جديدة أمام العلوم البشرية التي اعطاها اسلوباً يخالف التحليل الجدلي على الطريقة الماركسية الذي يقول به سارتر ، وربما كان « ليفي - شتراوس » - في رأي « جان لاكروا » - آخذاً في بناء الفلسفة « الاسكتشر الحاداً عنيفاً في أيامنا هذه » .

بصورة عامة تسود علم الاجتماع المعاصر روح نسبية شاملة : ليس بعد اليوم من تسلسل مجتمعات ، وليس من تفوق للبيض وحضارتهم . وتمنع فكرة الشخصية الاساسية التي ترافقها فكرة « التجميع النقائي » فكرة تسلسل القيم أو التقدم التاريخي ، فكل مجتمع ينمو نمواً خاصاً به .

واذا حول المجتمع الغربي كل جهده المنطقي نحو العلم والتقنيات ، فقد حولته مجتمعات اخرى نحو الدين ، او النسب ، وأسست في هذه الحقول مذاهب معقدة جداً . لقد زال تعبير «المجتمع البدائي» من اللغة العلمية . فنحن هنا أمام توسع مفهوم الانسان ، ونشأة انسانية تعترف بسمو انسانية القيم الغربية عن الغرب . وهذا لعمرى حدث غريب وهام جداً في الوقت الذي يتجه فيه مثال الحضارة الغربي الى الانتشار في العالم كله والى قلب مجتمعات كاد الجمود يسيطر على تنظيمها منذ آلاف السنين رأساً على عقب .

تقدمت السيكلوجيا نقداً هاماً في الحقل العملي بنوع خاص . فالطب
السيكلوجيا
و « الملائق البشرية »
النفساني الاميركي قد نوع طرائقه بغية تطبيقها على الاضطرابات العقلية المختلفة ، لاجئاً الى المزيد من الاختبارات والاستئلة الدقيقة .
ومن جهة ثانية اتجهت السيكلوجيا المختبرية ، خصوصاً بعد السنة ١٩٣٠ ، نحو طرائق تقدير انفعالات الفرد النفسية ومساائل الترجية المهني . فقد استخدمت أولاً من قبل حكومة روزفلت في اطار « النهج الجديد » ، ثم من قبل المشاريع الكبرى التي وضعتها في خدمة تنظيم وسائل الانتاج ، الذي كان في الواقع تنظيم استثمار الانسان بالانسان والآلة . وبعد ان اثبتت اختبارات عدة ان تحسين الانتاجية هو دالة عوامل سيكلوجية واخلاقية ، فبات لزاماً ، لا تحسين ظروف العمل المادية فحسب ، بل الجو نفسه الذي تنمو فيه الحياة المهنية . هذا هو مذهب قياس الظواهر الاجتماعية لـ « الملائق البشرية » ، المنبثق عن الاختبارات الجعراة في السنة ١٩٢٧ في مصنع « كهرباء الغرب » في « هوثرن » - أحد احياء شيكاغو . وقد كان هذا المذهب منطلقاً لاجاث جامعية كثيرة حول « الملائق البشرية » في الصناعة ، وحول السيكلوجيا الاجتماعية التطبيقية ، وحول دراسات سلوك فريق العمل والوكالات التي تقدم للمشاريع سيكلوجيين اختصاصيين . وجر عجز رؤساء المصانع الكبرى عن معرفة من يستخدمونهم معرفة جيدة الى اعتماد تقنيات سيكلوجية اخرى : اختبارات الشخصية : التوازن التأثري ، الصدق (بواسطة « بوليغراف ») اي جهاز كشف الاذيب) ، النزاهة ، التي اضيفت الى الاختبارات الكلاسيكية المقتصرة على درس الحركات الانعكاسية لمراكز الحواس والدلائل الطبيعية على الكفاءة .

كان دور هؤلاء « المهندسين البشريين » الذين درسوا « حركات » الجماعات - بحسب روح سوروكين - والسيكلوجيا العمالية ، معرفة العمال شخصياً (حتى باسمائهم) ، وتوجيههم ، وكسب ثقتهم ؛ وكان على المسؤولين من جهتهم الابتعاد عن كل غطرسة او تصرف استبدادي ، وعلى « المعلم » ان يكون مرشداً . فالمطلوب هو حث المستخدم والعامل على الانتاج اكثر فاكثر وذلك باقناع المستخدمين والعمال بان المشروع يؤلف نظاماً اجتماعياً مترابط عناصره بعضها ببعض الآخر ، وبمث محبة المصنع في العامل بخلق روح التضامن ، والخدمات الاجتماعية ، وصحف المصانع التي تخلق روحاً جماعية ، وتنظيم المحاضرات ، والنوادي

والنشاطات المختلفة ، والمباريات الرياضية ، والاعیاد « العائلية » ، واستشارات العمال والمستخدمين في امر تنظيم العمل ، ومراعاة حق الأقدمية في المؤسسة مراعاة كبرى . ويجب ان يؤدي زوال الاستبداد الى اثار الانطباع في العامل بان كرامته محترمة وفضله معترف به .

في الواقع ، وجد اختصاصيو درس الانفعالات السيكولوجية ، وهم رجال بحث علمي ومستشارون صناعيون للإدارة التي تهيئهم في وقت واحد ، في وضع مشتبه قليل من سلطتهم وتأثيرهم . فان التدابير المتخذة بناء لمبادئهم بدت للعمال وكأنها بواد مذهب « اية سيكولوجية » ، واعتبرت « احساناً ممنوحاً مفروضاً » ، لا اعترافاً بـ « حق » ؛ وقد نظر اليها المستخدمون والعمال بحذر لانها تستهدف ، في رأيهم ، ابعادهم عن منظماتهم السياسية الخاصة وعن نقاباتهم . يضاف الى ذلك من جهة ثانية ان تقنيات الاستقصاء السيكولوجية الاجتماعية قد اعتبرت جاسوسية تشجع الوشاية والرياء ، وتستهدف القضاء على حركات المطالبة بالحقوق وابقاء العامل في حالة خضوع دائم .

في هذا الحقل توزعت الطاقات توزيعاً جديداً . فان مدرسة باريس قد عرفت البقاء ، ولكن النهضة لم تحدث على غرارها عشية الحرب العالمية الاولى . ولم تعد باريس المركز الوحيد لاجتذاب الفنانين الشبان . وفي هذا الحقل كما في غيره برزت قوة الولايات المتحدة الجديدة . ومما جعلها تزاحم باريس مزاحة ظافرة توزيع المنح التعليمية (على الاجانب والمواطنين الاميركيين على السواء) . فقد فازع متحف الفن المصري في نيويورك متحف باريس بأكورة المعارض الكبرى . واذا ما احسنت اميركا منذئذ وفادة الفنانين والكتاب ، فانها حرصت كذلك على تهذيب شخصيتها الخاصة ؛ فقد اصبح هنالك سوق داخلية على بعض الاهمية وعزة وطنية جعلتا اثرياء الاميركيين والمتاحف يؤثرون شراء اللوحات المعاصرة الاميركية .

الميزات الجديدة
للإبداع الفني

من جهة اخرى ، وسعت الحياة الفكرية والفنية آفاقها توسيعاً عظيماً . فقد اخذت البلدان السكندنافية والشرق الاقصى واميركا الجنوبية توفى قسطها للشؤون الثقافية ، لا باهتمامها بالفن والادب في الغرب التقليدي بل باسهامها في هذين الحقلين اسهاماً خاصاً ، يبرز . وبالمقابلة بحثت فرنسا والولايات المتحدة في الشرق الاقصى عن تقنيات ومصطلحات من شأنها تجديد تقنياتها ومصطلحاتها او توسيع حقل بحثها .

هلم الفنان ، شأن الكاتب ، بأنه يدخل حضارة جديدة لا يمكن ان يعتمد الانسان فيها الا على نفسه . واذا ما زال الملحن والرسام والمقاش يعيشون من ثورة اوائل القرن (التي قادت ، فيما يعني الموسيقى ، حق في العشرينيات بفضل ابتكار التقنية التوافقية) ، فان البحث ما زال متواصلاً بنشاط . فكل شكل من اشكال الفن بحث عن لغته الخاصة وتحرر من كل شاغل ادبي . وقد شوهدت تصفية عامة للمذهب التعبيري (اقله في الجيل الذي بلغ سن الرشد في السنة ١٩٤٥) وفتح الفن التجريدي . فلا مبرر بعد اليوم لأن يفرغ الفنان نفسه في قوالب صنعها

الآخرون اذ انه لم يعد ليرى في السلم الموسيقية او في الموضوع الطبيعي المطلوب منه تمثيله سوى مصطلح من جملة المصطلحات ؛ فالمتوالية التوافقية ليست اقل « طبيعية » من السلم الموسيقية ، والموضوع الطبيعي ليس اقل تحكماً من اي ابتكار تصويري . فالتصميم على عدم التشكيل في الفن التصويري وعلى كتابة المتوالية التوافقية في الموسيقى ، « لرغبة في اعطاء شكل لما هو دون اي شكل وتمييز وجود شيء جديد كلياً » . والتعبير عن تأثير خاص بالفنان يُدخل بعض الذاتية والسينكولوجية مما في الحقل الجمالي ، كما يقضي على استقلاله وشموله ، فيجب من ثم المزوف عنه . وليس المقصود بعد اليوم ذاك الجمال « الخالص » والخلو من الروح ، الذي نادى به سترافنسكي وفاليري في العشرينيات ، بل جمالاً يكون اشبه « ببيئة » يحتاج اليها الانسان كما يحتاج الى الهواء الذي يتنشق .

هذا هو نقيض علم سنن الجمال التقليدي ؛ وفي الوقت نفسه ، توسع البحث ألفي توسعاً كبيراً واصبح نسق تطوره اكثر سرعة بفعل المواد الجديدة التي توفرها الصناعة المعاصرة دون انقطاع . ويلبس هذا الاسهام خصوصاً في حقل النقاشة حيث جارت المادة البلاستيكية الجديد والحجر والاسمنت ... ، وفي حقل الموسيقى حيث جاء العلم الالكتروني يحدد امكانيات الفرق الموسيقية والآلات الموسيقية .

نادراً ما ينحصر الفنانون في تقنية خاصة ؛ فالرسام قد يكون نقاشاً
الفنون التصويرية
ك « ارب » و « بفسنر » وقد يمارس فن صناعة الخزفيات كما فعل بيكاسو في « فالوريس » او يمارس فن جمع القطع الزجاجية على الطريقة القديمة ك « ليبييه » ، او فن صناعة المديجات ك « لورسا » ... وبالمقابلة قد يصبح مهندس المهارة رساماً (له كوربوزيه) او نقاشاً (الهنغاري « ا. بيوتي » ، والاسباني « ادواردو شيليدا ») ؛ وأن في تنوع حقول نشاطهم لدليل ، لا على حق وحدة المسائل ، وروح البعث التي تحرك الفنانين فعسب ، بل على اهتمامهم بالتوفيق التام بين الانتاج والمسكن البشري وبخلق ، اطار يتجاوب ويتكامل فيه التفصيل التزييني واللوحة والخط الهندسي .

عبر عن الرسم التجريدي في فرنسا ، منذ السنة ١٩٤٦ ، في « صالة الوقائع الجديدة » (حيث نجد مرة اخرى « هربين » ، و « بفسنر » ، و « ارب » و « غليز » و « دل مارل ») ؛ وفي السنة ١٩٥٤ ، فتحت اول صالة للنقاشة التجريدية التي ضمت اثنا مئتين بعوهمياتهم ومنتجاتهم الفنية ، من امثال الامير كين « كالدرو » و « داي شنابل » ، والدانماركي « روبرت جاكوبسن » والاسباني شيليدا ، والاطالي « فرانشينا » ، الى جانب « ارب » و « بيوتي » و « اندريه بلوك » و « ن. شوفر » و « جيلولي » و « ستاهلي » .. وعشية الحرب كادت النزعة « الهندسية » وحدها تقريباً ان تكون ممثلة على هذه الصورة ؛ ولكن وفرة المنتجات والنجاح الذي صادفه ، على غير انتظار ، هذا الشكل التجريدي الذي بلغ عهده الكلاسيكي ، منذ « كاندنسكي » و « لاربولوف » و « ديلاوتاي » و « جومندريان » في الرسم ، و « برانكوزي » و « غونزاليس » في النقاشة ، قد

تركا انطباع تمسك مفراط بالشكليات يراعى وكأنه تله بالمح ؛ ولذلك تحول الجيل الطالع نحو دروس الواقعية المفرطة ، فبرز تفتيح نزعة واقعية مفردة تجريدية (« بولياكوف » ، « ديروول » ...) « قد تبدو ، بازديادها ، اقله ظاهرياً ، بالتركيب والشكل المحدد تحديداً واضحا (البقية) وكأنها عودة الى مادة بسيطة جداً و اقل ما تكون اعداداً وروحانية ، واستوحى بعض الاميركيين ، ولا سيما « طوبي » و « طوملن » و « كلين » و « الكوبسلي » و « ستاموس » السخ . و بعض الفرنسيين ايضا من امثال « هارتونج » و « بوت » و « ماتيو » و « سولاج » و « شنايدر » ، الخط الصيني او الياباني في الشرق الاقصى . اضاف الى ذلك ان الاتصالات تعددت بين الخطاطين اليابانيين والرسامين الغربيين (في السنة ١٩٤٥ ، عرض منتجات الخطاطين اليابانيين المصريين في متحف الفن المصري في نيويورك ، عقبه عرض مماثل في متحف الفن المصري في باريس) .

اثارت هذه النزعات ردة فعل واقعية : عمم « بازين » (تعليقات على الرسم المعاصر) فكرة التجريد ، فأبان ان كل رسم تجريدي من حيث انه لا ينقل موضوعه بل « يستخدمه كنقطة انطلاق للابداع التصويري » . فلا مبرر من ثم لان ينحصر في ما هو غير تشيلي : بمقدوره انتقاء مواضيعه حيث يحدها . ويجيز بازين لنفسه ، استناداً الى هذه الملاحظة ، ان لا يبقى واقعياً ، على نقيض « سنجيه » و « مانسييه » و « بينيون » و « استيف » و « لايك » و « له مول » . وقد استهدف هؤلاء الاخرون التعبير لا عن الشعور فحسب بل خصوصاً عن التأثير الذي يتركه الشعور ، فأفضى بهم هذا الاهتمام بالتعبير الى تشويه الموضوع والاستغناء عن الكثير من مظاهره بحيث يفقد هويته .

يبدو ان الجدة الهامة في هذا النصف الثاني من القرن العشرين هي ولادة « فن الابداع عن الشكل » الذي انما هو « فن تعبير داخلي ووحى » يغوص مباشرة في اعماق الوجود ويبرز المسوخ والاشباح واختراعات الخيلة المعجبية ، بكل حرية وحتى بسخرية من اشكال التعبير السابقة . وكان تأثير بولوك و هارتونج كبيراً جداً على هذا الاتجاه المصاحب الذي سلكه « فورتريه » و « وولز » وخصوصاً « جان ديبيوفيه » .

ان تقنية المتواليات التوافقية التي ابتكرها « شونبرغ » لم تأخذ بالانتشار الموسيقي بين الملحنين الشبان الا بعد السنة ١٩٤٥ . فقد وفرت دليل المقام للخط الموسيقي ، واصبحت من ثم الالحان التوافقية الاثنتا عشرة القاعدة الاساسية للابحاث في الخط الموسيقي واجتذبت الملحنين الشبان الجسارين ، طلاب معهد الموسيقى في باريس و « ماسيان » و « ليبوفيتز » . الا ان الموسيقى التجريدية التي ابتكرها الفرنسيون « بيار بوليز » و « موريس له رو » و « اندريه هودير » ، والبلجيكي « هنري بوسور » ، والالمانى « ستوكموزن » ، لم تصادف النجاح نفسه الذي صادفه التجريد التصويري . ويجب ايضاً ان تؤخذ بعين الاعتبار الصعوبات التقنية التي يتوجب على الملحن تذليلها عند كل خطوة في هذا الحقل الجديد ، والتي تجعل من

التلحين التوافقي نظاماً شاقاً غير مضمون النجاح . فالمؤلفات هي بعد اليوم من صعوبة الاداء بحيث تتراجع الفرق الموسيقية امام عدد التمارين الضرورية ، باستثناء فرقة اذاعة مونيخ للمؤلفات السمفونية وفرقة اذاعة باريس حيث 'تحيا بعض الحفلات الموسيقية . وباتت الظروف من ثم غير ملائمة لانتشار موسيقى مستصعبة لا يتعودها الحس في وقت قصير .

بانتظار تحقق الثورة الموسيقية التي تعدها مؤلفات «ابله» و «ايمرت» في «بون» و «كولونيا» بواسطة الموسيقى الالكترونية ، تبدو الالحان التوافقية الاثنتا عشرة الآن وكأنها اغنى مذهب موسيقي بإمكانات المستقبل ، وانما يجب الاعتراف بأنها مجرد اصطلاح . فلا عجب والحالة هذه اذا ما اثارت اعتقادية الملحنين الشبان ، ثم اعتقادية المدرسة التقدمية (التي تستوحى « الواقعية الاجتماعية ») ، منذ السنة ١٩٤٧ ، مقاومة عدد ضئيل من الملحنين الذين يؤلفون فريق « الزودياك » . وهذه الصفة يتميز الفريق (موريس اوهانا ، ستانسلاس سكروفتشفسكي ، سرجيو دي كاسترو) في الدرجة الاولى برفض المدارس والمذاهب وبتصميم على الاستقلال التام . في حقل موسيقى الجاز ، شوهد اثناء العمليات الحربية ما يشبه العودة الى اسلوب «اورليان الجديدة» مع ارمسترونغ و « سيدني بيشيه » ، وانما ظهرت في آخر الحرب اشكال تحيي لغة الجاز او قد تستطيع على الاقل احياها : اسلوب « بي - بوب » اولاً الذي اشهره جلبي وباركر ، ثم الاسلوب « البارد » ، في عهد متأخر .

استفادت السينما ، اكثر من اي شكل آخر للتعبير الفني ، من السينما بعد الحرب . تقدمت التقنية ، وارتدت طابع حضارة الجماهير التي تميز العصر . وقد اتجهت نحو اعطاء المشاهد صورة اقرب الى واقع الابعاد الثلاثة بواسطة « السينما البارزة » ، اما بتحقيق صورة مجسدية ، واما بالشاشة البانورامية (سينرما ١٩٥٢) ، سينماسكوب (١٩٥٣) ، وبالسينما الملونة التي تحققت بفضل طرائق مختلفة (تكنيكولور ، اخفاكولور ، سوفكولور ، روكولور ، النخ .) . ولكن الحدث الاساسي كان ، في الدرجة الاولى ، ظهور المدارس الوطنية ، ولا سيما في البلدان التي استلظ فيها الوعي القومي والتي فازت بالاستقلال وحرية التعبير . فمنذ السنة ١٩٤٥ ، انبعثت سينما ايطالية است « واقعيتها الجديدة » مدرسة في العالم كله ، بينما اخذت دول اوربا الوسطى ، بولونيا وتشيكوسلوفاكيا وهنغاريا وبلغاريا ، تلتج افلاماً قومية معدة لارضاء رغائب زين يتزايد عددهم تزايداً مطرداً . وليس بعد اليوم سوى افريقيا - باستثناء مصر التي توزع الافلام على الشرق الادنى - وزوج اميركا (اذا ان البيض يشرفون على انتاج الافلام « الزنجية ») من هو محروم من التعبير السينمائي . وهي السينما اليابانية بصورة خاصة ما حققت اسرع تقدم في كية (٣٥٠ فيلماً في السنة ١٩٥٤) ولوعية انتاجها . فبينما اخذت الاتحادات الخمسة الكبرى ، التي تشرف على معظم مراكز التصوير السينمائي وصلات السينما ، تكاثر من انتاج الافلام التجارية ، والافلام السامورائية المنتحلة التاريخ (على ان بعضها من الدرجة الاولى « راشومون » ، « باب الجحيم » ،

« الساموراي السبعة ») ، اتاحت احدى المنظمات التعاونية ، بفضل مساعدة النقابات وعطف الجمهور ، لبعض المنتجين من امثال « كينوشيتا » و « كوروساوا » ، انتاج افلام تتميز بالواقعية الجديدة (« اوكاسان » ، « ابناء هيروشيما » ، « كزهرة الحقول » ، « لو علمت الطيور ... ») احتلت المرتبة الاولى في العالم . وبعد الهند ، التي تستطيع انتاج ٣٠٠ فيلم في السنة (كلكوتا المدينة الطاغية ، اباراجيتو ، باتر بنشالي ، ...) ، والصين منذ السنة ١٩٤٩ ، وتركيا (٥٠ فيلماً في السنة) ، اخذت ايران وباكستان وسيلان واندونيسيا وتايلاند وبورما قفنتج بعض الافلام . وفي اميركا اللاتينية ، تحتل المركز الاول السينما المكسيكية التي تسيطر على العالم الاسباني بفضل المخرج السينمائي لويس بونويل ، وممثلين موهوبين من امثال بدرو ارماندارين (ماريا كندالاريا ، ١٩٤٣ ، لوس اولفيدادوس ، ١٩٥٠ ، فيريديانا ، ١٩٦١) ، ولكن السينما الأرجنتينية والسينما البرازيلية الناشئتين اخذاً تنتجان افلاماً طريفة .

نجم عن ذلك تراجع السينما الهوليوودية بالرغم من قدرتها المالية التي جعلت اتحاد « ارثور رانك » البريطاني الكبير تحت سلطتها المطلقة ، والفوائد المالية التي وافقت لها عليها بعض البلدان (اتفاقات « بلوم - بيرنز » في السنة ١٩٤٦) . وزاد في خطورة هذا التراجع المخطاط فني يرد اما الى نظام « مطاردة الساحرات » الذي ابعده عن اميركا او حرم من العمل بعض المخرجين والفنانين المجهدين من امثال « تشارلي تشابلن » الذي انتج « لايملايت » في اوروبا (١٩٥٢) ، واما الى انتشار التلفزة . فيبدو ان المرتبة الاولى في انتاج الفيلم ، التي استأثرت بها هوليوود منذ السنة ١٩٠٨ ، تنتقل شيئاً فشيئاً الى اليابان التي تتبعها عن كثب السينما الهندية والسينما الصينية (٢٠٠ فيلم في هونغ - كونغ وحدهما) ؛ وتأتي بعد ذلك السينما الايطالية (١٤٠ فيلماً) والسينما الفرنسية (١٠٠ فيلم في السنة ١٩٥٥) . وفي اوروبا كانت السينما الايطالية المنتصرة الكبرى في فترة ما بعد الحرب بفضل مخرجيها « روبرتو روسيني » و « فيمتوريو دي سیکا » و « لوتشينو فسكوني » و « فديريكو فليني » و « ميكيلانجلو انطونيني » . اما السينما الفرنسية التي حافظت اثناء الاحتلال ، وفي ظروف صعبة ، على انتاج يتصف بخير نوعية (« زوار المساء » ، « العودة الدائمة » ، « بونكارال » ، « الغراب » . .) ، فقد استطاعت مقاومة سيل الافلام الاميركية بفضل افلام ذات قيمة كبرى (« السكوت من ذهب » ، « ابواب الليل » ، « رصيف الصاغة » ، « أحق الحق ») تعالج المسائل الاجتماعية : عقوبة الاعدام ، اجرام الشبان ، مآسي الحياة اليومية .

بين المخرجين البارزين في السنوات الاخيرة ، من امثال « باردم » الاسباني (« اهلا وسهلا يا سيد مارشال » ، « موت راكب دراجة هوائية ») ، و « فاجدا » البولوني (« قنار » ، « رماد وماس ») ، و بوندارتشوك الروسي (« حين يمر اللقلق » ، ١٩٥٨) يمكن الجزم بأن الاسوجي انغمار برغمن ، الى جانب فليني (« عذوبة الحياة » ، ١٩٦٠) ، قد برهن في ما اخرجها (« بسماط ليلة صيف » ، ١٩٥٦ ، « الخاتم السابع » ، ١٩٥٧ ، « على عتبة الحياة » ، ١٩٥٨ ، « ثمر التوت الافرنجي »

البري، ١٩٥٩) هو أقوى وأغرب شخصية وأنه يعبر بمزيد من النبوغ والقوة عن قلق العالم الحاضر و«شؤم» الحياة . وفي فرنسا ظهرت في السنة ١٩٥٨ ، الى جانب كلير و كلوزو و «بكر» و بشون و كليمان و تاتي ، موجة جديدة باللغة الاختلاط برز فيها ، الى جانب كلود شابرول ، فرنسوا تروفو ، وآلان روسنيه (هروشيا حبيبي ، ١٩٥٩ ، وخصوصاً « السنة المنصرمة في مارينباد » الذي هو خير فيلم تجديدي في ايامنا) ، ومارسل كاممو (اله الموسيقى الزنجي ، ١٩٥٩) .

في فرنسا ، كان تأثير القصة الاميركية في الثلاثينيات عظيماً جداً .
القصة في فرنسا اما ما اكتشفه الجمهور فيها ، من خلال الطرائق التقنية الجديدة ، فهو الرؤيا الخيالية المطبقة على العالم الذي يعيش فيه : صورة يذوب فيها الفرد في الواقع الاجتماعي ، تحركها حياة نابضة ، يزداد نسقها بفعل التطورات المادية . واكتشف فيها كذلك مثلاً جديداً للموضوعية ، لا موضوعية القرن التاسع عشر الصناعية ، بل تلك المنبثقة عن عالم زالت منه كل قيمة سامية وكل مركز اسناد مطلق .

يبرز هذا التأثير في مؤلفات سارتر منذ السنة ١٩٤٥ . فهو في « طرق الحرية » (١٩٤٥) يتخلى عن وجهة نظر الضمير الفردي ، الذي اكتفى به حتى هذا التاريخ ، بغية ايقافنا ، بشكل خيالي ، على كيفية نظره الى التاريخ المعاصر . ومنذئذ حوّل نظره الى الواقع الاجتماعي ، ولكن ميوله اليسارية تركته في موقف المناادي بالحرية الذي يرى في تطرف هذه الجهة وتلك شططاً يجب تجنبه . ولم يؤمن بحل جذري ونهائي للمسائل المعلقة ، وانما شددت مؤلفاته آنذاك على نسبية كل عمل انساني (الايدي القدرة ، ١٩٤٨) ، وتجده الدائم ، دون تقدم يذكر ، بسبب جاذبية الحتميات الاقتصادية والاجتماعية (اتفاق الظروف الصعبة ، ١٩٤٦) . اما كاممو فقد حاول ، بُعيد الحرب ، ان يلحق الناس علماً اخلاقياً جديداً : لا ريب في ان العالم والحياة البشرية محالان (الغريب ، اسطورة سيزيف ، ١٩٤٢) ، وانما يمكننا الاعتقاد بعدد ضئيل من القيم ، كالوضوح والصدق اللذين يجعلان هذه الحياة الهشة ممكنة ومقبولة (الطاعون ، ١٩٤٧) . ويبدو الانسان مثقلاً بمصير لا يتحكم به ولن يتحكم به البتة ، ولكن له القدرة على رفض هذا المصير ، والثورة على الظلم والكذب ، وهي قيم يستمر واقعها حين يزول تبريرها بحسب علم المعقولات .

ولكن مفهوم العالم هذا ، الخالي من التعزية ، الذي يقترحه علينا الكتاب عشية الحرب ، ما زال جميلاً جداً ؛ فهو ما يزال يفترض وحدة البشر حول قيم اساسية . ولكن الحرب الباردة قضت على هذا الوهم الخادع الاخير اذ ان المفردات التي تعبر عن القيم اختلفت منذئذ معانيها باختلاف المعسكر الذي تنتمي اليه . ولذلك فان تأثير كاممو ، الذي كان كبيراً جداً في اعقاب الحرب ، قد تدنى بسرعة كلية . فعدل عن مقاومة فساد العالم ، وبانت رسالته سلبية تماماً : ليس للانسان بعد ذلك سوى رفضه الوضع الراهن (الانسان الثائر ، ١٩٥١) ، وليس بوسع

سوى المجاهرة بثورته ما دام كل عمل مشوباً بالفساد . وكانت هذه كذلك رسالة انويل الذي كان موضوعه الوحيد المطالبة بحرية لا هدف لها (انليغون) .

يضاف الى ذلك ان سارتر ، تحت تأثير الاحداث ، قد تخلّى عن اسلوبه في المؤلفات التي اصدرها في اعقاب الحرب . فقد كانت مقاومته للحرب ، التي ادخلته الصراع الايديولوجي تدريجياً ، اشدّ إلحاحاً من مذهب اخلاقي او اسلوب ادبي . لذلك قل انتاجه الادبي (الشيطان والله) كلما عالج المسائل السياسية ، فانطلق سارتر من تحقيقه اليائس لعدم جدواه ، وانقذ الانسان من عزلته ... بحمله على العمل .

عرفت القصة السيكلوجية البقاء مع ذلك ، ولكنها غالباً ما اصبحت نقدية او هجائية ، متباهية باحتقارها القيم الاخلاقية او مبيدنة بالاحرى انها غير موجودة بالنسبة لاي شخص (مارسيل ايم) . وبلغ من عدم اهتمام الروائي بالواقع الاجتماعي انه لم يتردد في الانتقال الى عالم خيالي تماماً . وتناول الوصف المحبة بكافة اشكالها وانحرافات وافرطاتها ؛ وغالباً ما يكون البطل لواطياً ، رغبة من الكتاب في الاستمراء بالانظمة القائمة . ولكن شتان ما بين هذا الجو وجو التعشير الذي اكتنف اعتراف « جيد » في العشرينيات : فليس المقصود بعد اليوم الاستسلام للفجور والطيش لان الحرب قد انتهت . فلم ينبثق ادب هذه الايام من ردة فعل لسنوات الحرب القاسية فحسب ، بل من طرح مسألة الحالة الانسانية طرحاً جديداً ؛ لا بل ليس المجتمع بعد اليوم ما يثير المسألة ، بل الانسان الملقى في الكون دون ان يدرك سبباً لذلك ، والمستعد اكثر من اي يوم مضى للاعتقاد بان ليس هنالك من سبب . ولذلك فان القصصيين المعاصرين يصفون عالماً محالاً لا قيم فيه .

لا يختلف الجيل الادبي الطالع بهذا الصدد عن الاجيال السابقة ، ولكنه ، على نقيضها ، ينحرف عن « التاريخ » وعن النزاعات الحقيقية التي تمزق البشر او تثير الاختلاف فيما بينهم . هذه هي « مدرسة مقاومة القصة » التي لا تكترث بالسيكولوجيا والحياة الداخلية وترفض الحياة في الحاضر . اما مقصدها فهو وصف عالم حيادي ، او « واقع مادي بمحصر المعنى » خلو من مغزاه التاريخي ، او عوالم صغيرة مقفلة « منفصلة عن كون ليس الزمان ولا حركة التاريخ تأثير عليه ويكاد الانسان يكون غائباً عنه » . هذه هي الملامح المشتركة بين كتّاب يختلفون اختلافاً بيناً من جهة اخرى : « آلان روب - غرييه » الذي يبدو وكأنه مقدم الصف ، فاطلي ساروت ، مرغريت دورا ، ميشيل بوتور ، كلود اولييه ... ونجد رفض الدسيية نفسه والتصميم على بناء مسرح عار و طاهر في تمثيلات « يونسكو » (بانتظار غودو ، الكراسي ، المغنية الصلدة الراس ، وحيد القرن) ، و صموئيل بكت (وهو قصصي ايضاً) ، وأداموف .

في الولايات المتحدة ايضاً اختلفت حال الكتاب عنها في العشرينيات . القصة الاميركية وليس المقصود بذلك انه فاز باجتناب مزيد من القراء ، ولكنه كان مشغول الفكر بجو الانقياد المحيط به ، فسر ابطال الثورة القدامى انفسهم (همنغواي ، دوس

باسوس ، ستاينليك) في النهاية بان يعيشوا في مجتمع يجعل حياتهم مريحة . وقد تأثرت مؤلفاتهم بهذا المناخ الجديد ، وانحنت باخلاص امام غريزة الحياة الاجتماعية المتجلية في كل مكان . ولكن الشبان يبعثون اليها مع ذلك ، من بلادهم او من بلاد المنفى التي اختاروها ، بصورة عالم او جيل اعنى تأثراً الى حد بعيد منها في العشرينيات . فالذين اشتركوا في الحرب كان اختبار الحرب قاسياً عليهم : الظلم ، وعدم جدوى التضحيات ، هي الذكريات التي احتفظوا بها عنها . اما اوروبا التي اكتشفوا فيها حضارة اوسع حرية على صعيد الاخلاق وصعيد الافكار فقد اخذت روحهم المحافظة وجعلتهم يستشفون امكانية التحرر من المحرمات الجنسية والعنصرية ، ولكنهم ، على الرغم من اعجابهم بها ، قد استقروا ورفضوها . وقد خضع بعضهم (بورتر ، بولز ...) لجاذب ايطاليا وافريقيا الشمالية ، رغبة منهم في البحث عن اختبارات جديدة ، ولكن حياة بطلهم تنتهي بالفشل او بالموت الناجم عن شتى الافراطات . وتبرز خيبة الامل نفسها عند رسامي الارستوقراطية الاميركية التي لم تبحث عن علاج في المنفى والتي يسيطر عليها الخوف من الحرب والشيوعية والازمة الاقتصادية ، وانقلب الشبان على جيل الابهاء الذين لم يعدوا الاعداد الحسن للحياة في العالم المعاصر . وتبجل في هذه القصص سيكولوجيا معقدة ورقيقة تنم عن التحليل النفسي بالاضافة الى تأثير هنري جيمس وسكوت فرتجرالد . فهي تنم عن الميل للكحول والانتحار ، وعن تسلط الحياة الجنسية الذي يتضح بوفرة الرموز الجنسية نفسها كما عند المنفيين (جون فيلبس ، فردريك بوشنر ، وليم ستايرون) ، وعن فلسفة الفشل نفسها والعجز عن امساك الانسان بزمام حياته وانتهاج علم اخلاقي والسير وراء هدف (جون كلي) .

بيد ان الشمال والجنوب مازالا مختلفين ومتناقضين ، الشمال صناعي ومدني ، والجنوب نزوع الى الاحلام التي تغمر بالشعر اكثر الكائنات حرماناً وكافة القباحات . ولكن الشمال تخلى عن القصة الاجتماعية التي انتشرت في الثلاثينيات وعن جو الثورة الذي رضي عنه . فقد اقتصرت واقعيته الآن على وصف الزوايا المظلمة في المدن الكبرى ، كنيويورك وشيكاغو حيث تتماثل اقلية عنصرية ، بولونية (نلسون الغرف) ، او يهودية (شاوول بلو) ، تسهم في ما تنطوي عليه الحياة الاميركية من تشويش وفوضى . وقد تكلم بعضهم في هذا الصدد عن انبعاث قصص المغامرات : مزيد من المغامرات غير المألوفة ، ابطال عاطفيون لا دين ولا شريعة لهم ، السجن والبيت المقفل لبيئة اعتيادية ، والملاكمة كرياضة مفضلة . وميل طبيعي الى المشاجرة والجريمة التي لا تخضع لاي حكم ادبي . وفي المسرح ابرز المؤلفون - واشهرهم ادوارد الببي (من يخشى فرجينيا وولف ؟ ، ١٩٦٣) - انعدام مغزى العالم بتشديد على بعض الملامح الاميركية المميزة .

في فترة ما بعد الحرب برز في ايطاليا ادب حالت الدسكتاتورية
القصة الايطالية
الموسولينية دون ظهوره ، وكانت في الوقت نفسه مصدر وحيه :
نقد عنيف للنظام ورسم واقعي وبؤس البلاد . وانتفض هذا الادب كذلك ، تحت تأثير بيارو

غوبتي وانطونيو غرافشي ، ضحيتي الفاشستية ، الاول فيلسوف سياسة تقديمية والثاني فيلسوف ماركسي مبدع قوي ، على دكتاتورية حنادية كروتشي الذي خلط ووفق بين التعابير المتناقضة بدلاً من ان يتخطاها ، فأفضى به الامر الى فجور حقيقي « يبرر اكثر الشرور جلاء باسم غايات التاريخ البعيدة الغور » كما برر التفاسل اللاهوتي الزلزال الذي ضرب لشبونة بأن الغاية منه تكوين عالم افضل . و امام « فلسفة الامر الواقع هذه ... او الحتمية التاريخية التي تبرر وتقديس كافة الاحداث » ، بحث العديد من الكتاب الايطاليين في الماركسية عن درس واقعي ، او عن وسيلة لتمكين البشر من التحكم بتاريخهم . ويغلب على الظن ان هذا ما يفسر اهتمام هذا الادب الجديد بالمسائل الاجتماعية . فان هؤلاء الكتاب الذين اشتركوا كلهم اشتراكاً فعلياً في مقاومة الفاشستية قد استوحوا مشهد الوقائع الاجتماعية ، وبؤس المساكين والظلم الذي تعرضوا له ، بيدنا هم وصفوا فساد البورجوازية ودونيتها يحفاء وقساوة . وقد ارتبطوا في عملهم ارتباطاً وثيقاً بفنساني السينما والمخرجين (زافاتيني وفيتوريو دي سيكا) ، فاقترضوا في اغلب الاحيان تقنياتها : مشاهد متعددة ، صور آنية مثيرة تعرض على التوالي دون تلاحم يذكر . وان هذه الواقعية الجديدة التي تبرز في الافلام الكبرى كـ « شوشيا » و « سارق الدراجات » و « معجزة في ميلانو » ، هي كذلك واقعية قصص كارلو ليفي (توقف المسيح في ايبولي) وايليو فيتوريني (حديث في صقليا ، ١٩٣٨ ، السبيلون يطرف بعينه للفريجوس ، ١٩٥٠) ، اللذين يعيدان الى الذاكرة فظاعة بؤس الفلاح الصقلي ومأساة الجوع في العائلات العمالية ، وقصص شيزاريه زافاتيني ، ونياسيو سيلوني الذي كتب القسم الاكبر من مؤلفاته في سويسرا حيث اختار له مقاماً ، وفاسكو براتوليني الذي استعمل في « يوميات العشاق المساكين » طرائق مدرسة التعبير الاجتماعي الفرنسية في وصف الحياة يوماً بعد يوم في احد شوارع فلورنسا ، والذي وصف في « بطل معاصر » (١٩٤٨) ، على غرار سيلفيو ميشيلي (الحبز الجاف ، ١٩٤٥) و كارلو كوشيو (الامل العسير ، ١٩٤٧) صراع الانصار في المقاومة وفي اعقاب الحرب . ومع هذا الاخير ، من جهة ثانية ، ومع غوليتمو بترولي (العالم سجن) ، وشيزاريه بافيزيه ، والبرتو مورافيا ، والامير دي لمبدوزا ، تعود القصة السيكلولوجية الى الظهور وتصف عالماً وثني الاخلاق بطبيعته متمسكاً بأهداب الايمان التقليدي .

انكثرا ومحاولات التجديد
في البلدان الانكلوساكسونية
ان فترة ما بعد الحرب لم تحدث فيها نهضة فكرية شبيهة
بها في فرنسا وايطاليا . ففي الثلاثينيات كان الادب الانكليزي
« مجتهداً » وعبر بروح متساهلة على بعض المعاليم عن قلق
عهد شاهد ، باضطراب وعجز ، نشأة النازية وتحقيقاتها ، والحرب الاهلية الاسبانية ، والعدوان
الايطالي على اثيوبيا ، والازمة الكبرى والبطالة . اما الجيل الطالع الذي حارب في الشرقين
الادنى والاقصى ، وفي افريقيا الشمالية واوروبا ، فقد انشئ عن المسائل الراهنة ؛ واذا ما قورن
بالجيل الذي تآلق ما بين الحربين ، فانه يبدو على بعض الاعتام ويحافظ من جهة ثانية على التقليد

الطبيعي بحصر المعنى : فمع جورج اورول وانغوس ولسون ، بقيت القصة وفيية للتقليد الكلاسيكي في القصة الفكتورية ، وخفيت عليها محاولات تجديد الالوان والمواضيع في البلدان الاخرى . ولم يشذ عن القاعدة سوى المؤلفين المسرحيين : ت. س. اليوت وجون وايتنغ ، ولا سيما لورنس دورل (جوستين ، بلشصر ، كليا) . فان فنه في سرد القصة على مراحل متعاقبة تبرز في النهاية ، بشكل مؤثر في النفس ، اللوحة التي يرسمها لمجتمع متحرك ومتلون جداً ، يضعه في المرتبة الاولى بين القصصيين البريطانيين .

الا ان جيلاً غير متلاحم ومختلف العادات من الكتاب قد ظهر في البلدان الانكلوساكسونية : « الشبان الساخطون » البريطانيون و « الجيل الضارب » في سان فرانسيسكو الذين جمعت بينهم الثورة على النظام القائم والمحرمات الجنسية والرثاء البورجوازي والتمثل الاجتماعي والاخلاقي . فقد دفعهم مقاومتهم لمجتمع لا يعرفون ولا يستطيعون الانصهار فيه الى الاكثار من الانكارات والتحديات : ارتداء ثياب غير لائقة ، فظاظه ، حياة تشرد ، عدم احترام للمرأة التي المحصر تقديرها باهليتها او عدم اهليتها لـ « فراش » ، عداوة للثقافة الجامعية المتمسكة بالشكليات وغير المطابقة للحياة ، وحق لكل ثقافة . وانضاف الى هذا الاعجاب المعكوس ، الذي صدر احياناً عن سابقهم ، عدم اكتراث تام بكل عمل سياتي او اجتماعي . فهم ضد « كاذيب المحافظين وعود الاثرايين الكاذبة » . ولم يكن عداؤهم للطبقات الحاكمة مبذياً من ثم على وعي طبقي ، او حتى على مفهوم مقبول للعالم ، بل كان حلاً شخصياً بحثوا عنه لمواجهة صعوباتهم ، بحث بعضهم عنه في الاختطاف الصوفي الذي بلغوه بواسطة العقاقير ، والبعض في ايدولوجية دينية طُلبت في آسيا ، والبعض - وهذه حال « الضاربين » بصورة خاصة - في العودة الى الطبيعة الوحشية ، في بلدان لما تتأثر « بحضارة الاعمال » . اما هؤلاء « المتمردون بدون سبب » فهم ، بدرجات متفاوتة ، من انصار مذهب الفردية اليائسين او الثائرين الذين يابون ان يصبحوا « اعضاء المؤسسة » . وقد تحلى بعضهم بنوع حقيقي ، كما هي حال مقدم صف « الضاربين » ، جاك كيرواك (في الطريق ، ١٩٥٥) ، واهم « الشبان الساخطين » ، كنفزلي اميس (جيم المحظوظ) ، وجون واين ، المؤلف المسرحي ، وجون اوسبورن (تطلع الى الورا ساخطاً ، ١٩٥٦) ، والقصصي كولن ولسون ، وجون براين .

المانييا
في المانيا لم يعكس الادب قط المسائل الاجتماعية ، بل رافق الجيل الطالع الذي تؤلف قصصه حول احداث الحرب وما بعدها « ادب الدمار » الذي شاركه اياه ايضاً كتاب الجيل السابق (باستثناء هرمن هس) من امثال اريك ماريا رمارك (جزيرة الامل) وارنست اريك نوت (الماضي العاري) وهنريخ بول (وصل القطار في الوقت المحدد) ، وارنست فيشرت (ابناء جيرومين) الذي رسم اللوحة التاريخية للسنوات العشرين الاخيرة في قرية صغيرة من اعمال بروسيا الشرقية ، وارنست فون سلمون (الاسئلة المطروحة) ، وارنست جونكر ، وفرانز ورفل . اما مؤلفات النمساوي روبرت

موزيل التي لم تعرف حقاً ولم تقدر حق قدرها الا بعد صدور كتاب «الانسان الخلو من الصفات» في السنة ١٩٥٢ ، فقد اشتهرت ، على غرار مؤلفات هرمن بروخ (النومشون) ، مسؤولية انانية ورثاء البورجوازية في الازمات السياسية . وفي الجمهورية الديمقراطية الالمانية ارتهن الأدب بمزبد من الجلاء لوزير الثقافة فيها ، الشاعر جوهانس ر. بشر ، والقصاصين ارنولد زوينغ ، وانثا سغرز ، ولودفيك رن ، وبودر اوس ، وبصورة خاصة لأعظم كاتب الماني معاصر ، برتولد برخت الذي ادار مع امرأته هلمن هيجل جريدة «برلينر انسامبل» حيث استطاع اخيراً اختبار نظريته حول « المسرح الملحمي » . وتشكل مؤلفاته كلها انتقاداً لسوء تنظيم المجتمع . وتقترح على البشر — وعلى الألمان بصورة خاصة — كوناً ذا قيمة نسبية لا ابطال فيه ولا قديسين ، بل حياة بشرية هي نضال من اجل تغيير وضع هذا المجتمع الهش والمؤقت ، (الأم الشجاعة واولادها ، روح القديسة تشوان الطيبة ، الدائرة الطبشورية القفقاسية ، الخ .) .

٢ - الحياة الدينية

ان الحياة الدينية في البلدان ذات النظام الديموقراطي الحر تعبر كذلك عن القلق الناجم عن الانتقال الى حضارة جماهيرية ، وعن حضارة احتكرت طبقة حاكمة قليلة العدد فيها توجيه الافكار والميول وتوجيه الحياة الاقتصادية والسياسية .

تسبب قيام مثل هذه الحضارة ، ورفض الطبقات الشعبية التسليم بانقياد بحالة تكاثر الشيع خضوعها وتبعيتها ، والاعتراض على فقدان المساواة بشتى اشكاله ، في خلق مناخ اشبه بمناخ النكبة يسوده الشعور بالزوال والفناء . هذا هو سبب تكاثر المبدء المتسولين (الفقراء) والمرافات والمنجمين وانتشار شيع دينية وفلسفية عديدة : بعضها صوفي النزعة من وحي بوذي او هندي ، وبعضها الآخر — نشأ معظمها في افريقيا الشمالية — مرتبط ارباطاً قريبا او بعيداً بالمسيحية وقائل بمقيدة دينية غامضة وساع لأن يبعث في اعضائها او في بيتها معنى الأخوة ووحدة المصالح اللتين كادت تقضي عليهما الحضارة الصناعية المعادية الانسانية . وقد انتشرت شيع الفئة الاولى بصورة خاصة في الاوساط البورجوازية والارستوقراطية التي تشعر بأنها ابعدت عن محيطها الطبيعي في الحضارة الجديدة وتغذي ، عوضاً عن ذلك ، ابتغاءات روحانية غامضة : فاتجهت نحو حضارات تنتظر منها الخلاص لانها لا تقوى على ترجي مستقبل قابل للحياة في مجتمع لم تعد تجد فيه محلها . فبقيت الحياة الفكرية فقيرة وغير متطلبة ، وحققت المنطق (الغربي) لمصلحة صوفية كاذبة ادعي بانها شرقية . اما شيع الفئة الثانية فقد انتشرت بصورة خاصة بين الازمراء وصغار البورجوازيين واصحاب الدخول السنوية والمستخدمين... الذين وفرت لهم بيئة بشرية قادرة على ان تستجيب لحاجاتهم العاطفية (المعرفة المسيحية ، مسيح مونثافييه ، شهود يهوه ، جيئيو اليوم السابع ، الخ .) .

الكنيسة الكاثوليكية
 اما الكنيسة الكاثوليكية فقد ادركت منذ عشية الحرب العالمية الاولى ، بوضوح تدريجي ، المسائل التي اثارها ظهور قوى جديدة في العالم ، وحاولت التكيف بحسبها على كل صعيد . فعند السنة ١٩٤٦ لم تعد الاكثوية ايطالية في مجمع الكرادلة ، فبات « مجلس شيوخ » الكنيسة « صورة لشمول الكنيسة » اكثر وضوحاً . وفي الحقل الفكري ازيل الخطران اللذان هدداهما ، الخطر الخارجي واعني به الايمان المطلق بامكانات العلم ، والخطر الداخلي واعني به الروح المعنوية : الاول بفعل التيار الفكري الذي نما خارج الكنيسة على كل حال والذي سبق لنسبنا واستعرضناه ، والثاني بفعل توضيح المسائل التي اثارها تفسير الكتاب المقدس واللاهوت المعنوي . فقد صدر في السنة ١٩٤٢ رقيم بابوي ، هو « الرقيم المنقذ » ، دعا مفسري الكتاب المقدس من الكاثوليك الى ان يلجأوا « بفرح شديد » الى كافة الموارد التي تضعها منجزات العلوم الكتابية المختلفة تحت تصرفهم . ومن جهة ثانية تقدم العمل الراعوي على العمل العلمي : نهضة طقسية حول الرهبان البندكتيين في « ماريا لاش » افضت الى ازمة الطقسية ، وفي السنة ١٩٤٠ الى اشتقاق حقيقي بين الكاثوليك والاكليروس النمساوي اللذين سيوفق بينهما رقيم « وسيط الله » في السنة ١٩٤٨ . وترجم كتاب القداس الى اللغة العامية ، واحتفل بالقداس الحوارية بموافقة الكرسي الرسولي في السنة ١٩٤٣ ، وترجم كتاب الفروض الكهنوتية ترجمة حديثة ، ففتح كل ذلك للمؤمنين الاشتراك في كافة الصلوات الطقسية . ومنذ قبل السنة ١٩٤٠ كان الكتاب المقدس موضوع اهتمام المؤمنين ، فتأسست جمعيات كتابية رعائية ، ونشرت تراجم عديدة طوعية للكتاب المقدس : ترجمة « ماردسو » و ترجمة « ليل » و ترجمة « اورشليم » ، بين التراجم الفرنسية . وعاد الفضل في شرح الكتاب المقدس للمؤلفات البروتستانتية التي اعتمدت في بعضها الاساليب العلمية . فعرضت العقائد والمواضيع الدينية الكبرى ، لا من زاوية الازل ، بل بصورة حسية وبحسب ظهورها التاريخي ، اذ ان المسيحية ليست عقيدة فحسب ، بل تاريخاً ايضاً ، اي تاريخ « الاقتصاد التدريجي الذي بواسطته اخذ الله الانسانية في حالتها البدائية ورفعها شيئاً فشيئاً ... الى ان جعلها قادرة على تقبل الصكامة المتجسد » . واستوحت كتب اللاهوت للاكليريكيين وكتب تلقين التعليم المسيحي كذلك مصادر الايمان استيعاء اكثر مباشرة . واثرت الوجودية في الوقت نفسه على الفكر المسيحي واسهمت في حمل اللاهوت على الاهتمام بالانسان الحسي المتورط في العالم .

الكنيسة والمجتمع
 يضاف الى ذلك من جهة ثانية ان المسيحيين اكتشفوا انهم لا يعيشون في مجتمع مسيحي بل في مجتمع علماني تفقد فيه الكنيسة تأثيرها ونفوذها اكثر فاكثر كل يوم . ولذلك لم تواجه مسائل الرسالة والتبشير في بلدان الرسالات التقليدية حيث تنشأ الاسقفيات الجديدة بحسب مقتضيات الحاجة والظروف (في السنة ١٩٤٦ عين اول كردينال صيني ، وفي السنة ١٩٥٣ كردينال هندي ، وفي السنة ١٩٦٠ كردينال ياباني واول كردينال زنجي) ، ويعين المزيد من الكهنة البلديين ، وحيث قام الاب « لاب » في

الصين والاب مونسانين في الهند بمحاولات تبشيرية جديدة - صادفت مقاومة كبرى على كل حال - بغية جعل الاساليب اكثر فعالية . فاذا ما زال الواجب التبشيري يستهدف « خلاص غير المؤمنين » ، فانه يبدو وكأنه التعبير عن المحبة التي حلت اكثر فاكثرا في صميم الحياة الروحية المسيحية . ووجهت في البلدان المسيحية القديمة كذلك بعض المسائل التبشيرية : تشييد العديد من الكنائس في ضواحي المدن الكبرى ، ودرس منظم لتطور ظاهرة زوال الروح المسيحية ، واستحداث طرائق تبشيرية جديدة : في السنة ١٩٤١ تأسست « رسالة فرنسا » بغية توفير الكهنة للارياض التي اضمحلت فيها الروح المسيحية ، وانشئت في الوقت نفسه اكاديمية مشتركة بين كافة الابريشيات الفرنسية في ليزيو تخرج منها اكثر من ٤٠٠ كاهن ، وفي السنة ١٩٤٣ تأسست جمعية « الاخوة المرسلين الى الارياف » ، وفي السنة ١٩٤٤ « رسالة باريس » التي انتسب اليها الكهنة العمال .

وفي الوقت نفسه الذي نما فيه العمل الكاثوليكي منذ السنة ١٩٣٠ ، نضجت بين العلمانيين فكرة « لاهوت الحياة العلمانية » - وكان المقصود منها تقديم البرهان على عدم وجود حاجز منيع بين الحياة الدنيوية والحياة العلمانية ؛ فيجب التدخل في الحقل المهني والنقابي والسياسي والفكري بغية جعل المجتمع مطابقاً للمسيحية في روحه ومؤسساته . وتأسست كذلك جمعيات كهنة علمانيين مكرسين لخدمة الرعايا بمساعدة الكاهن على الاحتراس من عزلة النسق الاداري المطرد . « ان الكهنوت والحياة العلمانية وظيفتان كنسيتان لانهما في خدمة حياة الكنيسة الذاتية . فلا الكهنة من ثم في خدمة العلمانيين ولا العلمانيون في خدمة الكهنة . انهم كلهم في خدمة الكنيسة » .

جرّ هذا التصميم على العمل شطراً من الرأي العام المسيحي الى الانخراط بعزم في المجتمع العلماني حيث رضي بالنضال الى جانب الملحدين من اجل الدفاع عن قيم انسانية بحثة هي من هذا القبيل بالذات ذات اهمية كبرى للمسيحي . هذه كانت ، عند اشتداد الازمة ، في فرنسا ، نزعة مجلّة « الروح » التي تأسست في السنة ١٩٣٢ والتي شرح مؤسسها موقفها المستمد من مذهب الشخصية القائل بان القيمة المركزية هي الشخص البشري بكلية : « امام الازمة ... قال الماركسيون : ازمة اقتصادية للاسيكية ، ازمة نظام . اجرّوا عملية جراحية للاقتصاد ، يتعاف المريض . فرد علماء الاخلاق على ذلك بقولهم : ازمة الانسان ، ازمة الاخلاق ، ازمة القيم . غيروا الانسان ، تشفّ المجتمعات ... » فاقترح مونييه ، في وجه هذين الحلين ، حلاً هو ثورة زمنية بحصر المعنى مبررة باختيار الوسائل . وعشية الحرب العالمية الثانية ظهرت جماعات اخرى يسارية الميول ، كجماعة اتحاد المسيحيين التقدميين التي اقترحت تعاوناً حازماً بين اعضائها والحزب الشيوعي .

عقب اندفاع الكنيسة هذا نحو العالم انكفاء رسمي على الاقل . فان النجاحات التي احرزها الاتحاد السوفياتي ، وتوسع نفوذه حتى اوروبا الوسطى ، والحرب الباردة قد قوّت اتجاه

البابوية العنيف العداء « للشيوعية الملحدة » وافضت الى تصليب الكنيسة في كافة الحقول : اذانة الاشتراكية والشيوعية برقيمي السنة ١٩٣١ والسنة ١٩٣٨ ، وقدابير اخرى كثيرة : قرار (١ تموز ١٩٤٩) بحظر كل عمل ينفذ بالاتفاق مع الحزب الشيوعي (حتى قراءة صحفه) ، انكار اختبار الكهنة العمال ثم منعه منعاً نهائياً (١٩٥٩) في اعقاب مساع عديدة قامت بها الاوساط القائلة بالوحدة الشاملة ، حل الاجهزة والجمعيات المتعطفة على هذا الاختبار : « فتوة الكنيسة » و « الخمسة عشر » ، والعطف على مشروع توحيد الدول الاوروبية الست وبعض الدول الاوروبية التي تلعب الاحزاب الديموقراطية المسيحية فيها دوراً سياسياً هاماً جداً ، وتحذير الكردينال اوتافياقي الرسمي بصدد علائق رجال الدولة الغربيين والشرقيين (٧ كانون الثاني ١٩٦٠) ، ورسالة الاحبار الايطاليين الجماعية ضد العلمانية في نيسان التالي ، وتدخل السلطات السكاوليكية في الانتخابات الصقلية (١٩٥٩) والازمة الوزارية الايطالية (شباط - نيسان ١٩٦٠) ، والمواقف العدائية الصريحة من الاحزاب الاشتراكية (حتى المعتدلة) التي وقفتها صحيفة « الرقيب الروماني » في اوائل السنة نفسها . ويجب ان يرد الى هذا الموقف المتصلب نفسه رقيم « الجنس البشري » (١٩٥٠) الذي يضع حداً للحرية الفكرية ويشهر بخطر « التاريخية » ، والايغاز بتعزيز التهذيب النظري في تعليم الاكليريكيين ، وانتقاد الاكاديمية البابوية اللاهوتية لاراء الاب « تيار دي شاردن » اليسوعي .

تأثرت فرنسا اكثر من غيرها بفعل ردّة الفعل هذه لانها كانت على رأس حركة لتجديد الأساليب والفكر . اما في المانيا فقد احرز « الكاثوليك اليساريون » بعض التقدم حتى السنة ١٩٤٩ ، وجزم بعضهم بان حق الادارة المشتركة يدخل في الحق الطبيعي ويجب ان يعترف به كما يعترف بحق الملكية . ولكن الاحبار تراجعوا تراجعاً واضحاً بالنسبة لهذا الموقف وتمسكوا بوجهات نظر المناشير البابوية دون ان يتدخلوا البتة في المنازعات الاجتماعية .

الحياة الدينية
الا ان الاحصاءات الدينية ، التي تكاثرت في فرنسا بنوع خاص ، قد اظهرت مدى تأثير ظروف الحياة العصرية على الكنيسة . فاذا تحققت نهضة دينية بين بعض فئات المفكرين - وهم دونهم عدداً وشأناً في الفترة السابقة - ، فقد تجلّى زوال العاطفة الدينية في الجماهير العمالية ، وكانت هذه الظاهرة ملحوسة في المدن الصناعية ومناطق الزراعات الكبرى على السواء .

ارتبطت هذه الظاهرة ب بروز حضارة جديدة « متركزة الى التقدم التقني » ،

« حين تحدث ، تصطبغ ... مركباً من التقدم التقني (الذي هو خير بحد ذاته) والمادية ايضاً : انها تنقل الاثنين معاً . ويرافق هذه الحضارة من جهة ثانية نظام اجتماعي هو الرأسمالية الحرة التي يكمن عيبها العميق في ان المصنع لم ينشأ لخير عماله وبجبروتهم ، بل لفائدة رأس المائل في الدرجة الاولى ؛ وهو بذلك يتسبب في ضغط يضر بالحياة الروحية . ولا ينجم هذا الاضرار عن العمل الصناعي بل عن تقديم المال على الانسان . وترافق هذه الحضارة كذلك ثقافة جديدة مستندة الى العلوم الوضعية : تفضي الى نشأة مثال جديد من البشر ليست انسانيتهم ، المشبعة بالتقنية ، ضد الاكليروس بالضرورة ، ولكنها وضعية بالطبيعة » (السكاهن القاوني « ف. بولار ») .

وقد أيد هذه الملاحظة «غابريال له براه» :

« ان للبخار والكهرباء تأثيراً مذهبياً على ممارسة اعمال التقوى لم تحوز الفلسفة والتاريخ مثل نجاحهما في ايجاده .
وانما فقدت الكنيسة الكثير من مؤمنيهما بفعل اضطراب الاخلاق المشتركة ، لا يفعل اضطراب الافكار الارستوقراطية
والمشاعر الشعبية » .

ان تسلط المال « الذي ووجهت معه كافة المسائل من زاوية الانتاج فقط » ، وتأثير الرفاهية
والتخليق باخلاق البورجوازية ، والتحرر الذي نجم عن ذلك حيال السلطات الاجتماعية ،
وتداخل المدن والارياف بواسطة الخدمة العسكرية ، والسهول المتزايدة في المواصلات (« هي
الدراجة ما ارالت الروح المسيحية من رهيقي ») ، « والصحافة العاطفية » التي زينت الحس ... قد
اشهرت من قبل الاكليروس الذي اعتبرها سبب زوال الروح المسيحية هذا . وقد تبذلت اجهزة
الاتصال والتأثير : « فلا مجال بعد اليوم للكلام عن انتقال العقيدة الكاثوليكية آلياً » . وافضت
ابحاث علم الاجتماع الديني في ايطاليا الى النتائج نفسها . فقد اجري تحقيق في السنة ١٩٥٣ ،
بحسب طريقة استفتاءات « غالب » ، بين سكان غالارات في ولاية فاريز الصناعية ، كشف القناع
عن تطور هام في الآراء حول نقطتين اخلاقيتين وقفت الكنيسة بصددهما حتى تاريخه موقفاً
متصلباً جداً : هل الاجهاض سائق شرعاً ؟ وهل الطلاق شرعاً ؟ فحيال النقطة الاولى كانت
الاجوبة سلبية بنسبة ٣٨٪ فقط ، وحائرة بنسبة ٢٦٪ ، وحيال النقطة الثانية لم تبلغ نسبة
خصوم الطلاق سوى ١٢٪ في السنة ١٩٥٣ بعد ان بلغت ٥٣٪ في السنة ١٩٤٨ .

واظهرت التحقيقات المجراة بين المؤمنين في مناطق وخورنيات مختلفة كل الاختلاف خطأ
منحنيًا عاماً ، وان الكثير من الممارسات الدينية « سريع الزوال خارج بيئته الطبيعية ولا اثر
له تقريباً على الحياة » . ففي البرنتغال ضمت اسقفية لشبونة ٣٢٠ كاهناً مقابل ١٤٠٠٠٠٠
مؤمن في السنة ١٩٣٠ ، وضمت ابرشية فارو في اقصى جنوب البلاد ٨٪ فقط من المؤمنين
المتحمين واجباتهم الدينية . وفي اسبانيا لاحظ الاب بيرو في السنة ١٩٣٣ ان ٥٪ من السكان
يقومون بواجبهم الفصحى في خورنيات كثيرة من ابرشيات كوانكا وطليلة ومدير وان
المدن تضم « اعداداً كبيرة من السكان الوثنيين كلياً » . وفي باريس اظهرت بعض التحقيقات
المجراة في السنة ١٩٥١ ان ٢٣٪ يحضرون القداس في خورنية سان جرمان دو بريه ، و ١٩٪
في خورنية سان - سفيرين و ٢٠٪ في خورنية سان - سوليس ، و ٢٢٪ في سان بيير دي نوي ،
و ٦٪ في سان - ايبوليت دي بوتو . وان الخورنيات الجيدة تضم ٢٠٪ من متممي واجباتهم
الدينية ، والخورنيات الشعبية ١٠ بالمائة فما دون ، والخورنيات العمالية اقل من ٦ بالمائة . وفي مرسيليا
تبلغ نسبة من يحضرون القداس في سن الرابعة عشرة فما فوق ١٠,٥ بالمائة ، وفي ليل ١٩,٥٪
وفي غرينوبل ١٤ بالمائة ، وفي تولوز ١٠,٨ بالمائة . وفي بلجيكا يبلغ معدل حاضري القداس في
ايام الاحاد ٢٥ بالمائة في الولايات ، و ٢٦,٣ بالمائة في بروكسل ، و ٣١,٧ بالمائة في انفرس . وفي
المانيا الاتحادية حيث تم ٥٤ بالمائة من الكاثوليك واجباتهم الفصحى في السنة ١٩٤٩ ، يحضر

القدس ٢٩,٤ بالمائة منهم في كولونيا ، و٢٦,٥ في مونيخ ، و٢٢,٧ في هامبورغ . ويختلف السلوك الديني باختلاف المهن المتعاطاة . « هو النظام المهني ما يحدد تميم الواجبات الدينية » (الكاهن القانوني ف. بولار) ، كما نرى خير مثل على ذلك في منطقة لنس المنجمية : ان متممي واجباتهم الدينية من الذكور يبلغون ٢,٥٥ بالمائة بين عمال الاعماق ، و٥,٥١ بالمائة بين العمال خارج المناجم ، و٢٢ بالمائة بين موظفي الادارة ، و٦٥,٣ بالمائة بين المهندسين ، و٤٩,٦٣ في البورجوازية .

في ايطاليا اظهر التحقيق الذي اجراه مركز الدروس ، « الحياة في المسيح » ، في السنة ١٩٤١ - ١٩٤٢ ، « اهمالاً متزايداً ونخيفاً في اوساط الجماهير ، ولا سيما العمالية والمدنية منها ، للواجبات الاساسية في الحياة المسيحية » . ففي بعض الخورنيات مازال ٨٠ - ٩٥ ٪ من الرجال يحضرون القداس في منطقتي البندقية والد « مارش » . ولكن هذه النسبة تنحدر الى ٢٠ - ٣٠ ٪ في خورنيات اخرى من توسكانا واومبريا وليغوريا حيث لا تشمل هذه النسبة سوى رجل واحد مقابل ٢٠ امرأة . وفي بعض خورنيات ابرشية فولتيرا ، لا يحضر قداس يوم الاحد سوى ٥ ٪ من السكان في السنة ١٩٥٢ . وفي روما لا يتجاوز عدد متممي واجباتهم الفصحية الـ ١٠ ٪ ، وفي ميلانو تتراوح هذه النسبة بين ٢,٥ و ١٧ ٪ ، وقد قدنى عدد المنازلات فيها بنسبة ٣٠ - ٥٠ ٪ بين السنة ١٩٣٨ والسنة ١٩٤٨ .

في البلدان المختلطة الاديان ، يشهد بتدني تأثير الكنيسة ارتفاع عدد الزواجات المختلطة التي استتبعت المحرافات معتقدية كثيرة في هولندا ، والولايات المتحدة (٢٥ - ٣٠ ٪) ، والماسانيا حيث ادى تدفق اللاجئين منذ السنة ١٩٤٥ الى تصدع وحدة الكتلة الكاثوليكية البافارية والرينانية ، وحيث ارتفعت نسبة الزواجات المختلطة من ١١,٣ ٪ من عدد الزواجات الكاثوليكية الى ٢٨,٢ ٪ في السنة ١٩٤٩ .

واصطدم اختيار الاكليروس واعداده بصعوبات كبرى . ففي فرنسا نرى ان معدل الترقية الى الدرجات الكنسية (اي النسبة بين الترقية الى الدرجات المقدسة خلال خمس سنوات متوالية ومجموع عدد الشبان بين سن الخامسة والعشرين والتاسعة والعشرين) ، الذي هبط منذ قانون الفصل من ٥١,١ بالالف الى ٣٦ بالالف في السنوات ١٩٠٩ - ١٣ ، قد حافظ على هذه النسبة تقريبا حتى السنة ١٩٢٩ ، ثم ارتفع ببطء الى ٤٩,٥ في السنوات ١٩٤٠ - ١٩٤٧ وهبط مرة اخرى الى ٣٩ بالالف في السنوات ١٩٥٠ - ١٩٥٥ . فالنقص من ثم في تزايد مطرد ، اذ ان عدد الكهنة العاملين الذي بلغ ٥٦.٠٠٠ في السنة ١٩٠٤ ، اي ١٣,٥ بالمائة قد هبط الى ٤٦.٥٠٠ في السنة ١٩٢٩ ؛ وهبطت النسبة الى ٩,٧ بالالف في السنة ١٩٤٦ بما فيها ٣٥ ٪ من الستينيين . اجل لقد ارتفع عدد الاكليروس القانوني من ١٣.٠٠٠ الى اكثر من ١٤.٠٠٠ ، ولكن النقص العام واقع ثابت ، وقد حدثت الظاهرة نفسها في كافة البلدان تقريباً ، حتى تلك المشهورة بحيويتها الدينية كهولندا وبلجيكا واسبانيا ودول اميركا الجنوبية . وفي ايطاليا نفسها هبط عدد

الأكليروسين الذكور من ٩٢.٠٠٠ في السنة ١٨٨١ الى ٦٨.٠٠٠ في السنة ١٩٢١ والى ٥٨.٠٠٠ في السنة ١٩٥٣ . وفي ألمانيا تجاوزت نسبة هبوط الدعوات الكهنوتية منذ السنة ١٩١٤ الى ٢٠ ٪ .

بمع الفاتيكان الثاني
كان تزايد اللامبالاة والابتعاد عن الدين في العالم الغربي ، ونمو سكان العالم المطرد الذي قلل يوماً بعد يوم من أهمية الكاثوليك النسبية ، باعثاً على التثام مجمع الفاتيكان الثاني في السنة ١٩٦٢ . فقد كانت البابا الجديد يوحنا الثالث والعشرون ، بفضل بعثاته الدبلوماسية في الشرق وفي أوروبا ، على بيئة من المسائل التي تطرحها نخالة الاقليات الدينية في البلدان التي تتعايش فيها طوائف مسيحية كثيرة والصعوبات التي يصادفها الكاثوليك في المجتمعات المتحولة تحولاً عميقاً الى العالمية ، فحدد لأعمال المجمع اتجاهات واضحة جداً نحو اصلاحات عميقة تستهدف انفتاح الكنيسة انفتاحاً عاماً على العالم وتجدد نشاطها والتوفيق بينها وبين المجتمع الذي خلقت ثورات القرن التاسع عشر السياسية والثورة الصناعية . ورافقت هذا العزم الرغبة في الابتعاد جهد المستطاع عن الاعراف والوسائل التي تعمق حوار وثقافة الكنيسة مع المسيحيين من غير الكاثوليك ، وحتى مع غير المؤمنين . فنحن من ثم امام مشاريع اصلاح تناقض ، استيعاء ، ما تضمنه الـ Syllabus منذ قرن خلا . ويبدو ان البابوية قد اقتنعت باستحالة المحافظة على مواقفها التقليدية اذا استندنا في حكمنا على الرقيم « السلام في الارض » الذي اصدره البابا يوحنا الثالث والعشرون قبيل وفاته ، في الفترة الفاصلة بين الجلستين الاوليين . فهو يؤيد صراحة اعلان حقوق الانسان الذي تبنته منظمة الامم المتحدة في السنة ١٩٤٨ ، ويشدد بالحاح على وسائل اقرار السلام بين البشر ، ويعلن امكانية التعاون في الحقوق الاقتصادية والاجتماعية والسياسية مع من يستوحون « التعاليم الزائفة » التي يدينها في الوقت نفسه . ويشدد كذلك رقيم خلفه بولس السادس ، « الام والمعلمة » ، على شرعية سياسة تأميم وسائل الانتاج والمقايضة .

ويبرز هذا الاتجاه كذلك احداث امانة سر من اجل الوحدة ، والدعوة للاشتراك في المجمع التي وجهت الى مراقبين تنتدبهم الكنائس البروتستانتية والكنيسة الانكليكانية والكنيسة الارثوذكسية (بينهم روسيان) ، والى علمانيين وعلمانيات من الكاثوليك . وقد تأيد بأكثرية المطالبين بالاصلاح بين آباء المجمع الـ ٢٣٠٠ بادرلة ينتسبون الى اكثر البلدان تطوراً : ألمانيا ، هولندا ، انكلترا ، فرنسا ، بلجيكا ، الولايات المتحدة ، يساندهم العديد من الاحبار الايطاليين واحبار العالم الثالث . فأفضت المناقشات ، الحادة احياناً ، التي اثارها معارضة اساليب الادارة البابوية التي تعرضت لانتقادات شديدة ، ومناورات العرقلة ودسائس الاقلية المحافظة ، الى اقرار عدد من المشاريع العامة المتعلقة اما باصلاح الليتورجيا وتيسير فهم الرموز والطقوس . (بالاكثار من استخدام اللغات الوطنية والتخلي عن لغة الفلسفة المدرسية) ، واما بالمشاركة الاسقفية التي اعترف بسلطانها المطلقة ونبوعها من حق الهي ، واما ببعث خدمة الشماس

الانجيلي الدائمة التي يمكن اسنادها لرجال متزوجين ، واما بالوحي (وهو اكثر حرية من اساليب مجمع الايمان الى حد بعيد) ، واما بالحركة المسكونية في روح متعطفة على الطوائف المسيحية غير الكاثوليكية ، واما بادانة العداء للسامية . الا ان الحماس الاول عقبه بعض خيبة الامل حين انتهت الجلسة الاولى (تشرين الثاني ١٩٦٤) . وقد نجمت عن جو الدسائس والمقاومات الخفية الذي خلقته الاقلية ، لا سيما اثناء مناقشة مشروع القرار رقم ١٣ بصدد علائق الكنيسة بالعالم المصري ، والحرية الدينية التي طالبت الاكثرية في سبيلها باعلان لا لبس فيه . ويرد تعوق الاعمال وتردد المجمع ساعة الشروع باتخاذ المقررات الحاسمة الى اسباب عدة اهمها الحرص على مراعاة ظروف بعض الشعوب الكاثوليكية التي ما زال نموها الاقتصادي والاجتماعي والثقافي متخلفاً جداً ، وشخصية البابا الجديد ، وربما حرص بولس السادس على استمالة المحافظين الى الحركة الاصلاحية مقابل بعض التنازلات .

في البلدان التي يدين اكثر سكانها بالبروتستانتية ، برز الضعف نفسه
البلدان البروتستانتية في العاطفة الدينية . ففي بريطانيا العظمى مثلاً لم يعقب الحرب العالمية الثانية تأخر شبيه به بعد السنة ١٩١٨ ، وانما يقدر ان ٥٪ على الاكثر من الانكليز و ٢٠٪ من الاسكتلنديين يسهمون اسهاماً متفاوت النشاط في اتحاد مذهبي ما ؛ وان عدد الطلاقات الذي بلغ ٧٦٢١ في السنة ١٩٣٨ قد ارتفع الى ٧٦٤٠ بعد مرور عشر سنوات ، ووهنت التقاليد الدينية ، وزال عن واجب الانقطاع عن العمل في ايام الاحاد الطابع الالزامي . ولعل ذلك يرد الى علنة التعليم كما اثبت ذلك التحقيق الذي اظهر فتور العاطفة الدينية بين طلاب التعليم الثانوي في السنة ١٩٤٥ ، والى عدم تأثير الكنائس بالظواهر الاجتماعية (تحقيق اجري في السنة ١٩٤٢ بين مشيخي اسكتلندا) . وقد رافق فتور الايمان هذا في الكنيسة الانكليكانية ارتداد الى الكثلركة الانكليزية : فاحييت بعض اشكال الحياة الرهبانية وبعض الاحتفالات والطقوس الكاثوليكية : صور للقلب الاقدس والقديسين والمذراء في الكنائس ، سجود ، رسم اشارة الصليب ، قداديس مع تكريس القربان ورفع ، صلوات من اجل الموتي ، عبادة القربان المقدس ، عفة الكهنة ، اعتراف . وقد تأيد تدني تأثير الكنيسة القائمة ، من جهة ثانية ، بالهزيمة النكراء التي منيت بها في السنة ١٩٢٧ في قضية « كتاب الصلاة » الذي رفض البرلمان ترجمته المنقحة بروح طقسية .

كان تأثير غير الانكليكانيين ، الذي برز في انكلترا خصوصاً بين الطبقات المتوسطة والشعبية ، قوياً جداً في الولايات المتحدة على الرغم من ان ٤٨٪ فقط من سكانها اعلنوا انتمائهم الى كنيسة ما في السنة ١٩٢٩ . وانما يجب القول بأن الـ ٧٧ مليون اميركي الذين عرفوا بلا مبالاتهم كانوا مع ذلك بروتستانتية الثقافة والميول . وبين البروتستانت المحصين ، انتسب زهاء الـ ١٪ (٨٨٪) الى ثنائي كنائس هامة وتوزع الباقون على ٢٥٧ شيعة معروفة رسمياً ، تشعبت كلها الى اتجاهات مختلفة كثيرة تبثديء بأرسخ المؤمنين ايماناً قوياً ، الذين يفسرون الكتاب

المقدس تفسيراً حرفياً دون أقل لحفظ ، وتنتهي بالاحرار الذين يحصرون جهنم في العمل الاخلاقي والاجتماعي .

قاومت الكنائس البروتستانتية ، بصورة عامة ، على غرار الكنيسة الكاثوليكية ، اتجاه ما قبل الحرب نحو اعتبار المسيحية لا كنمط حياة كما اعتبرت من ذي قبل ، بل كمجموعة تعاليم . وهكذا برز على الصعيد اللاهوتي ، في قلب الكنيسة الانكليكانية ، اتجاه نحو اعادة اثبات الوحي واعادة مزبد من السلطة اليه . وكان تأثير « كيركيغارد » و « بارت » ، المعتبر خليفته ، جلياً في هذه النهضة المعنوية التي سلطت الاضواء على « المسيح السيد والخلص الوحيد » ، والمبرر بفعل النعمة الالهية وحدها ، وفي الاهتمام الجديد الذي اعيرته الاسرار ، والاهمية المتعاطفة المعطاة للكنيسة والخدمة الروحية التي اثارت ندرة الدعاوات الراعية بين الذكور بصدددها مسألة نوقشت تكرر اراً هي مسألة الخدمة النسائية ، ومسألة دور العلمانيين في الكنيسة ، واهتماماً متزايداً بطقوس قد تضر احياناً بالوعظ الذي بدا من الضروري اعادة اثبات اهميته .

الحركة المسكونية
ان اختلاف الشيع والتسميات الكثيرة قد دفع الكنائس المتشعبة عن
الاصلاح ، منذ زمن بعيد ، الى القيام بمجهود توحيدي ، على الصعيد
القومي والصعيد الدولي ، بغية تجنب ازدواجية العمل في حقل الرسالات التبشيرية التي احرزت
نجاحات مدوية في البرازيل وبلدان اميركا الجنوبية الاخرى ، وافريقيا الجنوبية الوسطى ،
والانسولند وآسيا . فعلى الصعيد القومي تأسست جمعيات او كنائس بغية تحقيق هذا التوحيد
في المانيا ، والولايات المتحدة حيث ضمت « الكنيسة الميثودية » ثلاث كنائس ميثودية مختلفة ،
و كندا بنوع خاص حيث توحد الجمعيون والمشيخيون والميثوديون . وعلى الصعيد الدولي وجه
رئيس اساقفة كنتربري منذ السنة ١٩٢٢ « نداء الى عموم المسيحيين » ، وفي ١٩٢٥ ، التأم في
ستوكهولم الجمع المسكوني ، « حياة وعمل » ، الذي تخلف عن حضوره الكاثوليك وحدهم ؛ ثم
التأم في السنة ١٩٢٧ مجمع لوزان ، « ايمان ونظام » ، الذي حضره ٥٠٠ مندوب عن ٩٠ كنيسة .
ولكن الحركة المسكونية توقف عملها في السنة ١٩٢٨ في اعقاب الرقيم ، « نفوس الموتى » ،
الذي رفض مصافحة اليد الممدودة وتصلب في تمسكه بمبدأ استحالة الخلاص خارج الكنيسة
الرومانية . وبعد الحرب العالمية الثانية ، عقد مجلس الكنائس المسكوني الذي تقرر تأسيسه في
السنة ١٩٣٨ ، جلسته الاولى في امستردام في شهر ايلول من السنة ١٩٤٨ ، وقد اشترك في اعماله
مندوبون رسميون عن معظم الكنائس البروتستانتية والانكليكانية وبعض ممثلي الكنائس
الارثوذكسية الشرقية ؛ فأقر تأسيس هيئة دائمة ، وانعقاد جمعية كل خمس سنوات ، وتعيين
جهاز اداري ، هو المجلس العام للكنائس ، ولكن اتفاقاً معتقدياً واحداً لم يتحقق بين
الكنائس .

الا ان ذلك لم يحل دون استمرار الخلافات ؛ فالكنائس « الكاثوليكية » الاتجاه اي تلك
التي تشدد على حقائق الايمان والسلطة الكنسية التسلسلية والاسرار ، قد ألفت منذ زمن بعيد

« التحالف الدولي للايمان الرسولي والنظام » ، بينما تجلعت الكنائس التي تخشى العودة الاحتمالية الى الكنيسة الرومانية في « المجلس الدولي للكنائس المسيحية » و « جمعية الدفاع عن البروتستانتية المهددة بالخطر » .

امام نجاحات الاسلام ، واستقلال الدول المستعمرة التي غالباً ما رفضت نفوذ الغرب السياسي ونفوذه الديني في وقت واحد ، وامام نجاحات الشيوعية ايضاً ، بدا انقسام المسيحيين مؤسفاً جداً ، ولكن معارضة الكنيسة الارثوذكسية (على وجه غير واضح ومطلق) والكنيسة الكاثوليكية اللتين تعتبر كل منهما انها الكنيسة الحقيقية الوحيدة ، قد حالت دون اي تقارب . بيد ان الرقيم المشهور في السنة ١٩٤٤ ، الذي سلم بالزواج الذي يعقده الكهنة الارثوذكس ، ووعد الشرقيين بانهم لن يرغبوا قط على تبني طقوس اللاتين ومؤسساتهم ، لا بل منع انتقال الشرقيين المتحدين الى الكنيسة الرومانية ، كان خطوة بخطتها الكنيسة الرومانية نحو الكنائس الشرقية ، ولكنه لم يترك اصداً تذكر . الا ان الجمع الفاتيكاني (باعترافه علناً بان اخطاء ومظالم قد ارتكبت بحق المسيحيين الشرقيين « المنفصلين » (لا « المنشقين » كما دعوا في الماضي) ، ورحلة بولس السادس الى الشرق ولقاءه بالبطريرك اثنينوغوراس ، قد غيرا هذا الجو .

اما من الجهة البروتستانتية ، فقد بقيت روما على موقفها من الحركة المسكونية : فهي لم تتمثل في امستردام ، واذا هي تمثلت في السنة ١٩٥٢ في جمع « الايمان والنظام » الذي التأم في لوند ، فقد بدا تحديد عقيدة انتقال السيدة العذراء في السنة ١٩٥٠ تعبيراً عن رفضها كل تسوية واثار معارضة البروتستانت الاجماعية . الا ان الجمع الفاتيكاني قد حاول هنا ايضاً خلق جو جديد ومدّ يده تكراراً للبروتستانت : فروقت اعماله بشغف كبير وعطف حقيقي ، ولكن بتحفظ عززته بعض المقررات (اعلان مريم امماً للكنيسة) ؛ ولعل خير ايجاز لهذا التحفظ ما قاله الراعي بورغيه : « لقد نزع الثلج من جوار قصر « كانوسا » وزين مدخله بالزهور ، ولكن كانوسا ما زال كانوسا » .

الكتاب الثالث

العالم الشيوعي

في السنة ١٩٤٥ ، كان الاتحاد السوفياتي الدولة المسيطرة في البر الاوروبي الآسيوي ، اذ ان منافستيه الرئيسيتين قد هزمتا وازيل خطرهما : في الشرق ، اليابان ، وفي الغرب ، المانيا ، المستظهرة والجزأة . فعندما وضعت الحرب اوزارها ، كانت جيوشه قد بلغت قلب اوروبا الوسطي واقامت في بلغاريا ، ورومانيا ، وجزء من يوغوسلافيا والنمسا ، وهنغاريا ، وتشيكوسلوفاكيا ، وبرلين وجزء كبير من المانيا . وفي كافة هذه البلدان المحتلة تألفت حكومات من منظمات التحرير ما لبثت ان حولتها الى ديمقراطيات شعبية ؛ وبعد السنة ١٩٤٨ ، اتحدت هذه الاخيرة اتحاداً وثيقاً فيما بينها ومع الاتحاد السوفياتي ، بينما اقتبست مؤسساتها عن مؤسسات الاتحاد . وفي هذه الاثناء ، افضى انتصار جيوش ماو - تسي - تونغ الشيوعية في الشرق الى طرد حكومة تشان - كاي - شك من البر في السنة ١٩٤٩ . وهكذا تألفت ، في اقل من خمس سنوات بعد توقف العمليات الحربية ، كتلة برية مترامية تمتد من ضفاف نهر الايلب حتى المحيط الهادي وتضم اكثر من ٩٠٠ مليون نسمة تختلف فيها اصول المعيشة والنظام الاقتصادي والاجتماعي اختلافاً كلياً عنها في العالم الغربي والاميركي . وكادت هذه الكتلة ، اقله حتى السنة ١٩٥٦ ، تعيش خارج التيارات التجارية والايدولوجية في الحما العالم الاخرى ولا تتصل به تقريباً .

الفصل الأول

الاتحاد السوفياتي

ان الاتحاد السوفياتي هو الدولة الوحيدة بين الدول الأوروبية التي طورتها الحرب اقل من سواها : فان اعادة بنائها واتماها قد انجزا بحسب اصول ما قبل السنة ١٩٣٩ نفسها والتخصيص نفسه ، على الرغم مما لحق بها من تخريب هائل ، دون مجافاة للماضي ودون قطع سياق الحقل الاجتماعي والحقل السياسي . لقد عاشت مرحلة استقرار وهدوء لم تعرفها قط قبل الحرب ؛ ولم تعاني من الانقلابات العميقة التي عانت منها أوروبا الوسطى والشرقية ، ولا من الاضرابات السياسية والاجتماعية التي كانت فرنسا وإيطاليا مسرحاً لها .

كانت اعادة البناء هنا ايضاً اسرع منها بعيد الحرب العالمية الاولى . فقد اقتضى ثماني سنوات آنذاك لبلوغ مستوى انتاج ما قبل الحرب ، بينما كانت اربع سنوات كافية بعد السنة ١٩٤٥ لبلوغ هذه النتيجة ، على الرغم من فداحة الخسائر (ربما ٢٠ مليون نسمة) وحجم الابنية المدمرة (٦٠ مليون متر مربع للسكنى وجب اعادة بنائها) ، وألوف المصانع الخربة ، والمناجم المعطلة الانتاج ، وطرق المواصلات المفككة . الا ان صعوبات اعادة البناء قد تزايدت بفعل عزلة الاتحاد السوفياتي المالية . فعلى غرار ما حدث عشية الحرب العالمية الاولى ، وجب تحقيقها بدون مساعدة رأس المال الاجنبي . وبينما تدفقت رؤوس الاموال الاميركية على أوروبا الغربية بعد انتهاء العمليات الحربية ، توقف العمل باتفاقات الاعارة والتأجير مع الاتحاد السوفياتي وتوقف استيراد السلع الاميركية توقفاً فجائياً . يضاف الى ذلك اخيراً ان الظروف الدولية وتآزم العلاقات بين الحلفاء السابقين قد دفعت الاتحاد السوفياتي الى ابقاء قوة مسلحة كبرى تحت السلاح ، والابقاء على صناعة هامة للتسلح ، لا سيما في حقل الاسلحة الجديدة والسلاح الذري بنوع خاص (في الاتحاد السوفياتي فجرت القنبلة الذرية الاولى في شهر ايلول من السنة ١٩٤٩) ، والانصراف الى سباق تسلح كانت نفقاته اثقل منها قبل السنة ١٩٤١ . فاستهلكت اعادة البناء من ثم شطراً هاماً من الانتاج الجديد ، في حين ابعدت صناعة الاسلحة ، عن ترميم البلاد

ظروف اعادة البناء
والانطلاقة الاقتصادية

الاقتصادي ، جزءاً من اليد العاملة . وقد ساهمها - خلافاً لما حدث في السنة ١٩٢١ - توفر العديد من الاداريين ، والفنيين ، والمهندسين ، والعمال الاختصاصيين ، المتعودين طرائق الاقتصاد المخطط ، الذين لم يحتاجوا الى ارنجال اساليب العمل والادارة . وساعدتها كذلك التعويضات التي دفعها المهزومون او فرضت على المناطق المحتلة : تفكيك مصانع ، نقل آلات الى الاتحاد السوفياتي ، تسليم جزء من الانتاج المنجمي او الصناعي .

بينما اتخذت بعض التدابير بغية تشجيع النسل وسد الفراغات الخطط الخمسية الاخيرة الهائلة التي تركتها الحرب ، وبينما جعل التشريع الخاص بحماية العائلة معاملات الطلاق اكثر صعوبة واعاد للزواج معناه وقيّمته ، كانت اعادة البناء المادية سائرة بخطى حثيثة . وحين انتهى تنفيذ الخطة الخمسية الرابعة في السنة ١٩٥٠ ، بلغت نسبة الانتاج الصناعي ١٧١ (١٠٠ في السنة ١٩٤٠) ، وبلغ انتاج الفحم الحجري ٢٥٠ مليون طن ، وانتاج الفولاذ ٢٧ مليوناً ؛ وكان الانتاج اعلى منه في السنة ١٩٤٠ بنسبة ٦٠٪ في صناعة الآلات ومعدات التجهيز ، وبنسبة ٨٠٪ في صناعة المواد الكيميائية . اما انتاج المواد الاستهلاكية فكان ادنى منه في الخطط السابقة ، باستثناء الصوفيات والقطنيات . ومن مميزات الخطة الرابعة انطلاقة الصناعات الاساسية في الشرق السوفياتي ، فقد احدثت في قازاخستان وسمرقند وطشقند صناعات كثيرة : مصاهر حديد ، ومصانع فولاذ ومصانع آلات . وبالرغم من ان المراكز الصناعية القائمة في الغرب قد رمت ووسعت ، فان انتاجها لم يرتفع الا بنسبة ١٥ بالمائة بينما بلغ ارتفاع الانتاج الاجمالي في الاتحاد السوفياتي ٤٨ بالمائة ؛ وهكذا فان مركز الثقل في الاقتصاد السوفياتي قد استمر في الانتقال بشكل متزايد للوضوح نحو الشرق : فهي مناطق كوزباس وقازاخستان والاورال والاحواض السيبيرية التي وفرت منذ السنة ١٩٥٠ اكثر من نصف الفحم الحجري والفولاذ ؛ وارتفع كذلك اكثر فأكثر انتاج البترول في « باكو الثانية » بين الاورال والفولغا ، التي احتلت المركز الانتاجي الاول في السنة ١٩٥٢ ، وفي آسيا الوسطى والشرق الاقصى .

ولكن الاتحاد السوفياتي واسع الارضاء وسكانه موزعون على غير قساو ، بسبب وجود مساحات كبرى يحملها انخفاض الحرارة او الجفاف غير صالحة للاستثمار والاستيطان ؛ فان ٤٨ ٪ من السكان يعيشون متجمعين في ٦ ٪ من الارض ، ولا يعيش في ٣ ٪ المساحة سوى ٦ ٪ من مجموع السكان . والحال يرتفع عدد هؤلاء السكان بنسبة ٣٥٠٠٠٠٠ في السنة ، اذ انه ازداد بنسبة ٢٤ مليون نسمة بين السنة ١٩٤٨ والسنة ١٩٥٦ ، فجاوز في السنة ١٩٥٩ الـ ٢٠٨ ملايين . وطرأت الزيادة على سكان المدن في الدرجة الاولى (٤٨ بالمائة من مجموع السكان في السنة ١٩٥٩ ، و ٥٢ بالمائة في السنة ١٩٦٣) ؛ وارتفع عدد المدن الكبرى الضامة اكثر من ٥٠٠٠٠٠ نسمة من ١١ في السنة ١٩٣٩ الى ٢٥ في السنة ١٩٦٢ ، وارتفع عدد سكان بعضها بسرعة استثنائية بسبب اتساع حركة التزوج عن الارياف : فان غوركي وكوبيشيف

وساراتوف قد زادت بنسبة الثلث ، وسفردلوفسك واومسك وتشيلياينسك قد تضاعف سكانها تقريباً ، وارتفع عدد سكان نوفوسيبيرسك من ٣٠.٠٠٠ نسمة الى ٤٠٠.٠٠٠ بين الحرب الاولى والحرب الثانية ، وبلغ ٩٨٢.٠٠٠ في السنة ١٩٦٢ (الشكل ٢٥) . فتوجب من ثم تعزيز الزراعة واستثمار المساحات التي لما تستثمر او اسمي استثمارها . وفي سبيل تحقيق هذه الغاية ، اهدت في السنة ١٩٤٨ ، بعض المشاريع لاستحداث طرائد حرجية واسعة تسير بمحاذاة الوديان من الشمال الى الجنوب وتقف حاجزاً في وجه الرياح التي تهب من آسيا الوسطى وبحر قزوين على روسيا الجنوبية . وزرعت اشجار اخرى كثيرة ثبتت الثمرة وحالت دون الجفاف . وشيدت على الدون والديبر والفولغا سدود كبرى رفعت مستوى مياه الانهر وكونت وراءها خزانات واسعة للمياه ، فأثارت انتاج الطاقة الكهربائية وتغذية اقية الري بالماء ، وتأمين ري البورات الجنوبية وتحويلها الى اراض زراعية . ووفرت المعامل الكهربائية على الفولغا في كوبيشيف (١٩٥٦) وفولوغراد ، وعلى الديبر في كاشوفكا (١٩٥٥) ، ٥٠ مليون طن من الفحم الحجري واتاحت القناة التي حفرت بين الدون والفولغا ، بالاضافة الى دورها الهام لجهة المواصلات - اذ انها ربطت بين البحار الروسية الخمسة - ، ري كافة اراضي منطقة روستوف وفولوغراد . وبوشرت في آسيا كذلك اعمال انشاء معمل كهربائي في براتسك على الدانغارا ، واعمال حفر قناة تركمانستان الكبرى التي ستصل بين كراسنوفودسك على بحر قزوين وبين بحيرة ارال وتؤمن ري كل القسم الغربي من قراخوم .

اما الخطة الخمسية الخامسة التي بوشر تنفيذها في السنة ١٩٥١ وتحققت بنسبة ١٠٣ بالمائة ، فقد انصرفت الى رفع مستوى الانتاج الصناعي الى ٧٠ بالمائة ، اي بمعدل ١٢ بالمائة في السنة ، و ١٣ بالمائة لمواد الانتاج : استخراج المعادن ، معادن غير حديدية ، بترول ، كهرباء ، و ١١ بالمائة لمواد الاستهلاك .

الا ان الخطة الخمسية الرابعة ، التي نفذت كلياً ، لا بل تمخطيت في انتاج مواد التجهيز ، قد بقيت دون الهدف المحدد لانتاج المواد الاستهلاكية (٩٥ بالمائة) والزراعة (٨٤ بالمائة) ؛ وفي السنوات الاولى من تنفيذ الخطة الخمسية الخامسة حصل كذلك تاخر محسوس في هذين الحقلين كان نتيجة للحرب الكورية والحظر المفروض بسببها اللذين افضيا الى نقصان رؤوس الاموال والحامات النادرة . ولذلك عدلت الخطط منذ السنة ١٩٥٢ بزيادة انتاج المواد الاستهلاكية وتحسين نوعيتها ، بحيث تتحقق تنمية صناعات المواد الاستهلاكية بمزيد من السرعة دون ان يطرأ اي تغيير على نظام الصناعة . وقد ظهر هذا الاتجاه في الخطة السادسة الموضوعة للفترة ١٩٥٦ - ١٩٦٠ ؛ فقد اعطت الاولوية ، على غرار سابقتها ، للصناعة الثقيلة ، مع مراعاة الصناعات الاخرى : زيادة المواد الانتاجية بنسبة ٧٠ بالمائة والمواد الاستهلاكية بنسبة ٦٠ بالمائة . زيادة انتاج الحديد المصبوب بنسبة ١٥٠ بالمائة ، ومضاعفة انتاج البترول والطاقة الكهربائية ، وكذلك اللحوم والحليب والبطاطا . وزيادة انتاجية الصناعة بنسبة ٥٠ بالمائة

على الأقل ، واثناجية المزارع النموذجية بنسبة ٧٠ بالمائة ، وزيادة الاجور الحقيقية بنسبة ٣٠ بالمائة واجور اعضاء التعاونيات الزراعية بنسبة ٤٠ بالمائة . اما الجدة العظمى فهي الامة الكبرى (اكبر منها في السابق) المعطاة للبحث العلمي ، والمكننة والآلية اللتين ستليحان زيادة الانتاج بنسبة أعلى الى حد بعيد من زيادة اليد العاملة التي نقصت على كل حال بفعل إطالة مدة الدروس حتى ١٦ سنة . وبالفعل تحقق في المدن والمراكز الريفية التعليم الثانوي الموزع على عشرة صفوف ، واتسعت شبكة المدارس المسائية والدروس بالمراسة . فتخرج مليون حامل شهادة من المدارس الثانوية والعليا في السنة ١٩٦٠ . ومنذ السنة ١٩٥٧ تابع مليوناً طالب دروس التعليم العالي .

في الحقل الزراعي لم تبلغ النتائج تقديرات الخطط الخمسية . اجل لقد الزراعة ارتفع عدد محطات الآلات والجرارات من ٦٠٠٠ في السنة ١٩٣٩ الى ٩٠٠٠ في السنة ١٩٥٥ ؛ وخطت مكننة الاعمال الزراعية المختلفة خطوة كبرى الى الامام : حراثة ، بذر ، حصاد ، وبات عدد الخبراء الزراعيين مرتفعاً جداً . ومن جهة ثانية حسنت طرائق الانتقاء واتساع المساحات المروية المحاصيل المختلفة ولا سيما القطن والشمندر السكري . الا ان نسق زيادة الانتاج الزراعي كان ابطأ من ذاك الذي قدر له ، فلم يبلغ سوى ٢ - ٣ بالمائة اي ما يقارب معدل زيادة السكان : ويرد ذلك الى قساوة شتاء السنة ١٩٤٦ والجفاف الكبير في الفترة ١٩٤٦ - ١٩٤٩ الذي تسبب بنكبة دونها النكبة التي تسبب بها جفاف السنة ١٩٢١ ، والنقص المزمن في الاكلاء الذي زاد النقص في الحبوب من خطورته . يضاف الى ذلك ان السياسة التي استهدفت حصر مساحات زراعة الحبوب وتوسيع مساحات زراعة الاكلاء ، وزيادة الانتاج بتحسين التقنيات والدورات الزراعية المدروسة قد اسفرت عن نتائج خيبت الآمال ، مما حمل الخطة الخمسية الخامسة على اعادة الاولوية لتوسيع مساحات زراعة الحبوب . فزادت هذه المساحة اكثر من ٢٥ مليون هكتار بين السنة ١٩٥٠ والسنة ١٩٥٧ ، وجاءت الخطة السادسة لتحقيق زيادة ٣٦ مليون هكتار من الاراضي الجديدة التي لم تحرث قط من ذي قبل ، في سيبيريا وقازاخستان . واستتبعت المكننة من جهة ثانية لجميع التعاونيات الزراعية في وحدات كبرى . فانخفض عددها من ٢٥٢٠٠٠ في السنة ١٩٥٠ الى ٧٨٩٠٠ في السنة ١٩٥٧ . وقد استلزم اتساع مساحات المزارع التعاونية هذا اسناد ادارتها الى فنيين . فمنذ السنة ١٩٥٣ اختير اكثر من نصف مسديري التعاونيات من بين الزراعيين المتخرجين من المدارس الثانوية والعليا ، وعين مهندسون زراعيون للعمل ابدأ في محطات الآلات والجرارات . وبموازاة هذا التطور ، تجذر الاشارة الى تعاظم دور المزارع النموذجية لا في اراضي قازاخستان وسيبيريا الاستعمارية فحسب ، بل في الاراضي الزراعية الفقيرة في روسيا الاوروبية ايضاً التي تأثرت بالهجرة الريفية . فقد ارتفع عددها من ٤٨٥٧ في السنة ١٩٥٣ الى ٥٠٩٩ في السنة ١٩٥٦ . وقد تضاعفت مساحتها منذ السنة ١٩٥٠ وتضاعفت في الوقت نفسه المساحة المخصصة لزراعة

الحبوب (٥١ مليون هكتار في السنة ١٩٥٧ تمثل ١/٤ الاراضي الصالحة للحرث في الاتحاد السوفياتي) .

اما تربية المواشي فلم تتقدم تقدماً كبيراً بصورة عامة ؛ فان اللحوم والحليب والصوف قد انتجت بكمية غير كافية . لا بل ان الابقار قد انخفض عددها منذ السنة ١٩٤٨ . فاتخذت من ثم ، منذ السنة ١٩٥٣ ، سلسلة تدابير تهدف الى زيادة الانتاج : رفع اسعار محاصيل تربية المواشي ، زيادة مساحات زراعة الاكلاء (بنسبة ١٦٦ بالمائة بين السنة ١٩٥٣ والسنة ١٩٥٦) ، سياسة منسقة لتسمين المواشي ... ، مما ادى الى ارتفاع عدد المواشي وتحسين نوعيتها بين السنة ١٩٥٣ والسنة ١٩٥٧ .

مستوى المعيشة بسبب الافضلية المعطاة للصناعة على الزراعة ولانتاج المواد التجهيزية على المواد الاستهلاكية ، وبسبب ابتلاع حاجات اعادة البناء والتسلح لجزء كبير من الانتاج ، لم يتح ارتفاع مستوى الانتاج احياناً حتى العودة الى مستوى المعيشة السابق . الا ان تقنين المواد الغذائية والمصنوعات الاستهلاكية ، الذي فرضه ابان الحرب ، قد ألغى في الحقل الغذائي في اواخر السنة ١٩٤٧ حين قضى اصلاح نقدي بتنظيم الاسعار تنظيمياً شديداً واتاح وضع حد لازدواجية قطاع المخازن « التجارية » والقطاع المقنن . وقد طرأت من جهة ثانية سلسلة انخفاضات في عهد لاحق (سبعة انخفاضات عامة وبعض الانخفاضات الخاصة في عدد من المصنوعات) تقابل ارتفاع اسعار المواد الاستهلاكية ، وقد اختلفت باختلاف السلع ، ولكنها بلغت ، بحسب تقديرات روموف ، ٢٥ و ٣٠ وحتى ٥٠ و ٦٠ بالمائة .

وتحسنت الأجور بشمول « الاجر المشترك » اي الفوائد المختلفة التي يحصل عليها كل عامل بصرف النظر عن عمله . فقد منح قانون السنة ١٩٤٤ تعويض ومكافأة ولادة ابتداء من الولد الثالث (وليس من الولد السابع كما في السنة ١٩٣٦) ، وفي السنة ١٩٤٧ أقرت بعض التعويضات للامهات - العازبات . يضاف الى ذلك من جهة ثانية ان ارتفاع الاجر الحقيقي (٢٠ بالمائة لصغار الاجراء ، ١٥ بالمائة للعامل الاختصاصي ، ١٠ بالمائة للمهندس) قد تحقق بسرعة نسبية اذ امكن التأكيد في شهر تموز من السنة ١٩٥٣ « ان بمقدور المواطنين السوفيات شراء ضعف ما كانوا يشترونه في السنة ١٩٤٧ » . ولعل الطاقة الشرائية زادت بين السنة ١٩٤٧ والسنة ١٩٥٣ بحسب تقديرات روموف ، بنسبة ٧٨،٥ بالمائة للعامل ، و ٧٨ للمعامل الاختصاصي ، و ٥٧ بالمائة للمهندس ، و ٥٠ بالمائة للفلاحين .

مقارنة بالبلدان الرأسمالية لا مناص والحالة هذه من مقارنة هذه الطبقة الاقتصادية بطاقات بلدان « المشروع الحر » . فاذا ما نظرنا الى الخط البياني المنحني الذي ترسمه انطلاقة صناعة اساسية في الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة لاستعمال الاسترعي انتباهنا انتظام نمو انتاج الاتحاد السوفياتي والتقلبات البارزة في انتاج الولايات المتحدة (الشكل ٢٦) ؛ ويرد انتظام نمو الاقتصاد السوفياتي الى انعدام الازمات ، كما قد ترد

سرعته الى مستوى الانطلاق المنخفض جداً وتوفر تقنية متقدمة جداً افاحت للاتحاد السوفياتي ان يستخدم دفعة واحدة ادوات جديدة وطرائق مضمونة النتائج . فحتى السنة ١٩٤٧ ، اي في مرحلة البناء الاشتراكي ، بلغ المعدل السنوي في تقدم الانتاج الصناعي ٣٠ بالمائة ، وبين السنة ١٩٤٧ والسنة ١٩٥٠ ، ٢٣ بالمائة ، وفي السنة ١٩٥١ ، ١١ بالمائة ، ومنذ السنة ١٩٥٢ ، ١٠ بالمائة . اي ان المعدل العام كان ١٧,٥ بالمائة ، بينما كان ٤,٥ بالمائة في الولايات المتحدة . وعلى الرغم من ذلك ، ما زال الفارق كبيراً بين الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة . ففي السنة ١٩٥٣ ، كان معدل الانتاج ، المعتبر ١٠٠ في السنة ١٩٤٧ ، ١٢٩ في الولايات المتحدة و ٢٦٦ في الاتحاد السوفياتي ، ولكن هذا الاخير لم ينتج آنذاك سوى ١/٣ الانتاج الاميركي من الفولاذ ، و ٥ بالمائة من انتاج السيارات و ١/١٠ انتاج الجرارات ، و ٣٣ بالمائة من الفحم الحجري ، و ١٤ بالمائة من البترول و ٢٥ بالمائة من الكهرباء المولدة من القوة المائية ، بصرف النظر عن الغاز الطبيعي . وربما بلغ مجموع الدخل القومي غير الصافي - بحسب تقديرات مختلفة - ١٨ - ٣٦ بالمائة من الدخل الاميركي غير الصافي . ولكن الفارق يتجه نحو النقصان ، والتأخر يتلاشى سنة بعد سنة .

الحياة الفكرية
ان الظروف الخاصة التي عاش فيها الاتحاد السوفياتي منذ السنة ١٩١٧ ادت الى قيام صلة اكثر وثوقاً منها في اي مكان آخر بين الحياة الفكرية والفنية من جهة ، وبين الظروف السياسية والدولية من جهة اخرى : ادب وفن رومنتيقيان وعارمان بالقوة اثناء المرحلة « الثورية » في العشرينيات ، ثم اثناء العمل بالخطط الخمسية ؛ اما المذهب الذي نال الحظوة فهو « الواقعية الاشتراكية » التي اتجهت شطر تمجيد نشاط الانسان في العمل اي في المصنع والتعاونية الزراعية . وقد عزز هذا الاتجاه منذ السنة ١٩٣٨ الخطر الالماني الذي وجهه الافكار نحو ايقاظ الشعور القومي ، والعودة الى اجداد الماضي ، والاشادة بذكر الملوك والقادة ورجال الدولة الذين صنعوا روسيا العصرية بمقاومتهم السيطرة الاجنبية ؛ وهكذا فان روايات « الكسي تولستوي » وموسيقى بروكوفياف وافلام ايزنستين قد عظمت بطرس الاكبر « وايفان الهائل » و « اسكندر نوسكي » وسوفوروف . واوحت الحرب مؤلفات ادبية كثيرة تمجد الوطنية السوفياتية التي وحدث بين احترام ماضي روسيا القومي واحترام روسيا الجديدة الشيوعية . فمنذ السنة ١٩٤١ وضع « ايليا اهرنبورغ » كتاباً يتجلى فيه عداؤه للامان : « سقوط باريس » ؛ وكانت حراجة وضع الاتحاد السوفياتي في السنة ١٩٤١ والسنة ١٩٤٢ مصدر وحي لشعراء كثيرين من امثال سيمونوف وسوركوف ، ومؤلفات ليونوف وكازاكيفيتش (الكوكب) واوفيتشكين وبولغوي (رجل رجل) ، ومجدت افلام بطولية المدافعين عن موسكو وستالينغراد والمنتصرين في برلين ، بينما الف شوستاكوفيتش سمفونيتيه السابعة والثامنة ، والف شولوكوف ، الذي بلغ الشهرة بكتابه « الدون الهادي » (١٩٢٨ - ٤٠) ووصف فيه سنوات الحرب الاهلية العشر من خلال

تزايد سكان المدن الرئيسية في الاتحاد السوفياتي من ١٩٢٦ الى ١٩٥٩

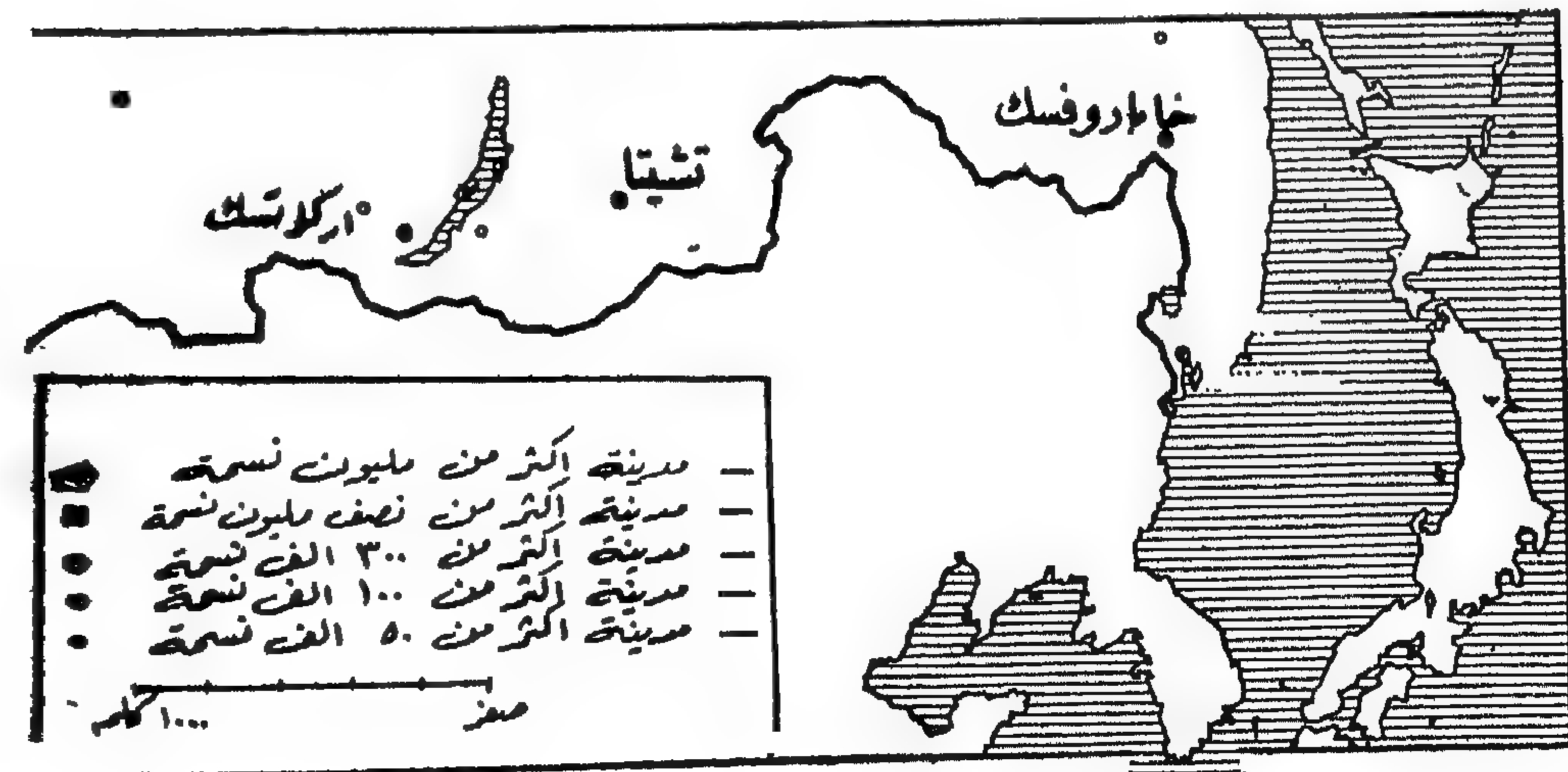
(احصاء ١٥ كانون الثاني ١٩٥٩)

الشكل ٢٥ - نمو المدن في الاتحاد السوفياتي ، ١٩٢٦ - ١٩٥٩



١٩٥٩	١٩٢٦	
٨٨٧ ألف	١٢٠ ١٢٨	نوفوسيبيرسك
٦٦٧ ألف	٤٢٠ ٨٦٢	أوديسا
٥٧٩ ألف	١٦١ ٦٨٤	أومسك
٥٤٦ ألف	٩٨ ٥٣٧	أورفا
٦٢٨ ألف	١١٩ ٧٧٦	بيرم
٢٨٢ ألف	١٠٧ ٠٠٠	ريفا (١٩٣٩)
٥٩٧ ألف	٣٠٨ ١٠٣	روستوف
٥٨١ ألف	٢١٩ ٥٤٧	سراتوف
٧٧٧ ألف	١٤٠ ٣٠٠	سفر دوفسك
٩١١ ألف	٣٢٣ ٦١٣	طشقند
٦٩٤ ألف	٢٩٤ ٠٤٤	تيليسي
٦٨٨ ألف	٥٩ ٣٠٧	تشيليابينسك
٣٠٢ ألف	٦١ ٥٢٦	تشيبيتا
٣٤٥ ألف	١٥٥ ٠٠٥	قولا
٥٩١ ألف	١٥١ ٤٩٠	فولغوغراد
٤٥٤ ألف	١٢١ ٦١٢	فوروبنيج
٤٠٦ آلاف	١١٤ ٢٧٧	يوسلاف
٥٠٩ آلاف	٦٤ ٦١٣	يريفان
٤٣٥ ألف	٥٥ ٧٤٤	زبوروي

١٩٥٩	١٩٢٦	
٤٥٥ ألف	٤٥ ٣٩٥	ألتا
٩٦٨ ألف	٤٥٣ ٣٣٣	باكو
٦٥٨ ألف	٢٣٦ ٧١٧	دنيبروبتروفسك
٩٤٣ ألف	٢٢٢ ٣٥٦	غوركي
٣٦٥ ألف	١٠٨ ١٢٩	اركوتسك
٣٣٢ ألف	١١١ ٤٦٠	ايفانوف
٢٩٨ ألف	٥٧	كر اغاندا
٦٤٣ ألف	١٧٩ ٠٢٣	كازان
٣٢٢ ألف	٥٢ ٠٤٥	خاباروفسك
٩٣٠ ألف	٤١٧ ٣٤٢	خاركوف
١ ١٠١ ٠٠٠	٥١٣ ٦٣٧	كييف
٨٠٦ آلاف	١٧٥ ٦٣٦	كوبيشيف
٣ ٣٠٠ ٠٠٠	١ ٦٩٠ ٠٦٥	ليننغراد
٤١٠ آلاف	٣١٦ ١٧٧	لغوف (١٩٣١)
٣١١ ألف	٣٠ ٠٠٠	مانيلوغورسك
٣٥٨ ألف	٢٤٢ ٠٠٠	ماكايكا (١٩٣٩)
٥٠٩ آلاف	١٣٤ ٨٠٣	منسك
٥ ٠٣٢ ٠٠٠	٢ ٠٢٩ ٤٢٥	موسكو
٣٣٨ ألف	٣٨ ٨٤٩	نيجني تاغيل



حياة الفلاحين والجنود الوضاع ، كتابه « حاربوا من اجل الوطن » (١٩٤٣) الذي استعاد فيه ذكرى الانسحاب من الدون في السنة ١٩٤٢ . اما بعد السنة ١٩٤٥ ففي الحرب الباردة وخطر السلاح الذري ما اثار حذر السوفيات من الحلفاء السابقين ، فبات لزاماً ان تبقى قوات البلاد على استعداد لمقاومة الحرب الوقائية التي خيل لهم ان الاميركيين يعدونها : فنجم عن ذلك عداء للتأثيرات الفكرية الآتية من البلدان الرأسمالية ، خلق حالة نفسية « سبارتية » تقاوم كل تراخ وكل تمويه . وهو جدالوف ، امين سر الحزب بين السنة ١٩٤٦ والسنة ١٩٤٨ ، من تولى هذا النضال ضد الوطنية الشائعة وضد المثالية ، وضد التشبه بالاجني ، وضد « التمسك بالشكليات » . وقد وُجّه اللوم الى الشاعرة اكاتوفا والهجتاء سوشستشنيكو لانهما اعطيا فكرة خاطئة عن العالم السوفياتي ، والى شوستاكوفيتش بسبب تشاؤمه . واستمر الفن في انحرافه عن الاتجاهات الجديدة المخصصة التي ظهرت في اوربا الغربية . واتصف الادب بالتفاؤل واعطاء القدوة الصالحة ولم يترك مكاناً كبيراً لتحليل المشاعر الشخصية : الحب ، والطمع ، والحسد ، والبخل . وطارد الانانية والاخلاق السهلة ، واطرى النخوة الوطنية والحياة الجماعية والبطل السوفياتي واعادة البناء وجمال الارض الروسية في مؤلفات غالينا نيقولاينا ، وفيرا بانوفا ، وبابنسكي (الجواد المكوكب) الذي وصف تجدد العمل في احدى تعاونيات كوبان الزراعية ، واجايف (بعيداً عن موسكو) .

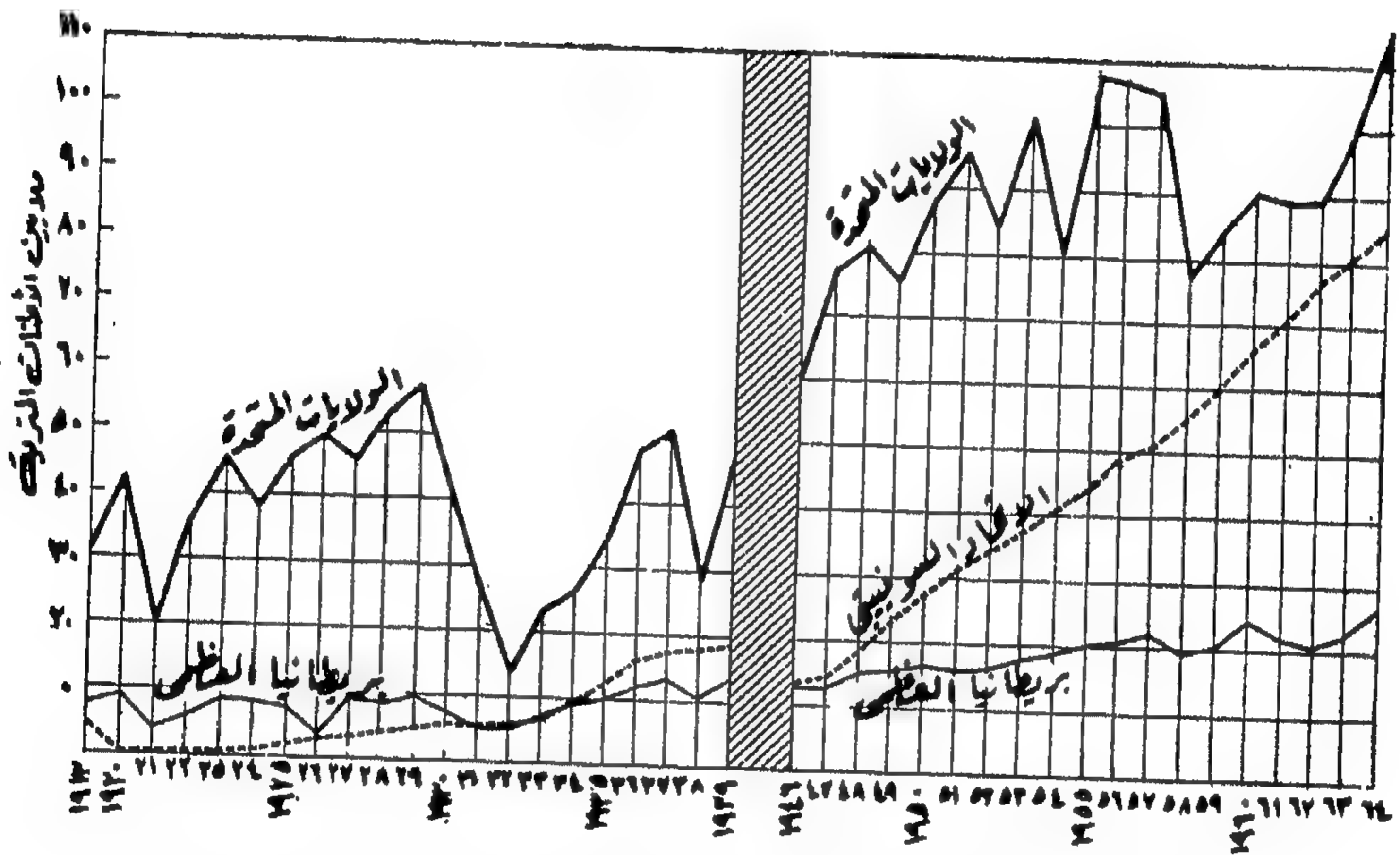
بعد النصر الشيوعي في الصين وزوال الاحتكار الاميركي للقبلة الذرية ، عرف عالم الكتاب والفنانين بعض الراحة والاطمئنان ، وتلاشى جدو التعبئة الفكرية : فالف بروكوفيف سمفونيته السابعة وشوستاكوفيتش لحنه المسرحي الديني « غناء الغابات » ، وكلاما نشيد لروح السلم والعمل السلمي ، وأخذ مؤتمر الكتاب السوفياتيين المنعقد في السنة ١٩٥٤ يناقش مسائل النقد الادبي والمسرحي دونما نظر الى الناحية العقائدية . واتصفت مقاومة التقليد الاعمى والانقيادية الستالينية بمزيد من الحرية حيال « الواقعية الاشتراكية » ، وتجلت بمزيد من الاهتمام بالمؤلفات الغربية (او اقله برغبة حقيقية في التعرف الى الفن المجرد والرسم غير التمثيلي) ، وطالبت بحرية الابداع الفني واكدت ضرورة « تسهيل تفتح روح المبادأة والافكار والخيالة الشخصية » . وتجلت كذلك بالمناقشات الحامية في اوساط الفنانين والكتاب امام لوحات فالك نيكوفوف ، وقصائد افوشنيكو التي كانت احداها موضوع سمفونية شوستاكوفيتش الثالثة عشرة (١٩٦٣) ، ومؤلفات بوريس باسترناك ، ورواية اسكندر سولجنيسين حول المعسكرات الستالينية .

سبق لهذه الحرية ، التي نمت بعد وفاة ستالين بنوع خاص ، ان ظهرت ابان الحرب في الحقل الديني . فقد ضمن دستور السنة ١٩٣٦ حق ممارسة العبادة ، ثم حصلت الكنيسة الارثوذكسية في السنة ١٩٤٥ ، بسبب اخلاصها للعهد القائم ، على حق عقد مجمع انتخاب البطريرك الكسيوس .

ومنذ ذلك الحين لم يسمح للاكثريوس بعضوية الجمعيات الدينية فحسب ، بل ألزم بان يكون المسؤول الرئيسي فيها .

لم تتبدل المؤسسات تبديلاً يذكر بعد السنة ١٩٤٥ ، ولكنها عرفت ، منذ وفاة ستالين تغييرات عميقة في سير حركتها ، ولا سيما بعد انعقاد المؤتمر العشرين للحزب الشيوعي في شهر شباط من السنة ١٩٥٦ ، وإذاعة تقرير خروتشوف (وثيقة اتهامية حقيقية ضد الدكتاتورية) ، ونشر وصية لينين . فُخِطَّت « عبادة الشخصية » واتخذت

الاتحاد السوفياتي
منذ المؤتمر العشرين
المؤسسات



الشكل ٢٦ - انتاج الفولاذ الخام في الاتحاد السوفياتي وبريطانيا العظمى والولايات المتحدة بين ١٩١٣ و ١٩٥٥

الحكومة شكل ادارة مشاركة تعزز في السنة ١٩٦٤ حين أقصي نيكيتا خروتشوف القوي الشخصية عن الحكم . وإذا ما سلطنا ، مع جورج غورفيتش ، وبأن الطابع الحصري للأنظمة الشيوعية مرده ... الى طابع التخلف او نصف التخلف في البلدان التي قامت هذه الأنظمة فيها ، فان التحول الراهن الى الحرية انما يقابله تطور اقتصادي يسمح اليوم بتخفيف الضغوط ، وتلبية بعض المطالب ، والكف عن التضحية باليسار على مذهب القوة وبالإستهلاك على مذهب التجهيز ؛ فقد توفرت من ثم الشروط اللازمة لقيام نظام ديمقراطي وحر . اجل لم تفقد الدولة شيئاً من مقومات وصايتها : فهي ما زالت سيدة الجيش وقوى الأمن ، والحياة الاقتصادية ايضاً ،

اذ انها تتصرف في الموارد الانتاجية . واحتفظ الحزب من جهته بمراكز القيادة وبادارة القطاعات الرئيسية ، ولكن اساليب جديدة في الحكم والادارة خلقت جواً جديداً كل الجدة . فان الغاء عدد من الوزارات الاتحادية ، وزيادة مهام مجالس العمال ، ونقل مصالح كثيرة من موسكو ومن عواصم الجمهوريات المختلفة الى مراكز الانتاج ، كل ذلك قد احدث يقظة حقيقية في الحياة العامة . وبفضل تعاظم استقلال المجالس الذاتي ، بات باستطاعة المواطنين الاسهام مباشرة في ادارة الشؤون المحلية ، بينما دعي المجلس السوفياتي الاعلى ، من جهته ، لمناقشة وتعديل مشاريع القوانين التي يتقدم بها الحزب . وتستلهم الانتباه هنا ظاهرة لا تخلو من المغزى ، هي تعاظم شأن احدى المؤسسات منذ المؤتمر الثاني والعشرين ، مع انها ، بالرغم من قدمها (١٩٢٢) ، لم تقم منذ زمن بعيد بأي دور بارز ، اعني بها الد بروكاتورا ، التي فوض إليها مراقبة شرعية عمل الأجهزة الادارية او القضائية (وزراء ، مشاريع ، مؤسسات مختلفة) على مختلف مستوياتها . فان النائب العام ، الذي يعين لمدة سبع سنوات ، مستقل عن وزير العدل وعن الحكومة ولا يرتبط الا بالمجلس السوفياتي الاعلى في الاتحاد السوفياتي ، وعليه تنبيه المجلس الاعلى الى مخالفة القانون التي يرتكبها هذا الجهاز أو ذاك .

أنكرت الاساليب البوليسية واعيد الاعتبار الى ضحاياها كما اعيد الى الشعوب الشراكسية ، ال كابارد - بلكار وال تشتشين - انفوش ، والمان الفولغا الذين كانوا قد نقلوا الى سيبيريا . والغيث النصوص التي تفرض عقوبات جزائية على من يتغيب عن العمل او يتركه دون اشعار سابق ، ورفعت الاجور المتدنية (بنسبة ٣٣٪) ، وحدث بعض الشيء من المكافآت ، وحدد يوم العمل مرة اخرى بسبع ساعات في السنة ١٩٦٠ ، واعيد تنظيم المعاش والتقاعد ؛ ويجب ان يضاف الى هذه التدابير الاسراع في بناء المساكن ، ولا سيما البناء الذي يتولاه الافراد بمساعدة الدولة والمشاريع ، وتوسيع شبكة المؤسسات المدرسية والمؤسسات التي تعملها ، وتوزيع النشاط الصناعي على المناطق خدمة للجمهوريات المتحدة . وبذل مجهود هام جداً بغية تحسين مستوى معيشة الفلاحين تحسيناً سريعاً : تخفيض الضرائب على دخول مزارعي التعاونيات الشخصية ، ورفع اسعار المواد الضرورية من جهة ، وزيادة كمية المواد الاستهلاكية في الاسواق من جهة ثانية ، وزيادة القيمة المالية للوحدة الحسابية التي تستخدم قاعدة لمكافأة الاعمال الزراعية ، ال «تروودن» .

كانت التغييرات العضوية في النظام الاقتصادي اعظم اهمية وابعد
اصلاح الاقتصاد
خطورة من حيث النتائج . فاللجان النقابية المنتخبة للمشاريع قد اتسعت مهامها واعطيت حق ابداء رأيها في المرشحين لمراكز الادارة ، وتوجب استشارتها قبل اي تسريح . واخيراً حصلت على المزيد من النفوذ للجمعيات الانتاجية الدورية التي تضم ادارة وعمال كل مشروع بغية مناقشة المسائل المتعلقة بهم . وكان التصنيع المخطط ، الذي استهل منذ زهاء ثلاثين سنة ، قد اخضع لتنظيم مركزي ناجح في السنة ١٩٢٩ ، ولكنه افضى

بسبب نجاحاته بالذات ، الى تعدد الوزارات الصناعية (٣١ في السنة ١٩٥٥) وتشابك صلاحياتها ،
 فنجم عن ذلك توتر وازدواجية وتبذير وفصل عمودي صارم بين القطاعات المتكاملة . فآدى
 الاستياء من هذه الحصرية البيروقراطية ، الثقيلة الوطأة والباهظة الاكلاف ، حين توجب ادارة
 ٢٠٠ ٠٠٠ مشروع صناعي و ١٠٠ ٠٠٠ مشغل في انحاء البلاد المختلفة ، الى الغاء معظم هذه
 الوزارات في شهر ايار من السنة ١٩٥٧ والاعاضة منها بـ ١٠٥ اجهزة (سوفنار كوز) حصرت
 صلاحياتها في الاقاليم (٧٠ في الجمهورية السوفياتية الاتحادية الاشتراكية الروسية ، ١١ في اوكرانيا ،
 ٩ في قازاخستان ، ٣ في اوزبكستان ، ٢ في كيرغيزيا ...) واشرفت على كافة مشاريع
 اقليمها وليس على هذا الفرع او ذاك من فروع الانتاج كما في السابق . وكان الهدف من هذه
 اللامصرية ، عن طريق التقسيم الاقليمي الصوابي للعمل ، للتقريب بين الادارة الاقتصادية
 والمشاريع ، واتاحة قيام مزيد من التناسق والاختصاص ، وتسهيل التمويل ، وتحقيق وفرة هام
 في النقل ، واستخدام اليد العاملة استخداماً افضل ، لاسيما وقد اخذت الحاجة تمس اليها . وقد
 خضع كل سوفنار كوز لاشراف لجنة يعاونها مجلس اقتصادي وفني ، وعمل تحت رقابة
 الـ « غوسبلان » الذي لم يعد جهازاً ادارياً بحتاً بل حصرت مهمته بعد اليوم في مطابقة التخطيط
 بتنسيقه الخطط في الجمهوريات والمناطق . ووفرت له دوائر الاحصاء الموحدة الموضوعة تحت
 تصرفه واموال المصرف المركزي التي يوزعها كافة الوسائل الضرورية للقيام بمهمة
 الادارة هذه .

واقر في شباط وحزيران من السنة ١٩٥٨ تدبيران ليسا دون هذه التدابير اهمية ، اعني بهما
 نقل ملكية معدات « محطات الآلات والجرارات » الى المزارع التعاونية في مدة سنة واحدة —
 وكان الهدف من ذلك ، كما في الحقل الصناعي ، ازالة البيروقراطية من الزراعة واستخدام المعدات
 خير استخدام — وإلغاء التسليحات الإلزامية المفروضة على المزارع التعاونية . وقد استجاب
 هذان التدبيران لرغبات الفلاحين وسهلا زيادة الانتاج . ووسعت كذلك صلاحيات مديري
 المزارع التعاونية لجهة حرية التقرير بصدد نظام الانتاج وحجمه ، وتوزيع الاراضي والعمال ،
 ومكافأة اليد العاملة ، وذلك بمنع اجهزة الدولة والحزب المحلية ، في شهر آذار من السنة ١٩٦٤ ،
 من التدخل في تفاصيل الانتاج . ووصل اخيراً إلغاء المزارع التعاونية المتدنية الانتاج ، باعتبار
 انها اصغر من ان تفيد من التقدمات التقنية . فلم يبق سوى ٦٧ ٠٠٠ مزرعة في السنة ١٩٥٩
 معدل مساحة الواحدة منها ٢ ٢٠٠ هكتار ، وقد اعتمد الكثير منها نظام مكافآت اعتبر ضمانه
 ثابتة تقرب بين ظروف عمل المزارع التعاوني وظروف عمال الصناعة . وزيد كذلك عدد
 المزارع النموذجية التي توازي انتاجيتها ثلاثة اضعاف انتاجية المزارع التعاونية ، فارتفع من
 ٨٠٠ ٥ في السنة ١٩٥٨ الى ٢٨١ ٨ في كانون الثاني من السنة ١٩٦١ . وقد بلغت مساحتها في
 هذا التاريخ ٢٧ بالمائة من مساحة الاراضي الزراعية .

كانت نتيجة مرونة طرائق التخطيط واستعالة تحقيق الخطة الخمسية
السادسة التي لوحظت في السنة ١٩٥٧ احلال خطة سبعة للفترة
الخطية السبعية ١٩٥٩ - ١٩٦٥
١٩٥٩ - ١٩٦٥ محل الخط الخمسية . وكانت الخطة الجديدة محصورة
(تناولت ٣٠٠ صنف فقط مقابل ٥٠٠٠) وهدفت الى السماح لكل مشروع بتجديد برنامج الصناعات
لفترة اطول مدى . وقد وضعت وفقاً لاصول سابقاتها نفسها ، ولكنها ابتغت نموا اقل سرعة
(٧ بالمائة للدخل القومي بدلاً من ١٠ بالمائة) وشددت على اولوية اعادة تجهيز السكك الحديدية ،
والصناعات الكيماوية ، والطاقة (ولا سيما البترول والغاز) ، والاسمنت ، والمعادن غير الحديدية .
وبذل مجهود خاص (مسمى ٢,٥ للتقدم) لزيادة الانتاجية (٨ بالمائة في السنة ١٩٥٩) بغية
تلافي النقص في اليد العاملة ، الناتج عن دخول بعض الطبقات القليلة العدد في الحياة العاملة .
وكان مقدراً للمناطق الشرقية من الاتحاد - التي استفادت من نزوحات داخلية هامة جداً - ان
تنتفع اكثر من سواها من هذه الانطلاقة : مضاعفة الاموال الموظفة في قازاخستان وسيبيريا
حيث ستبلغ المسمى ٢,٧ . وبفضل المراكز الصناعية الجديدة والهامة في كوستانائيسك
وبافلودار - اكيباستوز و اتشفسك - كراويارسك وبراتسك تايشت ، انتجت المناطق
الشرقية في السنة ١٩٦٥ نصف الفحم الحجري والفولاذ والاسمنت والطاقة الكهربائية في الاتحاد .
فقد استمر الانتاج الصناعي من ثم في تحقيق تقدمات كبرى ولكن سرعته اخذت تخف منذ
السنة ١٩٦٠ : فان معدل الزيادة الذي لم يبلغ قط ١٠ بالمائة (على غرارہ في السنوات السابقة)
قد اخذ يتدنى تدنياً منتظماً ؛ فبلغ ٧,١ بالمائة في السنة ١٩٦٤ بالنسبة للسنة ١٩٦٣ (وكان في
اوروبا الغربية بين ٥,٤ بالمائة ، وفي بريطانيا العظمى اقل من ٢ بالمائة) .

اما الانتاج الزراعي ، الذي زاد بنسبة ٥٠ بالمائة بين السنة ١٩٥٣ والسنة ١٩٥٨ ، فما زال
مع ذلك مركز الضعف الحقيقي في الاقتصاد السوفياتي . فاذا كانت زراعة القطن اكبر نجاح
حققته هذه الزراعة ، فان انتاج الحبوب وتربية المواشي لم يحققا سوى نتائج متوسطة جداً .
وقد بقيت الانتاجية السنوية للفلاح السوفياتي متخلفة جداً عن انتاجية المزارع الاميركي (التي
ربما بلغت ثمانية اضعافها بحسب تقدير رينه ديمون) ، كما ان معدل انتاج السنوات ١٩٥٨ -
١٩٦٢ - ١١ قنطاراً في الهكتار - ضئيل جداً بالنسبة لزراعة متقدمة المكننة لا يزال يعمل
فيها ٣٨ بالمائة من السكان العاملين الذين لا يستفاد من ثم من بعضهم استفادة كافية . اما في حقل
تربية المواشي فقد بقي عدد البقرات على حاله وحليب الابقار غير كاف ، بحيث تعذر تنفيذ
خطط تسليم اللحوم والحليب والزبدة . ويرد ذلك الى ان اراضي باثرة كثيرة ، حولت الى
اراض زراعية الى الشرق من الاورال ، لم تكن خصبة التربة . وكانت معرضة بالاضافة الى ذلك
لنقص المياه والجفاف التربة وظروف جوية غير مؤاتية (كارثة الجليد المبكر في السنة ١٩٦٣) .
فأرغم الفشل الذي انتهت اليه محاولة حل مسألة الانتاج بتوسيع المساحة المزروعة وخيبة
الامل التي سببها توسيع مساحة زراعة الذرة الصفراء المعدة لتربية المواشي (وقد تجاوزت

هذه المساحة هشة اضعافاً بين السنة ١٩٥٣ والسنة ١٩٦٢ ، اذ ارتفعت من ٣ ٥٠٠ ٠٠٠ هكتار الى ٣٧ مليوناً (على البحث عن زيادة الانتاج باستعمال المزيد من الاسمدة ومبيدات الحشرات . وهذا هو سبب الاولوية المطلقة التي اعطيت في المشروع الجديد لتوظيف الاموال في الصناعات الكيميائية (التي قدمت على الصناعة الثقيلة والنفقات العسكرية) . وفي الوقت نفسه ، زادت اعتمادات الدولة للري والاعمال المائية ٥٠ ٪ في السنة ١٩٦٥ بالنسبة للسنة ١٩٦٣ . وارتسم كذلك مجهود هام في اتجاه اساليب التخطيط وادارة الاقتصاد . اجل لقد سبق ورأينا ان اجماع الانتقادات الموجهة لجهاز اداري فضفاض ولاساليب تنظيمية جامدة ومتردة وبيروقراطية عادمة الجدارة احياناً ، قد ادت الى تخفيف وطأة الرقابة ، والى اللامصرية التي اعترفت للمشاريع باستقلال ذاتي في موضوع اختيار العمال وتحديد الاجور . ولكن مدرسة كاملة من علماء الاقتصاد من امثال ترازنيكوف وارزومانيان وليبرمان قد نادت بالعودة الى فكرة الكسب وتقدير دخل المشروع ، وشددت الكلام على اهمية تعيين الاسعار واوصت باستخدام بعض الحوافز (مكافآت ، غرامات ، ضرائب) المعدة لحمل المشاريع على العمل في اتجاه يوافق الاقتصاد العام ، وتحقيق ارباح تتيح توظيف اموال جديدة ، وإقامة علائق مباشرة بين الميئارة والزبن بغية مطابقة الانتاج على الطلب ومن ثم تحسين نوعية السلع المعروضة للبيع .

التغيرات الطارئة على المجتمع
تطور المجتمع السوفياتي تطوراً سريعاً جداً ، وتبدل توازن الطبقات الاجتماعية تبديلاً كلياً منذ السنة ١٩٤٥ . فان سكان المدن الذين زادوا زهاء ٨٠ مليون نسمة منذ اربعين سنة قد جاوزوا ٥٥ ٪ من مجموع سكان البلاد ؛ كما ان عدد عمال المصانع ومستخدمي المكاتب الذي كان ٤٤ مليوناً في السنة ١٩٥٣ قد زاد بنسبة ٧٠ بالمائة خلال اثني عشرة سنة ، فبلغ ٧٥ مليوناً في السنة ١٩٦٥ . اما الفلاحون الذين تدنى عددهم بفعل الهجرة الريفية التي دفعت نحو المدن بـ ٥ ٥٠٠ ٠٠٠ فلاح بين السنة ١٩٥٦ والسنة ١٩٥٩ ، فقد حدث نقص مليون في عدد عائلات المزارعين التعاونيين بينهم (٦ بالمائة من الاستثمارات الزراعية) . فأقام العديد من اعضاء هذه الطبقة الاجتماعية الجديدة في المدن منذ جيلين او ثلاثة وتلقوا تعليماً ثانوياً جعلهم اهلاً للوقوف على اسرار المسائل التقنية ، وفتح على هذا الجيل برابطة الجأش التي يعطيها التعليم . وكان اكثر تطلباً لجهة الحرية والرفاهية واقل استعداداً من الجيل السابق لتحمل الوصاية البيروقراطية . وبرزت في الوقت نفسه فئة تمثل ٢٢ بالمائة من كافة الاجراء (وهي نسبة تكاد توازي نسبة المزارعين التعاونيين) ، وتتألف من فنيي ومستخدمي الاقتصاد (١١ مليوناً مقابل مليونين في السنة ١٩٤٠ ، تلقى ٦٠ بالمائة منهم تعليماً عالياً) والمعلمين والمربين (٦ ملايين) ، والاختصاصيين في البحث العلمي (٢ ٥٠٠ ٠٠٠) ومستخدمي دوائر الصحة (٤ ملايين) ، والموظفين الاداريين (١ ٨٠٠ ٠٠٠) . وليس محتملاً والحالة هذه ان تصبح طبقة المثقفين هذه المؤلفة من الفنيين والموظفين ، والمتعاطفين شأنها

في حياة كافة المجتمعات الصناعية ، طبقة حاكمة من الفنيين المستقلين الذين يفرضون مقرراتهم وتنتقل صلاحيتهم الادارية بالوراثة ؟ فان السبيل الوحيد للارتقاء الاجتماعي في مجتمع يستحيل فيه جمع رأس مال ينتج الدخول ، هو التعليم العالي الذي يفتح باب الوظائف الهامة ؛ والحال ينسب ٦٠ بالمائة من الطلاب الحاليين الى هذه الطبقة . ولكن الدولة السوفياتية والحزب اللذين واجها هذا الخطر قد اخضعا مديري المزارع التعاونية والمصانع ورؤساء دوائر التخطيط لرقابة اعضاء الحزب العشرة ملايين ورقابة الادارة الذاتية لذوي العلاقة ؛ وهذا كان احد اهداف اللاحصرية الاقتصادية التي طلع بها خروتشوف . وتوجب كذلك التوفيق بين متناقضات متطلبات العقيدة الهادفة الى إلغاء كل تفاوت بين العمل الفكري والعمل اليدوي (بنشر الثقافة نشرأ واسعاً جداً) وندرة المراكز الهامة المتوفرة نسبياً (التي تفرض الحد من التعليم العالي) : بين السنة ١٩٥٤ والسنة ١٩٥٧ تعذر على اكثر من ٢ ٥٠٠ ٠٠٠ تخرجوا من المدرسة الثانوية الانتقال الى التعليم العالي والمدارس التقنية . اما الحل القليل الجدوى الذي اعتمدته اصلاح السنة ١٩٥٨ فقد قضى بفرض فترة تمرين على العامل اليدوي قبل دخول التعليم العالي .

كانت من ثم نتيجة ازالة « الصبغة الستالينية » ارتياحاً داخلياً حقيقياً ، دون ان تتعرض مع ذلك لمبدأ دكتاتورية البروليتاريا او تدخل اي تغيير على نظام المجتمع . ووفرت كذلك ارتياحاً خارجياً استعمل لتحسن العلاقات بين الدول في العالم . وقد أسهم كذلك في هذا الارتياح اعتراف المؤتمر العشرين بشرعية استخدام كل امة طرائقها الخاصة للوصول الى الاشتراكية ، حتى عن الطريق البرلمانية ، بواسطة تقارب دائم - لا مؤقت كما كان تقارب الجبهات الشعبية - مع الاحزاب التقدمية الاخرى ، والموافقة على السياسة الخارجية الحيادية التي تمشى عليها عدد من الدول الآسيوية والافريقية وحتى الأوروبية ، والحرية التي تركت للاحزاب الشيوعية القومية في الاتصال فيما بينها اتصالاً مباشراً .

الفصل الثاني

الديموقراطيات الشعبية في أوروبا الوسطى والشرقية

ان أوروبا الوسطى والشرقية تؤلف ، مع الشرق الاقصى ، الجزء من العالم الذي امتعن ، منذ نهاية الحرب العالمية الثانية ، بأعمق ثورة شاملة . فعلى غرار ما حدث في روسيا في السنة ١٩١٧ ، قوّضت العروش ، وُشتتت الارستوقراطية القديمة ، ومحقت الملكية الاقطاعية ، وألغيت الامتيازات ، وتلاشى السياسيون القدماء الذين اقصوا او نُفوا او حُكم عليهم بالموت ؛ وفسخت الاحزاب او تحولت واخيراً زالت من الوجود : ان الطبقات الحاكمة السابقة كانت تتطلع الى لندن وباريس وواشنطن وروما لتتلقى منها التوجيه الفكري او الاقتصادي ؛ اما بعد السنة ١٩٤٥ فانما استنزل الوحي من موسكو ؛ « لقد قضت الثورة في عقد واحد على عادات وتقاليد الف سنة » .

الوضع في السنة ١٩٤٥ الى الشرق من الخط الذي بلغه الجيش السوفياتي في أوروبا الوسطى ، دخلت سبع بلدان في منطقة احتلاله ونفوذه : تشيكوسلوفاكيا ، بلغاريا ، رومانيا ، هنغاريا ، يوغوسلافيا ، البانيا ، قتل ٩٠٩.٠٠٠ كم^٢ مساحة و ٧٠ مليون نسمة سكاناً ، يجب ان يضاف اليها القسم الشرقي من المانيا . وكانت تختلف اختلافاً كبيراً ، إن لجهة النظام الاجتماعي او لجهة الوضع المادي الراهن . فان تشيكوسلوفاكيا لم تعان مادياً ما عاناه سواها من ويلات الحرب ؛ وكانت اقل تعرضاً للغارات الجوية ، فتعززت طاقتها الصناعية بنقل بعض الصناعات الالمانية اليها . اما بولونيا والمانيا الشرقية ورومانيا وهنغاريا فقد كانت مسرحاً للمعارك الضارية والنهب والتدمير . وخرّبت سلوفاكيا ويوغوسلافيا والبانيا تخريباً كاملاً بفعل حرب العصابات والعمليات الثائرة ، وعملت معاملة قاسية . ولم يسلم نسبياً من الأذى سوى بلغاريا في الجنوب الشرقي . ففي كل مكان اتى الالمان اعمال عنف وابادة رهيبة : قتل ٦ ملايين بولوني نصفهم من اليهود ، ابادة حملة الشهادات العليا

إبادة منظمة (أكثر من نصف الأطباء مثلاً) ، نفى أكثر من ٢٠٠ ٠٠٠ تشيكوي وقتل ٢٨ ٠٠٠ رهينة رمية بالرصاص ، نفى مئات الألوف من الهنغاريين ، إبادة ٥٠٠ ٠٠٠ يهودي مجري . وهكذا فقدت بولونيا ويوغوسلافيا ٢٠ و ١٧ ٪ من سكانها . وإن الأضرار التي قدرتها لجنة التعويضات بـ ١٠٧٤ دولاراً للشخص الواحد في فرنسا ، قد قدرت بما يقارب ضعف هذا المبلغ في بولونيا (٢١١٨ دولاراً) ويوغوسلافيا (١٨١٣) . وهكذا ففي كل مكان اقتصاد مقوّض ، وحاجة تكاد تكون كلية إلى المواد الضرورية ، بما فيها المواد الغذائية ، وخطر مجاعة عامة ، وتضخم مالي مفرط لا مثيل له في التاريخ (في السنة ١٩٤٦ ، سوف يرمز إلى الـ «بنغو» بعدد يضم ٢٧ صفرًا) وسوف تبدل السترلينية بمليون «لاي» في السنة ١٩٤٦ بعد أن كانت تبدل بـ ٣٢ ٠٠٠ في السنة ١٩٤٥) ، ونفقات احتلال مرتفعة جداً ، وتمويضات يجب تسديدها ؛ وجملة القول إن الوضع كان يائساً حقاً .

إلى هذه الصعوبات تضاف الصعوبات الناجمة عن تغيير الحدود ونقل السكان . فإن بولونيا قد انكشفت مساحتها بنسبة ٢٠ ٪ بفعل فقدانها الأقاليم الشرقية ، وعلى الرغم من حصولها على سيليزيا وجزء من براندبورغ وبوميرانيا وبروسيا ، فإن عدد سكانها قد تدنى إلى ٢٤ مليون نسمة ، أي أن نسبة التدني بلغت أكثر من ٣٠ ٪ من عدد سكانها ؛ ولكنها بالمقابلة باقت متجانسة عنصرياً ولم يبق فيها أقليات عملياً . وفقدت تشيكوسلوفاكيا من جهتها منطقة روثينيا وأكثر من ٣ ملايين نسمة ، بينما أصبحت مساحة هنغاريا موازية لها في السنة ١٩٣٧ ؛ واقتطع من رومانيا ١ ٪ مساحتها : بيسارابيا وبوكوفينا ودوبرودجا ، و ٢٢ ٪ من سكانها ؛ أما بلغاريا فقد ضمت إليها منطقة دوبرودجا ، وضمت إلى يوغوسلافيا منطقة البندقية الجولية مع «فيومه» وجزر الأدرياتيك .

اضطر معظم هذه الدول (بولونيا ، بوهيميا ، رومانيا) من ثم إلى القيام باستعمار داخلي حقيقي ، وتخفيف حدة المنازعات القومية والاجتماعية بإزالة فوارق النمو الاقتصادي (بين بوهيميا وسلوفاكيا مثلاً ، وبين صربيا القديمة والجبل الأسود) ، وتجديد مختلف أجهزة الإنتاج ، ولا سيما وسائل النقل التي يجب أن توافق البناء الإقليمي الجديد في الدول ، وتحسين وضع طبقات الفلاحين التي باءت بأثمة بفعل ندرة العمل وضآلة الإنتاج ، ووضع حد لارتباطها الشبيه بالارتباط الاستعماري بالنسبة لرؤوس الأموال الغربية ، وضمان استقلالها الوطني .

في سبيل مواجهة هذه الأعباء ، تألفت منذ التحرير حكومات اتحاد حكومات (الجبهة الشعبية ، الجبهة القومية الديمقراطية ، الاتحاد الوطني المعادي للحزب المتحدة للفاشستية ، جبهة الوطن ...) ضمت ، في وجه الطبقات الحاكمة السابقة التي تشوهت سمعتها بتعاونها مع الألمان وتدنى نفوذها بسبب سياستها ، كافة عناصر السكان التي قاومتها . وقد اختلفت الأحزاب التي اشتركت فيها بأسسها الاجتماعية وايدولوجيتها وأهدافها البعيدة ، ولكنها اتفقت حول برامج قصيرة الأجل بوشر تنفيذها على الفور : تطهير

ومعاقبة العناصر الفاشستية والتعاونية ، اصلاحات اجتماعية من طريق توزيع الاراضي العائدة ملكيتها للامان والتعاونيين والملاكين الذين هاجروا البلاد ، رقابة الطاقة الاقتصادية عن طريق تأميم الصناعات .

الا ان تقسيم الاملاك الكبرى بواسطة لجان شعبية قروية ، وتأميم الصناعات قد زادا في حينها من خطورة الصعوبات الاقتصادية والمالية : فقد ارتدى التضخم المالي طابع الكارثة ، واستولى الجزع على الاحزاب غير الاشتراكية المعادية للاصلاحات العميقة . وحدثت آنذاك ظاهرة كلاسيكية في الفترات الثورية ، هي انضمام انصار النظام المغلوب على امره الى صفوف الاحزاب المعتدلة في التحالف الحكومي والتأثير عليها . وقد سبق للشيوعيين ان اختبروا ذلك في روسيا بعد السنة ١٩١٧ مع المنشفيك والاشتراكيين الثوريين والاشتراكيين الديمقراطيين ، فشاهدوا حدوث الظاهرة نفسها في فرنسا وايطاليا اثناء الانتخابات التي اعطت المزيد من الاصوات لحزبي الوسط ، الحركة الجمهورية الشعبية والحزب الديمقراطي المسيحي . وكان لأمر الحرب الباردة التي قامت بين حلفاء الامس دور حاسم جداً ، لانها جعلتهم اكثر تنبهاً لانبعاث معارضة قد تنجح في إعادة السلطة للاحزاب البورجوازية ؛ وهكذا فان المعارضة ، شاءت أم أبت ، قد ارتدت طابع المقاومة للسوفيات ولقيت تشجيعاً ومساعدة من الحكومات الغربية او بدت وكأنها تلقاهما .

يضاف الى ذلك ان الاحزاب الشيوعية قد استمالت العديد من الاعضاء . ففي تشيكوسلوفاكيا ارتفع عدد هؤلاء من ٥٠٠ ٠٠٠ في السنة ١٩٤٥ الى ١ ٣٠٠ ٠٠٠ في السنة ١٩٤٧ . وفي بولونيا من ٣٠ ٠٠٠ في السنة ١٩٤٥ الى ٨٠٠ ٠٠٠ . وفي رومانيا ارتفع هذا العدد الى ٧٠٠ ٠٠٠ في السنة ١٩٤٧ ، وفي هنغاريا الى ٧٥٠ ٠٠٠ . فتعاظم نفوذها وقوتها في كل مكان .

في مثل هذا الجو تطور الوضع الداخلي في هذه الدول : فقد قيام النظام الشيوعي تدريجياً اشتد الصراع بين الاحزاب ، وافضى خطر انتهاء السلطة مرة اخرى الى التأثيرات السابقة المعادية للاصلاحات ، الى تصلب الاحزاب الشيوعية والاتحاد السوفياتي الراغب في ان لا يرى بعد اليوم على حدوده حكومات تناصبه العداء . ومنذ السنة ١٩٤٥ حتى السنة ١٩٤٨ ، وفي كل بلد من هذه البلدان ، اقصيت الاحزاب المعارضة تدريجياً وتحولت حكومة الاحزاب المتحدة الى نظام يكاد يكون بكليته تحت اشراف الشيوعيين . الا ان التشديد على الاصلاحات الاجتماعية الجذرية قد استلبح في البدء انقساماً في قلب كافة الاحزاب الديمقراطية بين العناصر المتمسكة بالاصلاحات التي انجرت الى اللحاق بالحزب الشيوعي ، والعناصر التي خشيت هذه الاصلاحات واتجهت شطر العناصر الرجعية : فتصدعت من ثم كافة الاحزاب القروية والديموقراطية . واقصي زعماء جناحها الايمن المعادي للاتحاد . وعرفت الاحزاب الاشتراكية - الديمقراطية المصير نفسه . فان الفئسة العاطفة على الاحزاب الغربية التابعة للدواية الثانية والمنحرفة عن الماركسية ، قد اقصيت بينها الفت الاكثرية مع

الحزب الشيوعي « جبهة ديموقراطية » . واضطر الزعماء المعتدلون اما الى الانسحاب واما الى مغادرة البلاد . ومنذ ذاك الحين ، وبعد ان احرزت « الجبهة الديموقراطية » النصر في الانتخابات اكملت الحكومة المنتصرة العمل الثوري ، فوسعت التأميمات وانجزت تطهير العناصر المعادية . اما الاحزاب القروية والبورجوازية فقد انضمت الى معارضة اغضي عليها ولكنها اصبحت اكثر صعوبة يوماً بعد يوم . ومنذ اوائل السنة ١٩٤٨ ازيلت كل معارضة علنية في كافة بلدان اوربا الشرقية ، بينما فر زعماء المعارضة او القبي القبض عليهم .

الفت الجمهوريات الست ويوغوسلافيا جمهوريات شعبية . ففي تشيكوسلوفاكيا وبولونيا انتخب رئيس جمهورية يتمتع بصلاحيات واسعة . وفي البلدان الاخرى حل محل الملوك مجلس اعلى تنتخبه الجمعية من بين اعضائها ويمارس وظيفة رئيس الجمهورية جماعياً . واصبح لكل جمهورية مجلسها التشريعي المنتخب بالاقتراع العام ، باستثناء دولة يوغوسلافيا الاتحادية التي قام فيها مجلسان . وكانت المبادئ الاساسية واحدة في كافة البلدان : مساواة أمام القانون وفي الثقافة ، وحق في العمل والضمان الاجتماعي . وتولى الادارة المحلية هرم من المجالس شبيه به في الاتحاد السوفياتي ، وكان النظام القضائي كذلك شبيهاً به في الاتحاد السوفياتي ايضاً ، وهو الحزب الشيوعي ، المنظم على غرار الحزب البلشفيكي ، وفقاً لمبدأ « المركزية الديموقراطية » ، ما كان القوام الاساسي للنظام .

الجمهورية الديموقراطية الألمانية
اختلف وضع القطاع السوفياتي في المانيا، حيث يقيم زهاء ١٧ مليون الماني ، اختلافاً ملموساً عنه في تحليلنا اعلاه ؛ فان هذا القطاع ، الذي خربته الحرب والغارات الجوية كما خربت بولونيا تقريباً ، قد اخضع لاحتلال صارم . فقد وضع السوفييات يدهم فيه ، بحجة التمويضات ، على اجهزة كثيرة حصلوا عليها بتفكيك آلات المصانع ، وعلى كميات كهوى من السلع واعداد وفيرة من الموائمي ؛ وأسسوا شركات سوفياتية مساهمة - اكثر من ٢٠٠ شركة استثمرت عدداً من المصانع والصناعات الرئيسية ، وقدرت ارباحها بين السنة ١٩٤٥ والسنة ١٩٤٨ بـ ٢٥ بالمائة من مجموع انتاج القطاع السوفياتي . وبالرغم من ذلك ، تحقق الاصلاح الزراعي ، وتناول تأمين المشاريع الصناعية على انواعها ، في السنة ١٩٤٨ ، ٣٥ - ٤٠ بالمائة من مجموع المصانع ، ومثلت الشركات السوفياتية المساهمة ٢٥ - ٣٠ بالمائة ، والصناعة الخاصة ٣٠ - ٣٥ بالمائة .

وتألف بالمقابلة ، على الصعيد السياسي ، في السنة ١٩٤٦ ، الحزب الاشتراكي الموحد بانصهار الحزب الشيوعي والحزب الاشتراكي ، والاتحاد المسيحي الديموقراطي ، وحزب ديموقراطي حر ؛ وسمحت السلطة العسكرية السوفياتية بالانتخابات في البلديات ، ثم في البلاد كلها في السنة ١٩٥٠ . ومنذ السنة ١٩٤٧ انعقدت في كل سنة « مؤتمرات الشعب » التي تمثل مختلف الاتجاهات في القطاع . واتسعت الهوة تدريجياً بين الالمانيتين ، فقبول كل تدبير غربي لتنظيم المانيا الغربية على نحو استقلال ذاتي بتدبير مماثل له في الشرق . وفي تشرين الاول ١٩٤٩ ، اخيراً ، أعلنت

الجمهورية الديمقراطية الألمانية التي أعادت لها السلطات السوفياتية الشركات المساهمة السوفياتية الثلاث والثلاثين الأخيرة التي كانت قد احتفظت بها ، وتخلت لها عن صلاحياتها للحكومة في السنة ١٩٥٣ . فبات منذ ذلك الحين دخول الكتلة الشرقية امراً ميسوراً ، وقد تحقق بسرعة .

الا ان الجمهورية الديمقراطية الألمانية لم تسر ، على الصعيد السياسي ، في طريق تطور الجمهوريات الديمقراطية الشعبية نفسه : فقد جرى الانتخاب في ظل نظام القائمة الواحدة ، ولكن مبدأ تعدد الاحزاب ما زال سائداً . فقد تعاون حزب الاتحاد الديمقراطي المسيحي والحزب الحر الديمقراطي مع الحزب الاشتراكي الموحد ، وقامت في البلاد احزاب اخرى كالحزب الوطني الديمقراطي والحزب القروي الديمقراطي .

الاصلاح الزراعي
في الديمقراطيات الشعبية
اخذ الاقتصاد يستعيد بعض نشاطه في الوقت نفسه الذي بوشر فيه اجراء اصلاحات عميقة في النظام ، وفي الدرجة الاولى الاصلاح الزراعي الذي طالما طوّل به ، والذي ارجىء ابدأ او تحقق تحققاً جزئياً فقط . وقد قطع الاصلاح المراحل التي قطعها في الاتحاد السوفياتي تقريباً : توزيع الارض على الفلاحين ، وضع نظام للمقايضات بين المدن والقرى بواسطة تحديد الرسوم وانشاء مخازن تعاونية رسمية وتمييز نسبة المواد المفروض تسليمها ، تصفية الـ «كولاك» وتأميم الزراعة . وقد بلغ مجموع الاراضي المستملكة ٢٠ مليون هكتار وزرع ١٢ مليوناً منها على اكثر من ٣ ملايين عائلة قروية .

وانما كانت المسألة على مزيد من الصعوبة والالاحاح في هنغاريا حيث لم ينفذ اي اصلاح حقيقي بين الحربين . فمنذ السنة ١٩٤٥ بلغت الاملاك التي لم تجاوز ٨ هكتارات ٦٥ بالمائة من الارض الزراعية (مقابل ٣٢ بالمائة في السنة ١٩٣٥) ، وفي السنة ١٩٤٧ ، انجز الاصلاح ، وجاوزت الاراضي المصادرة مساحة ٣ ملايين هكتار . فاحتفظت الدولة بالغابات والمراعي ، ووُزع ما تبقى على ٦٤٢.٠٠٠ عائلة . وبالرغم من ان منطقة الاملاك الكبرى في بولونيا قد ضمت الى الاتحاد السوفياتي ، فقد صدر ٣ ملايين هكتار في السنة ١٩٤٧ في بولونيا الوسطى والغربية . فاحتفظت الدولة بمليون هكتار من الغابات ووزعت الباقي على ٤٠٠.٠٠٠ شخص من صغار الفلاحين . واذا ما اخذنا بعين الاعتبار اراضي الولايات الغربية الجديدة ، يكون هناك مليون فلاح قد استفادوا من توزيع ٦ ملايين هكتار . ووزعت اراضي المليون الماني المقصين عن تشيكوسلوفاكيا واراضي الهنغارين والامان والتعاونيين السلوفاكيين في سلوفاكيا على ٢٥٠.٠٠٠ مالك جديد . وفي البانيا حيث كان ثلث الاراضي الخصبة ، قبل السنة ١٩٤٠ ، من ملك ٢٠٠ شخص من كبار الملاكين ، وزعت منذ السنة ١٩٤٥ كافة الاملاك التي تجاوز ٢٠ هكتاراً (او ٤٠ هكتاراً اذا ما اعتمدت فيها طرائق «تقدمية») . وفي رومانيا انتزع ١.٤٤٠.٠٠٠ هكتار من طبقة كبار الملاكين التي برزت مرة اخرى الى الوجود بعد اصلاح السنة ١٩٢١ ، ووزعت على ٦٠٨.٠٠٠ فلاح . وفي يوغوسلافيا ، وزع الـ ٤٠٠.٠٠٠ هكتار المصادرة من الاقلية الألمانية

في فوزهم لدينا وسلوفينيا على ٥٠.٠٠٠ فلاح من المناطق المتخربة ، كما ورع مليون هكتار مستملك على ٢٦٠.٠٠٠ عائلة اخرى . وفي بلغاريا ، حيث كانت الاملاك الصغرى واسعة الانتشار ، وزَّع الـ ٢٣٠.٠٠٠ هكتار ، التي انتزعت في السنة ١٩٤٨ من الكنائس والاديرة والاملاك التي تجاوز ٢٠ هكتاراً ، على ١٢٨.٠٠٠ عامل زراعي . وفي المانيا الشرقية اخيراً ، حيث بلغت الاملاك الكبرى ٣٦ بالمائة من الارض الزراعية ، صودرت كافة ممتلكات النازيين ومجرمي الحرب والاملاك التي تجاوز ١٠٠ هكتار . فوزع اكثر من مليوني هكتار تمثّل ٢٣ بالمائة من المساحة الزراعية ، على ٥٤٤.٠٠٠ فلاح .

وجملة القول ان طبقة الاشراف الريفيين قد صفيت نهائياً وما عادت لتلعب الدور السياسي الذي لعبته حتى ذاك التاريخ .

في البلدان التي احتلها الالمان او تحالفت معهم ، وضع المحتلون يدهم على التأميمات المشاريع والمؤسسات الهامة ، اما مباشرة بمصادرة ممتلكات الدولة (البولونية ، التشيكية) واليهود ، واما بصورة غير مباشرة بواسطة شركات المانية . ومنذ التحرير ، انتزعت هذه المشاريع من واضعي يدهم عليها ، بدون اي تعويض ، ثم سلّت قوانين نظمت ووسعت التدابير المعدة لوضع مفاتيح الاقتصاد تحت اشراف الدولة . فمنذ السنة ١٩٤٥ امتت تشيكوسلوفاكيا المصارف وشركات الضمان والمناجم ومصانع الاسلحة والذخائر ومعظم الصناعات الحديدية والكيميائية وكافة المؤسسات التي يعمل فيها اكثر من ٤٠٠ شخص . وفي السنة ١٩٤٨ ، خفض هذا العدد الاخير الى الـ ٥٠ . وشمل القانون البولوني الصادر في السنة ١٩٤٦ كافة الممتلكات المانية دونما نظر الى اهميتها وطبيعتها ، وكافة مؤسسات المناجم ، والمواصلات ، والطاقة ، والتسلح ، والسكر ، والنسيج ، والطباعة ، وكافة المؤسسات التي يعمل فيها اكثر من ٥٠ شخصاً ، باستثناء صناعات البناء . فبقي في اواخر السنة ١٩٤٨ ، ٦ بالمائة من الصناعات في ايدي المؤسسات الخاصة . وفي يوغوسلافيا امتت منذ السنة ١٩٤٥ والسنة ١٩٤٦ المؤسسات التي عملت لمصلحة الالمان ، اي كافة المؤسسات تقريباً . اما في البلدان العدو القديمة ، حيث استولى السوفييات على الممتلكات المانية ، فقد تقرررت التأميمات تدريجياً في عهد اكثر قسراً . ففي هنغاريا امتت المناجم منذ السنة ١٩٤٦ ، ثم المؤسسات الكبرى لاستخراج المعادن ، وفي السنة ١٩٤٨ امتت المصارف وكافة المؤسسات التي يعمل فيها اكثر من ١٠٠ شخص . وفي رومانيا سن قانون في حزيران ١٩٤٨ امتت بموجبه كافة المؤسسات المرتدية طابعاً على بعض الهمية . وفي بلغاريا امتت منذ السنة ١٩٤٦ شركات الضمان ، والمناجم الهامة وصناعة وتجارة التبغ والكحول بالجمل ، وفي السنة ١٩٤٧ اخيراً ، امتت عملياً كافة المؤسسات ، باستثناء مؤسسات الصناعة اليدوية . وفي المانيا الشرقية ، اتخذت تدابير متوالية امم بموجبها ٧٧ بالمائة من الانتاج الصناعي .

وهكذا لم تكن الصناعات والمصارف مؤمنة وحدها في اواخر السنة ١٩٤٨ ، بل التجارة

ايضاً ، اذ ان التجارة بالمجنل كانت مرتبطة بمخازن الدولة او التعاونيات التي تشرف عليها الدولة وتراقبها . ففي بولونيا لم يبق سوى ٢٥ بالمائة من التجارة في ايدي المؤسسات الخاصة ، وكانت التجارة بالفرق نفسها آخذة في التدهور بسرعة . وقد اديرت كل هذه المؤسسات وفاقاً لمبدأ الاستقلال الاداري المعمول به عند السوفيات .

الشرع في التخطيط
ان الاصلاحات الزراعية والتأمينات ، بقلبها نظام الاقتصاد رأساً على عقب ، شقت الطريق امام التخطيط من شأنه اقامة توجيه كل النشاط توجيهاً عاماً وفاقاً للمثل الذي اعطاه الاتحاد السوفياتي منذ السنة ١٩٢٩ . الا ان الخطط الاولى اختلفت عنها في الاتحاد السوفياتي لان العملات لما تعرف الاستقرار ، فلم يكن المقصود بعد تحويل النظم الاقتصادية والاجتماعية لتحويل كلياً ، بل في الدرجة الاولى الانتاج بسرعة واعادة البناء وبلوغ مستوى ما قبل الحرب في اقرب وقت ممكن ، دونما اهتمام بالدخول . وكانت هذه الخطط برامج انتاج وتوظيف اموال ، لا خططاً اقتصادية حقيقية . زد على ذلك من جهة ثانية ان كل بلاد تصرفت بمعزل عن غيرها قبل « منعطف » السنة ١٩٤٨ ، وهذا ما يعرف بعهد الخطط القصيرة الاجل : سفتان في تشيكوسلوفاكيا وبلغاريا ، ثلاث سنوات في بولونيا وهنغاريا . وهي يوغوسلافيا وحدها ما وضعت في السنة ١٩٤٧ خطة لمدة خمس سنوات . وحتى السنة ١٩٤٨ في المانيا الشرقية ، والسنة ١٩٥٠ في رومانيا ، لم توضع في هذين البلدين سوى خطط سنوية او نصف سنوية ذات طابع تقني بحت . ووظفت كافة البلدان اموالها في الصناعة واعادة بناء المساكن بنسبة اعلى منها في الزراعة الى حد بعيد : ٣٦ و ٣٥ ٪ مقابل ٧ ٪ في تشيكوسلوفاكيا ، ٣٩ و ١٨ ٪ مقابل ١٣ ٪ في بولونيا ، ٣٢ و ٢٢ ٪ مقابل ٩ ٪ في هنغاريا ، ٤٥ و ٢٨ ٪ مقابل ٦ ٪ في بلغاريا . ووظف القليل الباقي في وسائل النقل . فكانت التضحية المطلوبة من السكان عظيمة جداً ، وكان معدل الاموال الموظفة اعلى منه في اوروبا بشكل ملموس . وقد قدر في بولونيا بـ ٢٠ بالمائة من الدخل القومي غير الصافي ، وبـ ١٦ بالمائة في تشيكوسلوفاكيا ، و ٩ بالمائة في هنغاريا ، و ٧ بالمائة من الدخل القومي الصافي في بلغاريا . وتقدم انتاج مواد التجهيز على انتاج مواد الاستهلاك ، وكلما كانت البلاد اكثر تخلفاً كان الفارق كبيراً بين الانتاجين .

من الطبيعي ان نجاح هذه الخطط لم يكن متساوياً . فان الخطة الهنغارية الثلاثية قد تحققت كلياً ، وتحققت الخطة البولونية بنسبة ٨٥ بالمائة ، والخطة البلغارية كلياً في المنتجات الصناعية ، وبنسبة ٧٠ بالمائة فقط في الزراعة ، والخطة التشيكوسلوفاكية بنسبة ادنى بقليل . اما الخطة اليوغوسلافية التي كانت اكثر طموحاً ، فربما لم تبلغ ٥٠ بالمائة من اهدافها . وقد انتهت ابحاث جان ماركزفسكي الى الاستنتاج ان الاستهلاك الخاص الاجمالي في هنغاريا في السنة ١٩٤٩ ، الذي كان ادنى منه بعض الشيء في السنة ١٩٣٨ ، قد كان مع ذلك اعلى بنسبة ٥٠ بالمائة منه في السنة ١٩٤٦ - ١٩٤٧ ، وانه تجاوز في بولونيا استهلاك السنة ١٩٣٨ ، وزاد عنه بصورة

ملموسة في تشيكوسلوفاكيا وبلغاريا . وحكمتها نتائج جديدة بالملاحظة اذا ما فكرنا بان الاحداث السياسية قد حرمت هذه البلدان من القروض الاجنبية التي كانت معتمدة عليها ، وان الظروف الجوية كانت معاكسة في السنة ١٩٤٧ ، وان تأمين الزراعة قد استتبع تأخراً في الانتاج ، وان يوغوسلافيا اخضعت لحصار اقتصادي مكدر منذ السنة ١٩٤٨ .

رأينا أعلاه ان التأميمات قد امتدت اكثر فاكثر خلال السنتين
توحد الديمقراطيات الشعبية ١٩٤٦ - ١٩٤٧ ، بموازاة تبديل انظمة الحكم وتعاضل نفوذ
الاحزاب الشيوعية الوطنية : وذلك نتيجة للمنطق الضمني للثورات الاجتماعية التي لا يمكن ان تنجح بدون دكتاتورية ، ونتيجة كذلك لتأزم العلاقات الدولية الذي تجلى في الحرب الباردة ، وبصورة خاصة لرفض الاتحاد السوفياتي والديموقراطيات الشعبية لمشروع مارشال .

كانت الولايات المتحدة الدولة الوحيدة المنصرفه في اعتمادات مالية وفيرة ، فعرضت تقديمها للدول الأوروبية شريطة وضع برنامج اقتصادي عام تراقبه لجنة ادارية يسند اليها امر توزيع الاعتمادات . الا ان الاتحاد السوفياتي اعتبر هذا المشروع محاولة تهدف الى عزله واستمالة الدول الفقيرة الآخذة في النهوض في اوروبا الوسطى الى المعسكر الاميركي بغية فرض رقابة اقتصادية عليها تحول دون استمرار الثورة القائمة . فرفضت يوغوسلافيا وبلغاريا العرض الاميركي . ثم حذت حذوها الديمقراطيات الشعبية الاخرى في شهر قوز من السنة ١٩٤٧ حين اتضح عداء الاتحاد السوفياتي للمشروع .

ولكن تكوين كتلة اقتصادية غربية من المنضمين الى مشروع مارشال قد هدد بعزل الديمقراطيات الشعبية التي تستلزم اعادة بنائها وتصنيعها وارادات كبرى وتمعزهي عن تأمين الاموال اللازمة لها الا بصادراتها والقروض الاجنبية . ففي سبيل دفع هذا الخطر قوبل مشروع مارشال بمشروع مولوتوف ، ووقع الاتحاد السوفياتي مع هذه البلدان المختلفة اتفاقات تجارية طويلة الاجل استكملت بمعاهدات تجارة وملاحة ، ومنح قروض ، وتقديم خرائط ومشاريع واجهزة ، وارسل فنيين . وكما تأسس الكومنفرم بغية تنسيق النشاط السياسي بين الديمقراطيات الشعبية والاتحاد السوفياتي ، تنظم في كانون الثاني ١٩٤٩ مجلس المساعدة الاقتصادية المتبادلة ، الذي اسند اليه امر تنسيق سياساتها الاقتصادية ؛ وفي السنة ١٩٥٠ انضمت اليه الجمهورية الديمقراطية الالمانية بينما بقيت يوغوسلافيا على حدة ، بعد ان ابتعدت عنها الديمقراطيات الشعبية الاخرى في حزيران ١٩٤٨ . فسوف تتيح هذه الاتفاقات والكوميكون وضع خطط طويلة الاجل في كل بلاد وتناسقاً بين الاقتصادات وتعاوناً اكمل فيما بينها وتوحداً يجعلها اوثق تضامناً بعضها ببعض الآخر . الا ان ما تنبأ به مولوتوف حين عرض مشروع مارشال ، اي انقسام شطري اوروبا ، قد اصبح اكثر عمقاً من اي وقت

مضى . فقد نشبت حرب اقتصادية ادت الى ايقاف المبادلات ايقافاً يكاد يكون كلياً بين بلدان الشرق وبلدان الغرب . وتمتع رئيس الولايات المتحدة بحق مطلق في رقابة الصادرات لاسباب تتعلق بالامن ، وكان باستطاعة ادارة مشروع مارشال حظر تصدير بعض المواد الاولية الى البلدان الغربية حين يمكن تحويلها الى بعض الادوات التي قد ترسل الى احدى الدول الشرقية . وفي شهر كانون الاول ١٩٥١ نشرت لائحة بعدة مئات من المواد الاولية والمنتجات الاستراتيجية المحظر تصديرها الى البلدان الشرقية . ومن الطبيعي ان الاقراض قد حظرت على المصرف الدولي لاعادة البناء والتنمية ومصرف الاستيراد والتصدير . وبالمقابلة تعززت العلائق التجارية بين الديمقراطيات الشعبية ، واصبح نصيب الاتحاد السوفياتي ، الذي شكل « سوقاً واسعة تكاد تكون مسعورة » ، عظيماً جداً ، شبيهاً بنصيب المانيا في اوروبا الشرقية قبل السنة ١٩٤٠ .

لقد استحال ، والحالة هذه ، وضع خطط طويلة الاجل . ولما
الخطط الطويلة الاجل
كان قد تحقق انهاض بلغاريا وتشيكوسلوفاكيا ، بؤشر فيها
وتوطيد الكتلة الشيوعية
تنفيذ بعض الخطط منذ السنة ١٩٤٩ ، ثم في بولونيا وهنغاريا
ورومانيا في السنة ١٩٥٠ ، وفي المانيا الشرقية في السنة ١٩٥١ . وكانت هذه الخطط خمسية في كل مكان باستثناء بولونيا حيث كانت ستمية . وقد وضعت خلال السنوات ١٩٤٩ - ١٩٥١ التي ازدادت خلالها حدة الحرب الباردة . فاعدت في كل بلاد على ضوء اختبار التخطيط السوفياتي ، واعاد النظر فيها خبراء روس ساعدوا على تنسيقها . وعين هؤلاء للزراعة معدل زيادة سنوية يفوق اعلى المعدلات المعروفة من ذي قبل : ٨ بالمائة في بولونيا وتشيكوسلوفاكيا وهنغاريا ، و ١١ بالمائة في بلغاريا . وكذلك في الصناعة حيث عين لبولونيا ورومانيا وبلغاريا معدل ١٧ بالمائة ، وتشيكوسلوفاكيا ١٤,٦ بالمائة ، وهنغاريا ٢٦ بالمائة . وقد شكلت الاعتمادات المخصصة لهذه الغاية ، والتي بلغت ٢٣ بالمائة من الدخل القومي غير الصافي ، عبئاً ثقيلاً جداً ، اذ ان دولاً قليلة ، كالنرويج والسويد ، قد حققت معدلات اكثر ارتفاعاً . وهي الصناعات الاستخراجية والفولاذية والميكانيكية ما احتلت المركز الاول وابتلعت معظم الاعتمادات ، وتأتي بعدها الصناعات الكيميائية . وتأتي الصناعة الخفيفة والزراعة بعيداً وراء الصناعة الثقيلة .

الا ان دولة واحدة من هذه الدول ما كانت لتستطيع — على غرار الاتحاد السوفياتي أو الولايات المتحدة — ان تكفي نفسها بنفسها . ولذلك فقد استلبح التوفيق بين الخطط توسعاً هائلاً في المقايضات بينها وبين الاتحاد السوفياتي ؛ وهكذا توطدت كتلة الديمقراطيات الشعبية . فمنذ قبل السنة ١٩٤٨ ، كانت تجارة الاتحاد السوفياتي الخارجية مع رومانيا وبلغاريا واسعة جداً . ثم جاءت المعاهدات الموقعة في السنة ١٩٤٨ تزيد من نصيبه ؛ ولكن خير مثل تقدمه لنا تشيكوسلوفاكيا التي كانت تصدر سلمها في النصف الاول من السنة ١٩٤٧ الى سويسرا والسويد وهولندا في الدرجة الاولى ، ولا يحتل الاتحاد السوفياتي سوى المرتبة الرابعة

بين زبائنهما ، بينما كانت الولايات المتحدة وبريطانيا العظمى وسويسرا مائزاتهما الرئيسية . ومنذ توقيع معاهدة التجارة في شهر كانون الاول ١٩٤٧ ، جهزها الاتحاد السوفياتي بالحبوب والخامات والقروض التي اتاحت للتشيكوسلوفاكيا شراء خامات اضافية : استورد منها الآلات والمواد الكيميائية والالبسة والسكر . فارتفع نصيب الاتحاد السوفياتي من التجارة التشيكوسلوفاكية بنسبة ١١ - ١٦ بالمائة . وحدث الشيء نفسه في بولونيا التي منحها الاتحاد السوفياتي قرضاً بقيمة ٤٥٠ مليون دولار اتاح لها شراء تجهيزات الصناعات الفولاذية والنسيجية والكيميائية . فارتفعت المبادلات من ثم ارتفاعاً عظيماً : ارتفعت من ١٧ بالمائة في السنة ١٩٤٨ مع بولونيا الى ٣٣ و ٢ بالمائة في السنة ١٩٥١ ، و ٦٧ و ٥ بالمائة في السنة ١٩٥٢ . ومن ١٥ بالمائة مع تشيكوسلوفاكيا في السنة ١٩٤٨ الى ٣٢ بالمائة و ٧٢ بالمائة . ومن ١٨ بالمائة مع هنغاريا الى ٣٨ و ٧٢ بالمائة . ومن ٢٢ بالمائة مع بلغاريا الى ٣٤ و ٨٩ بالمائة . ومن ٣٣ بالمائة مع رومانيا الى ٨٢ بالمائة في السنة ١٩٥٢ . ومن ٤٠ بالمائة في السنة ١٩٤٩ مع المانيا الشرقية الى ٨٦ بالمائة في السنة ١٩٥٢ . والحال ، زادت تجارة كافة هذه البلدان زيادة كبرى ، ربما باستثناء تجارة رومانيا : مرتين بين ١٩٣٨ و ١٩٥٢ في بولونيا ، ومرة ونصف المرة في تشيكوسلوفاكيا . وبالمقابلة تدنت نسبة العلائق التجارية بالدول الغربية تدنياً سريعاً بعد السنة ١٩٤٨ ، ولن تعود الى الارتفاع الا في السنة ١٩٥٤ .

يتضح من ثم ان حصار المواد الاستراتيجية الذي ضربته الولايات المتحدة ، والحاجة الى المال للمبادلة ، لم يحولا دون تصنيع هذه البلدان ، ولكنهما ارغماها على ان تلتج بسعر مرتفع جداً مواد التجهيز التي كان من الطبيعي ان تستوردها في الظروف الطبيعية ، وذلك على حساب مستوى معيشة السكان .

كانت نتيجة الاصلاحات الزراعية والتأميمات القضاء على قوة الطبقات
المجتمع الجديد
الحاكمة السابقة اقتصادياً وسياسياً : الاشراف الريفيين ، كبار
الملاكين ، الصناعيين ، التجار الماليين . وأدت الخطط الخمسية الى تبديلات أخرى في نظام
المجتمع القديم .

في كافة هذه البلدان تدنى معدل السكان الريفيين بالنسبة للسكان
الفلاحون
العاملين من الذكور . وقد هبط هذا التدني في بولونيا من ٥٣ بالمائة في السنة ١٩٣١ الى ٤٩ بالمائة في السنة ١٩٥٣ ، وفي تشيكوسلوفاكيا من ٣٣ و ١ بالمائة في السنة ١٩٤٠ الى ٢٨ بالمائة في السنة ١٩٥٣ ، وفي هنغاريا من ٥١ بالمائة الى ٤٤ بالمائة ، وفي يوغوسلافيا من ٧٦ بالمائة الى ٦٦ بالمائة وفي رومانيا من ٧٨ بالمائة الى ٧٢ بالمائة (في السنة ١٩٥٠) . ولكن حياة الريف بصورة خاصة قد انقلبت رأساً على عقب بزوال الاملاك الاقطاعية الكبرى وبقسمة الاراضي بين صغار الفلاحين الذين لا يملكون ارضاً ، وفقاً للمبدأ القائل ان « الارض ملك يمين من يحرثها » . وقد أدت هذه الاصلاحات الى توزيع الارض املاكاً

صغيرة جداً (اقل من ٥ هكتارات) ، عادمة الدخول اقتصادياً وتقنياً ، استحالة معها تجديد الزراعة على مستوى الفرد وتحسين الانتاج . يضاف الى ذلك من جهة ثانية ان الفلاح قد بقي فقيراً جداً ، فمعجز مرة اخرى عن تعاطي زراعة مجدية وكان معرضاً لان يخضع للفلاحين ميسورين عليه ان يستعير منهم الماشية وادوات العمل . فاذا اراد المسؤولون تجنب زوال هذه الاملاك الصغيرة بسرعة ، كما حدث ذلك بعد اصلاحات العشرينيات ، وتحسين حال الفلاحين ، وجب عليهم وضع المعدات تحت تصرفهم ، وتنظيم عملهم وتعليمهم طرائق فعالة . فتمنحت قروض مختلفة الاجل من اجل بناء وتحسين ابنية الاستثمار او تأمين سير العمل الزراعي ، ووزعت مزارع الدولة البذار المنتقى ، وحدثت محطات آلات وجرارات ، وادخلت زراعات جديدة ، ولا سيما بعض الزراعات الصناعية . وتأسست بصورة خاصة تعاونيات مختلفة الانواع ، ابتداء من الشكل البدائي ، حيث تنظم الحراثة والزراعة وحدهما بالاشتراك ، حتى المزرعة التعاونية حيث تجري قسمة المحاصيل بحسب كمية عمل كل شخص . ولكن ملكية الارض تبقى خاصة في كافة الحالات ، وغالباً ما يحافظ على نظام المساحة القديم . الا ان هذه التعاونيات ، التي تستفيد من القروض ، وهبات الحيوانات والمعدات ، والمستشارين الزراعيين الملمحين بمجموعة من القرى ، قد باشرت نشاطها على نطاق ضيق ، اي في مساحة محصورة وبعدد محدود من الاعضاء . ثم تقدم الاستثمار الجماعي واتسعت المساحات المستثمرة بفضل تأسيس محطات الآلات والجرارات ، وتعميم الطرائق التقدمية بواسطة مزارع الدولة . ففي تشيكوسلوفاكيا مثلاً انشئت في السنة ١٩٥٠ اربعة انواع من التعاونيات التي طبق فيها استثمار جماعي متزايد : استخدام اليد العاملة والآلات والحيوانات بالاشتراك للاعمال الموسمية الهامة ، ثم زراعة الارض بالاشتراك وقسمة المحاصيل بنسبة الاراضي المزروعة ، وفي مرحلة ثالثة تربية الماشية بالاشتراك وقسمة المحاصيل بنسبة كمية ونوعية العمل المؤدى . وفي مرحلة اخيرة مكافأة العمل وحده .

اصطدمت حركة تأميم الزراعة بتمسك الفلاحين بتقاليدهم الفردية ، وفي معظم الاحيان يحلهم وعدم خبرتهم في ادارة التعاونيات ، بحيث كان تقدمها بطيئاً نسبياً واضطرت الحكومات في السنة ١٩٥٣ الى كبح الاندفاع ، الطائش احياناً ، الذي كان يدفع الى ابتكارات سابقة لأوانها ، بتشديدها على الطابع الطوعي الذي يجب ان يكون شاملاً . ففي السنة ١٩٥٥ شمل قطاع الاستثمار المشترك (املاك الدولة والتعاونيات) ٣٠ بالمائة من المساحات الزراعية ، وفي بولونيا لم تضم التعاونيات سوى ٢٠٠ ٠٠٠ عضو يستثمرون ١ ٨٠٠ ٠٠٠ هكتار ، اي ١٠,٦ بالمائة تقريباً من المساحة الزراعية ، فلم يشمل قطاع الاستثمار المشترك من ثم ، مع مزارع الدولة ، سوى ٢٠ بالمائة فقط من هذه المساحة ؛ وفي تشيكوسلوفاكيا ، كان الاستثمار المشترك اكثر تقدماً وضم اكثر من ٧٠٠٠ تعاونية ، فشمّل زهاء ٣٠ بالمائة من الاراضي الزراعية . وفي بلغاريا شمل التأميم ٦١ بالمائة من الاستثمارات و٦٠ بالمائة من الاراضي الزراعية ؛ وكان في

رومانيا ، في التاريخ نفسه ، ٢٠٠٠ تعاونية تضم ١٨٠ ٠٠٠ عائلة وتشمل ٩٠٤ بالمائة فقط من الاراضي الزراعية . وفي المانيا الشرقية ، حيث بوشر تنفيذ التأمين في النصف الثاني من السنة ١٩٥٢ ، ادارت ٥٠٠٠ تعاونية ٣٠ بالمائة من مجموع الاراضي الزراعية .

قلبت هذه التغييرات حياة الفلاحين بالذات ، الذين لم يأتوا من قبل عملاً كافياً ، واقاموا في مزارع لم تكفهم لتأمين معيشتهم ، فكانوا مرغمين على البحث عن موارد اضافية في اعمال غير ثابتة وزهيدة الاجور . ولنتذكر هنا التشريع الهنغاري واليوغوسلافي الذي عمل به حتى السنة ١٩٤٥ ومنع استخدام الآلة الحاصدة والرابطة ، بغية توفير العمل للحصادين . او لم يقدر بعضهم ان ١٨ بالمائة من الفلاحين البلغاريين ، و ٢٠ بالمائة من الفلاحين الرومانيين ، و ٢٤ بالمائة من الفلاحين البولونيين ، و ٢٨ بالمائة من الفلاحين البلغاريين ، و ٣٥ بالمائة من الفلاحين اليوغوسلافيين ، و ٥٠ بالمائة من الفلاحين السلوفاكيين ، وحتى ٨٦ بالمائة من الفلاحين الروتينيين ، لم يجدوا لهم عملاً في قراهم ؟ لقد شاهد الناس فجأة معدات عصرية حين انشئت محطات الآلات . فأوحى لهم هذه المشاهدة عالماً جديداً تعبر عنه هذه الملاحظة التي ابداهها لـ « رنيه ديون » فلاح سلوفاكي استخدم آلة حاصدة للمرة الاولى : « لو اشتريتها قبل عشر سنوات لطال عمري عشر سنوات ، ولشعرت بانني في مستقبل العمر ، ولكنني تمكنت من الشرب حين اكون ظمناً ... هؤلاء الشبان سوف يستخدمون هذه الآلات بينما عملت ابدأ بساعدي : ليس ذلك عدلاً ، . الا ان هذه الآلات التي وفرت المشقة على الناس قد اثارت بمزيد من الالحاح مسألة اكتظاظ الارياف بالسكان التي لم يكن لها من حل سوى التصنيع . فنقلت منذئذ جماهير ريفية كبيرة الى القطاع الصناعي ، مما استنزف احتياطي اليد العاملة الزراعية في بعض الاماكن . ولكن الفلاحين ، في مرحلة الانتقال هذه ، كانوا « الضحايا المؤقتة لهذا التوزيع الاجتماعي الجديد » : فقد توجب بناء المصانع دون التمكن في الوقت نفسه من بناء المساكن اللازمة ، ولم ينقل كذلك الى الصناعة عدد اكثر فاكثراً من الفلاحين الا بصورة تدريجية . وفي هذه الاثناء ، بقي انتاج الحبوب متدنياً بسبب افتقار الاستثمارات الى التجهيزات وتقسيمها الى اجزاء صغرى ، مما حال دون سرعة ادخال الزراعات الصناعية الجديدة وتنمية تربية المواشي . فتأخر من ثم تحسين مستوى المعيشة وتزايد التفاوت بين الصناعة الآخذة في الاتساع وبين الرعيرعود الزراعي . وهكذا فقد زال العمال الزراعيون ... وتمثل اجراء الدولة بعمال المصانع بوضعهم الاجتماعي . فليس في الارياف بعد اليوم سوى ملاكين ينضم صغارهم الى التعاونيات .

كانت نتيجة تحول هذه البلدان الزراعية الى بلدان صناعية ارتفاعاً كبيراً في
العمال
عدد العمال . فباتت الطبقة المحترقة والمريسة في نظام الحكم السابق قوة
كبيرة وطبقة موجهة في نظام الحكم الجديد . وقد بلغت زيادة عددهم نسبة عالية : ففي هنغاريا
تضاعف عددهم بين السنة ١٩٤٥ والسنة ١٩٥١ ، وجاوز المليون . وفي بولونيا ارتفع عددهم
من ٩١٣ ٠٠٠ في السنة ١٩٣٨ الى ٤ ٢٠٠ ٠٠٠ في السنة ١٩٥٢ . وفي رومانيا بلغ

٨٠٠ ٠٠٠ مقابل ٥٠٠ ٠٠٠ في احسن احوال ما قبل الحرب ، وبالرغم من ذلك مست الحاجة بالحاح الى اليد العاملة في هذه البلدان التي كانت في ما مضى مكتظة بالسكان . وهم العمال الاختصاصيون من مست الحاجة اليهم بصورة خاصة لان الكثيرين منهم قد استخدموا في المصالح الادارية او السياسية بسبب الثقة التي اوحوها لنظام الحكم . فتوجب اتخاذ بعض التدابير في تشيكوسلوفاكيا وهنغاريا لتشجيع النسل وتوسيع التعليم التقني . واتخذت تدابير مماثلة لها في الاتحاد السوفياتي تهدف الى زيادة الانتاج : منافسة بين المصانع من اجل تحسين انتاج ، لقب « عامل الاصطدام » او « بطل العمل » ، اعزاز العمال الستاكتوفيين الذين يسمون بنشاط في زيادة الانتاج وتبسيط العمل ، اوسمة ، مكافآت مالية ، التخصص في انتاج القطع ، اجور مرتفعة جداً للساعات الاضافية ... تحديد الاجور بالاستناد الى الاهلية ، اللجوء المتزايد الى اليد العاملة النسائية ، نظام مشدد للعمل بغية مقاومة عدم الثبات والتغيب .

من اجل هذه الجماهير للقروية والعمالية ، البائسة والامية بنسبة مرتفعة احياناً (٢٣ بالمائة في رومانيا وبولونيا ، ٣٢ بالمائة في بلغاريا ، ٤٥ بالمائة في يوغوسلافيا ، ٦٥ بالمائة في البانيا) ، لحظت الخطط مجهوداً كبيراً للتجهيز الصحي وبناء مؤسسات مدرسية كثيرة لكافة الاعمار ، ودور كتب ، الخ ... فالغني كل « عدد مقفل » وزيد عدد التلاميذ والطلاب زيادة كبرى ، واستقبلت مدارس المشاريع والمدارس التقنية وحكليات العمل والعمال والفلاحين الذين تعذر عليهم في صباهم تحصيل العلم اللازم لشغل وظائف قيادية .

رأينا ان احدى نقاط الضعف في دول اوربا الوسطى والشرقية قبل
الحل المعتمد
السنة ١٩٤٥ كانت انعدام التجانس العنصري والمنازعات القائمة بين
للسائل الوطنية
الاقليات القومية والاكثرية المسيطرة . فنجم عن هذا الوضع قلق عميق في نفس كل شخص ، وحين تولت النازية الحكم في المانيا ، خلق هذا الوضع جو حرب اهلية قابله تصلب البلدان المهزومة السابقة .

اختلف وجه الدول التي اعيد النظر في حدودها بعد النصر الحليف اختلافاً كبيراً جداً عنه في السابق ، لا من حيث الشكل الجغرافي فحسب ، بل من حيث الشكل العنصري ايضاً ، بفعل انغلال او نقل الاقليات العنصرية . وحيث ما زالت هناك عناصر مختلفة ، اعتمد التنظيم الاتحادي - كما في يوغوسلافيا الجديدة مثلاً - او منحت منطقة الاقليات بعض الاستقلال الذاتي الاداري : كما حدث لسلوفاكيا داخل الدولة التشيكوسلوفاكية . أما في الدول الاخرى فقد حلت المسألة بسهولة اذ ان الاقليات الباقية في هذه الدول كانت ابعد من ان تمثل الكتلة المتراصة الكثيرة العدد التي كانت موجودة فيها قبل الحرب . فلم يقف في تشيكوسلوفاكيا سوى بضعة مئات الالوف من الالمان والهنغاريين بين سكان البلاد البالغين ١٢ مليون نسمة . وفي بولونيا وهنغاريا لم تجاوز الاقليات العنصرية نسبة الـ ٥٪ . وكانت اقل الدول تجانساً رومانيا التي ليست رومانية الا بنسبة ٨٥,٧٪ بسبب ضمها ٩,٤٪ من الهنغاريين و ٢,٢٪ من الالمان وأقليات عنصرية اخرى .

وكان الحل الذي اعتمد في هذه البلاد حكومة مركزية ووضع اللغات على قدم المساواة في الادارة والمدارس الوطنية حيث توجد الاقليات في البلاد. أما الادارات المحلية فقد تألفت من الهنغاريين في الاقاليم الهنغارية ومن ممثلين عن القوميتين في الاقاليم المختلطة . وللمرة الاولى في التاريخ قامت في « كلوج » جامعتان احدهما هنغارية والثانية رومانية .

التنظيم المدني الجديد
على غرار ما حدث في الاتحاد السوفياتي ، ادت الظروف الاقتصادية والاجتماعية الجديدة الى قيام تنظيم مدني جديد : زالت الطبقة وزال معها التمييز الاجتماعي ، « فامتصت المدينة ضواحيها » . زال الدخيل العقاري ، فامكن تشييد المزيد من الابنية في المساحات المتوفرة ، وتشييد مجموعات كبرى تحيط بها مساحات واسعة خضراء . فأطلت بيوت كل مجموعة على ساحات كبرى اعدت فيها اقسام خضراء وحدائق للاطفال ؛ وتألفت وحدة الاقامة الرئيسية من مجموعات سكنية متقاربة توفر فيها كل ما هو ضروري للـ ١٠.٠٠٠ او ١٥.٠٠٠ شخص الذين يقيمون في دائرة شعاعها ٥٠٠ متر تقريباً : مدارس ، مخازن ، مستوصفات ، سينما ، منتديات ... وشيدت في الحي - مجموعة من وحدات الاقامة - ابنية هامة من الدرجة العليا : مؤسسات التعليم التقني والثانوي ، المستشفيات ، مراكز الادارات ... فعلى هذا الشكل شيدت المدن الجديدة ، كـ « نوفاهوتا » التي نشأت قرب كراكوفيا وبلغ عدد سكانها ٦٥.٠٠٠ نسمة في السنة ١٩٥٤ ولم يلبثوا ان بلغوا ١٥٠.٠٠٠ ؛ وعلى هذا الشكل اعيد بناء المدن القديمة كفرصوفيا وبودابست حيث شيدت ، الى جانب الاحياء القديمة التي رمت بحسب النمط التقليدي ، احياء جديدة تتميز بشوارعها العريضة وحدائقها الكبرى وساحاتها العامة .

معارضة المعارضة
ان عملية الاقصاء التدريجي التي تناولت معارضي تطور الحكم الجديد نحو الشيوعية قد انتهت في السنة ١٩٤٨ ؛ فبعد هذا التاريخ لم يبق من مكان لمعارضة شرعية قادرة على إعادة النظر في الاصلاحات الزراعية والتأمينات . ولم يبق للطبقات المواجهة القديمة من امل الا في النشاط السري والتدخل الاجنبي . فتوجه انصار نظام الحكم السابق بأنظارهم الى المؤسسة القائمة الوحيدة ، اعني بها الكنيسة الكاثوليكية ، « لا سيما وان الكاثوليكية غالباً ما ارتدت شكل اكليروسية على ارتباط وثيق بالارستوقراطية العقارية في هذه البلدان التي سيطر عليها اقتصاد زراعي ونظام متخلف » (م. دوفرجيه) . فان كبار رجال الاكليروس المنتسب بعضهم الى الطبقات الممتازة - والمتضامن معها - قد كانت اقوى سند لحكم الاميرال « هورتي » في هنغاريا وحكومة الكولونيلات في بولونيا والمالوك الدكتاتوريين في يوغوسلافيا ورومانيا ؛ وكانوا حريصين على الاحتفاظ باملاكهم الواسعة واحتكارهم المدرسي .

ومنذ السنة ١٩٣٩ ، بصورة خاصة « ايدت الكنيسة انفصال سلوفاكيا وبوهيا الذي حققه المطران « تيزو » بعد اجتماع مونيخ ، وأيد رئيس اساقفة « زغرب » ، المطران « ستيبيناك » ،

نظام الحكم الذي اقامه « انقي بافليك » في كرواتيا ؛ فان هذا النظام الاخير « قد مثل بأجلى صورة وطنية الاكليروس الكرواتي المتطرفة التي لم تسلم بقيام الدولة اليوغوسلافية » (فختو) . وفي السنة ١٩٤٥ ، اعترض الكردينال « مندرنقي » على اعلان الجمهورية الهنغارية « المخالف للدستور الهنغاري الالفي » . وحين ادخلت الدساتير الجديدة ، المتبناة بعد السنة ١٩٤٥ ، الاصلاحات التي اقترتها دساتير الدول الغربية منذ زمن بعيد : فصل الكنيسة عن الدولة ، الحالة المدنية والزواج المدني ، اعلن الاحبار معارضة شديدة جديدة تميزت بمزيد من القوة عندما طبق الاصلاح الزراعي على املاك الكنيسة . فاحتج الكردينال مندرنقي ورئيس اساقفة براغ ، « بيران » ، ورئيس اساقفة بولونيا الجديد ، « وسنرنيكي » ، ورفض الفاتيكان كل تناسل . وكما اوضح ذلك « فرنسوا فختو » .

« كسبت الكنيسة ، بموقفها هذا المعادي للشيوعية مزيداً من الشعبية ... فأصبحت الكنيسة محط شكاري وآمال الملاكين الذين سلّبت املاكهم والموظفين الذين عزلوا من وظائفهم ، وصغار البورجوازيين الذين سيطر عليهم الخوف ، والفلاحين الذين شعروا بالخطر يهدد املاكهم ... وقد شجعت هذه الشعبية الفاتيكانيون وحملت الاساقفة على الوقوف مرفقاً متزايد الحزم يوماً بعد يوم . »

الا ان بعض الكهنة انتظموا في جمعيات رغبت في الاتفاق مع الحكومات وعطفت على الاصلاحات الاقتصادية المحققة . فكان الوضع شديداً بذلك الذي تسبب في ايام الثورة الفرنسية بنزاع خطير بين الحكومة والكنيسة وبانشقاق في داخل الكنيسة نفسها . وفي السنة ١٩٤٨ ، كانت علمنة المدارس وتأميم ممتلكات الاكليروس (الذي اعطي مرتباً بالمقابلة) في هنغاريا وبولونيا بمثابة اعلان حرب . فاقوقف الكردينال مندرنقي وحكم عليه بالسجن المؤبد في السنة ١٩٤٩ . ثم جاء دور رئيس اساقفة براغ في تشيكوسلوفاكيا الذي حرم جمعية الكهنة المتعاونين مع الحكومة . وفي السنة ١٩٥١ اوقف خليفة مندرنقي ايضاً مع عدد من الاساقفة والكهنة . وقطعت المفاوضات بين السلطات الكنسية والحكومات البولونية والهنغارية والتشييكوسلوفاكية وذلك ، كما يبدو ، تحت ضغط الكرسي الرسولي الذي تميز موقفه المعادي للشيوعية بمزيد من الحزم (اعلان الحرم في شهر تموز ١٩٤٩) . بيد ان هذه المفاوضات انتهت في السنة ١٩٥٠ الى اتفاق مع بولونيا حيث استاء السكان ، بالرغم من ايمانهم العميق ، من استمرار البابوية في رفض الاعتراف بالحدود الغربية الجديدة المعينة لبولونيا .

اعطت سنوات تنفيذ الخطط الاولى النتائج المرتقبة . فان الاهداف تحول السنة ١٩٥٣ المهددة للصناعات الثقيلة قد تخطيت الى حد بعيد ، ومعدل زيادة الدخل القومي قد بقي مرتفعاً جداً : ٩,٥ بالمائة في تشيكوسلوفاكيا ، ١٠,٢ في المانيا الشرقية ، ١٢,٢ في بلغاريا ، ١٢,٦ في بولونيا ، ١١ في هنغاريا ، اي انه جاوز معدل الارتفاع الطبيعي في عدد السكان مجاوزة كبرى . فللمرة الاولى نجحت الحكومات الجديدة في اوروبا الوسطى والشرقية ، حيث اخفقت حكومات النظام السابق ، في التغلب على عدم التناسب بين ازدياد

السكان وازدياد الموارد . فان هذه الاخيرة ستزداد بعد اليوم اكثر من السكان .

ولكن تقديم الصناعة الثقيلة على اصناع المواد الاستهلاكية والزراعة قد افقد التوازن بين الانتاج الصناعي الذي تضاعف في خمس سنوات (١٩٤٨ - ١٩٥٣) وبين الانتاج الزراعي الذي لم يجاوز مستواه في السنة ١٩٤٠ الا بنسبة ١٠ - ٣٠ بالمائة . ويرد ذلك الى ان الانتاج الزراعي قد تدنى بنسبة تجاوز الـ ١٠ بالمائة . وقد افضى نزوح الشبان الى المدينة ، وهم اكثر السكان انتاجية ، قبل ان يعاض منه بمعدات آلية كافية ، الى نقص وسائل الانتاج في الارياف وزيادة طلب المنتجات الزراعية والمساكن في الاوساط المدنية والصناعية . فنجحت عن ذلك صعوبات في تموين المدن بالمواد الغذائية والمواد الاولية الزراعية المنشأ اثارت الاستياء وازمت العلاقات بين العمال والفلاحين .

يضاف الى ذلك من جهة ثانية ان نقص انتاج المواد الاستهلاكية شجع السوق السوداء واخذ نشاط الفلاح الذي بات عاجزاً عن تأمين المنتجات التي يحتاج اليها . وتأمينت الأموال اخيراً في هذه البلدان المفتقرة الى رؤوس الأموال عن طريق الاقتراض الذي جعلها تسير بخطى سريعة نحو التضخم المالي . وعبثاً حاولت بعض الاصلاحات النقدية اصلاح الحال ، فان الاجور الحقيقية قد تدنت تدنياً محسوساً بصورة هامة بالنسبة لمستواها في السنة ١٩٥٠ . فكانت من ثم نتيجة الخطط المفرطة الطموح والمفتقرة الى الدرس ، والاموال غير الكافية الموظفة في الزراعة ، وسياسة الاسعار التي ضحكت بالزراعة ، وتدنى مستوى المعيشة ، قلقاً عبّر عنه في ١٧ حزيران ١٩٥٣ ، في برلين الشرقية وبعض المدن الصناعية في الجمهورية الديمقراطية الالمانية ، بثورة عمال مستائين من الازمة الغذائية وقوانين العمل المتزايدة التي قيدوا بها .

ومن جهة ثانية ، ارتدى التشديد المفروض على الاقتصاد اخطر طابع في البلدان الزراعية التي خضعت لتصنيع قوي وسريع . وفي بولونيا كما في هنغاريا ، كان عبء الاموال الموظفة (وقد خصص معظمها للصناعة الثقيلة) ثقيلاً جداً . فان بولونيا قد كرست لها ١٩٤٤ بالمائة من الدخل القومي في السنة ١٩٥٣ ، وهنغاريا ٢٤،٥ بالمائة (مقابل ٨،٨ بالمائة في الجمهورية الديمقراطية الالمانية) ، اي اكثر مما استطاع الاتحاد السوفياتي تكريسه لها في خطته الخمسية الاولى . وفي سبيل وضع حد لهذا القلق ، حدث حينذاك تبديل في السياسة الاقتصادية ، وذلك بالعودة الى مبادئ السياسة الاقتصادية الجديدة ، اي الى اقتصاد انتقالي . فمنذئذ - ودون احوال اولوية الصناعة الثقيلة - زيد نصيب المواد الاستهلاكية وانتجت بمزيد من السرعة . انه لانجاء جديد تأيد بخطب مالنكوف وخروتشوف وميكويان في السنة ١٩٥٣ والسنة ١٩٥٤ ، وتجلى في الديمقراطيات الشعبية بعدم زيادة الاعتمادات المخصصة للصناعة الثقيلة وزيادة الاعتمادات المخصصة للصناعة المواد الاستهلاكية والبناء والزراعة ، ورفع الاجور الحقيقية ، وتشجيع الزراعة : ازالة التمييز تدريجياً بين التعاونيات والاستثمارات الفردية ، رفع قيمة مكافآت الانتاج ، تخفيض الضرائب ، تخفيض التسليمات الالزامية .

ازمة تشوين الاول ١٩٥٦
 في بولونيا ومنغاريا
 ان هذه المقررات، التي رافقتها بعض التدابير السياسية، واصلاح
 القضاء والشرطة، وتخفيف الانظمة الادارية، وإعادة الاعتبار
 لاصحايا الحكومات « الستالينية »، واصلاح البيروقراطية،
 وتخفيف وطأة التخطيط العقائدي في المجال الفكري، قد اثارت لمختلف البلدان الشيوعية
 تحسين وضعها الاقتصادي وتدشين عهد نظام حر شامل. ففي تشيكوسلوفاكيا وجمهورية المانيا
 الديمقراطية، اللتين كانتا اكثر البلدان تطوراً، كما في رومانيا وبلغاريا اللتين
 كانتا اقلها تطوراً، امكن حل مسائل التكيف بسهولة نسبية. اما بولونيا
 ومنغاريا فقد كانتا مسرح احداث مؤثرة. فهنا لم تفض التدابير المتخذة الى ازالة كل عديم
 توازن اقتصادي، لا سيما وان التعديلات المتكررة المدخلة على الخطط قد زادت مظاهر فقدان
 التوازن بروزاً؛ ولم تفض كذلك الى تخفيف حدة الاستياء الشعبي. ويرد هذا الاخير الى
 اسباب عديدة؛ فهناك، بالاضافة الى مستوى المعيشة المتدني جداً، حذر الجماهير التي حيرتها
 ترددات قادة الحكم الجديد وانقسامهم الى « ساليين » و « مطالبين باعادة النظر » في السياسة
 السابقة، والتي لم تتعود الانضباط وحيياة المصنع، كما هي حال مئات الوف العمال الجدد المنتسبين
 اما الى طبقة صغار البورجوازيين وصغار التجار والصناعيين اليدويين، واما الى طبقة
 الفلاحين. ويجب ان يؤخذ بعين الاعتبار كذلك هزال الاحزاب الشيوعية التي يفسر نموها
 العظيم باقبال الاعضاء الجدد (ارتفع عدد اعضاء الحزب المنغاري من عدة آلاف الى ٩٠٠.٠٠٠)
 الذين كان بعضهم « طلاب وظائف »، او انتهازيين، او عناصر غير وطيدة العقيدة، وتضعف
 المسؤولين امام بيروقراطية غير ذات جدوى وحكم مستضعف سائر في طريق الانحلال، واخيراً
 نفوذ الكنيسة الكاثوليكية وتأثير العداء التقليدي للروس الذين كان احتلالهم ثقیل الوطأة.
 فبدأ الانفجار الشعبي في بولونيا في شهر حزيران ١٩٥٦ بالاضرابات الدامية التي اعلنت في
 بوزنان، والهجمات على الابنية العامة، وبوادر العداء العنيف للجيش السوفياتية والاتحاد
 السوفياتي، ولكن زعيماً شيوعياً كبيراً، هو « غومولكا »، لم يلبث ان ألف منذ تشوين
 الاول حكومة وطنية بولونية ايدتها انتخابات ظافرة في كانون الثاني ١٩٥٧، ونجح في اقناع
 الاتحاد السوفياتي بسحب جيوشه وأعاد الهدوء الى البلاد.

اما الازمة المنغارية فكانت اكثر خطورة الى حد بعيد: كانت حرب الشوارع عنيفة
 جداً، واقتيل عدد كبير من المدافعين عن نظام الحكم، وتألقت وزارة برئاسة « نايجي »
 حولتها التعديلات المدخلة عليها شيئاً فشيئاً الى حكومة بحسب صيغة السنة ١٩٤٥. فعلت
 مقرراتها الاولى التعاونيات الزراعية واعادت المشاريع الخاصة في التجارة الصغرى والصناعة
 الصغرى، واعلنت حياد البلاد، وتركت انطباعاً بأن الحركة الشعبية والعمالية اخذت في
 الانهيار اكثر فأكثر امام العناصر المقصاة منذ السنة ١٩٤٧ وامام انصار الحكم السابق؛ فجاء
 التدخل السوفياتي حينذاك يسحق الثورة.

في اعقاب هذه الاحداث الجسيمة، تبنّت البلادان تدابير تكاد تكون متماثلة: التغلّي عن

تأميم الزراعة ، وفي هنغاريا ، الحرية في شراء الاراضي (٢٥٥ هكتار) مباشرة ، تخصيص الفلاحين بمزيد من الآلات ومواد البناء ، إلغاء النظام القاهضي بتسليم الدولة جزءاً من منتجاتهم ، زيادة الطاقة الصناعية (يحمل المشاريع القائمة عصرية ، واستحداث مشاريع جديدة احياناً) . اما نظام ادارة الاعمال فقد عدل باخضاع الاقتصاد للمركزية شبيهة ، الى حد ما ، بتلك التي تحققت في الوقت نفسه في الاتحاد السوفياتي : فأعطى مزيداً من الاستقلال للمشاريع الاشتراكية ، تاركاً لها حرية اختيار اساليب ووسائل تحقيق الاهداف الاساسية التي لم تحدد الخطة العامة سواها . والغيت في هنغاريا المجالس العمالية المقتبسة عن المجالس اليوغوسلافية ، بحجة ارتدادها طابعاً سياسياً في الدرجة الاولى ؛ اما في بولونيا فقد ابقى على هذه المجالس ، ولكن صلاحياتها قد قيّدت في شهر نيسان ١٩٥٨ بالتدبير الذي ضمها ، مع الممثلين النقابيين وخليئة الحزب ، الى « مؤتمر الاستقلال العمالي » الذي يمارس نوعاً من الشراكة في ادارة الاعمال مع رؤساء المشروع . وفي البلدان الاخرى ، لم يتوقف تأميم الاراضي قط ؛ ففي السنة ١٩٥٩ بلغ ما تناوله ٩٥ ٪ من الاراضي الزراعية في بلغاريا ، و ٨٢ ٪ في تشيكوسلوفاكيا ، و ٧٥ ٪ في البانيا ، و ٦٤ ٪ في رومانيا ، و ٤٧ ٪ في الجمهورية الديمقراطية الالمانية . ثم عمل به ثانية في هنغاريا (حيث تناول ٣٠ ٪) ، وبصورة بظيئة جداً في بولونيا ، بواسطة الجمعيات الزراعية (الضامة ٦٠٠ ٠٠٠ فلاح - اي مزارع واحد من اصل ٦ - في شهر كانون الاول ١٩٥٩) ، التي تتلقى المساعدات المالية وتتمتع بحق الاولوية في شراء المعدات الزراعية .

فبضرورة عامة - اذا ما استثنينا بولونيا ، نرى ان كافة الديمقراطيات الشعبية ذهبت بعيداً في تأميم الاراضي وشرعت في جميع الاستثمارات الصغرى المتوسطة في وحدات زراعية كبرى وفرت لها تدريجياً كافة التجهيزات العصرية .

الوضع في السنة ١٩٦٦ بعد خضوعها عشرين سنة للنفوذ الشيوعي ، تطورت بلدان اوروبا الوسطى والشرقية من ثم تطورا عميقاً . فهي مع محافظتها على وحدة المبادئ الماركسية سلكت « الطرق المختلفة نحو الاشتراكية » التي توافق حاجاتها الخاصة المميزة . فبلغ اقتصادها في كل مكان معدلات مرتفعة جداً : بلغ الانتاج الصناعي في تشيكوسلوفاكيا ثلاثة اضعافه بالنسبة الى انتاج ما قبل الحرب ، وفي بولونيا بلغ في السنة ١٩٦٣ تسعة اضعافه بالنسبة الى انتاج السنة ١٩٣٨ واربعة اضعافه بالنسبة الى انتاج السنة ١٩٥٠ ؛ وفي الجمهورية الديمقراطية الالمانية تضاعف هذا الانتاج وبلغ معدل الزيادة ١١٧ ٪ بالمائة بين السنة ١٩٥٠ والسنة ١٩٥٧ ، وحقق ١٢٠٣ بالمائة في السنة ١٩٥٩ . فغدت بولونيا الدولة الصناعية الخامسة في اوروبا منذ الاكتشاف الذي اتاح لها تحويل « ذهبها القاتم » ، اي الفحم الحجري غير المتكامل المتوفر لديها بكميات كبرى ، الى وقود لتنقية المعادن (١٩٥١) . وان هذه البلدان التي عرفت قبل السنة ١٩٣٩ بطالة أليمة ومهاجرة واسعة في صفوف العمال ، هانت آنذاك من حاجة حقيقية الى اليد العاملة ، باستثناء بولونيا حيث عمل معظم الفلاحين في املاكهم

الصغرى . أما الأمية فقد قهرت عملياً والكفاءة المهنية تحسنت . وعرفت رومانيا في السنة ١٩٦٤ اعلى نسبة في ارتفاع عدد السكان (٨ بالمائة) ، وتجاوز الدخل القومي ضعفه (٢,٧ بالمائة) في السنة ١٩٣٨ . وعلى الرغم من ان نجاحات الزراعة - على غرارها في الاتحاد السوفياتي - قد بقيت دون نجاحات الصناعة بشكل ظاهر ، فان مستوى المعيشة قد تحسن تحسناً ملحوظاً في رومانيا ، وفي الجمهورية الديمقراطية الالمانية ، ولا سيما عند سكان الارياف ، وفي بولونيا حيث لم يعد استهلاك المواد الغذائية دون اعلى المستويات في اوروبا الا بنسبة ١٠ - ٢٠ بالمائة . ووفرت السياسة الاقتصادية والاجتماعية التي انتهجتها الجمهوريات الشعبية لكل مواطن ولوج ابواب العلم والارتقاء الاجتماعي وآفاق تقدم عظيم . فأسهمت من ثم في « ازالة معظم الفوارق الاجتماعية القديمة والعميقة » ولكن الاولوية المعطاة للانتاج الصناعي وضالة انتاجية العمل قد أخرتا تحقيق تقدم يفي بالحاجات .

الا ان خروداً في التقدم ، شبيهاً به في الاتحاد السوفياتي ، قد برز منذ السنة ١٩٦٣ . ومرد ذلك الى ان سير التخطيط والتوزيع لم يمد هنا ليوافق متطلبات الاقتصادات المعقدة التي اخذت تواجه مسائل الاعتماد والانتاج المتنوع . وهذا ما يفسر اصلاحات ادارة الاعمال والتخطيط ، وليونة الرقابة الحكومية ، والاعتراف للمشاريع بتحقيق الارباح ومطابقة برنامجها على طلب الزبائن .

ومن جهة ثانية ، تم تصنيع الديمقراطية الشعبية ، منذ السنة ١٩٤٥ ، الكوميكون بصورة فوضوية في اطار كل دولة ، على الطريقة السوفياتية ، اي باعطاء الاولوية للصناعة الثقيلة . ففي كل بلاد وجدت من ثم مصانع يفوق انتاجها حاجات البلاد وطاقاتها الحقيقية وتنتج دون اي اعتبار للدخول التي يجب ان توفرها . وهو لعمري وضع محال وخطر في ظل نظام الحصار الذي فرضته الولايات المتحدة على المواد الاستراتيجية اثناء الحرب الكورية والذي بقي معمولاً به جزئياً .

وحين تأسس في السنة ١٩٤٩ ، رداً شرقياً على مشروع مارشال ، مجلس المساعدة الاقتصادية المتبادلة (كوميكون) ، لم يلعب لمدة طويلة سوى دور محدود في درس مشاريع التنسيق وخطط مطابقة الانتاج ؛ فهو الاتحاد السوفياتي ما منح القروض ، وسهل بين الديمقراطيات الشعبية المبادلات التي تمت بشكل اتفاقات ثنائية على مقايضات يحدد اجلها بسنة واحدة . الا ان ازمة السنة ١٩٥٦ في بولونيا وهنغاريا ، وتوقيع معاهدة روما في شهر آذار ١٩٥٧ ، الذي جعل من المجلس الاقتصادي الاوروبي حقيقة راهنة ، ابرز الحاجة الملحة الى اعتماد تدابير حسية . فقرر منذ السنة ١٩٥٨ مد انابيب لنقل البترول بين الاتحاد السوفياتي وبولونيا وتشيكوسلوفاكيا والجمهورية الديمقراطية الالمانية ، وتنسيق وتوحيد انتاج بعض المصنوعات الكيميائية والصفائح المعدنية والانابيب ؛ وفي السنة ١٩٥٩ تم الاتفاق نفسه حول تجارة القطن والفواكه والبقول ؛ وفي السنة ١٩٦٠ ، تم الاتفاق بين بولونيا والجمهورية الديمقراطية الالمانية

من اجل زيادة انتاج الفحم الحجري البولوني ، وبين تشيكوسلوفاكيا ورومانيا من اجل بناء
معمل لانتاج الطاقة الكهربائية يغذيه الغاز الطبيعي الروماني ، وتوحيد بعض شبكات توزيع
الطاقة وجعل مركز تنظيم التوزيع في براغ ، الخ . وفي السنة ١٩٦٢ قطع مؤتمر موسكو
المرحلة الحاسمة بتقريره تنسيق الخطط الطويلة الاجل والتوفيق بين السياسات الوطنية على اساس
« التقسيم الاشتراكي الدولي للعمل » . فاستلزم التنظيم لجاناً دائمة ، ودائرة تخطيط ، وامانة سر ،
ولجنة تنفيذية يكون كل عضو فيها متحكماً بالقرار المطلوب اتخاذه ، لأنه يتمتع بحق النقض .
وجلي ان تحقيق مثل هذه الوحدة قد اثار صعوبات جمة : صعوبات تنسيق شتى السياسات
الزراعية والخطط المختلفة الآجال والافتقار الى النقد القابل التحويل ، الخ . وشعرت بعض
الدول بصعوبة الخروج من قومية ضيقة (بولونيا ، ولاسيا رومانيا) ، فرفضت التضحية
ببعض الصناعات التي اوجب التخصيص التضحية بها ، وأسفت على هذا الارتباط الالزامي
بالدول الاشتراكية الاخرى ، وطالبت بحرية كاملة في الاتجار مع الدول الغربية ، وتمنت ان
تعمل الوحدة « لا ككل تنصهر فيه الاجزاء ، بل كمجموعة اقتصادات وطنية مستقلة » . وانما
على الرغم من هذه الاختلافات ، سار التعاون في طريقه : ففي السنة ١٩٦٤ تأسس مصرف على
مثال « الاتحاد الاوروبي المدفوعات » اسندت اليه مهمة تمويل مجموعات المشاريع الكبرى ؛
وبعد مرور اشهر معدودة ، أسست تشيكوسلوفاكيا وبولونيا وهنغاريا ، التي انضمت اليها
بلغاريا والجمهورية الديموقراطية الالمانية والاتحاد السوفياتي ، جهاز « المعادن المشتركة » الذي
ارتدى طابع التخصص في انتاج الانابيب والمصنوعات الفولاذية الاخرى ، واستهدف تنسيق
الدروس والمبادلات وبرمجة الانتاج ، اللذين سيتيح تحقيقهما تنسيق التجارة الخارجية وتأسيس
مشاريع مشتركة . ويجب الاشارة كذلك الى سلسلة التدابير المتخذة منذ السنة ١٩٦٣ لتنسيق
النقل في مختلف البلدان بغية تجنب انزال وتحميل البضائع (الداخلة الى الاتحاد السوفياتي او
الخارجة منه) ، وانشاء استثمار محطة دولية لشاحنات البضائع ، وإقرار مشروع ضخخ لاستثمار
الدايوب الاسفل ابتداء من الحدود النمساوية - التشيكية بواسطة ١١ محطة لتوليد الكهرباء
تبلغ طاقتها ٢٧ ٠٠٠ ٠٠٠ كيلوات في الساعة ، تليح بالاضافة الى إنتاج الكهرباء ٥٠ ٠٠٠
كيلومتر مربع وجعل معدل عمق النهر ٣٥ و٣ م .

عمل الكوميكون بعد المجلس الاقتصادي الاوروبي وقصد تحقيق اهداف تختلف كل
الاختلاف عن اهدافه ، واستخدم اساليب ووسائل مختلفة . ولكنه استوحى الحرص نفسه على
التوحيد والتنظيم . وحقق نتائج ذات قيمة في كافة الحقول ما عدا الحقل الزراعي . وباستطاعته
اليوم الاسهام اسهاماً فعالاً في اعادة الوحدة الى الكتلة الشيوعية بعد ان زعزعها النزاع الصيني
السوفياتي .

الفصل الثالث

يوغوسلافيا

ان الظروف التي عاشت فيها يوغوسلافيا اثناء الحرب تفسر طابع تطورها الخاص في المرحلة التي عقيتها . فالبلاد حققت ثورتها ابان الصراع بالذات ؛ ولذلك كانت ثورتها امراً واقعاً حين توقفت الاعمال الحربية - في الوقت الذي بدأت فيه في بلدان اوروبا الوسطى والبلقانية الاخرى . وكان لدى تيتو جيش شعبي كثير العدد تعود الحرب وخضع لنظام سياسي مرن وقوي ، وحظي بنفوذ وشعبية كبيرين حصل عليهما في المعركة من اجل تحرير البلاد الذي كان لليوغوسلافيين انفسهم اليد الطولى في تحقيقه . ولكن عداء حكومة المنفى في لندن ، والجنرال ميخالوفيتش ممثلها في البلاد ، الذي لم يتعاون مع الايطاليين والالمان فحسب ، بل اعلن الحرب على الانصار ايضاً ، قد اعطى المعركة من اجل التحرير طابع صراع ثوري ضد ممثلي الطبقات الحاكمة القديمة والحكومة الملكية .

النظام السياسي الجديد
تكونت الدولة الجديدة اثناء الحرب بالذات . فمئذ او اخر السنة ١٩٤٢ ، مثل جيش تيتو أقوى قوة محاربة والقوة الفعالة الوحيدة في الصراع ضد الفازي ؛ وفي كل مكان - حتى في المناطق المحتلة - تألفت لجان شعبية للتحرير من ممثلين انتخبتهم الفئات الوطنية المحلية استلمت زمام السلطة فور انسحاب الالمان . وفي تشرين الثاني ١٩٤٢ ، التأمت جمعية ثورية تضم الممثلين المنتخبين المنتسبين الى كافة المعتقدات والاديان والاحزاب والفئات المعادية للفاشية ، عرفت بـ « المجلس المعادي للفاشية لتحرير يوغوسلافيا الوطني » ، الذي كان الجهاز الموجه للصراع ، دون ان يكون برلماناً او حكومة ؛ فاخترت المجلس الذي اسندت اليه السلطة التنفيذية ومهمة البت بالمسائل الاقتصادية والسياسية . الا ان الدولة لما تنظم تنظيمياً جديداً ، بناء على اشارة صريحة من الاتحاد السوفياتي الذي خشي من ان يخلق اعتماد التدابير الثورية بعض المتاعب مع الحلفاء الغربيين . وفي السنة ١٩٤٣ قرر مجلس التحرير ، الذي اصبح « الممثل الاعلى للسيادة اليوغوسلافية » ، ان البلاد سوف تنظم تنظيمياً اتحادياً يجمع بين الشعوب المتساوية في الحقوق في صربيا وكرواتيا وسلوفينيا وبوسنيا -

— هرزيفوفينا والجبل الاسود . وافر بالتصويت القوانين الدستورية الثورية الاولى التي انتزعت كل سلطة من الملك الموجود في المنفى واعدت قيام الجمهوريات الشعبية الست التي سيؤلف اتحادها الدولة اليوغوسلافية . ولم يتخذ أي تدبير شامل بصدد القاعدة الاقتصادية المقبلة التي ستمشي عليها البلاد . ولم تقرر مصادرة المصانع والاملاك ، حين قررت ، الا اذا كانت هذه المصانع والاملاك ملك الغازي او المتعاونين معه . الا ان المساحة القصوى للاملاك ، في الحقل الزراعي ، قد حددت بـ ٢٥ هكتاراً ، باعتبار ان حركة التحرير قد ارتكزت في جوهرها على طبقة صغار الفلاحين الفقراء . وفي كانون الثاني ١٩٤٦ ، أعلنت الجمهورية الاتحادية اليوغوسلافية بواسطة الجمعية التأسيسية التي فازت الجبهة الشعبية فيها بـ ٦٧٢٥٠٠٠٠ صوت مقابل ٧٠٧٠٠٠٠ المعارضة . وهكذا ازيلت الملكية الصربية المنشأ التي كانت منذ السنة ١٩١٩ العقبة الرئيسية في سبيل المساواة بين القوميات والتي ساندت على الدوام اقوى العناصر نزعة محافظية في المجتمع السابق . وقد اعطيت الدولة الجديدة دستوراً اتحادياً : ست جمهوريات شعبية ، وفي اطار جمهورية صربيا اقليتان مستقلان استقلالاً ذاتياً توجد فيهما اقليات قومية : فوجفودينا التي يستوطنها الهنغاريون والسلوفينيون والرومانيون ، وكيروفو — ميتوهيجا التي يستوطنها الالبانيون . وكان لكل جمهورية جمعيتها ودستورها . واحتفظت الحكومة الاتحادية بالدفاع الوطني والسياسة الخارجية والمالية الاتحادية والخطط الاقتصادية العامة والعلاقات التجارية والمواصلات . وتألفت « الجمعية الشعبية » ، كما هي الحال في كل نظام اتحادي ، من مجلسين هما « المجلس الشعبي » المنتخب على أساس ممثل لكل ٥٠٠٠٠ نسمة ، و « مجلس القوميات » الذي تلتخبه الجمهوريات والاقاليم والمناطق . وتلتخب الجمعية الشعبية مجلساً اعلى يمارس رئاسة جماعية ومجلساً تنفيذياً .

تركزت الحرب البلاد مخربة تخريباً كاملاً ، وأفقدتها زهاء مليوني نسمة
النهضة المادية
 لا قوا حتفهم وزهاء ٦٠٠٠٠٠٠ من العناصر الغريبة ، ولا سيما من
 الالمان ؛ وقد هلك ١/١٠ السكان القرويين . وقد ردت الاضرار بـ ١٠٥٠٠٠ مليون دولار
 (١٩٣٨) تكاد تمثل زهاء اربعة اضعاف الدخل القومي في هذه السنة . وانتشرت المجاعة لا في
 المناطق الجبلية الجنوبية الغربية التي لم تنتج قط مواد غذائية كافية لسد حاجاتها فحسب ،
 بل في اغنى مناطق سلوفينيا وصربيا الشمالية ايضاً . فتوجب على منظمة اغذية
 اللاجئين تغذية اكثر من ثلث السكان ، وقدمت لهذه الغاية اكثر من ٦٠٠٠٠٠ طن من
 المواد الغذائية .

كما حدث في الديمقراطيات الشعبية الاخرى ، تحقق اصلاح زراعي صادر في السنة ١٩٤٥ ،
 لقاء دفع تعويض ، تناول كافة الاملاك التي تزيد مساحتها عن ٣٥ هكتاراً من الاراضي الزراعية .
 فباتت الاملاك التي لا تبلغ مساحتها ٥ هكتارات تمثل ٧٥ ٪ من مساحة البلاد ، وتلك
 التي تتراوح مساحتها بين ٥ و ١٥ هكتاراً تمثل ٢٢ ٪ ، والاملاك التي تتجاوز ١٥ هكتاراً
 ٣ ٪ فقط . ومن جهة ثانية صدر في السنة ١٩٤٦ قانون سوف يعدل في السنة ١٩٤٨ أمت

بموجبه كافة فروع النشاط الصناعي ، والموارد المنجمية ، ومصادر الطاقة . وامت كذلك التجارة الخارجية ، ثم ٨٨ ٪ من التجارة التفصيلية ، وامت الـ ١٢ ٪ الباقية بدورها في السنة ١٩٤٨ . ولكن نهضة الصناعة تقدمت تقدماً بطيئاً جداً . ففي السنة ١٩٤٦ لم يبلغ الانتاج سوى ٥٠ ٪ من انتاج ما قبل الحرب .

وخلافاً لما حدث في الديمقراطيات الشعبية الاخرى التي لما تضع سوى خطط لسنتين او ثلاث سنوات ، بوشر في السنة ١٩٤٧ تنفيذ خطة خمسية (١٩٤٧ - ١٩٥١) . فقد نهضت يوغوسلافيا من ثم على الفور بخطة طويلة الاجل معدة لانهاض المناطق المتخلفة : الجبل الاسود ، بوسنيا ، مقدونيا ، بغية الحد من التفاوت الاقتصادي بينها وبين الجمهوريات الاخرى . وكان المقصود تحقيق تنمية سريعة للطاقة الصناعية التي يجب ان تبلغ خمسة اضعافها بمعدل زيادة سنوية خيالية يجب ان يبلغ ٣٧ ٪ ، خصوصاً في انتاج المناجم وانتاج الطاقة الكهربائية والصناعة الثقيلة .

يجب ان تكون الاعتمادات الملحوظة مرتفعة جداً : في السنة ١٩٥١ بلغت ٢٧,١٥ ٪ من الدخل القومي السنوي . ويجب ان يتضاعف عدد العمال الصناعيين ويصبح ٧٥٠,٠٠٠ . اما نجاح هذه الخطة التي استلزمت اموالاً طائلة بسبب كلفة تجهيز المناطق المتخلفة ، فكان رهين استيراد بعض المصنوعات الجاهزة وبعض الخامات : آلات وتجهيزات مختلفة للصناعة ، تجهيزات كهربائية ، فحم حجري ، بترول ، منسوجات ، مطاط ... واقتصرت الصادرات على المعادن والمنتجات الزراعية .

الا ان الخطة اليوغوسلافية كانت اقل الخطط نجاحاً في الديمقراطيات الشعبية . فان معدل الزيادة المقرر لم يتحقق في يوم من الايام : في الحقل الزراعي انتهت الخطة الى فشل ذريع ، وفي الصناعة لم تبلغ سوى ٥٠ ٪ من اهدافها فقط .

اما اسباب هذا الفشل فعديدة : الحاجة الى اصحاب الكفاءات لادارة كافة المشاريع المؤممة ، الحاجة الى اليد العاملة الاختصاصية في الصناعة ، بطء انتشار التعاونيات : ١٣٠٠ في السنة ١٩٤٨ تعمل في ٨ و ٣ ٪ فقط من المساحة الزراعية ، استياء الملاحين الماجزين عن الحصول على المصنوعات التي يحتاجون اليها . ويجب القول بصورة خاصة ان المصانع الكبرى ، ومحطات انتاج الطاقة الكهربائية التي انجزت ، وطرق المواصلات التي حسنت شبكتها ، لم تستخدم استخداماً يتناسب وطاقاتها الانتاجية ، لان الخامات الضرورية لاستخدامها قد انتجت او استوردت بكميات ضئيلة بسبب قلة التصدير .

وهكذا كانت الخطة في طريقها الى الفشل حين حدثت القطيعة
عزلة يوغوسلافيا
بين يوغوسلافيا وبين الاتحاد السوفياتي والديمقراطيات الشعبية
الاخرى ، وحين اقصيت يوغوسلافيا عن الكومنفرم . اما الحجب التي استند اليها لتبرير هذا القرار فكانت الاتجاه القومي العام ، والموقف المعادي للسوفييات ، والتنظيم البيروقراطي

للحزب الشيوعي اليوغوسلافي الذي لا يقوم سوى بدور ثانوي الى جانب الجبهة الشعبية المؤلفة من عناصر غير متجانسة ، وخصوصاً السياسة الاقتصادية غير المعتدلة التي تسرعت في تأميم الصناعة والتجارة المتوسطتين وتصفية العناصر الرأسمالية في طبقة الفلاحين ، فعرضت النجاح للخطر وشقت « الجبهة الاشتراكية الموحدة ضد التوسعية » . وعقب قطع العلاقات الاقتصادية القطيعة السياسية ، واستتبع تغييرات عميقة في تطور الخطة الخمسية المتردة منذ قبل القطيعة . لقد عوقبت يوغوسلافيا بسبب عدم انقيادها الذي عزلها في « الشرق » ، فقطع عنها البترول الالباني والروماني والآلات التشيكية ، وفي السنة ١٩٤٩ هبطت مبادلاتها مع الاتحاد السوفياتي الى ثمنها في السنة السابقة . وكانت يوغوسلافيا مصممة على متابعة تنفيذ خططها ، فطلبت حكومتها من الدول الغربية المعدات التي تحتاج اليها . ولكن تجارتها الخارجية شلت شللاً تاماً بسبب هبوط صادراتها التي كان تصريفها في الغرب اصعب منه في الشرق ، وتوقف استيراداتها من الفحم الحجري والاسمدة والبترول والحديد المصبوب ومعدات التجهيز . أضف الى ذلك من جهة ثانية ان البلاد اخذت تنتج المزيد من الاسلحة (ابتلعت ميزانية الحرب ٢٠٪ من الدخل القومي) ، وقد قال « ف. برتو » عن الخطة اليوغوسلافية : « خطة لا يمكن ، في احسن الاحوال ، الا ان تكون فشلاً محدوداً » ، انتهت الى فشل ذريع . الا ان التأميمات تواصلت بين السنة ١٩٤٨ والسنة ١٩٥٠ ، بموجب قانون اقر في السنة ١٩٤٨ ، واسرع في وضع وسائل الانتاج والمقايضة في خدمة الجماعة ، فارتفع عدد التعاوانيات من ١٣٠٠ في السنة ١٩٤٨ الى ٧٢٦٢ في السنة ١٩٥١ استثمرت ٢٥٪ من الاراضي الزراعية .

ثم ان يوغوسلافيا التي تقربت من جيرانها الجنوبيين وعقدت معاهدات دفاع متبادل مع اليونان وتركيا قد عدلت سياستها . فتوقفت عن تقديم المساعدة لمصبات « ماركوس » وهالاس التي لم تلبث ان هزمت هزيمة منكرة امام الجيوش الملكية اليونانية ، وتقربت من الدول الغربية ، التي فتحت لها اعتمادات انقاذ ووسعت علائقها التجارية معها . وفي خريف السنة ١٩٥٠ ، اخذت يوغوسلافيا ، بفضل الاعتمادات الغربية ، تحوّل تجارتها الخارجية . ففي السنة ١٩٥١ ، اشترت الولايات المتحدة وكندا ١٥٪ من صادراتها مقابل ٢٪ في السنة ١٩٤٦ ، وباعت منها ٣٩٪ من وارداتها مقابل ٣٪ فقط قبل خمس سنوات خلت . الا ان الصعوبات الاقتصادية ما زالت على جانب كبير من الخطورة ، فاعادت الحكومة النظر في سياستها الزراعية ، وغضت الطرف عن ارتفاع الاسعار ، بينما ابقت الاجور على حالها تقريباً ، ولكن الانتاج لم يسجل ارتفاعاً يذكر بالنسبة لمستواه قبل الحرب الا في الصناعة الثقيلة . وبعد سنوات التكيف العسير بين السنة ١٩٥٠ والسنة ١٩٥٢ ، لم يبلغ مستوى انتاج السنة ١٩٤٩ الا في السنة ١٩٥٤ ولم يجاوز الا في السنة ١٩٥٥ .

الطريقة اليوغوسلافية
ابتداء من السنة ١٩٥٠ ، اخذ يبرز الى الوجود تنظيم سياسي مميز ،
شيوعي وماركسي في جوهره ، مختلف عن النظام السوفيياتي . فان
الحاجة الى تغيير نظام اقتصادي مشوش والنزاع المتأدي مع الاتحاد السوفيياتي قد دفعا بالحزب
الشيوعي اليوغوسلافي ، خلال فترة الانتقال ، الى ايجاد طريقة جديدة لتطبيق الماركسية
تختلف اختلافاً كبيراً عن طريقة حلفائه السابقين .

كان الهدف من هذه الطريقة ازالة رأسمالية الدولة والبيروقراطية التي ترافقها ، واشراك
الجمهور اشراكاً دائماً في « بناء الاشتراكية » ، ونقل مهام الدولة - في بلاد غير متجانسة آخذة
في تكوين وحدتها - الى اجهزة مستقلة استقلالاً ذاتياً . فلم تحتفظ الدولة الا بالشؤون الخارجية ،
والجيش وامن الدولة . وانتقل كل ما تبقى من الادارة الى اجهزة منتخبة في كل جمهورية
اتحادية ، والى لجان شعبية في التقسيمات الادارية الصغرى تتخذ القرارات وتراقب الادارة بحصر
المعنى . وانما تستلثب السلطة المركزية شرعية اعمال هذه الاجهزة واللجان ، دونما اهتمام للملاءمتها
ودون ان تكون موافقتها المسبقة ضرورية .

وتقرر الشيء نفسه في الحقل الاقتصادي : اسندت ادارة المشاريع الى مجالس عمالية ينتخبها
المستخدمون وتعين لجنة ادارة . وقد ألقت مشاريع عديدة « تجمعاً اقتصادياً اعلى » تختار
ادارته ، التي تعينها الدولة ، مدراء كل مشروع . ويهتم المجلس العمالي ، لجنة الادارة بحماية العمل
وقطبتي الخطة ، وميزان الدخل ، والتدابير الآتية الى تحسين الانتاج . وهي « لجنة الاقتصاد
الوطني » ، التي تألفت بموجب دستور السنة ١٩٥٣ ، ما تضع « الخطط العامة » التي ترسم
الخطوط الكبرى التي تضع لجان الادارة والتجمع ، بحرية ، خطط وحداتها بالاستناد اليها .
وتوزع ارباح المشروع الصافية (اي الدخل غير الصافي بعد ان تحسم منه الضريبة والأجور
والأموال المستهلكة والفوائد) بين الدائرة الصغرى (الضريبة العقارية) والجمهورية والاتحاد
(الضريبة على الارباح) و« صندوق العمل » الذي يمنح العمال علاوة على أجورهم . فليس
استقلال المشاريع من ثم مقيداً إلا بالرقابة على شرعية اعمالها والرقابة الجبائية ورقابة المصرف
الدائن . ولا تشترك الدولة لا في تحديد الأجور ولا في مراقبة تنفيذ الخطة .

يتضح من ثم ان دستور السنة ١٩٥٣ المعدل قد حدد ، ما امكن الحد ، من تدخل السلطة
المركزية باقراره « حكماً ذاتياً » ادارياً حقيقياً على مستوى الدائرة الصغرى والقضاء والجمهورية
المتحدة التي يدير مصالحها الجماعية الشعب نفسه ، وحكماً ذاتياً اجتماعياً اذا ان المنتجين يديرون
مشاريعهم . وقد ادخل على دستور السنة ١٩٤٦ تعديل واحد هام : ضم مجلس القوميات الى
المجلس الشعبي واحلته محله جمعية المنتخبين التي تنتخبها الفئتان الكبريان : العمال والفلاحون ،
بنسب غير متساوية على كل حال (ممثل لكل ٣٠.٠٠٠ عامل ، وممثل لكل ١٥٠.٠٠٠ فلاح) .
وهناك ، تحت هذه المجالس ، بضع مئات من اللجان الشعبية في الاقضية والمدن ، التي تنتخب
بالتصويت العام ، وبضعة الوف من المجالس التي ينتخبها عمال المشاريع الصناعية والتجارية ، وعمال
التعاونيات الزراعية ، وتؤلف كلها شبكة ادارية لامركزية واسعة تضمن البروليتاريا لها فيها مركزاً

مسيطرًا . ونص دستور السنة ١٩٦٣ على ان واحداً - باستثناء المارشال تيتو - لا يمكن إعادة انتخابه مرتين متواليتين للمركز الواحد ، مما يفرض حركة دورية سريعة في كافة أجهزة الدولة .

تحول الحزب الشيوعي في السنة ١٩٥٢ الى « عصابة الشيوعيين » ، والجمهورية الشعبية الى « التحالف الاشتراكي للشعب العامل » ؛ فاصبحت مهمة الحزب منذئذ لا التدخل في تفاصيل النشاط السياسي والاقتصادي (الذي انيط بالتحالف) بل اعطاء التوجيهات وتسيير هذا النشاط بتثقيف الجماهير الشعبية .

ان تأخر النمو الاقتصادي الذي لوحظ منذ السنة ١٩٦١
الازمة الاقتصادية الراهنة
قد افسح المجال لتحسن ملموس في اواخر السنة ١٩٦٢ وفي السنة ١٩٦٣ (ارتفع معدل النمو العام من ٥ بالمائة الى ١٢ بالمائة تقريباً) . ولذلك فقد بوشر تنفيذ الخطة السبعية الجديدة (١٩٦٤) في جو من التفاؤل ايدته زيادة الانتاج الصناعي وازدهار المشاريع ، ولكنها لم تلبث ان تعرضت لخطر تضخم مالي سريع الخطى وارتفاع مفرط في الاسعار . ويقسر هذا الوضع فقدان التوازن بين الصادرات والواردات ، وتزايد الاموال الموظفة بسرعة وعلى غير انتظام ، وتزايد الاستهلاك الداخلي بفعل ارتفاع الاجور والرواتب والشراء بالدين . الا ان الافتقار الى النقود النادرة اللازمة لتأمين الاستيرادات الضرورية من الحامات والمصنوعات قد ارغم الحكومة على تجميد الاسعار في شهر آذار ١٩٦٥ وتخفيض قيمة الدينار في شهر تموز . اي على انتهاج سياسة تقشفية تهدف الى اكراه المشاريع على إعادة تنظيمها وزيادة انتاجيتها والاستغناء عن الاعانات المالية التي تدفعها الدولة (باستثناء المناطق الفقيرة كمقدونيا والجبل الأسود) بغية جعل الانتاج قادراً على مزاحمة غيره في الأسواق الدولية . فلم تستلزم الازمة من ثم تدخل الدولة بشدة مرة اخرى ، وانما اتجه الاصلاح الى تطبيق قوانين اقتصاد الاسواق تطبيقاً فعالاً .

في الحقل الزراعي شمل قطاع الملكية الاجتماعية ١٨٠.٠٠٠ هكتار ، اي ١١,٤ بالمائة فقط من المجموع . وقد تألف من مزارع وطنية في الاستثمارات الكبرى التي صودرت ، ومزارع عمل (موازية للمزارع التعاونية السوفياتية) ، وتعاونيات زراعية من الطراز العام ، هبط عددها من ٧٢٦٢ في السنة ١٩٥٠ الى ١٢٠٠ في السنة ١٩٥٤ ، ثم عاد فارتفع الى ٢٢٠٠ وحدة في السنة ١٩٦٣ ضمت ١٣٠٠.٠٠٠ عضو . اما القطاع الخاص ، فقد تألف من استثمارات صغرى - حددت الاملاك الفردية بـ ١٠ هكتارات بغية الحؤول دون ظهور الكولاك مرة اخرى - يبلغ معدل مساحتها ٤,٢ هكتارات في الوحدة ، ولم يتجاوز اكثر من ثلثها الهكتارين وجلي انه نظام لا يساعد على تحقيق الاصلاح العمري ، وقد زاد من سوءة اكتظاظ الارياض بالسكان الذي استتبع بطالة ريفية حقيقية متفاوتة الظهور احياناً ، بالرغم من هجرة ريفية هامة . فنجم عن ذلك انتاجية متدنية واستهلاك ذاتي مرتفع (٣/١ الانتاج الزراعي) ، وهكذا كانت

معظم الاراضي خاضعاً لنظام زراعي قديم جداً في بلاد تشكو من المعجز في منتجات اساسية كثيرة .

هنالك من ثم ، والحق يقال ، « طريق يوغوسلافية » نحو الشيوعية هي نظام تسوية بين التخطيط المركزي والمفصل الشبيه بالمثل السوفياتي ، وبين اللامركزية الفعلية المتحققة بالادارة الصناعية الذاتية و « المزاحمة الاشتراكية » مع توزيع الارباح والابقاء على الدخل العقاري .
انه لعمري « نظام شيوعي حر » مميز ، اعاد منذ وفاة ستالين العلائق التجارية بالديموقراطيات الشعبية ، شريكاته الطبيعية في التجارة . فيوغسلافيا دولة شيوعية تخلت عن مبادئ الاقتصاد والديموقراطية الحرة ، ولكنها ترفض الانضمام مرة اخرى الى الكتلة التي يؤلف الاتحاد السوفياتي عنصرها الموجه ، وتنتهج سياسة « حيادية » تتمتع بنفوذ حقيقي في دول آسيا وافريقيا الحديثة الاستقلال ، وقد تكون - بحسب الظروف - موافقة للكتلة الشرقية حيناً والكتلة الغربية حيناً آخر .

الفصل الرابع

الصين تسمى شيوعية

انتقلت الصين الى المعسكر الشيوعي في السنة ١٩٤٩ ، ولكن انقلاب التوازن بين الكومنتانغ والحزب الشيوعي الصيني ، الذي سوف يؤمن نصر هذا الاخير ، قد حدث اثناء الحرب بالذات .

الحرب الاهلية في السنة ١٩٢٥ ، كانت الصين غارقة في فوضى هائلة شبهها بعضهم بالفوضى التي عرفتتها فرنسا في ايام الشركات الكبرى . فقد كانت البلاد فريسة الدتوكيون ، اسيااد الحرب ، الذين تصرفوا في كل ولاية تصرف الملوك المستقلين ، وحاول كل منهم تعزيز جيشه وموارده ، وحالف جيرانه تارة وخاصمهم تارة اخرى ؛ وكانوا كلهم على علاقة بالحكومات الاجنبية التي منحوها شتى الامتيازات ، واحتفظوا لأنفسهم بحصيلة الضرائب في ولايتهم ، وأودعوا ارباحهم بعض المصارف الاجنبية احتياطاً لادبار الزمان بهم ؛ فكانت حكومة بكين وحكومة كانتون ، والحالة هذه ، مفتقرتين الى القوة والموارد .

كانت نتيجة ذلك عدم امن وبؤس شاملين - الا في الامتيازات الاجنبية ، ملاجئ الطمانينة الاخيرة - أدت الى نقص عام في نسبة الولادات وزيادة هائلة في نسبة الوفيات بين الاطفال . فانتقلت القرى الى المواقع الدفاعية ، وتوقفت اعمال صيانة سدود ديانغ - تسي ، ودهان ، والقناة الامبراطورية ودهوانغ - هو ، فانهارت السدود وغمرت بالمياه مساحات كبرى من الاراضي الزراعية . وجاءت البلبلة التي احدثتها الحرب الاهلية تضيق نتائجها الى نتائج علتين تقليديتين هما بؤس البلاد واكتظاظها بالأهالي : تقسيم الارض المفرط ، ازدياد وطأة الدخل المدفوع لكبار الملاكين ، استحالة استخدام كل هذه اليد العاملة في صناعات المدن . فنزح العديد من الفلاحين الى منشوريا . وأمسيت الهجرة نهائية بعد ان كانت موسمية . وكان عدد المهاجرين ٤٠٠ ٠٠٠ في السنة قبل السنة ١٩٢٦ ، فبلغ المليون في السنة ١٩٢٧ ، و ٥٤٦ ٠٠٠ في السنة ١٩٢٨ ... وقد ذهب سوادهم سيراً على الاقدام ناقلين ما يملكونه على العربات ، فكان نزوحهم مسيرة مجاعة يموت فيها الكثيرون على قارعة الطريق . فكان ان

عدد سكان منشوريا قد ارتفع ، بين السنة ١٩٢٢ والسنة ١٩٣٠ ، من ٢٢ مليون نسمة الى ٣٠ مليوناً . وطلب غيرهم العمل في مفارس ماليزيا واستثماراتها المنجمية . وقد بلغ عدد المهاجرين ٣ ملايين بين السنة ١٩١١ والسنة ١٩٢٧ ، استقر نصفهم في ماليزيا .

الصين الجديدة
العمال
الا ان الصين الاقطاعية القديمة ، صين اسيااد الحرب ، مع جماهيرها القروية الخاضعة لسيطرة الملاكين العقاريين ، كانت آخذة في التحول . فان صناعات جديدة قد نمت في ظل الحرب ، كالصناعة الثقيلة ، واستفادت الصناعات القديمة (قطنيات ، مطاحن ، تبغ ، اسمنت) من قدي اجور اليد العاملة . وتأسست مدن جديدة . وغدت هانكيو وشنغاي ونيانغسين مراكز صناعية كبرى ، وضمت طبقة عمالية متجانسة ، قد تبلغ المليون شخص ، عاشت فيها حياة مختلفة عن حياة الفلاحين ، ولكنها حافظت على علائق وثيقة بطبقة الفلاحين . وكانت الاجور متدنية ويوم العمل طويلاً (١٢ - ١٥ ساعة) ، وعدد النساء والاولاد المستخدمين مرتفعاً ، ووضعهم شبيهاً بوضع البروليتاريا البريطانية والفرنسية في الربع الثاني من القرن التاسع عشر ، وقد ساعد على قيام منظمات عمالية ، قامت باضرابات متتالية ومتكاثرة ، وبلغ عدد المسجل منها رسمياً في شنغاي ٤٧ منظمة .

البورجوازية الوطنية
غالباً ما حظيت هذه الاضرابات بمساعدة ومساندة البورجوازية الوطنية - التجار وصغار الصناعيين - التي كانت هي ايضاً ضحية امتيازات الاجانب . فان رؤوس الاموال التي جمعها التجار بوفرة في المرافىء ودخول الملاكين العقاريين قد ساعدت نمو صناعات ومصارف صينية بحصر المعنى . ومنذ السنة ١٩١٩ ، تجاوز عدد صناعير الحياكة القطنية في المصانع الصينية عدد الصناعير نفسها في المصانع الاجنبية . اجل لقد بقي الاميركيون والاوروبيون واليابانيون اسيااد الصناعة الثقيلة ، ولكن رؤوس الاموال الصينية قد حققت السيطرة في الصناعات الخفيفة . وكانت هذه الرأسمالية الوطنية بحاجة الى النظام وتوحيد البلاد والى اصلاح اداري وقضائي على الطريقة الغربية ، واستلزمت وضع حد للامتيازات التي يفيد منها الاجانب بالاستناد الى معاهدات غير متكافئة ، ولذلك فهي قد اسهمت في حركة الاستقلال الوطني الموجهة ضد الـ « توكيون » والتجار الاجانب . واستخدمت الموجة الوطنية التي حركت الفلاحين والعمال ، متقربة في الوقت نفسه من الملاكين العقاريين ، وحتى من الاوروبيين والاميركيين حين تنطوي الموجة القروية او العمالية على خطر محقق (في كانتون في السنة ١٩٢٤ ، وفي شنغاي في السنة ١٩٢٧) .

الثورة الثقافية
يتميز المثقفون القوة المحركة لتطور الصين . فقد نمت بينهم ، كما نمت بين العملة ، وطنية صينية حية كانوا هم دعائها النشاط . لقد ولد تعليم ديموقراطي على كافة المستويات : تعددت الجامعات ، وازال اصلاح اللغة والكتابة المراقيل

التي كانت تعترض تثقيف الجماهير الشعبية . هذا هو « اصلاح اللغة العامية » ، « الـ باي - هوا » وقد اصبح الزامياً في السنة ١٩٢٠ - الذي اعرض عن اللغة الادبية الكلاسيكية واعتمد اللغة اليومية ، المستعملة منذ قبل ذلك في ادب المهازل والروايات المؤلف ، بعد ان اعطاها شكلاً كتابياً . وفي الوقت نفسه ، اتاحت « طريق الالف حرف » ، المبنية على استخدام اكثر الحروف استعمالاً ، التغلب على اهم الصعوبات التي انطوت عليها الكتابة الصينية وتعليم القراءة بسرعة . ثم جاء النجاح كاملاً حين نشر كتاب « هو - شو » ، « موجز في تاريخ الفلسفة الصينية » ، الذي اثبت امكانية استعمال الاسلوب الجديد في المناقشات المجردة .

مهدت هذه الاصلاحات السبيل لثورة ثقافية كانت بمثابة نهضة حقيقية . فقد نشرت ترجمات عديدة مؤلفات الغرب الكبرى ومكتشفاته العلمية ، وهاجمت روايات واقعية ومؤلفات انتقادية النظام السياسي والاجتماعي السابق . كما هاجمت تنظيم العائلة البطريركية ، والمعتقدات الدينية ، ولا سيما الكونفوشيوسية « غير الصالحة للحياة العصرية » و « المنافية للجمهورية » ، والمسيحية .

ان الحركة الوطنية التي ارادت استقلال البلاد ووحدةها وتجديدها
الحركة الوطنية
العصري قد ضمت في عمل مشترك العناصر الناشطة في المجتمع الجديد :
البورجوازية الرأسمالية ، البروليتاريا العمالية ، المثقفين . هذه هي « حركة الرابع من نوار » (١٩١٩) - يوم اعتراض الطلاب من معاهدات الصلح - التي كانت اعلاناً لثورة الوطنية . وكان تأثير الثورة الروسية عظيماً جداً على كل حال ، بالمثل الذي اعطته ، وبتعليمها ان على الصين ، اذا ارادت التقدم ، القضاء على الرأسمالية الاجنبية ، وبالمساعدة الفعالة المباشرة التي قدمتها . وبالرغم من انه لم يتعصب للشيوعية ، فان سن - يات - شن ، الذي اعاد تنظيم الكومنتانغ ، قد اوفد تشانغ - كاي - شك الى موسكو للاشتراك في دورة تدريبية ، وتعاون مع الحزب الشيوعي الصيني . ووقع على اتفاقات تتخلى روسيا بموجبها عن المعاهدات غير المتساوية وترسل الى الصين مدربين عسكريين ومنظمين سياسيين . وانما نجاح الكومنتانغ في استعادة الصين الشمالية وهزم اسباب الحرب بواسطة الجيش الذي دربه وتولى قيادته الضباط الذين اعدوهم .

وقفت الحركة الوطنية الصينية بحزم في وجه الدول الاوروبية التي اثبتت ، في السنة ١٩١٩ في فرساي ، وفي ١٩٢٠ - ١٩٢١ في واشنطن ، انها لا تريد لا مساعدة الصينيين على بناء صين مستقلة سياسياً واقتصادياً ، ولا التخلي عن امتيازات المعاهدات غير المتساوية . وحين تعددت الاحداث الدامية في مراكز الامتيازات ، رد الصينيون بمقاطعة التجارة البريطانية . فاضطر المرسلون والتجار الانكليز - وقد كانوا اكثر الاجانب تعرضاً للخطر لأن مصالح انكلترا الاقتصادية والسياسية في الصين كانت اعظم شأنًا من مصالح سواها - الى الجلاء عن الداخل نحو المرافئ .



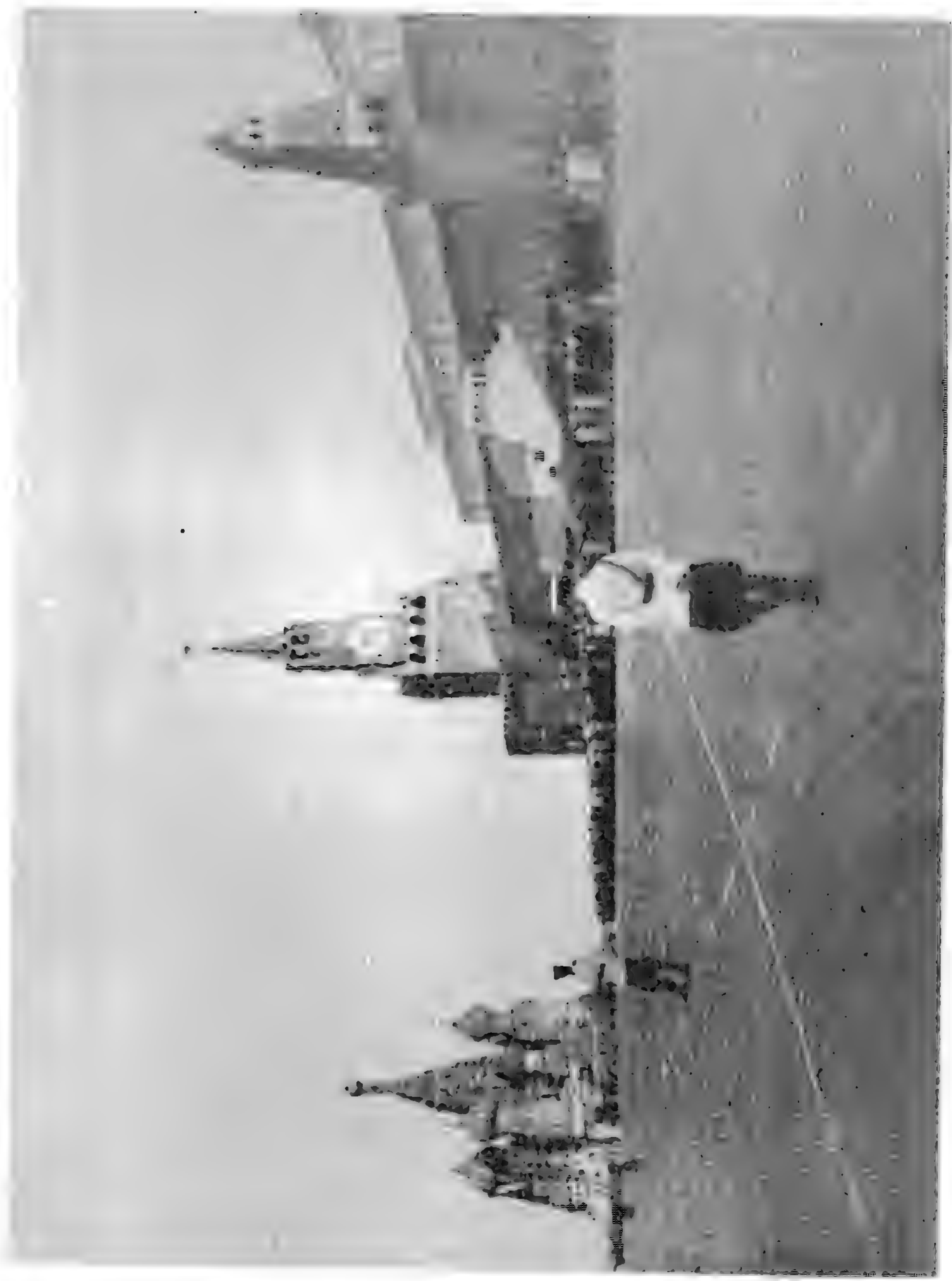






٢٠ - شبكة طرقات عمرية في لوس انجلوس : هاربر فريراي :

٢١ - الساحه عمراء في موسكو ١٩٥١ . في نوبت صيريج لينين .







٢٢ - مجاعة ١٩٥٣ في الهند .



٢١ - المهاتما غاندي يحيط به تلاميذه .

٢٥ - ماونزو - لوي خطب في جيون



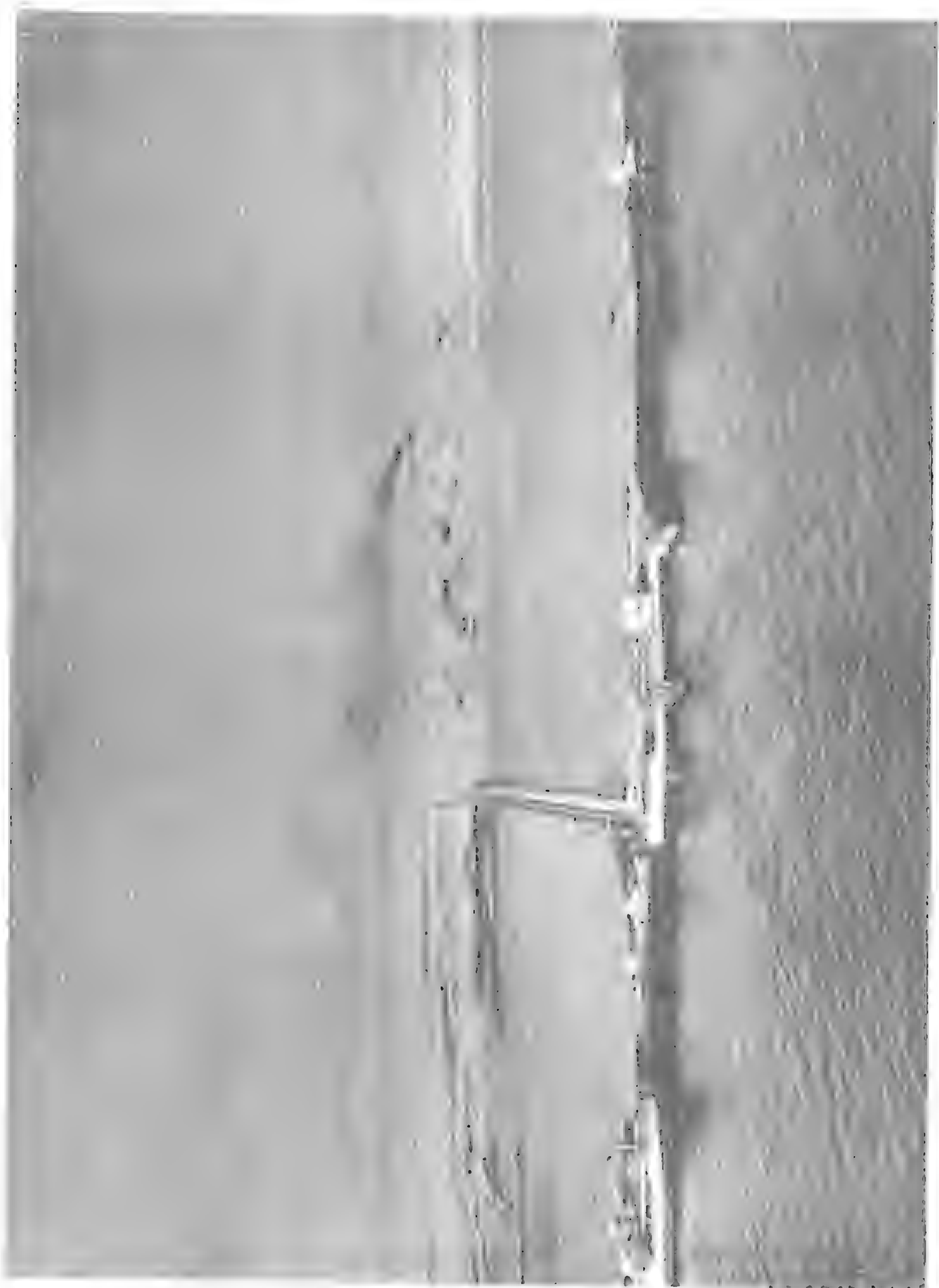


٢٦ - شغاي - ممرسة في الهراء . اطلق . الحباب والشبية .





٢٨ - عيد الحصاد في مزرعة جماعية .





٣٠ - رباط : المدينة الاوروبية والمدينة البلدية .



۳۱ - ارلکین و کولومین ، بریشتة پابلو پیکاسو . متحف لینینفراد .



ارتبطت الحركة المعادية للمسيحية ارتباطاً وثيقاً بهذه الحركة الوطنية . فبينما كانت هذه الحركة من قبل وقفاً على القوى المحافظة التقليدية ، قادتها آنذاك العناصر الثورية والوطنية ، أي الطلاب والعمال . لقد فُرق حتى ذاك التاريخ بين المسيحية كدين وبين المرسلين حملة « الغزو الثقافي » . وان عمل المرسلين ، الذي غالباً ما ارتبط في الماضي بالتدخلات المسلحة الأجنبية ، قد اعتبر منذئذ لا ك « طليعة التوسعية » ، فحسب ، بل كدعوة لأفكار باطلة مناهضة للتقدم أيضاً . وطولب بارجاع « حق التعليم » الذي يجب ان يعاد للصينيين . فوضعت الحكومة في السنة ١٩٢٦ ، رغبة منها في تحقيق هذه الامنية ، مدارس المرسلين تحت إشراف حكومي ، وقررت الا يكون المديرون اجانب بعد اليوم وان يكون التعليم الديني اختيارياً . وفي اثناء المظاهرات خربت املاك الارشاليات واعتدي على المرسلين بالجرح والقتل ، فاضطر عدة آلاف منهم الى الجلاء عن داخل البلاد ؛ فكان الرد على هذه الاصطدامات « سياسة السفن الحربية » التي اطلقت نيران مدافعها على مدن الساحل انتقاماً . وقد صادفت الحركة في الزمن فترة التحالف بين الكومنتانغ والحزب الشيوعي ؛ الا ان عنفها قد تضاعف حين اتجه تشانغ التجاهاً يمينياً وانفصل عن العناصر العمالية والشيوعية .

بعد وفاة سن - يات - سن ، في السنة ١٩٢٥ ، انتهت حكومة اصلاحات الكومنتانغ ، التي استعادت سيطرتها على كافة اجزاء الصين تقريباً ، الى مناوذة الحزب الشيوعي الذي كان يطالب باصلاح زراعي عميق والذي اقضت نجاحاته مضاجع جامعي الثروات من التجار . وكان ان جناح الكومنتانغ الايمن الذي كان لصهرى تشانغ ، « ت . ف . سونغ » و « ه . كونغ » ، تأثير كبير عليه ، والذي حظي بتأييد الجيش الظافر ، قد تقرب من الاجانب في شنغاي . فحرّم الحزب الشيوعي وقتل اعضاءه المقبوض عليهم بعشرات الالوف ، ولذا المستشارون الروس بالفرار . واستولى تشانغ على هان - يانغ و هانكيو ؛ فبدأ الحزب الشيوعي وكأنه قضي عليه قضاء تاماً .

اعترفت الدول الكبرى بلشانغ وساندته انكلترا والولايات المتحدة ، فتولى القيام بعمل عظيم تناول التصنيع وتجديد الاقتصاد والادارة بحسب مقتضيات العصر : احداث الطرق والسكك الحديدية ، تنمية الصناعات ؛ ولكنه لم يحاول اي اصلاح اجتماعي . واهلن ابطال المعاهدات القديمة عند انتهاء مدة العمل بها . فتخلت بلجيكا وايطاليا والدانمارك والبرتغال واسبانيا عن امتيازاتها كما تخلت عنها مهزومو السنة ١٩١٨ بين ١٩٢١ و ١٩٢٥ . واسترد استقلاله الجمركي والرقابة على مصلحة الجمارك البحرية والضريبة على الملح . وفي السنة ١٩٣٠ تخلت انكلترا عن اقليم واي - هاي - واي . الا ان محاولة إعادة التنظيم هذه قد اعاقها التدخل الياباني من اجل احتلال الصين قطعة وراء قطعة .

١ - مصير الكومنتانغ

حكومة تشانغ كاي - شك
منذ السنة ١٩٣٧

الا ان وحدة المقاومة الصينية ضد الياباني قد تحققت مرة اخرى في السنة ١٩٣٦ . فان الشيوعيين - بالرغم من الحرب التي مشنها حكم الكومنتانغ عليهم طيلة اكثر من عشر سنوات - قد وقفوا الى جانب تشانغ كاي - شك حين توقيفه في « سيان » لانهم اعتبروه خير من يتولى مقاومة الغازي . ووافق تشانغ على الجبهة الموحدة التي عرضوها عليه ، واخذ على نفسه اعادة تنظيم الجيش الذي سوف تنضم اليه القوات الشيوعية ، والوقوف بعزم في وجهه اليابان . فاعتمد الجيش فن الحرب الشيوعي : التخلي عن بعض الاراضي بغية كسب الوقت . واستمر الصراع بالرغم من استسلام مونيخ الذي قضى على الامل بتدخل اوروبا ، وبالرغم من الهزائم . فانتقلت الحكومة الى تشونغ - كنج بعد انتقالها الى هانكيو . يضاف الى ذلك من جهة ثانية ان اليابان ، التي استمالت اليها رجال الاعمال وعدداً كبيراً من الوطنيين المعادين للبيض في الدرجة الاولى ، والتي الفت حكومة صينية صديقة في نانكين ، قد اعتبرت ، بين السنة ١٩٤١ والسنة ١٩٤٣ ، ان الولايات المتحدة هي عدوها الاول . واكتفت بالنقاط التي احتلتها ، ولم تقم ، ضد مقاومة بدت لها غير منظمة ، سوى بعمليات معدة لإشاعة الذعر : قصف جوي ، وغارات سريعة على ارض العدو تستهدف القتل والنهب .

ربما اسهم نخود الحرب اليابانية هذا في التبدل الذي طرأ على سياسة حكومة الكومنتانغ . فان هذه الحكومة التي اثبتت بين السنة ١٩٢٧ والسنة ١٩٣٧ « انها خير حكومة عصرية ونافاذة عرفتها الصين » قد ارتدت طابعاً آخر . لقد كانت في نانكين تحت تأثير التجار ورجال الاعمال في المرافىء ، المرتبطين ارتباطاً وثيقاً بكبار الملاكين العقاريين . فحافظت من ثم على النظام الاجتماعي القديم في الارياف دون ادخال اي تغيير عليه ، ولكنها حققت بعض الاصلاحات : نشر قانون جزائي ومدني جديد ، توحيد النقد ، اعادة تنظيم اعمال المصارف . وقد بذل مجهود كبير لاقامة حكومة عصرية موحدة . اجل لقد تحقق التجديد العصري لمصلحة الطبقة الوطنية العليا ، وانما اصبح هناك تجديد عصري . اما في تشونغ - كنج ، اي في قلب احدى اكثر الولايات تخلفاً في البلاد ، فكان الجو مختلفاً . فان الحكومة هنا كانت بعيدة عن العناصر القوية التي من شأنها الضغط عليها : الجماهير الشعبية والطلاب . فليست السيطرة لنفوذ صيافة شنغاي بعد اليوم ، بل للملاك العقاري المحافظ الذي يفسر شعار الحرب مقاومة واعادة بناء ، بأنه مقاومة للاصلاحات الاجتماعية وتدعيم لمركزه ، (فيربانك) . اما عناصر الاصلاح فقد شلت نشاطاتها ، ولا سيما ان اكثرها نشاطاً كان على خط القتال . واقامى الاحرار والشيوعيون عن الادارة ، وعطلت صحف المعارضة ، وراقبت قوى الامن عن كثب المثقفين والاحرار الذين هاجروا باعداد كبرى الى هونغ - كونغ وسنغافوره او التحقوا بالجاليات الصينية في جنوبي شرقي آسيا . وقطعت

العلائق مع الشيوعيين ، ولم يُطوَ ذكر نجاحاتهم في الحرب ضد اليابان فحسب ، بل نظم « حصار طبي » حول جيوشهم - الثامن والرابع - التي لم تستلم بعد ذلك معدات صحية ومواد صيدلية . وزال بصورة خاصة طابع القوة والعنف عن الحرب ضد اليابان . فلم يوضع اي مخطط لتعبئة طاقات البلاد ، ونقلت المصانع الى الداخل دون مخطط شامل ودون تنظيم عام ، ولم تفرض رقابة على القطع والمؤسسات المالية ، فلم يلبث التضخم المالي ان ظهر بمظهر الكارثة ، واطلق العنان للمضاربة في المواد النادرة غير المحددة .

ورافق الفساد التهاون والتقصير . وتسبب التبذير وسوء الادارة في موت ملايين البشر في الجيوش المفتقرة الى المؤن والملابس والعتاد ، وفي السكان المدنيين الذين فتكت مجاعات السنة ١٩٤٣ بثلاثة ملايين منهم في هونان وكوانتونغ وشي - كيانغ . وزادت في الطين بلة سرقة اموال الخزينة ، والمتاجرات التي استفاد منها القادة العسكريون والموظفون والوزراء - وفي طليعتهم صهر القائد العام بالذات ، ت . ف . سونغ ، وزير المالية ، ثم وزير الشؤون الخارجية ورئيس مجلس الوزراء . فابتيعت العقارات المبنية في القطاعات الممنوحة للاجانب ، والاراضي و « القيم المضمونة » كالمواد الصيدلانية ، والآلات ، والاقمشة ، ولم يبلغ الجيش شيء من « المصنوعات المرسله اليه (بموجب قانون « الاعارة والتأجير ») . فكل هذه المصنوعات بيعت في طريقها الى الجيش بواسطة الوزراء وحكام الولايات او حتى الضباط انفسهم . وقد ادانت الشهادات الاميركية والبريطانية نظام الحكم الذي شبهه الجنرال « ستيلول » بالنازية : « حكومة مماثلة .. واصوصية مماثلة .. » ومال قادة الجيش طبعاً الى الاحتفاظ بالاعتدة الحربية ... « يعدون بشن الهجوم ، تم يتراجعون ؛ .. يصدرون الاوامر ، ثم يوعزون الى المرؤوسين بعدم تنفيذها » . « يدفع قادة الجيش مرتبات الجيوش كما يطيب لهم الدفع .. ولا يُجند سوى المساكين المفتقرين الى المال او الى حماية النافذين » .

وفي الحقل العسكري شوهد الارتجال نفسه والفوضى نفسها . فالجيوش ضعيفة لأن الحكومة لا تريد تسليح الفلاحين خوفاً من الشيوعية ، والقيادات تسند الى العناصر المعروفة بميوها المحافظة ؛ وحدث ما هو ادهى من ذلك كله حين تجددت الحرب الاهلية في السنة ١٩٣٧ ؛ فنذ السنة ١٩٤١ استبقى تشانغ ، بغية محاربة الشيوعيين ، العتاد الحربي الحديث الذي شحنه اليه الحلفاء . وقام ما يشبه هدنة ضمنية مع اليابانيين وجرت اتصالات غير رسمية بين ممثلي تشانغ وممثلي وانغ تشنغ واي ، رئيس الحكومة الموالية لليابان في نانكين ، وتوقفت مخطتا الاذاعة عن التهاجم . ولم يواصل الحرب ضد اليابانيين ، بالاضافة الى الشيوعيين ، سوى الطيارين الاميركيين الذين ينطلقون من القواعد الصينية لالقاء القنابل على اليابان ، وهذا ما حمل اليابانيين في السنة ١٩٤٤ على شن هجوم ادى الى الاستيلاء على هذه المطارات ، وعلى التقدم في شي - كيانغ ، وهونان الغنية ، فلتشتت الجيوش مرة اخرى ، وكان الاندحار العسكري تاماً . « فلم يبق من الصين الحكومية ، في اوائل السنة ١٩٤٥ ، سوى دولة اقطاعية صفرى » .

وضع الحزب الشيوعي بين ١٩٢٨ و ١٩٣٥
 سحق الحزب الشيوعي بعد مجازر كانتون وشنغاي وهانكيو وحملات
 تشانغ في السنتين ١٩٢٧ و ١٩٢٨ ، فانصرف الى اعادة تنظيم صفوفه
 ببطء تحت اشراف ماو - تسي - تونغ و « شوت » في المساقل التي
 احتفظ فيها ببعض الجماعات المسلحة عند حدود هونان وكيانغ - سي والى الجنوب من هانكيو .
 وفي اواخر السنة ١٩٢٩ ضم حوالي ٦٢ ٠٠٠ جندي زود ٤٠ ٠٠٠ منهم بأسلحة نارية . فأقصى
 جبهة الضرائب وكبار الملاكين عن الاقاليم التي كان يحتلها الشيوعيون ووزعت الارض على
 الفلاحين . فوجه تشان كاي - شك ضد جيش الحزب الشيوعي سلسلة من « حملات الابداء »
 التي تخللتها الهزائم والانتصارات غير الحاسمة . اما الحملة السادسة التي ضمت ٤٠٠ ٠٠٠ جندي
 و ٤٠٠ طائرة ، والتي اعدتها بعثة الجنرال فالكنهوزن الالمانية ، فقد حققت في السنة ١٩٣٣
 النتائج الهامة الاولى : في تشرين الاول ١٩٣٤ قررت الجيوش الشيوعية الجلاء عن كيانغ - سي
 والانسحاب غرباً الى « سوتشوان » . فبدأت حينذاك « المسيرة الطويلة » ، التي تعتبر اغرب
 احداث هذه الحرب : طيلة سنة كاملة ، انسحب ١٣٠ ٠٠٠ رجل وامرأة وولد سيراً على
 الاقدام ، بمعدل ٤٠ كيلومترا في اليوم الواحد ، معرضين كل ساعة لغارات الطائرات ، مكثرين
 من المسيرات الليلية بغية النجاة من هذه الهجمات ، ومن المناورات الالهائية بغية التمكن من
 عبور الانهار ، تاركين وراءهم المعتاد والمرضى والجرحى وضحايا البرد والجوع ، مقاتلين في سبيل
 اجتياز الخطوط المحصنة ، قاطعين سلاسل جبال يبلغ ارتفاعها ٥٠٠٠ متر (تاهسويه سان) .
 وفي ٢٠ تشرين الاول ١٩٣٥ اخيراً ، استقر الناجون الـ ٢٠ ٠٠٠ في شمالي شنسي حيث كانوا في
 مأمن من حصار كمال بسبب وجود الصحراء من ورائهم ، وحيث توجب عليهم تجديد كل
 شيء (الشكل ٢٧) .

« الديمقراطية الجديدة » هنا ، في ينان ، وضع ماو تعاليم « ديمقراطية الصين الجديدة »
 التي نشرها في السنة ١٩٤٠ . وقد قسدت قوة العنصر القروي
 الصيني الى بناء الحركة الشيوعية على اساس قروي لا عمالي اسوة بالاحزاب الشيوعية الاوروبية .
 فسوف تكون المرحلة الاولى للثورة الشيوعية « الديمقراطية الجديدة » التي ستحول المجتمع
 القديم الاقطاعي الطابع ، بمساعدة الاتحاد السوفياتي ، الى مجتمع ديمقراطي مستقل . وسيحكم
 هذه الدولة تحالف عدة طبقات ثورية ، لأن البورجوازية الصينية ، على غرار البورجوازية
 الفرنسية في السنة ١٧٨٩ - كانت ثورية جزئياً . وخلال فترة الانتقال هذه ، ستخضع الصين
 لنظام لن يكون لا بورجوازيًا فحسب ، ولا بروتيتاريًا فحسب ، بل حكماً ديمقراطياً مركزياً
 مبنياً على انتخابات (يحق للجميع الاشتراك فيها) يختار بموجبها اعضاء سلسلة جمعيات شعبية
 ابتداء من جمعيات القرى حتى المؤتمر الوطني . وعملاً بمقررات الكومنترنغ المتخذة في
 السنة ١٩٢٤ ، يتوجب على الدولة ، منذ هذه المرحلة الاولى ، ان تضع
 يدها على النشاطات الاحتكارية : المصارف الكبرى ، الصناعات الهامة ، وسائل النقل . وبغية

ويتألف من جنود يساعدون الفلاحين الذين هم منهم ويعيشون فيما بينهم ، ويدفعون لهم ثمن ما يأخذونه منهم ، ولا يعتمدون على ممتلكاتهم ولا يعاملونهم بفظاظة . فكانت النتيجة ان الجماهير الشعبية قد تأثرت للمرة الاولى بالدعارة السياسية ، بعد ان كانت تقف في هذا الحقل موقفاً سلبيّاً تقليدياً .

وكانت النتيجة كذلك ان الوضع في الارياف اصبح اشد صعوبة على الفلاحين يوماً بعد يوم . ولم ينجم ذلك عن « ويلات الحرب » التي كلواهم اولى ضحاياها : عنف واستلاب ، وتدمير وتقتيل فحسب ، بل عن التضخم المالي المفرط الذي استتبع انهيار النقود . فكل من توفر له المال وبجث عن « قيم حقيقية » اخذ يشتري الاراضي ، حين اضطر الملاك الصغير المدين الى البيع ، وارتفع من ثم ثمن الارض ، فقفز معدل سعر ٧٥٠ آر في الموزات من ٤٥ دولاراً صينياً في السنة ١٩٣٧ الى ٢٥٠٠ في السنة ١٩٤١ ؛ وهكذا نشأت طبقة جديدة من كبار الملاكين العقاريين المضاربين الذين لا يكتفون حتى بزراعة الارض . وحذا حذوهم العديد من الاسياد الاقطاعيين ، بحيث تبسط النظام الاجتماعي في الارياف الصينية وبرز التضاد بين من يملكون الارض ومن يزرعونها دون ان يملكوها .

تخلت حكومة ينان مؤقتاً عن برنامج مصادرة الاراضي وعن الصراع الطبقي رغبة منها في ان تسهم الطبقات صاحبة الامتيازات في النضال الوطني . واكتفت بتخفيض قيمة ضمان الارض وفائدة الديون (١٠ ٪ كحد اقصى) ، وجعلت عقد الضمان إلزامياً ، وحددت الضريبة بحيث لا يتجاوز معدلها ١٥ ٪ من الربح . واستغنت عن المجالس بتنظيم انتخابات اكتفت فيها بثلاث المقاعد . وشجعت قيام التعاونيات التي يعمل فيها الجنود والفلاحون معاً ، رغبة منها في ان تسد كل منطقة حاجتها من المواد الغذائية ، ومن القطن اذا امكن ذلك . فقامت وحدة مطلقة بين الجيش والسكان الفلاحين . وأدى التعاون بين القرى المتجاورة في مقاومة غارات اليابانيين وفي الاعمال الزراعية الى تنمية روح التضامن وقولدهم قومي تعزز يوماً بعد يوم . فكانت سياسة الحكومة ، بصورة عامة ، سياسة حريصة على المصالح الشعبية ، وانسانية حق حيال الاسرى اليابانيين الذين يخلى سبيلهم او يهدبون تهذيباً جديداً على ايدي « عصابة تحرير الشعب الياباني » ، فاستهوت احراراً كثيرين من اعضاء الحزب الشيوعي الصيني . ولم يجتذب التنظيم الشيوعي بفعاليته ونزاهته ونشاطه في محاربة العدو الياباني طبقة الفلاحين فحسب ، بل الطلاب ايضاً الذين تدفقوا كالسيل على جامعة ينان المعادية لليابان وانضموا الى الحزب الشيوعي ، والاحرار الذين ارغمهم نظام تشونغ - كنج البولييسي على الفرار الى ما وراء البحار ايضاً . وقد ألف هؤلاء في هونغ - كونغ ، في السنة ١٩٤١ ، « اتحاد الاحزاب الديمقراطية » الذي سيصبح « عصابة الصين الديمقراطية » في السنة ١٩٤٥ والذي تقرب من الحزب الشيوعي الصيني .

يتضح مما تقدم التضاد الكبير بين هذه « الجمهورية السبارتية » التي تحارب اليابانيين بعزم وبين حكومة تشونغ - كنج المتميزة بضعفها وفسادها وجمودها .

الحرب الاهلية
ان النزاع بين الحكومتين ، الذي نشب قبل نهاية الحرب بزمان بعيد ،
قد شمل البلاد بأجمعها منذ توقيع الهدنة . وقد توخت كل منهما
احتلال ما امكن من الاراضي ومن النقاط الاستراتيجية . فتمكن
الشيوعيون ، بفضل سيطرتهم على الصين الشمالية ، احتلال أهم منطقة صناعية ، هي منشوريا
غير البعيدة عنهم ، في ربيع السنة ١٩٤٦ . وتلقت حكومة تشونغ - كنج المساعدة العسكرية
والاقتصادية من الاميركيين الذين نقلت طائراتهم واسطولهم ثلاثة جيوش وطنية الى الشمال
والشرق ، ومساعدة القادة والحكام والموظفين الذين كانوا قد تعاونوا مع اليابانيين وحاربوا
الشيوعيين تحت امرتهم . ولكن الجيوش الشيوعية التي لفتت الانظار بحسن قيادتها وتدريبها ،
وتسلحت بعتاد الجيش الياباني وعتاد الجيوش الوطنية الذي استولت عليه ، اصبحت الآن
قادرة على التخلي عن حرب العصابات والشروع بعمليات كبرى حتى ضد جيوش تفوقها عدداً
وتسلحاً .

سواء وضع تشانغ أكثر فأكثر . فقد رفض القيام بالاصلاحيات العميقة التي اشار عليه بها
الاميركيون ، وتأثر أكثر فأكثر بنفوذ العناصر الرجعية . ثم تكاثرت الاعمال المغايرة للقانون ،
وتعرض الاحرار لقمع بوليسي متزايد العنف . ولعل السياسة المنتهجة حيال الولايات المتحدة
كانت ، قبل تفاقم الحكم الدكتاتوري والفوضى الاقتصادية والبؤس الناجم عن التضخم المالي
- كان الدولار الاميركي يعادل ٢٠ دولاراً صينياً في السنة ١٩٤١ ، فبات يعادل ١٢ مليوناً في
السنة ١٩٤٨ - العامل الحاسم في انفراد القائد العام . فبموجب معاهدة الصداقة والتجارة
والملاحة ، الموقعة في ٩ كانون الاول ١٩٤٦ ، استفادت الولايات المتحدة من حق التوقف
لجيوشها ، وقواعد بحرية وجوية ، وحق جنودها وموظفيها بالتصرف وكأنهم في بلادهم ،
والمساواة مع الصينيين لتجارها وصناعيها ، وحق الاشراف على تعريف الاسعار وتنظيم الجمارك ،
وامتيازات هامة جداً كشركة الطاقات الكهربائية في شنغاي ، والسكة الحديدية بين كانتون
وهانكيو ، ومناجم الفحم الحجري ، ومصانع السكر والاسمدة ... وعين مستشارون
اميركيون في الوزارات المختلفة . لا بل اعطيت اللجنة الصينية الاميركية المختلطة لادارة صندوق
التجهيز واعادة البناء ، في السنة ١٩٤٨ ، حق رقابة الصناعة والمناجم والمواصلات . فكانت
ذلك عودة النظام نصف الاستعماري الذي توحدت في وجهه الامة . ولم تعد الحرب ضد الوطنيين
من ثم حرباً اهلية ، بل حرب تحرر وطني ، على غرار الحرب ضد الحكومات الموالية لليابانيين
منذ السنة ١٩٣٩ .

ردت الانتصارات الشيوعية الوطنيين الى الوراء : حملة سريعة ، « تجلية فريدة من نوعها
في التاريخ العسكري العالمي » ، بدأت بسقوط « موكدن » (٨ تشرين الثاني ١٩٤٨) وانتهت
بسقوط كانتون في ١٥ تشرين الاول ١٩٤٩ ، اي بمعدل ١٠ كلم في اليوم ، تستحق بعض
معاركها ، « التي تعتبر نماذج حقيقية للاستراتيجية والفن الحربي ... ان تدرس بعناية من قبل

فصباط الدول الغربية ، (الجنرال شاسين) . انهارت مقاومة جيوش تشانغ في منشوريا ، فهرب الكثيرون من الجنودية ، والتحققت فرق كاملة مع اسلحتها بالجيش الشيوعي الذي استولى على كميات كبرى من الذخائر والاعتدة الحربية وعلى مصانع كثيرة للسفن ، واستسلم العديد من الحكام الوطنيين ، كحكام منطقة قيانلنسين - بكين التي انضم ٢٥ فرقة منها الى الجيش الشعبي . ففي اواخر نيسان لم يعد هناك مقاومة وطنية منسقة ، وفي تشرين الاول اعلنت الجمهورية الشعبية الصينية .

٢ - الصين الجديدة

في هذه البلاد التي يبلغ سكانها (تقديرات السنة ١٩٥٨) ٦٥٦ مليون نسمة ، اي ربع سكان الكرة الارضية ، بينما لم يبلغوا في الاربعينيات سوى ٤٧٥ مليوناً في السنة ١٩٣١ ، يعيش ٥٠٠ مليون (٧٧ ٪) من الزراعة ، ولا يتجاوز ٤١ ٪ منهم سن الثامنة عشرة . فيغلب من ثم طابع الشباب على السكان الذين يتزايدون تزايداً عظيماً (١٥ مليوناً في السنة) . اما مستوى المعيشة فمتدن جداً . وبحسب مبادئ « الديمقراطية الجديدة » ، اعتمدت حكومة ماو ، حتى السنة ١٩٤٩ ، برنامجاً لم يكن شيوعياً بكنيته في المناطق الواقعة تحت سلطته ؛ فكان نظام الحكم انتقالياً : تحالف بين صغار الفلاحين والمثقفين والعمال وصغار الملاكين والبورجوازية الوطنية (التي لم تتعاون مع الكومنتانغ واليابانيين) ، وانتخابات بالاقتراع العام لمجالس البلديات والاقضية والاقاليم والمناطق ، واشتراك كافة الاحزاب والطبقات في الحكم ، واصلاح زراعي وتأميم النشاطات الرئيسية ، مع الاحتفاظ بقطاع حر كبير ، يُبقى فيه على كل مشروع لا يرتدي طابعاً احتكاريًا . فهو في الاصل نظام اقتصاد مختلط يعمل فيه ، في آن واحد ، قطاع حر وقطاع اشتراكي التنظيم ، وقام فيه قطاع ثالث ، هو قطاع التعاونيات .

في المناطق المحررة تحققت الاصلاحات تدريجياً ؛ فقد جرت الانتخابات ، وعمل الحزب الشيوعي الصيني بفطنة : بالمثل والايحاء و « التفسير » . وهكذا فان الاصلاح الزراعي قد جرب في البدء على نطاق ضيق في بعض القرى ولم يشمل المناطق كلها الا بعد نجاح التجربة . وقد اتاح النقد الذاتي ورقابة الصحافة اصلاح الاخطاء وتجنب الخرق . وعين مسؤولون لنشر التعليم في ادنى درجاته بكافة الوسائل ، وقد طلب احياناً الى المرسلين الاوروبيين تعليم الفلاحين الكتابة والقراءة والحساب . وفرض الشيوعيون انفسهم بالمثل اولاً : بساطة الملبس ، والغذاء ، شرف الحياة الخاصة ، التأثير ، النزاهة ، قمع التجاوزات . « اجمع الاجانب المقيمون في الصين على اطراء سلوك الشيوعيين المثالي ... واثرت في نفسهم بساطة الموظفين والجنود ونزاهتهم ... لقد زالت السرقات والمحسوبيات والاقتسارات التي رافقت ممارسة الادارة والقضاء منذ قرون طويلة » (برير) .

الاصلاح الزراعي
ان اول اصلاح اساسي اجري في هذه البلاد التي تعتبر ، بفضل
سكانها الريفيين ، الدولة الزراعية الاولى في العالم ، هو اصلاح الزراعي
الذي تناول مساحة توازي مساحة فرنسا مرة ونصف المرة . وقد افضى الى « اعظم عملية
توزيع زراعي في التاريخ » .

لم تستهدف التدابير المتخذة ابان الحرب سوى زيادة الانتاج وتحسين وضع الفلاحين دون
ادخال اي تغيير على نظام الارض القانوني . ومنذ السنة ١٩٤٦ صودرت املاك الاسياد
والاملاك الفائضة عن حاجة اثرياء الفلاحين ووزعت على الفلاحين ، وفي السنة ١٩٤٧ ، عمل
بقانون زراعي في كافة المناطق التي يحتلها الشيوعيون . وبعد قيام الجمهورية الشعبية ، عمل
بقانون ٢٨ حزيران ١٩٥٠ الذي اعطى مزيداً من الحريات لان الوضع الاقتصادي كان حرجياً . وقد
ادت الحرب الاهلية ، وقنابل المدفعية ، والمجاعات ، وامال صيانة السدود الى تخفيض الانتاج وتخفيض
اثر القلق والذعر . وكان لزيادة الدخول القروية اهمية اولية اذ انها الشرط الاساسي لتحقيق
التصنيع : فان قدرة الفلاحين المتزايدة على الشراء سوف تفتح الاسواق امام الصناعة ، كما ان
ادخاراتهم ، التي يسرها الغاء الكراءات المرتفعة ، سوف توظف اخيراً في الصناعة . وكذلك
سوف يصدر فائض الانتاج الزراعي بغية الحصول على النقد النادر الذي يتيح شراء المعدات
التجهيزية . فالواجب يقضي من ثم بحماية اقتصاد « الفلاح الثري » ، الذي ينتج للأسواق
التجارية اكثر من سواء . وانطلاقاً من هذا المبدأ ، لم تصدر منذئذ سوى ممتلكات الملاكين
المقاريين في الارياف ، اي ممتلكات اولئك الذين يعيشون من عمل الاجراء او من فوائد
كراءاتهم ، وارضى الجماعات الدينية والاقواف التقوية التي تحملت الحكومة الاعباء الاجتماعية
المطلوبة منها . فاحتفظ الفلاحون الاثرياء (الذين يحققون ٢٥ ٪ من دخولهم من « الاستثمار »)
بالاراضي التي يزرعونها ، ولم يفقدوا سوى تلك التي يؤجرونها . وبقيت الاحراج والبحيرات
ومغارس الشاي الكبرى ، والمشاتل ، والمزارع النموذجية ، ملكاً للدولة . فكانت هذه
التدابير مرحلة نحو النظام الشيوعي ، يجب ان قدوم طاملاً لا تستخدم الآلات في الزراعة
استخداماً كافياً لاعتماد طرائق الاستثمار الجديدة على نطاق واسع . اما المستفيدون من اصلاح
فكانوا الفلاحين الفقراء ، والاجراء ، والفلاحين المتوسطين احياناً ، ولكن التوزيع لم يكن
متساوياً ، اذ ان مصالح الانتاج قد روعيت مراعاة كبرى . فان نصيب من يملك المواشي
والادوات ويحسن الزراعة كان اكبر من نصيب سواء .

التأميمات
ان التصنيع ، شأنه في كافة البلدان المتخلفة ، هو شرط الاستقلال وتحسين
مستوى المعيشة ، وهو حاجة اشد الحاجة في بلاد مرتكزها الزراعة بفعل تزايد
سكانها تزايداً مطرد السرعة . لقد أدى الحرص على تنمية الانتاج تنمية سريعة ، ومراعاة
جانبا « الرأسماليين الوطنيين » ، والافتقار الى مديري الاعمال والفنيين ، الى قيام اقتصاد
مختلط واعتماد سياسة مصادرة وسائل الانتاج بصورة بطيئة وتدرجية ، وابقى على رأسمالية

خاصة معينة وغض الطرف عن « كسب عادل » . ولم تؤمم سوى المصارف والمشاريع الرئيسية التي كان معظمها ملك يمين رجال حكم الكومنتانغ - الم تشرف العائلات الاربع الكبرى ، تشانغ ، وكونغ ، وسونغ ، وشن ، على ٥٠ بالمائة من الصناعة النسيجية ، و ٦٥ بالمائة من الكهرباء ، و ٣٥ بالمائة من استخراج الفحم الحجري والرصاص ؟ ولم يمثل القطاع المؤمم في السنة ١٩٥٢ ، سوى ٥١ بالمائة من مجموع الانتاج الصناعي ، وفي النصف الاول من السنة ١٩٥٥ ، سوى ٦٢,٣ بالمائة . فما زال هناك من ثم قطاع خاص في الصناعات الغذائية والنسيجية - ١٣٠.٠٠٠ مشروع تقريباً - مثل ، في السنة ١٩٥٢ ، ٤١ بالمائة من الانتاج ، وفي النصف الاول من السنة ١٩٥٥ ، ٢١,٧ بالمائة . وما زال هناك اخيراً ، بالإضافة الى قطاع الصناعة اليدوية ، الذي ابقى عليه استديراكاً لكل بطالة ، والتعاونيات الريفية والقروية ، قطاع مشترك يسهم فيه الرأسمال الخاص والدولة ، بشكل كراء ابنية ومزروعات وطنية ، كالمناجم والملاحات التي يستثمرها الملتزمون من بين الافراد بصورة عامة . أما التجارة ، فقد بلغ نصيب اجهزة الدولة والاجهزة التعاونية منها ٨٩ بالمائة بالنسبة لمجموع تجارة الجملة في السنة ١٩٥٥ ، وكانت التجارة الخارجية وقفاً على اثني عشرة شركة رسمية تشرف على الواردات والصادرات بواسطة الاجازات .

فما القطاع التعاوني نمواً كبيراً في الصناعة الصغرى والصناعة اليدوية ،
القطاع التعاوني
وفي الزراعة ايضاً حيث يتوجب على التعاونية ان تؤمن ، دون
صعوبات ، انتقال الملكية الخاصة الى الملكية الجماعية . اما الصيغ المعتمدة
فكانت اكثر مرونة منها في ديموقراطيات اوروبا الشرقية : تتألف اولا فرق مساعدة متبادلة
موسمية الاعمال المشتركة في مواعيد الحصاد والزرع ، ثم تصبح هذه الفرق دائمة وتتحول الى
تعاونيات انتاج . ولكنها « نصف اشتراكية » لان ايراد الارض عرف البقاء والدخل توزع بين
كراء الارض المستثمرة والعمل . فهي تختلف عن المزارع التعاونية بهذا الفارق اولاً ، وبأبعادها
الصغرى ثانياً . فقد شملت التعاونيات الزراعية في اول عهدها ٦٠٠ هكتار من الارض الزراعية ،
اما هنا فلا تضم التعاونية سوى بعض العائلات - قرابة العشرين - وقدرأ مماثلاً من الهكتارات ،
وتتيح من ثم اعتماد تقسيم العمل وتطبيق التقنيات العصرية تطبيقاً افضل ، والاستفادة من ملايين
الهكتارات التي تمثلها الطرائد الضيقة الفاصلة بين قطع الارض الفردية ، وتنشيط اعمال الري ،
والسدود ... ، و « تلاشي الفردية في مستوى العمل اليومي وفي اطار محدود » ، وتؤلف
مدرسة يتعلم فيها الفلاحون العمل الجماعي . فكانت النتائج المحققة مشجعة جداً ، اذ ارتفعت
نسبة العائلات القروية في التعاونيات الى ٩٠ بالمائة في السنة ١٩٥٥ . وتعتبر التعاونية اشتراكية
وتصبح مزرعة تعاونية حقيقية حين يزول الايراد العقاري وتوزع الارباح الصافية بنسبة العمل
المؤدى فقط . ففي اواخر السنة ١٩٥٥ ، كان هناك ٢٦٠.٠٠٠ تعاونية من هذا الطراز ضمت
٥٦ بالمائة من العائلات القروية . وفي منتصف السنة ١٩٥٦ لم يبق سوى ١٠ ملايين عائلة قروية
من اصل ١٢٠ مليوناً ، خارج النظام الجماعي . ومن المفروض ، في المستقبل ، ان تنمو

التعاونيات وتوسع بحيث تصبح مساحتها موافقة للعمل الآلي والجرارات . ولكن هذه الأخيرة لن تخرج من المصانع بأعداد كبرى إلا في المرحلة الأخيرة من الخطة الثانية . وهكذا . فإن التعاونية ، على نقيضها في الديمقراطيات الشعبية الأخرى ، قد تقدمت الجرارات في هذه البلاد ، و « تقدم الإصلاح الاجتماعي الإصلاح التقني تقدماً كبيراً » (رنيه ديمون) . وقد ساعدت مزارع الدولة ، والمحطات الاختبارية ، ومراكز الأبحاث الزراعية التي تعمم التقنيات العصرية ، وتأسيس مصرف الصين الزراعي (١٩٥٥) ، الذي وزع قروضاً لأجل قصيرة أو طويلة ، وتعاونيات الإقراض ، على تحسين الإنتاج ورفع مستوى المعيشة . أضف إلى ذلك الأعمال المائية : السدود التي تحمي من الفيضانات ، والتحريج الضروري لبلاد لا تبلغ مساحة أحراجها سوى ٥ بالمائة من مساحة أراضيها ، وأعمال الري ، واستصلاح ٣٠ مليون هكتار من الأراضي البائرة في الشمال الشرقي والشمال الغربي وجبال الجنوب الغربي .

تمارس الدولة رقابة تنسيقية على هذا الاقتصاد المركب المنطوي على أشكال نشاط مختلفة جداً . فمن حيث هي سيدة التجارة الخارجية ومالكه الصناعات الرئيسية ومصادر الطاقة ، تتوفر لديها وسائل عمل قوية تضاف إليها سياسة مالية تتيح لها التأثير بصورة فعالة على الاستهلاك والإنتاج على السواء . وتستفيد أكثر الصناعات نفعاً من القروض وتخفيف الأعباء الجبائية وطلبات الدولة . وتؤثر هذه الأخيرة بالتخطيط الطويل الأجل أيضاً . فإن الخطة الخمسية الأولى قد استهدفت ، على غرارها في الديمقراطيات الشعبية الأخرى ، تحويل هذه البلاد الزراعية ، المتخلفة تقنياً ، إلى بلاد صناعية ؛ وقد شددت من ثم على تنمية الصناعة الثقيلة والمواد الانتاجية : الفحم الحجري ، طاقة ، فولاذ ، آلات . وبالرغم من الحاجة الماسة إلى الاختصاصيين على مختلف درجاتهم ، ومواجهة بعض الصعوبات (الحاجة إلى الفحم الحجري بصورة خاصة) ، وقلة الاتاء والريع بسبب سوء الأحوال الجوية والفيضانات في السنة ١٩٥٦ ، فقد تخطيت الأهداف المرسومة لها . وإن النجاحات المحققة في الصناعة ، ولا سيما الصناعة الفولاذية والكيميائية ، وسرعة نمو شبكة وسائل النقل (بفضل الجسر العظيم الذي بني فوق الـ « يانغ - تسى » في ووهان واتسع لخط حديدي وطريق واسعة) والشروع في بناء سد « سائمن » الكبير (على الـ « هوانغ - هو ») الذي سوف يضع حداً لفيضانات النهر ويزود بالطاقة المراكز الصناعية الكبرى في المنطقة الوسطى ، لشاهد على هذا التطور الذي جعل من الصين منذ اليوم الدولة الصناعية الثانية في آسيا ، بعد اليابان . وأخيراً وزعت الخطة الصناعات توزيعاً أكثر صوابية من ذلك الذي أقامها ، تحت التأثير الأجنبي ، على مقربة من السواحل . فقد « شرع » جدياً في أواخر السنوات الخمس بإنشاء مراكز جديدة في جوار مصادر الطاقة والموارد المنجمية في الشمال والشمال الغربي والوسط : باوتوف ، ووهان ، شو - تشيو ، شونغ - ونغ ، لان - تشيو ، في مناطق شنسي ، ومنشوريا وشنيانغ ، و « انشان » بصورة خاصة .

ظروف الحياة الجديدة . أصبحت الصين بلداً تكثر فيها الاملاك القروية الصغيرة والمتوسطة . فبينما كان ١٠ ٪ من السكان يملكون من قبل ٧٠ - ٨٠ ٪ من الارض ، ارتفعت نسبة الملاكين اليوم الى ٨٠ ٪ من السكان في الشمال الشرقي ، و ٧٠ ٪ في الشمال . وقد استفاد ٧٠ مليون عائلة قروية من تقسيم ١١٠ ملايين هكتار (بمعدل ٢/٣ هكتار للعائلة الواحدة) . وقد ادى زوال الكراء والمراعاة ، وتخفيف عبء الضرائب الى زيادة قدرة الفلاحين الشرائية بنسبة ٥٠ ٪ . ولكن كثافة سكان الارياف مرتفعة جداً ، ولا مناص من نقل جزء من هؤلاء السكان الى قطاعات نشاط أخرى ، بعد اخذ استثمار الاراضي الجديدة بعين الاعتبار . من جهة ثانية استتبعت تقدم التصنيع منذئذ تأخر الصناعة اليدوية ، وخفضت انطلاقة تعاونيات الاستهلاك ، اكثر فأكثر ، عدد صغار تجار التفصيل . فتوجه فائض السكان هذا نحو الصناعة والمدن . وارتفع سكان المدن بنسبة ٤٠ ٪ بين السنة ١٩٥٠ والسنة ١٩٥٣ ، ولكن عددهم لم يبلغ آنذاك سوى ١٤,٢ ٪ من مجموع السكان . لقد تقدمت المدن القديمة ، وبلغ عدد سكان بعض المراكز الصناعية ، شأن المدن السيبرية ومدن الاورال ، ثلاثة اضعافه واربعة اضعافه خلال خمس سنوات ، اي بين السنة ١٩٤٨ والسنة ١٩٥٣ : قفـز في « فو - شوت » من ٢٢٠.٠٠٠ الى ٦٩٣.٠٠٠ ، وفي انشان من ١٢٠.٠٠٠ الى ٦٢٠.٠٠٠ . وفي السنة ١٩٥٦ ، اخصي في الصناعة زهاء ٢٤ مليون اجير . وتدخلت النقابات في تنظيم العمل ، فوضع من ثم نظام ادارة مختلطة بفضل لجان المشاريع التي تعاونت مع المديرين على التنظيم ، وبفضل العقود الجماعية ، وخفضت ساعات العمل من ١٤ او ١٦ الى ٨ او ١٠ ، ووضعت الجداول بالأجور بالاستناد الى اسعار السلع الضرورية (الذرة البيضاء في الصين الشمالية) . واخيراً اتاحت سياسة مالية حازمة التغلب على الازمة المالية التي خلقها حكم الكومنتانغ وثبتت الاسعار . « بالنسبة الى الوضع في السنة ١٩٤٩ ، كان الاصلاح المالي نجاحاً كبيراً جداً ، (ج. شاردونيه) .

بيد ان مستوى معيشة الفلاحين والعمال بقي متدنياً جداً ، والاجور قليلة الارتفاع ، وتقدم الانتاج الزراعي بالنسبة للسكان بطيئاً ومتواضعاً : اقل من ٢ ٪ في السنة . فنجم عن ذلك ان فلاحين كثيرين لم يجدوا لهم عملاً كافياً في الارياف نزحوا الى المدن المكتظة بالسكان . لقد ارتفع مستوى معيشة مجموع السكان بالنسبة للسنوات التي سبقت ١٩٤٩ : وقد تجلت البساطة بمائلة اللباس القطني الازرق الذي يرتديه الرجال والنساء ، ولكن البطالة توقفت ، وارتدى كافة السكان ثياباً محتشمة ، وخلا المجتمع من ملايين المعوزين والمتسولين والبغايا . وفي الوقت الذي اعلنت فيه الحرب على البؤس ، بذلت الجهود لتطوير الاخلاق ، ولا سيما لتحرير المرأة - التي ربما كانت أكبر مستفيد من كافة التطورات التي شاهدها في العالم كله - : مساواة تامة بين الزوجين ، وحدة زواج إلزامية ، انقلاب عظيم في العائلات بفضل ابطال العرف القايضي باخضاع الزوجة للحياة ، اعلان مساواة حقوق الجنسين في الدستور ، حق المرأة في التعليم الوسيط والعالي وفي تولي الوظائف ، رقابة النسل (منذ ١٩٥٥) . ولعل أكبر مجهود يلفت الانتباه تنمية

التعليم العام في كافة درجاته (٥٧ مليون تلميذ في المدارس الابتدائية ، اي ، منذ الآن ، ٧٠ بالمائة من عدد الاولاد البالغين سن الدخول الى المدرسة) ، مع انه ما زال ابعد من ان يستجيب لشغف المعرفة النادر المتجلي في كافة انحاء البلاد ؛ وقد اتخذت بالموازاة بعض التدابير لتحسين الحالة الصحية وتخفيض نسبة الوفيات ؛ حملات تلقيح حالت منذ السنة ١٩٥٠ دون انتشار اوبئة الجدري والتيفوس والطاعون ، حملة ناجحة على القذارة ، والذباب ، والبعوض ، والجرذان .

تخلصت الصين الشعبية ، بفعل الحرب ، من المعاهدات غير المتساوية ، واصبحت سيّدة على اراضيها البرية - باستثناء اقليم كوانغ - لون البريطاني المواجه لهونغ كونغ ، واقليم ماكاو البرتغالي - فأزالت النفوذ الاجنبي في الحقل الاقتصادي بتأميم الصناعات ، وفي الحقل الثقافي والروحي بطرد المرسلين الاجانب . وانتهجت سياسة مماثلة لسياسة الاتحاد السوفياتي حيال الاقليات القومية والدينية ، ولا سيما الاقليات الاسلامية ، التركية اللهجات ، المستوطنة سن - كيانغ ، وكان - تشو ، وجزءاً من يونان : اسهمت في اصلاح الزراعي واعتمد العديد من البدو الرحل الحياة الحضرية ، وبيعت اصفافها من « المخازن الشعبية » بدلا من التجار السابقين ، وصدرت صحف ومجلات باللغات المغولية والريفورية والقازاخستانية والتبتية ، ووزعت المدارس التعليم على كافة درجاته باللغات نفسها ؛ والنشئت اخيراً بعض المناطق المستقلة استقلالاً ادارياً : منغوليا الداخلية ، سن - كيانغ (ويغور) ، التبت . فليست الجمهورية الصينية من ثم دولة اتحادية ، وبرلمانها يتألف من جمعية واحدة .

من الصعوبات الكبرى التي اصطدم بها النظام نقصان الموظفين المسؤولين والفنيين والمثقفين اللازمين لادارة هذا المشروع التجديدي والتطويري الكبير . وهذا هو سبب الامة الكبرى التي اُغبرت تنمية التعليم في كافة درجاته ونشر المعارف التقنية والعلمية . وقد افضت الجهود المبذولة لتجديد اللغة ، في السنة ١٩٥٦ ، الى توحيد لغة الكلام ؛ واصبحت لهجة بكين (المندرينية) الواسعة الانتشار لغة التعليم في المدارس ، واستعملت في الاذاعات ، ومهدت بعض الابحاث لتبسيط الكتابة بحيث ينخفض عدد الاحرف من ٤ - ٥ آلاف الى ٥٠٠ او ٦٠٠ حرف تقريباً ؛ ولحظ كذلك اعتماد الاليفبة اللاتينية تدريجياً . فقد يُقضى بذلك على الامة خلال بضع سنوات .

بالرغم من خيبة الآمال التي عاقتها الحكومة الاميركية على حكومة تشانغ كاي - شك ، اصررت الولايات المتحدة ، بعد هزيمة محيتم النكراء ، على مساندته في جزيرة فورموزا حيث يقبى الاسطول الاميركي من كل هجوم ، وفي منظمة الامم المتحدة حيث احتفظ نظام الحكم الساقط بمركز دائم في مجلس الامن . وقد حال رفض الحكومة الشيوعية الاعتراف بشرعية

التمهيدات التي التزم بها تشانغ ، والسياسة الرادعة ، والحرب الكورية وما رافقها من تدابير حظر تناولت عدة مئات من المواد « الاستراتيجية » ، دون قيام علائق اقتصادية طبيعية بين الصين ودول العالم الاخرى . الا ان الولايات المتحدة لم تستطع ان تفرض على حلفائها ضرب حصار شامل ؛ فمنذ السنة ١٩٥٠ ، اعترف الاتحاد السوفياتي والديموقراطيات الشعبية ، ثم بريطانيا العظمى وبورما والهند وباكستان بالنظام الجديد ، وسوف تعترف به فرنسا في السنة ١٩٦٤ . ولكن هذا الحظر قد أعاق اعادة بناء الاقتصاد الصيني اعاقه كبرى ؛ فقلت الصين وجهها شطر الاتحاد السوفياتي الذي ربطتها به معاهدة صداقة ومساعدة متبادلة لمدة ثلاثين سنة ، بغية الحصول منه على القروض ، وخصوصاً على معدات التجهيز والفنيين . وتمززت كذلك العلائق التجارية بالجمهوريات الشعبية الاخرى . فقد اضطرت الصين والكتلة السوفياتية الى انتاج التجهيزات الواجب شراؤها مبدئياً من الخارج . ونسقت العلائق التجارية بين الديموقراطيات الشعبية المختلفة بحيث امتصت العلائق التجارية بين دول الكتلة /٤/ مبادلاتها وهبطت نسبة اسهام هذه البلدان في التجارة الدولية الى ٢ بالمائة في السنة ١٩٥٢ . الا ان العلائق بالدول الآسيوية والافريقية كانت آخذة في النمو : فقد نافست القطنيات الصينية القطنيات الهندية واليابانية منافسة كبرى حتى في الشرق الاوسط . كما ان ارتقاء شدة الحصار والمخالفات المتزايدة للوائح المواد المحظورة قد اتاحت زيادة الكميات المشتراة من السويد وسويسرا وبريطانيا العظمى والمانيا الاتحادية وفرنسا .

قبل ان يسلم المؤتمر العشرون للحزب الشيوعي السوفياتي بتعدد الطرق « الطريقة الصينية » المؤدية الى الاشتراكية ، وقبل ان يلفت القلق الذي اثارته القطيعة بين الحكومة الهنغارية والشعب الهنغاري انتباهه الى ان « الخلافات مع العدو » اي مع الرأسمالية ، ليست هي الخلافات الوحيدة التي قد تقوم في النظام الشيوعي ، شعر الحزب الشيوعي الصيني بإمكان قيام « خلافات داخل الشعب ايضاً » تجدر معالجتها . وعلى نقيض الطريقة التسلطية التي اعتمدتها الحكومة السوفياتية - اقله حتى وفاة ستالين - ، اراد « المذهب الصيني » التغلب على هذه الخلافات بالاقناع والتفهم قبل الاقتتال . وقد سبق ورأينا في سياق هذا البحث ان الطرائق الجديدة المعتمدة منذ قبل انتصار السنة ١٩٤٩ قد وفقت بين مبادئ ماركس ولينين والظروف الخاصة بالمجتمع الصيني وطبقتهما بمنتهى المرونة بحسب البسلاط ، التي عانت ما عانت خلال نصف قرن من الحروب الاهلية والحروب ضد الاجانب ، الثمن الغالي الذي دفعته روسيا من اجل تطويرها . ففي رأي مار ، كما اكد ذلك في خطاب ألقاه في ١٧ شباط ١٩٥٧ ، ان الفائدة كل الفائدة في استمرار « تفتح المائة زهرة في آن واحد » و « تنافس المائة مدرسة » ، ما دامت المقاييس الاساسية الستة مقبولا بها : وحدة القوميات الصينية ، تطوير المجتمع اشتراكياً ، الدكتاتورية الشعبية الديموقراطية ، المركزية الديموقراطية ، قيادة الحزب الشيوعي ، التضامن الاشتراكي الدولي .

. الا ان فترة الحرية هذه لم تدم طويلا ، وفي السنة ١٩٥٧ بدأت مرحلة جديدة
 جذرية من مراحل السير نحو الشيوعية باختيار لا مثيل له في تاريخ العالم .
 فان « حملة المائة زهرة » قد عقيبتها حملة « تقويم » ضد « رجعية »
 و « اعتقادية » بعض المعارضين . وان العمل الحكومي الذي تميز ابدأ حتى الآن باعتدال حقيقي
 وبمزيد من الفطنة ، قد انتقل فجأة الى التطرف : كان المقصود بلوغ الشيوعية وقطع المرحلة
 الانتقالية بمنتهى السرعة ، وذلك بتعبئة الجماهير ، اي بالاستفادة ، ما امكنت الاستفادة ، من
 هذا الرأسمال البشري الكبير الذي يؤلفه الـ ٦٠٠ مليون صيني . وقد توجب « السير على
 القدمين » اي تأمين خير تناسق بين الانماء الزراعي والانماء الصناعي . فما هو سبب هذا التبدل
 يا ترى ؟ لا شك في ان سرعة زيادة السكان ، الذين هبطت نسبة الوفيات بينهم ، منذ السنة
 ١٩٥٢ ، من ١٧ بالآلاف الى ١٢ بالآلاف ، قد استلزمت سرعة زيادة الانتاج ، ولكن هذه
 المقررات تصادف في الزمن بداية فتور العلاقات الودية بالاتحاد السوفياتي . ففي هذه الفترة اخذ
 هذا الاخير يقلل من ارسال المعدات الى الصين ويزيد من ارسالها الى الهند ، ورفض الوفاء بوعد
 قطعه في السنة ١٩٥٥ بايقاف حليفته على سر القنبلة النووية . ومنذئذ عدلت الصين عن الظهور
 بمظهر التلميذ المنقاد للسوفيات والمقتدي بهم ؛ وطاب لها التحدث عن طرافة حلولها ، بينما انتقد
 الاتحاد السوفياتي من جهته حركة التصنيع السريعة وانشاء الدوائر الريفية . وفي ربيع وصيف
 السنة ١٩٦٠ ادت حدة الخلاف الى نزوح ألوف المهندسين والفنيين السوفيات الذين استدعوا الى
 الاتحاد السوفياتي ، تاركين الاعمال المشروع فيها ومستصحبين التصاميم التي كانوا قد وضعوها .
 فهل اعتقدت الصين آنذاك بوجود اعتمادها على نفسها فقط ، ورغبت في تقديم الاتحاد السوفياتي
 سرعة يا ترى ؟

ارتكزت « القفزة الكبرى الى الامام » - دونما نظر الى الانتاجية - الى استخدام الثروة
 الكبرى التي تزخر بها الصين الحالية في اعمال تؤول للمصلحة العامة : اعني بها طاقة اليد العاملة
 التي لا تستخدم استخداماً كافياً في الارياض . اجل ان الافتقار الى رؤوس الأموال وعدم توفر
 الفنيين يحولان دون تصنيع سريع الخطى ، وانما يمكن تعبئة ملايين العمال مع ادواتهم المألوفة ،
 كالمجرفة ووعاء نقل الرمل... من اجل حفر الاقنية والاحواض ، وبناء السدود وشق الطرق ،
 وتنظيف الانهار والمستنقعات للحصول على السجاد . وبناء على ذلك تمكن مليون فلاح ، في شتاء
 ١٩٥٧ - ١٩٥٨ ، من مضاعفة مساحة الاراضي المروية واتاحوا زيادة الانتاج زيادة كبرى . وفي
 سبيل استخدام موارد اليد العاملة هذه خير استخدام انشئت الدوائر الريفية الصغرى التي تضم
 زهاء ثلاثين تعاونية قروية (٢٠٠٠ عائلة تقريباً ، اي حوالي ١٠٠٠٠ شخص) في تجمع
 لامركزي يتمتع بحرية مبادأة كبرى من اجل استخدام اليد العاملة والخامات جهد المستطاع ،
 وتحسين الانتاج ، وسد حاجاته الخاصة . فنظمت حياة جماعية وانشئت محلات لبيع المأكولات
 والمشروبات ، وحدائق وملاجيء نهائية للأطفال ، وحمامات عامة ، ومساكن للمعجزة ، وذلك

بغية تخليص المرأة من اعبائها المنزلية واستخدامها في الاعمال الآثلة الى الخير الجماعي. ثم امتدت الحركة بسرعة مدهشة الى المدن حيث انشئت « دوائر مدنية صغرى » كان الهدف منها جمع الاشخاص البطالين ، وتنظيم الاستهلاك بواسطة محلات بيع المأكولات والمشروبات ، ومحاربة الاسراف . الا ان المشروع ، الذي ارتجل ارتجالا كما يبدو ، قد انتهى ، بعد ثلاث سنوات ، الى فشل ذريع .

منذ السنة ١٩٦٠ بدأ التراجع التدريجي : نزعنا من الدوائر الصلاحيات الواسعة التي اعطيتها في السنة ١٩٥٨ ، وحللت محلها الشراذم (٧٠٠ ٠٠٠) ، وهي دونها عدداً الى حد بعيد ، ثم « فرق الانتاج » (٢٠٠ ٠٠٠) التي اصبحت الوحدات الانتاجية الحقيقية . الا ان الحياة الخاصة لم تخضع قط لنظام جماعي (كما يشهد بذلك « جلبيير اتيان » و « رنيه ديمون ») ، وليست منامات الرجال ومنامات النساء في ابنية مشتركة كبرى ، وتناول ٥٣٠ مليون صيني وجبات طعامهم في محلات بيع المأكولات ، وتربية الاطفال بعيداً عن والديهم في الملاجئ النهارية ، سوى من نسج الخيال ، ولكن سرعة هذا التنظيم الجماعي تطلبت من الجميع جهداً مفرطاً لم يلبث ان لاشى الحماس . وهو من ثم فتور الجهد ما ادى الى الفشل ؛ ويضاف الى ذلك ان الاختبار قد أفسد ببلايا طبيعية قتادت ثلاث سنوات (جفاف وفيضانات تسببت في أزمة غذائية كبرى وأوجبت تقنيناً صارماً) ، والافتقار الى مسؤولين ذوي خبرة ، وعدم أهلية اولئك الذين سلموا زمام ادارة المشروع . وقد أدت كافة هذه العوامل الى ابراز مساوئ الجهاز الاداري وتشويش الانتاج .

في الحقل الصناعي ايضاً اتصفت حركة الانتاج بسرعة محومة : استمر انشاء الوحدات الصناعية الكبرى ، واكثر في الوقت نفسه ، في المناطق الريفية ، من المشاريع الصغرى المتوسطة التي لا تستلزم عدداً كبيراً من المسؤولين والفنيين ، والتي تستخدم محلياً اليد العاملة المتوفرة وتخفف من عبء وسائل النقل : مصانع احذية واسمدة واسمنت ، وخصوصاً استثمار مناجم الحديد والفحم الحجري الكثيرة غير المستثمرة ، وجمع نفايات الحديد واحداث اكثر من ١٣٠٠٠ فرن يتراوح ارتفاعها بين مترين وثمانية امتار . تلك هي حملة « الفولاذ الشعبي » التي انتجت كثيراً من الحديد المصبوب والفولاذ ، المتدني النوعية في اغلب الاحيان ، اللذين كانت ثمنهما تزداد كثيراً في المعدن والطاقة . الا ان ميزان الحساب لم يكن سلبياً : فغالباً ما استبدلت هذه المصاهر الريفية بمصاهر عصرية صغرى ايقظت صناعة الآلات الزراعية الريفية ، واوجدت صناعات تستخدم الخامات المحلية دون غيرها ، وتمولها موارد الدائرة الاقليمية ، ويوفر العمل للفلاحين الكثيرين الذين لا عمل لهم . ولم يكن الفشل حلياً ، ولكن الفارق بين الاهداف والنتائج كان كبيراً .

اذن توجبت العودة الى الاعتدال واعادة ضبط الاقتصاد بالاستفادة من
 الميزات الاقتصادي الخبرة المكتسبة . الا ان الاقتصاد الصيني - الذي استعاد عافيته -
 والاجتماعي بعد الاضطراب الناجم عن « القفزة الكبرى الى الامام » - ما زال
 بالرغم من ذلك اقتصاداً هشاً سريع العطب ، لانه سيبقى ، لمدة طويلة ، رهين الزراعة غير
 المنتظمة الانتاج تحت تأثير عوامل طبيعية كثيرة : جفاف ، فيضانات ، اعاصير ، فالى هذا
 يرد الاهتمام الذي اعيدته اعمال رقابة تصريف المياه والري ، واعادة التحريج ، واحياء الاراضي
 البائرة . وان نقص الانتاج الزراعي في السنة ١٩٦٠ قد ارغم الصين على استيراد كميات كبرى
 من الحبوب باسماء مرتفعة ، ولكن كمية المواد الغذائية والمواد الارلية الزراعية المنشأ قد
 تزايدت منذ حصاد السنة ١٩٦٢ ، فالقي التقنين وتحسن تصدير الارز . وتوجب كذلك ايشار
 الانماء الزراعي على الصناعة الثقيلة واحلال انتاج المواد الاستهلاكية في المرتبة الاولى . ويرد
 ذلك الى ان عدد السكان الذي ربما جاوز ، بحسب التقديرات ، ٧٠٠ مليون نسمة منذ السنة
 ١٩٦٢ ، وقد يبلغ المليار في السنة ١٩٨٠ ، يزداد بسرعة مطردة ، بالرغم من السياسة الهادفة
 الى تحديد النسل (عدم اعطاء اي تعويض عائلي ، واية فائدة اخرى بعد الولد الثالث ، اظهار
 مساوىء الزوجات المبكرة ، تشجيع وسائل منع الحمل) .

تقدمت النهضة الصناعية تقدماً مستمراً . فان المصانع الصينية قادرة اليوم على انتاج معظم
 الآلات والتجهيزات الضرورية ، والمصنوعات الكيميائية الهامة ، وقد نشأت اخيراً صناعة
 نووية فجرت قبلتها الاولى في تشرين الاول ١٩٦٤ . وان في ذلك لدليلاً واضحاً على ان الصين
 قد احتلت مكانها في الصف الاول بين الدول العظمى . فقد كتب « روبير غيلين » في السنة
 ١٩٦٤ ، بعد انقضاء تسع سنوات على رحلة رجع منها بانطباعات تشاؤمية نسبياً ، ما يلي :
 « انتصر النظام على كافة الآفات القديمة : فساد ، فوضى ، مرض » ، وارسخ « التفسيرات
 الخارقة » المحققة منذ السنة ١٩٥٥ : وحدة الصين ، تربية ، نزاهة ، اخلاق ، صحة (الاذبة لم
 تعد) ، والصينيون « يا كلون اليوم حين يحرقون » ، وانتصر على المعارضة (او اقنعها) « بخلفه
 سبعماية مليون مطيع » .

ان طرافة هذه الطريق الصينية نحو الشيوعية ، ومسدى تحقيقاتها ، وسرعة تحول هذه
 الامبراطورية الآسيوية المستضعفة والمذلة الى دولة صناعية عصرية كبرى ، بفضل جهود وتضحيات
 عسيرة طلبها من شعب نشيط وصبور وحاذق زعماء يتحلون « باخلاق نادرة » وذكاء ، وواقعية ،
 وتصلب ومرونة معاً ، (ج. ايتان) ، لتضفي على مثلها اهمية ثورية دونها اهمية مثل الاتحاد
 السوفياتي .

الخلاصة

ان المجال البري والاقتصادي والسياسي العظيم ، الذي 'فسد' للنشاطات المخططة في الديمقراطيات الشعبية المختلفة ان تتنشق فيه ، والذي يضم ثلث سكان الكرة الارضية ، قد رأى وحدته العقائدية تتصدع بفعل الانشقاق الكبير الذي ما زال يباعد منذ السنة ١٩٦٠ بين الاتحاد السوفياتي والصين . وكانت النتيجة تراخياً في الروابط التي قامت بين الاتحاد السوفياتي والديموقراطيات الشعبية الاوروبية وتشوشاً في الاحزاب الشيوعية المختلفة المنتشرة في العالم . ولكن ذلك لم يمنع العالم الشيوعي من استهواء شطر كبير من الطبقات العمالية في الغرب ، والبلدان الآسيوية والافريقية . فقد اخذ الاتحاد السوفياتي والديموقراطيات الشعبية تخرج من عزلتها وتقدم للدول غير النامية مساعدتها التقنية والمالية ؛ وان الشروط التي تضعها لذلك تفضل شروط الدول الاطلسية التي لا تبحث شركاتها ، الحريصة على تحقيق كسب جزيل وفوري ، الا عن استثمار المناجم والبتروول ، وشروط « مصرف التصدير والاستيراد » الذي لا يمنح قروضاً لا فائدة منها للصناعة والتجارة الاميركيتين . وكان المثل الصيني بصورة خاصة جليل الفائدة بالنسبة لهذه الدول ؛ فلا الدول الاستعمارية القديمة التي رفضت ان تطبق في مسا وراء البحار مبادئها الحرة ، ولا الولايات المتحدة التي لم يأت نظامها الاقتصادي الحر يجديد من اجل رفع مستوى معيشة الجماهير الآسيوية ، والتي تطمع في ان تفرض عليها مرة اخرى حكومات عاجزة وفاسدة في اغلب الاحيان ، ولا الاشتراكية الغربية التي لم تسلك سلوكاً يختلف عن سلوك الاحزاب الاوروبية الاخرى في ماليزيا او الهند الصينية ، اوحث لها بالثقة . وهذا هو ما يفسر عظمة نفوذ الصين في آسيا وفي كافة البلدان التابعة ، بالرغم من الانشقاق الذي شطر العالم الشيوعي شطرين . فالصين قدوة وهداية لشعوب العالم الثالث التي تعاني من التأخر الذي تعيض هي منه . وكل يوم تقصدها وفود آسيوية وافريقية واميركية - جنوبية بغية درس منجزاتها محلياً ، ويختلف الى جامعاتها طلاب افريقيون وآسيون بغية تعلم طرائقها ؛ وتنتشر بعثاتها الدبلوماسية والتجارية في العالم اجمع . ومنذ اليوم تستفيد من مساعدتها الاقتصادية او قروضها او هباتها الجمهوريات الجديدة في افريقيا السوداء ، ومعظم دول جنوبي شرقي آسيا الحياضية ، ودول الشرق الادنى ، وكوبا والبنانبا . وتحاول بعض البلدان : غينيا ، ومالي ، وحق الهند - بالرغم من النزاع الدبلوماسي والعسكري الحاد بينها وبين الصين - التمثل بتعبئة الجماهير المنظمة في الصين من اجل تنفيذ اعمال تقتضيها المصلحة العامة .

الكتاب الرابع

حول البلدان التابعة والبلدان الخاضعة للاستعمار

الفروق الاجتماعية لم تكن بالمساوية الوحيدة التي عيل صبر الناس بها ، فقد برموا بالأكثر من الفروق العرقية والعنصرية اذ استأثرت قسلة من العنصر الابيض ، في اوروبا واميركا بخيرات الارض واختصتها بنفسها . فقد اخذت جماهير الشعوب الملونة ، او المتخلفة التطور التي تؤلف الشطر الاكبر من البشرية — اسوة بالطبقات العمالية والفلاحية — تخرج من سلبيتها وتلتزم لوضعها ، اذ قد هبت على العالم اجمع حركة تحرر تغطت في ثنايا شعوب اميركا وآسيا وافريقيا ، المستعمرة منها او المستقلة مبدئياً ، وأخذت تشرئب بنفوسها الى الحرية والاستقلال .

الفصل الأول

أقطار أميركا اللاتينية

فقد تأثرت بعيداً ، في نصف القرن الاخير ، اقطار اميركا الجنوبية واقطار اميركا الوسطى بهذه الازمة الاقتصادية التي رزحت تحتها وقلبت ظهراً لبطن اوضاعها الاقتصادية والسياسية وهي لا تدري من اسبابها ومسبباتها شيئاً . فقد اتخذت المشكلات الخاصة بالبلدان المتخلفة اقتصادياً طابعاً حاداً في اعقاب حربين عالميتين وضائقة اقتصادية اخذت بخناقها . وقد ازدادت بؤساً وشقاءً من جراء الازدهار الديموغرافي الذي سجل فيها اكبر معدل عرفه العالم من قبل ، والبنميان الاجتماعي البسالي الذي قام فيها . وتفاقم الوضع وزاد حرجاً من جراء العراقيل والصعوبات التي لقيتها في استثمار خيراتها لاقتنارها لرؤوس الاموال اللازمة ولليد العاملة الصالحة مما زادها تبعية وارقباطاً بمجلة الدول المستعمرة الكبرى في نصف الارض الغربي . . فقد حيل بين هذه الاقطار عام ١٩٤٠ كما حيل بينها عام ١٩١٤ ، والى حدود ما عام ١٩٣٠ ، طياً او جزئياً ، بين زبائنهم ومولاهم من هذه الدول الاوروبية . فقد اضطرت الإتكال على نفسها او التمويل على دول جديدة في ما يساعدها على تأمين حاجاتها او تطوير انتاجها تأميناً لمقتضيات الحرب ومتطلباتها . وهكذا خضع التطور الاجتماعي فيها لتغيرات جذرية ، اذ ظهرت عندها طبقة صناعية جديدة ، كما اخذت طبقة العمال العاملة في الصناعة الكبرى تزداد اهمية وشأناً مما ادى الى المزيد من الضغط الاجتماعي والعرقى واخذت تبرز بصورة اشد وأعنف روح التمرد على السيادة الاجنبية . وبالرغم من هذا كله ، فقد بقيت الاقطار الواقعة الى الجنوب من نهر ريو غراندي في اميركا اللاتينية ، في وضع نصف استعماري ، بالرغم من كل الجهود التي بذلتها والنتائج الطيبة التي حققتها .

١ - المشكلات الاجتماعية والاقتصادية

شهدت القارة الاميركية الجنوبية ، اكثر من اي قارة
المشكلات السكانية والتمديدية
اخرى في العالم ، اكبر زيادة في السكان تمت في أي بلد آخر ،
اذ ارتفع عدد السكان منذ عام ١٩٢٠ من ٩٤ مليون نسمة الى ٥٠٠ ٠٠٠ ١٣٤ عام ١٩٣٧ ،

ليبلغ ، عام ١٩٦٣ ، أكثر من ٢٠٠ مليون . وكانت نسبة الزيادة ٣٨،٥ ٪ في السنوات الخمس عشر الأخيرة ، وارتفع هذا المعدل الى ٥٢ ٪ في فنزويلا والى ٤٥ ٪ في المكسيك . وهو أكبر من أي معدل سجل في أي بلد آخر في أي من القارات الخمس (مصر ٣٣،٧ ٪ ؛ كندا ٣١ ٪) . وبأني البلاد الواطئة ٢٠،٥ ٪ - وهو أعلى معدل سجلته أوروبا - ، والهند أقل من ٢٠ ٪) . وبأني البرازيل في الطليعة إذ بلغ عدد سكانه ٤١ ٢٣٥ ٠٠٠ نسمة في احصاء عام ١٩٤٠ ، و ٦٥،٧ مليون ، في احصاء عام ١٩٦٠ . وبذلك زاد عدد سكانه ٢٥ مليون نسمة في ٢٠ سنة ، مع الهجرة الى البلاد بين ١٩٤٥ - ١٩٥٠ ، كانت في حكم العدم ، واقتصرت على بضعة آلاف بين ١٩٤٥ - ١٩٥٠ . وفي الأرجنتين ، ارتفع عدد السكان من ١٣ ٥٠٠ ٠٠٠ عام ١٩٣٧ الى ٢٠ مليون ، عام ١٩٦٠ ، كما ان عدد سكان المكسيك بلغ ٢٢ مليون ، بعد ان كان عددهم ١٩ ٦٠٠ ٠٠٠ عام ١٩٣٩ ، وجاء معدل الزيادة في كل من الشيلي وجزر البحر الكريبي على هذه النسبة . ومع ذلك فقد بقيت كثافة السكان في القارة متدنية جداً إذ لا تزيد على ٧ في مجموع القارة ، وهي في حدود ٦ في البرازيل ، و ٨ في الشيلي ، و ١٢ في الاورينغواي ، و ٢،٣ في بوليفيا ، كما ان الواحات السكانية متفرقة جداً . ففي المكسيك ، نرى ١٤ مليون نسمة أي نصف سكان البلاد ، يقطنون رقعة من الأرض حول العاصمة ، شعاعها أقل من ٣٠٠ كلم ، كما ان أكثر من نصف سكان البرازيل يتمركزون جنوبي خط العرض العشرين ، في ١/٦ مساحة البلاد ، كما ان الولايات المركزية الثلاث في الشيلي تحتفظ بـ ٤٥ ٪ من مجموع السكان الذين يمثلون ٤ ٪ فقط من مساحة البلاد . وفي الأرجنتين ، نرى ٧٣ ٪ من مجموع السكان يعيشون في ربع مساحة البلاد ؛ وفي فنزويلا نرى ٦٠ ٪ من مساحة حوض نهر الاورينوك ، لا يتعدى عدد السكان فيها ٧ ٪ من المجموع . وهكذا نرى ان السكان يتوزعون رقعة محدودة ، في قارة تشكو من قلة وسائل الاتصال ومعظم أراضيها موات لا تزرع . وتيارات الهجرة في الداخل تحفز سكان الريف على النزوح من القرى الى المدن او مجتمعاتها مقاطعة معينة دون أخرى ، كما ان سكان المناطق شبه الصحراوية الواقعة الى الشمال الشرقي او في وسط البرازيل ينزحون بالأكثر نحو ولاية ساو باولو أي الى الغرب البرازيلي ، والى « المقاطعة الرائدة » حيث تزدهر مزروعات القطن وقصب السكر وتنشط تربية الماشية . في كل مكان تسجل حركة الاسكان في المدن ازدياداً مطرداً . ففي المكسيك ، هبطت نسبة السكان في الريف من ٩٠ بالمائة في عام ١٩٠٠ ، الى ٥٤،٧ بالمائة عام ١٩٤٠ ، وقد تضاعف سكان مكسيكو العاصمة في عشرين سنة . وبينما ازداد عدد السكان العام في البرازيل بمعدل ٢٨ بالمائة بين ١٩٤٠ - ١٩٥٠ ، ازدادت نسبة السكان في المدن ٤٩ بالمائة . ان نصف سكان المدن يقطنون ١٤ مدينة ، كما يقوم ثلث سكان هذه المدن في اثنتين منها هما الريف وساو باولو ، فازداد عدد سكان الريف ٣٦ بالمائة في ١٠ سنوات ، كما ازداد سكان ساو باولو ٦٠ بالمائة وبذلك برزت العاصمة الريف ، إذ بلغ عدد سكانها ٣ ٠٠٠ ٠٠٠ نسمة .

وفي الأرجنتين كان ٥٧٤٣ بالمائة من مجموع سكان البلاد من سكان المدن عام ١٩١٤ ،
فارتفعت النسبة ، عام ١٩٥٩ ، الى ٧٠ بالمائة . وبونس ايريس التي تعد ٣ ٥٠٠ ٠٠٠ نسمة تقع
في قلب منطقة يزيد عدد سكانها على ٦٠٠ ٠٠٠ نسمة وفيها يحتشد اكثر من ربع سكان
هذه الجمهورية . وفي عام ١٩٦٣ ، نرى ٤٦ بالمائة من الاملين يعيشون في المدن ، بينما ٣٦ بالمائة
يعيشون في تحشيدات تعد ١ ٠٠٠ ٠٠٠ نسمة ، كما ان ثلثي سكان الشيلي يقطنون المدن .

تتكس هذه الجماهير في مساكن يقيم عليها البؤس والشقاء ويحتشدون في احياء تفتقر اصلا
الى الشوارع ومصلحة الطرقات والوسائل الصحية ، اذ اعداد كبيرة من الاولاد والنساء والرجال
يعتمدون التسول ويعيشون على الصدقات والحرف الصغيرة النقلة . والنقص في التغذية هي من الامور
العادية والشقاء فيها مع ذلك اخف وطأة مما هم عليه الفلاحون والمزارعون .

الملكية المقاربية الضخمة هي القاعدة . ففي هذه القارة ، نرى ٥٠ ٪
من الاراضي الزراعية تقع ضمن ملكيات تزيد مساحة الواحدة منها
على ٦٠٠٠ هكتار وتعود ملكيتها لـ ١٠٥ ٪ من كبار الملاكين . وفي الشيلي ان ٨٩ ٪ من
الاراضي يملكها ٥٩٣٦ ملاك لا غير ، كما ان ما لا يقل عن نصف المساحات تتكون من عقارات
تزيد مساحة الواحد منها على ١٢ ٠٠٠ هكتار . وفي الأرجنتين نرى ١/٦ ولاية بونس ايريس
وهي اغنى ولايات الأرجنتين على الاطلاق تعود ملكيتها لـ ٢٢١ شخصاً ولـ ٥١ شركة عقارية .
وفي (الاراضي الوطنية) بملك ١٨٠٤ شخصاً املاكاً يساوي مجموعها مجموع مساحة بلجيكا
وهولندا والدانمارك ، وملكيت عشر شركات لوحدها من الاراضي ما يوازي مساحة بلجيكا
وسويسرا مجتمعين . وتمثل الممتلكات التي تزيد مساحة الواحدة منها على ١٠٠ ٠٠٠ هكتار
في الاورغواي ، ٤٣ ٪ من مساحة البلاد ، وهنالك عقارات يبلغ مساحتها معاً ٢ ٥٠٠ ٠٠٠
هكتار ، كما ان ٩٨٠٦ بالمائة من الممتلكات تمثل ٧ بالمائة من مساحة الارض فيها . وفي فنزويلا ،
ان ٨٤ بالمائة من الاراضي في المقاطعة الاتحادية ، تعود ملكيتها لـ ١٩ شخصاً ، وان ١ بالمائة
من السكان يملكون ٥٦ بالمائة من مجموع الاراضي الزراعية في البلاد . وفي كولمبيا ، يملك
٨١٢٣ من اصحاب الاملاك المقاربة اكثر من ٣٣ بالمائة من الاراضي الزراعية ، بينما تتقسم
٥٠٠ ٠٠٠ هائلة ٣٠٥ بالمائة من مساحة الارض ، كما ان مليونين من العمال الذين يعملون في
الزراعة لا يملك الواحد منهم اية قطعة ارض . وعلى مثل هذا الوضع نرى جمهوريات
الاكوادور والبيرو وبوليفيا . وفي غواتيمالا ، يعود ثلث مساحة الارض الزراعية ، لبعض
كبار الملاكين . ومزروعات البن وقصب السكر الكبيرة في كوبا تعود ملكيتها لملاكين اجانب
عن البلاد ؛ وفي نيكاراغوا وهوندوراس تعود ملكية هذه الاراضي الزراعية للشركات
الثمانية الكبرى وهي ايضاً غريبة عن البلاد . وفي المكسيك ما قبل الاصلاح الزراعي ، كان
٤٩ بالمائة من الاراضي تتكون من املاك تزيد مساحة الواحدة منها على ٥٠٠٠ هكتار ، كما
ان ٣٠٠٠ اسرة كانت تملك اكثر من نصف مساحة البلاد ، وبضع مئات من الافراد كان

يملكون كامل اراضي ولاية تشيهواهوا ، وكان الجنرال طرازاز يملك لوحده ستة ملايين هكتار . كما ان شركة الخط الحديدي الغربي كانت تملك ٩٨٨.٠٠٠ هكتار ، ويملك هيرست ٥٠٧.٠٠٠ هكتار . أما في ولاية سان لويس دي بوتوسي فكان ٩٦ بالمائة من العمال العاملين في الشؤون لزراعية لا املاك لهم . وفي جمهورية الدومنيك كان الدكتاتور تروخولو قبل ان تخلعه الثورة ، عام ١٩٦١ قد تمكن من تحويل ٦٠ بالمائة من الاراضي الزراعية في البلاد ، الى ملكية اسرته . والملكية الصغيرة لا وجود لها الا في بعض المناطق : في جنوبي البرازيل وفي جمهورية كوستاريكا .

وفي نظام عقاري على هذا الشكل ينقسم المجتمع الريفي الى طبقتين تتباينان في كل شيء : اقلية من كبار الملاكين من اصل اوروبي او من الخلاسين ، وسكان الريف الذين يتألف معظمهم من الهنود الحمر ، ومن مهاجرين وضع العبيد يعيشون في وضع زري من العبودية ويرسفون في البؤس والشقاء . ويخضع هذا المجتمع لنظام بطريركي في اطار الملكيات الكبيرة ، صاحبها يكون على الغالب بعيداً عنها ، ويترك امر العناية بها لوكيله . فكل العاملين في الزراعة ، سواء في البرازيل او الشيلي هم في وضع ارقاء الارض . فالمزارع يرتبط بالارض ارتباطاً وثيقاً اثناء ثلثي السنة . ويرتبط عليه وعلى افراد عائلته ان يعملوا لصاحب الارض لقاء تمتعهم بحديقة صغيرة تقوم امام زريبتة او كوخه المصنوع من الدلفان ، ولقاء بهض المحاصيل الزراعية التي تعطى له خلال فصل العمل في الارض . ويقدم صاحب الارض عادة للمزارع سلفة من الدرامم والمواد الغذائية الذي لا يستطيع تغيير عمله قبل ان يسدد دينه . ولما كانت الاجور واطية جداً ، فقد يستحيل عليه وفاء دينه الذي ينتقل عند وفاته ، الى اولاده . ففي ظروف كهذه ، ليس من الغريب قط ان يتردى الوضع الاقتصادي في البلاد ، اذ لا يخطر قط على بال هذا الملاك الامي المهمل ان يدخل اي تحسين فني او تقني على وسائل استثمار ارضه . فهو يمارس زراعة صنف واحد ويبقى جانباً كبيراً من ارضه مهملاً . وهكذا نرى ان ١٤٤٤ بالمائة من الاراضي الزراعية في هذه القارة هي قيد الاستثمار (٧٥٠ بالمائة في البرازيل ، و ٧٤٨ بالمائة في الأرجنتين) . والحصاد يتم بالمنجل ، والغلة هي من الفقر بحيث ان بعض هذه الاقطار التي لا يستثمر القسم الاكبر منها ، تضطر لاستيراد موادها الغذائية من الخارج .

هذان العالمان العائشان معاً جنباً الى جنب يتفاوتان تفاوتاً عظيمًا من جهة العرق والاصل : العالم الاوروبي او المنحضر
مشكلة الهند الحمر
اوروبياً (الهجناء) ، فالارستوقراطية : ارفع أسر ليما الخمس والعشرون ، وكبار الملاكين العقاريين والأثرياء المحدثون الذين تمت لهم النعمة منذ منتصف القرن التاسع عشر ، أمثال سيموز باتينيو هذا المعدن الهندي الذي اصبح ملك القصدير واغني اغنياء اميركا الجنوبية على الاطلاق ، واصحاب الانوار في المكسيك ، وغيرهم الذين تتألف منهم الطبقة العليا وينعمون وخدم بنعم وخبرات حضارة العصر ، يعتمدون على كنيسة ثرية ، غنية ، بالرغم من قلة عدد رجال

الأكليروس الغريب ، وبالرغم من عدم وجود أكليروس وطني في بعض البلدان ، كما هي الحال مثلا في البرازيل . فهذه الطبقة تستأثر بالسلطة السياسية وتمارسها لما يؤمن مصالحها .

ويلي هذه الطبقة العالم الهندي الذي اهل شأنه تماما ، ومنها يتألف السواد الاكبر من الشعب ، يزيد عددها كثيراً عن الارقام الرسمية التي توفرها الاحصاءات مصدر معلوماتنا عن العرق او الاصل بالاستناد الى اللغة او اللسان اذ ان عدداً كبيراً من اهل البلاد لم يعودوا يتكلمون لهجتهم الخاصة . فالهنود الخلتص او الهجناء يؤلفون ، بلا ريب ، اكثرية السكان في المكسيك (١/١٠ ، وفي فنزويلا ٢/٣) ، وفي البيرو وبوليفيا (لا تزيد نسبة البيض في هذين البلدين عن ٨ بالمائة) وفي جمهورية الاكوادور (٥ بالمائة من البيض) وفي كولومبيا والباراغواي حيث ٩٠ بالمائة من الالهالي هم من دم غواراني وحيث الجميع يتكلمون اللغة غواراني ، وفي الفواتيمالا ، والسلفادور ، وغيرها . وهناك مجتمعات اخرى في البرازيل مثلا حيث تمثل ٢٠ بالمائة من مجموع السكان .

فحروب الاستقلال والثورات المتعاقبة التي انفجرت تباعاً في القرن التاسع عشر لم تدخل اي تحسين قط على وضعهم . فهم يعيشون في شبه عزلة بعد ان ارغموا على السكن في مناطق غير صالحة للسكن ، كما يبدو ، تقوم فيها الغابات الظليلة ، او الاغوار المرتفعة ، يعيشون من نتاج الارض الزراعية او من العمل في المناجم التي يستغلها البيض او الخلاسيون فيشترون محاصيلهم الزراعية بأبخس الاثمان ويدفعون لهم اجوراً لا تذكر . وقد منعمهم ما هم عليه من فقر مدقع من استهلاك المحاصيل المستوردة وحتى تلك التي تؤمنها بعض المصانع المحلية ، فيعتمدون في معاشهم بما يشبع جوعهم من الذرة والفاصوليا ، عرضة للنسبة العالية من الوفيات ، ولذا بقوا ابداء على هامش الحياة القومية وقلما استبدلوا سيداً بآخر . فهنود المكسيك وخدم توصلوا ليلعبوا دوراً بارزاً في حياة البلاد ، كما ان قسماً منهم يساهم فعلاً بتطوير حضارة البلاد . اما في البيرو وبوليفيا وفي الاكوادور ، وفي الجمهوريات الاخرى الواقعة بين جبال الاندس او في اميركا الوسطى .

« فقد اصبح الهندي في هذه الأقطار منطوياً على نفسه ، سكوتاً خشناً يوحى الرعب ، هو في منتصف الطريق بين الانسان والحيوان ، ينفر من كل اتصال بأي عرق آخر ، يتسكع في جمل مطبق وقد بله عقله لادمانه الكوكا والمشروبات الروحية ، لا يتذكر شيئاً عن هذا التراث الجيد الذي تركه له آباؤه الأقدمون » .

هنالك الى جانب الهنود مشكلة الملونين او الزنوج تفرض نفسها في
مشكلة الزنوج
جزر بحر الكرايبي حيث حل الزنوج محل سكان البلاد الاصليين بعد ان تم افناؤهم (فهايتي هي دولة من الزنوج) ، او في جمهوريات اميركا الوسطى ، لا سيما في نيكاراغوي ١٠٪ ولا سيما في البلدان الواقعة في المناطق المدارية في اميركا الجنوبية : الفويتان وفنزويلا ١٠٪ وفي الشمال الشرقي من البرازيل . ومع ان هجرة البيض وعملية التهجين ساعدتا كثيراً على « تبييض » السكان تدريجياً بحيث نرى بينهم كل قوارق اللون الابيض والاسود ،

فهناك ، مع ذلك ، ما لا يقل عن ١٥ مليون من الزوج ومن الهجئات يمكن تمييزهم بسهولة . اما مستواهم الحضاري فمتدن جداً ، على الاجمال . فسمات افريقيا تبرز في امور الدين والفولكلور الشعبي والاقاصيص الشعبية ويتبين العلماء الاجتماعيون ، بيسر ، تحت اسماء القديسين الكاثوليك ، اسماء قدامى الآلهة والمراسيم الدينية المعمول بها عند الداوميين واليوروبيا ، إذ انتقلت من السلف الى الخلف ، عبر الاجيال بصورة غامضة . كذلك اخذت تبدو لدى بعض رجال الفكر من الملونين معالم المذهب الطبيعي للفرد الاميركي .

فالنخبة التي طلعت من بين الهنود الحمر والزلاج هي من القلة والضعف بحيث لا تصلح بعد اساساً لشد الروابط بين العروق والحضارة اسوة بما يجري في البلدان المستعمرة . ومن جهة اخرى اخذت الخصومات والمفارقات تخف وتلين بفضل التهجين وبفضل تأثير الثقافة الاسبانية . التي اخذت تؤثر منذ القرن السادس عشر على سكان البلاد الأصليين وعلى الملونين ، بحيث تنامي كثيرون لغتهم الام . ومع ذلك هنالك بوادر يقظة تلتئم في الافق يخشى معها من احتدام التوتر .

هذه اليقظة التي نشاهد ظهورها في اوساط الهنود والزلاج ليست الطبقات الاجتماعية الجديدة
بالاشارة الوحيدة لهذا التغير الآخذ به المجتمع . فالنمو الديموغرافي هو مظهر آخر من مظاهر هذا التبدل . فالإقبال على التصنيع ، والبؤس المسيطر على الريف اللذان ادبيا بسرعة الى حركة التحضر هذه ، ساعدا كثيراً على تطوير الطبقات الاجتماعية الجديدة التي اخذت تطل على البلاد في السنوات التي سبقت الحرب العالمية الأولى مباشرة . ففي كل مكان ، ساعدت حركة التصنيع على بروز نخبة بين البورجوازية ، وزادت من نطاق رجال الصناعة ومن التجار ، كما زادت من عدد التقنيين والمهندسين ومن العاملين في المهن الحرة او في الادارة العامة او في مصالح الجيش .

في هذه الاقطار التي تنطبع مدنيته بالنشاط الزراعي ، نرى انشاء الطبقة الوسطى التي تتألف من رجال الفكر من ذراري المهاجرين او من التجار ، يعملون ضباطاً في صفوف الجيش ويؤلفون العناصر التقدمية اذ لا مكان لهم في المجتمع التقليدي . فهم يطعمون في تجريد ارستوقراطية كبار الملاكين من استئثارها للسلطة واحتكارها لها ، نجيش فيهم الروح القومية وينفرون من الرأسمالية الاجنبية ، ولا سيما الرأسمالية الاميركية التي تستثمر لحسابها الخاص ولنفعها موارد البلاد الطبيعية وثرواتها ، هذه الرأسمالية التي تعارض قيام صناعات كبرى في البلاد وتتحالف دوماً مع الطبقات الموجهة فيها : فالمركوزة الاستراتيجية ، الذي يتمتعون به في المدن يوليهم نفوذاً ويعطيهم شأنًا لا يتفق قط وعددهم الضئيل . الا انهم يتعذر عليهم استلام السلطة عن طريق الاكثية بعد ان يتحكم الاشراف بالانتخابات ويفرون بالجسائر الشعبية على الاقبال عليها لمصلحتهم ، فطريقهم الوحيد الى السلطة قيام دكتاتورية مصلحة تهد لهم الوسائل المؤدية الى السلطة هذه الطبقة بعينها تلعب دوراً يبرز أثره يوماً بعد يوم ، في هذه الانتفاضات

السياسية التي وقعت منذ عام ١٩٤٣ . فهي النواة ونقطة الدائرة في الحزب المعروف بحزب Apriste في البيرو ، وحزب استنسورو في بوليفيا الذي ساند الانقلاب الذي قام به بتنكور في فنزويلا ، عام ١٩٤٤ ، والانقلاب الذي قام به فرغاس في البرازيل ... وهذه النخبة تطالب بتشريع خاص يلائم العمل ، ويطور التربية والتعليم في البلاد ، ويكفل الازدهار لمركبة التصنيع بحيث يرتفع مستوى الحياة في البلاد ، وينقذ الأمة والشعب من الروابط التي تشدها الى الاستعمار الاقتصادي . فالبرنامج الذي تطالب به هو برنامج اصلاحي ليبرالي ، معتدل ، مناهض للشيوعية ، وهذا ما يفسر لنا إحتجاجها عن معالجة الاصلاح الزراعي والتعرض للبنين الاجتماعي ، وكلاهما من مشكلات البلاد الاساسية . وأثرها يبرز جلياً في هذه الدساتير الجديدة التي تطل علينا والتي تشهد عالياً ، على اقدار متفاوتة ، على شدة اهتمامها بالمشكلات الاجتماعية من خلال هذه التشريعات الجديدة المتعلقة بالعمل .

والعمال الذين يتسكعون « في اثنى بؤس عرفه العالم » كما يؤكد لمبرت ، أخذوا يؤلفون بالفعل بروليتاريا استفقت على ذاتها وادركت ما لها من شأن واخذت تطالب بتأليف نقابات لها . فقبل عام ١٩٤٠ ، لم نر ائراً لهذه النقابات الا في بعض البلدان كالمكسيك والارجنتين والشيلي وكوبا وبعض قطاعات خاصة من قطاعات الصناعة : كالبحرية التجارية ، والسكك الحديدية وصناعات التبريد ، والصناعات الاستخراجية . اما بعد عام ١٩٤٤ ، فقد ظهرت النقابات في كل مكان بعد ان شجعها على ذلك تطور الصناعة والاتفاق الذي يشد بعضاً الى بعض احزاب اليسار الشيوعيين والاشتراكيين ، نجاح الحركة النقابية في بلدان اميركا الشمالية . وتمثل تجمع القوى العمالية عندما تألف اتحاد العمال في اميركا اللاتينية (C.T.A.L.) بزعامة فيسانته لمبردو تولقدونو ، وهو اتحاد هدّ عقم ١٩١٦ ، خمسة ملايين عضو منتسب . والتدابير المضادة للشيوعية التي اتخذت ضد الحركة بايعاز من الولايات المتحدة بعد عام ١٩٤٧ ، ادت الى انشقاق الحلف في السنة التالية ؛ فقد انشق عن هذا الاتحاد المعروف بنزعته نحو الشيوعية نقابات عدة تشكل منها منظمة جديدة عرفت « بالمنظمة الاقليمية لعمال اميركا اللاتينية » O.R.I.T. التي اوحى بتشكيلها وساعدت على قيامها المنظمات C.I.O. و A.F.L. وانضمت الى اتحاد النقابات الحر الذي كان بعد عام ١٩٥٥ حوالي عشرة ملايين عضو ..

ويؤلف العمال ، مع ذلك ، اقلية محظوظة بالنسبة الى هذه الدماء التي تتألف منها اكثرية السكان ، ومن هؤلاء الجياع الذين يؤلفون ٢٠ بالمائة من الجماهير الريفية ، الذين يحملهم تكاثر السكان في الريف على النزوح ، منذ ٢٥ سنة ، الى المدن ليضخموا عهدهم الزرائب والاكواخ في الخيمات القائمة في ضواحيها . فالشركات الاجنبية العاملة في البلاد تدفع لهم عادة اجوراً اعلى بكثير من المألوف ، الامر الذي يباعد بينهم وبين الفلاحين ويحملهم يعرضون عن مواجهة المشكلة الاجتماعية الاساسية ، مشكلة الارض . ومن جهة اخرى ، فالبيروقراطية النقابية لا تتورع قط ، كما هو شأنها في الولايات المتحدة الاميركية ، عن اللجوء الى الاغراء والافساد

والتواطؤ مع ارباب الاعمال ومنظمي الانقلابات السياسية ، فيبسع زعماءها « الاضرابات » ، بمسا
تيسر ويعيشون برخاء على شاكلة ارباب الاعمال ، ويتعاونون مع الحكومات .

ومن الملاحظ ان هوة تأخذ بالظهور بين هذين المجتمعين كما يأخذ
الصراع الطبقي والمنصري
التوازن بالاختلال في هذه المناطق والاقاليم التي تعتنق اسباب
الحياة الاقتصادية الحديثة ، والمناطق المتخلفة القابعة في ريفيتها ، وبعبارة اخرى ، بين المناطق
المنفتحة على اقتصاد اساسه التبادل والمقايضة والمناطق الاخرى التي تشد بنواجزها على اقتصاد
حياتي بدائي . وهذا التفاوت يبدو على اشده ويبرز على ابشع صورته في كل الحاء القارة كما يصفه
لنا جاك لمبرت : بين البرازيل الاستوائي الاطلسي بمنزله المبني بالحجارة والاسمنت ، وبين
برازيل الامازون او برازيل الشمال الشرقي بمنزله المتخذة موادها مما قيسر منها في المنطقة او من
الابن المجبول على لوح خشب او من الخيزران . في هذه المناطق التي لم تخرج عن عزلتها والتي لا
تزال مستمسكة بهذه الاطر التقليدية التي كانت في عهد الاستعمار ، والتي يقوم فيها ،
جنباً الى جنب ، مجتمع أبوي على رأسه طبقة من الاشراف يصدرون الاوامر من علّ ويحيون
حياة بذخ واسراف ، وفي الحضيض شعب رازح ، مقعد ، من ابناء البلاد المقدمين او من الملونين ،
يتسكع في الجهل والجهالة ، بئس ساء غذاؤه واخشوشن ، مستوى العيش عنده اشبه بأحط
مستوى للعيش في اكثر البلدان تخلفاً ك مصر والهند مثلاً . وعلى ذلك هذه المناطق التي استقبلت
وفود النازحين من الاوروبيين حاملين معهم تقنياتهم وطرق معاشهم الجديدة ، التي عرفت ان
تنشئ صناعات كبيرة بفضل ما تم لها من رؤوس اموال حاشدة ومن تطوير لوسائل النقل
فيها ونجد فيها طبقة وسطى ومزارعين ينعمون باستقلالهم ، وبروليتارية مدنية يحيشون جميعاً بالعداء
الحكومة المتسلطين من النبلاء . وهذه الهوة تقوم كذلك بين منطقة بونس ايرس والريف في
داخل البلاد حيث تعيش الارستوقراطية ناعمة البال ، قريبة العين بين عمال يتآكلهم البؤس
ويقلبهم الجوع ، وعلى هذا النحو في البرازيل بين المنطقة الشمالية الشرقية والمنطقة الشرقية من
ساو باولو ، وكذلك قل عن الشيلي ، بين المناطق الصناعية والتعدينية والمدن الكبرى ،
والمنطقة التي ترسف في تقاليدها الزراعية البالية مع مزارعيها الخائعين .

حق في المكسيك الذي بذل جهوداً مشكورة لتحسين اوضاع العمال والفلاحين وحيث
يلعب قسم من الهنود دوراً يزداد شأنه في حياة البلاد الوطنية ، فالجماهير الريفية لا تزال تحيا
حياة نباتية وترسف في بؤس نحيف ، تشكو درماً من نقص مزمن في اسباب التغذية ، وتعمل
في تربة ممسكة ترضن بالمطاء ، وتزاول خلفاً عن سلف صناعات عائلية بوسائل واعتدة بدائية .
فالتفاوت الاجتماعي يبدو على اشده . ففي البرازيل ٢٠٥ بالمائة من السكان العاملين يصيبهم
٣٠ بالمائة من الدخل العام في البلاد ، كما يروح اكثر من نصف هذا الدخل الى ٥ بالمائة من
السكان . وعمال المدن المسجلة اسماؤهم لدى مختلف صناديق الضمان الاجتماعي ، والذين يمثلون
٢٤ بالمائة من مجموع اليد العاملة في البلاد ، يتناولون ٢٠ بالمائة من الدخل العام . وما تبقى من

اصحاب الاجور : كصفار المزارعين والمرابعين والعمال الزراعيين ، اي ما يوازي ٧١ بالمائة من مجموع السكان ، فلم يكن ليصيبهم ، عام ١٩٤٤ ، سوى ٣٠ بالمائة من الدخل الوطني العام . كل هذا يساعدنا على تفهم الضغط او التوتر الاجتماعي الذي كثيراً ما ارتدى طابعاً عنصرياً او عرقياً .

وفي كل مكان ينزع عامل المنصر بما له من شأن ، باعتباره دليلاً اجتماعياً ، الى تقوية التفرقة العنصرية ، التي لم تكن ، في هذا الوقت بالذات الذي كان فيه الزوج من طبقة الفقراء ، لتعتبر من الامور الموجبة ، اخذت تبرز اكثر فاكثراً للعيان . اذ « بنسبة ما يتمكن معها الزوج والخلاسيون من تحسين اوضاعهم الاقتصادية وتحسين وسائل التربية والتعليم لديهم ، ترى الطبقة البيضاء المسيطرة ، الخطر يتهدها اكثر فاكثراً » ، كما ان المضي في عملية التمدين من شأنه ان يوطد الاواصر بين هذه الطبقات ويساعد على توعية الزنجي والهندي على الوضع الزري الذي يحتله في السلم الاجتماعي . لم تصل البلاد بعد الى التمييز العنصري في المدرسة او في الحياة العامة كما انها لم تصل بعد الى حظر عقود الزواج المختلط . ومسألة اللون ليست بعد من هذه القضايا التي تقيم الولايات المتحدة وتقعدها ، مع العلم ان « اللون الضارب الى السمرة يؤلف عائلاً او حائلاً دون الترقى في السلم الاجتماعي » ، واخذت تظهر في البلاد اجراءات تمييزية الامر الذي حمل مجلس الكونغرس في البرازيل على اصدار تشريع خاص يعتبر مثل هذا التصرف من الجنح . وهكذا نرى ان فارق او عامل المنصر اخذ يزداد شأنًا ويتخذ اهمية في المجال الاجتماعي ، في الوقت الذي اخذ التوتر بين مختلف الفئات واجراءات التمييز العنصري تهدد بالاستعداد والاحتماد .

مشكلة الهنود الحمر مشكلة طرحتها على بساط البحث منذ او اخر
الحركة الوطنية
القرن التاسع عشر ، الحركة الهندية التي سجلت نجاحاتها الكبرى
الاولى في المكسيك والتي كان روادها الاوائل من البيرو . فقد راح مانويل غونزالس برادا يرفع عقيرته احتجاجاً ، بالشعر نارة والنثر طوراً ، ضد الاضطهادات التي يتعرض لها الهندي الأحمر . ثم آلت حركة الدفاع عن الهنود الى الزعيم هايا دي لاتوريه ، المؤسس الحقيقي لحزب Apriste الذي تختصر حروفه ، الاسم الذي عرف به وهو : الاتحاد الشعبي للثورة الاميركية ، والذي وضع نصب عينيه العمل على توحيد الفلاحين ورجال الفكر والعمال حول برنامج سياسي جاء مزيجاً من الاشتراكية الزراعية والروح القومية الهندية الاميركية ، وعمل على نشر الحزب والترويج له : سيرو اليغريا ، والشاعر خوسيه سنتوس كوكانو ، والفيلسوف خوسيه كارلوس مارياتيغي الذي اسس عام ١٩٢٨ ، الحزب الشيوعي في البيرو ، وفريق من علماء السلالات البشرية والمؤرخين . وتحث تأثير هذا الفريق من الدعاة والانصار ، لم تلبث الحركة الهندية التي اقتضرت في بدء امرها على حركة من سكان البلاد الاصليين ، ان تحولت الى حركة اصلاحية كبرى تناضل في سبيل تحسين اوضاع البؤس والشقاء والجهل التي تتسكع فيها جماهير الشعب الهندي . وقد تباينت الحركة اصالة وعقلنة بتباين المناطق والاقاليم المختلفة . فقد برزت حيناً

كحركة حضارية ، واحياناً كحركة سياسية ، مناهضة لاوروبا وللرأسمالية . وقد حققت لها شعبية كبرى في كل من البيرو والمكسيك والاكوادور وبوليفيا . وراحت تلوح بوجه الاستعمار الاسباني الذي جردته من كل قيمة وبوجه الحضارة الاوروبية بالصفات السامية التي تطبع الحضارات الوطنية ، كما فسحت في برنامجها ، مجالاً واسعاً ، لبعث الحضارات الوطنية التي سبقت مجيء كولمبوس ، واقتباس الوسائل التقنية والعلمية التي توفرها الحضارة الغربية ، بعد تجريدتها تماماً من روحها . فالحركة حركة سلبية في الكثير من مظاهرها ، وكثيراً ما بدت خيالية ، عندما فكرت ببعث المنظمات المجتمعية القديمة (L'ayllu) عن طريق الجمعيات الحرفية او المهنية ، والتي راحت تحاول ، انقاذ العرق الهندي من الفناء والاضمحلال الذي يتهدده ، بتحسين مستوى العيش عنده ، وببشر التربية الشعبية بين افراده ، وتحقيق الوحدة بين كل دول القارة .

كان من بعض نتائج الحرب العالمية الثانية الحد من استيراد المحاصيل الاندفاع نحو التصنيع الصناعية ، ولا سيما المصنوعات الاوروبية ، وبالمقابل نشطت حركة التصدير بالرغم من ندورة وسائل الشحن ، كما انه جرى التوسع في تصدير بعض المحاصيل الأخرى . وقد طلعت في البلاد مصانع جديدة لا بد منها لتأمين المعدات اللازمة للزراعة وللخطوط الحديدية ، ومصانع السكر ، واخرى لصنع الترابية والاسمنت ، ومصانع النسيج والحياكة ، ومصانع الورق والزجاج ، وأطر السيارات والاسمدة لتأمين حاجة البلاد من المواد والاصناف التي توقف استيرادها . وقد انصرف الحلفاء من جهتهم ، ولا سيما الاميركيون ، منذ عام ١٩٤١ ، الى انشاء نظام اقتصادي يؤمن لهم ما كانوا بحاجة اليه . وتأسست عام ١٩٣٩ ، اللجنة الاستشارية المالية والاقتصادية المشتركة بين الدول الاميركية ، كما انشئت ، في كل جمهورية من الجمهوريات الاميركية ، لجان خاصة تعمل على تطوير وتحسين وسائل انتاج الخامات والمواد الأولية : كالطاطم والنحاس ، والفلزات النادرة الوجود مثل : التنغستين والفااديوم والمولبدن والتصدير ، وانشأت معامل جديدة بموازرة التسهيلات المالية التي امنها قانون : الائجار والتأجير ومصرف الاستيراد والتصدير والشركة المالية للتعمير .

وهذا الدفع الاقتصادي توليه الحرب جاء حاسماً ويختلف اصلاً عن الدفوع الذي أحدثته الحرب العالمية الاولى ، اذ اقتضت الحركة ، اذ ذاك ، على تأمين الخامات والمواد الاستهلاكية ، بينما استهدف الجهد في هذه المرة ، انشاء صناعات ضخمة ، واعطاء الاقتصاد تركيبياً عصرياً ، ونشطت وسائل الانتاج وتنوعت . واستأثر الامر باهتمام الحكومات كما وقع موقع الرضى من الخاصة الذين أثروا وجمعوا ثروات طائلة ، بفضل هذا النزاع الدامي ، كيف لا يثرون ويكدسون الثروات بعد ان ضاعفوا من صادراتهم وخففوا من استيرادهم ، وتجمع في صناديقهم مقادير هائلة ومبالغ طائلة من القطع والاصفر الرنان ، وظفوا جانباً منها في صناعات جديدة . وبذلك تمكن المكسيك من رفع طاقته الصناعية ٣٠ ٪ لا سيما في الصناعات النسيجية والكيميائية ،

كما ان البرازيل زاد من طاقته على استثمار موارده الطائلة من الحرير والبوكسيت ، واستطاعت الشركة الوطنية للصناعات الحديدية ان تشيد المجمع الصناعي الضخم في فولتا ريدوندا وزادت من طاقتها الانتاجية في الصناعة ثلاثة اضعاف ، كما زادت اربعة اضعاف من انتاجها للخامات الاولى . والانتاج الصناعي الذي لم يكن ليمثل ، عام ١٩٣٠ سوى عشر الدخل القومي ، اصبح يمثل نصف هذا الدخل عام ١٩٥٥ ، والصناعة القطنية التي انتقلت الى طور التصدير ، اخذت تستثمر القسم الاكبر من محصول القطن في البلاد . وضاعفت جمهورية الارجنتين بين ١٩٤٠ - ١٩٤٥ ، عدد فباركها الصناعية واخذت حركة التصنيع بعد عام ١٩٤٣ ، بتأثير من الجنرال بيرون ، تعم جميع اطراف البلاد . وقد ارتفع معدل اليد العاملة في الصناعة من ١٢ و ٨ ٪ عام ١٩٣٩ ، الى ما يزيد على ٢٠ ٪ منذ عام ١٩٤٥ . وراحت كولمبيا من جهتها تنشئ ، هي الاخرى ، مجموعة متناسقة من معامل صناعة الحديد ، في باز دل ريو ، بمساعدة رؤوس الاموال والصناعة الفرنسية . ودليل التجارة في الارجنتين ، ارتفع من ١٠٠ عام ١٩٣٧ الى ١٦٢ ، عام ١٩٤٧ ، وفي الشيلي الى ١٤٨ ، وفي المكسيك الى ١٤٣ .

٢ - الحياة السياسية

ان التركيب الاجتماعي المناهض اصلاً للنظام الديمقراطي ،
عدم الاستقرار السياسي والتفاوت العظيم بين اوضاع البلاد ، وعدم توفر طبقة متوسطة كبيرة العدد ، والبؤس الذي تتسكع فيه الجماهير البدائية التي لا تزال ترسف في دياجير الجهل ، كل ذلك وما اليه يساعد على تكوين حالة من عدم الاستقرار السياسي في البلاد ، كما يساعد على تغفل النفوذ الاجنبي وتسربه اليها . فبالرغم من اقرار مبدأ الاقتراع العام ، فالنظام المعمول به هو قيام حكومات من الاقلية بين اصحاب الاملاك . وكثيراً ما أدى انقسام هذه الاقلية وانشقاقها على نفسها الى حدوث ازمات سياسية كان يوضع حداً لها قيام دكتاتوريات عابرة . والنزعات الاقليمية حتى وهذه الخصومات التي كان يزيد من حدتها قلة طرق المواصلات ، وتفاوت كثافة السكان واختلاف التطور الاقتصادي بين مقاطعات واقاليم الدولة الواحدة ولدت فيها نزعات انفصالية هددت الدولة بالانحلال والزوال . وكثيراً ما كان الدكتاتور يعتمد في بقاء نظامه ، على الجيش والبوليس ، ولذا كانت سلطته دوماً سلطة مزعزعة يتهددها الخطر باستمرار ، مصيرها متوقف دوماً على هذه الاقليات وعلى المصالح الاجنبية تؤثر عليها المظاهرات غير المنتظمة التي تقوم بها الجماهير المحتاجة ، التي لم تكن تتحرك دوماً من تلقاء ذاتها وبصورة مستقلة ، بل بدافع وبتحريض من الطبقات الجديدة المتوسطة الناشطة والمفامرة ، هذه الطبقات التي ظهرت للوجود ، مع التطور الذي خضعت له المدن وحركة العصرية التي اخذت بأسبابها . ولذا تكررت الازمات في البلاد وكثيراً ما أخذ بعضها برقاب البعض تعبيراً عن توق الجماهير

الى تحقيق التوازن بين التركيب الاقتصادي والاجتماعي الجديد وبين الوضع الاقتصادي القائم من قبل . فالمجتمع القديم الذي يشد من ازره المصالح الاجنبية في البلاد يحاول - واحياناً بالاجواء - اذا ما اقتضت الحاجة ، لدكتاتورية من الطراز التقليدي المعروف - ان تحتفظ او ان تعيد الى الوجود ، انظمة ووسائل تخفي وراء ستار مزعوم من الحرية والليبرالية ، كيانه اجتماعياً مناهضاً للديموقراطية وفي وجه حكومة من الاعيان او في وجه نظام ديموقراطي تمثيلي مسخته عملية مزدوجة من التزوير والمصانعة وقعت فريسة لها ، هذه الجماهير الفقيرة الجاهلة . تحاول الطبقات المتوسطة ، ولو بأساليب غير شرعية ولا قانونية كاتقلابات عسكرية او دكتاتوريات شخصية ، ان تقيم في البلاد حكومات تولي المزيد من اهتمامها مصالح الطبقات الشعبية والدفاع عن استقلال البلاد . والى جانب دكتاتوريات محافظة ترعى مصالح الاميركيين ، كثيراً ما وقعت دكتاتوريات تأخذ على نفسها تأديب العناصر المعادية لواشنطن ، بعد ان تكون هذه الطريقة الاسلوب الوحيد لتحطيم سلطة النبلاء ولتفادي لعبة الاكثية المزورة التي تصانع الماضي وتبسم له .

وهكذا نرى ان الاوضاع والظروف التي تكتنف النشاط السيامي في هذه البلدان لم تكن لتساعد على توطيد وترسيخ الافكار الاقتصادية فيها . فالحياة السياسية تبقى فيها وقفاً على اقلية ناشطة متحركة بينما تبقى جماهير الشعب قابعة في سلبية سادرة . فأينما أجلنا النظر نرى مستوى العيش متدنياً للغاية كما ان مستوى الفكر يتردى في حالة مزرية ، فالمجتمع المديني الجديد يفتقر للكثرة والعدد ، ولا يزال مشتبكاً ليلعب الدور الرئيسي الذي يلعبه في الغرب . فالأممية تسيطر في كل مكان باستثناء الأرجنتين التي تعرف اقل نسبة من الاميين ، ١٠ بالمائة ، اما النسبة في غير هذه الدولة فتبقى عالية جداً : ٩٢ بالمائة في هايتي ، و ٧٩ بالمائة في سلفادور ، و ٧٠ بالمائة في نيكاراغوا ، و ٦٧ بالمائة في غواتيمالا وفي جمهورية الدومنيك ، وأعلى من ٥٧ بالمائة في البرازيل ، و ٥٠ بالمائة في المكسيك ، و ٤٨ بالمائة في هوندوراس ، و ٤٠ بالمائة في كوبا ، و ٣٥ بالمائة في بناما ... ولذا كانت المساهمة بنشاط البلاد السياسي ضعيفة اما لأن الاميين هم مستثنون من حق الاقتراع واما زهداً وعدم اكتراث . ففي المكسيك ٥ ملايين ناخب من اصل ٢٨ مليون نسمة ، وفي البرازيل كان عام ١٩٦٠ عدد الذين يتمتعون بحق الاقتراع ١٦ ٠٠٠ ٠٠٠ من اصل ٣١ مليون هم في سن الاقتراع ، بينما يشترك بعملية الاقتراع فعلاً منهم ٨ ٢٥٢ ٠٠٠ لا غير ، اي اقل من ١٧ ٪ من مجموع السكان . وفي الشيلي كان عدد من يتمتعون بحق الاقتراع ٥٩٢ ٠٠٠ عام ١٩٤٩ من بين ٥ ٧٦٥ ٠٠٠ نسمة ، وفي عام ١٩٤٧ ، اشترك في عملية الاقتراع ٣٥ بالمائة من الرجال و ٩ بالمائة من النساء . وفي بوليفيا ، جرى انتخاب الرئيس هرزوخ عام ١٩٤٧ بـ ٤٠ ٠٠٠ صوت لا غير ، كما ان عدد البوليفيين الذي كانوا يتمتعون بالمواطنة الكاملة ، لم يزد عام ١٩٥١ ، على ١٥٠ ٠٠٠ .

عندما انفجرت الازمة الاقتصادية ، كان الوضع الاقتصادي في
في دول اميركا اللاتينية من التبعية للدول الكبرى والارتباط
بها بحيث كان لا بد له من ان يتأثر عميقاً بالازمة ونتائجها الموهنة
الامر الذي جلب عليها اتيار العملة الوطنية . وأدى الى هبوط ذريع في اسعار المواد الزراعية .
والمواد الغذائية (كالحبوب والبن والماشية) والمواد المعدنية التي سببت هبوطاً ذريعاً في التجارة
الخارجية . كما احدث قلقاً وتشويشاً في موازنة هذه البلدان انخفاض الاستثمارات الاستخراجية
العائدة للشركات الاجنبية او توقفها . واستتبع هذا الوضع ، اتخاذ اجراءات عدة منها مراقبة
النقد ، والتوقف عن دفع فوائد الديون فاهيك عن موجة جديدة من البؤس والشقاء وفقدان
المنتجات الصناعية المستوردة من الخارج . واذ ذاك ، اخذت الحكومة تبحث عن وسيلة
تؤمن التوازن في المجال الزراعي ، وذلك بفرض تنويع طبيعة المحاصيل الزراعية ، فعمدت
الحكومة في الأرجنتين الى الاكثار من زراعة النباتات الزيتية والكرمة والاشجار المثمرة
كما عمدت البرازيل على تشجيع زراعة القطن بعد ان تعذر على رجال الصناعة تأمين العملات
الصعبة لشرائه من الخارج . ولم تلبث هذه البلدان ان تبينت ما هو عليه نظامها من وضع حرج
سريع العطب ، وشدة تبعيتها وارتباطها بالخارج . ان تخلف المشتريين الاميركيين والاوروبيين
لمنتوجاتهم ايقظ فيهم روحاً قومية اقتصادية كما اثار نقمة الشعب ضد الطبقات الموجهة التي
كثيراً ما تتواطأ مع الرأسمال الاجنبي . ووقع اذ ذاك « جائحة من الثورات والانقلابات » ،
جاء بعضها بوحى من الانظمة الفاشية ، في هذه البلدان التي تكثر فيها عناصر الهجرة الايطالية
والالمانية ، حيث تلقى قادة الحرب وكبار ضباط الجيش تدريبهم العسكري في المانيا ، وحيث
يشتم ويظهر نفوذ اسبانيا الجنرال فرنكو .

ففي كوبا حيث جيراردو ميشادو سيد هذه الجزيرة غير المنازع منذ عام ١٩٢١ ، هوى الى
الحضيض ، عام ١٩٣١ ، تعاقب على رئاسة البلاد ستة رؤساء خلال ٢٢ شهراً ، وتمكن الكولونيل
باتيستا من إقامة دكتاتورية على غرار دكتاتورية موسوليني ، وفي البيرو ، سقط حكم الرئيس
ليفويا عام ١٩٣٠ ، على يد الكولونيل تشيرو . وسيلس الذي سيطر على بوليفيا منذ عام ١٩٢٦ ،
خر صريعاً تحت ضربات الكولونيل فورو الذي لم يلبث ان اخلى محله لبوش . وفي فنزويلا
غوميز ، وفي هايتي الجنرال تراخولو ، وفي غواتيمالا أوبيكو ، وفي هوندوراس كارياس ، وفي
سلفادور مارتينيز ، انشأوا حكماً دكتاتورياً في بلادهم . وفي الاكوادور تعاقب على اريكة
الرئاسة ١١ رئيساً بين ١٩٣١ و ١٩٣٩ ، وفي الأرجنتين عاد المحافظون الى الحكم بفضل الانقلاب
الذي قام به الجنرال اوريبيورا ، وفي الاورينغواي قامت دكتاتورية دي ترا التي زادها احتداما
وعنفاً وصول الجنرال بلدومير الى الحكم ، وفي البراغواي ، قامت الدكتاتورية على يد الكولونيل
فرنكو الذي لم يلبث ان خلعه عن الحكم الجنرال استيفاريسا ، عام ١٩٣٩ ، وايبانيز في الشيلي
طرده من الحكم عام ١٩٣١ ، ليتمتع على كرسي الحكم ، من بعده ثمانية رؤساء في عشر

سنوات ، وبعد المناداة بجمهورية اشتراكية استمرت ١٢ يوماً ، عاد الى استلام الحكم الرئيس القديم أيسلندرو ، بعد ان تحالف مع حزب المحافظين ، الى ان امنت انتخابات سنة ١٩٣٨ ، فوز الجبهة الشعبية التي وضعت للبلاد تشريعاً اشتراكياً كان من اكثر التشريعات تقدمية في العالم اجمع ، اذ نص على حد ادنى للاجور وعلى معاش تقاعدي لمن هم في سن الشيخوخة ، والبطالة ، والضمان ضد حوادث العمل ، والتعويضات العائلية .

ففي كل اميركا اللاتينية ، كان يوجد عام ١٩٣٩ ، اربع جمهوريات لا غير تتمتع بنظام ديموقراطي ثابت : الشيلي التي تخضع لحكومة إئتلافية برئاسة الجبهة الشعبية ، والمكسيك حيث اوشك الرئيس كارديناس بلوغ نهاية ولايته ، وكوستاريكا وكولمبيا التي تقوم عليها حكومة محافظة بالاشتراك مع الاحرار . أما في ما عدا ذلك ، فدكتاتوريات مستترة .

واستفحل عدم الاستقرار في هذه البلدان ، خلال الحرب الحية السياسية وارضاعها الجديدة العالمية الثانية والفترة التي تلت الحرب مباشرة . فالبنين الاقتصادي في كل من هذه الجمهوريات ، ارتكز أصلاً على تصدير صنف ار صنفين من انتاجها للخارج ، وبذلك ارتبطت حياتها السياسية وتبعيتها بالمشتريين في الخارج : فاذا ما تأخروا أو تلكأوا - وهو امر بيد الزبون الرئيسي اي بيد الولايات المتحدة - هبطت الاسعار وكثرت المجاعة عن أنيابها ولاح في الافق شبح التضخم النقدي . وبعبارة اخرى ، شبح الفوضى وسقوط الحكومة .

وهكذا يبدو ، كما يلاحظ جاك لمبرت ، ان التخلف الاقتصادي الذي تتسكع فيه دول هذه القارة ، وبرز طبقات اجتماعية جديدة في حياة البلاد السياسية مما وراء عدم استقرار الاوضاع في هذه البلدان . فالنقص العددي وانتفاء التجانس بين الطبقات الوسطى والطبقة المالية ، جعل واهياً كل تحالف تمقدهانه لهذا التناقض بين رغبات كلا الجانبين في مجال التصنيع وعجزهما عن تحقيق شيء من هذا كله دون اللجوء الى رؤوس اموال اجنبية ، التي لا يمكن ان تأتي الا من بلدان اميركا الشمالية ودولها على اساس ضمانات اقتصادية وسياسية لا يمكن ان يرضى بها او يستأنس لها الوطنيون في هذه البلاد . ومن جهة اخرى ، فالنفوذ العظيم الذي حققته الطبقة العاملة وضعف امكاناتها الشرائية زاد من مطالبتها كما زاد من صلابتها . فالقطيعة تأتي سريعاً عندما يجري قمع الاضطرابات العمالية وكبح الاضرابات والحد منها ، وبذلك تمهد الطريق امام المناضلين عن البنين التقليدي ، لاستلام الحكم في البلاد او للوقوف في وجهه اي محاولة اصلاحية فيها ، فهياج الطلاب ومشاغباتهم التي لا ينكر احد اهميتها في الحياة السياسية ، تبقى عديمة الاثر ، ولا طائل تحتها . وبالفعل ، فالطلاب الذين ينتمي معظمهم ، هنا او في الشرق الادنى او في اقطار آسيا الشرقية ، الى الطبقة البورجوازية الصغرى ، والذي يفتح التعليم الجامعي امامهم امكانات الرقي والتطور في السلم الاجتماعي ، في مجتمع اساسه التسلسل ،

هم التعبير البليغ والعنيف لهذه القومية التي لا تصانع ولهذا الصراع ضد النخبية التقليدية في البلاد .

دور الجيش
ومن العوامل الاساسية في الحياة السياسية ، في هذه البلدان ، الجيش .
والجديد هنا ليس في تدخل الجيش في الامور السياسية وهو تدخل حصل باستمرار منذ ان نالت هذه البلدان استقلالها الناجز ، بل الجديد هو في هذا الطابع الذي اخذ يطبع تدخل الجيش منذ مطلع القرن العشرين . فالجيش في هذه الجمهورية هو جيش محترف ، وصغار الضباط فيه اخذ يقل انتسابهم الى الارستوقراطية العقارية (باستثناء البحرية) . فهم من ابناء رجال الادارة والصناعة والتجار الذين يرون في البزة العسكرية علامة من علامات التصعيد الاجتماعي . وقد تلقوا في الاكاديميات الحربية التي خرجتهم تدريباً تقنياً يشغرون عميقاً بنبذ دورته في بلدان اميركا اللاتينية . ولما كانوا على شيء محترم من الثقافة ، وأعدوا حياة زاخرة بالنشاط مع انها اقتصرت بالفعل على شبه عطالة لخلو اوضاع البلاد من مشاكل الدفاع ، أو على القيام بأعمال ، كالمحافظة على النظام ، فهم يتوقعون من كل جوارحهم الى تصنيع الاقتصاد والى تأمين استقلالها والمحافظة عليه ، فيشقى عليهم ويشعرون بشيء من الخزي والعار من جراء مساعدة الولايات المتحدة المالية ومن تدخلها في شؤونهم السياسية . فهم يكتنون العداء لهذه الاوليفارشية القديمة وهذه الدكتاتوريات من الجنس البالي التي طالما ساندتها اسلافهم ووقفوا الى جانبها ، بعد ان عرف عنها مآلاتها المصالح الاجنبية وسياسة الاجنبي في البلاد ، ولذا نراهم يحبذون اي اصلاح اجتماعي يعود بالخير واليمن على الطبقات الوسطى والسفلى معاً .

وهكذا يتدخل الجيش في الازمات الاجتماعية والاقتصادية التي تنزل بالبلاد ، بصفته عاملاً من عوامل النظام والانضباط ، او عندما تبرهن مؤسسات الدولة عن عجزها التام وقصورها ، فيصبح الجيش الحكم الفصل في الحياة السياسية . ليس من طائل قط في بحث هذه التدخلات والتفصيل المسهب في قضاياها . فبينما كان في القارة عام ١٩٢٨ ، ست جمهوريات تخضع لنظام عسكري من اصل ٢٠ جمهورية ، فقد ارتفع هذا العدد الى عشرين عام ١٩٣٩ والى ١٣ عام ١٩٦٤ . وبين ١٩٣٠ - ١٩٥٧ ، تولى ٥٦ عسكرياً رئاسة الدولة في مختلف جمهوريات اميركا اللاتينية ، استمر ١١ منهم في الحكم لاكثر من سنة . وهذا التدخل لم يجر دوماً لصالح الجاه معين او نزعة محددة ، فقد استجاب الجيش ، نارة لنداء جـاءه من الطبقات الممتازة لتأمين استمرار الوضع القائم (في الأرجنتين عام ١٩٣٠ ، وفي البيرو ، عام ١٩٤٨) وطوراً لمساندة ثورة معينة (في فنزويلا ، عام ١٩٤٥) وآونة كحكم للفصل في نزاع لا نهاية له بين حزبين : بين الاحرار والمحافظين في كولمبيا ، (عام ١٩٥٢) .

ومع ذلك فهذا التدخل له طابعان متناقضان . هناك ، ولا شك ، طابع إصلاحى ، يرمي

إلى عصنة البلاد ، يهطف على تأمين مساواة اجتماعية أكبر ، وتأمين أكبر قدر من التقدم المادي ، وهكذا يمكن ان نجعل في عداد الخدمات التي أدى اليها تدخل الجيش وضع حد لحكم استبدادي ظالم (فرغاس - بيرون) . الا ان هنالك طابعاً آخر يتسم بالسلبية ، عندما تظهر محدودية هذه الرغبات التقدمية حتى في هذه الحالات بالذات التي تمت فيها محاولات اصلاح وعصنة للبلاد ، فالجيش يبقى دوماً فوق القانون ويشكل دولة في الدولة ويولي نفسه حق التدخل لالغاء نتائج الانتخابات مثلاً ، او لفرض اصلاحات مالية او لزيادة الاعتمادات الحربية . والغالب ، بعد كل هذا ولا سيما بعد ١٩٣٠ ، هو ان صغار الضباط الذين يتطلعون الى الشهرة ، ينزعون دوماً ليس للوقوف الى جانب النظم الدكتاتورية والقوى المحبذة للركود الاجتماعي فحسب ، بل ايضاً ، الى جانب الولايات المتحدة الاميركية « المدافعة عن العالم الحر » والتي تجود بمساعدات حربية سخية . فالجيش يكسح التطور الاجتماعي اكثر من ان ينشطه . فهو يعمل عادة في اتجاه الاصلاح ، انما يقف مكتوف اليدين امام تغيير أو مسّ الارضاع الزراعية التي هي محور كل الارضاع . ومهما يكن ، لا بد من ان نلاحظ هنا ان البلدان الثلاثة التي امكن فيها تحقيق اصلاح زراعي (المكسيك منذ عام ١٩١٤ ، وبوليفيا منذ ١٩٥٢ ، وكوبا منذ ١٩٥٩ - ١٩٦١) ، هي هذه البلدان بالذات التي جاء الجيش بضباطه النابغين من الطبقة الوسطى او الطبقة العليا ، جرى الفاؤها بصورة جذرية من قبل ثورة شعبية .

وهكذا فعدم التوازن القائم بين الطبقات ، والسرعة التي يتم الحياة السياسية منذ عام ١٩٤٠ فيها التطور الاجتماعي ، هما من القوة والعنف بحيث ان بقاء استمرار القوى الاقطاعية القديمة امام تطور البورجوازية والبروليتاريا يحمل من المستحيل تحقيق اصلاحات ثورية جذرية مستعجلة .

ومثل هذا الوضع يتوفر في البلدان الآخذة بالتطور حيث تستدعي الحاجة غالباً الى سلطات استثنائية . غير ان تاريخ اميركا اللاتينية المضطربة بدلنا بصورة نهائية انه بقطع النظر عن بعض الدول الصغيرة فيها ذات التركيب الاجتماعي البالي والتي تعيش باستمرار تحت نظام دكتاتوري وحيث « تحول الوضع فيها الى نظام كيفي ظالم » فالنظام الدكتاتوري ليس سوى أسلوب سياسي لا يلجأ اليه الا في الازمات الاقتصادية الحادة . فالسواد الاعظم من الدول اللاتينية يحتضن نظاماً رئاسياً تشيل فيه سلطة الرئيس مستوحى من نظام الولايات المتحدة ، انما يختلف معه اختلافاً بيناً في الروح ، إذ تنقصه عادة الهيئات القائمة في هذه الولايات والتي تؤمن التوازن في سلطات الرئيس . فالمجالس والهيئات البرلمانية ، كما يلاحظ جاك لمبرت بحق ، لا تلعب سوى دور مغمور وتبقى سلطات الرئيس عملياً دوناً رقيب أو حسيب ، لا حدود لمداها الا بانتهاك ولايته الذي يضع حداً لسلطاته الكيفية .

ففي السنوات الاولى من الحرب ، نرى الحكومات « تجمع » في سلطاتها ، ثم يأخذ الجليد بالدوبان بعد عام ١٩٤٣ ، عندما أخذ يشتد نفوذ الطبقة المتوسطة : ففي حزيران تنشب في

الارجنتين ثورة الزعماء الموالية للنازية ؛ وفي بوليفيا ، يقوم في كانون الأول قدماء المحاربين في حرب تشاكو الى جانب فاشيين يساعدون مدنيون من « الحركة الوطنية الثورية » بقيادة بار أستنسورو ، باعلان «مكتاتورية لم تعمّر قط » من برنامجها تأميم الخطوط الحديدية في البلاد ، والكهرباء ، والدخول في صراع مع فئة كبار الملاكين لمناجم القصدير . وفي ايار ١٩٤٤ ، نشبت في جمهورية الاكوادور ثورة حملت الى كرسي الرئاسة فيلاسكو ايبارا الذي وضع مشروع دستور جديد للبلاد ، وضاعف ٥٠ بالمائة عدد العمال الزراعيين الذين يعملون في المزارعات الكبيرة ، كما يقوم بمحاولة اصلاح زراعي ، ويقرر الضمان الاجتماعي والزامي وخطط لاصلاح زراعي مع تمثيل العمال في المجلس النيابي ، وفي عام ١٩٤٥ ، قام البيرو بانقلاب ابيض تسلمت معه الجبهة الديموقراطية التي يرئسها مؤسس الحزب A. P. R. A. الذي غير اسمه في السنة التالية وعرف باسم حزب الشعب ، يستلم دفعة الحكم ، على شاكلة الاشتراكي رومولو بيتانكور في فنزويلا . وفي عام ١٩٤٦ ، يعمد الرئيس فيدلا بثلاث وزارات الى الشيوعيين بينهم وزارة الزراعة .

واشتد الضغط الاميركي كما اشتدت الحاجة الى رؤوس اموال لا مندوحة عنها وقد أدى انهزام دول المحور الى سقوط عدد من الحكومات في البلدان الاميركية الجنوبية : في غواتيمالا وفنزويلا والبرازيل وبوليفيا . وقد تجاهلت الحكومة في فنزويلا مشروعات التأميم ، كما لم تلبث حكومة الشيلي ان حلت الحزب الشيوعي واعلنته غير شرعي ، وجرى قلب استنسورو في بوليفيا ، كما ان المكسيك تخلت تدريجياً بعد انتخاب كاماكو للرئاسة عام ١٩٤٠ ، عن السياسة الاصلاحية التي تمسح عليها الرئيس كارديناس ، أقرت سياسة عدم التأميم اجتذاباً لرؤوس الأموال الاجنبية . وفي عام ١٩٤٦ ، تحول « الحزب الشيوعي المكسيكاني » بعد ان تجرد من كل نزعة ثورية الى « الحزب الدستوري الثوري » ، واستمر الرئيس ألمان في سياسة حسن العلاقات مع الولايات المتحدة والتقرب من الكنيسة .

ووقعت انقلابات دبرها كبار الملاكين العقاريين بمساعدة الجنرال اودريا في البيرو والباراغواي وفنزويلا حيث حل الجنرال شلبو محل بيتانكور . وظهرت ردود فعل ومقاومة قوية ، في الاكوادور اعرب الرئيس الذي تم انتخابه عام ١٩٤٨ عن رغبته القيام باصلاحات تكون في صالح الهنود الحمر ، وصمد بنجاح في وجه عدة محاولات للاطاحة به ؛ وفي بناما جرى عام ١٩٥١ قلب الحكومة التي تمثل « الحزب الثوري الاصيل » المعروفة بعدائها الشديد لاميركا ، وفي بوليفيا قام فريق بمحاولة الانتخابات التي أمنت اكثرية في المجلس التمثيلي لباز استنسورو ، الذي تغلب على المحاولة وقام بثورة فعلية كان من بعض اهدافها : تأميم مناجم القصدير وتوسيع التعاميم وتطويره ، والاصلاح الزراعي الذين بوشرو به عام ١٩٥٣ وهدف للقضاء على وضع الاراضي الزراعية الواسعة التي لا تستثمر او انها تستثمر بشكل لا يفي بالغرض . وفي غواتيمالا ، قام الكولونيل اربنز ، عام ١٩٥٢ ، باصلاح زراعي من اهدافه توزيع المزارع الضخمة ، منها مزرعة تخص شركة الفاكهة الاميركية مساحتها ٨٣٠٠ هكتار وهي شركة تملك ١/١٠ مساحة

البلاد . وتسجل الاحزاب الاصلاحية نجاحات باهرة منها الحزب الزراعي العمالي الذي يرأسه الجنرال ايبانيز في الشيلي عام ١٩٥٢ ، وانتخاب الرئيس فيغوراس ، رئيساً لكوستاريكا ، ١٩٥٣ . وليس بغريب قط ان تصمد المصالح المهددة في وجه هذه المحاولات وتدافع عن نفسها . ففي عام ١٩٥٤ ، قامت بعض عصابات من المهاجرين ، مزودة بالاسلحة اللازمة وبطائرات مقاتلة اميركية بمهاجمة غواتيمالا بينما فرض الاميركيون حصاراً على مرافئ البلاد لمنع وصول الاسلحة التي اوصت عليها الحكومة . وقد ارغم اربنز على التخلي عن الحكم كما ان خلفه ألغى الاصلاح الزراعي الذي كان بوشربه . وفي سنة ١٩٥٥ ، جاء دور الرئيس فيغوراس الذي ضاعف الضريبة المفروضة على الشركة الاميركية للفاكهة . وجرى اسقاطه من الحكم على يد « جيش التحرير » تم تدريبه في نيكاراغوي وزود بقاذفات اميركية ... فأصحاب هذه المصالح القوية ينجحون في قلب الاوضاع القائمة في اكبر دولتين بين دول اميركا اللاتينية : ارجنتين بيرون ، وبرازيل فرغاس .

دور الاحزاب الشيوعية
فالشوعية المخطورة تقريباً في كل مكان ، باستثناء بعض فترات قصيرة ، هي دوماً عرضة لمطاردة الحكومات ومحاربتها . ومع ذلك فليس من ينكر او يشك بالنفوذ القوي الذي تتمتع به في الحفاء وان كان من الصعب تقييمه على وجه الصحيح . ففي سنة ١٩٥٥ جرى الغاء الحزب وحظره في ١٣ بلداً ، وسمح له بالبقاء والعمل ضمن تقييدات شديدة في خمس منها ، واطلقت له الحرية التامة في بوليفيا وحدها . فهو يجتذب بعض كبار المفكرين اليه امثال كارلوس برستس رئيس الحزب الشيوعي البرازيلي وهو ضابط كبير وكاتب معروف ، والشاعر الكوبي غوبليان ، والشاعر الشيلي بابلو نرودا ، ويرسخ بشكل قوي في البلدان التي تفرم فيها صناعات حديثة ويعتمد فيها على الطبقة العمالية وينشط للعمل بين النقابات ، وفي البرازيل حيث قال الحزب في انتخابات عام ١٩٤٥ ، اكثر من ٥٧٠ .٠٠٠ صوت ، يأتي الحزب في المرتبة الرابعة بين الاحزاب ، كما يبدو نشاطه في كل من المكسيك ، والشيلي حيث آزر ايبانيز على انتخابه رئيساً ، وكوبا وغواتيمالا . فليس في مقدوره ان يلعب بعد ، دوراً حاسماً في اي من هذه الاقطار ، ويراعى جانبه في كل مكان لمؤازرته قيام الدكتاتوريات التي يعتمد برنامجا اصلاحياً وتعمل على مناهضة النفوذ الاميركي . الا ان انتصار الكاسترية في كوبا الذي الهب عداء العناصر المحافظة في هذه الجمهورية بدّل كثيراً من اوضاع نشاطه وظروف عمله .

٣ - الصراع في سبيل الاستقلال

بالرغم من الازدهار الاقتصادي الذي عرفته خلال الحرب ،
التبعية الاقتصادية والمالية
ومن دفع قسم من ديونها للدول الاوروبية الدائنة بقيت دول
اميركا اللاتينية تعاني من تبعيتها وترباطها . فقد بقيت ، مدة طويلة مسرحاً لصراع عنيف

احتدم بين رجال المال البريطانيين وبين الممولين الاميركيين ، وهو صراع شالت كفته لصالح الفريق الاخير منذ عام ١٩٢٨ . ففي هذا التاريخ بالذات بلغت رؤوس الاموال البريطانية الموظفة في هذه الاقطار ، ١٢٠٠ مليون ليرة انكليزية ، منها ٣/٤ هذا المبلغ قدمت قروضا للدولة ولشبكة الخطوط الحديدية في حين انطلقت حركة الانكماش من بيع بعض المصالح العامة لفرقاء يشرف عليهم ممولون اميركيون . ومنذ ذلك التاريخ ، وبالرغم من محافظة الدول الاوروبية على مراكزها القوية في كل من الأرجنتين والبرازيل والمكسيك والشيلى ، فرؤوس الاموال الاميركية ، اخذت تبرز بشدة وتحاول السيطرة جليا : فهي تمثل ٢٠ ٪ من ديون البرازيل الخارجية . والمال الاميركي يوظف في مشاريع استثمار المناجم والصناعة والمزروعات الواسعة النطاق ، كما انها توزع سلفات لبعض الزعماء ، وتعمل على توثيق ارتباطها مع بعض الاقليات المسيطرة على السلطة في البلاد . وفي الوقت ذاته ، زادت حصة الولايات المتحدة في تجارة هذه البلدان مع الخارج بصورة محسوسة (فبلغت ٣٨ ٪ من مجموع استيراد الدول اللاتينية لقاء ١٥ ٪ منها لانكلترا) .

والضائقة المالية الكبرى والحرب العالمية الثانية اللتان عملتا كثيراً على التخفيف من روابط هذه الدول الاقتصادية باوروبا ، لم تخففا قط من تبعيتها وارتباطها بالخارج . وعلى عكس ذلك تماماً ، فقد ادت الحرب الى توثيق قبضة الولايات المتحدة . وهذه القبضة تبرز على الاخص في المجال الاقتصادي : فالمبادلات مع الولايات المتحدة هي اقوى من اي وقت مضى اذ ارتفعت الواردات من ٣٢ ٪ والصادرات من ٣٨ ٪ ، عام ١٩٣٨ ، الى ٥٥ بالمائة و ٥٨ بالمائة عام ١٩٥٢ ، وفي المكسيك ٩٠ بالمائة من الواردات و ٧٥ بالمائة من الصادرات ، وفي الشيلى ٤٢ و ٥٣ بالمائة ، وفي البرازيل ٥٨ و ٤٦ بالمائة ، وفي فنزويلا ٥٠ و ٢٥ بالمائة ، وفي كولمبيا ٥٠ و ٦٦ بالمائة وباستثناء الأرجنتين ، الاوريفواي ، تحتل الولايات المتحدة ، المرتبة الاولى في تجارة هذه الدول مع الخارج ، وتمارس نحوها بالفعل « سياسة خنق » (فرنسوا بيرر) ، والوضع الاقتصادي في كل من هذه الجمهوريات سريع العطب كما هو سريع النيل منه ، اذ بدلاً من ان تعمل على تنويع تجارتها الخارجية ، فهي ترتبط ، اكثر فاكثراً ، بعدد من اصناف الانتاج آخذ بالتناقص ، اسعارها تحدد في الخارج بمعدل عنها في الاسواق العالمية (النترات ، النحاس ، البن ، السكر ، البترول ، القمح ، الصوف) بينها ما يشكو الفائص او التخمة ، بينما يشتد فيها الطلب على المنتوجات الغذائية والمحروقات . ومن جهة اخرى ، فرؤوس الاموال نادرة هي والتوفير ضعيف للغاية والضرائب قليلة المردود اذ ان المواد التي تصيبها الضرائب قليلة ، وفائدة التسليف عالية ٨ بالمائة للقروض التي تعقدها الدولة ، واعلى من ذلك في القروض الخاصة .

ثم ان الولايات المتحدة لا توظف اموالها الا في البلدان التي تسودها « ظروف سياسية مؤاثية وتتمتع باستقرار اقتصادي وتطمع بمعاملة عادلة سوية تتيح لها توزيع ارباح عادلة على اصحاب الاسهم » ، فهي لا توظف اموالها في الصناعات « التي تسهم في تطوير البلاد الاقتصادي

والاجتماعي ، بل في المجالات التي تنعم بأسواق قريبة مرتجة ، أي في هذه الاقطار التي حقت قسم من سكانها مستوى رفيعاً من العيش اللائق ، وهذا الشرط لا يتوفر كثيراً في بلدان تنسكع في البؤس والشقاء هذه الاقطار الواقعة في قلب منطقة جبال الاندس او في اميركا الوسطى حيث تشتد الحاجة الى مثل هذه الاستثمارات .

وهكذا نرى ان رؤوس الاموال الاميركية حلت محل رؤوس الاموال الاوروبية . فمئذ ١٩٤٣ ، ان نصف استثمارات الولايات المتحدة ، في الخارج ، تتركز على الأرجنتين ، وفنزويلا والشيلى والبرازيل . وبعد عام ١٩٤٥ يرتفع هذا الرقم من ٤٣٠١ مليون دولار الى ما يقرب من ٨ مليارات دولار عام ١٩٥٣ ، تنال ست دول منها ، هي فنزويلا والبرازيل ، والشيلى والأرجنتين ، وكولمبيا والبيرو ثلثي هذا المبلغ الضخم ، ويذهب نصف هذا المبلغ للبرازيل وحدها . وهذه الاستثمارات يطلب اليها ، قبل اي شيء آخر ، تأمين المزبد من الخامات والمواد الأولية اللازمة للحرب . وقد حدث بعد الهدنة رأساً هبوط بالاسعار أثار أزمة . وقد وجب ، عام ١٩٥٠ ، العودة الى انتاج المواد الاستراتيجية مما ادى الى ارتفاع الاسعار ، وبعد انتهاء الاعمال الحربية في كوريا ، أدى المخزون من المواد الأولية غير المباعة الى اثار أزمة اخرى في البلاد .

وريع هذه الاستثمارات الجسم الذي يعادل ١١،٢٪ من قيمة رأس المال الاسمي الموظف عام ١٩٤٥ ، و ٢٠،٥٪ من المبالغ الموظفة عام ١٩٥١ ، و ٣٠٪ من الاستثمارات البترولية ، يرسل قسم كبير منه خارج البلاد وقلما يعود اليها للاستثمار فيها ، ولذا يبقى مستوى العيش فيها متدنياً جداً ، لا بل ينخفض معدله بالنسبة للضغط الديموغرافي الناجم عن ازدياد عدد السكان . فمئذ عام ١٩٤٠ ، لم تعد بلدان اميركا الجنوبية سوى دولة واحدة . فهي بحاجة ماسة للعون المالي الاميركي ولا ميركا بالذات كزبون لا بد منه ولا ندحة عنه ليس لتحسين الاوضاع التي يرسفون فيها بل ايضاً منعاً للتدهور الى ما هو اسوأ ، اذ ان عدد السكان يتزايد باسرع من تزايد الانتاج الوطني فيها . ولذا رأت نفسها دوماً بحاجة ماسة لرؤوس أموال أجنبية .

وهذا التغافل الاقتصادي يصحبه إنشاء شبكة واسعة من الخطوط الجوية (كالبيان اميركان والبيان اغرا) ، وخطوط الملاحة البحرية ، وكلها تستدعي وجود فنيين واخصائيين باعداد تتزايد يوماً بعد يوم ، وانشاء مؤسسات تعليمية وبعثات دراسية الى الولايات المتحدة يتابعون فيها تحصيلهم الجامعي ، والاكتثار من مكاتب الاستعلامات ومن الجرائد التي تتلقى الوحي والالهام من مصادر اميركية ، واستيراد كميات هائلة من الافلام السينمائية (٨٠٪ من مبيعات هذه الافلام في الخارج) التي من اهداف الترويج لنمط العيش الاميركي في طول البلاد وعرضها .

تمتد سيطرة الولايات المتحدة الى كل اطراف نصف الارض

التبعية السياسية

الغربي . فسياسة العصا والعريض التي رسمها الجمهوريون مع

نيودور روزفلت منذ منتصف القرن العشرين تجاه « اللاتين المنحطين » و « انغال الكلاب » ،

بقيت جارية المفعول، ومطبقة لآسيا في منطقة البحر الكاريبي حيث اخذت مصالح الولايات المتحدة الاستراتيجية والاقتصادية تزداد شأنًا وخطورة. فالمصالح الكبرى تحرص حرصاً شديداً على قيام حكومات طيعة، سلسلة الانقياد تتركها وشأنها لتتصرف كما تريد مع انها تلاقى نفوراً وكرهاً لها لدى الشعوب، وعرضة للخطر والتهديد. ولذا توجب مساعدة هذه الحكومات عن طريق القروض التي تنفق على تقوية تشكيلات الجيش والأمن العام او مؤازرتها عند الاقتضاء بالسلاح. والطريقة التي تعتمد عليها الدبلوماسية الاميركية عادة هي الحصول على تنازلات جبركية او في شبكة الخطوط الحديدية وتنازلات عن منافع اخرى متنوعة تأتي على غرار الاساليب والخطط التي ركنت اليها الدول الأوروبية، في توطيد حمايتها على ما تبقى من الدول المستقلة في القارة الافريقية.

ففي منطقة جزر البحر الكاريبي جاء التدخل العسكري في سلسلة متصلة الحلقات. ففي كوبا حيث أرسل عام ١٩٢٠ الجنرال كرودر للفصل في قضايا انتخابية واشترط تحقيق بعض الاصلاحات المالية قبل عقد اي قرض مالي، وفي نيكاراغواي التي جرى احتلالها من سنة ١٩٠٩ الى ١٩٢٩، حيث تتمركز القواعد العسكرية الاميركية في خليج فونساكا، ولن تلبث مصلحة الجمارك والخطوط الحديدية ان وقعت تحت اشراف الاميركيين، وفي هوندوراس التي تضطر للتخلي عن مراقبة جماركها، وفي هايتي، في سان دومينيك بالذات، حيث يتسلم ادارة الشؤون المالية خبراء اميركيون. كما ان الحكومة الوطنية في سان دومينيك تستبدل لمدة اربع سنوات بحكومة عسكرية تحت اشراف البحرية الاميركية، ومنذ عام ١٩٢٣، ما من دولة من دول هذه المنطقة تعقد قرضاً مالياً خارج الولايات المتحدة، وتنهال عليها رؤوس الاموال الاميركية، لا سيما بعد هبوط الاسعار عام ١٩٢٠ وخلال السنوات التي تم فيها الاحتلال العسكري الذي اتاح لهم حيازة عدد كبير من الاراضي. وفي كوبا تملك شركات السكر خمس مساحة الجزيرة و ٦٠٪ من معامل تكرير السكر بينما ٨٠٪ من المعامل الاخرى تعيش على السلفات المالية التي تقدمها لها المصارف الاميركية؛ فالمصارف وشركات التأمين الاميركية، يقيمون بالفعل احتكاراً كاملاً للجزيرة. اما على القارة، فنحن امام «امبراطورية الموز» مملكة الشركة الاميركية الأثمار التي تملك، في سنة ١٩٣٠، مزدروعات شاسعة، لقصب السكر والكاكاو، واسطولاً من ١٠٠ سفينة (الاسطول الابيض الكبير)، وتشرف على ١٦٠٠ ميل من الخطوط الحديدية والخطوط البرقية التي تكون، على الغالب، الوحيدة في هذا البلد الذي تعمل فيه الشركة. وهذه الشركة بما لها من سفن تعمل في نقل الثمار والركاب ومن ارضية واسعة في المراهي، ومن فنادق ومعامل تكرير، ومصانع ضخمة ومن مدن عمالية هي اليوم من أهم الشركات الكبرى في العالم، شبيهة من نواح كثيرة بستاندرد اويل. فهي تشرف مباشرة او بواسطة فروعها العديدة على مساحة ثلاثة ملايين هكتار من المزدروعات (اي ما يزيد على مساحة بلجيكا)، ولها في ولاية كوستاريكا وحدها ١٠٧٠٠ هكتار من الاراضي المزروعة شجر الكاكاو،

و ٧٠٠ هكتار من حقول الموز ، ويستغل فرغها في غواتيمالا ، المعروف بشركة غواتيمالا الزراعية ٥٠٠ ٥٠٠ قطعة موز من مزرعات للموز مساحتها ١٢١ ٠٠٠ هكتار ، اي مس يوازي كل انتاج الجزر الخضراء او كناري . ويعمل في استثمار هذه المزارع جيش من العمال ، يؤتى بهم من سكان جامايكا ومقاطعة الاندلس في اسبانيا وجزر الكناري ومن الهنود الحمر ، والصين . وهي تتحكم بهؤلاء المزارعين المعزولين الذين يضطرون للتعاقد معها بعقود بيع ويتخلون لها عن جميع الارباح التي تجنيها من اعمال التسويق .

فالسكان يبقون عاجزين تماماً في وجه احتكار هذا الانتاج الضخم وهذه التجارة الواسعة بحيث تبقى الحكومات حيالها مستكينه ضعيفة ، لا تبدي ولا تعيد امام ما لهذه الشركات من غنى و ثراء وحول وطول ، والتي باستطاعتها ان ترفع الدكتاتوريات وتخفيضها كما تريد ، وان تفسد ضمائر الموظفين ورجال السياسة ، وتلاعب بالمنافسة السياسية وتهدى الانقلابات السياسية والثورات . والترابط الشديد بين مصالح مزارعي الموز والخطوط الحديدية ، وسيلة من وسائل الضغط والاكراه الفعالة ترزح كل من لا يقف الى جانبها . والنشاط الاثاني الذي تبذله هذه الشركة يتعارض كل المعارضة مع مصالح السكان ، اذ انها تعتمد على الزراعة الاحادية اي زراعة المصنف الواحد الذي يؤلف خطراً حقيقياً على اقتصاد هذه البلدان ، وتهمل جانباً قسماً كبيراً من الاراضي الصالحة لاعطاء المواد الغذائية اللازمة . كذلك هي ضد كل اصلاح اجتماعي الذي يقوي جانب العامل ويحرره من ربطة هذه الشركة ويجعله اقل طواعية لها .

وهكذا فالولايات المتحدة التي لا تمارس الاستثمار ببدلوله المتعارف ، خلقت في اميركا اللاتينية محميات خفية او مستترة كوضع اليد الكامل على جمهورية سان دومينيك او بمراقبتها الحياة الاقتصادية والمالية للبلاد كما يجري الامر تماماً مع الشركة الاميركية للثمار في غواتيمالا .

وقامت في البلاد حركة تسمى لنزع سيطرة الاجنبي وعيشه بمواردها في سبيل التحرر الوطنية ، حاولت اثراك العمال وابناء الطبقة الوسطى فيها للاسهام معاً في النجاح هذه الحركة . وهذه الجبهة وقفت في وجه الولايات المتحدة والحكومات الوطنية الخاضعة لسيطرتها التي لا تستمر في الحكم الا بدعم منها . واتخذت المعارضة اشكالاً مختلفة من المقاومة والصمود وارتدت طابعاً عنيفاً في هذه البلدان التي تم فيها تدخل عسكري : في نيكاراغواي ، اصلي سندينو الايركيين ، سلسلة من المناوشات والحروب دامت اكثر من ست سنوات . وظهر في هايتي وفي سان دومينيك « عصابات » ، منها العصابة التي ألفها الهايتي بيرالت ووجدت تجاوباً في الاوساط الشعبية وشنت سلسلة من الهجمات ضد المحتلين والحكومات المتواطئة معهم ، واضطرت الحكومة لشن حرب فعلية للتغلب عليهم استمرت سنتين . وفي كولمبيا قام العاملون في زراعة الموز بأضرار عنيفة اودى بحياة الف واحد منهم . ان نفور الشعب من هذه الاستملاكات ، والحقد الذي واجهت به كل اميركا اللاتينية الاساليب التي تلجأ

اليها المفارز الاميركية ، اجبر حكومة الرئيسين هاردنغ وكوليدج على تصفية هذه الممتلكات وعلى انتهاج سياسة جديدة من « حسن الجوار » . وهذا النفور من الاميركيين الذي كان تجلى في مؤتمر الجامعة الاميركية في سنتياغو ، عام ١٩٢٣ ، بلغ من العنف في المؤتمر الخامس لهذه الجامعة الذي عقد في هافانا ، عام ١٩٢٨ ، بحيث اضطر وزير خارجية اميركا للتمييز بين « التداخل » *Interpositon* ، و « التدخل » *Intervention* . وعندما أقر مجلس الكونغرس ، عام ١٩٢٩ ، اتفاق كيلوغ الذي ينص على عدم اللجوء للحرب اضطر للتغلي عن الملحق الذي وضعه روزفلت الذي كان ينص على ان الولايات المتحدة ، في نصف الارض الغربي ، سلطة « بوليس دولي » .

ومنذ ذلك الحين اخذت بعض الحكومات تنهج لها سياسة استقلالية جديدة سواء في مجال سياستها الخارجية كالارجنتين مثلا التي عقدت علاقات تجارية مع الاتحاد السوفياتي كما عقدت معاهدات تحالف مع الدول المجاورة لها ، او في مجال سياستها الاقتصادية بإنشائها صناعة وطنية ثقيلة ، وبالحد من مكاسب شركات الاستثمار الاجنبية وارباحها ، عن طريق مشروعات اصلاح الزراعي كزيادة التعويضات التي يتوجب عليها دفعها ورسوم جديدة واجبارها على دفع اجور اكبر للعمال الذين تستخدمهم ، او عن طريق سياسة التأمين التي انتهجتها حكومات المكسيك وبوليفيا وفنزويلا وغواتيمالا وكوستاريكا والبرازيل . وقد اضطرت جميع هذه الدول في نهاية الامر للتقيد بسياسة الولايات المتحدة . فالحاولات التي قامت بها لسن تشريعات عمالية او لوضع خطة لتطوير اقتصادياتها ، دونما نظر الى مصالح الاستثمارات الاجنبية هوجمت بعنف . وقد تمكنت « سياسة حسن الجوار » التي سارت عليها اميركا في الثلاثينيات الى تهدئة الخواطر وازالة سوء الظن في السياسة الاميركية بعد ان كانت لوحت « بالعصا الكبيرة » . وساعدت الحرب في اعقاب ١٩٣٩ ، على تقوية النهج الاميركي الجديد الذي قام على التعاون والتشاور ، مما حمل دول اميركا اللاتينية على الانجاء من الولايات المتحدة للحصول منها على عون اقتصادي ومالي . وقد تغير الوضع بعد وفاة ف. د. روزفلت . وقد امتعضت بعض الجمهوريات في اميركا اللاتينية من المداخلات المكشوفة التي اخذ يقوم بها فريق ممثلي اميركا الدبلوماسيين ، منها مثلا تدخل السفير الاميركي برادن ضد الجنرال بيرون ، في انتخابات عام ١٩٤٦ ، كما ساءها جداً المطالب الملحفة التي تنهال عليها والضغط الذي تتعرض له من قبل هؤلاء الممثلين وفي مجال العلاقات الدولية بين الاميركتين ، رات ان قضية الأمن التي تتذرع بها الولايات المتحدة والتي طالما اثارته في مؤتمر شابولتيك (١٩٤٥) وفي مؤتمر بوغوتا (١٩٤٨) لا تتعلق بها كثيراً وان تقوية امور الدفء عن نصف الكرة الغربي تعود بالنفع على الولايات المتحدة بالأكثر . ولذا فقد أبت التسليم بمبدأ مراقبة أدق للعلاقات الدولية التي تنوي وضعه موضع التنفيذ . كما نفرت من الالتزامات الحربية والمالية التي تقنع عليها من جراء هذه السياسة ، وأعربت من جهة ثانية عن امتعاضها الشديد للاعتمادات القليلة التي

يلاحظها مشروع مارشال ، اذا ما قورنت بما يخص من هذه الاعتمادات والمساعدات للبلدان العدو من قبل ، ولكيفية تطبيق النقطة الرابعة . فلم تنل جمهوريات اميركا الوسطى المتخلفة والجمهوريات الاخرى الواقعة في جبال الاندس سوى ١ - ٦ ٪ من مجموع السلفات التي وزعت على العالم وبلدان الشرق الادنى وافريقيا ولا سيما اوروبا الغربية لأسباب سياسية لا تخفى على احد .

ولذا برزت في جميع المجالات ردة فعل عدائية ، ضد السياسة الاميركية ، ففي هذه الآثار الفكرية والادبية التي اخذت تمجد ماضي الهنود التي جاد بها الكاتب البوليفي شيرو اليغريا ، والكاتب الآخر الشيلي غبريل مسترال ، والشاعر بابلو نيرودا اشهر شعراء اميركا في وقتنا هذا ، مع الشاعر البوليفي فلنسيا فيرغا والشاعر دانيال فلكرسيل البوليفي الذين اخذوا ينادون بثورة عارمة تؤمن الاستقلال التام نحو كل نفوذ اجني . والكاتب ميكل المجالو استدياس الذي تصف لنا مؤلفاته جهاد المواطنين في غواتيمالا وصراهم الدامي ضد شركات الاحتكار ورجال الاعمال التي يوجهونها الذين يستثمرون دونما شفقة او رحمة سكان هذه البلاد الفقراء (قصة : البابا الاخضر . وعيون سكان القبور) وظهرت هذه المشاعر على الاخص في المؤتمرات الاميركية الدولية ، في واشنطن عام ١٩٥٤ ، وفي كراكاس ، عام ١٩٥٤ ، ولا سيما بعد وصول الحزب الجمهوري الى الحكم اذ اخذ يهدد اصحاب رؤوس الاموال بالرجوع الى سياسة التدخل .

وتفتح الشخصية الاميركية ووقوفها في وجه اوروبا ولا سيما
الزعة الاميركية الاسبانية
في وجه الدول الانكلوسكسونية ، هذه الحركة التي انطلقت من المكسيك ، لم تلبث ان عمت كل اقطار اميركا الجنوبية . وقد وجدت تعبيرها في هذه التوعية التي تغلغلت في العنصر القومي الاصيل ، وفي هذه الردة التي تطالب باحياء الحضارة الاميركية الاسبانية الفائرة . وقد عبرت هذه الحركة عن الروح الجياشة التي غلغلت فيها ، بهذا الادب الاميركي الاصيل الذي اخذ يعالج المشكلات القومية في بلدان اميركا اللاتينية والف سداً يقف في وجه العملاء المنتصب في الشطر الشمالي من القارة . وهذه الوحدة او الاتحاد السهلة التحقيق في المجال الثقافي او الفكري ، كان من العسير جداً تحقيقها او الوصول اليها في المجالات السياسية والاقتصادية . فقد اتخذت الحكومات المعنية موقفاً متبايناً بعضها من بعض ، بالنسبة لموقعها الجغرافي ولما هي عليه من يسر وبسطة عيش وبنسبة العلاقات التي تشدها من الولايات المتحدة . فمن منها شدها الى اميركا وشائج وثيقة واواصر متينة ، كالارجنتين مثلاً ، انست من نفسها حرية اكبر وقدرة اشد للحد من النفوذ الاميركي ، بينما بقيت الجمهورية الاميركية الاخرى تحت تأثير الحزب الاميركي ، عاجزة عن كل مقاومة ، ليس من حليف يقف الى جانبها للشد من أزرها . والضغط الاميركي شق طريقه الى هذه الجمهورية ، عن طريق الانقسامات التي مكر جيداً في تغذيتها ، والتبها بعضاً في وجه البعض الآخر . فقد نجحت

أربع دول منها ، على أقدار متفاوتة ، في توطيد استقلالها ، هي المكسيك والأرجنتين والبرازيل وكوبا .

ثورة المكسيك ، وحدها بين هذه الدول ، قامت بالفعل ، بثورة اجتماعية . فالعمل البنّاء فيها بوشر به ، عام ١٩٢٠ ، عندما وضعت الحرب الأهلية أوزارها بعد ان لحقت الخراب والدمار بالبلاد ، وهي حركة تميزت بوضع حد للسلطات الواسعة التي تمتعت بها الكنيسة في تلك البلاد ، مما أدى الى حركات عصيان وتمرد غذتها مروجيات عن ظهورات عجائبية للعدراء مريم . والى اضرابات قام بها رجال الاكليروس فامتنعوا عن ممارسة واجباتهم الدينية لمدة ثلاث سنوات ، وحروب عصابات نظمها « الناصريون » وتطابق اهم مواد الدستور الاساسي التي تنص على اماكن مصادرة املاك الكنيسة ، وبعث الممتلكات الجماعية للمجتمعات القروية بعد ان نُزعت منها في الماضي ، والغاء الديون المترتبة على المزارعين وانشاء نقابات للعمل والاصلاح الزراعي الذي تمهل بتطبيقه رؤساء الجمهورية الثلاثة : كارانزا واوبريغون وكلاس ، ادى بالرغم من هذا التباطؤ في وضعه موضع التنفيذ ، الى توزيع ٤ ملايين هكتار من الاراضي على الاهلين ، كما ادى الى انشاء مصارف زراعية في البلاد ؛ الا انه لا يزال في البلاد ، عام ١٩٣٠ اكثر من ١٢٠ مليون هكتار من الاراضي تفتقر من يوزعها على مليون من الامر المكسيكية لا املاك لها . وتوقف المشروع الاصلاحى ، عند هذا الحد ، كما لم تطبق ، كما يجب ، سياسة تأميم الصناعات الاستخراجية . والمادة ٢٧ من دستور البلاد التي تعلن باطن الارض ملكية لا يمكن التصرف بها ، اعتبرت لا مفعول رجعي لها . والانجازات المهمة بالفعل والتي كان لها تأثير بعيد ، هي التي نمت على يد وزير التربية والتعليم خوسيه فاسكونسلوس الذي انشا عدداً كبيراً من المدارس في القرى وقام بمجهود ضخم في سبيل تعميم التربية الشعبية . ومع ان الثورة تعمّدت في سيرها ، فقد سجلت ، مع ذلك ، حدثاً بارزاً في تاريخ القارة الاميركية . ولأول مرة في تاريخ هذه القارة قامت ثورة زراعية عضدتها الجماهير الشعبية وهدفت للعمل في ما يؤول لخيرها ، وخرجت عن كونها مجرد تغيير فريق ليحل محله فريق آخر . وتمكن الفائزون في هذه الثورة من قتل اظاهر هذه الاقلية الاقطاعية التي طالما هبّت بمقدرات البلاد وعرفوا كيف يصمدون بنجاح في وجه ضغط المصالح الاجنبية .

وهذه الحركة الاصلاحية لقيت دفعا اكبر ابان استداد الازمة المالية عندما انتخب كارديناس رئيساً للبلاد . فبين ادارته والخطّة الجديدة التي وضعها ف. د. روزفلت اكثر من شبه واحد ، فقد وقف كارديناس الى جانب الفلاحين والمزارعين ، واولى اهتماماً صادقا بحركة بعث البلاد وتجديدها عن طريق تأمين الاستقلال الاقتصادي للبلاد وتحقيق الاشتراكية العمالية والزراعية وهي المطالب التي جاش بها وتبناها الجناح اليساري للحزب الوطني الثوري (P. N. R.) وأخذ تحت رعايته وتوجيهه تنظيم الجبهة الوطنية المكسيكانية التي لم تلبث ان اصبحت الحزب الثوري المكسيكاني ، الذي جمع حوله الجناح اليساري لحزب الاحرار وعدداً كبيراً من المنظمات

الصغيرة ، والاتحاد المكسيكاني للعمال الذي أسسه لمباردو توليدانو ، عام ١٩٣٦ والاتحاد الوطني الريفي (C. N. C.) . واعيد العمل بمشروع توزيع الاراضي وجرى تنفيذه بسرعة لم نمهدا من قبل . فقد جرى توزيع ٢٠ مليون هكتار ، عام ١٩٤٠ على ٧٧٤ ٠٠٠ أسرة . وقد وزعت هذه الاراضي على اصحابها ، كمقارات شخصية او فردية ، بينها حاولت الحكومة - خلافا لما جرت عليه الحكومات السابقة التي هدفت لجعل هذه الاراضي الموزعة مرحلة يتهيا معها الهنود ليصبحوا من صغار الملاكين ان تجعل منها مزارع تعاونية مجهزة تجهيزاً حديثاً . وقد تولى كريدناس بنفسه تنفيذ هذه العملية في قضاء لاغونا ، حيث الفت ٣٩ ٠٠٠ أسرة من ٢٨٠ ٠٠٠ هكتار اقطعت لها ، مزارع تعاونية ، كان لها من النجاح والازدهار ما شجع على توسيع هذا الاختبار ، الى مقاطعات يوكاتان وسونورا .

وبتأثير من المنظمات المالية التي اخذت تطالب بأجور أعلى ، ورغبة منه بتأمين موارد جديدة للبلاد ، وعمل بالسياسة العامة التي اعتمدها والتي رمى من ورائها للاحتفاظ بموارد البلاد للبلاد عملاً بالشعار : « المكسيك للمكسيكيين » راح الرئيس كريدناس يطبق قانون التأميم الذي صدر عام ١٩٣٦ ، لارغام ارباب العمل على القبول بعمود جماعية . وسند بنفوذ حركة الاضرابات وصادر الاستثمارات الاجنبية وحولها الى تعاونيات . فقد أمم ، عام ١٩٣٧ ، الخطوط الحديدية (وهي بريطانية في معظمها) ، كما أمم عام ١٩٣٩ ، شركات البترول التي يعود معظمها للأميركيين بعد أن تأزمت العلاقات بين اصحابها والنقابات المالية . الا ان خلفاءه تراجعوا عن هذه السياسة من بعدها ، عام ١٩٤٠ امام الشركات التي اخذت تعرقل بيع البترول المكسيكاني وتسببت بنشوب ازمة مالية في البلاد .

وبعد ان غطت الثورة المكسيكانية في نومها بين ١٩٢٩ - ١٩٣٤ ولا سيما بعد ١٩٤٠ ، فقد برهنت عن حيوية زاخرة ونشاط عارم ببعث الفن الوطني الاصيل في البلاد فسجلت بذلك عملاً ندر مثيله في عصرنا هذا ، إذ افرغت هذا الفن في حياة المجتمع المكسيكاني : فالرسامون والنقاشون والحفاريون المكسيكيون يعملون وثيقاً مع الجماهير الشعبية ، وبذلك بعثوا من جديد التقاليد الاصلية التي سارت عليها البلاد من قبل وترسمتها ، فجاءت بذلك دليلاً على المثل العالية التي جاشت بها الثورة ، فعبروا بالآثار الفنية التي وضعوها على الآلام والمصائب التي انتهالت على الشعب المكسيكاني . فن قاس ، خشن ، بليغ هذا الفن ، الا انه فن ، النبيل والاباء ملء وقاضه ، يزخر بالقوة مع اوزوكو وريفيرو وسيكويروس . الا ان الثورة تخلت ، على ما يبدو عن الصورة التي تمثلتها لديموقراطية عمالية زراعية . وبالرغم من الاسم الذي عرف به الحزب الحاكم وهو : الحزب الثوري المكسيكاني ، الذي كان الجهاز الممثل للطبقات الوسطى في المدن ، فقد اصدر تشريعات اخذت تملاء ، اكثر فأكثر ، قسام المقارات الكبرى وتراعي جانب الكنيسة الكاثوليكية . فالبطالة والحاجة الى الارض والتضخم المالي المتصاعد كل ذلك

وجد له صمام امان في الهجرة الجماهيرية المتسيرة غالباً ، والبائسة دوماً ، باتجاه الولايات المتحدة الاميركية .

ارجنتين يبرون فالامثلة البليغة التي نستمدّها من سلوك الدولتين الكبيرين في اميركا اللاتينية قدل بوضوح ، بالرغم من الارتجاجات وحركة النكوص التي ارتسمت عليها ، على عمق التطور الذي وقع منذ نصف قرن في هذه البلدان وسيرها الحثيث نحو تحقيق استقلال اكبر .

ولما كانت الارجنتين مرقبطة الى حد بعيد ببريطانيا العظمى من الوجهة الاقتصادية ، فقد تأثرت بعيداً بالازمة الاقتصادية الكبرى واصبحت على حافة كارثة مالية تهددها لا سيما بعد اتفاقات اوتوا حيث نالت منافستها الكبيرتان : كندا واستراليا ، من المنافع والامتيازات ، في الاسواق البريطانية ، ما كانت تتمنى ان تنال منه نزرأ نزرأ . ولذا اخذت هذه الاقلية الصغيرة ، الميالة للانكليز والتي تطالب بتنشيط انتاج الحبوب في البلاد والتوسع في تربية الماشية ، والتي استطاعت ان تسقط الراديكاليين وتبعدهم عن الحكم ، تثير معارضة التجار وسكان المدن المعروفين بمعدائهم لسياسة تغليب الزراعة في البلاد التي من بعض نتائجها تعزيز استيراد المواد المشغولة واجتذاب رؤوس الاموال البريطانية . وقد راح الحزب الراديكالي المحافظ ينحى باللائمة على كبار الملاكين العقاريين المتولين الحكم في البلاد ، بمرقلة الازدهار الاقتصادي فيها واخذوا يطالبون بسياسة أشد واقوى تأخذ على نفسها تصنيع البلاد وتعمل على تنويع الاقتصاد وتلويثه بحيث تتوفر ليس ظروف الكسب والربح امام الصناعيين وزبائنهم من التجار فحسب ، بل ايضاً اجتذاباً للمهاجرين ولليد العاملة . ان سياسة توسيع المزارع وايجساد الالوف من صغار الملاكين ، من شأنه ان يخلق في الداخل سوقاً لا بد منها لتصريف الانتاج الصناعي ، كما انهم — يُحِبُّون من جهة اخرى بأن يساهموا مساهمة اكبر بسياسة الجامعة الاميركية بحيث تتأمن مصالح البلاد العليا ، وتستقيم المنافسة الانكلو الاميركية . وأدت المضاربات ، خلال الحرب والعسر المالي الذي عانت منه البلاد الى ارتفاع الاسعار والى المزيد من الاستياء العام بين الاهلين ، وفي الرابع من حزيران ، أدت « حركة زعماء الجيش » الى قلب الحكومة . فنحن ليس امام انقلاب عسكري تقليدي من النوع المعروف . فالضباط الذين هياوها استجابوا بالأكثر لروح التمسك باليد الارجنتينية كما ظهرت عبر الاجيال وللروح الكاثوليكية المحافظة التي اثارها رجال الدين المعجبون بفرنكو ، كما استجابوا للمشاعر المضادة للديموقراطية وللسامية التي جاش بها الجيش ، واعجابها بالجيش الالماني وببعضها لكل ما هو اجنبي ولكل ما ينسجم مع رسالة الارجنتين المقدسة التي تعمل في سبيل وحدة اميركا الاسبانية ، وللدعاية الفاشية وللنازية والفرنكوية . فنحن هنا امام مزيج من نوع خاص تآلفت عناصره من رجعة كلاسيكية ومن روح قومية ثورية حديثة شاعت بين الطبقات المفكرة والضباط وشبيبة الطبقة المتوسطة عدوة الرأسمالية والليبرالية والديموقراطية التي ترغب بأن يوضع حد نهائي للفساد في البلاد والى عجز الحكام الذين

اخذوا ينظرون اليهم نظراً الى عملاء الرأسماليين الاجانب ، ولا سيما عملاء البريطانيين وراح الضباط الشبان ذوو النزعة النازية يُنحَثون جانباً الجنرالات ذوي الميل الرجعية والمشاعر التقليدية ، ويطبِّعون برنامجهم : فالوصول الى مركز القيادة في اميركا الجنوبية يقتضي له صناعة قوية تستطيع ان تؤمن للجيش الوسائل التي تساعد على تعادل ما للبرازيل ، الجارة المنافسة الكبرى التي تساندها الولايات المتحدة ، من صناعة قوية ومن قوة حربية . والنظام الجديد ينسج على منوال الفاشية : تقوية قوى الأمن العام (وجماعها من القوة والبطش في بونس آيرس كما هي في نيويورك التي تزيدها اتساعاً ثلاثة اضعاف) ، وانشاء « مصلحة خاصة » تكون نسخة طبق الاصل من الغستابو الالماني ويلجأ الى الاساليب ذاتها ويقوم بعمليات مذابح بالجملة بين احماء اليهود في المدن ، ويضع تحت اشرافه الصحافة والاذاعة ، والمراقبة وحل الكونغرس ، ومراقبة التعليم الديني وينشر المبادئ التي تقول بها الدكتاتورية وتعلم ، والتدريب العسكري لكل الجنسين من سن ١٢ سنة فصاعداً ، ومضاعفة خمسة اضعاف ميزانية الدفاع والحربية .

ولكي تعترف بها الامم المتحدة ، اضطرت الحكومة للاعتراف بالاحزاب ، حتى بالحزب الشيوعي ، انما تخضعها لمراقبة دقيقة وتخضع الانتخابات التي تقوم بها للإرهاب . وجرى ترسيخ النظام الجديد على يد بيرون الذي دخل للحكومة عام ١٩٤٥ وقد أنيطت به وزارة العمل والضمان الاجتماعي وقام فيها باصلاحات أمنت له شعبية جنونية ، اذ أدت الى زيادة محسوسة في اجور العمل ، وتثبيت اسعار المواد الغذائية ، وتحديد حد أدنى للعمال الزراعيين ، وظهر للجميع بأنه الشخص الوحيد الذي يستطيع الوقوف في وجه الاستئثار الاجنبي البغيض وان يضع حداً للبؤس والشقاء المسيطرين على المدينة والريف معاً . واصحاب القمصان السوداء كلهم يتهاككون في خدمته ويتدخلون لمصلحته بتنظيم مظاهرات ضخمة هادرة تأييداً له كلما كانت سيطرته أو نفوذه في خطر .

« المدلانية » فهو صاحب « النظام المدلاني » ، وهو نظام دكتاتوري يؤلف حلقة ثالثة في سلسلة هذه الانظمة الجماعية ، يذبذ على السواء الرأسمالية والشيوعية . ويعرف هذا النظام بكونه « نظاماً فلسفياً في جوهره » ، يتميز عن الفردانية الرأسمالية كما يختلف عن الجماعية من جميع الوجوه . و « النظام المدلاني » هذا مستوحى في اصوله العامة من انظمة موسوليني وسالازار وكديانو ، ولذا فهو يمت الى الفاشية بسبب وثيق . فهو كمثلته المحدثي ، يشدد على الاستقلال الاقتصادي ، وعلى العدالة الاجتماعية والسيادة الوطنية دون أي رغبة في تحقيق الدولة الحرفية او المهنية وبدون ان يولي النقابات اية وظيفة عامة . واسوة بالنظم الفاشية ، فقد علل النفس بالقضاء على الصراع الطبقي واستبداله بالتعاون المتبادل فيما بين الطبقات . اما القومية عنده فأساسها العرق دون الفكرة البيولوجية ، « فهي نظرية روحية محض » .

والنقابات التي تعين الحكومة رؤسائها ، تضم طبقة عمالية يفتقد عليها النظام عوارفه :

كالمعقود الاجتماعية ، ومرتب شهر اضافي في آخر السنة والضمان الاجتماعي الإلزامي والمشاركة في الأرباح ، وقوانين مضادة للتكتلات الاحتكارية .

وقد صدر في البلاد ، عام ١٩٤٩ ، دستور جديد شدد كثيراً من جانب السلطة التنفيذية ، يضمن حقوق العمال الاجتماعية ، وأشار من طرف خفي على « ان الملكية الاجتماعية » ستأتي بديلاً للملكية الفردية . وإيفا بيرون « سيدة الامل » أخذت على نفسها تأسيس منظمة خيرية تمد يداً مسعفة للشيوخ وللأولاد وللنساء ، وتؤمن للنظام القائم شعبية واسعة . من مفارقات هذا النظام هو انه في الوقت الذي برز فيه نصيراً للطبقات الراححة والمضطهدة يبعث فيها الشعور الطبقي المبني على البروليتاريا العمالية او الـ *Negada* (طبقة الصماليك) ، راح يشدد من جانب القوى الرجعية في البلاد : كالجيش والبوليس والاكليروس . وقنع بأن 'يحيّد' الاسر القديمة ويراعي جانبها بعد ان امتنع من تطبيق القانون بحمها ، هذا القانون الذي يميز له مصادرة املاكها الواسعة وتوزيعها على الشعب .

والمحازاة الاقتصادية لم تأت اقل شأنًا وقدرًا . ولكي يحرر البلاد من وصاية الاجنبي عليها ، كان لا بد من انشاء صناعة وطنية قوية . ولذا سار على سياسة الاقتصاد الموجه والتأميم ، هذه السياسة التي تضع بين ايدي الدولة القطاعات الرئيسية في الاقتصاد الوطني . وعلى هذا الاساس جرى تأميم البنك الاهلي وفرض الرقابة على كل مؤسسات التسليف ، وانشأ اسطولاً تجارياً ملكاً للدولة كما عهد الى شركات وطنية باستثمار ثروات البلاد من البترول والفحم الحجري . أما الصناعات الاخرى ، فعملت الدولة على تشجيعها وسهلت لها وسائل النهوض بالخطّة الاقتصادية التي وضعتها ، وذلك عن طريق تسهيلات مالية واعفاءها من الضرائب ، ومعدل قطع تفضلي .. وتمويل مشروع تصنيع البلاد يجب ان تؤمنه الزراعة . فعلى مكتب تأمين النقد النادر ان يشتري محاصيل البلاد بالعملة الوطنية (البيزوس) من المنتجين لها ، على ان يبيعها للخارج بأعلى سعر ممكن تأمينه بالليرات الانكليزية . وهكذا دخلت الخطّة الخامسة الاولى (١٩٤٧ - ١٩٥١) دور التنفيذ ، وجاءت نتائج الانتاج الوطني مرضية متفقة تماماً مع التصميم الموضوع حتى عام ١٩٤٨ ؛ الا انه حدث بعد هذا التاريخ ركود عام في الخطّة . والتأميمات الوحيدة التي اجريت انحصرت في شراء شبكة الخطوط الحديدية من الشركات الفرنسية والانكليزية ، وشراء شبكة التلفون من الشركة الاميركية بل محتكرة هذه الشبكة . ومن الواضح ان هذه الخطّة الجديدة الواسعة لم يكن من الممكن تطبيقها لعدم توفر رؤوس الاموال اللازمة في البلاد ، وللبليّة القائمة بين التوسع الصناعي وركود الزراعة . وقد حدث بالفعل تأخر ملحوظ في المجال الزراعي ومن جراء نقص في اليد العاملة التي مالت للعمل في المصانع ، وللتفاوت العظيم بين اسعار المواد الزراعية والمنتوجات الصناعية ، وهو سعر متدن جداً تدفعه الحكومة كان من بعض نتائجها تناقص الاراضي المزروعة قحاً وبالتالي نقص يلحق التصدير . وقبل الحجاز الخطّة الموسوعة ، عام ١٩٤٩ ، كان لا بد من « قلب البخار » وانتهاج سياسة تعمل على تشجيع الزراعة في البلاد .

وعصر النفقات العامة . وارتقاع حركة التصدير التي نتجت عن التسليح الاميركي واشتباكها بحرب كوريا افسدها ارتفاع الاسعار العالمية فزادت من كلفة الاستيراد بحيث انخفضت جداً القدرة الشرائية في البلاد وعمد كثيرون من رجال الصناعة والتجارة الى التخفيف من نشاطهم وعادت البطالة تكثر عن انيابها ، عام ١٩٥٠ و ١٩٥١ ، وزاد التضخم المالي في البلاد . ومع ذلك فقد اعطت الانتخابات العامة الجنرال بيرون ، عام ١٩٥١ اكثرية اقوى من التي تمت له عام ١٩٤٠ .

١ وجاءت الخطة الخمسية الثانية ١٩٥٣ - ١٩٥٧ تختلف تماماً عن سابقتها . فقد حلت فيها لزراعة وتربية الماشية المرتبة الاولى من العناية ، ووضعت للتصنيع برنامج متواضع جداً كان لا بد للنموض به ، من الاعتماد على رؤوس الاموال الاجنبية . وحاول بيرون ان يستدرج الممولين الاميركيين ، واضطر في هذا السبيل لتوقيع اتفاقات مع شركة ستاندرد اويل . وقد بعثت هذه المصاعب التي لقيها المعارضون من مكنتها مع انها لم تلق سلاحها . وقام في البلاد حلف ضم كبار الملاكين العقاريين بعد ان كان بيرون راعى جانبهم وابقاهم دوماً تحت التهديد ، والتجار والطبقات المتوسطة ، والطلاب ورجال الفكر الذين استهدفوا للاضطهاد ، والكنيسة التي اقلقها انشاء اتحاد بيروني ضم الطلاب والجيش والبحرية ، واسقط من الحكم في ايلول عام ١٩٥٥ .

ان مقاومته العنيفة للولايات المتحدة الاميركية ، والدور الذي لعبه كالدافع الاكبر عن اميركا اللاتينية ضد خصم عنيد بطاش ، اكسبه نفوذاً كبيراً . فالنجاحات التي حققتها انجازاته في الحقل الاجتماعي ، بعد عام ١٩٤٥ ، والجهود التي بذلها لبعث ثورة سياسية واقتصادية تعم اميركا اللاتينية بطولها ، ضد الاميركيين ، قوبلت بدوي عظيم تجاوبت ارجاؤه في كل جمهوريات هذه القارة ، وامنت له العديد من الانصار والمريدين ولم تلبث ان استوثقت علاقته بكثير من الدول في الخارج ولا سيما مع الفئات العسكرية والمدنية التي جاشت مثله بالاماني نفسها ، وراح « الملاحقون التجاريون » في سفارات الارجنتين في الخارج ومفوضياتها يبشرون تعاليمه ومبادئه العدلانية . وقد قام بعد عام ١٩٤٣ ، في طول البلاد وعرضها زملاء او رصفاء لبيرون ، اثر الثورة التي اندلعت نيرانها في بوليفيا ، والانقلابات المتتالية التي وقعت تباعاً في باراغواي ، وانتخاب فيلاسكو ايبارا في الاكوادور ، وباز استنسورو في بوليفيا ، والجنرال ايبانيز في الشيلي الذين وقفوا موقفاً استقلالياً شديداً من الاحتكارات الاميركية وقاموا بحركات تأميم في بلادهم . وعقدت معاهدات تجارية رمت كلها الى تأمين التعاون بين النظم الاقتصادية المعمول بها في هذه الدول وراح كل منهم يقف موقفاً استقلالياً باتجاه الولايات المتحدة . ولذا جاء هبوطه انتقاماً ثأرياً اعدته الاحزاب القديمة والطبقات الموجهة التقليدية ، كما ساهمت في احكامه المصالح الاجنبية التي وجدت في وضع الارجنتين المالي الصعب ، فرصة لها سانحة لاستعادة ما خسرت في هذا المجال .

تأثرت البرازيل التي شدتها الى الولايات المتحدة روابط اقتصادية متينة ، الى
برازيل فرغاس
حذ بعيد من الانهيار المالي الذي اصاب الولايات المتحدة وخلخل اقتصادها ،
عام ١٩٢٩ ، اذ انخفضت الاسعار فيها ٢/٣ قيمتها ، وافلس عدد كبير من اصحاب الاملاك
المقارية فألت املاكهم فجأة الى ايدي ممثلي البورجوازية . والثورة العسكرية التي وقعت
عام ١٩٣٠ ، ورفعت فرغاس الى السلطة ، وضعت حداً لسيطرة الأُطر التقليدية وجلبت الى
الحكم عناصر جديدة عمادها الطبقات المتوسطة في البلاد ، وخلقت الدولة الجديدة : قومية
اصلاحية . وتمكن فرغاس من التغلب على المراقيل والصعوبات التي اثارها في وجه الحزب الفاشي ،
وتحطيم المقاومات المحلية والحركة الانفصالية التي ظهرت في ولاية ساو بالو ، عام ١٩٣٢ .
ووطد سلطته عام ١٩٣٧ ، بوضعه دستوراً جديداً اعترف له بحق تجديد ولايته : بحيث بقيت
دكتاتوريته قائمة حتى سنة ١٩٤٥ . وقوى من سلطات الحكومة الاتحادية ، وألغى الجيوش
المحلية ، وانتهج سياسة اصلاحية انتهازية استهدفت تحسين وضع الفلاح والخلاسي والمثولين ، عن
طريق تحديد ساعات العمل في اليوم . وقد حاربت النخبة الفكرية المتحررة في البلاد ، كما لقي
حرباً عواناً من قبل المجتمع القديم ، المؤلف من الأسر القديمة والارستوقراطية المقارية ،
والاعيان ، بعد ان خلخل ما كان لهم من شأن ونفوذ ، كما ان استئثار الطبقات الوسطى
بالسلطة حرّمهم من وسائل العمل والتأثير في البلاد .

وقد احتفظ بمقاليد السلطة حتى عام ١٩٤٥ بفضل الشعبية التي تمتع بها والتي اعادته الى
مركز السلطة والقيادة عام ١٩٥٠ ، في اعقاب الفترة الدستورية التي شغلها الجنرال دورا ،
واحتفظ بها حتى وافاه الاجل المحتوم ، عام ١٩٥٤ . وعلى شاكلة « المعدلانية » ، التي اسسها
بيرون ، قال « Gélutisme » التي اقامها فرغاس ، قامت مع محاربتها الشيوعية ، بجهود طائفة
لتحسين اوضاع الفلاحين والعمال في البلاد . وتولى وضع تشريع اجتماعي لم يعرف مثله الى ذلك
الحين اقتصر اثره على المدن الا انه ترك حائلة من البؤس والشقاء وعدم المساواة في المجتمع
البرازيلي ، وجمع حوله العناصر الشعبية ، كما ان السياسة التي انتهجها في تصنيع البلاد اكسبته
عطف رجال الاعمال بعد ان غض النظام النظر عن الارباح الطائلة التي كانوا يجنونها . فدكتاتورية
من هذه الدكتاتوريات الانتهازية « الاكثر فطنة والاقبل وحشية .. لا عنف فيها ولا مبادئ »
لها ، . وفرغاس لا يفي بوعوده ، الا انه يتدبر الامر في ارضاء الجميع ، فقد غض النظر عن
تعدد الاحزاب في البلاد ، وحرية الصحافة لا أثر لها في عهده ، ومع ذلك فحرية الكلام تبقى
كاملة غير منقوصة . فالاحزاب الجماعية التي ظهرت قبل عام ١٩٤٠ والشيوعية تكافح وتعتبر
غير شرعية الا انه يحافظ على علاقاته مع زعمائها . فبعد ان عبر عن مشاعرها نحو دول المحور ،
هاد وتحالف مع الولايات المتحدة الاميركية وارسل حملة تشترك بالحرب في ايطاليا . ومع انسه
يعتمد على الروح الوطنية في البرازيل المعروفة بعدائها للاميركيين ، فقد استخدم الاعتمادات
الطائلة التي وضعتها الولايات المتحدة تحت تصرفه ، لتشجيع حركة التصنيع في البلاد ، من جميع

وجوهرها . ووضع عام ١٩٤٥ خطته الائتمانية لتطوير البلاد المعروفة S. A. T. E. (الصحة العامة - التغذية - النقل والطاقة) ، وهو برنامج رمى من ورائه الى رفع مستوى العيش بين العمال . وبعبارة اخرى : الانتاج ووسائل النقل ومصادر الطاقة التي تكون الاعمدة الاساسية لكل تطوير في الزراعة والصناعة . وادى انتصار الحلفاء على المانيا، هنا كما في اي مكان آخر من بلدان اميركا اللاتينية الى زوال النظم الدكتاتورية . فقد اجبر الجنرال دوتروا ، فرغاس على التعلي عن الحكم وأقر دستور جديد للبلاد عمل بموجبه ابتداء من عام ١٩٤٦ .

وفي خلال خمس سنوات تولى الحكم في البرازيل حكومة منبثقة عن تحالف بين الكاثوليك والمحافظين ، زاد خلالها التضخم المالي من جراء الازمة الاقتصادية التي عقيبت الحرب ، وارتفعت الاسعار اكثر مما ارتفعت الاجور . وكشف الاثراء الهائل المتجمع في ايدي قلة من الناس البؤس المدقع والشقاء المسيطر على البلاد . واعادت انتخابات عام ١٩٥٠ فرغاس الى كرسي الرئاسة ومعه برنامج اجتماعي اجراً من اي وقت سبق . وفي ايار ١٩٥٤ ، رفع الاجور ١٠٠٪ وانشأ الـ *Petrobas* الذي هو عبارة عن احتكار الدولة للبترول ، كما انشأ الـ *Electrobas* الذي لم يكن حتى ذلك التاريخ سوى بناء مركز ضخيم لتوليد الطاقة الكهربائية تابع للدولة الا انه يؤلف بالفعل تهديداً لرؤوس الاموال الاجنبية التي وظفت في البلاد قبل عام ١٩٤٥ ، واذا ذلك حدث انقلاب عسكري دعاه للتنازل والانسحاب . فانتحاره المؤثر ووصيته البليغة قوت شعبيته ، وقام حزبه اي الحزب العمالي بانتخاب الرئيس بوبتشيك لتولي مهام الرئاسة الاولى ، كما انتخب نائباً له ج. غولار ، وزير الاشغال العامة في عهد فرغاس . وانتصار الـ *Gélutisme* انما يعني انتصار حزب اليسار . وقد نصح الحزب الشيوعي الممنوع في البلاد التصويت الى جانبه ، وهو بالحقيقة فوز العناصر التي تهتم بتطوير الصناعة بين الشعب البرازيلي ، وتقوية السوق الداخلية ، والتجارة مع جميع الاقطار في وجه الطبقات الموجهة القديمة المتحالفة مع الرأسمال الاجنبي . بينما الطبقات الشعبية لم تكن حتى الآن سوى عنصر تكميلي ليس الا .

قام النظامان البيروني والجيوتولي على التباس : هو محاولة تحويل انتفاضات الجماهير عن الاجنبي ... فقد احترما الامتيازات التي نعمت بها الاقليات القديمة وحافظا عليها ، لا سيما الارستوقراطية العقارية القديمة وشركات الاستثمار الخاصة في الوقت الذي جهدا للعمل في سبيل تحسين ظروف العيش بين الجماهير والنهوض بالتصنيع الذي هو أساس كل استقلال اقتصادي . وقد رفضا كلاهما الاخذ باصلاحات جذرية او المس بأرباح رأس المال ، مؤثرين اللجوء الى التضخم المالي لمواجهة متطلبات الاستثمارات والنفقات الاجتماعية . وهكذا تسببا في رفع الاسعار وزادا الوضع تشويشاً بزيادة اختلال التوازن في الميزان التجاري . فلم يكن من المسير على هذه الاوليفارشيات ، والحالة هذه ، ان تزيجها معاً بمؤازرة المصالح الكبرى العائدة لدول اميركا الشمالية .

٤ - وضع القارة بعد ثورة كوبا

اثار الفوز الذي حققه رجال المقاومة (*Maquisards*) على دكتاتورية باتيستا الدامية ، في كانون الثاني ١٩٥٩ ، في الحياة الدولية ، ازمة حادة في العلاقات الدولية بين الولايات المتحدة الاميركية والاتحاد السوفياتي عن طريق احتمال المجابهة المسلحة بين القوتين العملاقتين ؛ كما ساعدت على احداث تغيير جذري في اوضاع القارة من الوجهتين السياسية والاجتماعية .

الثورة الكوبية ولتائجها
فقد كانت كوبا بالفعل مستعمرة للولايات المتحدة تستثمرها وتمتص خيراتها عن طريق الشركات الضخمة التي كانت تتصرف بملكات شاسعة يزيد بعضها على نصف مساحة محافظة من المحافظات الفرنسية ، وبواسطة مصانع هامة كانت جميعها تتحكم بجميع مرافق النشاط الاقتصادي في الجزيرة . وقد باشرت كوبا ، منذ سقوط حكومة باتيستا الاخذ بسلسلة من الاصلاحات رمت الى تحسين مستوى العيش بين الجماهير الكادحة : كتمخيف الاجور ، وتحويل المزارع الكبرى الى تعاونيات زراعية ، ومكافحة الامية في البلاد ، وتسليم الميليشيا الشعبية . وقد استهدفت هذه التدابير الاصلاحية لمقاومة كبار الملاكين ولرجال الاعمال ، كما واجهت عقوبات صارمة من قبل الولايات المتحدة ، وثالث اكتمالها بالقانون الزراعي الذي صدر في ١٧ ايار ١٩٥٩ . وعندما قررت اميركا عام ١٩٦٠ ، ادخال تعديلات على الحصص المسموح استيرادها من السكر ، تحول الصراع الى صراع مكشوف . فحاولت اميركا من جهتها ، انشاء جيش لغزو كوبا يتألف من المهاجرين الكوبيين عندها ، وفرض الحظر على التصدير لكوبا بجميع اشكاله كما ردت كوبا من جهتها على هذه التدابير باتفاق عقده مع الاتحاد السوفياتي تعهد معه شراء السكر والفاكهة والفزول النباتية ، وتقديم مساعدات مالية ، كما صادرت الشركات الاميركية العاملة في الجزيرة (معامل السكر ومصافي البترول ، ومعامل توليد الكهرباء والتلفون) ، وتأميم المصارف في البلاد ، والوقوف سياسياً الى جانب الاتحاد السوفياتي . وكلها تدابير واجراءات جذرية مضادة لبعضها من كلا الجانبين ، وانتهت في كانون الثاني ١٩٦١ الى قطع العلاقات الدبلوماسية بين البلدين ، والى محاولة فاشلة بانزال المهاجرين على شواطئ الجزيرة في خليج كوشون ، وهي محاولة دبرتها السلطات الاميركية .

المشكلة الزراعية
فالنجاح الذي حققته الثورة في كوبا وعجز الولايات المتحدة في الوقوف في وجه الاصلاحات التي قام بها فيدل كاسترو ، وهي دندنة عرفت عنهم وعمدوا اليها في كل مكان آخر ، اثار في البلدان التي تتعامل من تابعيتها للولايات المتحدة ، آمالاً عراضاً ، كما اثار فيها الرغبة بالسير على منوالها . والقضاء على الجيش الذي اوفدته الدكتاتورية كان الفضل فيه للفلاحين والمزارعين . فاثار هذا الدرس البليغ تعطيه المقاومة الكوبية حركة احتياج في كل مكان ؛ وظهرت في جميع هذه الدول تكتلات زراعية ، واحتلال

للأراضي من قبل الفلاحين في المقاطعات الواقعة الى الشمال الشرقي من البرازيل وولاية ريو غراندي في الجنوب ، واضطرابات المزارعين في البيرو ، وفي الاكوادور وكولمبيا وفنزويلا وغيرها . ومرد ذلك يعود الى تطور وسائل الاعلام والاتصال ، كما ان تغلغل الصحافة والراديو وضع هذا العالم الريفي على اتصال بالعالم اجمع ، فأخذ يعي نفسه ويعي حاجاته وما فيه من قوى وامكانات .

ولذا راحت الحكومات تتخذ من التدابير والاجراءات ما يحول دون امتداد العبودية الثورية وانتشارها . ولذا نرى ان من النتائج الاولى للثورة الكوبية جعل الرأي العام يشعر بضرورة القيام باصلاحات زراعية هي الاساس لكل تطور جذري يراد ادخاله على هذه البلدان والدفع الديموغرافي العنيف الذي يفجر الانتاج عن متابعته والحقاق به (المعدل السنوي للانتاج بالنسبة للفرد الذي كان يزداد بمعدل ٣,٣٪ عام ١٩٤٥ ، لم يعد ليزداد ، عام ١٩٦٣ ، سوى ١٪) وحركة النزوح بالجملة للجماهير من الريف الى المدينة التي ألحقت الخلل بالاقتصاد اكثر فاكثرت كل ذلك قضي بزوال السلطة المطلقة التي اعتادت ممارستها السلطات التقليدية على سكان الريف ، اذ ان نظام المزارع الواسعة الذي تعتمد من شأنه ان يؤخر تطور الانتاج الزراعي في البلاد ، كما يمتد ازدهار القطاع الصناعي فيها ، ويبقى خارج الاسواق ، في نظام اقتصادي أساسه الاستهلاك ، جانباً مهماً من السكان ، كما يترك دونها استثمار او استغلال مساحات زراعية شاسعة بينما هنالك العديد من العمال الذين لا عمل لهم . في هذا الوقت بالذات الذي سجل انتاج اميركا الجنوبية للمحاصيل الزراعية نسبة اقل من عام ١٩٣٩ بالنظر للفرد .

وهكذا نرى بين السنوات ١٩٥٩ - ١٩٦٣ ، تطل علينا قوانين زراعية ومشاريع قوانين ، عديدة في الاكوادور (العمل عام ١٩٥٩ بمشروع قانون بقي حرقاً جامداً منذ عام ١٩٥٤) ، وفي فنزويلا ، عام ١٩٦٠ ، وسان سلفادور وكوستاريكا ، عام ١٩٦١ ، وبناما والبيرو ، وكولمبيا والسيلبي والبرازيل وجمهورية الدومينيك وهايتي وهوندوراس ، عام ١٩٦٢ . وقد لقيت هذه التشريعات ، في كل مكان مقاومة يائسة انما ناجحة للآن ، من قبل الملاكين . وهذا الوضع أدى الى نشوب ثورة في البرازيل في ربيع ١٩٦٤ أدت الى سقوط الرئيس غولار عندما اراد ان يطبق القانون الذي اصدره عام ١٩٦٢ ، الرئيس كوادروس ، وهذا ما يفسر لنا ايضاً الثورة التي قامت عام ١٩٦٥ بمساعدة الجنود الاميركيين في جمهورية دومينيك وقلبت الحكومة الدستورية القائمة فيها التي اظهرت استعدادها لتطبيق قانون اعده معهد الاصلاح الزراعي فيها .

وفي اربعة بلدان لا غير ، تحقق اصلاح زراعي له شأنه اثر هو في طريقه الى التطبيق الفعلي . فالمكسيك الذي كان رائداً في هذا المجال منذ عام ١٩١٠ والذي جاء فيه الاصلاح على مراحل ، لاسيما في الحقبة الواقعة بين ١٩٢٠ - ١٩٢٨ ، والحقبة الاخرى الواقعة بين ١٩٣٤ - ١٩٤٠ ، وفي عهد رئاسة الرئيس ادولفو لوبيز ماتيوس . وعمدت بوليفيا ، تطبيقاً

منها لقانون اقرته عام ١٩٥٣ الحركة الوطنية الثورية (M. N. R.) برئاسة فكتور باز استنيسورو الى مصادرة الاراضي الزراعية التي كانت في وضع « نصف اقطاعي » ، وذلك عقب احتلال الهنود المفاجيء للاراضي . وبعض الاحيان الى مصادرة بعض الاطيان ، اذا ما تجاوزت مساحتها حداً معيناً ، التي يطبق في استثمارها الوسائل والاعتدة الحديثة وبالرغم من قلة الاشخاص المؤهلين واقتتار البلاد للاعتمادات اللازمة ، فقد خضع عام ١٩٦٣ ، نحو ٤٠٪ من مجموع الاراضي الزراعية التي اصحابها الاصلاح (٣٤٠٠٠٠٠ هكتار) للتوزيع ووزعت بالفعل على ١٤٥٠٠٠ مزارع . وفي فنزويلا حيث العمل الديموقراطي وهو حزب الرئيس رومولو بيتانكور كانت وزع الاراضي المصادرة (والتي امر الدكتاتور بيريس خيمينس بإعادتها الى اصحابها ، عام ١٩٤٨) ، فقد صدر عام ١٩٦٠ قانون في البلاد وزع الممتلكات الكبرى الواقعة في قلب المنطقة الشمالية ، حيث يشتد الضغط الديموغرافي . وفي عام ١٩٦٤ ، قال اكثرون من ١٠٠٠٠ أسرة حصصاً وزعت عليها . وقد جاءت عملية الاصلاح هنا اقل جذرية وشمولاً اذ تعلق الامر على الاخص بتعمير الارض واحيائها . وفي كوبا وحدها جاء الاصلاح الزراعي الذي تم عام ١٩٥٩ اكمل ما يكون . فقد وزعت فيها المزارع التي تزيد مساحتها على ٤٠٠ هكتار بين الفلاحين الذين لا ارض لهم ولا مزارع . وهو اصلاح وضع اساسه : المعهد الوطني للاصلاح الزراعي ونظمه على اساس تعاونيات استعالت ، عام ١٩٦٢ ، الى مزارع للدولة ، وتحتل ٨٠٪ من مجموع الاراضي الزراعية .

سياسة الولايات المتحدة الاميركية ونفور دول اميركا اللاتينية من الولايات المتحدة الاميركية كما تجلت مظاهره الواسعة ، عام ١٩٥٨ ، خلال الرحلة التي قام بها نائب رئيس الجمهورية السيد نيكسون ، وفشلها في القضاء على نظام كاسترو ، هذه العوامل وما اليها أحدثت فيها ردات فعل متناقضة . فقد قامت من جهة بعرض مساعدات ضخمة على هذه الدول ، فأنشأت في هذا السبيل مشروعاً مشتركاً للمساعدات لتطوير الاوضاع الاجتماعية فيها وفتحت لها اعتمادات لتحسين الاوضاع الاقتصادية في هذه الجمهوريات . ومنذ انتخاب الرئيس كينيدي ، فقد لوح بفكرة لم تلبث ان اصبحت مشروعاً عُرف بمشروع بونتا دل استيه أوضحه عام ١٩٦١ ، وأصبح وثيقة التحالف في سبيل التطور ، رمى من ورائه الى حل المشكلة الاقتصادية في القارة الاميركية (وأهمها التخلف الاقتصادي ، ونقص الاحتياطي والقطع النادر) . وفرضت الوثيقة على الدولة التي تفيد من هذه الخطة التعهد بالقيام باصلاح زراعي . ورفع الدخل وزيادة الانتاج الاجالي وتأمين توزيع الدخل القومي بصورة اقرب للعدالة والانصاف والنهوض بعملية التصنيع . وتتعهد الولايات المتحدة من جهتها بتقديم عون مالي ووضع تحت تصرف الدولة المعنية سلفات ومساعدات مالية جسيمة . الا ان بنود هذا الاتفاق بقيت بالفعل حبراً على ورق اذ ان مجلس الكونغرس لم يصادق ، متأخراً جداً ، الا على اعتمادات اقل بكثير مما كان اقترحه المشروع المذكور ، وهذه التسهيلات لم يقدمها البنك الدولي للتطوير الاقتصادي

الذي يعود ١٩٤٢ بالمائة من رأس ماله للولايات المتحدة التي تهيمن على الجانب الاكبر من ادارته ، الا وفقاً لما تراه . ولم يلبث ان ساء الوضع الاقتصادي في هذه البلدان ، كما ان فشل المشروع زاد الدول الاميركية نفمة وكرهاً كما تجلّى ذلك في مؤتمر الدول الاميركية الذي عقد في مدينة ساو باولو في تشرين الثاني ١٩٦٣ ، الامر الذي زاد في الاضطرابات والقلاقل . فاهيك عن ان ضعف النتائج أوجد خيبة أمل بين الاميركيين أنفسهم . وقد ردّ الاميركيون على هذه المشاعر خلال رئاسة الرئيس ليندون جونسون وادارته بالرجوع الى سياسة «العصا الكبيرة» ، وأخذوا يتهمون المصلحين الاحرار المعروفين مع ذلك باعتدالهم بالماركسية والشيوعية ، وزادوا من حدة الحصار البحري على كوبا . كما ضغطوا على الدول الاخرى لكي تتقيد بهذا الحصار وتساهم به بصورة فعالة ، وبذلوا مساعدات سخية لهذه الدكتاتوريات التي لا يمكن الدفاع عنها ، كالدكتاتورية التي يقوم بها فرنسوا دوقالييه في هايتي ، وتشجيعهم الانقلاب العسكري الذي اطاح بالرئيس غولار في البرازيل ، عام ١٩٦٤ . والتدخل العسكري المكشوف في جمهورية الدومنيك لمساندة الانقلاب العسكري ضد الحكومة الشرعية والاشتراك الفعلي بالحرب الاهلية الدامية التي نشبت في البلاد في اعقاب هذا الانقلاب .

فشل الحركة الليبرالية وحركة الاستقلال الوطني التي قامت في وجه هذه الدكتاتوريات التي تؤيد مصالح اميركا الاقتصادية ، استطاعت ان تؤمن ، خلال السنوات العشر الاخيرة ، نظاماً ديموقراطياً قام في اعقاب انتخابات قانونية وبمشاركة الاحزاب القساعمة . وهكذا تم انتخاب جوسلينو كوبتشيك رئيس حزب العمال ، رئيساً للجمهورية في البرازيل ، اثر وفاة ج. فرغاس (١٩٥٥) ، كما ان النظام العسكري الذي انشأه الجنرال اودريازورت تصفيته على يد الحزب A.P.R.A. الذي اتصف بالشرعية عام ١٩٥٦ ، كما اسقط في كولمبيا النظام الدكتاتوري الذي اعلنه الجنرال روخاس بنيلا ، في ١٩٥٧ ، كما ان الجنرال ايدينغوراس فوانتس فاز في الانتخابات التي جرت في غواتيمالا بفضل عدائه المكشوف للشركة التسابعة لاميركا الشمالية . وفي فنزويلا ادى اتحاد احزاب المعارضة فيها الى سقوط بيريس خيملس (كانون الثاني ١٩٥٨) ، وانتخب لمركز الرئاسة رومولو بيتانكور . وفي الأرجنتين تم انتخاب الدكتور فرونديزي بفوز عظيم ، لموقفه المعروف الى جانب البستول واخيراً في كوبا ، انتصار حركة ٢٦ تموز على الرئيس باتيستا بفضل « اصحاب اللحى » التابعين لفيدل كاسترو .

جاء م نظم هذه الانتصارات عابراً ولفترة وجيزة ، اذ يسود هذه البلدان اقتصاد مفكك نجد فيه جنباً الى جنب قطاعات حديثة التنظيم وقطاعات مهلهلة القوام والتركيب ، حيث الانتاج ضعيف ورؤوس الاموال الوطنية لا تتدخل الا في المضاربات العقارية وفي القمار بدلاً من ان يوظفها اصحابها بشكل معقول ، وحيث وجدت الحكومات الليبرالية نفسها عاجزة عند

محدث أول أزمة تصيب صادراتها ، نتيجة محتومة لهذه النكسة التي وقعت ، عام ١٩٥٨ ، في البلدان الرأسمالية . وقد وجدت نفسها عاجزة تماماً عن النهوض باصلاحات جذرية : من اصلاح زراعي ، وتخطيط اقتصادي ، وتحديد ارباح الشركات الاجنبية ، والبورجوازية الكبرى المسيطرة على مرافق التصدير وكبار الملاكين العقاريين . وتتطور الامور في مثل هذا الوضع ، وفقاً للأعراف المألوفة التي تتسم عادة بأزمة مالية وتفتت قيمة النقد وارتفاع اسعار الحاجيات والاجور ، والبطالة وتخفيض قيمة النقد . اما علاج هذا كله فقد قام بالرجوع الى الليبرالية الاقتصادية ، وسياسة التقشف ، اي تثبيت الاجور الذي كان يتم عن طريق زيادة محسوسة في الاسعار ، والمداول عن سياسة تأمين مصادر الثروة في البلاد والتسليم بامتيازات جديدة للمتمولين الاجانب استدناء لهم . والاضطرابات الاجتماعية التي كانت تؤدي اليها هذه السياسة ، كثيراً ما سمحت علاقات الحكومة مع النقابات والاحرار الذين اوصلهم الى الحكم ، وعلى التعاون مع الطبقات صاحبة الامتيازات للبحث عن اعتمادات مالية لدى المصارف الاميركية . وهذه هي السياسة التي سار عليها فرونديزي في الأرجنتين الذي امر فاعاد الى القطاع الخاص شركتي الكهرباء والتبريد الوطنيتين التي سبق للدولة ان امتتهما في عهد الرئيس كوبتشيك بعد ان عجز عن مداواة المجاعة الهائلة التي حملت عشرات الالوف من البائسين على مفادرة اراضيهم المنهكة الواقعة الى الشمال الشرقي من البرازيل الذين اخذوا يقضون جوعاً في منطقة واسعة ٣/٤ مساحتها تعود الى ٨ بالمائة من كبار الملاكين .

وهذا المعجز والشعور القوي بالحرمان الذي جاش في صدر النخبة التي صدمها الفشل بتحقيق امانيتها ، يفسر لنا اذدياد تفتح الوعي بين افراد الشعب وادراكهم انه لا سبيل للخروج من الحلقة المفرغة التي يتخبطون فيها والتي تجعل من المستحيل تحقيق اي اصلاح جذري ، ما لم يتخذوا تدابير حاسمة دون ان تؤدي الى القطيعة مع اصحاب المصالح الخاصة التي تعيش في شبه نظام اقطاعي ، ومع اصحاب رؤوس الاموال الاجانب . وفي هذا الاتجاه الصريح ، سارت بوليفيا عندما راحت تؤمم مناجم القصدير التابعة لشركات باتينيو وهوبشيلد وارانايو ، وقرار الاقتراع العام ، والغاء الجيش وتسليح الميليشيا العمالية والفلاحية ، وجاء ذلك مقدمة يهد بها لاصلاح زراعي يجب ان يؤدي الى زيادة القوة الشرائية لدى الجماهير الشعبية ، وتنويع الانتاج الزراعي ، و « تحطيم احتكار التصدير » وهو الوسيلة الوحيدة لفتح السوق الداخلية امام الصناعة الوطنية . وهذا هو السبيل الذي سار عليه رئيس فنزويلا ، بيتانكور ، الذي قام في البلاد باصلاح زراعي ولا سيما باصلاح ضرائبي فحدد كثيراً من ارباح شركات البترول الاجنبية .

وقد طرأ على الوضع العام بعض التحسين منذ عام ١٩٦٠ اذ لم
وضع القارة عام ١٩٦٦
بعد قائماً في طول القارة وعرضها سوى اربع دكتاتوريات هي
براغواي ونيكاراغواي وجمهورية الدومنيك وهايتي . وقد وقعت منذ عام ١٩٦١ ، عدة
انقلابات عسكرية على اقدار متفاوتة من النجاح والفشل ، في جمهوريات البيرو والاكرادور

وغواتيمالا وسان سلفادور والأرجنتين ، والبرازيل وبوليفيا وجمهورية الدومينيكا . ونرى في كولومبيا والبيرو وفي فنزويلا الجيش يقوم بمناوشات متصلة مع معارضة كبيرة قوية الجانب . وبعيت الأرجنتين يسودها الاضطراب من جراء سيطرة العسكريين على الحكومة المستضعفة التي اقامها الرئيس ايليا ، ومن جراء الشعبية القوية التي لا يزال بيرون وانصاره يتمتعون بها في طول البلاد ، اذ كان حزبه لا يزال اقوى حزب من حيث العدد والنفوذ . وبعد ان استقر الامر للعسكريين في البرازيل ، فقد عجزوا عن تأمين الاستقرار لنظام هزيل ضعيف . والديموقراطية المثالية التي كانت تتمثل بالفعل في جمهورية الاوريفواي ، رأت الاستقرار فيها والازدهار الاقتصادي يتعرضان لخطر مدام من جراء تدهور الوضع الاقتصادي فيها (تخفيض متكرر لسعر البيزو فاصبح يساوي جزءاً من عشرين من الدولار ، وهبطت الصادرات الى ٥٠٪ من قيمتها وزادت تكاليف الحياة فيها ضعفين بين ١٩٥٩ - ١٩٦١) .

فبين الدكتاتوريات شبه المتخفية والديموقراطية الشعبية القائمة في كوبا التي عرفت بأصالتها ، تبرز الحكومات الاصلاحية ممثلة بفنزويلا الاشتراكية المعروفة بموقفها العدائي من كوبا والتي كانت تقربص بحرب اهلية فعلية ضد احزاب اليسار ، وبالشيلي حيث تسلم الحكم لأول مرة في اميركا اللاتينية الحزب الديموقراطي المسيحي الذي تغلب في الانتخابات على اتحاد احزاب اليسار وأسس حكومة باسم جبهة العمل الشعبية . وقد وضع الرئيس ادوارد فراي مشروع قانون حول مساهمة العمال بملكية الاستثمار وادارته ، كما وضع مشروع اصلاح زراعي . وقد حصل الكتلة القوية التي تتألف من الشركات الاميركية المحتكرة للنحاس التي رأت نفسها مهددة بالنأميم ، على تشكيل شركة اقتصادية مختلطة تصيب الدولة ٥١٪ من اسهمها وفي المجال السياسي اتخذت الشيلي موقفاً معادياً لكوبا ، وقررت انشاء علاقات دبلوماسية مع الاتحاد السوفياتي وبولونيا وتشيكوسلوفاكيا ، كما هدفت من جهة اخرى الى الانجذاب مشروع اقتصادي ضخم يقضي بدمج ٢٠ جمهورية في السوق المشتركة الاميركية اللاتينية ، هذا المشروع الذي وضعت خطوطه الكبرى في معاهدة مونتفيدو ، عام ١٩٦٠ . وهذه الحركة الاصلاحية التي اقيمت معارضة قوية من قبل احزاب اليمين الحريصة على امتيازاتها ، ومن احزاب اليسار ، هل يمكن لها ان تنعم طويلاً بالحياة ، بدون معاضة وزارة الشؤون الخارجية الاميركية ؟ فاذا جاء الجواب بالايجاب وقدر لهذه المشاريع الاصلاحية النجاح المرجح ، شكلت هذه المحاولة الجريئة تحدياً للكسترية وادت بالتالي الى احداث تغيير عميق في تطوير القارة بأكملها .

الفصل الثاني

ثورة الشعوب المستعبدة

« .. أعلنت الاكثية الساحقة الجنس البشري الثورة على
هذا النظام الاقتصادي الذي فرضه عليها القرب ... حتى
اليوم » .

كـنـور هـاند

لم يقتصر النجاح العظيم التي حققتها الحركة القومية خلال العقود الاخيرة على اميركا الاسبانية
وسنغها . فابن اجلنا النظر ملياً ، في العالم اجمع ، يرى الشعور الوطني واليقظة القومية تحيى في
صدور الشعوب الملوثة التي راحت تطالب بالاستقلال . فاداً ما اقيت نظرة عدلى على خريطة
آسيا وافريقيا السياسية ، عام ١٩١٥ حيث لا يرى غير اليابان ولايلاند تستعان بالاستقلال
والسيادة . بينما ترسف الصين المشتبكة بالحرب تحت وطأة « الماهدات غير المتكافئة - وعلى
هذه الخريطة ، عام ١٩٢٥ ، امكننا ان نحكم على قوة دفع هذه المشاعر الاستقلالية وصغامة
التصاحات الماهرة التي حققتها . فقد اخذ الاستعمار يعاني من أزمة خانقة ، ولم يلبث ان قام
على انقاض هذه الامبراطوريات الاستعمارية التي اسستها اوروبا الغربية في افريقيا وآسيا مجتمعات
مستقلة لم تقم ان اصبحت دولاً عصرية . وهكذا قضى ثاماً على النظام الاستعماري القديم
وحيث لا يتطور ما بقي منه فاقماً بالرضى والوفاق ، فهو في سبيل الزوال ، بينما يصل عليهاظهر
بجديد من الاستثمار من الصعب تحديده الآن .

تأثير الحرب العالمية الاولى
كان للحرب تأثير بالغ ودوي عميق بين الشعوب المستعمرة اما
بمشاركتها العملية بأعمال الحرب عن طريق ارسال الجنود
والعمال الى الدول الام للاشتراك بالحرب او بالعمل في مصانعهاوهذا هو بالعمل وصح المستعمرات
الفرنسية والامكليزية - واما عن طريق الاقتصاد بعد ان جلب اليها تقديم المؤن والتجهيزات
اللازمة لدول الانفاق كالتوسع بالاعمال ررعية ، والاخذ بأسباب التصنيع وقد اتيج لهذه
الشعوب ان تشهد ، عن كثب ، اوروبا تشتبك ، بحرب اهلية دامية ، وتقتصرار دولها فيها

بينها وتطاحن ، بعد ان كانت سيادتها في نظرهم ، فوق كل شك ونظر . وكثيراً ما لوحثت دول الآلة ق هذه امام انظار هذه الشعوب والملاذ المستعمرة ، بمبادئ التحرر والعنق ، واخذوا يتوقعون تحقيقها بممارغ صبر . وقد عم العالم بأسره ، هنا كما لدى شعوب أوروبا المتعارية أمل بسام بطلوع وضع جديد يكسم بالمعالة والروح الانسانية السمعاء .

ومع ذلك فقد بقيت الحصاره الاورويه تتمتع بسحر ونفوذ عظيمين . وقد بدا للجميع احتال القور برضى المستعمرات وشعوبها ، اذ ما راحت دول الاتفاق تطلق مبادئ الحرية والتحرر التي طالما تبجعت هالبا بالدفاع عنها . الا ان الاستعمار في القرن العشرين جاش بمطامع اشمية ، وحددته نفسه بتحقيق المزيد من لاستثمارات ومناطق النفوذ وامشيازات وتنازلات جديدة ، كما ازداد فكالباً في استثمار هذه الشعوب والموارد الطائلة التي تخفيها اراضيها . وهكذا أطلن هلبنا في المستعمرات وضع يسدر بالانقيجار شبه من وجوه عدة ، هذا الوضع الذي احاط بالمجتمعات الصناعيه ، في تطورها الصعد ، خلال القرن التاسع عشر ، ان ازال اينشاء المستعمرات منزلة البروليتاريا في الصناعة الكبرى ، اصبح من الامور الصناعيه المبتدلة في نظر عماء الاقتصاد والفلسفه الاجتماعيه ، فالعلاقة بين المستعمرة والبلد لام لا يختلف للبنة هن العلاقة بين رأس المال والعمل ، كما يؤكد غيتون .

« فالامر م يخرج ، في كلا الوضعين ، عن انفس ينتجرون كل اسباب الثروة والفنى مسكتين من كل حقوق ميسابه او اقتصاديه ، وصمم وضع « حلقه مستملة مرمقة » .

وراحت الدول المسيطرة تقرر سياساتها الرامية الى استقلال المستعمرات واستنزاف مواردها الاوليه الصائلة بالاحتياج بمبادئ ارتكسهم ، نفسها عديدة ، منها : تسامي العرق الابيض ، وعبر سكان البلاد الاصليين عن حكم نفهم بانفسهم واستنار مواردهم للصخبه ما فيه نفهم ، وصرورة لمحافظة على سيادة البيض وبعودهم ، واتخذت منها تمكناة وذريعة لاستنار خامات المستعمرات على نطاق واسع ، ولتحويل الاعليه العديده من سكان السلاسل الاصليين ، الى وضع « اقلية اجتماعيه » واستعملتها اداة لواء وإبراء ، لا تعود عليها حتى خيرات بلادها مكبير امر .

وقد حانت آمال المصلحين الاجتماعيين في هذه المستعمرات من هذه السبسيه وفقدوا كل لقة لهم بهذه المبادئ التي طالما نادى بها الدول الفرقيه منوغة امام انظار الجماهير بالحرية والتقدم ، وتلاشت كل امكانيات التعاون مع أوروبا ، ولم يلتوا ان أصبحوا اعداء أوروبا وخصوصها الالء ، والعاملين على شجب حضارتها ولتنديد بها هالبا . فالحوف من أوروبا ولحقه على الغرب قريهم اكثر فاكثر ، من دعة الرحمة والمستمكنين بتقاليدهم القوميسه والوطنية ، وألهمت آسيا واهريقيا فني كل مكان هست تيارات غصبة لطلب بالاستقلال واتصبت في وجه المستعمرين الذين لم يروا بدأ من التسليم ببعض التنازلات : وهكذا اسبرت الهند المسيطر البريطاني على التسليم بتننولات مهمة ، وسارت على الطرئ ذاتها مصر والصين ،

بالرغم من الحرب الأهلية التي قامت فيها .

واخذ العالم الاسلامي يشهد من روايته ويرثق من هوى التضامن التي تشد المسلمين بعضهم الى بعض واستيقظت في كل مكان ، هذه الحضارات النائمة او المتخلفة بمحاولة حث الخطى للالتحاق بالركب المتقدم وللأخذ بأسباب الحضارة والرفق للبعد من سيطرة الاجنبي الفاتم . ولتحقيق السيطرة التامة والسيادة الكاملة لبلادها وكثيراً ما اضطجعت هذه الحركات الوطنية محركات او بمشاعر عرقية تحمل البعض والحد للابيض ، الذي يستأثر ببحيرات البلاد ويأخذ منها حصه الأسد .

كان الرئيس ويلسون والرأي العام الاميركي مناهضاً لفكرة الاستعمار صيغة الانتداب من الأساس ، ولذا فقد اصطدم بالاميراليين البريطانيين والفرنسيين الذين تشدوا بعضاً الى بعض موافق الحرب ، كما شدد بينهم رغبة جامحة بالمحافظة ليس على مستعمراتهم السابقة فحسب ، بل ايضاً ، بتوسيع رقعة هذه المستعمرات عن طريق ضم المستعمرات لالمانية السابقة والولايات التي اقتطعت من السلطنة العثمانية . وهكذا اطلت علينا صيغة جديدة او مصطلح جديد استلطفه خبهم الخبير من شأنه ان يؤمن بعض التعديلات في النظام المقترح ، هو الانتداب الذي اقترحه الجنرال سمطس ، ونص على انتداب الدول الكبرى الاعضاء في عصبة الأمم على هذه المقاطعات الالمانية والتركية القديمة ، فتدبرها باسم المنظمة وتسهر على تأمين القربى والتعليم لابناء البلاد واعدادها تدريجياً للاستقلال الناجز ، على ان تشرف لجنة خاصة تابعة لعصبة الأمم على الطريقة التي تحقق بها الدولة المنتدبة ، المهمة الموكولة اليها . هذا الحل المؤقت ، في نظر لولايات المتحدة ، وهذا التوكيل الذي يحاو من كل اهمية في نظر الدول المنتدبة ، هذا الانتداب ، لم يراع حارسه ، ولم يحترم اهدافه كثيراً . فلم يعمل شيء تقريباً في سبيل اعداد البلاد المنتدبة وتمهيتها للاستقلال . فالعراق ومعه بن هذه البلدان أعلن استقلاله عام ١٩٣٠ ، دون ان تلقى اي مشكلة من مشكلاته السياسية والاجتماعية الكبرى ، حلها المرحى . فمناقصة الدول ، ضاحكت اعمال لجنة الانتدابات حتى ان اليابان و اتحاد جمويي افريقيا رفضا التسليم او القبول بأي اشرف من قبل المنظمة .

وهكذا يرى كيف ان النظام الاستعماري القديم بقي قائماً غير القرب وتأثيره الثوري منقوص . وقد بقيت البلدان الخاضعة او التابعة عرضة كما في السابق ، لتصرفات البلد الام الكيفية . والتطور الذي لحق بمواردها انما جاء لحساب الرأسمال الاحسن وليس مصلحة ابناء البلاد بشيء ، واقتصادهم الانتدبي للخدمات ارتبط اكثر فكثر بأسواق الدول لاكثر تطوراً ولقدماً . ان نقصار انتاجهم الوطني على التصدير ، كان من بعض نتائجه لدمامة نقص في لزومات الغذائية ، وانخفاض الناتج في مستوى المعيش . ومن جهة فقد كان لسيطرة رؤوس الأموال الاجنبية على البلاد ، وبالاتصال المباشر بين حضارتين خبير ملاسويتين ومتباينتين د حطمت عادات سكان البلاد الاصليين ، واخلخل نمط المعيش عندهم ،

وقضى على الأطر الاجتماعية واكتسفت المتعارفة في البلاد كما قضى على تنظيمهم التقليدي المتوارث عبر الاجيال ويعمل على نشر النور المدقع والفرح فيهم .

وقد لغتهم سيطرة العرب درساً بلدياً امتد ثره في احساق نظامهم الاجتماعي فعلمهم ان الحق ليس امراً موطئاً عتيقاً الله بل هو طبيعة محتومة لعدم الكفاءة الفنية وامدتهم بجامعات ونشرت التعليم الذي ايلقوا فيه الوعي والتحصن بهظمة ايجادهم ، بيتاً بحث فيهم مفهومياً مبدعاً للحرية والتطور والمساواة ، وكل الزعماء الذين تولوا قيادته لحركات الوطنية تخرج معظمهم من معاهد الدول المستعمرة منهم مثلاً : حناح رئيس النهضة الاسلامية ، ونهر رئيس حزب المؤتمر ، وسوكلو في تشونسيا ، ودالتو او بن جعفر في ماليزيا ، ومكروما في الشاطيء الذهبي وبورقينا وفرحات عباس في تونس والجزائر . وقد قوَّى عزم معظمهم على الصمود والكفاح الاعمال المتكررة التي استهدوا لها مراراً ، في سجون الدول المستعمرة . وعلى نسبة اقل ، فالزعماء الذين تولوا قيادة الشعوب التي لا بوجهورية عندها ، طلوعوا من بين صفوف صغار الاصايط وصغار الموظفين ولاطاء الوعديين ، الذين يمكن مقادرتهم ، من هذا القبيل ، بقدامى موظفي الصحية ، عندنا ، من اطلعهم القرن التاسع عشر في اقطار الهندك او في روسيا القيصرية .

وكما ساعد العرب على تفتح هذه البلدان بأفكار جديدة ومضرت جديدة ووسائل انتاج جديدة ، فقد تسبب في خلعها النظام الاقتصادي الذي ساد في هذه البلدان منذ عهد بعيد : إذ سهل استيراد المواد الصناعية ومشط حرسطة التصنيع مما أدى الى تأخر محسوس في الصناعة البدوية الخفية ، وساعد على طلوع طبقات جديدة في هذه البلدان كالأبروتارية العمالية ، وطبقة وسطى من القيسيين ، وبوجوارية رأسمالية رحبت امامها وانضحت آفاق العمل والديشاط . وقد راسحت هذه طبقات على حملاتها قطائب مجتمعة بحكومات قسيلية ولتحتج بشده على الامتيازات الامنوعة للاستثمارات الاجنبية الموطنة في البلاد على حساب لاستثمارات الوطنية .

والفشل اندي سميت به حركة الارسلات والتمشيت الدينية من لوجه النظرية - ذا مسا احداثا يعني الاعتصار الارقدات التي حصلت - لم يأت مع ذلك كاملاً ، في المجال العملي . فقد علم المرسلون عالمياً واعطوا بتصرهم نائل ، ان المعوس يمكنها تأمين خلاصها لأبدي ليس فقط بالانقطاع عن هذا العالم والاعتصام بالتأمل والتدسك ، من ايضاً عن طريق بحمة القريب وخدمته خدمة مصوحة مجرودة عن طوى . كذلك ان التعليم الديني ، وروح القسود ، ومثل هؤلاء الاوروبيين المستعيرين الذين يشككون بكل شيء ، كل ذلك كثيراً ما أدى الى صعاب الشعور اندي في المعوس ، كما احسث هذا كله بين اقماع الاديان الكبرى كالكثندوسية والبودية والاسلامية بمحاولات حرسنة لاعادة النظر في الامور المتأخر بقية بحيث يستوفون بين عقائدهم وبين مطلب العم الغربي الحديث ، ويعمل على صهرها في بوتقة جديدة بعد ان يطهرها عما علق بها من الاساطير

والخرافات ومن الاعتقادات التي أكل الدمر عليها وشرب .

الحرب العالمية الثانية
وانتهى في هذا المجال
هذه الحركات الاستقلالية التي اختصرت بها آسيا وأفكار الشرق منذ
الحرب العالمية الدولية ، ازدادت حدة واشتعالاً من جراء الأزمة
الاقتصادية والاحتاجية التي سببتها الضائقة المالية الكبرى . وقد
حققت هذه الحركات في إفريقيا حيث تحلت متأخرة عن مثيلاتها في البلدان الأخرى ، نجاحات
سريعة . ولم تعد يرى بلداً في العالم كله إلا ولجيش قيد مثل هذه الحركات الوطنية التي تحاول
التحرر من التأثير الذي ترسف تحته وتسمى إلى تحقيق استقلالها السياسي والاقتصادي .

وحاء تأثير الحرب العالمية الثانية حاسماً في هذا المجال . وضعف النظام الاستعماري تعلى
بأجلى مظهره في الانهيار التدريج الذي آلت إليه الامبراطوريات الاستعمارية في آسيا أمام
الغزو الياباني . فقد وجد الانتكسار أنفسهم في سنغافورة بعد احتلال دام ١٢٠ سنة والهنوديون
في اندونيسيا بعد ثلاثة قرون من استعمارهم لها ، وجنوبيين ومنفردين في اندونيسيا من مراكزم امام
الغزو الياباني . والغزو الذي سيطرته دولة من المثلين مثل هذه السهولة على الدول الكبرى ،
قضى تماماً على الخرافة التي تؤكد تفوق العرق الابيض ، هذه الخرافة التي اصبحت في الصميم منذ
عام ١٩٠٥ ، فالعامة المشينة التي تعرض لها أسرى الحرب وادلائهم من قبل الياباني المحتل ، سواء
المسيحيون منهم والعسكريون ، والاشعاع المحقرة التي فرضوها عليهم علانية ، واعمالات العظيمة
التي استهدفوا لها من قبل افراد بسيطين من الجيش الياباني او من رجال الشرطة ، قضى تماماً
على كل ما تبقى لهم بعد من منيرة وشان . عندما كانت تهيب في وجه اليابانيين حركة مقاومة ،
فقد ارتدت طابع حركة وطنية ضد احتلال اجنبي ، لا تعني بشيء بأمر الدفاع عن مصالح
الدولة المستعمرة التي دافعت طعم الحلف والذل . فانتصارات رومل المدوية ، وهزيمة فرنسا ،
احداثاً راحة هائلة لعاريت ارجاءها كل بلدان الشرق الأدنى وشمال إفريقيا . والحرب التي
حدثت مئات الآلاف من اليهود ومن الافريقيين للدفاع عن الدول الأوروبية ، افاحت لهم
الفرصة ان يقارنوا بين ما هم عليه من مستوى حياتي متدنٍ ومستوى العيش الذي يؤمل به
الاوروبيون ، كل ذلك حرك فيهم لهم وبعث فيهم الرغبة الشديدة لوضع حد لما يستهدفون
لهم وشيرات بلادهم ، من ستملال مشين ، وعولوا على المساعدة بصرية بلادهم واستقلالها
الساحر

وقد سبق للحلفاء ان علنوا عن هذه الحروب ووسحوا لهم عن هذه الاستقلال . أفهم بطلان
النيشاق الاطلسي ، حق الشعوب باختيارهم الحكومة التي يرغبون العيش في ظلها ، وراح
الرئيس روزفلت يوضح بعد تفسيرات صريحة جاءت على لسان وستون تشرشل ، في ٢٢ شباط
١٩٤٢ ، وان هذا الحق لا يقتصر فقط على البلدان التي تسيطر على المحيط الاطلسي بل يعم ايضاً
جميع اقطار العالم . وقد اجتمع فيها بعد ممثلو الدول الحليفة الثلاث في مؤتمر مرسكو عاء
١٩٤٣ ، ووضعوا الاسس التي ترتكز عليها عملية تدويل المستعمرات القديمة ، كما جادلوا لتحديد

المساعد الذي يقوم عليها نظام الوصاية المفروض على البلدان التي لا تتمتع باستقلالها الإداري .
 ووضع مؤتمر سان فرانسيسكو بعد ما ظهر من معارضة الانكليز (في ايار - حزيران ١٩٤٥)
 نظام وصاية الذي ينص على توحيد شعوب البلدان المفروضة عليها الوصاية ، وهي عملية يهدف بها
 الى دولة موضع ثقة للجميع . ومن جهة ، فقد كان من قوة نفوذ الاتحاد السوفياتي الذي احسذ
 منذ عام ١٩١٧ يدافع عن البلدان الواقعة تحت الاستعمار ، ومناصرة الممثلين الاميركيين من أي
 وزن كانوا ، ووقوفهم الى جانب زعماء الحركات القومية وتشجيعهم للسلطات الوطنية ، في كل
 من بلدان الشرق واهريقيا ، ان شجع شعوب هذه الاقطار على الصمود في وجه الدول المستعمرة
 عندما راحت تحاول توطيد نفوذها وتأييد سلطتها على تلك البلدان .

وفي نهاية الحرب ، وقبل ان يسد ماو تسي تونغ دعمه القوي
 لحركة الثورة و « يغير وجه العالم » بقلبه ميران القوي في العالم ،
 دخل الاستعمار في ازمة لم تلبث ان شملت العالم بأسره . فعند
 عام ١٩٤٦ ، تجلت لولايات المتحدة الاميركية للفلبين عن كل سلطتها في البلاد وعرفت لها
 بالسيادة المطلقة . وفي عام ١٩٤٧ ، اعلنت انكلترا استقلال الهند والباكستان ، كما اعلنت
 استقلال بورما ، عام ١٩٤٨ ، التي قطعت كل صلة لها بدول الدومينيون . وفي سنة ١٩٤٩ ،
 عرفت هولندا باستقلال اندونيسيا وفقاً لاتفاقات لاهاي . كما نشأت دول مستقلة بالفصل في
 كوريا الشمالية وفيتنام الشمالية . وفي الشرق الاوسط الذي يعتبر بحق « محور الامبراطورية
 البريطانية ونقطة الدائرة فيها » قامت حكومات « مستقلة » كانت مع ذلك خاضعة
 لنظام الوصاية لما قام فيها من قواعد حوية وعسكرية ، واحياناً لوجود حاضيات بريطانية ، ومن
 ارشاليات اقتصادية والمصالح المالية العائدة لرجال اعمال تشد من الشركات البترولية الكبرى
 اوضاع متينة ، مما أدى الى حركات مقاومة هيفة تجلت بانقلابات (في كل من سوريا والاردن
 والعراق ومصر وايران) ، وبثأم مع موارد البلاد الطبيعية . وتجسلى في افريقيا على تم صوره
 وأشكاله معارضة عنيفة من قبل الماديين في افريقيا ووقوفهم في وجه سياسة حكومة جنوبي
 افريقيا القائمة على التمييز العنصري . وقد تجلت هذه الروح ايضاً في هذه الحركات الوطنية
 التي قام بها سكان المنجمرات البريطانية في افريقيا الغربية وافريقيا الشرقية . وقامت في
 روديسيا ونياسالاند مقارنة عنيفة من قبل سكان البلاد ضد اتحاد افريقيا الوسطى . وظهرت
 حركات جماهيرية في جميع بلدان افريقيا الغربية والفرقيب الاستوائية ، وبلدان شمالي افريقيا ،
 تلوح كلها بمطالب قومية استقلالية . وفي قلب اميركا ، راحت جبرر الهند للشرقية ومقاطعة
 غوايلا البريطانية تطالب بتمتعها ونالت نصيباً كبيراً من الاستقلال خوفاً التمتع بنظام
 الدومينيون .

فاما ما اضطرت الدول الأوروبية للتخلي عن الكثير من امتيازاتها ، فلها كانت عاجزة
 عن تدعيم نفوذها بالقوة في هذه البلدان ، بسد الحرب مبانرة . ففي الماضي كان سكان

المستعمرات يسمون خائفين ، اذ يكفي ان يظهر في عرض البحر حمارة من الاسطول الحربي أو يرد على البلاد نجدة عسكرية مها كانت صغيرة لتفرض الدولة المستعمرة ارادتها على الحكومة المحلية . فمنذ عام ١٩٤٥ ، بعد أن استيقظ الضمير الوطني في هذه الشعوب وبعد ان عهد الناس لأعمال المناوشات ، لم تعد وسائل التخويف التي كان يركن اليها في الماضي ، لنفي بالمرض فانصراب من البحر أو من الجو لم يكن لبجدي كثيراً ، فخلو البلاد من منشآت عسكرية أو من وحدات حربية لم اهميتها ، وكذلك الحصار البحري لم يكن ليأتي بنتيجة تذكر بعد ان يتحول اقتصاد البلاد من اقتصاد قائم على تصدير الخامات للخارج الى اقتصاد يؤمن المواد لاستهلاكية الضرورية ، كما حدث ذلك بالفعل ، خلال الحرب ، في كل من ماليزيا وبورما والفلبين وكثيراً ما رأينا الانكليز والفرنسيين والهولنديين يسيطرون في ماليزيا والهند الصينية واندونيسيا على قواعد الملاذ الكبرى ومرافئها الرئيسية ، دون ان يتوصلوا مع ذلك ، الى نتائج حاسمة .

والوسائل التي اعتمدها المستعمرون من قبل لكبح الحركات الاستقلالية والانتفاضات الثورية التي تقوم في المستعمرات ، اقتصرت على كبح هذه الحركات بقوة السلاح والعمل على تفشيها بكل وسائل الاعراء . كذلك ان اللجوء الى القوة المسلحة التي تتكون من السعاليين والفرقة الاحدية والجاكس وغيرهم ، تؤلف عملية غالية الثمن ولحاحها يتوقف ، الى حد بعيد ، على حسن ولاء القوى المستخدمة ، وهو ولاء اخذ يضعف شيئاً فشيئاً ، والتمرد الذي اعلنه الاسطول الهندي ، عام ١٩٤٦ كان حاسماً في ازعاج لانكلز على التراجع ، وتكاثر منذ هذا التاريخ حوادث ، حو دث الانكفاء و الانسحاب بين القوى الوطنية التي استخدمت لكبح الحركات الاستقلالية في المستعمرات . ومن جهة اخرى ان النعاف ارحم الاقطاعيين حصول الدولة المستعمرة ، كما جرت العادة بذلك ، لم يعد له التأثير الذي كان له في الماضي . فهذا الفريق من الناس الذي وقف موقفاً يتعارض وموقف الاكثية في البلاد يرى نفسه مثقلاً لمخافة الرأي العام له في البلاد ، وعمل هذا الفريق ، كان في اكثر الاحيان قليل الحدود ، هذا ان لم يلعب على الحبلين ويتأرجح بين الجديين . وهذه الشعوب التي كانت من قبل مقسمة على نفسها والسني كثيراً ما اقاموها بمصاً على بعض ، اصبحت الآن اكثر اتحاداً وتماسكاً ، وتشدد بعضها بعضاً ، ويظهر الواحد منها الآخر فالذون المسيطرة تلاقى في كل مكان روح المقاومة داهية ، ولسمع التندبات ذاتها ، هذه اللدات التي تنساق لها الهبات الطلابية ومنظمااتهم في كل المدارس والجمعيات ، في القاهرة ومشرق والصين والهند ، وبين عمال الارصفة في الموانئ البحرية . فما من شعب مستعمر يجد نفسه منفرداً في سبيله الوطني . فالشعوب الاخرى تظاهروا وتشدد من أرره ، كما يحظى بالكثير من المصطفى الرأي العام في الغرب وهكذا يرى الحركات والاطال لاستقلالية نمض بعضها البعض في كل زمان ومكان فاعادة تنظيم الحسة مثل تحديده نيجيريا ، واستقلال الهند تسبج على منوله بورما وغيرها كثيرون ، فعلى الدول المستعمرة ان

تكون متباعدة في كل القطاعات . والضرورة تقضي بإرسال المزيد من القوى والسجلات تساهل
الى كل من مصر وكينيا وماليزيا ، ونقل القوات الفرنسية من شمالي افريقيا الى الهند الصينية .

وحسب الدول الغربية احد من ان تكون موحدة . ويرتبط العظمى التي
ارودا و تشامبات

كانت اصغر من ان تكون قواعدها الغربية ومواقعها الحصينة وقد مع
عسا ، اضطرت للتخلي لاميركا ، مما يقع من هذه المواقع في الشرق لاقصى وفي المحيط الهندي ،
وتعص النظر عن الوجود لامركي في بلدان الشرق الاوسط . لا انها تنهج في هذه المنطقة
سياسة تصرب بمصالح اميركا عرض الحائط كما تعارض امصادف عن هذه المنطقة . الا ان
الموقف التي اتخذتها اميركا ، في الستات وهو مورافيا وكوريا ، والمؤامرة التي قدمت لها
لندن كاي شيك والسفهان دي في كوريا الجنوبية ، واحصار البحري الذي فرضته على الصين
الشعبية ، والمناقشة المدة التي شنت بين شركات الدارول الضخمة حول بانول يران والمربية
السعودية هي اكبر برهان على هذه الاختلافات التي تساعد على فهم والتي عرفت الشعوب المستعمرة
الاعادة منها . وهذا التأثير يلعب دوره ويصمم على اهلنديين للتسامل مع اندونيسيا ،
ونظف موقفاً معادياً من السياسة الفرنسية في الهند الصينية ونشد من اورد الفيتناميين
اعداء فرنسا

قدفوز الاتحاد السوفياتي ومثل الصين منذ عام ١٩٦٩ ، لا يمكن الانتهاء بها . فقد وحشد
الاتحاد السوفياتي لمشكلة العلاقات بين الشعوب التي تلت في تطوره الاقتصادي والثقافي ، حل
اساسه حارة امام القاموس ، بعيداً عن كل نزعة عرقية وعن كل تميز شعبي ، وبهم هو
سياسة تطوير سريع في الامور المتعددة بالاقتصاد والحركة الفكرية ، هذه السياسة التي تعهد الى
بناء الدلائل الاصليين المؤهلين ، ماضي المسؤوليات والعهدات ، وتحاول ازالة كل أثر قسري ، من
رئيس ومرووس . وكل مرة يشار في الاسم المتحد البحث حول الدول المستعمرة والبلدان
لستمرة ، فهي تقف دوماً الى حسب الشعوب المسبوكة بين تمنعين الديمقراطية لطبات الحرية
بوسائل الاكراه وتعتمد الى القوة المسلحة لتسقي هذه البلدان تحت طاعتها ، وسيطرتها . وهكذا
الشعوب الراسخة تحت استثمار ترمي في الاتحاد السوفياتي وفي الصين رماً لاستقلاله ،
والديمقراطية توطد هي نفسها مثل هذا الاعتقاد في نفوس الشعوب المستعمدة ، اذ لا قلت ان
تصف الحركات الاستقلالية التي تقوم بها هذه الشعوب ، بأنها حركات شيوعية .

الحركة القومية والثورة الاجتماعية امران يأخذ الواحد منهما بيد الآخر ،
مطالب الحركات
ان لمطوب ترحبه العمل الثوري ضد سيطرة الاحسي على البلاد وحصد
القومية زلاماتنا
ستتجاه لمواردها والاستثمار بها لنفسه . وقد يتجه هذا المدهد حياناً

ضد غير الاوروبيين ، فقد قامت مثل هذه الحركة ضد اليابان في كوريا ، وضد الهند في بورما
وفي بلدان آسيوية اخرى ، وارثت طابعاً معادياً للصين احياناً لا انها كانت مصادم لأوروبا في
أغلب الاحيان . والعهدة الذي انجبه الى اليابان وللحروب التوسعية التي قامت بها ، لم يلبث ان

سكن وهذا . فدكرى كماحه المديد ضد سيطرة الرجل الابيض والنداء الذي طالما نادى به
 اهانته وروح « آسيا الآسيويين » ، والاعتراف بمصل اليابان على قدرتها من البلد على اساليب
 لادارة الاستقلالية ، كل هذه الاعتبارات احدثت تشبيل على شعور البعض الذي تحلى صدورها
 خلال الاحتلال . والتشكيكات التي طالما عبروا عنها والتي طالما وجهوها للاروبيين تركز
 في كسبهم حصروا كل شئ لهم في انهاء قرواتهم من موارد البلاد الاقتصادية ، ولم يابهاوا قط لما
 يؤول لتحصين مصير الشعوب التي طالما تسعوا بانهم اما جازوا الملاذلتامين الحير هم ولتدبنتهم .
 فاصرف حل مهم الى تحسين وسائل استنهاز ثروات البلاد وإعداد ما يصلح مهيا للتصدير
 للخارج بما يفي بحشهم . والخطوط الحديدية التي أنشأوها ، والطرق التي شقوها ، والجسور
 والاقنية التي بسوها ، والمواهي التي أنشأوها ، فقصدها مهيا لتسيير وصول هذه الخامات من
 مصدريها في المناجم والمردعات التي لمحود بها بسخاء الى مرامي تصديرها وشحنها ، وتمهيد
 وسائل الاتصال امامهم دواء الاكثارات بمجاهات ابناء البلاد الذين كانوا يعملون في قهركاتهم
 وتجوهم على حل او الحذر . وكذلك وقفوا حائلا دون انتاج المواد والمصانع المصنوعة محليا ،
 ومنعوا تأسيس اي صناعة او انشاء اي مصنع يمكن ان يتنافس يوما مصنوعات البلد الام .
 وانتبهوا في كل ذلك سياسة تقوم على الابتزاز والاستغلال وحرسوا شديدا على ان يؤمروا لهم
 اسواقا شاسعة لتمويلهم ، واخرى لتصريف انتاجهم ومصنوعاتهم . وقد كان من بعض نتائج
 الضغط الشديد الذي مارسوه ان قبلوا في البلاد الزراعات الغذائية او الاستهلاكية ولم يحرصوا
 ذلك بناء البلاد ففقدوا في المواد الغذائية التي يعملون عليها ، كما افقدوا الطاقة الانتاجية للقرية
 لعدم تقديمها بأسول الدورات الزراعية المعمول بها ، وبشجيعهم انتاج المحاصيل المدة للتصدير ،
 فقد جعلوا اقتصاد البلاد عرصة لكل ازمة ولكل تطور في سعر النقد .

ووضع بورما تحت خيرة من نظره على ذلك . فقد تغيرت البلاد تماما في اقل من قرن ، اد
 تحولت عشرات الالوف من هكتارات السطاح والمستنقعات الى مزارع الارز واستخرجت من
 بطن الارض مبادن وقدرات دقيقة حصى شحها للخارج ، وحرق استغلال احراحيها
 الظلية ، كما انشئ في طول البلاد وعرضها شبكة واسعة من الخطوط الحديدية والطرق
 الواسعة والاقنية والذرع المائية لتسهيل المفاية . وكان من نتائج هذه السياسة ان النورمانيين
 نبذوا حائبا ليس السيطرة الانكليزية فحسب بل رفضوا الانضمام الى نظام الدومينيون ، وعل
 ذلك هو ان هذا التطور المادي لم يعد بأي فائدة على الوضع الاجتماعي في البلاد لسنتين رئيسيين .
 فكثرت عدد سكان البلاد من جهة ، ومن جهة اخرى ، لأن اثنين أعادوا من هذا التطور المادي
 هم التجار الاجانب والوظفون والمرايون . فقد كثر عدد الاغنياء في بورما ، ولكن قلة منهم
 كانت من النورمانيين ، بينها ساءت اوضاع السود الاعظم من سكان البلاد ، اد ان التوسع في
 الزراعات التصديرية زاد من قسوة الملاح وقهوه على المرايين ، اد ان الشرائع الأوروبية التي
 طبقت في البلاد قصت تماما على الاعراف والمعدات المتوارثة جيلا بعد جيل والتي كانت تقضي

بقاء الاسرة وبثها في الارض ومنع خروجها من بين ايديهم ، فإذا بالقوانين الجديدة تنبع التصرف بالأرض بيعاً وشراء ورهنًا ، بحيث ان نصف عدد المزارعين فقدوا املاكهم واصبحوا عمالاً مياومين اضطروا للبحث عن عمل لهم خلال المواسم . كذلك ان استيراد المواد المصنوعة بكيات ومقادير هائلة وأسعار رخيصة قضت قسماً على الصناعات اليدوية في البلاد ، وهذا ساعد الاستثمار ، من حيث يدري او لا يدري ، على خلخلة التوازن الاجتماعي الذي عرفته البلاد من قبل ، وخلق فيها مجتمعاً لا جذوره ولا اصول ، يقتصر اصلاً لكل ما يوطد اسباب العلمانية الاقتصادية والاستقرار في البلاد ، ويتسكع في مقر مدفع .

فالمسواد الاعظم من ثروات البلاد الطبيعية كان يجد طريقه الى هياصم السلاط المستعمرة فتسأثر محصة الاسد منها بيسا يصيب ابن السلافة قسمة غشوى منها ، فإذا ما انعمت النظر ملياً في موازنة شركات الاستعمار البريطانية التي تشغل القسم الاكبر من رأس المال في الخارج ، ولا سيما في البلدان الواقعة عبر البحار ، نجد الشركة الانكليزية الايرانية تحني من الارباح ما يوازي ٥٩٪ من رأس المال ، عام ١٩٥١ ، وان شركة ارنلوفر تبيع ٣٨٪ ، وان شركة رويال دتش شل تبيع ٤٤٪ ، وان شركة التسغ الامبريالية تبيع ٣١٪ وشركة دنلوب للمطاط تجني ٤٠٪ ، وشركة ايت ولابل تبيع ٣٩٪ ، وان شركة اورينثال ويسانسولار تبيع ٢٢٪ . كذلك ترى ان هذه الشركات السبع الكبرى التي لا يزيد رأس مالها مستثمر عن ١١١٥ مليون جنيه انكليزي ، تؤمن لها في السنة ربحاً صافياً يبلغ ٤٦٨ مليون جنيه ، اي ٤٢٪ من رأس مالها الموظف ويمكن تحقيق مثل هذه الارباح الباهظة لأن مستوى الاحور متدن جداً ، كما يرى ذلك بوضوح في مناجم القصدير في بنجيريا ، فقد بلغت قيمة الصادرات من هذا المعدن ، عام ١٩٣٧ ، نحو ٥٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠ جنيه انكليزي نصفها (اي ١ ٢٤٩ ٠٠٠) هي ارباح صافية ، بينما لم يكن الصبل الوطنيون العاملين في ارباحهم وعددهم ٣٩ ٠٠٠ عام ، لا يتقاصون من المراتب سوى ٣٢٩ ٠٠٠ جنيه ، اي ما يساوي من ٣ ٠ ٦ شلن في الاسبوع ، اي جزء من سبعة من قيمة الانتاج . اما استغلال جواهر الفلاحين الذين يؤلفون السواد الاكبر من السكان ، فيبرز اكثر فأكثر . ولا يكفي قط ان يجبرهم النظام الضرائي والاضط الذي يتعرضون له من قبل الادارة للتخلي عن زراعتهم الغذائية للانصراف الى زراعات تصديرية ، فالشركات التجارية تدفع لهم اجوراً واعية جداً ، كما ان هذه الشركات تبيعهم بأسعار عالية جداً المواد المصنوعة التي لها وحدها حق استيرادها وبيعها . ففي افريقيا الغربية ، ان شركتين فقط من هذه الشركات ، هما : شركة (S. F. A.) وشركة (S. C. O. A.) كانت تملك ، عام ١٩٣٨ ، اكثر من نصف رأس المال الذي يعود له ٣٨ شركة الفرنسية مسجلة في المورسعة ، والارباح التي كلفتها تصريحا بها لم تنزل قط عن ٢٥٪ من رأس المال وهما لا تتدخلان الا من ندر في الانتاج ، باستثناء مساهمتها في بعض الاستثمارات الزراعية او في بعض الشركات العاملة في شؤون النقل وهما لا يستثمران ارباحهما في البلاد ، وتقتزمان بتوزيع بعض حصص من الارباح لاصحاب الاسهم في انكلترا .

والحركة الوطنية أو القومية صفتها ما اصطفت بحركة تصدت لحاربة الفقر وعدم الاطمئنان . فالبون التاسع بين الوضع الردي البئيس الذي تتسكع فيه الجماهير وبين المعنى الفاجس الذي تولد فيه قلة مشيلة من الناس فاسدة ومفسدة حيلة للرأسماليين الاحاف ، خلق بين شعوب المستعمرات شعوراً حاداً باحرمان الذي ضاعف من روح الثورة وزادها ضراماً . وقد بلغ معدل دخل الفرد في الهند ، عام ١٩٨٠ ، (بالدولار الاميركي لمسبام ١٩٤٦) ٤٣ دولاراً في الهند و ٣٥ دولاراً في اندونيسيا وفي ٢٥ بلداً من بلدان العالم يمثل عدد سكانها نصف عدد سكان العالم جاء دخل الفرد الواحد اقل من ١٠٠ دولار ، بينها هو ١٤٧٦ دولار للفرد الواحد في الولايات المتحدة الاميركية ، و ٦٦٠ دولاراً في انكلترا . وهذا الفقر المدقع الذي لا يوصف ، يرد سكان البلاد لهذا الظلم ولهذا الاهمال الذي تعرضوا له طويلاً من قبل الدول المستعمرة .

استقر رأي بريطانيا العظمى ، عام ١٩٤٦ على القيام بما لا بد سياسات الدول المستعمرة منه ، وعدلت عن اتخاذ الوسائل اللازمة لفرح سيطرتها على الهند وعلى بورما التي قررت عدم الانضمام الى الكومنولث البريطاني ، وعلى ميلان حيث احتفظت ها بقواعد بحرية ومراكز اقتصادية قوية . وركزت جهودها العسكرية في هذه الاراضي التي تؤمن لها السيطرة عليها ، اكبر ما يكون من المنافع والارباح ، على ماليزيا ، منتجة الدولارات . وسارت لولايات المتحدة من حثتها في الفلبين على سياسة تحررية ، مع الاحتفاظ بما يؤمن لها السيطرة الاقتصادية على البلاد . وعلى عكس ذلك ، راحت هولندا وفرنسا تحاولان فرض هيبتها على البلدان التي تستعمرها بعد ان تخلتا لها عن بعض الامتيازات الثاقبة . وقد تجاهلت الدولتان المذكورتان حق الحركات الوطنية التي هزت السلاسل والى الذي بلغته ، والمعارضة المنيقة التي انتصت في وجهها ، واتبعنا بعين مغمضة ، لصائح شقة من « خبراء » الاستثمار الذي يملكون العس بالرموع ، ولى ذلك الماضي الجميل الذي ولى ، وراحوا يرشقون بالسنة حداد هؤلاء « الزعماء » الذين يقودون الحركة ، هذه « النهضة من الزعماء المخالفين » الذين في نصيبتهم عن طريق الشرطة بالوسائل التقليدية المعروفة التي تتادي بالمساذى : فرق تسد ، وتوصي بالاعتداع على الزعماء الاقصاديين الذين تخرمهم القساد ، ضمان لعودة الهدوء الى البلاد ، وبذلك جرى فقد ن كل شيء . واضطرت البلاد القومية للمهادنة منذ ايلول ١٩٤٨ تحت ضغط الدول الاخرى ، كبريطانيا والولايات المتحدة والهند واورشاليا وللتزول عند رغبات الامم المتحدة وقوصياتها ، التي همها ان ترى الهدوء والاستقرار يوردان الى تلك الاقطار ، بعد ان وثقت شططيات وفصريجات سوكارو بموقفه المعادي للشيعوية . وقامت فرنسا ، في الهند الصينية بحرب مكثيرة الشكايف كلفتها دماء زكية انتهت بمشل فربيع وادكسار مدل ، ولتفقدان ليس مركزها السياسي في هذه البلاد ، فقصب ، بل ايضاً مركزها الاقتصادي والثقافي مع ما بدا عليه من قوة ومنعة . وعلى مثل هذا جاء الوضع في افريقيا الشمالية حيث اضطرت للاعتراف بتباهاً

بإستقلال تونس والمغرب وفي النهاية بإستقلال الجزائر .

تأثير حرب كوريا
كان لحرب كوريا تأثير بالغ وعميق الغور على تطوير الحركات القومية في القارة الآسيوية . فالتدخل الأميركي حمل الأمم المتحدة المتعددة المتعددة على التدخل في هذه الحرب في الوقت الذي وقعت في المحيط الهادي ، موقفاً مؤيداً لتشان كاي شيك : أدى إلى إعلان حياده فورموزا وحمايتها من قبل الأسطول الأميركي السابح ، والتصريح بربط مستقل جزيرة ووضعها معاهدة الطمأنينة والهدوء إلى المحيط الهادي وإقرار السلام مع اليابان ، مع أنه كان لقرار في مؤتمر يالطا ، وإعادة فورموزا إلى جمهورية الصين . وفي الوقت نفسه راح الرئيس ترومان يصرح بمصافحة معاهدة فرنسا ولباو داي في الهند الصينية وقد نظر لزعماء الوطنيين في آسيا إلى موقف الولايات المتحدة من فورموزا ، نظرهم إلى تدخل هذه الدولة بشؤون الصين الداخلية ، كما نظروا إلى معاهدتها لفرنسا ولباو داي كتأييد من الولايات المتحدة للاستعمار في الشرق الأقصى ، وفي الوقت ذاته ، استطاع جيش آسيوي يتألف من وحدات كورية وصينية ، من الصمود سنتين في وجه جيش أميركي عصري السلاح وإلى إجباره على التقهقر أحياناً ، بين برت حكومة كوريا الجنوبية حكومة مستبدة تزور الانتدابات ، وتبقى في الحكم بفضن نظام بوليسي ، وأعلنت حالة الطوارئ في البلاد ومساعدة دولة أجنبية ، كما بررت الأمم المتحدة كعصف مقدس في الغرب يتحرك في الشرق الأقصى وفي الشرق الأدنى وفقاً لرغائب الولايات المتحدة المعادية للآسيويين ، لتفرض عليهم نظاماً مهبطاً ، فاسدة لا شأن لها (سيفيان ري وتشان كاي شيك ولو داي ونوري السعيد ومافندريس) ، وأنها خاضعة لنفوذ الدول الغربية . فليس من عجب قط أن يتأثر من هذه السياسة نفوذ الرجل الأبيض ، وسلطة الأمم المتحدة الأدبية ، كما أنها حلت الآسيويين على أن لا يعولوا على أحد وأن لا يعتمدوا إلا على أنفسهم ليؤمنوا استقلالهم الناجر .

مبدأ التدخل لدى الدول الجديدة
ويعد الفوز بالاستقلال كان لا بد للدول الجديدة التي أطلت على الحياة ، أن تنشئ لها - أحياناً من الأساس - ما هي بحاجة إليه من الأطر والملاكات الحكومية والإدارية ، هذه الملاكات التي لم تعمل الدولة المستعمرة ، شيئاً ، على الأجل ، لإيجادها وتدريبها ، كما كان عليها أن تعالج المشكلات السياسية والاقتصادية التي تتبع لها الاستمتاع بالحرية التي حققها والتي طالت حلت بتعقيها . والمهمة الأساسية الأولى ، هو إيجاد ، وإن أمكن ، رفع مستوى الحياة في البلاد لدى هذه الجماهير البائسة ، كما بدت الحاجة ملحة ملحفة لإصلاح زراعي حثري ، وتنميس القطاع الزراعي ، وخلق مصاعات جديدة في البلاد ، وتحقيق ردة ضد صيق السوق ، عن طريق توسيع الانتاج وتوسيع نطاق السوق الوطنية فيهما ، والتحرر من الأسواق ورؤوس الأموال الأجنبية عن طريق تأمين مصادر الثروة في البلاد والمصاعات الأساسية فيها . والوسائل التي تؤول إلى هذا كله تختلف أصلاً عن النرائع التي ألف الرعكون إليها رأس المال

الكلاسيكي ، فعلى الدولة ان تشرف بنفسها على تطوير اقتصادياتها بحيث تتوازن وتنكافأ مجالاتها المتعددة عن طريق التخطيط الاقتصادي والتنسيق بين القوى المنتجة ، ودرس وجوه الاستثارات التي يجب ان تكون اليها دواء التوقف عند اعتبارات الانتاج المباشر القريب ، ودرن ان تقتصر من القطاع الخاص ان يسبقها او يتقدمها في حركة لاستثمار هذه ، ووجوب مراقبتها لهذه الاستثمارات وتأمين التنسيق العلمي فيما بينها ، مراعاة المصلحة العامة ولخير المجموع ، والحد من استيراد المواد او المصنوعات غير الضرورية لانتظام الحياة في البلاد ، ومراقبة اصدار الاسهم والسندات فعلى الدولة ان تتولى هي نفسها ماضرة الانشاءات الكبرى من سدود وأقنية وطرق وقطود حديدية ، كما عليها ان تستثمر ثروات الارض الطبيعية كالمناسم والملاحات فالدولة في باكستان اخذت تشيد المامل والمراك الخاصة بالصيغ والجوت والسكر . وافشئت في الهند وفي اندونيسيا مصانع تؤمن حاجة البلاد من الاسمدة الزراعية والاجهزة للتلفونية والادوات الصناعية ، ومصانع للفولاذ والصلب . كذلك على الدولة الناشئة ان تشجع الصاعات الناشئة وتعميها مثلاً من الضرائب ، وتقدم لها حاجتها من المقدرات لتأمين استيراد الامداد والاهزة التي هي بحاجة ماسة اليها . وتنشأ في كل مكان من اطراف البلاد شركات اقتصادية مشتركة بين ابناء البلاد والاحانب . كما ان اجراءات التأميم التي اتخذتها السلطة في كل من الهند واندونيسيا ، امتت لها صبح ما تحتاج اليه من السلاح والعتاد البحري ، ومراقبة الطاقة الذرية . . على كل هذه الدول الجديدة ان تشق طريقها بجرأة واقدام نحو طرق واساليب تختلف كلياً عن الاساليب التي طالما حول عليها واعتمدها الرأسمال الاجنبي دون ان تشتغل الى اشتراكية مدروسة مخطط لها ، والتي هي ، شاءت او أنت ، السبيل الوحيد الى الاشتراكية الصحيحة

المبحث الثالث

آسيا الجنوبية وآسيا الشرق، لأقصى

والحرقات القومية التي جاشت بين هذه الشعوب المعتمدة الى حد كبير على الاجبي، تكلفت بالنجاح بسرعة لم تكن لتوقعها. وهذه الاقطار الشاسعة التي تمتد من حدود ايران غرباً الى قبضه الهند شرقاً، هي اكثر بلدان العالم من جهة التغيرات التي طرأت عليها بعد الحرب. ان اعتراف بريطانيا باستقلال هند، ١٩٤٧ م، واستقلال الصين مما من هذه الحدود الميزة لمصرنا هذا، وبعثان قصيراً جذرياً في ميزان العلاقات الدولية، تحولاً عظيماً في نظام العالم القديم. فمنذ لان خرج الانراف على آسيا من يد اوروبا والولايات المتحدة. فكل هذه الاقطار الواقعة ضمن هذا المدى للسياج - باستثناء ايلاند التي كانت مستقلة - زالت أو حققت استقلالها السياسي بعد ان كانت من قبل مستعمرات لانكرا ولللاه الواعية ونمرسا. ورحلت قطبج هسلدا الاستقلال بميسم خاص باكمالها الاقتصادي.

١ - الهند

الحركة الوطنية في الهند
حققت الهند استقلالها بعد جهود جبارة وقصصيات عزيزة في ظروف اجتماعية معقدة. ترأس الحركة الوطنية فيها منذ عام ١٩١٤، حزب المؤتمر، هذا الحزب الذي تألف عام ١٨٨٥ بموافقة الحكومة البريطانية، فضلاً عنها بين العناصر الموالية، والعناصر المتطرفة، واقتصر برنامج الحزب السياسي، على ذلك التاريخ على امور سياسية كاندخال الجماهير الشعبية حملة السياسة بعد الحرب العالمية الأولى، وهي حركة اخرجت الحزب عن موقعه لتأرجح بين الاجنبي وبين الجماهير الهندية التي اخذت ميولها الثورية صانعاً خطراً. وبعد ان حاول الحزب التمدون مع الحكومة، مال عنها بعد ان صدمته وبقرة ووقف الى جانب الجماهير الشعبية يستعصها ويثيرها ضد السلطة العاتية العابسة باقدار البلاد.

وتأزم الوضع وساء عند الحزب مع شخصية مهاتما غاندي المتضاربة النزعات الذي دعا

« للاحتف » فمثاليته مثالية أدبية في الأساس ترمي لتقويم هيب الشعب وإيقاظه ، وإنشاج حياة تقسم بالدساعة والنمسل بالاعراب التقليدية وذلك عن طريق العودة الى حياة الارض في هند والى احياء حضارة الهند الهندوكية ، والعودة الى المردن والمغزل عساهبة الاسكيز أو بدوهم ، وهي نقطة ثلوية ، في بظره بعد ان استقر في اعتقاد ان خلاص الهند يتم عن طريق تحول روحي وليس عن طريق السياسة ، إذ لم يكن خفدي ليهم كثيراً بالاصلاحات الدستورية والاجتماعية . فاحكم الذاتي الذي نطمع به الهند انة يأتي عن طريق Satyagraha او المقاومة المعالة المعبة عن كل عيب ، ووقوف العمل بال Hartal بعد ان كانت اوصى باعتاده منذ عام ١٩١٩ ، على ان يخرج بعض اتباعه عن سياسة اللاعنف ، ورأى نفسه مضطراً ، مراراً كثيرة لوقف الحملات التي يكون باشر بها « بسبب سلوك الجماهير غير الانساني » . فالثروة المنقطع الطير الذي تقع به لقد سته الشخصية ورده وقدره ، ومبادئ النواصع ومجبة الفقر التي طالما نادى بها ، كثيراً ما سمعت عن اذطار الناس ، الطابع الرجعي والمطلب الخيالي دعوه الحسارة للاستمسالك بالصناعات اليدوية - التي لو نجحت لارقت الهند في ركود اقتصادي مريع - كما اخمت عنهم انماطت ومارقات العديدة التي جعل بها ، وحتاره لشكالات الاقتصادية ، في الوقت الذي كان فيه يطالب باستقلال الهند ، ودفاعه عن ال Zamindars وعداءه للتقبات المعالية ، في الحين الذي كان يحاول ايجاد دواء داعم للنفس المدقع الذي رسفت قيسه جماهير الفلاحين والعمال .

وحزب المؤتمر الذي كان ينهق بلسان الطبقة البورجوازية العليا والذي صم بين صفوفه المعاصر التقدمية سلبية كبار الملاكين العقاريين ، ومعكروى وأدباء مشهورين ، لم يطلب في بدء الامر سوى قبيل اكبر للهنود في نظام الحكم ولادارة البريطانيين ، تجراً وطالب بالاستقلال الاداري للمنظمات الوحدية في الهند كما راح يؤد المطالبة باستقلال البلاد الاقتصادي . ولم يتصل بالجماهير الشعبية في الهند الا بعد اشتعال الحرب العالمية الاولى وعند اشتداد شعلة الثورة العالمية ، بحيث أخذت النورجوارية الصمدى في الممدن تنتسب الى صفوف الحرب . والحرب رادت من وطأة الضرائب المالية وقسمت في رفع الاسعار ، وعقست الحياة ، كما ان واعدة الامونزا قضت على اكثر من ١٤ مليون شخص دهبوا جيماً فريسة هذا انداء الوبيل ، وقد قامت في البلاد حركات فرد وعصيان في مقاطعة السحاب ، وراح تيلاك ، بمؤارة آمي بيزان ، يؤسس عام ١٩١٦ ، عصبة الوطن القومي توفق حرب المؤتمر في لكونه ان يجمع ممأ « المصلين المتطرفين » و « المعتدلين » بعد ان تفرقوا وقاعدوا منذ عام ١٩٠٧ ، كما عقد تحالفاً مع الرابطة الاسلامية التي تالفت عام ١٩٠٥ وهذا الاتفاق الذي تم بين الاحزاب الهندية ادى الى وضع خطة عامة للاصلاح رمت الى لاستقلال التام ضمن رابطة الامبراطورية البريطانية . وعندما نشبت الثورة الروسية ، سارعت الحكومة البريطانية ، الى قطع الوعود بالعدل على تطوير مؤسسات احكم الداتي تدريجياً في سبيل تأليف حكومة مسؤولة عن الهند فتكون قسماً متمماً للامبراطورية

البريطانية . ونظام السلطة الثنائية الذي اقترحت الاخذ به لجنة مونتاغو شيفسفورد ، لم يباشر بتطبيقه ووضعه موضع التنفيذ الا في سنة ١٩٢٥ .

وزع هذا النظام المسؤوليات بين الحكومة المركزية التي استقطبت لنفسها به الامور الخاصة ، كالشؤون العسكرية والجبركية وامور الامن العام والقضايا المالية ، وبين الحكومات المحلية العامة التي انيطت بها ادارة الشؤون المنتقلة اليها ، كأمور الصحة العامة والزراعة والتربية والتعليم . واستندت الحكومة المركزية الى نائب الملك ومجلس التشريعي المعين لمدة ثلاث سنوات ١٩٢٥/٦ . حضوا في السنة الاولى ، ١٩٢٥/٦ في السنة الثانية يجري تعيينهم من قبل الحكومة . كما انشأ مجلس الامراء . لكل من الولايات العشرين حكومتها الخاصة ومجلس تنفيذي ومجلس تشريعي . فنائب الملك والحكام مسؤولون امام الحكومة البريطانية فقط ، وهم يشعرون بحق القيتو للشاريع التي تقررهما المجالس ، ويمكن لهم ان يفرضوا - بالرغم من اقتراح معار في المجلس - الاجراءات التي يرون ان لا بد من اتخاذها .

وفي ظل هذا النظام البعيد جداً عن نظام الحكم الذاتي الذي وعدوه به ، عاشت الهند بين ١٩٢٥ - ١٩٣٥ . وعلى غرار اصلاح الذي قامت به لجنة مورلي - منتو قبل ذلك بعشر سنوات ، قال هذا النظام حوافزة المتدليين الذين اظهروا استعدادهم التام للتعاون مع بريطانيا العظمى ، وبذلك تم شق المعارضة الوطنية . واخذ حزب المؤتمر ، في نهاية الامر ، قراراً بتبني هذا النظام مع استمراره في المطالبة باصلاحات اكثر جذرية وعمقا ، وتكاثرت حركة الاضرابات في البلاد بالرغم من محاولة الحكومة لصددها ، واتخذت نظاماً أوسع . واعطت الاحكام العرفية في مقاطعة البنجاب ، واد ذلك راج عاندي بعد ان اطلقت الحركة الثورية ، يوقف حركة العصيان المدني التي دعا اليها ، وتبني بديلاً عنها سياسة « اللاتعاون واللاعنف » ومقاطعة المحاكم في البلاد والشرائح الممول بها ، والؤسسات التعليمية ، وعدم دفع الضرائب . وفي سنة ١٩٢٢ ، دخل اكثر من ٣٠.٠٠٠ هندي السجن لأسباب سياسية . ودب اليأس الى الحركة وولاهما القسوت والمخلف من الاعضاء المنتسبين اليها الى ٢٠٠.٠٠٠ . وانغمست الحكومة هذا النظر بالذات للتراجع عن التنازلات الاقتصادية الجزئية التي كانت قدمنها ، وحددت عام ١٩٢٧ قيمة الروبية بسم مرتفع الامر الذي عاد بالازعاج الشديد الى عدد كبير من ارباب الصناعة في البلاد ، وخفض من الحماية الممنوحة عام ١٩٢٤ ، لصناعة الفولاذ وأدخل على السلاص تعريفات تفضيلية لصالح الفولاذ البريطاني .

اتهم هذا الموقف تلك الحكومة البريطانية رأت النورجوارية المعتدلة التطور الهندية ان تلطم تعاونها مع الحكومة ، وفي اواخر عام ١٩٢٧ ، راج جواهر لال نهرو الذي قصى سنة ونصف متجولا في ارجاء أوروبا واتبع له ان يقوم باصلاص عديدة مع اوساط اشتراكية ، يطالب مع صبحاس بوز ايس بالحكم الذاتي كما في الماضي ، بل بالاستقلال التناجز التام . ولحمت تأثير عاندي شرح بالمناقشات وراج زعماء حزب المؤتمر بقدمون ، عام

١٩٢٩ ، الحكومة لائحة عامة عرضت بمذكرة دلهي التي تقترح سياسة التمساون مقابل انشاء دومنيون الهند . فرفضت الحكومة هذه المذكرة . وراح مؤتمر لاهور يطالب في اواخر عام ١٩٢٩ بالاستقلال التام ، هذا الاستقلال الذي تحتفل الهند بيوم ذكراه لأول مرة منذ ٢٦ كانون الثاني عام ١٩٣٠ .

وهكذا فالحركة الوطنية التي كانت تنهض بها قبضة من رجال الطبقة الوسطى المستنيرة والتي كانت ترضح بعض اصلاحات محدودة في إطار الامبراطورية ، اوقدت بمسد نصف قرن من العمل الموصول والجهد المستمر ، طابع مطلب تؤيده جماهير الشعب الهندي التي لم يعد يرضيها سوى الاستقلال التام والانفصال عن الامبراطورية البريطانية .

وبعد ان عرفت انكلترا كيف تستمر وكيف تحافظ على الوضع مستعينة قارة بالضغط مساندة الكتل ، ولا كراه وطوراً بالوجود البراقة ، رأت النق انواع الامبراليات وأكثرها اليونة وطواعية و غداً خيرة وحسكة في العالم ، تتعقق بالرغم عنها وحدة الهند . الا انها تستطيع ان تعتمد على ترده العناصر المحافظة في حزب المؤتمر ، وعلى طبقة كبار الملاكين التي كونتها وانشأتها وعلى الامراء الذين حافظت عليهم وابتقيتهم على رأس الـ ٥٦٣ ولاية التي اوجدتها في الهند منذ عام ١٨٥٧ ، بينهم ١٠٠ يتمتعون بالفضل بأهمية وشأن كبيرين ، اذ كثيراً ما عصت الحكومة البريطانية للصرف عن الابتقرارات واعمال المصف التي قاموا بها وضرات صعباً .
ولما كل الفضل عليهم لانهم مديونون لها بمراكرهم وهراتهم وسبجت حولهم من عوادي شهر فحفظوا لها الولاء واسلخواها الطاعة . وانشأ البريطانيون عام ١٩٢٥ مجلس الامراء احتفظ له بدور كبير في نظام الحكم الذي رسموه للهند . الا ان الاستثمار البريطاني اعتمد قسراً كل شيء على لافلية الاسلامية في البلاد التي تعد ٢٥ ٪ من مجموع سكان الهند ، الذين كانوا أقل تطوراً فكرياً واقتصادياً ، وأقل غنى و ثراء ، وأقل تطوراً من الوجهة الاقتصادية من الهندوس ، على الاجمال ، الذين يؤلفون غالبية السكان ويزرعون الخوف في قلوب المسلمين . وقد تحلق المسلمون حول الرابطة الاسلامية وحضروا لنظام انتخابي خاص بهم ولتمثيل فنياسي مختلف له امتيازاته الخاصة . وهكذا اعدت بكل دراية ودهاء وبدت بشكل بارز الاختلافات الدينية والمنافسات السياسية التي اخذت بعين الاعتبار في تقسيم الهند عام ١٩٤٧ .

يتميز هذا المجتمع على الاجمال بالفقر المدقع الذي يزداد عمقاً وسوأ يوماً بعد يوم . ولم يأت هذا الوضع نتيجة للحركة الديموقراطية ولا لزيادة السكان المفرطة ، اذ ان هذه الزيادة كانت في باء الامر احدى مساهمات في انكلترا ، ولم ترتفع لتبر معدل نمو السكان في عربي أوروبا الا بعد عام ١٩٣١ ، اذ سبغت الزيادة اذ ذلك ٢١ بالمائة . وبعد هذا التاريخ ارتفع معدل الزيادة أكثر بكثير ، اذ زاح عدد السكان بين ١٩٢١ - ١٩٣١ ما يعوق ٧٧ ٢٠٠ ٠٠٠ كما ان هذه الزيادة بلغت ٢٧ ٢٠٠ ٠٠٠ بين ١٩٣١ - ١٩٤١ . وهذا النمو العظيم لا يتم عن اي خطر او جلاء في بلاد تنعم بآردهاها الصناعية ، فقد جاء في الهند نذيراً بحد

مدام في بلد زراعي كالهند حيث الانتاج الزراعي يبقى جامداً وحيث الصناعة لا توفر اي بديل لسد حاجة البلاد من المواد الغذائية المستوردة من الخارج . فالحمد لله من هذه البلدان حيث تنخفض الى النصف استثمارات الجيش ومعدل الحياة ، اذ بلغ هذا المعدل ٢٣ سنة للرجال ، عام ١٩١١ ، و ٢٧ سنة عام ١٩٣١ ، و ٣٢ سنة في عام ١٩٥٥ .

يؤلف الفلاحون اقلية السكان . ويمكن رد بعض هذا الشقاء الذي يؤس الفلاحين وشغلهم بقرودون فيه الى الاصلاح الذي قام به البريطانيون في اواخر القرن الثامن عشر ، اذ فرض على الهنود نظريات وفكرات غربية لتناقض وتقاليدهم المرحية ، اصابت في الصميم نظام الملكية الشخصية ، وحتى بيع الاراضي ورهها . والضرية الاميرية القافة على اساس ائمة والمصول حلت محلها ضريبة ثابتة تدفع مقدماً ، حتى اذا ما تعذر عليهم دفعها امكن للجيش والمصلي الضرائب استملاك الارض - التي كانت تعود ملكيتها للمجتمعات القروية - وبذلك يستحيل الفلاحون مرابمين ويشترى وضمهم للمخاطر من جميع الجهات وبذلك مهد البريطانيون السبيل لطوع طاعة من كبار الملاكين العقاريين ، يستثمرون اموالهم ويستغلونهم بأبشع الطرق ليس من يحميهم ، يوطدون لسلطة البريطانية على البلاد ، كما ان فرض النظام النقدي على البلاد ساعد المرابين على تكوين ثروات صائلة . وهكذا اذ يرى الفلاح نفسه راحاً تحت وصاية ثلاث ضرائب مختلفة : دينه المرابين ، وصريية الحكومة واثارته لصاحب الارض ، تستهلك ثلثي ايراده ، لا يرى من سبيل امامه للخلاص الا بيع ارضه او التزوج .

ويزداد يؤساً على يؤس مع برار للصناعة اليدوية في الريف بعد المنافسة الشديدة التي تعرضت لها من قبل البضائع والماحيات المستوردة من اوروبا ، ومع مشاري لأغنياء للاملاك . هين ١٩٠١ - ١٩٢١ ، تضاعف عدد المرابين في ولاية مدراس وحدها كما ان معدل المزارعين فيها انخفض حد الاجر بمعدل ٢٠٪ والديون المتركة على الفلاحين في الولايات المتحدة التي قدرت بـ ٤٠٠ مليون جنيه عام ١٩٢١ ، ارقمت الى ٦٧٥ مليون عام ١٩٣١ . وهكذا اردادت الأزمة الزراعية احتداماً في الهند مع تكرار حوادث نزاع الملكية ، والثمان المترايد بين الطبقات وتقهقر الزراعة . فالاحصاء العام الذي جرى عام ١٩٣١ يقدر بـ ٣٨٪ عدد الفلاحين الذين لا ارض لهم يحرثونها ، والاحصاءات التي اجريت في المناطق الاكثر ازدهاراً كالفوجارات والبنجاب والولايات المتحدة تشير بوضوح الى ان ما بين ثلثي وثلاث ارباع الاسر تزرع تحت دين يفوق قيمة غلة السنة ومواسمها ، بفائدة تبلغ احياناً ٧٥٪ من قيمة غلة الموسم . كذلك ظهر في الجنوب ان ٨٧٪ من السكان هم ايضاً هارقون في الدين ، وفي ولاية اسام ٨٥٪ . ان ثلثي عدد المزارعين هم عاطلون عن العمل جزئياً ، اذ ان اقتدارهم للارض بقصرهم على البطالة من ١٠٠ الى ٢٠٠ يوم في السنة ، والفلل صعبة جداً لحاجة الارض للساه والمعتاد الزراعي ولعدم توفر الاساليب الفنية في استنار الارض . وهم يتعرضون لنقص في اسلوب التغذية اذ لا يصيب الواحد منهم ١٦٠٠ سعر حراري في اليوم الواحد للفرد البالغ ، (بينما مصلعة التغذية البريطانية كانت

توفر للفرد الانكليزي ما يعادل ٢٩٩٠ سعر حراري ، عام ١٩٤١) .

والعاملون في الصناعة من السكان لم يكونوا في وضع افضل . ففي عام ١٩٣١ كان ٤٣٪ من مجموع السكان لا غير يعملون في معاشهم ، على الصناعة . هم يكن في تلك البلاد ، بهذا التاريخ اكثر من ٢ ٥٠٠ ٠٠٠ عامل يعملون في الصاعات الكبرى (بينهم ٨٠٠ ٠٠٠ يعملون في مناجم الفحم و ٢٦٠ ٠٠٠ في مناجم النحاس) اي ما جاري ١٥٪ من مجموع السكان العاملين . وطبقة العمال هذه يمورها عصر النحاس ، اذ انها تتألف بالاكث من مزارعين مأجورين ومن صغار الملاكين مسطوا المدينة طمعاً بعمل اصلي او بأحر اكبر ييسر بقي افراد عائلاتهم في الريف ، فهم غير مستقرين ، لم يألوا قط العمل المنظم السريع ، انتاجهم ضعيف ومردودهم محدود لما هم عليه من سوء الصحة .

حياتهم تنقص في اسوأ الظروف . ففي عام ١٩١١ ، كان ٦٩٪ من مجموع السكان يسكنون بيوتاً تتألف من غرفة واحدة يأوي اليها ٤٥ شخصاً . ويشير احصاء عام ١٩٣١ ان ٧٤٪ من السكان يعيشون في مثل هذه الظروف . فالنسبة في مدينة احدث آباد هي ٧٣ بالمائة ، وفي كراتشي ، فان ثلث سكان المدينة يتوزعون على غرف تضم الواحدة من ٦-٩ اشخاص . فليس يعريب قط والحالة هذه ان تبلغ نسبة الوفيات ٥٧٧ بالالف من المواليد في مساكن تتألف من غرفة واحدة في بومبي ، و ٢٤٦ بالالف في معظم المدن الاخرى ، و ٢٣٩ بالالف في كلكتا و ٢٢٧ بالالف في مدراس .

والاحوار المتدنية : ثلث واحد ونحاستان هو معدل ما يكسبه ٦٠٪ من العمال في بمباي ، في اليوم ، تعطينا فكرة صحيحة عن الوضع الزري الذي يكتنف حياة العامل ، كما تفسر لنا وضع النقابات العمالية والاضرابات الاجتماعية التي اخذت ثمر وقلقت النظر بعد عام ١٩١٩ . وهذا الاضطراب ابتداء باضراب ١٢٥ ٠٠٠ من عمال النسيج في بمباي في كانون الاول ١٩١٩ ، ومنها امتد الى جميع اشراف البلاد عسا ١٩١٩ - ١٩٢٠ . وفي هذا الوقت بالذات جرت المحاولات الاولى لتشكيل نقابات . والنقابة الاولى تشكلت في مدراس اثر المؤتمر الذي عقده اتحاد عمال الهند برئاسة لاهيات راي . وتعاقب على رئاسة هذا الاتحاد شخصيات هم اعضاء في حزب المؤتمر امثال جواهر لال نهرو ومن ر. داس وصحاس شندرا بور . ولما كان عمود العمال قليلاً سيئاً فلم تستف فيهم بعد روح الطبقية كما انه لم يطلع من بينهم رعماء يتولون امرهم ومع ذلك فقد اخذت تتسرب الى صفوفهم مبادئ الاشتراكية والشيوعية . وفي سنة ١٩٢٦ ، تصكون في البنغال اول حزب تألف من العمال والملاحيد ، كما نشأ بعد ذلك مثل هذا الحزب في السحاب وبمباي والولايات المتحدة . وقد اندمجوا معاً ليؤلفوا فيما بعد اتحاد عمال وفلاحي الهند ، الذي اخذ ينظم حركة الاضرابات في البلاد ويهيء لمظاهرات واسعة . والحركة العمالية بررت هنا ، كما في الصين وجاءت في طليعة الحركة الوطنية في صهردها امام الاجبي . وهدد العمال الذي دخلوا النقابات في بمباي كان عام ١٩٢٦ نحو ٦٠ ٠٠٠

فارتفع ال ٢٠٠ ٠٠٠ في آذار ١٩٣٩ . والاضرابات التي وقعت عام ١٩٣٨ سجلت لوحدها اكثر مما سجلته الاضرابات في السنوات الخمس السابقة مجتمعة من ايام المطالة .

استقلال الهند واقتصادها
انفصرت الحرب والهند تطل وتتمطى بحجة عالية على الدستور الاتحادي الجديد الذي اعلن همام ١٩٣٥ ، كما اتضح من الفور الذي حققه حرب المؤتمر في انتخابات ١٩٣٧ ، اذ نال فيها ٧٠ ٪ من الاصوات . وعندما راح نائب الملك يعلن سنة ١٩٣٩ ، دون ان يثني ممثلي الشعب بان الهند بلد محارب ، ويمطيه قرار الدفاع عن الهند كل السلطات ، فلم جميع الوزراء استقلالهم ، كما امتنع حزب المؤتمر عن تقديم اي معونة للجيش الهندي . وبالرغم من الهزائم التي توالى على امكلترا فقد رفضت الحكومة البريطانية اعطاء اي تمهد بالاستقلال ، فكبحت كل معارضة وراحت من الصف (وحري توقيف اكثر من ٦٠ ٠٠٠ شخص بينهم ١٠٠ عضو من مجالس الولايات ، بينهم ٣١ ورياً سابقاً ، وكل زعماء الحركة امثال نهرو وغاندي وبائل) . وفي هذا الوقت راح احد زعماء حزب المؤتمر ، ومناصه الاكبر ، يؤلف حزب : الهند الحرة (*Azad Hind*) . ويدعو للثورة ضد الانكليز ويخند من بين معسكرات الاعتقال جيشاً وطنياً محارب الى جانب اليابان في بورما

وفي عام ١٩٤٥ ، رأت الحكومة البريطانية نفسها غارقة ل فوق ادبيها في اشكالات والصعوبات التي تواجهها في كل من مصر وفلسطين وماليزيا والهند نفسها حيث تكاثرت حركات الاضراب والانتفاضات الشعبية ، وحركات العصيان والتمرد في الجيش وقوى الطيارين والاسطول والمقاومة التي قام بها موظفو الادارة حرمت السلطة البريطانية من كل وسيلة لفرض ارادتها . ولم يعد لانكلترا من اسباب اقتصادية قوية كما كان لها في الماضي لتحتفظ بمواقبتها السياسية على الهند . ففي عام ١٩٣٩ كانت تجارتها مع الهند انخفضت الى الثلث ، كما ان امورها الموطنة في شبه القارة الهندية سقطت الى ٧٥ ٪ وعلى هذا الاساس وقع تقارب عام ١٩٤٥ بين حزب المؤتمر والرابطة الاسلامية التي اوجست ثراً من الحركات الشعبية ، والى ممثلي هذين الحزبين كان من المتوقع ان يؤول الحكم في البلاد . ورحت اول حكومة عمالية قألت هي امكلترا تستجبل المفاوضات حول الموضوع ، وفي تموز ١٩٤٧ اعلن استقلال الهند وقسمت الى دولتين مستقلتين ذات سيادة لم تلبث ان دخلت في مناعة حادة ، تماماً كما وقع في ايرلندا ، تعمل بريطانيا على ان تلعب دور الحكم بينها .

جاء انقسام الهند الى دولتين لاسباب دينية محضة ، الا ان تشاك السكان وتماطهم بين مسلمين وهنود هي بعض لناطق لم سهل كثيراً عمالة الانقسام هذه اذ ان الاحصاء الذي تم عام ١٩٤١ دل على ان سكان باكستان يضمون ٧٥ بالمائة من المسلمين كما ان اتحاد الهند ضم ٣٥ مليوناً من المسلمين الى حدود ال ٢٨٠ مليون هندي . والمدايح الداميسة التي وقعت في آب وايلول من عام ١٩٤٧ اودت بحياة ١٠٠ ٠٠٠ قتيل وخردت على الطرقات وفي هيب الارياف

أكثر من ١٣ مليون نسمة من هؤلاء البائسين الذين يقتفرون لكل شيء وكلوا يقضون جوعاً وسفياً ، اذ ان عدداً كبيراً منهم (أكثر من ٥٠٠.٠٠٠) قضوا بحبهم وهم عاقون على وجوههم . وفاندي نفسه ذهب ضحية ، احد المتحصين الذي غاصه جداً انقسام المسند الى هولتين ، ولأقوى حنقه على يد احد ابناء ملته الذي اخذ عليه موقفه المتساهل تجاه المسلمين .

يتألف الباكستان من قسمين مختلفين يبعد الواحد عن الآخر
التركيب الاجتماعي والسياسي ١٨٠٠ كيلومتر ، كما ان ٣٧٪ من مساحته غير صالحة للأعمال
في الباكستان الزراعية ، ثلثها مروي ولا يمكن زيادة هذه الأراضي الزراعية
الا بعد اقامة سدود وانشاءات تكلف غالباً والدولة الجديدة غنية بالقمح والحبوب والقطن
والجلود ، وتكفي بخلاف الهند ، نفسها من المواد الغذائية وسجل ميزانها الاقتصادي فائضاً
محسوراً . الا ان ٧٠ بالمائة من سكانها البالغ ٨٦ مليون (عام ١٩٦٠) يعملون على الزراعة
ويعيشون في البؤس والشفاء ، إذ ان معدل الدخل الحقيقي لمائة تتألف من ٥ أشخاص لا
يزيد على ١٥٠ روبية في السنة (١٥٠ فرنكاً) في الباكستان الغربية ، و ١٢٥ روبية (١٢٥
فرنكاً) في الباكستان الشرقية . ويملك بعض كبار الملاكين العقاريين من ٦٠ - ٨٠ بالمائة من
مجموع الأراضي في بعض الولايات . والسواد الأعظم من الفلاحين هم مزارعون او مرابيون ،
بفراخ ما يزرعه المائة الواحدة بين ٢ - ٤ دوم ، ولا يحصلون من غلة الأرض سوى ٥٠ - ٣٠
بالمائة كما يترقب عليهم ان يقدموا حيناً ونقداً للملكي الأرض اطواة أخرى من لافضة أو أشغالاً
أو من غلة الأرض تؤلف في مجموعها من ٣٠ - ١٢٠ بالمائة من المبالغ المدبتون بها . والاصلاح
الزراعي الذي نص عليه مشروع الرابطة الإسلامية عام ١٩٤٦ ، لقي مقاومة عنيفة من قبل
كبار الملاكين العقاريين الذين يؤلفون اركان الرابطة المذكورة . فالشرق الشرقي من الباكستان
وحده حيث يشتد البؤس وحيث الجماعة اودت بحياة احوال من ثلاثة ملايين نسمة عام ١٩٤٣ ،
حلق عام ١٩٥٠ ، اصلاحه الزراعي ، وفي غرة عام ١٩٥٥ لم يجر سوى استملاك ٢٣٧ قطعة
أرض من اصل ٢٨٢ ، ١٢٣ قطعة خاضعة للمصادرة والتوزيع ، ولم يستفد الفلاح الا من إلغاء
الافادة المقررة عليه . اما في الولايات الاربع الاخرى ولا سيما في البنجاب اعنى هذه الولايات
على الإطلاق ، حيث « تصطبغ الرابطة الإسلامية فيها بصيغة تاريم كبار الملاكين العقاريين » ،
فلم يكن من أثر قط لهذا الاصلاح ، وفي الولاية الواقعة على الحدود في الغرب ، جرى تخفيض
الاعفاء عن الفلاح : كإلغاء الرهونات ، وتخفيض القسم المتوجب على المربع تقديمه وحمله ١٠٪
من مجموع الغلة وبعض تسهيلات أخرى تسمح له باستملاك الأرض .

والصنيع وحده قليل تنحصر هذا الوضع الزراعي ، ولكن هيئات ان تتوفر في البلاد
الشروط الأساسية للصناعات الثقيلة ، للصناعات الوحيدة القائمة هي صناعة النسيج والدباغة
وبعض المعامل الكهربائية ومصانع الترابية وهي كلها تفتقر جذرياً للموظفين الفنيين ، بحيث ان

الحل الوحيد يقتضي اصلاحاً زراعياً من الاساس ، يزيل من الوجود العقارات الضخمة او يؤمن للدولة الوسائل المالية التي تعتمد عليها. فمن اذن أمام مشكلة سياسية في الاساس ان تركيب الملاذ الاصلي الاجتماعي والاقتصادي يحول دون هذا الحل أو ذاك .

وجاعة العلماء الذين وقعوا تحت تأثير لاشكائات الديكتة وقت الانفصال ارتاحوا جندياً لقيام دولة دينية في الصمم قامت على « المادى » التي نص عليها الاسلام ، يكون فيها القرآن والسنة أساساً لتشريعات البلاد ، كما يفرض النخري واحراج الموظفين غير المسلمين من دون الحكومة الرئيسية ، كما على المرأة الا تظهر في حياة العامة . والدستور الذي دشن عام ١٩٥٦ اسماً في البلاد دولة اسلامية مع كل ما يترتب على ذلك من نتائج . ، وقد بان اضرار التجدد في البلاد فرضية بان تقوم المؤسسات السياسية في البلاد على قرار المؤسسات البريطانية : مجلس تشيلي يجري انتخابه بالاقتراع العام ، وحكومة مسؤولة ، ومع ذلك على اطار المصري المفروض يظهر مع ذلك نصوص السلعة شبه المطلقة التي يتمتع بها كبار الملاكين . وهذا الاضطراب والقلق الاجتماعي الذي تعاني منه الدولة الجديدة افسح المجال لظهور عدد من الاحزاب المعارضة : كحزب الفلاحين ، والرابطة الشعبية ، ورابطة باكستان اخرى في باكستان الغربي يجري انتخاب الزعماء ويتجدد انتخابه في دائرته الريفية بصورة آلية من قبل الفلاح الامي ، الجماعل الذي يعيش في حوار هذا الزعيم وفي تبعيته الضيقة ، أما في باكستان الشرقي حيث الفلاح البندي لا تشده الى صاحب الارض مثل هذه الرابطة الآصرة ، فقد تقوم جبهة المعارضة بمثلة « بالرابطة الشعبية » التي هي العامل لاساسي والحركة الاكبر في هذه المقاطعة وقد نالت في انتخابات عام ١٩٥٤ العامة ٩٠ بالمائة من الاصوات . فهي اربع من ولايات باكستان الخمس ، تبدو انديوغرافية واحبة برانية . تبقى معها العناصر انديوغرافية عاجزة عن تحقيق اي اصلاح ، وحيث لا يستطيعون التفتيس عن مشاهيرهم واحاسيسهم لا بواسطة مؤامرات يحسنون حكمها ككثاؤامرة التي شهدتها روالبندي عام ١٩٥١ ، و كـ هذه الفتن التي قدمت في كل من لاهور وكراشي عام ١٩٥٣ .

ان عدم الاستقرار السياسي والاقتصادي الناجم عن الفساد
الانقلاب العسكري عام ١٩٥٨ العام المضارب يمرافقه على البلاد وتجاوزات القانون التي تأتيها كبر المسؤولين الى جانب الفقر المريع الذي تتسكع فيه الجماهير الشعبية شعجع - على عرار ما جرى في مصر - المارشال ايوب خان ، عام ١٩٥٨ ، على القيام بحركة انقلاب عسكري واستلام الحكم فعمد في نادية الامر الى حل الاحزاب السياسية ، واعلان لاحكام العرفية في البلاد ، والغاء الدستور ، و« كبح » الصحافة ، ونشر قانوناً زراعياً نزع الى تقسيم لاملاك الصغرى والى اشاء طبقة وسطى من الملاكين ، وهي تدابير واجراءات جاءت بالأكثر في صالح صغار الملاكين ومتوسطيهم بينما يحول الفقر الذي يتسكع فيه المرابعون وعكثرو الارض دون امتلاكهم لهذه الاراضي التي يتعهدونها بمروق جيبيهم .

ورصيد النظام الجديد الذي سيطر على البلاد لم يكن كله سليماً . فقد فرض عام ١٩٥٩ على كبار الملاكين العقاريين فيباكستان الغربية إصلاحاً زراعياً قارموه دوماً من قبل بالغنف الشديد (اذ حدد ملكية الاراضي الزراعية بـ ١٢٥ هكتاراً) ، وحاول التعفيف من فساد الموظفين ، ونشر قانوناً للأسرة حدد فيه حقوق المرأة ، وشجع على الحد من القبل بالرغم من معارضة العلماء . كذلك شجع التطور الاقتصادي في بلاد ، اذ زاد عدد سكان المدن فيها صعبين في خلال عشر سنوات ، مع ان الطابع المسيطر على السكان قبيحاً هو الطابع الريفي ٨٠ ٪ . ومعدل النمو السنوي للزراعة جاء مع ذلك واطياً جداً ، اذ لم يزد على ١٢٦ بالمئة بينها بلغت الزيادة في السكان ٢٤٥ بالمئة ، وهكذا فالحمل الفردي بقي تقريباً على حاله في مستوى متدنٍ للغاية ، والسواد الاعظم من الناس يستمرون في حالة فقرية مدقعة ، بينما ترتفع الامية الى ٨٥ بالمئة ، و ٦ بالمئة من مجموع السكان تتوفر لهم مياه صالحة للشرب . وعدد الذين يحتاجون الى حمل في الريف ، بلغ عام ١٩٦٥ ، ٨ ملايين نسمة (مقابل ٥ ملايين في عام ١٩٦٠) ومعدل استثمار الارض يتراوح بين هكتار واحد في الاراضي الزراعية فيباكستان الغربية و ٢٠٠ هكتار فيباكستان الشرقية .

اما اصلاح الدستور ، فعمليته بدأت بالفشل التام ، بعد ان استقر في خضك الدين قاموا بالانقلاب العسكري ان فشل الديمقراطية البرلمانية سلبها عدم وعي الضمير الوطني لدى الملاحين الذي لا يتجاوز نظر الواحد منهم افق ارضه الضيقة او قريته . ارتضوا بديلاً عنها بديموقراطية اساسية ، هدفها تمديهم على ادارة شؤونهم المحلية في نطاق القرية أولاً . وكان من المقرر ان يقوم على شكل هرم مجالس وهيئات تقوم بالاقتراح العام ، في القرية والساحية والمنطقة والقضاء والحفاظة بحيث تتم معه تدريبهم السياسي والمدني معاً ، يمزج الملاحين وحملهم في مأمن من الاعيب رحال السياسة والملاكين العقاريين . وساء لاختصار قصير المدى والتحرية قصيرة الاخرى ، اذ لم تمر ثلاث سنوات حتى كان اموظعون السادقون عادوا الى مراكزهم من حديد والدستور الجديد سم بتشكيل احزاب جديدة في البلاد بعد ان منع قيامها من قبل ، وبذلك عاد الى اعيان القوم ووجوههم ما كان لهم من شأن ونمود . وبفصل الاقتراح المحدود حيث الكلمة الاخيرة لسكان الريف ، انتخب المارشال ايوب خن رئيساً لدولة باكستان في مطلع عام ١٩٦٥ ، بأقل من ٢/٣ اصوات المقترعين .

الهند المستقلة التي نالت ٨١ بالمئة من الاراضي في شبه القارة
الهندية ، وكان عدد سكانها ٣٦٩ مليون في عام ١٩٥٠ ، تعد
٤٣٩ مليون من السكان في عام ١٩٦٣ ، ينتم معظمهم بالطابع الريفي هنا ايضاً .

وعلى مر رباكستان ، ان ٨٠ بالمئة من سكان البلاد يعملون في الارض ويعتمدون في الاعمال الزراعية حرفة ثابتة لا يبدونها لتأمين اودهم ، وهذه الجاهل الهندية وسف في الجهل اذ ان ٨٨ بالمئة اميون ، وهم قريبة رحيصة لعصبة من المراهين الجشعين ولعدد من الوسطاء ، عرصة

دوماً للصراع والمهاجرة ، كما ان ٦٨ ٪ من هذه الدهماء لا روح لهم ولا خمرح ، بضاشون من علمهم كمرارعين (٣٥ بالمائة) او كمرابحين تحت تصرف الواحد منهم على الاجمال ، مساحة هكتار من الارض للفرد الواحد ، و ٣٣ بالمائة بينهم عمال لا يخرج وضمهم عن وضع الارقاء المستعدين ، فهم يفتقرون اصلاً الى اي نوع من السداد ، كما ان عتاهم لزراعي من النوع البدائي ، فليس من عجب ان تأتلي مواسمهم للسوية حقيرة شحيحة ، و د الفلة فكاد تلامس الحاجة ولا تقى بالفرح . والاصلاح الزراعي العام الذي طلق عام ١٩٥٦ ، قضى على نظام الزمندان مع التمريض على صاحبه وركبت للولايات المختلفة مسؤوليات اعداد واصدار القوانين الخاصة بتطبيق هذا الاصلاح ، فصارت هذه التدابير تختلف مدى واتساعاً واثراً ، وبصت على جعل الحد الاكبر للارواح يتراوح بين ٢٠ - ١٠٠ هكتار ، بينما حاولت معظم هذه الولايات على التلطيف من وضع الفلاح وجعله اكثر استقراراً من قبل ، بمقود ايجار واستئجار طويلة الامد ، على ان يحدد المحاكم سراً عادلاً للاستئجار او للاستكراء ، عن طريق جعل حد ادنى للاجور وغير ذلك . وقد لقي تطبيق هذه القوانين معارضة شديدة من قبل اصحاب الزمندان وعن طريق فرض مبالغ عالية للتمريض عن الاستملاكات (بلغت ٤ مليارات روبية) ، دفعها يزيد كثير من التضرع المالي في البلاد .

وتطورت الطبقة الصالحة في الهند من جراء الحرب ، بعد ان اصعبت الهند ترسافة الجيوش البريطانية العاملة في اقطار جنوبي شرقي آسيا او في بلدان الشرق الاوسط ، مما ادى الى تنشيط الصناعة فيها ، واتى صنع الاملحة الخفيفة والمعدات الخاصة بالمدفعية والمرتبات المصفحة وبسواء السفن الصغيرة ، كما تلقت طلبات قوسية خاصة بتجهيزات الجيش وصباته . ولاول مرة في تاريخها ، تمكنت الصناعة الهندية من صنع صفائح من الفولاذ لتدريع العربات المصفحة ، ولوفاً من الفولاذ الخاص يستعمل في المدافع المضادة للدروع كما تمكنت من صنع ادوات فولاذية تدخل في مبات الجيش الاساسية كالنشاب والمخارط وماكانات النحت ، ومواد كيوية وصيدلية . واقل على العمل في المدن عدد كبير من العمال ، فارتفع عدد العمال في البلاد من ١٧٤٥٠٠٠ عام ١٩٤١ الى ٣١٤١٠٠٠ بسهم ، والحق يقال ، عدد كبير من عمال فصلين او موسمين . فالأوضاع التي تمكنتهم مريضة . فالقوانين الاجنبية التي تسيج حولهم نافضة ويحري تطبيقها بشكل سيء جداً . فهذه المدن التي تحصى سكانها بثلثي المليون من المساكن ، والقرى القليلة الذي شهداء في الفترة السابقة ارداد حدة وشدة . فليس يفرق قط ان ترى هائلتين او ثلاثاً يمشون في غرفة واحدة ، كباراً وصغاراً جسا الى جنب وبعضهم فوق بعض ، ففي عام ١٩٤٩ ، ترى في مدينة بمباي نفسها ١٥٠٠٠٠٠ لاجئاً لهم قط او يسكنون زرائب في ظروف واوضاع غريبة ، واكثر من نصف مليون نسمة يدرعون الشوارع طحولا وهرساً وينامون على قارعة الطريق يلتحفون السماء . وقامت حول المدن دحبات عمل ، هي خليط من الاكتشاف والحياض والمضارب والاكوام تنشر المارة لرويتها او لرائحتها . ويذهب ٣/٤ اجور

العامل ليلومن له ولذويه غذاء يبقى دوماً ناقصاً ، الامر الذي يضطر معه اكثر العمال للاستدانة (ففي عام ١٩٤٦ ان ٩٥ بالمائة من اسر العمال هي مدراس ، و٦٣ بالمائة من هذه الاسر في بياي وزج تحت الدين لمبالغ تتراوح بين ٨٠ - ٣٣ دولاراً بينما الفائدة تتراوح بين ١٠٠ و ١٢٥ بالمائة والطبقات الوسطى ، مع انها قليلة ، تعاني هي الاخرى ، من الحرمان ، فتضطر ان تخصص نصف ما تربحه على تأمين قوتها وعذاتها ، وتسوء وسائل التغذية لديها يوماً بعد يوم .

المشكلات الاقتصادية بعد التقسيم بقليل سجل النشاط الاقتصادي في الهند هبوطاً محسوساً في كل مرافق الصناعة اذ هبط الانتاج من اعلى نقطة سجلها عام ١٩٤٣ ، وبلغ الدليل العام للانتاج ١٢٦٤٨ في هذا التاريخ بالذات ، و ١٤ في عام ١٩٤٩ ، كما كان من نتائج التضخم المالي حدوث تخفيض في الدخل الحقيقي تراوح بين ١٥ - ٢٥ بالمائة بالنسبة لسنة ١٩٣٩ ، اذ كانت الاسعار دوماً في الارتفاع .

والسرعة الهائلة التي ميرت عو السكان فكان ٨ ملايين عام ١٩٥٩ لم تعد بانتاج الحبوب لي معدل ١٩٤٦ الا في سنة ١٩٥٨ ولذا اقتضت علاجاً سريعاً لمشكلة المواد الغذائية فكيف السبيل الى تأمين الغذاء لـ ٢٠ بالمائة من سكان العالم يقيمون في ٣ بالمائة من مساحة الارض ؟ ولذا يجب ان تكون الارض اكثر خصبة ، والنساء اقل انجاباً ومسلية ، كما يلاحظ العالم الجيوجرافي سبت . فالضغط الديموجرافي شديد الوطأة ، والاراضي التربة والحصول المتناقص باستمرار ، تحشاج للساء ، فالاستهلاك لا يزال حرياً بالسخرية ٢٠٠.٠٠٠ طن فقط في عام ١٩٥٠ ، مقابل ١٣ مليوناً في الولايات المتحدة الاميركية) . في الهند ٤٠ مليون هكتار من الاراضي الجذباء ، منها ربع هذه الكمية يمكن استغلالها بشكل مفيد . فزروس الاموال اللازمة لفتح الارح والاقتية غير متوفرة ، ومراقبة الدخل عملية لم يعمل بها بعد .

والخطة الخمسية التي برشر بها عام ١٩٥١ ، خططت لتحسين وسائل النقل عن طريق شراء الاجهزة والتمدد اللازمين ، ولتطوير الانتاج الزراعي عن طريق زيادة المحصول وقوته ، وعلى اساس توسيع شبكة الري وعلى بناء المصدرة الضخمة ، كما نصت على النهوض بالصناعة عن طريق تشييد معامل لتوليد الكهرباء وانتاج الآلات الصناعية اللازمة . وقد جاءت نتائج الخطة مرضية للغاية وتجاورت الاهداف المرسومة لها ، وارتفع الانتاج الصناعي الى النصف كما زاد الانتاج الزراعي ١٥ بالمائة بحيث تجاوزوا خطر هبوط الانتاج الحقيقي والدخل الحقيقي للفرد ، كما امكن تفادي خطر المجاعة . . الا ان القدرة الشرائية بقيت متدنية ، ولجئ من هذا الوضع صبر في التوسية على المواد المصنوعة الامر الذي يزيد من البطالة (اذ كان في البلاد اكثر من ٥ ملايين عاطل عن العمل عام ١٩٥٥ ، بينهم عدد محترم من حملة الشهادات) . والخطة الخمسية الثانية (١٩٥٥ - ١٩٦١) التي جاءت اكثر تطللاً وطموحاً من الاولى ، اعطت الاولوية للصناعات الثقيلة والنفاجم ووسائل النقل ، كما اتمت الى انشاء ثلاثة معامل ضخمة لصنع

القولاذ قولى انشاءها الاتحاد السوفيائى وشركة كروب وعدد من أرباب الصناعة البريطانيين فيما
أعمل امر المواد الاستهلاكية وشؤون الزراعة ، إذ المطلوب إيجاد من ١٠ - ١٣ مليون مصالحة
أو وظيفة لاستيعاب أكبر قدر ممكن من العاطلين عن العمل الذين تحملهم الأجيال الطائفة ، كما ان أهمية
الاستثمارات الضرورية التي بمصدها مشروع كولمو ، تفرح التطور الموفقى للقطاع الصناعى
ولمسه الدور الاول بالنسبة للقطاع الخاص ، وبالتالي لرأس مال الدولة ، شاء أم أبى . وبقي
من العوامل المهمة في الموضوع مساهمة الرأسمال الاجنبية من انكليزية واميركية بمسند اتفاقها
بالطبع ، مع الشركات الهندية ، وتكوين شركات جديدة يشترك فى رأس مال ميركي انكليزي
هندي ، كالاتفاق الذي توصلت الى تحقيقه شركة بيرلا مع مؤسسة نافيل في موضوع السيارات ،
والاتفاق الذي عقده مؤسسه فاما مع شركة الصاعات الكهربائية الاميرالية ، وشركة بيرلا مع
ستوديسكو ، بشأن تجميع قطع التركيب المرسله من قبل نافيل وستوديسكو ثم تناع السيارات
الجديدة تحت ماركه مصوغات هندية . ففي الصاعات الخاصة بالنزول والمطاط وعيدان
الكبريت والحوت ، كان نصيب رؤوس الاموال الاجنبية يريد في سنة ١٩٤٨ ، على مايساوي ٦٠٪
من مجموع الاستثمارات ، اما في مجال الاموال المصرية والكهرباء والماء والورق وغير ذلك ، فقد
بلغت الزيادة ٢٥٪ ومن جهة اخرى فقد سارت الولايات المتحدة ، بعد ١٩٥٠ - ١٩٥١ ، في
الطليعة واستتلت المرتبة الاولى في استيرادها من الهند ، وانشئت في السداد مصافي
للبنزول ومصانع اخرى برؤوس اموال اميركية . وراحت الحكومة تشجع هذه الاستثمارات
بعد ادخال الطمأنينة الى قلوب اصحابها بانه لا يوجد في مشروع لمصادرة او التأميم ، وبمضني
الحكومة عن كل مراقبة قدخل القلق الى نفوسهم .

حدث الخططان الاول والثاني وان لم تتحققا بكاملهما الى نتائج مهمة . فقد انتقلت مساحة
الاراضي المروية من ٢٠ مليون هكتار الى ٢٨ مليوناً ، والانتاج الصناعى ارتفع هو الآخر بـ ٢٪ ،
وزاد انتاج الفولاذ اربعة اضعافه ، والطاقة الكهربائية يجب صرهما بـ ٢٠٠٥ . الا ان السكان
رأوا عدهم في السنوات العشر الاخيرة ٦٠ مليون نسمة . فمعدل النمو الاقتصادى وتطوره
بالنسبة للفرد الواحد لم يرد من ٢٪ فخطوة الخمسة الثالثة (١٩٦١ - ١٩٦٦) التي تنوي رفع
معدل الاستثمارات من ١١ الى ١٥٪ وتطوير المصانع التي تؤمن التجهيزات الثقيلة والميكانيكية
وحمل التخطيط الابتدائي إلزامياً ، تخشى ان تصاب بالفشل امام متطلبات الدفاع الوطنى
والمصرفات الحربية التي تلح في الواردات (اشتراكات مع باكستان ومع الصين) ، وزيادة
ديمقراطية تفوق كل ما يمكن للمرء تصوره . فالمساعدات الخارجية وحدها سهلت استيراد
٣٠٠٠ ٠٠٠ طن من الحبوب التي اقتضتها مجاعة الجماعة والحل من الاضطرابات الحضرية التي
سببتها المجاعة في السداد كالحرق ونهب المحارن ، وغير ذلك ، واشيراً قضية الطاقة التي لا تزال
مرتفعة بين العمال (٥٠٠٠ ٠٠٠) والشبان المتعلمين مليون شاب مثقف عاقل من العمل في
السنوات الواقعة بين (١٩٥٠ - ١٩٦٠) .

يقول الحكم في البلاد حزب المؤتمر الذي يمثل الطبقة النرجوارية الهندية العليا
 جوده الهند والحكومة التي تخرج معظم اعضاءها من المعاهد لاوروبية حافظت على
 طابع الجهاز الاداري القديم وعلى البيروقراطية دائما والحاكم والشرطة المعمول بها في عهد
 الاحتلال البريطاني والسياسة التي تدير عليها في المجالين الاقتصادي والاجتماعي سارت على
 عمود السياسة التي انتهجها الانكليز من قبل ، ويمكن من هذا القبيل مقارنتها بسياسة
 الحكومات التي قبل تفسيخه الملكية الكبرى والاستثمارات هي في حي القانون ، وقام المصاحبات
 الرئيسية التي اوجروا بها في الهند والذي كانت من شأنه لو طبق ، القضاء على نفوذ رؤوس
 الاموال الاحتية في البلاد ، أسل تطبيقه الى اجل غير مسمى ، كما روعي جانب الامراء ،
 وورعت عليهم اعطيات ملغوة وانيطت بهم مراكز هامة في الادارة والملك الدبلوماسي .
 ولا تزال الحكومة تعتمد الى كيت التدمير الذي تعبر عنه الصحافة والنقابات والمنظمات الزراعية ،
 كما فعلت من قبل عام ١٩٤٧ ، وقانون الاس العام الذي ورثته من الانكليز ، بلا السجون ، بعدد
 من المساجين السياسيين لم تشهد البلاد مثله حتى في اسلك ايام الاستعمار البريطاني ، وقسدر
 ثيور ماند عدد هؤلاء الموقوفين ، عام ١٩٥٠ بين شيوعيين واشتراكيين ونقابيين ، جرى
 اعتقالهم ورحمهم في غياهب السجون في ظروف مخيفة دونما تحقيق معهم او محاكمتهم ، اداة طوية
 بين ٥٥٠٠٠ و ٢٠٠٠٠٠ سجين .

وجود الهند هذا الذي يؤلف اكبر عقبة في وجه تطورها الاقتصادي والاجتماعي يجب رده
 اصلا لهذا التضاد القائم بين نظريات العصر الحديث والنظريات الفلسفية والدينية المتوارقة في
 الهند . وقد شدد احد المراقبين المعروفين بمد النظر على استمرار الطوائف في هذه البلاد
 وحضورها في كل مكان والابديولوجيا المسيطرة عليها . فبدلاً من ان تزول او تضعف ترى هذه
 الطبقات تقوى وترسخ اكثر فاكتر وتلبس دوراً عظيماً في الانتخابات والشؤون الادارية ، اذ
 تؤلف من بينها عوامل ضغط لصلحة مصلحتها . ويساهمي النظر على الاخص « الجوده الغريب الذي
 يتسكع فيه الهندي الفقير ، وعدم شعورية المثري الهندي الخيفة وفساد السياسي الهندي ،
 وعدم كفاءته وعدم الاهلية المطلقة التي لحلت في لخطط الهندي ، والتقاليد المرحبة والجوده المائل
 بيجلان من الصعب جداً الأخذ بالشرائع المعاصرة ووضعها موضع التنفيذ ، هذه الشرائع التي تقضى
 دولة علمانية . وتعلن عدم المساسية مستوجبة للقصاص ، وتحرر المرأة عن طريق الطلاق ،
 وتفتح تعدد الزوجات ، هذه الشرائع التي تعترف بشرعية خلافة البنات ، وتسهل مراقبة الفصل
 بايجاد مستوصفات وعبادات خاصة ، والامر شبه بهذا في المجالين الاجتماعي والاقتصادي فلم
 يجدت معها لمصري جديد يسد كل بعض الشيء من الوضع المقاري الذي يكاد يكون إقطاعياً في
 جميع مظاهره ، وهو وضع قائم على المزارعة والفدانة وأوضاع المديدين من هؤلاء الفدائيين اوهى
 من غيب العسكوت ، وكذلك لم يطلع فيها شيء يذكر في الحال الاجتماعي بخلف من التسمية التي
 ترسبها وتلتصق الطبقات السفلى . وقد ظهر في الآونة الأخيرة بعض معالم التطور في الاوساط

المجتمعية التي تحاول ، على غرار ما فعلت الصين ، ان تجد بديلاً لرأس المال ، في تجسيده المبال للمواطنين في كل مجتمع محلي ، ورومي ، وتكليفهم القيام بمشروعات مائية ، وبأعمال التشجير من أمثل الاساليب التي يوصي بها الفلاس الحديث . وقد كان نجاح المشروع حق الآن ضئيلاً ومردوداً ضئيلاً في هذه « الواحات التطورية » التي قامت بالتحرية المذكورة ، وذلك لافتقار هذه الخلايا الأخذة بأسباب التطور ، لمؤشدين أكفاء يكونون دوماً على أتم استعداد للبلد والتضحية ، ولحاجتها بنوع أخص لخدمة التطور للعمل ، وللمناخنة وسوء الناحية لهذه المشروعات ومثل الطبقات العليا الذين يرفضون بمجيب الاساليب المساهمة بهذه الأعمال المجتمعية ، ومد يد رقيقة اليها .

والاضطراب الاجتماعي ومما له وهذا التباين الخفيف في لادعاء - اد ان ٢٪ من السكان بصيرون ٥٠٪ من دخل البلاد - واشتداد التوس والتشعب ، يختلف في الهند شعوراً حقيقياً بالاضطراب والاضطراب . فالتباين يتبدرون امور مما يشعهم والتي هي احسن يشكون دوماً النقص في الغذاء وللتباين باستمرار الامراض المرافقة للفقر والصحة ، ويتمرضون لحركة من الوفيات عالية النسبة ، ولذا بدأ التمر وعدم لرص يظهر بأجلى صورته يوماً بعد يوم . فالفلاحون يتورون في بيهار وفي الولايات الشرقية ، عام ١٩٤٢ وفي عام ١٩٤٦ . والفلاح الذي كان يصرب مثل بصبره وقوة احتماله ، لم يمتد يده الاوصاب والآلام التي يتجرع كأساً الى ربه Karma ، بل يرى سبب شقائه وقمائه في هذا النظام الاجتماعي الظالم الذي ارادوه له والذي اخذ بثور عليه . وبالرغم من كبح اللوليس بعنف وقسوة بالغين لهذه الانتفاضات التي تعبر عن تدمره وتقله ، فالفلاح يقاوم بشدة ما يتعرض له من اعمال العنف والتوقيف . وقد نظم الفلاحون عام ١٩٤٧ - وهو اول حادث من نوعه يقع في الهند - اول ثورة مسلحة ومنظمة لهم في مقاطعات كلنفا وحيدرآباد ، اد اخذت اكثر من ألفي قرية متتلة في مساحة تقرب من مساحة الداعارك ، ينظم فلاحوها نوعاً من حكم جمهوري ويؤلفون لهم لجاناً قروية او محلية وينشئون مطاعم مشتركة فيما بينهم تحزن الحبوب ، ويقسمون المزارع فيما بينهم ، ويلعبون ديوهم ، كما حددوا معدل الفائدة المقررة على الدين ٦ بالمائة ، ولم تقمع الثورة بشكل نهائي الا في سنة ١٩٥٦ . وراة عدد الاضرابات بين العمال . اشترك في بعضها احياناً اكثر من ٣٠٠ ٠٠٠ عام ١٩٤٨ ، كذلك ارتفع عدد النقابات كما ارتفع عدد المنتسبين اليها بحيث تشكل ١٩٥ اتحاداً عام ١٩٤٠ ضم أكثر من ٣٧٤ ٠٠٠ عضو ، وارتفع هذا العدد الى ٦٠٨ ٠٠٠ عام ١٩٤٧ ، بلغ عدد اعضائها ٧٢٦ ٠٠٠ عضو . واحزاب المعارضة ، كالحزب الاشتراكي مثلا الذي يطالب بالاعزاد مساحة الممتلكات الخاصة على ٣٠ فدناً ، دعا الفلاحين لان يقوموا بأنفسهم بتوزيع الاراضي فيما بينهم . والحزب الشيوعي الذي يمين من كتب على اتحاد النقابات لخدمة كما يشرف بعض الشيء على تحالف النقابات المتحدة ، كل هذه الاحزاب وسعت من دهايشها بين العمال والمزارعين في الريف ، وفي الانتخابات العامة التي أجريت عام

١٩٥١ - ١٩٥٢ ، والتي بلغ عدد الناخبين فيها لأول مرة في الهند ١٧٥ مليون ناخب (٨٠ ٪ / بينهم من الأميين) لكن حزب بهرو وغاندي المسيطر على الحكم في البلاد منذ عام ١٩٤٧ ان ينال أكثرية المقاعد (٧٤ ٪) ولكن بفضل ٤٤ بللًا من أصوات المقارعين ، كما نال الحزب المذكور ٢٧ بللًا من مجموع أعضاء المجالس التمثيلية مع العلم ان ٦٨ مليونًا من لم حق التصويت امتنعوا عن الاقتراع . فان كان ثم ما يستحق ان يسمى فوزاً فقد جاء محدوداً للغاية ، اذ لم ينل الحزب المذكور اكثريه الاصوات الا في ٦ ولايات لا غير من اصل ٢٢ ولاية ، وهي ليست من الولايات الرئيسية في البلاد . فالولايات الاربع التي ذهب معظم اصوات الناخبين منها للمعارضة ، والولايات الأخرى التي نالت فيها المعارضة قسماً ضئيلاً من الاصوات ، تضم لك سكان الهند . كل هذا دليل قاطع وبرهان ساطع على القلق الاجتماعي وعلى خيبة أمل الجماهير الهندية التي تتوق من الصبح الى الاخذ باصلاحات جذرية ، والى معالجة الشقاء المريع الذي تتسكع فيه معالجة في الصبح .

ودليل آخر على هذا القلق العميق الذي يساور القلوب والنفوس في الهند وعلى التور الذي تعيش فيه الجماهير الشعبية فيها ، هو هذا الطابع الثوري الذي اتخذته الاضطرابات الدامية في هذه المقاطعات الواقعة الى الجنوب من الهند من جراء الفل . فراح مئات الألوف من المتظاهرين يستولون عنوة على مراكز البحرية ويشعلون فيها النار ، كما اضرموا الحرائق في محطات القطر الحديدية ومراكز عديدة للجوليس ، ويهبطون دور السبنا التي كانت تغطي افلاماً مدنية ويعيثون بها هساداً . ويذهب ضحية اعمال الشعب هذه عشرات القتلى ومئات الجرحى في اشتباكات عنيفة مع قوى الامن والجيش ، وذلك احتجاجاً منها على عزم الحكومة بتطبيق دستور عام ١٩٥٠ الذي نص على ان تكون اللغة الهندية ، هي اللغة القومية في الهند في خلال خمسة عشرة سنة .

ان بروز الهند جمهورية مستقلة ذات سيادة هي ثاني دول العالم الهند احدى دول العالم الكبرى بعدد سكانها ، بما لها من موقع جغرافي ممتاز وبما تملك من قوة اقتصادية في قلب القارة الآسيوية التي لا تزال متخلفة جداً بالنسبة لها ، كل ذلك يوليها مركزاً من الدرجة الاولى ويجعلها تلعب دوراً بارزاً في مضمار السياسة العالمية . فقد اجتمع في نبودلها عام ١٩٤٨ ، المؤتمر الذي 'كسّف النظر في مشكلة انفوسيسيا وإيجاد الحل اللازم لها . ومن جهة ثانية ، فالجهود التي بذلتها الهند لاعلان الهندنة في كوريا ووضع حد للحرب الدامية فيها ووضع تسوية سلمية لمشكلتها ، والنور الذي لسنه في الكتلة العربية الآسيوية النراعة للعباد الايماني في اجتماعات الامم المتحدة ، وعملها المتصل في جنيف في وضع حد لحرب فيكنام ، عام ١٩٥٦ ، ولوقوف الحلة الفرنسية الاسكليزية ضد قيادة السومس ، ولعاطفها مع الشعوب الآسيوية والافريقية ومناصرها لها هذه الشعوب التي تعاني الامرين من السيطرة الاجنبية ، واصرارها للتكرار على هدم انضمامها لأي كتلة بالرغم من اصطدامها الدامي مع الصين حول مقاطعة لاداخ (عام ١٩٥٩) ، وقرارها بالبقاء خارج الحرب الباردة ، ومحاولاتها الصادقة لتعزول دون وقوع

الاستخدام بين الثرى دولتين في العالم ، أي بين الولايات المتحدة الاميركية والاتحاد السوفياتي ، كل هذا وما اليه عاد عليها بالذكور الحسن واعلاء الشأن والنفوذ العظيم كما اولاهما سلطة عارمة تقتصر منها كثيراً حرجها الاخيرة مع الباكستان .

لما الباكستان ، فتحاول من جهتها ان تلعب دوراً بارزاً بين الشعوب الاسلامية ، بصفتها اكبر الدول الاسلامية طرماً واكثرها سكاناً . وفي هذا السبيل عقدت في كراتشي ، منذ عام ١٩٤٩ ، عدداً من المؤتمرات الاسلامية العالمية ، توطيدا للعلاقات الثقافية والدينية بين الشعوب الاسلامية ، والعلاقات السياسية ايضاً . فقد تحالفت مع تركيا والعراق ، ودخلت في تلك الولايات المتحدة بانضمامها الى حلف بغداد ، الا ان استخدامها للسوي مع الهند بشأن كشمير قريباً جداً من الصين كما ابعدها من الولايات المتحدة الاميركية .

ويشوي مقدرات الهند منذ ان حصلت استقلالها السياسي ، كما يلاحظ تيورماند بمق ، فريق من الناس ، مستغربين في تربيتهم وتعدادهم . فنهرو الذي كان والده عامياً ومتطعاً بطائفة الانكليز ، والذي تخرج هو الاخير في معاهد انكلترا العليا وكرج من معين الثقافة والتقاليد الانكليزية ، وعبره كثيرون من اعضاء حزب المؤتمر ، من ابناء الطبقة الوسطى في الهند التي تكاد لا تواف سوى ٥ بالمئة من مجموع سكان الهند ، كل هؤلاء مشيمون بنظريات الغرب التحررية ومنه اقتبسوا المنطلقات والمؤسسات التي امدوا بها البلاد ، ونسجوا على منوالها في ميادهم .

الا ان بنيانهم في الهند بقي عرضة لمهب الرياح . فالجهود التي بذلها الخروج بالخطوة الخمسية الثالثة الى حيز الوجود ، اصطدمت بصعوبات يتغلر حلها والتغلب عليها . ومع هذا وجدوا انفسهم امام امرين لا ثالث لهما : اما التغلر عن الخطوة واهمالها بالكلية ، وبعبارة اخرى قطع كل امل بامدخال أي تحسين على الوضع الزراعي الذي تنحيط فيه الهند ، او اللجوء الى القوة والبطش والى انتهاج سياسة شديدة عنيفة قوامها المراقبة والتفتيش ، لا يمكن التفكير بها واعتمادها الا اذا تغير الوضع الاجتماعي في البلاد رأساً على عقب : فاذا ما قارنا معدل الدخل السنوي الهندي مكنت له الخطوة الخمسية الثانية وهو بلسبة ١٤٨ بالمئة بالنسبة التي حصلت عليها الصين وهي لتناوح بين ٧ - ٨ بالمئة ، وسياسة المصرفة التي انتهجتها ، وضالة النتائج التي تحققت وحجز نظام الحكم احباً وفساده بالاكتر ، كل ذلك يشير الى المارضة القوية التي واجهوها بالرغم من تشدد الخطوة الخمسية الثانية على الطابع الاشتراكي ، وبالرغم من النفوذ العظيم الذي يتمتع به نهرو في المجال الدولي ، ولجأح سياسته الحيداية التي تمتد قاصداً من حذر الجماهير الهندية من اوروبا والولايات المتحدة الاميركية . فمن جهة اليمين هم عرضة لهجوم الاحزاب التقليدية التي تمثل الطوائف العليا في الهند والتي ترى الخطر يتهدد ما تنعم به من امتيازات ، منها مثلاً المهازيه ، هذا الزعيم الوطني ومن اشد هم اخذاً بالانصرية والمنافع الاكبر عن التقاليد ، والحصم المعند لمعدل اصلاح رراحي ، ولكل فكرة قاصم لاصحاحات البلاد ، ومن المظالمين حول بتحرير المرأة

والنساء الروسع الذي يحمي الشيوعيين بينما يعمد سياسة الحكومة ويؤيد لها ارباب الصناعة ، لمحاربتها للشيوعية بأساليب شديدة ويهتدق الهجوم تدكراً بالنظام الهتلري ، والحزب المعروف بـ R. S. S. الذي قتل احد اعضائه غاندي والى يسار حزب المؤتمر ، الحزب الشيوعي المعروف بنشاطه والذي جاء الثالث بين الاحزاب الهندية في انتخابات عام ١٩٥٧ . اذ نال ٨ بالمائة من اصوات الناخبين ، و ٩٤٨ من هذه الاصوات عام ١٩٥٧ . ومع ان القطيعة بين الاتحاد السوفياتي والصين ، ادت الى انقسام الحزب الى شقين متبيزين احدهما مع الاتحاد السوفياتي والاخر مع الصين ، الاول يسار الاتحاد السوفياتي ويسار بالتالي حزب المؤتمر ، بينما يميل الثاني الصين ، وتعرى هذه الاسباب لملاحقة شديدة اذ ان اكثر من ١٠٠٠ من مناضليه ، جرى اعتقالهم في كانون الاول ١٩٦٤ . ويسر ما يدل على انه ترقف عن الانتشار . والحزب مفوذ كبسير في ولايات اندرا وولاية كيرال التي تعد اقن مسة من الاميين في البلاد كما انها تضم عدداً كبيراً من المسيحيين - فقد تمكن الحزب الشيوعي ان يستولي على الحكم في هذه الولايات بعد الانتخابات التيابية التي حوت عام ١٩٥٧ ، وقد طردته من الحكم الحكومة المركزية بعد ان اقر مشروعاً اصلاحياً في المجال الزراعي - كما ان الحزب حقق ايضاً دوراً كبيراً في الانتخابات العامة التي جرت في آذار ١٩٦٥ ، وجاء فوزهم يؤيد الصين ويناصرها .

٣ - آسيا الجنوبية الشرقية

حول اندونيسيا انتج الهولنديون في اندونيسيا سياسة ابرية محافظة تشبه من وجوه عدة ، السياسة التي انتهجها اللصبيكيون في الكونغو فلم يجاروا يوماً توفير اسباب التعليم لهذه الشعوب التي استعمروها ولا هياؤها للاستقلال - كما جرى احياناً للبريطانيين ولا حريوا قتلها ، كما قتل الفرنسيون . فاعتمدوا ، في ادارتهم ، لهذه الشعوب والبلدان التي وقعت تحت استعمارهم ، على رجاء اللاد الوطنيين واولوم مناصب ووظائف جعلوها وراثية في قرارهم ، كما عهدوا الى ملازمين ومنمدين صليبيين بحماية الضرائب المفروضة وبالرغم من السياسة الاخلاقية ، الجديدة التي اعتمدها ، فالمعمل بنظام السخرة الذي وضعه عام ١٨٣٠ بقي معمولاً به في جاوا الى سنة ١٩١٦ ، في كل ما يتعلق بالاشمال العامة ، والى سنة ١٩١٩ في الزراعات الخاصة بالبن . أما في الحور الأخرى ، فلم يتوقف العمل بهذا النظام قط

التركيب الاجنهي هذه السياسة المحافظة التي قبرت باحترام التقاليد والعادات الشعبية المرجية ، كان من نتائجها احسنه الحفاظ على الملكية الفردية الصغيرة ، بشكل اصل بكتير مما تم في غير قطر من هذه الاقطار الآسيوية ، ولدا جاء فيها التماوت الاجنهي أقل بروزاً للبيان منه هنا في اي مكان آخر - هي عام ١٩٢٥ ، كان ٤٩٪ من المائلات في جاوا وفي مادورا من اصحاب الاملاك ، والفردية كوتت خلية اجتماعية حية تأحد

عن مهمتها مسؤولية تأمين أود البناسي والشيخ والمرغسي والاشخاص العاطلين عن العمل ، شأنهم شأن ما الفراء من سائب الأرماء ، حيث يشارك الجميع ويساهمون مما يجعل بناء المنازل والمصدد وللطمأنينة التي يعتمدها التضامن بين افراد القرية حالت طويلا دور قيام مظاهرات عنيفة تتم عن تأفف أو عدم رضى الجملعات فاذا ما قل في البلاد عدد كبار الملاكين العقاريس ، فقد كان مع ذلك معظم صغار الملاكين يرسفون في فاصية أسرة لدائبيهم ولا سيما للصينيين الذين كانوا يفرسون عليهم بعض الزراعات المحددة ويحددون بأنفسهم اسعار المراسم ومحاصيل الارض . وهكذا استحال عدد كبير من صغار الملاكين الى وضع شبيه بوضع المكثرين للأرض اذ كانت الفقة تذهب لجيوب الزرايين . وهذه الزيادة المحسوسة في مواسم الأرض وعلاها التي طالتا تباهى بها الهولنديون ، كانت فائدتها تعود ، على الاخص لجيوب المصدرين من صيليين وأوروبيين ، وليس الى جيوب الفلاحين . ومن جهة ثانية ، ففي الوقت الذي كان عدد سكان البلاد يسمو بسرعة مذهلة ، كانت المهن والحرف الريفية أخذة بالانحطاط والذبول أمام المصنوعات الهندية أو اليابانية التي كانت تدخل البلاد بأسعار مخفة ، تأهلك عن ان تتجارة كانت بأيدي الأجانب ، اذ ان من أصل ٥١٩٧ مشروعاً استثمارياً ، يشمل أكثر من ٦ أشخاص ، عام ١٩٢٥ ، كانت منها ٨٦٥ مشروعاً تعود ملكيتها للاندونيسيين ، والباقي كان يعود للنساء للاوروبيين والثالث الآخر للصينيين . فالطبقة البورجوازية الاندونيسية ، كانت تتألف أصلاً ، في حال وجودها ، من اصحاب الاجور (٨٣٪ من اصل المجموع) بينهم عدد كبير من موظفي الادارة الذين كانوا يملكون اللغة الهولندية وتلقوا تربية اوروبية ابتدائية .

بدلت حدود صيغة في البلاد لتطوير التعليم ورفع مستواه ، اذ لم يزد عدد المدرسة القرية الطلاب الاندونيسيين في المعاهد الثانوية ، على بضع مئات لا حبر ، والوظائف التي كانت تلتظفهم لدى تخرجهم ، سواء في الادارة الحكومية او في الشركات التجارية ، كانت قليلة جداً وقوميصاتها متدنية ، باستثناء الذي يعملون مدرسين في المدارس الخاصة ، بينما مجال العمل في المجتمع الاندونيسي نفسه كان صيقاً للقائمة وهذه الماراة الناجمة عن التمييز المصري والتي حاشت بها صدور القوم بعد أن رأوا قسمتهم الصئوى من خيرات بلادهم ، هي التي دفعت الطبقة المفكرة والطبقة الوسطى الصغيرة في البلاد وحملتها على ان تقف موقفاً ثورياً ، في الوقت الذي اتخذت تطالهم حوادث التمرد على قوة الغرب العسكرية ، كما تجذبت في تورات الميليين وسرعة انتشاره ضد الاحتلال العسكري لبلادهم ، والنشاط الذي قام به حزب المؤتمر في الهند ، والنجاح العظيم الذي بلغت حركة التصنيع في اليابان ، كل ذلك ادخل في روعهم انهم لا يتقصدون بشيء دكاه عن الاوروبيين ، وان في مقدورهم ان يحكموا انفسهم بأنفسهم دون مساعدتهم .

والجمعية التجارية الاسلامية التي قدم بتأسيسها ، عام ١٩١١ ، لجبار التطبيع البائيسكي في سوراكارتا ، دفاعاً عن مصالحهم ضد الواردات الأوروبية واليابانية ، لم تلبث ان اشتد منهاها الساعد بعد ان التفت حولها الجماهير ، واخذت تطالب بالاستقلال . وظهر في البلاد ، عام ١٩٢٩ ، الحرب الشيوعية الاندونيسية ، كما راح سوكارنو يؤسس بعد تخرجه مهندساً من معهد

البوليتكنيك العالي في بائدونغ ، الحزب الوطني الاندونيسي (P.N.I.) . وعرفت هذه الاحزاب ان تجتذب حولها كل هذه العناصر الحاقدة على الاوروبيين والفاصلة لكرامتها مما تعرضت له من قبل الاوروبيين ، من تحقير واذلال ، كما جمعت حولها كل هؤلاء الذين ينمون احتكار الاوروبيين لخيرات البلاد ويستسيحون مواردها الطائلة (اذ ان نصف ارباح الاستثمارات ومكاسبها الطائلة كان يرسل خارج البلاد) ، كما انضم اليها كل هؤلاء الذين دفعوا غريسة التمييز للمصري ، في الادارة والمحاكم والقوانين اجزائية والمحاكم الوطنية التي تفقد حساساتها بحراسة البوليس . واشتد ساعد هذه الاحزاب وتآلب حولها الانصار بانضمام هذا الفريق الذي رفع حقيقته عالياً عنجباً على فرض الثقلين (الكوتا) المحدد ٣٠٪ فقط في المباريات المقترحة لوظائف الادارية ، وحشد رجال القانون والاطباء الاوروبيين الذين اُخربوا بنفوذهم المرضي ، الى سنة ١٩٢٤ و ١٩٢٦ ، موعد افتتاح مدرسة الحقوق واخرى للطب في البلاد ، كما امتنعوا في جميع نفوسهم من عدم المساواة في المدارس حيث التعليم مجاني لبعض الاوروبيين ، بينما يحسد الاندونيسيون على النطق ، كما ساءم جداً اعمال الاوروبيين ، تأميم وسائل التعليم لابتناء البلاد . والتدخلات الوحيدة التي رضي الهولنديون القيام بها لا تتعدى بعض اجراءات لتوسيع الامر كترية الادارية ، وذلك بانشائهم عام ١٩١٨ ، مجلساً تشريعياً علياً ، عقد صفته الاستشارية عام ١٩٢٧ ليتمتع بسلطة تشريعية ، تألف من ٦٠ عضواً ، بينهم ٢٥ من الهولنديين ، يأتي ثلثهم بالتعيين المباشر ، ويجري انتخاب الثلثين الباقين بواسطة اقتراح غير مباشر ، ويبقى بعد هذا كله للحاكم العام حق الفيتو او الرفض لكل قرارات المجلس المذكور .

صلاية النظام
كان من جراء تدني مستوى المعيش بين ابناء البلاد للضرائب النازحة المفروضة عليهم ، ولتنمو السكان السريع ، ان قوياً من جانب الحركة القومية في البلاد . فالسلطة الهولندية على البلاد كانت قوية ومتينة : فاذا ما قورنت الاساليب الادارية التي متوا عليها بهذه الاساليب والطرق الاستعمارية التي سار عليها الفرنسيون والانكليز في هذه الاقطار المجاورة ، لاحظت لنا اكثر فاعلية واشد رقماً من الاخرى ، اذ كان يهما كثيراً المحافظة على القوانين والتقاليد المتبعة في البلاد ، والحد من بيع الاراضي من الاجانب والتصرف بها ، وحماية المجتمعات والمنظمات القروية من العوامل والمؤثرات المحلية ، والجهود الفعلية ، ولو جاءت غير كافية ، المدولة لمعالجة مشكلة الديون التي يزرع تحتها الفلاح الاندونيسي ، وتوفير ما يحتاج اليه من مساعدات مالية بشروط ملائمة ، كل ذلك يفسر لنا هذا التوازن النسبي الذي يتمتع فيه المجتمع الاندونيسي . ومن جهة اخرى ، ان اعتماد الحكومة ، ولو بصورة غير مباشرة ، سياسة المحافظة على المنطقة الارستوقراطية والدفاع عن مركزها في البلاد ، كل ذلك حثف من حدة المعارضة وشغف من التصادم بين الحاكمين والحكوميين . ثم ان التساكن العظيم بين الفئات السكانية من الوجهة العرقية او العنصرية ، والتركيب الاجتماعي الذي ساد البلاد ، كل هذا كان في صالح الدولة المستعمرة . فالزعما يرون انفسهم مشدودين شداً بالوضع القائم في كل ما ينصل

مصالحهم الاقتصادية والسياسية ، وأطر الإدارة وملاكات البوليس والجيش والإدارة ، التي هي بيد الأوروبيين والأورآسيويين الذين ينفرون جسداً عن المطالب التي ينادي بها الوطنيون . ويكرهونها كره الهولنديين لها وأكثر . وهذه الفئة التي تتألف منها الطبقة الوسطى في البلاد ترى نفسها مضطرة لحماية الجماهير ، والصحافة مرافقة ، وليس أكثر من ٦٤٪ من سكان البلاد يحسنون القراءة ، والمادة ١٥٥ من قانون الجراء تحكم بأربع سنوات حبس ، كل مظاهرة احتقار أو ازدراء خطية كانت أم شفوية ، نحو أي فئة من فئات البلاد العنصرية المتعددة ، كما أن الاجتماعات وانشاء الجمعيات تخاضع للمراقبة الشديدة ، والحركة النقابية وحدها دون سواها ، يسمح لها أني حد ما ، فالقيام بنشاط وطني مشروع (١٩٢٣ و ١٩٢٦) كما أن يد البوليس السري الطويلة تصل الى كل نشاط أو حركة تقوم في الحقارة ، ويحق للحاكم المصام أن يتنفي أو أن يبعد من البلاد ، أيا كان ، إذا ما رأى ذلك ضرورة لما فيه الحفاظ على السلام والنظام . فالحركة الوطنية وقفت دأ على سكان المدن حيث تشتد رابطة اللغة الماليزية ، كما تشترك فيها بعض العناصر الهامشية بين طبقة الفلاحين والجيش ، في نهاية الأمر ، يتألف من عناصر ووحدات مأخوذة من بين الأقلية المسيحية في امبون وتيمور ، والحكومة ملء الثقة بولايتهم والوقوف الى جانبها ضد الاكثية الاسلامية .

الاستقلال ومع ذلك ، فقد ساء نظام الدفاع الهولندي عن البلاد وبسرعة هائلة ، إذا أن استلزال اليابان لاندونسيا عدة ثلاث سنوات ، افاح الحركة الوطنية ان تقوى وتساند ، بحيث تعذر على الهولنديين ان يبعدوا عام ١٩٤٥ ، الى تلك البلاد ، السيطرة التامة التي مكنت لهم فيها . فالاحتلال الياباني ، حرر من السجن الزعماء الاندونيسيين المعتقلين فيها . ومراكز التوجيه التي شغرت بعد فتحة الأوروبيين وابسادهم عن البلاد ، تسلمها الموظفون الاندونيسيون ، والفت الجماهير حكم ابناء البلاد وأنسبت الى ادارتهم بعد ان غاب كل اثر للإدارة الأوروبية . واخذت الحركة الوطنية تنظم نفسها : فبينما راح شهرير احد رماثها البارزين ينظم المقاومة السرية ، راح سوكرنو وحنا ، بملان علانية ، بالاتفاق مع اليابانيين وببذلان المزيد من النشاط ، بشد من أورها الجمعية الوطنية في حاولا بعد ان علل اليابانيون النفس باستعدادها يوماً لصالحهم فألفا ما يعرف بالميليشيا الوطنية واماها اليابانيون بالاعتدة اللارعة والسلاح ، هذه الميليشيا التي اصبحت فيما بعد فؤاد الجيش الوطني وعندما نزلت وحدات من الجيش الانكليزي فقد على البلاد ، في اثر استسلام اليابان في ايلول ١٩٤٥ ، وجدت هذه الوحدات امامها في البلاد حكومة قائمة ، وجيشاً مجهزاً بالعتاد الذي حلفه اليابانيون وراهم ورأياً عاماً موثقاً العزم على الدفاع عن استقلال البلاد والدود من حيائها . وجررت بين ١٩٤٥ - ١٩٤٩ تحت ضغط قوي من البريطانيين والامير كيين والاصداريين مفاوضات بين الهولنديين والاندونيسيين تخللتها اشتباكات مسلحة دت في نهاية المطاف الى اتفاقات متتالية لم تلت ان تحفظها الحوادث بسرعة ، فبعد اتفاقات شريدون (او لنفدجاني) المعقودة في تشرين الثاني

١٩٤٦ ، التي أوجدت دولة اتحادية أو الاتحاد الهولندي-الاندونيسي التي تتركب الولايات المتحدة
الاندونيسية شطراً منها ، و لدولة الفدرالية نفسها شطرها الثاني ، ساول الهولنديون ، بلقة ،
الارخبيل ، كما حاولوا ان يستغلوا المسافات الفاصلة بين الجزر ، والعناصر العرقية التي يتألف
منها السكان ، لتفريق بين رعايا الحركة والتنضيف من شأن زعماء الحكومة الاندونيسية
المتنمين لهم الى جزيرة جاوا ، وراحوا يشجون تكوين حكومة مستقلة ، ويقوون من النزعات
لانفصالية ضد الامبريالية الهولندية ، كالحركة السودنية التي قامت في قلب جاوا نفسها . وقام
الهولنديون بهجوم ادى الى إلغاء لمدة المعلقة بين الطرفين ، والى ابرام اتفاقات رغبيل بالتالي
بين الطرفين ، التي وقعت على ظهر السفينة الاميركية المعروفة بهذا الاسم ، وذلك في كانون
الاول ١٩٤٧ ، وخلال كانون الاول ١٩٤٨ بينما كانت المفاوضات تجري بين الطرفين لتحديد
وسائل تطبيق هذه الاتفاقات ، قام الهولنديون فجأة ، بحملة قاذبية ، وضرب جاكارا
العاصمة من الجو ، واعتقال الرئيس ، ورئيس مجلس الوزراء واحتلال النقاط الاستراتيجية
الرئيسية في البلاد ، على يد مظليين هولنديين وقد تدخل مجلس الامن هذه المرة في الوضع وشجب
العملية ، وفرض على هولندا الرجوع الى الوضع القائم . وفي اواخر ١٩٤٩ ، تم عقد اتفاق
نهائي تشكل بموجبه اتحاد هولندي-اندونيسي ، تشترك فيه ولايات اندونيسيا المتحدة المعروفة
 باستقلالها وسيادتها . وهذا الاتحاد ، الذي سار بصورة هرجاء ، نقضته اندونيسيا عام
١٩٥٥ ، دون ان يكون تقرر مصير القسم الغربي من غينيا الجديدة المعروفة بإيربان الذي الف
قسماً متمماً من الهند الهولندية عام ١٩٤٥ ، والذي غالت اندونيسيا عام ١٩٦٢ حقه اليها .

مصاب اندونيسيا في عهد الاستقلال
كان على اندونيسيا بعد ان تحررت من استعمار هولندا لها ،
ان تواجه المشكلات ذاتها التي تربعت بها الاقطار الاخرى
التي تحررت من رقة الاستعمار ، باستثناء المشكلة الزراعية التي لم تكن مطروحة فيها على بساط
البحث ، من قديم الوحدة الوطنية ، وتحقيق استقلال البلاد الاقتصادي ببلانها نظاما اقتصاديا
حديثا وتأمين اسباب الغذاء لشعب بالنس أخذ بالنمو بسرعة مذهلة .

فالوحدة الوطنية رأت نفسها مهددة في الصميم من جراء تشتت هذه الألوف المؤلفة من
الجزائر المتعددة التي يأخذ بعضها برقاب البعض الآخر على مسافة ٥٠٠٠ كيلومتر ، وبما تجور به
من تنوع العروق بين السكان (١٧ عرقاً رئيسياً و ١٥٠ فرعاً ثانوياً ، وثلاثين الاديان واللغات
٢٥ لغة و ٢٥٠ هجة عرقية ، وقفاوت توزيع السكان على هذه الجزر) فحرياً جاوا وماهورا
لثلاثين قتلان ٧ / من مجموع مساحة اندونيسيا ، تضمان معا ثلثي مجموع سكان البلاد . ولذا
رأبنا الدولة الجديدة تتعجل بسرعة عن النظام الاتحادي او الفدرالي الذي فرضته عليها هولندا
والدستور الذي وضع لها عام ١٩٥٠ لتلشىء بدلا عنه جمهورية احادية قسمت اداريا الى عشر
ولايات تنعم باستقلالها الاداري .

الا ان العوامل والقوى النافذة التي تفرق شزراً الى شيرات هذا الارخبيل ومواردها الطاقية

كما تنحرق على ما يشتمع به من موضع استراتيجي ممتاز في ستامفورا والفيليبين ويورت دارون في
عربي اوستراليا ، راحت تستثمر وتستعمل لمصلحتها هذه المناصب الدينية والعرقية ،
والنفرة التي تحيئ في صدر الجور المساعدة ضد الحكومة المركزية المتهمه باحتكار هذه الموارد
والخيرات لمصلحة جاورا وحدها لا غير ، وبمالة الشيوعية ومشاكلها . وهذا ما يمسر لنا
الانتفاضات الثورية التي وقعت تساعا في حرر بورنيو وسيليس ، ولا سيا في سومطرة (١٩٥٨)
في صبل تأمين استقلالها ، والحركة الانفصالية التي قام بها حرب دار السلام الذي حاول ان
يشي على انقاض جمهورية الكفار هذه ، دولة سلامية صرفه .

والسكان الذين قدر عددهم عام ١٩٦١ بنحو ٩٦ مليوناً بعد ان كان ٥٠٠ ٠٠٠ ٦١ في سنة
١٩٣٠ ، تدلخ ثقافتهم في حاورا بنسبة ٤١٠ نسمة في الكيلومتر المربع الواحد ، بينما يهبط هذا
المعدل الى ادى من ذلك بكثير ، اذ لا تتجاوز في بورنيو وفي غيرها من الجور المديدة ٤٥ ٪
مع العلم ان معظم السكان يعملون في الزراعة بنسبة ٧٥ بالمائة منهم . ويجب تأمين اعاشة هذا
العدد الوفير من السكان والحل الوحيد الذي يفرج نفسه هنا كثيرها من البلدان المتخلفة ،
اقتصادياً يقوم على عصمة النظام الاقتصادي والتصنيع الحديث . والحال ، فوضع البلاد
الاقتصادي الذي رزح الى الحضيض خلال الاحتلال الياباني وفي سني الحرب ، كان يماسي ، في
سنة ١٩٤٩ ، الامرين ، من جراء اقلاب وسائل الانتاج ووقفها ، ومن جراء فقدان البلاد
للأطر الاقتصادية ولاصحاب الاختصاص والتقنيين ولرؤوس الاموال . ففي عام ١٩٥٢ فقط ،
تمكن الانتاج القوي ان يبلغ المستوى الذي كان عليه عام ١٩٣٨ ، مع العلم ان عدد السكان كان
قد زاد في هذه الفترة ، ١٤ مليوناً ، فالانتاج يبقى والحالة هذه ١٥ بالمائة ادى من مستواه في
تلك السنة . ولتأمين الاستقلال الاقتصادي ، كان لا بد من رفع معدل الانتاج في البلاد فحسب ،
بل ايضاً تغيير الاوضاع الاقتصادية تغييراً جذرياً ، بعد ان استمرت على ما هي عليه مدة ثلاثة
قرون استغل فيها الاستعمار الهولندي الذي حرص على ان يربط اقتصاد هذه المستعمرة
بالاسواق العالمية وأسواق هولندا على الاخص . ولذا وجهت الحكومة جهودها نحو تطوير
التعاونيات في الاوساط الريفية لما تؤمنه لاصحاب المقتدين ولرجال الصناعة من نصيب وتوجيه
تقني ، ومن مساعدات مالية تكون معها في مأمن من حائل المزاين . وهكذا عدت البلاد
١٩٥٠ تعاونية عام ١٩٥٤ تمت بين ١٣٢ ٠٠٠ من الاعضاء . أما الانتاج الصناعي ، فقد
حدث منه ، حاجة البلاد الماسة الى الطاقة الكهربائية الحركة والفنيين من اصحاب الكفاءات
بالرغم من الازدياد المتواصل في اليد العاملة ، فليس من عيب الا تتمكن من تحقيق مستوى
١٩٣٨ . والخط الذي وصفا سومتر عام ١٩٥٠ والتي عرفت بخطة سومتر لتصنيع ، كانت
مشروعاً متواضعاً لتأمين المزيد من الحاجيات الاستهلاكية : كانشاء المطابع ومصانع الورق
والترابيه و كياس الخيش ومعمل الفسيف ، وشارك تصنيع الطاط ومصانع للاسدة الزراعية
لتأمين اكبر قدر من حاجيات البلاد . والثابت ان مشاريع التصنيع تقوم اصلا على المشروعات

الاستثمارية ولا سباحة في رؤوس الاموال الاجنبية التي يقدمها بنك التصدير والواردات ، في نطاق مشروع مساعدة المدن المنحلة او النطقة الرابعة . ومحافظة منها على الاستقلال الوطني ، تسلمت الحكومة بكل الوسائل والتخفت كل لاحتياطات التي تقتضيها هذه الاستثمارات ، وهي وسائل أدت الى انشاء مصانع جديدة اجازت الدولة انشاءها ، تستخدم الاقتصاد الاندويسي ، يساهم الرأسمال الوطني فيها بنسبة ٥١ بالمائة ويكون الموظفون مناصفة بين ابتناء السلاسل والاجانب ، وتحفظ الدولة بحق الانسراف على بعض الصناعات الاساسية : كصناعات توليد الكهرباء ، ومصانع الترابية والمصانع الكيماوية . وقد بقيت على حدتها مستعصية اخل القضايا السياسية ومستوى الحياة في البلاد والانتاج ، كما ان ركود الحركة الاقتصادية والحرف من مثل الحلة الحفصية هما وراء قلق الرأي العام ومن عدم استفادة البلاد بالقدر الذي ترغب فيه من ثرواتها الهائلة التي تشتبك في تصديرها للتجار ، الشركات الهولندية والاميركية التي تملك مزارع شاسعة وتشرف على اهم المناجم وتضمن على وسائل النقل ، وتتحكم بالجانب الاكبر من التجارة الخارجية . وهكذا تبرز اساسا بوضوح كلي الهيجان الوطني للشديد وفورة الرأي العام ، عندما اصطلح ، في تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٥٧ ، برلمان هولندا للتسليم بالطريقة التي سطت بها قضية ابريان . وكان رد الدولة على هذا التمسك ، مصادرة وسائل النقل الهولندية في البلاد والاماميون نحو البلاد الواطية . والانتخابات النيابية التي جرت عام ١٩٥٥ ، أمنت للحزب الوطني في المجلس والحزب الشيوعي والاتحاد الاحزاب المناهضة للاستعمار ، عدد كبير من المقاعد في المجلس التمثيلي وراحوا يلتفون حول سوكارنو ، كل ذلك جاء تعبيرا صادقا عن هذه النزعات العنيفة التي تمتلئ في قلوب المواطنين الذين لا يفرقون قط بين الاستقلال الوطني وبين التطور الاقتصادي . الا ان هجر الحكومة الذي جاء هذا كما في الباكستان ، نتيجة عتومة لعنف الصراع السياسي ، حمل الرئيس الذي يؤازره الجيش ، على التدخل عن الطرار السياسي القوي ، اذ استبدل النظام التمثيلي ، بنظام الديمقراطية الوحدية ، هذا النظام الذي يمثل فيه الجيش دورا بارزا ، وقضى مع الاحزاب السياسية من اي نشاط سياسي باستثناء الجبهة الوطنية ، بتعطيل الحياة النيابية التي كادت تنفيس عام ١٩٦٠ ، معالها عن آسيا بمرمتها ، بانفيا القيان واخذت .

فالحكومة الضالعة بالحكم بشارك تأليفها اربعة احزاب بينها لحزب الشيوعي ، وحل محل البرلمان مجلس وطني ضم ممثلين عن المؤسسات المدنية والحرفية ، بين عمال وفلاحين وصناعيين ورجال اعمال . الا ان الجناح اليميني في الجيش الذي لم يرق قط مثل هذا الحل ، قام في تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٦٥ ، بانقلاب عسكري احتفظ فيه سوكارنو بالرئاسة ، الا ان الحكم قواه فريق من ضباط الجيش لم يلبث ان قام بهزاع عنيف ضد الشيوعيين ، فألقى الحرب ، وقام باعتقالات عديدة في صفوفه واصدر الوف الاحكام بحق اعضاءه .

الفيليب
وانتهجت الولايات المتحدة في الفيليبين إثر احتلالها لها عام ١٨٩٩ سياسة
تفاير غاماً السياسة التي سارت عليها البلاد الوطنية فقد قام في تلك البلاد
بفضل قانون جونز الصادر عام ١٩١٦ مجلس تشريعي تألف من مجلس الشيوخ (٢٢
شخصاً منتخبين و ٢ معينين) ومن مجلس تمثيلي جميع اعضاءه مستخرون ، على ان يصادق الحاكم
العام ومجلس الشيوخ الاميركي ، على كل القوانين التي يقرها المجلس التشريعي الجديد . ولم تلبث
ان احتل ابناء البلاد الوظائف الرئيسية في البلاد ، ومنذ عام ١٩٢٥ ، وبدافع من ضغط منتخب
للسكر ، من اميركيين وكوبيين ، الذين تأثروا ، الى حد بعيد ، بتنافسة محاصيل الفيليبين ،
اخضت حكومة الولايات المتحدة تعد البلاد للاستقلال التام .

وبالرغم من هذه الحركة التحررية ، برزت الحركة الوطنية في الفيليبين هارمة ناشطة بعد
ان اشتدت قابلية الفيليبين الاقتصادية للولايات المتحدة الاميركية . ان توافد رؤوس الاموال
الاميركية على هذه البلاد ، والقانون الاميركي الصادر عام ١٩٠٩ الذي أطلق الحرية المطلقة
لعمام استيراد البضائع والمصنوعات الاميركية ، كان من بعض نتائج ان خلخل اقتصاديات
البلاد . اذ ان ٨٠٪ من صادرات البلاد كانت توجّه الى الولايات المتحدة كما ان للفيليبين كانت
تستورد منها بمثل هذه النسبة . وزراعات التصدير حلت على سبيل كبيرة ، محل الزراعات
الفدائية ، فاضطرت البلاد بعد ان ارتفع عدد السكان فيها ، الى استيراد ٢٠٪ من حاجتها للوقود
الفدائية ، كالارز مثلاً . وهكذا اصبح اقتصاد البلاد ، ككل بلد يرسف تحت الاستعمار ، سريع
المط ، اذ ان ٧٥ بالمائة من سكان البلاد يعيشون من الاعمال الزراعية ، ووجدت الصناعات
التحويلية بالتالي نفسها عاجزة عن التطور الذي روعب فيه ، لمزاحمة المصنوعات
الاجنبية لها .

والازدهار التجاري المظم الذي عرفته تلك البلاد لم يستمد منه سوى فئة من الاغراب ومن
سكان البلاد ، دون ان يعود ذلك بفائدة محسوسة ، على جماهير الشعب . ان انتاج سكر
القصب والكوبرا المبدئي لتصدير الخارج ، يتطلّلت مساحات شاسعة من الارض ورؤوس
اموال طائلة ، الامر الذي جعل صغار الملاكين على الاستدانة والاستئلاف ولم يلبثوا ان وقعوا
تحت وطأة صغار الملاكين ومعظمهم يبيعون عن البلاد .

فالذين من جهة ووطأة الضرائب من جهة اخرى جرت على البلاد المصادرة والاستملاكات كما
اخذ بالتناقص عدد المزارع المستثمرة من قبل اصحابها ، ولدتى جداً مستوى المعيش في البلاد .
لجحت الولايات المتحدة في تحسيس لوضع الصحي في البلاد : فتراجعت الملايا والنيغوس والهيضة
كما صاعدت عدد المدارس ودور التعليم ، لا ان الشعب الذي كان يأمن من الامراض الوباءة ،
بقي يعاني نقصاً مريعاً في وسائل التمذية لديه ، ولذلك كان معدل الوفيات عنده عالياً ، ولم
تخف وطأة الوفيات بين الاطفال وفلك التدرن الرنوي الا بصورة تدريجية . فالاجانب يملكون
اكثر من ثلث ثروات البلاد الطبيعية ويهيمن الاميركيون على ثلاثة ارباع التجارة الخارجية ،

كما ان الصينيين واليابانيين يستأثرون بثلاثي التجارة بالفرادى .

استقلال الفلبين مع انه نودي باستقلال الفلبينيين عند انتهاء الحرب عام ١٩٤٦ ، فالدولة الجديدة بقيت مشدودة الى الولايات المتحدة ليس من الوجهة الاقتصادية لمعجب بل ايضا ولا سيما من الوجهة العسكرية . فالتقانون بيل الذي صدر عام ١٩٤٦ ، اعترف للفلبينيين بمناقص وامتيازات عملية جديدة . فتح السوق الاميركية امامهم لمدة ثماني سنوات ، وتخفيض الرسوم الجمركية على الصادرات الفلبينية لمدة عشرين سنة ، الا انه نص على عدة تعديلات وقبوه . انتقصت من سيادة البلاد . فالى جانب ٢٣ قاعدة بحرية وحربية وحويه احتفظت بها اميركا ، فقد فرضت على البلاد تقيدات محسوسة في تصدير اهم مستوجباتها كالسكر وزيت البطح ، والحكومة الاميركية اطلق باضافة مواد اخرى الى قائمة القيود هذه حساسيا تراء . فالمحاصيل المستوردة من اميركا يجب ان تبقى معفاة من اي رسم او قيد يفرض عليها لمدة ثماني سنوات ، وقيمة التيزر لا يجوز مسها بشكل من الاشكال ، كما لا يجوز الحد قط من حرية توظيف الاموال الاصلية في الولايات المتحدة . لاميركية . وفرضت بنوع خاص التجبر على نصوص دستور البلاد الذي يحظر انتقال ملكية الاراضي والمناسم والمناقص والخدمات العامة الى ايد اجنبية او الى شركات يعود اليهم ٦٠ بالمائة من مجموع رأس المال . والحال ، فالتقانون بيل ياتزم التساوي في هذا المجال مع الرعايا الاميركيين وهو متباين لا تنعم مثلا اية جيلسية اصبية اخرى في البلاد . وانخيرا وليس اخرا ، فرؤوس الاموال الاميركية تستثمر بحرية مطلقة في القطاعات الام من قطاعات الاقتصاد الوطني كالسكر والتعدين ومزروعات الكوكو والمناقص العامة .

فالتعالم القائمة بين رحل الاعمال الاميركيين والفلبينيين ، وبين المصادر وكنار اصحاب الاملاك العقاريين الذين يقدون ماتحتهم حركة التصدير في البلاد ، يقف حائلا دون دسبال اي اصلاح حشري على وضع قنصادي سريع التطا قابل للتجريح ولا سيما ادخال اي تعديل او للقيام بأي تنويع في زراعات البلاد ومجالات الاقتصاد الكبرى .

هذا الفريق اخذوه حذا من رحل الاعمال ومن كنار الملاكين العقاريين ، هو الذي فسر بالاحتر من الازدهار الاقتصادي الذي نعمت به البلاد في اعقاب الحرب العالمية الثانية . وتقدير بيل الذي وضع عام ١٩٤٦ ، يؤكد ان السواد الاعظم من السكان . يعانون كثيرا من وضع صحي سيء ، قيامه وبذوه من الكرامة الانسانية في الضميم . فالاجر اليومي المعددي الذي يتقاضاه العامل في الصناعة يتراوح بين ٢ - ٥ بروس ، سفا يهبط في الاعمال ازرابية الى ادمى من ١٤ بروس ، في حين يحتاج العامل لـ ٢٤ بيزو لتأمين الحد الأدنى من معاشه . فالفلاحون الذين يؤلفون ٧٥ بالمائة من مجموع سكان البلاد هم في وضع ادنى بكثير من الوضع الذي يحق بالنمال في المدن . فالتقانون الذي صدر عام ١٩٤٦ والمعروف بقانون ٧٠ - ٣٠ من محصول الفلة الذي ينص على ان يتناوب متعهد الارض ٧٠ بالمائة من غلتها ، لا يراعي قط ، والموسم سالت

دون معدلها قبل ١٩٤٠ . والنظام الضرائبي المبني على الضريبة المباشرة يصيب على لاخص الفقراء والضريبة التي فرضت عام ١٩٤٩ على الدخل وعلى التراكات لا تدر على الخزينة أكثر من ٥٠ مليون بيروسيو بينما يبلغ دخل الضريبة المباشرة ٢٩٢ مليون .

واحد العمال والفلاحون يلاحظون منذ عام ١٩٤٦ ، ان استقلال البلاد السياسي ، لم يمد عليهم بأي نفع يذكر ، وانه لم يتقدم بما يتخطون فيه من يؤس وشقاء وما يساورهم من شعور بعدم الطمأنينة كما شعروا ان السلطة لا تزال بيد الاجنبي . فاشعور لوطني الذي امتنسه قانون بيل ، والذي يؤله هذا الازدهار والاستخفاف « بالاخوة الصغار السمر » ينتصب منتعراً غاضباً في وجه حكومة مانبلا صديعة الامير كيبي وألويشهم . ولذا قامت في البلاد حركة مهيمة هي حركة *Hukbatahpa* التي تؤلف جيشاً شعبياً حارب الاحتلال الياباني ، تأسس عام ١٩٤٢ ونظم حركة المقاومة ضد في جزيرة لوسون ، وراحت تعمل في المظاهرات التي تسيطر عليها ، على توزيع الاراضي الزراعية التي يعيش اصحابها في الخارج ، على المزارعين . وأخذت الحركة بعد عام ١٩٥٠ ، تعرف « بقوى التحرر الوطنية » ، بعد ان وصفت لها برنامج عمل وتسلحت بذرائع اقتبسها عن الحزب الشيوعي الصيني ، وأخذت تنهض الامير كيبي وكسار الملاكين المقاربين ، وتعمل على تكوين « ديموقراطية جديدة » في البلاد ، يتولى الحكم فيها الفلاحون والميل والبورجوازية الوطنية . ولم يجر قمع هذه الحركة الا في سنة ١٩٥٤ .

ومثل الفلبينيين في هذا المحيط والجو الجغرافي الذي يحيش بالثورات والانتفاضات له دلالة الخاصة ومعناه الخاص . لا شك بأن الولايات المتحدة الاميركية وقفت اكثر من اية دولة استعمارية اخرى ، موقفاً يتصف بالتحرر ونهجت في هذا المجال ، نهجاً يتسم باللين لم تنهج مثله اية دولة اخرى ، فلم يعرف عنهم انهم حاولوا امتصاص مالية البلاد ودفعوا دوماً تكاليف احتلالهم العسكري ، وعملوا جاهدين على تطوير الخدمات الصحية في البلاد بما أدى الى هبوط مخسوس في معدل الوفيات ، وشجعوا التربية والتعليم فيها ، بما جعل الفلبينيين قاي في الطليعة ، في هذا المجال ، من الدول الاخرى في الشرق الاقصى ، بالنسبة لعدد الطلاب الذين يرتادون مناهل العلم في البلاد في أي مستوى كان . وهرفت التجارة الخارجية توسعاً وازدهاراً لم يتم بعضه أو مثله لأي من هذه البلدان . ومع ذلك فقد انتصب في وجههم بعض حقيين وعناء اروع هم جميع طبقات الشعب ، لهذا الاستلاء المنصري ، ولهذا التمييز العرقي الذي يتنقص في الصميم ، من شخصية ابناء البلاد ويشعرهم بالذل والمهانة ، ولا سيما ما شهدوا منهم من سياسة خرقاء . فمن جهة اعطوا البلاد استقلالها السياسي ، وراحوا من جهة ثانية يتجهون سياسة اقتصادية ابقث الفلبينيين مشدودين الى تابعيتهم . فقد سافطوا على النظام لاساني القديم للكيكيات المقارية الكبرى ، احدى مخططات « النظام الاقطاعي » الذي يتعارض اصلا مع التطور الذي يأخذ به نظام اقتصادي حديث . شجعت حرية التبادل التجاري مع الولايات المتحدة الزراعات للتصديرية التي يستفيدون منها وحدهم دون سواهم من اصحاب الاملاك العقارية ، ولا تعود بأي نفع على

الجمهير التي ساء وضعها وتدهور الى الحضيض . فالحول الذي يخيم على النفوس من نشوب ثورة يقوم بها الفلاحون ، والامتيازات التي يؤمنها نظام الحكم لارستوقراطية الدم الاسباني المسيطرة على الثورة المعاصرة في البلاد هو الضمان الوحيد لاستمرار الولاء لهذه احمية الفعلية التي قارسها الولايات المتحدة الاميركية على هذا الارخبيل .

بورما سبق ونوهنا بالنجاح الذي اصابته بورما في المجال التجاري والفشل الذي بليت به في الحقلين الاجتماعي والسيكولوجي خلال العهد الاستعماري الذي عرفته هذه البلاد . وطلائع المرحلة القومية في بورما برزت من صفوف الرهائن البوذيين الذين لعبوا هنا الدور الذي لعبه الرهائن الكاثوليك في ايرلندا ، بعد ان ساء لهم المصير المأساوي الذي آلت اليه اديارهم ، وعدم مبالاة السلطات الهندية التي انتقصت كثيراً من شأنهم واردمت بعلمهم ومعارفهم . فقد كانوا وراء الاضطرابات التي اثارها رابطة الشبيبة البوذية ، عام ١٩٠٦ ، وراسوا عام ١٩٢٠ ، حركة حث القرى على التمرد ضد موظفي الحكومة ، كما كانوا وراء الاضرابات الاولى التي قام بها الطلاب ، وانشأوا في البلاد شبكة من المدارس لا تخضع لمراقبة الدولة .

والحركة تنقسم في صميمها ليس بالعداء ضد الامكابر فحسب ، بل ايضاً ضد الهند الا انها قل كل شيء مصادرة لكل ما هو اوروبي . فاختدت الحركة قطائب بالاستقلال وبانتهاج سياسة اجتماعية حدرية . وعندما هرا اليابانيون البلاد ، عام ١٩٤٢ ، استقبلوا بحماس ظاهر . فاعلن استقلال للبلاد ، وتألفت في البلاد حكومة بورمية مئة بالمئة . وفي عام ١٩٤٥ ، اخذت عصبة تحرير الشعب المناهضة للفاشية تشد من أزر الحلفاء لطرد القوات اليابانية من البلاد . وعندما راح البريطانيون يهاوئون ارجاء لحكومة النورمية القائمة في سيملا ، تحولت العصبة المدكورة الى منظمة متطوعي الشعب ، واجبرت البريطانيين ، يشد من ازرهم الفهم وقوى الشرطة في رائفون على اعلان البلاد جمهورية مستقلة لا تشدها الى بريطانيا ، رابطة أو أسرة . تتميز بورما اليوم بان الحكم فيها يسد حزب اشتراكي سار منذ البدء ، على سياسة فأمم المؤسسات والاقتصاد ، والتي تستوحى في سياستها الخارجية مثال يوغوسلافيا . يحرم الدستور الملن عام ١٩٤٧ الشركات الاحتكارية ، كما يصر على ان يستثمر الاتحاد ثروات البلاد الطبيعية كالاحراج والمناجم ومصايد الاحماك والنفوذ ومصادر الطاقة المحركة ، ويعلن ان الدولة هي المالك الحقيقي للارض كما تحرم قيام المقاربات الكبيرة . ومنذ عام ١٨٧٨ اصصحت التجارة بالارز فيها من الاحتكارات التابعة للدولة التي احتكرت ايضاً التجارة بخشب التيك ، وأعت شركة الملاحة في نهر الايروادي . والقانون الخاص بتأميم لارض اخبوا يطبقونه منذ عام ١٩٣٥ ، فهو يحول الدولة مصادرة الاملاك الفائت اصحابها عن البلاد ، كما يصادر الممتلكات المعقاربة التي تزيد مساحتها على عشرين هكتاراً ، ويعمل صفار المزارعين في مزارع لا تزيد مساحة الواحدة منها على ١٠ هكتارات . الا ان الاراضي التي يملكها اصحاب لا يعملون في الزراعة ، تصادر وتورع على الفلاحين الذين لا ارض لهم ، كما ان تعمم التسليف الزراعي بفائدة

منخفضة تقارح بن ٢ - ٧ بالمائة تؤمنه الدولة او للتعاونيات الزراعية وضع حسماً لشايط
المرابدين . ففي هذه البلاد التي يزيد عدد سكانها على ٢٠ مليون نسمة ، منهم ٦٦ بالمائة يعملون
في المجالات الزراعية ، فكثافة السكان لا تعتمدى ٣٨ نسمة في الكيلومتر المربع ولا يزال جانب
كثير من الاراضي القابلة للزراعة غير مستثمر بعد . وهكذا فمشكلة الزراعة هي في طريقها
والحل المبتدود . وأشىء في البلاد ، عام ١٩٥٤ ، شركة اقتصادية مختلطة تعرف باسم شركة
بترول بورما ، ساهم في تأليفها كل من الحكومة والشركات ، (الخصوصية القديمة التي كانت تعمل
في مجال الاستثمارات التنويعية ، كما سبق وتألّف عام ١٩٥١ ، شركة مختلطة لاستثمار منجم
النفطتين الا ان النظام السامي يشكو القلب هنا بشيء ، اذ ان الجيش ستم الحكم بعبء
نقلاب عسكري وقع عام ١٩٦٢

ماليزيا والهند الصينية هما القطران الوحيدان في القارة الآسيوية اللتان وقفا
فيما الاروبيون محرم وعزم ضد الحركات القومية التي جاشت بهب شعوب
هذه الاقطار ، والتي حمل منها تطور الاحداث الدولية حدمة صراع وقصادم بين نظريتين
متعاندتين تتقاسمان العالم اليوم .

فماليزيا هي القطر الآسيوي لهام الوحيد حيث استطاعت دولة أوروبية مستعمرة ان تؤمن
سيطرتها عليها الى عام ١٩٥٥ ، بالرغم مما تعرضت له من معوم ومقاومة عبيقة ، بعد حروب
شاقة كلفتها عالياً .

كانت ماليزيا ، على عرر بورما وحرر ضد الهولندية بموجباً مثابياً هذه المستعمرات
المدارية التي صاد الازدهار الاقتصادي العظيم الذي عرفته الى هذه المشروعات
الاستثمارية التي حققها الاروبيون وبصوا بها ان استثمار مساهم القصدير
ومزارع شجر المطاط ، وريب البلخ ولا ماناس ساعد كثير على رفع مستوى لدخل القومي في
البلاد ، قريب من مستوى اليابان ونجح البلاد ان تتمتع بوضع اقتصادي احداث حداد ، ثم صه
اليابان وطردوا . فوضع الضرائب فيها اختلف كلياً عن مثله في الاقطار الآسيوية لآخري ،
ومدخل الحكومة الصمم كان يتألف معظمه من الرسوم المفروضة على التورول والذمم وصريسة
الدخل ، ولم تكن البلاد لتعاني كثيراً من تضخم مخرج لعدد السكان ، ولذا بقي فائض كبير من
الاراضي الصالحة للزراعة . ومن جهة أخرى ، والحكم عبر المباشر ، الخفيف الوطاسة ، أقصر
السلطين على دور الملوك العاطلين ، وهو دور أسرا له وألقوا الاخذ به ، فقد ساعد نظام الحكم
البريطاني ، على إعانتهم وعلى تأمين سلامتهم وماليزيا التي تؤلف ستطالة للامبراطورية الهندية
لم يعم فيها حكومة مسؤولة ، ولا انتخابات نيابية ولا حزاب سياسية ولا انتخابات نقابية .
والهيئات التمثيلية التي قامت فيها تألفت اصلاً من اعصه هينهم الحاكم العام ومن موظفين اما
النظام الاقتصادي فيها ، فقد كالب في وضع سريع التطب ، على شاكلة الوضع اسي تم
للغربيين وليورما ، اذ كان يتوقف اساساً على تصدير بعض المحاصيل كالقصدير والمطاط اذ ن /

مساحة البلاد كانت تعطي محاصيل معدة في الاصل للتصدير .

وقد اجتذب حسن استثمار ثروات البلاد الطبيعية سيلاً من المهاجرين قدموا اليها من البلدان المجاورة واستقروا فيها : فعادها من الهند ٢٦٧.٠٠٠ عام ١٩١١ و ٦٢٤.٠٠٠ عام ١٩٣١ ، ولا سيما من الصين (٩١٦.٠٠٠ عام ١٩١١ و ١.٧٠٠.٠٠٠ عام ١٩٣١) . ولئن تلبث هذه الهجرة الكثيفة ان جعلت سكان البلاد الاصليين أقلية في ديارهم ، فألفوا ٤٢ بالمائة من مجموع السكان مقابل ٣٩ بالمائة من الصينيين الامر الذي تسبب عن ضغط وتوتر شديدين بين العناصر للمديدة التي يتألف منها المجتمع الماليزي .

فقد ساعد الحكم البريطاني في ماليزيا على التراء البلاد وإغنائها بسرعة وادخل عليها زراعات جديدة غيرت ملامحها وهدلت من قسائمها ، وراود من عدم السكان في البلاد بنسبة صغيرة الا انه اشأ فيها نظاما اقتصادياً قوالياً ، شديد التبعية ، سريع العطب ورصف جساً الى جنب ، معتمعات سكانية دون ان يحاول رحها ، ليس بينها شعور عاطفي مشترك ، ولا تنحس مصالح مشتركة . والمفضل في إبقاء الضمير القومي وبعث الشعور الوطني الحاد في البلاد انها يعود اصلاً لاحتلال اليابان لها خلال الحرب . إن انهيار الحكم البريطاني بعد حرب صاعقة لم تطل اكثر من ستة اسابيع اثر بليماً في شعور الرأي العام ، كما ان سقوط سنغافورة الذي بعد اكبر كارثة ألمت ، عبر التاريخ ، بالاستعمار البريطاني ، كان له دوي قاصف في تلك الارزاء . فلم يرى في اي مكان ما ، العاصر الوطنية ، باستثناء مصر للصيني ، تنهض المواق عن البلاد . فالوقوف السلبي الذي وقفته بمرر تعبيراً عميقاً عن ضعف الاستعمار البريطاني لهذه البلاد . والدعوة اليابانية التي نشطت منذ اليوم الاول من احتلال الجيش الياباني للبلاد ، لطمس كل اثر للسيطرة الانكليزية (كتحريم استعمال اللغة الانكليزية واعادة تنظيم الادارة من الاماس) ، عدت الحقد والضمية ضد البيض ، الا انها هجرت عن استالة اي عنصر من العناصر الرئيسية الثلاثة اليها وحملها على التعاون مع الغارزي المستبيح ، بل ادت ، على عكس ذلك تماماً ، الى وقوفها صدها والصمود في وجهها ، العنف الذي تعرضت له من جراء قبضة اليابان وقسوة شكيمتها ولعلت الذي استهدفت له موارد البلاد . كل ذلك حرك شهوة السلاطين في البلاد الى الاستقلال ، كما حس الشمية في البلاد التي تخرجت من المعاهد الأوروبية وتشربت روح الحرية على المطالبة بسيادة البلاد ، واثارت صدم العناصر الصينية المتمركزة في البلاد ، والمنقسمة بين الكيومانتنغ وبين الشيوعيين ، الذين اشتدت عليهم يد اليابانيين وقهرصوا لسمو المعاملة ، فلموا درراً حاسماً في الجيش الشمي الذي حارب الاحتلال الياباني ، وساعد كثيراً الجيش البريطاني على استعادة سلطته على البلاد .

فقد ساعدت مع ذلك السياسة التي نهجتها اليابان في ماليزيا

على تعميق الفجوة العاصلة بين الصينيين والماليزيين وعلى خلق بعض

حقائق بين المنصرين الأساسيين الذين يؤلفان سكان البلاد . فبعد

قتل المحارلة البريطانية

في إعادة حكمهم على البلاد

ان عاد البريطانيون الى البلاد عام ١٩٤٥ ، قدموا بعدة تنازلات ، ارضاء للشعور الوطني ، ورغبة منهم في توحيد هذا القطر المنقسم على نفسه الى ما يريد على عشر سلطات تسعد ببعضها حواجز جرمية . فحشكوا هادي دي دده ، المحسداً ماليزياً ، قالولايات التي تنعم بالحراسة اصبحت ولايات محمية او تحت الحماية ، خاضعة مباشرة للحكام ، كما انشئت حكومة مركزية بشكل بقي معه واقع الحكم والادارة للدولتين . ومرواطية الجامعة الماليزية اُعطيت بسطاء بحيث ينعم بها على السواء الصينيون والهنود . وقامت معارضة قوية في وجه هذا التنظيم الجديد . وبعد ان انس السلاطين مؤامرة قوية من قبل الطبقات الموحيصة المحافظة ، ومن قبل السكان الماليزيين في البلاد الذين شعروا بخطر اغراقهم بالمنصر الصيني الحصب الانتكاس ، واعدوا الى عصف العناصر القبرالية ، وأخذوا درساً من مسلك اندونيسيا ، راسوا بمنعدون ويؤلفون تحالفاً فيما بينهم ، بما اجبر الحكومة البريطانية على العدول عن سياستها . فالاتحاد حل محل حكم فدرالي ماليزي تمتت معه الولايات باستقلال اداري اكبر ، كما ان الماليزيون خيانات بالحصول على الأغلبية في المجالس التمثيلية وفي الحكومة المركزية . وادخلت قيود وتقييدات جديدة ضيقت من عملية التجنيس امام الصينيين ، كما بلت سنفاهورة مستعمرة عامة لتساج البريطاني ، وهي الوحيدة في كل آسيا . كل هذا حل العناصر غير الماليزية على المعارضة المنيفة وتنظيم المظاهرات المنيفة ضد البريطانيين . كذلك تحركت الرابطة الصينية الماليزية وغرفة التجارة الصينية ، كما تحرك للعمل الحرب الشيوعي الذي يلعب دوراً بارزاً في نشاط الاتحاد نقابات الجامعة الماليزية . وفي عام ١٩٥١ ، راح د فواون بن جعفر ، ابن رئيس الوزراء في ولاية جوهور ، يؤلف له حزباً يطالب باستقلال ماليزيا وسيادتها التامة ونفس البرنامج الذي وضعه على اعطاء الأولوية للنسبة الماليزية في كل المعاملات الرسمية ، واتخاذ اجراءات فعالة ضد الموحدة الديموغرافية الصينية العارمة ، والحد من مغبة قنوع الثقافات والحضارات والانتقال بالسلاد من وضع اقتصادي استعماري ، الى وضع اقتصادي وطني ، واتخاذ الوسائل الفعالة لارالة القلق الاجتماعي المسيطر على البلاد من جراء التركيب الاقتصادي الشد الذي يحيق بالبلاد ، واخيراً استقلال ماليزيا .

وهكذا تجملت لاسباب ودوافع متضاربة احياناً معارضة السكان المنيفة للسيطرة البريطانية على البلاد ، التي اخذت تعبر عن امتيائها وعدم رضاها عن الوضع بتنظيم الاضرابات وبعثه الاشتباكات الدامية التي نظمها حزب الشيوعي الماليزي ، اقوى الاحزاب طراً في هذا الجزء الجنوبي الشرقي من آسيا واحكمها تنظيمياً وهذه المناوشات الدامية التي ثالت رضى جهابيز الملاحين والمزارعين ، احدثت مهاجم الزمرعات ، ومراكز البوليس ، ولم يلد في نهدهتها أو

التحصف من شرها اعلان البلاد لحالة الطوارئ، وتشكيل فرق دفاع حذرها اصحاب المزارع ،
والكت الصيف الذي قهرت له من قبل البوليس والاعمال الحربية التي هجرت لقمعها . فقد
هجرت كل هذه الوسائل عن القضاء على حركة المقاومة ، التي احترت كثيراً في انتاج المطاط
والقصدير وحدثت من تصديرها ، وبذلك قطعت عن بريطانيا حيلاً من الدولارات . وهذا ما
يعسر لنا تماماً الصنف لذي اظهرته بريطانيا في المهادنة على مواقعها ومركزها في هذه البلاد
التي تؤلف قاعدة حربية من الدرجة الاولى لها . وفي هذا السبيل ، استقدمت جيشاً راد عدد
أفرادها على ٣٠٠٠٠٠ هذا عن الحرس الوطني ومؤسسة الطيران الاوسترالي والنيوزيلاندي
للقوى في وجه بضع آلاف من رجال المقاومة ليس من سبيل الى القضاء عليهم . وقد اتاحت
هذه الحرب لفاخر غير الشيوعية الوقوف موقف المتصلب . وأخذ رئيس الوزراء في حكومة
الاتحاد في ايلول ١٩٥٥ ، يهدد عقوبة الادارة مقاومة تامة اذ لم يزل البلاد استقلالها الناصر
وفي آخر المطاف رأيت الدولة الجديدة السورية آب ١٩٥٧ ، بعد ان وصلوا الى عقد اتفاق ، كما
يجري في الهند ، لتعيد بين الدولة المستمرة وبين لاطقة الموحدة احتفظت بريطانيا معه
بتقواها الحربية .

وعملت بريطانيا من أن تشده من مؤذنه في هذه المنطقة ذات الأهمية الحيوية بالنسبة لها ،
عندما أُنشأت في ايلول ١٩٦٣ ، واتحاداً أهلياً ، تألف من الاتحاد الفدرالي الماليزي الذي
انضمت إليه سمافوره عام ١٩٦١ ، ومن مقاطعات سراوك وبيروني وجساح (القسم الشمالي من
بورنيو) ، فإذ ما عدلت الفيليبين عن معارضتها لهذا الحلف الجديد ، فقد اهربت اندونيسيا
عن عدائها المكشوف له ، ادشت عليه حرباً فعلية اضطرت معها اسكلارا الى تقوية حاميتهما في
سمافوره ، التي تتألف من ٣٥٠٠٠ جندي ، وهي أهم حامية لها في المحيطين الهندي والهادي .
الا ان انفصال سمافوره لحديث عن هذا الاتحاد (١٠ آب ١٩٦٥) ضعف كثيراً من جانب
الدولة الجديدة ، وطرح من جديد ، على بساط المسح توارث القوى في هذه المنطقة وبالتالي
سياسة بريطانيا الاستراتيجية في هذا الجزء من العالم .

كانت السياسة التي سارت عليها فرنسا في الهند الصينية سياسة
قتيل واعتصام رمت الى جعل هذه البلاد امتداداً لفرنسا
في آسيا. الا ان الهنوديين الاجنابيين القاطنين - الفرنسية
والوطنية - والنظاميين الاقتصاديين المعمول بهما ، عاشا حسداً الى حسب عون أي تداحس او
تتأرجح فيما بينهما . فالعناصر الأوروبية ومن لف لها (من الخلائيين ، ومن قصبة من اليابانيين
والفيليبين ، وسكان جزر الاندلس ولا سيما هنود بومبيشري) لم يؤلفوا ، في سنة ١٩٣٧ ، سوى
إطار ضيق تألف من ٤٠٠٠٠ نسمة بينهم ٣٠٠٠٠ من البيض ، معظمهم من الشان ، تتراوح
أعمارهم بين ٢٠ - ٣٠ سنة ، أكثر من نصفهم عازبون غير متزوجين . من هذه الكتلة
تشكل « المجتمع الاستعماري » (نصفه من رجال الجيش) ومن بعض موظفي الإدارة ، ومن

أصحاب الحرف الحرة ، ومن موظفي المصارف ومن أصحاب الاستثمارات التجارية والاستخراجية . أما المعدون فعلاً ، فلم يكن عددهم يتجاوز بضع مئات معظمهم موظفون في أهم الاستثمارات الحرجية والمعمية . ولم يطرأ على وضع البلاد السياسي شيء جديد منذ عهد دومر ، فقد أقصر وضع الكورشتين على وضع المستعمرات القديمة ، لها نائب في البرلمان الفرنسي ومجلس استعماري ، كلاهما منتخبان من قبل اللعين أو ثلاثة آلاف ناخب يتمتعون بالجنسية الفرنسية ، معظمهم من صغار الموظفين أو من لحدود . واستثناء بضع مئات من المتحسين بالجنسية الفرنسية أقصر وضع معظم أبناء البلاد على وضع رعايا . أما في مقاطعتي الأنام والتونكين فقد حل محل نظام الحماية تدريجياً حكم فرنسي مباشر ، أقرته المعاهدة التي عقدت في ٦ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٢٥ والتي حررت المصادقة عليها في أثر وفاة الإمبراطور شيانج ديه . فقد نصت هذه المعاهدة على أنه : « لما تكاثرت مواحي الأمان الأديرة في البلاد وتضمت » ، بحيث أصبح من المستحيل « على الإمبراطور الإصلاخ شخصياً على شؤون الإدارة اليومية بنفسه » فقد قبل مجلس الوصاية « على أن ينحصر اهتمامه على ترأس الحملات الطقسية ومراسم العبادة » وبقتل جميع السلطات للإدارة الفرنسية . فإلى جانب صيانة الأملاك والأشخاص بوضع حد لأعمال القوصية ، فقد تمكنت السلطات الفرنسية من تطوير الجهاز الاقتصادي في البلاد والأوضاع الصحية فيها ، وانشأت شبكة من الخطوط الحديدية ، والطرق المعبدة ، وبناء السدود ، وفتح للثروة والاقية أمانيه تسهيلات لمري وبناء لمستشفيات ، ومعمد بأسور ، ومكافحة انلاريا و لحيضة ورفضت من مستوى التعليم العام . وهذا التطوير العام مر فئ البلاد ، وتضاعف عدد الموظفين من ١٩١٩ - ١٩٢٥ ، من مالية البلاد أعضاء ثقيلة قامت عن النهوض بها لخروجها عن طاقاتها الاقتصادية . خرائب باهضة صابت للأملاك ، وصرائب مباشرة وقع عملها على إنشاء البلاد (الأصليين) بما أدى إلى عقد قروض بشروط ثقيلة ترب عليها عوائد عالية ووضعت لها وسائل لاستهلاكها ارضعت حزينة الدولة .

والاتحاد الحركي مع فرنسا الذي جرى معه « ثقيل » المستعمرة ، حدث عام ١٨٩٢ وأخذ بالطبع جانب المصالح الفرنسية بالحد من تجارة البلاد مع البلدان الآسيوية المجاورة التي أمكن لها تجهيز المستعمرة عواد ومصنوعات ارضص بكثير من المصنوعات الفرنسية ، كما كان باستطاعتها ان تؤلف سوقاً لفائض انتاجها من الارز والمعم . وقد اراد الوضع حرجاً ، عام ١٩٢٨ ، بعد فرض تعريفية كيرشيه التي أولت حماية اكبر ايضاً للوحدات الفرنسية في الهند الصينية وللمنتوجات الفرنسية ، أدى إلى ارتفاع عظيم في أسعار المصنوعات الفرنسية المستوردة ، اذ أس عدد كبير من رجال المال طمأينة اكبر في حمة البلاد والفرش « ضد تقلصات المريك الفرنسي وتخفيض سعره . وهكذا ظهرت في البلاد انشاءات فرنسية واستثمارات جديدة . كنز رع لخطوط والساي والين والتقيب عن المعادن ، وإنشاء معامل الترابية ، ومعامل الورق ومصافي البترول ، ومعامل الجملة . ومنم عدد كبير من هذه الاستثمارات بامتيرات عريضة في

هذه الاراضي ذات الثروة الحمراء الواقعة عند صعيد دارلاك ، وفرضت احتكراً على المطاحن بحيث لم تترك للرابعي من أسماء البلاد حراً شيئاً من الأرباح لا يتعدى ٦٪ بينما كان معدله في ماليزيا البريطانية ٣٩٪ وفي سرر الهند البريطانية ٥٠٪ وهذا النشاط الاقتصادي هيمن عليه شركتان كبيرتان للاستيراد والتصدير ، ومصرفان كبيران هما : المصرف الفرنسي الصيني ومصرف الهند الصيني . وكان المراد الاعظم من ارباح هذه الشركات يذهب هنا ، كما في المستعمرات الافريقية الى فرنسا دون ان تفيد المستعمرة منها شيئاً لا سيما وهذه الراسمبل واصحابها الاوروبيين هم معقون من الضرائب .

وهذا التحسن الاقتصادي بطراً على وضع ابن البلد لم يقترن
 اردباء المؤس والشعب بتحسين اجتماعي فالاستثمار ادى ، ما شتاء اندونيسيياً الى قتل المادرات والاعراف المحلية . فالعري التي ساد فيها حتى الآن ، نظام مة من وسدتها تقاليد متينة العرى من التصامن والتماضد ، ساعدت النظام النقدي ، على ان قلش ، لها على حساب التواصي المحلية وصغار الملاكين العارفين في ديونهم مشاهات واسعة ترواح بين ٥٠٠ و ١٠٠٠ هكتار (كما في الكوششيش مثلاً) المتمتعة ان حد كبير بالادارة الفرنسية الرشيدة ، وبفضل قواعد الحكام المحليين واهبان المنطقة والرا الذي كان يتقاضى ٣ - ١٠ ٪ شهرياً على لاقل ، من ربح بمصر صفر المستعمرين الى مصف انتمين (فلم يشاهد فلاحاً باشر الموسم الزراعي دون ان يستدين ببعض الشيء من صاحب الأرض التي يستأجرها) ، والمرايعون الذين يستغلون شلفة صغيرة استحال وضعهم الى وضع الرق ضُفُوا الى الارض دون ان تتوفر لهم اية فرصة لتحسين وضعهم الفني بحيث ان غلتهم السنوية من الارز هي من ادى ما سجلته المواسم عديم . ففي الكوششيش مثلاً ان ٧١٪ من السكان لا يملكون سوى ١٢٤٥ ٪ من مساحة الأرض الزراعية ، بينما ٢٤٥ ٪ يسيطرون على ٤٥ ٪ . وفي دلتا النهر الاحمر ٩٠ ٪ من مجموع السكان (اي ما يوازي ٨٧٠٠٠٠٠ أسرة) لا يتصرفون بشيء ٣٦ ٪ من مجموع الأرض الزراعية .

ففي هذه المقاطعة التي لا يزيد عدد سكان مدن فيها على ١٠ بالمائة لا غير ، يقل فيها عدد العاملين في دور الصناعة (١ ٪) والاجور فيها متدنية للغاية . ان دخول المعدنث الاعامي هو اقل ، بالنظر لما هو عليه من ضعف المضلثات ، من ٣ ٪ ما يكسبه ريسل له فرنسي و ياباني . والنؤس الذي يحيط بالمبال العاملين في مزدروعات المطاط هو من الشدة بحيث يبلغ معدل الوفيات بينهم عام ١٩٢٧ ، ما يزيد على ٥٤ بالمائة . فالنمو السريع للسكان (٩٠٠٠٠٠٠ بالسنة في الكوششيش ، و ١٠٠٠٠٠٠ في لتونوكين ، وهدم التداوي في ترويع الاملاك ، وتجزؤ الاستثمارات والوسائل الزراعية البدائية التي يعملون عليها ، كل ذلك عرض سكان الريف لنقص مريع في التغذية وحملهم يتسكعون في النؤس والشفاء (فاستهلاك الفرد الارز هبط ٣٠ بالمائة بين ١٩٠٠ - ١٩٣٠) . وانشاء بنك السليف الزراعي ، عام ١٩٢٧ ، على غرار ما حدث في حبارا ، لمساعدة صغار المزارعين للصدود صد حبالل المرائي ، لم يحسن الاوضاع كثيراً . وعلى هذا فاقس

ايضا وضع النخلة في الهند الصينية . فاقوا بها المادة ايسن من ماد كونا كثير . ففي عام ١٩٢٠ لم يكن حاكم كبير لاحدى الولايات يريد مدخوله في الشهر على ٣٠٠ غرض (اي ٣٠٠٠ فرك) . بينما شرطي اوروبي واحد كان يتقاضى عند بدء عمله في هانوي ٣٥٠ غير التعويضات والمخصصات الاخرى التي كان ينالها .

وحاصل القول نرى ان الطبقة المتأخرة (المألوفة من اوروبيين وصينيين والطبقة الغنية او الموصرة والطبقة الوسطى من سكان البلاد) اي ١٠ بالمائة من مجموع سكان البلاد تقريباً ، يصوبون ٣٧ بالمائة من دخل البلاد السوي في كل الهند الصينية ، عام ١٩٣١ ، و ٥٣ بالمائة في الكونغوشتين وحدها . وال ١٠ بالمائة من مجموع السكان كانوا يستهلكون ٤٩ بالمائة من مجموع واردات البلاد ، بينما مدخول الفرد الواحد من الطبقة الفقيرة في سنة لم يكن يقدر بأكثر من ٢٧ قرشاً (٢٧٠ فرنكاً) . وهكذا نرى ان بضعة الوف فقط من سكان البلاد لاصلين ، كانوا يستفيدون من النظام الجديد .

ان هذا الوضع الذي اتينا على وصفه بالتدقيق كان ينبغي في النفوس حركة القريب
الشعور العميق بالحرمان ويحمل الناس على التدمير والشكاية ، وهو شعور بدت معالمه مع الفتح ، وراده حدة واحتمد ما الانتصارات اليابانية عام ١٩٠٥ ، وانفجار الثورة الصينية ، والحرب العالمية الاولى حيث ساهم فيها أكثر من ١٠٠٠٠٠ من أبناء البلاد ، محاربين او عمالاً خدموا في فرنسا . فالتعليم كان من نصيب فريق صغير من هم في سن الدراسة . ففي عام ١٩٢٤ ، كان ١/٨ من الاولاد يترددون المدارس . والمعاهد الخمسة للتعليم الثانوي الفرنسي الوطني لم تكن قد اكتملت اكثر من ٢١٦٧ طالباً مورعين على ٦ ملايين مسمة بجامعة الهند الصينية لم تكن تخدم غير مجيها الا للوظائف الثانوية ، في الخدمات العامة وفي الطب . ومع ذلك ، فقد طلعت في البلاد طبقة من أهل الفكر ، هيبت الاساتذة والاطباء ورجال القانون ، وعمالوا حكمة سر ليحلوا محل طبقة المثقفين القديمة التي اخذت بالزوال ، والتي كانت متمسكة بمبادئ الحربة الفرنسية ، وكنست قسراً كبيراً ، واحياناً بشكل ممتاز ، من الثقافة الفرنسية ، وقد اخذت تتألم من الوضع الحقيير الذي اقضرت عليه ، كما اخذت تصي ، اكثراً كثره الفوارق التي تساعد بينها وبين السلطة المسيطرة . وراحت هذه العناصر الوطنية تطالب بسياسة فيها قدر اكبر من التعاون والمشاركة ، واحراء اصلاحات في البلاد توضع حداً للتجاوزات لا سيما في ما يتعلق بحماية الضرائب ، ووضع حد نهائي في التمييز بين ابن البلد ، وجاؤوا لنشر نوع من التعليم لا يعتمد على الطلاب عن ثقافتهم الوطنية . بعد اصلاح الذي ادخل على الكتلة . وحوادث التمرد الفردية ، والاهتمامات التي اخذت تتكرر منذ عام ١٩١٨ من قبل اعضاء الجمعيات السرية ، كانت لا تزال تثق بتقليد فرنسا التحريرية التي جاء النصر يزيد من نفوذها وهيبتها . إلا ان فشل المحاولات اصلاحية التي قسام بها الكسندر مارين ، والذي استدعي الى فرنسا إثر فوز أحزاب اليمين بانتخابات عام ١٩٢٨ ، كان له وقع أليم في نفوس هذا الفريق الذي يشعر بالفربة وهو في هجر دارة ، والذي لا أمل له في ثورة

هامة تأكل الأخضر واليابس . واخذت الجمعيات المرمية تتملل وتتحرك ، وظهرت في البلاد احزاب سرية ، منها مثلاً : يقظة الفيتنام ، وبعث فيتنام ، والحزب الثوري لفيتنام الفتاة ، ومنها الحزب الوطني الفيتنامي الذي رأسه بفين تاي هو الذي استمد برنامج عمله من برنامج الكيومشاخ ، ودظم نفسه على نظام الحزب الشيوعي ورمى الى طرد فرنسا من البلاد عن طريق الثورة . وقد كان اشأ له حلايا عديدة في كل أنحاء التونكين ، منذ عام ١٩٢٩ والى جانب هذه الاحزاب ، تشكل حزب شيوعي ترجمه دموين اي كوه المولود عام ١٨٩٢ والذي قصى حاداً من حياته في فرنسا ، والذي عمن في كنتون ، عام ١٩٢٥ ، سكرتيراً للورودين رئيس اللجنة الروسية لدى تشان كاي شيك . وشكل في الصين أطر الحزب ، ومنها أخذ يوسع سبلاً من الصحف محرراً على المقاومة والوقوف في وجه فرنسا .

وحملت حركة قمع هذه الاحزاب والتشكيلات دامية لما انصفت به من شدة وعنف أدى الى تفضيل حركة انقلاب عام كانت لاشارة الملته ، بطلاقة عصيان حامية ، ين باي في شباط ١٩٣٠ . ولأول مرة في تاريخ الحركة القومية في هذه البلاد ، يجري حشد جماهير الفلاحين وتجهيزهم ، وانضموا الى الحركة الوطنية التقليدية بقيادة نخبة من المفكرين أهيب في صميم شعورهم .

والانتيار العسكري الذي اصيبت به فرنسا عام ١٩٤٠ تبعه تأنيده للملاح الياباني انتصار آخر حقق الجيش الفرنسي في الهند الصينية الذي كان مهتماً بالأعمال المولايية التي مستدعيها الحماط على أمن البلاد وليس للوقوف في وجه اليابان او السيام . واتحدت حكومة هوشي بالقصة لاحتلال اليابان للهند الصينية موقفاً يتسم بالتعاون ، للدفاع المشترك عن الهند الصينية ، محافظة منها على ماء الوجه أمام سكان البلاد الأصليين ، وصيانة هيبة فرنسا وكرامتها ، وللتوسط بين اليابانيين وسكان البلاد الوطنيين ، ولاستعمال مصلحة اليابانيين لالقاء على الفتيين الفرنسيين في معاصمهم والمحافظة على الملك الاداري الفرنسي ، إذ لم يكن في وسع العزدة استبداله بغيره ، ولعمرهم عن فرض ارادتهم في الحال ، ينها وحدوا . وراح النظام الجديد يلقي في المجال السياسي الهبات الامتشارية القائمة في البلاد . ولئلا يتركوا للنايين وحدهم فقص الدعوة للطلاب الوطنية ، محمد المسؤولين الفرنسيون في البلاد الى تشجيع اللغة والادب الفيتناميين ، وللى استعمال اللغة الوطنية في المدرسة والادارة ، وحدوا الى نشاء حركة شبه عسكرية بين شببة البلاد .

ولم يهاجم اليابانيون ، بعكس ما فعلوا في الاقطار الأخرى التي دوجوها واحتلوها ، الاستعمار العربي ، مواجها . إلا أنهم أخذوا بتشجيع الحركة القومية الفيتنامية ودعموا على الأصص ، بعض احركات النهضة للفرنسيين والشيوعيين ، أو المعروفة برومها المحافظة كالحركة « الكوداثية » . ان احتلال اخوان اليابانيين من البيض وادلاهم هم ، خلخل شيئاً فشيئاً العود الفرنسي . وفي نهاية الامر ، وصح اليابانيون جداً لسياسة الثريت التي انتهجوها ، عامروا بأسر القوات الفرنسية الرابطة في البلاد ، واحلوا اعمارهم محل ادارة الاميرال ديكو ، وأوعروا الى لامبرطور باو داي وال ملك كمبوديا باعلان استقلال بلادهم .

مقاومة فيتنامية وفي ١٩٤١ ، عقدت أحزاب فيتنامية عديدة من لغات متباينة اجتماعاً لها على الأراضي الصينية وألفت من بينها عصبة المنظمات الثورية في فيتنام ، وجهت نشاطها ضد اليابانيين المحتلين وضد السلطة الفرنسية . وكان أهم هذه الفئات والفئة الوحيدة بينها التي كانت تتمتع بشبكة واسعة تمتد إلى جميع أطراف البلاد من الاستعلامات والمناصب النشطة ممثلة بمحرب فيت مين وريث الحرب الشيوعي بزعامة نغوين آي كوك (الذي سيعرف فيما بعد باسم هوشي منه) وبعد التسع من آذار ، استمرت هذه الفئات المقاومة كفاحها واتخذت توسع من نشاطها في جميع جهات البلاد . وقد نال لهم انهيار اليابان وموت لامبراطور ساو داي بعد ذلك بقليل أن يؤلغوا بحكومة مؤقته برئاسة هوشي منه أعلنت استقلال البلاد ، في الوقت الذي رحت فيه الحركات القومية في كل من بورما واندونيسيا والفلبين مهاجم اليابانيين وللاقتحام المناوشات دمية ، وقعت في الحين ذاته موقفاً معادياً من السلطات المسيطرة على البلاد .

ولاحقت العرق الفرنسية مقاومة عنيفة هدم راح الامبرال دارجيليو بمحاول إعادة السلطة الفرنسية على البلاد . وقد بدأ الفيتناميين أن السلطات الفرنسية لمحاول الميث بالاتفاقات المعقودة التي تعترف بجمهورية فيتنام كدولة حرة لها حكومتها ومجلسها النيابي وجيشها ونظامها المالي ، وهي عضو في الاتحاد الهندي الصيني وفي لاتحاد الفرنسي . كذلك اتهموا السلطات الفرنسية بانتهاج الاساليب ذاتها التي انتهجها الهولنديون في اندونيسيا ، بالكثارة من الوحدات القومية بقصد دقة فيتنام . وكان قصف الاسطول الفرنسي لمدينة هايفون بدء حرب عنيفة قاسية شبيهة بتلك الحرب التي دشت بين وحدات ماو تسي تونغ وبين الوحدات التابعة للكيو متنانغ واليابانيين ، وحدث طبقت الاساس والاسدي التي اوصى بها ماو تسي تونغ عام ١٩٣٦ في حرب العصابات . وكان التفاوت كبيراً بين الوحدات العسكرية الفرنسية التي يدعمها الاسطول وطيران قومي ، وحديث التفتت المواقف من وحدات نظامية وفي ليليشيا الشيعة القليل ومع ذلك فقد استطاع الجيش الفيتنامي السيطرة تماماً على الموقف وفرض ستراتيجيتهم للمعطف الذي يحظى به في الاوساط الشعبية . فالجيش هناك ، كما في الصين ، موجود في قلب الشعب كالسك في وسط الماء ، فهو لا يرى ومستمر ، الكل في خدمته ومناصرته ، بينما لوحدات الفرنسية تنقيد بالطرقا وراكرها والمدن ومهابد الطائرات . وبسبب راحت حكومة فيتنام تنظم نفسها في الجدل بعد ان تمثلت فيها كل العناصر المختلفة التي يتألف منها الرأي العام ، احدثت قلقاً لها معامل نصع الاسلحة اللازمة للجهز بالحرب ، واقتمرت المناوشات الحربية على احوال انذاك الجيش الفرنسي .

تمت الحرب حتى عام ١٩٤٨ بكونها حرباً استعمارية تأثرت فيها الولايات اتساع نطاق الحرب المتحدة الاميركية ، إلى حد بعيد ، بالاعتدال الذي ميّز موقف هوشي منه ، واخذت تظهر حطفاً الشديداً لهذه الحركة القومية ، إلا أنه ما كاد الامر يستلج للشيوعيين

في الصين حتى بادرت حكومة الولايات المتحدة الى إرسال بعثة عسكرية وامدادات حربية ضخمة الى هوشي منه ، ساعدت على إذكاء نار الحرب . وفي عام ١٩٤٩ ، اهدت الحكومة الفرنسية الى منصبه الامبراطور باو . داي ، وتنازلت له عن امتيازات وسع بكثير من التنازلات التي اقرها هوشي منه عام ١٩٤٦ أملا منها باجتناب المعاصر الوطنية غير الشيوعية الى حاسنها ، دون ان فصل به الى الاستقلال التام . ولم تأت المحاولة بأي نتيجة لدى الرأي العام وفشلت تماما ، اد رأى فيها الشعب تجسيدا للسلطة الفرنسية ومحاولة منها للحفاظ على الامتيازات المربصة التي كانت لها ، ومنها احتشاء الرعايا الفرنسيين من المحاكم الوطنية واجراء محاكماتهم وفقا للقانون الفرنسي . ولما اخذ عدد كبير من خصوم القيات منه ، يقولون باعتقاد القتل السياسي ، من بينهم عدد كبير من الكاثوليك الذين آزروها ، والذين بقوا مع ذلك يكون الكره الشديد والعداء الأزرق لكل ما يدكرهم بالحكم الاستعماري النفيس ، وكل هذا العريق الذي يشجب الحكومة لابقائها على هذا النظام المؤلف من قصف حماية ، وهساد الادارة والموظفين ، وشراء الوظائف والحظوة التي لا يزال سمعها كسار المزعين للارز ورجال الاعمال ، وعدم وجود اي خطة لاصلاح رراحي على الاخص . وبالرغم من الانتصارات الحربية التي سجلها الجنرال دي لاير عام ١٩٥١ استطاع معا ان يستعيد قسما من الاراضي التي خسرتها فرنسا منذ عام ١٩٤٩ ، اشتد الصراع عنفا ومرارة ، بعد ان اخذت المساعدات الصينية تعادل في المجال العسكري ، المساعدات التي تلقها فرنسا من الولايات المتحدة . ومكده احسدت قيات منه تسيطر على ٢/٣ مساحة البلاد وتهمس على ٥٣٪ من عدد سكان البلاد . والى جانب الاراضي التي تسيطر عليها ، « فهي موجودة في كل مكان ، والقوات الفرنسية تسيطر في النهار على القرى بينما تقتل السيطرة عليها » خلال الليل قوت جمهورية فيتنام الديمقراطية ، « ففي داحل كل اسرة وعائلة اعضاء يتكسبون الى قيات منه . واقتصرت مهمة الوحدات الفرنسية على الدفاع عن المدن الرئيسية وحصونها ، وشواطئها ، هرب الميكوك السلي ، ومزارع المطاط في الكوششين والمنطقة الصناعية في التوسكين . في كل مكان في هذه المنطقة تقوم « جذن مقاومة » تعمل في الحفاء كما يوجد ممثلون لقيات منه الذين يمارسون السلطة الفعلية تجاه السلطات العسكرية الفرنسية أو السلطات الناعمة لاداي . قد تهاوت الحياة الاقتصادية في البلاد بعد اختلال الأمن ، وتختلى الكثيرون عن الاعتناء بمزروعاتهم وأخذ سكان الريف يرحلون الى المدن (فارتفع عدد سكان هونج منه من ١٠٠ ٠٠٠ عام ١٩٣٩ ، الى ٤٠٠ ٠٠٠ في السنة ١٩٥٢ ، وتجاوز عدد سكان سايفون - شولوم مليوني نسمة لقاء ٣٠٠ ٠٠٠ بعد البدء بالاعمال الحربية .

والمحاولة الاخيرة التي حرب فيها الجيش الفرنسي تسجيل نصر حاسم ، أدت الى انهزامه الدريع أمام ديان - بيان - فو في ايار ١٩٥٤ ، كما أدت بالتالي الى اتفاق جنيف الذي قسم البلاد الى شطرين : شرقي يحتله القيات منه والجنوب ، نصت بمص فقراته على وجوب توحيدها فيما بعد .

وهذه الحرب التي دامت من سنة ١٩٤٥ الى ١٩٥٤ والتي كلفت فرنسا ضلعي قيمة

الاستثمارات الفرنسية الموزعة في هذه البلاد ، ارتدت طامعا مختلف عن طابع هراع يقوم به
 شعب آسيوي لتحرر من ريق السيطرة الاجنبية ، إذ استعالت الى حرب هدفت للعهد من
 انتشار الشيوعية الى جميع اطراف آسيا وتخلت لها مظهرا جديدا من مظاهر الصليبية التي
 تقوم بها الولايات المتحدة في مجال الحد من اتساع الشيوعية وسيطرتها العالمية .

تحويل الفيتنام الى كوريا ثانية ويقسمه خط العرض ١٧ الى دولتين
 شطر فيتنام متميزتين الشال الذي كان دوماً بلداً فقيراً مكتظاً بالسكان يحاول
 القيام بمحاولات حذرية ببناء ، والذي اخذ بأساليب التصحيح بالرغم من اعتقاده الرسمى
 التي تمس بالاسلخات الضخمة ، ولجنوب الذي بعد ان تخلص من دكتاتورية بنو دنو دنيم
 واسرته ، شهد بعد عام ١٩٦٣ ، سلسلة من لادقلابات العسكرية وموجة من الاضطرابات
 الدينية والاجتماعية ، كما ان الثورة التي اعلنها ، المينكورع تحوت الى حرب عصابات ،
 وارادت بتدخل اميركا فيها ، طابع حرب فعلية .

ودكتاتورية دينم الرهابية التي « جاءت بديلا آسيويا للطريقة الفرنسية » استمرت متعكة
 بالبلاد بفصل المساعدات المالية الاميركية التي عطلت دوماً ثلثي المعز الذي عانت منه ميديا
 البلاد ، وبفصل ركيزي آخرين هما : الكاثوليك وعددهم فيها ١٣٥٠٠٠٠ ، نصفهم نارحون
 من القسم الشالي ، والوليس الذي اعتمد عليه . سيطر دينم وحكم البلاد بالرهب وعرف
 يستعمل في هذا السبيل الشعور الوطني والنصب الديني الشديد ، ويتفانى ، تحت ستار مكافحة
 الشيوعية ، في ملاحقة كل ثر للمقاومة المتحررة . والاصلاح الزراعي الذي حاول القيام به عام
 ١٩٥٥ أصيب معظمه بالشلل للمعارضة الميفة التي لصتها من قتل ارستوقراطية البلاد الفاسدين
 الكلي القدرة . وفي سنة ١٩٥٨ بلغ عدد من استفاد من عملية الاصلاح هذه ٨٠٠٠٠٠ مزارع من
 اصل ١٥٠٠٠٠٠ كان يجب ان يفيدوا منها كما لم تحترم قعد المادى التي جعلت في حدود ٢٥٪
 معدل تخفيض الايجارات . وعملية تصحيح البلاد سارت ببطء كلي ، إذ ان الراسميل الاجنبية
 يجري تشميلها في الصناعات الكيماوية والاستهلاكية ، على الاخص ، وعدم المساواة في مستوى
 الحياة هو اقوى من أي وقت مضى ، كما ان ازدياد الاضطراب جعل الامن في الريف بعد سنة
 ١٩٥٩ ، عندما اشتدت حرب العصابات التي شقتها الفيات منه ، أدت في ماديء الامر الى تجميع
 سكان القرى وحشدهم في « مساكن استراتيجية » (على عرار ما جرى في الجزائر) ، ول
 التحلي عن لاراضي الزراعية ، والى التروح الى المدن التي احدثت تضخم ويزداد فيها عدد
 الماطلين عن العمل ، والى مراعاة مصالح الاقارب ولاسياء وغير ذلك من المصالحات ووسائل
 الاصاد ، والى المحسوبية التي جعلت عدداً من الكاثوليك الى المراكز السياسية والعسكرية الموحدة
 العليا ، مما أدى الى الاحتجاج الصارخ ضد الظلم السياسي والاشغاعي الذي عبرت عنه مظاهرات
 ضخمة قام بتنظيمها البوذيون (٨٠٪ من سكان البلاد) ومعارضة البوذية ، التي ظهرت من ،
 كما بدت في بورما منذ عهد بيميد ، قوة سياسية ودينية يجب ان يحسب لها حساب ، كانت صرية

قاضية نزلت بنظام الحكم . ان الزعماء البوذيين هم الساطقون باسم حملة طمست معها كل العناصر الهندسة الكاثوليكية والكاثوليك ، وكل انصار السلام في البلاد ، وصغار القوم فيها واصحاب احرف ، والتجار الذين نزل بهم الفقر ، والدلاحون الذين طردوا من ارضهم وكل ما كثر هم الجوع عن اتيانه الحادة ، والشحن الذين يتهودهم خطر تحييدهم في الجيش . وقد وقعت حوادث تتعار علانية قام بها عدد من الرهبان البوذيين ، كما تكثرت حركات التمرد في البلاد والفتن العسكرية ، واحد يتعاقب على الحكم قواد عسكريون ، بعد ان اشتدت بينهم المنافسة ، هن طريق انقلابات عسكرية ، يؤازرها حسداً وينادى بها اخرى منظمات والهيئات الاميركية ، المختلفة المنافسة فيما بينها الكفافة في سايغون .

وفي هذه الفنون اشذت الجبهة الوطنية لتحرير البلاد بتنظيم نفسها وعملت عام ١٩٦٠ على توحيد المقاومة السرية ، كما أخذت تطالب منذ عام ١٩٦٢ باستقلال فيتنام الجنوبية وحيادها . وتتمثل في الجبهة المركزية ، المقاومة من اي فئة سياسية انتسبت بررها جميعاً الفئة ذات النزعة التقدمية الشيوعية . وهكذا وجدت حكومة فيتنام الجنوبية نفسها بذات الوضع الذي أحاق بالسلطة الفرنسية عام ١٩٥٤ . تسرب رجال الجبهة الوطنية الى صفوف الجيش والدولة ، واعتاد سياسة القربح في المدن ، ووقوف سكان الريف موقفاً محاذاً أو محايداً ، واعتاد قتل بعض الموظفين وبعض السياسيين ، وحصر لوجيات العسكرية النعمة للحكومة في بعض مراكز محصنة صعبة الزحمة في المقاومة ، مع سيطرة الوحدات الثامنة الفيتكونغ على الريف سيطرة تامة ، اقله خلال الليل . و لمساعدة العسكرية التي قدمتها الولايات المتحدة الاميركية من عتاد حربي معهم ومن « مستشارين » م تمكن من قلب الاوضاع واستعالت تدريجياً الى تدخل عسكري مكثوف استهدى ارسال قوات ميكانيكية ضخمة يوماً بعد يوم ، برهنت على صبر قائم أمام عدو لا يرام ولا يمكن الاتصال به ، يسمم يعطف الشعب ومناصرته . كل هذا سحر الولايات المتحدة الى سياسة تصعيد الحرب بقصف أراضي فيتنام الشمالية قصفاً عالياً متصلاً بغية إحافة الخصم الشيوعي الذي يد الفيتكونغ بالمساعدة الحربية التي تتيح له الاستمرار في مقاومته العنيفة . ومع كاة الوضع للوضع في كوريا اخذ يبرز اكثر فأكثر ، كما ارداد الخوف من اشتداد التوتر العالمي الذي ظهر عام ١٩٥٣ .

الفصل الخامس

البلدان الإسلامية في الشرق وشمال أفريقيا

إن الـ ٢٤٠ مليوناً من أسطفي عام ١٩٢٠ ، في هذه البلدان التي تمتد من المغرب لأفقى حتى حدود الهند وإندونيسيا ، هزتهم هزاً عنيفاً أحداث الحرب العالمية الأولى . فقد أسهم مسلمو شمالي أفريقيا وعربي أفريقيا و الهند و حرية العربية بالأعمال الحربية ضد المانيا وتركيا . وبرئاح التحرر الذي وضعه الطاقم وفادوا فيه بحرية كل شعب أن يحكم نفسه كما يريد وروحوا له في جميع اطراف العالم الاسلامي لث بدتظار لتحقيقه في سنة ١٩١٩ . وقد بلغ مساهمة أيضاً انه في الوقت الذي قطعت فيه للعالم الاسلامي مثل هذه الاوعود المرارة ، حر عقد معاهدات سرية نصت على قسّام بانداب الشرق الأدنى ، كما رأى موقر السلام في باريس يرفض الاستماع الى ممثلي ايران - بعد ان صهي بالصين في سيبين ارضاء اليابان - وحولتها انكلترا الى محبة فعلية كسما رفض الاستماع الى مندوبي مصر ومثليها ، وقسم تركيا ومشمها ، ووضع تحت الوصاية ما يدعى من دول اسلامية مستقلة وبعد خيبة الامل والياس الذي انتابه من الحث بالعود المقطوعة له ، رأى هذا العالم الاسلامي نفسه مجحولاً حملاً الى الثورة وقد شجعها عليها ما شهد من مناصرة حامية قامت بين الانكليز والمصريين ز دتها حدة وعدفاً مقاومة ايطاليا والمانيا المكشوفة للمتصربين في الحرب ، وهذه الصرخات الدرية الصادرة عن الحرب الشيوعي التي تدعو للانتفاض على الاستعمار . وشتمعل الشعوب لاسلامية على توسيع وترحيب الحركات التحررية في الاقطار الشرقية ، هذه الحركات التي بدت مظاهرها الاولى قبل ١٩١٤ . وهذه الحركة القومية اردادت اتساعاً وفعماً وارتدت طابع الشمول بعد عام ١٩٣٠ ، وفي السنوات العشر التي عقت الحرب العالمية الثانية اخذت معها البلدان لاسلامية بأسباب التطور السريع ، وعقدت كثيراً كما ازدادت منها استخداما العلاقات بين السيد والسود .

وقد وجدت القومية العربية الطريق امامها مهددة اثر للعث العربي
الذي تهايت اسانه في الربع الاخير من القرن التاسع عشر في هذه
الحركة التحررية الي نادى بها جمال الدين الافغاني (المتوفي عام ١٨٩٧) ، وتليذه محمد هبة

ومصطفى كامل . وقد تجلّت حركة البحث هذه على أتمها في مصر التي لجأ اليها واعتمدهم فيها فريق من رجال الفكر والعلم تخلصاً من مضايقات بوليس السلطان عبد الحميد وملاحقته العنيفة ، وحيث راح الإنكليز يذكرون الشعور القومي ويشجعون احياء اللغة العربية وبعث الثقافة العربية الاسلامية ، اسوة بما جرى في اوروبا ، خلال القرن التاسع عشر ، وارتدت الحركة مظاهر الجذب على لغة الضاد ويمتها من حديد بعد عبور متطاولة من الجود والقعود انحدرت معها اللغة والادب العربي الى الحضيض . وحرث الادب العربي وبعثه ، والكشف عن اعجاز العروبة والاسلام بعد ان عفا عليها الدهر وتناشها الادهان والتفريخ بها في وجه النفوذ الاوروبي والتركى ، والسعي الحثيث لتطويع اللغة العربية بحيث تستجيب لمتطلبات العصر الحديث وذلك عن طريق اغناء مفرداتها بالوضع والبحث وادخال المصطلحات الجديدة ، والمفردات التقنية التي تقترب اليها لتتميز كما يجب عن الافكار والنظريات العلمية المستعذلة وبعض ل هذه الجهود الكبيرة التي قام بها فريق من حملة الاقلام والمفكرين بينهم عدد كبير من اللبنانيين النصارى ، اطل علينا ادب حديث واقعي ومسرح شعبي ، كما نقلت الى العربية ، عدد من المؤلفات الاوروبية التقنية ، مما هاد على اللغة بالافراء عن طريق تعريب عدد كبير من المصطلحات والمصيات ، واقتباس العديد من التراكيب والصور البيانية المستعملة في الغرب . كذلك حرت تقنية اللغة الفصحى مما علق بها من الشوائب وحوشي الكلام ، واصبحت بالتالي اداة ربط واتصال بين المسلمين كما ان الصحافة الكبرى اغذت تلمي الرأي العام وتقذبه بالمستعذلات مما استنبطه الزاجر ، هذه الاداة الدامية التي تشد من اواصر الوحدة والاتحاد ولها من الوقع وبعد الاكبر ما لا يتوفر بعض الجريدة والصحيفة .

عصرنة الاسلام
القضية المطروحة على بساط البحث هنا كما في الشرق الاقصى ، هي كيف يمكن استمراء الموعوم وقيل الفنون العصرية التي هي أساس قوه أوروبا وعماد سلطوتها ونفوذها ، بحيث يمكن مواجهة استعداد الغرب ورد عداياته والتخلص من السيطرة الاجبية ، والتسييج حول التقاليد الشرفية وصيانة مقدسات الشرق ولا سيما اللغة والدين من الشبهات التي يحاول الغرب إلصاقها بها كل هذه المطالب اقتضى تحقيقها والاخذ بها جهود شاقسة ومت الى توسيع اصول البحث العربي وعصرنة الاسلام . وراح عدد من كبار المصلحين في الاسلام امثال الافغامي ومحمد عده وبعض تلاميذهم يدهون الى تقنية الاسلام من الشوائب التي خلقت به مع قادمي الزمن ، مع الفتوحات الاسلامية ومن جراء الاتصال بمادات واهراف لشعوب التي دخلت في سوزة الاسلام . وراسوا بشدهم على الاخص على تقنية الاسلام من بعض معالم الضمنية ومما علق به من اهراف التمرير والمعبر مما يتبرأ منه الاسلام في الفصح ، ولكنهم الاولياء هذه المادة التي تحمكت بالاهراف الشعبية ، كما راح بعضهم وعلى رأسهم المرحوم رشيد رضا صاحب مجلة النار يتبرأ من تعاليم بعض فقهاء الاجيال الوسطى والتقليد بقوال السلف وأخذوا يطالبون بإصلاح جذري لنظم التعليم العالي الاسلامي ، وتطوير مناهج

العلوم الحديثة والتاريخ وإدخال مادة الدين المقرر وكل ما ينشأ بالعقيدة والمذاهب الإسلامية المختلفة إلا أن هذه الدعوة الصريحة إلى التجدد لم تلبث مقاومة عنيفة ومعارضة قوية من قبل علماء الدين المقترنين بالتمسك بالهداب الرجعية الخبيثة ، الذين راحوا يقطعون من جهاتهم الشيخ مصطفى عبد الرزاق الذي طالب بمصل أمور الدين عن أمور الدنيا ، وبفصل الشيخ محمد أبي زيد الذي وضع تفسيراً للقرآن يعتمد فيه على موضوعية العلم الحديث ، كما حاولوا الوقوف في وجه ترجمة دائرة المعارف الإسلامية لما تثيره في دهمهم من شكوك إلا أن حاسة الشبهة لم تنأ عن كثير إلى هذه الحركة الرجعية ، كما أن المطالبين والأمناء التي اثارها في نفوس الناس الجديد المدارس الأوروبية والتعليم الجامعي الذي يؤمنه هذه من الجامعات نشأت في المدن الكبرى على غرار الجامعات الأوروبية ، حلت الجامعة الأزهرية والمعاهد الدينية الأخرى على إصلاح منهج التعليم التي تسير عليها وعلى اقتباس العلوم الحديثة واعتماد مادتها في التدريس ولا سيما العلوم الفيزيائية . هذه الأفكار الجديدة لم يتأثر بها سوى قلة من النخبة بين المفكرين باستثناء من يقيمون العقل حكماً . ويلاحظ المستشرق الإنكليزي حب أن كل مفكري الإسلام واحة العلم بينهم وحدوا انقسم في ذات الوضع الذي احاط بحمة الفكر في الغرب في القرن الثامن عشر بالسنة للعقيدة المسيحية . وبالرغم من موقف العلماء السمة ومن كالفيلسوف العلمي الحر في أمور الدين لم يسم به في أي قطر من الأقطار الإسلامية بعد ، فالتفكير العلمي أخذ يظهر ويمتد ، وراح الدعاة لمصرنة الإسلام يضمنون على بساط البحث والتحليل ويرمسون للتشريع والنقد التحرر أصول الدين الإسلامي وقواعده ، واخذوا يعتمدون في حديثهم ورد الشبهة عن الإسلام أسلوباً جديداً يتعرض على الإحصاء لكلال القرآن وحجته مقابل الفساد والتعريف الذي أدخل على الكتب اليهودية والإسلامية ، وحول شخصية الرسول العربي .

وفي عهد حيث التعليم العالي الجامعي على الطراز الأوروبي يجري الأحذ به منذ عهد بعيد ، تأثرت الطبقات المستنيرة إلى حد بعيد بمناهج الانسلاخ وأفكارهم ولا سيما في كلية أليجار التي أصبحت حامية منذ عام ١٩٢٠ حيث تسير حثاً إلى جنب تدريس العلوم الدينية وعلوم العصر ، وحيث حركة عصرة الإسلام ارتدت مع عهد إقبال شدة وإقبالاً لم يرقها الشرق الأدنى .

هذا الإسلام المطلوب على امره ، وينقسم على نفسه إلى قطار ودول
 تختلف ارتباطاً وقلباين قومية ، يشعر في الصميم حضارته ويجسول
 جاهداً لتحقيق وحدته وحاميته . فالجامعة الإسلامية والعربية هما للصورتان اللتان تتلور
 عنها هذه النزعة . فبعد عام ١٩١٩ ، تبرز على الإحصاء حركة الجامعة العربية والحركة العمالية
 في تركيا تؤيدها بريطانيا ، وقصطبع هذه الحركة بعبان قومي يرافقتها وهي ديني سلامي
 يشتد يوماً بعد يوم . فالإسلام لا يزل ديباً حياً ناشطاً آخذاً بالانتشار والتوسع فهو عين
 الديانات الكبرى الذي كان أوسع انتشاراً من أي ديانة أخرى منذ الحرب العالمية الأولى

وكان له اكبر مد بين الشعوب الموصوفة بالمداثية في هذه المناطق ما بين المدار الاستوائي وخط الاستواء ، وعلى حساب كل الاديان الموجودة فيها تقريباً . . وهذا التوسع الديني يوسع كذلك لانتشار اللغة العربية . وهكذا تفسح باحة الاسلام في الشرق الاسلامي ، باحة رحمة الجسات في المدى الافريقي . وهكذا راح ا بارز ، مؤرخ نيجيريا يلاحظ بمعنى يلمت النظر : انه ابنا التقى الاسلام والمسيحية وجهاً لوجه سجل الاول عشرة ارقاعات مقابل واحد يمتنق المسيحية ويعتمد ، وحيث مثل على ذلك ما يقع كل يوم في ريوح اوغندا وتنغانيكا والكامرون والكونغو . والاسلام يتمتع بافضل مركز ليصبح بالفعل دين القارة الافريقية .

فهو يحمل الى انماه وبني المساواة في الحقوق والدم والطبقات ويبحث بين انماه شعوراً عميقاً بالوحدة والتضامن ، يارهم القول بالله القيوم القدير ويعدهم بحياة ابدية دون ان يعرض عليهم عقائد ومراسم معقدة . فالسلم الجديد ينزه الاسلام عن كل اتفاق او تراطؤ مع السيطرة الأوروبية ، كما يجد فيه اكبر درج له بقيه من التعمد لاروبي . فالاسلام يحصل في نظرم حضارة وثقافة ساميتين ، دون ان يكون له ما للحضارة الغربية من اوهدام للعادات والاعراف المتورثة اما عن حد . وهذا الواقع يبدو على أنه في مصر حيث تجتذب المدارس القرآنية الصغار من ابناء الاقنات ، اذ ان اعتناقهم للاسلام يفتح امامهم ابواب الطبقات العليا وحيث الأتلف من اطفال الاقنات المسيحيين يقدون على الاسلام مع كهنتهم

وحيث دعوة للاسلام هم هؤلاء للتجار وهؤلاء الجنود ، وهذه الجماعات الدينية التشيكية التي نالت عام ١٩٠١ في مصر ، وشركة البعث الاسلامية في الهند ، والنشاطات التي تقوم بها طوائف الاحدية والحمدية الذين يقومون بنشاط واسع في سبيل نشر الاسلام في كل من افريقيا والصين ، واليابان واندونيسيا واميركا حتى وفي اوربا مستعمرين على ذلك حتى بالاساليب التي يعتمد اليها المبشرون المسيحيون ، شاحين في المسيحية ديانة الاجانب ، ومتينين في لاستعمار الاوروبي بضاً للحروب الصليبية . أفلم يشبه الخيال ألتني دحول حبشه فانحاً الى القدس الشريف عام ١٩١٧ ، بدخول الصليبيين اليها ؟

١ - فترة ما بين الحربين

وجد الشرق الأدنى فلسفه بعد الحرب العالمية الاولى ، مجرداً الى العالم الاسلامي مجراً ومردود مصطلحتي نفوذ ، وفقاً للاتفاقات سايكس بيكو . فقد اعطت عصبة الامم عرباً لانتداب على دول الشرق الادنى وان ثلثت ان قصت سريعاً على دولة سوريا تحت رئاسة الملك فيصل وطردته من البلاد كما اولت انكسار الانتداب على فلسطين بعد ان اعلنتها لبلور وزير خارجيه انكساراً وطناً قومياً لليهود ، وعلى شرقي الاردن وعلى العراق . ومن هذه الوعود التي قطعها البريطانيون للعرب لم تحترم سوى استقلال الجزيرة

العربية النسبي . فالوضع في العالم الاسلامي يبدو على هذا الشكل : خمسة اقطار تتمتع رسمياً بالاستقلال هي تركيا وايران وافغانستان والجزيرة العربية واليمن ، الا انها تخضع فعلياً للحماية ولو بصورة غير مباشرة ، او تصجز اصلاً عن ان تحيا حياة مستقلة . أما ما تبقى فيجمع لدولة اوروبية : ففرنسا تهيمن من جهتها على دول الشرق الأدنى وشمال إفريقيا وامريقيا السوداء الاسلامية ، كما تهيمن انكلترا من جهتها على مصر وفلسطين وشرقي الاردن والعراق وعلى مشيخات الخليج العربي ، وعلى الهند وماليزيا ، وتحكم هولندا باندونيسيا ، وابطاليا بليبيا والاريتريا وبلاد الصومال ، واساميا بشمال المغرب والقي ، والاتحاد السوفياتي بالقرغستان . ففي فترة ما بين الحربين بينا ثقي المستعمرات الفرنسية بنأى عن نشاط المراكز الاسلامية الكبرى وتأخذ لها موقفاً سلباً ، نرى الاقطار الأخرى تحاول على اعداد متفاوتة من التصحاح والفتل ، زحزحة نير السيطرة الأجنبية عليها .

كانت تركيا أول دولة تحررت من عقابيل هزيمتها الكراء في الحركة الإصلاحية في تركيا الحرب العالمية الأولى فبعد ثورتها الأخيرة ، فتكت من تأسيس دولة حديثة على الطراز الغربي .

فقد حردتها معاهدة سيفر في ١٠ آب ١٩٢٠ من كل ممتلكاتها الواقعة الى الجنوب من آسيا الصغرى ، ومن ارمير وملحقاتها ، ومن تركيا الشرقية باستثناء الاستانة وصواحيها . وقد وجدت خلاصها في هذه اللفظة الوطنية التي قامت بها على يد الصالح الاكبر مصطفى كمال ، اندي الزوى في آسيا الصغرى وحدر الرأي العام والسلطان من الدول بأي تنازلات حفرافية جديدة واجتمع في فترة المجلس الوطني وشكل حكومة تولى هو رئاستها .

هدد قبل أي شيء آخر الى إعادة تنظيم الجيش وطرد اليونان بعد ان ألحق بهم عام ١٩٢٢ هزيمة نكراء في معركة أميون وبذلك حرر كل بلاد لاناصول وبعد هذا النصر المبين فرض في لوزان عام ١٩٢٣ معاهدة جديدة حررت تركيا الى الابد من الامتيازات الأجنبية واصبحت تركيا دولة ذات سيادة ، قومية ، لا تعرف من الاقلية غير اليونان والارمن المحصورين في ستانبول وادرية والاكراد الذين خضعوا لسياسة تركريك شديدة ، توصلوا لنزع عصريتهم الميرة ولذين استمدفوا للدمي والثريد بالجملة بعد الثورة التي قاموا بها عام ١٩٢٥

انصرف مصطفى كمال الى تنظيم العهد الجديد باصدار عدة مراسيم يؤلف مجموعها ما يدعى بالكبالية التي تقوم على دكتاتورية لها قاعدة شعبية مؤلفة من حرب الشعب وضع له برنامجاً مؤلفاً من ست نقاط اشادت بموجه جمهورية صناعية تقدمية ، وطنية تورية وبالانقضاء حيناً والصنط أحياناً جرت عصرة المؤسسات الوطنية : كاختيار انقرة عاصمة جديدة للجمهورية ، وإلغاء الخلافة الاسلامية عام ١٩٢٤ ، وهي تدابير تشير بوضوح الى التحول الكامل من الماضي . فالدولة القومية اساسها نظرية تاريخية تقول بأن الأترك ليسوا مغولاً ولا طورانيين ، بل من المرق الأري الاصيل يتصل بالسومريين والحثيين بنسب عتيق وعلى هذه الدولة ان تتهجر تماماً

من كل نفوذ احضري واعتبارات دينية ترمي استغلالها وتخدم منه . وفي هذا السبيل اتخذت عدة اجراءات حولتها في دولة علمانية تفصل بين السلطة الزمنية والسلطة الروحية ، كالغاء المحاكم الشرعية ، وقرض التعليم العلماني واستبدال الجمعة كيوم عطلة بيوم الاحد . واعتماد التقويم الغريغوري ، وتحريم الطربوش وتحريم الشغل الديني والماء الدراويش ورجعة القرآن الى اللغة التركية . كذلك اعطى البلاد تشريعاتاً مدنية مستوحى في مجموعه من القانون الالماني والابيطالي والسويسري . الا انه اضطر ان يحسب حساباً للمقاومة التي تبديها الاوساط الاسلامية المحافظة في عام ١٩٢٨ ألغيت من الدستور المادة التي تجعل من الاسلام دين الدولة الرسمي . وفي هذه السنة بالذات من الحزب اللاتسي يحل الحزب العربي تسلياً منه لعصرية البلاد ولتسهيل تعلم اللغات الاوروبية ، وقطع كل صلة مع ماضي البلاد ونقل الامنة التركية الى جو ثقافي جديد . ولعل هذا هو من أهم الاصلاحات التي حققتها البلاد مع القانون الذي ساوى في الحقوق المدنية والسياسية بين الرجل والمرأة وحرر المرأة وفتح أمامها ابواب المعرفة والتعليم على مصراعيها ، وبذلك احلّت المرأة المقام الذي يجب ان يكون لها في المجتمع ، كما ألغى المحاب . والتعليم الذي يستوي أمام المرأة والرجل يوصي بالتعليم المختلط وهو مجاني وإلزامي في المرحلة الابتدائية كما صاعف من عدد المدارس والمعاهد التربوية في البلاد لتأمين المزيد من اصحاب الاختصاص والتقنيين الافراد ليعملوا على الاجانب .

تغيير الوضع الاقتصادي أما السياسة التي انتهجتها الحكاية في المجال الاقتصادي فتتسم بالروح القومية والتأميم . ففصل قبل كل شيء العناصر غصير التركية التي استأثرت حتى لأن باقتصاديات البلاد كالدائنين واصحاب الامتيازات ووضع حداً للقروض ، باستثناء بعض منها قصيرة الامد احدها من الاتحاد السوفياتي واشترى تناسلاً الاستثمارات التي يملكها الاحباب ، ولا سيما شبكة الخطوط الحديدية . وحاول ان يجعل تركيا دولة تكفي نفسها بنفسها ، والاستملاء قدر استطاع عن الاستيراد بتشجيعه الصناعة لكي تستفيد من خامات البلاد ومواردها الاولى كما رعى بذوع خاص الصناعة الكبيرة . وانتهج سياسة شديدة من الحماية الجركسية كما خفض الضرائب وشجع الطلب كما شجع الصادرات بتسليف الاعتمادات اللازمة عن طريق البنك الاهلي . ولما كان في السكان يعملون في معاشهم على لزرة كان لا بد من توجيه حناية كبيرة لمراعاة البلاد الزراعية وتشجيعها ، اذ ما شاء توسيع السوق المحلية وتشجيع الصناعة في البلاد . والحال ان معظم الفلاحين هم من صغار الملاكين تراوح مساحة الارض التي يستعملها الواحد منهم بين ٤ و ٦ هكتارات نصفهم لا ارض هم ولا مرارح ، وهالك مساحات شاسعة من الاراضي الزراعية في الجنوب لا يستغلها اصحابها من كبار الملاكين المغاربة لعدمهم عنها ، كما ان أساليب الزراعة ولاعتدة المستعملة هي بدائية جداً ومتأخرة . وخيرية العشر التي كانت حبايتها تؤدي الى تجاوزات كثيرة استبدلت عام ١٩٢٥ بصريية عقارية على الايراد ، وتأسست في البلاد تعاونيات عديدة للتسليف الزراعي

وليس المحاصيل ، والمصرف الزراعي الذي يقوم بمراقبة هذه التعاونيات ويشرف على السوق المحلية يشتري المحصول ويسلف الاعتمادات اللازمة بعد اجراء معاملات الرهن .

لم تكن نتائج هذه الجهود في عام ١٩٣٩ مهمة بمدى : فالعمال الموصوفون او المهرة يتوفر وجودهم في البلاد ، واصحاب رؤوس الاموال المحليين يتحفظون حسداً ، كما ان عدم توفر الرغبة في الاستثمار وضعف توفر كل ذلك حداً كثيراً من قدرة البلاد على التطور . فعدد الاميين في تركيا اوروباً لا يقل عن ٦٦٪ بينما هو ٨٨٪ في تركيا آسيايين الرجال ، و ٧٩ و ٩٧ بين النساء ، وكان عدد المهارث الزراعية المستعمدة في طول البلاد وعرضها لا يتجاوز ٢١٠ ٠٠٠ محراث من الحديد لقاء ١٢٠٠ ٠٠٠ محراث خشب . والمجري الميزان التجاري لا يزال في حدود ٢٥٪ . وعدم المساواة الاجتماعية يبدو فاضحاً ، إذ ان فئة غشبية من السكان عرفت ان تستفيد من الجهود التي بذلتها الحكومة ، وهي جهود اقتصرمت على المجال الصناعي وحده دون المجال الزراعي . وتقع اتاتورك بعمود دولي عظيم ، حتى في العالم الاسلامي حيث اثارت اصلاحاته العلمانية ، حفيظة الرجعيين والمترجمين . فقد كانت تركيا الكيالية لجيرانها مثلاً يجب الاحتذاء به والنسج على منواله بعد الجهود العظيمة التي بذلتها لتعطيم الطوق الذي صوبه حوله الفاتزون في الحرب .

مصر
لمصر مظهر خاص ومقام محترم في العالم الاسلامي . فالرغم من معدل الوفيات العالي فيها فمعدل المواليد يبقى مع ذلك مرتفعاً (٤٢٥٪) الامر الذي اتاح زيادة في السكان تلفت النظر (١٦٥٠ شخصاً في اليوم) في رقعة ضيقة من الاراضي الزراعية تحف بها الصحراء فهي واحدة تزخر بالسكان بمعدل لا مثيل له في العالم . فالاجانب فيها وندم ٢٢٥ ٠٠٠ عام ١٩٢٠ ، بين ١٦ مليون نسمة من سكان البلاد ، كانوا يشكلون ٥٣٪ من الغيرة العامة في هذه البلاد ، وكان عدد من الفرنسيين والاسكندر يشغلون في الادارة مناصب عالية . فليس بغريب قط ان يتمرر أبناء البلاد من سيطرة الاجنبي فيها وهي مركز النهضة العربية الادمية والفكرية وياعنة الروح الاسلامية . احدثت على دخول الحرب فقد استباح الجيش الانكليزي ارضها وراحت فريسة ألوان من اعمال المصادرة لمحصولها من القمح والقطن ، كما تضررت كثيراً من اعلان الاحكام العرفية . ثم ان اعلان الحماية البريطانية على البلاد في كانون الاول ١٩١٤ ، أريد به تحويل الاحتلال الذي وقع سنة ١٨٨٢ الى نظام موصول من الحماية ، فليس من عجب ان فتنتمش المشاعر القومية فيها وتقيم المظاهرات الضخمة عام ١٩١٨ .

والنشاط السياسي والكفاح ضد الاحتلال البريطاني انحصر على لخص في حزب صغير من المجتمع المصري . وهذه الدماء من الجماهير الشعبية التي يوصف معظمها في الجهل المطبق ، لم تكن تأثرت بعد الافكار الجديدة . فبين كبار الملاكين ، بعض العناصر التي اخذت بأسباب المدينة الحديثة ، وتألقت في القاهرة ، اكبر مدن القارة الافريقية ، طبقة وسطى تعود بأصولها

الى الزيف ، فخرج اصحابها عن المدارس التقنية ، وعن الجامعة ، وبقيت مع ذلك محافظة على تقاليدهما في حياتهما اليومية ، تحسن الفرنسية والانكليزية وتأثرت بالافكار الاوروبية . وقد صحت هذه الطبقة بين صفوفها العديد من الموظفين من صفار ووسط ، وتجاراً ، وألفت مع طلاب المدارس ، القسم النشط في البلاد . والبروليتاريا الصناعية التي لم تهتم كثيراً بمد الشكليات الاجتماعية ، كانت تشكو من قلة العدد ومن عدم التنظيم الذي يشل حركاتها فهي وطنية في الصميم . ومن بين صفوفها طلع معظم رجاء الحركة المضادة للإنكلير كـرغول باشا . واهدت تطالب الانكلير بالخروج من مصر ، وارضاع السودان اليها ، والمساءلة لاعتبارات الاجبية والحكم المختلطة التي لم يمسد الشعب يطيق وجودها وقيامها بعد ان نصت معاهدة لوزان على إلغائها في تركيا كما زال كل اثر لها في دول الشرق الأدنى والعراق ويران . ان اشياء صدامات عديدة محتلة في البلاد كصانع الزيت واطناس واطناس وحلج القطن . والنجاح الذي صادفه بنك مصر الذي تأسس عام ١٩٢٠ برؤوس موال مصرية وشاهة شركات محتلة تابعة له كشركة الملاحة والطيران ، والمصارف ، والشركات التجارية والصناعية والتأمين على الحياة ، وشركة استثمار المسارح والسينما ، كل ذلك شجع الناس على المطالبة بتحرير البلاد واستقلالها في المجالين السياسي والاقتصادي .

من بين الاحزاب السياسية في مصر ومن اهمها على الاطلاق ، كان حزب الوفد برئاسة سعد زغلول الذي تمتع بشعبية كبيرة . فقد تبني هذا الحزب المطالب الوطني ونظم نفسه تنظيمياً قوياً وقاموا له شبكة من الوكلاء والمرسلين يشرون في جميع قرى البلاد وداكرها كفة للسر لاقبال المحلات التجارية وقبسام المظاهرات والاضرابات ، ومقاومة المضائق الانكليزية واصراب طلاب المدارس . وتكاثرت بين ١٩١٨ و ١٩٢٢ ، حوادث الاضرابات ، والمقاطعة ومهاجمة القطار الحديدية لمحطة الجيود البريطانيين ، واستقالة الوزارات احتجاجاً على احوال القمع الشديدة ، وعلى نفي زغلول وابعادته عن البلاد . ورفضت الامة المصرية رفضاً باتاً مشاريع الانظمة الدستورية التي وصفتها كل من اللورد علنر واللورد كوررون . واصدرت الحكومة البريطانية من جانب عام ١٩٢٢ تصريحاً بالقضاء بنظام الحماية واعلنت استقلال مصر وسيادتها . الا ان هذه السيادة بقيت نظرية دون تطبيق فعلي ، اذ انها احتفظت لنفسها بأربع نقاط اساسية الى ان يتم وضع اتفاق نهائي بين الطرفين ضمان مواصلة الامبراطورية البريطانية (اي قضية القنال) ووضع السودان ، والدفاع عن مصر ضد كل عتداء او تدخل اجنبي ، والحفاظة على الاقلية والمصالح الاحنية .

والعلم الذي خطر لبريطانيا بفرن سيطرتها التامة على السيطرة البريطانية في الشرق الأدنى البلدان الآسيوية في الشرق الأدنى ، كاد يتحقق بكامله فبواسطة مدبريها وممثلها في هذه البلدان امثال لوردس وسيت جون قبلبي ، هيأت اسباب « الثورة في الصحراء » بعد ان قطعت الدورد الشريف حسين بشأمين استقلال الحجاز وباشاء

ملكه عربية . الا ان معارضة فرنسا التي تششت باحترام الاتفاقات السرية المفردة عام ١٩١٦ ، ووقوفها في وجه الملك فيصل واجساره على الحرب من دمشق ، الاح لانكفرا القصة لتتصيه ملكا على العراق ، وتعيين اخيه عبدالله اميراً على شرقي الاردن ، وبذلك كوت دولتين اصطناهتين لا موارد مالية لها ولا جيوش تقوم على حراستها ، ولا سيا الثانية منها ، وضعتا تحت الانتداب البريطاني واستندت الوظائف الكبرى فيها لموظفين بريطانيين . فالجيش العربي الاردني بقيادة الضابط البريطاني هلوب باشا ، أمن عا سلامة المواصلات بين العراق وساحل البحر الابيض المتوسط . وخط انابيب البترول الذي يمتد من الموصل الى البحر . وقد قال فيصل عام ١٩٣٠ لسابوته السياسة البريطانية ، استقلال العراق ، بعد ان عقد مع بريطانيا حلفاً عسكرياً يخول بريطانيا استعمال وسائل النقل ومطارات البلاد .

اما في الجزيرة العربية فلم تلاق السياسة البريطانية مثل هذا التوفيق . فالحكم ابن السعود ، ملك الوهابيين والعدو اللدود للهاشميين الذين يحمون بحماية بريطانيا وعطفها ، استطاع ان يؤلف له جيشاً قوياً (الاخوان) تألف معظمه من البدو واضمر . و استطاع عام ١٩٢٦ ان يستولي تنافها على مدن الاسلامية المقدسة مكة والمدينة وان ينادي به ملكا على الحجاز ونجد . فحركة التمرد ، حاكها في اليمن ، انحصرت في مجال التسليح اذ ان الملكية الوراثية التي قامت على اساس دينية كانت تلف في وجه كل فكرة عصرية الى البلاد

ومن مواقعها القوية في العراق وشرقي لاردن ، استطاعت نكلترا ان تعرض السلام على القبائل لتضافه بفضل بعض الحمايات ، وبفضل الاعطيات السخية التي كانت توزعها ولا سيا بعض فريق من معتمديا المحتصين حسوا اللغة العربية كأسانها وتحرجوا بالعادات والتقاليد المرعية لدى القبائل العربية ، كما احادوا الى حد بعيد بتوجيه المناهضات القبلية والجهت بها . ثم هالك قوى الطيران الملكي البريطانية . اذ يكفي ان يخلق بمصها ، كما جرى في هذه مناسبات فوق الوعود العسكرية السعودية حتى يعود السلام الى مصابه وبرصه الجميع الهدوء .

وفي فلسطين يأخذ اليهود بتنظيم وطهم القومي الجديد بمد التصريح الذي اطلقه الاورد بلفور عام ١٩١٧ ، لان المعروض والاشكال الذي فام عليه هذا التصريح ، سر على قلبك البلاد هواقب وخيمة . فينا رح البريطانيون يؤكدون ان هذا التصريح لا يعني سوى انشاء مجتمع حضاري يتمتع باستقلاله الاداري ورح زعماء الحركة الصهيونية يتحدون منه قاعدة لانشاء دولة يودية لهم .

الى الشرق من هذه القطعة القوية التي تحص ضمها البريطانيون والتي تتألف ايران وافغانستان من البلدان المتاخمة للبحر الاحمر ، وقمت اقطار سكانها مسلمون نصمت ظاهرياً بالاستقلال . وراحت الدولتان القائمان في هذه المنطقة ومايران وافغانستان ، تنهجان على سوال تركيا ، في جهودهم لعمرة بلادهم ، هذه السياسة التي انتهجوها عاجلها انفت

حولها العناصر المتطورة فكرياً وثقافياً . لا انها اصطداماً بالتقاليد الدينية التي تمسك بها
بمصاد سكان البلاد الذين يتسكعون في مهاوي الجهل والجهالة .

فالمصمم ، التي لم تعرف رسمياً باسم ايران الا في سنة ١٩٣٥ ، تعرضت خلال الحرب للاحتلال
من قبل الروس والانكليز لجمعها في مأمن من الدسائس التركية والامانية التي استهدفت لها ، وما
كاد الروس ينسحبون منها بعد ثورتهم الكبرى ١٩١٧ ، حتى فرض عليها الانكليز حمايتهم
المعلية عليها . وكان من شدة استياء الشعب لهذه السياسة ان قام احد ضباط الجيش ، يدعى
رضا خان ، بانقلاب عسكري عام ١٩٢١ ، حمله في نهاية الامر الى تنويع العرش في عام ١٩٢٤
تحت اسم رضا خان پهلوي الذي اتبع سياسة ترمي الى همزة البلاد على قرار عاتم في تركيا ،
بحادراً مع ذلك ان يس مشاعر الاهل الدينية . كذلك اخذ يتحضر القائل الرحل في البلاد
وترحيلهم ، وسد من المكتبات الشاسعة وقلعت بالنالي من «ظاهر كبر الملايين المغاريين» واحد
البلاد بادارة حديثة ومعهم كم قانونية أدت الى إلغاء الامتيازات الاحدية في البلاد ، عام ١٩٢٨ ،
كذلك قام باصلاح في ري السكان ، اد اوى لس الطريوش وفرض ارتداء الكسكيت او القمعة ،
واعطى الجيش تنظيماً حديثاً ، واستعان بفنيين حانب لاصلاح النظام المالي وانشاء شبكة
عصرية من الخطوط الحديدية ، والطرقات المتعدة ، والاقنية المائية الري ، و تأسيس المصانع .
وفرض على الشركة الانكليزية الفارسية للترول شروطاً افضل استفادت منها
ميرانية البلاد .

أما في افغانستان ، والمحاولة التي قام بها الملك امان الله الذي تدوأ كرسي الملك عام ١٩١٩ ،
بامت بالفشل . فبعد حربه الفاشحة ضد الانكليز حرر نفسه من الشرط امروض عليه بحصر
علاقاته السياسية في خارج مع حكومة اهدد الانكليزية . وأسس علاقات دولية مع الدول
الاخرى ، وفرض على سكان العاصمة كابل لس الزبي الاوروي واستعان بمضى الخبراء الفيين
من الاجانب . وحظر عام ١٩٢٨ تعدد الزوجات للموظفين وجميع الملكية بالسفور وطرح
الحجاب ، الا انه تم خلع عام ١٩٢٩ ، على يد نادر خان . وتوقعت بذلك عملية
عصرية البلاد .

تأثير الازمة الاقتصادية الكبرى ساهدت الازمة الاقتصادية التي اطلت عام ١٩٢٩ والنظم
الدكتاتورية التي ظهرت هنا وهناك على تطوير الحركات
القومية في بلدان الشرق الادنى وبين دوله . فالمشكلات الاقتصادية التي شأت عن الازمة
رادت كثيراً في حلقه مجتمع وراثي مهمل ، كما ان افتقار البلاد للتقاليد الليبرالية ، اوجد
فيها جواً لانتشار النظريات والانظمة الفاشية والعسكرية . فائلل الذي ركه اتاتورك ، هذا
البطل الذي عرف ان يصمد بسجاح ويقف في رجه اوروبا ، واندني خلق امة قوية مهية الجناح ،
لمحة قاطعة وبرهان ساطع على امكانية دولة قومية قوية تتمتع بالاستقلال الساحز ، في مدة
وحيرة سميأ . ان التطور العظيم الذي احدثه بأسبابه لوطن القومي اليهودي في فلسطين حيث

توافد المهاجرون اليهود بأعداد ضخمة عدت بأهراق المناصر العربية في بحرهما ، آثار هاجماً عبقاً بين سكان البلاد . وراح المؤتمر العربي لمعقود عام ١٩٣١ يوصي بوقف الهجرة اليهودية وراح يستنهض الشعور الاسلامي .

ان احتلال إيطاليا للعثة ، عام ١٩٣٥ شكل خطراً مدهماً على الدول المجاورة ووطد نفوذ الدول الدكتاتورية وبعث فيهم الشعور بان في مقدور أي دكتاتورية ان تحقق كل شيء . وقامت الدعوة الالمانية والفاشية بعد هذا تؤمن كل شيء . ودش المارشال بنالو في ليبيا منذ عام ١٩٣٣ سياسة مذبذبة تجاه ابناء البلاد ، كما ان الدبلوماسية الإيطالية وقفت الى جانب العراق ، في عصبة الأمم ضد الانكليز ، عام ١٩٣٥ ، واني جانب سوريا ضد فرنسا ، عام ١٩٣٤ ، وعضدت القضية العربية ضد الصهيونية . وسارع الالمان لم يد المساعدة للعرب في قورتهم ضد الانكليز في فلسطين ، واخذوا يمتدبون الى جامعاتهم عدداً كبيراً من الطلاب في الدول الواقعة في الشرق الأدنى ، كما راح طبرال فرانكو من جهته يؤازر الحركة القومية التي نهض بها السيد عبد الحالك الطريس بين المغاربة . وتشكلت في جميع بلدان الشرق جمعيات وهيئات مظافية قوامها الشباب ، لها شاراتها وروحاً وتنظيماتها شبه العسكرية الخاصة ، سها مثلاً مصر الفتاة ، بقصانهم الخضراء تحت اشراف مؤسس الحركة المرشد احمد حسين ، والغرب الوطني السوري ، والكتلة الوطنية والمنتدئ العربي في العراق ، وغيرها . وحملت الاضطرابات التي وقعت في مصر عام ١٩٣٦ الحكومة المصرية على تقديم استقالتها ، وتمكنت من حمل البريطانيين على بدء مفاوضات ادت بها الى الاعتراف من جديد باستقلال مصر وفي سوريا ، وقعت مظاهرات عسيفة وحوادث اضرابات عامة دت الى اقفال ، لاسواق والمحلات التجارية اكثر من سبعة ايام ، كما ان الاشتاكات الدامية بين قوى الامن والمتظاهرين في دمشق وغيرها من الدول السورية الكبرى ، كل ذلك ادى الى عقد معاهدة مع فرنسا وعدت البلاد بالاستقلال الناحز . وفي فلسطين حمل الانتعجار الوطني العنيف ، الانكليز للبحث عن حل سريع للمشكلة الصهيونية ، واني لتدبل محسوس في سياستهم في هذه البلاد

٢ - نتائج الحرب العالمية الثانية

كان للحرب العالمية الثانية التأثير الحاسم على التطور الذي احد الشرق الادنى بأساسيه . فالروح القومية التي كانت ، حتى ذلك ، وقفاً على قسم من الطبقات الموحدة ، حمت الاوساط الشعبية وكهرت منها المشاعر والاحاسيس في هذا الوقت بالذات الذي اشتد فيه تسلل العرب واستحكامهم واسوة ، جرى في كل البلدان الراحة تحت السيطرة الاسمية فقد رصمت المنطقة المنكورة كل ثقلها ووردها في الحركة القومية التي عاشت بها البلاد وذلك دفقاً منها للحوادث واستدعاء لانقلابات المصيرية بعد ان ضاقت الصدور بهد الاقتصاد المتخلف الذي كانت

عليه وضعهم وهذه الاحوال والاضاح الاسماحية البالية التي تعيق سيرهم الى الامام . وفي الوقت ذاته اصيب الاسلام بوصفه نظاماً دينياً صدمة عنيفة . مع العلم ان هذا التصادم بين الملتزمين الرحيمين وبين انصار التعدد لم يمس بشيء طاقته على الانتشار والتوسع الذي بدا على اشده في افريقيا خاصة .

ففي الحرب العالمية الاولى ارتدت الاحمال الحربية في بلدان الشرق الادنى طامعاً لاوياً . والنصر المبين الذي حققه الحلفاء اضع لهم ان يصعدوا الى اقطاره نفوذهم كاملاً غير منقوص وان يوسعوا بالاضافة الى ذلك ، من رقعة سلطنتهم على بعض بلدانه . والاهمية الاستراتيجية التي تتمتع بها هذه البلدان بررت بأعلى وضوح خلال الصراع الجبار الذي قامت به امبراطورية هتلر ضد القوى البحرية لانكلوسكسونية ، وقد شهد شمالي افريقيا معارك طاحنة للسيطرة على قنال السويس ، كما ان الحلفاء احتلوا جزءاً من ايران وشهدت سنة ١٩٤٢ مواقع مدورية في الوقت الذي كانت اليابان تسجل في الشرق انتصارات وفتوحات ادخلت تحت سيطرة شعب هتي ببعض بالقوة والنشاط ، اكثر من ٦٠ مليوناً من السفين ، كما بلغ رومل في رحفه الحاطف عبر الصحراء ، ٦٠ كيلومتراً لا غير عن الاسكندرية ، واداً باسلام شمالي افريقيا يلع فجساة تحت سيطرة الامكلوسكسون .

فقد عادت الحرب على الاجمال بالفائدة لمجموع هذه البلدان . فباستثناء ليبيا وتونس اللتان ألقنا ساحة حرب ، فلم تتألم هذه البلدان كثيراً من احوال الحرب . والحاسائر التي اصابته المجددين من انائها كانت خفيفة جداً بالنسبة لعدد السكان وللتطور السريع الذي سجلته . فقد باع بعض هذه الاقطار انتاجها من السكر والقطن بأسعار عالية ورجحوا كثيراً من هذه الانشاءات للخدمة التي استدعت القيام بها الاعمال الحربية في اراضيها : كالخط الحديدية ، وابشاء المرافئ وشق الطرق وبناء المطارات . والمؤسسة الانكليزية التي اصبحت انكليزية اميركية عام ١٩٤٢ وعرفت باسم « مركز توين الشرق الاوسط » تولت لتسيق الحياة الاقتصادية في هذه الشعوب ، وساهمت في تطوير بعض الزراعات وبعض الصناعات كما نظمت حركة التبادل التجاري بين هذه الاقطار التي استلزام بعضها من قانون الاهارة والتأخير . وفي مؤتمرات مرسيسكو كان لاكثر هذه الدول ممثلون حضرو المؤتمر المذكور بينما لم يحضر أحد منها مؤتمر السلام في باريس عام ١٩١٩ ، فقد وجدوا انفسهم وحياً لوجه مع الدول الاستعمارية المتحركة وأمام متصرفين حلالين لها الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة الاميركية ، اللذين اخذا يؤكدان عداوتها للنظام الاستعماري القديم .

كذلك جاءت احزاب ثبوت لابناء هذه البلاد ، من جديد خرافة لتقوى الاوروبي كما ادخلت في روعهم ان تنفي الثقافات الغربية واقتناسها يعود عليهم بنيل استقلالهم وقايدته .

النفط والغاز
من هذه العوامل المهمة في تطوير دولة الشرق خلال الحرب وما بعد
الحرب النفط والبر المظلم الذي لعبه في توفير ثروات طائلة هاد به
عليهم هذا السائل الأسود الذي يفيض به بطن لارض عديم والذي يمثل ٧٠ بالمائة من الثروة
في العالم ، و ٣٨ بالمائة من إنتاج العالم له عام ١٩٥٧ ، مقابل ٥٧ بالمائة عام ١٩٣٨ . وتدخل
انكلازا واميركا المستمرة بأمور هذه البلدان وشؤون هذه الاقطار السياسية والاقتصادية بحسب
رده اساساً ليس الى ما لها من موقع ستراتيجي يكون محور الامبراطورية البريطانية ومثلتي
دفعوا الاتحاد السوفياتي والعرب فحسب ، بل ايضاً وبالأكثر لوجود هذا الاحتياطي الضخم من
النفط في العالم . فقد كان الشرق لاوسط حتى عام ١٩٣٣ ، امجال الذي كان أو كاد ان يكون
وقفاً على شركة بترول العراق وشركة النفط الانكليزية الاربية ، ثم دخلت شركات كبرى
عديدة من انكليزية واميركية تسهم في استثمار هذه الثروة البترولية الضخمة ، واقامت الحرب
لها الظروف المؤاتية لتسهيل تقديم كبير في هذا المجال ففي أواخر عام ١٩٤٤ ، ظهرت
الشركة العربية الاميركية للنفط (ارامكو) ، وتوصلت الشركات الاميركية ، عام ١٩٤٦ من
الحصول على امتيازات جديدة للتغلب عن البترول اثر الصعوبات المالية التي ألمت فانكلازا .
وتشكلت كتلة قوامها السوكومي فاكوم والشاندرد اويل وقالت امتيازاً مدته ٢٢ سنة حصلت
، ووجه على قسم من نفط الشركة الانكليزية الاربية والشركات الاسكندنافية والاميركية
المتنافسة فما بسما تقوم بعمال التنقيب في كل بلدان الشرق الأوسط والبحار المحيطة بها في الوقت
الذي اخذت فيه الحكومات تكثرت من بناء القواعد الجوية والبحرية ، كما تشتد فيها سياسة
التدخل ليعم نفوذها ولتقوية مواقعها

والنشاط المتزايد في استثمار الثروة البترولية كان من بعض آثاره قلب نظم الحياة في بعض
هذه البلدان رأساً على عقب ، وذلك ناشئ منطقة رأسمالية متقدمة في هذا الشرق الأوسط
المتحالف الذي اقتصر فائده على بعض مناطق مادية معظمها مالية صحيح ان هدا من
رجال الدول تركوا حياة البداوة وعملوا موظفين لدى بعض شركات النفط او في محطات الضخ و
في حراسة حط الانابيب ، الا انهم يتنوع نسبة هزلة من اليد العاملة المحلية ٣٤ ، ما يات من
مجموع السكان والانتاج في مجموع تقريباً لا يخص أي تصنيع محلي ، فالقوة لا تحصر في
بعض المائدت تدفعها الشركات لشيوخ هذه الامارات وحكام تلك الاقطار . والشركات تدفع
مبلغاً مسبقاً قبل المباشرة بأي استثمار كما تدفع رسماً معيناً بالنسبة لوحدة الانتاج . وتمنع هذه
الشركات الى جانب هذا بحرية تكاد تكون كاملة ، دون أي مراقبة البتة لا على وسائل الاستثمار
ولا على الجهات المستفيدة منه . فهذه اصنام « امبراطورية صناعية في قلب دولة عجيبة »
لها كل مميزات دولة اجنبية مع حق نزع الملكية واستيراد الاهدنة معفاة من كل رسم جمركي ،
واعداد المواضع والشاء الطرقات والخطوط الحديدية . والشركة الاسكندنافية الاربية البترول
التي لها امتياز حقول البترول في جنوبي ايران هي مثل على القوة التي تتمتع بها شركة

استثمار من هذا الشكل في قطر من افطار الشرق . فقد كان في خدمتها اكثر من ٧٠.٠٠٠ موظف وكانت المعاشات والرواتب التي تدفعها لعمالها وموظفيها تؤلف مصراً هاماً في حياة البلاد المالية . فالنصف الموصول الذي تمارسه على اولى الامر والمسؤولين في ايران ، يشكل مرتكزاً هاماً للسياسة البريطانية في ايران ، ولذا كانت لها الحركة القومية في هذه البلاد بقصاً جميعاً ، لا سيما اذا ما عرفنا ان الرسوم التي تدفعها الشركة والاحور وعن الادوات والحاجيات التي تشتريها من البلاد لا يوازي ١/١٠ من الدخل القومي ، وهو شيء رهيد جداً بالنسبة لـ ٣٣ مليون طن من البترول الذي تستخرجه وتصدره الخارج ، والذي يحصل من ايران الدولة الرابطة بين الدول الكبرى المنتجة للبترول في العالم . وعندما قرر مصدق رئيس وزارة ايران عام ١٩٥١ تأميم الشركة وموحداتها ، هككل قوة بريطانية لمحركت دعماً عن الشركة ومحافظة عليها . وضع الحجر على البترول الايراني الذي استثمرت الدولة باستثماره والضبط على الشركات الاميركية حتى لا تحس بحمل الشركة البريطانية الايرانية . وحدث في آخر لحظة ، وفي الوقت المناسب ثورة اطاحت بالحكومة الوطنية واعادت الى الحكم حكومة اظهرت استعدادها لاهادة الامور الى مجراها .

والمنافسة الشديدة التي تقوم بها شركات النفط الكبرى ومن ورائها حكومات الولايات المتحدة الاميركية وبريطانيا تظهر على انها في كل افطار العالم العربي . فالمشكلة التي تارها حادث احتلال مفرزة من الجيش البريطاني لواحة البويري في قلب الجزيرة العربية ليست سوى مثل بسيط لهذا التنافس بين الارامكو وشركة نفط العراق ولم تلبث ان ارتدت طائفاً دولياً . والحادثة الجديدة التي وقعت عام ١٩٥٧ وراحت تهدد في الصميم المكاسب العظيمة التي تجنيها هذه الشركات ، ترتبط بالاتفاق المعروف باتفاق مائتي بين شركتي دولة وليس بين شركتين خاصتين ، هما الشركة الوطنية الايرانية للبترول والشركة الوطنية للوقود اللتين قترحتا عقد اتفاق جديد لورج توحبه عائدات الشركة ليس ٥٠ - ٥٠ كما هو متبع اليوم ، بل ٧٥ - ٢٥ ، وهي شرط في صالح الدول المنتجة للبترول . فالاهراء كبير والتجربة لا تدفع امام هذه الدولة بالاخذ بمثل هذا الاتفاق المغربي والدخول في سباق التأميم .

حتى في هذه الحالات التي تستخدم فيها العائدات والمبالغ المسقة لتحسين اوضاع هذه البلاد ، مهدد الثروات الهائلة التي هبطت فعلاً على هذه المشيخات والامارات تتح لهم المجال بتكوير ثروات اسطورية يبددون معظمها في اللهو والمعث هون ان يكون لها كبير اثر في تحسين اوضاع البلاد الاقتصادية ورفع مستوى المعيش بين افراد الشعب . ان استثمار رأس المال الاجنبي لثروات البلاد الطبيعية يثير الاستياء الشديد بين الزعماء الوطنيين ويقوي فيهم المزم على التحرر من السيطرة الاجنبية ، لا سيما وهم يعتقدون ان هذه الموارد التي يهبث بها على هذا الشكل والتي تتفق على تأمين وسائل الاستمتع والمذاة على اختلافها ، يجب ان تخصص في سبيل

تصنيع البلاد وبذلك يضمنون حداً لهذا التوسُّع وهذا الشَّعْبُ المربع الذي تتسكع فيه الجماعات الشعبية .

فالتغييرات التي طرأت على الاقتصاد في الشرق من جراء اقتباس نظام الملكيات الكبيرة بالنسبة للتغيرات المصرية في فترة ما بين الحربين كان من نتائج ارتفاع عدد السكان في المدن ، الذين مثّلوا ٣٩٪ من مجموع السكان في سوريا ، و ٣١٪ في العراق و ٣٥٪ في مصر ، و ٤٠٪ في لبنان و ٦٩٪ في إسرائيل . وفي مصر بلغت الزيادة ٥٣٪ بين ١٩٣٧ و ١٩٤٧ ، بينما لم يرد ارتفاع عدد السكان إلا بنسبة ٢٠٪ ، وفي تركيا ٣٧٪ على ارتفاع في السكان بلغ ١٧٪ فقد تجاوز عدد سكان الاسكندرية والقاهرة المليون في الأولى والمليونين في الثانية وسكان حبرون ارتفع عددهم من ٥٣٣٤٠٠٠ الى ٩٩٠٤٠٠٠ بين ١٩٤٠ و ١٩٥٠ ، وفي عمان ، ارتفع عدد السكان من ٢٥٤٠٠٠ الى ١٠٠٤٠٠٠ . وفي هذه المدن التي ارتفع عدد سكانها بهذه السرعة ، يجلب التدفق بالنسبة للتفاوت في الدخل اتساع ورحب أكثر فأكثر ، ومستوى المعيش بين هذه الجماعات النشوية المنخفض ومبط نتيجة محتومة للتفاوت العظيم في توزيع الملكية العقارية والتضامن الديموقراطي . ففي العراق راح رؤساء القبائل التي حصرى تحضرها واسكانها ، والنسلاء وكبار الموظفين في البلاد ، يصابون بملكية القسم الأكبر من هذه الأراضي التي كانت القلائل لرحل تقيم عليها . وفي خلال ٣٠ سنة ظهرت طبقة جديدة من الأغنياء العقاريين الذين استملكوا هذه الأراضي والمزارعون الذين لم يصيبوا سوى ٢٠٪ من هذه العقارات اضطروا للعمل فيها بأجر لا يبلغ أحياناً ١/٤ غلة الأرض وأحياناً ١/٢٠ حتى ١/٢٠ . فتعفن أمام وضع من أسوأ ما يرى من أمثاله في كل الشرق . وهذه لاقطاعية العقارية بعدها في كل من سوريا وإيران حيث كبار الملاكين العقاريين الغالبين من أراضيهم يملكون ٦٠ - ٧٠٪ من الأراضي الزراعية ويصيبون ٥٠ بالمائة على الأقل من علال الأرض . ففي مصر حيث ٧٢ بملانة من مجموع السكان يملكون ١٣ بملانة لا غير من الأراضي الزراعية ، ترى ٢٢ بملانة منهم يملكون ٢٠ بالمائة من الأرض و ٤٤ بالمائة (أي ١١٤٠٠٠ عتار) يملكون ٣٧ بملانة ويزداد عدد السكان هذا بسرعة مذهلة (فعده المواليد فيها يبلغ ٤٠ بملانة) كما أن اليد العاملة متوقفة جداً في الوقت الذي بقي آخر العامل اليومي على حاله بين ١٩١٤ - ١٩٣٩ . وفي قلب البلاد العربية ، فالمشايخ الذين يقومون بأمور السلطة يستأثرون بالنعوائد التي تدفعها لهم شركات الزيت كأمر الكويت مثلاً الذي يهيبه ٦٠ مليون ليرة اسكلمرية (بحيث صعدوا أغنى أغنياء العالم في كثير أقطار العالم فقراً) . وهم يرون مرارهم بواسطة طبقات عصرية ، ففي كل مكان يرى اغنياء الملاكين العقاريين يجهرون بأصواتهم باعثة زراعية تكلف عالياً ، ويحصلون من الفلاص صخفي أو ثلاثة اصماف ما يحصل عليه حارم الملاك الصغير ولن يلبثوا ان يبتاعوا أرض المجاورة لهم وهكذا ففي الحين الذي ينهار فيه النظام القبلي القائم على مساواة تبرر اقلية قوية تأخذ بالارتضاع بينما تتسكع الجماعات الربعية في الشَّعْبُ وتتكون في المدن بروتيتاريا جديدة بلاسة هي الاخرى .

والسكان يتزايد عددهم بأسرع مما تزدهر موارد الرزق ووسائل العيش في البلاد ، في وقت يحول نظام الملكية دون استثمار مساحات شاسعة من الأراضي الصالحة للزراعة وتعمير قبة موارد الدولة عن تأمين عمال الري والسقاية التي هي أساس كل انتاج زراعي . فالتطور الصناعي في المدن ضئيف ، والصناعة اليدوية التي تأثرت كثيراً من استيراد المواد الجاهزة أخذت بالانحطاط ، ومجموع الانتاج الصناعي (بما فيه النفط) لا يزيد عن ١ بالمائة من الانتاج العالمي . ففي أي من بلدان الشرق الأدنى هذه الانتاج الصناعي لا يساهم بأكثر من اندجول القومى . والقدرة الانتاجية ضئيلة جداً وكان على هذه الصناعات التي يعشنه الحروب في كل من تركيا ومصر ، ان تكيف نفسها ، بعد ان وضعت الحرب ورائها ، تستطيع الوقوف بوجه المنافسة الدولية التي اصابها في الصبح . ولذا رأينا دخول الفرد الواحد مصحفصاً حذاء ، ودى من ١٠٠ دولار في السنة في معظم هذه الأفكار ، فهو ٨٠ في العراق ، ٤٠ في الجزيرة العربية و ١٥٠ في لبنان وفي تركيا ، ومعدل الاستهلاك الذي يمكن مقارنته من هذه الساحة بالمعدل الذي تسجله اميركا اللاتينية ، هو ادى من مثله حتى في بلدان شرقي آسيا . فالدولة اعجز من ان توجه نفقات الاستثمارات الضرورية للمعارضة التي تلاقها من طبقة الاعتياء ، كما ان ورياتها مصدرها الصربية على الاستهلاك والرسوم الجركية (٦٠ - ٧٠ بالمائة من وريادات الخزنة . فالتفقات العامة تروح في معظمها مرتبات لموظفي الادارة وتبذل في وجوه اخرى .

وهذا الفقر المتدفع يصحبه دوماً الرأيا المألوفة قلة التمدية ، وسوء الحالة الصحية والأمراض التي يجرها الدوس ورائه ، ولامية (يتراوح معدلها بين ٨٠ - ٩٠ بالمائة من مجموع السكان) . ففي كل مكان يعيش الفلاح في ظروف واورشاح لا تحتمل .

فلم يرف في محل كان الدول المتقدمة في الماضي القريب ولا هذه لاولي ممارسات التي عشتها ، تحاول اصلاح نظام الملكية القديرة كعلاج موصوف لسد المعز في الانتاج لراعي فكبار الملاكين القديرين ، نشد من ادهم اصلاح الانكولوسكسوية في هذه البلاد ، يقعون بعباد في وجه كل محاولة اصلاح من هذا القبيل . ومن جهة أخرى ، فالتوسع في حركة تصبيع البلاد يقتضي لها العديد من التقييد الذي تقتره اليهم البلاد . والنشل القومي المتدي وتوزيعه عبر المعادل يميلان لوفر واحطاً وفي التوزيع ، وتبقى القدرة الشرائية متدية ، لاهر الذي يحد كثيراً من قدرة السوق المحلية . فالتسليف القصير والطويل الاجل تبقى عملياته ضئيلة محدودة ، والاستثمارات عاجزة .

الان التوسع في التعليم وانتشاره المتواصل منذ الثلاثينات حتى الآن ، سواء أكان مكتباً وغتل في هذه المموت التي ترسل الى الجامعات والمعاهد الأجنبية في الخارج ، خلق في البلاد طبقة من المفكرين والمتعلمين جاوزوا على لاجمال من طبقة درس من الطبقة التي احرجت الطبقة الموحدة في الغرب . وقد تأثرت هذه الطبقة الجديدة ، على اقدار مختلفة بالنظم العاشية التي استبهر شأنها

القلق الاجتماعي وثائجه
السياسية

حتى عام ١٩٤٣ ، وهي على علاقات وطيدة برؤساء الجيش وقادته الذين كثيراً ما انحدروا هم ايضاً من طنقة متواضعة ، وهذه الطنقة الجديدة هي التي تلعب اليوم دوراً بارزاً بإعداد اعمية يوماً بعد يوم في قارة لميجات وتنظيم الاضطرابات ضد الدول العربية المسيطرة ، وتهاجم الطنقات الموحدة القديمة بما فيها من المتخصصين والمثقفين والزراعيين ، وهي تطالب باصلاحات اجتماعية وتحسين وسائل اربي والاساليب المستعملة في الزراعة ، كما تطالب بالتحطيط الشامل في كل ما يتصل بالتجهيز الصناعي ، وتطوير التعليم ، واصحافة والراعي بشأن الافكار الجديدة بين جماهير الشعب التي وقعت اكثر وأكثر تحت تأثيره المباشر واخذت تعي شيئاً فشيئاً ان في زوال الطبقة القديمة التي تتألف من السائوت والبيكوت المؤيدين للدول الغربية ، على الاجمال ، يمكن الشرط الاول لكل استغلال حقيقي .

ينتج من هذه الاوضاع مجتمعة حالة من عدم الاستقرار السياسي والطبقة البورجوازية المتعرج معظم نتائجها من المدارس الاوروبية ثبت نظاماً برلمانياً ليس فيه من الديمقراطية سوى الاسم . ففي كل مكان ، تحاول الاقطاعية التي لا تزال قائمة في هذه البلاد والطبقات الشعبية الجاهلة المرتبطة الى حد بعيد بكبير ملاكين العقارين الابقاء على هذه لاوليغارشية الضيقة التي تتألف من محترفي السياسة الذين يعتمدون على الفساد والافساد والعش ويسخرون سياسة الحكومة لتأمين المصالح الشخصية المائدة لنواب الامة ويمثلها ولناخبيهم معاً ، كما ان عدم توفر الأطر الفنية المتخصصة في البلاد يساعد على انتشار الموضى والفساد في اادرة كما يدعو الى الاسراف والالاف في الاعتمادات المالية . وفي سبيل تصفية هذه الطبقات الموجهة القديمة ، التي ترسفت في العجز والفساد ولاصاف والتي كثيراً ما تتخذ لها 'تكاء' من الاجسي ، تحاول الحركات الثورية والانتفاضات التحررية التي يقوم بها الوطنيون ان تحرر حكومة ، كما وقع بالفعل في امريكا اللاتينية ، من هذه الهيئة الانتخابية التي لم تتوفر لها اسباب التعليم ولا تزال في مجموعها تتسكع في الجهل ، والتي تتأثر الى حد بعيد بجاهلية اهل وتخصم بوجه البلاد واعينها والقوى الاقطاعية . والثورة والدكتاتورية هما الوسيلة الوحيدة لحل السلطة بئس من نفوذ كبار الملاكين العقارين الذين يتحكمون بموارد البلاد ويسيطرون على السياسة العامة وهذا شرط اساسي لا بد منه لانجاح كل عملية اصلاح رراعي شامل في البلاد . وقد تنسم هذه الروح القومية احياناً بصفات وسحات متناقضة فهي تؤيد بكون خواها المطالب لديمية الرشيدة التي تطالب باصلاح الحياة الروحية وتلقبها من كل ما علق بها من شوائب والزام التقاليد القديمة التي كانت موضوع احترام الجميع ، كما انها تعارض تحرير امرأة وعصرية اغبياء الفكرية ، الا انها تتبنى مطالب حيائية حريثة جداً 'تكاء' تصل الى الصراع الطبقي ، مع انها حرب عوان على الشيوعية ودعاتها .

هذه التيارات والحركات والسياسات التي لحق بالشعور العربي من جراء تكسار الجيوش العربية امام اسرائيل عام ١٩٤٨ - ١٩٤٩ ، وهي اهانة يجب ردها قبل كل شيء الى خيانات

الحكومات العربية وعجزها ، أدت الى انتفاضات شعبية وثورات ، والى هدم من الانقلابات في كثير من الدول العربية . فلم يبق في كل هذه الدول العربية من اثر او ظل لهذه الديمقراطية الثيائية . ففي عام ١٩٤٥ ، قُتل احمد ماهر بعد ان أعلن الحرب على ألمانيا باسم مصر ، وهوى بعده بضرة حنجر كل من النعري باشا والامام يحيى امام اليمن . وفي عام ١٩٤٩ يقوم الزعيم حسني الزعيم بانقلاب عسكري لم يلبث ان سقط هو الآخر وقتل بانقلاب عسكري قام به اللواء الشيشكلي . وفي عام ١٩٥١ ، قتل الملك عبد الله ، ملك الاردن ، بعد ما هرب من ولائه لبريطانيا واتهم بخيانتة للقضية العربية . وفي عام ١٩٥٢ قام بطل حرب فلسطين اللواء نجيب ، رئيس اركان الجيش المصري ، بانقلاب عسكري أدى الى طرد الملك فاروق الذي اعتبر مسؤولاً عن الفساد والفوضى المتفيلين في مصر ، وعن العجز الذي تكشف عنه الجيش المصري .

وفي هذه البلدان العربية المتخلفة حيث اخذ المجتمع القبلي فيها يزول تدريجياً ، اطلت علينا طبقات اجتماعية جديدة تألفت من التجار ورجال الفكر والمتعلمين وعمل النبط احدثت لطالب باعطاء البلاد دساتير ومؤسسات جديدة وروضع حد لتمد الفساد والتبذير الذي وقع فيه عراوهم ومشايخهم ، والذين راحوا يستلمون آمالهم من هذه المثالية الوهنية التي يلوح بها صوت العرب من القاهرة . وقامت في العربية السعودية اضرابات وحوادث تعريب أدت الى توقيف ععدد ممن كانوا وراء هذه المظاهر وتنفيد الاعدام بالعصم منهم ، ولم تقص حركة الجمع هذه على بعض الجمعيات والمنظمات العمالية التي بقيت تعمل في الخفاء وهي تتلقى المساعدات من بعض النازحين عن البلاد والمقيمين في الخارج ، في دمشق حيث تأسست الجمعية السعودية الاصلاحية ، وغيرهم ممن لجأوا الى الحشمة ومصر لارياتية ، وهي عدن او اقاموا بين همال المراهي . في ليفربول وكرديف ومرسيليا الذين التفتوا حول حزب اليمين الاحرار .

تأخذ الدول العربية ، على الاجمال ، بالتأخر . فقد استطاعت انكسار خلال الحرب من ترحم فرنسا من سوريا ولبنان ، وبعد ان سيطرت بريطانيا في اعقاب عام ١٩٤٣ والانتصارات النولية التي سحلت الجيش الثامن فترة من الدهر على كل سلاطان الشرق الادنى ، وهبست بذلك على كل الشرق بواسطة الجامعة العربية التي شرفت على انشائها والتي تشكلت مائياً عدم ١٩٤٥ ، تحلت عن دولة اسرائيل بعد ان اغدقت عليها من الحماية والرعاية ما اهدقت . الا ان مضطرتها هذه الدولة والمشكلات التي شنت بينها وبين مصر حول مستبدل السودان وحول قناة السويس ، مستت كثيراً من هيبتها وشدعت سيطرتها ومودها ، وساعدت في تصفية النظام القديم الذي اعتمدته والسياسة التي انتهجتها في هذه المنطقة ، حتى في المملكة الاردنية صبيعتها التي اقضت من اراضيها في غرة ١٩٥٦ بكل حشونة ، الجدار غلوت بات مؤسس اجيش الاردني . واشعلت الثورة تهر في هدم حتى وفي الصحري . وتعددت المظاهرات العنيفة

في الشيفات التاسع . وفي محميتي حضرموت وميسان ، عزز المستبدون البريطانيون فيها عن القضاء على اسباب التدمير والشقاق ، بالرغم مما عرفوا به من مقدرة ودهاء . واضطرت الحكومة البريطانية للجوء الى الطيران الميكانيكي البريطاني للقضاء على حركات التمرد المتكررة .

لا شك قط في ان الولايات المتحدة الاميركية حلت الى حد ما ، محل بريطانيا في هذه لارضاء للشرقية ، ووسعت من نفوذها في الحقبين الاقتصادي والثقافي ، في الحين الذي راحت فيه المدارس الفرنسية ، ومعظمها من ، المدارس الكاثوليكية ، تناخر وتسير الفهري ، وذلك لتحويلها عن الطوائف المسيحية في المطلقه وبلاهمية التي اتخذتها اللغة الانكليزية في هذه البلدان ، وهي الوسيلة التي تؤس الاتصالات مع الدوائر العسكرية ولا سيما مع الشركات الصناعية والتجارية الاميركية القوية ، «دبسونيون لاميركيون في بغداد» ، والمرسلون المشيخيون للبروتستانت المتنوعون حول جامعة الاميركية في بيروت ، اخذوا يكثفون من اثناء المدارس ويحشدون اليها الطلاب وهم على شبه البقي بانهم سيجدون وظائفهم في هذه الشركات الاميركية . الا ان الحركة الوطنية لم تحف اذ تضاف من جراء ذلك ، لاسيا والاعتبارات الاستراتيجية التي يخضع لها الاميركيون ، تحميمها ، كما حلتهم في اميركا اللاتينية وفي بلدان آسيا الشرقية ، على مؤازرة الحكومات المحلية ، وهم في ذلك اذ يعارضون الاهداف الاساسية المرجوة من مساعدات لاقتصادية والفنية التي يدفعونها للدول المتخلفة والتي هي بحاجة ماسة الى اصلاحات سياسية واقتصادية اساسية . فالوقوف الى جانب النظام السياسي القائم انما يعني الاعتداع عن كل اصلاح في البلاد . وهذه الجهود التي تبذلها اميركا لتعاظم في وقت واحد على صداقتها لاسرائيل وصداقتها مع الدول الاسلامية ، من شأنها ان تثير الشك وتبعث سوء الظن بها . ومن جهة اخرى ، فالتنافس القوي القائم بين الاتحاد السوفياتي وبين الولايات المتحدة الاميركية في المجال الاقتصادي ، يوفر للدول العربية ظروف وامكانيات الافادة من هذه المنافسة القائمة بين المعسكرين القائمين ، للحصول من هذا المعسكر او من ذلك على المزيد من العون المالي والتقني ، دون ان يمس ذلك من استقلالها مع بقائها على حياد التام بين الجانبين .

تأثر الاسلام ولا يزال بالفكر الغربي ، والازهر نفسه حصن
عامة العامل الديني
الاسلام الحصين ، اخذ يستجيب شيئا فشيئا لهذا التطفل . ففي عام ١٩٤١ ، قرر مجلس العلماء وضع مجموعة من الاحاديث الصحيحة ، التي هي على ذكرها في تفسير القرآن المتصلة البناء من الفروع الوسطى ، والفصل بينها وبين الاحاديث الفاسدة لموصوفة «بمراثيلية» . وهكذا يرى انصار الجديد يقدمون على النظر في الاسس التي ينهض عليها الدين الاسلامي . ويتفق انصار الجديد وانصار القديم على تفسير القرآن تفسيراً يؤيد المطالب القومي . وهذا ما يفسر لنا هذه الحركة الدينية الرحمية ، التي تدور في كل الاقطار الاسلامية والجهود المندوبة الصادقة التي تهدف الى جمع شمل الاسلام وتوطيد الوحدة بين شعوبه . فالإيمان على أشده حيوية ، والحجاج يتوافدون الى الاماكن الاسلامية المقدسة باعداد متزايدة

سنة بعد سنة ، وقامت في المجتمع الاسلامي حركات ديلية لقيت تأييداً حاراً من قبل الطبقات الشعبية ، منها مثلاً جمعية الاخوان المسلمين ، ومنها مثلاً حركة مسجومي ودار الاسلام في اندونيسيا التي تطالب بدولة اسلامية تقوم على اصول الشريعة الاسلامية ، وحزب المولى في ايران الذي يطالب بتفوية الدروس الاسلامية في المدارس الرسمية ، والجمعية الاسلامية في باكستان ، حيث الدستور الجديد الذي وضعته البلاد ، يقوم ، كما رأينا ، على مبادئ الشريعة الاسلامية ، كما يودي بالباكستان هند ظهورها . الجمهورية الاسلامية ، وجمعية العلماء في الجزائر . وفي سوريا ، استطاعت الاقليات المسيحية ، بعد جهود كبيرة بذلتها عام ١٩٥٠ ، اسقاط العنصرية التي اقترحت دمجها في صلب الدستور ، الاخوان المسلمون . وتأسست في باكستان ، عام ١٩٤٨ ، الجمعية الاسلامية العالمية ، التي وضعت برنامجاً واحداً تحت اسم : اسلامستان . وهذه اربعة اشددية بتأليف الجامعة الاسلامية هي ذريعة لدفع عن الاسلام ضد موجة روح النصر والمؤثرات لاجنية ، كما انها محاولة للتوفيق بين الاسلام والمطالب الفكرية في عصرنا هذا . وهذه الحركة تصطدم ، بنسبة رغبتها في الانفلات من الضراخات الديلية ، بصمودات كبيرة لتباين حدة ودفعاً بتباين الفوارق الجغرافية والتاريخية ومدى التطور في مختلف البلدان الاسلامية ، والمنافسات القائمة مثلاً بين مصر والعراق ، وبين سوريا والمملكة العربية السعودية ، وهذا التناقض القائم بين هواجس الاسلام الكبرى : بين القاهرة وبغداد ودمشق والقدس . ونلاحظ ان الدلائل التي تحميها الدول الكبرى ، يجري احصائها بسهولة ، وقد رال الخوف لئلا من انت تصح الجامعة العربية الموية في يد لانكليز ، وبالرغم من هذه المنافسات الشخصية التي راما قائمة بين بعض رجالات الاسلام ورعاياه ، فالشعور بالتصامن يرداه قوة ومثابة بين الدول الاسلامية كما ترداد الشاعر بالوحدة فيما بينها ، وكلها تنضج بالمسءاء الاررق بدولة اسرائيل .

تطور المجتمع الاسلامي
بما لا شك فيه قط ان بعض الاقطار العربية اخذت باسمها
التصنيع ، كما رى ذلك مثلاً في تركيا ودلتا النيل في مصر
وبعض المناطق النفطية في حنوبي ايران والعراق والعربية السعودية ، كما ان البروليتاريا لا أثر
كثير لها في هذه المناطق . ومع ذلك ، فلا تزال تعاني في بلدان عديدة من بلدان الشرق
الاطوسط : في جميع انحاء افغانستان وايران وفي داخل الجزيرة العربية واليمن والعراق العديد
من القبائل الرحل تشتد فيها العصبية القبلية والشعور بشيء من المساواة . ومع ذلك فالمجتمع
القديم اخذ بالتفكك والظلم الاقتصادية التي اطلت على البلاد حديثاً زادت من تخضير النمو (في
شمال سوريا والعراق وايران وشرقي تركيا ، كما ان حركة استملاك الفرد للأرض شددت من
المروق بين طبقة الاثراء ، وهم قلة ، والطبقة الفقيرة ، كما امكن تسجيل تطور عميق في الماديات
والاحلال ولا سيما المائلية منها . مما استاء تركيا ، كل ما يتصل بحقوق الاسرة يعود للمحاكم
الشرعية كما ان تعدد الزوجات لا يزال معمولاً به . اما في المدن ، فإن كثيراً من عادات الاسرة

غلب عليه الطابع الغربي ، نتيجة محنومة لارمة السكان والرغبة بالتمتع بحياة مستقرة في منزل
وضمن اطار موارد مستقرة . والامر الذي لا تزال تسيطر عليه الحياة العائلية التقليدية معصورة
على الاصغر ضمن المدن الصغيرة والريف حيث الناس لا يزالون متمسكين بالمعادن القديمة ،
ويستلبد نظام الملكية العقارية ويحصر طرق استثمارها بشكل جماعي يقيها موحدة . اما
النظام القبلي وما اليه من بطون وانفخاد تقيم رئاسة شيخ القبيلة وتعارف له بالولاية ، فقد انكمسر
على المقائل الرجل او القبائل الحضر . ومن السادر الآن ان يعقد زواج ورجعي بالاتفاق مع اوي
الفريقين دون اي تعارف سابق بين الزوجين او المحمدا راجعا في الامر فالسواه بين زوجين
اصبحت عادة مرغوبة في المجتمعات الكبرى كما ان مراكز تعليم المرأة أخذت بالازدياد والتوسع ،
واخذت المرأة تعمل او ترافق زوجها في ما مشترك فيه من اجتماعات والفراح وحفلات وزيارات
وللمرأة حقوق سياسية متسارية مع الرجل في كل من تركيا وايران وسوريا (١٩١٩) ولسان
(١٩٥٢) ، والمرأة حق الاقتراع في مصر منذ ١٩٤٢ . وسحاب للمدوع استعماله في كل من
تركيا وايران ، أخذ بالروال تدريجياً في جميع هذه الاقطار وازياء خمس والنوان للطمع
والاثاث والمفروشات تأخذ اكثر فكثر طامعاً عربياً .

الا ان اوصار القديم والرحميين يستمرون في ممارسة هذه الحركة التصديدية ، ويقاروموها
بكل ما لديهم من حول وطول ، ويهاجمونها على المكشوف كلها سمحت لهم الظروف المسعفة
ودشن الشاه محمد رضا ، في ايران منذ عام ١٩٤١ ، عهداً حديداً ، بتجبه عن السياسة
لاصلاحية التي سار عليها منذ عام ١٩٢٧ رص بهلوي ، واعد العمل للحبيب ، وفتح الباب على
مصر اعيه امام نشاط الجماعات الدينية الاسلاميه ، وطلقة المؤدية للنبي عادوا الى الري الذي
كان لهم من قبل ، كما عاد الاتراك منذ عام ١٩٤٨ ، للعمل بفريضة الحج

وقامت في تركيا حركة رجعية متناوئة لحزب الشعب الجمهوري
التي شكله مصطفى كمال ، والذي نشأ في البلاد نظاماً جديداً
في تركيا
قصى على كل العناصر غير التركية المسيطرة على مرافق البلاد

الاقتصادية ، وانتهج سياسة الاكتفاء الذاتي ، احسنت تشجيع الانتاج الزراعي والصناعي في البلاد .
لم تعاني البلاد كثيراً من الحرب الاخيرة وعرفت كيف تحافظ على الحياد بعد ان خطب ودتها
كل من المسكرين المتحاربين محاولين جرها للخروج على سياسة الحياد لافه مصدعته الخاصة
كذلك رحت بحرارة يكن الطلقت التي شععت على الانتاج كما ان البريطانيين ساعدوها كثيراً
على تجهيز موانئها والنهوض بصناعتها . ومع ذلك فقد استولى على البلاد منذ وفاة اتاتورك عام
١٩٣٨ شعور بالقلق واستمادت العناصر الرجعية الكثير من نفوذها ، واخذت تتنافس حزب
الشعب ومحاربه على المكشوف ، هذا الحرب الذي ستأثر بالحكم منذ عشرين سنة وافسنى
نشاطه في ادارة البلاد . كما ان مهالك السوفيات حول الملاحة في المضائق حررت التيار الرجعي
ومن جهة ثانية ، فقد أصبحت تركيا ، منذ عام ١٩٤٧ عاملاً قوياً في الخطة السوفياتية

الاميركية في الشرق الأدنى وكانت مع اليونان من اوائل الدول التي أقامت من مشروع ترومان ، كما اتت الولايات المتحدة الاميركية احدثها بنصف المبالغ اللازمة لتمديد الخططة الخمسية لعام ١٩٤٨ - ١٩٥٢ . وبعد ان ارادت المساعدة الاميركية طابعاً عسكرياً في بادىء الامر انخفضت لما عينا بعد طابعاً اقتصادياً صرفاً ، وقامت على شروط واضحة جلية استوجبت التخلي عن ابداءى التي سارت عليها السياسة الكيالية ، منها التزام حكومة التركية اعطاء الأولوية للشركات الاميركية ، فلتحت عن النفط في البلاد ، مع ابقاء هذه الشركات حتى استثمار موارد البلاد النفطية والتسليم باشراف الحكومة الاميركية على كيفية انفاق هذه الاعتمادات ، وبعبارة اخرى حتى مراقبة السياسة الاقتصادية التي تنتهجها ، وللتعهد بمقدم قرض رسوم تمييزية على رؤوس الاموال الأجنبية .

وهذا التبدل في سياسة تركيا الاقتصادية ادى بالتالي الى تعديل سياستها العامة وهذا التعديل اوحسته الانتخابات العامة التي جرت في البلاد عام ١٩٥٠ ، والتي أدت الى فوز حزب الممارسة ، الممثل في الحزب الديمقراطي ، اقوى الاحزاب التركية الذي مال ٥٣٪ من اصوات الناخبين وفاز ٤١١ مقعداً من أصل ٤٨٧ مقعداً . وعلى اثر هذا النجاح ، سمح رئيس الوزارة التركية الجديد مندريس بدخول رؤوس الاموال الأجنبية الى البلاد ، كما اثار اخراج ١٠ بالمائة من مجموع المرافد . واضطر عام ١٩٥٣ للتسليم بسحب رؤوس الاموال المستثمرة مع فوائدها بالمال دونما اي حد او قيد والتلطف من احكام القانون التجاري التركي في كل ما يتعلق بالشركات الأجنبية . وكان من بعض نتائج سياسة التدخل هذه من قبل الولايات المتحدة لاميركية ، زيادة محسوسة في انتاج البلاد لزراعي والمدني فابلها من جهة ثانية فرض ضرائب ورسوم ممرضة لتقوية الدفاع ، كما ادى الامر الى خلخلة ميزان التجارة الخارجية والى ارتفاع سريع في الاسعار اصاب بالافس الطلقات الشعبية . ان قسماً طفيفاً من سكان البلاد عرف ان يفيد من ارتفاع الانتاج . فالبلاد ترح تحت وطأة بطالة قوية (قد تبلغ ٣ ملايين عاطل عن العمل في عام ١٩٦٤) كما ان اكثر من ٨٠٠٠٠ عامس تركي تركوا عن البلاد بحثاً عن عمل يجد لهم في الدول الصناعية في غربي اوروبا ، ولا سيما في ألمانيا .

ومن جهة ثانية راح الحزب الديمقراطي في الوقت الذي يمان فيه ولاءه لمبادئ السولة العلمانية ، يعتمد على احزاب اليسار اي على هذه العناصر الاسلامية الرجعية التي لم تلتزم قط سلاحها والقانون العقاري الذي صدر عام ١٩٤٥ ، والذي جعل الملكية الخاصة في حدود ١٢٠٠ فدان ، لم يجر تطبيقه ، وهذه الحرية السياسية التي مهدت الطريق امام الاحزاب للظهور في البلاد من جديد ، مكنت الاحزاب الرجعية على احتلالها من دينية وسياسية واقتصادية ، من الافادة من هذه لاسترجاع السلطة التي فقدتها

وهذا الدفع الرجعي الذي ادى الى فرض دكتاتورية فعلية على البلاد أدت الى مظاهرات بين الطلاب وصباط الجيش ضد حكومة مندريس البوليسية الفاسدة والى استيلاء الجيش على السلطة

في أيار ١٩٦٠ . ومنذ هذا التاريخ ، بقيت السياسة التركية كريمة في مهبط الريح وأكثر اضطراباً من أي وقت مضى لم انتهاء من انقلابات عسكرية ومن مظاهرات صاخبة ضد أكثرية فيابية رجعية . ومن جهة ثانية ان خيبة الأمل التي سببتها الأزمة القبرصية ، وتغير الوصول الى حل مرض سبب شيئاً من التراخي في علاقات تركيا مع الولايات المتحدة الأميركية ، كما أحدث في البلاد دفماً قوياً للالتزام موقف عبايد .

اعترفت المعاهدة الموقعة عام ١٩٣٦ باستقلال مصر ونصت على إعلان الجمهورية في مصر قيام تحالف دائم بينها وبين بريطانيا العظمى . الا ان بريطانيا ابقّت لها حاميات عسكرية استقرت في القواعد التي احتفظت بها في منطقة القناة ، محافظة عليها كما ان قضية السودان لم تلاق حل لذي نشدته مصر . كل هذه الامور كان من شأنها ان تهيج الرأي العام المصري بدلاً من تهدئته من روعه . وجاءت الحرب تزيد من نغمة البلاد وتذكير الحفاظ ، وتذكيراً لجروح افس الى ذلك عطسة الجنود البريطانيين الذين ما زالوا ينظرون الى مصر بنظرهم الى بلاد محنة ، وتجهيد الآلاف من المصريين للعمل خداماً في مصالح الجيش البريطاني ومصادرة حيلهم لتأمين وسائل النقل في الجيش واستياء المدن لارتفاع اسعار الحاميات فيها ، وعندما سجل القائد الألماني رومل انتصاراته الساحرة في الصحراء ، قابلها الطلاب المصريون بمظاهرات داوية يتبعون فيها باطل اصواتهم . نحن رجالك يا رومل ، وكان لا بد من ان توجه قيادة الجيش نذراً مهدوماً بناورات عسكرية فطر معها الملك من استبدال رئيس الوزراء . ودارت هم ١٩٤٥ مفاوضات بين الجانبين لتعديد موعد مصادرة الجيش البريطاني مصر وحل مشكلة السودان ، انتهت الى فشل ذريع عام ١٩٤٧ ، وردت من الهياج في البلاد . وفي نهاية الامر ، عد الوفد وهو الحزب الحاكم ، عام ١٩٥١ ، الى الماء المعاهدة الموقعة عام ١٩٣٦ وفادى بالملك فاروق ملكاً على مصر والسودان . واشتدت في ذلك المظاهرات وحوادث الاعتداء على الاحاد في البلاد ، كما اشتدت تمارشات مع وحدات الجيش البريطاني وراح الاخوان المسلمون يفترون لاضطراب في البلاد ، وهو حرب ديني عرف برجعته وبنمسه جمع معظم انتصاره ومؤيديه من الطبقات الشعبية في الريف تجاوز عددهم في مصر الى ٤٠٠٠٠٠ من الاعضاء . وهناك قوة اخرى تألف معظمها من برونتارية المدن ، والمقابات العمالية التي اصبحت قيامها شرعياً منذ عام ١٩٤٢ وقعت هدفاً رئيسياً للدعاية الاشتراكية والشيوعية . واخذ نفوذها يتعاظم ويشدد ، ملقية بكل ثقائها في الكفاح الوطني وحركة التحرر . وقد زدهم حدة الاضطراب الاجتماعي ، مستوى العيش المتدني كثيراً سواء بين سكان الريف وبين سكان المدن ، والانتكسار العسكري امام اسرائيل من جراء خيانة الحكومة ، والقلق الاجتماعي المستحوذ على البلاد ، اقصيا في تموز ١٩٥٢ الى سقوط الملكية . وتم الوصول الى اتفاق مع انكلترا حول تأمين اندفاع عن القتال بعد ان تقرر اخلاؤه من الجيش البريطاني عام ١٩٥٥ . والنظام الجديد الذي اطل على البلاد وامن لها الاستقلال التام حرص على تحقيق اصلاح زراعي

فيها . وصدر عام ١٩٥٢ قانون صودرت بموجبه الاملاك التي تزيد مساحتها على ٢٠٠ فدان (٨٤ هكتاراً) وهكذا اصبح في الامكان توزيع ٦٥٥٠٠٠ فدان ، اي ١١ ٪ من الارض القابلة للزراعة في البلاد انتزعت من عدد من كبار الملاكين يتراوح بين ١٥٠٠ و ٢٠٠٠ لتتوزع على صغار الفلاحين . كذلك ألغيت الاوقاف الخاصة التي تقطع جاكاً كبيراً من مساحة البلاد وورعت على عدد من المصريين لا اراضي لهم .

واخذت مصر تلعب دوراً بارزاً في هذه المنطقة باعتبارها مركز الجامعة العربية وام دولة اسلامية في الشرق الادنى من حيث عدد السكان وازدهار الثقافة العربية التي هي مركز من مراكزها الهامة ، وبفضل هذه الحيوية العارمة التي ميرت عهدها الجديد ، وهذه الاصلاحات الاحتفائية التي باشرها ، والسياسة الخارجية النشيطة التي انتهجتها . فقد لجأ اليها واحتمى اليها جماعا عدد من الزعماء الوطنيين جاوها من شمالي افريقيا ومن جميع اطراف القارة الافريقية . وهي محور نشيط بين هذه المحاور الداعية الى الجامعة الاسلامية .

ورغبة مصر هذه التي يشاركها فيها جميع العالم الاسلامي بأمره الشرق مند « حادثة السويس » بانتهاج سياسة تحصيل واستقلال وحياة ايجابي لم تكن بعيدة عن هذه الأرملة الدولية الخادة التي ساعدت كثيراً منذ عام ١٩٥٦ في اضرام الثورة في جميع بلدان الشرق الاوسط . ولوطد مرحض مصر على الر شجب الامم المتحدة لاسرائيل عندما قامت بمساعدة بريطانيا العظمى وفرنسا بمهاجمة قناة السويس وفشل هذه السياسة العدائية . وقد اسهرت تغييرات جذرية في نظام مصر الاقتصادي الذي اصبح « بجموعه تحت مراقبة الدولة » ، وبذلك اكملت عملية تأميم السويس ، وعلمة قصير المصارف وشركات التأمين (معظمها بيد الفرنسيين والبريطانيين) ، واساء المحبة الاقتصادية العليا التي كانت في الوقت ذاته شبه ما تكون بشركة مركزية ووكالة استثمار مكافئة بمراقبة كل الانشاءات الاستراتيجية العامة في البلاد والاستثمارات الاخرى التي تقوم بها الدولة نفسها . ومن جهة اخرى ، وسعت مصر ، بفضل المساعدة المالية والفنية التي تلقتها من الاتحاد السوفيتي من نطاق علاقاتها الاقتصادية والتجارية مع دول شرقي اوروبا وآسيا لاسيما الاعترافات المالية التي سلطها لاتحاد السوفييتي بفائدة ٢٠٥ بالمائة لشراء الاحهزة والاعتدة الصناعية ولبناء سد اسوان الذي من شأنه ان يربط انتاجية مصر الزراعية اكثر من الثلث ، اي توفير الغذاء ما فيه كفاف العيش لهذه الاسبال التي ستطلع على البلاد في السنوات العشر القادمة . والقوانين الزراعية التي صدرت عام ١٩٥٢ (والتي قضت بتوزيع الاراضي على مليون من الفلاحين) والقوانين الاخرى التي صدرت عام ١٩٦١ التي خفضت الملكية الفردية الى ١٠٠ فدان لا غير (٢ هكتاراً) ، لم ترفع الانتاج الزراعي الى ما يتفق مع معدل زيادة السكان الذين ارتفع عددهم من ٢٠٠٠٠٠٠٠٠ عام ١٩٥٠ الى اكثر من ٢٦ مليوناً عام ١٩٦٠ (وهي زيادة حامت بنسبة ٢٧ بالمائة) . ولذا كان لا بد من زيادة مساحة الاراضي الزراعية من طريق ري المناطق الصحراوية ، وتطوير الصناعة في البلاد التي يعمل فيها لان

أكثر من ٧٠٠،٠٠٠ عامل وتؤمن ٢٠ بالمائة من الدخل القومي (مقابل ١٠ بالمائة في عام ١٩٥١). ومع ذلك فالقوس لا يزال على أشده في البلاد. وعدد العاطلين عن العمل ، لا سيما في صفوف الشباب ، كبير جداً في المدن ولا سيما في الريف (من ١٥٠ - ٢٢٠ يوم عمل في السنة لا غير) . وهذه الدولة الاشتراكية المستبدة منذ عام ١٩٦٣ التي تتألف منها مصر يتولى الامر فيها الجيش . فالجيش هو الذي يؤلف ملاكها الرئيسي منذ ان بعدت الاصلاحات الاقتصادية وعلمية التأميم والاستعلاكات ، العناصر الاجنبية وهذه النورجوارية المقاربية والصناعية التي كانت مسيطرة عليها . وهذا الجيش المستند عناصره الأولى من صفار النورجوازيين والذي يرفع افرادة فوق مستوى الشعب بما تم لهم من تدريب فني ، والذي يرضب صادقاً في حصنة هيكل دولة وادارتها ، يحتل المراكز الهامة في الادارة وفي المؤسسات الاقتصادية التابعة للقطاع العام او للقطاع المزدوج ، كما يحتل معظم المراكز الدبلوماسية ، اذ ان ١٥ اعضاء من اصل ١٢ عضواً الذين يؤلفون مجلس الرئاسة الذي يحيط بالرئيس عبد الناصر هم من الضباط . وقد استحال الجيش الى طبقة موحدة مهمة يمتد كليا على النورجوارية للصغرى في المدن وعلى صفار الملاكين ، الذين يتمتعون بعيش اهنأ من العيش الذي يجيئه اصحاب الحظوظ الناسة في الارياف (١٤ مليوناً من اهل الريف لا املاك لهم من اصل ١٩ مليوناً) ومن المبدون (٤٠٠٠٠٠٠ من اصل ٨٠٠٠٠٠٠) الذين يشكون قلة التغذية وبؤس البطالة . وهذه الطبقة الجديدة تنهض عالياً بالتقاليد الوطنية والاسلامية ، وتحاول ان تخلق دولة علمانية عصرية . ومثل ان هشتل بحرية وحدتها مع سوريا (التي دامت ٣ سنوات) وحلتها على اليمن وسياسة التقرب من العراق ، فهي تشدد على الجامعة العربية ، اي تلتشد التعاون الفعلي بين الدول العربية لما فيه خير التطور الاقتصادي للمجموعة العربية .

فصل الثورة التي قامت بها سوريا عام ١٩٥٨ وادت الى الوحدة مع مصر ، وفرة العراق التي اطاحت بنظام الملك وبمحكومة فردي السعيد ، لتحول هذه البلاد ، على غرار مصر ، لتحقيق اصلاح زراعي شامل . فقد صادرت الحكومة في سوريا ١٥٠٠٠٠٠ هكتار من ٣٢٠٠٠٠٠ مالهكتار من كبار المقاريين والحد الاعلى للملكية المقاربة جعل ٤٠ هكتاراً من الاراضي المروية ومن ٣٠٠ هكتار من الاراضي البعلية . الا ان العملية تحرري ببطء كلي . اما في العراق فقد حدد القانون الصادر عام ١٩٥٨ الحد الاعلى للملكية الخاصة بـ ٢٥٠ هكتاراً (من الاراضي المروية) و ٥٠٠ هكتار (من الاراضي البعلية) . وفي ايران ، صدر عام ١٩٦٢ قانون ، كان ييسر تطبيقاً وتحقيقاً ، جعل الحد الاعلى للملكية الخاصة ما يوازي مساحة قرية ، ومن من اصحاب الاملاك يملك اكثر من مزرعة او قرية عليه ان يختار احداها ليتخلى عن الاخرى للحكومة التي تشتريا منه ثم تعمد الى قسمتها بين المزارعين . وعلى الملاكين البعد ان يؤلفوا من يسهم تعاونيات زراعية . ففي عام ١٩٦٣ ، جرى تقسيم مساحة ٨٠٠٠ قرية او ضيعة على ٢٢١٠٠٠ امرة من الفلاحين ، كما الفو من بينهم ٢٣٠٠ تعاونية زراعية .

٣ - اسرائيل المعجزة (١)

في هذا العالم الاسلامي الآخذ بالاختار والنفاذ ، قام عامل جديد سمم العلاقات بين دول هذه المنطقة وعصرها وساعد في نهاية الامر على ازالة الشعور القومي وادكاه الحق ضد الدول المسيطرة على المنطقة ، فمثل ما نشاء دولة اسرائيل .

كانت هذا الوطن القومي لليهود في فلسطين الذي اُنشأه اسكترا من الوطن القومي الى دولة
خلال الحرب العالمية الأولى يضم عام ١٩٣٥ نحواً من ١٣٦٠٠٠٠ نسمة منهم ٢٨٪ من اليهود . الا ان شراء المنظمات الصهيونية لأطيب الاراضي ، والتطور للمعظم الذي اخذت باسبابه المدن والصناعات في البلاد ، اثار بين اكثريّة سكان البلاد من العرب موجة عارمة من الاستياء والحاج لما استهدفوا له من كبت وصنط وقضييق اقتصادي اضطرت معه الحكومة البريطانية للتصلي عن سياستها للتفليدية المشوبة بالمعظم على السامية . فقد أثبت علي الاعتراف رسمياً بالقومية الفلسطينية ولم تسلم الا في سنة ١٩٤٤ بتشكيل عرقه يهودية خاصة له اعلامها وشاراتها الصهيونية . ومراهقة ممهسا لعناب عرب فلسطين واليهود المجاورة لاجرى التي كانت اسكترا ترغب حداثاً في بقائها على الحيد في الوقت الذي نخذ تقدم لحيوش المارة في شمالي افريقي حدة البلاد ، وراحت تطلق بكل دقة القوانين التي وصفتها عام ١٩٣٩ ، للحد من الهجرة ، الامر الذي اعاط اليهود والار حصيلتهم بعد ان كُذلت ابواب الدخول الى فلسطين في وجه بضمة آلاف من اخوانهم وأبناء حلتهم فدهوا فرسة للظلم النازية واضطهادهم الشديد . وما كادت الحرب تضع اورارها حتى قامت بين بريطانيا واليهود مناوشات دامية كانت اشه بحرب مكشوفة . واخذ الانكليز يوقفون في طريق سفرهم النازيين سرأ من اليهود الى فلسطين ويرسلونهم الى معتقلات اقاموها في قبرص ، واخذ الاسطول العريضاني يطارد كل سفينة من أي نوع كانت تحمل على ظهرها مهاجرين يهود الى فلسطين ولا سيما من يفر منهم من المعتقلات التي كانوا يرسفون فيها في بلدان اوروبا الوسطى ، ويهربون من اعمال التصفية التي تعرضوا لها في بولونيا حتى ان بعضهم اسد يقتحر ويضع بيده حداثاً لحياة بائسة يائسة . ولحل اذطلع هذه الحوادث وبرزها هو حادث السفينة اكسفوس التي خرجت من هامبورغ في ايار ١٩٤٧ حاملة عدداً من اليهود ، اذ ما كادت تطل الى ارض فلسطين حتى أجبرت على العودة من حيث أتت وعلى ظهرها هذه القطعان من مهاجري يهود . وراحت المنظمات الصهيونية شبه العسكرية السرية كمنظمة شارتن والارغون تشن سلطة الهجمات على الحاميات البريطانية المرابطة في البلاد ، وقامت باعمال تخريبية كسب الخطوط الحديدية ، ومهاجمة وحدات الجيش ، واعمال تارئة اخرى عضادة لتنفيذ الاحكام الصادرة لليهود . وفي تشرين الثاني ١٩٤٧ ، أقرت الجمعية العامة في الامم المتحدة تقسيم فلسطين الى اثنين : يهودية وعربية ، وفقاً لتوزيع السكان ، ودمت عمل اعطاء القب ، هذه المنطقة

النشر

(١) ار : رأس حمر للاستثمار الانكليزي الامبركي في الشرق ، كما يقول نهر

الصعراوية للدولة اليهودية . وقد رفض العرب هذا الاقتراح وقامت تمحيدات من المتطوعة المسلمين في سوريا والعراق ولبنان وحتى ومن الباكستان ، كما دخلت جيوش ست دول عربية مجاورة تهاجم المناطق اليهودية في فلسطين وبالرغم من ضعف تسليحهم ومن قنوق الجيوش العربية المتددي ، استطاع اليهود الصمود لهذا الهجوم بعد ان اخذت الجاليات اليهودية في جميع أنحاء العالم تقدم بالمتطوعة والاسلحة والمال ، وبرهنوا عن روح عربية وعن كفاءات عسكرية لم تكن المرويات المروجة عنهم لتعترف بها بن تنكرها عليهم . وقد استطاعوا للتغلب على هذا الحشد العسكري العربي ولقاهي ما كان يتوقعه الجميع .

ومنذ ذلك الوقت اخذت وفود اليهود تنزع قادمة الى الدولة
الحركة السكانية الجديدة الجديدة التي كانت مساحتها ثواري نصف مساحة سويسرا ، مع العلم ان ٧٢ بالمائة من هذه المساحة هي ارض صعراوية تتألف من النقب . وقد قدم هذا السيل من مهاجري اليهود من جميع أنحاء العالم ولا سيما من هذه البلدان الواقعة حول حوض البحر الابيض المتوسط والاقطار الشرقية . ففي عام ١٩٥٤ كانت الدولة اليهودية تمتد ١٧١٧ ٠٠٠ نسمة ، بينهم ١٥٢٦ ٠٠٠ من اليهود ، وبعض المسيحيين واقلية من عرب فلسطين (١٨٠ ٠٠٠) ضحفت جانبهم بعد نزوح أكثر من ٨٠٠ ٠٠٠ عربي ، غادروا البلاد خوفاً او بسبب الاحمال الحربية . وقانون العودة الذي صدر عام ١٩٥٠ ينص على ان كل يهودي له الحق بالعودة الى البلاد كمهاجر ، وان بمجرد عودته الى البلاد يصبح تلقائياً من الرعية الامريكانية . وكان من نتائج هذا التوسيع ان من اصل عشرة من سكان البلاد ٩ منهم يهود . الا ان قباس الاجتناس واختلاف المشارب والمبادئ ونقط العيش وتباين المستوى الحضاري بين هذه العناصر المتمايشة جنباً الى جنب جعل من العسير جداً عملية مزج الجواني اليهودية الغربية الاصل : من روس بيض وبولوبيين وبغضين والمان وعبر وبلغاديين مع يهود قسلي افريقيا وبلدان الشرق الاوسط الذين دخل نصفهم البلاد بعد عام ١٩٤٨ ، كما قامت صعريات اعترضت عملية تنظيم هذه العناصر وصهرها معها . وهؤلاء السكان لعدد يختلفون اختلافاً كبيراً عن السكان القدامى في البلاد الذين تألف معظمهم من طلائع الصهاينة الذين قدموا الى فلسطين ومن بناء الوطن القومي من اصحاب رؤوس الاموال . فآلفوا معاً فئة اشتراكية النزعة متجانسة من اصل اوروبي واحد ، صعيمة النزعة الدينية ، كانت وضعت منذ عام ١٩٤٠ ، على السط لاوروبي او الاميريكي ، جميع أطر الدولة ومؤسساتها . فالموجة الجديدة من المهاجرين اليهود تألف معظمها من يهود نجوا من مخيمات الاعتقال في اوروبا حيث رسلوا في النذل والمهانة عرصة لصنوف الاضطهاد والاذنان المذاب او من يهود نزحوا من الاقطار العربية المجاورة او جاؤوا من الاقطار الاسلامية الآسيوية من شمالي افريقيا ، من يمينيين وعراقيين وليبيين ، لا عدل هندم ولا حرفة لديهم يمولون عليها في معاشهم ، بعد ان عاشوا في ظروف واوضاع صحية سيئة . مستوى العيش هندم من ادنى المستويات ، معظمهم اميون ، ولا يقيمون شيئاً من ايسط المبادئ التي تقوم

عليها الحضارة الغربية يستهجن الأوروبيون منهم نمط العيش الذي يسببون عليه . وقد أدى هذا الوضع الى ايمان روح الريادة والطليعة والى إضفاء المثل العليا التي جاشت في صدور من كانوا ملأين الحركة الصهيونية ، ولا سيما إسماعيل روابيط المتعلق السقي تشد لدولة الجديدة بالديموقراطية ، وبالتوجيه الغربي كما اشتد جانب لليهود الشرقيين في البلاد . وهكذا فالمجتمع اليهودي في اسرائيل يتقسم الى شطرين متباينين في المجال الحضاري ولا سيما الاجتماعي منه ، اذ ان العناصر الشرقية في البلاد شأن احدى من الوجهة الاجتماعية والاقتصادية من العناصر اليهودية الغربية . والاختلاف بينهما يشتد على الأخص حول فكرة تشكيل المجتمع الجديد ، الذي يقترح القدامى منهم ان يكون مجتمعاً علمانياً بينما يرى القدامون حديثاً الى البلاد ان يكون وفقاً لتقاليد اليهودية المتوارثة . فالهم الأكبر الذي يحول في حاطر الطبقة الموحدة الغربية النزعة والاتجاه هو طمس الدولة الاسرائيلية بطابع « دولة غربية » في قلب المحيط العربي ، وهي فكرة تحاربها العناصر الحديثة العلم . في البلاد يشد من اررها الفرقة المعروفة بالـ *Ashkenazim* التي تتألف من ضمنها عدة أحزاب سياسية ناشطة .

التنظيم الاقتصادي في البلاد هذا التيار العام من المهاجرين أفقد البلاد توازنها واضطرها الى انتهاج سياسة شديدة صرامة من التقييدات والتنسيقات عرفت عندهم سياسة شد الحزام (*Tesná*) لم يستطع نقلها والعمل بها عناصر عديدة من الوافدين الى البلاد حديثاً ، مما عقد للعلاقات بينهم وبين العناصر الاخرى المستقرة في البلاد من عهد بعيد ، ادى بهمهم الى مفارقة البلاد والذروح عنها من حيث اتوا . ولتأمين اسباب العيش لمؤلاء السكان الآخذ عددهم بالارتفاع السريع في رقعة من الارض صلبة وفقيرة ، يجتشد في مسنها الكبيرة نصف السكان ، كان لا يد من تطوير الصناعة ولا سيما الزراعة . فقد كان سقى لادارة البلاد ، قبل عام ١٩٤٠ ، ان شجعت كثيراً الاهتمام بالزراعة الى جانب القطاع الخاص ، وتشجيع التعاونيات الجماعية ، الحيسور . وقد استمر الاتحاد العام للعمال (المستدروت) المرتبط بحزب العمال (الحاي) ، هذا الاتحاد الذي يضم ٧٥ بالمائة من مجموع العمال في البلاد (بين يهود وعرب ، في مراقبة حياة البلاد الاقتصادية بما له من تماويات تؤلف شبكة تتصل حلقاتها بجميع اطراف البلاد ، وما لها من مصارف وشركات تأمين تسلف الاعيادت والارعة للبهوض بالمشروعات الاستثمارية على مختلف انواعها ، من تجارية وصناعية وزراعية ، وما لها من ضمان اجتماعي ومدارس ومعاهد ومشاوريع عمرانية وشفال عامة ، وهي منظمات تعمل الى جانب تماونيات خيسوتزين التي لا تزال قائمة مع انها فقدت بساً من هيبتها ، اذ كانت تضم ٣٠٧ بالمائة من مجموع السكان في سنة ١٩٥٦ مقابل ٧٥ بالمائة عام ١٩٤٧ ، وهو دليل واضح على تقهقر القطاع الاشتراكي بالنسبة للقطاع الخاص . ان ازمة تضخم النقد خلال فترة الحرب كاد من نتائجها المحتملة قول بعض التنازلات للقطاع الخاص ، وبذلك مهدت الطريق لطفرح و طبقة جديدة من الأثرياء ، ومن جهة اخرى اعرب المهاجرون الجدد الى البلاد عن رهتهم في العيش في المدن ، او كبراءين

يعملون في مستعمرات زراعية كملاكين صغار ، يملكون منازل سكنهم وحيوانات البعير وحظائر لتربية الدجاج ، يحصلون على رزقهم من حيايا الأرض . فالأرض تؤجر مدة ١٩ سنة ، إلا أن أدوات العمل فيها والأجهزة الزراعية الصناعية تستعمل مشاركة وتباع مزارعها وغلاتها لأحدى التعاونيات الزراعية ، وتشتري منها المواد الاستهلاكية . وهكذا يرى أن الحبولين المعروضة تجتاز أزمة شديدة من جراء تناقص عقود الأيجار ومن جراء استئصال رواد الحركة وطنائهم الذين ساهموا في الحرب ، للعمل كموظفين في لإدارة العامة أو على رأس التعاونيات والتعاونيات المحلية .

إن تحسين الإنتاج الزراعي وتطوره يتوقف قس كل شيء على أعمال الري التي اشرف على تنفيذ قسم منها في وادي الغور وفي النقب المهندس المعروف لودميلاك ، والذي يقترح قنعة قناة تصل بين البحر الأبيض المتوسط وبين البحر الميت وهو مشروح يمكن استخدامه لتوليد طاقة كهربائية هائلة . وقد رادت مساحة الأرض المدوية في البلاد أكثر من ستة أضعاف .

إن عملية إفراغ السكان وصهرهم في بولقة واحدة وقولية هذه العناصر المتنابهة في قوالب اجتماعية وثقافية واحدة أمكن تحقيقها بواسطة الشبيبة . فالوسط المدرسي أو الجامعي هناك كما في الولايات المتحدة لمجى إلى حد بعيد ، في أقلية الطالب و تدسية ودمجه في المجتمع الإسرائيلي كما أن الجيش والخدمة العسكرية هما من خير الوسائل لتصديق هذه الوحدة واتجاه عملية الصهر الاجتماعي ، إذ التشار الممول به هو . « خلق أحسن جسمي من كل مواطن وخلق أحسن مواطن من كل جندي » ، وهو شعار أمكن تمييزه وتحقيقه إلى الحد الأكمل بواسطة تعلم اللغة الواحدة ، ودروس التاريخ ودروس التربية المدنية ، التي تعطى للجندي كما يعطى دروساً مهنية أو حرفية توليه مهبة يمتاش منها عند نهاية خدمته في الجيش . واللفة عامل أساسي في عملية التوحيد والصهر . فجميع من يحسنون اللغة العبرية ويحودونها يشكلون من بينهم الوفاء من خيرة الاساتذة والمدرسين يتبرعون لتدريس هذه اللغة ولتلقينها لمن يجهلونها في ساعات فراغهم كما يخصصون كل اسبوع ، ساعة أو ساعتين من أوقار فراغهم لتعليم العبرية لشخص أو اثنين أو لتدريس بعض الفئات المتأخرة . وهذا الترابط والتضامن الوطني يشد من زره ويقوي من لجمته عامل خارجي ، هو عداء الدول العربية لإسرائيل .

ودولة إسرائيل هذه هي الوحيدة بين دول الشرق الأوسط التي تشيل فيها الصناعة على الزراعة : هنالك طبيب واحد لكل ٣٨٠ شخصاً من سكان البلاد . كما أن معدل دخيل الفرد الواحد هو ٤٠٠ دولار في السنة . فهي في غاية الازدهار ، هو ارددها يقوم على قواعد اقتصادية سرعة المطب ، ولا يستمر إلا بفصل ما يثقله باستمرار من رؤوس أموال تد عليه من الخارج . وإسرائيل التي تحيط بها دول معادية تحمل دوماً بأحد الثأر من الهزائم العسكرية التي لحقت بها عام ١٩٤٨ - ١٩٤٩ ، ترى نفسها دوماً أكثر فأكثر بحاجة ماسة لتجهيز والتنظيم والحفاظ على جيش قوي يكلف بقاؤه على حيز استعداد ، غالباً ، والدفاع عن حدودها الطويلة

لمنع تسرب عناصر معادية الى داخل البلاد ولترة تعديات المهاجرين من الفدائيين ولتقوية وحدة البلاد . ولذا تدوّن الروح القومية فيها ماثدة وتمتدّد باستمرار وراء العصر الديني . فالتقاليد والمشايع الدينية قوية جداً ، ومؤسساتها راعت دوماً في تشكيلها طابع الديانة الموسوية (كعهود الايجارات المعقودة لاجل ٤٩ سنة كاحرى على ذلك السك الوطني اليهودي للتسليف الزراعي) . ولعلب الاحزاب الدينية التي يتألف من مجموعها حرب ديني موحّد ، دوراً بارزاً في حياة الأمة ولطعمها بطابع ديني بارز وفقاً لمناسك العادة الموسوية ، كاحترام العطلة يوم السبت والتقيّد بلحم الكاشير Kashir في كل ما يتعلق بأمور التغذية ، والامتثال لكل الاجراءات الدينية التي تقرها المحاكم الدينية في كل ما يتصل بأمور الزواج بين الاسرائيليين مع غير الاسرائيليين . وهكذا تقف اسرائيل في وجه العالم الاسلامي الذي يحيط بهب حائلة السوار بالمعصم ، معتمدة كلياً على العمون المالي الاميركي ، وتؤلف كما يقول نورو « رأس جسر للاستثمار الانكليزي الاميركي في الشرق » . ان مهاجرتها الفرعة السويس عام ١٩٥٦ ، والفوز الماهر الذي حقّقته في سيا ، مع ان التدخل الاميركي حلّ بينها وبين قطع ثماره البانعة ، يؤيد كل ما ذهبنا الى تأكيده هنا .

٤ - البلدان الاسلامية - افريقيا الشمالية

حققت الانظار لاسلامية الواقعة الى الشمال من القارة الافريقية استقلالها بعد ان حققت بلدان الشرق الاربع الاستقلال بضع الوقت . ليبيا هذه المستعمرة الايطالية القديمة في هذه المنطقة ، نالت استقلالها منذ عام ١٩٥٠ ، بفضل الانتصارات الباهرة التي حققها الحلفاء ، وحملت منها دولة مستقلة ذات سيادة . فقد قامت العناصر الوطنية فيها بمقاومة عنيفة للاحتلال الايطالي الذي لم ينته من فتح البلاد الا في سنة ١٩٣٣ ، بعد ان ارسل الايطاليون الى غنيمات الاعتقال ثلث سكان البلاد ، وبعد ان قتلوا وشرّدوا عدداً كبيراً من رجال تلك البلاد وصادروا اطيّب اطيابها ، ومع ذلك فقد بقي نموذ السنوسية فيها قوياً بالرغم من لجوء زعماء الحركة السنوسية الى مصر ، وعرفت ان تؤجج الحقد والبغضاء في قلوب الليبيين ضد الايطاليين ، يشد من ازرم عدد من اللجان قامت في دمشق والقاهرة ضمت العديد من الليبيين الذين نزحوا عن اوطانهم . وقد خلا الامر في ليبيا للبريطانيين ان يسيروا انتصارات الباهرة التي حققتها الجيش الثامن ، فقادها عدد كبير من المعمرين الايطاليين ومن اليهود وبذلك اصححت ليبيا محبة بريطانية بالعمل قائم فيها الحكومة بأوامر المستشارين الانكليز . وقام يهددهم بعد ان اثنى البريطانيون والاميركيون فيها قواعد بحرية لهم منيرة .

وقدّمت في بلدان شمالي افريقيا . المغرب الاقصى والجزائر وتونس ، حركات قومية اخذت تطالب باستقلال هذه البلدان ومحاهدة بمرارة لاجساد فرنسا وارغامها على اعطاء البلاد تنازلات مهمة .

الجمعان المتعددين: المجتمع الأوروبي
 ان استيطان ١٦٠٠ ٠٠٠ أوروبي في بلدان أفريقيا الشمالية،
 و « فرنسا » ونصف مليون يهودي فيها إلى جانب عشرين
 مليوناً من أبناء البلاد الأصليين كان من بعض نتائج خلق مجتمعين وجهماً لوحه : مجتمع وطني
 احتفظ بمسائل الانتاج والمقايضات التي تورثها عبر الاجيال أباً عن جد ويعيش في مستوى من
 المعيش متدور جداً ، ويحتج مستعمر تتوفر له رؤوس اموال والمهرة ويتحكم بحياة البلاد
 الاقتصادية ويسيطر من على مراكز التوجيه في الادارة وفي الحياة السياسية ، ويتمتع
 بمستوى عيش رفيع ، ولوضع القوم خارج . فهو من جهة يختلف تماماً عن الوضع الذي يحيط
 ببلدان أفريقيا الجنوبية حيث يسمح الجو ويتسع لاستيطان البيض بأعداد كبيرة وبصورة
 مستمرة ، اى اقام قارن اللون فيها حاجزاً وتقييداً عنصرياً بين مختلف العرقي لا يمكن تجاوزه ،
 ومن جهة ثانية لاقطار أفريقيا السوداء حيث تقيم جبال اوروبية قليلة العدد ، لا يهيمنها من
 البلاد سوى استعمار حيراتها الطائفة ولا تتدخل في شيء لتقرير استاتها ، فلا تجد في ابي قطر من
 اقطار العالم ، مثل هذا المدد الطفيف من الأوروبيين يعيشون منذ احيال متعاقبة بين الجماعات
 الاسلامية حيث تشابكت المصالح وتداخلت ، وحيث يشتد اثر القرب الاجتماعي والثقافي
 ويعرف في الاقطار الاسلامية بشكل لم ير له مثيلاً من قبل . وهذا الميول ونصف من
 الأوروبيين ، اكثرهم من الفرنسيين ، يؤلفون اقلية ضئيلة حتى في هذه الجزائر التي يمثلون
 ١١ بالمائة من سكانها ، وفي تونس حيث يمثلون ٧,٣ بالمائة ، وفي المغرب حيث لا تزيد نسبتهم إلى
 مجموع السكان عن ٤٠ فلاتة وهي اقلية آخذة بالتفؤل يوماً بعد يوم ، امام تواجد عدد
 السكان في هذه الاقطار ، وهو عدد ٨٠ بالمائة منهم من سكان المدن ، فمدينة الجزائر وحدها
 تضم ربع عدد سكان البلاد ، كما تضم تونس ١/٣ عدد سكان البلاد ، وفي المغرب ٤٢ بالمائة من
 السكان يعيشون في نواحي البيضاء .

وهذه الاقلية تلعب ، مع ذلك ، دوراً بارزاً في كل قطر من هذه الاقطار الواقعة إلى الشمال
 من القارة الافريقية . ففي جارتها قسم كبير من مساحة البلاد ، بالرغم من هذا التقهقر الذي
 سجله الاستعمار الاوروبي في الريف منذ عام ١٩٤٠ (لا سيما هذا النوع من الاستعمار الذي لم
 يعد يندرج كثيراً على القائمين به) ، وهي وحدها تستعيد من تسهيلات التسليف الذي توفرها
 هم المصارف ومن الاستثمارات الاستعمارية في البلاد . وبعد ذلك بمدة طويلة ، في سنة ١٩٣٩
 في تونس ، وفي سنة ١٩٤١ ، في الجزائر ، تكونت شركات مختلطة ساهمت الدولة في رأس مالها
 اسوة بما تم في المغرب بين ١٩٢٨ - ١٩٢٩ ، حيث قدم مكتب الامتحانات العلمية وادسماهمة في
 الاستثمارات الاستعمارية ، فالمعمرون هم الذين ينتجون اكر قسم من المواد التي تصدرها البلاد .
 كبوكير أثار الفاكه والزراعات الحضرارية والديد والمواسفات وفلزات الحديد والزنك
 والرصاص . فهم ينتجون في الجزائر ٣/٤ عاصيل البلاد من القمح الصري ، وثلاث الفصح الصلب
 ويؤمنون القسم الاكبر من صادرات البلاد إلى فرنسا على الاخص حيث تنتم الجزائر بحرية
 تصدير كل ما ترضى في تصديره بفضل المعاهدات الجرمكي مع فرنسا وحيث تنعم كل من تونس

والغرب بقوائد خاصة . ولدائن هؤلاء المعمرون من حيث مساواتهم : ففي الجزائر يسيطر ستة آلاف من المعمرين على $\frac{1}{4}$ الاملاك التي في حيازة الاوروبيين ، بينهم ٩٠٠ شخص يملك الواحد منهم مزارع تزيد مساحة الواحدة منها على ٥٠٠ هكتار ، كما ان ١٢ من كروم الاوروبيين تزيد مساحتها على ٥٠٠٠ هكتار ، و ٢٨ كروماً منها تقارح مساحة الواحدة منها بين ٣٠٠٠ و ٥٠٠٠ هكتار ، و $\frac{1}{5}$ من منتجي النبيذ يملكون نصف الحقول المزروعة كروماً . ففي الوقت الذي تستثمر فيه ٢٥٠٠٠ مؤسسة استثمارية ٢٢٢٢٠٠٠ هكتار تروى ٥٣٢٠٠٠ من الاستثمارية الاسلامية لا تستثمر سوى ٧٠٠٠٠ هكتار وفي تونس تروى ٧٧٠٠٠ هي ملك ثمانية اربعة آلاف مزارع فرنسي ، وفي المغرب تروى ٦٥٠٠٠ هكتار خاصاً للاستثمار (اي $\frac{1}{4}$ مساحة الارض المزروعة) ، تعود ملكيتها لـ ١٠٠٠ مستثمر تقريباً ولعدد صغير جداً من الملاكين المغاربة ، بينها ٩٠٠ مزرعة تزيد مساحة الواحدة منها على ٣٠٠ هكتار (١٤٠٧ ٪ من هذه الاستثمارات وتمثل ٦٠ ٪ من مساحة الارض المزروعة) .

والجيش الوطني وعلى عكس ذلك ، فالجيش الوطني مجتمع فقير ، معدم ، تنقصه اصلاً المرافق التقنية ورؤوس الاموال ، مفرس في استعماله الاجهزة الزراعية البالية والحيوانات النائرة ، تنكر للامدة الصناعية ويقل منها الهكتار من ٤ - ٥ قناطر اي نصف ما قدره الارض على المستمر . هالك عند حيل من اغنياء الملاكين ، بين قدامى ومحدثين حاولوا ان يطقوا الاساليب الفنية التي يستعين بها الاوروبيون ، ولا يتورعون والحالة هذه عن قضم صفار الملاكين المتأخمين لهم . وادلم يكن في وسعهم استخدام الوسائل التي يستخدمها الاوروبيون لتمنعهم عن تقديم الضمانات التي يقدمها هؤلاء المصارف ، ولا وبة فنية لهم ، هم اجهز من ان يطوروا اساليبهم الزراعية او ان يدخلوا عليها ما يكفل لهم مردوداً طيب والاندماج مع النظم الاقتصادية الأوروبية ، ولذا لم يكن في وسع الشركات التعاونية سوى تسليمهم من المبالغ ما يؤمن لهم النزار او « المردم » ، كما ان اصحاب الحرف منهم استمروا في ممارسة حرفهم المتوارثة وفقاً للأساليب المرحية ولذا لم يستطيعوا تفادي منافسة المنتجات المستوردة .

تألفت الملكية التابعة لابناء البلاد على الاجمال من قطع رراحية صغيرة الحجم للمستغل وفقاً لشروط الاستثمار المألوفة . هالك في الجزائر ٣٩١٠٠٠ ملكية عقارية تخص اباء البلاد تقل مساحتها عن ١٠ هكتارات ، ٧٠ بائنة منها لا يرس لها الحياة ولا يمكن ان تأتي بفائدة في هذه الظروف المناخية التي تعرضها لرراحة التوسعية حتى الرراحة البطيئة ، وبعد ان أقصوا عن طيب الاراضي واحدها ، فقد اضطر الوطنيون ان يزرعوا ارضي فقيرة ، بحيلة المردود ، او اكثر ارتفاعاً عن سطح البحر ، واحياناً تقع على سمع مرتفعات شديدة الاسحدار يجر استثمارها إلى خطر ثغرة الثغرة . ان نصف سكان الريف في بلدان افريقيا الشالية هم عاطلون جزئياً عن العمل لعدم توفر الارض الزراعية لهم ، كما ان مكنته المزارع الكسرى حلبة مزرحة لاصحابها .

فقد حُرِّت الحيازة حتى الآن الى قتل الملكية الصغيرة واقتصر استثمارها بدأ عامة رخيصة .
فلاقتال على الملكية الزراعية قتل اليد العاملة وعرضها للروال والاستثناء عنها . فملكنته تؤلف
خطراً كبيراً على طبقة الفلاحين وتهدد مصيرها في الصميم ، اذ تقضي على حركة السكان في
الريف وتحميلهم على التزوح نحو المدينة .

والجهود التي بذلت عام ١٩٤٥ لتحسين طرق الانتاج في البلاد بفضل قطاعات النموذج
بالزراعة (S. H. R.) في الجزائر ، وبفضل قطاعات تحسين وسائل الانتاج (S. A. P.) في
المغرب ، وعلى مشروع الخطة الزراعية في تونس ، تركزت كلها الى مكسة الزراعة وتجهيزها بالمتاد
الصناعي الحديث ، الا ان مكينة الريف ، من كما في الولايات المتحدة الاميركية من قبل ، وفي
الاتحاد السوفياتي وفي دول أوروبا الشرقية لا يمكن الاخذ به او مجرد التصغير به الا في صورة
عملية تصنيع سريعة ، والا نشأ عنها زمة استعانة حادة . فقطاعات النموذج بالزراعة في
الجزائر لم تحسب سوى نتائج ضئيلة . فلم تكن تضم عام ١٩٥٣ ، سوى ١٠ مائة من فلاحين
البلاد ، و ٤٢٣ من مجموع الاراضي ، وليس من عجب ان يأتي مردود الارض غير وافي بالفرش ،
وقطاعات تحسين وسائل الزراعة في المغرب التي تعمل بها منذ عام ١٩٤٥ نضجت المنظمات التي
تتوفر لديها التقاوي والاعتدة الفنية فوق حميات صغار الملاكين القديمة ، مما اثار معارضة بعض
المعمرين (الذين اخذوا بنسبونها بالكولتورات الروسية) وخشوا من فقدان اليد العاملة ، ولذا
حدث كثيراً من هجرتها وخيرت كثيراً من قدرتها

المشكلة الديموغرافية ونتائجها
بفضل تناقص معدل الوفيات ، اخذ عدد السكان في النمو
سريعاً بمعدل ٥٠ الف في السنة ، في تونس وب ١٨٠ ٠٠٠ في
المغرب ومن ١٢٠ الى ١٨٠ ٠٠٠ في الجزائر ، اي ما مجموعه ٣٥٠ ٠٠٠ في السنة . فالمسلمون
زاد عددهم ٣٨ مائة بين ١٩٣٦ - ١٩٤٦ في الجزائر وحدها ، و ٢٥ مائة في تونس . وهكذا
قام في الاقطار الثلاثة الواقعة في شمالي افريقيا ٢١ ٥٠٠ ٠٠٠ نسبة معدل التوسع هو من
اعلى ما عرفه العالم من امثاله (المغرب ٢ مائة ، وتونس والجزائر ١٥ مائة) . ان التوسع في
زراعة الكرومة ، هذه الزراعة الأوروبية في الصميم التي يكثر حولها القول والنظر ، وزراعة
الحصراوات التي تصاعف حجمها بين ١٩٣٨ و ١٩٤٨ في الجزائر وفي تونس ، والتي زادت في
المغرب عام ١٩٤٨ ، ١٥ ضعفاً عما كانت عليه عام ١٩٢٠ ، قد حفزت كثيراً من مساحة
الاراضي الموقوفة على لزراعات الاستهلاك لدى المواطنين . ففي الجزائر وحدها اكثرت من
١ ٥٠٠ ٠٠٠ أسرة لا رضى لها ، والمساحة المزروعة لا تزال آخذة في التناقص بالنسبة للفرد
فيما كان يصيب الجزائري المسلم ٥ هـ ١٨٧٢ ، ثلاثة وثلاثين آراً من الاراضي الزراعية ، مبط
هذا الرقم عام ١٩٥٢ ، الى ٣٤ آراً . ان اتساع الاراضي الزراعية التي تكلف عملتها غالباً
تكن لها اهمية تذكر بالنظر لضعف الطاقة الشرائية لدى الطبقات الشعبية التي لا تشجع قط
المزارعين على الانجاء نحو هذا النشاط . واخيراً وليس آخراً ، الاستثمار الواجب المطاق عندما

تم الزراعة الاجهزة الميكانيكية اللازمة لها وتجري على اصول المرحية ، واحبياء الاراضي البور او الموات للزراعة من قبل ابناء البلاد الذي يسمون لهم هن اراضي زراعية جديدة قد يمر الى تراسع الاراضي المرحية وان تعرية الارض وتأكلها نتيجة حتمية لهذه الطريقة . فهاهي كل اقريقيا الشمالية ، تعمل الآن على ارسال تربتها نحو البحر ، لا سيما المناطق الجبلية فيها حيث يتكاثف عدد السكان ، كما هي الحال مثلاً في منطقة القبلي الصغيرة . ويقدر رتبة دومون ان عوامل تعرية الارض في السنة تفقر البلاد ما مجموعه ٣٥٠٠٠ هكتار من الاراضي الطيبة . فكل يوم يمر تخسر الجزائر فيه ما يساوي ١٠٠ هكتار من الاراضي الزراعية ويزيد عدد البطون التي يتركب ملؤها ٥٠٠ بطن في اليوم الواحد .

البوس بين ابناء البلاد وهذا الاختلال المتزايد كل يوم بين عدد السكان وبين تخصيص مواردها الطبيعية عن تأمين اوده العيش لهم يزداد عمداً . ففي منطقة الساحل وهي اكثر مناطق تونس خطراً ، كما يؤكد ل. شقاليه ، ان حشر سكان هذه المنطقة من اهل البلاد الاصليين يعيشون بيسر سيياً ، بينما ١/٣ السكان هم في وضع وسط ، ونصفهم في حالة فقر وعشرهم يرسف في بؤس متقع ويعيش على الاحسان والصداقات . ومنذ عام ١٩٣٥ كانت المجاعة من هذه الاوبئة التي تكون دوماً خطراً جدياً للبلاد . ففي كل سنة ياترب على البلاد ان تشتري القمح والشعير والارز لتضمن إعسالة السكان المعوزين . ان مستوى العيش متدن جداً . وكان من يتصرف من افراد الشعب عام ١٩٥٣ ، بأربعة آلاف فرنك في الشهر ، كانت من اصحاب المخطوط . فيما كان تحت تصرف كل مواطن ، عام ١٨٧١ ، خصة قساطير من الجبوب لامتلاكه السوي ، لم يعد لديه في سنة ١٩٠٠ ، سوى اربعة ، وهبط هذا الرقم الى اقل من ٢٠٥ بالمائة سنة ١٩٤٠ . وعلى هذه اللبنة قس ايضاً تونس حيث الامكابة تقى ضمن هذه الحدود ، وتأني فرق هذا الحسد بقليل في الغرب . كذلك نقصت ايضاً المواد الغذائية الاخرى : كازيتون والتين والتمر والبقول الجففة والاشنة . ان ٣/٤ السكان همومون عملياً من الحليب والقموم والبيض والمواد النفعية الجيدة . وهذا النقص الذريع في المواد الغذائية كان القاعدة العامة التي تحيط بالسكان قبل الحرب العالمية الثانية . ولعل خير مثل لهذا البؤس الذي يتسكع فيه السكان هو وضع القبلي الكبرى حيث تبلغ كثافة السكان ٢٤٠ واحيداً ٤٣٠ نسمة في الكيلومتر المربع الواحد .

ان قضية تونس نصف سكان القبلي بالمواد الغذائية في عام ١٩٤٥ ، لم تكن من الامور الماردة على الاحلاق . ان هؤلاء الاناسي يتألف من طيعين البوط الذي كثيراً ما يجرى خلطه بقرش الفوط بعد قشها . ففي قرى القبلي العائنة في الجبال ، هذا الطحين الاسود الحشن المروج باقة حشوية هو الذي تضطر ربة المنزل لتقنيه طوال النهار كوجبة رئيسية للأسرة . ان قطعة من الطينة المصنوعة من هذا الطحين وبعض اطواب من التين الجفف ، يكون اساس الغذاء الذي تقدمه لاسرتها ، (كما يؤكد لويش شقاليه) .

فالتقص في التغذية يسبب الضعف للره والحوزال كما تثبت ذلك النتائج التي ادت اليها الاعان فلي مقاطعة قسنطينة عام ١٩٣٩ ، كان ٢٦٪ فقط من الذين تقدموا للكشف الصحي اعتبروا

صالحين للخدمة . واللامساواة بين أبناء البلاد و لاوروبيين تبرز في كل المجالات والقطاعات . وقد اظهرت لجنة ماسبيول بدرس توزيع الدخل القومي في ليجرائر ، ان دخل الاسرة الالمانية السوي يتراوح بين ٢٤٠ ٠٠٠ فرنك ، بين ٤٠٠ فرنك في الاسرة الجزائرية ٣٠ ٠٠٠ فرنك ، ويصل الى ٢١ ٠٠٠ فرنك في السنة عند ٦ ملايين من الفلاحين . وفي المغرب كل ٣٦٠ ٠٠٠ فرنسي يصيبون ١/٢ الدخل العام ، ويتقاسم ٧ ٥٠٠ ٠٠٠ مقربي الثلاثة اخماس الباقية ، فيكون دخل الفرد الواحد اقل من ٣٠ ٠٠٠ فرنك في السنة ، أي ١٦ مرة اقل من دخل الفرنسي . وعدم المساواة هذه بين شقي السكان تبدو اكثر بروزاً ووضوحاً في مجال التعليم . فبينما ولاد لاوروبيين الذين هم في سن الدراسة واولاد اليهود كلهم يذهبون الى المدارس ، فالولاد لاسر الاسلامية من هم بين ٦ - ١٤ سنة ، يذهب ١٢٪ منهم الى المدرسة في تونس ، و ١٠٪ في ليجرائر ، لعدم توفر الابنية المدرسية والمدرسين . ولداً من اصل ثلاثة من اولاد الالوروبيين يذهب الى المدرسة الثانوية ، بينما يذهب طالباً واحداً من ١٢٥ طالباً من اولاد الاسر الاسلامية يتلقى تعليمه فيها .

والصنيع يبدو الوسيلة الوحيدة لحل المشكلات الحادة التي يشهدها المجتمع الديموقراطي في البلاد . وقد جرت اول محاولة من هذا القبيل عام ١٩٤٠ عندما صبح من لتعدد جداً استيراد مواد البناء والاقمشة والسكر والمواد الاستهلاكية المصنوعة العادية التي لم يكن احد منها يُصنع محلياً . ففي هذه السوق التي اعدمت فيها كل منافسة هزينة ، تم اثناء عدة سنوات لم تلت ان ضاقت امامها شروط العمل عندما امكن استئناف العلاقات التجارية مع الخارج . فزاد الاموال ايرضية فاستثمر بالاحرى في شراء الاراضي والعقارات السكنية . فاستثمارات الكبرى جاءت من الخارج كما توجهت الى امريكا الشمالية وساعات فرنسية ، واستثمرت اموال اميركية في منحهم رليجة بحثاً عن النفط . وحركة التصنيع هذه اعاقها فقر البلاد لصادر الطاقة . فالفهم الموجود الى الجنوب من وهران لا يمكن استغراحه الا عن طريق مساعدات مالية ويبقى اعلى سعراً من الفحم المستورد .

التخطيط الاجتماعية الجديدة

كان من بعض نتائج الاستثمار في هذه البلاد ان دمج نشاط بعض القطاعات في حياة العصر الاقتصادية ، وبذلك خرج هذا النشاط عن الطوق القبلي البدئي ، ان توطن الفئات في المناطق المحددة لها بكل دقة ، والانتقال بالبلاد من نظام الملكية المشتركة الى الملكية الفردية ، والتمويل على الاقتصاد النقدي في هذه المناطق بالذات التي عرفت بانطوائها على نفسها ، كل ذلك ساعد على تطوير الروح الفردانية كما زاد في اللامساواة لاحتياجات التريادة . فالفئات الموحدة في الجنوب تنجزاً وتفتت الى أسر بائسة عجزت عن التمسك والاستيطان لانقارها لموارده ضئيلة من الآبار الارتوازية هي بحاجة ماسة اليها . وسكان الجبال ادس يخضعون موجبات الظعن والتنقل اضطروا للحد من ظمهم ولزج الوديان التي يقيمون فيها ، والبدر الرحل في القبايل اضطروا هم بصلاً لاستثمار اراضيهم المعرضة دوماً للجفاف ، واصحاب الحرف ولبن الصغيرة في المدن تعرضوا لضرب

من جراء منافسة الحاجيات لمصنوعة لهم . هذه التغيرات والتسييلات التي وفرت اسبابها حالة الحرب ، وأعمال الرشوة ، كل هذه العوامل ساعدت الاعيان ووجوهها ان يزيدوا كثيراً من ثرائهم ونفوذهم ، ووسعوا املاكهم على حساب صغار الملاكين بعد ان اضطروهم للتخلي عن اراضيهم . وعلى قرار ما جرى في بلدان الشرق الاوسط يرى رؤساء القبائل الضاربة في القسم الاوسط من جبال الاطلس مثلاً التي كانت آخذة بالاستيطان في هذه المنطقة ، اقتطعوا لأنفسهم مساحات واسعة ، وقد استطاع بعض التجار من سكان المدن ان يجمعوا ثروات طائلة وحدث في الوقت ذاته انحطاط اقتصادي شعري طائفة من الاغنياء سكان المغرب وسكان تونس وهذه الطبقة النورسوازية التقليدية المعروفة في المدن التي تلقت ثقافتها في المعاهد الثانوية الفرنسية والتي تطبعت بالطباع والمعادن الغربية . الا ان ضحلة ثقافتها لم تكن لتساعد على منافسة الغربيين . ومن هذه الطبقة بالذات ، ظهرت الاطرو والملاكات التي تنظمت الحركات الوطنية .

برونيتاريا المدن في المدن تضخمت البرونيتاريا بأعداد ضخمة وذلك بعد ان ضاع عشرات الالف العمال للرقيق القبائل التي ينتمون اليها ووزلوا الى المدن كما كشف عن هذا كله الاحصاء الذي جرى عام ١٩٣٦ وبين الخطر الذي يكن تحت هذه الظاهرة التي ستشهد وستطور مع كل اشتغال يطرأ على الوضع الاقتصادي في البلاد ، ومع كل جماعة او حلفاء يشهد بها . وهذه الألاف المؤلفة توجت من مقاطعات جربا والمزاب والقبلي ومقاطعات بربر تواراس الى الشبال من فسان ومن منطقة الربيع الشرقي ومن المنطقة الغربية في جبال الاطلس الغربية ومن سهول صوصة او انني اطلس ، ليصلوا بضعة اشهر في المدن ليوفروا من اجورهم ما يسمح لهم بتسديد الضرائب المترتبة عليهم ، واشراء الحاجيات المصنوعة ولا سيما الالبسة والمواد الغذائية لمائلاتهم . وهناك نحو ٢٠ بالمائة من هؤلاء النازحين ياحمرون كما ياحمر هذه من النساء ايضا ، فيتجهون في هجرتهم هذه الى فرنسا التي تستقبل ٣٠ ألفاً من المغاربة ، و ٣٠٠.٠٠٠ من سكان القبلي ليصلوا بما يوفرون ، المتطوعين في الديار وهدم لا يقل عن ١٤٥٠٠.٠٠٠ نسمة . وفي سنة ١٩٤٠ ان ٦٧ بالمائة من متوسط الدخل في القبلي كان يأتي عن طريق الهجرة كما ان ٣٣٪ لا خير كانت موارد المنطقة تؤمنها لهم . والذين يبقون في البلاد ، كانوا يحتشدون في المدن و يتكدسون في هذه المخيمات الضخمة او في هذه التتخايب التي تكثر مثلاً في ن مسبيك التي تعد ١٥٠.٥٠٠ نسمة عند مدخل الدار البيضاء او في هذه القرى السوداء ، القافة في اراض مشاية بالقرب من تونس وعسالة ومدينة الجزائر او في المدن الساحلية في المغرب التي تضاعف سكانها في خلال عشر سنوات ، او في الدار البيضاء التي زاد عدد سكانها ثلاثة اضعاف في الاخرى . وهذا المزيج نحو المدن اعصى الى تعطيل أطر الحياة التقليدية وارتدت معه الحياة المائلية طابعاً حديداً يختلف عما كان لها من قبل : لا استقرار في الحق والحياة الداخلية في الاسرة مهددة بالمطب والخطر لاضطرار رب الاسرة للتغيب عن منزله بحثاً له عن امر طيب كما ان امراته تعمل في الاخرى في ما يريد من دخل الاسرة ، وتصبح بالتالي اكثر استقلالاً عما كانت عليه ، مما ادى الى تكاثر حوادث الطلاق والروابط غير المشروعة .

وبالرغم من هذا التعبير العميق ومن اقبال الناس على ارتداء الملابس الداخلية الغربية الطرود، والتطور الذي حراً على المسكن والاثاث واسباب اللهو كلعبة الكرة والاقبال على رياضة العدو وركوب الدراجة ، والاقبال على حضور السينما ، فتأثير الشرق على الناس بقي قوياً كما بقي مسيطراً، كما ازدهار قوة واثراً من طريق الصحافة والمسرح والراديو، هذه الاختراعات ووصلت الاتصال الحديثة ، التي تطلعت بين سكان المغرب الأقصى مع التيسر الثقافي والدعوة الحزبية والجهود التي قام بها علماء الدين لتنقية الاسلام من الشوائب التي لحقت به متجبهة لمحاربة الجمعيات والاسويات الدينية ثم تخلف من حدة هذا النموذ ، والنخف من استحكام الدين ومراحته في المدن ابقى الروابط الدينية والشعور الديني قوياً في النفوس ، اطلت فجأة على البلاد جمعيات دينية جديدة ورواها كما بثت كتابات قرآنية يأخذ فيها الصغار باستظهار القرآن فالخضرة الاسلامية في المغرب قوية ناشطة ولم يمد هذا المغرب بشعر ان اشقاءه اتخذوا به اوايه لا يزال معرولاً عن باقي العالم الاسلامي . ولبعض زعماء الحركة الوطنية الذين يترضون لاحقة السلطات الى القاهرة فيتلغون من الامون المالي والادبي ، ومن القاهرة تنطلق الدعوة للجهاد ضد السلطة المسيطرة على البلاد .

فتح الجرائر ونوس الذي تم منذ عهد بعيد ، انتهى في
 المغرب ، عام ١٩٣١ . منذ عام ١٩١٤ ، لم يضطرب الامن في
 هذه البلاد بصورة خطيرة لا خلال الحرب التي شنها زعيم لريف المغربي عبد الكريم ضد اسبانيا
 اولاً (هزجة اوال عام ١٩٢١) ، ثم ضد فرنسا ، عام ١٩٢٥ . ووقع اول انفجار وطني في
 هذه البلاد ، عام ١٩٣٠ عند نشر الظهير الشريف حول قضاء البربر ، الذي رأى فيه الرأي
 العام الاسلامي محاولة لتجريد المغرب من الاسلام الذي هو عليه ، وماصرة الحركة التشيعية
 التي تقوم الكنيسة الكاثوليكية بها في هذه المنطقة .

وفي هذا الوقت بالذات نشطت للعمل ونشأت الحركات الوطنية الثلاث التي تجاملت
 بعضها البعض ولم في الظاهر ، مدة طويلة ، من جراء هذه الحواجز الادارية التي اقامتها
 السلطات الفرنسية في البلاد ومن جراء هذا اثنان في الاوضاع السياسية انتهت باقامة علاقات
 وطيدة فيما بينها . وبوصفها فرعاً من الحركة التحررية الشاملة المضادة للغرب هذه الحركة التي
 اطلقها الملك الاوربي نفسه في البلاد ، كما جاء في لسانه . هي مونتيني ، فهي تنقسم في
 كل قطر من هذه الاقطار الى زعتين رئيسيتين . الاولى دينية ، رجعية محافظة في المجال السياسي
 والاجتماعي ، تتمثل في تونس في حزب الدستور القديم الذي تأسس عام ١٩١٨ ، وفي الجرائر
 بجمعية العلماء ، وبالربطة الاسلامية الذي اسسها الشيخ اس باديس (١٩٣٦) ، وفي المغرب ، وهي
 جناح اليمن من الحزب الوطني . واساس هذه التفرقة هو الشعور الديني الذي تحيى به الجماهير
 الشعبية ، وتشجب الروح القربية وتوصي باحياء للقائمة العربية وتطالب بالاستقلال الوطني ضمن
 حله شامل يضم الدول العربية . اما التفرقة الثانية فهي التي طبعها هذه المحبة التي تلقت

لطيها في المعهد الفرنسي الكندي والتي تطالب بوطن مستقل على النمط الأوروبي ، وتمثل في حزب الدستور الجديد الذي أسسه بورقيبة عام ١٩٣٤ ، وبحزب الشعب الجزائري (P P A) ، والحركة التي تطالب بانتصار الحريات الديمقراطية (M. T. L. D) ، التي أسسها مصالي الحاج عام ١٩٣٥ والتي تطالب باستقلال الجزائر ، وبالجماع الليباري في لجنة العمل المغربي. والفكرة القومية المرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالفكرة الدينية والشعور الديني العميق لم تلت ان تخطت الاوساط الفكرية . وقد وجدت لها العديد من الانصار في اوساط اصحاب الحرف والمهن وفي الاوساط البروليتارية في المدن ، ولم نعلم ان اتصلت بالجماع الرئيسية . وهذا الشيوع والانتشار السريع انما جاء نتيجة لهذا التوجيه السياسي والمادي الذي وقع في كل من هذه البلدان وهو من صنع الادارة الفرنسية والنظرية الاقتصادية الحديثة ، والتفسير الجبري الذي طرأ على المجتمع التقليدي الذي اكثر من تصلاته ووطد من علاقاته مع باقي اجزاء البلاد . وعلت الصحافة والراديو ولسينا على تنشيط بقطة الرأي العام ، كما ان سهولة الاتصالات والاسفار ساعدت في الاخرى على ذلك.

فحركة الجمع التي قامت بها السلطات في كل من تونس والمغرب عام ١٩٣٧ و ١٩٣٨ وفشل الشروع الذي تقدم به بلوم وفبولت عام ١٩٣٩ الذي اقترح الاحد سياسة قتل البلاد سياسياً والتخفي عن التدخل في ما يتعلق باحوال المسلمين الشخصية لاهاء البلاد ، والحظر الذي وقع على الحزب الجزائري المعروف P P A عام ١٩٣٩ ، كل هذا أدى الى تقوية جانب الزعماء الوطنيين امثال مصالي الحاج وبورقيبة وعلال الفاسي ، ومساهمة نظام الحماية ومقاومتها التي تتمثل في تونس بشخص النابي منصف تمشير بعد ان جرى خلعهم وإسقاطه عن الحكم عام ١٩٤٣ ، في هذه السنة بالذات التي نشر فيها مبرحات عباس «البيان الجزائري» ومشروعاً عاماً للإصلاح ينص على قيام دولة جزائرية لها دستورها الاساسي ونظامها الخاص ، وعمل في اثر ذلك على امشاء «جمعية استفتاء البيان والحرة» التي تطورت فيما بعد واصبحت «عام ١٩٤٦» الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري (U. D. M. A) ، الذي انضم اليه عدد كبير من اعضاء الحزب الشعبي لجزائري القديم . وفي سنة ١٩٤٣ ، ظهر في المغرب حزب الاستقلال الذي اخذ يطالب باستقلال المغرب . والفئة التي قامت في مقاطعة فستطسة ، عام ١٩٤٥ جرى قمعها بقسوة كلية ، وفي عام ١٩٤٧ ، ظهر «النظام الاساسي للجزائر» ، وفيه ابتعدت الحكومة عن سياسة التمثيل والاستمرار ، واعطت المبررات نظاماً لامركزيّاً موسماً مع مجلس تشبلي جزائري له صلاحيات واسعة ، ينتخب على دورتين يشترك في الاولى ٥٠٠ ٠٠٠ فرنسي اوس لف لفهم ، ويشترك في الثانية مليونان من المسلمين . الا ان هذا النظام لم يعمل به فقد . وقد عطب ذلك احرادات رجعية تناولت المقاطعات الثلاث ادت الى توقيف عدة الوف من الجزائريين في اثر المظاهرات الوطنية التي وقعت في البلاد .

استقلال تونس والمغرب وروح يناهض المطالب الاستقلالية ومشاريع الإصلاح ،
 والمواطنون الفرنسيون ، في شمالي افريقيا : كالمغربيين والموظفين
 والتجار وهذه « النخبة » التي لا قاعدة شعبية لها ، الذين يسيرون على المراكز الرئيسية في
 الادارة والحياة الاقتصادية ، مع ثلوث موقوفهم : فرجال الصناعة والتجار هم على الاجمال اقل
 دعماً من المعمرين لهذه التغيرات ، الذين يستقلون رخص اليد العاملة ، وكبير الموظفين الذين
 اعتادوا احمال الادارة التي لا وقيب عليها كما الفوا « الروح الابوية الصلبة » التي لا تتحمل
 المتناقضات ، و « هؤلاء البيض الصغار » المتمثلين بصغار الموظفين والمستخدمين الذين يجمعهم حداً
 الاحتفاظ بوضع قانوني يميز بينهم وبين ابناء السواد الذي لا يثيرهم تفوقهم العددي وذهنية
 « البيض المساكين » التي عرفتها اميركا الجنوبية من قبل ، تفسر الهجمات التي تعرض لها المقيسون
 العامون والحكام التبعون بمآلاتهم المشاريع الإصلاحية ، ومذكرات ثقت النظر الى « المحافظة
 على النظام » ، اي لاستمارة بالتدابير العسكرية والبوليسية والقتل الذي استهدف له فرحات
 حشاد عام ١٩٥٧ ، ولويسفر دوبروي عام ١٩٥٤ . وهذه الشدة هي وراء الفصل الذي اصيب
 به النظام الاساسي الذي وضع عام ١٩٤٧ للجزائر ، وهو حادث خطير الشأن اوحى للوطنيين
 الشعور بأن وعود الإصلاح التي قطعت لهم انما هي وعود عرقوبية وان لا أمل لهم في الاعتماد على
 فرنسا .

وبين هذا الموقف يقفه الفرنسيون في شمالي افريقيا يشد من ازرق الفريق المحافظ من الرأي
 العام الفرنسي ، وبين الرقبة في اوقوف الى جانب الوعود المظنوعة للوطنيين اخذت الحكومات
 تتردد وتتمهل ، على ان صحت في نهاية الأمر بالحكام المصلحين (امثال ماثيغو ، لابون) ، وعرك
 الحرية لكبار الموظفين المدنيين والعسكريين والتجبراء المختصين بشؤون افريقيا الذين اوصوا
 بانتهاج سياسة الشدة ، كالتوقيف وتشتيط اسلطة واعلان حالة الطوارئ ، وقروض الرقبة على
 الضعيف وانشاء عييات الاعتقال وترور الانتعصابات بالرشوة والضغط الاداري مما أدى الى
 تفاثر الاصرابات والمظاهرات المعارضة وخيراً محاولات القتل والتعريب والوصول الى توحيد
 الاقطار الثلاثة وهي فكرة لم تكن لتخطر على بال احد قبل ذلك بمصع سنوات . وقد بلغت
 هذه السياسة قروتها من العنف عام ١٩٥١ - ١٩٥٣ عندما وقع الملاي ، باشا مراكش ،
 موقفاً مهادياً على لمكشوف صد السلطان ، والتواطؤ مع الادارة ، سارت فساد البربر باتجاه
 مدينة فاس والباط لفرض خلع السلطان سيدي محمد بن يوسف .

ورسخت الحركة الوطنية في المغرب وتونس تنهم فرنسا بتحويل نظام الحماية المفروض على
 البلاد الى نظام حكم مباشر ، وذلك « باشاء ادارة مراقبة مباشرة في جميع المراحل وخلق
 ادارات جديدة اسندت اعمالها الى موظفين فرنسيين » ، كما اهتموا بتدخل المعمرين الفرنسيين
 بشؤون البلاد لداخلية من طريق العرف الاقتصادية والجميات وغير ذلك . ولناداة بان عرفة
 سلطاناً من قبل الفرنسيين دعى حركة مناهضة نظام الحماية ، هذه الحركة التي امتدت الى

الجنوب من البلاد ، الى هذه المنطقة التي تعتبر « الاقطاع » الخاص بالفلاوي ، وامتدت الثورة الى قلب هذه القبائل التي كان يُظنّ فيها انه طرغ بنان السلطة ، ثم انقلاب الفلاوي باشا الذي انضم للسلطان المذموم مما أدى الى عودته منتصراً الى البلاد والى اعتراف فرنسا « باستقلال المغرب ضمن ارتباطه بفرنسا » وذلك في تشرين الثاني ١٩٥٥

وفي تونس «مكن تطبيق بعض الاصلاحات الموعودة بحيث ابرزت الشخصية التونسية مؤلفة بذلك مرحلة نحو الاستقلال الداخلي مع مجلس نيابي منتخب . الا ان « الجمعية الوطنية التونسية » بقيادة حزب الدستور الجديد ، اعتبرت هذه الاجراءات غير كافية ، وقام القلاقة بمفاوضات هامة في منطقة الكاف ، وقد امتدت الحركة التي عادت بضعة آلاف من الانتصار حتى بلغت حدود الجزائر ، الامر الذي اضطر معه مندوبين فرانس ، رئيس مجلس الوزراء في فرنسا الى اعلان استقلال البلاد الداخلي والدخول بمفاوضات مع الحكومة الجديدة التي تألفت برئاسة بورقيبة بعد ان اخرج عنه في فرنسا واطلقت له حريته . وفي آذار ١٩٥٦ ، تم الاعتراف رسمياً بدولة تونس ، فألغت لهاكم التشريعية ، كما ألغى فيها تعدد الزوجات . وفي تموز ١٩٥٧ ، تم إلغاء الملكية ، واطلقت الجمهورية في البلاد

وفي الجزائر اخذ نشاط القلاقة يتد في هذه المنطقة الواقعة بين سوق الاحراس وتيسة لتتصل بجبال الاوراس ومنها الى مقاطعة قسنطينة وكل المنطقة المجاورة لها . وقد كان لاعلان « حالة الطوارئ » ، وفرض لمراقبة ولعمليات التوقيف «الجملة ان حققت الحوة الفاصلة بين المتمردين الفرنسيين ومسلمي البلاد حتى المتدلين منهم . والاعضاء الجدد الذين جرى استنابهم في الدورة الثانية رفضوا رفضاً باتاً كل فكرة بالدمج ، ولقي الثوار ترحيباً حاراً في الاوساط الشعبية التي توطأت معهم ، واستنوا مساطق غير مأمونة رادت وقعتها اساعاً بالرغم من وجود جيش قوي وحركة القمع المنيعة التي قام بها . ولم تلبث ان قامت بين الجهتين حرب فعلية شاقة ودامية اضطر معها الجيش الفرنسي الذي تألف من ٤٥٠٠٠٠ جندي ان يواجه وحدات نظامية لها برتها الرحيمة وتجهيزاتها واسلحتها الثقيلة ، مدرية على الهجوم المفاجيء . وعلى التمثل والتي بالرغم من الحسانن الكبيرة التي تكسبتها ، بقيت تتمر وتزداد وتزيد من قوتها . وهكذا طالت الحرب وامتدت ، كما انت رفض المتمردين ومن بعدم انتصار جبهة التحرير الوطني N. ب. مشروع قانون بوماديج يرمي الى اعطاء الجزائر نظاماً جديداً اعتمد كل امل بالوصول الى اتفاق بين الطرفين . وفي اثر قصص القرية التونسية ساقية سيدي يوسف بررت احكامانية تدويل الحرب الجزائرية ، كما ان المؤتمر الذي عقد في حصة بين ممثلين عن حزب الدستور الجديد وحزب الاستقلال المغربي وجبهة التحرير الوطني الجزائرية شدّد على توحيد المغرب بضم اقطاره الثلاثة . وقد تمرد صباط الجيش والمناصر الناشطة في الجزائر في ١٣ ايار ١٩٥٨ ضد سلطة حكومة قلاان التي اتهموها ببده المفاوضات مع المتمردين .

أفريقيا الشمالية منذ الاستقلال . وبذلك وضع حداً للمعارك التي غطت البلاد بالنساء منذ ثمانين سنوات . وقادت القوى الوطنية الحرة الحرب وفقاً للبادئ والنظريات الجديدة لحرب المناوشات . وثقلت المساعدات المالية والمادية من قبل الدول العربية والإسلامية كما حظيت بمطف الأمم المتحدة ، ومطف عدد من الدول أحد يتزايد يوماً بعد يوم ، كما تلقى بالولاء الذي لقيته من قبل سكان البلاد الأصليين . وبذلك استطاعت أن تجند الجيش الفرنسي الذي يتفوق عليها بكثير من حيث العدد والمُدَّة والتسلح ، والذي لم تسفر الاقتصادات التي حققها عن نتائج تذكر . وإلى هذا الصراع الذي قام بين الجيشين ، قام صراع عنيف لا هوادة فيه ولا راحة تخللها أعمال إرهابية حوت إلى حوادث متفامية قامت بها وحدات البوليس والمنحرفون الأوروبيون اتخذت طابعاً وحشياً لا مثيل له جرث ورائه الخراب والدمار والأرت القصفان والاحتقاد . وهكذا شهدت البلاد تطورات عميقة الجذور . أريداء مدهش لعدد السكان في المدن بعد أن حمت البلاد موجة من نزوح سكان الريف الذين همجروا مساكنهم بعد أن اضطرب حمل الأمن في البلاد . وانشاء مراكز تجمع ، خاضعة لمراقبة الجيش الفرنسي منها هزل الفدائين الجزائريين ، وذلك بمحشد سكان الدوار في قرى اصطناعية . وهكذا رأينا اصحار من ٢٠٠٠٠٠ من سكان الريف (أي جزائري واحد من كل أربعة جزائريين) وجدوا أنفسهم عام ١٩٦٠ محشدين على هذا الشكل ، بمبدين عن ماكن سكنهم وهذا الاقتلاع الذي لم يسبق له مثيل من حيث الاتساع والشمول ، غير كثيراً من عادات اللقوم واخلاقهم وقلب رأساً على عقب عط العيش الذي ساروا عليه أباً عن جد كل يوم . وذلك ماسدات تغييرات في العلاقات بين الرجال والنساء والأولاد بعد أن ارغموا على العيش معاً في هذا الاختلاط والسطاة القسرية ، بعد أن تركوا حافاً الأعمال الزراعية واهملوا اراضهم الامر الذي قتل اقتصاديات البلاد حكما قصى على المجتمع الريفي وزاء من تنسخ الاخلاق والشقاء .

والاستفتاء الذي جرى في ٨ كانون الثاني ١٩٦٩ والذي اعطى بين أبناء البلاد ربين المستوطنين الفرنسيين اكثرية لمحمد حل القضية الجزائرية على اساس « حرية تقرير المصير » اوسعى للاروبيين المستوطنين في الجزائر فكرة صحيحة من العزلة التي تنتظروهم وتبينوا ان كل الآمال التي عقدوها بفرس ارادتهم الاخيرة على البلاد كما تم لهم عام ١٩٥٨ ، قد دهمبت ادراج الرياح . وقد عقب ذلك موجة من العنف الذي لم يسبق له مثيل لا سيما بعد الثورة التي اعطتها للقواد الاربعة والتمرد الذي قاموا به ضد الحكومة الفرنسية ، مما أدى إلى قتل وتغليب عدد من الجزائريين قام هؤلاء بأعمال ماثلة للنار من صحاياهم ، في مجازر بشرية دموية شارك فيها حتى الاولاد . والمفاوضات سرية أولاً ثم علنية بين الحكومة الفرنسية وبعثين للجزائر في ايطيان ، أدت في ١٨ آذار إلى اتفاق وقف اطلاق النار دون أن يضع حداً لأعمال العنف والتنكيل واهلن المتمردون الفرنسيون سياسة الأرض المحروقة ، وساروا أن يرجعوا مركز مقدومة في الاحراج

والفدائيات كما حاولوا القيام بحركة انقلابات نظمها فدائيون . والاستفتاء حول تقرير المصير المأخوذ من الفرصة أمام الحكومة الفرنسية لإعلان استقلال الجزائر في ٣ تموز في الوقت بالذات الذي نشأت فيه أزمة حادة في قلب جيش التحرير خرج منها بن بلا منتصراً . فالجزائر تؤلف إذ ذاك بلاداً مبهمة قصت الحرب فيها والأعمال العسكرية على مئات الألوف من سكان البلاد ، كما أن المستوطنين الأوروبيين كانوا قد غادروها إلى فرنسا في بضعة أسابيع ، في هذه الموجة العارمة من أعمال العنف والسلب ولم يبق فيها سوى ٢٠٠٠٠٠ منهم مع العلم أن كل العناصر التي تكون الأطر الإدارية والتقنيين والمدرسين كانوا غادروا البلاد ، وسادت أعمال القسوة في جميع أطراف البلاد ، كما أن رمقه جيش التحرير كانوا على وشك حرب أهلية فيما بينهم .

أقرت الحكومة الجديدة دستوراً جديداً وراحت تحاول إعادة تنظيم البلاد على مبادئ الاشتراكية . فأتمت لاملاك الشاغرة وعدداً مهماً من المشروعات الرئيسية كما صادرت جميع أملاك المرحمين الأوروبيين ، وأنشأت لجاناً صغيرة لإدارتها وبدأت تقاض فرنساً التي لم يكن بد من مساعدتها المالية وللتقوية ، ولأجل الوصول إلى اتفاق حول تحصيل وحدت العيش الفرنسي الذي غادر البلاد هائياً في حزيران عام ١٩٦٤ . وهكذا تم الوصول إلى اتفاقات لتنظيم مساعدة فرنسا المالية والتقنية واستثمار فقط الصحراء الكبرى

وقد توصلت كل من الحكومة التونسية والمغربية إلى عقد اتفاقات مع فرنسا لإخلاء البلاد من الجيش الفرنسي واستعادة الأملاك التي كان يستثمرها المغمرون . وقد أدت الساحة الاستبدادية التي مارسها رئيس الحكومة في كل من هذه الاقطار إلى قيام معارضة في وجهه ، وهي معارضة بقيت عامرة في وسعها رقيقة في تونس لا أنها كانت أعنف واشد نشاطاً في وجه الملك حسن الثاني ، تمثلت على الأخص في الحزب القوي الشعبي وحزب الاستقلال . أما في الجزائر فقد انتصرت المعارضة في الانقلاب العسكري الذي قام به العقيد هواري بومدين وأدى إلى قلب بن بلا وإبعاده عن الحكم في (حزيران ١٩٦٥) .

وقد أدى هذا الصراع ككل الحركات الوطنية التي وقعت في القرنين التاسع عشر والعشرين إلى توحيد ممثلي كل لاحتزاب وكل طبقات الشعب في هذه الحركة المشتركة لتقرير المصير الذي يؤمن استقلال البلاد وسيادتها ووراء القضية السياسية تكن قضايا ومشكلات أخرى أهمها المشكلة الاقتصادية التي تعاني منها كل البلدان المتخلفة : فكيف السبيل إلى تأمين أود العيش لهذه الجماهير البائسة ، وهي نفس القضايا التي اعترضتنا في ممرض الحديث عن أقطار جنوبي شرقي آسيا التي فالت استقلالها منذ عهد قريب

الخصائص الجغرافية

تطور افريقيا السوداء

نضع هذا القسم من افريقيا الواقع جنوبي الصحراء ، هو الآخر لتطورات عميقة ارسخت معالمها في الاقن خلال السنوات الخمس والعشرين لاختيرة وذلك بتأثير مزدوج من الازمة الاقتصادية التي رزعت بكل ثقلها على البلدان ذات الاقتصاد السريع للعطب ، ومن الحرب العالمية الثانية ، غيرت أوضاعها وبذلت من طروءها وصروفها ، واوجدت فيها توتراً عتيقاً اشتد بين الدول المستعمرة والبلدان الخاضعة للاستعمار التي راحت تتطلع الى السيادة والاستقلال. فأثار ذلك امام الاولى منها مشكلات ومصاعب معقدة كان من العسير حلها حلها بعد ان ايقنت ان ليس أمامها من بلدان تستثمرها وتستغل خيراتها سوى القارة الافريقية .

١ - تطور الاقتصاد والمجتمع

والسرعة التي تعاقبت فيها هذه الحوادث يجب ردها في الدرجة الاولى الى حدة التنافس الاقتصادي بين الدول الاوروبية على استثمار خيرات امكانياتها الاستثمارية ومواردها الطبيعية ، والى استنطار الرأسمالية التي أسست الى استجاراتها الناحية عبر البحار فرأت ان تقشغل حافياً من هذه الاموال التي كانت تستثمرها من قبل في آسيا الجنوبية الغربية ، في افريقيا ، واخيراً الى ازدياد الاتصالات بين الاوروبيين وسكان البلاد الاصليين .

يسرت هذه المواصلات ولانت بعد ان تكثر عدد الاوروبيين طرق المواصلات دائرها الذين استقروا عبر البحار مع اسه بفي صميمها نسبياً : ففي مياسالاندا ٠,١٪ وفي افريقيا الشرقية الانكليزية ٠,٣٪ ، وفي افريقيا الشرقية الفرنسية ٠,٤٦٪ ، وفي الكونغو البلجيكي ٠,٧٪ ، وفي افريقيا الغربية الفرنسية وانغولا ١٪ ، وفي روديسيا الجنوبية ٦٪ ، وفي افريقيا الجنوبية ٢٠٪ . كذلك ساهم في هذا اليسر تجنيد عدد كبير من ابناء هذه البلاد واستخدمهم في الاعمال الحرة التي دارت رحاها في النيوبيا وشمال افريقيا وفي بورما واوروجوا . وهكذا اخذ يزداد عدد الوطنيين يوماً بعد يوم الذين تضطروهم

الاعمال والظروف للاتصال الشخصي بالاوروبيين والتغافل الى قلب المظاهر المسيزة للحضارة الاوروبية ، وبذلك تم لهم الاطلاع على ما فيها من عوامل القوة والضعف ، وأنسوا في اوروبا جواً لا تشوبه بشيء مظاهر العرقية والعنصرية خلافاً لما يجري في بلادهم . وقد كان في نهاية الامر لتطور وسائل المواصلات ولا سيما وسائل النقل بالسيارات التي سهلت من اسباب الراحة والتنقل اثرت مشطت حركة التبادل بين اجزاء افريقيا الثانية بعضها عن بعض . فالطرق المعبدة ، شأها شأن الخط الحديدي بالذات ، هي خير محمل . فهي تقضي الى تحرير الاسود ، اذ يحمل اليه المالك بشكل اسرور وسرقات ، كما تحمل المتاجر الذي ينقل معه وسيلة انفاقه ، وبفضل هذه الطريق يتحرر المزمع من المورديات التقليدية التي كانت تشده اليها تعلقاته بين القرى والمدن . وغير مثال على النمو الثوري الذي يمكن ان يلمح به شق طريق جديدة هو الخط الحديدي المعروف بخط باس - كوتفو - كلنفا (B. S. K) ، الذي يصل بورت فرانكي وبوكاما ونم بناؤه بين ١٩٢١ - ١٩٢٨ ففي اقل من عشر سنوات حدث سيل من تفتلات السكان بحيث اننا نجد عام ١٩٦٠ ربع سكان الولاية يقيمون على مقربة من الخط المذكور ، في رقعة من الارض مساحتها ١/٤ مساحة الولاية . وقد انتقلت قرى برمتها لتستقر بجوار الخط ، وصار قازج وتخالط بين طبقات السكان ، والوضع الاقتصادي القديم في البلاد الذي جعل اصول الزراعات التجارية انقلب تماماً من جراء التقاوى الجديدة التي يمكن لها بناء الخط ونشاط الحركة عليه (اسرور العمال وبنقات صيانتهم) ، والزراعات الجديدة التي نشأت على جانبيه كالنفتق ولطفن والمانيوك والذرة الصمراء التي حلت محل الزراعات البدائية القديمة وامكن بالتالي تصديرها الى مقاطعات كلنفا وروديسيا الشمالية . والقطارات التي اشتمل خشبها لوقود احدثت تقطير وراحت احدى الشركات الفرعية اكسفوردكا (استنثار الاحراج) تستثمر الغابات الكثيفة استنثاراً موحدياً ، بمدان قالت امتيازاً لاستنثار ارض مساحتها ٣٥٠٠٠ هكتار . كذلك تأسست شركات كبرى للزراعة الماشية تربي اكثر من ١٠٠٠٠٠ رأس من البقر ، كما اقطعت الحكومة مساحة ٥٢٠٠٠ هكتار للمربين اوروبيين لكي يستعملوها . وهكذا زالت من الوجود قرى وقصبات ظهرت مع دخول الاوروبيين الى تلك البلاد لتحل محلها مجتمعات تجارية قامت على مقربة من الخط المذكور .

فلم يبق في كل افريقيا قرية مهمات وهدمت ، لا يستعمل المواطنون من ابناء البلاد فيها المصنوعات الاوروبية ، كما ان الافكار والامور التي يتكلمون عنها او يبحثونها والاحداث التي يعلقون عليها كلها تمت الى اوروبا . وهذا التحول بين حصارين متعارضين وهذا التواصل بين مدينتين ، ادى بالطبع الى تطورات عديدة في حياة هذه المجتمعات البدائية قضت تدريجياً على عاداتهم وتقاليدهم المتوارثة

الاعتماد التام على النقل
 فمضى هذا الاقتصاد المغلق القائم على حركة القوية والمجتمعة كما
 قام على حركة القارة الأفريقية نفسها حيث تنتج القوية كل مسا
 يحتاج اليه سكانها من صنع الحائكة (الكوخ واللباس والمواد الغذائية) واصحاب الحرف في القوية
 ، من خزافين وحدادين) على اقتصاد السوق المحلية المرتبطة بالطرقا والخطوط الحديدية ،
 والتجار والعرض والطلب ومطالب الادارة . وبدافع من هذه العوامل المختلفة ، حال المزارع
 الافريقي الى الاهتمام بالماصيل التجارية التي تشتهلها حاجة الاوروبيين لصناعاتهم المختلفة ،
 وهي في الاساس خامات وحواد زراعية ومواد استهلاكية ثينة غير حديدية ، كالسكاكول والفول
 السوداني وزيت البلح والسيزال والحبوط القاسية والبن والحشب الثمين المستخرج من غابات البلد
 والمناس والفسفوس والمنسج والاورانيوم والكوكالت والكروم وغير ذلك . وهذه المماصيل لتدر
 على الفلاح الافريقي وتكون له النقد الذي يحتاج اليه لدفع الضرائب المقررة عليه ولشراء المماصيل
 المشغولة المستوردة من الخارج التي يحتاج اليها . كالاقشة القطنية والحردوات والصابون ،
 وماكينات الخياطة والدراسات وغير ذلك ، لا سيما واستيراد هذه المماصيل يقتضي على الصناعة
 اليدوية بحيث يعتمد على المماصول عليها الا عن طريق الاستيراد . وهكذا قام في البلاد ، على
 الرعايات الغذائية والصناعة اليدوية اقتصاد خاص قوامه شمس منتجات البلاد ومماصيلها نحو
 المرافىء بقصد تصديرها وتوزيع المماصيل المصنوعة المستوردة . وهذا الاقتصاد القليل للتنوع
 وبالتالي السريع العطب (من اصل ٢٧ بلداً رئيسياً من بلدان افريقيا ، عام ١٩٤٩ خسة عشر
 بلداً منها يمس ٧٠ بالمائة من صادراتها على ثلاثة اصناف لا غير) ، الخاضع دوماً لحماية قط ، على
 تقلبات الاسواق الخارجية يسيطر عليه من جهة ثانية بضع شركات تجارية كبرى متخصصة
 بأموال النقل . وهذه الشركات هي التي تحدد اسعار المنتجات والخامات التي تعنى بتصديرها
 كما تحدد اسعار المماصيل التي تستوردها وتبيعها لتجار الفردى ، هذه التجارة التي هي بيد بعض
 الاوروبيين : من يونان وبرتغاليين ولبنانيين وسوريين وهنود وهرب ويده تجار آخرين من اناس
 اخرى كالألوف والهاواس والنولاس .

بعض هذه الشركات تكاد تحتكر حركة التصدير والاستيراد في هذه الاقطار ، منها مثلاً
 الشركة الفرنسية لافريقيا الغربية (F. A. O) ، والشركة التجارية لغربي افريقيا
 (S. C. O. A) في افريقيا الفرنسية ، وشركة الكونغو الاعلى والاسفل (C. F. B. B. C.) ،
 وشركة جون هولت ، هاتون وكوكس احد فروع شركة اونيليفر ، وشركة ريويت الكونغو
 البلجيكي المعروفة بـ (U. A. C) او الشركة الافريقية المتحدة ، والشركة المعروفة باسم
 (Noone) او الشركة التجارية الجديدة وشركة النيجر الفرنسي ، وشركة كينغ في الكونغو
 وشركة كومياري بليو التجارية (S. C. K. N) . ويتخذ حشد رؤوس الاموال احيانا نسبة لم
 تعرف مثلها عوام البلاد المستعمرة حتى في الولايات المتحدة الاميركية ، كما نرى ذلك مثلاً
 في الكونغو البلجيكي حيث تملك الشركة العامة وفروعها الـ ٦٥ ، احتكراً يمتد الى كل تجارة

التصدير في المستعمرات : كالنقل البحري والجوي والبحري والنهرى ، كما تملك مساجم المواد غير الحديدية ومولدات الطاقة الحركة . وهي تهيمن بالحد من امتيازات وديون على عشرات الآلاف من الشركات فقد لمدة ولايات . وانشا في بلجيكا صناعة خاصة تعنى بتحويل المعادن الكولومبية غير الحديدية ، كالنحاس والقصدير والكوبالت وغير ذلك .

ولعل ليبيريا هي خير مثال بصرف لهذا الاقتصاد القائم على النقل فقد نالت فيها اهتمام شركة فيرستونب المطاط الموجودة في مدينة اكرون (اوهايو) ، احتيازا مدله ١٩٢٦ سنة يخولها استثمار مليون إيكرو ، فختارها ، بسعر ٦ سنتات للإيكرو الواحد ، فاختارتها بالطبع من الأراضي الطيبة في البلاد بحيث ان اصحاب الاراضي المجاورة لاراضي الشركة المذكورة من قبائل تلك البلاد والذين لم تزح ملكيتهم عنها مباشرة سادوا بطيبة خاطر بتقليدها حتى ان كل النظام الاقتصادي التقليدي الذي كان سكان القرية يسرون عليه من قبل ، تبدل ليألف مع النظام الجديد الذي وصته الشركة . فمناطق هو من هذه الزراعات الاتحادية التي تغطي ٩٠ ٪ من صادرات تلك البلاد . وفي المقابل على ليبيريا ان تستورد الخشب الاكبر من الاشياء التي تحتاجها . فالشركة تستورد الارز عا يكفي لاعالة عمالها البالغ عددهم ٢٥٠٠٠ عامل من أبناء البلاد ، كما تستورد كل شيء من اللحم الى حبة السندورة بشكل مملات اميركية ، وهي تستورد نصف ما تستورده هذه البلاد بواسطة احد هروع هذه الشركة المعروف باسم الشركة الاميركية للتجارة . والنور الذي يمتلئ سكان ليبيريا في الحركة التجارية في بلادهم هو دور ضيق للغاية ، فالتجارة بالفرادى هي بيد الاسيويين ، وما تبقى من النشاط التجاري يقع بيد الاحباب . وهكذا ان مليونين من السكان لم يكن لهم عام ١٩٥١ ، سوى ٣٤٧ مدرسة ابتدائية تضم معا ٣١٠٠٠ طالب وطالبة .

وهكذا نرى كيف يقوم في البلاد نظامان اقتصاديان متعاوران . هنا ، اقتصاد استهلاكي يعتمد السوق المحلية تهيمن عليه شركات كبيرة وتقليد مزرعات اوروبية واميركية تستعبد في سبل تأمينه يد عاملة متوفرة رخيصة ، وهناك اقتصاد عائلي لا عدة له ولا عتاء ، ولا عمال مأجورين يؤمنونه ، يتألف اصلا من مجتمعات تتبادل الخدمات وعمليات التسليف ، تباع بالاسعار التي تعينه الشركة ولا تلتج سوى كمية ضئيلة من المواد الغذائية لا تفي بالحاجة .

تأزم وضع أبناء البلاد
كلت من بعض نتائج الاهتمام بتأمين المواسم الزراعية الممدة
للتصدير ، اتساع الاراضي الزراعية ، وبالتالي إنهاك الاراضي
التي تمت تعريضها من الشوك والعوسج باحراقها . فقد عملت الطرق والوسائل التي سار عليها أبناء البلاد باعتماد الزراعة لتسدة التي تحافظ على غنى التربة ماراحة لارض وقدويرها مدة كافية . وهكذا صاع التورث الذي قام من قبل بين امكانيات تربة فقيرة على العموم ووسائل وادوات تقنية تستعبد في استثمارها ، مراعية نظام الامطار ومقتضيات فصول السنة والمواسم المزروعة ، ولم تلبث ان ظهرت النتائج . فالتوسع في زراعة القول السوداني في السنغال جبر الى هناك

الثروة في مقاطعة لوغا وكايور والتوسع في زراعة شجر المطاط في الشاطئ الذهبي حمل لاراضي المحرمة تتقهقر بشكل محيف ، كما ان التمويل على المحاربت التي تخرق الثروة عميقاً في استثمار الارض جعل في اهلاك الثروة وفي تمريرها . والحركة العميقة وزيادة حياض الاراضي المزروعة والتقليل من الاراضي المحولة ، وتراجع الغابات و لاسراج و لمساحات العشبية ، كل ذلك كشف عن ثروة حديدية جديدة هي طبقة الاتصال الاحمر الغفير . وهذا هو اوعيت شيفالبيه الذي احذ يتحول عام ١٩٥٠ في المنطقة الصحراوية والسودانية الواقعة في هذا القسم من افريقيا الغربية الفرنسية والتي رارها لأول مرة قبل ذلك بخمسين سنة يعرب عن دهشته امام ما شاهد من موت النباتات وانحر الرمل الزاحف . والملاحظة ذاتها تدور ثلويش شيفالبيه عند زيارته مدعشقر حيث تنهال الثروة الى اللوديون والى البحر تكشف الطبقة الصخرية وقد تجردت من تربتها وحشيشها .

نظام الاراضي المحفوظة
والصل الاجباري

يزداد وضع بناء البلاد سوءاً على سوء من جراء نظام الارض المحفوظة والامتيازات الممنوحة للاروبيين . فقد ورجت في كينيي عام ١٩٥٠ على ٢٣٤.٠٠٠ عمر اوروبيي ٢٤.٠٠٠ كيلومتر مربع من اطياب الارضي واحدها ، بينما يرى ٣٤٣.٠٠٠ من ابناء البلاد الاصليين يحشرون في ١٠٨.٠٠٠ كلم مربع من الارضي المحفوظة بعضها اراض قاحلة جديدة ، وبذلك سال العمر الاوروي ٢٤ هكتاراً من الاراضي الطيبة ، سهلت طرق الاتصال بها وتمهدت بينها ليس تحت تصرف رب هائلة من ابناء البلاد ، سوى ٣ هكتارات من الاراضي المتوسطة الانتاج . وفي روديسيا الجنوبية ينال ٦٥.٠٠٠ من لاروبيين ١٨٥.٠٠٠ كيلومتر مربع بينما لا ينال ١٤٥٠.٠٠٠ من ابناء البلاد ، سوى ١١٥.٠٠٠ كيلومتر مربع . وفي تانانيكاميش ٢/٣ السكان من ابناء البلاد على عشر مساحة البلاد ، وفي الكونغو السبعيني ، ترى تحت تصرف شركات بلجيكية ضخمة ، مثل شركة ريو ت الكونغو البلجيكية وشركة السكر الكونغولية ، عشرات الألوف من الهكتارات من الاراضي الزراعية الطيبة .

والقصد من نظام الاراضي المحفوظة ، توفير اليد العاملة للاستثمارات الخاصة . والسكان الذين هم بحاجة الى موارد كافية ، او يضطرون ل دفع ما يترقب عليهم من رسوم نقداً ، عليهم ان يعملوا في المردعات لاروبية كيد عاملة مأجورة ، وان ينتحوا في لارضي الواقعة تحت تصرفهم ، محاصيل معدة للتصدير . وهذا بالذات ما عناه حاكم كيني العام ، سنة ١٩١٣ عندما كان يؤكد :

« للصيغة المفروضة هي السبيل الوحيد لارغام ان البلاد على مقادير الاراضي المحفوظة بحثاً عن عمل له . فهي الوسيلة الوحيدة لرفع مستوى الحياة لدى ان البلاد ، وبهذه الطريقة وحدها تتوفر اليد العاملة في البلاد وتجسد الاجور . ان رفع الاجور من شأنه ان يخفض الطلب على اليد العاملة » ان ذلك اجوراً كبيراً فكن لايتاء البلاد عن دفع الضرائب والرسوم المترتبة عليهم بأقل قدر من العمل » .

والعمل الاجباري يهدف لمثل هذا الغرض تحت ستار اما روايات مفروضة « الفرض منها

التدريب على العمل الزراعي، كما هي الحال في أفريقيا الاستوائية الفرنسية، أو برسم القرية، (كما هي الحال في الكونغو البلجيكي عام ١٩٣٣)، وأما تحت ستار مصادرة وتخصير من قبل الإدارة لتأمين القيام ببعض المنشآت العامة، من طرق وخطوط حديدية... فالاشغال الشاقة حرمتها معاهدة جنيف المعقودة عام ١٩٣٠ حتى لو كان الفرع منها تأمين المصلحة العامة، إلا ان العمل بهذه المعاهدة وتطبيقها اقتضى سنين عديدة قبل وضعها موضع التنفيذ. وقد صدرت بين ١٩٣٠ - ١٩٣٧ في كل من مقاطعة أفريقيا الغربية الفرنسية وفي مقاطعة أفريقيا الاستوائية الفرنسية عدة قوانين للحد من اشغال السخرة الشاقة، ثم جرى استبدالها بقرع رسم بديل عنها أو بإقتطاعها تماماً. أما في الكونغو البلجيكي وفي مدغشقر، فبأشغال لم ترضت على المجتدين. وفي سنة ١٩٤٦ فقط ألغى العمل بالأشغال الشاقة بصورة نهائية في الممتلكات الفرنسية إلا ان الاخذ بهذه الطريقة بقي جارياً في المستعمرات البرتغالية، والاتحاد الجنوبي الإفريقي ولو بصورة غير مباشرة.

تقل سكان هذه الاوضاع الجديدة التي طبعت الحياة الاقتصادية في هذه البلاد هي وراء هذه التغييرات التي لحقت المجتمعات الوطنية، من حيثها البارزة التغيير الجذري الذي طرأ على توزيع السكان. فقد شهدا حركة توطين أو تجميع واسعة النطاق من جراء الانهيار السريع الذي اصاب المجتمعات البدوية القائقة عند تخوم العالم الاسود. ففي الصحراء الكبرى كما في الجزيرة العربية وبأودية موريتانيا، قامت قبائل مهتمة بالترو سريعة الحركة والتنقل، تستخدم في غزواتها وهجومها الخاضع، ضرباً من التوق والجلباب المشيطة السريعة العدو لمجملها في مأمن من كل مطاردة أو ملاحقة، يخضع لسيطرتها سكان الواحات حتى سكان مناطق السودان. وهذا بالتام هو وضع قبائل رغبة الضاربة على حدود ديم اورو وحدود موريتانيا. ومنذ ان اصبح بالامكان، منذ عام ١٩١٤، تأليف وحدات الحسامة، مزودة بالأسلحة الحديثة، اشدت الصحراء قفرغ وتخلو من روادعها واشتهرت حياة المدر فاستكاثروا واستقروا واستأنفوا الى المراكز الآمنة، وبذلك فقدوا كل سلطة لهم على الزنوج أو البربر الذين افلوا السيطرة عليهم.

ومن جهة اخرى، فالسكان اخذ عددهم بالنمو والارتفاع ولو لم تستطع تحديد النسبة او المعدل بالذقة المطلوبة. ان تطور الطب الاستوائي على يد تلاميذ باستور واتباعه ممكن من طرف الحمى الباردة على أشكالها، والحمى والبرد والبرص والحمى الاصفر ومرض النوم والزحار الاميبي، والحمى الصفراء ولتعدد الحطبي وداء الانكلوستوما. الا ان جانباً كبيراً من هؤلاء السكان يشكون من سوء التغذية ويتمرضون بالنائي لفقر التغذية كما ان هجرة الشباب منهم يمرض حدياً للخطر نسبة المواليد. مع العلم ان معدل الوفيات بقي حالياً من جراء قتل بعض الامراض الرئوية والامراض الزهرية، ومن اشتداد الادمات على المسكرات، وسوء التغذية، ونقص المواد الغذائية، ومع ذلك فحركة المواليد تفوق الوفيات لزيادة في المواد الغذائية، (ففي

مدغشقر منذ زادت المواليد على الوفيات من ١٦٠٠٠ عام ١٩٤٦ ، إلى ٥٩٠٠٠ عام ١٩٥٣ ، الأمر الذي اضطر معه ج.ب من السكان للانتقال إلى حيث يستطيعون تأمين ما يقوم بأوردهم . وهكذا نرى كم هي كبيرة حركة التنقل والانتقال بين الأقاليم . فهم يشكون الصيق في هذه المناطق الممغولة التي أحدثت انشائها تضعضع وتمتدح ، فهم مضطرون للبحث عم عن عمل في الأراضي التابعة للصعبرين أو مدحئون عن الأماكن المرغوة أو يقيمون على مقربة من القرية المجتمعة أو يذهبون للعمل في هذه الورشات القاقه في المدن . فالمباشرة بالانشغال الكبري كمنه اخطوط الحديدية أدى ، في بعض الأحيان ، إلى خلاء مناطق بأكملها . فبناء خط الكونغو - المحيط اقصى تحقيقه ، بين ١٩٢٠ - ١٩٤٠ من ٢٠٠٠٠ - ٣٠٠٠٠ عامل ، والتمهيدات التي أبرمت اقتضت تشغيل نصف سكان الفايون من ٢٠ - ٤٠ سنة حتى اهم تعاقدوا مع عمال أوروبيهم من بيجيريا .

هناك مهاجرة وقتية و دائمة نحو البلدان التي تدفع أجوراً أطيب من المستعمرات الفرنسية إلى المقاطعات الانكليزية ، في الشاطئ الشمالي وفي بيجيريا ومن الفايون نحو غينيا الاستوائية . إن أكثر من نصف سكان الداهومي قاموا برحلة أو أكثر في مقاطعة الشاطئ الشمالي ، وكان الرلوج ينزحون بالآلاف من المورمسي ومن الكونغو البلجيكي ليمتلأ عمالاً في روديسيا أو في غرب إفريقيا الجنوبية . وكثير من الشأن ، مرو تفادياً منهم للخدمة العسكرية التي كان عليهم أن يؤديها ، من المقاطعات الفرنسية إلى المقاطعات الانكليزية حيث لا خدمة عسكرية مفروضة . وحركة التنقل هذه شجعت عليها ودعت إليها رغبة العس في المدن إذ كانت تتيح للأسرة فرصة الظهور والبروز اجتماعياً ، وهي فرصة رأى فيها الشأن ساحة لهم للتخلص من هذا الوضع الشاق الذي كثيراً ما أقصر عليه في أسرهم ، أو للتخلص من سيطرة وتابعة رئيس القبيلة المشدودين إليها بحسب تقاليدهم ، أو للحصول على بعض النفوذ أو بعض الشأن لدى الأقارب المتخلفين في قريتهم . هناك قرى تنتقل أحياناً بكاملها ، فبدلاً من أن يقرقروا في عزلتهم ، كما في السابق ، فهم يقيمون على مقربة من الطرق بحيث يسهل عليهم الاقتراح في الحلقة الاقتصادية المحلية .

الفرج من الويف رازدمار المدن من نتائج هذه حركة الهجرة ، إغفار الويف تدريجياً . هناك قرى كبيرة عديدة في الفايون أو في الكونغو زالت من الوجود أو انتهى بها الأمر إلى مصع ذرائب أو بصفة أكرام . فهم يعودون إلى المأبأ ، بعضهم يندو وكأنه محارة خوفاء ، لا تقع العين فيها إلا على النساء والشيوخ والأولاد ، فاضطرب ميران الحس وتعلب عدد النساء على عدد لرسا . وبلغ من حدة حركة الزواج من لريف في السنة ل ، حتى أصبح سكان المدن فيها ٥٠٠٠٠ من أصل ٢١٠٠٠٠٠ من سكان لريف . وفي مقاطعات الكونغو الأولى - ح.ب - ١/٨ السكان يقيمون في المدن ، وفي كاتانغا ٢٨٪ منهم يسكنون المدن وفي الشاطئ الشمالي ١٤ بالمائة والمجراد الريف من سكان في هذه كبير من

التقاطعات ادى ليس الى خلخلة المجتمع الريفي وبلبلته فحسب بل تسبب ايضا في تأخير النظام الاقتصادي بين اللاحين وأدى الى فقدان خطير في التوازن بين الريف والمراكز الصناعية . فمن اصل ١٢ مليون نسمة في الكونغو البلجيكي ، هنالك ٢١٥٠٠٠٠ (اي ٢٦٠٠٠٠٠) كانوا يعيشون ، عام ١٩٥٤ ، بعيدين عن نطاقهم القلي او من وسطهم التقليدي ، في غابات الاشغال والمراكز الخارجية عن التقاليد او في المدن لأفريقية مقاب ٨٥٣٣ ثمانية عام ١٩٣٨ و ١١٥٩٠٠ ثمانية عام ١٩٤٦ ، اي ٣٤ ثمانية من الشبان المفتولي المضلات ، مقاب ١٩٥١ ثمانية عام ١٩٤٠ ، و ١٤٥٣٦ ثمانية عام ١٩٣٥ ، فاداما وصفتا حاسا الى ٦٠٠٠٠٠ من الكهول الذين لا ينتحون (بين جنود وشرطة وشيوخ ومرضى) ، نجد ان مهمة تأمين العمل لزارعية وانتاج المحاصيل الغذائية إنما يقع معظمها على عاتق النساء ، وعلى نحو ١٧٠٠٠٠٠ من الذكور البالغين ، وهو عدد قليل جداً . ثم ان هذه الهجرة الضخمة بين الذكور القادرين على الانجاب والامسال يسدد البلاد بأزمة حادة من قلة المواليد .

وقد سجلت المدن في السنوات الخمس عشر الأخيرة تطورا في حركة السكان والاسكان لا كفء ما ولا نظير من قبل . وهابدية ، ست لاسان الاميس اصحت مسكاً للاسود ، . وعدد السكان في مدينة برازايل يرتفع من ٣٨٠٠٠ في سنة ١٩١٣ ، الى ٧٥٠٠٠ عام ١٩٥١ ، ٩٠ ثمانية من سكانها لم يولدوا فيها ، و ٧٠٠٠٠ منهم عمرهم اقل من ٣ سنة . وفي اتحاد جنوبي افريقيا حيث عدد السكان زاد ٦٤ ثمانية عما كان عليه من ٢٠ سنة ، كانت هذه الزيادة نسبة ٧٦ ثمانية ضد الافريقيين ، وان ١/٤ الاوروبيين و لآسيويين و ٣/٤ الهالاسيين و ٤ ثمانية من الزواج يسكنون المدن . فمدينة جوهانسبرج زادت ٥٢ ثمانية بين ١٩٣٦ - ١٩٤٦ ، اد ارتفع عدد سكانها من ٥٢٠٠٠ الى ٧٩٠٠٠٠ ، ومدينة الكاب ، ارتفع عسده سكانها من ٣٤٥٠٠ الى ٤٥٤٠٠٠ ، والمراىء الثمانية الكبرى في الاتحاد المذكور زاد سكانها اكثر من الضميين سنة عام ١٩٢١ . فقد زاد عدد سكان برينوريا ثلاثة اضعاف . وفي روديسيا الشمالية فالدين الخمس التي تؤلف منطقة النحاس وبروكمل تعد من ١٤ الى ١٦٠ ألف نسمة وفي روديسيا الجنوبية ٢٠٠٠٠٠٠ عامل من الزوج يعيشون في المدن الصناعية او حولها . وفي الكونغو البلجيكي يرى ليوبونفيل يرتفع سكانها من ٤٠٠٠٠ عام ١٩٣٩ ، الى ١٩٠٠٠٠ عام ١٩٥٠ ، ثم بلغ ٢٨٣٠٠٠ عام ١٩٥٤ . وفي افريقيا الغربية البريطانية ، لا عرس تعد ٢٦٧٠٠٠ رنجمي مقابل ٢٠٠٠ من الاوروبيين ، واكثر اعد ١٣٦٠٠٠ نسمة وهريتون ٦٤٠٠٠ ، وهيدان ١٠٥٩٠٠٠ ، وكلو ١٣٦٠٠٠ وفي افريقيا الشرقية ، يروبي تعد ١٢٠٠٠٠ نسمة

وحركة الهجرة هذه قد لا تعد لها حداً نهائياً . فمعظم المهاجرين يبحثون لهم عن أجر لفترة معينة من الزمن يستطيعون معه دفع ما يتروك عليهم من صرائب وللاقتصاد ببعض الدرام يقدموه صدافاً لغروهم ضد الزواج ، وهكذا يرام بفرون من العقود الطويلة الاجل ويؤثرون عليها العقود القصيرة الاجل . ومع ذلك كثيرون منهم لن يعودوا لقرام فيقطعون كل

صلة لهم مع عاداتهم وأعرافهم لموروثة ، وحتى لو عادوا إلى أوطانهم الأولى ، فإنهم لا يتزوجون
تماماً مع مجتمعاتهم . فقد حلوا معهم عادات جديدة وأسابيع جديدة وأبداً جديدة في معاشهم
وطرق تفكيرهم كثيراً ما جعلتهم على الزوج والاعتراف من جديد . ففي الشاطئ القديم ،
هذا المقطع الذي يعد من أكثر قطار إفريقيا الغربية تطوراً ، نجد أن ٥٠ بالمائة من عمال الصناعة
هم من المستقلين . وفي مدغشقة وتونز مراند ٩٠ بالمائة من اليد العاملة يجب توفيرهم كل سنة .
ففي الفترة الواقعة بين ١٩٢٩ - ١٩٣٥ ، لرى اتحاد المناجم في كاتانغا العليا يشغل سنوياً
١١٢ ١٠ عاملاً من صل عدد يبلغ ٥٦٢ ١٠ عاملاً . وهكذا يكون معدل التجديد ٩٦٧ بالمائة
وبعد سنة ١٩٣٧ ، اتحدت الشركة المذكورة . حركات فصلت معها الاتحاد مع عمال متزوجين
لقد عمل مدغش ٣ سنوات . وهكذا يحسب معدل التجديد إلى ٣٢ بالمائة . وبذلك يبقى حالياً
نسبياً . وقد أدت هذه النتائج إلى تثبيت ٩٠ بالمائة من اليد العاملة ، وهو مثل نصيره لك لا
مثيل له قط ولا كفاء في تاريخ إفريقيا السوداء .

خدمة التركيب الاجتماعي القديم
وهكذا ومنت الأطر الاجتماعية المعروفة . القسبة والفردية
والأسرة (التي تؤلف لخليئة لاسامية) وتولاها الانحلال
والاضمحلال سريعاً وقد أخذوا يشعرون بالدور المخلص للاستعمار حتى في هذه المناطق حيث
يكاد لا يشعر للناس بالوجود الأوروبي ، وحيث الطبيعة الاقتصادية لا تتمدى بصغر أشكال
حرفة النقل والانتقال وحيث تغفل المؤسسات والنظم الجديدة هو في أدنى حدوده فالاجتمع
مهما كان صلباً متيناً لا يكاد يقوى أمام رفض الشباب القبول باليمن الاجتماعي ، والتقليد بالنظام
الفروي وانتقالي الذي تتحكم بالزواج . والمهم في الأمر هو الدور الذي يلعبه دس . على جانب
الانتقال إلى الاقتصاد النقدي ، فقد حرصت سلطات الاستعمار على تكوين طبقة من العالَمين
وتشجيع الاستثمار والملكية الفردية للأرض ، وإلى تقوية الروح الفردية الزراعية . فالأفلاك
الخاصة بالقبيلة تبقى مشاعاً بينما الاستثمار يخرج عن ذلك ، فكل واحد يستثمر حقه كما يريد .
فالأرض أصبحت بذلك مصدراً من مصادر الرق الفردي ، وبالتالي موضوع تبادل تجاري .
وراح بعض رعمه القسبة يزعمون الفس في مساحات شاسعة والكناكا والفول السود بي ، وقد
تغير هنا كما في بلدان الشرق لأدنى وبلدان شمالي إفريقيا مستوى الحياة ، فبعد أن كان موحداً
يسير على صراط واحد ، أخذ يتنوع ويتنوع ، وظهرت طبقات جديدة في المجتمع أساسها
الثروة العقارية . ومع روال لروح المجتمعية زالت كذلك الوحدات السياسية القديمة العمد
وضعت سلطة الرعمه التقليديين ، والعلاقات الأدبية والوشائج الخلقية التي كانت تشد أقراء
العائلة بعضاً إلى بعض ، تراخت عراها ورهم العائلة لم يعد ، كما في الماضي الوسيط ، في مجتمعه
بين مجلس الاختيارية ، فهو مكلف بتأمين الخدمة المدنية . فقد أصبح خادماً لدى لابيض
يتناول منه الأوامر وينفذها ، وم تعد القبيلة سوى قيادة محلية . وفي أدبية لم يعد شيخ لحارة
رئيساً روحياً بل موظفاً مكلماً على الأحص بأمر الأحصاء وحبابة الرسوم المترجمة ، فسلطته

موضوع اخذ ورد ونفوذه "ضعف للغاية . والمؤسسات التقليدية التي كانت تصمم كل شبان القرية تحت سلطة رئيس واحد حيث كانوا يتلقون مبادئ المساهمة بالاشغال المشتركة ويقومون بتقسيمهم في تحمل الواجبات المفروضة على هيئة والذين كانوا يلعبون دوراً بارزاً في شدد او اصر المجتمع القروي ، وبعد "شبان الحياة" قد اخذت بالانحلال بعد ان غلص عدد كبير من الشبان من عضوية هذه المؤسسات . والطريقة العشائرية التقليدية التي اصصحت في نظرهم قياسية مرهقة ، جرى رذلها واسقاطها عن الاستعمال . وراح الكبار يتساقفون ويتذمرون من تراخي الانضباط ، ومن عدم لاحترام الذي يبديه الشباب نحوهم ، بعد ان صاروا يتنكبون عن القرية دون اراعتهم ، كما يرفضون الامتنال لاوامرهم عندما يعمدون اليها ويشيرون المشاكل .

والكنة التقليدية الصلبة التي كانت تتألف منها الاسرة اخذت بالانحلال والتراخي . والامر الكبيرة احدثت تنقسم على نفسها الى عائلات صغيرة مستقلة والانضباط العائلي قام من يتنكر له ويتنقص منه باسم حتى الفرد ان تكون له وارداته الخاصة وتطور الزواج هو من هذه العلامات المبيرة للتهيئة الجذرية التي تمت ضمن هذه القيم التقليدية ، كما ان وضع المرأة دخل عليه كثير من الخلقة والبليلة . في هذا النظام الاقتصادي القديم القائم على التبادل والتعاوض في الخدمات ، لعبت المرأة دور العامل الرابط بين الاسر المتصاهرة كما ان الزواج كانت تبت بأمره العائلات العائلية المعية بالامر . اما اليوم ، فالاقتصاد النقدي والمالي جعل من امرأة موضوع منافسة وعلمية رابحة لاسرتها ترضى بواجبها طمعاً بالدانة التي اصصحت ثمن سلعة عادية سجلت احباً رقماً عالياً جداً (في الكامرون ١٠٠٠٠٠٠ فرنك في عام ١٩٥٣) . ولما كان عدد كبير من الشبان يهجرون عن تقديم مثل هذا المبلغ ، فقد آثروا ان يبقوا خارج حظيرة الزواج ، لمسا يريد من حظ الاعياء ومن حظ الكحول ايضاً . فالمرسبون من جهتهم حاربوا تعدد الزوجات ، والادارة التي لا تحب ان تتعامل في تخصيصاتها وفي التعميمات التي توزعها الا مع الافراد او مع رب المنزل ، تشجع هذه الروح الفردانية . فالمرأة تستفيد من هذا الوضع ، فهي ترفض لانصاع لرب الاسرة او الاحد بنصائح من يكبرها سناً ، فهي ترغب في ان ينظر اليها كرهيفة ، ينبغي معاملتها ومراعاتها بكل لطف وسعاء . فالاختطاف ضمن العشيرة ، والتسري والمعاشرة غير الشرعية وحوادث الطلاق حوادث تتعدد وتتكاثر كما يزداد البقاء بين الجماعة . فهي كل مكان نرى المصعوبات والمشاكل تقوم سواء في النظام الاموي او في النظام الابوي ، كما تشتد النعمة لاحتلال سلطة الاب محل سلطة الخال .

فهي داخل لاسرة بمصاهم لواسع او مصاهم المحصري الضيق ، فالعلاقات بين الاب واولاده وبين الزوج وامراته ، طراً عليها بعض التمييز . فالتشاور التعليم والتوسع فيه اثار مشاكل ومصعوبات في الإطار العائلي . فعملى معاهد التدريس يتلقى للطلاب افكاراً ويتعصبون بأفكار لا تخطر على بال زوجهم ، فيكتسبون في المدرسة معلومات لا يتم مثلها او بعضها لوالديهم وكثيراً ما تتناقض والاهراف المعمول بها في الاسرة . وفي المدن ، حلت الالعاب الرياضية والسينما والرقص الاوروبي

وغير ذلك من اسباب الدهر محل الملاهي التقليدية التي شتوا عليها ، ومن جهة لامة فالمرأة هي اقل تملأ واقل تطورا من زوجها ، فهي ألصق بالخرافات والقول بها وبالأعراب والتقاليد المتوارثة من زوجها ، وهو وضع يندأ عنه طلاق روجي يباعد فكرويا بين الزوجين .

وظهرت في المدن جمعيات جديدة - جمعيات تسلية وجمعيات تعاونية - ، وقامت على مبادئ جديدة تغاير ان لم تنافض ما عرف منها في الماضي وكلها تدل صراحة على ان الشأن لم يعودوا يبرزون بالتقاليد الماضية ويحاولون استبدالها . وقد زالت شيئا فشيئا الديانات والمعتقدات المتوارثة مع روال أطر احبة انديبة القديمة . فالديانة الطبيعية حلت محلها المسيحية او الاسلام هذه الديانة المسيطرة في الشمال ، او اشكال عدة من هذه الكنائس الزنجية المشقة ذات النزعة التلقيفية ، ومع ذلك فلا يزال عالقا في اعماق النفوس لمايا راسخة من العنصرية ومن العقائد الطبيعية ، كالاعتقاد مثلا بتناسخ رواح السلف ، والاعتقاد بالحرمان الدينية وعبادة الآباء والتعريم ، والرغبة في موازاة جسام الموتى حسب تقاليد السلف .

لا شك قط في ان الثورة ضد القيم التقليدية ليست شاملة او عامة ومعظم الشأن ينتهون بالعودة للحياة القروية والاستمساك بأعرافها ، التي لم تعد تنهض على التقاليد فقط ، وهذا التفكير الذي مدت معالنه يستمر متصاعدا . وهكذا نشهد تناثر المجتمعات والفتت الاجتماعية ، كما يقوم التضاد بين سكان الريف وسكان المدن وبين المحدثين والقدامى والشبان والشيخوخ ، بين المجتمع الجديد الذي اتخذ قاعدة الفانوس او الثراء الشخصي والافكار المستوحاة من الاوروبيين .

الفتت حركة هجرة المدن وتحميها ، وتقل السكان وانتقالها
المجتمع الجديد : التطورون
وتطور القرية والتعليم ، وعلى الاجال الاتصال بالبيض ، الى ظهور
هجرين اجتماعيين حديدن ، تألفا من بورجوارية أشير اليها عادة باسم « المتطورين » ، وبروليتاريا . فكل الوطني بلا استثناء الذين يدعون في خدمة المؤسسات الأوروبية او تكون لهم علاقات مع البيض ، يظهرون على بسة تكبر ، وتصغر ويشكل يختلف صرعة ، علاقاتهم مع الفئات التي ينتمون اليها . ان اختلاطهم وتمازجهم بمال من فئات ومجتمعات عرقية مختلفة ، لهم افكارهم ونظرياتهم الخاصة ويمط مبعثي يختلف عما عديم من افكار ونظريات ولغاط عيش اقصلت بهم من اعراف القرية وتقاليدها المتوارثة ، ينمي فيهم الاعتقاد ان هذه الافكار والنظريات والمناهج الحياتية ليست بالافضل ، ومن جهة ان اكتسابهم لاساليب وطرق عمل جديدة ، والاعتناء بمعدات واحلاف البيض الذين يلامونهم يحلمهم يشعرون بالقلق والازعاج من هذه الأطر والمعدات القديمة التي تلامهم ، كما ان تحسن مستوى عيشهم واقبالهم على الملابس والازياء والوان الطعام الأوروبية (كالخبز والحليب الخبز والمعلبات) مما ألف الابيض استعماله ، قد يحدوهم الى نزوح المعدات القبلية التي ورثوها ، والى الاطراح جانبا حياتهم الروتينية .

كل هؤلاء المويين الذين نزحوا الى المدن بالملايين ، والذين تميزوا عن غيرهم عاتم لهم من تربية وتعليم ويحيدون الفرنسية والانكليزية حسب المناهق التي ينتمون اليها ، تؤهلهم للتعامل مع

البيض ، والذين تؤهلهم عاداتهم المكتسبة وطبعمهم بالطباع الأوروبية ، يؤلفون فئة المتطورين عما فيهم من تجار وأطباء ومربين ومعلمين وككتاب ومستخدمين وموظفين ، كل هؤلاء يتجهسون عينا بمبادئ الحضارة الغربية ويتألمون في صميمهم من هذه التناقضات والفوارق القائمة بين نزعاتهم وأمانتهم ورغائهم بالمعيش كالأوروبيين ، وهذه الأوضاع الغربية المستهجنة التي لا تزال قائمة في الأحياء الأفريقية . فهم يتجهجون نهج الأوروبيين في حياتهم عندما تقومهم الأقدار إلى روعة مستنيرة ، متطورة ، شعار رمز التنهوض الاجتماعي الذي يؤذن بالانتقال من المعيش في الكوخ القروي إلى بيت سكن مبني بالحجارة أو عادة صلبة قوية ، على النمط الأوروبي . فهم يؤلفون بالفعل الطبقة المفكرة التي بالرغم مما لها من وصاعة النسب والأصل والمهنة والمستوى التربوي الذي لا يزال بدائيا تطمع القضاء على هذه الفوارق القائمة في الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية وتذكر بما لها من نفوذ ومثولة في أمين بني جلدتهم وأقاربهم ، ببعض ثبات برزت في المجتمع الروسي بين ١٨٦٠ - ١٩٠٠ .

قتل الروح القبلية يتم بمركتين متزامنتين : من جهة إطفاء العادات والأعراف التقليدية ، والاتحاد ، نحو العالم الأبيض الذي يرغم من قربه لا يزال مع ذلك بعيداً ومغلقاً . ومن هنا الرغبة الملحة إلى العلم والدرس : يجب أن نتعلم كل ما يحسه الرجل الأبيض لنحصل على ما له من كفاءة وجدارة ، وما له من اختصاص قلبي ، والتساوي معه في الأمور الاقتصادية ، وللبؤس المراتب والوظائف المفتوحة أمامه ، والتمتع على مثاله وخراره بالاحترام والنفوذ والسلطان .

بروتيرة بلن
إلى جانب طبقة المتطورين أو الطبقة البورجوازية تقوم بروتيرة
العمال الصناعيين المأجورين الذين لا يزالون فئة فهي تعد في تقدير البعض
مليون وخمسة الف سمة من أصل ١٣٠ مليوناً يقطنون أفريقيا السوداء . هي نسبة ضئيلة إنما
أخذت بالنمو بسرعة وتؤلف منذ الآن قوة تلف في وجه النظام الاقتصادي الاستعماري
التقليدي . فهي تمثل ٣ بالمائة من مجموع السكان في الشاطئ الذهبي ، و ١ بالمائة في نيجيريا ،
و ٧ بالمائة في تنغانيكا ، و ٨ بالمائة في كينيا ، و ١٧ بالمائة في روديسيا الجنوبية ، و ١٨ بالمائة
في روديسيا الشمالية . وإذا ما قورنت بالبالين ، فهي تمثل ١٢ بالمائة في روديسيا الشمالية ،
و ٥٨ بالمائة في مقاطعة ليبوبولد البلجيكية ، و ٤٧ بالمائة في ولاية كانتفا .

يختلف وضع هؤلاء العمال باختلاف الأقطار التي يعملون فيها ، سواء أكلوا في المدن حيث
لا تتنظم صفوفهم إلى جمعية أو مؤسسة ، أم أكلوا في هذه المناطق التي تقوم فيها مشروعات
كبيرة أنشأت في سيولهم مراكز يقيمون فيها لأنهم أسباب العيش هناك ، أنها مجهزة
بالإنشاءات الصحية ووسائل التعليم ، وعلى هذا الشكل قامت المراكز الصناعية الخمسة الكبرى .
في لاند والشاطئ الذهبي ، ومنجم القصدير في نيجيريا ، ومنجم النحاس في كاتانغا وروديسيا
الشمالية (في بروكس هل) . وهذا الوضع الدات تومر في مزرعات الأوليفر في الكونغو
البلجيكية . والوضع يبدو سيئاً في كل مكان لعدم استقرار اليد العاملة ولعدم توفر المقدرة الفنية

و المهنية فيها بينهم . وحركة تحديد العمال لملء الفراغ الذي يتركه في صفوفهم العمال الذين يقادرون بسرعة عملهم ، تزداد حدة وحرجاً لعدم توفر التدريب المهني الفني في بعض الحرف الموصوعة . وقلة إنتاج العمل لـ $\frac{1}{2}$ أو $\frac{1}{3}$ ما ينتجه الأبيض ، يجب ردها أصلاً إلى سوء التقنية وظروف الحياة المادية السيئة التي تحيط بهم وعدم توفر التدريب التقني يسهم . ومن نتائج هذا الوضع بالطبع قذني الأحرار الذي كثيراً ما يدفع العامل إلى ترك عمله ، وهذا التقلب الذي يحصع له يحول حتماً دون اكتسابه قدرة عالية صحيحة . ومن جهة أخرى ، هناك مشاريع استثمارية أغلبها استثمارية ، تقوم على الخماش . تسمى هذه المشروعات «استخراج قذرات قليلة المردود واستغلال هذه المناجم لا يعود بالربح على أصحابها إلا إذا كانت الأجرور التي تدفع لليد العاملة هي أدنى ما تكون . وهكذا الوضع يدور ضمن حلقة مفرغة تتألف من مردود ضعيف وأحرار وأطباء جداً تؤدي إلى سوء التنمية وإلى هذه الأوضاع التي تحف بمجاعة ملؤها الشقاء . وهذه الظروف والأحوال هي أسوأ ما تكون في وسط المدن . من أصل ٥٥٠٠٠ عامل مناهي في السنغال ، ٦٦٪ منهم صنّاع يدويين ، و ٢٦٤٥٪ عمال موصوفون . و ١٧٪ مستخدمون . وفي الغابون ٨٣٪ من العمال هم صنّاع يدويين ، و ١٣٪ عمال موصوفون . فالأحرار وأطباء في كل مكان . فمثلاً اليومي في الكونغو البلجيكية ٦٥ ، ١٦ فرنكا بلجيكية عام ١٩٤٩ ، وفي الكامرون ٤٥ فرنكا ، وفي التوغو ٣٥ ، ٦٠ فرنكا ، وفي دكار ١٠٧ فرنكات ، وفي النيجر ٤٧ فرنكا ، وفي مدغشقر ٣٩ فرنكا ، وفي تشاد ١٥ ، ١٦ فرنكا . وفي الاتحاد السوفييتي أفريقيا أجر العامل بين ٢ - ٣ شيلن ، وفي بنجيريا من ٩ - ٣ شيلن ، وفي اتحاد جومبي أفريقيا يتراوح الأجر الأسبوعي بين ٢٧ شيلن و ١١ . لعمال الحطب الحديدي والصناعة الميكانيكية في كمبرلي ، و ٣٦ شيلن المعدني في تجارة الفرق في جوهانسبرج . أما في المنطقة الصحراوية في روديسيا الشمالية ، فعمال الأفريقي يتقاضون أجراً وسطاً ٤٦ جيباً انكليزياً في السنة كلها بينما يتقاضى المعدن الأبيض ٩٢٠ جيباً أي ٢٠ ضعفاً أكثر .

أما السرعة التي يتم فيها اندفع الديموغرافي في المدن أدى إلى الفصل بين السكان الأوروبيين والسكان من أبناء البلاد ، وهو تمييز له طابع رسمي في المستعمرات البريطانية والاتحاد السوفييتي أفريقيا وهو يختلف عمقاً في مناطق الاستعمار البلجيكي والفرنسي ، حيث مدينة سانت لويس ، هذه المدينة الاستعمارية القديمة ، تشذ وحدها عن القاعدة . وهذا التفرع تسبب في حدوث أزمة سكن حادة وأدى إلى ظهور أحياء من الرثب والأكواخ الوسخة حيث تتكدس حشود من هذه الأقوام التي فقدت طابعها القبلي . وهذا هو وضع هذه التعاشيب وهذه المدائن التي تطالع الناظر في أكر و دكار و بورتو برتو والكونغو الأسفل في برازافيل وأبيدجان . حيث نجد الظروف الحياتية التي يجدونها في الدار البيضاء أو في بني . والانبعاث النادرة التي أحريت بدقة حول هذا الموضوع تعطي الصورة الواحدة في كل مكان . فـ هي ، عام ١٩٥٠ المدينة الاستعمارية القديمة محاطة حيث الظروف والأحوال المعيشية هي أحسن بكثير من أوضاع

مدن كثيرة غيرها ، رى ٢٦ ٪ من بيوت السكان قسم الغرفة الواحدة خمسة اشخاص ، و ١٣ ٪ من هذه الغرف يحتل الواحدة منها من ٤ - ٥ اشخاص ، وفي ٥ ٪ من هذه المنازل يوجد غرفة واحدة او اكثر للشخص الواحد .

هنالك نسبة كبيرة من السكان لا تأتي عملاً « فالحقيلية العائلية » تسودها ، كما تسيطر في جميع اسماء افريقيا وتزيد الوضع مؤساً وشقاءً والناس حنلاطاً . هنالك العديد من القرويين غادروا قراهم وهم غير واثقين ان يجدوا لهم عملاً . يملكون ضيوعاً ، وهم حادون في البحث عن عمل ، على قريب لهم او سيب و نصير يعمل ولا يستطيع التهرب من واجب الضيافة هذا . وفي السنغال ، من اصل ٥٠٠.٠٠٠ من سكان المدن ، ٥٠.٠٠٠ منهم فقط هم عمال في الصناعة . وفي الكوتيفو الاوسط ١/٥ يعمل بصورة مستمرة

٢ - التوتر الاجتماعي

« المجتمع الاستعماري »
الشعور المتزايد بهذه التبعية التي تشد الشعوب المستعبدة ، وبهذه الروح الاستقلالية فيهم ، اثار فيهم مطالب جديدة وحالة من التوتر تختلف شدة وقدرها باختلاف هذه الاقطار . ففي المستعمرات ذات المناخ المعتدل حيث يقوم استثمار ابيض مستقر قاصد في الارض او في سبيل التأصل والاعراق ، كما هي الحال مثلاً في افريقيا الجنوبية ، في كينيا او في روديسيا ، فالقضية لا تدور على الوضع الذي تبدو عليه في هذه المستعمرات الاستوائية حيث يؤلف البيض فئات هامة يتعددون باستمرار . يعمل في هذا النوع من المستعمرات على الاخص شبان معظمهم عرب (معدل السن في دكار ٢٧ سنة ونسبة الرجال البيض الى النساء ١٧٠ رجلاً الى ١٠٠ امرأة من البيض) حاولوا يمشون فهم عن ظروف حياتية أفضل و ابرك . من عسكريين وموظفين ومستخدمين لدى الشركات الخاصة ، وعمال وحرفيين الذين يرون في العيش في المستعمرة خطوة وقطوراً الى الاعام من بقائهم في ملدهم الأم ، بشرط ان « يتعلموا بذات الاوصاف وان يكونوا من اصل اجتماعي واحد ، حيث ينعمون بظروف مادية احسن وأرقى ، وحيث يتاح لهم الوصول بسهولة اكبر الى مراكز قيادية او ملاكية ويلتفون مستوى من العيش هو في البلد الأم من حظ ابناء الطبقات الممتازة » . كما يؤكد بول مرسينه في هذا « المجتمع » الاستعماري ، كنهم معالم الفوارق الطبقية ، وتضييع الحواجز الفاصلة بينها يبرز هذا كله في البلد الأم ويشدد التمسك به ، اذ يشد الجميع شعور مشترك بوحدة المصالح الواحدة ، وارضعة في الحفاظ على « هيئة الابيض وفوقه » هذا النموذج الذي يتمثل على الاخص في حضور « صفار البيض » موظفين من الدرجات الدنيا وعمالاً غير موصوفين او يرون انفسهم همزة دراحة الملوك لهم ، والذي يوجسون شراً من تصاعد السود الذين كثيراً ما يذوقونهم علماً وتهديباً ركفاءة « فهم يمثلون اخيراً أنواع الاستعمار تفهماً وكثرة رجعية

وهنصرية « كما يصرح ا. فيليب .

فالتوتر يشتد على الاحصاء في المناطق ذات النسيج المعتدل حيث استقر الاوروبيون بصورة دائمة وحيث يعملون مأجورين . فالعنصر المسيطر هنا يستمض عن عدم عمائيته بتشديده على عدم المساواة العنصرية وباعتصامه ضمن حوز وفواصل حادة والتوتر العنصري يخف ويضعف حيث لا توجد بين عناصر اوروبية وبروليتاريا تنافس اثناء السلاء « وحيث يعيش الدس ضمن تقاليد تكتم بالحرية . وكلها اشتد ضغط النخبة السوداء على المواقع والمراكز التي يحتلها الاوروبيون « يرى المجتمع الاوروبي ينكش على نفسه ، ويزعد في الحضارة والحياة الاهريكية فالمدينة الاوروبية والمدينة البلدية منفصلتان الواحدة عن الاخرى ، كما لا تقوم ي علاقة قط بين الجمعيات والمنظمات الرياضية ، كما ان الموادي لا يفتح بعضها على اعضاء العض الآخر ، والتعليم الابتدائي المشترك بين مختلف المروق والعه صر هو موضوع نقد ، وعندما لا يقوم انفصال بين لمدارس يصرح الابيض الى اوسال اولاده للمعاهد والمدارس الخاصة . ففي المقاطعات الواقعة تحت الاستعمار الفرنسي يؤلف المستخدمون والعمال البيض فيما بينهم نقابات خاصة بهم مع العلم ان ابناء البلاد هم الذين كانت تتألف منهم حتى عام ١٩٥٦ ، النقابات المنسقة الى الاتحادات العمالية القذمة في البلد لأم . والكشف الذي جرى في دكار بين ن اقل من ٢ بالمائة من البيض برتبطون بعلاقات ود وصداقة اي بعلاقات من مساواة مع الزنوج وان ثلاثة أرباع الاشخاص الذين تناوهم البحث المذكور « لم يتصافوا قط ولم يمدوا علاقات مع لزوج ، حتى ولا بشكل طارئة « باستثناء ظروف العمل » .

جهل وعدم اكثارات يميلاننا على الاعتقاد ان المساواة امر يستحيل تحقيقه لا بل هو امر يستوجب الشجب والذم . ومن هه كان الصمود في وجه كل مطلب . حتى عندما تكون الادارة في هذه البلدان الخاضعة للسيطرة البريطانية والتي تتمتع بالحكم الذاتي هو المطلوب لمرجو تحقيقه ولا ترضى قط ان يتنقص من وصايتها على البلاد ، فالموظفون ولا سيما الصغار منهم ، يرفضون التعاون مع المتطورين ، « فالعرب الاداري » الذي شهر به ليوقه عام ١٩٢٠ ، سلم مكرها بالعمل على تطوير ابناء البلاد وفقاً لبرتاؤن او ن يتحلوا لهم عن مسؤوليات فعلية ، فهو معي بالخفاظ على نظام ابري وصيانتته من كل هبت بقوة السوليس . وهذا الموقف هو مستلهم اصلاً من هذه الاحكام المتناقضة حول السودان الذين يرمونهم بالمجر ويقصرون عضال فالزنجي لن يكون قط غير « ولد كبير » كما يوجد « لزوج لاختيار » الذين سيقون يوماً تابعين وخاضعين ، وكما يوجد « الاشرار » منهم اي هؤلاء المتطورون الذين « يقتلون البيض » . ان ارتقاء الزنوج والخوف من اضطراب قلوبهم في مجتمع البيض أوجد حركة هنصرية مختلفة شعوراً لم يكونوا يشعرون بها من قبل وهو شعور يشتد عنفاً وحدة في اوساط البيض الأقل حظاً وقسمة وهو شعور ظهر منذ اليوم الاول الذي اخذت فيه الشعوب المستعمرة تستنكر « هذا الوضع من التمية التي أقصرت عليه » .

والعنصرية الافريقية ليست سوى ردّة ضدّ العنصرية الأوروبية،

مرفق للمستشرق (١)

كما يقول ر. ب. فان دنغ . وهذه البهنية او الارض الفكرية

اشدّت تظهر بين الزوج منذ عام ١٩٤٠ ، على الاخص ، اي منذ ان اخذ الافريقيون يتلقون العلم في أوروبا واصبحوا في وضع أهاتهم للمطالبة بمراكز الادارة والتوجيه التي كان يحتفظ بها حتى الآن للاوروبيين . فقد اصطدموا بممارسة الدول المسيطرة او المجتمع الحاكم الذي أقصرهم حتى الآن على دور ثانوي في ادارة البلاد وادارة المشروعات الخاصة ، وعرضهم لتهامة العمال والموظفين البيض الثاويين (كالكتاب والضاربين على الآلة السكّانة وغيرهم) ، الذين يرفضون من جهة ان يتلقوا الأوامر والتعليمات من الزلوج ، كما طمعوا ، من جهة اخرى ، للاستئثار بالوظائف المفضلة هذا هو بالدات وضع النقابات القائمة في اتحاد جنوبي افريقيا التي تسلمت بحاجز اللون ، وهو وضع ما لست ان امتد الى الاقاليم والاقطار الخاصة للاستعمار البلجيكي والفرنسي ، اذ اخذ العمال الاوروبيون الذين يعملون في مشروعات استثماري في دكاره يحتتمون عام ١٩٥٦ ، لأول مرة ، على تشغيل العمال الافريقيين الذين يتحلون بذات القدرة الفنية . وهكذا رأى العمال الافريقيون الحواجز تقسم في وجههم ، بالفعل أو بحسب القوانين المزمية ، للوصول الى بعض الوظائف ، وهكذا بقي التفاوت هظيماً في سلم الرواتب والأجور بين الاوروبيين والافريقيين .

ونجم عن ذلك شعور مرير بالحمران ، وسقد ضيق ضدّ الفئة المسيطرة وضدّ البطء الذي يتطور معه التعليم ، هذه الثريمة الوحيدة للترقي في السلم الاجتماعي ، محتجين على التساير والاحمرات الرسمية او الطوعية التي لتمثل في التمييز العنصري الذي يسرون عليه ، وضدّ سوء المعاملة التي يتعرضون لها كل يوم والتي تشبه الزبجي انه لا يتساوى مع الاوروبي : كالفصل بين البيض والسود في وسائل النقل المشتركة ، وفي ادارة البريد ، وفي المحازن ، واللجة التي يحاطب بها الاوروبي الافريقي ، والمؤازرة التي يضمن بها الابيض على الاسود في المستعمرات البلجيكية والكنكزية على الاخص . والنضبة الزنجية التي طبعوا فيها الشعور بالثقة ، اخذت بدة حكيمة هي الاخرى لفكرة مأخوذة عن الابيض ، مردها انه ليس هناك من ابيض خيّر او طيب ، باستثناء بعض شذذات : كالرسلين ورجال الفكر . . . وكثيراً ما تقف موقفاً معارضا للفلسفة او النظرة التبيلية التي تقول بها الجامعة والكنائس المسيحية . وهذا الافريقي المتفرنج الذي ينقضي العلم على الاوروبيين ويستمنحهم الشهادات التي يحملونها ويستلمهم المناهج التي تطبق عليهم بحيث يستحق لقب غير مستحتر ، يثمر في صميم نفسه بوجود حضارة افريقية مصت وسبقت قدوم البيض الى بلاده . وفي وجه هذا الاوروبي الذي يدعي القيام بمهمة استعمار و الذي يتبع حاليأ انه اعداد الشباب والنظارة الى المجتمع الوطني الصالح في الانحلال والتفسيخ ، يحاور لابن البلاد ان يتصور الماضي الذي غير ويستحضر في ذهنه ، هذا العصر الذهبي الذي خطه الاوروبي ، . ومها يكن من امره ، فلا يستسلم لتمثيل او لتحول كما اكد ذلك المرسل

(١) بفتح اللام .

الميثودستي جميعهم غراي الذي أصبح وكيلاً لجامعة شيمونا في الشاطيء الذهبي ، عام ١٩٢٤ بعد ان درس في جامعة لفسنسن بكازوليسا الجنوبية : « كل ما ارضى فيه واقتناه » هو ان يتمكن الزنجي لا ان يتعرج ، او يشرب .

وهذا العداء يحمله الاسود ضد الابيض قد تقذبه فيه مشاعر دينية . ان عدداً كبيراً من زعماء الحركات الوطنية ، تغلغل على المبشرين ودرس عليهم وشق عليهم كثيراً ان يضطروا في سبيل تحصيل العلم وطمأن تربيتهم ، ان يتظاهروا بحمود دينهم وببذ معتقداتهم ، وهو وضع عدو من زعماء المازو - ماو الذات ، كما ان تهيأت المبشرين على الاعراف والعادات القبلية القديمة وعلى مناسك الطقوس الدينية التي يتقيدون بها ، فخرج من كبرياء الزنوج ونفس من شعورهم بعد ان تبين لهم ان الارشاليات رهبة منها في حملهم على التنكر لاعتقاداتهم وجهد ليعلمهم ، لمحاول تحقيرهم واذلهم . وهذه الاحتكاكات التي طرأ تكررت بين الارشاليات وبين الدين يجري تدريسهم وتعليمهم اصول الدين المسيحي من الافريقين ، كانت وراء هذه الشيع الخفية والكنائس المنشقة بين الزنوج ، كالكنيسة الافريقية الارثوذكسية كيكوي في كينيا ، والكنيسة المخلصية في بانوكولا ، والكنائس الانجوسية او الصهيونية ، والطائفة المعروفة بـ *Kimbungwe* او كنيسة القلب الاقدس الكاثوليكية التي تأسست في روديسيا عام ١٩٥٨ ، وغيرها .

ومظاهر هذا القلق والتوتر تختلف باختلاف المناطق وتلعبان بكتباين السياسيات التي ينتهجها أبناء البلاد . الا انه مهما كان عليه التنفيذ الاجتماعي والمصومات او المناقصات الفارقة بين قلة واخرى ، فهي تلتف على بعضها وتتعد بعد اول بادرة لازمة حادة تنشب بين الجانبين ، ويشهد التضامن فيها بسببها ليس على اساس من الطبقة بل وفقاً للخطوط والروابط العنصرية او العرقية . فالتقسيمية الرطية ، كما لاحظ لينين ، تبز في البلدان المحكومة ، كل صراع او خصام يقوم أو ينشب بين مختلف الفئات الاجتماعية الاقتصادية .

ردة الفعل بين الدول المستعمرة
امام هذا القلق المتناهي العالم ، وهذا الاختيار الفكري الاحد بالارهاق في هذا مجتمع الضالعين في الانحلال والتفكك ، راحت الادارات المعنية في هذه المستعمرات تسمى ، وهي تشدد من وسائل الكبت والقمع والضغط الى ان تمت الحياة في السلطات البلدية القديمة ضمن الممتلكات البريطانية وان تقوم بعض الإصلاحات فيها . من ذلك مثلاً إعادة الحق القبل في الاقطار الواقعة تحت الاستعمار البريطاني ، ومحاولة تشريع العادات والاعراف منذ عام ١٩٣٥ ، والاعراف بالوضع الشرعي للقبيية ، في كل من افريقيا الغربية الفرنسية (١٩٣٤) وفي التوغو (١٩٣٦) ، والعودة الى العمل بمجلس القرية او المحي عن طريق بحث القوانين والتوسع في المصوح كما جرى في مدغشقر عام ١٩٤٤ ، ١٩٤٨ و ١٩٥٠ ، واتخاذ اجراءات عديدة في الكونغو البلجيكي عام ١٩٣٦ و ١٩٣٤ ، إعادة الحياة الى نهيت ولؤسسات الوطنية التقليدية ، ولقوة سلطة الرئيس او الزعيم على الفئة التابعة له ، واتشاء مؤسسة جديدة جرى انشاء مثلها في روديسيا الشمالية ، عام ١٩٣٦ ،

وذلك بالشاء « مركز اكسترا هرفي » هو مركز استعماري حرى تجريد السكان التسامعي له من عاداتهم القبلية الا انهم لم يصنعوا بعض متعديين ، يستشون من الحق العربي الذي كان يلتزم الفنة من قبل ويخضع لنظام خاص . ويدار المركز من قبل مجلس يتألف من ٥ او ١٢ عضواً يمينهم مفوض القضاء يكون رئيسه مسؤولاً عن حسن سير النظام والامن .

جرى تطوير التعليم « الا ان التوسع فيه واجه قضية اللغة التي يجب استيعاها في التعليم . ففي المناطق الخاضعة للاستعمار الفرنسي ، كانت اللغة الفرنسية هي لغة التدريس في كل درجات التعليم وفقاً للبرامج وللانتماءات المتبعة في البلد الام . اما في مناطق الخاضعة للنفوذ البلجيكي فالتعليم الابتدائي كان يعطى باللغة الدرجة في المنطقة ، وكان التعليم الثانوي من نصيب نخبة مختارة وتتلطف باللغة الفرنسية . وقد اشتهت نواة جامعة في دكار ، عام ١٩٥٠ ، كسبا تأسس فرع بجامعة لوفين في الكونغو البلجيكي . واسس البريطانيون ، من جهتهم ، جامعات في تشيموا ، من اعمال الشاطئ النهمي . وفي عداد وكاف ، والفوا في بيجيريا لغة علمية او لغة العلم هي الهاووسا التي كانت تكتب بالاحرف اللاتينية ، وساعدت على تعلم الثقافة الحديثة عن طريق الاكثار من كتب التدريس والمصوح والكتب التقنية والترجمات . في الكونغو البلجيكي كان ٣٠ ٪ من الاولاد الذين هم في الدراسة ، يذهبون الى المدارس ، اما في المناطق الفرنسية النفوذ فقد وفر معدل التلاميذ الذين يؤمنون المدارس ، في افريقيا الفرنسية القريبة من ٤٧ ، ٤١ ٪ عام ١٩٦٦ ، الى ٨٦ ٪ عام ١٩٥٣ ، والى ١٠٠ ٪ عام ١٩٥٥ . اما في هرقبسا الاستوائية الفرنسية ، فقد قفز هذا المعدل من ٣٣ ، ٥ ٪ الى ٨٠ ، ١٠ ٪ ثم الى ٢١ ٪ . وفي الكامرون من ١٢ ، ٢٧ ٪ بمائة الى ٧ ، ٣٤ ٪ بمائة ثم الى ٢٣ ، ٤٣ ٪ بمائة . وفي مدغشقر من ١٦ ٪ عام ١٩٦٣ الى ٤٤ ٪ بمائة عام ١٩٥٥ . اما في افريقيا الجنوبية والشرقية ، فالنسبة لم تكن مرضية قط .

ولكن كان لابد من إشراك المجتمعات الريفية التي تتألف من اللادين وحلها على المساهمة بحياة البلاد الاقتصادية والسياسية ، وهي مهمة ترك امر تحقيقها لشروع القرية الاساسية التي شملتها الاوتسكو وساهم في تنفيذها ، ونشرها في المستعمرات البريطانية والفرنسية والبلجيكية والبرتغالية . المهمة المطلوب تنفيذها وتحقيقها هي تربية الجماهير ، واثارة روح المبادرة فيها وتدريبها على بعض الاساليب الزراعية وتربية الماشية . وعلى ضوء الخبرات المكتسبة في المكسيك التي حققتها الارشادات الثقافية واساليب التعليم المتبادل ، تألفت فئات نقالة تشكلت من اختصاصيين واساتذة واعطاء ومهندسين زراعيين واعطاء بيطريين ، لتقضي بصحة اسابيع او بضعة اشهر في قرية ما او في قضاء معين . وتحاول تعليم الاميين مستعينة على ذلك بالوسائل السمعية والصورية فتوزع على الطلاب كتب النصوص الامتدائية مكتوبة باللغة الدارجة المحكية في المنطقة لتعليم الكبار ، وفقاً لحاجتهم الخاصة ولصالحهم الملحة ، وبذلك تتفوق القراءة والكتابة في اقل من شهر . وفي الوقت ذاته يملطون دروساً ولية في امور الصحة العامة ، وتزويد

بالمعلومات الأولية لمكافحة تآكل التربة ، والطبليات الغذائية والحيوانات الضساسة ، ومراقبة المراعي وكيفية استعمال السمدة ، وانشاء التعاونيات الزراعية ، وشروط انشاء مستوصفات صحية ودارتها ، وتحسين الطرق والآبار . وعلى مستوى اعلى ، أُنشئت ، في المقاطعات البريطانية لجان استشارية في كل قضاء تشارك في تنظيم العمل والسر على راحة المجتمع . وفي الكونغرس البلجيكي ولا سيما في مقاطعة رواندا أوروغوي يبرز عمل منظمة رعاية المواطن ، التي اخذت ، تدرس وتحقق كل الوسائل الكفيلة بتأمين ما فيه راحة المواطنين في المحيط الريفي المادية والادبية . . وفي المقاطعات الفرنسية قامت « التعاونيات العصرية الريفية المادية من ابناء البلاد » في مدغشقر ، والجمييات الحيرية وقطاعات حصرة لزراعة ، وغير ذلك من هذه المؤسسات التي اخذت تعمل في هذا المجال .

نعم كل نظام استعماري ، جرى تطبيق هذه الاساليب والعمل بهذه التدابير ببطء وبصعوبة كلية ، بالنظر لعمز الاعتمادات المملوطة او لعدم توفرها بالكلفة ، ولا سيما بالنسبة لمداء البيض والادارات لهذه المشروعات او لعدم رضاها عنها او التشكك بفعاليتها

توارد على افريقيا ، منذ ١٩٤٥ ، من رؤوس اموال للاستثمار
الخط والامتارات يزيد
ما لم تشهد له مثيلا من قبل ، وذلك بعد ان أصبحت الامبراطوريات
من حدة التنامية
الاستثمارية محصورة في هذه القارة . بعد ان خرج الاوروبيون

من آسيا ، زعم لديهم المزيد من رؤوس الاموال ولربيد من التقييد للاستثمار والتشغيل وبذلك يفضون عجز الدولار الذي يشكلون منه في منطقة الفرنك وفي منطقة الستريني عن طريق تشجيع الانتاج في مستعمراتهم لما كان يستوردونه من المحاصيل من الاقطار الاخرى : كاللحادن عبر الحديدية والزيوت ، والفطس وغير ذلك من محاصيل الارض ولذا ترقب عليهم تجوير هذه المستعمرات بالمواد البحرية والخطوط الحديدية والطرق ، وان يوجهوا اهتماما اكبر للناس اي ان يهتموا بادخال تحسيات على اوضاعهم الصحية والتعليم ، وانشاء اقتصاديات سليمة في هذه المستعمرات بتشجيع وتنويع الانتاج الزراعي والصناعي معا . كل هذا كان موضوع سياسة خاصة تخطط لوسائل حصرة العناد والاجهزة الفنية التي من شأنها ان تساعد على انتاج بعض المحاصيل الزراعية واستخراج بعض الفلزات المعدنية وصيانة الغابات والتربة وقصيص شبكة لري ، وتوليد الطاقة الكهربائية وانشاء بعض الصناعات امنية وطرق مواصلات . لهذا عام ١٩٤٥ اقر مجلس العموم في بريطانيا قانون اول خطة للتنمية لاقتصادية ، ولتأخذ خطط اخرى عام ١٩٤٥ و ١٩٥٠ ثم اقرت الحكومة البريطانية قانون تحصيل الموارد عبر البحار سنة ١٩٤٨ ، وانشأت في سنة ١٩٥٣ رابطة التطوير المالي التي اخذت تبحث عن مشاريع استشارية للصناعة في عدة مقاطعات . ومن الجانب الفرنسي ، وضعت الخطة العشرين ، عام ١٩٤٦ التي نصت على اشاء صندوق الاستثمار للتطور الاقتصادي والاجتماعي في الاقطار الواقعة عبر البحار تعذبه الدولة الفرنسية بمخصصات ، عهيد اليه بتمويل مشاريع غير المستثمرة (كالرأى

والطرق ومطارات توليد الطاقة الكهربائية . وفي سنة ١٩٤٧ ، حل محل هذه الخطة خطة
رباعية راح القسم الأكبر من الاموال المستثمرة لتأمين الانتاج الزراعي والمواد الاسفنجية
الاخرى . ثم اطلت الخطة العشرية لتطوير الاقتصادي والاجتماعي في الكونغو البلجيكي ،
التي نشرت عام ١٩٤٩ . اما الخطة الخمسية البرتغالية للسنوات ١٩٥٣ - ١٩٥٨ ، فلم تكن
سوى برنامج عام للاشغال العامة التي يجب النهوض بها .

وبالرغم من الفشل الذريع الذي آلت اليه بعض المشروعات : كشروع الفول السوداني في
تنزانيا عام ١٩٤٧ ، ومشروع تربية الدجاج في غينيا عام ١٩٤٨ ، فقد قامت مع ذلك
صناعات لتحويل واخرى زراعية او متعلقة بصيد الاسماك ، ومشاريع استغلال الثروات وغير
ذلك . ومع ذلك فهذه الاستثمارات والنهضات الاقتصادية التي امكن النهوض بها لم تحفظ
كثيراً من مساوي الزراعة الاحادية ولا استطاعت ان تحرر الاقتصاد المحلي من ارتباطه
وتابعيته للدول المستعمرة . فالبن والفول السوداني شكلا عام ١٩٥٠ ٢/٣ صادرات افريقيا
الغربية الفرنسية ، كما الف البن والكاكاو ٦٠ بالمائة من صادرات الكاميرون ، والقطن والخشب
٦٥ بالمائة من صادرات افريقيا الاستوائية الفرنسية . وفي عام ١٩٥١ ، كان محصول الفول
السوداني ٩٩ بالمائة من صادرات غينيا ، والتبغ والشاي ٧٨ بالمائة من صادرات نيبال
والصمغ ٦٩ بالمائة من صادرات الشاطئ الذهبي ، والسيال ٥٥ بالمائة من صادرات تنزانيا ،
والمعادن ٩٥ بالمائة من صادرات روديسيا الشمالية .

كانت لاقطار المستعمرة ايمد ما تكون من استقلالها الاقتصادي ولذا رأت نفسها اكثر
فاكثر تابعة لاروپا ، والسبب هو ان هذه الاستثمارات مصدرها الاساسي من الدول الام صاحبة
السلطة ، مما نوجه الاعتبارات المستوفاة من الاقطار المستعمرة نحو القطاعات التي تؤمن خامريداً
من الارواح والفوائد وذلك بدافع من المصلحة الخاصة . والسبب الآخر هو ان افريقيا اندت
تمتبر اكثر فاكثر كتابع لاروپا . فيجب ان تكون القاعدة العالمية لاروپا في وجه الاتحاد
السوفياتي وآسيا . فهي القارة الاخيرة الناقية تحت الاستعمار حيث تحاول انكساراً من جهة
وغرباً من جهة اخرى ان تفتش كل في ما يختص به ، اقتصاداً إضافياً لاقتصادها . ولما كانت تحجز
اى دولة استعمارية من استثمار موارد هذه القارة ، فقد نشأ عن ذلك مشروح اورافريقيا الذي
ينص على ستائر مشترك لهذه الموارد من قبل الدول الأوروبية مجتمعة . فمن والحالة هذه ،
امام ميثاق ستيماري موسع غايته الاحتفاظ لاروپا وليس لبعض دولها ، بالسوق الافريقية
وبالحامات والمواد الأولية التي هي بحاجة حاسة اليها .

والجنتع الافريقي الذي اصبحت مصالحة المادية والادبية في الصميم
من جراء سيطرة الأوروبيين عليها ، قام برمة هكسية وذلك
بقتباسه بعض عاداتهم واهوائهم وبقليته بعض نظرياتهم ، وبليله مبدأ الاخرى منها . فقد
احدت فتت التجمع القبلي والضعف الذي نزل بالتقاليد لندبية رمة فكرياً ودينية لدى عدد

كبير ، خلقت « فراغاً روحياً » يمكن تئيمه وتشبعه بشكل مختلف جلاءً ووضوحاً ، على طول الساحل الأفريقي ، هذه المنطقة التي سيطر عليها نفوذ الأوروبي منذ عهد بعيد ، والتي أخذت تنسج الى ادخال ، وهذا الفراغ يبدو بأشكاله السياسية والدينية او السياسي الدينية صكناً لظهور احزاب سياسية ونقابات واتحادات خمت بين صفوفها جماهير المتحمسين ، منها مثلاً : R. D. A. في افريقيا الغربية الفرنسية ، والكتلة الديمقراطية السفالية ، والحزب التقدمي التوحيدي ، والحزب السوداني التقدمي ، والحركة الديمقراطية للثلاثي ، والاتحاد سكان الكامرون (U P C) ، وحزب الاتحاد الشعبي الذي شكله نكروما في الشاطئ الذهبي ، والمؤتمر الوطني في نيجيريا والكامرون (N C N C) الذي ألفه أريكويبه ، وكتلة العمل في نيجيريا الغربية والاتحاد الوطني التناميكسي الأفريقي الذي شكله بولوس بيديري . والنقابة الوطنية اصطدمت طويلاً بصعوبات كبيرة . فقد منعت تماماً في افريقيا الجنوبية وخضعت للمراقبة الشديدة في الكونغو البلجيكي ، ولا سيما لمراقبة البوليس الشديدة . وفي نيجيريا أحير تشكيل النقابات منذ عام ١٩٣٨ مع الاعتراف بمحقتها بتنظيم الاضرابات والاعتصامات ، وانضم في الشاطئ الذهبي ، اتحاد النقابات عام ١٩٤٦ ، وفي المقاطعة الفرنسية وروديسيا الشمالية سمح في السنة ذاتها اي في عام ١٩٤٧ ، بتأليف النقابات العمالية .

واحياناً تظهر بشكل محتام سرية منظمات للدفاع ولجمع القوى ، منها مثلاً : « جمعيات العمل » في الكامرون وفي الغابون ، ومحاولة التجمع القبلي ، مؤتمر السامون عام ١٩٤٧ الذي جرب ان يشكل بين قبائل الفانمز ، جمعية وفقاً للتقاليد الافريقية المحاصرة تكون منأى من الوصاية الادارية التي تقوم بها الزعامة التي تقيمها السلطات المستمرة . وهذه الفئة لا تزال تتعبد بذلك القبي ، الا ان من ابرر ما يميز بقلة هذه القوميات ، هو الشعور بالتضامن الذي أخذ يظهر من خلال هذه لمؤسسات المرقية والسياسية ، اقله بين رؤساء هذه القبائل ورعاياها .

هذا الفراغ الروحي يفسر لنا التماح الذي يحققه انتشار الاسلام على بين الاسلام والمسيحية اختلاف مظاهره « الرهبة الطابع والسمة » ، كالاغويات التي تمكن الشبان من التحرر والتخفف من الروبط التقليدية والاعراب عن مشاعرهم القومية ضد الاحتلال الاجنبي والتي تستعمل من الاساليب والوسائل ما يتفق تماماً وذمعية لرنج واعتناق الاسلام قد لا يتعدى احياناً الظواهر السطحية ويصحي ورم كثيراً من بقايا الديانة الطبيعية انما يكون بذاته حدثاً مهماً بما يترتب عليه من النتائج ، اذ ان عدداً كبيراً من هذه الجماعات السرية السودانية لم تلبث ان استعالت تدريجياً الى اخوات اسلامية تفعل في الحفاء وتنتشر بين هذه الاقوام التي تحردت من طابعها القبلي التي تسكن ابدن والتي اصحمت مركز شيطنة لسلعوة للاسلام ونشره بين السكان . ولما كان الاسلام يسيطر في هذه المناطق الواقعة شمالي خط العرض الحادس ، فقد أخذ يتخذ جنوباً هذا الخط بسرعة ٥٠٠ ، ٥٠٠ من المستقلين له في السنة ، حسب للهدرات الاب بوشو ففي افريقيا الشرقية ، فأخذ محطة اذاعة القاهرة ومحطة اذاعة الباكستان

وغيرهم الماعود الدينية في كل من مصر والباكستان ، والبنجار ، والهندة الذين عرسلهم طوائف الاحدية ينشرون القرآن ويوحون به في وجه اسبعية فقتيل كفتة (هوي) . والنسبة المئوية للمسلمين ، في عام ١٩٤٦ ، كانت ٩٠ بالمائة في النيجر و ٨٥ في السنغال و ٨٠ بالمائة في الغنية ، ارتفعت الى ٦٠ بالمائة في السودان وهولندا العليا حيث يصطدم بكتلة موسى ، ٤٥ بالمائة في نيجيريا و ١٥ بالمائة في شاطيء العاج ، و ٧ بالمائة في الدهوماني وفي الكونغو ، ورعاء ٢٠ بالمائة في مدغشقر وفي الكامرون . وفي الشاطيء الذهبي ازداد عدد المسلمين بين ١٩٣٠ - ١٩٤٥ ، اكثر من الثالث ، وفي غينيا اكثر من ٢٥ بالمائة وفي الغيبة البرتغالية حيث نسبتهم لا تزيد على ٢٠ بالمائة فقد ازدادوا الى النصف ويوجد كتل اسلامية في افريقيا الاستوائية الفرنسية وفي افريقيا الجنوبية . ويزيد عدد المسلمين في كل اقطار افريقيا الغربية من فرنسية وانكليزية وبرتغالية وفي ليبيا على ١٥ مليون من اصل ٣٦ مليون . فمن اصل ١٣٠ مليون من السود ١٤ مليون هم مسلمون منهم ١١/٢١ موحونون الى الشمال من خط الاستواء . والباقيون مورعوت على ساحل المحيط الهندي .

وفي الحين الذي يدور فيه لاسلام وكأنه جاء خصيصاً لافريقيا ، يعمل معظم الزعماء الوطنيين على مناهضة اسبعية بعد ان يشجب الروابط التي تشدهم الى الاستثمار ، كاريون بخضوع الكنائس المحلية سلطة عربية عن البلاد لندن أو روما والتي يلزم تطورها وتقدمها بالبطر الكلي وليس فيه . يكفل ويضمن بقاءه . فالنصادة ارسولية في افريقيا الفرنسية تعد اربعة ملايين من اتباع الكنيسة الكاثوليكية لرومانية على حمس مليون من السكان ، كما تعد افريقيا الجنوبية ٨٠٤ ، ٠٠٠ منهم ، من اصل ١٤ ، ٢٠٠ ، ٠٠٠ نسمة ، و افريقيا الشرقية والوسطى ٤ ، ٥٠٠ ، ٠٠٠ على ٦٧ مليون ، والكونغو البلجيكي وروندا وروندي ٤ ، ٦٦٠ ، ٠٠٠ على ١٥ ، ٥٠٠ ، ٠٠٠ نسمة . والارسلات العروتستانتية التي هي اسبق الى العمل التبشيري في افريقيا نتم كثيرأ بمطابقة ظروف وشروط الحية في هذه المجتمعات الزبجية ، كما تفرص على الاكثر من المدارس والعمون المادي والاسعاف الطبي ، وعلى تكوين اكليروس محلي بأسرع ما يمكن فهي تنمو بسرعة بدافع من التأثير لاميكرمي الذي اشد حداً لا سجا بعد عام ١٩٣٦ في هذه البلدان التي تستمرها الدول الكاثوليكية كالكونغو البلجيكي والكامرون و افريقيا الغربية الفرنسية ، والمستعمرات البرتغالية . وقد بدأت الحروب نوعاً من تعاليف عدواني تبشيري وحققوا تقدماً كبيراً في المصونمو بالرغم من الامتدات العريضة المصورة في مدارس الكاثوليكية وحدها . فهم يملكون عدداً كبيراً من الاولاد ويعيشون اكثر من ١ ، ٥٠٠ ، ٠٠٠ من الالباع

والى هذه الاسباب يجب ان نمرؤ التجمعات التي سعتلها الكنائس الكنائس السودا . المنفصلة التي نشأت من التبشير الذي قام به الانبياء السانتو الذين حاولوا ان يوحوا بين عمل الارسلات المسيحية ذات الطابع لافريقي ، و دعت لطبابة ، همن

إطار مسيحي أو شبه مسيحي ، العناصر الحية في الديانة التقليدية ،

فمنذ عام ١٨٩٧ ، ظهرت الكنيسة الاثيوبية التي اقامت لها علاقات مع كنائس لزوج في الولايات المتحدة الاميركية ، والتي قطعت كل صلة لها مع الارساليات لاسباب عنصرية مسع الابقاء على تنظيمها وعلى روحها . ثم اعلنت علينا كنائس « صهيونية » وكنائس عنصرية (اي قت الى العنصرة) التي استندت الصورة الباهتة لمسيح البيض عيسى فريجي ، واخذت مناهضة الكنائس المسيحية مناهضة ضارية التي تأخذ مبدأ التمييز العنصري . ومسح ان هذه الكنيسة تعد نضع مئات من الاتباع والمريدين ، فهي ترسم طقوس معقدة للتطهير ، كما تفرض تعريجات أكثر، عدائية ، وتنتشر تعاليم وتعلم سلوكات لها تأثيرها على الجماعات المحرومة من وسائل التصرف والدمل ، وهو تأثير يشتد بدسبة ما يلوح بمحاصرة البلاد القديمة في وجه البيض . من هذه الطوائف في افريقيا الجنوبية الكنيسة المسيحية البديائية ، وكنيسة مانافالو الافريقسية والكنيسة الميثودية الافريقية دلفيها ، والكنيسة الافريقية الاتحادية في نيجيريا ، والكنيسة المعمدانية في دوالا والحركة الدينية المعروفة بساعة البرج التي تنتظر قدوم مسيح جديد يولد من عذراء زنجية ، وهي حركة لها اتباعها في افريقيا الغربية وافريقيا الوسطى ، والكنيسة الرجعية لدلت نهر النيجر ، واتباع ابولونيوس في مدينة نون بسان ، وعشادة ماسا او القرن التي دخلت عام ١٩٥١ الى شاطئ الصبح . وهي المعروفة بكنيسة كيكور العنصرية المستقلة ، وغيرها كثيرون . وقد تصادف احيانا حركات وعمرية الطابع كالحركة التي اسسها وليم هاريس احد المرشدين في الارسالية الميثودية الاميركية سابقا في لبيروا الذي بعد ان ظهر له رئيس الملائكة غبريل ، كما يقول ، راح عام ١٩١٣ يبشر بالانجيل في شاطئ العاج ، ويحارب « الاصنام » وينهي عن الرقة والزنى ، ويعد الاخيار بالسوء ، والاشراذ بالجحيم ، ونصّر بيده اكثر من ١٠٠٠٠٠ رجعي واسس كنائس تابعة له في شاطئ العاج والشاطئ النهري

وهذا لتعلق الروحي ذاته هو وراء النضاج الذي حققته بعض الفئات الجديدة ذات الطابع الدمي او الثقافي او السياسي التي تكون مظاهر مختلفة ضد حركة الثقافة التي تعرضت لها الثقافات الافريقية المختلفة ، كما نواجه حركة مقاومة في وجه الاستعمار . وان هذا يجب ان يرد حركة بريتزي Bvizi التي انتشرت في الغابون وفي العينة الاسانية ، فكانت عبارة عن مجتمع قبلي يحاول بما له من هياكل وطقوس عديدة ، من ان يجمع حوله اقواما من عقائد متباينة يعملون في هذه الورشات القائمة في الاحراج والامانات . من هذه الحركات ايضا الحركات المشيخية التي اعطت في الكونغو والبلجيكي والكونغو الفرنسي حركة المعرفة الكباريجية من اسم دعيها الاكبر كمانجو ، عام ١٩٢١ ، والحركة الاميكالية التي ظهرت عند اشتداد الازمة الاقتصادية سنة ١٩٣٠ ، و ١٩٤٠ ، و ١٩٤٧ . وبعد وفاة مؤسس الاميكالية في سجنه ، اندربه مستوى الذي عمل في ورقة الرمة في الحرب العالمية الاولى وفي حرب الريف والذي اسس هذه الحركة في باريس عام ١٩٢٦ الذي سمي الى ضم شمل بساء افريقيا الاستوائية الفرنسية وراح ينسادي

بالمقاومة السلبية تجاه الادارة ، رفض اتباعه الاعتراف بموقفه ، وراسوا بقيمونه عبادة : يسوع مائسوى ، ويستخبون في انتخابات ١٩٤٦ - ١٩٤٧ ، النسبي المتوفي ، كايقتنعون له في انتخابات ١٩٥١ . اما الحركة الكمانيجية فقد تناسخت بعد عام ١٩٤١ في الحركة الكاكية ، التي اسسها المبشر القديم والملازم في جيش الخلاص سيمون مبادي جعل نقطة الدائرة فيها سيمون كمانيجو الذي يمثل الـ *Gousses* او « الخالص وملك الروح » . ينحصر اتباع هذه الديانة لنظام مسلسل ، ولها طقوسها كما ان قواعدها الصارمة الشديدة تفرض الزواج بين اتبصار هذه الديانة ، وتحرم الزنى وشرب المسكرات ، وفرض مقاطعة الارسلالات الاسبوعية مقاطعة عامة ، كما تقاطع مثلي الحكومة . ومة الكيثارالا التي انبثقت من كنيسة البرج ، نشأت في روديسيا الجنوبية وفي بياسالاند ، وعم انتشارها ثلاثة ارباع الكونغو البلجيكي في عام ١٩١٦ ، وعلم ان سيمون كمانيجو هو مسيحا جديد يمت الى الارض ليخلص الروح وينقذهم من ربقة البيض ، الذين امروا بقتل السيد المسيح ولينقذهم من السحر الذي يتعرضون له . وعبادة الـ *Vesol* ، الملتصقة من كلمة *Vesol* (التي تعني القوة والسيطرة) انتشرت بسرعة كلية في مقاطعة الكونغو الاعلى وفي القابون وكانت ترمي الى توحيد كل النشاطات التي تصدر عن عبادة الديانة الطبيعية ، وفرض على الاتباع الاخوة ، ولحارب عقوس السحر ، والسرقة والزنى ، وتزويد من قوة الطهرات للقدسية . وهي تفرض طقوساً خاصة على المريدن الجدد ومراسم بحيفة وضواغط مقدسة واقتبست مراسم كثيرة من الديانة الكاثوليكية : كاليكل مع الشموع والاحراس والاعتراعات . وهي عبادة الدنيا التي استلها النبية ماري لالو التي كانت تعد ، عام ١٩٥٨ ، اكثر من ٩٠٠٠٠ من الاتباع في شاطئ العاج .

ان معظم هذه العبادات المسيانية التي جاءت عند منتصف الطريق بين التعاليم المسيحية والفلسفة الدينية ، المتناقة عن السلف ، تتلقى حول مييزات مشتركة : محاربة بعض العقائد والطقوس القديمة وضد السحر والتماييد ، وهي الى حد كلة حركة رجعية ضد سيطرة البيض وسيادتهم . فاذا ما تسببت عن حوادث فهذه الحوادث من نصيب المناطق والاقطار التي يشهد فيها التمييز العنصري ، وحيث تشتد وطأة النظام الاقتصادي الحديث ، لا سيما في هذه المناطق المنجمية الواقعة في الكونغو البلجيكي وبياسالاند وكينيا ، عام ١٩٣١ و ١٩٤١ و ١٩٤٤ ، وبالرغم مما لها من طابع نصف سري ونصف تسري وطابع رجري ، عليها تأثير عظيم ولها قدرة كبيرة على النمو والانتشار . وهي تجتذب اليها عدداً كبيراً من المارقين عن الارسلالات النبتية ويقارن *تو* هولاس الحماسة التي تلاقبها هذه الطقوس ، بهذه الحالة من العمل التي احاطت باوائل المسيحيين في دياميس روما .

فهذه الاحقاد العنصرية والدينية ، وهذه المطالب الاحتجاجية تكون تهديداً مباشراً لهذه الاقلية البيضاء التي طالما لحكمت وعبثت ، ويعتد فيها شعوراً او حركة دفاعية على اساس عنصري تؤلف منها هذه الاقلية كتلة مفرصة ، سواء في افريقيا الجنوبية ام في افريقيا

الشالية . وفيه كيتا وروديسيا ايضاً .

فلاضطرابات والدلائل التي تؤلف خطراً على البيض تثير فيهم الهياج ثم اطلع . فالاستمارة باليسطة بحر وروديسيا
الصح والكتب الذي يولد من الآخر . الارهاب . وهذا يمت بدوره الملح الذي يجر بدوره الى تكوين ثلث القلاع
من النفس . فمن امام حلقه محسية تنال من الحلة ومن القمع (ر . مونتاني) .

وهكذا فالجنت من بزعا الى الانعزال والتفاح وينظران الواحد الى الآخر نظرة ملوّه
العداء .

٣ - السياسات الامتعمارية المتباينة الاتجاه

تباينت الحلون التي اتخذتها الدول المستعمرة في المجال السياسي باختلاف تقاليد و الاسوال
الحاجة بكل قطر من الاقطار التي تسيطر عليها . فالبريطانيون انتهموا سياسة يحافظون معها
على الزعامات الوطنية القائمة محاولين تسخيرها كأدوات لهم في احكام نظمهم الامتعماري . هذه
الطريقة التي رحب بها ليونجي وحد انتهموها موصيها بوضع الطبقات الموحدة الى جانب
مصالحنا اي تشويق الاوستو قراطية الوطنية و شراكها . لا ان التقاليد الادارية التي عتمدها
المستعمرون الفرنسيون خالفت هذا المسلك ونهجت بها آخر ، مفضلة عليه الحكم المباشر وطريقة
التمثيل التي تهدف الى إعداد طبقة ادارية جديدة مشبعة بمبادئ لادارة الفرنسية . اما
البلجيكيون فقد آثروا سياسة قوية واعطاء التمييز العنصري تخضع الوصيين لوصاية ضيقة .

سياستان برميالتيان
انتهم البريطانيون في مستعمراتهم الحكم غير المباشر وهي سياسة تبعوها
وصموها موضع التجربة والاختبار ، رفعها الفورد لوغاردي الى مرتبة
نظام في مذكرته السياسية التي وضعها عام ١٩١٨ وفي تقريره المصون الانتداب الثاني في افريقيا
الاستوائية البريطانية (١٩٢٢) . فهي بيجيريا الشالية احتفظ امراء المقاطعات المحليون
بمراكزهم وسلطانهم الاستقلالية وامنت لهم اموار القانونية وشبكة من المحاكم كما قامت في بعض
المدن الكبرى مثل كاتو وعنادان هيئات بلدية تتمتع بسلطات واسعة . والمدن الساحلية
وحدها حيث يشتد النفوذ الاوربي بعد ان اهرق فيها ورمخ ، وحيث يكثر عدد المتطوعين ،
تقوم فيها بلديات على الطراز الاوربي وفي الشاطئ للدهي ، اعيدت الى ارحماء المحليين كان
اقترح من سلطتهم ومن نفوذهم ، عندما اعيد عام ١٩٢١ العرش النعيمي الذي كانت للشعب
اشنتي ، وعندما تم الاعتراف عام ١٩٢٥ بسلطات الـ ٦٣ رعييا من اهم رعياء المستعمرة
وفي هاتين المقاطعتين كما في مقاطعة السيرايلون وفي غمبيا ، فالادارة غير المباشرة نظرت اليها ،
منذ هذا التاريخ ، كمرحلة من مراحل إعداد البلاد للحكم الذاتي اما لاقطار التي وجدت في
اقلية كبيرة من البيض ، فقد اشاروا او زعموا الى انه من التمييز العنصري لصلحة
الجنس الابيض .

أفريقيا الجنوبية
على أكثرية مستعمدة مستمدة من أبناء البلاد عامام ٢٩٪ من الأوروبيين، معدل
الموليد عندهم أعلى نسبة سجلتها من المواليد سجلتها جالية أوروبية مقيمة عبر البحار (بمستثناء
أميركا اللاتينية) و ٣٦ بالمائة عام ١٩٥٢، وحيث معدل الوفيات وأعلى جداً (٨٠٦ بالألف)
يقوم ٦٩ بالمائة من أبناء البلاد و ٨ بالمائة من الأفلاسيين و ٢ بالمائة من الآسيويين معظمهم من
الضوء، عرفوا كلهم مخصص المواليد والانسال يزيد معددهم معدل الانسبال لدى البيض على
ارتفاعه. وهكذا نشهد في هذه البلاد تأخراً أو تقهراً بطيئاً للعرق الأبيض ولخصه مطرد،
يزداد الشعور به ويبرز بوضوح بالرغم من نمو السكان السريع في المدن، حيث العرق الأبيض
أصبح أقلية فيها (٣٩ بالمائة عام ١٩٥١) لقاء ٥٠ بالمائة عام ١٩٢١، مما يبعث فيه الشعور بأنه
سيفرق عما قريب تحت هذا المد العام الذي لا سبيل لدفعه أو صدّه. وإلى هذا الخوف الذي
يغامرها يجب أن نضيف هنا وهم العرق المستبد بالبوريز على الأخص وهم المحافظة على الوضع
التميز للأنسان الأبيض الذي يشتد على الأخص عند الطبقة الفقيرة. فبالهجرة التي تؤلف حيز
طريقة لرفع نسبة الأوروبيين في البلاد، أصبحت من الأمور المستعبدة جداً أن لم نقل من
المستحبة من جراء المقاومة المزدوجة التي يبدونها صفار البيض الذين يتخوفون جداً من قضية
الهالة والاستوفاطية المقارية المسيطرة على البلاد بهذه العنصرية العمياء التي يقول بها البوير،
الأعداء اللدناء لكل ما هو غريب ولذين يعيشون بأن تنقلب أكثرية *Afrikaaner* الضعيفة إلى
أقلية من جراء وصول مهاجرين يفتنون الانكليز ويكرهونهم.

والانفصال الجغرافي أو لارهي الذي يوشح به منذ عام ١٩١٣، ترك للسكان من أبناء
البلاد ١٢ بالمائة من مساحة البلاد فلا يجوز لأي أسود أن يشتري أرضاً تقع خارج هذا النطاق.
علا راضي المحفوظة لسكن لوطنيين يعيشون فيها وفقاً لتقاليدهم لتوارثه أصبحت تقص
بالسكان، والاهلون فيها يتكاثرون ويسمون بأسرع من نمو المود الغذائية إذ أن الزراعة لا تزال
فيها متأخرة جداً، والقرنة فيها عرضة للتأكل والتعفن كما تسببها ماشية تزداد وطأتها باستمرار.
ولذا يضطر عدد كبير من هؤلاء الرلوج للترحل عن مساكنهم انتجساعاً للعيش في خدمة
الأوروبيين. وهكذا فهناك ٥٠٠، ٥٠٠ عامل ربحي من العمال الزراعيين يعملون خارج
نطاق الأراضي المحفوظة، مياومين أو مرابمين أو متعبدين لأراض تخص البيض، تدفع أجورهم
عياً من محصول الأرض أما مود عدائية أو دالترحيص لهم رعي مواشيهم، مستوى العيش
لديهم متدن جداً ولا أمل لهم أن يصبحوا يوماً من الملاكين من منهم بعض في المدن وفي
المناجم يعيشون في تخشيب أو في مجامع، هي اقرب ما تكون من محبسات التجمع التي
تقص يساكنها حيث التدرن الرثوي وسل النحاتين يفنك بهم فتكاً دريماً ويجعل معدل الوفيات
ينهم ٣ أو ٥ أضعافه لدى البيض الذين يقطنون المنطقة ذاتها. والانفصال إلى حياء متميزة
التي خطط له منذ عام ١٩٢٦ دخل موضع التطبيق بكل قسوة منذ عام ١٩٥٠ ولكن هذا

الانفصال الارضي والجغرافي يتغذر طبيعته اكثار فاكثار كلما اتسع النسيج الاقتصادي .
والانتاج الصناعي الذي تطور كثيراً بحيث انتقل ديبه من ١٠٠ عام ١٩٢٩ الى ١٣٦ عام
١٩٣٨ وال ٤٣٥ عام ١٩٥٠ ، وازدهار الصناعات المتنوعة بفضل الحرب ، جعل من العمل غير
الاوروبي جرمًا مقومًا وعصرًا أساسيًا من الحركة الاقتصادية في البلاد ، إذ يؤلف ٨٠٪ من
مجموعة طاقة العمل في الاتحاد هالك ٧ عمال ورجل لدم عامل ابيض في مساحم الذهب الواقعة
في ويتواترند ، و١٧ على عامل واحد ابيض في مساحم الفحم . وبالرغم من قانون اللون
الصادر عام ١٩٢٦ الذي يحفظ معظم الاعمال التي تقتضي لاختصاص للعمل البيض والتي
يقصر الزوج على الاعمال المحفوظة لعمال مساعد ، فعدد العمال نصف لمدرسين او المتخصصين
برداد . حتى العمال المسعدون الذين تتعاديهم قطاعات لرعة والصناعة اصبح عددهم لا يفي
بالفرص ولا بالطلب ويجب استخدام العمال من خارج الاتحاد . انه تعرب حذا وضاع هؤلاء
البيض تحيط بهم انفارقات من كل جانب ، اد انهم يعيشون في خوف موصول بان يفرقوا في خضم
الزواج فيضطرون لاستخدام بعضهم من الخارج

فالازدهار الذي ترقع فيه هذه الاقلية البيضاء التي تستأثر بـ ٧٤٪ من الدخل القومي ، ينهض
اساساً على الاحوار المتديبة التي تدفع للدم العامة السوداء وعلى استمادها قالبروليتاريا الاوروبية
تنعم باحور اكبر . فها من عامس ابيض يرمح بقل من ١٥ سنيها في الشهر الواحد ، منها تواضع
عمله او حوّل ، بين العامس المدن لاسود في مساحم الفحم يحصل حديدات لا غير اما في مساحم
التعدين ، فالاجر الذي يتقاضاه العامل الابيض يزيد عشرة اضعاف عن اجر العامل الاسود ، انت
٧٠٪ من العمال الوطنيين هم من الالبيين ، والمدارس الوحشية لا يصيبها سوى ١٪ الاعتادات
لخصصة لتعليم البيض . ففي عام ١٩٥٢ كان التعليم الذي يعطونه يعدم العمل اليدوي وليس
لتزويدهم بثقافة ومعلومات عامة . فالنظام والتشكيل الذي يقدم عليه العمل لا يتوكل لاسود
اي اختيار او اي بارقة امل فاي عمل غير العمل اليدوي في الارض وفي النجم وفي النصح .
فبعد ان اقصي عن التعليم الذي يفتح مائه ابواب الرقي الاجتماعي ، أمدد الزيجي ايضا من
كل نشاط سياسي . فالانتصار الانتعالي الذي حققه الدكتور مالن عام ١٩٤٩ ، مكس من قور
سياسة التفريق الكامل . فحرم رواج الالبيض ، والعدل بين احياء منفصلة بعضها
عن بعض في المدن ، وسحب الرخيص الذي كان يحول الخلافي حق لانتخاب في ولاية للكاتب .
وقد صدرت قوانين تمييزية ، اضعفت الاسود الذي يقطن مدينة لنظام حواجز مرور ورخصة
كان من الصعب جدا الحصول عليها بحيث ن ٧٠٪ من الخلفات التي ياتيها غير الاوروبيين كانت
محالفات صدم الامتثال لهذه الرخص . ونعم عن ذلك نوع من لاشغال المشاقة فالهككوم عليهم
بالسجى ، تؤجرهم الادارة للتمهدين او لارباب الصناعة لتأمين الاعمال الزراعية او للعمم
في المناجم .

وهذا الانفصال الذي يشتد يوماً بعد يوم ، ومقاومة الزوج لها الذين يتمردون عليها ،

فاكثر ، فالاجراءات التمييزية لا تؤدي الا الى اذكاء الحقد والبغضاء العنصرية وعدم الطمأنينة والقلق . فكل مظاهرة عنصرية او اعتداء من قسمل الزنوج ، حتى ولو لم تكن الا لفظية او شعوية تجر على صاحبها عقوبة قاسية في حال . وقد يتحول استيائهم احيانا نحو الخلاسين او الاسويين (هيجان دوران عام ١٩٤٩) ، وقد يتجه احيانا ضد البيض كالاخطرابات التي وقعت عام ١٩٥٢ - ١٩٥٣ في بورت البرايت وجوهنبرغ وكيمبرلي والكاب واپست لندن ، او بمرور عن هذا الامتياز بعمل مشروع قلب او متواضع الاخر . كالمقاومة المسلحة او المقاطعة التي نظمها المؤتمر الوطني الافريقي ، والانضمام الى بعض النقابات العمالية التي تقبل في عضويتها العمال غير الاوروبيين . وحركة القمع وتدي طابعاً بربرياً عام ١٩٥١ ، وللتعديل الذي ادخل على قانون عام ١٩٥٠ حول حظر الشيوعية اعطى هذه الكلفة تعريفاً بحيث يمكن ان يطبق . وان يطبق على كل شخص يمكن ان يعرب من آراء او افكار يعتبرونها في انكفرا لبرابسة او متحررة ، ، فقاوم عام ١٩٥٣ بفرض عفويات يمكن ان تتأرجح بين ٥ سنوات حبس مع غرامة ٥٠٠ ايرة انكليزية ، بغداً ومهاجمة اي من شرعي او تطبق هذا الص غير ان الزنوج لا يجهون قط للحركة العملة نحو حرية والاستقلال التي تتمتع بها افرقيا السوداء ، فهم يشهدون من مقدومتهم المسلحة . فالرغم من تدخل البوليس العنيف (اذار ١٩٦٠) ، فهم يابون الرضوخ لهذا النوع من الاشرقاق الذي يتمثل في لذكرة المرور لاقب انتقال يقومون به .

هدا هو الدؤس والشقاء ، هدا هو القلق واليأس الذي يحيش في قلب مجتمع مضطهد ومتسك بدماء تقاينده ، هدا هو دراما الصدام الصارخ بين العناصر والعروق القائمة على اذلال الاسود والخوف الذي يسمو الابيض ، موضوع روية آلان باون المسودة . د ستيفي يا بلادي العزيرة التي ظهرت عام ١٩٤٣ ، وعرفت الناس بهذا الوضع الذي يمسود تلك البلاد .

افريقيا الشرقية البريطانية بين الاتحاد افريقيا الجنوبي والسودان تقع مقاطعات بريطالية حيث تقوم ساليات بيضاء ، استقرت نهائياً على الصعيد الجبلي معطية الدليل على مقدرة البيض في استئثار المناطق المدارية

هنا تقع منطقتا رودسيا ونياسالاند وتنغانيكا وكينيا . وفي هذه الاقاليم تستخدم مشكلة اتصال العناصر والعروق العنصرية كختملة ، غير ان وزارة المستعمرات البريطانية تعرف كيف تقارن نفوذها وتحاول ان تخفف من نتائج عنصرية البيض في هذه المنطقة .

وفي رودسيا الجنوبية حيث البيض لم يكونوا يمسو ١٩٣٤ سوى ١٠٠ ٠٠٠ ثم ارتفع عددهم عام ١٩٥٣ الى ٦٥٠ ٠٠٠ . وقد اقتطعوا لهم ١٠٠ ٠٠٠ ١٨٥ كيلومتر مربع من الارض المخصصة بينا لا يوجد تحت تصرف ١٠٥٠٠ ٠٠٠ ١٦٥ كلم مربع . وهم لا يقاومون عدم سوى المهاجرين الذين يملكون رؤوس اموال قوية خوفاً من ان تنشأ عنهم بوليتارياس . فقراء البيض ، كما هي الحال في افريقيا الجنوبية ، فالقطاع الثلاثة . رودسيا الشمالية والجنوبية ونياسالاند التي الفت عام ١٩٥٣ ، الاتحاد افريقيا الوسطى ، تضم ٦٠٥ ٠٠٠ ٦٠٠ نسمة من

السكان ، بينهم ٤٠٠٠ ٢٠٠ من الأوروبيين الذين يتجهون سياسة لا تختلف كثيراً عن السياسة التي يسير عليها اقتصاد جنوبي أفريقيا . والبلد الغامضة التي لا مد منها لاستثمار المساجم لا يمكن توغرها الى عن طريق الاقتراضات المالية التي تتقاضى رسوماً لها من المداخلة ما يجعل ١٠٪ من أبناء البلاد الوطنيين مضطرين للبحث لهم عن عمل ما حور خسارح لاقليم المهووظة المخصصة لهم وقانون الاقتراح يخضع لشروط صرائعية ثقيلة ليس في وسع الكثيرين تحملها ، قد ترقع أحياناً (الى ٥٠٠ جنيه في روديسيا الجنوبية) ، مساكن الدم ليس من الأسباب الشريفة في نظر الحكومة ، ومع ذلك فهو يطبق في كل مكان ، ولقد السب فرصت ودارة المستعمرات ، وجود أربعة ممثلين عن الزنوج في المجلس التشريعي القاطم في روديسيا الشمالية بالرغم من معارضة للمعري فيها . ومقاومة السود الذين يثبون ، المؤتمر الأفريقي ، تنلس لها شكلاً سلبياً ، ورفض التسليم بجامع الدم والخضوع له والعمل بقتضاء في المصادق ومكاتب البريد ، والأضرار في مناحم الفحم في وكي وفي مناجم الفحم في روديسيا الشمالية وعدم التمارن مع سلطات الاقتصاد ، واستقالة الزعماء الوطنيين .

واعلى الى الشمال تقوم تيمانيا واوغندا وكينيا حيث قامت انكلترا بعد ان خسرت جابان مواقعها الحصينة الحربية والجوية والبحرية في البحر الابيض المتوسط ، شبكة دفاع قوية صالحة لتكون مركز دفاع مقاومة شديدة ونقطة انطلاق لمجوم محتمل فالحجاء آسيا الصغرى او المحيط الهندي او الشرق الأقصى . ولذا فهي حريصة على ان تشجع استيطان المصريين الابيض في هذه المنطقة ، وكوست مبالغ حديثة لتجهيز هذه البلاد وتطوير الزراعة فيها ، ففي كل قطر من هذه الاقطار الثلاثة يتمتع لحاكم العام بسلطة مطلقة ، والمجلس التشريعي المؤلف من الموظفين وممثلين منتصين عن الأوروبيين واليهود والعرب ، ومن اعضاء معينين بينهم بعض الأفريقيين بحيث تؤدي قراراته دوماً أكثرية من البيض يرافق اليها .

ولمقاومة ترندي لها صاهباً شد من الطابع الذي له في روديسيا . فالمصريون السهول في تيمانيا قليلو العدد (٧٠٠ ٢٧ من اصل ٨٥٠٠ ٤٠٠٠ نسمة واحتياجات الارض ليست مطعفة بالرغم من الاضطرابات التي وقعت في بعض الاماكن عام ١٩٥٢) ، وكذلك قس اوغندا ، حيث يقوم رئيس او زعيم وعنه تحت الحماية البريطانية ، هو ادورد موقورا الثاني ، ملك يوهندا ، اعنى المالك واكثرها ازدهاراً ولدي ثغراء البريطانيين عام ١٩٥٣ لنزعته الاستقلالية ، واضطرت الى اعادته الى كرسي الملك امام احتجاجات السكان الصارخة .

اما في كينيا فالمصريون الأوروبيون هم اكثر بما هم في اي من هذه الاقطار والتجارة فيها يسيطر عليها البريطانيون واليهود ، والتور المصري بين الشعوب الثلاثة اقوى منه في اي مكان آخر . فالمصريون البيض استقروا واردمرت اعمالهم في السهول المرتفعة . فهم يرعون في تشكيل دومنيون ابيض كما انهم يخططون لتقوية الاستثمار الأوروبي في البلاد . فالشعور المصري يعيش عدواً عليهم وحائل اللز لا يقل شدة وهذا عنه في أفريقيا الجنوبية . فهم

يهالبون بالحكم الذاتي حتى يزيدوه صلاية ولكي يشككوا معه من طرد الـ ١٥.٠٠٠ مسن الاسويين ولا سيما طموح والناكستيين الذين يسيطرون على النشاط التجاري في البلاد وسجل بعضهم درجة عالية من الثراء . كل بهاء البلاد الوطني يذهبون فريسة لهذا الوضع ولا سيما فندرة الاراضي التي تتمرض باستمرار للتآكل السريع . كما يتأخرون من الالتزامات التي تفرض على الرحل من اب ١٥ الى ٤٥ سنة فيرون انفسهم مضطرين للعمل في الخدمات العامة وفي مزارع البيض (اد عليهم ان يقصوا بين ثلاثة وخمسة اشهر في العمل ليؤدوا ما عليهم من ضرائب) . واكثر لجاعات الحاحا ومطالبة باسترجاع الاعلاك التي برحت منهم قسرا وعوة هم قتائل الكيكونيد فهم ينامون السلطات المسؤولة لاعتبارها ارضا حراما وتزكها الحرية للعمرين باستلاكها ، اراض شاسعة حسوسها غير مملوكة بسما كانت مراعي لمواشيم ومناطق للصيد ، واستلاك لاشعوري ، كما في كدغور ، حز كثيرا في نفوسهم لا سيما والاراضي التي يقيمون عليها كثيفة للسكان ١٠٧ واحياء ٣٠٠ سمة في الكيلومتر اربع الواحد . « جمعية كيكونيد المركزية » التي تأسست عام ١٩٣٢ ، والتي عرفت فيما بعد باسم « الاتحاد كينيا الأفريقي » ، اصبحت جمعية ميسبة قوية ونشطة عام ١٩٤٦ بعد عودة جومو كينيا من اوروبا . وفي اواخر سنة ١٩٤٨ تظهر حركة المارماو وهي جمعية سرية يؤدي اعضاؤها ، القسم ويرافق انفسهم الى الجمعية مراسم وطقوس خاصة ، وهي معروفة بعد لها المكشوف البيض والفسجية . وتهاجم باستمرار البيض والوطنيين الذين يوالونهم ويخلصون لهم العمل ، فردت السلطات المحلية عن هذه الاعمال يسادها الصير ان ووحدات من الجيش البريطانية بأعمال قمع عنيفة استعالت اى حرب اداة فعلية . وفي عام ١٩٥٤ كان اكثر من ١٦٢.٠٠٠ وطني حري توقيفهم واعتقالهم ، وحكم على ٦٩.٠٠٠ منهم ، بينهم ١٣.٠٠٠ ثبت انهم اعضاء في جمعية المارماو واشتركوا باعمالها ، وكان لا يرل في هذا التاريخ اكثر من ٣٠.٠٠٠ لا يرلون موقوفين . وهذه لارقم المادية ، تكون دليل قاطعا على شعبية هذه الحركة . ولم يصب حد لاعلان المطاويء في البلاد بعد ان خفت الاضطرابات التي تثيرها الا في كانون الثاني عام ١٩٦٠ بعد اعلانها عام ١٩٥٣

في هذه الاقطار الثلاثة استطاعت السياسة البريطانية ان تزيل تدريجيا العراقيل والمصاعب التي تعترض سياستها التحررية . مشاء مجالس وطنية لانهاء البلاد الاصليين كانت لمب صفة متشاربة في بادىء الامر ، ثم اعطيت سلطات لاتخاذ قرارات . ورفع عدد الموظفين الوطنيين ، واحيرا الاجتماع حول طاولة مستديرة لمناقشة الافكار والنظريات المتماصة ، اعصت في نهاية المطاف الى اصلاح جذري في النظام الانتخابي حققت بفضل كل من تمنايقا وكينيا استقلالها عام ١٩٦٠ ، وانشاء مجلس تشريعي يضم اكنوبة امريكية على مثال ما تم ليوغندا .

منذ البدء تم استثمار ثروات الكونفو البلجيكي بشكل منهجي على يد الكونفر البلجيكي شركات خاصة قوية تحت اشراف فئات مالية قوية : مثل مصرف امين ، وشركة الكونفو التجارية والمعدنية ، والاونيلير ، واهما طرأ شركة بلجيكا العامة

التي تألفت من الشركات الفرعية التالية : الاتحاد المنعجمي في كاتنغا العليا ، ولجنة كاتنغا الخاصة ، ولجنة كيفو الوطنية ، والخط الحديدي من بحري الكومو الاسفل الى كاتنغا ، والشركة الحرجية المنعمية ، وشركة ريو كومو السليبيكي ، وشركة كاساي ، والجيرمين وغيرها . وسيطرت هذه الشركات على امتيازات واسعة أقطعت لها ، ووجبت لها نشاطها على الاخص في تصدير منتجات المعادن والمحاصيل الزراعية برسم الاسواق الخارجية . وقد نهضت باستثمار موارد البلاد خلال الحرب قاسية منها لطلقات الخلفاء ولتلبية احتياجاتهم الى المطاط والبن والفوفيرام والقصدير والاورانيوم والزنكس والكوبالت وغير ذلك من المحاصيل . وهذا الاستثمار الذي اعمل جانباً المحاصيل اللازمة لمد السكان برهن مما يمكن لحته من ضعف ووعى خلال الازمة الاقتصادية ولم تبرز هذه المخاطر بشكل واضح الا بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية . خرج الكونغو من الازمة بعد ان طرأ تطور عظيم على مراكزه الاقتصادية والمدنية التي تضم ربع سكان البلاد تقريباً ، الا ان اقتصاده اصبح كالوضع الاقتصادي في جمهوريات امريكا اللاتينية سرع العطب في اثر الضعف الذي حل بأسواقه الداخلية والاهمية المتزايدة لصادرات البلاد . ان تلك ميزانية الكونغو في عام ١٩٥٢ كانت تقوم على الرسوم والضرائب المقررة على شركة الاتحاد كاتنغا للعلية المنعمية . ويكفي هذا اشارة الى الحد الذي ارتفعت به قيمة هذه البلاد بتصدير بعض منتوجاتها التي ترتفع هي نفسها ، الى حد بعيد بتقلبات لاسواق العالمية ان اضوط الذي سجلته اسعار المواد الزيتية عام ١٩٥١ بين مرة اخرى ، سرعة عطب الوضع الاقتصادي في الكونغو .

وقد بذلت فيها بعد جهود صادقة لتصبح الاوضاع وبسطها اقل عطياً ومخطراً . وقد وضعت في هذا السبيل خطة عشرية دخلت موضع التنفيذ عام ١٩٥٠ حظت لتطوير وسائط النقل وتشيد محطات لتوليد الطاقة الكهربائية وتجهيز المصالح العلمية والدوائر الصناعية ، ورفع مستوى التعليم والصحة وتطوير الزراعة بين سكان البلاد من الوطنيين ، مقروين المزارعين بالمناهج والاساليب التي تحافظ على حصب الارض وحسن استغلالها ، وتحسين المواسم الزراعية ، ولتنجيم المحاصيل الزراعية من طريق اثناء تعاونيات في البلاد والشهوض بالمؤسسات والاهمال الاجتماعية من طريق تأسيس صندوق خاص يدهي : صندوق رفاهية المواطن ، وتطوير طرق المواصلات وتحسين اوضاع المجتمعات الريفية . وقد بقي مستوى جيش الوطنيين متدنٍ جداً كما بقي السكان عرضة للنقص في التغذية لضعف انتاج البلاد للمواد الغذائية ، كما ان اقتصاد البلاد يشهد للبداهة كان من شأنه ان يريد هذا الوضع حرجاً ما لم يتبادر البلاد الى مكتنة الزراعة بأسرع ما يمكن .

هذا الوضع المادي لحريل الذي حفر بالسكان بشجع كثيراً على إيقاظ الروح نظام ابري الوطنية وبعث الرعة في نفوس الجميع لاجراء اصلاحات سياسية في البلاد . فقد هرعت السلطات السليبيكية ان تعاهد على نظام اداري ابري حتى الحرب العالمية الاخيرة ، في

المجالين الاقتصادي والاجتماعي : التعليم يعطى باللغة الدارجة لأنه الاساليب المستفيدة من المساعدات الرسمية . أما مسألة مهاترا كاتوليكية ، إذ أن الآلة في التعليمي المفقود عام ١٩٢٦ ، يضع بين ايدي « الارشادات الوطنية » شبه احتكار للتعليم - فالارشادات البروقستانية لم تستعد من هذه المساعدات الا منذ عام ١٩٤٦ ، وهو في مستوى وسط ، ففي وعلي في آت واحد . ويحصر تعليم اللغة الفرنسية عن سيكون على اتصال موصول بالاروبيي ، ويمتدح عنهم كل تعليم ثقافي وعلمي . والتعليم يهدف « الى بث الموضوعات الادبية والنظريات الخاصة بالصحة العامة والرقمي ، والاحترام والتعاطف مع العمل الاستعماري الذي تقوم به الحكومة البلجيكية » . اما فيما يتعلق بالترقية لادبية او لاحلاقية ، فيجب التمويل على التبشير بالانجيل ، وهذه الترقية تختلف بروحها عن المناهج التربوية التي تسير عليها الحكومات الاستعمارية في افريقيا ، هذا التعليم الذي يمكن ان يحصر ، كما يرغم الحاكم العام في الحكومة ريكمانس « نصيب نخبة مختارة » ولا بد له من ان يمتد في نفوس القوم ادعاءات تفوق عصرية في قلب يجتمع لسوده الامية ، اد انطوب من التعليم نهضة « افريقيين صالحين » وليس فقط صورا طلق الاصل للاروبيين الذين سيهون ابدأ « ناساً من الطبقة الثالثة » .

اما في المجال الاقتصادي ، فقد وصيح الوطني من انشاء البلاد تحت وصاية ضيقة فعل رب العمل ، يقدم للعامل ولامرتته السكن والآلات والامانة الصحية ، حتى اذا ما برهن فيما بعد « عن قدرة في العمل وعن حسن سلوك في المجال الاجتماعي » ، اعطى له مرتب شهري ولم يمد رب العمل مسؤولاً عن إعائته اما يكفل له السكن والعناية الصحية . وهو يحصص لثلث هذه التبعة ، في المعايير السياسي والاداري لا سقى له بالافتراء ، والمال المقتات لا تخرج عن كونها محاسن استعمارية ، مع هشار من البلاد قاصراً عن الدعا عن مصالحه التي تتولاه لادارة ، ولا مجال ، طبع نشاط نقابي ، ولا حرية تميز . وقانون العمل يعاقب بالسجن كل مخالفة « لنظام العمل » ، بعقوبة ثلاثة اشهر من الاشغال الشاقة ، « واثامه ضد العمل » وجميعات العمال الوطنيين التي تهدف ليس من حرية العمل . . . ويكلف « مستشارون اوروبيون » بمراقبة مقامات العمال الوطنيين التي يخضع الانكساب اليها لشروط عدة . ليس هناك من حد او عائق البون مع ن القانون الذي صدر في نيسان ١٩٥٢ يجعل يحكم المستعمل الزواج بين انشاء البلاد الوطنيين وغير اوطيين ، كما يوجد قيد العمل والتطبيق احراء تمييزية عنية ، واهوة بين البيض والسود عميقة لا يمكن تجاوزها . والفصل المادي والادبي يزداد شدة وصراوة يوماً بعد يوم حتى بين المرسلين الذين بالرغم من قلة عددهم ، يحاولون ان يؤلفوا اكليروس البيض وحدهم همي المدن التي لتقم الاتصال بين الوطنيين والاروبيين ، كندية ليوبولد فيل مثلاً ، لن يسمح للزوج بالاحول الى المدينة الاوروبية بعد الساعة ٢١ مساءً والعكس بالعكس وفي عام ١٩٥٩ فقط بطل العمل باطفاء الانوار مع منع التجول للافريقيين واخضاع لمخالفين لعقوبة الجلد . وكل لوسائل تستخدم لمنع الكومبوليين من الذهاب لاوروبا والاطلاع على اساليب الميش بين

الناس فيها . ومن جهة اخرى ، فالمعمرون المحبقون البلجيكيون المستقرون في الكونغو ، والذين يتراوح عددهم بين ٦ - ٧ آلاف معمر من اصل ٨٠ ، ٠٠٠ ايضاً يقطنون هذه البلاد ، يخشون كتملائهم البريطانيين في المستعمرات البريطانية ، من ان تتخذ حكومة بروكسل سياسة ملاحظة وبالأداء للوطنيين . ولذا فهم يطالبون بمقوق سياسية خاصة ويطلبون باستقلال اداري يؤمن لهم السيطرة والتفوق في المجالس القائمة في الكونغو . فهم يتمتعون بقوة قوي يفتق له المتطورون من ابناء البلاد الاصليين الذين يتساون من التمييز العنصري الذي يطبق عليهم ويذهبون ضحية له ، فيفقدون براءة ولوعة وضعهم بوصف المستعمرات الفرنسية او بوضع نيجيريا او الكامرون حيث تقوم مجالس منتخبة ويوجد طلبة ومهندسون ونوج . فالروح الاموية التي اصبحت بها الادارة البلجيكية في الكونغو قد طغت عليها ايس المطالبات المناهضة فحسب ، بل ايضاً عجزها المدافع وقصورها عن مواجهة مسؤولياتها ، في الوقت الذي لم يعد كافياً اعطاء الاوامر واصدار التعليمات والتوجيهات ، بل يجب فيه ايجاد العمل اصنام جمعية من الفلاحين ، او امام تعاونية ، تأمين وسائل العيش لمدينة وقامين اداراتها . يجب والحالة هذه اسناء مهمة سياسية للوطنيين ، وقامين مساهمتهم بلشاط في الامور التي تلمن لهم الرفاهية والراحة ، وان يثيروا قيمهم الاهتمام بامورهم ومصالحهم ، وعملية التنظيم هذه تزداد إلحاحاً امام الانحلال الذي بدت اعراضه تظهر على هذه الدوائر الادارية التقليدية التي ضبط عددها من ١٢١٢ عام ١٩٣٨ الى ١٩٧ في عام ١٩٥١ ، وهي في طريقها الى الزوال تماماً في ولايات ليورلندفيل او في ولاية كاساي حيث استبدلت بدوائر اوسع . فالتطور الذي اخذت باسبابه المستعمرات الانكليزية والفرنسية المجاورة والتي لا يمكن ان تسير عنها ، حتمت على الادارة الاستعمارية في الكونغو ان تتغير بأسرع ما يكون .

وقد بدت حركة رجلة تحيية ، حركة رفع الحواجز الاجتماعية وعملية تمثيل
النقل التدريج الوطنيين لحقوق القريبين . ان اشأ « قسيمة » الاستحقاق الوطني عام ١٩٤٨
أمن للوطنيين بعض المنافع - لا سيما في حال حدوث حادثة مثلاً - واعطاهم حق المحاكمة امام محكمة اوروية ، لا تعرضهم محاكمة يتعرضونهم لعلوية الفلكني او الجلد امام الناس ، وهو حق اعطي لكل مواطن في مكنته ان يبرهن عن حسن سلوكه وعن حسن اسلاق ينبض بالربعة الصادقة بالوصول الى درجة محكومة عن التمدين ، اي ان يكون متزوجاً من امرأة واحدة يحسن السكناية والقراءة ومبادئ الحساب وثبتت احتصاصه ومهارته في الحرفة التي يمارسها ، الا ان عدد الذين اعتبروا حائزين على هذه الشروط كان مدعاة للسوء اذ لم يكن ليتجاوز ١٢٥ - ١٥٠ في السنة كلها . وفي سنة ١٩٥٣ فرض تسجيل الحضور للقانون المدني الاوروبي . على كل مواطن كونغولي ، يستطيع ان يزكي بما له من رتبة ومن سلوك حسن ، بلوغه وضماً من التمدين يحمله حالاً للتمتع بهذه الحقوق ، واستعداً للقيام بالواجبات التي تنص عليها القوانين المرسومة . الا ان عملية التسجيل هذه كانت توجب على صاحبها اتخاذ بعض الاجراءات ولتدابير القانونية التي كانت للآن من حق الأوروبيين وحدهم كما تقضي باتهام بعض المعاملات المعقدة

بحيث لم يستفد منها سوى بعض الزنوج . وقد اتخذت إجراءات خفيفة ضد حاجر اللون ؛ فنجد عام ١٩٥٢ حقن الطلاب النجباء من الوطنيين الذين يبرهنون « عن كفاءات قروية وأخلاقية » في المدارس الخاصة بالأوروبيين وإجبار شركات النقل المشترك على قبول الزنوج في الدرجة الأولى الخاصة بالبيض ، وإنشاء لجان وطنية للمبال والتقدم الاجتماعي ثلاثية التركيب (أرباب العمل والعمل وممثلو الإدارة) وأخيراً تولي جامعة لوغين إنشاء جامعة في ليوبولدفيل ، في تشرين الأول ١٩٥٤ ، كما نشأت الدولة جامعة أخرى في أليزا بتفيل ، حالتان معاً دون سفر الطلاب الوطنيين إلى أوروبا لتلقي العلم فيها ، ولا سيما لدراسة الطب والعلوم الزراعية دون أن يقوم فيها أي معهد لتدريس الحقوق والعلوم الهندسية أو صنم ثمانية أعضاء وطنيين إلى مجالس الولاية وإلى مختلف المجالس الإقليمية وهي هيئات استشارية لا سلطة فعلية لها .

ولما كان الكونغرس البلجيكي « منطقة صاعدة للاستعمار » في أفريقيا حيث الاستعمار المنهجي لموارد البلاد الطبيعية قلب اعترق ما يكون التوازن الاستعماري الذي كان سائداً في البلاد ، وللنظام الأوربي الذي سار به إلى الكمال والذي جاء بأطبيب الأف ، قد جنب البلاد الأعمال لوحشية المنيعة التي ميزت التمييز العنصري في أفريقيا الجنوبية وحسنت كثيراً من أوضاع الرنجي فيه إذ أضحت مراقبة دقيقة وأحياناً لعملية قمع عنيفة ، بحيث حال مدة طويلة دون تنسيق التدمير وتنظيم أسباب الشكوى إلا أن التطور الاقتصادي لم يلبث أن أظهر بوضوح الدورق والمفارقات بين سياسة تفصح هملاً أكثر المبال الأفرقيين يتسع شيئاً فشيئاً في سياسة البلاد الاقتصادية ، وبين سياسة أخرى تمنع عليهم كل تنظيم سياسي وتحول دوره . وقد بقيت فعل في السر ، متخفية مدة طويلة ، بالرغم من تحريضها ومنهم فئات سرية دينية مناهضة للبيض في ولاية كاساي وولاية شط الاستواء كالكيكيتارالا والتي ما لبثت أن تجاوزت حدود المقاطعة والكلمة لحيه أو التعموزية في منطقة شانديفيل . وقد ظهرت إذ ذاك حركة نقابية هيبة بين الرنوج لها مطالبها وشاغلها السياسي ، كما يشهد على ذلك مظاهرات لا تعولان من معنى قد « من ذلك مثلاً البيان الذي نشره في قوز ١٩٥٦ » الضمير الأفريقي ، وهي فئة قريبة جداً من مرسلتي شويت الذي يرفض كل اتحاد أو تحالف بلجيكي كودموني يرفض على البلاد بمبر رضى الشعب الكونغولي الحر ، ولا سيما لاكثرية الساحقة التي قالتها الأحزاب المناهضة للبيض في الانتدابات البلدية التي وقعت في كانون الأول ١٩٥٧ ، لأول مرة في أحياء ليوبولدفيل (الرئيسية الثلاثة) وفي البر شغل وحده وتقبل . والفرلة التي ساحطت بالسكان وضربت حولهم نطاقاً ضيقاً لم تلت أن زالت وارتفعت . وبارغم من « معركة التأخير والتسويق » التي تعرضت لها من قبل الحكومة البلجيكية ، فقد اضطرت هذه الحكومة في نهاية الأمر للسفر على عرر استكلرا وقرنسا في هذا المجال .

ولكن كان قد صارت الآراء ليم هذا التمييز ولكني بتحقيق يهدوه وسلام . فعلى أثر الأمشة التي قامت في ليوبولدفيل وعاشت فيها عساة والتي سرح أو قتل بها عدد كبير من الأفريقيين (١ كانون الثاني ١٩٥٩) اضطرت الحكومة البلجيكية بعد أن صمرت على صعد الأمور

وقبع الفتنة، لتشهد باعطاء البلاد نظاماً ديموقراطياً، ثم بعد ان خففت المهلة المقررة - دعت الى طاولة مستديرة في شباط ١٩٦٠ للبحث في امر استقلال البلاد . وفي اول تموز اعلن استقلال الكونغو وتشكلت فيه حكومة مركزية . واذ ذاك حدثت فجأة حركة تمرد قوي الأمن ضد ضباطهم البلجيكيين واخذت ولاية كاتنغا لتزح الى الانفصال واهلان استقلالها . والاصطدامات القبلية ادت الى انفجار هام في البلاد وجرت عليها وضما من القومى الشامية وضعت الكونغو امام خطر تدخل اجنبي من قبل الدول المتنافسة في المنطقة مما حل عهديداً للسلام العالمي .

أفريقيا البرتغالية منطقة اخرى من « مناطق السميت الافريقي » ندرت حولها المعلومات وضمت « تكونت من هذه المناطق الواقعة تحت الاستعمار البرتغالي والتي لم تكن لتؤلف بعد ذاتها مستعمرات او محميات برتغالية بل ولايات ضمن مولة البرتغال الاتحادية ، وتخضع لمراقبة دقيقة من قبل حكومة لشبونة ، كما نص « على ذلك القانون الاساسي » اي انه كانت واقعة كالبند الام تحت النظام الدكتاتوري . والنظام المعمول به في هذه الممتلكات كان يشبه من وجوه عدة النظام القائم في الكونغو ، يدر هذا الطابع الاجري أكثر منه هناك وإن كان أصغر فعالية هناك منه هنا ، إذ كانت هذه الممتلكات تخضع لنقطة متعلقة ، تصرف في وضع ما قبل عصر الصناعة . مستوى الحياة فيها مدني جداً (فالأحر الوسط في امور ميني كان ٩ دسات عام ١٩٥٠) ، ومعدل الأمية فيها هو من أعلى ما يرى في كل اقطار افريقيا ، وقانون الاشغال الشاقة الذي لا تزال البلاد خاصة له يطال أصحاب من ٤٠٠ ٠٠٠ من أبناء هذه الممتلكات . والقانون المعمول به محلياً يوجب على كل افريقي ان يأتي بالدليل القاطع على انه أدى ستة اشهر عمل خلال السنة التي سبقت التحقيق او انه يعمل في الوقت الذي يجري فيه ، والا ارسلت به السلطات الى العمل الالزامي ، واصبح منذ ذلك الحين *Contratado* اي عرضة للسخرة يضمه المحكام البرتغاليون تحت تصرف المتعدين المحيطين الذين يقومون بالنباتة عنه عقد عمل . اما الـ *Voluntarios* او المتطوعون منهم يرضعون تحت تصرف صندل الزعماء ورؤساء الورش الذين ترغمهم الادارة على حشد العدد المطلوب من لدن رؤساء المشروعات ، فازتباطهم ولصعدهم ليس كثر حرية من « العقد الذي يوقعه الـ *Contratados* » ان عدم وجود حائسل اللون وسماً او تغيير عنصره يجرده العقر المدقع والجهل المطبق اندي يرسف فيه امساء البلاد فيجعل من المستحيل كل اتصال او تقرب على اساس المساواة مع البيض . هناك مع ذلك ، مؤسسة قريبة جداً من مؤسسة المسجلين الكونغوليون ، تتألف من المتدينين ، وهم من الوطنيين الذين اتزولهم منزلة البيض والذين يسمون مثلهم بالحقوق والواجبات ذاتها ، وذلك بقررتعهدهم هككة محلية عندما يشبهون اهم يحسبون البرتغالية ، وهم على الدين الكاثوليكي ولهم بعض الربيع ، وانهم على استعداد للعيش وفقاً سجع الحياة الأوروبية . وفي لواقع ان عدم القدرة التي تكاد تكون كاملة على التعلم ، ان عدد المدارس محدود جداً وهي كلها كاثوليكية، وستواها

متدنٍ للغاية ، والفقر المسيطر على البلاد ، كل هذه الاسباب مما لا تسمح الا لتمر صغير وقليلة محدودة ان ترقى الى درجة المتعصرين و المتمدنين . ففي عام ١٩٥٠ ، كان عددهم في انغولا ٣٠٠٠٠ من اصل ٤ ملايين نسمة ، وفي الموريشيقي ٤٣٧٨ من اصل ٦٠٠٠٠٠ نسمة ، و ١٤٧٨ في الميغيبه من اصل ٥١٠٠٠٠ . ان عدم الاحذ بفارق اللون يعود بالفائدة هنا ، كما في البرازيل ، على عدد كبير من الخلاسين الذين أنزلوا منيرة البيض بشرط ان يحيا حياة اوروبية . انما التمييز العنصري اخذ يذر قرناه ويظهر بتعطير لزواج المختلط . ان وضع البلاد المتخلف اقتصادياً والامية للعائلة على السكان يفسران لنا سبب هدم ظهور ردات وطنية في هذه البلاد

لرنا في افريقيا الغربية الفرنسية اذا ما قارنا الممتلكات الفرنسية بالبلدان المجاورة لها كالشاطيء الذهبي ونيجيريا والكونغو السبعيني ، وجدنا ان هذه الممتلكات هي فقيرة ، على الاجال ، بمواردها الطبيعية ومصادر الطاقة وسكانها هم في حدود الوسط ، فالأوروبيون فيها قلة ، بين موظفين ومستخدمين في بعض الشركات التجارية الكبرى ، او مؤلفون الملاك الادري لبعض الصناعات ولا سيما الاستخراجية منها ، وعسكريين وبضعة ألوف من الممرين والتجار . ان معظم الممرين في مدغشقر هم من الأوروبيين المولودين في المستعمرات يستثمرون بأنفسهم الاستثمارات التي أعطوها بمساوئهم في عملهم هذا حال ولا سيما مرابعون يتمدون بعض القطع الصغيرة التي استأجروها ، بعضهم يصبح للديون الفارق فيها عدداً مرتبها بالأرض والحياة الاقتصادية فيها ، يوجد بها - كما رأينا - بعض الشركات التجارية الكبرى وماها من فروع تابعة لها تعمل في قطاع النقل الذي يدر ارباحاً كثيرة : و ذ ان ربح هذه الشركات في بعض السنين يوزي رأس المال المشغل ، كما يؤكد ربه دومون . وعلى الموارد المحلية ان تتعمل اعطاء ادارة مكثفة . ففي افريقيا الغربية الفرنسية يمتص موظفو الادارة ومصالح الجيش ٦٢ ٪ من دخل الخزنة ، وفي مدغشقر ٧٥ ٪ وتنقل هذه الشركات كغيرها من الشركات الكبرى ، رباحها كاملة الى البلد الأم ، والاقتصاد ينهض على بعض المنتوجات الرئيسية ، كالكافو والبن والمواد الزيتية والحشيش والموز في مقاطعة افريقيا الغربية الفرنسية ، والارز والبن في مدغشقر . فالاسعار مرتفعة لان المستعمرين الفرنسيين يتفاوضون مرتبات عالية والبلد العاملة الوطنية لا تنوهر فيها مقتضيات الحكم والنوع . اما الصادرات فقيمتها ضعيفة فهي في كل افريقيا الغربية الفرنسية اقل مما يصدره الشاطيء الذهبي ، والميران التجاري هو دوماً في هجر لا سيما في مدغشقر . وحالفاً للمستعمرات الامكليزية والبلجيكية هما من مقاطعة واحدة من هذه المقاطعات الفرنسية تدخل دولارات ، والاستيراد الذي ينشط ويرداد سنة بعد سنة يدور حول حاجيات مشفولة ومواد لتجهيز تدفع القسم الاكبر من ثمنها البلد الأم ، ومشروبات كحولية زاد حجمها بين ١٩٣٨ - ١٩٥٢ أكثر من ٣٨ ضعفاً في مقاطعة افريقيا الغربية الفرنسية ، و ٢٦ ضعفاً في الكامرون . فاصحاب الاموال الخاصة فلما يتعمرون نحو افريقيا في استثمار اموالهم ، فهذه الاستثمارات تتمة

بلاخرى لمواستغلال مناجم الحديد في موريتانيا، ومناجم البوكسيت في الغينية والبنين في الكونغو الاوسط . اما العجز في الموازنة فتسده البلد الام التي تحصل القسم الاكبر من هذه الحساسة (٩٠٪ منذ ١٩٥٦) من اشغال البناء وعمليات صهرية الخطوط واصلاح طرق المواصلات ، وهي تحصل ايضاً نفقات التجهيز الاجتماعي والزراعي والصناعي والصحي والتعليم بكامله عن طريق شركة F. I. D. E. S.

تركزت الحرب العالمية الثانية اثرها حقيقياً في هذه الممتلكات . فالقلق الذي اعادى جاهدو السكان في المدن التي ارفع عددها بسرعة وبشكل تجاوز الحد ، كما اعادى سكان الريف ايضاً نظراً لما تعرضوا له من ويلات الحرب ، كالأشغال الشاقة والمصادرات على الاراضي ، والإفكار ، والصرايب والرسوم التي فرضت عليهم ، كل هذا وما اليه ساعد على ايقاظ الوعي الوطني في هذه البلدان ان حكم فيشي حرك فيهم « عنصرية محدودة » تميزت بالعلماء المجالس المحلية وكل الحريات التي كانت تتم بها ، بعد ان احيا نظام المواطنين الذي اضطلع انشاء البلاد الاصليين لعدد من عدم الحكومات الشرعية كالحاكم الخاصة ، ومنهم من مفادرة المستعمرة مرمياً ان سبق ، والعمل الاحصاري او التمتع بتوفير هذا العمل لصيانة الطرقات ، والاعتراف للسلطات الادارية بحق عرض بعض غرامات او موقوفات حيس . ان دخول هذه الممتلكات الحرب من ١٩٤٠ - ١٩٤٤ فانصاهم حاكم التشدد فيلكس ايبويه الى فرنسا الحرة ، ثم انضمهم الكمارون وافريقيا الاستوائية الفرنسية ، كان من نتائج تقديم جهود حربي لا مثيل له من قبل : نظام الاشغال الشاقة ، والمصادرات التعسفية للثروة ، واجبارهم على تقديم بعض المصايل ولا سيما المطاط ، كان من شأنه ان هذه المقاطعات لقاء نتيجة هزيلة لا يؤبه له واستنجاباً على هذه « التناقص الجنوبية » والذكرى المريرة التي تركتها في النفوس والاذن « صدر عام ١٩٤٩ كردة فعل لها ، القانون المعروف بقانون لامين عييه الذي اصي قانون المواطنين وضمن الحريات العامة . كحق تأليف الجمعيات وتشكيل النقابات والاحزاب السياسية ، والقضاء الاشغال الاجبارية ، وغير ذلك . وصدر قانون آخر عام ١٩٥٠ ، بشأن المساواة في الرواتب والاحور بين الموظفين التابعين للبلد الام والوطنيين من الرتبة ذاتها .

الاتحاد الفرنسي
احد مؤتمري برازا فيل الذي عقد في خرة ١٩٤٤ لاعداد مصادي السياسة الاستعمارية التي تسير عليها فرنسا بعد التحرر ، يزع الى نظام من شأنه ان يعطي كل مقاطعة مستعمرة نظاماً خاصاً به ، ويستبعد « كل فكرة استقلال وكل اسكاية تطوير خارج كتلة الامبراطورية الفرنسية » ، والتوقف عند احتمال من دستور للحكم الذاتي ، ولو من بعيد ، والمجلس التأسيسي لم يتوقف حتى عند الفكرة القيدالية . والذين الذي أقر في نهاية الامر في اكتوبر (تشرين اوان) عام ١٩٤٦ ، أقر لاتحاد الفرنسي . وهذا الاتحاد ليس بدولة فيدرالية . هو يتألف ، من جهة ، من الجمهورية الفرنسية التي تضم فرنسا الام والمقاطعات والممتلكات الواقعة عبر البحار ، ومن جهة اخرى ، المقاطعات والنون المشتركة ، لحسب

مقاطعات افريقيا السوداء ضمن « المقاطعات الواقعة عبر البحار » . فهو يحافظ على دولة اتحادية تتمتع مقاطعاتها بنظام اداري اكثر لامركزية من المحافظات في البلد الام . فكل السكان من ابناء البلاد الاصليين هم من الآن قصصاً مواطنون دون ان يطلب اليهم التمسك في حقولهم الشخصية المتعارفة ، وبذلك تلمس المحاكم الوطنية في كل ما يتعلق منها بالجرائم وتبقى في حملها ، في كل ما يتصل بالامور المدنية ، مع ملء الحرية لصاحب العلاقة ان يختار خصامه الحق العام . وكل المقاطعات تمثل في البرلمان .

وهكذا ، فالسياسة الفرنسية اذ تعلن عالمياً من رعايتها في حق السودان المستعمرة « على اذاعة نفسها بنفسها » ، لا تقلل بهذا الوضع الا طين بھاقي المجتمع الفرنسي . فالممتلكات الواقعة عبر البحار هي حزمة متمم او مكملة لمرس ، ويتربط على ابناء البلاد الوطنيين ان يمتنعوا للثقافة الفرنسية . ففي هذه استمرار لسياسة التمثيل التي تنزع الى مدرسة افريقيا عن طريق المدرسة والخدمة العسكرية . فحق الانتخاب الذي يحصر ، في مائة الامر ، في الافراد الحائرين على الوضع المدني الحق العام ، « ومنع بسرعة » ، في عام ١٩٥١ و ١٩٥٢ بحيث يضم هذه الفئات الجديدة من الوطنيين الذين تتوفر فيهم بعض شروط الكفاءة والاهلية او الذين ادوا بعض الخدمات اللازمة ، او لاشخاص الذين يمكن دراستهم بكل ثقة . فعدد الدائمين ارتفع بين ١٩٤٦ - ١٩٥٢ من ١٣٦ ، ٠٠٠ الى ٤٢٥ ، ٠٠٠ في الفينة ، ومن ٩٥٧١ الى ٥٠ ، ٠٠٠ في التوفر ، ومن ٣٨٦ ، ٠٠٠ الى ٥٦٦ ، ٠٠٠ في الكامرون ، ومن ١٩٢ ، ٠٠٠ الى ٦٦٠ ، ٠٠٠ في السنغال ، ومن ١٧٦ ، ٠٠٠ الى ٩٠٦ ، ٠٠٠ في السودان ، ومن ٢٢ ، ٠٠٠ الى ٣٥٠ ، ٠٠٠ في التشاد ، دوماً تميزت بين انتصاعات خاصة للاوروبيين وانتصاعات خاصة للوطنيين ، باستثناء مدغشقر و افريقيا الاستوائية الفرنسية والكامرون . وفي النطاق المحلي ، اكمل قطر مجلسه التمثيلي الخاص اختصاصاته اوسع بكثير ، كما كان للمجالس العامة المتروبوليتية من اختصاصات . واخيراً ، افريقيا الاستوائية الفرنسية و افريقيا الغربية الفرنسية لكل منها « مجلس الاعلى » منتخب ، حيث للاوروبيين عادة ثلث المقاعد ، صالح للتصويت على الموازنة و اقرار الامتيازات الاستثنائية وشهد الاشغال الكبرى والتعليم ، وهو نظام ليبرالي جرى اكماله بوضع قانون عمل في الاقطار الواقعة عبر البحار (١٩٥٢) لاقى تطبيقه بعض المقاومة من قبل الزعماء التقليديين ومن قبل الحزب الاداري ، الذي يسموه حاداً التنازل عن سلطته السابقة الواسعة . اما النظام الاقتصادي الذي يهض على الميثاق الاستثماري ، فبالله الام فيه لتحديد الاسعار وتحتفظ لنفسها بانساج المقاطعات بحسب الاولية وهي لتبقى توريث وحسن التصدير

الحركات الوطنية
حدثت الاحزاب الاولى التي تألفت على شاكلة الاحزاب القائمة في البلد الام :
كالجبهة التقدمية الموداني ، والحزب الديمقراطي في شاطئ الساحل الذي
اصبح فيما بعد « التجمع الديمقراطي الافريقي » (R. D. A) الذي لاقى نجاحاً عظيماً وحظي
بأكبر قسمة في المجلس الوطني وفي المجلس الاستشاري للجمهورية عام ١٩٤٦ و ١٩٤٧ وجاء في

برأيه الموصوح في تشرين الاول ١٩٤٦ على تنظيم الجماهير الاقربقية بقصد تحرير كل البلدان الاقربقية وانقادها من يد الاستعمار عن طريق إظهار شخصيتهم الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والحضارية . وكان يرفع عقيرته بالاحتجاج ضد مبادئ التمثيل الذي نص عليها دستور الاتحاد عام ١٩٤٦ وبطالب « باتحاد بحري بحرية تامة قائم على المساواة في الحقوق والواجبات » .

وقد انتشر هذا الحزب في كل الاقطار والمقاطعات التي قدمت فيها عملية قبل الروح القبلية شروفاً بعيداً كالكونغو الاوسط والسودان، مدسلاً في صفوفه المتطوري كالكتاب والمستخدمين والموظفين الذين يؤلفون في صهرهم بورسوازية صغيرة ويطمحون أساساً الى إلغاء عدم المساواة في كل ما يتعلق بالأحوال السياسية والاقتصادية والاجتماعية . وبالعمل ، باستثناء مدعشقر والتوغو حيث اخذت الحركة الوطنية إيوانه تطالب باعادة تنظيم الوحدة بعد ان حطمتها تقسيم البلاد ، وتترحم ان الاستقلال ، يرى كل الاحزاب السياسية الوطنية تطالب قبل كل شيء بالمساواة التامة مع الاوروبيين ، وينصب اكبر في ادارة الشؤون العامة ، دون ان تذهب الى المطالبة بالانفصال حالاً .

ففي شاطيء الذهب عام ١٩٤٩ وفي الكامرون ، وفي تشاد عام ١٩٥٢ ، قامت اضطرابات وحوادث تعبر عن القلق الاجتماعي وعن لدفع المعادي البيض ، بينما مدعشقر قامت وحدها بثورة لاهية . فالحركة الوطنية في هذه البلاد بقيادة الحركة الديتوغرافية للبعث الملاعشي التي نالت في انتخابات عام ١٩٤٦ مجموع الاعضاء في المجلس التمثيلي الوطني ، تطالب بإبقاء نظام الحماية وتحويل مدعشقر الى دولة مشتركة في الاتحاد الفرنسي . والى جانب هذا الحزب ، هنالك لعمري جمعيات سرية تتمتع بنفوذ كبير لا سيما بين قبائل رتسيمبارا كالحزب الساسل الشرقي من الجزيرة ، وهي من أهم المناطق في هذه البلاد نتج عن تقادير كثيرة حيث المعمرون من مواليد الاوروبيين يتكاملون على الربح ويتشددون كثيراً على اليد العاملة . هذه المقاطعة التي تؤلف مدعشقر من التجار النصبين ، والتي نالت كثيراً من مصادرات حكومة فيشي التمسفية وحكومة فرنسا الحرة خلال الحرب . ومن هذه المنطقة انصهرت الثورة وامدت العنتة في آذار ١٩٤٧ وتكونت اطرها من العسكرية من مجدين مالغاشيين بعد تسريحهم من الجيش الفرنسي ، مما أدى الى قتل ١٥٠ اوروبياً . وقد سادت حركة القمع عيفة السم بالوحشية ويقدر عدد الضحايا ، مباشرة او غير مباشرة من ١١٠٠٠ الى ٨٠٠٠٠ قتيل .

ان مثل المستعمرات الانكليزية المجاورة وقطورها السريع نحو الاستقلال حل المتطوري على المطالبة بالمزيد من السلطة وتوسع في صلاحيات المجالس المحلية ودوراً اكبر في ادارة البلاد ، وتوسماً اكبر في التعليم الثانوي والعالي يؤهلهم لاستلام مركز القيادة . فاصطدموا عطالهم هذه ، او حاولوا المصاهرة مع الرجاء الاشد ، في الريف المسودين من قبل الادارة والذين راموا طغواً وبأساً مع الاقتراح العام . كما جرى مثل هذا في فرنسا في القرن

التاسع عشر . إذ يمارسون نفوذاً عظيماً على الجماهير ودمهاء الفلاحين المسكينين في الجبل والامية . وبعد ان اتهم التجمع الديموقراطي الافريقي بإقامة علاقات مشبوهة مع الشيوعيين ، تبني سياسة معتدلة طمعاً منه في كسب حطاف الادارة كما أخذ يتقارب من البرلمان مع فريق من نواب الوسط . والمؤتمر العام الذي عقده في يونيو ديولاسو ، عام ١٩٥٣ ، اقترح اقامة « جمهورية واحدة قائمة للتجرب » اي اقترح حلاً فيدرالياً . وعلى الاجمال ، فالاحزاب الافريقية على اختلافها تعارض كلها سياسة التمثيل التي لم تعد تفي بالفرص ، في نظرم ، كما تعارض فكرة الدولة الشريكة . فهي تطالب « بدولة مستقلة في قلب الجمهورية الفرنسية » وهو مطلب مرجو ان يتحقق دون ان يضطروا الى استعمال العنف .

وفي الحين ذاته ، خذت الاحزاب تجمع صفوفها وتصحبر بعضها في بعض وترتدي اكثراً طابعاً افريقياً يختلف عن التشكيلات والهيئات السياسية في البلد الامم التي حاكمتها في بدء الامر . وهذا الاتجاه الواحد نحو « الأقربة » يبرز في مجال الحركة النقابية إذ أن المنضمين الى عضويته C.G.T. شككوا لهم اتصافاً عرف به C.G.T.M. والاعضاء المنضمين الى الاتحاد العالمي C.F.T.C. القوا الاتحاد الافريقي للمالك المؤسسين انضمام رأساً الى الاتحاد الدولي للنقابات المسيحية

ايلاء الاستقلال
ان قرب حصول المستعمرات البريطانية في افريقيا الغربية على استقلالها ، والخوف من استئثار الحوادث في افريقيا السوداء كما استبقتهم حوادث الهند الصينية وافريقيا الشمالية ، حلت البرلمان الفرنسي على سن قانون - ملاك (قانون دومير في ٢٣ حزيران ١٩٥٦) تنظم بموجبه من سياسة التمثيل واولى صلاحيات واسعة للمجالس التشريعية المنتخبة في كل مقاطعة بحيث تتمتع بسلطة تشريعية ، وانشأ ادارات تمثيلية محلية (مجالس الحكم) تنتخب من قبل مجلس المقاطعة برئاسة الحاكم العام ، العنصر الوحيد المأخوذ من خارج المنطقة ، فكل المصالح الادارية - باستثناء القومي منها - سلمت للحكام وطنيين من ابناء البلاد حري اختيارهم . والقانون - ملاك او الهيكل اقام نظاماً لامر عسكرياً واسماً واستقلالاً داخلياً يكاد يكون كاملاً ، الا انه اعتبر في نظر عدد كبير من الافريقيين نقطة بداية او نقطة انطلاق نحو تشكيل اتحاد المقاطعات ، بشكل الاتحادات فيدرالية افريقية مستقلة - متصحيح فيما بعد - ولا تشارك مع الجمهورية الفرنسية في الاتحاد الفرنسي وتتقاسم ادارة المصالح المشتركة مع حكومة باريس والفور في لانتخاب الذي حققه التجمع الديموقراطي الافريقي (R.D.A) في معظم المقاطعات الفرنسية والاحزاب الوطنية في مدغشقر والحزب المناهض لها (جبهة الاتحاد للتوغولي) في التوغو في انتخابات نيسان ١٩٥٨ ، واستمرار الاضطرابات الدامية في مقاطعة ساحل البحرية في الكامرون ، تحت تأثير اتحاد الشعوب الكامرونية الذي يمثل في الحفاء ، ومعارضة فئة العمل القومي في الكامرون لهذا النظام ، كل ذلك جاء برهناً على ان هذه الترتيبات لم تكن مرساة نحو الاستقلال .

الاستقلال
ثم قطع هذه المرحلة بأقل من سنتين فبدلاً عن الاتحاد الفرنسي المعلن عام ١٩٤٦ ،
قام عام ١٩٥٨ بنظام الأسرة الـ *Communauté* الذي عاش أقل من سنة. فقد حدد
مستور الجمهورية الخامسة اختصاص وصلاحيات كل المؤسسات والهيئات المشتركة التي سُنشاً
هنا : الرئاسة والمجلس التنفيذي ومجلس الشيوخ والمجلس التكميلي ، واعتبرت المقاطعات
بحرية الانضمام إلى هذه الأسرة أو الانفصال عنها ، وحرية الانتخاب بين وضع المقاطعات أو
وضع المقاطعات أو لنسوة المستقلة إدارياً . وهذه الوحدة ، هل نشطوا بالجماءة تأليف اتحاد دول
ذات سيادة كما يتمنى ذلك ، انصار الإيطاليين بمحاكمة الدول الفرنسية (سيدار سنفور) أو
لحو دولة فيدرالية فرنكو أفريقية ، كما يقترح هوغو بواني * فالحل لاول بمرور عندما اعترف
باستقلال مالي وجمهورية مالاغاشي (كانون لاول ١٩٥٩) ثم استقلال المقاطعات الأخرى . أما
التروخو والكامرون اللذان بقيا خارج الجامعة ، فقد رفعت عنها الأمم المتحدة الرصية التي كانا
يعملان تحتها ، وذلك بطلب من فرنسا نفسها ، وحققا استقلالهما في كانون الثاني وفي نيسان
١٩٦٠ . وهذا الاتحاد لم يدم أكثر من سنة ، ولم يمد بين مستعمرات فرنسا القديمة « سوى
علاقات وفقاً لاتفاقات بين دول مستقلة »

أفريقيا الغربية البريطانية
سارت السياسة التي انتهجتها بريطانيا العظمى في أفريقيا الغربية
على طرفي قطب مع السياسة التي تنهاها واضعو الدستور الرسمي
عام ١٩٤٦ ، عندما خلقوا دولة اتحادية امتصاصية بمثابة الاتحاد للفرنسي . كذلك تتعارض هذه
السياسة مع السياسة التي سارت عليها كل من أفريقيا الجنوبية وأفريقيا الشرقية حيث توجد
فئات من المعمرين البيض استمكروا في تلك المقاطعات ويمارون حراً من سيادتهم وسيطرتهم
على إنشاء البلاد . فالسياسة التي تقوم على مساعدة الوطنيين هنا على التطور وفقاً لروح حضارتهم
التقليدية طغت دونما صعوبة على أفريقيا الغربية هذه التي بقيت شبه مغلقة في وجه المعمرين
الأوروبيين فكانت دول وطنية ، شبه مستقلة هي اليوم أكثر دول أفريقيا السوداء تطوراً
سياسياً ، فالشاطيء الذهبي هي أكثر هذه الدول تطوراً بملايين سكانها الأربعة ، معظمهم من
صغار المنتجين للكافور وبجانبها الاقتصادية على الطراز المصري الحديث ، هذا الاقتصاد الذي
يسمح على إنتاج الذهب والناس والمركبات ولا سيما الكوبرا والكافور (١/٢ من قيمة صادراتها) .
ونيجيريا التي كان تطورها أقل بروراً وتجلياً ، وأقل سرعة هي أكثر قطار أفريقيا الغربية سكاناً
اذ تضم ٥٥ مليوناً من الناس ، وهي غنية بما قيم من مناجم القصدير والذهب ومن كبريات البلدان
المصدرة للكوبرا وزيت الطح والكافور . في كل مكان تخرج اقطارها بطيقة كثيفة من الفلاحين
الهنسي العيش ، اذ ان مستوى العيش فيها هو اعلى مستوى في أفريقيا ، وطيقة متوسطة نشيطة
ميناميرية . وقد اوج الازدهار الاقتصادي الذي تتم به ظهور طبق من الاعيان الاثرياء لا سيما
في المدن الساحلية ارتفعوا حالياً فوق بروليتاريا ترسب في البؤس والشقاء تجدر اغنياء وكبير
الملاكين واطباء ورجال قانون تلقى عدد كبير من بينهم تحصيله الجامعي في « ككلرا » او في

الولايات المتحدة الأميركية مستكنين ، وموظفين في لادارات الحكومية اولدى الشركات ، خاصة الكبيرة ، بيتا رتبة عدد من كبار الموظفين الزنوج الى رتبة الشرف وقالوا لقب « Sir » ، وطبقا كثيرة من رجال الفكر والادب في البلاد ساعدوا في وضم والجمهورية التي بنعمون بها على تحرير البلاد بسرعة ، ويطلقون مشاركتهم الحكومة والادارة وفي المقابل يحاول زعماء القبايل في اند حل الدين ينهجون على التقاليد المتوارثة ، معظمهم على الاسلام ، وبينهم عدد من المسيحيين ، الحفاظ على ما لهم من سلطة سياسية اوتوقراطية ، ودينية على الجهاد الريفية . وقد عرفت الحكومة البريطانية كيف تتلاعب ، ساداً على مصلحتها ، بهذا التفاوت وكيف تحرك هذه الفوارق العرقية والدينية ، ممدية بينها الشقاق والانقسامات فتشبه تارة النظام الادارية المتباينة ، وتقيم طورا الزعماء التقليديين في وجه السلطة المتطورة التي اعتنقت عن الغرب افكارها ونظرياتها التقدمية ، باعثة المناطق الداخلية ذات الحضرة لاسلامية حيث القوى الرجعية لا تزال قوية وتعمم بالنفوذ ، هي الوقوف في وجه المناطق الساحلية سكانها على الوثنية أو على المسيحية ، وحيث يعم التعليم الابتدائي ٢٥٪ من الطلاب الدين هم في سن الدراسة وحيث تطلع القوى الفتية لشعبة بالافكار التحررية .

وأمام ساحة السلطة المستقرة ، حري التمسك على عن نظام الحكم غير المباشر وأقيمت في نيجيريا والشايطي ، الذهبي وسيراليون ، بين ١٩٢٢ - ١٩٢٥ نظم ودساتير جديدة نصت على انتخاب مجالس تشريعية استشارية . ولم تلبث هذه المجالس ان شال معها تدريجياً عدده الاعضاء من غير الموظفين على الموظفين الذين يمتعون بمصنوبتها . تدهقت هذه المرحلة في الشايطي ، الذهبي وفي نيجيريا ونمبيا ، سنة ١٩٤٥ ، وفي سيراليون عام ١٩٤٨ ، غير ان الحكومة فيها ليست بعد مسؤولة وستعمل كامل مسؤولياتها خلال الحرب ان هودة ال ٨٠٠٠٠ عسكري جرى تعصيبهم من ابناء الشايطي ، الذهبي ، وال ١٠٠٠٠٠ مجندي من نيجيريا ، اثار مشكلات سياسية واجتماعية شائكة . ان عدم رضى مسرحيين من الجيش البريطاني الذين لم يرجع عدد كبير منهم الى قراهم ، وسوء سمر الكاكاو اثار في البلاد حركة عياح واضطراب لم تكن طبقة المظفرين وحدها مسؤولة عنها . ولأول مرة ، تعادرت الحركة الشعبية صفوف طبقة استعيرين هؤلاء ، ونشأت في البلاد احزاب سياسية واحداث تضخم صفوفها عن طريق الراديو والصحافة . وفي عام ١٩٤٧ ، ظهرت رابطة الشايطي ، الذهبي المتحدة تولى اعمال السكرتيرية فيها الدكتور نكروما ، الذي ، الفصل ١٩٥٠ ، عن رفاهه واسس حزب اتحاد الشعب (C.C.P) ، كان من ضمن برنامجه انشاء ديمقراطيين جديد باسم عام ، هذا الاسم الذي يثير فيهم اجماعاً وطنية قديمة ، وهو عبارة عن حزب شعبي حذ على نفس الايحاء حساساً لاي معارضة ولاي اختلاف عرقي او عرقي ، قبلي او ديني ، هذه الاعراق التي لا تزال حية تنبض على أشدها في الشمال وفي مقاطعة الاسني . وفي نيجيريا قام الحرب الوصي في نيجيريا والكامرون (W.C.N.C) برهامة انريكوي ، الذي قدم بحملة هوجاء ضد البريطانيين في الجواند اليومية او الاسبوعية

الجلسة التي يقوم على إصدارها لوجهين والتي قام بتأسيسها ، وحشد حوله الاصدار حق من مقاطعة لنداهومي . وقامت في البلاد اضرابات وحركة مقاطعة المصانع ، الانكليزية في اعمارون البريطانية ، كما قامت مظاهرات عيفة ، والدعوة الى العصيان المدني ، ردت عليها الحكومة باعلان حالة الطوارئ في البلاد وبيع التجول وبحركة قمع دموية في اكرام عام ١٩٤٨ ، وفي مصالح اينوغو عام ١٩٤٩ ، وفي مدينة كانو عام ١٩٥٣ ، وبتمطيس الجرائد الوطنية وتوقيف الزعماء الوطنيين . ومنذ ذلك الحين ، احدثت قنولي مشاريع الدساتير ، فظهر في الشاطئ الذهبي دستور برونز (باسم حاكم المنطقة) عام ١٩٤٦ ، ومشروع دستور وضعته لجنة كوساي رفضه نكروما عام ١٩٥٠ واستبدله مشروع دستور مضاد نص على الاستقلال التام . وفي بيجيريا طلع دستور ريتشردس ، عام ١٩٤٦ ، ودستور حاك قرسون ، عام ١٩٥٢ ، الا ان معارضة الولايات لاسلامية في الشبان التي تولتها الحكومة من احتال وفوقه حين تصفيتها ادارية مسيحية ، ادت الى عقد مؤتمر في لندن ، عام ١٩٥٣ ، يضم ممثليين عن المناطق الكبرى الثلاث في البلاد ، اتفقوا على اسس دستور فيدرالي عام ١٩٥٤ . وهكذا تم في عام ١٩٥٢ ، قال الشاطئ الذهبي بولاند ، كما قام فيه رئيس وزراء ، تم انتخابه من قبل مجلس الشيوخ ، على الحاكم اب يستشير اثنين الوزراء الاحد عشر ، بينهم ثلاثة الدفاع والشؤون الخارجية والمالية) ثم بريطانيا . ولوراء مسؤولون امام البرلمان الذي يمكن ان يطلب من الحاكم العام عزلهم فالادارة اخذت تتأخر كثيرا اكثر (١٣٧٧ موظفا كبيرا من الزوج عام ١٩٥٦ لقاء ٣٠٠ ، عام ١٩٤٩ ، ٣١٠ عام ١٩٣٨) والموظفون البريطانيون يجب ان يعضوا لوسائلهم من الزوج . وقد جرى تعديل الدستور عام ١٩٥٤ ، ووسع من نطاق مجلس التشريعي ، الذي صبح ينتخب بالاقتراع العام ، كما نص على ان جميع لوراء معينون من داخل المجلس المذكور . كان هذا النظام انتقاليا اذ عير من طبيعة وضع المستعمرة الانكليزية الى وضع ديموقراطي . وفي سنة ١٩٥٦ وضع دستور جديد (هو الرابع في خلال عشر سنوات) ، هي البلاد للاستقلال واقام فيها نظاما يقوم على اللامركزية . وقد تم التطور في كل مكان بصورة منهجية ، و جرت قديته على الطريقة الغربية ، على يد برطانيا العظمى ، وبمساهمة جانب عدة اشتركت في عضويتها منخصيات افريقية بارزة وموظفون محليون هياو التوصيات والاقتراحات كما اشتركت فيها عناصر وطنية بعد استشارة السكان و خرج عن نكروما وخرج من السجن رئيسا للوزارة بعد انتخابات عامة جاءت كلها في مصالحه

ففي السيرالبيون وفي بيجيريا الاقل قطورا من الشاطئ الذهبي ، تلتف لاحزاب حول شخصيات بارزة او تتألف من مجتمعات عرقية تساعد ، هي عليه من اندساسات قبلية ودينية على المعارضة وتنسبها ، بينا يفضل بعض الوطنيين النفس تحت السيطرة الاوروبية ولا الوقوع تحت حكم مجتمعات رجعية يحتقروها او يحشون شرها . الا ان السحاح الذي حققه حزب اريكيبويه في مقاطعة برونز في انتخابات ١٩٥٤ ، جاء دليلا على ان الشعور الوطني يمتد في

للبلاد على حساب التضامن المصري وهكذا نالت نيجيريا استقلالها في تشرين الاول ١٩٦٠ .
أما السيراليون وغينيا ، فقد نالت كل منهما عام ١٩٥١ و ١٩٥٤ دستوراً سار بها نحو حكومة
مسؤولة عام ١٩٦٢ و ١٩٦٥ .

انتهجت بريطانيا منذ عام ١٩٤٥ سياسة « تحلي حلاق » تقوم على « الرحيل في سبيل تأمين
البقاء » . فالمؤسسات السياسية كادت كلها تأتي على الطابع الإنكليزي ، فيما من زعيم مسؤول
يطالب بالرحيل الفئتين البريطانيين من البلاد أو قسم العلاقات مع بريطانيا العظمى ، بينما تبقى
الروابط الاقتصادية أقوى من أي وقت مضى . والاختبار يتجاوز بكثير حدود هذه المقاطعات ،
والدرس يطلع من للشاطئ ، الذهبي . فمنذ ايلول ١٩٥٤ ، لا يزال حكم هذه البلاد في يد أول
وزارة تشكلت برمتها من أفريقيين ظهرت في أفريقيا الغربية . وفي آذار ١٩٥٧ عندما تحولت
المسؤولية إلى غانا المستقلة ، شقت هذه طريق الاستقلال الناحز أمام كل الاقطار الواقعة في هذه
الناحية من القارة .

أفريقيتان وجهاً لوجه

أفريقيا الاستعمارية منذ عام ١٩٦٠ ، تتمتع كل أفريقيا الغربية والوسطى باستقلالها
التام ، بعد أن أصبحت دولة نيجيريا القيدرالية الجمهورية
السادسة في الكومنويلث البريطاني . كذلك نالت المقاطعات البريطانية ، في أفريقيا الشرقية
استقلالها هي الأخرى : بورندي عام ١٩٦٢ ثم كينيا ورنجوير التي اتحدت في نيسان ١٩٦٤ مع
تنزانيا لتؤلفا معاً تنزانيا ، ونياسلاند أصبحت ملاوي في أوز كما استقلت روديسيا الشمالية-
تحت اسم زامبيا .

ولكن إلى الجنوب من خط وهمي يقطع أفريقياً من شمالي أرمولا إلى الجنوب من روديسيا
الشمالية شطرين ، تقوم آخر قطعة لسيطرة قابض تؤلف مع كاتشكا المجاورة لها منطقة من إحدى مناطق
القارة الأفريقية . وتسيطر شركات قوية على مناجم النحاس ومعادن ثمينة أخرى بادرة (الكوبالت
والمنغنيز) وتستثمر مبردات لها من التبغ والشاي ، وتركزت فيها حركة أسكان من البيض
كبيرة نسبياً (٧٠٠٠٠٠ ٣٠٠٠٠٠٠) يعودون بأصولهم إلى منتصف القرن السابع عشر ، أقوام من
أغنياء المزارعين ورجال الصناعة ، وأعضاء المهن الحرة ولا سيما من صغار البيض (يشايبون
كثيراً البيض في منطقة وهران وجب لواء أو سكان الولايات المتحدة الجنوبية النابضة
بالتمصب وباحتقار الملونين) هي المستعمرات البرتغالية وروديسيا الجنوبية واتحاد جنوبي
أفريقيا .

وفي القطر الأخير من هذه الاقطار تستعمل سياسة التمييز المصري وتقسو فيها . إن سيطرة
البيض على الزوج - وبين البيض على الاخص ، طائفة الأفريكندر - التي تطلق إلى أقصى حد ما يارتب
على سياسة التمييز المصري من نتائج تقوم على هذه السياسة . هالك ٢٦٤ ناحية أو منطقة محفوظة منذ

عام ١٩١٣ ، يؤلف مجموعها ١٧ ٪ من مساحة هذه البلاد ، يحتشد فيها ويعيش ضمنها ٤٠ ٪ من الزوج بحيث يؤلفون فيها وحدات يسكنها الزوج لا غير ويتولون ادارتها بانفسهم (على رأس كل واحدة مقيم ابيض) وتتمتع باستقلال اداري في المجالات المالية والمالية والتربية والصحة العامة والاشغال . واولى هذه الوحدات Bantoustans قامت في منطقة ترانسكي التي ياهلها اقوام الخوراس . وهذا التقسيم على الطريقة الاسرائيلية ليس سوى حل لا يصح بالنظر ، لان هذه الوحدات المعزولة لا تشكل في حقيقة الامر ، سوى « صوب مناصات » لهذه البند للعاصمة الرخيصة ، وما الاستقلال الاداري الذي تتمتع به سوى تميلة او « نظام بوليسي » متأخر يذكرنا « بأوروبا الجديدة » في عهد النبرية (G. B. Béké) وهكذا ، وبالرغم من قوة حركة القمع التي يتمرسون لها ، لمقاومة الزوج لم تضعف ولم تخف . وهنا كما في الولايات المتحدة الاميركية ، فالاندماج ، وقيام مجتمع متعدد العروق ، وسياسة عدم المقاومة التي دعا اليها رحما بانتو التصفو بالاعتدال ، مثل لوتولي ، (جائزة نوبل ١٩٦١) ، كل هذه التدابير والاجراءات لم تعد تعتبر كافية في نظر العديد من الملومين ، اذ تهب عليهم عنصرية او دعوة عرقية زنجية شبيهة بالروح التي حاش بها لسلطون الزوج . فبعد ان أصبحت الاقلية البيضاء من ذيل الاقطار المجاورة لها استقلالها الناحز ، وبعد ان وقعت اسيرة المجمع الذي استحوذ عليها ، اخذت لتسلح بقوة وتساند حلاب الانفصال في كاتشا ، كما راحت تساعد الحكومة البرتغالية على للتجاذب في قمع حركة التمرد التي يقوم بها رعاياها . وهي تحاول ان تضم اليها للمحميات البريطانية الواقعة ضمن اراضيها (والتي تعمل انكلتر على اعددها للاستقلال) ، ولبنزوتولاند والنشواالاند ، فالاستقلال الداخلي عام ١٩٦٥ ، وحمل على التحالف مع روديسيا الجنوبية التي تتشابه اوضاعها الداخلية مع اوضاعها .

وهذه المستعمرة المستقلة يسيطر عليها ١٥٧٠٠٠ من البيض يحتكرون فيها السلطة ويمتلكون نصف مساحة البلاد ، في وجه ٣ ملايين من الزوج جرى كبتهم في هذه الاراضي المعزولة التي تقص بالسكان الذين ذهبوا ضحية الفقر بعد ان ذهبت اراضيهم بما دهاها من التمري والهجرات . هنا كما في افريقيا الجنوبية بسود تفاوت عظيم في الاجور (اذ ينال العامل الزنجي ٦ حبيبات في الشهر في لندن الاحدى حشر الرئيسية في البلاد ، بينما يُعطى العامل الابيض ٧٠ حبيبات في الشهر) . كذلك ان نظام جوار المرور والتمييز المنصري والفصل بين البيض والملونين خلق جو أمن التوتر الشديد حال دون انفجاره واستحالته الى كارثة تدخل الحكومة البريطانية ، فقد رفضت الحكومة البريطانية - امام صرخة الزوج - ان تعطي هذه البلاد استقلالها ما لم تقطع لهم الضمانات التي يطالبون بها . وبالفعل فان الحساد افريقيا الوسطى الذي تألف ، عام ١٩٥٣ ، من مقاطعتي روديسيا من النياسالاند لم يقو على الصمود امام الصعوبات الناجمة عن المشكلة العرقية ، فقد انحل بعد عشر سنوات من تشكيله ، وروديسيا الجنوبية حيث الجبهة الروديسية ، هذا الحزب الابيض النشط قال انتصاراً صارخاً في الانتخابات ، يشدد من التمييز المنصري ، وخرج عام ١٩٦٥ ، وهذا

الانضمام الى الاتحاد الجنوبي ، فريقيا .

حدثت في المستعمرات البرتغالية حرب العصابات التي يشنها الوطنيون من جراء المداخلات التي تفرق بين الفئات السياسية التي تعديها (جيش تحرير بولا ، حركة تحرير بولا) ، وتحاول الحكومة البرتغالية قمعها بالشدة التي تسمر الخوف في القلوب : كتهديم القرى من الجو ، وتنفيذ عقوبة الموت بالجملة مما أسيّر مئات الألوف من الاهليين على الجسلاء واللصوص الى دولتي الكونغو المحاورتين .

كل اموريقية المحسوبة التي يرغمها الرعب والقسوة الوحشية على بقائها تحت وطأة سيطرة قبضة من البيض الطامعين ، وهي اساليب احسن الدوليس والجيش استعمالها ، تشهد طالع كثليين يجعلها الاهتياج والخوف على الانتماء في حروب عنصرية دامية لم يشهد لها العالم مثيلا حتى الآن .

تمت الحياة السياسية لدى دول فريقيا المستقلة بصراع عنيف بين الحزب السياسية لدى
عده الفروع المستقلة
الاحزاب التي جاء تنظيمها كما جاءت افكارها ونظرياتها مستوحاة
الى حد بعيد من الاحزاب الثقافية في الغرب ، مع انها ليست في الواقع
سوى احزاب رعمه ألفوا ان يروا انصارهم يطيعوهم طاعة عبياء ، سواء أكانوا عبيدا
مشدودين الى الارض ، أو ألباعا او احزابا عنصرية أو اقليمية أو دينية .

اخذت هذه الاحزاب ان تنقسم الى ثورية وال محافظة مقيمة المتطورين وصغار المظللين
والبروليتريا الناشئة في وجه لرحماء التقليديين وفي وجه بورجوازية الاحمال الجديدة . الا أن
روابط التضامن العائلي ، وقد ليد الاقتراعات تجاه الفئة ونجاء الذرية هي من المثانة بحيث لم يقم
بعد بالمعنى المصحيح صراع طبقي في قلب الجماهير الافريقية ، باستثناء بعض حوادث محلية

هذا الصراع صممه احيانا حروب أهلية بالمعمل ، منها مثلاً ثورة الاتحاد الجماهير الكامرونية
(U.P.C) تألفت لوائها الكبرى على الغالب من اقوام الباميليكية فذهب زعيمها أم نيوييه
وعيلكس موميه قنلا ، وتبرر في السودان فتنة السكان غير المسلمين في الجنوب ، وفي رواندا -
ورندي حيث قامت ثورة الهوتو (٨٥ ٪ من السكان) ضد اسياهم التوتوسي (١٥ ٪) وأدت
الى مذابح تقشعر لها الابدان ، وفي موريتانيا وفي النيجر . وقامت ثورات بيضاء لم تسلك
فيها الدماء ، طردت من الحكم الاب غولبرت بولون في كوتنغو - برافيل . وحاولوا القيام
براحدة منها في المايون (حيث تدخل اطفالون المرسبون واعادوا النظام باعادة الرئيس ميا)
وفي تشادينا ، وفي كينيا وفي بونغندا حيث أدى تدخل وحدات من الجيش البريطاني الى قمع
الفئة التي قامت بها وحدات وطنية . ووقعت محاولات قتل ضد الدكتور مكروما في غانا ،
وقتل الرئيس سلفاوس اوليو في التنغو ، واحيرا مؤامرة فطرية أو وهية أدت الى معار
كان من بعض نتائجها تصفية بعض المعارضين في السنغال (مامادو ضيا الذي حكم عليه) ، وفي
النيجر وفي كوتنغو - برافيل وغانا . وفي كانون الاول ١٩٦٥ ومطلع عام ١٩٦٦ ، حدثت ثلاثة

انقلابات عسكرية - حل قرار ما وقع في كوتفو - ليوباندفل - انتقلت معها السلطة الى ايدي الجيش في جمهورية افريقيا الوسطى ، وفي الداهوماي وفي فولت العليا ، وليس آخره التتويج الذي وقع مؤخرأ بين الرئيس اريكويري ورئيس ودرائه ، أي دين الشال المسم والساحل المسيحي اندي عدد للاتحاد الفيدرالي في بيجيريا بالانقجار ، أدت في كانون الثاني ١٩٦٦ ، الى استيلاء الجيش على الحكم بعد اضطرابات وحوادث دامية ومقتل رئيس الوزراء الاتحادي

في سنة ١٩٦٥ ، كانت البلدان ذات القصة الفرنسية حيث تقرر شخصيات سيدار ستفور وهووويه - بوانسي ، ورميا مع كهييت كاوند ، وتغابا مع يوليوس نيري و كينيا مع جومو كينيا ، وملاوي مع الدكتور بندي ، يارسون سلطة استبدادية ذات نزعة مشددة ومحافظة مع ميل ظاهر نحو الغرب . وقام في وسهم غانا والعنبيه ومالي وكومو - برازاويل التي انتهجت سياسة اشتراكية النزعة بالفعل وتسي - مع فترات من الانقطاع او التجمد ، علاقات وثيقة مع البلدان الشرقية ومع الصين . فمما تأفرقت تماماً ، ونشأت فيها جميعات مختلطة تتولى تنفيذ المشروعات الرئيسية او مصانع النسيج ، والككاكو والحشب والالومنيوم . ان تأميم النفل والراديو ومخازن البيع بالفرادى وصناعة صقل لحاس ، والشركات الاستخراجية الحس من اصل السبع الموجودة فيها ، اضممت من نشاط القطاع الخاص وتولت تعاونية خاصة ببيع عدد من محاصيل البلاد ، تحت اشراف الدولة ، كالككاكو ، كما انشئ عدد من التعاونيات الزراعية . الا ان دكتاتورية نكروما اصطدمت عقاو مع عدة جهات مختلفة ، كما ان الازمة الاقتصادية التي انفجرت في غانا ، في فوز ١٩٦٦ ، تسببت بقيام اضطراب عام اهبطته حلة من الارهاب ، ومن الارهاب المصاد استمرت سنتين .

اما جمهورية الغنيب التي نالت استقلالها عام ١٩٥٩ بتصويتها السلي في الاستفتاء الشعبي ، فقد تلقت مساعدات مالية وتقنية من الولايات المتحدة الاميركية ، ولا سيما من الاتحاد السوفياتي ، في اثر انسحاب الفنين للفرنسيين المفاجيء . ولما كان الرئيس سيكوتوري يعتمد قبل كل شيء على بقوة القوي وعلى مساندة النقابات له ، قد ازال من الوجود النقابات الادارية القديمة المنزعة الى الفيدرالية ، فقد أتم وسائل النقل في البلاد والانتاج وتوزيع الطاقة والمصارف ومعامل النسيج باستثناء بعض شركات التعدين والشركات الصناعية المختلطة (كامتكا فريا وشركة بوكيت بواكيه) .

كونمو - ليوباندفل هو البلد الوحيد في افريقيا الذي لم يحقق استقلاله الا بعد حرب اهلية دامية . فالمصراع الذي قسام بين المتطورين المتضمين الى الحركة الكونغولية الوطنية (A.N.C) التي يتزعمها باقرس لومومبا الذي كان يدعو الى اشاء دولة اتحادية ذات حكومة مركزية قوية ، وبين تحالف الجماعات القبلية في كاتنغا بقيادة موييز تشومي المعروف بمرته الفيدرالية ، ادى الى انفصال كاتنغا وهو انفصال دام سنتين ونصف ، وبمساعدة الاتحاد المنجمي ، استطاع تشومي ان يجند فرقة من المرتزقة من افريقيا الجنوبية وروديسيا ومن

أوروبا، وأن يشترى معدات حربية وأن يؤمن له في كل من أوروبا وأميركا مؤنزة بعض العناصر المحافظة «الانصافية» كما أن مكتب مكافأة قام بتنظيم حملة دعائية واسعة النطاق في الولايات المتحدة جماعة من تشومي «أكبر رعيم مناهض للشيوعية ومن مصادر الغرب في كل الكونتمو» . إلا أن تدخل «الحود الزرقاء» التابعين للأمم المتحدة وضع في نهاية الامر حدا لهذا الانفصال . غير أن الدسائس التي حاكمتها الدول العربية المتنافسة على المنطقة والنزعات الانفصالية «سببت حالة من الفوضى والبلطجة والدمار منذ سنة كل امر أو فصالية للحكومة المركزية (من أيلول ١٩٦٠ إلى آب ١٩٦١) . وقد أعلنت ولاية كاساي نفسها دولة مستقلة كما أعلنت انفصالها كل من ولاية كيبا وكاتما الشابية وكويو» كما أن «بصار لومومبا تجمهروا في ستانليفيل بعد موت رعيمهم وأنشأوا فيها جيشاً حاول هذا استعادة السلطة . ن تفاقم الحالة والفساد والحلل اقتصاديات البلاد» والفساد الفاسح الذي يمتد بين الموظفين السياسيين والإداريين، زاد كثيراً من تدهور الحالة في البلاد» ومن اشتداد الفوضى والبلطجة فيها . عملت الشركات الكبرى التي تعرضت للخطر من جراء هذا الوضع» دفعت إلى الحكم مويير تشومي بموافقة الولايات المتحدة والمجيك وبريطانيا العظمى . وقد حاول أن يجمع حوله جاساً من الوطنيين وأن يبعد إلى الوحدة الولايات التي أعلنت انفصالها عنها» لأن استمرار الاضطراب يمكن الرئيس كلسافويو من إبعاده عن السلطة» وأخيراً تمكن الجنرال موييرو من فرض دكتاتورية عسكرية على البلاد (تشرين الثاني ١٩٦٦)

الحرب الأهلية المستمرة في أفريقيا
تتصعب أفريقيا المستقلة والمجاعة إلى ٢٥ مائة تم تحريرها على أشكال مختلفة بينما جاء تطورها الداخلي هي وثيرة واحدة تقريباً (انظر الفصل السابق) .

ومثلت أن بررت أخطار هذه المنطقة : كثرة حروب المصالح بين البلدان الغنية التي تتوفر فيها الموارد الطبيعية (كالأوكومو والمنفيز في الفانوم» والبن والكاكافو في شامبي» إلخ) وبين البلدان الفقيرة (البيجر)» والمنافسات بين رؤساء الدول والمطالبات الجغرافية بين الواحدة والأخرى نتيجة لهذا الاقتطاع العشري الذي قامت به الدول المستعمرة نفسها» وصعوبة تأمين التوازن ووسائل العيش لبلدان صغيرة المساحة أو قليلة السكان المتخلفين جداً مما يعرضها باستمرار للتخلف الاقتصادي» أو يشجع على دس الدسائس وحيل الاحتيال من الخارج والمحاولات العديدة لإعادة الاستعمار ولو بصورة غير مباشرة . شعر الأفريقيون بهذه الأخطار وتحسروا ما لمحمد من قديم . وحاولوا أن يتعادوا وأن يتعلموا على هذه النزعات والمطالب الخاصة ولو بشكل أو بطريقة تفتقر إلى الاستبصار أحياناً» أما أن نأكد على شخصية رنجية أفريقية بعيدة إلى غيرها لفة البلاد وحضارتها حتى والعادات التقليدية» وأما عن طريق الفروع للدول الجديدة في وحدات أو صر رقعة .

الرنجية
 وخذوا بلوحون بوجه المستعمرين « بالرنجية » أي بـ الحضارة الأفريقية
 الأساسية من إصافة . وأول من قال بالرنجية هو إيميه سيرير ، الذي يعود أصله
 إلى جزيرة المرتقليك ، وسار في أثره فريق من المفكرين ردد صدق مقالته « المحصور لأفريقي »
 الناطق بلغاتهم . فالمطلوب هو ردل وعدم الأحاد بالتمثل الفكري الذي خلق الشخصية
 الرنجية ، وإعادة المباحة إلى أفريقيا ، بماضيها الأثيل ، في أثر الدروس والأبحاث التي قام بها
 الأب بلاسيه قبل (فلسفة البانتو) ، ومرسيل فريول والأب الكسي كيمان الذين أيدوا لقمان
 إصافة الفكر الرنجي وماله من قيمة عالية ، وشرح المسادات والأعراف والمؤسسات القبلية
 وتركبتها ، وتعيد الإبطال الأفريقيين والأميرطورات الأفريقية العابرة (غانا ومالي وأمبراطورية
 سنهاري) ومملكة الكونغو ومولوموتيا) ، وأحياء هذه الحضارة الأفريقية الأصلية وذلك
 بتقييم التقاليد والفولكلور الشعبي والأساطير والقصص الشعبية .

ألا إن عدد البحوث حد للأسف من انتشار الآثار الفكرية في لغة من هذه لغات . ومن
 جهة أخرى فالأفريقيون المثقفون والذين باستطاعتهم أن يكتبوا ويؤلفوا تولوا تعليمهم كاملاً أو
 القسم الرئيسي منة باللغة الفرنسية أو باللغة الاسكليزية بحيث - وهذا من المفارقات المضحكة -
 أن هذا الأدب الذي يشيد بالرنجية في وجه الاستعمار الغربي ، يستعمل لغة المستعمرين ،
 باستثناء بعض الأبحاث التي ظهرت باللسان الباروتني أو البانتو أو الحوت ، ومع ذلك بقي أثر
 من وحي أفريقي حقيقي صميم ، كما يشهد على ذلك الأدب الشعري لليوبولد سبدر منقول انداعية
 إلى أدماج الرنجية ضمن القيم الحضارية الكبرى ، عن « طريق التليم الثقافة الغربية تقيماً رنجياً » ،
 وعن طريق « عتارات جديدة الشعر الرنجي والملاحشي » ، التي كان لها وقع الوحي عندنا
 صدرت عام ١٩٤٨ .

محاولات التجميع والأفراخ
 فشلت حتى الآن كل المحاولات التي بذلت في سبيل تجميع
 إقليمي ، وهي محاولات تتمثل بألم الذي راوه الأفريقيين بقيام
 جامعة أفريقية تضم الزوج ، ولا سيما الدكتور دويوا ومارقوس عازي اللذين أحداً معملان على
 تحقيقه وبسعيان إلى الدعاولة ونشره في أعقاب الحرب العالمية الأولى ، بعد أن راح جورج
 يادموور الذي يعود بأصله إلى حريرة الثالث (تربتي) أحد حور البحر الكاريبي ، يركز على
 مبادئها فكان أكبر داعية لها ومن استطاع نفوذاً وحجاسة إلا أن القانون - الملاك المعروف
 بقانون دي فير (١٩٥٦) والذي توسع نطاقه عند صدور دستور ١٩٥٨ - حطم بالفعل هذه
 التشكيلات الكبرى التي قامت في أفريقيا الغربية للفرنسية وأفريقيا الاستوائية بتعامله لها وأحل محلها
 حكومات مستقلة في هذه المستعمرات ، وبذلك قوى المطالب الانفصالية ومحاولات التوحيد
 المحلية التي بذلت فيما بعد كلفت بمثابة محولات دموية قامت بقت ساعتهما : كاتحاد الفينييه وغانا
 (١٩٥٨) ، وبعالف مالي (١٩٥٩) الذي اقتصر على السودان وعلى السنغال وصار أمره إلى
 الانحلال عام ١٩٦٠ ، واتحاد ساحل - بنين الذي أصبح مجلس الانفصالي (الشاطيء الذهبي

أوروبا، وأن بشري معدات حربية وأن يؤمن له في كل من أوروبا وأميركا مؤازرة بعض العناصر المحافظة الانفصالية، كما أن مكتب صكاتها قام بتنظيم حملة دعائية واسعة النطاق في الولايات المتحدة حادة من تشومي، أكبر رعيم مباحث الشيوعية ومن انصار الغرب في كل الكونغرس. إلا أن قسحل، الخوذ لزعزاع التايبي للأمم المتحدة وصح في نهاية الأمر حداً لهذا الانفصال. غير أن الدسائس التي حاكها الدول الغربية المتنافسة على المنطقة والنزعات الانفصالية، سمحت حاة من الفوضى والفساد في كل أو فعالية للحكومة المركزية (من أيلول ١٩٦٠ إلى آب ١٩٦٦). وقد أعلنت ولاية كاساي نفسها دولة مستقلة كما أعلنت انفصالها كل من ولاية كيم وكاتما الشمالية وكوير، كما أن انصار لومومبا لجمهوريا في ستانليفيل بعد موت زعيمهم وأنشأوا فيها جيشاً حاول عثماً ستمادة السلطة. أن تفاقم البعالة والفساد، والتمرد اقتصاديات البلاد، والفساد المصاحب الذي تفشى بين الموظفين السياسيين والإداريين، وأد كثيراً من تدهور الحالة في البلاد، ومن اشتداد الفوضى والفساد فيها. وعملت الشركات الكبرى التي تعرضت للخطر من جراء هذا الوضع، رفعت إلى الحكم موبين تشومي مواطنة الولايات المتحدة وطمعياً وبريطانيا العظمى. وقد حاول أن يجمع حوله جانباً من الرخصيين وأن يبعد إلى الوحدة الولايات التي أعلنت انفصالها عنها، لا أن استمرار لاضطراب ممكن رئيس كاسانغور من إبعاده عن السلطة، وأخيراً تمكن الجنرال موبوتو من فرض دكتاتورية عسكرية على البلاد (تشرين الثاني ١٩٥٦)

تجاه فريق أفريقيا الجنوبية القوية التسليح والتي يهيئها الخوف
أفريقيا المستقلة مبلغة
تقتصب أفريقيا المستقلة والمجزأة إلى ٢٥ دولة تم تحريرها على
اشكال مختلفة بناء حاء تطورها الداخلي على وقيرة واحدة تقريباً (انظر الفصل السابق)

ولم تلت أن بررت أخطار هذه السلطة : كمارض المصالح بين الدول العبية التي تتوفر فيها
المراد الطبيعية (كالأروكوم والمضيق في المايون، والبس والكاسكار في شاطئ العاج)، وبين
الدول الفقيرة (النيجر)، والمنافست بين رؤساء الدول والمطالب الجغرافية بين الوحدة
والأخرى نتيجة لهذا الاقتتاع العشري الذي قامت به لدول المستعمرة نفسها، وصعوبة تأمين
التوازن وموائل العيش لمدان صغيرة لمساحة وقليلة السكان المتخلفين حداً مما يعرضها
باستمرار لتختلف الاقتصادي، أو يشجع على دس الدسائس وحسك الاحابيل من الخارج
والحاولات المدبنة بإعادة الاستعمار ولو بصورة غير مباشرة. ثم الأفريقيون بهذه الأخطار
ولمحمسوا ما تحمده من تهديد. وحاولو أن يتعدوها وأن يتعدوها على هذه النزعات والمطالب
لخاصة ولو بشكل أو بطريقة تقتصر الالاسمجام أحياناً، أما تأكيد على شخصية زنجية
أفريقية تميد إلى عزها لغة البلاد وحضارتها حتى والمعدات التقليدية، وأد من طريق اغراخ الدول
الجديدة في وحدات أوسع رقعة.

الزنجية واخذوا يلوحدون بوجه المستعمرين « بالزنجية » اي بما للحضارة الافريقية
 لاساسية من اصاله . واول من قال بالزنجية هو ايميه سيزير ، الذي يعود اصله
 الى جزيرة المارتنيك ، وسار في اثره فريق من المفكرين رعد صدق مقالتهم « الحضور الافريقي »
 التناطلي بلسانهم . فالطوط هو رذل وعدم لاخذ بالمثل المفكري الذي خنق الشخصية
 الزنجية ، واعادة المناهضة الى امريكا ، باصيها الاثين ، في اف الدروس والابحاث التي قام بها
 الاب بلاسيه قبل (فلسفة البانتو) ، ومرسيل هوبول والاب الكسي كيدان الذين ابرروا لاميان
 اصاله الفكر الرنجي وماله من قيمة عالية ، وشرح العداوات والاهراف والمؤسسات القبلية
 وتركيبتها وتجميع الابطال الافريقيين والامير طويريات الافريقية العابرة (غانا ومالي وامبراطورية
 سنهاري ، ومملكة الكونغو وموتومونا) ، واحياء هذه الحضارة الافريقية الاصلية وذلك
 بتقييم التقاليد والفولكلور الشعبي والاساطير والقصص الشعبية .

الا ان لعدد الجهات حد للاسف من انتشار الآثار الفكرية في لغة من هذه اللغات . ومن
 جهة اخرى فالافريقيون المتفنون والذين باستطاعتهم ان يكتبوا ويؤلفوا قولوا تعليمهم كاملاً او
 القسم الرئيسي منه باللغة الفرنسية او باللغة الانكليزية بحيث - وهذا من المفارقات المضحكة -
 ان هذا الادب الذي يشهد بالزنجية في وجه الاستعمار القوي ، يستعمل لغة المستعمرين ،
 باستثناء بعض الابحاث التي ظهرت باللسان البازوقي او البانتو او الحونسا ، ومع ذلك بقي او
 من وحي افريقي حقيقي صميم ، كما يشهد على ذلك الادب الشعري لليوبولد سيدير سمور الداعية
 الى اصماح الزنجية ضمن القيم الحضارية الكبرى ، عن طريق تقييم الثقافة الغربية تقييماً زنجياً ،
 وعن طريق « مختارات جديدة للشعر الرنجي والملاحاتي » ، التي كان لها وقع الرحي عندما
 صدرت عام ١٩٤٨ .

فشلت حتى الان كل المحاولات التي بذلت في سبيل تجميع
 محاولات التجميع والافراخ اقليمي ، وهي محاولات تتصل بالحلم الذي راوده الافريقيين بقيام
 جامعة افريقية تضم الزوج ، ولا سيما الدكتور دويوا ومادروس غاري الذين احذا بمسلا على
 تحقيقه وبسعيان الى الدعاولة له ونشره في اعتقاب الحرب العالمية الاولى ، بعد ان راج جورج
 يادموور الذي يعود باصله الى حرية الثالث (تربتي) احد حور البحر الكارابيبي ، يركتو هي
 مبادئها فكان اكبر داعية لها ومن انشطهم بعداً وحياة الا ان القادون - الملاك المعروف
 بقانون دي فير (١٩٥٦) والذي توسع نطاقه عند صدور دستور ١٩٥٨ - سطم بالفعل هذه
 التشكيلات الكبرى التي قامت في افريقيا العربية للفرنسية وقربيا الاستوائية بتعاهد واحد اعلمها
 حكومات مستقلة في هذه المستعمرات ، وبذلك قوى المطالب لانهصالية ومحاولات التوحيد
 المحلية التي بذلت لها بعد كلفت بثابة محاولات رمزية قامت بثلث ساعتها . كالتحاد القييني وغانا
 (١٩٥٨) ، وتحالف مالي (١٩٥٩) الذي اقتصر على السودان وعلى السنغال وصار امره الى
 الانحلال عام ١٩٦٠ ، واتحاد ساحل - بنين الذي اصبح مجلس الافساق (الشاطيء الدمبي

داهومي - بنجر وهولندا ألمانيا) وهو عبارة عن مجلس استشاري وتعاوني تسيطر عليه شخصية هو قوله - برانسي البارزة ، واتحدت جمهوريات أفريقيا الوسطى (التي رفض الغديون الانضمام اليها) ، الذي لم يكن سوى اتحاد ديمقراطي ، له هيئات او مصالح مشتركة للفنل ومعهد علمي للأبحاث الخاصة بالمعادن ، وهي مشروعات ولدت مينة كمشروع الولايات المتحدة لأفريقيا اللاتينية الذي وضعه الأب بوجاندا ، ومشروع الولايات المتحدة لأفريقيا الوسطى الذي وضعه هو الآخر ، الأب بولو ، واتحاد بين دابيني ، ومشروع صوماليا الكبرى (التي بعد ان تألفت من مقاطعات البريطانية والبريطانية السافيتين ، أحدثت تقاطعاً بساحل الصومال الفرنسي وجزء من أراضي إثيوبيا) .

وفي عام ١٩٦١ ، أنعت المستعمرات الفرنسية القديمة الاتحاد الأفريقي وملاعاشي الذي لم يلعب سوى دور محدود ، ونحو عام ١٩٦٣ الى الاتحاد الأفريقي للملاعاشي للتعاون الاقتصادي (U. M. O. E.) مقصراً نشاطه على هذا المجال . وفي شباط ١٩٦٥ انضم اليه كوتونجو بولونجيل ورونندا وكذلك بلغ عدد الدول التي تألف منها الاتحاد ١٦ دولة فرنسية اللغة تشكل منها جميعاً المنظمة المشتركة الأفريقية والملاعاشية .

أما بشأن المقاطعات البريطانية في أفريقيا الشرقية ، فالاتحاد الأفريقي الوسطى الذي تألف عام ١٩٥٣ من اتحاد مقاطعتي روديسيا ومن بياسا ، وقد انحل عام ١٩٦٣ ، ليحل محله دولة مالاوي (بياسا سابقاً) وجمهورية زامبيا (روديسيا الشمالية سابقاً) بينما بقيت روديسيا الجنوبية مقاطعة بريطانية تنعم باستقلالها الداخلي . فمع تقزانيا التي تشكلت من انضمام تنزانيا ومن زنجبار ، نجد ، ما بين إثيوبيا وبين روديسيا الجنوبية ، مجموعة من البلدان التي «تعدت هام ١٩٦٣ تحت اسم PAFMECA (اي حركة جميع قطار أفريقيا الشرقية والوسطى) انهي صبح ، عام ١٩٦٣ PAFMECSA اي حركة تجمع اقصار أفريقيا الشرقية والوسطى والجنوبية) التي اندمجت بدورها في منظمة الوحدة الأفريقية التي أنشئت في أيار من عام ١٩٦٣ في جنيف بأية بقصد تحرير أفريقيا الجنوبية .

وفي حضموار لقد التجمع الافريقي الذي قامت عليه هذه الدول ، قامت بحار اخرى هدوت الى توحيدها جميعاً في اتحاد واحد . وهكذا طلعت علينا فئة الدار البيضاء التي ضمت عام ١٩٦١ : غانا وغانا والسينغال والمغرب ، والجمهورية العربية المتحدة وممثلي الاتحاد (M. P. R. M.) اي اتحاد لدول ذات النزعة التقدمية المسارية للجمعية العربية ولومومبا ، والفئة المصادرة التي تكونت في مورونغا وضمت ٢١ دولة من دول أفريقيا السوداء المعروفة مشرعتها لمعادلة المحافظة كلا الطرفين كانت متطبيع ، من حيث لمدأ ، بحيث تتجاوز الحركة المناهضة للاستعمار الواقعي الاستعماري ، وتحافظ على ما حققته من تحرير للدول الأفريقية ، لتوسيعها وفقاً للتقاليد السافية وفي كابون الثاني ، تشكلت فئة اخرى اجتمعت في لاغوس وضمت كل فئة مورونغا ، وتنمانيقا والكونغو ليو بولونجيل . الا ان نشاط الحركة الوطنية الصغيرة بقي قوياً (حدود عمدة فن

أدت إلى طرد الرعايا الثوغويين والداوميين من الشاطئ الذهبي (وإلى الاشتباكات الدامية بين الرعايا الفابويين والكونغويين) كما أن بعض الدول الأفريقية لم تحف برأيها التوسعية وخطتها بضم بعض مقاطعات الدول المجاورة لها ، ومحاولة لتوقف في وجه هذه المحاولات نادت بمعاهدة ادريس بابا مبدأ لمحافظة على استقلال الدول واحترام أراضيها ، قد يكون عد ضمانا للسلام وقد يكون تكريسا لواقع بلقنة الدول الأفريقية الذي صارها إلى العمر قاعاً كما حدث في مؤتمر بناما ، عام ١٨٢٦ ، مع دول أميركا اللاتينية . وقد يكون هذا أيضاً نقطة انطلاق نقطة أفريقية صلبة : إذ أن ظهور منظمة الاتحاد الأفريقي ، في هذا الوقت ، الدات لتتولى قض المنازعات التي تنشأ بين الدول الأفريقية ، إنما يكون إلى حد بعيد « تصريح مولود أفريقي » من شأنه أن يبعد عن القارة كل نفوذ أجنبي .

الفصل الثاني

إنهاء الاستعمار والاستعمار الجديد

« أدركت الدول الأكثر رعيًا التصنيع الممنوع من الأفضل لها أن تتحول لدول التي « تدعي الاستقلال » من مسؤولية مصيرها ، على أن تحتفظ بالثروة والسيطرة بالوسائل التي تضمن لها ذلك »

د. هارون

(من كتابه : التاريخ والسياسة ، ص ١٥٣)
يخصر المساء الاستثمار عندما تأخذ البلدان المختلفة صناعياً لهم بحمة ونشاط ، بالحركة الصناعية في العالم ، وذلك باستثمار التقنيات لحساب الخاص ووسائلها الخاصة »

لورسوا ييرو

(الاقتصاد الدول الفتية)

إنهاء الاستثمار

منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية توالى التنافسات السياسية والتدابير المتخذة لتمكين أوصاع الشعوب المستعمرة ، بتوالي الحسف والمثل الذي حل بالدول المستعمرة ، وكلما شعرت هذه لدول بعدم قدرتهم ، بعد الآن ، على تحمل الأعباء الثقيلة ، بحربية كانت أم مالية ، التي تسببها لها سيطرتهم المباشرة بالطرق التقليدية التي سارت عليها ، من جهة ، ومن جهة أخرى ، كلما شعرت بطغيان الأفكار والنظريات التحررية التي جاشت بها الدول التي عرفت تحت غير الاستثمار ، فابتدأ أحسن النظر طالعنا ، معركة انسحاب ، تظهر بوضوح مع تغيير الالفاظ والمصطلحات بعد أن سقط شيئاً فشيئاً من استعمال ، كلمة « امبراطورية » ، وكلمة « مستعمرة » لتعبر محلها كلمة « مقاطعة » ، وكلمة « كومونولث » ، وكلمة « رابطة » ، فالامبراطورية للبرفالية الاستعمارية اصحمت بعد الآن : « الولايات الواقعة عبر البحار » في دستور البرفقال

الذي صدر عام ١٩٥١ ومن وسائل التنمية التي استخدموها فيما بعد ، الاستانة بكلفة .
« الترابط » الى ان التفت نهائياً ما اصطلموا عليه من اوضاع استعمارية ، وحل محلها دساتير
تكرس الاستقلال الناجز ، بينما تصبح كلمة « عون » و « مساعدة » مرادفاً لكلمة « تعاون » .

السياسة الاستعمارية الجديدة وهكذا فالدول الكبرى التي قامت سيطرتها منذ عام ١٩٤٥ ،
على استثمارها المقاطعات التابعة لها وراء البحار ، كما كانت
تستثمر ، كشفت عن حركات لها ، دول أوروبا الوسطى ودول أوروبا الشرقية ، اضطرت
للتخلي نهائياً عن الأساليب والوسائل الممثلة التي مارستها وصايتها . وقد حاولت ، في هذا كله ،
ان تتخذ نهجاً يداً من الوطنيين المحافظين وان كانوا تعاونوا مع اليابانيين ، امثال أو اونغ سان في
بورما ، وروكسان وكيريو في الفلبين ، وبار داي في فيتنام ، وداتو اون في ماليزيا ، حتى
في حال ممارستهم لنظام دكتاتوري يقتضي اصلاً مع القيم التي يدعي الغرب الدفاع عنها : امثال
سنيان ري في كوريا الجنوبية ، ونشان كاي شيك في فورموزا ، ونغو دن ديم في فيتنام
الجوية ، والمارشال اوب خان في الباكستان . وبريطانيا العظمى على الاخص ، عندما قامت
باسحابها للسلي و « وقتته في اللحظة الأخيرة » نجحت في نقل السلطة لحكومات ضمت
شخصيات شتى من تجار او رباب اعمال وحديثين . وعرفت لربما متأخرة ان تعديل من سياستها
تحت تأثير الدرس السليح الذي لفته اياه الحوادث الدمية في الهند الصينية وفي الجزائر ، وان
تعرض بصورة طوعية الاستقلال الكامل على افريقيا السوداء ، مع العلم ان البلاد الواطية ، وربما
بلجيكا أخفقت ، على ما يظهر في سياسة العالمها الاستثمار .

فتمحالف هذه الدول استعمرة مع البورجوازية الوطنية اينما قامت ، ومع كبار الملاكين
العقاريين او مع زعماء القبائل او الزعماء الدينيين في اماكن اخرى ، وبالتفصيل لمع عن السلسلة
السياسية وعن جانب من ارباحها في المعدل الاقتصادي ، استطاعت الحد من نتائج الفاتح
الاستثمار . فوسائل العون والمساعدة التي قدمتها للدول الجديدة قبل ان تصل الى الاستقلال
الناجز ، تثبت الى حد بعيد كيف حاول النظام الاستعماري ان يواصل عمله مسلحاً بأشكال اسلم .
« فالروح الاستعمارية » لم تعد تجسر على الظهور بوجهها السافر . فهي لو اصل البقاء والاستمرار
تحت ستار شفاف من التعاون والتحرر التدريجي ، (فرنسوا ميرو) . فقبل عام ١٩٦٠ وهي
السنة التي توالى فيها حوادث الاستقلال ، راحت للنقطة الزاهية « ومشروع كولمو »
والمعاهدات الثنائية تمهد السبيل لها اصطلموا على تسميته « بالاستثمار الجديد » اسي أولف
الميليين ، غير مثال له

كلان من البؤس الشديد الذي تتسكع فيه الجماهير السائرة في
الجهل والجهالة والمعرضة لسوء التفلية والمرض والبأس القتال ان
يجعل هذه الجماهير هدفاً للدعاية الشيوعية . وفي سبيل درأ هذا
الخطر عن الجماهير وفي سبيل مساعدتها على تأمين وضع اقتصادي سليم ومعادلة تعامل مدغواها ،

السلطة الزاهية ومساعدة
الدول المختلفة

وثأمين الاسواق اللازمة للولايات المتحدة وما لعتاج اليه صناعيتها . لاخسدة بالتوسع ، من الخانات ، ولاستجار رؤوس اموالها في الخارج ، تم عام ١٩٤٩ وضع اول برنامج شامل لمساعدة الدول المتخلفة في عهد الرئيس ترومان . صحيح ان المساعدة الفنية التي تمتعت بها دول اخرى ، لم تكن حاداً جديداً ؛ فقد سبق للرئيس ف . د . روزفلت ان قرر مثل هذه المساعدة لدول اميركا اللاتينية على نطاق واسع ، لا سيما خلال الحرب العالمية الثانية . اما الرئيس ترومان فقد اراد التوسع في هذه الخطة بحيث تصبح خطة شاملة تتسع الى جميع اطراف العالم . فطالما لا يشوفر للدول المتخلفة العدد الكافي من الاختصاصيين في بلادها فسيصير ترويداً بالتعيين تقدمه البلدان المتقدمة تقنياً . فعلى الدول امنية ان تطلب هؤلاء الاختصاصيين من الامم المتحدة او من الولايات المتحدة الاميركية .

وفي هذا السبيل اشأت الامم المتحدة ، منذ عام ١٩٤٩ ، مكتباً خاصاً يعرف بمكتب المساعدة الفنية (وافذت ١٧٥٧ مبعراً من خبراتها وزعتهم على ٦٣ بلداً) ، كما ورعت بمعرفة الحكومات المعنية ، مساعداً دراسية للتخصص على مستحقها بحيث يتاح هم اكتساب المهارات التقنية اللازمة . الا ان نشاطهم لم يكن ليشتمل هذا الحد لافتقارها الى الاعتادات المالية اذ لم تكن لتعمل الا على مساعدة الدول الاعضاء في المنظمة . اما مجلس الكومنولث الاميركي الذي لم يكن متحمساً جداً للمشروع ، فقد ادمج الاعتادات المخصصة للقطعة الرابعة كمساعدات للدول المتخلفة ، ضمن برنامج الامن المتبادل الذي حصل من ضمن نشاط وكالة الامن لتبادل الذي يختلف في روحه و مجال العمل المخصص له كثيراً عن الهدف الاول الموصوح له . وهكذا فالاعتبارات الاستراتيجية فطلت في نهاية الامر على الاعتبارات التي كانت دعت الرئيس ترومان ، عام ١٩٤٩ ، الى وضع هذا المشروع . والمون الاقتصادي والتفسي الاميركي ، الذي قام على تفهم صحيح لمصلحة الاميركية وللثالية الاميركية ، (كما يقول فرنسوا ميرو) والذي اقتصر في نهاية الامر على مصالح ضيقة نسبياً ، لم يكن امامه حظ بالنجاح وبالمواقفة عليه الا بقدر ما يستجيب لاعتبارات الامن ، و لا يسمح به من تطور اقتصادي يرتبط الى حد بعيد بالموجبات التي تقتضيها محاربة الشيوعية ، (جاك مالبي) . وبعد حرب كوربا ، عام ١٩٥١ ، والاتفاقات الثنائية حول المساعدة الفنية لم تقدم الامم المتحدة التي كانت ترضى بالتمهد بمساعدة عسكرية في حال شوب حرب . والاعتادات التي قدمها ، عام ١٩٥٢ ، تلك التصدير والاستيراد ، اشترط في تقديمها الدول المعنية ، على ان تطور الخانات التي تتطلبها الاستراتيجية الاميركية والدفاع عن سلامتها . اما القسم الخاص بآفريقيا من مشروعات المون المالي ، فالاعتادات الاميركية فعت ليس الى الاقطار التي يشكو سكانها من النور ، بل الى هذه الاقطار الفنية بالمعادن الاستراتيجية ، كالنحاس في روديسيا والكومنو السامبيكي ، والمنغنيز في الشاطيء الذهبي ، والاس والكوبال في افريقيا الوسطى .

مشروع كودو لم تكن أفريقيا بالبلد المتخلف الوحيد في العالم . فقد ضمت آسيا جاماير لا
 قصى من السكان الذين يشكون النقص في التغذية ، وسوء الكساء وبميشون
 في الرأس والشقاء في اراض ممسكة جدهاء ، لا مصاعف ثقيلة فيها ولا عيين ولا اموال هذا
 هو الوضع الذي رسف فيه ٨٠ ٪ من سكان العالم المتخلفين . وهكذا فما كادت تمل سنة ١٩٤٧ ،
 حتى عمدت منظمة الأمم المتحدة الى تأليف لجنة اقتصادية تعنى بشؤون آسيا والشرق لأقصى
 الاقتصادية ، وعما من وزارة اقتصادية تعنى بشؤون المنطقة تأخذ على نفسها درس وضعها
 الاقتصادي ، وتقدم بالاقتراحات التي تقول الى تحسين اوضاع تلك البلدان العدائية عن
 طريق تطوير الانتاج الزراعي واخذ تدريجياً بأسباب التصنيع ، ويقوم في قلب هذه الرقعة التي
 تمتد من الهند الى كوريا منطقة تنتج المطاط والقصدير والتتنستين والنفط والكوبرا حيث تؤلف
 ماليزيا ودهمة من دعائم النظام الدعاعي لامتلاكها في هذه الساحة ، ولدفاع عن ليرة الماليزية
 ولها أهمية عظيمة من الوجهتين الاستراتيجية والسياسية .

وفي هذه المنطقة بالذات يتم الاتصال بين الشرق والادس واوساراليا وافريقيا ، من جهة ، وبين
 الشرق الأقصى من جهة أخرى . ومن هذه النقطة ينطلق الطريق الكبير الذي يؤدي من بورما
 الى الصين الجنوبية الغربية . فقد كانت المنطقة ، فيها مضي ، منطقة نفوذ بريطاني حيث احتلت
 المملكة المتحدة ها بدومبيوات ومستعمرات في ماليزيا لم تكن قد على استعداد للتخلي عنها
 وبعد سنة قدام من وضع اميركا لمشروع المقعة الرابعة ، قامت بريطانيا تضع من جهتها ، رداً
 على مشروعاً ، تعاونياً يرمي الى تطوير بلدان آسيا الجنوبية من الوجهة الاقتصادية ، وهو الذي
 عرف فيما بعد مشروع كولودو . في هذا الوقت كان الصينيون برهامة ماو تسي - تونغ قد بسطوا
 سيطرتهم على جميع اشراف الصين فتعاوتت قطار آسيا الجنوبية الشرقية دوي هذا النصر
 الذي اندي ارجحت له الجماهير الآسيوية . ولكي تحول بريطانيا دون نجاح لاشموب الآسيوية الى
 الشيوعية بعد هذا لامصار الكاسح الذي حققته ، كان لا بد من رفع مستوى المعيش لدى
 ٥٧٠ مليون من السكان يعمر هذه المنطقة الواسعة ، والحطبة التي وضعت ليست مخرت
 كانت عشرة برنامج مفصل لتطوير اقتصاديات كل من هذه البلدان التي تعيد مسدياً من هذا
 المشروع ، وهي في الاساس من البلدان لدخلة في مجموعة الدول البريطانية . ولكن ، كانت
 مساهمة الولايات المتحدة في هذا المشروع ضرورية ، جرى توسيع المشروع ، منذ عام ١٩٥٢ ،
 « منحت كل من الولايات المتحدة وبورما واليابان والميتنام وكينوديا وسيام في لحة الاستشرية ،
 كما دخل ، مراقبون من اندونيسيا وتايلاند والصاينين والامجنسة التي قامت اصلا من سعة
 اعضاء يتكون دول الكومونولث البريطاني حري بوسيعها بحيث ضمت ممثلين عن تسع بلدان اخرى
 وهكذا صبحت لحة دويبة تحت اشراف اميركا ، مشروع لاور استبدل بمخطط عامة
 وضعت الولايات المتحدة لأمير حكيه ، تشمل جميع بلدان جنوبى آسيا التي يجب الاعمال على
 تطويرها ، لا سيما تشجيع انتاج الحامات والمواد الأولية التي هي بحاجة اليها .

وهذا الضغط الذي تعرضت له هذه البلدان مباشرة أو غير مباشرة
مؤثر بحدوثه
يقتر لنا التحفظ الذي استقبلت معه الدول المختلفة هذه المساعدة
المعمولة عليها، و ثارت فيها الشكوك حول الاهداف السياسية والعسكرية الكامنة وراء امدعها
الطويل ، وتندت لها من خلالها محاولة التدخل بشؤون الداخلية واستئثار سكانها ، كما رأوا في
هذا المشروع محاولة للحد من مساهماتها للاحد باسباب التصنيع الضخم .
وكما انضمت للسكان اكثر فكثر الظروف الوصية التي تحيط باستقلالها ، فقد رفض
الاعلون ان يكونوا درماً مسعرين للدول الكبرى البيضاء . وهذا الوعي الكامل لفهم من
قوى وطاقت وامكانات هو الميزة البارزة والاهمية البالغة التي انصف بها المؤتمر الافرواسيوي
الذي عقد في بانكوك في نيسان ١٩٥٥ ، اولى المؤتمرات الدولية في تاريخ الحضارة البشرية التي
عقدتها الشعوب الملونة .

وهذا المؤتمر الدولي الذي لم يفرجه لاي دولة بضياء دعوة لحضوره اشترك باعماله مندوبون
من ٢٩ دولة اسيوية وافريقية سكانها يملفون نصف سكان الكرة الارضية والتي لم يكن
معظمها ، من نحو عشر سنوات سوى مقاطعات مستعمرة وشبه مستعمرة من قبل الدول
الاروروبية ، حضر هذا المؤتمر ممثلو ست دول افريقية مستقلة هي مصر والسودان واثيوبيا
والشاطيء الذهبي وليبيريا وليبيا ، وقد شدد المؤتمر بوضوح على التضامن وعلى ضرورة
الاتحاد بين آسيا الجديدة وافريقيا الجديدة ، كما عبر سوكارنو عالياً عن امانيهم الصادقة لشعوب
المغرب وتونس والجزائر عندما هتف قائلاً : كيف لنا ان ندعي ان الاستعمار لفظ انفاسه طالما ان
اقتطاراً واسعة في آسيا وافريقيا لم يتم تحريرها بعد ولم تزل استقلالها ؟ وعندما راح نبرو يؤكد
ان آسيا تؤكد رغبتها جديداً المساعدة لافريقيا .

مع ان هذا المؤتمر ضم ممثلين عن دول ترتبط بعضها بروابط وثيقة مع الاتحاد السوفياتي كما
تشد البعض ، الاخر وشائج وثيقة مع الاتحاد السوفياتي ، فقد شجب أعضاء المؤتمر بالاجماع
الاستعمار والعنصرية والسياسات الداعية الى التفرقة والتمييز العنصري .

« دققنا ولايران بعضنا بذوق المهادة والذل والصحة التي اقصروا عليها في حق ديارنا » وكيف
أدلوها بصورة منهجية ووصفها في ظروف محنة ليس سياسية واقتصادية وعسكرية فحسب بل
يضاً عصرية . واشركوا في هذه لوحة دولها تميز او تقربق ، الذي والحقير ، والامير والصالحون
والسيد والسود ، والرئيس ودرؤوس والامل وارب العمل ، والفلاح والبروليتاري ، والعالم
والخامل . ولتميز سيطرته وشد شكيمته والتشديد من قصته اصبح من الامور المألوفة لدى
الابيض في الغرب ان تفوقه بكس في سوعه وعقرياته وفي نون بشرته . وهذه الاربوية ،
جعلت في لهجات المستعمرة ، اكثر الناس سمهاً وأخسهم فكراً اسمى واعلى من ي نابغة او
من اي عكري لدى الشعوب المستقلة في مجلات العلم والثقافة والصناعة (كارل ب . رومولر)
« قد اكد المؤتمر المسارة بين العناصر الانسانية والعنصرية البشرية » وان الناس الى اي

هرق انتسبوا ، ومن أي ثون كانوا ، عليهم الواجبات الأساسية و لاحتياحات المائلة ، لا سيما في كل ما يتصل بالطمايب الاقتصادية والاجتماعية . وقد عبر كذلك عن المبادئ الأساسية التي تقتضيها كل سياسة ، مستقلة في المجال الاقتصادي لتصبح حداً لسيطرة المجلس الأبيض ، كالتعاون الاقتصادي بين الدول الآسيوية والأمريكية في كل ما يتصل بالمساعدة الفنية والمالية والتشجيع على إنشاء صناعات وطنية ، وتحريك الخامات والمواد الأولية التي كانت تصدر حتى لأن إلى الخارج بأسعار تحددها الأسواق الغربية ، و إنشاء مصارف وطنية ووضع حد لاحتكار النقل الذي تتحكم به الدول البحرية في الغرب .

حاج النظام المؤتمر ، في عهد الدولي ، عقب اتفاقات حنيف والتهديد بتوسيع الحرب في الوقت الذي راج فيه مؤتمر مابيلابض مشروع ميثاق دول الشرق الأقصى الذي جاء رجس صدى لميثاق الأطلسي ، وهو المعروف بالسينر ، وإنشاء منظمة الدفاع التي يشار إليها بالأحرف OTHSE . وأكد المؤتمر رفض الدول الآسيوية والأمريكية وعدم التسلم بحرها في الحرب من قبل أحد المسكرين المتنافسين الكيبرين في العالم ، وهو موقف حياء ايماني هام جداً في هذا الوضع السياسي العام ، وم من ذلك فأكيدته على نتهاج سياسة مستقلة من لأن مصاعداً ، لدى الدول الآسيوية والأفريقية التي سز في نفسها كثيراً فصرف الدول بها في هذه المؤتمرات الدولية التي لم تكن مثله فيها أو لا يحق ها التمييز بينها من رغباتها

كانت شموبيا خلال اجمال متطارة لا يسع لها صوت في العالم... كنا كمية مهمة ليس من يكتوت لها أو يؤبه بها ، وكانت مصاترة تست ي دون قرية هنا وتقررو امروا وفقاً لقتضات مصاحبها التي هي فوق كل مصلحة ، ونطرح بنا دل الفقر والمهالة والذل (سوكاتو) .

كل هذه امبادئ حري توصيها وإبرازها يشكون قوى وأرفع أيضاً في المؤتمرات التالية التي تحققت في القاهرة في كانون الاول ١٩٥٧ و كانون الثاني ١٩٥٨ ، أو في كوناكري في نيسان ١٩٦٠ (هذا المؤتمر الذي فشل فيه ليس فقط مندوبو الدول الامرو - آسيوية بل بعضاً ممثليون من الاحزاب الشيوعية أو التيارات الفكرية البائرة في هذه الاقطار ، كما أكدت عليها المؤتمرات الأفريقية الصرفة امقودة ثباعاً في تونس وراكرا واديس ابابا ، عام ١٩٦٠) الا ان المصاحب ، ولا سيما الاقتصادية منها ، التي قامت في وجه هذه الدول ، ابرت مشكلات اخرى مهمة ، فخلقت معارضات والمات منافسات لم تكن مؤقتة لروح باندونغ ، كما مبرى فيها بعد .

التطور العام الذي اخذت بأسيابه الدول الجديدة

في كل مكان ، سواء في آسيا ام في امريكا ، جاء التطور الذي اخذت به هذه الحكومات الجديدة واحداً تقريباً ، فالسير وحده ومدى خطاه احتلف سرعة أو حدة باختلاف تقاليده هذه

البلاد والظروف التي أحاطت بها . فقد تألفت الدول الجديدة ، على العموم حتى التي تم استقلالها عن الدولة المسيطرة بالعرف ، ضمن الحدود التي كانت لها ، وهي حدود مفتعلة حيناً وممطعة أحياناً ، وفي نطاق القطر المستعمر فقد احتفظت الدولة الجديدة بما كان لها من أطر وملاكات إدارية ومؤسسات قضائية قائمة في عهد الاستعمار ، وقد اختارت لها على العموم نظاماً ديموقراطياً يشبه من قريب نظام البلد الأم . ثم إن الهيئة الإدارية التي تسلمت مقاليد الحكم والإدارة كانت على الأجمال من قدامى الموظفين في العهد الاستعماري ومشعنين ، بين أطباء واساتذة ورجال قانون وصحفيين كلهم تلقوا العلم في معاهد أوروبا ، وكلهم نشؤوا تنشئة عربية لمضجها مسحة نصرانية وتأثروا إلى حد بعيد بالآفكار والنظريات ونمط الحياة لدى الأوروبيين . إلا أنه بعد مضي عدد قليل من السنين وأحياناً من الأشهر ، رأينا هذه الأطر والآراء والمؤسسات تزول أو تدخل عليها تعديلات جذرية ، فبطل محل بعضها أحياناً نظم جديدة مغايرة لها بالكلية كدكتاتورية عسكرية أو نظام رئاسي استبدادي ، ونظام ديموقراطي موجه ، ذو حزب واحد بعد تصفية كل معارضة .

فقد انضج بسرعة ن المؤسسات الليبرالية العربية التي احتفظوا بها أو قدوها بعد أن خضعت لتطور طويل في القرن التاسع عشر ، بالنسبة للأوضاع الاجتماعية والاقتصادية المختلفة أصلاً عما ساد في آسيا وإفريقيا ، كانت أعمق من أن تجعل معها للدول الجديدة سلاًماً تاماً من مشكلات تعترض سيرها .

وهذه النخبة المختارة من هؤلاء المفكرين المستعربين التي
مشكلة النسيج والتمهيد استأثرت بالسلطة وجدت نفسها فجأة أمام جماهير ريفية كانت من السهل إقارتها في وجه السيطرة الأجنبية وحدثت معها مسح ذلك عائشة في وسط عالم مادي وادبي ليس فيه ما يرتبط بالدولة الحديثة . ولما كانت تجهل كل شيء عن ضرورة التماسك الوطني ، وترتبط بنظام اجتماعي تقليدي ولا تزال بعد إقطاعية قريبة من أوضاع أوروبا في الأجيال الوسطى ، علاقة رب العمل بالزبون والشئ الذي له أهمية عندها هو الوضع وليس المبدأ ، والعرف وليس القانون ، هذه الجماهير شديداً روابط وثيقة ضمن إطار القرية المحدود أو القبيلة أو المرق ، فما تحمل حبلها مطلقاً كل ما لا يتصل بالأمنة ، أو تنظر إلى الجار نظرتها إلى العدو . هذه الجماعات غير المتندجة ، التي تتألف من مجتمعات محلية متجاورة ، ينقصها الحد الأدنى من وحدة لا بد منها لتأليف أمة وعليها أن تؤلف مواطنين لتبليغ هذا الحد . وهذا القصر الجذري في لوحده الداخلي الذي لا يظهر بوضوح في هذه الدول الآسيوية ذات العاصي المحترم ، يبرز بشكل أوضح في إفريقيا . ومع ذلك هناك بلدان مثل الهند وبورما والهند الصينية كانت تعاني من هذه العلل وكان عليها أن تنقلب ، هي الأخرى ، على صواب من هذا اللون .

فعل لدول الجديدة أن تعارب ، إلى هذا ، القوى التي تهدد هذه للوحدة المبريمة العطب كالأقليات العنصرية والعنات القبلية ، وكان عليها أن تخوض غمار حروب قاسية لقمع ثورات

وحركات تمرد قامت بها اقوام الكارنز والشان والاركانيز في بورما ، وتكبت المحاولات التي قامت لتأسيس جمهوريات مستقلة في جزر الملوك وفي جزيرة امبون . ومثل هذا الصراع يقوم في افريقيا حيث وحدة بيجيريا مهددة بمعارضة يوروبا (في الغرب) ، والايبو (في الشرق) والهاوسا في الشمال ، وفي كاساي في المراك القائم بين اللوما واللوبوا ، وفي رواندا بين الهوتو واسيادم التوتسي حيث ذهب الوي القتل . وتعد اللهبات واللغات هو عامل من عوامل الفرقة . هنالك اكثر من ٦٠٠ لهجة ونحبة في افريقيا تتقاسم سكان هذه القارة ، و ٧٠ لهجة في الفلبين و ٣٠ لغة في اندونيسيا ، و ٦٠ لغة في الهند ، و ٢٥ لهجة صمري دارسة بين ٥٠٠ ٥٠٠ من السكان ، والكل يعرف جيداً اللعب الذي تميزت به مقاومة التامول في غزة ١٩٦٥ ، في جنوب الهند ، ضد سيطرة « اللغة الهندية » .

كذلك علينا ان نحسب حساب الديانات المتعددة المرفقة . بن السوسو المسيحيين والاقوام الاسلامية في الفوط دمالون في الفيني ، والدوغون في الشمال والموليس في مالي والمسلمين والهندستانيين في شبه القارة الهندية ، والكاثوليك واليهوديين في جنوبي السينام والبوديين النورمين والكارنز المسيحيين وغيرهم . وبعض الشعوب لماني القسمة الى هذه اجزاء وفروع غير الحدود والتضم المصطنعة : فالاشانتي مورعون بين عانا وشاطي العاج ، والنانتر بين الكامرون والفيني الاسانية واللغاون ، والامويه بين غانا والنوغو . ومعارضة الائمة والرهان البوقيين والبراهما الذي كثيراً ما وقفوا ضد الاصلاحات ، وقد اتحدت منب الارستوقراطية المحلية في آسيا اداة لتوطيد نفوذها وكذلك الرعاء التقليديون في افريقيا السوداء ، ولا سباً في هذه المقاطعات التي استخدمت كل الوسائل لدي ، للاحتفاظ بسلطانها ونفوذها .

حيث الاعتادات التي قسما الغرب
ان هدم تكاليف المؤسسات والظروف وهدم مطبقتها للاوضاع ،
رده حرجاً هدم كفاءة موظفي الادارة . فباستثناء بعض
الملكيات البريطانية ، حيث كانت السلطات المستعمرة قد اخذت مختار من ابناء البلاد ، ليس
مفار الموظفين فحسب ، بل ايضاً ملاك موظفي الضفة الوسطى والعليا ايضاً ، كما جرى في
الهند وسيلان وباكستان ، فقد جرى استبدال موظفي الاستعمار بموظفين جدد لم تتوخر فهم
الكفاءة والتدرة والقدرة على تحمل التبعات والمسؤوليات ، وبسياسيين تم اختيارهم من قبل
جاهل جامعة أمية لا تفقه احياناً مسمى للاقتراع والأصوات التي يعطونها . ولم يلبث ان قامت
في البلاد طبقة من ممثلي السياسة ، يهتم في الدرجة الاولى ان يفيدوا الى أقصى حد من الوظائف
الموكولة اليهم ، ويقومون بالامتناع والاعتصام والإفساد . وتعد موظفين يحب وده اسماً الى
المرجع والهيئة التي توليها الوظيفة الحكومية لصاحبها وفقاً لما خبروه في عهد الاستعمار . كما
ان بعض القطاعات كالفصاع الاقتصادي مثلاً يقوم بنشاطاته ويحتكر الوظائف فيها موظفون
من الاقليات الاصلية . من عرب وصينيين وماليزيين ولبنانيين واوروبيين من أصحاب
الاختصاص او من اصحاب رؤوس الاموال . فالوظيفة والسياسة هما الملكات الوحيدتان

الفتوحة ابوابها للنخبة في هذه البلدان الآخذة بالنمو والرقى. فالوظيفة هي وصانعتهم الكبرى. ويشير ر. دومون الى ان في البلدان التي تتكلم الفرنسية في افريقيا الغربية أكثر من ١٥٠ وزيراً، وبضع مئات من وكلاء الوزارات، وعضمة آلاف من الاعضاء البرلمانية يتقاضون مرتبات اعلى من المرتبات المقطوعة لاهضاء البرلمان البريطاني. فالمليون اندي لا يتجاوز عدد سكانه ٤٥٠.٠٠٠، بعد ٦٥ قائماً، اي نائب لكل ٦.٠٠٠. فليس بعريب قط والحالة هذه، ان تسهلك مرتبات الموظفين، القسم الاكبر من واردات الخزينة (٦٠٪ مثلاً) و ٥٦٪ (في السنغال). ن. بلداً سكانه ٧٥٠.٠٠٠ نسمة كالكونغو برازافيل وميزانته العامة هي اقل بكثير من موارد عخرن كبير من المخازن الكبرى في باريس، فيه محكمة سدوف، ومجلس شورى لدولة، ووزارات وله سفارؤه ومسديوه في الأمم المتحدة. والتكاليف العسكرية فيه عالية جداً بحيث تهدد تعذية روح المنتج. ومهما يكن فهي تحسول الاعتمادات والموظفين عن النشاطات المنتجة.

بين هذه النفقات التمشيلية، تأتي النفقات الخاصة بقصر الرئاسة في ابديجان الذي دخل في بناءه ٢٥٠٠ طن من لمرمر استورد من ايطاليا بالطائرة ٩ مليارات فرنك (مقطوعته الكهربائية (بين قنور وقنير وتيرة ونقل) تزيد على استهلاك مدينة قرصية سكانها ٢٥.٠٠٠ من الطاقة الكهربائية).

وجدت هذه الدول نفسها تنعم بمهار اداري متحاور كثيراً طاقاة دخلها القومي وبسبب لتدويراً يدعو للشك والريبة في النفقات العامة. ثم ان هذه النورحوزية الادارية تؤلف من اعضائها طبقة مختارة، او رستوفر طلبة جديدة عنية تقطع من القطاع المنتج، منافع بشرية ومالية صغيرة. فهي تلتذون مرتبات عالية شبيهة بهذه الترميضات التي كان يتناولها كبار الموظفين في العهد الاستعماري، ويعمل فيها عدد من الخبر، الاميركيين والاوروبيين لهم داراتهم وحشهم وسبارتهم وسائقوهم وكلها على حساب مبرانية الدولة. وهي ادارة كثيراً ما تكون فاسدة محتلة يسمى الكثيرون بين افردها للوظيفة ذات المرتبات العالية في البوليس والجرك والاشغال العامة او الدوع الوطني ويستشهد شيمودي بالجيش في لاوس الذي تدفع له الولايات المتحدة مرتباته، واكتشفوا ان ابلع النهائي كان يضاف اليه «سبوا» ١٠٪ من قيمته. ثم ان سرعة تقلبات الوردات وعدم استقرار الوظائف صغيراً ما حدا بأفراد هذه الطبقة الموحمة على السلوك مسلطاً «مهاجرين محتملين» فيمكنكون التوارد المائي السريع العطش في بلادهم وذلك بتحويلهم مدرتهم الى المصارف لاحتياصة بحيث يكونون عمالاً ما عقب هم القدر. ظهر الجهن.

الرجح القومية يقوم صراع هيبدين الاحزاب القائمة في البلاد والتي لا تصاححها على الغالب تسير عليها وليست في الحقيقة سوى سوق بلنفاصة بين رعايها. فالنشاطات التي تنعقها هباء مذكوراً، والفساد الذي يحول دون اي اصلاح يحاولون القيام به،

وعجز السلطة عن تنظيم الانتاج او على انتهاج سياسة لا تأخذ بالوجود ، كل هذه الامور أدت الى سد المؤسسات القبلية وحرية تشكيل ممارسة وتعدد الاحزاب ، باعتبارها اموراً كالبسة زائدة لا طائل تحتها وكأجسام حطراً . هي سبيل تكوّن طبقات شعبية وبعث روح القومية بينها ، وفي سبيل تطويعها وبعث روح النظام والانتظام فيها وتعودها على الدبل وروح التضحية التي يقتضيها تطبيق المشروعات العامة ، وفي سبيل تأمين التوازن بين المصالح والمفصل في المشكلات القائمة ، وفي سبيل تحويل هذا التركيب الاجتماعي الذي لا يساعد كثيراً على التطوير الاقتصادي وعلى تأمين النظام السياسي في البلاد ، لا سد من قيام سلطة قوية لا تستطيع ان تمنح بتأييد الجماهير الشعبية لا باعتبارها مثالية هليا تهدف الى تحقيق ، قد تكون الروح القومية في آسيا او المثالية الزنجية او الافريقية في افريقيا ، التي تساعد على انجساد السبيل الذي يؤدي الى « الاشتراكية الافريقية » والى الديمقراطية الآسيوية ، لحظة . كل هذا مروج من الايمان بالتقاليد التي سادت العصر الذهبي السابق للاستعمار ، ومن لطالة بحق السير حالاً في طريق التطور ، وبالشعور بالحرمان والتعدي الذي يمثله مظهر سول المتطورة والارادة الصريحة بالتمييز بين العصرية التي تضم الاقتباسات التي رقع عليها للاختيار ، والاستغراب الذي يكون اساساً ، شكلاً جديداً من اشكال التعبير

الانظمة الجديدة وهكذا يرى كيف ان البلدان التي استقلت جديداً عام ١٩٥٠ سدت جانباً مبادئ الحرية والنظام البرلماني : اما فجأة بعد انقلاب عسكري مفاجيء ، واما مداورة بعد ان ادخلت على نظامها لاصلي تعديلات حاربت معها التوفيق بين مؤسساتها وبين الواقع ، كما حدث مثلاً في الكونغو برازافيل حيث نوال على البلاد ١١ دستوراً جديداً بين تشرين الثاني ١٩٥٨ وكفون الاول ١٩٥٩ . ومن ميرات هذا التغيير هو عدم الانحياز بشيء ما الى الديمقراطية في حد التصريح الطويل مؤلف من ٣٣٠ كلمة الذي انتهت به مداولات مؤتمر بانديونغ في نيسان ١٩٥٥ ! واخذت تهرز اكثر فاكثراً ، طدة جديدة من القادة الوطنيين تتمثل بالاحسن في هؤلاء العسكريين الذين يأخذون على انفسهم عبارة الفساء وقديس الامة ضد التفتت والانحلال ، وهم على الدالب خصوم الاقطاع واعداء الارستقراطية ، كما ترى في اميركا اللاتينية مثلاً ، وفي بلدان الشرق الادنى ، وبماولون النهوض بالشؤون الاقتصادية وتطورها ، الا انهم مناهضون للديمقراطية في الصميم ، وقاصوا بكونون بنائين حقيقيين . وهناكهم في الدفاع عن النظام ، كثيراً ما حلهم على كبح حركة النمو في اوقت الذي يمثلون مبرامية الدولة مطالب عرزح الدولة تحت ثقلها . فقد سكنت آسيا ودول الشرق الاوسط حتى الآن حير مثال على الانقلابات العسكرية . هي عام ١٩٥٨ وحده حدث انقلاب عسكري وتحسد بين سوريا والجمهورية العربية المتحدة ، واصل الى السيطرة اللواء قاسم في العراق ، والمارشل ايو خان في باكستان ، واللواء عدود في السودان ، والجنرال نه وين في بورما ، والقواء النظام التمثيلي في فيلاند على يد المارشال ساريت . هي عام ١٩٦٥ كانت الزردة التي

شكلها الرئيس عبد الناصر نغم بين اعضائها عشرة عسكريين من اصل ١٢ عضواً ، كما انت وزراء الاقتصاد والشؤون الاجتماعية الثانية في حكومة بوري التي اكتمل تأليفها في اواخر سنة ١٩٦٤ ، كانوا كلهم عسكريين

وعندما لا تتحول هذه الثورات او الانقلابات العسكرية الى حكم دكتاتوري ، فهي تحول على العكس ، الى نظام حديد لا يتميز كثيراً ولا يختلف عن هذه النظم التي قامت في بلدان اخرى بصورة شرعية ، قد يكون نظاماً رئاسياً على شاكله الكيالية في تركيا او على غرار الديفولية التي هرعت بمهرة كلية ، ان تمارج بين انفصال السلطات وتعاونها ، لغرض مجلس النواب على الوقوف موقف القبول والصح ، (كما يقول بوشدين) 'يمهد معها الى السلطة التنفيذية سلطات استثنائية (وتعطى على لاختصاص سلطة مطلقة لحل المجلس كما تلقي مسؤولية الوزارة امام المجلس النيابي ، وهذه الشخصية التي تعطى للسلطة والتي تميد الى الظهور الصورة الغريبة للثورة لرئيس الحزب ، هي ظاهرة عامة تستعمل وحودها بالحرب الواحد . وهذا الحزب الذي يصدر عن ايدولوجيا وطنية يحتكر نفسه ، قسيل الجماهير ، ومهمته الاولى الكبرى هي تحقيق امراض حصار الامة في بوتقة واحدة . فهي تراقب معاً السلطة التنفيذية ومجموع السكان ، بفصل بشء حلايا او مربعات يبعد اليها ابدال كلمة السر والتأكد من الامتثال لها ، ومد الناخبين غلاكات على كل المستويات ، وتأمين مراقبة لرأي العام . ورئيس الحزب الواحد الذي يئن السلطة ، قد يطلع احياناً من بين الأطر التقليدية كرماء فلبين على شاكله هوغو بواشي ، وموعدا ، وآرلوه ، او من صلالة ملكية ، على شاكله سيكور توريه او الامير سيهانوك ، والامير سوفانا موما في اللاوس

ان تركيب السلطة كلها بيد الحزب الواحد يمضي الى التصديق ان لم نقل الى القضاء الحريات العامة كما يمضي الى إلغاء الصيانات الدستورية ، فاصحافه 'تراقب او يجري كم ، تنكاز حوادث التوقيف الاحاراري والسجن الكيفي ، و 'الكشف عن مؤامرات ' وبفصل قانون الطوارئ الذي يعطي المجلس سلطات واسعة لحري تصفية المعارضة بصورة عنيفة ، بالقضاء عليها او بامتناعها ، او بوضعها في حالة ترقى نفسها معها عاجزة قداماً عن العمل بالطرق الشرعية بفص التلاعب بالنظم الانتخابي ، لا سيما عن طريق العمل بنظام الاكثرية ، على اساس لائحة وطنية موحدة او عن طريق الضغط الاداري .

مشكلة الاستقلال الاقتصادي

استطاعت الدول لاستثمارية ان تؤمن حضورها في البلاد ، ليس فقط روابط التنمية سياسياً وادارياً ، بل ايضا ، ولا سيما ، اقتصادياً . لكن جهة وسائل النقل كالمخطوط الحديدية والطرق والمراعي ، وتوجيه التيارات والتيارات التجارية التي تم

تنظيمها في الماضي وفقاً للاهتبارات التي تلقاها السياسة الاستراتيجية والاقتصادية التي يضعها المستثمر لم يكن من الممكن تغييرها بالسرعة المطلوبة ، كما ان البلدان الواقعة تحت الاستثمار تقوم في وجهها صعوبات وعراقيل كثيرة تقف حبر عثرة في سبيل تطورها نحو نظام اقتصادي مستقل ، بعد ان تكون عدة مصارف احتياكي ، تشمل بموهبا : كندرة رؤوس الاموال الثدية ، وعدم توفر الاختصاصيين واليد العاملة الموصوفة وبالتالي اضطرارها الى الاستدانة بشروط ثقيلة والزامات سياسية خطيرة ، والتعاقد مع موظفين اجانب لا يمكن استدناؤهم او اجتذابهم الا بأسجور مغرية وبتمويصات ضخمة الأمر الذي يبعث الرغبة في الموظفين والاختصاصيين الوطنيين على المطالبة برفع مرتباتهم لتتعدل وتستقيم كما يزيد في كلفة إعداد الأطرو والملاكات اللازمة لإدارة البلاد في المستقبل . والتعليم الثانوي في بيجيريا يكلف ثلاثين مرة دخل الفرد في جميع البلاد (مرقين في الولايات المتحدة الأميركية) والتعليم الجامعي من ثلاثة الى خمسة اضعاف كلفته في أوروبا .

ومن جهة أخرى ان لتقسيم الدولي للعمل (من عائلات العهد الاستعماري) وارتباط المستعمرات القديمة بالظروف المتحركة يحملها في وضع غير ملائم : فهي تنتج محصولاً او بعض المحاصيل الخام اسعارها عرضة للتقلب ثميل باستمرار الى الخسوط . والحال ان معظم هذه الفلال والمحاصيل تنافس بعضها البعض وسعارها ترتبط الى حد كبير باندول الصناعية الكبرى التي تختار من بينها ما يتفق ومصالحها بينها تزودها هذه الدول بالعتاد والأجهزة التي لا غنى لهذه الدول الجديدة عنها . وهي ترى نفسها مشدودة واكثر ارتباطاً بأسواقها من ارتباط هذه الاسواق بمناطق تجويتها . فالكامرون الذي صدر عام ١٩٥٩ ، نحو ٥٣٠ ٠٠٠ طن من الككاو بقيمة ١٠٠ ٠ مليون فرنك بمركز المستعمرات ، لم يصدر من هذا الصنف ، عام ١٩٩٠ سوى ١٠٪ زيادة عن تلك القيمة ، اي ٥٩ ٠ ٠٠٠ طن لم تعد تغطي سوى ١٠٠ ٠ ٠ مليون فرنك . والحال ان هبوطاً يلحق أحد المحاصيل المعدة للتصدير ، يكفي لانهاء امساعدة المنوحة ، سنة او عدة سنوات .

ويحدث بصورة عامة شيء من الخبوط او النزول في شروط المادة على حساب البلدان المصدرة للنتاج الزراعي والمستوردة للمواد الصناعية . وسبب ذلك هو ان هذه المحاصيل الاساسية تخضع لمراقبة شركات الاحتكار والتكتلات الدولية التي تشبه الى حد بعيد ، كما يقول فرسوا بيرو : دولة استثمارية فعلية ، (كاللاتيفيا في افريقيا وشركة الالهار المتحدة في اميركا الوسطى ، والركام في الكامرون ، والشركات الدولية في الشرق الاوسط مثلاً) . وهذه الوحدات الكبرى التي تشترك فيها دول عديدة مركزها الرئيسي في إحدى الدول الصناعية الكبرى ، باستطاعتها ان تسيطر على استثمارات مهمة جداً في البلدان التي كانت من قبل مستعمرات لها ، انما تفرض رفضاً باتاً دماجها في الاقتصاد القومي ، فهي تربط كل ما لها من نشاط بالسياسة العامة التي تنمها في هذه البلدان ، دون ان يكون لها اي علاقة او ارتباط

بالاقتصاد المحلي ، فهي تراقب الانتاج وتتحكم به ، وتدخل مع الدول الاخرى في منافسات دون اي اكرات منها لسوء هذه الاقطار او لمصالحها الخاصة ، كما انها قلما تعود تستثمر الربح الذي تربحه في البلد الذي يقع فيه الاستثمار .

فليس من عجب ، بعد هذا ، ان تبقى هذه البلدان ، باستثناء البعض بينها بما حالها الحظ ، كغابون مثلاً والعيليه ومالي وبورما التي استطاعت ان تتخطى مراحل التخلف الاقتصادي ، لتسكن في ذات لارضع التي كانت لها في عهد الاستثمار وان يتولى مقاييد لادارة فيها الاشخاص دائم في العهد الاستعماري ، وللاستقلال الشرعي قد لا يكون سوى تمهية تختفي وراءه قبضة المستثمر الاقتصادية ، كما يؤكد ربيه جاند رم ، فالدولة استعمرة القديعة لا تزال ماثلة حاضرة بشكل عسوم ، كما يرى ريفار . فانتيارات التجارية تبقى على انصافها نحو البلد الام ، سواء في تونس والمغرب ومالي والعيليه نفسها التي بشرت ، اذ ان ٧٤ بالمائة من صادراتها عام ١٩٦٠ تقع في منطقة الفرنك . فما عسى ان تكون موريتانيا مثلاً وما عسى ان يكون مصيرها لولا استثمار شركة ميندورم لمناجم الحديد الواقعة في حصص عورو ؟ الم يثبت ربيه جاند رام ان الاقتصاد القائم على النقل ، لا يزال قائماً دونما تغيير تقريباً ، في جمهورية مالاغاش حيث الشركات نفسها تؤمن تصدير المحاصيل الاستوائية وتشتري الحاجيات المصنوعة وحيث الشركات الثلاث الكبرى الساحري مدرنيم والهايرز والسكندريه انست افريقان لا ينفقت بها بينها اتفاقاً مشتركاً عوجه العلاقات التجارية بين هذه الجزيرة الكبيرة وبين فرنسا ، وحيث الشركات الكهربائية الخاصة ، تفرض ليس تعرفه مفترة فمحسب ، بل انها توصلت الى فرض تعرفه تصاعدي ، معرفه بذلك للفشل الذريع ، كل محاولة لتصنيع

يجمع عن ذلك انخفاض البلاد لعمودية او لتنامية لا خلاص منها الا بواسطة التصنيع . فإلى عدم توفر رؤوس الاموال ورحسالة الاحتصاص والتقنين يجب ان نضيف منافسة البضائع الأوروبية او الاميركية ، وضيق السوق الداخلية الناجم عن تجرؤ البلاد الامر الذي يجعل بحكم المستحيل استثمار أي مشروع رابع

الى هذه الشوائب او المواقص ، يجب ان نضيف كذلك قطاعاً ثالثاً أخذ بالازدياد والاستفحال يتعذر معه كل انتاج ، شبكة من الاجور والمرتبات التي تصدع الحاطر بما فيها من تفاوت ، ونفقات السيادة والادارة الماهظة والتي لا تحمل فيها لاعتبارات المخصصة للتجهيز الا محلاً زهيداً مع انها باستطاعتها وسعدها تأمين رفع الدخل القومي .

الاستعمار الجديد
هذه الروابط التي تشد هذه البلدان الى الدول الصناعية تخلق علاقات تبعية ووطئ تنتج عن هذه التفاوت العظيم بين التشكيلات الاقتصادية في هذه الدول والبلدان التي تألت استقلالها حديثاً . فهي تجعل غير ذي جدوى التدخل المسلح كما كانت يجري في الماضي ، لا عند الضرورة القصوى ، كالحالات التي وقعت في الفيتو واهريقيا الشرقية وكومور ليوبولدفيل ، عام ١٩٦٤ ، و ١٩٦٥ . ومنها تكن وسائل التنمية المستعملة

لتمطيتها ، او الاحتياطات المتخذة لتجنبها فهي تلبيح بدول للصناعية الكبرى ، ان تحافظ
اقله جزئياً ، على مواقعها الممتازة وان تفوقها حتى انها تحقق مقايير جديدة .

فلاستثمارات الخاصة غير كافية وتبقى هائبة محدودة ، إذ ان منها الاولى تأمين الارباح
بأسرع ما يمكن وإخراج هذه الارباح خارج البلاد ، ولذا سيطرت على الاستثمارات التي تقوم بها
الدولة . وهذه الاستثمارات تزرع ، على الغالب ، تحت شروط صعبة مستترة . فالانقذات
الاقتصادية للثانية ، سواء أكانت لتثبيت سعر النقد او امتيازات جمركية ، او إعانات للتصدير
او تمويلاً مالياً تخفي وراءها دوماً مقادماً . وكذلك قل من الهبات والسلفات التي تعطاها
الدول الجديدة ، إذ تترتب عليها ان تقابل هذه الهبات بتمنازلات تمكنها من تشديد مراقبتها
لاقتصاديات البلاد والتحكم بها : كامتيازات جمركية وصراغية ، والتعهد بتخصيص هذه الهبات
والقروض لشراء حاجياتها من البلد الدائن والتعهد بعدم اللجوء الى التأجيل او المصادرة ، وإطلاق
الحرية لاصحاب تصدير رؤوس الاموال ولارواح الى الخارج (وهي وسيلة اخرى من وسائل الضغط
الدائم على النقد) ، وهو نظام اولوية على الاستثمارات (وبذلك تستطيع الحد او الحؤول دون
إنشاء صناعة متوازنة في البلاد) . وهذا « الاستثمار الجديد للدولار » يستعمله اليوم وقلباً
اليه كل الدول الصناعية التي أسست في هذا السيل مؤسسات مصرفية خاصة . وكثيراً ما
يفرضون مع هذا كله شروطاً سياسية ترمي في أكثر الاحيان ، الى منح الدولة الجديدة من
« الانتقال الى المسكر الثاني » (هذا هو القرض لا كبر من العمون المسكري او المالي الذي
تقدمه الولايات المتحدة الاميركية) وهو تأمين مصادرة البلاد المستعمرة القديمة في المجال الدولي ،
لا سيما تأمين صورتها في لامم المتحدة ، كما هي الغاية الاساسية من المساعدة التي تقدمها الحكومة
الفرنسية . واكثر من ذلك فقد أكدوا انه في حال عدم تحديد الشروط السياسية بشكل واضح ،
فالبلد التي تطلب المعونة المالية ، تدرك جيداً أي تصرف يجب ان تملكه بحيث لا يقابل
طلبها بالرفض . ان لائحة البلدان التي استفادت من العمون الاميركي المالي هي هذه الدول التي
تتمتع بمركز ستراتيغي على طول حدودها مع الاتحاد السوفياتي ، والعكس بالعكس ،
والأمثلة كثيرة من هذه الدول التي رفض طلبها المساعدة لحرصها على استقلالها كمصر عام
١٩٥٦ ، والعيبي عام ١٩٥٨ ، اذ رفض طلبها فجة . والعين رأيت كل الفتيين الروس يغادرون
ارضها عام ١٩٦٠ كما ان اميركا أنقصت مساعداتها لماكسندن ولسبلان . كما ان انضمام الدولة
الى مجلس نقد قوي (كاللدار والجنيه والفريك) من شأنه ان يسهل انتقال الارباح وخروج
رؤوس الاموال الخاصة التي يربحون في اسواقها في الخارج .

اما التعاون الذي يقيم بارسال خبراء وفنيين كالمهندسين والاطباء والاساتذة والاصباط
(لتنظيم الجيش ومدته بالملكات التقنية) او عن طريق تخصيص منح دراسية لطلاب الطلاب الى
جامعات البلاد . فالهبة البارزة هي العمل على نشر لغة الدولة الصناعية ، ونشر منتجاتها
(والتصدير بولد التصدير) كما يقول لمثل الانكليزي وبذلك يشتد نفوذها على الملاكات الوطنية

التي تلقت تمحيصها في هذه الدول . ففي عام ١٩٦٤ أرسلت فرنسا أكثر من ٢٠.٠٠٠ من خرمها الى هذه البلدان الجديدة على أساس التعاون القسي ، منهم ١٠.٠٠٠ الى المغرب وحده .

فاذا ما ساهم عدد من الدول المتطورة في هذه المساعدة على تنوع مظاهرها ، والدول التي تلعب الدور الأهم في هذا المجال هي الولايات المتحدة ، من جهة ، والاتحاد السوفياتي والصين ، من جهة أخرى . والاعتمادات التي تخصصها الولايات المتحدة هي الأصخم والأهم ، الا انها أقل تأثيراً ، على ما يبدو . فهي تتوزع على عدد كبير من البلدان تراعى فيها بالدرجة الاولى أهمية الاستراتيجية . وقد تهرأ احياناً ، وانها تصرف ايسر في استثمارات منتجة ، بل على العالء ، في استيراد مواد زرفيهم بدخية بعيد منها على الاخص ، اصعب الصلفة الموجبة في السداد ، الامر الذي يزيد من القروض لاجتماعية بين السكان الملمونة « الشرقية » ، هي على عكس ذلك ، أكثر تنظيمياً ونسبياً . فلفا لرقدي طابع أهمية ، بل هي قروض طويلة الاجل (من ١٢ الى ٢٥ سنة احياناً) ، بدئمة بسيطة (من ٢ - ٢٤٥ ٪) مع شرط تصديدها بالعملات المحلية (دون مشاكل للتحويل او النقل) او انها تسدد بمتوجبات محلية لاسيما الزراعية منها لمحمد اسعارها لأمد طويل ، تستعمل هذه القروض دون ان يكون لها أغراض تجارية وتخصص لانشاء استثمارات صناعية ، تتولى ادارتها ، عند الفراغ من انشائها ، الدولة المستفيدة من القرض ، دون اي تدخل من قبل الاتحاد السوفياتي . وهذه القروض التي تكلف أقل بكثير مما تكلفه القروض الاميركية ، تبدو أكثر تجرداً في الظاهر ، وينظر اليها الناس بارتياح ، على العموم . اما العون الذي تقدمه الصين ، فهو الذي يحقق نجاحات أهم واكبر بالرغم من ضالة الاعتمادات المخصصة حالياً . فالصينيون الصييون مازمون بالتقيد بعيش مقتصد سكان البلاد الوطيين . فهم أكثر انصافاً بهم وأقل تطلباً ، ويستحوون وحده الشس في الظروف التي أحاطت بالصين هم ١٩٤٩ ، والظروف التي تعسالي منها الدول الجديدة . فهم مثال سي للصالح والتوفيق الذي لاقتنه « الطريقة الصينية »

ومهما يكن من الامر ، والدول التي حققت استقلالها حديثاً ،
تفضل هذه موائيق متعددة الاطراف ، على اتفاقات ثنائية
الاحراف ، حتى منها هذه الدول التي تنعم بموقع ستراتيجي
مهم يتيح لها ان تلعب بين الشرق والغرب سياسة مزاييدة او تأرجح ان توسيع حلقه
تربائى واجهدين تجعلهم في مأمن من ضغط الدولة المسيطرة التي يتعرضون لها . فالمساعي
التي يقومون بها تثير كلها في هذا لاتعد ، ولذا ينسب توقع بعض التراخي في العلاقات
التجارية وانخفاضاً في الاستثمارات التي كانت تشد في أعقاب استقلال البلاد - الدولة المستعمرة
الى مستمرتها القديمة . الا ان هذه الحركة لا تزال بعد بطيئة ، ونتائجها محدودة . وبدون
الاتفاقات التي تعدد مع منظمة دولية هي التي يرعى منها ان تخفف من « وحدة السيطرة »
التي تمكن لها الاتفاقات الثنائية . من المؤسف جداً ان تكون B / R / D المؤسسة الرئيسية

العلاقات متعددة الاحراف
الغزو - اوروربية

الوحيدة في هذه المجال ولا تتوفر لها مديغ طائلة ، كما ان الترويج الذي يفرضا هذا السك للتسليم دقيقة جداً وتقتصر المتخصص منه على عدد قليل ، بحيث يمكن وصفه بأنه لو كان مصرفاً عادياً ، فهو لا يملك سوى الاغناء . وقد انشأت المؤسسة C E E من جهة أخرى ، عام ١٩٦٠ ، صندوقاً خاصاً للتطوير الاقتصادي في أوروبا (Fedom) الذي يفتح الطريق أمام التعاون الأورو - أوروبي ، في إطار دمج شؤون هربيقيا الاقتصادية بالشبكة الاقتصادية الدولية C E E ، فتفتح لها أسواقها لتتبع محاصيلها ولتتواءم إنتاج البلدان الأفريقية بأسعار مربعة إلا ان هذا الدمج قد يعرض الاقتصاد الأميركي - بالنظر للتفاوت الكبير القائم بين لوائح الاقتصادية من كلا الجانبين - لبقاء ، مدة طويلة ، في وضع البلدان المنتجة للضامات والمواد الغذائية ، وبالتالي يؤخر ، الى ما لا حد له ، عملية فصل الدول الأفريقية . ومن شأن هذا الوضع ان يعمي ، الى تكوين كتلة دولية ثالثة تخضع لسيطرة أوروبا شبه ما تكون « بشرية الحساب والفارس » كما يقول سيكو توريه ، وه الشكلا لأبرر والصورة الأوضح للاستثمار الجديد .

النتيجة

من هذه الحلول الكلاسيكية الثلاثة المعارضة التي من شأنها ان تؤمن سرعة النمو ، وبالتالي ، الاستقلال الاقتصادي لهذه الدول الجديدة ، حل هو الاكتفاء الذاتي ، يجب ايماءه وطرحه حاسماً باعتباره لا يمكن تطبيقه ولا احد يرغب فيه ، وحل آخر هو التتطيط من النوع الاجباري ، سوفياتياً كان او صيدياً ، وهو حل تعرضه كل الحكومات تقريباً ، وسيبقى الحل الثالث او الأخير ، وهو التوحيد الذي يمسدو مدعاً في أفريقيا ، في مجموعات اقليمية كبرى . وفي هذا الاتجاه تمير كما رأينا - ولو مدطه - الدول الأفريقية لتتعلق وقد لاحظ انه بعد عام ١٩٥٥ ، لا يزال روح مؤثر بادوم حياً نشيطاً ، بالرغم من الاختلافات العميقة التي باعدت بين مصر والاردن ، وسوريا وتركيا ، والبراق وفرن ، والباكستان والهند ، وأفغانستان والباكستان ، والمغرب وجمهورية الجزائر الشعبية ، وقبونيا والصومال ، وقوس والجامعة العربية ، واندونيسيا وماليزيا ، الخ . هذا الروح الذي تحلى بكن رصوح خلال أزمة السويس عام ١٩٥٦ ، وبدا للجميع ان سيطرة الغرب على آسيا وأفريقيا ، لا يمكن لها ، من الآن فصاعداً ، ان تستمر او ان تدوم طويلاً حيث لا تزال قائمة .

فالفرار الديني والصعوبة ، والأطباع التي يفرضها رعيم هذه الدولة ار داك ، والاتجاهات المؤاتية للغرب او للشرق او للصين وبالرغم من هذا الحياء الايجابي الذي يعنون عنه غالباً في كل مكان ، قد اضعفت كثيراً اروابط التي شدت العلاقات الأورو - آسيوية ، هذه العلاقات التي تربط

هذه الدول والتي من شأنها ان تلعب دوراً حاسماً في الأمم المتحدة ، لو عرفت ان تؤلف منها كتلة متأسكة ، فالحرب بين الهندستان والاتحاد السوفياتي ، والاختلافات النظرية بين الصين والاتحاد السوفياتي من شأنها ان تقسم ، اكثر فاكثراً ، هذه الاختلافات الناشئة بين هذه الدول ومن جهة اخرى ، يتنازع مؤتمر بانديونج بشدة على الحيد لايجابي وعن التضمن المتبادل فيما بينه وبين اوروبا ونجاء الاستثمار الذي لا يزال فاشطاً ، فجهود الدول الاخرى - آسيوية تتجه نحو الوقوف في وجه الاستثمار الاقتصادي الجديد . هذه ان وضع حدّاً تقريباً للاستثمار السياسي ، أخذ لنا موضوع للاستثمار ، يعون ، اكثر فاكثراً ، المشكلات الجديدة المشتركة بين الدول المتخلفة اقتصادياً في العالم الثالث : مقاومة لاستثمار الاقتصادي الجديد عن طريق تشجيع التصنيع ، وبالصالح الزراعي ، وزرع السلاح . ولذا نفس كتلة الدول الاخرى - آسيوية الى التوسع والامتداد بحيث تملأ دول اميركا اللاتينية التي كانت بمنح دورها تنوي ايفاء مثلي عنها الى مؤتمر بانديونج الثاني ، لقرار عقده في حزيران ١٩٦٥ ، في الجزائر . وبالفعل ، ان الدول المتخلفة اقتصادياً ، تتأرجع اليوم وتتمرج ، ليس بين كتلتين بل بين خمس دول كبرى : الاتحاد السوفياتي والصين والولايات المتحدة الاميركية ، وبريطانيا وفرنسا ، وهي اكثر تشعراً بمصالحها القومية الخاصة التي تتعارض فيما بينها - من دكرات صراعها وحيدتها الماضية ، ومن رعبتها في تحرير شقيقتها التي لا تزال ترسف تحت نية الاستثمار الا ان مؤتمرات القارات الثلاث الذي انعقد في هافانا ، في مطلع ١٩٦٦ ، والذي حضره اكثر من خمسمائة مندوب يمثلون الحكومات او الحركات الثورية والذي كان من المتوقع ان يكون حارس بركة روجه الماضي ، كان ولا شك ، تشجيعاً قوياً لحركات المقاومة ، حتى المسلحة منها ، تقوم بها دول المحكومة ، في وجه الاستثمار الجديد .

انطلاقة العلوم والتقنيات

تمثلت قدرة (الإنسان) على تنظيم مدارفه والاستفادة منها تملطاً مجرداً ، وتمثلت. ممياً بيطرته على الطبيعة وعلى نفسه ... ذلك هو التمسك الكبير في موقف الإنسان العام الذي توصل تدريجاً الى ، خلال السأفة عمل السر والتحليل الفيزيائي الكيميائي ومعالجة نتائج حسابية مثل الخرافة ؛ والفصل للدروس والخطط عمل وحدة -الفصل النظرية « .

(١ . ١ هـ)

« المجلة الفلسفية » تشرين الأول - كانون الأول ١٩٥٢

في هذا العالم المنقسم الذي تتجه به الاديولوجيات المتنافسة والاجناس للمعادية ، ليست المجتمعات والدول وحدها ما تطورت تطوراً هجيباً منذ أقل من نصف قرن ، بل الحياة الفكرية أيضاً ، التي تغير قوتها الخارقة عصرها والحاضر ، وعن طريقها « قوة الإنسان .

لقد حدثت ثورة علمية ثانية منذ مستهل القرن لا تقل شأناً عن ثورة أوائل العهد المعاصر ؛ ففي خمسين سنة ، حقق العلم نجاحات اعظم من كل ما عرفه تاريخ البشرية حتى اليوم . وهو قد وضع منذ اليوم يتصرف الإنسان وسائل طرح عبء المرض والبؤس والموت الذي ثقل عليه منذ آلاف السنين .

يبدو هذا العصر من ثم وكأنه عصر العلوم والتقنيات بالذات ؛ وقد أصبحت هذه الأخيرة في نظر بشرية القرن العشرين التي وعت شأنها وتطورها السريع جداً ، رمز حضارتها بالذات ايضاً . لا بل انها تشع في هذا المنصب افضل شعور بـ « استعجال التاريخ » ؛ فان الاختراعات والنجاحات التقنية تتوالى توالياً مطرد السرعة ، ولا تظم نتائجها الواحدة الى الاخرى بمن تؤولف كرة الثلج يزداد حجبا وقوتها ومفعولها ارضياداً مطرداً أثناء انتقالها . ومن جهة

ثانية ، افلا نرسم منذ الآن في أفق السنوات المقبلة ثورة علمية ولتقنية جديدة بلفضل نحو الطاقة النووية ؟

ارت هذا السير الممتظم الذي سارته المسارف البشرية والنجاحات
التقنية قد رافق في الزمان الانقلاط العالمية الكبرى التي تشكلت
الحروب والارمات الاقتصادية في هذه العقود الاخيرة ؟ وهي قد
اسهمت فيها لا بتقنيات التدمير فحسب ، بل بالنظرة الجديدة الى العالم التي فرضتها نظرياً
وعملياً . فعين يتكرر المتشائم لصره ، فاقا هو يرفض العلم قبل الحرب لانه يحمله مسؤولية
كافة المصائب الراضة اما نظرة المتفائل الى المستقبل فتستند الى الدفاع عن العلم والتقدم
التقني : ان العلم سوف يتغلب على كافة مصائب الانسانية . وعلى غرار ما حدث باث الازمة
الكبرى رافق العداء الآلية للعقلية ونظرة تشاؤمية الى مصير الانسان ، بينما ترتبط العقلية
المنافسة بصولية انسانية ، امامها المسئلة تعني ، وينتهي فيها كل قلق ميتافيزيقي بفضل سير العلم
الطليبي الذي يميز فاعلية العمل البشري وقدرة الانسان ، ويضع في حورته وسالسل تحسين
ظروف حياته ، وحتى مداها ، تحسيناً فعلياً ، والتخلص من خطر الدؤس ، ويتيح لكل فرد
تنمية شخصيته حتى اقصى حدود التنمية . ولكن البشر يشعرون بالقلق وعدم الاطمئنان ،
لا بالثقة التامة ، فان اختبار الحربين العالميتين والازمة الكبرى قد جعل الحياة البشرية تظهر
وكأنها مهددة ابداً بنجاحات العلوم بالذات ، لابل ان العلوم المنكوسة للمحافظة على الحياة
تبدد هي نفسها بحية للأمال ومشطة للمراحم . وفي مضمار آخر ، ترسم اليوم في عالم العمالي ،
ردة فعل غير منطقية ، مغزايدة الوضوح يوماً بعد يوم ، ضد التحسينات التقنية الاخيرة واضطراب
البطالة الجديدة لمهدة مجاهير المال الممكن الامتضاء همهم بعد اليوم بسبب احلال الآلات
عظيم . ومن هذه الزاوية ، يجب ان ينظر الى مسؤولية العلم والحضارة ومصائب العقود الاخيرة
في الضمير البشري ، والنظران مترادفتان ، لعل لا يقل الانحلال فان موضوع قيمة العلم
النظرية والعملية لا يتفصل بعد اليوم عن موضوع مصير الانسان ومعماء .

الفصل الأول

ثورة العلوم الطبيعية

١ - الظروف الطبيعية للبحث العلمي والتجريبي

ان الثورة الصناعية التي حدثت في النصف الاول من القرن
العشرين لنتيجة مباشرة لنمو العلوم والتقنيات ، ولا سيما في
الحقل الفيزيائي والكيميائي ، فليس من مصادف استطاع العيش
بعد اليوم بدون احزمة محترقة وموظفين فيزيائيين يكرسون كافة اوقاتهم للبحث . وسواء في البلدان
الاشتراكية ، حيث يسمى استثمار لاكتشافات العلمية وراء المعادلة الفورية القصوى ، مما في
البلدان الرأسمالية ، حيث تدفع المنافسة الوطنية ، ولا سيما المنافسة الدولية ، بصورة عامة ،
الى تحسين المصنوعات وبراءات الاختراع لتحسينها مستمرا ، ترى ان العام الصناعي الجديد عالم
متحرك في جوهره يخضع للحاج فيه لتقدم دائم ، ويخضع هو نفسه بدوره للتقدم العلمي بحصر
المعنى .

والحال ان الاجهزة التقنية وتمهيد المختبر يمدان رؤوس اموال كبرى لا تستطيع سوى
المشاريع العظمى توظيفها ، بحيث ان تأثير العلم ، اقله على بعض فروع الصناعة ، يبرز تأثير
التقنيات التي تشرع على انتاج كبير : فهو ايضا يحمل على قوائم المصروفات كبرى تضمن لنفسها
احتكار احدى الاسواق . وليس من باب الاتفاق ان توضع بعض الشركات الكبرى ابحاثها العلمية
على نطاق واسع .

يتصل التوتر الدولي المتزايد اتصالا مباشرا ومثابلا كذلك بالتقدم العلمي بسبب البحث
عن تقدم تقنيات التدمير قديما مستمرا . فتحت تأثير هذا البحث تتدخل الحكومات اكثر
فأكثر ، ولا سيما بعد السنة ١٩٤٠ ، في تنظيم ورقابة العمل العلمي ، ويستقي بالمقابلة للتحديات
العسكرية شطرها من الاموال المنهكة للبحث .

انتعرا ، ولا سيما منذ نهاية الحرب العالمية الثانية ، انصب في وجه العالم الغربي ، الذي

ينهم مستوى معيشة مرتفع نسبياً ، حرره كسر من الكثرة لارضية يعتقد الى ازدياد من التفتية استمدح العرب من قبل ابداءه تحت سيطرته . وقد فرض تزايد السكان في مختلف مناطق العالم والوعي القومي او الاجتماعي انهي برر عند هذه الشعوب غير النامية المختبة نحو الشيوعية ، انتماء شطر الانسانية المتميز الذي طلب من العلم حل امثائل خطيرة التي اثارها هذا التمرد . ولكن العلم والتقنيات التي افاح تقديمها قد فرضت معها على انتباه الجميع بصورة مستجيبة جليلة . فهي لم تعد ، بفضل نتائجها الوفير ، لتحتضن بطنقة ممتزة محدودة من المجتمع بحسب ، بل بمجموع المجتمعات المعتمدة . لقد عرت ، لاكتشافات التقنية الحياة اليومية اكثر فاكثراً كبرياء فحة ، سبها ، تجهيزات منزلية . . . ، وبدت تطورها السريعة ، في كل حين ، اطار الحياة المادي ، اذ لك هذه الابتكارات العلمية والتقنية الاخيرة تختص بالعالم كله بعمل الانعكاسات التي تسمى بمعدوثها في مستقبل ليس بعيد . وهذا ما يفسر لنا الانعكاس العظيم الذي تصادفه صحافة ومثورت تترسخ جميع لمرحلة العلمية ، ونحو لون ادبي قصا طرق حتى اليوم هو العلم - خيال ، الذي يشدد فيه على الساجية الخفية لآلة ، والناحية الجيدة قارة اخرى ، في مستقبل الحضارة العلمية .

مبتدئ العلم ، لقد زل مثال العالم لمفرد العامل بدافع حمة العلم الصحيح . فان تطورات العمل العلمي لدخلية ، وتعدد فروج البحث ، وتزايد عدد الباحثين اللازم لادارة الاسحات في حقول مختلفة مترابطة ، قد اعطت هذه اهم طابعا جامعيا . وقد قدر الباحثون في اخر القرن التاسع عشر بـ ١٥٠٠٠ في العالم اجمع ، فيها بلسخ عدهم ، في السنة ١٩٥٤ ٤٠٠ ٤٠٠ باحث على الاقل يجدر ان يضاف اليهم كل من يقوم بأعمال علمية خارج البحث الصرف . ويكرس شكل من هؤلاء نفسه لمهمة محصورة قسراً تخطيطاً وتنسيقاً مع مهام الآخرين حتى يكون لها معناها وفعاليتها . وقد ادت الحرب العالمية الثانية الى زيادة كبرى في عدد الباحثين والى تقسيم العمل في داخل هذا العلم ، واخضع اخيراً قانون السرية الى قدرات التخصص .

ومن جهة ثانية ، لم يلبث هؤلاء الباحثون ان ارتبطوا ارتباطاً وثيقاً بالتنظيم السياسي والاقتصادي والاجتماعي ، اوحته اعتبارات مالية في الدرجة الأولى . فان المسام ، الذي تقع رصاً طولاً بحره مطلقاً قد انتهى ، شاء ام أبى ، الى الارتساق بين يوفره الاموال اللازمة لارصته اعماله . وهي الدولة على العموم ما قد بالمال الجامعات ومراكز الابحاث العلمية ، ولكن الم شروع الأعمال ، خصوصاً في الولايات المتحدة ، يقدم كذلك المساعدات للجامعات او للمعاهد والمختبرات الخاصة لمقطعة مباشرة بالمصانع . وبعد السنة ١٩٤٠ ، تدخلت الحكومات لا من اسل التمويل بحسب ، بل من اجل رقابة الابحاث حتى تلك الجارية في اطار الجامعات . وكانت رقابتها أكثر شدة اذا تعلق البحث بالدفاع العسكري ، يضاف الى ذلك ان كل شيء سافر في النهاية اهتمام الحكومات في جو الحرب الباردة بعد السنة ١٩٤٧ والقلق الذي عاشت

فيه الدول ففي الولايات المتحدة مثلاً أصبحت العلوم الاجتماعية نفسها ، بمعظمها ، في أيدي الحكومة . ولذلك فمن أجل بحرية الولايات المتحدة الأمير صكية اجري التحقيق ، « جعلت قيادة ، ورجال ، « ومن أجل دوائر مستعلامات الجيش الأميركي اجري هذا التحقيق الأخير ، « الجندي الأميركي ، « . أما الغاية من هذه التحقيقات فهي إتاحة معرفة الرجال بغية اختيار المهمة الراحب اسنادها اليهم ، وقد اقيمت سرية في بعض الحالات .

يُعدّ العالم شيئاً قشيباً وسبباً التخلّص من ظروف النشاط هذه ومن كافة المودعات التي تستأجرها . فهو يعمل في الاطار لفروض عليه ، ويجيب عن الاسئلة التي يطرحها عليه مورخ الاعدادات والتي تعين محد داتها اتجاهها حاصلاً للابحاث يدعي الى الموضوعية العلمية ، في العلوم الانسانية بصورة خاصة . وان امتحان « الولاء » الذي يجسّص به العالم في بعض البلدان يضطره الى اختيار صلاته ، ولإعراض عن بعض مصادره العلمي ، والامتناع عن التعبير عن آرائه .

ومن جهة ثانية استتبع تدخل الدولة ولشاريع الخاصة في تنظيم البحث العلمي ، منذ نصف قرن ، تبدلاً هاماً في مراكز الأبحاث . فهي قامت ، في السنة ١٩٠٠ ، في البلدان الأوروبية القديمة التصحيح . بكاليفورنيا ، فرنسا ، ألمانيا ، ولم تمّ فيها بعد ذلك سوى عو بعضه . في حين أنها تمت غوراً عظيماً في الولايات المتحدة الاممركة من جهة منذ اوائل القرن ، وفي الاتحاد السوفييتي من جهة ثانية بعد ثورة السنة ١٩١٧ ثم زد الفرق بين هذه الدول المختلفة بالنسبة لتجهيز العلمي منذ السنة ١٩٤٠ وظهور الطاقة النووية .

يضاف الى ذلك ان لامحال العلمية قد خضعت خلال نصف القرن الأخير ، بسبب ارتداؤها بالتحاحات الاقتصادية والعسكرية ، لتنظيم بات أكثر تفصيلاً يوماً بعد يوم . فبينما حرص الاتحاد السوفييتي منذ البدء على ابحار واستثمار اكتشافاته العلمية التجاراً واستثماراً صوابيين ، فوحب ان يراجع الحرب صدمة السنة ١٩٢٩ وصدمة السنة ١٩٤٠ حتى يسلك طريق تخطيط مطرد النمو ، ومطرده السرعة بعد السنة ١٩٤٠ ، وقد تعددت آنذاك احمزة التلسيق والتوحيد على مستوى الدول ، واستعيد آنذاك دون تأخر من المعارف الجديدة المكتسبة . وبينما كانت الاكتشافات تتعلق اتفاقاً من دي قبل ، ولا تستثمر الا بعد سنوات طويلة ، وحتى بعد قرون احياناً ، بات اليوم « الفارق الزمني بين لاكتشاف وتطبيقه الصوابي المنظم على الحياة الاقتصادية اقصر مدى يوماً بعد يوم » . ولنا في الطاقة النووية خير مثل على ذلك ، إذ ان فصل الدواء عن الذرة تحقق للمرة الاولى في السنة ١٩٣٨ ، والاقبال النووي القيت على هيروشيما وناغازاكي في السنة ١٩٤٥ . وقد اشئت بعد الحرب منظمات دولية ، كالائوسكو ، معدة لتيسير استفادة العالم كله من المعارف الجديدة وتطبيقاتها المكتبة .

لا يسع العالم من ثم جعل رتباطه بالعالم بعد اليوم . يضاف الى ذلك من جهة ثانية ان بعض الاحداث ، كاستلام هنر رمان السلطة ، وارتداد المداء والمكرين لالان الذي كان يتبعه له ، ثم الحرب العالمية الثانية ، قد حملته يسهم في التاريخ اسهاماً قوياً . ولا يمكن ان يكون للسائل

لأدبية التي يطرحها على نفسه قيمة نظرية فعصب بالنسبة إليه . « إنها مسائل حيوية ترقى مستقلة كائنات » . وتحتل المسائل الأدبية التي يتوجب عليه طرحها على نفسه مكاناً أكبر يوماً بعد يوم في تفكيره ، لأنه لا يستطيع بعد اليوم الوقوف موقف لامبالاة من الانعكاسات العملية التي تقومها كتشفاته النظرية . إنه لوضع مقبوع أحياناً يبرزه مثل البير أبشتاين الذي أوصى المسؤولين الأميركيين بالعمل بنشاط على صغ القنبلة الذرية خوفاً من أن يصنعها النازيون قبلهم ، ولكك شذوب استخدامهما . وكذلك فإن مطاردة العلماء الألمان من أسهموا في الأبحاث الذرية أو الأبحاث المتعلقة بتوجيه القذائف ، التي نظمها الأميركيون من جهة والسوفييت من جهة ثانية ، والقاء القبض عليهم وأرغامهم على مواصلة بحاثهم لحساب المنصرين ، طير مثل كذلك على الاستمباد الذي يهدد السمك والفكر ، كاستثمار الملاحظات المجموعة خلال الرحلات الفضائية التي قدم بها كوبر وكونراد وقرانها لأهداف عسكرية أو أقله لأهداف « استعلامية » .

٢ - ثورة العلوم الطبيعية

بينما كان عم الحياة مركز المناقشات الفكرية الكبرى في القرن التاسع عشر ومشاراً لأهم النظريات طابعاً ثورياً ، تحققت أهم التحددات ، خلال القرن العشرين ، في حقل العلوم الطبيعية . ففي سنوات قليلة ، برزت ، تحت تأثير اكتشافات أواخر القرن السابق ، نظرية قلبت قواعده المعرفة رأساً على عقب . وبفعل ثورة الفيزياء هذه ، تبدلت العلاقات بين العلوم المنفصلة والمتعمرة بشكل واضح حتى ذلك التاريخ ، وزال التقسيم القديم إلى فيزياء وكيمياء وعلم تلك ، أو بالأحرى لم يبق عليه إلا اعتبارات عملية ؛ وقطعت وحدة العلم التي كان التخصص يهددها بالانقسام ؛ فكل هذه العلوم تتناول في الواقع المادة نفسها ، في آن واحد ؛ وفي الوقت نفسه باتت وحدة العلم والتقنية أكثر وثوقاً يوماً بعد يوم .

برزت إلى الوجود نظريات جديدة اثبتت من الاكتشافات أو بنيت على الحساب ، ثم تأيدت بالاختبار ، فقلبت المفاهيم التقليدية الفيزياء القديمة . الجديده

لذلك هي النظرية النسبية لأينشتاين ونظرية « الجزيئات » لماكس بلانك والنظرية التمهيدية للفيزياء دي برويل هسان اختبارات ميكسون وموري (١٨٨٧) التي اقضت إلى التخلي عن النظرية القائلة بوجود اثير مادي يملأ الفضاء ، قد حملت أينشتاين على أن يسلم في « نظرية النسبية المصورة » (١٩٠٥) بأن الوقت لا يرتدي طابع المطلق أو أنه لا يجري بالسرعة نفسها سواء كان المراقب متوقفاً أو سائراً بسرعة كبرى - وبأن الفضاء هو أيضاً قيمة نسبية . وفي « نظرية النسبية الشاملة » (١٩١٥) ، التي درس فيها الحركات المتزايدة السرعة ، حلص إلى القول بتعادل الحجم (m) والطاقة (E) ($E = mc^2$) ؛ فإن جسم يشع طاقة يفقد من حجمه ، وقد تحول المادة من ثم أعطائها الطاقة ؛ أما الذرة فليست سوى طاقة متكاثمة في نطاق صديق جداً ، وهي قابلة التحول إلى ضوء أو حرارة . وأهماد النظر

كذلك في سنة نيوتون بتقديره الدليل على ان الفضاء مقوّس في جوار الاحرام لوازسة ، ويرد بذلك النظريات الهندسية غير الاوقليدية ، وفسر بعض الظواهر الفلكية ، كشفوذ ماركور ، وطريقة وصول الضوء اليها من نجوم قاذرة وراء الشمس ، حين تنكشف الشمس .

ناقضت نظرية الجزيئات ، في السنة ١٩٠٠ ، المبدأ المقبول حتى ذلك التاريخ ، الذي يسلم باستمرار الطاقة ، كاستمرار المادة والكهرباء : الطاقة تشع اشعاعاً غير متواصل بشكل حبيبات أو جزيئات ، تختلف قيمتها باختلاف لوتر الاشعاع ، وهكذا فان الطاقة مركبة من حبيبات على غرار المادة (المركبة من ذرات) والكهرباء (المركبة من كهربيات) . فتناقضت هذه النظرية نظرية الضوء التوضيحية المركزة على الاستمرار ، ولكن بريس دي برويل طلع منذ السنة ١٩٢٤ بالآلية التوضيحية ، ففرق بين المفهومين المتناقضين بتماثيل الموحدة بالجسم الشديد الصغر . وفي السنة ١٩٢٦ ، اثبت د شروجر ، تعادل الآلية التوضيحية التي قال بها دي برويل والآلية الجزيئية التي قال بها هايزنبرج . وكان هذا الاخير قد اثبت مبدأً واحتمية ، الظواهر ورفض الحتمية في حقل حركات الذرات التي كانت مبدأً ماسياً ، لا حدال فيه ، من مبادئ الفيزياء القديمة . فكانت النتيجة ان كافة هذه النظريات الثورية التي تناولها الجدل على كل حال ، كما سبق ورأينا - قد ارجعت الفيزيائيين على اعادة النظر في مساهم الوقت والفضاء والمادة ، وقد برر اختصاصها عظيمًا في كافة الحقول ، ولا سيما في الحقول الجديدة المتصلة بالظواهر التوضيحية والجزيئية .

ان مدلول الذرة ، الذي رفضه الفيزياء في القرن التاسع عشر ، قد استمرى انطلاقاً الفيزياء
انقضاء الفيزيائيين منذ اكتشاف الكهربيات وطواوح ج . طومسون بالنظرية
الذرية
الفاصلة بان الكهربي هو مادة الكهرباء والذرات . ثم جاء اكتشاف وجود
احصاء مشعة يرمع نظرية ثبات العناصر ونظريات ديوم الطاقة . فيبدو ان الطاقة المترددة من
الاجسام المشعة لا يمكن ان تصدر الا من الذرة نفسها ، وان الذرة تحتوي على كمية كبيرة منها ؛
ثم اكتشف د كوري ، ومعاونوه بعد ذلك ، فصل البولونيوم والراديوم ، مصادر طاقة دونها
مصادر الاورانيوم . ولاحظ د رودرفورد ، و د سودي ، بدورها ان كل عنصر مشع يطلق
اشعة (الفا وبيتا وغاما) وان العناصر ليست من ثم لا بسيطة ولا متجانسة ، وان كلا منهما
يحتوي على عدد معين من الذرات المتماثلة كيميائياً ، ولكنها قادرة على ان تنقسم بأشكال مختلفة
فلك هي « متشابهات الخواص » .

ما تمكنا درس الذرة مباشرة وتوضيح تركيبها ، بعد ان اكتشف د فون لو ، ان اشعة
(X) يمكن كسرها بمعاذاة جسم صلب ، وعين اثبت د يرغ ، الاب و د براغ ، الابن امكان
حساب طول موجتها القصيرة جداً . وكان سبق رودرفورد ان اكد ان في الذرة نواة مشحونة
بكهرباء يجابية تحيط بها كهربيات مشحونة بكهرباء سلبية ، ولكن احصاء العاملين في حقله ،
انداتاركبي الشاب ، د نيلز بوهر ، د كبلر الجديد ، هو من اعطى صورة الذرة ، التي فارها

بنظام شمسي يسير فيه كل كويكب في مدار خاص به ، ولا تتكون الاشعة α الا حين ينتقل من مدار قوي الطاقة الى مدار اقل قوة . فامكن من ثم معرفة عدد الكويكبات التي تحتوي عليها ؛ فكل تركيب ذري يمكن ان يوجد في حالات كثيرة وبتميز بصفات فوجية مختلفة ، وقد امكن معرفة اختلافات الطاقة بين الحالات بقياس لواتر الضوء المنبعث او المتلاشي . فاما في فترة روفرغورد - بوهر متدفد تفسير اختلافات خاصيات الاجسام الكيميائية ؛ اذا كان بعض هذه الاجسام يؤلف المعادن والبعض الآخر الغازات العادمة الحركية ، فان ذلك يرد الى عدد كويكباتها ؛ وهكذا اصبح جدول الاجسام الذي وضعه مندليف ، قريب المسأخذ ؛ هو عدد الشحنات الايجابية في كل نواة ما يميز الاجسام الطبيعية الـ ٩٢ الواردة فيه ، ابتداء من الهيدروجين وانتهاء بالاورانيوم .

لما كان روفرغورد قد اكتشف في السنة ١٩١٩ امكان تحطيم نواة ازوتية بمصم جزء صغير (ألفا) صدماً مباشراً بواسطة تفريغ كهربائي يقذف بدرات هيدروجينية عبر انابيب محصنة لتوتر عال (بين مليون ومليون فولت) ، اصبح درس النواة مركز اهتمام الفيزيائيين الكبير ، وسوف تقود سلسلة من الاكتشافات متصلة الحلقات الى رقابة التحولات النووية . وكانت الاكتشافات الاولى للكثير اكتشاف جبرئيات النواة الحالية من الشحن الكهربائي (وقد لاحظها « بيت » منذ السنة ١٩٣٠) على يد « شادويك » الذي حصل عليها في السنة ١٩٣٢ نقذف الـ « بيريليوم » بواسطة جسيمات « ألفا » ، ثم اكتشف اندرسون الكيوب الايجابي (بوزيترون) واثبت « مع « بيدر ماير » في السنة ١٩٣٦ « نظرية اليانالي « بركاوا » الذي كان قد افترض وجود الـ « ميرون » ، كرابطة بين الاحراء الايجابية والاحراء الحالية من الشحن لتكوين الذرة . ويبدو ان الـ « ميرونات » التي امتدى اليها في الاشعة الكونية والتي لا تزال شبه مجهولة تلمسب موراً اساسيا في تركيب المادة .

انتهت كافة الاكتشافات المحققة بين السنة ١٩٣٧ والسنة ١٩٤٠ اهمية دور اجزاء الذرة الحالية من الشحن ؛ واظهر اهمها شأناً ، حين اكتشف جولير - كوري الاشعاع الصناعي ، ان كافة الذرات تصبح مشعة حين تقذف بهذه الاجزاء ، فاستنتج بعضهم من ذلك ان الاشعاع الطبيعي مما يمثل رواسب نشاط ذرات لم يمر عليها الوقت اللازم لاي نوع حالات ثابتة ، وهكذا ممكن قياس عمر الارض (المقدّر علباري سنة) او اي شيء آخر بقياس اشعاع الكربون ١٤ ، لابل تفسير كيفية فوك العناصر ، وتفسير حرارة الشمس ، والاعتقاد بان كل نتائج طاقة في التكون انما يرتبط بالتحولات النووية . وقد استطاع « فرمي » في السنة ١٩٣٦ ، بقذف اجسام ثقيلة باجراء الحالية من الشحن ، توليد عدد من اجسام جديدة تقل من تلك التي نجدها في الطبيعة ؛ فولدت كيمياء جديدة هي الكيمياء النووية . وفي السنة ١٩٣٨ ، اكتشف « هان » و « ستراسمن » قدرة بعض النويات الثقيلة ، كنويات الـ اورانيوم ، على تحرير عدة احراء الحالية من الشحن مقابل جرم ايجابي واحد ، مما خلق اسكابة احداث سلسلة لامتناهية من التفاعلات

أما الأجزاء الخالية من الشحن تصطدم بنويات جديدة فتفجرها بدورها ، مما يؤدي إلى حذف أجزاء جديدة خالية من الشحن ؛ وهكذا يمكن أن تستمر كمية عظيمة من الطاقة ، إذا أن من شأن غرام واحد من الأورانيوم إنتاج طاقة تعادل طاقة ٢٥٠٠ كيلوغرام من الفحم الحجري .

منذ السنة ١٩٣٤ ، بنى لورانس مفاعلاً نووياً في بركلي ، ولكن أعمال فرمي وفردريك جوليو - كوري هي ما اتاحت الانتقال من التصعيد المختبري إلى الصيد الصناعي ، وأجازت للنظر إلى إعادة نفسها عملياً ، لا نظرياً بعد اليوم - كما إلى خزان دائم للطاقة . وفي السنة ١٩٣٩ ، تحقق تقسيم لدرة الذي من شأنه حدوث تفاعلات متصلة على نطاق واسع ، واستمرت هذه الآثار انتباه كافة الحكومات ؛ ففي ألمانيا كلف هاينريخ إدارة الاممات ، ولكن النازية حرمت البلاد من حيرة باحثيها الذين هربوا إلى نكلترا أو قرب أو الولايات المتحدة . وفي هذه البلاد الأخيرة ، الغنية بالموارد الطبيعية والمتقدمة تقنياً صناعية أسهم العلماء اللاجئون من كافة البلدان ، ديبس ، ويليمير ، وفرمي ، مع الأمريكيين من أمثال « لورانس » ، « أوري » ، « دانسون » ، « أبرروا » أهمية اكتشاف جوليو ، وميزوا في لاورانيوم ثلاثة « مشتقات » خواص ، متباينة الفعالية ، وهو متشابه الخواص رقم ٢٣٥ - ما يستخدم فوق هيروشيا وناغاركي في ٦ و ٩ آب ١٩٤٥ ، كأسهل عنصر يساعد على التفاعل المتصل في القنبلة الذرية . وقد بني مبدأ هذه القنبلة على تقريب كتلتيّن من الأورانيوم ٢٣٥ كل منها ٧٠٠ غرام ، فإذا عزّلتا ، بقيتا على حالهما ، ولكنها إذا اجتمعتا ، أسقط الأولى على الثانية ، يحصل الانفجار ، ويضخ التفاعل المتصل عدداً كبيراً من الدرات ويطلق من ثم طاقة تحدث نتائج تخريبية خيالية . أما القنبلة الهيدروجينية التي سوف تنتج في عهد لاسق ، فتستخدم الهيليوم الذي من شأنه إطلاق طاقة تفوق إلى حد بعيد الطاقة التي يطلقها الأورانيوم

الوجات والم الكتلوني في هذا المقام أيضاً حلفت الفيزياء ثورة حقيقية ، موازية لتقدم التقنيات الصناعية التي تربطها ارتباطاً وثيقاً على كل حال ، منذ أن حولت نجاحات الاتصال اللاسلكي غرابة مخبرية إلى مادة تجسارية . فإن اكتشافات ولیم کروكس للاشعاع المهبطي ، الذي أوضح « ج. برين » ، طبيعته ، واكتشافات « ج. ج. طومسون » المتعلقة بالكهرب ، قد اتاحت تفسير عدده كبير من الظواهر المعروفة غير المفهومة . طبيعة التيار الكهربائي ، الفرق بين الأحسام العازلة والأجسام الناقصة ، التحليل بالجرى الكهربائي ، الخ. لقد تجهزت الأبحاث نحو درس تقنيات الفراغ والصمامات القادرة على أحداث موجات مطردة القصير . وفي السنة ١٩٢٤ ظهر اكتشاف الجسود الدائقي المؤلف من ثلاث طبقات عاكسة تقع على بعد ٢٠ و ١٢٠ و ٢٥٠ كلم في الجو ، ناتجة عن تفكك جسيمات الهواء بأشعة ما وراء البنفسجي الشمسية ، أن الموجات القصيرة وحدها تمكسها الطبقتان الأولىان ، وأما هي ، بعض استمهاله في الاتصال اللاسلكي إلى مسافة بعيدة ، أما الموجات البالغة القصير ، فتستخدمها « الاسلاك الهوائية » في الاتصالات اللاسلكية . وتنتج هذه الموجات

مصباح « فلنغ » ذات القطبين ، ومصباح « لي دي نورست » (١٩٠٧) ذات الاقطاب الثلاثة او انواع اخرى من الصمامات التي يحصل عليها « ل » الانابيب بميزات فائدة كالجهاز الغير التواتر استخدم في رقابة لآلات النقلة ، او بواسطة الترانزستور الذي يكبر الذبذبات الكهربائية والذي تحقق في السنة ١٩١٩ على يد « شوكل » . واتاح تطبيق التواتر السريع تطبيقاً تقنياً انشاء شبكة عالمية للاتصالات السريعة بواسطة الاقمار الاصطناعية ، كانت اولى مراحلها اختراع نقل اداة تلفزيونية ميكانيكية بين « اندوفر » في الولايات المتحدة من جهة و « بلومور - بودو » في فرنسا وغوفيني في انكلترا من جهة ثانية ، في وقت واحد ، بواسطة القمر الاصطناعي « تليستار » ، الذي يولف محطة - محطة للاشعة المرئية .

في السنة ١٩٣٢ ولد علم البصريات الالكترومي الذي اتاح في السنة ١٩٤٠ صنع اول مجهر الكترومي قتلح طاقته الفاصلة العملية ... ١/١٠ من المليمتر (وتغوى قوة قوة المهر ما وراء السطحي عشر مرات) ، وفي السنة ١٩٥٥ تحقق انشاء اول مرقب الكترومي على مقربة من « فور كالكييه » صورت بواسطة مجموعات النجوم السريعة المكتملة في اربع دقائق بدلاً من ثمانى ساعات . ونشئ كذلك منظار الاجسام الطيفي الذي تاح فصل مشاهدات خواص واكتشاف مشاهدات خواص جديدة ، واستخدم في الصناعة الكيميائية من اجل تحليل المركبات الكيميائية تحليلاً سريعاً وكبياً . وفي السنة ١٩٣٣ ، اتمت الكهرباء الضوئية ، التي حققتها اعمال بلانك ، صنع خلية الضوئية الكهربائية و « العين الكهربائية » التي تحول الطول الموجي الضوئية الى ظواهر كهربائية ، والتي اثبتت انها بعض بكثير من العين البشرية لارابة الآلات وللمعالجة الاحزمة في المؤسسات الصناعية المصرية . واستخدمت في السينما الصوتية (تقابل « العين » كل فارق ترددي في الضوء او الطول بتغيرت كهربائية تتحول الى تغيرات صوتية فصل في مكبرات الصوت الموضوعه وراء الشاشة) . وهذه التحويلات المتصلة هي كذلك مبدأ الساعة الناطقة ، والتلفزة التي تتلص صوراً ضوئية تتحول الى تومحات كهربائية ، والتصوير عن مسافة بعيدة (بليوغرام) ، وتسيير الطائرات ، والرادار الذي احكم غداة الحرب العالمية الثانية . وفي السنة ١٩٦٠ حقق « ميان » اول « لار » (جهاز يقوى الضوء بزيادة الاشعاع) بواسطة بلور الباقوت الاحمر ، فهو يبعث حزمة من الموجات الصوتية المتلاعبة المتعاضدة اللون نوازي قوتها ألف مرة قوة الضوء ، وقد استخدم اللازر منذ اليوم استخداماً واسعاً جداً في الحراسة لزج شبكية العين وازالة بعض التورمات السرطانية .

اتاح العلم الالكتروني تحقيق آلات حاسبة ضرورية لحل مسائل رياضية عالية حلا سريعاً ، وآلات معكوة ، حقيقية وان الآلة الالكترونية الاولى « د مارك ١ » ، التي صمها « هوارد آيكن » في السنة ١٩٣٨ ووضعت قيد الاستعمال في السنة ١٩٤٤ ، قد قللتها آلات جديدة اخرى (مارك ٢ ومارك ٣ ومارك ٤ ...) تكاملت تكاملاً مطرداً ، وتتمثل العمليات والارقام فيها بتقريب تم فيها دفعات كهربائية ، تسمى ، بحسب التقوب ، هذه الآلة

أو تلك لهذه العملية أو تلك . وقطعت النتائج الجزئية كذلك بواسطة الثغوب ، وأخيراً تحولت النتيجة إلى أرقام . وقد استخدمت « مارك ١ » في ضبط إطلاق النار وحساب المسابح الأجسام ، ولكنها أصبحت بطيئة جداً بسبب ظواهر توقف الحركة الناجمة عن حركات الدواليب ، فأحلت الآلات الجديدة كتلاً من الكهبريتات محل اللغائف المتقوية والدواليب المرفقة ، وهكذا ولد أول دماغ الكترومي حل اسم « اميكال » استخدم في الحسابات التي أفضت إلى القنبلة الذرية ، أما النتائج الجزئية للحسابات التي ستستخدم في مرحلة لاحقة من العمليات فتحتفظ في إحدى الحلقات الزئبقية الـ ٣٢ المصممة لهذه الغاية ، وتحول إلى توجعات آلية ثم إلى دقات كهربائية حين تواصل العملية . وبينما تعلمت « مارك ١ » $\frac{1}{10}$ ثانية لجمع ٣٣ رقماً ، لم تتطلب الآلة الجديدة سوى ... $\frac{1}{10}$ من الثانية ، وهي قادرة على أن تحل بسرعة فائقة أكثر الموادات تعقيداً . وتوفرت للجهاز « دافيسيل » ، الذي ابتكر في أوائل السنة ١٩٥٢ ، « ذاكرة » تستوعب ٢٢ مليون علامة يمكن قراءتها في بعض أجزاء من ألف من الثانية . أما هذه التقنية فضرورية جداً لأبحاث الفيزياء النووية ، ولحسابات القذف والانسياب ، ولا سيما لتيران المدافع المضادة للطائرات ، وقد شرع في استحداثها (١٩٥٤) لنقل نص من لغة إلى أخرى . أضف إلى ذلك أن العلم الإلكتروني يشجع أكثر فأكثر نحو استعمال الأجهزة الصغيرة جداً : فيعد أن حقق الرانزستورات ، أبدلها بعناصر نصف ناقلة متزايدة القوة وسريعة جداً تسمح بصنع أجهزة خفيفة جداً أقل ازعاجاً ، ومن ثم أصل استعمالاً .

ومن المشايخ ، التي اكتشفها الأميركي نوربرت وايزر في السنة ١٩٤٨ ، بين الدماغ الإلكتروني والدماغ البشري (خلاياه العصبية - التي تتناقل الإشارات التي تتلقاها من أعضاء الحواس - التي يمكن مفارقتها بالألياف الالكترونية) ولد العلم الذي يدرس طرائق انتقال الحركة والرقابة في الكائنات حية والآلات ، ويدعو وكأنه « علم جديد مشترك بين الفيزياء وعلم الحياة » . فقد حقق هذا العلم حيوانات صناعية « تبة الحركة » ليست مجرد أجهزة متحركة ، بل « ترى » و « تحس » ، و « تتجسس » نحو المكان الذي يحثبه « حشها » ، لا بل إنها متجهة بذاكرة بدائية ، كذلك السلحفاة الالكترونية التي ابتكرها « عراي وولتر » في السنة ١٩٥١ ، فكانت قادرة على التوجه نحو الضوء ، والدوران حول المعقسة التي تصدر عن طريقها ، والرحوح إلى الوراء إذا كان الضوء ساطعاً جداً ، والاختباء تحت إحدى قطع الآلات ، أو الفأرة الالكترونية التي ابتكرها « شانون » ، فكانت تهتدي إلى طريقها نحو إشارة كهربائية عبر تيه من الموانيز والانبوب .

تجدد الكيمياء على غرار الفيزياء عرفت الكيمياء انقلاباً كبيراً بفعل الاكتشافات الأخيرة والنظريات الجديدة . لقد أصبحت علماً كيمياً وتفسيرياً بعد أن كانت علماً نوعياً ووصفياً في الدرجة الأولى . كان النظريات الفيزيائية وطرائق الفيزيائيين الاختبارية قد حملت الكيميائيين على تقوم مفاهيمهم الدوئية القديمة وطريقتهم الاختبارية ،

وأخيراً باثت الكيمياء ككثير تعقيداً بدرسها اجساماً مركبة متزايدة للتغلغل . وقصد اضيفت الى الاشعة لا التي استخدمت في درس تركيب الجسيمات الناعمة للصغر والاجسام البلورية ، مراقبة انكسار الكهرمات ، والمجهر المتناسخ الاوجه ، والمجهر الالكترونى ، التي اتاحت كلها درس حركات الجسيمات والتموجات ، وحساب فواترها (وهكذا فسر الفيزيائي الهندي وامان ، في السنة ١٩٢٨ ، لون السماء الازرق) . واتاحت معرفة الذرة الجديدة تفسير الكيمياء المضوية تفسيراً جديداً ، وتفسير خاصيات الاجسام المركبة واسباب تكوينها . وهي نظرية الكميات المصرية ما افضت الى تقدم آخر في النظرية الكيميائية باثاحتها تقسيم للمعاصر تقسيماً جديداً الى عازات مادية (تنفى الكهيزات فيها مرتبطة بالذرة) ، ومعادن (تكثر فيها الكهيزات) ، وغير معادن (تنقص فيها الكهيزات) ، واملاح (حدثت فيها مصادرات بين ذوات المعدن وغير المعدن) .

افضى تحليل الحوادث بواسطة شعة لا الى ولادة الكيمياء الارضية التي اتاحت ادراك فروع عناصر الحوادث ، واتجاه بعض النظم من ثم في الحواء البادي في العالم المعدني ، واتج كذلك لتفسير خاصيات المعادن الطبيعية ، ومن ثم معرفة طريقة معالجتها معرفة قصوى ، وهكذا اصبحت الصناعة اقل اختارية ، واكثر مطابقة للمثل .

فسرناه الفلك
وفسرناه الارض
دفع بعلم الفلك الى الامام بفضل نظريات ريشتان حين كان باستطاعته الاستفادة من تحسين لآلات المصرية وطرائق التصوير الشمسي والتمنافس لذي لم يبين مختلف البلدان من اجل انشاء مراقب متزايدة القوة يوماً بعد يوم (كالمقرب ذي المراة المدسية الشكل البالغ قطره ٢٥٥ م الذي اقيم في السنة ١٩١٨ على جبل دلسون) ، ومقرب جبل الومار (كاليهورنيا) البالغ قطره خمسة امتار الذي ثبت في مكانه في السنة ١٩١٧ ، ومقرب فور كالكييه الالكترونى الذي اقيم في السنة ١٩٥٥ . وتكاملت المراقبة امريكية بما سجلته ونقلته الاحيرة الفضائية ، من صواريخ واقمار صاعية ، وبشعاع اشعة ما وراء السطحي المصادرة عن الكواكب . فعرفت الكواكب والعضاءات الفاصلة بينها والاشعة امريكية واشعة غاما ، والكواكب السيارة (المريخ ، الزهرة ، وحتى المشتري) والقمر والعالم الشمسي معرفة فضلى . وهكذا ولدت فيزياء الفلك التي لم تكنف بالجره والوصف ، بل انتقلت الى مرحلة التفسير .

منذ السنة ١٩٩٨ ، اكتشف ان المجرة شكل اسطوانة تحتوي على رهائ اربعين مليار كوكب ، وفي السنة ١٩٢٥ ، اكتشف ان هذه الاسطوانة تتحرك على نفسها حركة تجعلها تدور دورة كاملة كل ٢٠٠ مليون سنة . وبصورة خاصة اتحت دقة وقوة المراقب الجديدة درس السحب النجوم اللولبية الموحدة خارج المجرة ، وتحقيق كون هذه السحب نفسها مجرات اخرى مسافة اقربها الى الارض ٨٠٠ ٠٠٠ سنة ضوئية ، واخيراً يمكن التحقيق في السنة ١٩٢٩ ان كل هذه السحب تتباعد تباعداً مطرداً . وهكذا فان الكون المؤلف من ملايين السحب هذه

ليس نظاماً ساكناً ، بل يتبدل شيئاً فشيئاً . فهدأت هذه الاكتشافات الفلكيين وفيزيائيي الفلك إلى المطروح بنظريات حول تكون العالم ، كنظرية أينشتاين في السنة ١٩١٧ الذي يرى ان الكون حجباً متناهيًا وحدوداً غير متناهية ، ونظريات ميلين وادمتون والسوفياني لاندو الذين ارتأوا ان جزءاً كبيراً جداً من حجم الكون مادة غير مرئية ولا سياً في الفضاءات الفاصلة بين الكواكب ، وخصوصاً نظرية البلجيكى « لجرمز » الذي ارتأى ان العالم كله انبثق من ذرمة اصلية بعد انفجار رهيب فهو قد لاحظ ان سحب النجوم البعيدة تبعد عنا وان « كل شيء يجري » كما لو كانت السحب الكثيرة التي تؤولف كوننا قد تشكلت بعد ان كانت مجتمعة في البداية في ما هو اشد بكرة كبرى ، « وان الكون من ثم يتبدل امتداداً دائماً : هذه هي نظرية الكون الأخذ في الامتداد التي يشنها اليوم عدد من العلماء . لما اكتشف الاشعة الكونية المتكونة من انبلاق جسيمات مختلفة من الشمس تفوق قوة قدرتها قوة اشعة «عاماً » الى حد بعيد ، فان درسها الذي ما زال في منطلقه ينسوء باكتشافات لن تقل اهمية عن اكتشافات اواخر القرن السابق . وان معرفة الاحواء العليا والفضاءات الفاصلة بين السيارات مدعوة اشيراً لان جوداه بسرعة بفصل الاقمار الاصطناعية المقذوفة بواسطة الصواريخ . فان سبوتنيك ٢ الذي وزن ٥٠٠ كيلوغرام ، والذي قذف بسرعة ٢٩٠٠٠ كيلومتر في الساعة قد افاد بصورة حاصلة درس ساووك كائن حي حيث تنعدم الجاذبية ظاهرياً ، واقام سبوتنيك ٣ درس الاشعة الكونية ، واستطاع « ماس » تصوير وجه القمر غير المرئي من الارض ، وبلغت عدة صواريخ سوفياتية واميركية القمر منذ ١٤ ايلول ١٩٥٩ .

اما علم طبقات الارض (جيولوجيا) فان مبادئه لم تخصص لثورة ولم تتجدد كلياً ، ولكنه وسع نطاقه بسبب الحاجة المتزايدة الى المعادن والوقود والمواد الخام ، ففقد تأسست غيزاء الارض التي تدرس - بواسطة الاشعاع بنوع خاص - طبيعة طبقات الارض على عمق كبير جداً ، وتساعد اعمال البحث عن الموارد الباطنية مساعدة محدية جلي . ومنذ التخلي عن نظرية لابلاس القديمة التي فسرت تكون الجبال بتقاص قشرة الارض ، ظهرت نظرية توازن اقسام قشرة الارض قوازناً نسبياً بفعل اختلافات الثقل النوعي في مواد تركيبها ، ونظرية جنوب الغارات لـ « فجنر » التي كانت موضوع نقاش حاد وانكرت بقوة ، وفي السنة ١٩٣٥ ، نظرية « برتي » الذي رأى في العوامل الطبيعية السبب الرئيسي لتفضعات القشرة الارضية ، وفي السنة ١٩٣٩ ، نظرية « غريمر » الذي هذا اصل النواقر في قوارن اقسام قشرة الارض وقيارات حارة في وسط شبه لزج .

الفصل الثاني

توسع علم الحياة وثورة الطب

ان المواضيع التي يتناولها علم الحياة اكثر تعقيداً الى حد بعيد من المواضيع التي تتناولها الفيزياء ، فالعمل المختبري هنا يرتدي طابعاً جامعياً اكثر من الاعمال المختبرية لآخرى ، وبالتالي طابعاً شبه غفل ، ويرتدي بالنسبة لكل باحث طابعاً اكثر تخصصاً . لذلك فاننا نرى في النصف الاول من القرن العشرين تكتاثر فروع و تكتاثر المؤتمرات الدولية التي تجمع ممثلها دورياً : الكيمياء الاحيائية ، الفيزياء الاحيائية ، علم تركيب الخلايا ووظائفها ، الخ . اجل لقد احدثت اكتشافات الآونة الماصرة ، في مجموعها ، انقلاباً في العلم الاحيائي والتطبيقات المتفرعة عنه (طب ، علم حفظ الصحة ، زراعة) ولكن كلاهما جزئي ولم يؤد الى تلك الانقلابات النظرية التي عرفتتها الفيزياء في الآونة نفسها . فقد احررت تقدمات كبرى ، ولكن استمرارها لا يسمح قط بتعدد مجالها الاساسية . يضاف الى ذلك ان الاكتشاف هو في معظم الاحيان ثمرة ملاحظات طويلة ، واختبارات كثيرة تجري طيلة سنوات عديدة ، مما يستحيل معه عملياً تعيين تاريخ للعظم المعارف الاسيائية .

الا ان علم الحياة ما زال مرتبطاً ارتباطاً وثيقاً بتوسع العلوم الأخرى ولا سيما للفيزياء والكيمياء ، والبيولوجيا وعلم الاجتماع ايضاً ، من جهة ، وباحداث التاريخ العام الكبرى من جهة ثانية . فهي الازمة الكبرى ما انهضت الابحاث المتعلقة بالتغذية والفيتامينات ، وهي الحروب العالمية الثانية ما دفعت الى انتاج البنسيلين ومادة الـ د . د . ت . بكتيات كبرى وساعدت على نجاحات الجراحة المدهشة .

اتقن العالم الاحيائي ادواته وطرائق معالجة مواضيعه فاسته
بمساعدة الفيزيائي والكيميائي ، اما باقتباسه تقنياتها نفسها ،
واما باستخدام اكتشافاتها من اجل تطوير ادواته . وهكذا
فان المجهر الالكترونى الذي احسكه كنوك ، و د . روركا ، في السنة ١٩٣٢ قد جعل من اجزاء

لغة

ادوات العلم الاسيائي

الجسم الصغرى ، التي افترض افتراضاً من قبل انها عناصر تركيب الكائن الحي ، واقعاً ملموساً ! كما جعل من الخثات و « اكتالات الحرائج » واقعاً معوساً ايضاً ، وتكامل الجهر العادي نفسه ، وبرز الجهر المضاء بعض عناصر تركيب الخلايا التي لم تكن معروفة من قبل . وفي الوقت الذي تزايدت فيه طاقة حاسة النظر ، اصححت ادوات العمل والقياس احتار دقة . فقد اتاحت بعض الاحهزة الصغرى للفيزيولوجي اجراء ملاحظات دقيقة على الخلية ، فاستطاع متخذ اكتشاف ظواهر كهربائية لا تتجاوز طاقتها الميكروموت و اجراء حساباته بـ $1/1000$ من الثانية او من البيليغرام . ووفرت طرق التحليل الكيميائي الجديدة كذلك دقة بالغة في معرفة تركيب العناصر الكيميائي . وأتاح استخدام العناصر المشعة ومتشابهات الخواص « المحددة » ، للمرة الاولى ، درس الحياة في داتها خلال تجليتها المختلفة ، فأظهرت متشابهات الخواص هذه حركة جزيئات الذرات داخل الجسم وأتاحت درس التركيب والتلف الذين يتعاقبان في الاسجة درساً دقيقاً ، ومن جهة ثانية استفاد علم الحياة ، عند حده الآخر الذي يتناهم السيكلوجيا وعلم الاحتاج ، من لقاة الجراحة ، ولا سيما من امكانات اجراء العمليات في المراكز العصبية العليا . وهو مدين كذلك لمختبرات السيكلوجيا ، وتقنيات تسجيل وملاحظة وقياس السلوك الحيواني والعشري ، التي تجعل الحد بين علم الحياة والسيكلوجيا غير واضح تماماً .

ومع هذا تميز الصامان كيران للبحث بالنسبة لعلم الحياة في القرن العشرين ، فجاءان متقابلان ، ولكنها مرتبطتان ارتباطاً وثيقاً ، ويمتزمان بالنظرية الاحيائية والعمل الطبي والجراحي من السواء : كما توعلنا في تركيب عناصر الكائن الحي ، رافاً بمرورين الى ان تأخذ بعين الاعتبار تركيب المصموم الذي ينتمي اليه ، اي تركيب الجسم الذي هو جزء منه ، ويتكشف هذا التركيب الاخير بدوره عن انه ملازم لتركيب جديد تشترك فيه عناصر اجسام مختلفة والمادة غير العضوية .

ان الكيمياء الاحيائية التي ولدت في القرن العشرين تتميز عن الكيمياء
ظواهر عناصر
العضوية التي ملكت سميدة في القرن السابق ودرست منتمعت الحياة . انها
الحياة
درس العناصر الكيميائية الاساسية اللازمة للشايط الحيوي نفسه ، وطرائق
عملها ، وكانت نتيجة هذا الاكتشاف : يستلزم حدوث معظم المتادلات الحيوية مواد كيميائية
غير حية بعدها الكائن الحي إعداداً فقط .

سواء اكتشاف للدياستاز اولاً يضع حداً لمجادلة حصلت في القرن التاسع عشر بين باستور وليبينج ، حين اراد الاول ان يجعل من الاختار ظاهرة حيوية ، وزعم الثاني ان الاختار مرده الى جسم كيميائي : ان الاختار يرد في الواقع الى جسم كيميائي ، هو الدياستاز ، ويمكن للدياستاز جسم كيميائي خاص بالكائن الحي . ففي السنة ١٨٩٧ لاحظ « ا. بوشتر » اختار السكر تحت تأثير الحمير المسحوق ، ولكن طريقة تأثير الدياستازات في التطورات الحيوية الاساسية (اختار ، تأكسد ، تأليف) لم تدرك الا في الآونة الاخيرة . لقد جرت ابحاث عاية في

التنفيذ والتنوع لم تؤد فقط إلى إدراك حقيقة دور الدياسترات التي تبين أن هدفها كبير جداً، بل إلى تعيين عدة فئات أخرى من الأجسام الكيميائية الضرورية للتطورات الخيوية والدياسترات بروتينات في أغليتها أو تحتوي على بعض البروتينات على الأقل، ولكل منها حمه الخاص. في كل قطور تتدخل عدة دياسترات، وبمعدل كل منها في مرحلة خاصة مسبباً تفاعلاً جزيئياً معيناً. وبالإضافة إلى البروتينات تحتوي الدياسترات على نسبة ضئيلة من مادة غير بروتينية، تدعى كوازيم، معدة لامتصاص الحزبات الصغرى (البروتينات حرثيات كبرى) في سلسلة التفاعلات التي تشكل التطور العام. أما المعادن الضرورية للحياة فتوجد في الحزبات بحالة آثار، اعتبرت مهمة (العناصر القليلة)، من ذي قبل، ولكنها ضرورية جداً. فإن فقدان الكويات في مرة المراعي مثلاً قد يتسبب في سلم الماشية. فلاكتشاف العناصر القليلة، من ثم أهمية أولية في معالجة بعض الأمراض، وفي إيجاد نظام متوازن وكامل لوزنه وحجمه في الزراعة.

هناك مواد غير حية ضرورية للحياة، اكتشفت في القرن العشرين، سوف يكون لها شأن عملي كبير. الفيتامينات. ويبدو أنها تعمل على غرار الكوازيم، إذ أن بعضها معقد التركيب جداً، كالفيتامين ب التي تحتوي على ١٥ مادة على الأقل. وبينما حال العلماء في القرن التاسع عشر إلى الاعتقاد بأن كل مرض جرثومي المنشأ، فقد برزت اليوم مرة أخرى فكرة المرض المنسب عن النقص والحاجة (داء الجمر، داء الذرة، الخراطة)، فركبت في المختبرات للفيتامينات الضرورية لحاجة هذه الأمراض. وفي الوقت نفسه، اتاحت معرفة الفيتامينات تعيين نظام غذائي معقول. وقد تولت حكومات الدول المتصارفة، أثناء الحرب العالمية الثانية، تأمين الفيتامينات الضرورية للسكان، فوفر انتظام توزيع العناصر الفيتامينية اللازمة لسكان بريطانيا، حالة صحية دوماً حالتهم للصحة في فترة ما قبل الحرب.

ولكن الجسم الحي يحتاج كذلك، بالإضافة إلى المواد التي يحدها في الغذاء (أي تلك التي أعدتها أجسام أخرى) إلى مواد أخرى يلتصقها هو نفسه بواسطة الفسدة المصاة التي لم تعرف وظيفتها حتى القرن العشرين، أعني بها الاقوار (المورمونات). فإن الأهمية التي أعير لها الاقوار هي أحد ميزات علم الحياة المعاصر، لأن دورها يغير في معظم الحالات الفيزيولوجية كمنمو الحيوانات والنسبات، أو في حمل الأعضاء، يفرزها أحد هذه الأخيرة فتبعث النشاط في عضو آخر، كما هي حال النور الذي يفرزه العنق (فيتسبب بدوره بالإفراز البنكرياسي)، والادرينالين، والأنسولين البنكرياسي، والاقوار الدرقية. ويتضح يوماً بعد يوم الدور الكبير الذي تقوم به الاقوار الجنسية في تحديد المميزات الجنسية الثانوية عند الحيوانات والتفريق بين لأجهزة التناسلية. وإلى بجانب الاقوار الحيوانية، درست الاقوار التي تؤثر في نمو النسبات. وإذا لم يتوصل العلماء بعد إلى تركيب الاقوار، النسائية أو الحيوانية، لمقد بلت بالإمكان منذ اليوم إنتاج مواد صناعية تحدث مفاعيل كيميائية مماثلة ونجد لها تطبيقات عديدة.

في الزراعة . وبلغ اليوم من معرفتنا لتعول المواد الغذائية في جسم الانسان انه بات بمقدورنا التعبير عنه بصيغ كيميائية .

تبرر كافة هذه الاكتشافات اهتمام ونشاط الجزيئات الدوائية في الجسم الحي . ويتقدم درس تركيب هذه الجزيئات الكبرى بصورة خاصة ببعض امكانية بلورتها وتحليلها بعد ذلك بالاشعة X .

نواصل درس الحياة في الخلايا من ثم في نطاق الجزيئات والنطاق الذري . وكان للبحاثات المبررة في هذا المجال ، بالإضافة الى التطبيقات الطبية الكثيرة التي أتاحها ، أهمية نظرية كبرى بالسنة لمعرفة الحياة نفسها ولإلقاء النور على مشاها في الارض . فتنسب الى الحياة اليوم وكأنها مجموع تطورات كيميائية في ظل حرارة منخفضة ، اجل للتحقق معرفة عشرات الآلاف من الجزيئات المختلفة ، ولكن ثبات تركيب المادة الحية يلفت الانتباه ، اذ ان جزيئات بعض الاجناس تضم عدداً من الدرات يكاد يكون ثابتاً ، وتبقى على حالها دون تغير بعد سلسلة من امادلات الكيميائية ، وليس تركيبها ما يبقى واحداً فحسب ، بل ان حرارة الخلايا تتبدل في حدود صيقة جداً ، ومن جهة ثانية يرافق ديمومة التركيب هذه قنبل دائم في المادة ، اذ ان استمرار التطورات الكيميائية يستلزم تحول الكيولات (التي يمكن ملاحظته بواسطة مواد ملونة) في الخلية وفي الجسم الذي هي جزء منه .

كلما وقفنا على اسرار حياة الخلية - التي انحصرت فيها مادة علم الخلايا الجهازي الحي في القرن العشرين - اضطررنا في الوقت نفسه لأن ننظر اليها ، اكثر والاحيرة الحية فأكثر ، كجزء ملازم للجهاز العضوي . فمنذ اوائل القرن (١٩١٥) تحقق وزرع بعض الانسجة المفصلة عن جهازها الحي ، كسما ان طبيب البيون السويدي فيلاروف ، الذي اشتهر بزرع القرية قد استعمل منذ السنة ١٩٣٣ اسجة مبردة اما لتسكين بعض الاضطرابات الوظيفية ، واما لاستعمال اندمال بعض القروح المستعصية ، وخلص من ذلك الى وضع قاعدة تطبق على كافة الاحيرة الحية ، يستمر بموجها التسميع - النباتي او الحيواني - المفصول عن الجهاز الحي ، في الحية في ظل حرارة منخفضة ، ويتكيف وفاقها بعزلة بتغيير تركيبه وباعداد عناصر حية فاحكمت من ثم زراعة لاسجة وشملت كافة الاسجة المختلفة ، وفي السنة ١٩٣٧ شملت الاسجة النباتية نفسها . لا يسر امكن حفظ بعض الاعضاء في السنة ١٩٣٦ لوفق كاريل ولندبرغ الى حفظ الحياة والحركة ، طيلة أسابيع عدة في اعضاء بعض الضرعيات (مبيض ادررة وعددها الدرقية) . وامكن كذلك حفظ اعضاء غير متكاملة واجراء اختبارات عليها تهدف الى تغيير تطورها هنيئاً .

تستمر هذه الانسجة في الحياة ، لا بل غالباً ما تحدث فيها مبادلات اكثر نشاطاً منها في داخل الجهاز الحي ، وقد تدوم حياتها اكثر من حياة الجهاز الحي كله . الا ان الخلايا المفصلة هذه تخضع في اغلب الاحيان لتطور يبرها من سواها دون ان تتوصل الى تكوين جهاز حي

حديد يتنصع بحياة مستقلة داخلية من ثم مقيدة بنظام عضوي لا يمكن تغييره بمجرد رغبة في تغييره.

فادعم الاجتهاد الى استنتاجات، ان لا بد ان يثبت في او اخر القرن التاسع عشر المجادلة القديمة بين الحيويين واللاحيين (« دريش » و « لوب ») . فعوالى السنة ١٩٣٠ ، اثبت علماء الحياة « سيمن » و « هونتفرت » و « ماغولر » و « دالك » ان بعض المنسبات الكيميائية او لآليات، اذا ما سلطت على بيضة غير مكتملة ، قد تجعلها لتكوين جهاز حيا كاملا ، بينما قد تؤدي منسبات اخرى ، تسلط على البيضة في مرحلة لاحقة من مراحل نموها ، الى اثناء بعض حواء الجهاز الحي ، لا بل الى اثناء جراء اضافية ايضا (عين ثالثة ، الخ .) . ولما كان ذلك قد مبر الاحتمالات السابقة تفسيراً آليا ، اي فيزيائيا وكيميائيا ، هذه قد افترض وجود مادة كيميائية غير معروفة قد تكون مسبب تحول البيضة الى جهاز حي .

قد تكون في الجهاز الحي من ثم طاقة دائمة تتيج لنا ان يغير،بالاضافة الى الامراض المتسببة عن لاجهزة الحية الصغرى (الجراثيم) والامراض المتسببة عن الحاجة الى بعض الضروريات ، امراضا قد تنجم عن روال هذا النظام في حرم معين من اجزاء الجهاز الحي ، وقد تكون هذه حال السرطان الذي يندو اليوم وكأنه نمو غير طبيعي في سيج معين . ويبدو ان نموه تساعد بعض المواد ، ولكن العلماء لا يتوصلوا الى اكتشاف تطور هذا النمو او اكتشاف علاج جامع ، غير العملية الجراحية ، قبل فوات الاوان .

الاحيزة الحية الصغرى افاد درسها اعادة كبرى ، خلال القرن العشرين ، من قوة المعاهر الجديدة التي نحن مديون لها باكتشاف الفيروسات لآلة الجراثيم على يد هيريل في السنة ١٩١٨ ، والفيروسات الواكفة (على يد ستالي في السنة ١٩٣٧) . وان هذه الكائنات لكائنات حية (بالرغم من تحقيق بلورة فيروس « سيمسالتس » في السنة ١٩٣٥ ، ومن نجاح « ج. بوشيان » في زرع الفيروسات الواكفة في اوساط صعية) ، لانها تتولد وتعيش على حساب الوسط الذي توجد فيه . وتندو الفيروسات ، المنقذرة الى تعضية داخلية ، وكأنها مجرد حريثات بروتينية لا لتغسدي مواد اقل منها اعسدادا وتعيش عيشة الطفيليات . مصاحب العضوي اصبح اليوم موضوع اخذ ورد ، بينما مال العلماء في البداية الى ان يروا فيها مرحلة وسيطة بين المادة المدممة حية والكائن الحي . اما الجراثيم ، البسيطة التركيب في الظاهر ، فقد اثبت المعهر الالكتروني ان تركيبها ليس على شيء من البساطة ولعل الجراثيم ذات التقدم الذاتية قريبة جداً من الاشكال الاولى التي ظهرت فيها الحياة على وجه الكرة الارضية (لا بل ان بعضا لا يحتاج الى الاوكسجين) ، اد ان موسم العيش في وسط غير عضوية ، هي فادرة من ثم على تحقيق لاعمال التاليفية الاساسية التي تضمن الانتقال من مرحلة غير عضوية الى مرحلة عضوية . ولطمنطاعتنا لحدس في ان الارض ترخر بثل هذه الجراثيم وان الحياة كلها ، في النتيجة ، وتكرر اليها على وجه الكرة لارضية . فلاحيزة الحية

العليا مربطة بالفعل بالاجهزة حية دنيا توفر لها غذاء معداً بمض الاعداد بقيامها بالعمليات التاليفية الاولى التي ما عادت هي لتستطيع القيام بها .

ان درس هذه الاجهزة الحية الدنيا والتطورات الكيميائية الخاصة بها ، وعلم تكون الصخور والمعادن ، قد اتاحا تحديد بمض شروط ظهور الحياة (كضرورة وجود بمض امركسات الكبريتية مثلا) واخراج نظريات تتعلق بتاريخ وطريقة تكون الاجهزة الحية الاولى ... كنطريتي الاسكليزي « ج ب س . هالدين » في السنة ١٩٢٩ والاميركي « ا . اوبارين » في السنة ١٩٣٨

بالاضافة الى الاعمية التي قد ينطوي عليها - اقله للمستقبل - درس هذه التاليفات الحوية الاولى بالنسبة لتكوين بمضها صمياً ، وربما بالنسبة لحل جزئي لمسألة غدة البشرية ، تركبت معرفة الاجهزة الحية الصغرى ، منذ اليوم ، انكاسات هامة على علم معالجة الامراض الجرثومية بفضل اكتشاف ادوية محاربة الجرثيم الذي افادته . لحل لقد افاح للتفقيح من قبل اتقاء بمض الامراض ، ولكن العلماء بحثوا عن وسيلة للوغ الجرثيم في داخل الجسم المريض وللقضاء عليها بواسطة مادة كيميائية غير مضرة بالجسم فتحقق اولاً ، في السنة ١٩٣٢ ، على يد دوامكه ، اكتشاف المركبات العضوية الاروتية والكبريتية التي لا تقتل الجرثيم بل تحولون تكاثرها ، تم اكتشاف البنسلين المستخرج من نوع من الفطر ، الذي لاسطه العالم الاسكليزي « فلنج » منذ السنة ١٩٢٨ ، ولم يستفد منه حيلة عشر سنوات . فحين رأى « فلوري » و « تشان » و « هلساء » الابحاث في معهد اوكسفورد نجاح المركبات العضوية الاروتية والكبريتية ، قاموا في السنة ١٩٣٨ بأبحاث منظمة تناوات ادوية محاربة الجرثيم المشتقة من انواع الفطر وهدوا الى ملاحظة « فلنج » ؛ وفي السنة ١٩٤٢ ، احكوا العلاج وشفوا به احد المصابين بالتهاب السحايا . ثم انتج البنسلين صناعاً منذ ذلك للتاريخ . واكتشفت بعد ذلك ، على يد « واكسن » بصورة خاصة ، اعداد كبرى من ادوية محاربة الجرثيم استخرجت كلها من هفوات مختلقة : سترپتوميسين (١٩٤٤) ، اوريوميسين ، كلوروميسين .

اسهمت اكتشافات الكيمياء الاحيائية خلال القرن العشرين في
الاعضاء المنظمة
تقدم اعمارف في هذا الحقل بفضل المواد الكيميائية الجديدة التي
في الجهاز الحي الاصل
فوصلت اليها وعملية المبادلات بين الخلايا التي اوصحتها . ولكن
اكتشاف أعضاء تنظيم حركة اندم ، والضغط الشرياني ، والحرارة ... قد حل على القول ان كل
ما في الجهاز الحي مترابط ، وان تغييراً محلياً يستتبع تغييراً في المجموع . فانطلاقاً من ذلك ،
وخصوصاً منذ الحرب العالمية الاولى ، اوجبت التقنيات الجديدة (الطائرات ، القواصات . .)
وظروف الحياة غير العادية التي اوجدتها بالنسبة لبمض الافراد ، تعديد طاقة الانسان على
مقاومة الضغوط والسرعة والارتفاع في الجو ، الخ . وهكذا ظهرت ابحاث « هالدين » والاب
و « هالدين » الابن في اسكلترا - التي استخدم فيها احدهما الآخر كأرض هندي للدراس حدود

مقاومة الإنسان في ظروف مختلفة - ان تغيرات تركيز بعض الغازات تستتبع تغيرات في احسن كده : رثني ، قلب ، اعصاب ، صماغ .. واننا لنجد هنا مظهراً عودجياً للصناعة بين الحيوية والآلية . ان ج . ب . س هيدان الاب الذي توفي في السنة ١٩٣٦ ، قد اعتقد بوجود الاستعانة بما يشبه قوة فائقة الطبيعة لتفسير التناسق المعجب بين اجزاء الجسم العضوي في مطابقة هذا الاحير لظروف الحياة غير المادية بينها تمسك بهذه الماركسي ، مراعاة منه للطبيعة هذه المطابقة الكيميائية ، بطرقه ، الآلية والادوية .

بيد ان الدرس تناول كذلك الاعضاء بعسم ، التي تؤمن هذا الترابط بين كثر الاجزاء بعداً في الجسم الحي ، وفي هذا الحقل بالذات اسهم علم الحياة في القرن العشرين اسهاماً عميراً بواسطة درس نحو العدد الصغى ووظائفها وامراضها ، وهو علم جديد يتطور تطوراً مطرداً (فالنسدة التفاضلية مثلاً ، وما تفرزه من اقوار مفقودة التركيب ، كـ تدرس درساً كافياً) . ونخص العدد الصغى بعصاً ، التي تؤمن بمرزاتها تنظيـم الجسم كيميائياً ، لتأثير بعض المواد الكيميائية وتأثير الأعصاب . فليست هي من ثم - منها كان من شأن دورها - مطلقاً محدد رقابة الجسم والتنظيم ، لاها تدخل في حلقة تحضض هي لتأثيرها . ويبدو من جهة ثانية انها تؤلف فيما بينها « نظاماً » كاملاً تشرف عليه الفعدة التفاضلية ويكون فيه لكل عدة ، « بالإضافة الى عمل الدرع » ، تأثير على عمل العدد الاخرى . اما خبر ما عرف منها حتى اليوم فهو العدد العظمي والعدد التناسلية والفعدة الدرقية . وقد امكن كذلك ابرار الارتباط بين العدد الصغى والجهاز الكبير الآخر لمنظم للجسم اعني به الجهاز العصبي . وقد عرف بصورة خاصة دور الاقوار في الاصطربات والتأثيرات .

بيد ان معرفة اجهاز العصبي اقدم عهداً « في القرن التاسع عشر » ولحقه تأثير مذهب الارتقاء بصورة خاصة ، توسعت هذه المعرفة توسعاً كبيراً ، ولكن معرفة طبيعة « السائل العصبي » قد احرزت تقدماً حاداً في القرن العشرين . لقد ثبت « ويان » بشكل نهائي منذ السنة ١٩٢٦ ، انه كهربائي الطبيعة ، يتميز بطاقة معينة تواترها عسي للصبه الاصلي الداخلي او الخارجى . ومن الناحية الكمية ، اطلع استعمال الاحمزة الجسمة الالكترونية قياس الموحدات الكهربائية قياساً دقيقاً حداثاً في المراكز العصبية ، واستخدم تصوير الرأس بصورة خاصة لتشخيص الامراض ، كمرض الصرع مثلاً . ومن جهة ثانية اتاحت ابحاث بالفوف ومدرسته حول الحركات الانعكاسية الظاهرية معرفة العلاقات بين النشاط الواعي والحركات العصبية التي لا تبلغ الوعي قط . ولم تعد لبلع الوعي . فالارتباط بين هذا الاخير والنشاط العصبي غير الواعي هو لعمله ارتداد دائم ووثق . وان وسع بعض العلماء السوقيات تقنية التوليد بدور الم بالاستناد الى استنباطات خنارية من هذا النوع .

سهمت سيكولوجيا القرن العشرين هيا مع علم الوظائف في معرفة النشاط العصبي . فقدمت له تبصيرة لاحتياجات الجراحة على سلوك الكائنات الحية (د . طسون) في الولايات المتحدة ،

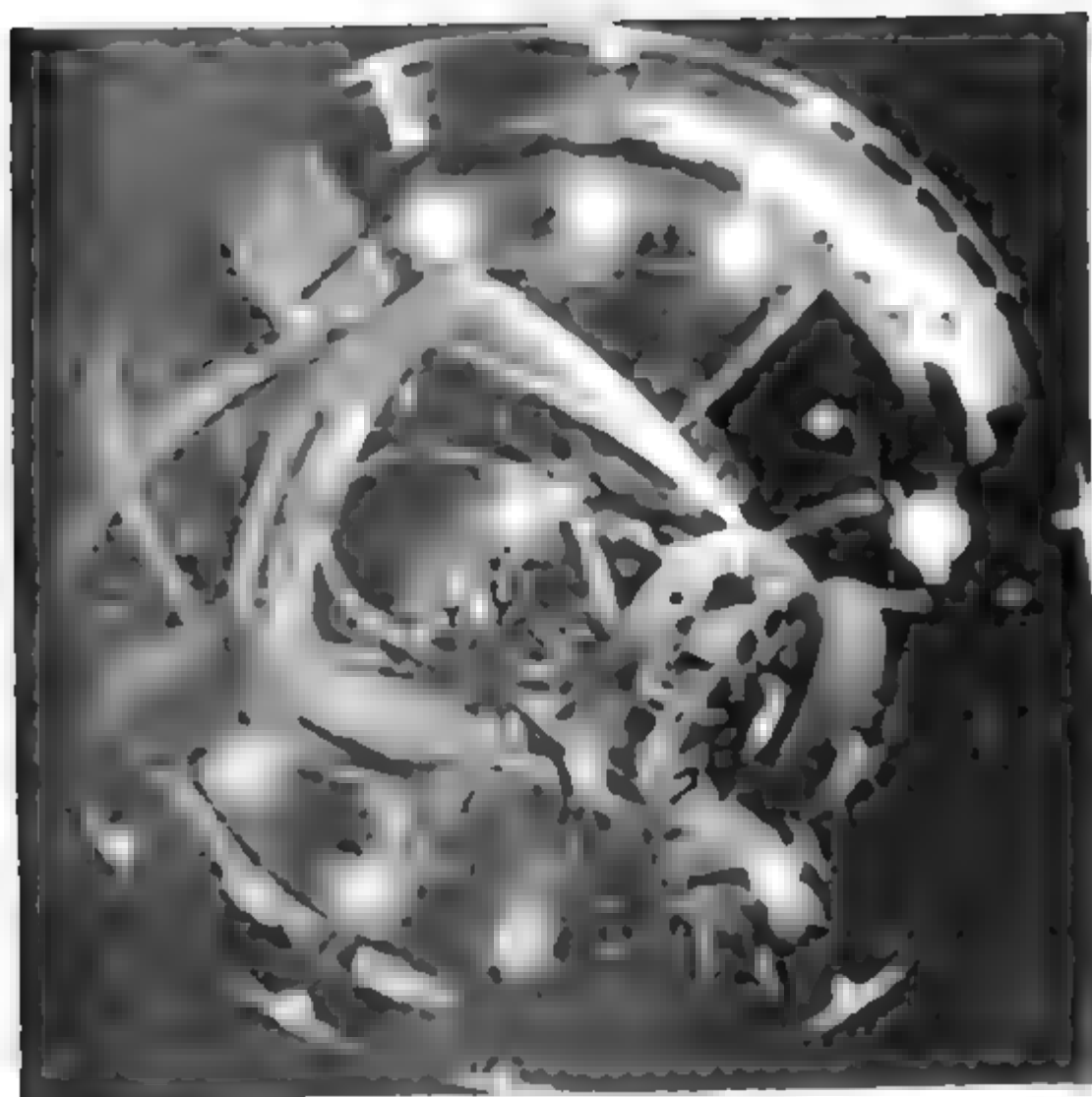




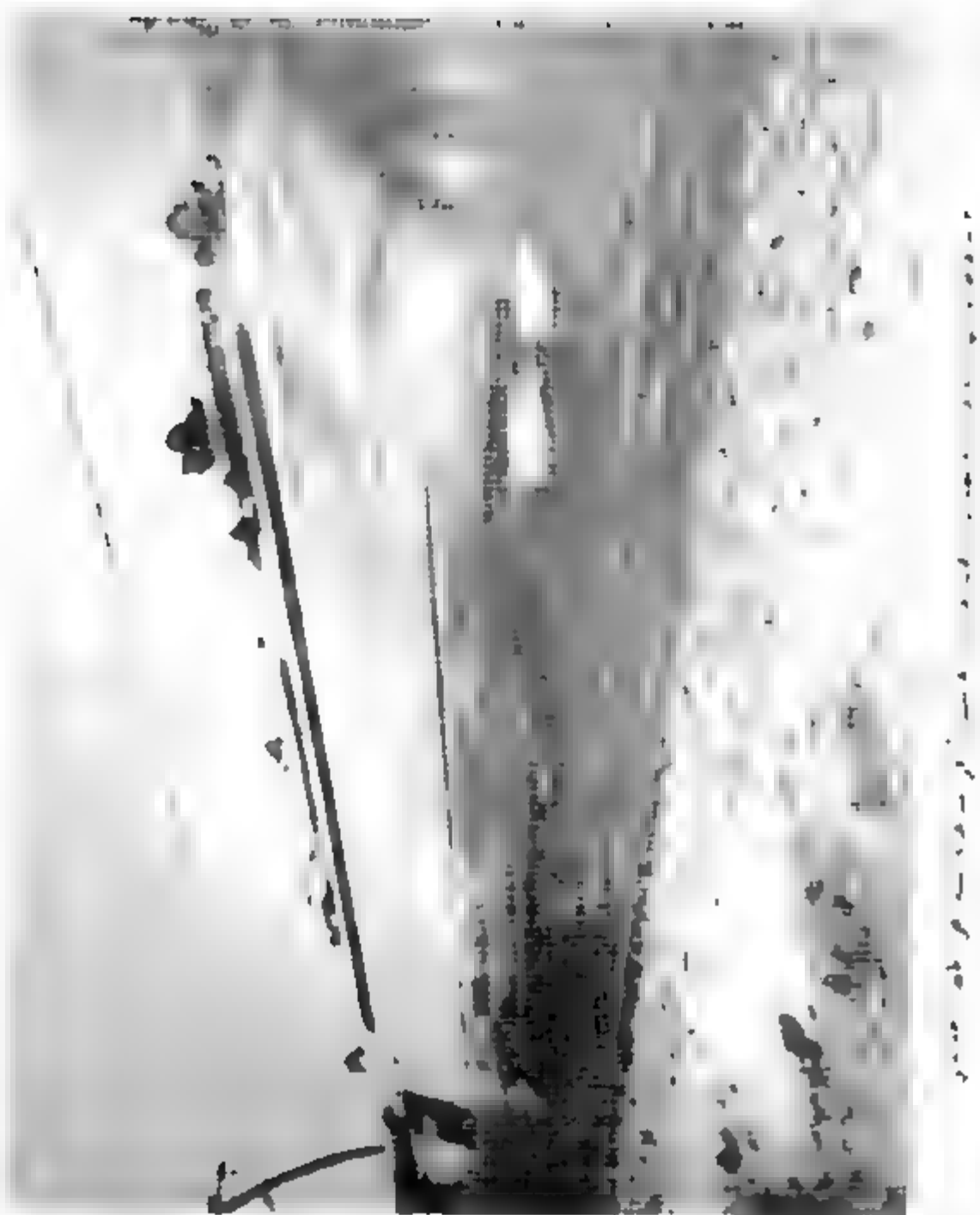
۳۶ - سوو رېږ وټ طليز کوما کسټه .



٢٥ - ابنتان في مكتبة في جامعة برنسون ، سن وفاقه .



٣٦ - منه مرصد جبل بالومار في الولايات المتحدة.



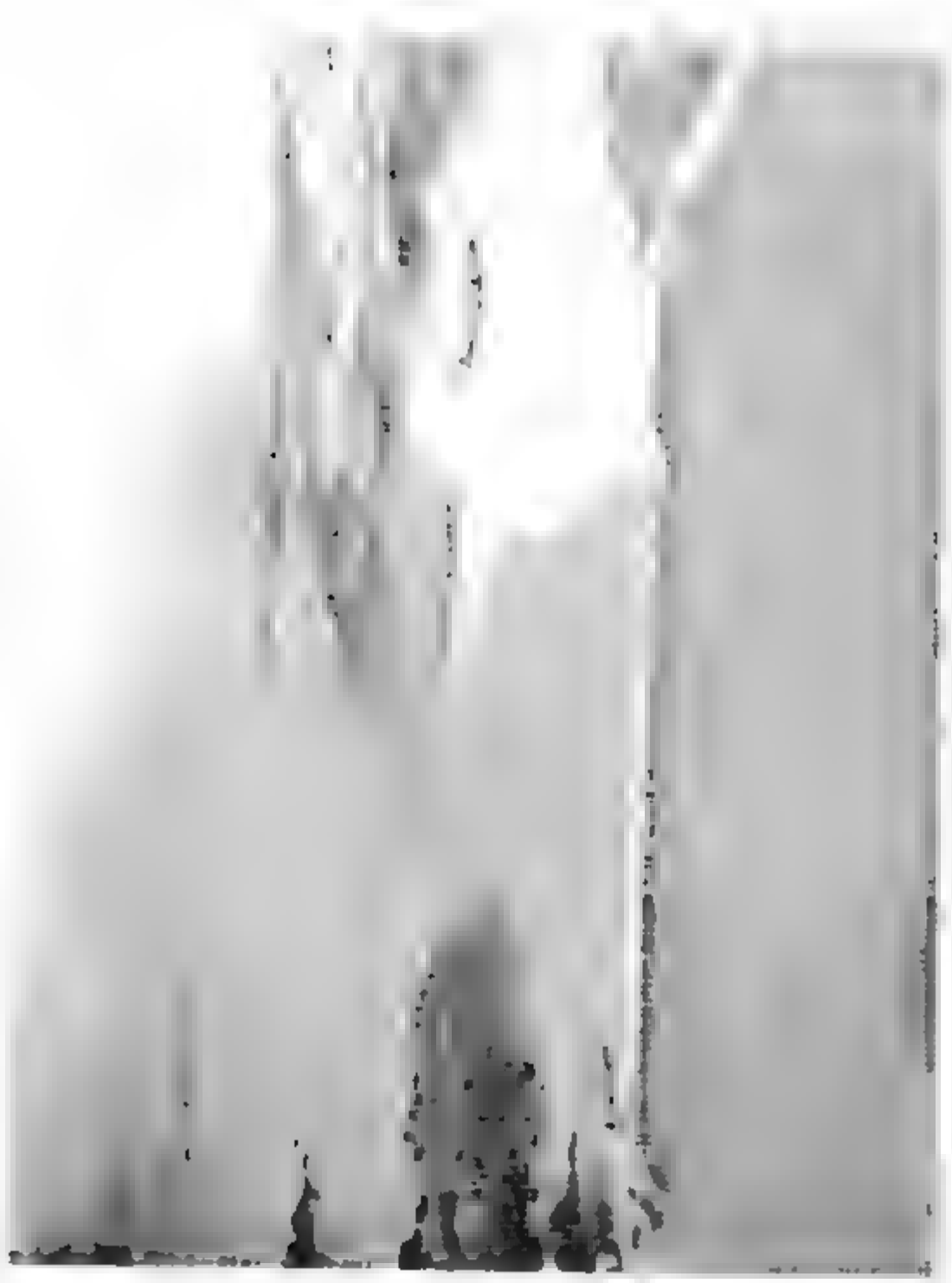


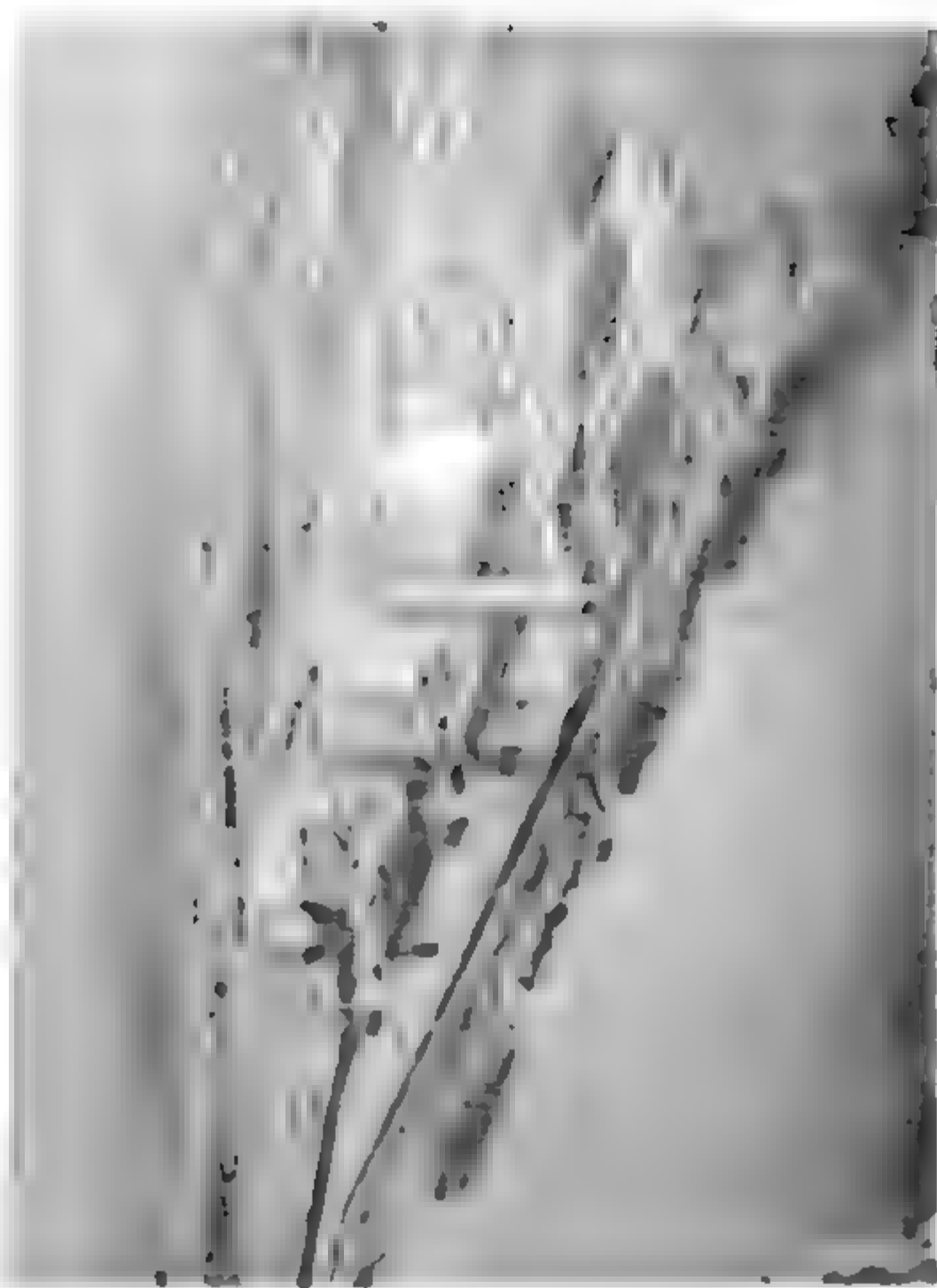




٤١ - جسر جورج واشنگٹن في نیویورک













٤٧ مجمع الفاسيكتك انشاي



وكوهلر في ألمانيا) ولا سيما تلك المتعلقة بتقابلية الحيوانات لتعود حركة انعكاسية معينة في وضع اختباري معين ، ولكن علم الوظائف هو ما يقدم مساهمته للسيكولوجيا في الحقل العلمي بإثباته المعالجة الكهربائية بـ « الصدمة الكهربائية » أو العملية الجراحية باستئصال بعض فلفلات السناخ أو الرئة من أجل شفاء بعض الاضطرابات العقلية .

علم الوراثة في اواخر القرن التاسع عشر كانت لمجادة حصول مذهب الارتقاء آخذة في المدح . ولا يعني ذلك ان سموات النظرية قد ذلت ، لو ان العلماء أدركوا كيفية انتقال العملية التطورية التي افضت الى الانواع الحالية من حلقة الى اخرى . ولكن التطور توجد مدقة لا كنظرية عمل سمب ، بل كواقع ايضاً ، بالرغم من فقدان بعض الحلقات في تسلسل الحيوانات المتحصرة التي تعين مراحل الحياة للكبرى . كانت الفيلسوف برغسون ، الذي قلما يهتم بالمادية ، قد جعل منه ، في « التطور الخلاق » احدى ركائز فلسفته الهامة . ولذلك لم يصد مشار الاهتمام فكرة التطور بالذات ، بل طريقة - او طرائق حدوث هذا التطور فان الوراثة ، اي انتقال المميزات النوعية للنوع والسلالة ، بالاضافة الى انتقال المميزات الثانوية كلون الشعر او العينين ، قد صحت منذئذ مسألة العالم الاحيائي الرئيسية ، وسوف يتقدم علم الوراثة ويتسع لمسألة تفسير استمرار الانواع وتحول بعضها الى البعض الآخر . وكان ان العالم الاحيائي الاميركي دت هـ مورغان ، قد تعمق في درس وتفسير ملاحظات « مندل » حول استمرار اميريات المتقولة ، وانتهى الى نظرية عناصر التواء الملوثة في الوراثة ، التي ربط كافة المميزات الموروثة بعناصر نووية الخلايا بهذه القناة الانقسام الى اجزاء ، او « مولدات » ، ينقل كل منها احدى المميزات

ولكن سبق لـ « دي فري » ان لاحظ في السنة ١٩٠٠ وجود تحولات فجائية قادمة الانتفال بدا وكأنها تشير الى بعض عدم القرار في « مولدات » . وقد تظهر التحولات - بصورة لا تخضع للمراقبة - تحت تأثير عوامل خارجية ، هي اشعة X ، كما ان « مولر » ذلك في السنة ١٩٢٧ ، وبعض الاجسام الكيميائية . فتوجب من ثم تلطيف صفة الجود المفارضة في « مولدات » (وهي مفارضة لانها لم تشاهد قط في العناصر الملوثة) ، بذلك فان مقابلة النظرية القائلة بوجود هذه العناصر ونظرية التحولات المعجائية قد قادت علم الوراثة العربي الى مفهوم تطوري شبيه بذلك الذي انطوى عليه تلميم « فيشر » و « هالداين » في انكلترا : قد يكون سبب التطور تحولات تحدث اتفاقاً (وتكون مناسبة او غير مناسبة) ، وقد تكون تطابقاً الطبيعية ما ضمن لبعضها الاستمرار والاعقاب . الا ان هذه النظرية مستعينة التحقيقات اطلاقاً بالنظر الى المدة التي يتطلبها استئجاب ، فاهيك عن ان سلسلة هذه الالفاقات الناجمة ، تجعل تطورا على مثل التسارع التطور الذي حدث لعملاً امراً قليل الاحتمال جداً . وفي مثل هذه الظروف يبقى حمل الانتقاء خاضعاً لاختبارية معينة ، وسوف يمكن أحداث تحولات مواصلة هذا المنبه الخارجي او ذاك ، وانما لن يمكن قط اجراء رقابة حقيقية على النتيجة .

الا ان علم الوراثة في الاتحاد السوفياتي قد سلك في تقدمه طرقاً اخرى ، اكثر طبعاً عملياً ، ان لم تكن اختيارية بحتة ، اهضت الى نتائج مضادة وأثارت في فترة الحرب الباردة مجادلة عالمية عنيفة بين علماء الوراثة . اضيف الى ذلك ان علم الوراثة الروسي لا يرتبط بشوة تشريح لأول ، اذ ان « منشورين » قد مجرد منذ السنة ١٨٨٨ لاختبارات دقيقة على النباتات ، ولا سيما على الاشجار المثمرة ، التي حسنها ونوع اصنافها بالتجعين والإبار . ولعنه لاحظ ان نجاح طرائقه مرتبط بقبليته للنباتات المتفاوتة للتأثيرات الخارجية وان القسيلة اسرع تأثيراً بمثل هذه العوامل من القرمس الكبير . ثم لى العالم الاحيائي السوفياتي « ليسنكو » آراء « منشورين » وواصل تجاربه وابجراها على الحبوب بغية الحصول على حصائد ريفية عوضاً عن الحصائد الشتوية ، والعكس بالعكس . فخلص من النتائج المحققة الى نظرية وراثية جديدة ما لها ان ليس هناك من براهين لوجود « المولدات » ، وسلم « ليسنكو » بوجود علاقات بين الوراثة والعناصر المكونة ولعنه ابان ان الوراثة لا تتحقق في اي عضو خاص ، لا في المولدات ولا في العناصر المكونة ، وانما تتحقق في الجسم بأكليته . فالبينة بالنسبة للتناقضات لا تقل شأناً عن الغداء بالنسبة للحيوانات ، اها تؤثر على « سينتيلارما » الخلايا اندي يلعب كذلك دوره في الوراثة ، مما يستتبع نقال بعض الصفات المتكسبة .

اسطافاً من هذه النظرية الوراثة ، انكرت النظرية التطورية السوفياتية دور الاتفاق الذي قال به الفريون (الداروينيون - الجدد) في التحولات ولحاسها ، وعزت البيئة دوراً حاسماً . وفي رأي العلماء السوفيات ان التحولات الناجمة عنها تكون مناسبة دفعة واحدة . ولكن هذه النظرية تنصوي كذلك على صعوبات نظرية كثيرة .

ويدور اخيراً ان انجات « جاك بيرا » وعلامته ، باحداثها تحولات في مميزات البط المعنصرية ، سوف تعبر نظريتي « مندل » و « مورغان » أهمية جديدة ، وربما كان من شأنها الدفع بعلم الوراثة الى الامام دفماً حاسماً .

قوة الطب حدثت بسرعة متزايدة ، وارتفع عدد الاكتشافات ارتفاعاً كبيراً مطرداً ، مما جعل بعضهم يقول ان « تقدم الطب منذ السنة ١٩٢٥ يفوق تقدمه منذ بدء العالم » . فقد أفلحت المسالجة بالمراد الكيميائية استنباط مواد يمكن موجودة في الطبيعة ، ولكنها قادرة على التأثير على بعض الامراض تأثيراً نوعياً ، وانتقلت عن علم الحياة آراء جديدة حول طبيعة الامراض ، « حمى الطمث » لوريش ، يقول « ان يفسر شيء من الاساليب الابيقراطية بعد قري أحيال ما فوق السنين سنة » .

ان تقنيات جديدة كثيرة وتكامل اساليب البحث والادوات قد وصفت في خدمة الطبيب وسائل فحص المريض فحصاً دقيقاً كان متعذراً من ذي قبل ، وفي الوقت نفسه ، ألحاح الاختبار على الحيوانات ، الذي اصبح شاملاً ، درس سلوك الحرائث في هذا المرض او ذاك والاستعانة من ذلك في معالجة الانسان ، ومراقبة تشايع هذه العملية او ذاك النظام الغذائي

أو تلك المعالجة . وأتاح تصوير القلب منذ السنة ١٩٠٣ وإدخال الجس في سنة ١٩١١ ، معرفة حركة العضل القلبي معرفة فضلى ، كما أتاح قلوبن الدم الشرياني وتكثيف الدم الوريدي ، درس الدورة الدموية الشريانية والوريدية درساً دقيقاً . وسهل استكشاف شب الرئتين بجهاز خاص رؤية هذه الشعب رؤية مباشرة ، كما سهل جهاز خاص آخر فحص المذالك البولية ، وأتاح تصوير الرأس ، الذي ابتكره هانس برجر ، في السنة ١٩٢٤ ، والذي يسجل الجسادي الكهربائية الصادرة عن الخلايا الدماغية لتحديد مركز المرض بدقة ، ومعالجة داء الصرع وداء التهاب السحايا ، كما أتاح تصوير الرأس درس الدماغ بواسطة الأشعة بإيجاد أماكن ثقافة بعض الغاز في الجمجمة . وساعدت الاختبارات المنجزة بواسطة السائل المستخرج من سوويات كوخ على كشف الإصابة الأولى بالجرثومة المعدي ، الخ .

ظهرت مفاهيم طبية جديدة اثبتت إخصايها وإثارها . من الأبحاث المتأخرات والتجارب
 الاختبارية التي تولاها د ريلي ، بين السنة ١٩٣٣ والسنة ١٩٤٣ فقد أبرزت
 أهمية العامل الوظيفي بالنسبة للعوامل التشريحية في المرض ، فهو تهيج الأعصاب لا اشتراكية ما يسبق التقرح وينتهي إلى إحدائه . ومن هذا الدور الرئيسي للأعصاب الاشتراكية كسبب لكافة امراض لانسجة قد دفع إلى اهتمام للطريقة القضاية بشل جهاز المقد للمصيبة الاشتراكية مثلاً موضعياً بحيث يتبدل سلوك الانسجة للوظائف أثناء امعالجتها ويصح القول نفسه في الدور الهام المعروف في الامراض النفسية للاضطرابات التأثرية القادرة على التسبب في امراض عضوية ، وكان عدداً كبيراً من الامراض وما يرد إلى تفاعلات ناجمة عن الفلق ومنازعات نفسانية بين الفرد ونفسه (الطبيب لوريش) .

كلما درست الامراض درساً يتصف بمزيد من التنظيم والدقة ، تكون الرأي بأنها ناجمة عن سلوك الخلايا سلوكاً كيميائياً وحيوياً يشوش تحول الجزيئات الذي تقوم فيه الحياة كما سبق ورأينا ، فيعتبر الجسم أو العضو من ثم مريض حين ينقصها مادة كيميائية ما يحتاجان اليها ، أو إذا دخلتها مادة تشوش سيرها . فقد عرفت بعض الامراض القديمة معرفة عضلى وعرفت حديثاً هوية امراض اخرى بعض للمعوص الاختبرية وتقد طرق للفحص الطبي . وعولجت كلها بحسب الاحوال الطبية ومزيد من السماح بفضل المواد التي وصفتها الكيمياء الاحيائية تحت تصرف الاطباء : المصول ، المركبات الكبريكية ، ادوية مكافحة الجراثيم ، الاقوار ، وبفضل استخدام مشتقات الخواص المشعة (في حالة سرطان الدم) ومادة اهيبارين (وقد عرفت بين ١٩٣٣ و ١٩٣٧) التي تفررها الكبد وتنبع نخاع الدم وتستعمل في معالجة الامراض الوريدية ، والذخمة القلبية ، الخ ودرس « لندستايبر » و « ريدر » الفشلات الدموية المكتشفة في السنة ١٩٠١ ، ماكتشفها في السنة ١٩٤٩ هامل وريوس ، وبينما ان الحوادث الناجمة عن عمليات نقل الدم (و عن بعض امراض الولادة ترد إلى انت بروتينات بعض عناصر الدم تعمي إلى رسوب خلايا بعض الفئات الاخرى . وما كانت بروتينات الدم كلية النوعية ، فقد امكن توزيع

الأفراد على فئات مختلفة (ريزوس سلبى ، ريزوس إيجابى) ، مما أتاح مراقبة حملية نقل الدم وتلاقي حوادث الحمل الناتجة عن عدم موافقة الدم بين الزوجين . أما الكهروإيحاء فقد استخدمت بصورة خاصة في معالجة الأمراض العقلية ، وقد شفت الصدمة الكهربائية التي اعتمدها مررتي من الانتيارات السودارية والأمراض العقلية العاطفية ، كما استخدمت الاعتزازات الآلية لتسكين بعض الآلام (لأنها تشل الجهاز العصبي الاشتراكي) ولمعالجة بعض الأمراض التنشجية الطابع ولازالة الانسجة البقية غير الطبيعية . وهناك طريقة علاجية أخرى ولدت في السنة ١٨٩٠ ، وأعيد لها اعتبارها منذ السنة ١٩٤٣ بفضل تلامذة بالفلوب ، هي « المعالجة بالنوم » التي بموجبها يفتعل النوم ويُبطال كيميائياً ، فيوقف التطورات الالتهابية التي تحدث أو تطيل عوارض الألم المثيرة للقلق .

وأتاح علم العداء شفاء عدد من الأمراض الخطيرة الناتجة عن تقصير غدد الجسم البشري المختلفة في القيام بوظيفتها . ففي السنة ١٩٢٢ اكتشف « بانتنغ » و « بست » دواء الأسولين الناجع في معالجة الداء السكري ، وفي السنة ١٩٣٩ « سالج » و « دينجلي » و « باركس » مرض اديسون بمحفن الجسم بخلاصة الغدة الكظرية التي سئل اليوم عليها المحفل بالاقوار ، وفي السنة ١٩٤٢ اكتشف « ابفانس » دواء يساعد الغدة الكظرية على الإفراز (A. C. T. H) والحال ان الكورتيزون (١٩٤٦) أحد أهم الاوزار التي تفرزها ، وان دوره رئيسي في توزيع السكر والزال في الجسم . وهو يركب كيميائياً ويستعمل مع الـ A. C. T. H لمعالجة داء الفصال والحروق الخطيرة والربو والقوباء (أكزما) . أما الأمراض التي تنتج عن نقص الفيتامينات في التغذية والتي تتجلى بتوقف النمو ، والحراقة وضعف النظر ، الخ . والتي استرعت الانتباه خلال الأزمة السكري بسوع خاص ، فقد استعادت من الابحاث التي افضت الى اكتشاف الفيتامينات : فشفي داء الذرة بالفيتامين P.P ، وداء الحفر بالفيتامين C ، والحراقة بالفيتامين D ، وفقر الدم بالفيتامين B^{١٢} ، ...

مكافحة الأمراض المعدية
كوفحت معظم الأمراض المعدية بجراح في البلدان المتطورة ، وهي تكافح في البلدان غير النامية حيث لتراجع شيئاً فشيئاً . وهذه المكافحة هي نتيجة عم التمهص ضد الأمراض الذي يدرس كيفية مقاومة اجزاء الجسم الصمري لبعض الجراثيم ؛ وقد أُنشئت هذه التمهصات لتعقيم التلويح الوقائي الذي أصبح لازماً في بعض البلدان ، والمساهلة بواسطة المصول الحيوانية أو البشرية ، أما المركبات الكيميائية وأدوية مكافحة الحراقة ، فان استخدامهما قد بدل تطور هذه الأمراض بتدبير حذر وبخاص نسبة الوقيت الناتجة عنها . فخلال الحرب العالمية الأولى صينت الجيوش المتعاربة على الجبهة القريبة من الاوتنة . أما السكان المدنيون فقد تعرضوا تعرضاً قاسياً لواء التلثة الواضحة ؛ وخلال الحرب العالمية الثانية صينت الجيوش الهامة المدعوة للمعاربة والاقامة في المناطق الحارة بفعل تدابير فعالة ضد الاوتنة .

منذ اكتشاف القحاح ضد الذئاج على يد راج. رامون ، وإلهائه على يد الطبيب ر. دو ، في السنة ١٩٢٤ ، زال وباء الذئاج عملياً من البلدان المتطورة ، أما الأوبئة الأخرى كالحصبة الصفراء (منذ السنة ١٩٢٧) ، والتقرح الجلدي ، والطاعون ، والتندون الرئوي ، والكزاز (القحاح رامون) الذي لم يؤد الجيش الأميركي البتة بينه هو أنزل خسائر كبرى في الجيش الألماني ، والسمال الديكي ، فقد كوفعت كلها بمعاج بواسطة التلقيح ، وإذا لم يكتشف حتى الآن لقاح فعال ضد الحصبة ، فقد أمكن تأمين رعاية مؤقتة على الأقل أو تخفيف الداء في حال انتشاره . وشفي من التهاب السحايا التدرجي بنسبة ٨٠ إلى ٩٠ بالمائة بفضل حقن (P. M. S.) الطبيب هيان (١٩٤٦) وال I. N. H. الذين استعملوا مع الساربتوميسين ، وشفي من الملاريا بواسطة الكلوروكينين ، والنتاموفين الذي اكتشف في السنة ١٩٤١ ، واللودون الذي استعمل في السنة ١٩٤٥ . وفي السنة ١٩٦٣ ، أدت أبحاث ثلاثة أطباء سويسريين ، بفصل أحد مشتقات الـ « نيغوليترول » إلى إحكام وصلة الشفاء من داء البلهارسيا المتفشي في كافة المناطق الحارة .

كوفعت الأمر عن المتسببة عن جراثيم لا تعمل فيها المصول بواسطة المركبات الكيميائية وأدوية مكافحة الجراثيم : فشنت الأولى من الحمرة ، والتهاب الرئة ، والتهاب السحايا ، والأمراض المتسببة عن جرثومة السيلان ، والبرص . واثبتت الثانية أنها قادرة على التغلب على أخطار التهابات : السل ، السفلس ، طفن الدم ، التيفوس ، الحى التيفية ، إلخ . إلا أن مقاومة الجراثيم الناتجة عن « تبدلها » لا سيما الفسدة الساربتوميسين الذي ضعف مفعوله الشفائي ، قد أرغمت على استعمال هذا الأخير مع الـ P. M. S. .

استخدمت مع اللقاحات والأدوية الجديدة أسلحة قوية أتاحت القضاء على أكلات الجراثيم نفسها في مساحات كبرى . ويأتي في طليعتها ، منذ السنة ١٩٣٣ ، مادة الـ د. د. د. ت. التي اكتشفها الطبيب السويسري « بول مولر » .

« مصبرات » الجراحة : على غرار الطب ، من تقاسة الأدوات ومن الاهتمام الذي أعبر المرض بعد إجراء العملية ، لا سيما بعد السنة ١٩٣٣ . فإن كون كل عملية جراحية تحدث في الجسم - بفعل مظاهرها بالذات - اختلالاً ورجود فعل عسير مرتقبة غالباً ما تكون نتيجة وفاة المريض قد جعل الجراحين على أكمال العملية بسلسلة من الاحتياطات التي تسبقها أو تلحقها - تسد ارالة الاحساس (التبنيج) إلى اختصاصي يراقب رجود فعل المريض ويحرص على أن لا تتخطى حدود احتمال جسمه . استعمال مسكنات بواسطة جهاز يتيح إعطاؤها مع الأوكسيجين ، حقن الأوردة بمواد تزيد كل تقلص عصلي ، منع حركة شرب الرئتين والحجاب الحاجز ، وحتى توقيف التنفس مؤقتاً وسحب الجهاز العصبي - الشفائي ، قبل وبعد العملية ، أمعش بواسطة نقل الدم . وقد انتشرت هذه الطريقة الأخيرة انتشاراً عظيماً ، وبالت تستعمل على نطاق واسع ، يؤخذ الدم من « واهبين » اختياريين أحياء ، أو

حتى من جيش الموتى في بعض البلدان ، بعد ان اكتشف « جوديثيه » ان دم الجثث يبقى حياً
رهاء اثنتي عشرة ساعة بعد الوفاة وأنه يمكن حقنه في اوردة الاحياء . كما ان اكتشاف فيلاتوف
المتعلق بحفظ اعضاء وانسجة الجثث في مكان بارد ، قد سهل شتى انواع الابزار مع استخدام
الاعضاء والانسجة المأخوذة من الكائنات الحية ؛ فاضافت من ثم الى « مصارف الدم »
« مصارف امين » ، « عظام » ، « انسجة » ، « شرايين » الخ .

واخيراً وسمت الجراحة نطاقها الذي شمل كافة الاعضاء ونجحت في اجراء عمليات غابة في
الجسار . في الرئتين ، والدماغ ، والقلب ، والشرايين ، والمروق ، والجهاز الهضمي ، والمساك
البولية ، والعظم ...

ان هذه الاكتشافات ، وتحسينات التقنيات العلاجية والجراحية ، وقدم وسائل النقل
الغدي اتاح المعالجة بسرعة ، وتنظيم انقاء وكشف الامراض ، لم تخفف آلام المرهن ولحسن مصير
ملايين البشر فحسب ، بل اتاحت اطالة معدل عمر الانسان ويسرت من ثم ارتفاع سكان الكرة
الارضية ارتفاعاً كبيراً .

المرحلة الثالثة

انطلاقة التقنيات

إن كلمة « التقنية » المرتبطة تقليدياً بالآلة ، قد رأت معناها ، منذ القرن العشرين ، يوسع حتى يشمل تنظيم العلاقات البشرية ، السياسية والثقافية والاقتصادية معها ، والمقصود بذلك ، إن لم يكن ممكنة العالم ، تنظيم المشاريع الاجتماعية على الأقل : فهناك تقنية لإعلان والدعاية ، كما أن هناك تقنيات تتعلق بالنظام الاجتماعي للمشاريع الاقتصادية ، وتقنيات استثماريين بالتقنيات المالية أو الروسية . وما ذلك سوى نتيجة تزايد التخصص الضارم وتعاظم شأن التعليم المهني الذين قسما النشاط البشري إلى حقول لا تعدى حدودها اختصاصات الحقول المجاورة ، ونتيجة اتساع المنجرات التقنية في الحقل الصناعي اتساعاً عريضاً أيضاً .

١ - التقنيات الصناعية

التقى العلم والتقنية في المصنع حيث أصبحا أشد ارتباطاً وثيقاً وحيث كرسّت الصناعة اعتادات متزايدة الأهمية لتمهيد مختبرات الأبحاث ومستخدميها الكثيرين . وقد نما ارتباطها نمواً مطرداً ، فتقدم العلم التقني فارة وتأخر همب فارة أخرى ، ولكن نجاحات أحد الحقلين كانت شرطاً لنجاحات الحقل الآخر . وبصورة عامة تأثرت التقنيات الصناعية بالاكشافات التي قللت المعارف المتسلطة على الفيزياء المعاصرة ، ومنطلقات الاقتصاد أيضاً . وغالباً ما كانت ظروف السوق والمزاوجة والكسب باعثاً للاستعدادات الهامة في الحقل التقني ولتقدمه : وهكذا فإن « امالة » الرد الذهبية التي حلت حللاً صحيحاً على الصعيد التقني لم تعرف بمسند معرفة جيدة على الصعيد العلمي .

عمل العلم والتقنية معاً على اثنان انتاج المصنوعات بالجملة ، وخفض اسعار كلفتها بانخفاض حجم النفائات واستخدم مشتقات المادة المصنوعة ، وريادة انتاج المال بالمكننة والحركة الدائرية وتسامي الانتشاء هنا الصناعات التي لم تحدث فيها الاكتشافات الهامة تحولاً كبيراً في المرحل

البخاري مثلا يخضع ابدأ لمبادئ القديمة نفسها ولكنه اصبح اكبر قياساً وأوفر انتاجاً ، وارتفع الصنف من ١٢ - ١٥ كيلوغراماً في الستينيات المربع الى ١٢٠ وحتى ١٧٥ ، وارتفعت الحرارة القصوى من ٢٥٠ - ٣٠٠ الى ٥٠٠ - ٥٢٥ . وقامت من جهة ثانية صلة وثقى بين الصناعات المستقلة نسبياً حتى ذلك التاريخ ، لا على الصعيد التجاري كـ في السابق ، وفي الملاقى بين المزارع والزبائن ، بل على صعيد الانتاج نفسه ، اذ ان الرقود قد اصبحت مادة اولية لعدد كبير من الصناعات ومصدر طاقة على السواء ، لو ليست مصافي البترول بمعد اليوم مراكز صناعة كبرى تتركب فيها ، بفضل جمع الغازات الناجمة عن الحرارة ، الجريئات المختلفة ، ابتداء من الحوامض المصنوعة حتى انواع المطاط التركيبي ؟

وفي المناجم ريدت طاقة العامل الاستخراجية والانتاجية باستخدام الطرائق الآلية ، وتنظيم وسائل التقنية في المنتج نفسه ، وشبكة خطوط مواصلات مع اجهزة للسحب الكهربائي او بالهواء المضغوط ، وتوسيع الاروقة وقطر الآبار ، وبناء التجهيزات بالفولاذ والاسمنت المسلح فوق البئر ، وتحسين الآلة ، واستخدام مراوح ومضخات هوائية قوية ... كما ان الفحم الحجري تحول الى غاز في مصانع كبرى تتيح توفير نقل الغاز الباهظ الاكلاف والاستفادة من المواد الناجمة عن التحويل منذ السنة ١٩٤٠ وزج الغاز في ريسانيا ، فوفرته منطقة الرور لشرة ملايين مستهلك ، وحدث الشيء نفسه في بلجيكا حيث وفرته ثلاثة مصانع بين « مون » و « تور » لمنطقة كبرى من البلاد ، وفي فرنسا حيث سدت محطة « دويل - مالبزون » سد مصانع صغرى كثيرة في المنطقة الباريسية .

عرفت بعض الصناعات نمواً كبيراً جداً ، كصناعة التبريد التي جددت منذ السنة ١٩٢٠ تجارة المواد الغذائية ، والتي لم تقتصر بعد اليوم على الشؤون الغذائية وعلى انطلاقة المبرادات المنزلية ، فقد شملت تبريد قاعات السينما وغرف العمليات ، وأجهزة تكييف الهواء ، ومصانع الافلام الفوتوغرافية ، والصناعات التي تحتاج الى استخدام الآزوت ، وحفر الآبار بتجديد القرية بصفة الاستثناء عن المبادئ الحشوية الباهظة الاكلاف ... وبالت صاعدة للكهرباء أهم مصدر للطاقة ، فحققت تقدماً مشهوداً نادراً ، وتقدمت معها الصناعات الكيميائية التي يبدو انها ستصبح اولى صناعات الحضارة المعاصرة بعضها اليها نشاطات اساسية أقدم عهداً : المناجم ، الانسجة ، المطاط ، الصبر ، وحتى الزراعة ، بواسطة الأسمدة ، لانها تشترب أكثر فأكثر على الخامات التي تستخدمها كافة هذه النشاطات . وهي قد وضعت نطاقها توسعاً كبيراً في حل التركيب والمنتجات البديلة بصورة خاصة ، فحققت في بعض الاحيان ثورات حقيقية كانت امكاناتها عميقة جداً على حياة الانسان اليومية .

نشأت في القرن العشرين مع انتاج المواد التوليفية والمطور والمواد الصيدلانية انطلاقة من الهيدروكربون ، ثم جرت في انطلاقتها الصناعة الكيميائية المعدنية القديمة وبعد السنة ١٩٢٠ عززت الابحاث والصناعات الكيميائية ،

ولاً سيما على ايدي الالمان الذين حققوا تقدماً كبيراً في هذا المجال منذ الربع الأخير من القرن التاسع عشر ، وعلى ايدي انكلترا والولايات المتحدة اللتين انتقلت فيها طرائق لوروية كثيرة الى الصعيد الصناعي : كصناعة المطاط التركيبي ، واغراق الصابون المختلفة ... وقد تحققت للمواد التلويضية المختلفة منذ السنة ١٩٠٠ بفضل المواد التلويضية المناهضة المنة عدداً التي كانت تنتج في ذلك التاريخ . والمجتهدات الابحاث في ضمان ثبات الالوان ومطابقتها للموسوعات التركيبية الجيدة : بيلون ، برفلون ، ووفيل ، اورلون ، التي استلزمت الواناً جديدة .

تحققت التطور التركيبية في المختبر في اوائل القرن ، ثم بلغت مرحلة الانتاج الصناعي ، وحلت محل مواد التجميل القديمة الدمنية المنشأ مواد اخرى عضوية المنشأ (ارز) ، كالورفولين ، رحلت محل النرائير النشوية ذرائر كيميائية المنشأ (سيارات الزنك واوكسيد التيتان) .

الا ان اهم تطور هو ذلك الذي طرأ على الصناعة الصيدلانية (في ١٩٥٠ : ١٨٠٢ طلب تأخير في فرنسا وحدها) . فقد ظهرت كميات كبيرة من العلاجات الجديدة التركيبية مبرلات الاحساس (اثير ، بنج) ، مزيلات الشعور بالام ، مخدرات (مورفين) ، منومات ، مسكنات الالعصاب ، مزيلات الحرارة (اسبرين) ، مظهرات ومزيلات المغونة (فينول ، مركوروكروم) . ادوية تركيبية لمكافحة الجراثيم (اكثر من ١٢٠ في السنة ١٩٥٠) ، واخيراً عبيدات حشرات تركيبية كثيرة كال د . د . ت . وظهرت كذلك منتجات تركيبية على حائظ كبير من الأهمية : الفشار الذي انتج بحسب طريقة هابر - بوش منذ السنة ١٩١٣ ، النولة التركيبية (التي تستخدم في الزحاج الممتنع للكسر ، ايضاً) ، والمبتانول (انتج في السنة ١٩٢٣ مركباً من اوكسيد الكريوت والميدروجين) الكثير الاستعمال في الصناعة ، والبنزين التركيبي الذي انتج بتكرير الفحم الحجري والحشب المتعمم والقار .

هذه هي الصناعة التي غير القرن العشرين بسبب غوها الحديث المدهش المواد المعيشية وارتباطها الوثيق بالبحث العلمي النظري . فمن هنا اصنام مواد تركيبية تحمل عمل المواد الاولية الطبيعية وقد تفضلها موعبة . ومنذ تحقيق السلوبيد في السنة ١٩٦٣ ، ثم الفاللايت المصنوعة من العورمول وكازيين الحليب ، والباكليت (وقد حلت اسم مستكرها بأكلمه في السنة ١٩٣٦) ، ارتفع عددها ارتفاعاً كبيراً حتى غامر الالف . وهي قابلة الاغراق في القوالب والتلويث وتقبل لاشكال لمعوجة ، وقد صنعت بصورة خاصة في البلدان الفنية بالمصنوع الحجري والكهرباء (التي توفر الطاقة) ، اي في الولايات المتحدة وانكلترا ومانيا وفرنسا واطاليا والاتحاد السوفياتي ، وحيث توحيد شركات قوية باستطاعتها توفير اموال طائلة في الابحاث المختبرية (د ا ج هارين ، التي تنتج ال د بونا ، ديسون هي غور ، التي تنتج النيلون ، و د وون - بونك ، التي تنتج اميناتات السلولور ...) . وسواء كانت المواد حيوانية المنشأ (كازيين الحليب) ، ام نباتية المنشأ (القطن والحشب اللذان تصنع منهما السلولوز) ، ام معدنية المنشأ (بانضاج الفحم الحجري للحرارة ، وتكرير القار او البترول لانتاج الاثيلين

الذي تستخرج منه المواد المصنعية الفينيلية) ، فإن كافة هذه المواد المصنعية تصبح مواد أولية يمكن استخدامها في صناعات أخرى . بيد أن ثلاثة أرباعها تستخدم في التطبيقات التقنية للكهرباء ، فمنهجات الفينول تعد مسد المصنوعات المصنعية في صناعة الاسناد الصلبة ، والبوليسترين يعزل الاسلاك البحرية ويعطي اسلاك التلغزة والاسطوانات الممتعة للكر ، والصمغ الفينيلية انزلت المطاط من عرشه ، بينما حلت الصمغ المينكربيلية محل الزجاج في الادوات البحرية ، وسد امينات السلولور ضد النيتروسلولور القابل للاشتعال في الصناعة السينمائية ، وسد البلكسيفلامس مسد الزجاج في السيارة والطائرة .

وحلت محل المنسوجات الاصطناعية التي تحققت منذ اواخر القرن التاسع عشر بتحويل مادة أولية طبيعية : الخرائير النيسكوزية ، واللايتال الكاربيني (١٩٣٥) وكافة المصنوعات المماثلة المصنوعة في مختلف البلدان ، اللاكتوفيل الهولندي ، والولان البولوني ، والنيولان الالماني ...) ، منسوجات مصنوعة تحققت باستخدام بعض عناصر غاز البترول والمجازات الناتجة من احماء البترول : الفينول المصنوع من المشتقات الفينيلية ، والنيولان المين الذي تحلق في المختبر ايضاً ، في السنة ١٩٣٥ واصبح مادة تجارية منذ السنة ١٩٣٨ ، والوفيل الذي صممه د روداسيتا ، في السنة ١٩٤٥ ، والترفال (١٩٥٠) والريلسان (١٩٥٢) .

يشكل المطاط التركيبي اليوم منافساً غنياً لمطاط المقارس . فقد نتج بسر مرفوع جداً (ثلاثة او اربعة اضعاف سعر المطاط الطبيعي) خلال الحرب العالمية الاولى في المانيا المحاصرة من قبل الحلفاء ، ثم تقدم انتاجه الى ان بلغ سعر كلفة راجحاً ، كما ثبت ذلك في الآونة الاخيرة ، انتقال المصانع التي انشأتها الحكومة الاميركية الى الصناعة الخاصة ، وفي السنة ١٩٥٥ بلغ انتاجه ثلث الانتاج العالمي ، في حين ان مقارس جنوبي شرقي آسيا قد ظهرت لتعقرأ بعبداً . وهو يصنع من البوتان والاسيتلين والكحول ، ويوجد منه اواع مختلفة . له د بوا ، ٨٥ ، ولد د بوا ١١٥ ، والبريغام ، وهي المايبة ، والدوبرين والنيوبرين وهما اميركيان ، ولد S. K. B. والوفيلانيان ... وخصوصاً له د بوا S الذي اصبح المطاط الاميركي النموذجي خلال الحرب العالمية .

لم يحدث القرن العشرون ثورة في تقنيات الصناعة الكهربائية الكيميائية - كانت معظم مبادئ طرائق تحليل المواد واعداد المادتين وتنقيتها بالجرى الكهربائي مكتشفة من ذي قبل - ولكنه وسعها قسماً كبيراً . فان الحاجة الى الهيدروجين الخالص اللام للتركيب النشادر ، والاسمدة ، ولتبخين الزيوت ... قد اوجب زيادة انتاج الهيدروجين المعروف بالتحليل و انتاج الاوكسجين التحليلي ايضاً المستخدم في اكسدة المركبات العضوية وتحليلها . وهكذا تم تحويل اواع السكر بالتبخار الكهربائي الى حبال اجسام كحولية الوظائف من اجل الحصول على له د سورييت ، وخصوصاً له المانيت الذي يدخل في صناعة المتفجرات ، واعداد اليودوفورم والحض الكيريني ، الخ . وحين اكتشف اوري و معارنوه الهيدروجين الثقيل في السنة ١٩٣٢

بتكرير ايدروجين السائل على مراحل ، حصل بطريقة التحليل بالمجهر الكهربي على لماء الثقيل الضروري لولّد الطاقة الذري . واتاحت الطريقة نفسها انتاج الكيور والهيوكيوربت وخصوصاً الكيورات والبركيورات المستخدمة في المتفجرات .

الصناعات التمدنية تطورت هذه الصناعات نحو انتاج معادن اكثر نقاوة يوماً بعد يوم ، وتوصلت مثلاً - بواسطة مصعدات من رصاص ومهايط من الومينيوم محصن - الى تحقيق وزنك تحليلي لجاور نقاوة ٩٩,٩٩٪ . فقد توجب اكتشاف تقنيات جديدة بنية تحقيق معادن مرجية تنصف بنصائص آلية وفيزيائية - كيميائية معينة : معادن مرجية خفيفة جداً (مغنيزيوم ووزنك وزركونيوم) معدة لمركبات الطائرة تنصف بمقاومة آلية كبرى ؛ انواع فولاذ خاصة تنتج بيزج الحديد بالنيكل ، او الكروم ، او الكوبالت ، او التوتستين ، او المولبدن ، او الفاناديوم ، لا تصدأ ، وتقاوم التآكل ؛ اعداد معادن قادرة خالصة اعداداً صناعياً .

اما التقنيات المكتسبة سابقاً كالصهر ، والتحويل ، والمعادن غير الحديدية ، فقد قام تحسينها باستخدام المزيد من الآلات ورفع الانتاج ؛ زادت قياسات المصاهر والافران الكهربائية زيادة كبرى ؛ كما زادت قياسات لهولات والمرابيل ، احسن انتاج الوقود المعدني . لم ينقل المسدن السائل بعد اليوم الا بالانابيب او الهواء المضغوط ، وزادت قياسات أجهزة التحويل ، وبرز اتجاه عام نحو الحركة الميكانيكية .

تناولت التقنيات صناعة الفولاذ ايضاً : اسالة غير منقطعة للفولاذ ، تصحيح غسبر منقطع الشطائل ، مكابس التطريق ثبلن ٢٠٠٠ طن وتحمل حمل المطارق المائلة . وكانت التفاصيل الكيميائية في المعادن السائنة ، اي المرتفعة الحرارة ، وتوازنها حين تكون جامدة ، موضوع دروس غنثرية اتاحت معرفة تركيب المعادن معرفة افضل . وقد استخدم علم المعادن لهذه الغاية كسر اشعة X الذي اكتشفه « فون لور » والكسر الالكتروني الذي اكتشفه دافيسون وجرمو في السنة ١٩٢٧ . وتحسنت النتائج بعد ذلك بفضل كسر جزئيات الذرة الخالية من الشحنة الكهربائية . وبفضل المحول الذري والمولد الذري (خيراً ، اناج الاشعاع الاصطناعي كشف الاجسام الغريبة في المعادن ، التي لم تتوصل الطرائق الكيميائية او الطباقية الى تعيين كبتها .

من مميزات التقنية المصرية كذلك استمرار زيادة سرعة وسائل النقل . وقد تحققت هذه النتيجة ، هنا ايضاً ، بفضل تعاون وثيق بين العلم والتقنية الصناعية ، وادخلت على الحياة اليومية تغييرات عميقة . فان حلماً جديداً ، هو علم دروس الظواهر التي ترافق حركة الاجسام في الهواء ، سمحت ، من اجل خدمة كافة وسائل النقل ، عن ايجاد الاحتياطات والاشكال للحد من مقاومة الهواء للحركة . وقد استفاد من تقدم طاقة الحركات وانتاجها ، فاناك تحقيق سرعة ما كانت لتدخل ببال احد منذ نصف قرن . فان سرعة السيارة القصوى التي بلغت ٢١٢ كلم في الساعة ١٩١١ و ٢٢٩ في

السنة ١٩٢٣ ، قد بلغت ٦٣٥ كلم في الساعة في السنة ١٩٤٧ . وهي لقاعة الآلة البخارية ولا سيما لقاعة القاطرة الكهربائية ما احتلت القطار بنوع سرعة ١٠٣ كلم في الساعة في السنة ١٩٣٢ وسرعة ٢٣١ كلم في الساعة في السنة ١٩٥٥ ، في حين ان وزن القطورات قد ارتفع ارتفاعاً كبيراً .

الا ان الطيران هو ما عرف اعظم تقدم : ٢٤٧ كلم في السنة ١٩١٩ ، و ٣٣٠ منذ السنة ١٩٢١ ، و ٤٠٠ كلم في السنة ١٩٢٣ ، و ٤٤٨ كلم في السنة ١٩٢٤ ، و ٥٤٨ كلم في السنة ١٩٣١ ، و ٧٠٩ بطائرة مائية في السنة ١٩٣٤ ، و ٧٥٥ بطائرة من طراز سر شميدت في السنة ١٩٣٩ . وقد تحققت هذه النتائج بزيادة قوة المحركات ، من ٣٠٠ حصان بحاري في السنة ١٩١٩ الى ٤٦٣ في السنة ١٩٢٣ ، و ٦٠٠ في السنة ١٩٢٤ ، ثم ١٠٠٠ . وفي الوقت نفسه اقبل مدى الطيران بفضل اريداد طاقة المحركات على تحمل الحرارة والتزود بالوقود في الجو (منذ السنة ١٩٣٠) ، وارتفعت ارقام الارتفاع القياسية من ٣٠٠٠ متر في السنة ١٩١٩ الى ١١٠٠٠ في السنة ١٩٢٠ ، و ١٧٠٠٠ في السنة ١٩٣٠ .

وهكذا امكن تحقيق رحلات جوية بين القارات المختلفة بين الارض الجديدة والاسود ، ثم بين الارض الجديدة وبريطانيا العظمى ، منذ شهر ايار ١٩١٩ ، بين لشبونة وريو دي جانيرو في السنة ١٩٢٢ . وفي السنة ١٩٢٧ اشيراً ، احتاز لندبرغ الاطلسي الشمالي بين نيويورك وباريس في ٣٥ ساعة على طائرة قوة محركها ٢٢٠ حصاناً . وفي السنة ١٩٢٨ ، احتازت الاطلسي الشمالي من الشرق الى الغرب ، في ٣٦ ساعة ، طائرة من طراز جونكر . ولكررت بعد ذلك الرحلات الجوية عبر الاطلسي . في السنة ١٩٣٨ اجتازت طائرة المانية الساعة بين برلين ونيويورك دعياً واياباً . وفي السنة ١٩٣٤ ، قطعت مسافة بين سان فرانسيسكو وهونولولو . وفي السنة ١٩٣٦ تحققت الجولة حول العالم في أربعة ايام . وارتفعت اوقسام الطيران القياسية فوق البحار والقدرات من ٢٠٠٠ كلم في السنة ١٩٢٠ الى ٥٣٩٦ في السنة ١٩٣٦ ، و ٧٩٠٠ في السنة ١٩٣٠ ، و ١٠٠٠٠ في السنة ١٩٣٥ .

حين تقدمت الراحة والسلامة متوازيتين ، اتاح تعاظم حجم الطائرات واستخدام معادن أقل وزناً وأكثر مقاومة يوماً بعد يوم ، استعمال الطائرة لنفسايات التجارية استعمالاً متزايداً . فبعد ان استعملت لنقل البريد ، استعملت لنقل السلع والمسافرين . وأنشئت خطوط منتظمة بين لندن الكبرى . ١٩١٩ : لندن - باريس . ١٩٢٠ : تولوز - كازابلانكا . ومنذ السنة ١٩٣٦ ، نقل ٤٢٠٠٠ مسافر و ٤٠٠٠ طن من البريد عن طريق الجو الى الولايات المتحدة .

ان البحث عن مزيد من السرعة حمل صانعي الطائرات على التفكير بالدفع العكسي الى الامام الذي يعني عن مروحة لم يعد من مجال لمعين انتاجها . ومنذ السنة ١٩٢٦ أحكم محرك ينفت عاراً خارق السرعة ويدفع بالطائرة عكسياً الى الامام بواسطة هفسة غازية ومروحة ، ولكن الطائرة النفاثة الاولى التي استخدمت محركاً يدفع بالطائرة عكسياً الى الامام بواسطة

عتقة عازية دون مروحة ، قد صنعت في السنة ١٩٣٩ ، وكانت من طراز هككل . وفي السنة ١٩٤٠ استخدم الامكليك محرك الدفع المكسي « هوتيل » . ومنذ السنة ١٩٤٣ توفرت لأسلحة الطيران المتجارية كلها طائرات مدائية . ثم ظهرت محركات الدفع المكسي (١٩٤٩) . لم تتركز الى نظرية الاسبوب التي وضعها روبه لويس مدالسة ١٩١٣ وتمتج « رفينيه له دوك » شهادة باستنهاها في السنة ١٩٣٦ . فانه تفضل ساعته وخلفت يتبع بلوح سرعة ٢٢٠٠ بين ٣٠٠٠ و ٤٠٠٠ كلم في الساعة ، اي سرعة تقارب السرعة الصوتية (بين ٩٠٠ و ١٤٠٠ كلم في الساعة) وتجاوزها (اكثر من ١١٠٠ كلم في الساعة) . وقد تحققت بالفعل سرعة قليب « ختران » حداد الصوت « (١٢٢٧ كلم في الساعة في السنة ١٩٥٢) ، وفي السنة ١٩٥٣ حطقت طائرة اختبارية اميركية ارضيت على ارتفاع كبير جداً سرعة ٢١٣٥ كلم في الساعة . وبلغ « شارون حاصر » سرعة ٢٦٠٠ كلم في الساعة على طائرة من طراز « بل . ١ » ، بينما تجاوزت طائرة اخرى من طراز « بل . ٢ » ارتفاع ٣٨٠٠٠ متر . وأتاحت سرعة الـ ٧٠٠ كلم التجارية ، بواسطة الحكومة ١ التي تنقل رهام ٤٠ مسافراً ، قطع المسافة بين لندن وحواكرو في ٣٦ ساعة ، وبين نيويورك ولندن في أقل من ٨ ساعات في السنة ١٩٥٩ ، وبين لندن وكندا في ١١ ساعة ، وبين لندن والرأس في ١٢ ساعة و ٣١ دقيقة ، معدل ٧٨٢ كلم ، في السنة ١٩٥٣ ، وقطعت الـ T. U. ١٠٤ السوفياتية في ٣ ساعات ونصف الساعة المسافة بين موسكو وباريس بمعدل ٨٠٠ كلم في الساعة وحطت على مسافة ٧٠٠ متر (١٩٥٦) ، وفي السنة ١٩٥٨ أخيراً ، قطعت الحكومة ٤ المسافة بين لندن والقاهرة (٣٥٢٠ كلم) في ٤ ساعات ونصف الساعة . وفي السنة ١٩٥٣ انتهى عبر القطب خط جوي بين « موسكو وحواكرو » على مسافة ١٢٠٠٠ كلم اضفى الى توفير ٥٠٠٠ كلم بالنسبة للخطوط العادية . فقد أبرز الطيران الذي تجاوزت سرعته سرعة الصوت الاممية القصوى للمناطق القطبية . ففيها تمر الخطوط الدائرية المباشرة التي تؤمن مواصلات سريعة بين أهم مراكز الحضارة المعاصرة ، الموجودة في اميركا الشمالية واوراسيا الشمالية الى الشمال من خط العرض الاربعين . وقد استتبع تحقيق هذه السرعة الكبرى تحويراً اماً في شكل الطائرة التي بات جسمها اصغر حجماً يوماً بعد يوم ، ونقل جناحها اكثر فأكثر باتجاه المؤخرة وأعطي شكل الدسم وحتى شكل الثالث (جسمة بشكل الدلتا) . وهكذا مهدت الطريق لولادة علم الطيران عبر الفضاء بواسطة الصواريخ كالـ « سبوتنيك » السوفياتي (٣) والـ « اكسبور » الاميركي ، فقد بلغ السبوتنيك الاول ارتفاع ٩٤٧ كلم ولم يسط الا بمسـ ٩٢ يوماً ، اما الثالث الذي كان وزنه ١٣٢٧ كيلوغراماً ، فقد بلغ ارتفاع ١٨٨٠ كلم ، كما ان « السفينة القمر » (٤٥٤٠ كيلوغراماً) التي اطلقت في ايار ١٩٦٠ ، وارسال صاروخ ، بمسـ ذلك بقليل ، يز ٣١٠٠ كيلوغرام ، ويحمل حيوانات يمكنه اعادتها الى نقطة معينة ، قد حلا مسألة العودة الى الارض ومهد الطريق لرحلات بشر الى الفضاء قام بأولها السوفياتي غاغارين في شهر نيسان ١٩٦١ ، فكانت رحلته فائحة سلسلة من الرحلات (١٧ بتاريخ كانون الاول

١٩٦٥) المتزايدة الطول مرة بعد أخرى التي قام بها رجلان وحتى ثلاثة رجال في أجهزة مرتفعة الارتفاع مطرداً (حتى ١٤ طناً) قادرون على تغيير مدارها وعلى الخروج منها في الفضاء . وكان آخر طيران آثار المزيد من الاهتمام لطيران الأمير كين وولتر شيرا وطوماس ستافورد الذين أقاموا في « جيمي » حتى مقربين أو ثلاثة أمتار من الكبسولة « جيمي » التي كان فرائدك يورس وحومز نوول يدوران فيها حول الأرض منذ اثني عشر يوماً .

خدمة المارة المعاصرة
لحل المحرص على الافادة من التقنيات والمواد الجديدة واستحداث
أطار حياة للبشر مناسباً للظروف التي أرغمتهم الحضارة
المعاصرة على العيش فيها ، تجل تجلياً عظيماً في حقل خدمة المارة ، فالطوب من التنظيم المدني
المعاصر إعادة الانسان الى الطبيعة ، والساح لاین المدينة بالتصنع من المدينة العادمة
الانسانية والحصول في المدينة المشعة ، على خير اوزان وظروف مريحة . لذلك يجب
ان تضم عدداً من الاحياء يتألف كل منها من عدد معين من « الكتل » ، المنبئة بشكل صليب
و ٧ ، بغية توفير المزيد من الهواء والور للساكن ، يلنى فيها طبعاً كل غناء داخلي . وبفضل
ارتفاع السناء ، يمكن الاحتفاظ بمساحات كبرى غير مبلية - $\frac{1}{2}$ المساحة العامة - تنشأ فيها
الساحات والملاعب الرياضية ، النخ . ونشأ ، في كل مجموعة « كتل » ، المدارس والمتنديات
وقاعات الاجتماع الكبرى والمحلات التجارية ، النخ . اما موصي هذه الآراء فهو ولد كوروزيه
الذي نشط فلانده ، انشاء الحوب ، في اميركا الجنوبية (اوسكار نيبار بنى جامعة ريو ،
وخصوصاً العاصمة الجديدة برازيليا) ، ومنذ السنة ١٩٤٥ في أوروبا (قصر اوليفي في ميلانو ،
١٩٥٤) . واد غير تحقيق مميز لافكاره هو ، بالإضافة الى قصر العدل في شنديفار ، في
البنجاب (١٩٥٦) ، كنيسة دوتودام - له - هو ، في « روتشان » ، وبناء يضم ١٦ دوراً في
موسيليا ، عدد الايواء ١٦٠٠ نسمة بحسب مبدأ « الوحدة السكنية » ، حيث تطل المساكن
المصونة من اصداه الاصوات والضجة على البحر والحمل وتوفر فيها الشرفات الداخلية الواقية
من الشمس ، والزجاج المزدوج ، والهواء المكيف . والخدمات المشتركة المعدة لتسهيل معيشة
الساكن . محازن التمرين ، والملاعب الرياضية للأطفال ، والملاعب ، والملاعب الجماعية ، ومركز
البرق والبريد والمخالف ، وغرف الاصدقاء التي تؤازر الفندق ، النخ .

ساعدت حاجات الانهاض الكبرى على تصميع البناء ، وتقديم نشاح احراء البناء الجاهزة :
قبات المصنع ينتج الجدران والسقوف والجهات والاسلام ، وأدخلت قساطل المساء والتدفئة
المركزية في الاجزاء الجاهزة عند صنعها . ولم يتنازع هذا الانتاج المسبق وتنوع الابنية وجمالها
كما يتضح ذلك من مجموعة الابنية المدرسية في هرفور شار ، حيث يتفق لتسيق الابنية اتفاقاً
مدهشاً والمنظر العام وطبيعة الارض . ولى جانب المواد الجديدة التي تحققت في اوائل القرن .
الفلولاد ، والاسمنت المسلح (تذكر هنا لمحات « تري » و « جيو توتي » ، ملعب فلامينيو في
روما ، قاعة المؤتمرات في الاوسكو في باريس) ، ولزجاج ، تقدمت مصنوعات المعيشية

والالومينيوم ، بناء شركة مونتيكاتني في ميلانو ، ١٩٥١) والاحشاب اعمدة لوحات من للياف
او لوحات مضغوطة او مفرغة في قوالب تحمل عمل الاخشاب المنشورة

مكنسة وحركة دائية
اذن دخلت الآلة كافة فروع النشاط الانساني ، فالنسيج استثمرت
آلياً اكثر فأكثر ستة بعد ستة ، والارض استصلحت بواسطة
الجرافات ، وصناعة البناء استغندمت الرافوش الآلية لحفر الاساس ، والسفن والشاحنات حملت
مواسطة الرافعات الآلية ، واحترت عمليات الحساب المقعدة واعمال حفظ الاوراق في الادوات
بواسطة الآلات الالكترونية . لقد بانت قليلة العدد جداً الحرف التي تستلزم عملاً فردياً لا
يحتاج الى مكنسة .

نجم عن كل ذلك تطور عميق في ظروف عمل العمال وحتى في ظروف حياتهم . فان قسم
العمل داخل الماشغل ، ومكنته بعد ذلك ، كانا قد افضيا ، انه في الانتاج بالجملة ، الى تفكيك
العمل وتجزئته ، واسناده على هذا الشكل الى آلات بسيطة ، دقيقة ، تقوم طيلة ايام السنة
بالعملية نفسها ، وبديريها حمل يكلفون صبط سيرها ويتحكمون من ثم تحكماً متفرداً بنفسها .
ومن جهة ثانية كانت « الادارة العلمية » التي ادخلها المذهب التاييوري ، قد نظمت العمل الفردي
ومرضت بعض الحركات الخاصة ، بعض الايقاعات المحددة ، علمياً ، بعد دروس منظمة وقياسات
رمنية مدققة ، فأتاح بذلك زيادة انتاج الادوات واليد العاملة ، وفي المرحلة التالية ، جمعت هذه
الآلات المخصصة بعمل معين جماً متسلسلاً ، بحيث يقوم العامل ابدأ بالعملية نفسها ، وانما وفقاً
لنسق الذي تفرصة الآلة . فافض العمل لجزأها ايضاً الى « هباء من العمليات الاولى »
بحيث ان عاملاً يضع المسار اللولبي في مكانه وآخر يدخل فيه الحلزونة وآخر يثبتها . اما في
المرحلة الحالية فتتجمع هذه العمليات كلها بواسطة آلات دائية الحركة تعمل فيها عدة ادوات
في آن واحد دون تدخل العامل ، كماخرطة ذات اللوحنة لاسطوانية ، وخصوصاً « لآلة -
الناقلة » التي تتيح اجراء عمليات مختلفة في القطعة نفسها ، بفضل انتقال القطعة انتقالاً ذاتياً من
مركز عمل الى آخر . فهي مصنع « فاش » مثلاً ١٤ وحدة متسلطة تقوم بـ ١٧٩ عملية (وتوفر
٨٠ ٪ من اليد العاملة) ، وفي مصانع فورد هي « كليفلند » ، استطاع المدير ان يقول :
« مساكننا هي الوحيدة في العالم التي لا تمس فيها يد انسان الرجل الممد لصنع القوالب ، عالم
يكن منه من قبيل الفضول » . لا بل ان الرقابة الالكترونية تصبح اكثر شمولاً يوماً بعد يوم :
« جبهة مراقب » دائية ، دخول السوائل في المنتجات ، ومحاكاة الصفائح المعدنية لدرجة من آلة
التصفيح ، واحجرة تصحيح ذاتي توقف الآلة في حال الخطأ ، لا بل تصحيح الخطأ ، وتغني
عن العامل الذي كان يراقب الآلة لذتية الحركة . وفي ولاية اوهايو اقليم تبلغ مساحته ٩٠٠٠
ميل مربع تزوده بالتيار الكهربائي تسعة معامل يؤمن انتاجها وتوزيع التيار تأميناً آلياً جهاز
واحد من طراز « جيد » .

ويصبح القول نفسه في صناعة المنسوجات حيث نرى الانوال العامة دائية ، التي حلت محل

الأوال البسيطة الأولى التسمية ، تتغلغل عن مكانها ، بدورها ، للآلات المتصلة الذاتية الحركة كليا ، التي يتم فيها الافتتاح والالتصاف في آن واحد ، والتي تتوقف آليا حين تكتسح اللوحة أو السدي ، كما أن الآلات ، في أعمال التوضيب ، تتولى الحساب ، والوزن ، وإيداع السلع والصناديق ، والتعزيم ، الخ ، دون أية حاجة لعمل الإنسان .

٢ - التلخيصات الزراعية

إن ظروف إنتاج الزراعي ، على غرار ظروف إنتاج الصناعي ، آخذة بالتبدل تحت تأثير العلم المميق .

حدثت الآلات والحركات ، بموازاة تقدم الصناعات الكيميائية وعلم الحياة ، ثورة حقيقية في هذا الحقل كما في الحقول الأخرى . فقد ابتدأت هذه الثورة في القرن الثامن عشر ، وأخذت لتندمج وتغطي واسعة منذ ثلاثين سنة بفضل محرك الانفجاري الذي انقضى أهمية جر حيواني ، والمحرك الكهربائي الذي وهب مرونته واستخداماته المختلفة تعباً مضافاً وبدأ عامة كثيرة في أعمال المزرعة (قاطعات حذور ، معالف ومناهل آلية ، مقطعات قش ، رافعات أثقال ، أجهزة لدق الحبوب واختيارها) وتجميع الأعلاف ، والخلط بواسطة الكهرباء ، الخ) . وأصبحت إلى الحارث والآلات الحاصدة ، وأمشاط تحفيف الأعشاب والآلات ، مطردة الالتصاف التي تجمع السنابل وتدقها حيث تجميعها ، آلات تجميع وعرابيس الذرة ، وقترتكها ، وتزرع البطاطا وتقليها وتقتلعها وتصفها في أكياس . والآلات أخرى تقتلع الشمندر وتنظفه . واكتملت هذه الممكنة مظهر الحرارة التي اختلفت غايتها باختلاف عديمة الأرض والتربة ومساحات الاستثارات . وهي الآلة - والطائرة أحياناً - ما رزعت الاسمدة وفرت مواد إبادة الحشرات ومكافحة الأمراض الفطرية في الكروم والحشائش والحقول . وانحلت الطائرة كذلك بسذر الحبوب في مساحات واسعة وفي وقت قصير جداً واستباح الامتداد الاصطناعي (شير ، في السنة ١٩١٦) . ولحقن الآلة لم توفر كسباً في الوقت واقتصاداً في العمل لمضي فحسب ، بل انتظاماً وسرعة في العمل أيضاً . كما مكنت من توسيع حقول المزروعات في البلدان الجديدة . فبين السنة ١٩٣٠ والسنة ١٩٥٠ ارتفع عدد الجارات إلى ثلاثة أضعاف في العالم في الولايات المتحدة ، ٥ ملايين مقابل مليون بين ١٩٣٠ و ١٩٤٠ . وفي بريطانيا العظمى ٤٠٠ ٠٠٠ مقابل ٢٠ ٠٠٠ في ١٩٣٠ و ٦٠ ٠٠٠ في ١٩٣٩ . وفي ألمانيا الاتحادية ٣٠٠ ٠٠٠ مقابل ٢٠ ٠٠٠ في ١٩٣٩ . وفي تركيا ٤٠ ٠٠٠ مقابل ١٠٠٠ في ١٩٣٩ . وارتفع عدد الآلات الأخرى ، ولا سيما الآلات الحاصدة - الدراسة ، ارتفاعاً كبيراً جداً أيضاً . وهكذا فإن معظم أعمال الزراعة في البلدان التي اعتمدت المكينة ، قد بعثت بواسطة آلات : ٩٥ ٪ من الحبوب في الولايات المتحدة تجميع بواسطة الآلات الحاصدة - الدافة ، و ١/٤

الذرة الصفراء بواسطة المحطات الآلية ، و ١/٥ القطن في بعض المناطق وفي الولايات المتحدة كما في الاتحاد السوفييتي تزداد المحاصيل بالجرارات . وفي ريلندا الجديدة تحلب بالآلة كافة الأبقار تقريباً .

الكيمياء الزراعية
وعلم الحياة
أصبح استخدام الأسمدة الكيميائية عاماً - نترات الكلس ، سوبر فوسفات البوتاس ، الأسمدة المركبة ، يمزج البوتاس والفوسفور والأزوت بحسب حاجة التربة والمناخ . وأصبح هاماً كذلك استخدام بعض المواد كالتفتيز والبور الذين يزيدان من مقاومة الأشجار المثمرة للبرد ، والزنك وارسينات الرصاص اللذين يتملحان بسبب الأمطار ، ومبيدات الحشرات الفعالة ، كالـ د. د. ت. ، التي تقى المزروعات وتيسر نمو تربية المواشي بقضائها على البعوض في مناطق واسعة من بورات المناطق الحارة . وهو علم الوراثة المصري ما ألحق المحصول على أنواع مختلفة من مسافات بسيطة جداً قادرة على الحياة بمحد أدنى من الحرارة ونور الشمس ، وعلى تحمل فصول أمطار قاسية جداً ، وعلى الإثمار في فصل صيف قصير جداً ، فسمحت بذلك زراعة مساحات شاسعة من الأراضي الشالية الباردة في كندا وروسيا وسبيرييا . وبفضل التجهيز ، خلقت نباتات جديدة حقيقية ، وبعض الاخصاب الاصطناعي امكن الاكثار من أسال الفعل الواحد والمحصول على انسال أوفر صحة .

النتائج الاقتصادية
لم تعتمد هذه الطرائق الحديثة على نطاق واسع الا في الولايات المتحدة وكندا والاتحاد السوفييتي وبعض مناطق أوروبا وأميركا وأستراليا
ولا يزال أكثر من مليار فلاح يستخدمون الطرائق التقليدية . ولكن هذه التحسينات ، جنباً دخلت ، زادت الانتاجية وخفضت اليد العاملة الريفية ودفعت الى التخلي عن تربية الاصناف المزروعة والاكتفاء بزراعة صنف واحد .

اذن ارتفعت الانتاجية ، قبلت انتاجية العامل الأميركي أكثر من ثلاثة أضعافها منذ السنة ١٩٣٠ ، وبلغت ضعفها في أستراليا ورييلندا الجديدة خلال ٣٠ سنة ، وبلغت نسبة ارتفاعها ٥٠ بالمائة في انكلترا منذ السنة ١٩٣٩ واتحدت اقتصاد يد عاملة وفيرة . وهو العامل اليدوي ، بصورة عامة ، ما اعنت عنه الآلة في بعض مناطق الاملاك الصغيرة ، جنوبي الولايات المتحدة ، الهند ، تركيا ، وم المزارعون والشركاء من ضرروا ، لأن استخدام العمال الأجوريين استخدم ما منحرا اقل كلفة . وتحول العامل الزراعي ، حينها ، الى مستر آلات لا يحتاج الى خبرة زراعية كبرى كما في السابق ، وكاد لا يتميز عن عامل المصنع . وفي بلدان الاقتصاد الرأسمالي ، أصبحت الاستثمارات الصغرى اقل براداً او دون ايراد ، كلما سيطرت الآلة ، وغالباً ما تجتمعت الاستثمارات والاملاك لان د الاملاك الكبرى وحدها تكون في وضع مؤات بالنسبة للآلة (د. هوشيه) ، فارتفع معدل مساحة المزرعة الأميركية من ٥٠ هكتاراً في السنة ١٨٩٠ الى ١٠٠ هكتار في السنة ١٩٥٥ . وازدادت الفلاح خيراً اقل

تأثراً بالظروف الجوية وأقل عياء بعمل محض، وحتى إذا حدث أن لا يقيم بالقرب من استنارة، فإنه بات أكثر تأثراً بالسوق، الوطنية والدولية، وذاق الأمرين من هواقب كافة الأزمات. وهو قد أمسى، بفعل مشاغله، متمهداً أو قاجراً مضطراً لأن يخضع للتعطيل، وأن يتخلى من ثم عن فرصه التقليدية.

زادت المكنتنة من ارتباط الزراعة بالصناعة والقطاعات الأخرى غير الصناعية في الاقتصاد التي توفر لها الجرار والوقود. واكسبت القطاع الزراعي مساحات واسعة خصصت من قبل للزراعات العلفية الضرورية لحيوانات الجر، وخصصت منذئذ للزراعات التجارية، فارتفع من ثم الانتاج الزراعي، وانجزت الأعمال بمزيد من المرونة، فأتاح ذلك، طيلة أيام السنة، استخدام الآلات وبدأ عاملة غير عاملة مسياً. وفي مناطق الحدود الأميركية الجنوبية الشرقية، افادت المكنتنة للفراخ، المتنقل، أن يأتي بالآلة ويزاول عمل الحراثة والبذر في الحريف ولا يعود إلا في الصيف التالي مع آتته الحاصدة - الدافعة بجمع الحصاد. وحسنت ظروف المعامل الزراعي الذي بات أقل عياء وأملأ. فان استخدام الطاقة الآلية، وكهربة الآبار، والحاف، والسيارة، قد قللت الحياة الريفية رأساً على عقب واسهمت في تقريب ظروف حياة الفلاح من ظروف حياة ابن المدينة.

على نقيض ذلك زادت المكنتنة من خطورة البؤس في البلدان غير النامية التي تنتشر فيها البطالة ولا يتوفر فيها العمل الزراعي حيلة أيام السنة لطافة الأعمال، إذ أن العمال المحرومين بسببها من سبل العيش لم يجدوا عملاً لهم في المناطق الأخرى. فلم يستعد منهم سوى كبار الملاكين وكبار المزارعين، القادرين وحدهم على اقتناء المعدات الجديدة، وكانت النتيجة اتساع الفجوة بين لاأثرياء والفقراء. وسوف نرى ذلك جيداً في الشرق الأوسط.

٣ - النتائج الاجتماعية

تطور ظروف العمل است زيادة الأبرادات، التي باتت ممكنة بتطور تقنيات الانتاج، قد بدلت ظروف معيشة الإنسان المعاصر تدبلاً عميقاً في عمه وحيلاته اليومية على السواء.

حدثت الآلة من الجهد العضلي بتدبيرها الأعمال اليدوية الكبرى. و«حررت» من جهة ثانية، كما سبق ورأينا، شطراً كبيراً من اليد العاملة، أي أنها خلقت ظروفاً مؤاتية لتخفيض عدد العمال (أدت الآلات اندائية الحركة في مصانع فورد تخفيض اليد العاملة الميالية بنسبة ٩٠٪ ومضاخلة الانتاج) وعدد ساعات العمل في اليوم. ومن البديهي أن التقنيات الميالية سعت وراء فرض هذا الحل الأخير، بالتفضيل على تخفيض عدد العمال تخفيضاً كبيراً، أي على البطالة. فان اسبوع الستين ساعة، الذي اعتمد اعتاداً شه شامل في الصناعة الأوروبية حوالي السنة ١٩٠٠،

مع بعض الاختلافات بحسب المدن ، قد هبط الـ ٤٨ ساعة في ١٩٢١ ، و ٤٠ ساعة في ١٩٣٧ . كما هبط يوم عمل القاصر من ٧،٤٥ ساعة في ١٩١٣ الى ٦،٢٠ ساعة في ١٩٣٧ . ولا ان هذا الاتجاه توقف منذ السنة ١٩١٥ وغير محركا صاعدة بطيئة . ٤٤ ساعة في ١٩٤٤ ، و ٤٧ في ١٩٥٣ ، و ٤٦ في ١٩٥٧ ، و ٤٧ مرة أخرى في اواخر ١٩٦٣ . اما في الزراعة فيقدر ان ساعات عمل المستثمر قد انخفضت بنسبة ١٠٪ ، وساعات عمل الاجراء بنسبة ٢٥٪ . وان اخطار التسريح بالجملة ، التي انطلوت عليها المكثنة ، حلت النقابات المالية على ان قدون في برعها المطلة بأسبوع للثلاثين ساعة .

في الوقت الذي ارتدت فيه لالة هذه الأهمية المتعظمة ، اندثرت الكفاءات أيضا . فلم يعد هناك ما يبرر العمل التخصصي . ان تنسيق العمل بات منوطا بالالة لا بالعمل . وطرا من جهة ثانية ثدن حقيقي على المهارة لمنهية . فلا حاجة بعد لليوم لحري حبير قادر على ان يصنع أداة كاملة او يصلحها ، او واقف على حيل صناعية اكتسبها بمراولته المهنة واختصاره . هو ، او على « اسرار تقنية » ، دقت اليه من والده . فمن شأن بعض العمال اليدويين والمهجين الاختصاصيين (دون اعداد مهني حقيقي) ان يقوموا بالعمل دون سواهم . وعند السنة ١٩٢٦ ممكن اطلاق ٨٥٪ من عمال مصانع مورد ، في اقل من اسبوعين ، على العمل الواجب تأديته ، و ٧٩ بالمائة منهم في اقل من ثمانية ايام . وفي مصانع الزجاج يُدرَّب ٦٠ بالمائة من العمال خلال اسبوعين . وقد تدنى دور العمال بفعل بعض الآلات التي تقوم بأعمال كثيرة ، بصورة خاصة . لقد حدث ما يشبه تقطيع اوصال العمل تقطيعا حقيقيا . فقد وضع العامل امام د احزمة تتجه نحو الحلول محل نشاطه الشعبي ، وحدثت مصادمة المهنيين من مصادمته حداثا مطرد ، و مكاتب الدروس فرضت عليه حركات وتنسيق عمله الذي لم يعد ليدرك معناه ، لا بن بات يحمل المائدة التي يطلب اليه تحويلها .

كانت النتيجة الطبيعية المتفانة لهذا التندبي الدسمي في الاعمال اليدوية ، التي يقوم بها اليوم عمال يدويون يختلقون تخصصا ، ظهور طبقة جديدة من الصناعيين اليدويين ، تألفت من العمال المكلفين صيانة واصلاح المعدات والادوات ، ومن اولئك الذين يسيرون لآلات الجديدة ويحكمون انتاج الأمثلة لاول والذين فرض عليهم تحصيل تقني كثر اقناعا من ذي قبل . وكانت كذلك تعدد المكاتب التي استدرت عمل « الفنيين » ، مكاتب الشؤون القضائية ، والمالية ، والتجارية ، ومكاتب الدروس حيث يصمم المهندسون لمعدات ، ويهيئون الطرائق الصوابية التي تتيح الانتاج فيفضل الظروف ، ويتمتعون بالمصوغات الجديدة في عملهم . فهي الزراعة كما في الصناعة اعصى استخدام الآلات من ثم الى رفع عدد الميكانيكيين و الصالحين ، كما اعصى الطامع العلمي الذي ارتدته الطرائق الى رفع عدد المختبرات والمعدات الاختبرية ، ولكن عددها اعد من ان يبيض من الخفاض اليد العامة السابقة . اضاف الى ذلك ان التخصصات التقنية الجديدة قد رادت في تقسيم العمل وفي القهطمة بين منفذي العمل والمسؤولين ، الذين استشفوا مدد زمن

بعيد واصبح اليوم كاملين . وهكذا فان العامل قد وضع في بيئة جديدة ، متحسنة من بعض الأوجه ، إذ ان المصنع الداوي الذي لكشاك فيه سيور نفس الحركة ، وشكرك فيه حركة المبال حول آلات صاجة ، يفسح المكان شيئاً عثيثاً للمصنع الذي زالت منه الأعمال القذرة والسذي لا يظهر فيه سوى بعض فنيين يراقبون سير الآلات المخففة في شبه خزائن معدنية .

ليس العامل وحده من عمل في الظروف الجديدة التي فرضت عليه الآلة فيها نظاماً صارماً جداً . فالمستخدم المكتتب كذلك قد « قيد بدوام ملزم » ، والمخرف في « سباق غير منتظم في وسط جهور يتسلط عليه الخوف من التأخر » (ج . فريدمان) وعمل في بيئة حولتها الآلة . ففي المكتتب كما في المصنع حلت الآلة محل الكائن البشري : لقد قامت مقام دائرة استلام البريد وإرساله الآلات لتفحص العلاقات وتردها ، وآلات تدخل الأوراق في العلاقات ، وتلصق العلاقات والطابع . وباتت دائرة أمانة السر ، وأمين السر الخاص ، والمعالزوب الضاربون على الآلة الكاتبة ، دونها فائدة فعمل جهاز تسجيل الصوت لأصلاء البريد والجهاز التلفزيوني لتسجيل الأحرف مباشرة ، « والحامد الضاربين على الآلة الكاتبة الذين لم يعودوا يتصلون اتصالاً مباشراً بواضع النص الواجب استكتابيه » أصف إلى ذلك ان الآلات الالكترونية التي تحول إلى تقويم المعلومات التي تولدها ستة مطروحة ، والحافظ الالكتروني الذي يصنف البطاقات المثقوبة على هذا الشكل في الترتيب المطلوب (١٩٦٠ في الدقيقة ، بواسطة المصنعة « بوروز ») ، بينها تتولى آلات أخرى ، « تشمر » بهذه الثقوب ، إعادة نقلها إلى أحرف وأرقام بواسطة جهاز للعرافي يطبع الأحرف ذاتياً ، والآلات الحاسبة ، والآلات الإحصائية ذات البطاقات المثقوبة والآلات الالكترونية للقدرة على الحساب والتوفيق بسرعة يعجز عنها دماغ بشري ، قد بدلت ظروف عمل المكاتب والإدارات كليا . واستخدمت شركة « ميشين سل للتلغراف » آلات ذاتية الحركة لحساب المعايير تسجل أشرطتها المثقوبة الجهار الطالب والجهاز المطلوب وأوانت بدء المخبرة وأوان انتهائها وتجمع هذه المعلومات لكل مشترك . وان الأشرطة المنطيسية التي كانت تسجل ، أي « نقرأ » أو « نكتب » بين ١٢٠٠٠ و ١٥٠٠٠ حرف في الثانية في السنة ١٩٥٢ ، باتت تسجل اليوم ٣٠٠ ٠٠٠ حرف أو رقم .

النتائج الاجتماعية
التنسيق الآلي
ان التنسيق الآلي اخذ في ترك نتائجها الاجتماعية وفي تطوير ظروف الحياة المهنية نفسها تطويراً عظيماً . فهو قد قرب ، بدوت أي شك ، بين ظروف عمل العمال والمستخدمين ، ولكنه تسبب في إلغاء اشغال كثيرة . وقد انخفض عدد العمال الاختصاصيين والعمال اليدويين في التنظيم التقليدي ، في حال ان عدد الاشغال الجديدة التي ستزدها الآلات اقل شأناً من الحد بعيد من الاشتغال الملقاة . رد على ذلك ان تحول العامل اليدوي إلى مستخدم عني مستحيل عملياً . وكان نقص المستخدمين في المكاتب اقل ظهوراً بسبب استخدام العديد من افراد الجنس اللطيف الذين كثيراً ما يتركون للحصول

بسبب الزواج والتقاعد المبكر والامومة . يضاف الى ذلك من جهة ثانية ان استلام عمل جديد في بعض النشاطات الاخرى اسهل من الاصل . اما الموظفون المتوسطون المكلفون اجراء الاحصاءات واعطاء المعلومات ، فقد بدء الدماغ الالكتروني منافسا رهيبا بالنسبة لهم لانه قادر ، في وقت قصير جداً ، على اعطاء معلومات اوامر عددية الى حد بعيد مما يستطيع اعطاءه الدماغ البشري . وهي المصارف وشركات الضمان بصورة خاصة ، والمشاريع الصناعية الكبرى ، كما هو طبيعي ، ما استخدمت الاجهزة الالكترونية استخداماً واسعاً .

يجدر بما ان نصف الى خطر البطالة هذا ، الذي يهدد الولايات المتحدة منذ اليوم مهديداً دائماً ، زوال تسلسل الاحور الذي كان معمولاً به من ذي قسمل . فان موظفي رقابة وصيانة الاجهزة الالكترونية الذين يتعاملون ، بالإضافة الى الخبرة ، بتقانة تقنية واسعة وشاملة ، يتقاضون اجوراً مرتفعة ولكن ارقدهم كلفة لآلات يستلزم استعدادها دون انقطاع (يتناوب 3 او 4 فرقاء في الـ 24 ساعة) وتخطيط عمل دقيقاً (مما احدث تبديلاً هاماً بالنسبة لموظفي المكاتب الذين لم يألفوا العمل التسلسلي) ، وامام ندبي أهمية العمل الفردي ، اخذت مكافأة المسؤولية تحمل شيئاً غريباً محل مكافأة الانتاج .

اوجبت نتائج انتشار التنسيق الآلي هذه - كما أبان ذلك جورج فريدمان - رقابة الانتاج واسعدات اجهزة مطلقة ومكيفة ، اي « انت التنسيق الآلي والتخطيط بالاعراض » . اذ انت عمليات التخطيط لا يمكن ان تكون ذات فاعلية ، لا بالجهود الى الاقتصاد الرياضي والآلات الالكترونية من أجل التقدير الاقتصادي المتنوع الاشكال ، (بـ . مندريس - فرانس) .

تطور الحياة اليومية ليس من شك في ان تزايد انتاج المواد الزهيدة الكلفة والمدروسة درماً صواباً قد أتاح في بعض البلدان رفع مستوى الحياة المادية بنسبة كبرى : ففي الولايات المتحدة ، حيث قدر معدل أجر ساعة العامل بـ 8 و 5 كيلو حنطة في السنة 1910 ، و 22 في 1936 - 1939 ، اصبح هذا المعدل 20 في السنة 1946 . وكان هذا الارتفاع أقل بروزاً الى حد بعيد في فرنسا ، حيث يبدو ، اذا ما أخذنا بعين الاعتبار الأجر خير المناصر (التحويزات المالية ، الضمان الاجتماعي ...) ، ان الاجور الحقيقية التي يتقاضاها ارباب المالكات هي وحدها ما زادت منذ السنة 1918 ، بينما تدهنت بعض الشيء أجور العمال المزائب . يضاف الى ذلك أن انتشار العمل النسائي قد اسهم في رفع مستوى المعيشة هيباً خففت تحسينات القنوت المنزلية ومكثنة العديد من الاعمال البهيلة من عبء عمل الامهات وألحقت تحقق رفاهية لم تكن معروفة منذ سنوات قديمة ، ولا سيما قد زالت الخدمات الشخصية الا بالنسبة لليسورين .

اذا كان السبل لا يستلزم اليوم الجهد الجسدي الذي استلزمه من ذي قبل ، فان توتر الاحصاء قد اصبح بالمقابل اشد منه في أي وقت مضى ، فان الآلة تفرض على من يخدمونها جهداً ثابتاً قد

يتعذر احتماله ببدل على كل حال الشعب الجسدي الموضوعي السائق بهذه عامة معنوية ربما كانت اسرع حدوثاً منها في السابق ولذلك فإن «النسق الجسمي» ليس تمييزاً للمطالبة فحسب ، بل هو حقيقة راعية في قلب الاحياء ؛ وربما حمت وصاة «السودية» الجسدية ، ولكنها بدلت بـ «عودية عقلية» مخلة : «الضعف العقلي» والانهيار العصبي ، وسرعة التآكل ، امراض عالماً ما يشعنها اعضاء العمل في العمال . وغالباً ما أدى العمل المسال في احداً الى تزايد عظيم في عدد الحوادث الخطيرة والاضطرابات العقلية (من ٣٠٪ في ١٩٣٥ الى ٣٪ في ١٩٥٥ في فرنسا) .

ان هذا العمل ، الذي يتسبب في تعب الاعصاب قد أصبح في الوقت نفسه عملاً لأنه خلوص أية فائدة عقلية أو نفسية ومقتصر على بعض العمليات البسيطة المتكررة ابدأ . وكما لاحظ ذلك ج . فريدمان ، شعر العامل بامتنان كرامته بفعل نظام بطاقات التعليلات وتقييده بالوقت ووجود المفتشين والمراقبين ، مقام يحميه مرعياً ، لا سيما وان التحصيل التقني العالي المطلوب لتولي مراكز القيادة أو التصميم يحور أكثر من أي وقت مضى دون ارتقائه الاجتماعي ؛ ونجم عن ذلك شعور «محرم» ان حق مهني يستلزم نشاطات مدنية . يحاول الانسان الحرب لأن «حياته» ليست بعد اليوم في محله ؛ وهو يقوم بمحاولته هذه بتكوير اوقات فراغه لنشاطات مختلفة ، كالحمل في الحديقة والنشاط الفني والرباض - الضرورية لاستعادة التوازن الجسدي المحتل في المصنع ، والمرتبطة ارتباط وثيقاً بحياة المدينة واصنع على الرغم من افتقارها بين سكان الأرياف - والسياحة والتلهي بالراديو والتلفزة أو السينما .

وفي الوقت نفسه يقاوم العامل نظاماً «يحول الكائنات البشرية الى مجرد آلات» . ومن أجل مقاومة هذا التنظيم الازماني ، ولأشعار التي تهدده بها المكسة ، والبطالة ، وانخفاض الاحوار النسبي ، يلجأ الى الاضراب ، ولا سيما الى انقاص انتاجه نقاصاً مقصوداً .

لا شك في ان طبقة اجراء الشركات الصناعية قد وجدت التعانيس الذي تميزت به في اوائل القرن ؛ فان التمييز الذي نجم عن تطور التقنيات قد انقضى الى تعدد فئات الاجور ؛ أحور ذكور وأحور أفاث ، أجور زراعية وأحور صناعية ، قطاع عام وقطاع خاص ، أحور وحسين وأحور اجانب ، ومنتمت الاختلافات بين المستخدمين والعمال اختلافات في الدول ومستوى المعيشة ، ووعياً طبقياً متفاوتاً للتباينات الاجتماعية التي تقسم العمل القايي وتشله احياناً . وإذا كانت نظرية افكار الطبقة العمالية «افكاراً مطلقاً لا يمكن انتدائها او نفيها بصورة عقلية» ، كما يعتقد «ف. سلييه» و«ا. تيانو» ، «الذين يميلان الى انتابها» فإن «الانقصار النسبي» واقع راجح .

الخلاصة كانت «آلة العديمة الشعور» موضوعاً مفضلاً لطرق العديد من حجاب وعلماء الاحلاق . فقد جعلت التقنيات الصناعية مسؤولة عن اضطراب الحياة العصرية وقسحها وزوال كمال هوى ودوق ، وفقدان «حرية» الفرد . ولكن هذه الانتقادات

يجب ان توجه لاستعمال الآلات لا الآلات نفسها ، كما كتب كارل ماركس ، ونظام انتاج
فوضوي ، لا الى التقنية كـ منتج فريدمان . فالتقدم للتقني وحسبه يمكن رتقاء
« تكبير الطبيعة بالنسبة للسان » وتغذية الجماهير السريعة التبدل ، وايضا اوقات الفراغ
والاموال التي تسمع ماديا بالتمتع بها ، واذا لم يستطع الجميع الاستفادة منها ، فليس هو سب
عدم الاستطاعة هذا ، بل نظام التوزيع .

الفصل الرابع

مسألة القرن العشرين الكبرى

تغذية سكان يتزايدون تزايداً سريعاً

إن التقدم المعنى الذي أحررته العلوم والتقنيات والذي أوجزه في العصور السابقة قد يسّر ، منذ القرن التاسع عشر ، تزايداً عظيماً في حجم الثروات المنتجة في العالم وفي عدد السكان . وكانت إحدى نتائج الأخرى فداقم داء عدم المساواة : عدم مساواة بين الطبقات الاجتماعية وعدم مساواة بين الشعوب ، أقلية من الناس في كل امة وأقلية من الشعوب في العالم تستفيدان من معظم هذه التحسينات ، بينما يعاني العدد الأكبر من اللؤس وحتى من المجاعة ، وغالباً ما يرق هذا التمييز بين شعوب «غنية» وشعوب «فقيرة» تميز هنصري ايضاً .

تتصرف نسق ارتفاع سكان الكرة الارضية بحريد من السرعة . لقد
تقدروا بـ ٥٠٠ مليون تقريباً في منتصف القرن السابع عشر وبـ ٧٠٠
مليون في منتصف القرن التالي ، فكاه عدم يتضاعف بين ١٨٥٠
و ١٩٥١ ، منتقلاً من ١٢٠٠ مليون إلى ٢٣٦٠ . أي ان هذا العدد قد ارتفع إلى أكثر من اربعة
اضاعفه خلال ثلاثة قرون ، وزاد ٩٣ مليوناً في ١٩٦٢ ، وسوف يبلغ ٣٣٠٠ مليون حوالي
السنة ٢٠٠٠ . ونسق الزيادة هذا هو نسق الزيادة في آسيا التي يقدر ان عدد سكانها ربما ارتفع
من ٣٠٠ مليون إلى ١٢٨٣ مليوناً ، بينما يقدر ان عدد سكان أوروبا قد ارتفع إلى خمسة
اضاعفه ، وسجلت القارة الاميركية ، كما هو طبيعي ، أعظم زيادة إذ ان عدد سكان اميركا
الشمالية ارتفع من ٦ ملايين تقريباً قبل قرنين إلى ٢٠٥ ملايين ، وارتفع عدد سكان اميركا
الجنوبية إلى ٢٠٠ مليون . وقد اختلف معدل الزيادة اختلافاً كبيراً في الزمان والمكان ، وهو
هذا الاختلاف وهذه السرعة في الزيادة في بعض اجزاء الكرة الارضية ما خلخل التوازن
السياسي والاقتصادي في العالم وجملاً الأطر التقليدية لتفسيخ وتدهام .

ان أوروبا هي القارة التي بلغ عدد سكانها اعظم ارتفاع خلال القرن التاسع عشر ، ولكن

هذه الانطلاقة الديموغرافية قد حدثت تدريجياً ، كلما تحسنت ظروف المعيشة . يضاف الى ذلك من جهة ثانية ان انخفاض نسبة الوفيات قد سبق انخفاض نسبة الولادات وحدث ببطء ، فاقى هذا البطء وامتداد تدرج الزيادة الى فترة طويلة الى الحد سبباً من اختلال التوازن . اما اليوم فان جدوى مكافحة الموت قد خففت نسبة الوفيات تخليصاً بيناً وأفضت الى ارتفاع ملحوظ في عدد السكان القليلي النوالد وارتفاع كبير جداً في عدد السكان الكثيري التناسل . وهو هذا التمدني في نسبة الوفيات ما يشكل الحدث الاساسي في أيامنا هذه وما يزيد سرعته من نتائجها . ان الثورة الديموغرافية ، التي امتدت على قرن كامل بالنسبة لتدني الوفيات ، قد تحسرت هنا في عقود محدودة (ل. شفاييه) . وبينما كان الاتجاه من جهة ثانية ، في السنوات التي سبقت الحرب العالمية الثانية ، نحو تخفيض نسبة الوفيات ونسبة الولادات معاً ، فمثلاً سنة ١٩٤٠ ، وتحت تأثير التدمير الهادف الى تشجيع العائلات والامن الملقى على استخدام ثابت وعلى بعض التغيير في الذمسية ، ارتفع معدل الولادات في بعض البلدان الأوروبية ولا يزال آخذاً في الارتفاع ، بينما لا يزال معدل الوفيات آخذاً في التمدني . الا ان المارق في الحضارات القديمة الغربية الطراز ما زال قليلاً الى الرغم من الارتفاع ، بينما هو يصبح اكبر فأكبر يوماً بعد يوم في البلدان ذات الحضارة البدائية التي انخفضت فيها نسبة الوفيات فجأة وبليت في نسبة الولادات مرتفعة جداً . وهذه هي حال معظم البلدان الحارة في الشرق الاقصى . وحدث في بعض بلدان اميركا اللاتينية ومنطقة الكارييب وأفريقيا كذلك ، خلال سنوات قليلة ، تدن ملموس في معدل الوفيات بفضل اعتماد الطرائق العصرية في مكافحة الامراض (تطهير المياه ، اموية مكافحة الجراثيم ، د.د.ت) . فان استعمال الر.د.د.ت ، في صواحي جورجيتون في غويانا الاسكيزية مثلاً قد خفف نسبة الوفيات بين الاطفال من ٣٥٠ الى ٦٧ ٪ . خلال سنتين ، اي بين ١٩٤٧ و ١٩٤٩ . ومثل معدل الوفيات من ٢١٥ ٪ في ١٩٣٢ الى ٩ ٪ في ١٩٦١ في سيلان ، ومن ١٧٤٨ ٪ الى ٧٤٤ ٪ في اليابان ، ومن ٢٥٤٢ ٪ الى ١١٤٩ ٪ في التشيلي ، ومن ٢٥٤٢ ٪ الى ١٦٧٧ ٪ في المكسيك ، ومن ١١٤٤ ٪ الى ٦١٧ ٪ في يوروقويكو ، الخ .

ارتفع عدد السكان من ثم ، في كافة بلدان أوروبا ، ارتفاعاً متبايناً ، وضيقاً الى كل حال . فان أوروبا الحرة الغربية تسجل زيادة مليونين في السنة . وقد ارتفع عدد سكان بريطانيا العظمى ، بين ١٩٣٢ و ١٩٤٩ ، من ٤٦٣٠٠ ٠٠٠ الى ٥٠ ٤٠٠ ٠٠٠ . وعدد سكان بلجيكا من ٨ ١٠٠ ٠٠٠ الى ٨ ٦٠٠ ٠٠٠ . وارتفع عدد سكان هولندا وحدها ، حيث نجد أنه في نسبة وفيات وأعلى نسبة ولادات في أوروبا ، من ١٠٠ ٠٠٠ الى ١٠ ملايين . اما إيطاليا فقد ارتفع عدد سكانها بنسبة ١٢ ٪ ، ولكن سكانها ، يطمبون في السن ، : في السنة ١٩٥٠ ، بلغ اليافعون والمصابير ٥٤ ٪ . ويرتفع عدد سكان أوروبا الشرقية ارتفاعاً اكثر سرعة ، ويتميز السكان بنسبة كبرى من الشباب . اما سكان بعض البلدان كأمريكا الجنوبية وأستراليا وكندا والولايات المتحدة فقد ارتفع عددهم ارتفاعاً كبيراً ايضاً . فانتقلت الولايات المتحدة

من ٨٠٠ ٠٠٠ في ١٩٣٢ الى ١٩٠ مليوناً في ١٩٦٣ . وتحتفظ الدول الجديدة غير النامية الآخذة في التصنيع في اميركا اللاتينية ، واليابان ، بنسبة ولادات مرتفعة بينما تقترب نسبة الوفيات فيها منها في البلدان الأوروبية . الا ان اليابان قد توقفت (« برقمة الولادة ») الى تخفيض معدل الولادات من ١٠٤٩ ٪ في ١٩٥٠ الى ٦٢٨ ٪ في ١٩٦٤ . اما البلدان التي يحدث فيها أعلى ارتفاع فهي البلدان الحارة في الشرق والشرق الأقصى : فقد ارتفع عدد سكان الهند (وباكستان) من ٣٤٥ الى ٤٣١ مليوناً ، وسكان مصر من ١٥ الى ١٩ مليوناً . وبلغ معدل الريادة السنوية ٢٤٣ ٪ . وبلغ معدل الزيادة السنوية ٢٧ ٪ في سبيلان بمعد القضاء على الملايا بواسطة الـ ٥٠٥٠٥٠٠ . ويتميز سكان كافة البلدان غير النامية بالشباب ، اذ ان نسبة من هم دون الـ ١٥ سنة تبلغ ٤٠ بدانة في مدهشتر واندونيسيا وماليزيا وروديزيا الجنوبية والجزائر الخ . فالرغم من نسبة الوفيات المرتفعة بين الاطفال .

اطالة امد الحياة
عدم المساواة امام الموت

كان من نتائج العطب الوقائي واكتشاف الامراض والتجارب ذات الصلة اطالة معدل مد الحياة في البلدان المتطورة ، ومن ثم اطالة امد الحياة و المتبعة ، اطالة ذات قيمة . فان اصل الحياة عند الولادة الذي كان ٦١ سنة في كندا في ١٩٣٠ انتقل الى ٦٧ سنة في ١٩٤٩ . وانتقل هذا الامل في الولايات المتحدة من ٦٢ ٪ الى ٦٨ ٪ بين البيض ومن ٥٠ ٪ الى ٦٠ ٪ بين الملونين ، وفي اليابان من ٤٨ ٪ الى ٥٧ ٪ . وفي فرنسا من ٥٨ ٪ الى ٦٤ ٪ . وفي ايطاليا من ٥٤ ٪ الى ٦٣ ٪ . وفي هولندا من ٦٦ ٪ الى ٧٠ ٪ . وفي المملكة المتحدة من ٦٠ ٪ الى ٦٨ ٪ . ولكنه ما زال ٤٤ في مصر ، و ٣٣ في الهند ، ودون هذه المعدلات الى حد بعيد في الصين واندونيسيا كما نرجح . ولكل ثلاثة اولاد من اصل اربعة يرون النور في هولند الحظ في النيش حتى ٦٠ سنة ، بينما لا يتوفر هذا الحظ الواحد من اصل اثنين في الهند . وهناك ٤٧ شخصاً من اصل ١٠٠ ٠٠٠ يموتون بالتهنئة الرئوي في الولايات المتحدة ، و ٦٢ في بريطانيا العظمى ، و ٣٠٠ في الهند ، و ٤٥٠ في الصين واندونيسيا وهكذا فضلاً امل للبلدان المأهولة سكان « متقدمين في السن » فانخفاض نسبة الوفيات فيها ، بينما يزداد سكان المناطق الأخرى المخصصة « مبرداً مطرداً » ويزداد في الوقت نفسه اختلال للتوازن بين البلدان المتميزة بمسافة ديموغرافية كبرى ، وهي البلدان المتدنية الدخل جيداً ، وبين « الأقلية المنقسم عليها » التي يزداد سكانها ببطء او لا يتزايدون السنة ، بين آسيا مثلاً التي لا تحصل سوى ١١ ٪ من الدخل العالمي مع ان سكانها يحدون ٥٠ بالمائة من سكان الكرة الأرضية ، وبين اميركا الشمالية التي يبلغ سكانها ٧ بالمائة من سكان الكرة الأرضية وتقتطع ٣٥ بالمائة من الدخل العالمي .

يلاحظ عدم المساواة امام الموت بين الطبقات الاجتماعية وبين الشعوب على السواء . وانت الفارق في نسبة الوفيات بين الاحياء اليسورة والاحياء الفقيرة في باريس يبلغ ٣٦ بالمائة ، ويبلغ

النسبة نفسها بين الحرف . ففي بريطانيا العظمى يبلغ معدل الوفيات ١١٠١ بالآلاف بين العمال غير الاختصاصيين بينما هو لا يبلغ سوى ٨٠٢ بالآلاف بين الموظفين المسؤولين عن هؤلاء العمال . ويبلغ ١٤٠٠ بالآلاف في الولايات المتحدة بين العمال غير الاختصاصيين و ٦٤٧ بالآلاف فقط بين مزاولي المهن الحرة . وإذا ما نظرنا في فرنسا إلى نسبة وفيات الأطفال بين شهر راتني عشر شهرا لرأينا أنها تبلغ ١٧ بالآلاف في عائلات المحاسبين ، و ٦٢ ، ٣ في عائلات عمال الطرقات و ٩٦ ، ٤ في عائلات عمال المناجم ، وتبلغ في نكلترا ٨ ، ٢ بالآلاف بين أولاد اصحاب المهن الحرة و ٧٥ ، ٤ بالآلاف بين أولاد العمال .

تنتج هذا الوضع في سنن التنمية

أظهرت أبحاث الـ « فاول » (منظمة الأمم المتحدة للتقنية والزراعة) أن ثلث البشر فقط كانوا يتصرفون في ٢٧٥٠ وحدة حرارية في اليوم وأن نصفهم كانوا يتصرفون في أقل من ٢٢٥٠ وحدة ، وهو الحد الأدنى الذي يعتبره الفيزيولوجيون ضروريا للحفاظ على الصحة . وكان استهلاك البروتينات الحيوانية في اليوم يتراوح بين ١٢ غراما في اليابان و ٦١ غراما في زيلندا الجديدة . وهي الدول المأهولة بالسكان البيض في أميركا الشمالية ، وبريطانيا العظمى ، وفرنسا ، والدول السكندنافية ، وألمانيا ، ما تفرقت لها ، غذاء الحرب ، تغذية معقولة وكافية ، وإنما لوحظ ، حتى في بريطانيا العظمى ، أن استهلاك اللحوم والاسماك قد قارح بين ١ و ٢ بحسب العائلات الاجتماعية ، وأن ٢٠٪ من السكان كانوا معتقدين إلى القيتامينات والأملاح المعدنية . ثم جاءت الحرب تزيد من خطورة الوضع . فهي البلدان الحاصصة للاستثمار الألماني ، تسببت في ظهور المجاعة مرة أخرى والأمراض الساجمة عن المجاعة ، التي كانت قد آلت إلى الزوال ، ثم تحسن الوضع تحسنا طفيفا متباينا ، ولكن هذا الوضع قد ازداد خطورة في كل مكان آخر ، لأن نتائج الحوادث الغذائية لم يواز قط ارتفاع عدد السكان . ولم يكن هناك سيطرة على هذه المجاعة هذا سوى سياسة لوهي آفة كانت قديمة في الواقع ، فلم تتمكن قد سوى أقلية ضئيلة من البشر من شباع حاجاتها الغذائية ، بينما عاش سكان الكرة الأرضية الآخرون حياة غير ثابتة « على هامش سوء التغذية » .

سوء تلبية لثمة بشرية

« يعيش ثلثا البشرية في حالة جوع دافئ » : ونادراً ما يقصد بذلك المجاعة بحصر معناها ، أي فقدان الغذاء أو الحاجة الكلية إليه ، الذين يتسمون بالخطر والموت الساحل ، بل « الجوع الخفي » بصورة خاصة ، أي لأمراض النساخنة عن نقص بعض العناصر الضرورية لتوازن الميزولوجي في السكان البشري . اعني به نقص القيتامين D الذي يتسبب بالجراحة عند الطفل ولين العظام عند البالغ ، ونقص الأملاح المعدنية ، والحديد والفوسفور والكالسيوم ، التي تلعب دوراً كبيراً في تركيب الهيكلة العظمى ، ونقص البروتينات الذي يؤخر النمو ويضعف الجسم ، الخ . ، ويقضي إلى ظهور الأمراض التي ترافق النفاقة والشقاء : سوء شحوف قرنية العين ، داء الدرة ، داء الحفر .

وقد وضع « جوزيه دي كاسترو » بعد أبحاث دقيقة قام بها ، حدوداً مفصلة بـ « مناطق

سوء التغذية ، هذه التي يمكن حصرها في المناطق خسر التنمية حيث ترى ان نظام المكينة والاستثمار في سبيل المزروعات التجارية ، وتبذير الموارد الطبيعية « قد خربا البيئة الطبيعية دونما شفقة على طريقة قتل البالار » .

بيد ان الطبقات الفقيرة في البلدان النامية لا تنصو دائماً من هذه الامراض الناجمة عن سوء التغذية . ففي السنة ١٩٤٠ ، شكا ٢٥٪ من سكان الولايات المتحدة و ١٥٪ من سكان بريطانيا العظمى من سوء التغذية ، وفي نيويورك ، بدت ظواهر الحراسة حتى ٢٪ الطوائف السوداء والابطالية . ويتنشر داء النرّة اليوم انتشاراً دائماً في الولايات الجنوبية من الولايات المتحدة . ومنذ السنة ١٩٣٦ كان هذا الداء موزعاً في أوروبا (غاليسيا واسنوريا) ثم انتشر انتشاراً يدهو الى القلق في كافة أنحاء اسبانيا بعد الحرب الأهلية (٣٠.٠٠٠ حادث في مدريد) . وفي ايطاليا الجنوبية ، وبرلوا ، ورومانيا ، حيث تكثر الاملاك الكبرى والبروليتاريا الريفية البائسة ، لم تكن الحراسة ، وسوء شغوف القرنية ، والوذمة شائعة عن الجوع ، وحاجة الجسم الى الكالسيوم ، امراضاً نادرة .

في اميركا اللاتينية ، قدر في السنة ١٩٤٦ بأكثر من ٩٠ مليوناً ، اي ٢٪ السكان ، عدد الاشخاص المنقرضين الى التغذية الكافية . وقدر معدل نظام الاختذاء اليومي للفرد في بوليفيا بـ ١٣٠٠ وحدة حرارية . وفي الشيلي يتوفر لـ ٥٠ بالمائة من السكان أقل من ٢٤٠٠ وحدة حرارية في اليوم ولـ ١٠ بالمائة أقل من ١٥٠٠ . وفي شمالي قسري البرازيل وفي أمازوليسا يتوفر للفرد بين ١٢٠٠ و ١٨٠٠ وحدة . وهناك النقص النوعي الذي هو أشد خطراً من النقص الكمي . فان تغذية تعتمد قبل اي شيء آخر على النرّة الصفراء واللوبياء وبعض انواع البطاطا والجامير وحساء الذرة المصفى ، والمفتقرة كلها الى البروتينات والاملاح المعدنية والفيتامينات ، تولد « خلة المناطق الحارة الشهيرة » وفقدان القابلية ضد الجوع (التي يجب تحريكها بالقلل او المشروبات الروحية) ، والبلادة التي يعززون اليها ضعف الانتاج بينما ليس هناك سوى ضعف ناتج عن الجوع . اما بسبب الفرد من الحضر ، والأثغار ، والحبوب (معدل ١٤ كيلوغراماً في السنة في البيرو ، و ١٨ في الاكوادور ، مقابل ٩٠ في كندا) ، والخليج (١١ ليتر في السنة في البيرو ، و ١٤ في الشيلي ، مقابل ١١٠ في الولايات المتحدة ، وهناك ٥٠٪ من المناطق الريفية في اواسط فنزويلا لا تستهلك حليفاً السنة) ، فغير كاف [حلاقاً] . واما في آسيا ، « ارض الجوع بالذات » ، فقام نظام الاختذاء ناسي ، بحيث ان ٣ او ٤ بالمائة فقط من مجموع الوحدات الحرارية تستجيب أعدية من اصل حيواني (في الولايات المتحدة ، ٣٩ بالمائة) . وفي الصين يستند نظام الاختذاء الى الارز ، والحنطة ، والذرة البيضاء ، ولا يربى للتمدية سوى حيوان واحد هو الخنزير ، ولذلك ، فهي كافة مناطق الجنوب (حيث الارز هو قوام التغذية) ، ينتشر الجوع الزمن الكمي . كما ينضج ذلك من ضعف الاشخاص وبطء الانتاج وشألك (١٤ مرة اقل من انتاج الملاح الاميركي) - والنوع ، الذي يريد من مطوريه المرض لدودي وفقر

الدم المتولد عن الديدان الطفيلية ، اللذان يصاب بها ٩٠ بالمائة من سكان لارياف ويقتصران بسبب استئصال الدمال البشري ، وبضيقان اضرارهما الى اضرار لأمراض الناجمة عن الحاجة واصرار المجاعات المتسببة عن اليفصاكت والجفاف . وهو سوء التغذية في الهند كذلك ما يسبب الوفيسات الرعية الكثيرة بين السكان قبل سن العشرين ، بحيث ان ٥٠ بالمائة من الهنود « مولدون ليتناولوا طعاماً غير كاف ويموتوا قبل بلوغ سن الانتاج » ، وما يترك السكان دون مقاومة أمام الاوبئة : تسببت الملة الواقصة ، في السنة ١٩١٨ ، بوقاة ١٥ - ٢٠ مليون شخص ، والجذعة ، في ١٩٤٢ و ١٩٤٣ ، بوقاة ملايين الضحايا ، وبين ١٠٠ و ٢٠٠ مليون هندي يصابون بالحمى الاجية ، وعشرات الملايين بالزحار والتدرن الرئوي والكوليرا والمرض الدودي . وسقى في اليابان ، حيث نجحت الزراعة الحديثة في زيادة الانتاج ، أفضى استخدام الأسمدة بكميات كبرى الى ملاحظة المجاعات ، ولكن نظام الاقتداء ما زال دويماً . وتعاين أفريقيا من نقص بعضه : فإن الفلاح المصري وفلاح بلد ن أفريقيا الشمالية ضحيتان للنقص الغذائي نفسه الذي يعانيه الأفريقي الاسود . وقد بلغ من تعهتي عدد السكان ، بعد الحرب العالمية الاولى (٢٥ مائة في الكونغو البلجيكي) بسبب لمارس واقتصاد الجديد ان الحاكم المسمى « كارد » هادي في افريقيا الاستوائية الفرنسية يد سياسة البطان الملائن ، من اجل « الإستعمار من الزوج » .

والحال كان من الواجب ان يرتفع الانتاج الغذائي بنسبة ٣ مائة في السنة كي لا يقرى ارتفاع الانتاج دون الحاجات التي يخلقها النمو الديموغرافي ، والا فهي سوف تتفاقم أكثر فأكثر . وقد كتب احدكم في السنة ١٩٤٩ : « يجب ان يزداد الانتاج الزراعي منذ اليوم حتى ١٩٦٠ بنسبة ٩٠ بالمائة في كافة انحاء العالم لكي لا تسوء تفتية الشعب عن سعادتها الحاضرة » .

يرتبط بسوء التغذية وجود الامراض الجذاعيرية المعدية لان « جغرافية الصحة السببية هي جغرافية الجوع والجهل ايضا » . هو المرض الجلدي في المناطق الحارة ما يوجد الضمف والقلم ، وهي الحمى الاجية ما تصيب ٣٠٠ مليون شخص في العالم كله ، يموت منهم ٣ ملايين في السنة ، وهناك خصوصاً الملهرسية المنتشرة في افريقيا والشرق الاوسط وأميركا الجنوبية والصين ، وفقر الدم المتسبب عن سوء طفيلية ، والتدرن الرئوي الذي تفوق ضحاياه ضحايا الحمى الاجية والذي هو اوسع انتشاراً منها في العالم ، والتهاب الملتحمة (تراخوما) المتكفر في الهند والهند الصينية وافريقيا الشمالية ، والسفلس ، وامراض المعدة والامعاء كالزحار والكوليرا والحمى التيفية ، والامراض السامة عن اكل الفسءاء كالد « بريدي » ، وداء الذرة ، وداء الحفر ، والحراة والد « كواشور كور » ...

لقد لاحظنا تكراراً في الصفحات السابقة ان الجوع والدوس تفاوت مستويات المعيشة والجوع والامراض موزعة توزيعاً متفاوتاً جداً بين مختلف سكان العالم - وبين مختلف الطبقات الاجتماعية ايضاً .

فعل صعيد العلم ، لا تتراجع آفة الجهل الا ببطء . احل لفساد لمجتمعات بعض البلدان في تخفيض عدد الاميين من ابنائها تخفيضاً كبيراً ، ولا سيما في المدن ؛ ولكن اذا اختلف الى المدرسة الابتدائية ٨٠ - ١٠٠٪ من الاولاد في المملكة المتحدة والولايات المتحدة وهولندا وايرلندا وبلجيكا وزيلندا الجديدة ، فان النسبة تهبط الى ٦٠ - ٨٠ بالمائة في معظم بلدان أوروبا الوسطى والغربية واليابان ، والى ٤٠ - ٦٠ بالمائة في البرتغال والمكسيك ، والى ٢٥ - ٣٠ بالمائة في بلدان اميركا الجنوبية ، والى اقل من ٢٠ بالمائة في افريقيا والشرقين الاقصى والوسط ، وبالرغم من ان ارتفاع عدد التلامذة في كافة مستويات العلم هو احد مميزات العالم المعاصر ، فلا يزال هنالك مناطق شاسعة وسهائير عديدة يخيم عليها الجهل .

اما بالنسبة لمستوى المعيشة على الصعيد المادي ، فهو مشغل الفرد ما يفرق افضل قاعده لتقدير . فان الدراسة التي قامت بها منظمة الأمم المتحدة في ١٩٤٩ قد اظهرت ان هناك انش معدل الدخل السنوي الفردي هو اقل من ٥٠ دولاراً بالنسبة لـ ٦٥٠ مليون نسمة من سكان الكرة الارضية ، وبين ٥٠ و ١٠٠ دولار بالنسبة لـ ٤٧٥ مليوناً ، وبين ١٠٠ و ٢٠٠ دولار بالنسبة لـ ٢٥٠ مليوناً ، وبين ٢٠٠ و ٤٠٠ دولار بالنسبة لـ ٣٩٥ مليوناً (ألمانيا ، الاتحاد السوفياتي ، ايطاليا ...) ، وبين ٤٠٠ و ٦٠٠ دولار بالنسبة لـ ٦٥ مليوناً (ايرلندا ، فرنسا ، بنلوكس ، النرويج) ، وبين ٦٠٠ و ٩٠٠ دولار بالنسبة لـ ١١٠ ملايين (الدانمارك ، المملكة المتحدة ، كندا ، زيلندا الجديدة ، السويد ، سويسرا) ، وكان هذا الدخل ١٤٧٦ دولاراً في الولايات المتحدة ، و ٨٧٠ دولاراً في كندا . وجلي ان هذه المعدلات لا تعطي سوى صورة ناقصة جداً عن مستويات المعيشة التي يجدر ايضاحها بدراسة ثمرح الدخل في داخل كل بلاد على حدة . ولكنها ، على كل حال ، معدلات تجاوز معدلات دخول الطبقات الفقيرة مجاوزة كبيرة جداً .

التباين كبير كذلك في مكافحة الامراض المعدية لأن فاعلية هذه المكافحة تابعة للتجهيز الطبي والصحي ، والحال يختلف هذا التجهيز اختلافاً كبيراً جداً . فان عسده الاطباء بالقصة للسكان متفاوت جداً ، ١٠ مقابل ١٠٠٠ في الولايات المتحدة في ١٩٣٨ ، و ١ مقابل ٧٧٥ في ١٩٤٦ ، و ١ مقابل ٧٠٠ في ١٩٥٥ . في سويسرا ١ مقابل ١١٣٥ في ١٩٤٩ . في ألمانيا وفرنسا ، ١ مقابل ١٤٥٣ و ١٤٨٠ في ١٩٣٩ ، أما في بولونيا ١ مقابل ٣٠٧٠ في ١٩٤٧ . في مصر ١ مقابل ٤٥٠٠ . وهناك طبيب مقابل ٥ - ١٠ آلاف نسمة في افريقيا الشمالية وسيلان والعراق ... ، وطبيب مقابل ١٠ - ٥٠ ألفاً في الكويتو البلجيكي وافريقيا الاستوائية الفرنسية واليونان وبيجيريا وغينيا الجديدة والهند الصينية والاندونيسيا ... وان نسبة الممرضات والممرضين لأدنى من نسبة الاطباء ايضاً . ومن الطبيعي ان كثافة الاطباء ترتفع في المناطق الفنية (تقاروح في الولايات المتحدة بين ٤ ، اذا كان معدل الدخل في المنطقة ٦٠٠ دولار ، و ١ اذا كان هذا المعدل ادنى من ١٠٠ دولار) . اما عدد الأسرة في المستشفيات فهو ١ مقابل ٧٥ - ١٠٠

نسمة في البلدان المتطورة بريطانيا العظمى ، هربس ، الدانمارك ، ألمانيا ، ويحيط الى ١ مقابل ٨٧٥ نسمة في مصر ، ومقابل ١٥٠٠ في تركيا ، ومقابل ٥٠٠٠ في الهند .

عناك من ثم شرطين ، او مجتمعان يتقاسمان سكان الكرة الارضية على غير تساو . ففي السنة ١٩٥٧ ، عاش ثلثا البشرية في بلدان لم يبلغ السبعون القومي فيها ، على اساس عدد السكان ، ٣٥٠ دولار في السنة للشخص الواحد . والنسبة ٦٨٪ من بينهم كان هذا الدخل أقل من ١٠٠ دولار . ولذلك كانت مستويات المعيشة متباينة جداً بين الدول الغنية (١/٤ سكان العالم غير السوفييتي) التي تتوفر لها ثروات طائلة من المواد الأولية ، وصناعة قوية متقدمة تحولت الى مواد استهلاكية ، وبنو كثيرين ، وبين البلدان الفقيرة ، المكتظة بالسكان في أغلب الاحيان ، المنفجرة الى رؤوس الاموال والقتل . وتطابق خريطة هذه البلدان ، بالضبط ، خريطة مناطق التخلف ، والامية ، والتوسع الديموغرافي السريع . ولا ينتج ثلثا السكان المتعلمين سوى ثلث الانتاج الزراعي العالمي . احل ليس وجود السكان الفقراء بالشيء الجديد ، ولكن لتفقر الحائلي ، كما يوضح ذلك « ايف لاكوست » ليس « متعادلاً » على عرار الفقر في الايام المارة ، حين كان عدد النساء ثباتاً . أما الشيء الجديد فهو ان فقر التخلف « يوافق احتلالاً تجميعياً في التمدد » : ان ارتفاع عدد السكان الكبير والسريع لا يعادله ارتفاع الانتاج الزراعي العالمي . فمعد السنة ١٩٥٩ ، اذ كان معدل النمو الديموغرافي ١٦٪ ومعدل الانتاج ١ بالمائة فقط ، برز اختلال التمدد اكثر فاكثراً ، وبرز التفاوت بين البلدان المصنعة والبلدان غير النامية ، وارتفاع عدد الجياع ارتفاعاً لم يعرف قط من ذي قبل . ولذلك فان اختلال التوازن الداخلي الذي يسبب من ذلك ، والمخاطر التي يجرها ، في داخل كل دولة ، سكان البلدان غير النامية بين مستوى معيشتهم ومستوى معيشة الأقلية المتأثرة ، تجعلهم يعون ان « السلطات المفرطة » التي يتمتع بها هؤلاء المتأثرون ، من وطنيين وأجانب ، هي « العقبة الكبرى التي تحول دون انطلاقة اقتصادية حقيقية والعائق الذي يمكن ازالته بأسرع وقت » (١ . لاكوست) . فالمسألة من ثم مسألة سياسية اولاً ، لأن وسائل النجاح لحل لها متوفرة على الصعيد التقني .

مكالمة الجوع
لقد اثبتت نجاحات الموم والتقصيات امكانية زيادة انتاج الاغذية والطاقة زيادة تكاد تكون لا محدودة . فان تقنيات التخطيط ، التي اعتمدت في روسيا اولاً ، ثم بات العمل بها شاملاً ، قد قدمت الدلائل على امكانية تنظيم البحث العلمي تنظيمياً عمالاً احداً - وقد اعطت الولايات المتحدة غير مثال على ذلك خلال الحرب الاخيرة وسبعها - وتحقيق الاكتشافات استثنائية لتحقيقاً عملياً في وقت قصير جداً . فبات ممكناً من ثم ، من الناحية التقنية ، تحسين مصير الانسانية وتغيير لثال السائد لسياسات الارض استثماراً لها وصواباً ، وارادة رؤس البشر في ظروف لم يحلم بها احد من قبل . ووضع حد للاخطار التي امح اليها ف د . روزفلت في برنامج الحربي : القضاء على الجوع ، والدمار ، والمرض .

امام سرعة تزايد السكان وقفت الامم المسيطرة بعزم الى جانب تحديد السبل ، فكك ان

الطغاف الحاكمة رأيت مع « مالتوس » في أوائل القرن السابق انه لتحديد النسل هو العلاج الوحيد لبؤس الطبقات الفقيرة ، كذلك نصحت هذه الامم بـ « رقابة الولادة » الى الشعوب الآسيوية غير النامية لتكاثره بسرعة ، فأقرتها اليابان ، والهند ، والصين (ربما مؤقتاً) اقراراً رسمياً . اما الموقف التفاؤلي المناهض لتحديد النسل فقد دافعت عنه الامم الوفية لموقفها التقليدي ، وكافة الملتزمين بأن الجوع مرده الى عوامل اقتصادية أكثر منها جغرافية وبأنه يمكن موازنة كل ارتفاع في عدد السكان بتفخيم اجتماعي مناسب ، « والقائلين مع « حوزوبه دي كاسرو » ان « الجوع الجماعي ظاهرة اجتماعية للطابع ترد بصورة عامة الى سوء استخدام الامكانيات والموارد الطبيعية وتوزيع المواد الاستهلاكية توزيعاً يرضى له » . فمن اصل ٥٠٪ من مساحة الاراضي الصالحة للزراعة لا يستثمر اليوم سوى ١٠ بالمائة فقط ، وهناك مساحات كثيرة يمكن من ثم استثمارها زراعياً . ولا تشجع التقنيات الزراعية المحككة زيادة انتاج الاراضي المستثمرة حالياً في المنطقة الممتدة فحسب ، بل استثمار اراض جديدة املت حتى هذا التاريخ لانها مجدية نسبياً ، كأراضي المناطق القريبة من القطب الشمالي وبرت آسيا الوسطى والاراضي الحراء في المناطق الحارة والاراضي التي محلت بقمل زراعة واحدة متكررة وغير صوبية . ومن شأن ادراج الانواع النباتية الجديدة القوية جداً كالكاسيوم والفيتامينات ، التي درست مؤخراً في اميركا الوسطى والبرازيل ، واتناء عيد الاسماك (المحصور اليوم بنسبة ٩٨ بالمائة في نصف الكرة الشمالي) وترتيبها ، ان يزيدا كذلك كمية الاغذية المتوفرة ، كما ان من حقنا ارتقاء نتائج جلي من اكتشافات علم الحياة وتطبيقات الطاقة الذرية وقد تحقق منذ اليوم في المختبرات اعداد مواد حية بفضل الطاقة الضوئية ، وتعد منذ اليوم كذلك زراعة بعض انواع الاشنة البحرية الفنية بالبروتينيات والسكر القابل للتمثل ، التي من شأنها انتاج طاقة مرقعة وهذه حال الـ « كلوربلا » ، اشنة المياه العذبة ، التي قد توفر زراعتها في احواض كبيرة ٢٠ طناً في الهكتار سنوياً ، وقد لا تستلزم المياه التي تستلزمها المزروعات المروية الكلاسيكية في البلدان القريبة من المناطق الحارة حيث تتعرض النباتات لاشعة الشمس المحرقة . ويرجى علم الوراثة انواعاً نباتية أشد تحملاً واسرع نمواً ، وربما انواعاً جديدة ايضاً ، وتستعمل الاشعاعات الذرية تطورها وتغذي على الجراثيم والحشرات ، وهكذا يصبح بالامكان تجنب كل خوف من الجاهلة مخناً نهائياً .

يقال القول نفسه من انتاج المواد الاستهلاكية الصناعية ، وفي النرجة
 الاولى من الطاقة التي هي شرط كل انتاج ضخم وكل ممكنة . فان بعض
 مصادر الطاقة لا تتجدد وينتظر استزافها في مواعيد قريبة ، كالفحم
 الحجري الذي يرجع امام تقدم البترول والكهرباء ، والبترول نفسه ، والغاز الطبيعي .
 ولكن المعكرونة ، التي تتجهها مصانع حرارية ومصانع مائية كهربائية ، هي منذ اليوم
 المصدر الرئيسي للطاقة المستخدمة بسبب مرونتها وحصل تطبيقاتها الواسع ، فان استهلاكها

يتضاعف كل عشر سنوات في البلدان الصناعية . ويواجه انتاجها بواسطة مصادر لا منضب
معيها : المصانع التي تستخدم طاقة المد والجزر لمحركة (حيث ترتفع المياه وتنخفض كثيراً
فقط : مصب الـ « راس » ، « جون » ، « مون » ، « سان - ميشال ») ، وطاقة الريح الذي يسير
محركات ذات قطر كبير (كمحطة « بالاكلفا » في القرم) ، وطاقة البراكين (كالصهبات التي
يسيرها في توسكانا بخسار يتصاعد من جوف الارض وتبلغ حرارته ٢٠٠ درجة مئوية) ،
واستخدام الطاقة الشمسية القادرة على تحويل صحاري المناطق الحارة الى مصادر عالمية غنية
بالطاقة (مصنع وادي اراوت في ارمينيا مع « رايه الـ ١٢٩٣ ») ، وخصوصاً بإنشاء المصانع
الكهربائية الذرية . ولا يزال هناك لعمري مصادر اخرى تطرح حاداً كل خوف من الحاجة
الى الطاقة . ان كميات الاورنيوم والتوريوم المنتزعة في العالم تسمح بالاعتقاد بأنها تمثل مصدر
طاقة اعظم شأناً الى حد بعيد من احتياط البترول والنفط الحجري ، وبأنها لا محدودة عملياً .
فبعد ثورة الآلة البخارية وثورة الكهرباء ، يشكل استخدام الطاقة الذرية وارقامات الآلية التي
توفرها الاجهزة الالكترونية ثورة ثالثة نشاهد انطلاقها امام أعيننا . وقد أصبح استخدام
هذه الطاقة منذ الآن متروكاً ووسماً ، ون تحويلها الى كهرباء واستخدامها في دفع السفن
والعائرات والقاطرات قد أصبح قابلي التحقيق تقنياً ، واستخدامها للتدفئة كذلك . فان
مولداً ذرياً ينتج ١٠٠ ٠٠٠ كيلووات في الساعة ، اي ما يكفي لاستهلاك مدينة تضم ١٠٠ ٠٠٠
سمة ، لن يستخدم سوى ١٥٠ كيلوواتاً من مركب الاورنيوم - ٢٣٥ الذي بالاورانيوم ،
وان لفواصة « نوتربوس » قد قطعت مسافة ٣٥ ٠٠٠ ميل ولم يستهلك محرك الذري سوى
٦٠٠ غرام من الاورانيوم !

منذ اليوم اجندت بعض آلات الجديدة الفائقة القوة تحدث ثورة في توزيع المراكز
الصناعية جغرافياً . آلات تسوية الارض التي تقوم كل يوم بعمل الوب المبال كرافعات الانقاض
التي تستخرج ١٥٠٠ متر مكعب في الساعة ، والرفوش الآلية التي تنزع ٦٠٠ متر مكعب في
الوقت عينه ، والمثاقب الفولاذية الآلية القادرة على حفر اذقة يبلغ قطرها اربعين متراً مربعاً ،
والرافعات الآلية القادرة على رفع كتل صخرية تزن ٦٠ طناً ، والمعدات الرافعة القادرة على
رفع ٣٠ متراً مكعباً في الدقيقة ، والرفوش الكهربائية المرودة بالقوايس التي تستخرج ٣٥٠٠
طن من المعدن غير الخاص في ثمان ساعات ، والرافعات الآلية ذات السيور التي جعلت الاسفار
المنجمي من على وجه الارض أوفر انتجاً من الاستخراج داخل الارض وسهلت بناء الخطوط
الحديدية والطرق ، وأتاح الجر الكهربائي واخر بواسطة محركات ديول اختيار الصحاري
يسهولة ، كما ان الطائرات ، والطائرات الشاحنة ، وأنابيب نقل البترول قد طورت ظروف
النقل . وقد اتاحت كل هذه التحسينات امكانية استغلال موارد البلدان الناحية كالصعاري
القطنية مثلاً صاحب الحديد في « لابرادور » ، مناجم الرصاص في « غرينلاند » ، موارد
المناطق الباردة السوفياتية ، بينما استخدمت تجهيزات لانهر الاعرجية (مصنع آديا على

الـ : سائفا ، ، وقرمبا سـ : كونكوربه ، في غيسا ، وسـ : كويلو في المايون ، لتدقية
اليوكسيت المحلي والاوروبي . وهكذا اخذت تتوفر كافة الظروف التي سوف تتيح وضع كافة
موارد الكرة الارضية في خدمة البشرية . وهكذا سوف يبرول النمو الاقتصادي المتساوت
في مناطق المسالم المختلفة ويزول معه عدم التساوي في علائق القوة الذي افضى الى وجود
سائد ومسود .

الخلاصة

« لا (في حركات الداعي الجماعية) ولا في عهد النظام الحر ، لم يكن البشر أحراراً حقاً ... فإبقتة النظام الحر القصيرة جداً ، التي بلغت ليرم أسلها ، لم تكبر يوماً ، حتى لاقلية من سكان العالم ، سوى حرية قضائية ، نظرية في اغلب الأحيان ، زادت في كثير من الحالات من حدة الاقتسارات الاقتصادية » .

(م . لاروك)

ان نصف القرن هذا قد قلب نظام المراتب بين القدرات والدول برصه حداثاً لقيمة أوروبا السياسية والاقتصادية إلا ان هذه الأخيرة ، ما زالت ، على الصعيد العالمي ، « معلقة العالم » والمركز الرئيسي لانضاج الأفكار وأشكال الفن ، كما ان العلم الأوروبي ما زال يلعب دوراً أولياً في حقلي البحث والاكتشاف . فصلها الخلاق لم يستنزف قط ، وليس المراكز الجديدة التي تحاربها في السقاع الأخرى من الكرة الأرضية ، سوى إبداعات ومزلات نشاط . وما زالت هذه المراكز تستوحى وتقتبس من حركاتها وتستعين ببعض عناصرها . يضاف الى ذلك ان هذه أوروبا ، « الحرة والمركسية » تنتشران ككتاهما مثل أوروبا لنشأ . ومن نصف القرن هذا كذلك نظام الاقتصاد والمجتمعات معه ، وجدد مبادئ العلم والفن وطرح كافة المسائل تقريباً بمسارات جديدة ، وولند بذلك في الأحيال التي بلغت سن الرشد بعد السنة ١٩٠٠ شعوراً تاماً بعدم الأطمئنان وقرب نهاية العالم غير منه للعديد من الاماء ورجال الدولة المعاصرين في تصريحاتهم الشاؤمية .

لقد نزلت بالنظام الاقتصادي القديم أصرار عسيمة وفقدت الرأسمالية من حبة ثانية جزءاً كبيراً من الكرة الأرضية ، واكثر من ثلث سكانها الذين انضموا الى الكتلة الشيوعية . حيث لم يعد الانتاج حاصلاً لسبة الكسب بل خطط تخطيطاً كلياً . يضاف الى ذلك انها شوهت تشويحاً خطيراً حيث لم تزل هي النظام السائد في الاجزاء الأخرى من العالم ، دن عجزها عن التوفيق بين الانتاج والاستهلاك ، وإيجاد الاسواق لتصريف نتاج هادم النظام وإشباع حاجات الجماهير الحقيقية في وقت واحد ، والتبرعات الفعائية التي تنجم عنه في نحو الاقتصاد ، قد وجدت لدخل

الدولة تدخل متزايد النشاط . فقام من ثم اقتصاد موجه أصبحت فيه الدولة الرأسمالية العامل الرئيسي في الحياة الاقتصادية . وإن الضرائب التي تقطعها السلطة من الدخل ، وطبيعة نفقاتها (ولا سيما نفقات التسليح التي أصبحت « الميزة الثابتة لنظاما اقتصادي ») ، ونداءاتها من أجل التوفير ، ودخولها في حقل التسليف ، قد أظمت لها رقابة التوزيع ، وتنظيم توظيف الأموال ، وتحديد الأسعار ، وتوجيه الإنتاج ، وتشجيع هذا النشاط أو ذاك أو عدم تشجيعها وتعديل توزيع الدخل بين الفئات الاجتماعية المختلفة ، واستلام زمام الاقتصاد كله . فكان أن دخل التدخل شبه الدائم لرأسمالية وحماً حديداً ما كان احدليعلم به في السنة ١٩٠٠ . وهو قد استلح ، لا الماء حق الملكية الخاصة وحرية العمل ، بل تحديدهما على كل حال . ومنذ عشرين سنة تقريباً ، يرى أن الولايات المتحدة - بلاد الرأسمالية الكبرى بالذات - قد سلكت هذه الطريق

أن أزمة الرأسمالية هذه ، واعى بها « مشورها بوقتيتها » منذ الأزمة الكبرى ، والصفة التي تبدو ملازمة للتدوير التي تحولها تحولاً عميقاً جداً ، قد عرخت بصورة حتمية مسألة مدى حياتها وموتها ، و « افلاسها » ، و « فسادها » . فعمل هذه المسألة تتجابه الايديولوجيات المترحمان للثان نصفان العالم . هل الرأسمالية قادرة على التحسن وحتى على البقاء ؟ إن الحوب الماركسي معروف تمام المعرفة . أن الرأسمالية صائرة حتماً إلى الزوال بسبب حركة التنازع الديالكتيكية التي يتوجب على البروليتاريا مواجهتها القضاء على النظام الذي كان سبب نشأتها . وكل ما عدالك ، كما يرد في الجواب ، يشك هذا التطور قنادي واتساع الأزمة الكبرى ، النجاحات التقنية العظيمة المتحققة ، كون جزء كبير من أوروبا وآسيا قد اندمج معها ، منذ الحرب العالمية الثانية ، أسواقاً هامة ودورها القيادي في قيادة البلدان الجديدة . ولن تغلب الرأسمالية على الصعوبات التي تشبعت فيها إلا بالجهود إلى حيل مؤقتة ، ولكن لا مخلص من أزمات كبرى متزايدة الأهمية ، ترافضها حروب من أجل فتح الأسواق ، سوف تستعمل القضاء عليها .

سلم عدد من الاقتصاديين والكتاب الاسرار مع ماركس ، دون التسليم بهذه الآراء الجذرية ، بأن الرأسمالية ليست « جزءاً من إطار الطبيعة الأبدية » . نذكر منهم « ج. شومس » الذي تكلم في كتابه « لرأسمالية والاشتراكية والديموقراطية » (١٩٤٧) عن قبس الرأسمالية والمخاطبات التاريخية . وقد ارتقب ، أسفاً ، انتشار الاشتراكية الحتمية . ويذكر « جاييس بورنهام » الذي ارتقب في كتابه : « عهد المظنين » ، الصادر في السنة نفسها ، رول النظام الحالي الذي لن تخلفه الاشتراكية بل رأسمالية دولة في أيدي بعض الفئتين . وهناك عدد آخر ممن لم يبدوا رأياً حازماً ، بل وقفوا موقفاً متحفظاً من مستقبل النظام . فرأى بعضهم كالامير كيبين « هاسن » و « هيجنز » أن الاقتصاد الغربي قد بلغ نقطة « نفج » تستلج ر كوداً سياسياً ، أي تمهل في دسق عوه بشكل ظاهرة قنير الأقل . وهذا كان كذلك رأي كولن كلارك الذي ذاع صيته في العالم بفضل كتابه « شروط التقدم الاقتصادي » (١٩٤٠) : إن

التقدم الاقتصادي الذي يقوم بنمو القطاع الثالث ، صائر حتميا الى التعمل لأن معدل زيادة الانتاجية في هذا القطاع ادى معدل ممكن . اذف الى ذلك اخيراً ان طواهر التضخم في كافة البلدان تؤلف خطراً ممتاً بالنسبة للمجتمع الرأسمالي لأنها سوف تقتضي ان زعزعة اطره وخلق وضع يكون من شأنه حمل اراي العام ، كما يؤكد ذلك شومستر ، على اعتبار «التعطيل الكامل اخف الضرر الممكنة» . ويخلص الكاتب الى القول : «لقد اخطأ ماركس في تقديره لكيفيات انهيار المجتمع الرأسمالي ، ولكنه لم يخطئ في رلقاب انهياره نهائياً» .

والحال عاش الاقتصاد الرأسمالي ، منذ نهاية الحرب العالمية الثانية ، في جو حرب حامية او باردة ، ومنافسة قوية بين حكنتين من الدول ، وفي الوقت نفسه في جو لتحسينات تقنية عظيمة حدثت به الى شغل عزسته وتجهيد ممداته الصناعية ، وسحب من سوق العمل ملايين الشبان المهوين لخدمة العلم ، ولكنه انتهى كذلك ، كما هو طبيعي ، الى تقنية الانجماء الشامل الى التضخم افليست « المثبتات الآلية » ، التي احكمتها علماء الاقتصاد منذ السنة ١٩٢٩ ، سوى مجرد حيل من شأنها تأخير ازمة اخذة بالنضج ليس تأخر اقتصاد اميركا في السنة ١٩٥٧ - بعد تأخير اقل خطورة في ١٩٤٨ - ١٩٤٩ وفي ١٩٥٣ - ١٩٥٤ - سوى احدى طواهرها المثيرة للقلق ؟ فإذا كان التقدم الذي تحقق لم يتحقق الا بفضل سلوك طريق التضخم الخطرة ، هل يتوجب علينا ان نقول مع « ألفرد سوفي » ان « الرأسمالية لم تحل » تناقضها الاساسي . لقد نعمت في تخفيف شدة الهزات دون ان تنجح مع ذلك في استئصال نسقا ؟

الا ان عدم حدوث ازمة عالمية جديدة كبرى منذ السنة ١٩٢٩ ، ونهضة التوسع الاقتصادي الهامة التي برزت في العالم الرأسمالي منذ السنة ١٩٥٣ ، قد اعاد له الثقة في المستقبل . وان في ذلك لدليلاً - كما يعتقد البعض - على ان الوسائل التقنية المستوحاة من « كينز » عجيبة لتوقي الازمات اذا جرى التدخل في الوقت المناسب . وان مرونة النظام التي تتيح له التكيف بحسب الظروف الجديدة لدليل على قوته . او لم يؤكد اندريه مارشال - في سياق درسه « اشكال نظام الرأسمالية » - انها تتفق وحدة امثلة من التنظيم السياسية والقضائية والاجتماعية ، وانها تتطوي على اشكال كثيرة تبتدىء بالثقل والحر ، وتنتهي بمثال مشوه جداً هو مثال الاقتصاد المخطط لمخططاً حزبياً .

« ان الرأسمالية تتفق والمساواة بين الدخول » ولكنها تتفق كذلك واختلافها البالغ » .
مهما يكن من الامر ، فان راجع التناقض الكلاسيكي اصبح عسماً ، وهو يقاس بتقدم سياسة التدخل وبشبه شمول اقتصاد متباين التوجيه والتخطيط ، غالباً ما يطالب به المهتمون انفسهم ، رغبة منهم في ان تقيم الدولة ثمر التقلبات الفجائية في النشاط الاقتصادي .



بمرازة تطور الرأسمالية هذا ، وعلى علاقة وثيقة معه ، لوسط تقهر سريع في ملهوب « الدولية » ، وليس المقصود هنا « الدولية الاشتراكية » التي كانت لا تزال ناشطة جداً بعد

الحرب العالمية الأولى والتي يرى في صعب الحركة العالمية لاثباتية الزامن اوضح طواها
 معسب بل المقصود ، كما اثبت ذلك « ميردان » ، رفض احترام مجموع القواعد القانونية
 لموصوعة تدريجياً والمقبولة عموماً التي كانت تنظم العلاقات بين الدول . رفض مواجبة المسائل
 من وجهة نظر مصالح البشرية العامة لا من وجهة نظر قومية ضيقة . فلا قيمة لا للدفاع عن
 المصالح القومية المستعجلة ، وتحذو لدول الحدود غير الناعية ، في هذا المضمار ، حدود الدول
 الكبرى في علاقتها المتبدلة وهي علاقتها بالاقاليم التي كانت حاضمة لها من ذي قبل . والمقصود
 كذلك الانتهاكات الخطيرة لحرمة الحق الدولي الذي كان يصمن ، في أيام الحرب ، حد ادنى
 من الرقى واحترام الشخص البشري ، اذ ان « الحرب الشاملة » قد ادت الى قاعدة مخالفة
 الحقوق التي عرفت به ، اتماماً حبيب ولاهاي مدني الدول المتحاربة واصرى الحرب وسكان
 البلدان المحتلة من قبل جيش عدو . وبصورة خاصة انقسم العالم الى عدد متزايد من الاطر
 السياسية المستقلة التي تسيطر عليها قومية اقتصادية ذات اتجاه استكفائي يكثر من الحواجر
 ويحول دون انتقال المواد ولأشخاص ورؤوس الاموال . ومن التناقض ان يصطدم التوافق بين
 التنمية الاقتصادية والاستقلال السياسي بصنومات بتعدد تدليلها في الظاهر ، في الوقت الذي
 يشاهد فيه « تطوراً نحو توحيد الكره الارضية تقنيا وصناعيا » (ر . آرون) ، ويبرز فيه
 بوضوح عجز الفرد عن ان يكفي نفسه بنفسه ، وتأييده ضرورة قيام تعاون دولي . قامت
 الأمم المتطورة بقم شيء عملياً من اجل تثبيت سعر المواد الاولية والمنهجات الزراعية التي
 هي المورد الوحيد للبلدان غير الناعية ، ومن اجل مساعدتهم على تنويع انتاجاتها وانشاء
 صناعات تعويضية فيها ، وهي الوسيلة الوحيدة لوضع حد لفقدان التوازن الذي تعاني منه ،
 ومن اجل معالجة التوس الفضيح الذي تريد اطلاقها ، الديسوعرافية من خطورتها يوماً بعد يوم .
 واد ما استغنيا بعض مجالات المادرة ، فان البلدان المصنعة تصبعا متقدماً هي وحدها تقريبا
 ما اعدت من ريادة الطاقة الصناعية اريداً عظيماً خلال السنوات العشرين الاخيرة .



من لميرات البارورة التي تستخلص من اعمام النظر في عجمعات القرن العشرين التفاوت الكبير
 السائد بين البشر . فان القسم الاكبر من الممتلكات المادية في ايدي هذه ضئيل من كبار الملاكين .
 وفي البلدان التي تكثر فيها الممتلكات الصغرى ، ييسر التطور الاقتصادي وتقدم المكتنة جمع
 الاملاك الصغرى والاستثمارات في وحدات اكثر اتساعاً وفي الصناعة كذلك تنمى ظاهرة
 التجميع نفسها . وحتى اذا كان الرؤساء والمديرون غنيين يتقاصون مركات لا ملاكين ، فانهم
 يتمتعون بنسب كبير وبملفود عظيم . وان هذا التفاوت السائد بين طبقات الأمة الواحدة ،
 يسود كذلك على مستوى الشعوب . وهي اقلية هيا ايضاً ما تعتمد من كافة منافع الاقتصاد
 المعاصر - ١٥ بالمئة من سكان العالم غير السوفياني يستأفون بـ ٦٢ بالمئة من الدخل العالمي
 فيما تقتفر الاكثارية الساحقة الى ضروريات الحياة . وان هذا التفاوت يرداد خطورة ، وليس ما

يشير الى ان وظائفه متخففة في وقت قريب . فان الازدهار الاقتصادي الكبير الذي استغادت منه الدول المتطورة قد ألحها ثروتها وتحقق بداية وحدة قومية بتوزيع الاقطار الاقتصادية بين مواطنيها توزيعاً أكثر انصافاً . اما الدول غير النامية المكتظة بالسكان فقد بقيت في حالة ركود يرثي لها ، او تأخرت احياً . « النسبة للشرية كمجموع » ليس هي الواقع من تقدم . . . فالدخل القومي الحقيقي ومستوى الحياة المتوسط ادنى اليوم منها منذ عشرين سنة في الأرجح ، وربما كان ادنى منها في السنة ١٩٠٠ (ج . بيردال) .

هو هذا التفاوت المزيج ما قاومه وحاربته نصف القرن الأخير . فمن الميقات الجديدة للعهد الحاضر ظهور حالة نفسية جديدة بين الجماهير التي كانت حتى هذا التاريخ حاضرة لرؤسائها التقديسين . احل لقد تخللت تاريخ البشرية ثورات دفع اليها الناس ، او وصع على لا يطاق ، او الاستبداد ، و شدة الآلام ، ولكن الموضوع للتفاوت الاجتماعي ، وعدم الاطمئنان ، والفقر ، والبؤس ، والآفات الطبيعية لم يعارض عليه قط اعتراضاً جدياً . سواء بشرت به الادبائات السائدة أم اينفولوجية الطبقات الحاكمة ، فان مبدأ التسليم بنظام معروف بديمومته قد عرف انتشاراً شاملاً حتى بين العناصر المطالبة بالاصلاح . وكل ما بدا ممكناً في هذا الصدد هو تخفيف وطأة نتائجه بالتعاون الذي تحقق على الصعيد الوطني والصعيد الدولي ، وممارسة المحبة ، والمساعدة الاخوية ، والمعادلة الاجتماعية ، والادخار الذي يتيح لكل فرد - كما علم بعضهم - الارتقاء في السلم الاجتماعي بالخروج من الحالة « البروليتارية » .

قبل الحرب العالمية الاولى ، اخذت الاشتراكية تعلم في اوساط العناصر المتطورة في الطبقة العالية - وهي اقلية ضئيلة ، كما سبق ورأينا - ان مصير المحرومين لا يمكن ان يتحسن تحسناً حاسماً على الصعيد الفردي ، بل بتعديل الحالة العالية . وقد يشرت حوامت نصف القرن الأخير : الحربان العالميتان ، وعدم استقرار النقد ، ولارمة الكبري ، انتشار هذه الآراء انتشاراً واسعاً ، ولم يزل موقف الاستسلام و تخضوع القديم بين الافراد وفي وسط الطبقات الشعبية فحسب ، بل بين الشعوب السوداء يضاً ، وحل محله نوق شامل لحياة فضلى . « لن نرضى اية طبقة بعد اليوم بان تمتع بالدنيا . ولن نعارف أية طبقة بتفوق طبقة اخرى » وساد الاعتقاد من جهة ثانية بأن الحريات السياسية المخرجة في الدساتير القرمية ليست في نظر أممنا البشرية سوى حريات شكلية ونظرية ، ولن تصبح فعلية الا اذا تمتع الجماهير بمستوى معيشة كاف ، الا اذا تحققت الديمقراطية الاقتصادية . فمن هذا التهاد بين المساواة السياسية والقضائية من جهة ، والتفاوت الاقتصادي والاجتماعي من جهة ثانية ، نشأ الشعور بأن النظام الاجتماعي بطوي على ظلم لا يطاق .

اما ما ستجمل هذا الوعي فهو مثل النور الروسية التي قدمت ، بتحقيقها مجتمعا يدرن طبقات ، مرتكراً الى إلغاء الملكية الخاصة .

« الدليل على أن نظاما اقتصاديا غير الرأسمالية يمكن أن يسير بصورة دائمة، بينما كانت البلدان الرأسمالية قريبة
بطالة يندت وكأنها انتشرت انتشاراً دائماً » .
(لندريه مارشال)

إن المثل الروسي علم الطبقات والشعوب المسودة - « البروليتاريا الداخلية » و « البروليتاريا
الخارجية » بحسب تمييز « ج. بالنديه » - أن تبدل ظروف الاقتصاد أمر ممكن ، وإن ليس من
حتيات اقتصادية ولفوات لا دواء لها ، وإن السلطة العامة قادرة على تبدل النظام القديم ،
ويكفيها ، بل نوع هذه الماية ، استخدام الموارد التي وضعا العلم والتقنية بتصرفها .

على غرار دول أوروبا الوسطى والشرقية التي فارت باستقلالها في القرن التاسع عشر ،
طالبت شعوب المستعمرات بحق حكم ذاتها ، وبإنشاء دولتها القومية بدالة تعاليدها لا باقتباس
مؤسسات الغرب قنساسا أهمي ، وباعتقاد اقتصاد مستقل لن يخضع بعد اليوم لمواقفات الدول
الصناعية الكبرى . ومن يريد منها بلوع هذه النسلجة لا يتوجه إلى « النظام الحر » الاضداد
الحاجة ، خشية من الاضطراب إلى القبول بشروط قد تحد من استقلالها الحديث العهد . بل يلجأ
إلى تخطيط متفاوت الشدة يشدد على الوقائع الاقتصادية والاجتماعية يستطبع وحده أن يوغرها
القاعدة التي تقتصر هي إليها والتي لا تعطي دخولا فورية .

أما في البلدان الرأسمالية ، فبحسب من الأعداء الثوري ، انتهجت الحكومات - منذ أزمة
السنة ١٩٢٩ - بصورة خاصة - في الحقل الصناعي سياسة التدخل نفسها التي اقتصتها في الحقل
الاقتصادي . فأمام الاتحاد السوفياتي والديمقراطيات الشعبية ، حيث شمل الضمان الاجتماعي ،
كما سبق ورأينا ، كلفة حسابات العمل ، وحيث اتجه الأمر الاجتماعي المتزايد إلى ابتلاع كافة
الأجر ، صممت هذه البلدان بعد السنة ١٩٤٥ التدابير التي سبق اعتقادها في البلدان الانكلو -
ساكسونية قبل الحرب العالمية الثانية وخلاها . لقد امتدت « دولة الازدهار » اسعد العناصر
الاساسية للتوازن الاقتصادي والسياسي في كافة الدول تقريبا ، فهي في حقل الصحة العامة
والاستخدام الشامل من جهة ، تعوض من الاخطار الاجتماعية وتلقي منها إلى حد ما ، ومن
جهة ثانية تصبح وسيلة ، لا تزال محدودة جداً ، لاعادة توزيع الدخول ، إذ أنها تخصص الرسوم
المستوفاة على أكثرها ارتفاعا للنفقات الاجتماعية التي تهم الجماعة كلها . لقد نجم عن ذلك أن
الفارق بين الحالات المتوسطة والحالات الدنيا قد تضائل في بعض البلدان كالولايات المتحدة
والسويد وبريطانيا العظمى . وإنما ما زال هنالك ، في هذا الحقل ، تفاوت كبير جداً هو الدليل
على افتقار الاجراء اقتصادا نسبيا . فهنا ، كما بين الدول الفتية والدول غير النامية ، يتماظم
التفاوت بين الاغنياء والاحياء ، حتى المتوسطين ، بدلا من أن يتضائل ، وترتفع الاجور أقل من
الارباح إلى حد بعيد ، بينما يمزج التطور التقني للطبقة المتأثرة بتعمير الارتقاء الاجتماعي ووصول
وصعاء الاصل إلى الوظائف القيادية . ويمثلك المشاريع الكبرى أبدا ، حتى المخططة معها والمدارة
من قبل « مديري ادارة » عدد محدود من الارباب الذين يستمرون في التمتع بنفوذهم بعد حصرياً ،
ولكنه ما زال مسيطراً على السلطة . ولذلك فإن سيطرة الرأسماليين على غير الرأسماليين وما زالت

تشكل المرتكز الأساسي للدولة الغربية. وما زال الصراع الطبقي قائماً ، ولكنه برندي اشكالا أقل جمافاً (موريس دوفرجيه) .



أصبح تدخل السلطة العامة من ثم عاماً - حتى في البلدان التي تسيطر عليها تقاليد الحرية الفردية - ، وقد فرضته عتبارات اقتصادية واعتبارات اجتماعية الصانع من أجل تأمين فوازن أفضل بين قوى الإنتاج والتوزيع وضمان السلم الداخلي . ولكن النظام الحر ليس آمناً في الواقع من هذا القبيل بحسب . فبما وقعت الدول ، التي لم تشر بأثر البناء الاجتماعي مهدد بحظر حسي ، موقفاً متساهلاً من الحرم السياسي ، خلال مرحلة النظام الحر ، فإن التآمر الاجتماعي ، الذي حركته ثورة تشرين الأول في كافة البلدان ، قد أفضى منذ السنة ١٩١٧ إلى تصلب الحكام : دكتاتورية في البلدان المنتقلة إلى الشيوعية بغية محاربة محاولات مناهضة الثورة ، واشتدائية أو أقله نظام بوليسي ، وهد من الشرعية وتجاوزها في العالم الحر ، ففي كافة بلدان العالم دون استثناء يمكن وضع قفلة طويلة بأعمال العنف ، والتوقيفات التعسفية ، ومعاملة السجناء والمنهين بفظظة ، ولاستحوايات تحت تأثير التعذيب ، والرقابات الاستقصائية التي تضرب عرض الحائط بسر المراسلة والمخابرات الهاتفية ، التي تؤيد كلها أن المثل الانساني الأهل لفلسفة القرن الثامن عشر وخلفائهم في القرن التاسع عشر أحد في التاريخ . وزادت من خطورة هذا التراجع قوة وسائل اقناع الجماهير الشعبية : الاذاعة ، التلفزة ، الصحافة الكبرى في ايدي المصالح الكبرى ، التي تغش كلها بديولوجية « مذهب محافظ جديد معتبر » (ج . ميسو)^(١) يهدف الى ابعاد السياسة عن الرأي العام واخذاء حسيه الحقيقة عنه من شأن النضال السياسي وحده الانتهاء الى إعادة توزيع السلطة لصالح المحرومين والظالمين . أدن نحن امام تراجع النظام الحر ، الذي قابل المخطط الرأسمالية الكلاسيكية ، أو أقله تطورها ، ذلك للنظام الحر ، الذي كان عبده الحلو - والحق يقال - قصير الامد ، والذي لم يستفد منه استعادة كاملة سوى شطر زهيد من البشرية ، هو ذلك الذي استعاد من امتياز البروة .



يختلف الوضع ، كما يتضح ذلك ، حثلاً كلياً عنه في السنة ١٩١٤ . وان العالم ، كما كان في هذا التاريخ ، قد زال معظمه منذ اليوم ، وانقلب توزيع القوى انقلاباً تاماً . فقد حل محل الوحدة الفكرية والمادية التي فرضتها هيمنة أوروبا انقسام الى ثلاث مجموعات . فهناك العالم الرأسمالي والحر والعالم الشيوعي . تسيطر على الأول ، قوة وقوة الولايات المتحدة التي يفتيس هو عنها المؤسسات والاخلاق السياسية ويضع لتوجيهها في الحقل السياسي والاقتصادي . وهو يتألف من دول كانت مهيمنة من ذي قبل ، فأصغمتها حركات استقلال الشعوب في المستعمرات وشبه

تتم به طبقاتها المتوسطة والعمال اليسورون في صناعاتها ، وعلى بذخ طبقاتها الحاكمة ، وتوجب عليها إعادة التوفيق بين جهاز انتاجها والظروف الجديدة الناشئة من تحرر رهاياها السابقين ومناخسة الولايات المتحدة الساحقة في آت واحد . اما الثاني الذي يمتد من الإلب الى المستعمرات ، وبألت تبحث عن اسواق جديدة ببقية المحافظة على مستوى المعيشة المرتفع نسبياً الذي الباسيفيكي حينهم بظروف شبيهة بتلك التي عرفتها الولايات المتحدة خلال القرن التاسع عشر : سوق كبرى لتدو امكافات توسعها وكانت لا معدودة ، ويمكن ان تعتمد فيها ، على نطاق واسع ، تقنيات لرسيح المنتجات والانتاج بالجملة ، وأزال اصلاح النظام الاجتماعي فيها العقبات التقليدية التي حالت دون النهضة الاقتصادية ، وتحسن فيها تدريجياً ظروف معيشة سكانها .

بين هذين المثالين لحضارات متناقضة ، تنظرنا الى العالم ونظامها لاقتصادي والاجتماعي على السواء ، ظهرت منذ السنة ١٩٤٥ مجموعة ثلاثة تضم البلدان غير النامية التي فازت باستقلالها السياسي حديثاً او تسمى الى الدور به . فإمام مجموعة البلدان الاطلسية المتقدمة قفياً - التي يجاوز معدل الدخل الفردي فيها ٥٠٠ دولار - والمجموعة الشيوعية التي ما زال معدل الدخل يتراوح فيها بين ١٠٠ و ٤٠٠ دولار ، اللتين غتلان مما أقل من نصف البشرية ، توجد كتلة قوية بعدد السكان ، والاروة ، والموارد ، وأهمية الدور الذي يقوم به بعض شعوبها في السياسة الدولية - الهند في عهد نهرو ، وكتلة الدول العربية ولا سيما مصر - ولكن القسم الاكبر منها يعيش في البؤس وعلى حدود الجاهلية . وتتنازعها الكتلتان الكبيرتان على الصعيد الايديولوجي ، ومنذ السنة ١٩٥٤ ، على الصعيد الاقتصادي ايضاً . فبينما كانت الدول الغربية وحدها - والولايات المتحدة في الدرجة الاولى - قادرة حتى هذا التاريخ على تقديم الفنين ووروس الاموال لها ، يعرض الاتحاد السوفياتي والصين اليوم عليها مساعدتها التقنية . وهكذا فان افغانستان تنظم من الاتحاد السوفياتي القسم الاكبر من الاعتمادات التي يستلزمها تنفيذ الخطة الخمسية للانماء الاقتصادي ، والاتحاد السوفياتي يساعد الهند على بناء مصانع فولاذية ضخمة تنتج مليون طن من الفولاذ غير المصنوع ، وبعد اتفاقات اقتصادية مع بورما ومصر وسوريا وباكستان . وعقدت عدة ديمقراطيات شعبية اتفاقات ماثلة مع الهند واندونيسيا وبورما . وفي المؤتمر الافريقي الآسيوي المنعقد في القاهرة (١٩٥٧) ، وعد ممثل الاتحاد السوفياتي كافة الدول غير النامية ، دون شروط سياسية ودون تمييز ، بمساعدة بلاده المالية والصناعية والتقنية . ولا ريب في ان الدول غير النامية هي ما يستفيد من هذه المنافسة - لا بل من هذه المزايدة .

ايرز مؤتمر باندرمغ شأن هذه الكتلة ورغشها في الوقوف على الحياض . ولكن هذا الحياض لا يمكن ان يدوم الى ما لا نهاية له . لذلك فان كل كتلة تسمى جاهدة لاجتذاب هذه الدول الى مدارها . وهي قادرة كل من شكل الحضارة على سد حاجات الشعوب غير النامية مادياً وفكرياً ، ومهارة الجموع والبؤس محاربة أجدى ، ما سوف يولي عليها الموقف الذي يجب ان تتخذه ، وما سوف يرسخ كفة الميزان لصالح هذا المعسكر او ذاك .

التوجيه الجغرافي

مؤلفات عامة

- DAVID THOMSON, *The era of violence, 1898 - 1945*, Cambridge University Press, 1960 (t. XII de la «New Cambridge Modern history»)
- JACQUES PIRENNE *Les grands courants de l'histoire universelle* : t. VI, De 1934 à 1939 et VII De 1939 à nos jours Neuchâtel, Ed. de la Baconnière, et Paris, Albin Michel, 1955 - 1959.
- B. GROUSSET et K. - G. LEONARD, *Histoire universelle*; t. III : De la renaissance à nos jours, Calmann, 1958 (Encyclopédie de la Pléiade).
- MAXIME MOURIN *Histoire des nations européennes (1918 - 1962)* Payot, 3 vol. 1962.
- LUIGI SALVATORELLI; *Storia del Novecento*, 3a. éd. revue et mise à jour, Milan Mondadori, 1964
- G. BARRACLOUGH, *An introduction to contemporary history*, Londres, Watts, 1964.
- PIERRE GEORGE, *Panorama du monde actuel*, P U F 1965
- FELIX FONJELL, *Histoire générale contemporaine du milieu du XVIIIe siècle à la deuxième guerre mondiale*, 3e éd., Dalloz, 1963.
- JEAN BAPTISTE DUROSELLE, *L'Europe de 1815 à nos jours*.
- BERNARD ISSELIN, *Histoire du monde contemporain*, F. Nathan, 1965 (depuis 1929).
- ALFRED VAGTS, *A history of militarism civilian and military*, New York, Macmillan books, 1959.
- A. SIEGFRIED, *La crise de l'Europe*, Calmann - Lévy 1935.
- HAROLD LASKI, *Réflexions sur la révolution de notre temps*, trad. fr., Ed. du Seuil, 1946
- TIBOR MENDE, *Regards sur l'histoire de demain, les nouveaux centres de gravité du monde*, trad. fr, ibid., 1954.
- JOHN STRACHEY *La fin de l'impérialisme*, trad. Laffont, 1961
- FR. FERROUX, *L'Europe sans rivages*, Paris, P U F., 1954.
- W. S. et E. S. WOYTINSKY *World population and production*, New York, The Twentieth century fund, 1953.

المائل الديموغرافية

- MARCEL-R. REINHARD et ANDRE ARMENGAUD, *Histoire générale de la population mondiale*, Ed. Montchrestien, 1961.
- ALFRED SAUVY, *Théorie générale de la population*, 2 vol., P.U.F., 3e éd., 1963.
- LOUIS CHEVALIER, *Démographie générale*, Paris Dalloz, 1954, coll. «Études politiques, économiques et sociales».
- P. GEORGE, *Questions de géographie de la population*, P.U.F., 1959.
- MAX SORRE, *Les migrations des peuples*, Flammarion, 1955.
- EUGENE M. KULISCHER, *Europe on the move, war and population changes (1917) - 1947*, New York, Columbia U.P., 1948.

- JOSUE DE CASTRO, Géopolitique de la faim, Les Ed. ouvrières, nouv. éd. 1983.
 ANDRE ARMENGAUD, La population française au XXe siècle
 P. U. F., 1983.

الحياة الاقتصادية

- H. J. HABAKKUK et M. POSTAN, The industrial revolutions and after, incomes, population and technological change, 2 vol., Cambridge economic history of Europe)
 J. A. LESOURD et C. GERARD, Histoire économique (XIXe - XXe siècle), 2 vol., Colin, 1983 (coll. «U»)
 COLIN CLARK, Les conditions du progrès économique, trad. fr., P. U. F., 1960
 JEAN WEILLER, La croissance de l'industrie mondiale (1933 - 1961), New York, Nations Unies, 1963.
 FR. PERROUX, Le capitalisme, P. U. F., 1962.
 G. PIROU, Néolibéralisme, néocorporatisme, néosocialisme, Gallimard, 1939.
 FRITZ STERNBERG, Le destin du monde, trad. fr., Ed. du Seuil, 1958.
 ROGER ORSINGHER, Les banques dans le monde, Payot, 1964.
 DANIEL DURAND, La politique pétrolière internationale, P. U. F., 1962.
 J. LESCURE, Les crises générale et périodiques de surproduction, Domat, 1938.
 R. LEWINSON, Histoire de la crise économique (1929 - 1934), Payot, 1938.
 LUCIEN DE SAINTE - LORETTE, Le Marché Commun, 3e éd., A. Colin, 1963.
 MICHEL CROZIER, Rapport préliminaire sur la situation sociale dans le monde, Genève, Nations Unies, 1962.
 RIVERO et JEAN SAVATIER, Droit du Travail, 3e éd., P. U. F., 1954 (coll. «Thémis».)
 ALEC MELLOR, La torture, son histoire, son abolition, sa réapparition au XXe siècle, Ed. Domat - Montchrestien, 1949.

الحركة العلمية

- L. LEPRINCE - RINGUET, La science contemporaine, les sciences physiques et leurs applications, 2 vol., Larousse, 1963.
 MAURICE DAUMAS, Histoire de la science, Des Origines au XXe siècle, Encyclopédie de la Pléiade, t. V., N. R. F., 1957
 PIERRE AUGER, Tendances actuelles de la recherche scientifique, Paris, Unesco, 1961.
 G. CANGUILHEM, La connaissance de la vie, Hachette, 1954.
 ROBERT BROCA, Cinquante ans de conquêtes médicales, Hachette, 1955.
 RENE LERICHE, Cahiers d'actualité et de synthèse de l'Encyclopédie française, Larousse, 1954.
 JEAN AUVERT, La chirurgie d'aujourd'hui, Seghers, 1965.

التقنيات

- P. ROUSSEAU, Histoire des techniques, Fayard, 1956.

- RICHTIE CALDER, L'homme et ses techniques de la préhistoire à nos jours, trad. de l'anglais par H. Delgove, Payot, 1963.
 CHAMBE' Histoire de l'aviation Flammarion, 1949.
 DANIEL FAUCHER, Le paysan et la machine, Ed. de Minuit, 1954.
 ROBERT JUNGK, Le futur a déjà commencé trad. fr. Arthaud
 G. FRIEDMANN, Où va le travail humain ?, Ibid., nouv. éd., 1962.

الحركة الفلسفية والأدبية

- GAETAN PICON et coll., Panorama des idées contemporaines, Gallimard, 1957.
 G. GURVITCH, La sociologie au XXe siècle, 2 vol., Ibid., 1947
 JEAN TOUCHARD et collab., Histoire des idées politiques, t. II du XVIIIe siècle à nos jours, P.U.F., 1966 (coll. «Thémis»).

الأدب

- RENE LALOU, Histoire de la littérature française contemporaine, 2 vol., P.U.F., 2e éd., 1963.
 PIERRE DE BOISDEFRE, Dictionnaire de littérature française contemporaine, Ed. Universitaires, 1962.
 MAURICE NADÉAU, Histoire du surréalisme, 2 vol., Ibid., 1945 - 1948
 FREDERIC TOWARNICKI et GILLES QUEANT, Encyclopédie du théâtre contemporain, vol. II 1914 - 1950, Perrin, 1959.
 AKAGON Littératures soviétiques, Denoël, 1955
 MARCELLE EHRHARD, La littérature russe, 4e éd. P.U.F. 1962.
 FERNAND MOSSE et collab. Histoire de la littérature allemande, Aubier, 1959.
 DONALD HAYMAN, Situation de la littérature anglaise d'après-guerre, Cahier des Lettres modernes, 1955.
 ALFRED CAZIN, Panorama littéraire des Etats - Unis de 1890 à nos jours, trad. fr. Robert Martin, édit., 1952.
 P. ARRIGHI, La littérature italienne, P.U.F., 1961
 K. AMIS, L'univers de la science - fiction, trad. par E. Gille, Payot, 1962.

الحركة الفنية

- BERNARD DORIVAL, Les peintres du XXe siècle, t. II : Du cubisme à l'abstraction 1915 - 1957 Ed. Tisné, 1957
 PIERRE FRANCASTEL, Peinture et société, Lyon, Audin, 1951
 HENRI PERRUCHOT, L'art moderne à travers le monde, Hachette, 1963.
 GEORGES SADOUL, Le cinéma, son art, sa technique, son économie, Edit. fr. réunis 1964.
 R. DUMESNIL Histoire de la musique, t. V : La première moitié du XXe siècle, A. Colin 1960
 KENNETH SCOTT LATOURETTE, Christianity in a revolutionary age, vol. IV et V. Londres, Eyre and Spottiswoode, 1962 et 1963.
 ADRIEN DANSETTE, L'église catholique dans la mêlée politique et sociale, nouv. éd., Flammarion, 1965.
 GEORGES GUY-GRAND et collab., La Renaissance religieuse, Alcan 1928.
 H. MARC-BONNET, La Papauté contemporaine, P.U.F., 1963.

- A. LATREILLE et A. SIEGFRIED, Les forces religieuses et la vie politique, colln, 1951.
 FR. BOULARD, Essor ou déclin du clergé français, ibid., 1950.
 YVON DANIEL et HENRI GODIN, Sociologie religieuse et sciences sociales, Actes du IV^e Congrès international ibid., 1956.
 P. SCHMITT-EGLIN, Le mécanisme de la déchristianisation, Ed. Alsatia, 1952.
 ABBE DESPONT, Nouvel atlas des missions, Paris et Lyon, Œuvres de la Propagation de la foi, 1951.
 ANTOINE FREYTAG, S.V.D. Atlas du monde chrétien, Ed. Elsevier, 1959.
 E. - G. LEONARD, Histoire générale du protestantisme, t. III : Déclin et renouveau (XVIII - XX^e siècle), P.U.F., 1964.
 PIERRE GEYRAUD, Sectes et rites, petites églises, religions nouvelles, sociétés secrètes de Paris, Emile Paul, 1954.

الاعلام

- FRANCOIS WILLIAMS, La transmissions des informations, Genève Unesco, 1953.
 B. VOYENNE, La presse dans la société contemporaine, colln, 1963 (coll. «U»).
- ALFRED GROSSER, Hitler, La presse et la naissance d'une dictature, ibid., 1959.

الحروب

- J. F. C. FULLER, La conduite de la guerre de 1789 à nos jours, Payot, 1963.
 B.H. LIDDELL HART, Histoire mondiale de la stratégie, trad. par Lucien Poirier, Plon, 1962.
 JEAN PIERRE, Les mutations de la guerre moderne (1892 - 1962), 2 vol. Payot, 1962.
 R. DE BELOT et A. REUSSNER, La puissance navale dans l'histoire, t. III : De 1914 à 1959. Ed. maritimes et d'outre-mer, 1960.
 AMIRAL BARJOT, Histoire de la guerre aéronavale, Flammarion, 1961.

الحرب العالمية الأولى

- F. DEBYSER, Chronologie de la guerre mondiale. De Sarajevo à Versailles (28 juin 1914-28 juin 1919). Payot, 1938.
 Général YOUNI DANILOV, La Russie dans la guerre mondiale, ibid., 1927.
 Amiral M. W. W. P. CONSETT, Le triomphe des forces économiques, Société d'Éditions géographiques, maritimes et coloniales, 1924.
 K. L. NOWAK, Les dessous de la défaite, trad. fr. Payot, 1925.
 E. DELAGE, La guerre sous les mers. Grasset, 1934.
 JACQUES MEYER et GABRIEL FERREUX, Vie et mort du Français 1914 - 1918. Hachette, 1959.

الحرب العالمية الثانية

- MARC BLOCH, L'étrange défaite, Témoignage écrit en 1940, nouv. éd., A. MICHEL, 1957.

- Général BEAUFRE, Le drame de 1940, Plon, 1965.
 Général L. - M. CHASSIN, La seconde guerre mondiale, Larousse 1951.
 ROBERT JARS, La campagne de Pologne (Septembre 1939), Payot 1949.
 Commandant P. LYET, La bataille de France (mai-juin 1940), Payot, 1947.
 ROBERT JARS, La campagne d'Italie (1943-1945), ibid. 1954.
 CHESTER WILMOT, La lutte pour l'Europe, trad. fr., Payot, 1953.
 KENNETH EDWARDS, L'opération Neptune, trad. fr., La Jeune Par- que, 1947.
 HANS SPEIDEL, Invasion 1944, trad. fr., Berger-Levrault, 1950.
 HAROLD BUSCH, Meutes sous-marines, trad. fr., Ed. France-Empire 1952.
 Capitaine de vaisseau ANDRIEU D'ALBAS, Marine impériale (1941-1945).
 Lieutenant-colonel F. O. MIKSCHÉ, Les erreurs stratégiques de Hit- ler, Payot, 1945.
 GERT BÜCHER, Hitler chef de guerre. L'armée allemande sous le III Reich, trad. par J. Mordal, Arthaud, 1981.
 TREVOR ROPER, Les derniers Jours de Hitler, trad. fr. Calmann Lévy 1964.
 GEORGE KIRK, The middle east in war, Londres, Oxford University Press 1951.
 F. O. JONES, HUGH BOSTON et B. P. PEARN, Survey of Interna- tional affairs 1939 - 1946, The Far East 1942 - 1946, ibid., 1955.

احتلال، تعاون، مقاومة، نفي

- JEAN VIDALENC, L'exode de mai-juin 1940, P. U. F., 1957.
 H. MICHEL et collab., La France sous l'occupation, ibid. 1959.
 PIERRE ARNOLD, Les finances de la France et l'occupation alle- mande (1940 - 1944) P. U. F., 1951.
 HENRI MICHEL, Les mouvements clandestins en Europe (1930 - 1945), P. U. F., 1966 (coll. «Que sais-je?»)
 EUGENE KOGON, Tragédie de la déportation (1940-1945) témoigna- ges de survivants choisis et présentés par Olga Wormser et Henri Michel, Hachette 1954.

الأسلحة منذ ١٩٤٥

- F. M. BLACKETT, Les conséquences militaires et politiques de l'éner- gie atomique, trad. fr. A. Michel, 1949.
 Lt Col. F. O. MIKSCHÉ, Tactique de la guerre atomique, Payot, 1955.
 CLAUDE DELMAS, La stratégie nucléaire, P. U. F., 1963.
 CAMILLE ROUGERON, La guerre nucléaire, armes et paradoxes, Cal- mann-Lévy, 1962.

العلاقات الدولية

- RAYMOND ARON, Paix et guerre entre les nations, Calmann - Lévy, 1962.
 PIERRE RENOUVIN, Histoire des relations internationales. T. VII - Les crises du XXe siècle. I : De 1915 à 1929; II : De 1929 à 1945, Hachette, 1963 et 1965.

- V. POTIEMKINE (sous la direction de), Histoire de la diplomatie, t. II (1872 - 1919) et III (1919 - 1939), Lib. de Médecis, 1946-1947.
- WILLIAM E. SCOTT, Le pacte franco-soviétique. Alliance contre Hitler, trad. par J. Métodier, Payot, 1935.
- F. W. DEAKIN, L'Axe brisé, L'amitié brutale d'Hitler et Mussolini; trad. fr., S'ock, 1964.
- MAXIME MOURIN, Les tentatives de paix dans la seconde guerre mondiale (1939 - 1945), Payot, 1949.
- JACQUES FREMONT, De Roosevelt à Eisenhower. La politique étrangère américaine (1945 - 1952) Genève Droz, 1953.
- HENRI AZEAU, Le siège de Suez (5 novembre 1956), R. Laffont, 1964.
- JEAN KLEIN, L'entreprise du désarmement (1945 - 1964), Ed. Cujas, 1964.
- FRANCOIS NOURRISSIER, L'homme humilié, sort des réfugiés et «personnes déolacées» (1912 - 1950).
- JEAN DE LA ROBBIE, Exodes, transferts, esclavage; Gallimard; 1950.

المسائل الدستورية والحياة السياسية

- GEORGES BURDEAU, Traité de science politique, 7 Vol., Lib. Gén. de Droit et de Jurisprudence, 1949 - 1957.
- MAURICE DUVERGER, Droit constitutionnel et institutions politiques. P. U. F., 8e Ed., 1965 (coll. «Thémis»).
- S. M. LIPSET, L'homme et la politique, trad. fr., Ed. du Seuil, 1963.
- BOYD C. SHAFER, Le nationalisme, Mythe et réalité, Payot, 1964.
- MICHEL DRANCOURT, Les clés du pouvoir, Fayard, 1964.
- A. DELEMER, Le bilan de l'étatisme, Payot, 1922.
- S. STELLING - MICHAUD, La gauche, numéro spécial des temps modernes, nos. 112 - 113, 1965.
- VIDAL - NAQUET, La raison d'Etat. La répression de 1954 à 1962. Ed. de Minuit, 1962.
- LOUIS DE VILLEFOSSE, Géographie de la liberté. Les droits de l'homme dans le monde (1953-1964), Laffont, 1965.
- LEO VALIANI, Histoire du socialisme au XXe siècle, Nagel, 1945.
- GEORGES LEFRANC, Le syndicalisme dans le monde, nouv. éd., P. U. F. 1963.
- JOSEPH SCHUMPETER, Capitalisme, socialisme et démocratie, trad. fr., Payot, 1951.
- JEAN SALOMON, La laïcité, P. U. F. 1960.

الولايات المتحدة

- CHARLES et MARY BEARD, Histoire des Etats-Unis, trad. fr., Hachette, 1952.
- CLAUDE JULIEN, Le nouveau Nouveau Monde. Julliard, 1960.
- CHARLES MELCHIOR DE MOLENES, La carrière du Président Kennedy et la vie politique américaine. Ed. Cujas, 1964.
- F. ROZ, Roosevelt, Dunod, 1948.
- MAX LERNER, La civilisation américaine, trad. par Magdeleine Paz, Seuil, 1961.
- FRANCOISE BOURIEZ-GREGG, Les classes sociales aux Etats-Unis, Colln. 1954.
- C. WRIGHT MILLS, The power elite, New York, Oxford Univ. Press, 1957.

JEAN DARIOAN De Lincoln à Johnson, Noirs et Blancs, Calmann - Lévy, 1965.

بريطانيا العظمى

CHARLES LOCH MOWAT, Britain between the wars 1918-1940, Londres, Methuen, 1966.

G. P. H. COLE et RAYMOND POSTGATE, The common people 1746-1946, Londres Methuen, 1948.

JACQUES CADRAT, Régime électoral et régime parlementaire en Grande-Bretagne, Colin, 1948.

YVES HERISSET, La monarchie britannique au XXe siècle, Ed. Ceise, 1961.

JEAN BLONDEL, La société politique britannique, A. Colin 1964.

KEITH HUTCHINSON The decline and fall british capitalism, Londres. Cape, 1951.

أيرلندا ، كندا ، أستراليا

A. RIVOALLAN L'Irlande, Colin 1934

ANDRE SIEGFRIED Le Canada, puissance mondiale, Colin, 1937

ARTHUR W JOSE, Histoire de l'Australie, trad fr Payot, 1930.

فرنسا

MARCEL REINHARD Histoire de France, 2 vol., Larousse, 1954.

DAVID THOMSON, La démocratie en France, La IIIe République, trad. fr, sur la 1ère éd. anglaise, Nizet, 1955.

JACQUES CHASTENET Histoire du peuple français, publ. sous la dir de L. - H. PARIAS, vol. V Cent ans d'esprit républicain, par J. - M. Mayeur, François Bedarida. Antoine Prost, Jean-Louis Monneron. Nouv. Lib. de France, 1964.

FRANÇOIS GOGUEL et ALFRED GROSSER La politique en France, A. Colin, 1964 (coll. «U»).

M. DUVERGER, Partis politiques et classes sociales en France, Colin, 1955.

FRANÇOIS GOGUEL, Le régime politique français. Les mécanismes de la démocratie parlementaire. Ed. du Seuil, 1955.

JACQUES FAUET La France déchirée. A. Fayard 1957

J. - M. JEANNENEY Forces et faiblesses de l'économie française (1945 - 1959) 2e éd. Colin 1959.

GEORGES DUPEUX, La société française (1789 - 1960), A. Colin, 1964 (coll. «U»).

FRANÇOIS JACQUIN, Les cadres de l'industrie et du commerce en France, A. Colin, 1955.

DANIEL LIGOU Histoire du socialisme en France (1871 - 1961), P.U.F. 1962.

JACQUES FAUVET Histoire du parti communiste français, 2 vol., A. Fayard, 1964 - 1965.

GEORGES LEFRANC, Le syndicalisme en France, nouv. éd. P.U.F., 1964.

JEAN MEYNAUD La révolte paysanne, Payot, 1963.

ALFRED ROSMER, Le mouvement ouvrier pendant la première guerre mondiale, t. I De l'Union sacrée à Zimmerwald, Lib. de Travail, 1936, t. II : De Zimmerwald à la Révolution russe, La Haye, Mouton, 1959.

PAUL - MARIE DE LA GORGE, De Gaule entre deux mondes. Une vie et une époque, *ibid.*, 1964.

ألمانيا

- E. VERMEIL, L'Allemagne, essai d'explication, 9e éd. Gallimard, 1946.
ROBERT MINDER, Allemagne et Allemands, t. I., Ed. du Seuil, 1948.
Colonel E. CARRIAS, La pensée militaire allemande, P.U.F., 1948.
CLAUDE DAVID, L'Allemagne de Hitler, P.U.F. nouv. éd. 1963.
JOSEPH ROVAN Histoire de la démocratie chrétienne: II. Le catholicisme politique en Allemagne, Ed. du Seuil, 1965.
JOHN W. WHEELER BENNETT, Le drame de l'armée allemande, trad. fr., Gallimard, 1955.
MAXIME MOURIN, Les complots contre Hitler (1933 - 1945), Payot 1944.
GEORGES CASTELLAN D. D. R. Allemagne de l'Est, Ed. du Seuil, 1955.
G. - N GILBERT, Le problème allemand, cahier 1 de la Neï, décembre, 1952.

إيطاليا

- MAURICE VAUSSARD, Histoire de l'Italie contemporaine (1870-1946), Hachette, 1950.
MAX GALLO, L'Italie de Mussolini, Lib. Acad. Perrin, 1964.
MURIEL GRINDROD, The rebuilding of Italy. Politics and economics 1945 - 1955, Londres. Oxford U P., 1955 (Royal Instit. of Intern. affairs).
GAETANO SALVEMINI, Mussolini diplomate, Grasset, 1932.
JEAN MEYNAUD, Les partis politiques en Italie, P.U.F., 1965.

الدول الأخرى

- RAYMOND FUSILIER, Les monarchies parlementaires. Étude sur les systèmes de gouvernement (Suède) Norvège, Luxembourg, Belgique, Pays-Bas, Danemark), Les Éditions ouvrières, 1960.
FRANS VAN KALKEN, Entre deux guerres. Esquisse de la vie politique en Belgique de 1918 à 1940, 2e éd. Bruxelles. Office de Publication, 1945.
PIERRE VILAR, Histoire de l'Espagne, P.U.F., 6e éd. 1965.
PIERRE BROUÉ et EMILE TEMIME, La révolution et la guerre d'Espagne, Ed. de Minuit, 1961.
P. JEANNIN Histoire des pays scandinaves, P U F., 2e éd. 1965.
JEAN MEUVRET, Histoire des pays baltes : Lituanie, Lettonie, Estonie, Finlande, Colin 1934.
CLAUDE-JOSEPH GIGNOUX, La Suisse, Lib. Général de Droit et de Jurisprudence, 1960 (Comment ils sont gouvernés)

الاتحاد السوفياتي

- EDWARD HALLET - CARR, A history of Soviet Russia, 5 vol. (jusqu'en 1952), Londres, Macmillan, 1951 - 1958.
FERNAND GREMARD, La Révolution russe, Colin, 1933.
FRANK LORIMER, The population of the Soviet Union, Genève. S.D. N., 1946.
ALEC NOVE, L'économie soviétique, trad. fr., Plon. 1963

- PIERRE GEORGE, *L'économie de l'U.R.S.S.*, 10e éd., P.U.F., 1966.
 WALTER KOLARZ, *La Russie et ses colonies*, trad. fr., Fasquelle, 1954.
 JEAN BRUHAT, *Histoire de l'U.R.S.S.*, P.U.F. 5e éd., 1958.
 MOUSKHELY (dir.), *L'U.R.S.S.; droit, économie, sociologie, politique, culture*, t. I, Sirey 1962.
 L. VOLPICELLI, *L'évolution de la pédagogie soviétique*, trad. fr. Neuchâtel, Delachaux & Niestlé, 1954.
 PIERRE SORLIN, *La société soviétique (1917-1964)*, A. Colin, 1964. (coll. «U»)
 CONSTANTIN DE GRUNWALD, *La vie religieuse en U.R.S.S.*, Pion, 1961.

أوروبا الوسطى والشرقية

- HUGH SETON - WATSON, *Eastern Europe between the wars 1881 - 1941*, Cambridge University Press, 1945.
 JACQUES DROZ, *L'Europe centrale. Evolution de l'idée de «Mitteleuropée»*, Fayot, 1960.
 A. TIBAL, *La Roumanie*, Rieder, 1930.
 L. EISENMANN, *La Tchécoslovaquie*, ibid., 1921.
 HUGH SETON - WATSON, *The East european revolution* Londres, Methuen, 1950.
 P. GEORGE, *Les démocraties populaires*, Ed. sociales, 1952.
 C. BOBROWSKI, *La Yougoslavie socialiste*, Colin, 1950.
 ISTVAN AGOSTON, *Le Marché Commun communiste. Principes et pratiques du Comecon*, Genève Droz, 1964.

أمريكا اللاتينية

- JACQUES LAMBERT, *Amérique latine*, P. U. F. 1963 (coll. «Thémis»)
 EUGENE PEPIN, *Le panaméricanisme*, Colin, 1938.
 CHARLES V. AUBRUN, *L'Amérique centrale*, nouv. éd., P. U. F., 1962.
 JACQUES LAMBERT, *Le Brésil, structure sociale et institutions politiques* Colin 1953.
 RAYMOND AVALOS, *Le Chili* 2e éd., P.U.F. 1963.
 TOUCHARD, *La République argentine*, P.U.F., 1966.
 CLAUDE JULIEN, *La révolution cubaine*, Julliard 1961.

مسائل الاستعمار وإزالة الاستعمار

- RENE SEDILLOT, *Histoire des colonisations*, A. Fayard, 1958.
 P. GOUROU, *Les pays tropicaux*, P.U.F., 3e éd., 1953.
 HUBERT DESCHAMPS, *Peuples et nations d'outre-mer : Afrique, Islam, Asie du Sud* Dalloz 1954 (études politiques, économiques et sociales).
 PAUL MUS, *Le destin de l'Union française. De l'Indochine à l'Afrique*, Ed. du Seuil 1954.
 TIBOR MENDES, *La révolte de l'Asie*, P.U.F., 1951.
 RENE VIARD, *La fin de l'Empire colonial français*, G. - P. Maisonneuve et Larose, 1963.
 J. MEYRIAT (sous la dir. de), *La Communauté internationale face aux jeunes Etats*, Colin, 1964.
 RENE GENDARMIE, *La pauvreté des nations*, Ed. Cujas, 1963.
 YVES LACOSTE, *Les pays sous-développés*, P.U.F. nouv. éd. 1963.

مسائل البلدان الإسلامية

- LOTHROP STODDARD, *Le nouveau monde de l'Islam*, Payot, 1923
1949.
JACQUES BERQUE, *Les Arabes d'hier et de demain*, Ed. du Seuil.
GIBB, *Les tendances modernes de l'Islam*, trad., fr.; Maisonneuve,
1960.
WILFRED GANTWELL SMITH, *L'Islam dans le monde moderne*,
trad. par A. Guimbreière, Payot, 1962.

الشرق الأدنى

- SIR READER BULLARD, *The Middle East, a political and economi-
cal survey*; 3e éd., Londres. Oxford University Press, 1958.
P. KELLER, *La question arabe*, P.U.F.; 1948.
P. MONTAGNE, *La civilisation du désert*, Hachette, 1947
M. CLERGEY, *La Turquie, passé et présent*, Colin; 1947
MARCEL COLOMBE, *L'évolution de l'Egypte (1924-1954)*, Maisson-
neuve, 1951.
FREDY BEMONT, *L'Iran devant le progrès*, P.U.F., 1964 (coll. «Tiers
Monde»)

أمن النيل

- ANDRE FALK, *Israël, terre deux fois promise*, Ed. du Seuil, 1954
ARTHUR KOESTLER, *Analyse d'un miracle*, trad. fr., Calmann -
Lévy; 1949.

الغربي الشمالية

- DESPOIS, *L'Afrique du Nord*, 8e éd., P.U.F.; 1964.
CH. - A. JULIEN, *Maroc et Tunisie. Le problème du protectorat*,
cahier no. 2 de la Nef, mars, 1963.
ROBERT MONTAGNE, *Révolution au Maroc*, Ed. France - Empire;
1963.
CHARLES - HENRI FAVROD, *Le F.L.N. et l'Algérie*, Plon 1962.
ANDRE NOUSCHI, *La naissance du nationalisme algérien (1914 -
1954)*, Ed. de Minuit, 1962
THOMAS OPPERMAN, *Le problème algérien*; Maspero. 1961
YVES-MAXIME DANAN, *La vie politique à Alger de 1940 à 1944*,
Lib. Gén de Droit et de Jurisprudence 1963

أفريقيا السوداء

- ROBERT et M. CORNEVIN, *Histoire de l'Afrique*, Petite Bibliothèque
Payot, 1964.
JEAN SURET - CANALE, *Afrique Noire. t. II - l'ère coloniale (1900 -
1945)*, Ed. Sociales, 1964
JACQUES WEULERSSE, *Noirs et blancs*, Colin, 1931
HUBERT DESCHAMPS, *Les institutions politiques de l'Afrique noire*,
nouv. éd. P.U.F., 1965.
B. HOLAS, *Le séparatisme religieux en Afrique Noire*, P.U.F., 1965
GEORGE PADMORE, *Panafricanisme ou communisme*, trad. de
l'anglais, Présence africaine 1961

- MAMADOU DIA**, *L'économie africaine. Études et problèmes nouveaux*, *ibid.*, 1957
- J. BOYON**, *Naissance d'un État africain : Le Ghana*, A. Colin, 1958
- HUBERT DESCHAMPS**, *Histoire de Madagascar*, Berger - Levrault, 1969.
- LEO MARQUAND**, *The people and politics of South Africa*, 3e éd., Londres, Oxford Univ. Press, 1962.

الشرق الاقصى

- P. RENOUVIN**, *La question d'Extrême - Orient*, Hachette, 3e éd., 1953.
- PIERRE FISTIE**, *Le reveil de l'Extrême - Orient. Guerres et révolutions (1894 - 1964)*, Les Presses universelles, 1966.
- W. MACMAHON HALL**, *Nationalism and communism in East Asia*, Melbourne, University Press, 1952
- HELENE CARRERE D'ENCAUSSE et STUART SCRAM**, *Le marxisme et l'Asie (1853-1964)*, A. Colin, 1965

الصين

- GEORGES MASPERO**, *La chine*, t. II, Delagrave, 1925.
- J. J. BRIEUX**, *La Chine du nationalisme au communisme*, Ed. du Seuil, 1958.
- E. - R. HUGHES**, *L'invasion de la Chine par l'Occident*, trad. fr., *ibid.*, 1938.
- JACQUES GUILLERMAZ**, *La Chine populaire*, nouv. éd. Paris, P. U. F., 1964.
- RENE DUMONT**, *Révolution dans les campagnes chinoises*, Ed. du Seuil, 1957
- TIBOR MENDE**, *La Chine et son ombre*, trad. fr., Ed. du Seuil, 1960.

اليابان

- AYANORI OKASAKI**, *Histoire de japon , l'économie et la population*, Cahier 32 de l'Institut national d'Etudes démographiques, P. U. F., 1958.
- ROBERT GUILLAIN**, *Le peuple japonais et la guerre. Choses vues (1939) - 1948)*, Julliard, 1949.
- J. - F. BARRET**, *L'évolution du capitalisme japonais*, 3 vol., Ed. sociales, 1945 - 1947
- JOHN M. MAKI**, *Government and politics in Japan. The road to democracy*. New York, Praeger, 1962.

الفيتنام

- LE THANH KHOI**, *Le Viet-Nam. Histoire et civilisation*, I Ed. de Minuit, 1955.
- JULES ROY**, *La bataille de Dien-Bien-Phu*, Julliard, 1963.
- JEAN LACOUTURE**, *Le Viet-Nam entre deux paix*, Ed. du Seuil, 1965

الهند

- MARIE - SIMONE RENOU**, *L'économie de l'Inde*, P. U. F., nouv. éd., 1964.

ETIENNE GILBERT, L'Inde, Genève, Droz, 1968.

CHARLES BETTELHEM, L'Inde indépendante, Colin, 1962.

آسيا الجنوبية الشرقية

TIBOR MENDE, L'Asie du Sud - Est entre deux mondes, Ed. du Seuil, 1954.

PIERRE FISTIE, Singapour et la Malaisie, P. U. F., 1960.

GEORGE MCTURNAN KAHN, Governments and politics of South-East Asia, Cornell «U.P.», 1965.

CLAUDE - ALBERT COLLIARD, La question d'Indonésie, Lib. Gén. de Droit et de Jurisprudence, 1950.

W. F. WERTHEIM, Indonesian society in transition, La Haye, W. Van Hoeve, 1958.

مراجع عربية

استكمالاً لهذه المراجع البليغرافية ، رأيت « دار منشورات هويدات » ، في بيروت ان لكاتب الأستاذ يوسف اسعد داغر الاختصاصي بفن المكتبات والتخزين المالي بالبليغرافيا الشرقية ولتوثيق الطلي ، وأحد المترجمين لهذه الموسوعة التاريخية إعداد قائمة بالراجع والمصادر التاريخية العربية التي تتعلق بأهم مواد هذه الجزء ، وقد لاقى الأستاذ داغر صد وصفا هذه فأهد هذه القائمة ضخمة منه البحث العلمي وتيسيراً لأسبابه والمباحث في الدراسات التاريخية العائدة لهذه الحقبة من التاريخ العام .

فمنى ان يجد الباحثون في هذه القوائم غنثارة ما ينسب به من الشيء عن جهد التقصي وشقة التفتيش .
للمنشر

الحرب العالمية

الحرب الأوروبية ١٩١٤ - ١٩١٨

- توماس لويل - لورانس في بلاد العرب - تعريب كامل صويلل مسيحية - الشويفات
ومطبعة الكلية الوطنية ١٩٣٣ ، ص ٢٦٧ - صور - خرائط ،
الديراوي ، عمر محمد - الحرب العالمية الأولى - بيروت ، دار العلم املايين ، ١٩٦٤ ،
ص ٥٧٦ - خرائط - مصور
لويس ، غوستاف - الحرب الأوروبية ، ترجمة أميل زيدان - القاهرة ، مطبعة الهلال ،
١٩١٦ ، ص ١٨٢ .
المندسي ، جرجس الخوري - اعظم حرب في التاريخ وكيف مرت أيامها - بيروت ،
المطبعة العلمية ، ١٩٣٧ ، ص ١٣٨ .
بيشون ، جان - بواعث الحرب العالمية في المشرق الاثنى وموجز لتاريخ جدول اميركا في
هذا الشرق . ترجمة محمد عزة دروزة - بيروت ، مطبعة الكشاف ، ١٩٤٦ ، ص ١١٩ .
روفائيل ، الخوري بطرس - امسال المرأة في الحرب للكبرى - بيروت ، المطبعة
الكاثوليكية ، ١٩٣٣ ، ص ١٧٠ .

- مجلة العالم الفرنسي - المسلمون الفرنسيون في الحرب - باريس ، مايو ، ١٩١٤ ، ص ٣٨٩ .
- حسين ، فاضل - محاصرات عن مؤتمر لورن وآثاره في البلاد العربية - القاهرة ، معهد الدراسات العربية العلية ، ١٩٥٨ ، ص ٧٠٧ .
- ميور ، رامزي - النتائج السياسية للحرب العظمى ، ترجمة محمد بدران - القاهرة ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٩٣٦ ، ص ٣٧٥ .
- الحرب بين بريطانيا العظمى وتركيا والكتاب الأبيض الانكليزي . وهو يتضمن المراسلات الانكليزية الرسمية البريطانية والمعمية قبل وقوع الحرب بين الحلفاء وتركيا - القاهرة ، دار المصطفى ، ١٩١٤ .
- تاريخ الحرب العظمى ١٩١٤ - ١٩١٨ ، ج ١ - ٢ - بيروت ، مكتبة الاملية ١٩٣٨ ، مجلدات - صور - خرائط
- وؤوف ، احمد - كيف دخلت تركيا الحرب العالمية . تعريب فؤاد مبداني ، بيروت ١٩٣٣ ، ص ٨٤
- عزيز بك - سوريا ولبنان في الحرب العالمية . ترجمة فؤاد مبداني ، بيروت ١٩٣٣ ، ص ٣٨٤ .
- الفصيل ، فايز - مذكرياتي عن الثورة العربية . دمشق ، مطبعة ابن زيدون ١٩٣٩ ، ص ٢٧٢ .
- السيد ، نوري - محاضرات عن حركات العسكرية للجيش العربي في الحصار وسوريا ١٩١٦ - ١٩١٨ بغداد ، مطبعة الجيش ، ١٩٤٧ ، ٤٨ ورقة - خرائط .
- الفاصل المصري - الكتاب الاسود . يحتوي على مداخلة ابن السعود مع الانكليز ومحاربة ابن الرشيد ابن السعود من اجل ذلك ، ١٩١٥ ، ص ٣١ .
- دوسى ، سليمان - الحسين بن علي والثورة العربية الكبرى . عمان ، دار النشر والتوزيع ، ١٩٥٧ ، ص ٢٦٣ ، صور - خرائط .
- المصري ، محمد امين - تاريخ حرب العراق خلال الحرب العظمى سنة ١٩١٤ - ١٩١٨ بغداد ، المطبعة العربية ، ١٩٣٥ ، ٣ اجزاء - خرائط .
- نديم ، شكوي محمود - الجيش الروسي في حرب العراق ١٩١٤ - ١٩١٧ . بغداد ، ١٩٦٧ ، ص ٤٩ - خرائط .
- البواري ، بشارة - اربع سني الحرب . نيويورك ، مطبعة جريدة الهدى ١٩٢٦ ، ص ٤٨٣ .
- داغر ، اسعد خليل - تاريخ الحرب الكبرى شعراً - القاهرة ، مطبعة الهلال ، ١٩١٩ ، ص ١١٢ .

انطونيوس ، جورج - بقطة العرب . ترجمة كمال حيدر ، الركاوي ، دمشق ، مطبعة
الترقي ، ١٩٤٦ ، ص ٤٦٣ .

سعيد ، امين محمد - اسرار الثورة العربية الكبرى ومأساة الشريف حسين - بيروت ، دار
الكاتب العربي ، ص ٣٩٩ .

تشرشل ، ونستون - تشرشل يتكلم عن الشرق - اقتباس اسيل دقات - بيروت ، مكتبة
بيروت ، ١٩٥١ ، ص ٩٥ .

الحرب العالمية الثانية ١٩٣٩ - ١٩٤٥

هرج ، السيد - بعد الهدنة - القاهرة ، مطبعة التوكل ، ١٩٤٥ ، ص ١١٨
كار ، ادوارد هاليت - دعائم السلام ، تمريب محمد فريد ابو حديد - القاهرة ، لجنة التأليف
والترجمة والنشر ، ص ٢١٢ .

فرج ، السيد - حرب الصحراء المصرية ، قصة الحرب في صحراء مصر وشمال افريقيا ،
يناير ١٩٤٠ - ديسمبر ١٩٤٢ - القاهرة ، مطبعة المعارف ، ١٩٥٤ ، ص ١٢٦ - شرائط .

كارثيه ، ديمون - الحرب العالمية الثانية . ترجمة سبيل سماعة وانطون مسعود - بيروت
مؤسسة نوفل للطباعة ، ١٩٦١ .

لاوند ، رمضان - الحرب العالمية الثانية - بيروت ، دار العلم للطباعة ، ١٩٦٢ ، ص ٥٩٢ -
صور .

حمر ، حسين - لاقتصاد القومي في الحرب والسلم - القاهرة ، مكتبة القاهرة الحديثة ،
١٩٦٦ ، ص ٢٣٠ .

نصر ، صلاح - الحرب النفسية : معركة الكلمة والمعتقد - القاهرة ، دار النهضة للطباعة
والنشر ، ١٩٦٦ .

الحرب الاسرائيلية العربية

حرب ١٩٤٨

الحطيط ، محمد نمر - احداث النكسة أو نكسة فلسطين - بيروت ، دار مكتبة الحياة ،
١٩٦٧ ، ص ٣٦٨ - صور .

ابو فاضل ، منير - حرب فلسطين لم تلت - بيروت ، دار الكاتب العربي ، ١٩٥٣ ، ص ٤٩ ، صور
مونتغمري ، فيكونت - مذكرات مارشال مونتغمري ، فيكونت للمسلمين ، ترجمة
فريد جبر ، بيروت ، دار الثقافة ، ١٩٦٢ ، ص ٢٧٨ .

- القصري ، محمد فايز - الصراع السياسي بين الصهيونية والعرب ، القاهرة ، دار المعرفة ، ١٩٦١ ج ١ - ٢٢٢ ص . خريطون .
- عبد المنعم ، محمد فيصل - اسرار ١٩٤٨ . تقديم انيس منصور - القاهرة ، مكتبة القاهرة الحديثة ، ١٩٦٨ ، ص ٨٠٢ ، صور . خرائط .
- الجلالي ، محمد فاضل - ذكريات وعبر : كارثة فلسطين وأثرها في الواقع العربي . بيروت ، طبعة اولى ١٩٦٤ ، ص ٢٤٢ ، طبعة جديدة ١٩٦٥ ، ص ٢٧٢ .
- النل ، عبدالله - كارثة فلسطين : مذكرات عبدالله النل ، قائد معركة القدس . القاهرة ، دار العلم ١٩٥٦ ، ج ١ - خرائط - وثائق مصورة .
- الافريقي ، محمد طارق - المجاهدون في معارك فلسطين ، ١٩٤٨ . دمشق ، دار البقعة العربية ١٩٥٩ ، ص ١٨١ ، صور .
- اتفاقيات الهدنة العربية الاسرائيلية ، شباط - ثور ١٩٤٩ ،صوص الامم المتحدة وملحقاتها . بيروت ، مؤسسة الدراسات الفلسطينية ، ١٩٦٩ ، ص ٩١ . خرائط .
- ابر النصر ، عمر - معركة العرب خلال الاستعمار والصهيونية ١٩٤٨ - ١٩٦٧ . بيروت ، ١٩٦٨ ، ص ٧٩٦ ، صور ، خريطة .
- البيطار ، قديم - من النكسة الى الثورة . بيروت ، دار الطليعة ، ١٩٦٨ ، ص ٣٠٣ .
- حاماتي ، هنري - جهاد وكوارث . بيروت ، قدوس ، ١٩٦٨ ، ص ٣١٠ .
- حدون ، فيصل - خسرتها معركة فلنربحها حرياً . بغداد ، دار الجمهورية ، ١٩٦٧ ، ص ٨٠ . صور - خريطة .
- حسين ، الملك - حريتنا مع اسرائيل . بيروت ، دار النهار للنشر ، ١٩٦٨ ، ص ١٢٨ .
- الحلو ، ابراهيم - حرب ٥ حزيران كما رها وكما يراها العالم . بيروت ، دار الكتاب العربي ، ١٩٦٨ ، ص ٢٠٨ .
- خطاب ، محمد شيت - الايام الحاسمة قبل معركة المصير . بغداد ، وزارة الثقافة والارشاد ، ١٩٦٧ ، ص ١٦٧ . خريطة .
- سجل الآراء . حول الوقائع السياسية في البلاد العربية . الحرب العربية الاسرائيلية . حزيران - بيروت ، دار الابحاث ، ١٩٦٧ ، ج ١ .
- شامية ، جبران - مراحل الهزيمة وتطوراتها . بيروت ، دار الابحاث والنشر ، ١٩٦٨ ، ص ١٧٢ .
- المعظم ، صادق جلال - النقد الذاتي بعد الحرية . بيروت ، دار الطليعة ، ١٩٦٨ ، ص ١٧٣ .

قناني ، نادر - هوامش على دفتر النكسة . قصيدة طويلة . بيروت ، ١٩٦٨ ، ص ٣١
 القصاص ، فؤاد - اسرار حرب تحرير ن ، معارك سيناء ، معارك الاردن ، معارك سوريا ،
 مع عشرات الصور والوثائق للأسلحة والقوات والمعارك . بيروت ، لا ت ، ١٩٦٧ ، ص ١٦٧ .
 المنجد ، صلاح الدين - أحمدة النكسة . بحث علمي في أسباب هزيمة ٥ حزيران . بيروت ،
 دار الكتاب الجديد ، ١٩٦٧ ، ص ١٩٩ .
 بصور ، ادب - النكسة والخطأ . الاخطاء الفكرية والمعادنية التي أدت الى الهزيمة .
 بيروت ، دار الكتب العربي ، ١٩٦٨ ، ص ١٧٥ .

العالم العربي

تونس

دار الكتب المصرية - قائمة بالكتب والمراجع من تونس . القاهرة ، دار الكتب المصرية ،
 ١٩٦١ ، ٢٥ + ٢٧ ص
 الببيلي ، عمر بن محمد - هذه هي تونس المجاهدة . القدس ، مكتب المغرب العربي ، ١٩٥٥ ،
 ص ١٢٤ .
 الببضوي ، خيرات - وميض النار في المغرب العربي . بيروت ، مطبعة دار الكتب ،
 لا . ت . ، ١٠٤ ص . صور ، خريطة .
 حلي ، إحسان - تونس العربية . بيروت ، دار الثقافة لا . ت . ، ٣٠٠ صفحة ، صور .
 درموية ، يوسف - تونس بين الاتجاهات . القاهرة ، دار الكتاب العربي ، ١٩٥٣ ، ص ٢١٩ .
 درموية ، يوسف - تونس بين الحماية والاحتلال . القاهرة ، مكتبة الحانجي ، ص ١٥١ .
 الزكاسي ، عمر - كتاب دراس الحرية في تاريخ الحركة القومسية للتونسية . تونس ،
 مطبعة للعمل . لا . ت . ، ٥٧ ص
 زيادة ، نقولا عبدو - تونس في عهد الحماية ١٨٨١ - ١٩٣٤ . محاضرات ، القاهرة ، معهد
 الدراسات العربية العالية ، ١٩٦٣ .
 الجمهورية التونسية - تونس اليوم - تونس ، ٢٠٤ ص ، حرائط - صور

الجزائر

الشقيري ، احمد - دفاعا عن فلسطين والجزائر - تعريب خيرى حماد - بيروت ، المكتب
 للتجاري ، ١٩٦٢ ، ٢١٠ ص - صور

البجاوي ، محمد - الثورة الجزائرية والقانون . ترجمة علي الحسن - دمشق ، دار القنطرة
١٩٦٥ ، ٤١٤ ص .

بو عزيز ، يحيى - بطل الكفاح الأمير محمد القادر الجزائري ، عام ١٩٥٧ - تونس ،
المكتبة الشرقية ، ١٣٧٦ هـ ، ٣٦٧ ص - صور .

بو عزيز ، يحيى - الموجز في تاريخ الجزائر - وهران ، المطابع الوطنية الجزائرية ، ١٩٦٥ ، ج ١
البيضاوي ، خيرات - وحيض النار في المغرب العربي - بيروت ، مطبعة دار الكتب .
لا . ت ، ١٠٤ ص ، صور - خريطة .

الجزائري ، مسعود مجاهد - تاريخ الجزائر - القدس ، مطابع دار الايتام الاسلامية ، ١٩٦٥
٢٨٣ ص ، صور - خريطة .

جلال ، عبد العاطي - فرنسا في الجزائر - القاهرة ، المطبعة العلية للطبع والنشر ، ١٩٥٦
١٤٤ ص ، صور .

حلي ، جوان - الجزائر النائرة ، ترجمة شعري حماد ، بيروت ، دار الطليعة ، ١٩٩١ ،
٢٣٩ ص .

الجيلاني ، عبد الرحمن بن محمد - تاريخ الجزائر المصم ، الجزائر ، المطبعة العربية ، ١٩٥٣ -
١٩٥٥ ، جزآن ، خرائط - فوسات .

حافظ ، حدي - الجزائر بين الأمن والفساد ، القاهرة ، مؤسسة المصرية العامة للأنباء
والنشر ، ٩٤٤ ص .

الحص ، عبد الرحمن محمود - الجزائر في معركة البناء ، بيروت ، دار نشر الآداب ، ١٩٦٣
١١٢ ص .

حقي ، إحسان - الجزائر العربية ، ارض الكفاح الجديد ، بيروت ، المكتبة التجارية ،
١٩٦١ ، ٣١١ ص .

الشافعي ، علي - ثورة الجزائر ، القاهرة ، دار النديم ، ١٩٥٦ ، ٢٤٨ ص .

المقائد ، صلاح - محاضرات عن تطور السياسة الفرنسية في الجزائر ، القاهرة ، معهد
الدراسات العربية للعالية ، ١٩٦٠ ، ١١٣ ص .

عودة ، محمد ورفاقه - الجزائر : ارض الذهب والدم ، القاهرة ، المكتبة الدولية للتوجه
والنشر ، لا . ت ، ١٢٣ ص .

فؤاد ، سعد رحول - هشت مع ثوار الجزائر ، بيروت ، دار العلم للعلايين ، ١٩٦٠ ،
٣٢٠ ص .

المدني ، احمد توفيق - مله هي الخرثر ، القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٥٦ ، ص ٢٤٧ ، خريطة .
 مرقص ، محمد عبد المنعم - الجزر المنتصرة ، القاهرة ، دار القومية ، لا . ت . ١١٩ ، ص .
 النقاش ، رجاء - ثورة الفقراء ، بيروت ، دار الآداب ، ١٩٦٤ ، ١٣٩ ، ص .
 الورتلائي ، الفصيل - الجزائر الشائرة ، بيروت ، جبال الرحمن ، ٥٢٦ ، ص .
 يحيى ، جلال - السياسة الفرنسية في الجزائر من سنة ١٩٣٠ - ١٩٥٩ ، القاهرة ، دار المعرفة ، ١٩٥٩ ، ٣٨٣ ، ص .

السودان

داعر ، يوسف اسعد - الاصول العربية للدراسات السودانية - بيروت ، دار النجوى ، ١٩٦٨ ، ص ١٨٥ . كشاف خاص بالمصادر والمراجع العربية الخاصة بالسودان والسودانيين وروادي النيل ، ضم نحواً من ٢٠٠٠ مصدر بين مكتب خاصة بالبحث صدرت عن السودان او حول السودان بين ١٨٢٤ - ١٩٦٨ .
 دار الكتب المصرية ، قسم الارشاد - قائمة بالكتب والمراجع عن السودان ، القاهرة ، مطبعة دار الكتب ، ١٩٦١ ، ٤١ ، ص بالعربية و ٦٧ باللات الاجنبية ، طبع ١٧٥ مصدراً باللغة العربية ، و ٣٨٩ باللات الاجنبية .

ليبيا

دار الكتب المصرية - قسم الارشاد - قائمة بالكتب والمراجع عن ليبيا - القاهرة ، مطبعة دار الكتب ، ١٩٦١ ، ص ٢١ + ٣٠ .
 طرابلس الغرب و برقة في برائن الاستعمار الايطالي - صحائف سود - دار استقبال ، لا . ت . ص ١٦٠ .
 الاشهب ، محمد لطيف - برقة العربية امس واليوم . القاهرة ، مطبعة الحواري ، ١٩٤٧ ، ص ٧٢٠ ، صور ، خريطة .
 - - - عمر المختار - القاهرة ، مكتب القاهرة ، ١٩٥٧ ، ص ٢١٢ .
 - - - ابراهيم احمد الشلعي - القاهرة ، مطبعة الخانجي ، ١٩٥٦ ، ص ١٤٣ .
 الباروني ، زعيمة سليمان - صفحات خالدة من الجهاد . القاهرة ، مطابع الاستقلال الكبرى ، مجلدات .

البراي ، راشد - ليبيا والمزارة الليبية ، القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ١٩٥٣ ، ص ٧٧ .

رشدي ، راسم . طرابلس العرب في الماضي والحاضر - طرابلس ١٩٥٣ ، ص ٢٢٣ - صور - لوحات

اراي ، الطاهر احمد - تاريخ الفتح العربي في ليبيا . القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٥٤ ، ص ٢٩٦ .

شكري ، محمد غزاد ، السنوسية دين ودولة - مصر ، دار الفكر العربي ، ١٩٤٨ ، ص ٤٣٣
شلي ، محمود - عمر المختار صعبة لاستعمار الوحشي ، القاهرة ، المكتبة العلمية ١٩٥٨ ، ص ١٣٢ .

الشيطي ، محمود - قضية ليبيا القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٥١ ، ص ٣٥٦ - صور .

عاس ، حسن رشيد . تاريخ ليبيا منذ الفتح العربي حتى مطلع القرن التاسع الهجري . بنغازي ، دار ليبيا للنشر والتوزيع ، ١٩٦٧ ، ص ٢٦٩ .

قبين ، سليم . تاريخ الحرب العالمية الإيطالية . القاهرة ، مطبعة التقدم .

محمود ، حسن سليمان - ليبيا بين الماضي والحاضر . القاهرة مؤسسة سجل العرب ، ١٩٦٢ ، ص ٤٣٧

شكري ، محمود غزاد . ميلاد دولة ليبيا الحديثة . وثائق تحررها واستقلالها القاهرة ، مطبعة الاعتدال ، ١٩٥٢

ريادة ، نقولا عمده - ليبيا في العصر الحديث . محاضرات أقيمت على طلبية قسم الدراسات التاريخية والفانوية . القاهرة ، معهد البحوث والدراسات العربية ، ١٩٦٦ ، ص ٣٧٣

— — — محاضرات في تاريخ ليبيا من الاستعمار الإيطالي الى الاستقلال ، القاهرة ، معهد الدراسات العربية العالية ، ١٩٥٨ ، ص ٢٧٣ .

خدوري ، محمد . ليبيا الحديثة : دراسة في تطورها السياسي ، ترجمة نقولا ريادة - بيروت ، دار الثقافة ، ١٩٦٦ ، ص ٥٥٠ .

ليبيا سنة ١٩٤٨ (وثيقة رسمية قدم لها واعدها للنشر نقولا ريادة) بيروت ، الجامعة الأميركية ، ١٩٦٩ ، ص ٢٠٥ .

المغرب

السيو غرافيا المغربية لسنة ١٩٥٦ - قطنان ، دار البعثة المغربية ١٩٥٦ ، ص ٥٨ ورقه .

- دار الكتب المصرية - قسم الارشاد ، قائمة بالكتب والمراجع عن المغرب ، القاهرة مطبعة دار الكتب المصرية ١٩٦١ ، ص ٣٦ + ٦٦ .
- ابن جلول ، عبد الحميد - هذه مراكش - القاهرة ، مكتبة المغرب العربي ، ١٩٤٩ ، ص ٧٢٦ .
- ابن عمود ، محمد بن عبد السلام - تاريخ المغرب ، تطوان ، مطبعة اممية ، ١٩٥١ .
- حلال ، محمد عبد الحافظي - الاستعمار الفرنسي في مراكش (المغرب الاقصى) ، القاهرة مكتبة النهضة ، ١٩٥٤ ، ص ١٨١ .
- القاسي ، حلال - الحركات لاستقلالية في المغرب العربي ، القاهرة ، مطبعة الرسالة ، ١٩٤٨ ، ص ٥٦٠ .
- عروخ ، عمر - وثيقة المغرب ، بيروت ، مكتبة المدرسة ودار الكتاب للناسي ، ١٩٦١ ، ص ٣٣٩ .
- الفيلالي ، عبد الكريم - المغرب مدكاً وشعباً ، القاهرة ، دار الطليعة الحديثة ، ١٩٥٧ ، ص ٢٤٦ .
- - - - - دروس تاريخ المغرب - لدار البيضاء ، ١٩٦١ ، ص ٣٠٤ .
- كرو ، ابو القاسم محمد - مآسي شهر النساء والدموع في المغرب العربي ، تونس ، مطبعة الترقى ، ١٩٥٦ ، ص ٩٥ .
- لانيم ، روم ، ترجمة بقولا زيادة - تاريخ المغرب في القرن العشرين ، بيروت دار الثقافة ، ١٩٦٣ ، ص ١٣٨ .
- - - - - مراكش بعد الاستعمار ، تعريب شعيري حماد - بيروت ، دار الطليعة ١٩٦٦ ، ص ٣٥٠ .
- ابو النصر ، عمر - نطل الربيع الامير عبد الكريم ، بيروت ، المكتبة لاهلية ، ١٩٣٤ ، ص ٢٣٦ .
- محمد الخامس ، ملك المغرب - إسهامات أمة : اقوال وأفعال . لرباد ، المطبعة الملكية ، ١٩٥٦ - ١٩٦٤ .

افريقيا

- ابو الجهد ، شعيري - ثورة افريقيا : القهرة ، الشركة العربية ، ١٩٦٠ ، ص ٢٩٨ .

رياض ، زاهر - استثمار افريقيا . القاهرة ، الدار القومية للطباعة والنشر ، ١٩٦٥ ، ص ٢٦١ صور ، خرائط .

— — — استثمار القارة الافريقية واستقلالها . القاهرة ، دار المعرفة ، ١٩٦٦ ، ص ٣٣٣ ، خرائط .

عودة ، عبد الملك - السياسة والحكم في افريقيا . القاهرة ، مكتبة الانجلو المصرية ، ١٩٥٩ ، ص ٥٢٢ .

حشجة ، عبدالله - في افريقيا السوداء . بيروت ، مطبعة الكاثوليكية ، ١٩٦٢ ، ص ١٥٠ .
حقي ، احيان - افريقيا الحرة . بلاد الأمل والرجاء ، بيروت ، المكتب التجاري ، ١٩٦٢ ، ص ٢٠٠ ، خريطة .

خلف الله ، عبد الغني عبدالله - مستقبل افريقيا السياسي تاريخ شعوب القارة الحديث
واوجه التطور المحتملة فيه ، القاهرة ، مطبعة مصر ، ١٩٥٧ ، ص ٥٠١ ، خريطة .

صبري ، صلاح - افريقيا وراء الصحراء . القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٦٠ ، ص ٣ اجزاء في واحد .

طاهر ، احمد - افريقيا في مفارق الطرق . القاهرة ، الدار المصرية للنأليف والترجمة والنشر ، ١٩٦٥ ، ص ٤٩٩ .

غرايبه ، عبد الكريم محمود - دراسات في تاريخ افريقيا العربية ١٩١٨ - ١٩٥٨ ، دمشق ، مطبعة جامعة دمشق ، ١٩٦٥ ، ص ٢٩٦ .

قلعجي ، قدرى - لومومببا . بيروت ، دار الكتاب العربي ، ١٩٦١ ، ص ١٢٩ ، صور
خرائط .

اجمل ، شوقي عطاؤه - الوحدة الافريقية ومراحل تطورها من مؤتمر اكرا ١٩٥٨ حتى
مؤتمر تنمية الصناعة الافريقي الاول بالقاهرة ١٩٦٥ ، القاهرة ، دار القومية للطباعة والنشر ، ١٩٦٦ ، ص ١٢٠ .

بدوي ، عبده - شعبيات افريقية . القاهرة ، وزارة الثقافة والارشاد القومي لا ت
١٦٧ ص .

رناي ، محمود سلام - النظم القانونية الافريقية وتطورها . القاهرة ، دار النهضة العربية
١٩٦٦ ، ص ٤٩١ .

عبد ، محمد عبد الرحيم - التمييز العنصري في افريقيا . القاهرة ، الدار القومية ، ١٩٦٦ ، ص ٢٢٢ ، خرائط .

- فكروما ، كوامي - الوجدانية : فلسفة وعقيدة للتحرر والتطور خصوصاً بالنسبة لثورة
الافريقية . ترجمة كرم عزقول ، بيروت ، دار الشفاة ١٩٦٤ ، ص ٢١٩ .
- الامم المتحدة - ادارة الشؤون الاقتصادية والاجتماعية . دراسة الحالة الاقتصادية في افريقيا
منذ عام ١٩٥٠ ، نيويورك ، الامم المتحدة ١٩٦١ ، ص ٥٦٥ ، خريطةتان .
- غريال ، وهي - افريقيا والتكتلات الرأسمالية الاوروبية . القاهرة ، الدار القومية
للطباعة والنشر ، لا . ت ص ٨١ .
- بش ، محمد - السوق الافريقية المشتركة . القاهرة ، الدار القومية للطباعة والنشر ، ١٩٦٢ ،
ص ٥٦ ، خريطة .
- رقة ، فيليب - الجغرافيا السياسية لافريقيا مسح دراسة شاملة للدول الافريقية سياسياً
واقتصادياً وطبيعياً . القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ١٩٦٦ ، ص ٦٧٣ ، خرائط .
- البروي ، راشد - التطور الاقتصادي الحديث في افريقيا . القاهرة ، مكتبة الانجور المصرية
١٩٦١ ، ص ٢١٠ ، خرائط .
- تونس . كتاتمة الدولة للثقافة والاخبار - افريقيا الجديدة تونس ١٩٦٢ ، ص ٢٣٦ ، مصور
مؤتمر الدار البيضاء ٣ - ٧ كانون الثاني ١٩٦١ ، بيروت ، المكتب النجاري ١٩٦١ ،
ص ٦٨ .

لاستعمار

- بن بي ، ملك - الصراع الفكري في البلاد المستعمرة . القاهرة ، دار المروية ، ١٩٦٠ ، ص
١٨٢ .
- بيهم ، محمد جميل - عالم حر جديد في آسيا وافريقيا والوطن العربي . بيروت ، مؤسسة
المعارف ١٩٦٤ ، ص ٣٩٠ ، خرائط .
- الجبسي ، محمد عبد الفتاح - افريقيا للافريقيين . القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، لا ت
ص ٩٠ .
- حمدان ، محمد صباح - الاستعمار والصهيونية العالمية . صيدا ، المكتبة المصرية ١٩٦٧ ،
ص ٢٩٦ ، صور ، خرائط .
- خالد ، خالد محمد - مواطنون ورعايا . القاهرة ، الحامي ، ١٩٥٨ ، ص ٢١٣ .
- خالدي ، الدكتور مصطفى وعمر فروخ - التبشير والاستعمار في البلاد العربية . هجره لجهود
المبشرين التي ترمي الى احضار الشرق للاستعمار الغربي بيروت ، ١٩٥٣ ، ص ٢٢٦ .
- زبيد ، محمد - فرائز قانون او معركة الشعوب المتخلفة . المغرب ، دار الكتاب ص ١٣١ .

الشهابي ، الأمير مصطفى - محاضرات في الاستعمار القاهرة ، معهد الدراسات العربية العالي ، ١٩٥٦ جزآن .

صوري ، محمد - تاريخ العصر الحديث . نصر الولايات المتحدة . الاستعمار الجديد ، القاهرة دار الكتب المصرية ، ١٩٢٦ من ٣١٣ ، صور ، خرائط .

عبد ، علي ابراهيم - المنافسة الدولية في امالي النيل ١٨٨٠ - ١٩٠٦ . القاهرة ، مكتبة الانجلو المصرية ١٩٥٨ ، ص ٢٩٨ .

الغرياني ، محمد سعيد - قصة الكفاح بين العرب والاستعمار . القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٦٠ ، ص ٣٥٢ .

الفتيت ، محمد علي - الغرب والشرق من الحروب الصليبية الى حرب السويس ثورات العرب في سنة ١٩١٩ . القاهرة ، الدار القومية ، جزآن .

الفراتي ، محمد - الاستعمار استقار واطلاع . القاهرة ، الخانجي ، ١٩٥٧ ، ص ٢١٠ .

فهمي ، عبد العزيز - الاستعمار عدو الشعوب . القاهرة ، مكتبة النهضة ، ١٨٩٢ .

لينين - الاستعمار اعلى مراحل الرأسمالية . ترجمة راشد براني . مصر ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٤٥ ، ص ٢٠٨ .

نكروما ، كوامي - الاستعمار الجديد: آخر مراحل الامبريالية . ترجمة عبد الحميد حمدي ، القاهرة ، دار القاهرة للطباعة والنشر ، ١٩٦٦ ، ص ٣١١ .

الشعي ، قططان محمد - الاستعمار البريطاني وممركتنا العربية في جنوب اليمن عدت والامارات القاهرة ، دار النشر للطباعة والنشر والاعلان . ١٩٦٢ ، ص ٢٦٠ ، خارطة .

الدكتاتورية - الفاشية

داغر ، يوسف اسعد - الديمقراطية في المكتبة العربية : مصادر ومراجع . بيروت ، ١٩٥٩ ، ص ٧٥ ، (ضم أكثر من ٧٥٠ مرجعاً عربياً حول الديمقراطية والنظم السياسية)

دوقرجيه ، موريس - في الدكتاتورية ، ترجمة هشام متولي بيروت ، هويدات ، ١٩٦٥ ، ص ١٨٣ .

بياسي ، برونو - دولة التعاون يندماج الجماعات ، ترجمة سعيد الشروقي بكينا مطبعة مجلة المرائس ، ١٩٣٠ ، ص ٨١ .

خباطة ، سليم - حميات في الغرب . بيروت ، لا . ت . ج .

ديكروف ، جورج - الفاشية عدو الشعب او وحدة الطبقة العاملة في النضال ضد الفاشية ، ترجمة نقولا لاشاري ، مع مقدمة خالد بكداش دمشق ، ١٩٣٧ ، ص ١٢٤ .

هنان ، محمد عبدالله - المذاهب الاجتماعية الحديثة ، القاهرة ، ١٩٤٥ ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٩٤٤ ، ص ١٨٧ .

الميلي ، محمد منير - العاشية المامية الحديثة ، بيروت ، دار الآداب ، ١٩٦٣ ، ص ١١٣ .
رشاد ، علي - الماشيرم أو النهضة الإيطالية الحديثة ، تمريب محمد محفوظ الكردي ، حلب ، مطبعة النهضة العربية ، ١٩٢٦ ، ص ١٤٣ .

خلوف ، فريد - إيطاليا والقصة العربية ، بيروت ، ١٩٣٢ ، ص ٧٩

الصهيونية

أبو صديق - الماسونية بلا قناع ، بغداد ، دار البصري ، ١٩٦٧ ، ص ٢٦٤ ، صدر .
المارودي ، فكري - كارثة فلسطين المضمي دمشق ، مطابع ابن زيدون ، ١٩٥٠ ، ص ٦١ .
بروتوكولات حكماء صهيون وتعاليم ، ترجمة شوقي عبد الناصر ، القاهرة ، مطابع دار التعاون للطبع والنشر ، لا . ت . ص ٢٢٣ .

يرتي ، عبدالله - القومية العربية والقومية اليهودية ، بيروت ، دار مكتبة الحياة ، ١٩٦٠ ، ص ٦٣ .

بسيو ، سعدي - الصهيونية ، نقد وتحليل ، القدس ، لمسة للتعارف ، ١٩٤٥ ، ص ٢٢٧ .
بهم ، محمد جميل - فلسطين اندلس الشرق ، بيروت ، مطابع صدر ربحاني ، ١٩٤٦ ، ص ٢٨٢ .

نارو ، حيروم وحن - ادا ملك اسرائيل ، تعريب أنطون ، بيروت ، ١٩٣٢ ، ص ١٥٥ .

تلحوق ، وديع - الصليبية الجديدة في فلسطين ، دمشق ، مكتبة النوري ، ١٩٤٨ ، ص ١٦٣ .

التونسي ، محمد خليفة - الخطر اليهودي ، بروتوكولات حكماء صهيون ، القاهرة ، مطبعة الكتاب العربي ، ١٩٥٠ ، ص ١٨٠ .

الحاج ، يوسف - في سبيل الحق ، هيكل سليمان أو الوطن القومي لليهود ، بيروت ، ١٩٣٤ ، ص ٢٣٩ .

حرب ، اميل الحوري - مؤامرة اليهود على المسيحية ، بيروت ، دار العلم للعلايين ، ١٩٤٧ ، ص ٨٤ .

لويض ، عجاج - بروتوكولات حكماء صهيون ، حرآن ، بيروت ، ١٩٦٧ الجزء الاول يصحت في ظهورها واسباب غملة العرب عنها مع تراجم رؤسائها ، الخ ، ٣٢٢ ص الجزء الثاني: في

- التنوير وأسفارها ورب المبالغة ، ص ٣٢٠ .
- حسن ، قاسم - لمحات في تاريخ التطورات الاجتماعية في الغرب ، وظهور المشكلة اليهودية ،
وقباج اسرائيل ، بيروت ، دار العلم للملايين ، ١٩٥٨ .
- الحسيني ، محمد امين - حقائق عن قضية فلسطين: تصريحات واحاديث للسيد محمد امين
الحسيني كشف بها الستار عن اسباب كارثة فلسطين وعلاقاتها بأوامر اليهودية . القاهرة ،
مكتب الهيئة العربية العليا لفلسطين ١٩٥٧ ، ص ٢٥٠ .
- حداد ، محمد مصباح - الاستعمار والصهيونية العالمية - صدا ، المكتبة المصرية ،
١٩٦٧ - ص ٢٩٦ . صور ، خرائط
- خطاب ، محمود شيت - حقيقة اسرائيل محاصرات . القاهرة ، معهد البحوث والدراسات
العربية العالمية ١٩٧٦ ، ص ١٠٨
- ردوق ، اسعد - اسرائيل كبير . دراسة في الفكر التوسعي الصهيوني . بيروت ، منظمة
التحرير الفلسطينية ١٩٦٨ ، ص ٩٦٣ . خرائط .
- رشدي ، عمر - الصهيونية وربيتها اسرائيل . القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٦٥ ،
ص ١٣٧ ، خرائط
- الرشيدات ، شفيق - فلسطين : تاريخاً وحديثاً ومضيراً . القاهرة ، دار الكتاب العربي
للطباعة والنشر ، ١٩٦٨ ، ص ٤٧٨ .
- الرملي ، محمود فتحي - الصهيونية اعلى مراحل الاستعمار . القاهرة ، وكالة الصحافة العربية ،
١٩٥٦ ، ص ٢٥٥ .
- رعيتار ، أسكرم - القضية الفلسطينية - القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٥٥ ، ص ٣١٩ خرائط .
- شمس ، عبد المنعم - اسرار الصهيونية - القاهرة ، دار القاهرة للطباعة ١٩٦٩ ، ص ٥١٠ .
- صايغ ، فايز - الاستعمار الصهيوني في فلسطين ، تعريب عبد الوهاب كيالي - بيروت ،
١٩٦٥ ، ص ٧ + ٧٠ .
- - - - -
الديبلوماسية الصهيونية - بيروت ، منظمة التحرير الفلسطينية ، ١٩٦٧ ص
٢٢٤ .
- صفوة ، نحمدة فتحي - اليهود والصهيونية في علاقات الدول الكبرى . بغداد ، مطبعة
الحكومة ١٩٦٧ ، ص ٥٨ .
- الفصري ، محمد فايز - الصراع السياسي بين الصهيونية والعرب . القاهرة ، ١٩٦١ ص ٢٢٣ ،
خرائطان .
- كيالي ، عبد الوهاب - المطم مع الصهيونية التوسعية . بيروت ، مطبعة التحرير الفلسطينية
١٩٦٦ ، ص ١٣٦ .

موجز الحوادث العالمية

(من الحرب العالمية الأولى حتى ٣١ كانون الأول ١٩١٥)

أب - استيلاء الألمان على غرمنيا وكوفنو وبرست -
- بئرلنك - اضطراب الصين إلى القبول بطلبات
اليابانيين انوحاد والعتري (٧) - أيلول : هجوم
حليف في سيبيريا - بلغارية تحالف ألمانيا والنمسا
(٦) - مؤتمر اشتراكي في ليمبورج - استيلاء الألمان
على ليلغا - تشرين الأول : لوزن انعطاف في سالونيك
(٥) - هجوم بلغاريا والنمسا على صربيا واستولوا على
هني بنفرا وقيش - هجوم ايطالي في لوريسيا -
تشرين الثاني : السحاب الجيش الصربي إلى ألبانيا.
ابحاث الثنائي حول التسمية للشغلة -
بولان : ترك الحركة - بيكسو : ارتكن - ذي القعدة :
الحب الساحر .

١٩١٦

كانون الثاني - جلاء النصارى من الجبلين
(٦ - ٨) - شباط : فرض الخدمة العسكرية الإلزامية
في بريطانيا العظمى (٣) - بلغ معركة فردون (٢٤) -
استيلاء الألمان على خوانون (٢٥) - آذار - القسباء
« مصبة سبارتاكوس » (٢٤) - نيسان : ثورة انفسج
في أيرلندا (٢٣) - استسلام البريطانيين في حلف
الصحراء (٢٦) - أيار : بيان جينرال الإفرائي (١) -
هجوم النمساويين على إيطاليا في أسبافو (٥) -
معركة جلند الجيرية (٣٩) - حزيران : هجوم
بروسيلوف (٤ - ١٥ آب) - ثورة الصغار - الألمان
بولتون معركة فردون (٢٥) - تموز : هجوم حليف
على السوم [حتى ٢٣ تشرين الأول] - آب : هجوم
إيطالي على الإسبرو (٦) - دخول روسيا الحرب
على جانب اللطفا (٢٨) - أيلول : استسلام القديرات
للمرة الأولى (١٥) - هجوم الألمان بلغاري وشمسوي
الثاني على رومانيا - تشرين الأول : الفرلسيون
يشرقون حسن فواسيون (٢٤) - تشرين الثاني :

١٩١٤

حزيران : مقتل الأرشيفوف فرنسا - فردينان
في براجهير (٢٨) - تموز : اسلار نسوي إلى
صربيا (٢٦) - اعلان الحرب (٢٨) - عصبة روسية
عامة (٣٩) - الدار الماني ابي روسيا وفرنسا (٣١) -
آب : عصبة عامة في فرنسا (١) - اعلان اثنان الحرب
على روسيا (١) - الدار الماني إلى بلجيكا (٢) - عقد
تحالف الماني - تركي (٢) - اعلان اثنان الحرب على
فرنسا و اعلان انكفرا الحرب على الماني (٤) - طبع
قناة باناسا (٥) - معارك الصمود (٢٢ - ٢٥) -
ومورانسج (٢٦) - وكنبرغ (٢٧ - ٢٥) - وكنبرغ
(٢٦ - ٢٧ أيلول) - أيلول : معارك المان (٥ - ١٥)
وبحيرات مالدريا (٩ - ١٤) - تشرين الأول : معركة
الايوير (١٩ - ١٧ تشرين الثاني) - انكفرا وفرنسا
تقران معاصرة ألمانيا اقتصاديا - تشرين الثاني :
استيلاء اليابانيين على كواو لشمو (٧) - اعلان تركيا
الحرب على الحلفاء (١٢) - م - بروست : البحث من
الحلفاء وإيطاليا (٢٦) - أيار : هجوم حليف في أرتوا
الغالبكان .

١٩١٥

كانون الثاني : معركة دوفر بانك (٢٤) -
شباط : هجوم حليف على الدردنيل (١٩) - هجوم
فرنسي في سيبيريا (٢٦) - نيسان : الألمان
يستسلمون التسلطات السامة للمرة الأولى (٢٢) -
لوزن انعطاف في غالينوي (٢٥) - معاهدة لندن بين
أطراف وإيطاليا (٢٦) - أيار : هجوم حليف في أوتوا
- هجوم لشمسوي الماني في فاليمسيا ينتهي إلى
استرداد برهميس في حزيران - اعلان ايطاليا الحرب
على النمسا (٢٣) - تموز : هجوم ايطالي في كارسو -

استرداد حصن في (١) . كانون الأول : قانون الطعنة الوطنية في ألمانيا (٢) - استيلاء دول أوروبا الوسطى على يوغوسلافيا (٣) - مقتل رامبولين (٢٩) .
 - باريوس : النار - اكتشاف الهيدروجين -
 بروك : مدخل إلى التحليل النفسي .

١٩١٧

كانون الثاني : ألمانيا تطرح حرب غرامبات لا هوانة فيها (٩) . شباط : طلع العلاقات الدبلوماسية الألمانية الأمريكية (٣) . آذار . أوائل الثورة الروسية في بتروفغراد (٨) - استقالة نيكولا الثاني (٥) . نيسان : إعلان الولايات المتحدة الحرب على ألمانيا (٢) - هجوم الكلبزي في أركوا (٩) ، وفرنسي في شينانها (١٦ - ١٦) لينين في روسيا (١٦) . أيار : حركات ثمره عسكري في فرنسا واشتباكات في يديرس - هجوم إيطالي في كارسو ، حزيران : هجوم لسانوي سانس على إيطاليا وحجوم روسي في هاليسيا - أيلول : استيلاء الألمان على ريم (٩) . - محاولة انقلاب على يد كيرينسكي . تشرين الأول : تراجع إيطالي في كادورينو (٢٤) . تشرين الثاني : إعلان بلغراد حول الجمهورية (٢) - استيلاء سوفييات على السلطة (١١) - وزارة كليسمو (١٧) - الصوفيون يطالبون الهدنة مع ألمانيا (٢٦) . كانون الأول : استيلاء الأتراك على القدس (٩) - مفاوضات برست - ليتوفسكا (٢٠) . يول العائري : البراركية الفنية - ج . كوبراد : خط الظن - بيرلندر : لكل حقيقته - ج . هومرل : حياة الشهداء - مونديان : الواقع الطبيعي والواقع المجرى .

١٩١٨

كانون الثاني : نقاط ولسون (١٤) (٨) - منح النساء حق التصويت في الكتكترا - اشتراك عام في قيتا (١٦) . شباط : معاهدة صلح بمساوية ألمانيا مع أوكرانيا (٩) - توقف مفاوضات برست - ليتوفسكا (١٠) - عدلة جديدة بين الروس والألمان (٢٦) - اشتراك عام في ألمانيا (٢٨) - تأميم يتابع النزول في المكسيك . آذار : استيلاء الألمان على كريف (١) - معاهدة برست - ليتوفسكا (٣) - الهيار الجبهة الانتكزية (٢١) - مؤتمر فرنسي بريطاني في دولس : فرلي قائد أعلى (٢٦) - نيسان : الألمان يتزبون غنشل (٢) - الهيساليون يستولون على لاديبوتسكو (٥) - هجوم ألماني في نفلاندر (٩) -

٨٧٠

لتوليا (٩) وأستونيا (١٠) صلتان استقلتهما - انشاء جيش دينيك - استيلاء الألمان على جبل - كسل (٢٥) . أيار : معاهدة بوخارست (٢٧) - هجوم ألماني على طريق السيلفات (٢٧) - احتلال سواسون (٢٩) ودورمان وشافو - تيبيري (٢٩) . حزيران : القطة بين الطغاة والسوفييات (٢٠) . تموز : هجوم ألماني على انارن (١٥) - هجوم فرنسي سانس في قيهه - كزيريه (١٨) - تحلي الألمان عن خط انارن (٢١) . آب : هجوم فرنسي الكلبزي على السوم (٨) وحجوم فرنسي على الآين (٢٠) وحجوم الكلبزي على كمبريه (٢١) . أيلول : السحاب ألماني عام أبي خط هينديورغ (٤) - انحصار القدس الصلح (١٩) - هجوم اميركي على سان - ميشال (١٥) وحجوم فرانسمندسيري في حقوبيا (١٥) واللي في فلسطين (١٩) وحجوم فرنسي اميركي في الأفرون ، وحجوم تكلبزي على السوم وفي القلندر - يناير : طلب بعتة (٢٦) التي وقعت في ٢٩ - دخول طبريسا ودمشق (٢٠) . تشرين الأول : ماسي دي يار يصبح مستشارا (١) - مفاوضات غيوم الثاني مع ولسون (١٤) - إعلان استقلال التشيك (١٠) ولينغريين (١٤) والكروايسين والسوفييين (٢٦) - هديل الدستور الألماني (٢٢) - ألمانيا تلم نقاط ولسون (١٤) (٢٧) - عدلة مودروس (٣٠) - اكتشاف إيطاليا في فيتوديو قينيو (٢٠) . تشرين الثاني : عدلة بلاجيرونسي (٣) حركات ثمره في كيبيل (٣) - السحاب الألمان إلى خط الفرنسي . الول (٤) - ألمانيا تطالب بعتة (٦) - قننة في حانفر (٧) وموبج (٨) - إعلان استقلال بولوب (٧) - إعلان الجمهورية في برلين - عدلة ولوند (١١) - شارل الأول يتخلي عن السلطة (١٣) - انقلاب على يد الاميرال كولشاك (١٨) . كانون الأول : انزال جيوش فرنسية في اوديسا والقرم - استيلاء البولشفيك على أستونيا وليتوالا ولتونيا - إعلان الجمهورية في حانفريا - القطة بين الاشتراكيين والسيوفاتيين في برلين (٢٨) - انتخابات : كالي : في بريطانيا العظمى .

ب . كوديل : الحيز العسير - ترينشان تزاريا : بيان دانا - اوسوالد سدفتر : تفكر الغرب ، المجلس الأول (المجلس الثاني في ١٩٢٠) - ج . دوهامل : حاضرة .

١٩١٩

كانون الثاني : اسبوج احمر : في برلين (٦ - ١١) - انتخاب مؤتمر الصلح (٨) - اندلاع الثورة الألمانية في أيرلندا - كوششك ستولي على برم . شباط : حلة ٣ قون دي فولت في البندق

(١) - **الانعام مجلس فيمار (٦) - التصليب ايبوت**
 وليمسا (١١) - مقتل كورت ايسر (٢١) - اذار ٢
 طيس المولية الثالثة (٢) - جلاء الجيوش الفرنسية
 من اوديسا - اعلان الجمهورية السوفياتية في هونغاريا
 (٢١) - كولومباك يستولي على اولوا واوريسورغ -
 ترفع التصابغ القندي بين اسطمد - بيسان
 البونديون يستردون ليلنا - فتحة في لمريس-
 (١٢) - ايار : الايطاليون يحتلون اصالها ، واليونان
 المير - بولونيا تحتل هالها - هزيمة ديكين في
 روسيا الوسطى - هجوم يوديفسكي باتجاه بتروغراد -
 حزيران ٢ توليع معاهدة فرساي (١٨٨) - البولشيفيك
 يستردون اولوا - عمود : الرومانيون يستقون بلاكون -
 آب : هزيمة كولتسك هالها - استيلاء الرومانيين
 على يودابست (٢) والبولنديين من مك - ليرة
 مصطفى كمال من السلطان (٥) - ايلول : استيلاء
 ج - داتروير على فيومه (١٢) - معاهدة سان - جرمان
 (١٩) - تشرين الاول : هزيمة يونيتش امام بتروغراد
 (٢١) - قانون التحريم في الولايات المتحدة (٢٨)
 تشرين الثاني : مجلس الشيوخ الاميركي يرفض
 معاهدة فرساي - معاهدة لوبي (٢٧) - البولشيفيك
 يستردون اوسك - كانون الاول : الاراض الاخيرة
 بجلد الانان من القول الطبيعية -
 دلفورد يرحل الدولة - ح - يانويس ٢ هيد -
 ا - جيد : السوفلية اراموية - ا - جونجر : حوصف
 فولاذية - تأسيس ال - يوهومن ٤ (في فيمار ٤ في
 في صو | -

١٩٢٠

كانون الثاني : رفض مجلس الشيوخ الاميركي
 السماح للولايات المتحدة بالانضمام الى جمعية الامم
 (١٦) - شباط : البولشيفيك يستردون اركوتسك
 واديسا - اذار : فيس ملكا على سوديا ، وهداللا
 ملكا على اعرال ، والاميرال حورفي وصيا في هونغاريا -
 بيسان - فرنسا تحتل دلمستات ومرتكمورت -
 مؤتمر سان ريمو - حركات شيوعية في النرويج -
 البولشيفيك يستردون اذويجان - اذار البولنديين
 وتينبور وقرودهم اوكرايا واستيلاهم على كييف
 (٦ ايار - حزيران : معاهدة تريانون (٤) - هزيمة
 اسولوبيين واتسارم من اوكرايا - تموز - لرسا
 تحتل مضيق - آب : معاهدة سيم (١٠) - معركة
 لومسوتيا (١٥) - الهولنديون يستولون على اندريوتول -
 ايلول : اعراب عام في لوبارديا والبيسون - تشرين
 الاول : مقدمات الصلح بين روسيا وبولونيا (١٢) -
 كانون الاول : معاهدة الصلح بين الروس والفنلنديين
 (١٤) - مؤتمر لور (٢٥ - ٢٠) -

كانون الثاني : نتائج الصلح الاقتصادية - ح - برفسون :
 الطاقة الروحية - كوليت : حور - ب - كودويل :
 الازاء المل - ح - دي مونكران : ملوية الصباح -
 سكاروليس : الشراع الرئيسي -

١٩٢١

كانون الثاني : انصار مصطفى كمال على
 اليونانيين في ايلول (١٧) - مؤتمر لومبست في
 باريس (٢٤ - ٢٦) ولنتش (٢٧) شباط - ٢ اذار -
 اذار ٢ ثورة بغارة كروستات (١٧٠٧) - معاهدة
 ريمسا (١٢) - اعتماد السياسة الاقتصادية الجديدة
 (١٢) - المعاهدة الروسية التركية (١٦) - الاجتماع
 في سبازيا العليا (٢٠) - الفرنسيون يحتلون
 فوسدورف وروبيوت ووديسورغ - رشا خان
 يستولي على السلطة في ايران - بيسان : اعراب
 صلال المناجم (بريطانيون - حتى حوزران) - ايسر
 لودة يونية في سيندريا العليا (٢) - ملر : كورة
 اسبالية في مراكتي في الرال (٢٠) - ايفاق ويسباد
 بين امرسين والالان (٢٧) - آب : ملح منفرد
 بين الالان والاميركيين (٢٥) - مقتل فيدوجر (٢٦) -
 تشرين الاول : جبهة الامم لقم سيليرسا
 العليا (٢٠) -

اندرية برتون ولييب سوبر : اعقول
 القبطية - ب - فاروي : محاسن - ج - جيرودو :
 سومن داباسياكي - ميرتلك : اريان وديوب
 - بلد - ج - رومان : السيد له روعانك القدامر
 - ص - جونجر : ثلاث الضيعة - ح - بيردلسو :
 ستة اشخاص يستقون من مؤلف - ا - سيمو :
 خمير ديلون - جون دوميسوس : كلالا حدود -
 اوبرا ايان بيرغ : لوسيله -

١٩٢٢

شباط : انكلترا تطلب ايقاف العمل بمعاهدة
 التحالف مع اليابان (١) - ايفاق وانطن البحر
 (١) - معاهدة الفون ائس مع الصين (٢) -
 معاهدة اقلبيزة مصرية : نهاية الصياغة (٢٨) -
 اذار : ايفاق سيمي بايلي - سحب اطلبات ال ٢١
 (٢٨) - بيسان : مؤتمر جنوي (١٠) حتى ١٩ ايار
 - ايفاق الاندراكسين واشورسين في الانصار
 الفرنسي العام للعمل - آب : اعراب عام في ايطاليا
 بقمه دوسوليس (١) - انصار الكرال طيس
 اليونانيين في هاقبون قره حصل (٢٦) - ايلول :

الجران يستولون على الزمير (٨) - تشرين الأول +
 هدنة يونانية تركية في حوداليا (١١) - انتخابات
 بريطانية محافظة (١٥) - استدعاء موسوليني كتولي
 السلطة (٢٩) - ألبانيون يطعنون مرغلاديفوستوك -
 تشرين الثاني : مصطفى كمال يستولي على السلطة
 في تركيا (٢) كانون الأول : روسيا تصبح الاتحاد
 السوفياتي (٣٠١) +

عائس برجر يكشف الحركات الفصائية -
 بانتيغ ويسك يتكلمان الانبوسين - ٥٠ - برغسون
 ديسومة وكية - ٢٥ - موريل : قبيل الابرص - ج
 جبرودو : سيفريد واليهودين - ج - جويس +
 أوليس - ٢٥ - اليبوت : الأرض المسودة -
 فالسودوني : قورسات سالف - م - لوبس :
 بابيت - ج - ميرال : الغراب الكامل - ج -
 جينتر : قصائد (١٩٢٢ - ١٩٤٠) - بومبون
 اسدب الايفس - اول تحقيق هندسي لـ " لـ
 كوربوزيه " +

١٩٢٣

كانون الثاني : الانتخابات يستولون على
 صل (١٠) - انترسيون وابيلجكيون يحتلون اروود
 (١١) - مقاومة سلمية - اذار : لوبين يقتله الحكم
 حزيران : نواح يطاني يوناني : الايطاليون في
 كورفو (١٤ - ٢٧) - كول - مباحنة لولون بين
 اليونانيين والانسرا (٢٤) - آب : سترسم ديزر
 الفنون الخارجية (٦) - ايلول : قيام برير دي
 ريفيرا بقتل في اسبانيا (١٣) - انتهاء الفادوة
 السبية في الرود (٢٠) - تشرين الثاني : لستاج
 لجة داور (٣٠) +

لويس دي برون يضع مبادئ الآلية التمرجية
 - استخدام الـ للمرة الاولى في معالجة
 الفنون الرؤي ٠٠ - ٢٥ - في : القديسة حنة - ج -
 كوراد : القرصان - ريس - ريلك : مراني بوليو
 - ٢٥ - موريل : ممر السلا - جيتريكنس -
 فورناوف : شاباييف +

١٩٢٤

كانون الثاني : وفاة ليهين (١١) - وزارة مال
 دوماك المسالية (٢٣) - تحالف فرنسي لتكوسولافي
 (٢٥) - اتفاق ايطالي يوغوسلافي : ايطالي تستعيد
 فيومه (٢٧) - شباط : انكلترا تتصرف بالاقتصاد
 السوفياتي (١) - اذار : الفاء الخلافة في تركيا

٨٧٢

(٤) - نيسان : انتخاب كتل احزاب اليسار في فرنسا
 (٤) - ايار : اعلان الجمهورية اليوسانية بعد
 استفتاء (٢٤) - حزيران : مقتل مايفوس (١٠) -
 رواية هوي في فرنسا (١٥) - صوف : مؤقصر
 ندين - بقع العمل بحطة داور (١٦) - تشرين الاول -
 النصر المحافظين البريطانيين في الانتخابات (٢٦) -
 فرنسا اعترفت بالامم المتحدة السوفياتي (٢٩) - ابن سعود
 يستولي على مكة +

رامسون يحكم القضاة الوفاة ضد الفداح
 والنتادرس - مبدأ هايبرغ حول عدم الضمنية -
 ب - فاليري : انفس والرفص - اوباليدوس -
 ج - جبرودو : جوليت في بلاد اليسر - ج - رومان -
 بوك - اوبيل : ابتداء تحت حجر الحق - ث - ملن :
 الجين المسور - بريون : بيسان البربالية -
 غلاتوف : الاسمنت - ميكيل دي اولفونو :
 احتصار المسيحية - ١٠١ - فورستر : ممر القس
 الهند - ٢٠ - موس : محاولة في المطاه - فيم
 اريستين : القديسة بومكين +

١٩٢٥

كانون الثاني - الفالستية تصبح حزباً وحيداً
 (٢) - ترويسكي يفي من معامه كنفوس للشمب -
 احمد زوغو رئيسا للجمهورية الالبانية (٣) -
 شباط : وفاة ايبير (١٨) - اذار : وفاة من يات
 سن (١٢) - اقتراح عدم في اليابان - نيسان
 سقوط وفاة هوي (١٠) - عيد الكرم يشهد
 مراكن الفرنسية (٢٢) - انتخاب سنديورغ (٢٦) -
 آب : مؤتمر مسكوني بروكسنتي في ستوكهولم
 (١٩ - ٢٩) - تشرين الاول : مؤقصر ومباحنة
 نوكلرو (٥ - ١٦) - ولما خان يصبح شاه ايران
 (٢١) +

ميلكان يكشف الاسمة الكوية - ا - حيد
 مزيف النقد - اوريجا اي غاسيه : ليريد الفرس
 من الانسانية - مرفي الفنون الكتونينية في باريس
 - م - مافيل : الود والفرار المسر - ث - شايان :
 الاتدناج وراء الذهب +

١٩٢٦

كانون الثاني : ابن سعود ملك العجمال (١) -
 الجلاء من منطقة كولوبا (٢١) - دكتورية بالماوس
 في الميوسان (٣١ حتى آب) - نيسان : كجاييد
 معاملة راجالو بين الاثنان والروس (٢٤) - ايسار :
 بلوسدسكي يقوم بانقلاب (١٢ - ١٤) - فليم

نزع الأسلحة (١٩)

تحليل أول ملكة لري - اختيار ج. كلود
ويوشو على طاعة البحار الحربية - بالبر :
الطريق الملكية - ١٠ قون مليون ، الهلكني - هـ
مس : مارسيس ولولدموند - موريل : الإنسان
الضالي من الصفات - جون فوس بانوس : كفت
لغرض ال ٤٢ - أوجين فاييت : فندق الشمال
- جان جيرو : كسب بعد حجارة - ج. دوحامل :
مساعد من حياة المستقبل - ر. لند : حداثون -
م. رافيل : موسيقى ليد الهيري .

١٩٣٦

أذار : مشروع وحدة جبركية لمساوية ألمانية
(٢١) - تيسان : انتخابات جمهورية في إسبانيا
(١٢) - إعلان الجمهورية في برنولي وذهب الملك
(١٤) - أيار : اغلاس ال ٤ كريتا صفات : في
فيما (١١) - براراد : السمة الاربعون : (١٥)
حزيران : هورن يوجل الدلع (٢٥) - انتخابات
مجلس الكورفيس التاسيسي (٢٨) - تموز : افعال
أبصار في ألمانيا (١٢) - الأمان يوتلون مدفوماتهم
الدولية : اب : تشكيل حكومة اقتصاد وطني
برئاسة ماك دوديد في انكلترا (٢٤) ، ايلول
الدستور الثيوغوملالي الجديد - اليابانيون يحتلون
مشوربا (١٩) - انكلترا تنخلي عن قاعدة الذهب
(٣١) تشرين الأول : تحالف هارزبورغ بين هتلر
والحلفائين (١) - انتخابات محافظة في انكلترا
(٢٧) كانون الأول : إعلان الدستور الجمهوري
الاسباني وسبيا (٩) .

انفوسون يكتمل الكيرب السبي - بـ
ديري : طرقات الى العالم الحاني - ج. رومان :
دوتوغر اء دي سات - كسوري : طيران ليلى
- حرمان بروني المرويصون .

١٩٣٢

كانون الثاني : اليابانيون يؤسسون ال هتشوكو
(٢) - حل جمعية ايسوهين في أسبانيا ، ثيات :
انتاج مؤتمر فرع الإصلاح (٩) - آذار : تخلي
انكلترا من مقام المقايضة الحرة (١) - نيسان :
إعادة انتخاب هتشبورغ (١٠) - أيار : وزارة هريو
في فرنسا (١) - حزيران : وزارة دون بلان (١) -
مؤتمر اقتصادي في لوران : التخلي عن التعويضات
(١٦ حتى ٩ تموز) - اموز : سلاوا وليس مجلس
دوراد في البرضال - مؤتمر أوتادا الامبراطوري

٨٢٤

(٢١ حتى ٢٠ اب) - اندلاع حرب خاسر بين
البالافراي وبيرجيا (٢١) - اب : ثورة سان جويجو
في اسبانيا (١٠ - ١٣) - قضاء هتشبورغ وحضر
(١٣) - ايلول : مؤتمر سترزا (٥ - ٢٠) - تشرين
الثاني : انتخاب لود. رودلف رئيسا (٨) - ميثاق
علم اهلنا بين فرنسا وروسيا (٢٩) - بك وزير
الشؤون الخارجية في بولونيا - كانون الأول :
وزارة جون شليخ (٤) - اليابانيون يحتلون جيهول
(٩) - الاعتراف لألمانيا بمساواة الحقوق (١١) - هـ
برنسون ، مصادر الاخلاق والدين - ل. موربان ،
عقدة الثمايين - ل. ف. سيلين : رحلة الى آخر
الليل - الودس هوكلي : اثمالم الجديد الضجاع
- أوسترووسكي : وسقي القولا - سوتوكوف :
البنون الكاني .

١٩٣٣

كانون الثاني : رودلف ينادي بسياسة
" جن الجوار " - عفر حشاش (٣) - ثيات :
انشاء انجس العالم للشعالب الصغير (١٦) - حريق
الريشتغ (٢٧) - غزو مو - ياي وسير اليابانيون
على بكين : آذار : لأجل المدفوعات للمصروف في
الولايات المتحدة (٩) - دكتاورية دوليس في
النمسا (١٥) - هتلر يحصل على منظمات مطلقة
(٢٤) - ايدان كسب من جمعية الاسم (٢٧) -
تدليل الدستور في الهند - نيسان : تخفيض
سعر اسولار (١٢) - الولايات المتحدة تنخلي عن
قاعدة الذهب - ايار : وثيقة الاصلاح الزراعي
(١٢) - حزيران : الميثاق ايريلي (٩) - مؤتمر
اقتصادي ونقدي في لندن (١٢ حتى ٢٧ اب) .
لوز : الاشتراكية الوشيية حزب وحيد (٤) -
معاهدة بين الفايكان والاب (٢٠) - تشرين الأول :
ألمانيا تنسحب من مؤتمر زع السلاج ومن جمعية
الاسم (١٤) - تشرين الثاني : انتخابات متعددة قسي
اسبانيا (١٩) - كانون الأول : مؤتمر الدول الاميركية
في مونتهديو .

جوليو - كوري يحقق الانتعاش الاقتصادي -
ا. صانرو : الوضع البشري - ج. جوردو :
استراحة - ا. سينون : مونناسارا - غارسي
لوركا : عرس الدم .

١٩٣٤

كانون الثاني : قانون تنظيم العمل في ألمانيا
(٢) - اتفاق عدم اعتداء بين ألمانيا وبولونيا (٢٦)

— براند لمبيحة ستانيسكي في فرنسا ، وزارة
الادوية (٢٠) . شيط : مقتل كيروف (١) . قبح
الفئة الاشتراكية في لينا ، وصل الحزب الاشتراكي
(١ - ١٦) . الفاد النقابات في ألمانيا - تنظيم
التصاريح في إيطاليا (٥) . لجنة سلاح الكونكور
(٦) . وزارة دومرغ (٩) . اذار : دكتاتورية لانور
في استونيا (١٢) . الولايات المتحدة تعترف
بمستقلال الفلبين (ابتداء من ١٩٤٦) (٢٤) .
أيار : دكتاتورية اولانيس في تشوايا (١٥) . انقلاب
مصري في بلغاريا (١٦) . حزيران . قتل هتار
وموسوليني في البندقية (١٤) . ١٥ - مقتل دومرغ
(٢) . تموز : شاخت وزير الاقتصاد الوطني (٢) .
سبتمبر : استشار دولوس وسلوي خوشنح مطبوعه
(٢٥) . آب : هتار فوهر ارنج - وفاة هندسبرغ
(١) . ايلول . قبول الاتحاد السوفياتي في جمعية
الأمم (١٨) . تشرين الاول : مقتل الكسندر ملك
بولوسلافيا و له . بارلو (٩) . ثورة في كاتالونيا
واستونيا تقع بمرامة (٦ - ١٣) . انتهاء جبهة
العمل في ألمانيا (٢٤) . كانون الاول : حادث بين
أبنديا واليويا في وال - وال (٥) .

سادويك يكشف انه « نوترون » - لحص
المواد الضخمة بالجهر الكهربائي للمرة الاولى - هـ
برفسون : الفكر والحركة - ارامون : نوابس يال
- ج . دوس پاسوس : ١٩١٦ - هـ . طر خطر
السرطان .

١٩٣٥

كانون الثاني . اتفاق يوم بين فرنسا وإيطاليا
(٦) . براند الخلاف بين دولفلت واسمكة ألمانيا
جور : التهج الجديد (٧) . استفتاء في النمسا
(١٣) . اذار : اعادة اعمدة العسكرية الاوالية في
ألمانيا (١٦) . لبنان : اتفاق متريزا بين فرنسا
والككترا جابطنيا (١٤) . ايار : معامدا انضمام
البنادلة بين فرنسا والاتحاد السوفياتي (٢) . ديشيكو
مسوفافيا والاتحاد السوفياتي (١٦) . وفاة
بسمودسكي (١٢) . حزيران : بالموين يلفق مساك
دونالد (٧) . بداية حرب شاتو (١٢) . اتفاق بحري
انكليزي ايلي (١٨) . آب : بدء الحركة استاكانوفية
في الاتحاد السوفياتي - وثيقة الصيادة الاميركية .
ايلول : قوانين دومرغ - تشرين الاول . إيطاليا
تهاجم البروبيا (٢) . استعادة جورج الثاني الى
اليونان (١) . تشرين الثاني : انتخابات عامة
محافطة في الككترا (١٤) . جمعية الاسم تفرغ
مقويات على ايطالي (١٨) . كانون الاول . لسانج
كاي شك رئيس الجمهورية الصربية (١) . استقالة

مازاريك وحفل بتيس محلة (١٨) - ايلن وديرو
الشؤون الخارجية (٢٢) .
فرسي يفتك الكرة - اخبارات الرادار الاولى
- اكتشاف ال « ميرون » على يد يوكاوا - اكتشاف
المستحضرات الكهربائية - ظهور انفسون الاول -
ج . جبرودو . حروب طرواده لن كسندك - له .
جاسبرل : ليتشه - الفيرمو مورايا : الاطماع الغالية
- هـ . م . الميوت . جريمة لندن في الكاندالية -
ا . سالارو : مجبولة اوانس .

١٩٣٦

كانون الثاني . وفاة جورج الفخس (٢٠) .
حاضنة صلح بين بوليفيا والبرازيلي (٢١) .
شباط : انتخابات الجمعية العمومية في اسبانيا (١٦)
انتخابات حرة واشتراكية في ايليرك (٢٠) .
محاولة انقلاب عسكري في اليابان (٢٦) . اذار
هتار يرفي الثلاث لوكنرل ويصل رينانيا (٢٧) .
ايار : سقوط اديس ايايا في ايدي الايطاليين (٥)
الزنا : رئيس الجمهورية الاسبالية (١٠) . انتخاب
الجبهة الشعبية في فرنسا . حزيران : وزارة بلوم
(٤) . اتفاقات هاتسبون (٦) . تموز : الفاد لرفس
مقويات على ايطالي (٥) . ثورة فرنكو في بركش
الاسبانية (١٧) . عزند موثرو حصول المصلح
(٢) . آب : ميلاكاس يستولي على السلطة في
اليونان (٤) . تمركز الايطاليين في ماجوركا - اعدام
كاسيفه وديوفيف (٢٥) . ايلول : اتفاق لندن بين الككترا
ومصر (٢٦) . ايلول : تفصيل سمر الفرنك الفرنسي
- اجتماع لجنة عدم التدخل في اسبانيا (١) .
تشرين الاول . لبرولة الثالث يعلن مودة بيجيكا الى
البحر - تشرين الثاني : ميشاق المالي يونوني ضد
السوية (٢٥) . اخفاق فرنكو لنام مدريد . كانون
الاول : دستور سوفياني جديد (٥) . حادث سبان
ووقوع تفادع كاي شك امبرا له ايدي هتاتج -
سوف لجانج . ا . جيب : مودة الاتحاد السوفياتي
- ج . برنالومي : بوميات كاهن ربي - اراخون :
الاحياء الجميلة - له سالارو : رجل كخير - مس
الرجال - هـ . اولدن : اسبالي - ج . دوس
باموس : انظمة الكبري - له . غ . ثوركا : بيت
برناردا - شوبوتو : راس مستصلحة - ج . م
كيت : نظرية عامة في الاستعداد والعادة والنقد .

١٩٣٧

كانون الثاني . اتفاق فرنسي تركي حول

الاستقلال (٢٤) - أدلة بيانكوف وصوفوليكوف
برادة في الاتحاد السوفياتي (٢٠) - آذار : ميخائيل
إيطالي يوفوليا (٢٥) - توجيه برادة إلى الألمان -
ميسان : العمل بالدمشور الهندي الجديد (١) -
ادخل تعديل ٢ أدفع وانتقل ٤ على قانون الحيا -
حرية الحرب العسكري في الانتخابات اليابانية
٢٠ - آذار : هزيمة فونكو في فوايا لاجرا (١٨) -
جيران : اعدام توشاكوفسكي (١٢) - استيلاء
الوطنيين على بلباو (١٩) - ألمانيا وإيطاليا تتحيان
من لجنة عدم التدخل (٢٢) - تليفون صبر الفرنك
الرسمي مرة أخرى (٢٠) - تمول : ميخائيل سعد ياد
بين دول الشرق الأدنى (٨) - أب : اليابانيون
يحتلون بكين (٨) - ميخائيل عدم امتداد بين الصين
والاقتصاد السوفياتي (٢١) - تشرين الأول : اليابانيون
يحتلون شانتونج - الوطنيون يستولون على جيجون
(٤) - تشرين الثاني : إيطاليا تنضم إلى ميخائيل
مكافحة الشيوعية (٦) - اليابانيون يحتلون شنتاي
(٩) - كانون الأول : إيطاليا تتسحب من جمعية الأمم
- اليابانيون يحتلون ملكين (١٢) - ظهور أول محرك
مقاتل محرك ديتل - متلاني يتوكل إلى يدورة
فردوس فيليبس (النسج - صرخ الفن والتكتيكات
في الحياة المصرية في باريس - بناد قصر شياو
- ج - ميخائيل : الفرنك والبشر بيكاسو
فريبكا .

١٩٣٨

كانون الثاني : هنري يستلم ليلاده العيش
(٤) - شباط : اللورد هالفاكس يحل محل أيلن
في وزارة الشؤون الخارجية (٢٥) - آذار : هنري
يحتل النمسا (١١) - اعدام بوخارين وديكوف
وجانفردا - ميسان - يرانج حزب السوديت
نظام كارلسباد ال ٨ (٢٤) - آذار : تخفيض سعر
الفرنك الرسمي للميرة الثالثة - أب : بعثة
رأسبمان إلى تشيكوسلوفاكيا (٣) - ايشول -
القطعة بين حزب السوديت والحكومة التشيكو
سوفاتية (١٢) - لقاء برشمجان (١٥) وفودسبرغ
(١٧) - تحكيم موسوليني (٢٨) - اتفاق موبينج
(٣٠) - تشرين الأول : اليابانيون يستولون على
كانتون - تشرين الثاني : تحكيم لينا : بلغاريا
تحصل على أراضي سلوفاكية (٢) - فواين ماضية
السمية في إيطاليا (١٠) - وفاة كمال المانوك (١٥)
انفي خلفه عصمت اينوز - كانون الأول - ميسان
فرنسي الثاني (٦) - إيطاليا تعلن ابطال اتفاقات
روما بين فرنسا وإيطاليا (٢٢) .
برادة آكن يبي دول آلة الكترونية حاسبة

٨٧٦

(استندمت في ١٩٤٤) - أ - حائزو : الامل - ج -
بد - سول : الفيشان - ج - برنابوس : المقابر الكبرى
نحت القمر - نيجيه : قتل القوي - مايو :
الحوريات الثلاث .

١٩٣٩

كانون الثاني : فرنكو يستولي على برشلونة
(٢٦) - آذار : انتخاب بيوس الثاني عشر (٢) -
الفران تيسو يمن استقلال سلوفاكيا (١٩) - هنر
يحتل تشيكوسلوفاكيا (١٥) - شباط : الكليوية
لورماليا (١٩) - ليشان برسم على انخلي من محل
لألمانيا (٢٢) - فرنكو يستولي على مدريد (٢٨) -
انكليزية بولوب (٢١) - ميسان : انتخابات
بلجيكية عامة - هزيمة الملكية (٢) - شباط : الكليوية
الليونان (١٢) - هنر يعلن ابطال الاتفاق البصري
الانكليزي الألماني والاتفاق الألماني اليوناني (٨)
- آذار : اتفاق الكليوي فرنكي (١٢) - تحالف عسكري
إيطالي ألماني (٢٢) - تمول : الولايات المتحدة تعلن
ابطال المعاهدة التجارية اليابانية الأميركية - بعثة
عسكرية فرنسية الكليوية إلى موسكو - أب : تشكيل
حكومة موازية لليمان في نالكن برئاسة وانج سنج
واي - ميخائيل عدم اعتماد المال السوفياتي (٢٢) -
ديول - هنر عزو بولوب (١) - إيطاليا لا تدخل
الحرب (١) - انكلترا وفرنسا تساند الحرب على
المال (٢) - دخول الروس إلى بولوبيا (١٧) -
استسلام بولوبيا (٢٧) - شقة بولوبيا بين ألمانيا
والإتحاد السوفياتي (٢٨) - تشرين الأول : معاهدة
حربية الكليوية تركية (١٩) - ملاقات روسية
منطدية (٢١) - تشرين الثاني : قانون اسناد
الأميركي (٤) - دخول الروس إلى فنسندا (٢٠) -
طيران الطائرة النعالة الاولى ٤ من طراز هنكل
- التطبيقات العملية الاولى لك دودت - على سد
بول موبر - أ - جيد : يرميات - ب - البسوار :
الحية كلفة - ج - ميخائيل : مناقب الفشب -
ليبيا هيريا - الاولاد اللؤلؤ - أ - دي سالت
الكوبري - أرض الرجال - ج - ب - سول :
الجدار .

١٩٤٠

معاهدة صبح روسية فنسندا (١٢) - حكومة بول
ريو (٢٠) - ميسان - ألمانيا تفوز الدمارك والروبيج
(٩) - هزيمة الحلفاء في ليلهاير (٢٢) - أيار : عزو
بلجيكا وفوندا ووكسمبورغ (١) - حكومة برئاسة

ولستون تشرشل في انكلترا (١٠) - انهيار الجبهة الفرنسية في سيدان (١٤) - استسلام الجيش الهولندي (١٥) - احتلال بروكسل والفرس وسمان وكاتين (١٨) واميان واراس (٢١) - استسلام بلجيكا (٢٨) - معركة دنكرك (٢٨ حسمي ٢ حزيران) ، حزيران : انهيار جبهة السوم (٦) - احتلال روان (٩) - انهاء المقاومة النرويجية (٩) - ايطاليا تهاجم فرنسا (١٠) - احتلال باريس (١٤) - استقالة بول دينو ، بيتان يطلب الهدنة (١٦) - لدها الجنرال ديغول الى الفرنسيين (١٨) - احتلال ليون وفرن (٢١) - هدنة لرسية المانية (٢٢) وهدنة لرسية ايطالية (٢٣) - اعتراف الحكومة البريطانية بالجنرال ديغول قائدا للفرات الفرنسية الحرة (٢٨) - تموز - الاتحاد السوفياتي يحتل ساراييا وبوكوفينا (٢) - حادث مرسي الكبير (٣) - هجوم الكيلوي على دكار بالا - الجبهة الصومالية تعطي بيتان حق التشريع (١٠) - استونيا وفنلندا وليتوانيا تصبح جمهوريات سوفييتية (١٢) - المانيا الاستوائية الفرنسية تنضم الى ديغول (٢٨) - حكم فينا (٢٩) - يده معركة انكلترا (٨ حتى ٥ تشرين الاول) - ايلول : ألوتسكسوي يستولي على السلطة في يوغوسلافيا ، كراجل الثاني يستقيل ، ويحل ميشال مطه (٦) - هجوم ايطالي في ليبيا (٤) - مرض الخدمة العسكرية الاثراوية في الولايات المتحدة (١٦) - هجوم ياباني (٢٢) وهجوم باليندي (٢٨) على الهند الصينية - هجوم الكيلوي آخر على دنكرك (٢٢ - ٢٥) - لقاء مونترال (٢٤) - الميثاق الثلاثي (٢٧) - هجوم ايطالي على اليوسان (٢٨) - تشرين الاول : صدور قانون ينظم حياة اليهود في فرنسا (٣) - تشرين الثاني ، اعادة انتخاب وودرو ويلسون - كانون الاول : مجلة النساء في انكلترا (٢) - انتصارات يونانية في سالتي كوارانتا (٦) وادجيرو كاسترو (٩) - التمسك الكيلوي في سيني براني في ليبيا (١٢) .

اكتشاف عامل ديورس على يد لند ستالين وويتر - استخدام المتحضرات الكيرتية في معالجة انجلاند - رينشولد رايست : الابن الطبيعي - هنموي : لن قرع التواقيس .

١٩٤١

كانون الثاني : معركة ميترق ستيكيا (١٠) - الاستيلاء على طبرق (٢٢) - وفاة ميتاكاس (٢٩) . شباط : دارلان ، نائب رئيس مجلس الوزراء الفرنسي (٩) - احتلال الانكاير لسمنازي وموناديشير (٢٦) - آذار : الامان يدخون بناميرا (٢) - نشر قانون الاعارة والتأجير (٩) - بطرس البستاني يقدم

بالنقلاب في يوغوسلافيا (٢٧) - معركة راس منلبان (٢٨) - نيسان : بومل يسترد بنفادي ولفرديا (٢) - شباط : روس يوغوسلافي (٥) - المانيا تغزو يوغوسلافيا واليونان (٦) - احتلال سالونيك (٨) - استغلال كروانيا (١٠) - نهاية المقاومة اليوغوسلافية (١٨) - معاهدة روسية يابانية (١٢) - احتلال الينا (٢٧) - ايار : احتلال البيلوروسيو (٢) وكريست (٢٠ - ٢١) - الانكاير يحتلون ادريس - ايليا (٥) - لقاء حنار - دارلان في برستفان (١١ - ١٢) - هرب رودولف هس (١١) - معركة سبشير البحرية البحرية (٢٢) - حادث الـ « سبشير » (٢٤ - ٢٧) - ثورة (٢) وهزيمة وخيمة ماني في العراق (٣١) - حزيران : الانكاير يحتلون مسوريا (٨) - انشاء محاكم خاصة ضد انتميوهين كرو فرنسا (١٤) - هدنة مكا (١٤) - حنار يهاجم روسيا (٢٢) . تموز : حركة عطف خط ستالين (١٥ حتى ٧ آب) - اب : توقيع ميثاق الاطلسي (١٤) - الانكاير وباروس يدخلون ايران (٢٥) - ايلول : يده حصار كينهراد (٩) - استقالة رضا بهلوي ، شاه بهلوي محمد مسيح شاه ايران (١٦) - احتلال كييف (١٩) - نهاية المقاومة الإيطالية في انيوبيا (٢٧) - تشرين الاول : قانون الفصل في فرنسا (٤) - زيادة طوجو في اليابان (١٨) - ستالين لانه (٢٢) - اعلام دهائن لافوريران ويات ووردهو (٢٢) ، تشرين الثاني : معركة موسكو (١٦ حتى ٥ كانون الاول) - هجوم بريطاني في ليبيا (١٨) - استيلاء القان على بوسسورف (٢٢) وجلازم منها في ٩٩ ، كانون الاول : لقاء بيتان - غوريج في سان ترونتين (١) - بيل خديرو ، تولد الجيوش اليابانية في ماليزيا وبورنيو (٧) - اسكان اليابان الحرب على انكلترا والولايات المتحدة (١١) - نزول الجيوش اليابانية في هونغ كونغ (١٩) والفلين (٢٢) - الروس يستردون كالمين روجايسك وكالوف (٢٠) - استيلاء الانكاير على بنماري (٢٤) .

استخدام الكوريتون للمرة الاولى - جاييس برهام : عيد المنكبين - برخت : الام اليسارية .

١٩٤٢

كانون الثاني : استيلاء اليابانيين على مانيلا (٢) ، شباط : استيلاء على ستافورده (١٥) - آذار . حملة المدنيين في ايطاليا (١) - استسلام بنوا (٨) - نيسان : غفل بنة ستانوردكريس في الهند (١٢) - لال يرد الى الحكم في فيشي (١٨) - ايار : اليابانيون يستولون طريق بورما (١) - الاميرال تيجي ساند فيشي (١) - البريطانيون يحتلون مدغشقر (٥) - معركة بحر المرجان (٧) - قانون الاعارة

والناجور يفصل الاتحاد السوفييتي (١١) - هجوم روسي في قطاع خاركوف (١٢) - تحالفات التكتلوي روسي (٢٦) - مقتل هايمويك في براغ (٢٧) - حوران : هجوم التي على سيباستوبول (٤) - معركة مدواي (٤) - نهاية معركة بير حكيم (١١) - سقوط طبرق (٢١) - تموز : هجوم الثاني على فردونج (٢٢) - آب : المؤتمر الهندي يطالب بالاستقلال التام (٨) - ألمانيا تدم لوكسمبورغ إلى أراضيها (٣٠) - أيلول : بدء معركة ستالينغراد والقفاس (٤) - تحرير الأول : هجوم مونتميري في مصر (٢٢) - تشرين الثاني : انفال جبرو - مورلي (٢) - نزول الجيوش الحليفة في أفريقيا الشمالية (٨) - لقاء حفر - لافال في برنفلاند (٦) - (١١) - نزول الجيوش الألمانية في تونس (٤) - نفس مشروع بنفردج (٢٠) - اتفاق كلارك-دارلان (٢٢) - كانون الأول الروس يتكون الحصار من لينينغراد - مقتل دارلان (٢٤) - أبطال الأسبوع التكتلوي ويوم ويرم السمات الثاني في الولايات المتحدة (٢٥) - أليس كامر : القريب : أسطورة سيوف - فوكور - سميت البحر - برخت : قالابو غاليبي .

١٩٤٣

كانون الثاني : مؤتمر كارلايتكا (٤ - ٢٢) - استيلاء الأنكلير على طرابلس (٢٢) - مدينة المدين رجالا ويساء في الثاني (٢٨) - شباط : استسلام الإنسان في ستالينغراد (٢) - حطام الياباليين من غواندكتال - تحرير آل : شاربهورست (٤ - ١٤) - تحرير القمماس (٢ - ٢٨) : قانون الصلح الفرنسي في فرنسا (١٦) - آذار : الروس ستردون خاركوف - معركة خط حارت (١٦ - ٢٩) - لقاء ديفول - جبرو في كارلايتكا (٢٤) - نيسان : ميلان : ثورة يهود لومونيا (١٩) - أيار : تحرير بنوت دونس (٧) - بداية معركة تونس (١٩) - إنشاء المجلس الوطني للقائمة في فرنسا (١٥) - ديفول في الجزائر (٢) - مؤتمر هوت سبرمن : إنشاء وكالة فوش الثلاثين (١٨ حتى ١ حوران) - حوران : القضاء للعبة العرسية للتحرير الوطنية (٢٦) - رامبرو يقوم بالثلاث في الأرجنتين (٢) - حل الكونغرس (١٠) - تموز : هجوم الثاني على كورسك (٥ - ١٩) - نزول الحلفاء في حلفاء : والاستيلاء على ميركورا () - وانا (٢١) ومارمو (٢٣) - تشكيل لجنة ألمانيا الحرة في موسكو (٢٤) - الأكثرية ضد موسوليني في المجلس الفاشستي الأعلى (٢٤ - ٢٥) : توكية (٢٥) - حل الحرب الفاشستي (٢٨) - آب : ألبانيون يملكون استقلال بورما (٦) - الاستيلاء على قنصا (٥) ٤

ومسحا (١٧) - الروس في أبريل (٥) والاميركون في كيبكا (١٥) - مؤتمر كيبك (١١ - ٢٤) - مغاوغات مع إيطاليا (١٥) - أيلول : نزول الحلفاء في إيطاليا (٤) - الاستيلاء على ستالينو وحوس المونتر (٥) - نشر الهدلة الإيطالية (٨) - نزول الحلفاء في سارنو (٩) - تحرير كورسكا (١٠) حتى تشرين الأول () - احتلال الألمان لإيطاليا الشمالية وروما (١) - فرار موسوليني (١٢) - القضاء الجمعية الاستشارية المؤقتة في الجزائر (١٧) - إقامة الجمهورية الاجتماعية الإيطالية (٢٣) - استرداد برناتسك (١٤) وسولسك (٢٥) - تشرين الأول : الاستيلاء على نابوي (١) - مؤتمر موسكو (٩ - ٢٠) - استرداد دمبرو بتروفسك (٢٥) - تشرين الثاني : استرداد كريف (٦) - إعلان إيطاليا الحرب على ألمانيا (١٢) - مؤتمر القاهرة (٢٢ - ٢٦) - إعادة الحقوق الدستورية إلى إيطاليا (٢٧) - نزول الأميركيين في تاروا (٢٠) - كانون الأول : مؤتمر طبرق (١ - ٢٤) - تشكيل حكومة تشر (٤) - نزول الأميركيين في بريطانيا الجديدة (١٦) - فرنسا تنقل مطالبات إلى سوريا ولبنان (٢٢) - تيو عفي على السلطة الملكية (٢٣) - تأسيس الاستقلال (٢٣) - ماهومي يستخدم البنين في معالجة الشمس انبرا تروليه : الحصان الأبيض - ج.د.د. ستر الدياب : الوجود والعدم - ه.د.د. هس : لعبة اللالي والحاجبة

١٩٤٤

كانون الثاني : اعدام شافو ودي نولر (٢٢) - افتتاح مؤتمر براتريس الاستعماري (٢٠) - نزول الأميركيين في جور مارشال (٢١) - شباط : بدء العمليات ضد قوات المقاومة في السنقا (١) - تحرير حوس الكون : آذار : الألمان يحتلون هنغاريا (١٩) - الاستيلاء على سرمولس (١٢٧) - الحرايات في إيطاليا الشمالية (٢ - ٩) - حداثك هضبة آل : طير (٢٥) - نيسان : مجزرة أسك (١) - الاستيلاء على فارمبول (١) - تحرير القرم - استقالة ككتور امانويل (١٢) - استقالة جبرو (٢١) - تموز : الأسطول اليوناني (٢٨ - ٣٠) - أيار : هجوم حيف في إيطاليا - ألمانيا تصعد بالثقة بقيادة كتاب سياسة الحيا (٢) - أسندا تعلن استقلالها (١٨) - نزول الجيوش في ليبيا الجديدة (٢٧) - حزيران : الاستيلاء على روما (٢) - نزول الحلفاء في مونتند (٢) - يونيو : بعل محل بالوليو (١٠) - بدء استعمال الصواريخ (٦ - ١٢) - نزول الجيوش في سايبان (١) - استيلاء الروس على سيورغ

(٢) - تحرير شيربورغ (٢٧) - الاستيلاء على فيسبله
 (٣) - تموز : مؤتمر بريتون وودز ، ١ - ٢٢ -
 الاستيلاء على ميما (٢) ومينلا (٥) وكان (٦) وفروندو
 (١٧) ولوبين (٢٧) وبهاالستوك وبرست ليرفك
 ولغز (٢٩) - محاولة اختياف هنر (٢٠) - احتلال
 غوم (٢٩) - انهيار خط الدفاع الالبي في افرانش
 (٢٠) - آب : ثول احتفاء في يروفنسا (١٥) -
 معركة فاليز (١٧) - الاستيلاء على فلورنسا (٢٢) -
 تحرير مرسيليا وفروند (٢٢) وباريس (٢٥) - الروس
 يحتلون خطا التستون الهندي ويدعون يوخارست
 (٣١) - ايلول : تحرير بروكسل (٥) وانغرس وبريد
 (٥) - حدة روسية بلغارية - تحرير ليون (١١) -
 اتصال جيوش الحلفاء في غرب (١٢) - الاستيلاء
 على صوفيا (١٨) - الزوال جيوش في لابت (٢) -
 معركة اوبهاير ، وقف الهجوم البريطاني (١٨-٢٨)
 تشرين الاول : لندنا تقاطع الالبا (٢) - نصويت
 الناد في فرنسا (٥) اختيار فورت التقدي في بلجيكا
 (٧) - الاستيلاء على سجد وكولج (١٢) والينا (١٢)
 ويتنامر (١٧) ولفراء (٢١) - طلب هتارو الهندية
 (١٥) - استلام كس - ٢ - شابين (٢١) - معركة
 الفيلين (٢٨-٢٢) ، تشرين الثاني : الاستيلاء على
 مونسفير (٦) وجرانسا (١٨) ولفور (٢٠) وميلور
 (٢١) وستراسبورغ (٢٢) وسالويك (٣٠) - اعادة
 انتخاب وورقت (٧) - تدبير الة تريش (١١) -
 مرالسي يقوم بانقلاب (١٦) - تشكيل الحكومة
 الهامارية المؤقتة ديركون (٢٤) - كلون الاول :
 الاستيلاء على دالبا (٥) - ميثاق فرنسي سوفياتي
 (١٠) - ثرون الاميركيين في مديرو (١٥) - هجوم
 المالبي في (الوكسمبورغ) (١٧ - ٢٨) - تطويق
 يودابست (٢٤) - لجنة لوبين تارن نفسها حكومة
 بولندية مؤقتة (٣١) - واكسمان بكتشف
 الستريتوجي - اراغون : ووليانوس - ج - بيه
 سارتر : الابواب معلقة : سبل الحرية .

١٩٤٥

كانون الثاني : هجوم ايلي في للورين (١) -
 مؤتمر يالطا (٢ - ١٢) - ثول الاميركيين في لوسون
 (٦) - هجوم للنداء الروسي (١٢) - الاستيلاء على
 كويس (١٥) وفروند (١٧) وراكونيا وودز (١٩) -
 تكلفه الالمان في الاردين (٢٠) - حدة منفردة (٣)
 - اعادة فتح طريق بورما (٢٢) - الاستيلاء على
 برسلو (٢٠) - شياط : الاستيلاء على كولمار (٢)
 (٢٠) واسبج (٦) وكليف (١٢) وبونان (٢٤) - ثول
 الاميركيين في كوريجيندور (١٦) - معركة ايرو-جيبما
 (١٨ حتى ١٤ آذار) : الاستيلاء على مانيل (٢٤) -

اتفاق فلوريان بين الحكومة اليونانية ومنظمة ايام
 (١٢) آذار : استسلام كوريجيندور (١) - فنسندا
 تلحق الحرب على الدنيا (٣) - وليقة شيايرلييك (٤)
 - الحلفاء على الريح (١) - الاستيلاء على كولوبيا (١٧)
 وجسر ومانج (٩) - هجوم اليابانيين على الجيوش
 الفرنسية في الهند الصينية (١٠) - الروس في
 كترين (١٢) - الحلفاء في هاينس : ومير (٢٢) -
 وفركفوت (٢٦) - تأسيس انجسامة المربية في
 الناصرة (٢٢) - الروس في : انتريسج (٣٠) ولينتر
 بوسنات (٣١) - تطويق الرور (٢١) - موت هنر
 (٣٠) - ليمان : الاستيلاء على كاسل وكارلسمود (٢)
 وكوفورغ (١٠) ولفدورغ (١١) وديانا (١٢) وميسا
 (١٣) وكسل (١٥) ولوبزج (٦) - وشققات (٢٢)
 راولم (٢٢) - الاتصال بين الاميركيين والروس (٢٥)
 - دما فدا : ولفنسنت (٢٢) - مؤتمر سسان
 فرنسيكو (٢٥ حتى ٢٦ حزيران) - لوليف
 موسوليني ومعه (٢٨) - ايار : هتو يحتل تريستا
 (١) - استسلام القوات الالمانية في ايطاليا (٢) -
 استيلاء الروس من برلين (٢) - استلام القوات
 الالمانية استسلاما كاملا (٨) - الاميركيون في رانغون
 (٢) - واصبيون في بالغ (٢٧) - خلاف فرنسي
 بريطاني في سوريا ولبنان اللذين اقرهم الفرنسيون
 على الانسحاب منهما - انتخابات فرنسية ذات اتجاه
 يساري (٢٩ ليمان ١٣ آذار) (٢٧) - حزيران :
 مؤتمر سبيل (٢٥ حتى ١٤ تموز) - تموز : ثول
 عمالي في الانتخابات البريطانية (٣) - فصل ايبان
 من البحر للارة الاولى (١٤) - لوبورل انشالت بولفس
 انشلي من الراس (١٦) - مؤتمر بوتسدام (١٧ حتى
 اول آب) - محاولة بيتان (٢٢ حتى ٤ آب) -
 تليس دولة فينشام (٢٦) - تشكيل وزارة انكسي
 (٢٧) - آب : تحرير يروما باكلها (٢) - اقاء قبلة
 ذرية على هيروفنسا (٦) - الاتحاد السوفياتي يعلن
 انسحابه من اليابان (١٤) - اليابان تعرض الاستسلام
 (١٢) - احتلال خربين وموكتن (١٩) وداين وبيوت
 ارغور (٢٢) وسكالكين (٢٨) - نهاية العمل بالقانون
 الامارة والتاجير (٢١) - ايلول : استسلام آلبان
 (٢١) - تاليف حكومة هو - شي - منه في لينشام
 (١٥) - تفريق الاول : ثورة عسكرية في الاخسين
 (٨) - توليف الكولوميل بيروس وتعليقه (١٢-١٢)
 - فتح شعوي لومبرغ (١٨) - انتخابات عامة في
 فرنسا (٢١) - تقرير الثاني : مؤتمر باريس حول
 التصويبات (٩ حتى ٢١ كانون الاول) - ونفس
 الولايات المتحدة وبريطانيا المظني وكندا تسليم مر
 القنبلة الذرية (١٥) - اعلان الجمهورية اليوغوسلافية
 (٢٩) كانون الاول : مؤتمر سمنالور حول أحداث
 الهند الصينية واندونيسيا (٥) .

بول ايلول : العهد الثاني - ج. بيه سارتر :

سن لرشد - ارنست ريشرت ؛ اولاد جيرويم -
كامو - سوء التفاهم - كارلو لينى - المسبح
توماس في ايرلي .

١٩٤٦

كانون الثاني : استقالة الجنرال ديغول (٢٠) ،
شباط : تمرد الاسطول الهندي (٢١) ، اذار : نزول
انجيوش الفرنسية في نوتكين (٨) - اصراف اكلترا
بامستقلال شرقي الارمن - نيسان : التصويت على
دستور فرنسي اول (١٩) - ايار : استفتاء عدائي
(٥) - استعانة لكتور اماريل انثاني وجنون هينرو
انثاني محله (٩) - انتخابات يكرية الاجزاء في
شيكلولالبا (٢٦) - حزيران : انتخابات جديدة
في فرنسا (٢) - انتخاب بيرون وليا للجمهورية
لارحتينية (٢) - اعلان الجمهورية الايطالية (١٨) -
وراءة ج - يندو في لرتسا (٢٣) - تموز : اول تجربة
لدرية في بيكيو (١) - اعلان استبقلال الفيليبين
(٢) - مؤتمر الصبح في باريس (٢٩ حتى ١٥ تشرين
الاول) - آب : فصل للمساومات الفرنسية
الليتانية في فوسيلو (١) - الاتحاد السوفياتي
مطالب باعادة النظر في اتفاقات مؤتمر حول المضايق
(١٢) - ايلول : اتفاق ضايش فرنسي فيتنامي (١٤)
- راء الحرب الاهلية في اليونان - تشرين الاول :
مردور حكم محكمة مومبرغ (١) - تشرين الثاني
انتخابات ذات اتجاه جمهوري في الولايات المتحدة
- اتفاق هولندي الفوليسي (١٥) - كانون الاو
وزارة اشتراكية مستقلة في فرنسا برئاسة ليون
بلوم (١٦) - ثورة ملقة في تونكين (٢٠) .

جان بريقر : كلمات - ا - مومبي - ما هو
مذهب اكتشفية ؟ ج - ب - مارت : موني دون
دق - البقية الموجهة الاحترام - هل توجد مذهب
انسانى ؟

١٩٤٧

كانون الثاني : اشتغال الحرب الاشتراكية
الايثالي (١) - وزارة راماديه في فرنسا (٢٢) .
شباط : مساعدات الصبح في باريس مع ايطاليا
ومغفريا ورومانيا وبلغاريا وقلندا (١٠) - اذار
القانون لفرلي في فلسطين (١) بداية الثورة في
مدغشقر (٣٠) - مساعدة تحالف فرنسي بريطاني في
دنكره (١) - الشيوعيون لا يدخلون الحكومة
البيجيكية (١٢) - نيسان - انشاء النجم المتعبي

٨٨٠

الفرنسي (١٤) - منع العرب الشيوعي في ولاية
نيويورك (٢٢) - ايار : تأميم الصحاح الثقيلة في
بريطانيا المطلي (١) - الشيوعيون بالقصون عن
الحكومة الفرنسية (٥) - منع ايجزب الشيوعي في
البرازيل (٧) - الكونغرس يقر قانون بمساعدة
اليونان وتركيا (١٥) - حزيران : اقتراح مشروع
ملوشال (٥) - قانون ثالث - حارلي حول الاعترافات
(٢٢) - تموز - رفض الاتحاد السوفياتي (٢)
وتشيكوسلوفاكيا (١٠) الاشتراك في مشروع ملوشال
- هجوم الهولنديين اديين يستولون على بالامبا
(٢٠) - حل حزب الملايين وديموف مانيو لسي
رومانيا (٢٥ - ٢٩) - آب : نهاية العمليات العسكرية
في جاو (٤) - برنامج تشيقي في بريطانيا اعظم
(٦) - استقلال الهند وباكستان (١٥) - منع حزب
انزارم في بنقاريا (٢٥) - التصويت على نظام
الجزائر الاساسي (٢٧) ايلول : ميثاق الدفاع بين
الدول الاميركية في ريد (٢) - تشرين الاول
انتخابات في السار غرب عن الربة في الريط
بفرسا (تصاديا (٥) - تأسيس الكومموم (٥) -
هجوم لولسي في نوتكين (٩) - تشرين الثاني : نزاع
مصح في كشمير بين الهند وباكستان - الشيوعيون
يقصرون عن الحكومة النمساوية (١٩) - مقاومة
مشروع لتقسيم الذي واقعه عليه منظمة الامم
في لاسطون (٣٠) - كانون الاول - بريطانيا المطلي
تعتزل باستقلال بورما (١٠) - نهاية التقنين في
الاتحاد السوفياتي (١٤) - اشتغال اتحاد العمل
العام واتجبة العدلية في فرنسا (١٢) - منسح
الحرب الشيوعي في اليونان (٢٧) - تغلي ميشال
ملك رومانيا عن العرش (٣٠)

فيينا هيريا : حالة بوسايدل - ا - كامو
الطافون - كادرو كوشيوي ؛ الاكل المسير -
فاسكو برازوليني يوميات الضائق المساكين -
مافالي ساروت - وصف مجبول - ب - سوروكين
الجمع والثقافة والشخصية .

١٩٤٨

كانون الثاني : تأميم السكك الحديدية
البريطانية (١) - هدنة هوندي اندونيسية - تحالف
بيسي والحزب الشيوعي الايطالي (٢٢) - تمديد
سمر الفرك الفرنسي (٢٤) - مقتل لاندي (٣٠) .
شباط : سيلان تمنح نام الممتلكات (٤) - استقالة
الوزراء التشيكوسلوفاكيين غير اشيويين (٢٠)
تسكير ورادة شيوعية (٢٥) - اذار : هجوم شوي
عن ناتكين (٢١) - بدء حصار السوفيات لبرلين
(٣١) - نيسان - تأميم الكهرباء في بريطانيا المطلي

(١) - أكثرية مطلقة للحزب الديمقراطي المسيحي
الاطالي (١٨) - ايار ' دخول الحيوث العربية
والعصرية الى اسرائيل (١٤) - نهاية الاستعداد
البريطاني في فلسطين (١٥) - حوربان : وزيه
مالان في أمريكا الجنوبية (٣) - اتفاقات جديون
انوع (٥) - اصلاح نقدي في ألمانيا الغربية (٢)
حلال برز تينو والكوسغورم (٢٨) - تصوف
اتحاد يوفوسلافيا عن الكومفوم (٤) - اتذتساق
اتحاد الصل الدم الايطالي (٢٦) ، اب ، هريسة
الصبايات ابوماتية في جبل غراموس -٢٠ - مؤتمر
ميكوي بروستني في استردام (٢٢) ، ايارل
نخلي الملكة وبلمينا من المرفى (٤) - لجنة في
برلين الشرقية (٩) - استيلاء الشيوعيين الصينيين
على سي - نان ٢٦ ، تشرين الاول - سقوط
موكش في ايدي الشيوعيين (٣١) - تشرين الثاني :
اعادة انتخاب ترومان رئيسا للولايات المتحدة
الاميركية (٢) ، كانون الاول - سقوط سو - تشيو
في ايدي الشيوعيين (٢) - ا عمية بوليسية :
هولندية لانية قد جاكروا ، القبض على مفسد
العملة الاندونيسية (١٦) - توتيل الكريستال
مفترني في هاجرا (٢٧) - وقع الصيكت المكمرة
في جياوا (٢٦) .

ارغون : الكوب الشديد الجديد - ج - ب ،
سائر : ايدي القدرة - ا ، كمر الحكم العربي
- فامكوب تويشي : بطل حاصر ،

١٩٤٩

كانون الثاني ، استقالة تشانغ كاي شك (٢١) -
الشيوعيون في يكو (٢٢) - صباط : توجيه
جسري بين طامات الاحتلال في ألمانيا الغربية (١٦)
- اتفاق روس على وقف اطلاق النار بين اسرائيل
ومصر (٢٤) - هيمان : توقيع معاهدة الاطلسي
الصافي في واشنطن (٤) - دخول الشيوعيين الى
مالكين (٢٣) ، اندر : دستور ألمانيا الغربية (٨)
نهاية حصار برلين (١٢) - سقوط هانكو (١٦)
وشغاي (٢٥) في ايدي الشيوعيين ، حوربان ،
الفاد الحاكم المختطف في مصر (٢٥) - الكونديون
يعنون عن جاكروا (٢٩) ، تدور ، حرم الشيوعيين
والشيوعيين انبول (١٣) - مشروع تقشلي جدييد
للسر ستافورد كريس (١٤) ، آب ' مجلس اوروسا
يعقد جلسته الاولى (٨) ، انبول : اديناود مستشار
(١٥) - تمغيش سر انيرة (١٨) - تمغيش سر
الفرنك الفرنسي مرة اخرى (١٩) - التفجار ذري
في الاتحاد السوفييتي (٢٣) - اصكان الجمهورية
الجمبية في الصين (٢١) - تشرين الاول ، سقوط

كانتون في ايدي الشيوعيين (١٢) - تشرين الثاني :
تسليم الصناعة البولندية الانكليزية (٢١) - كانون
الاول : استقرار بولنديين الصينيين في كوروسا
(٨) - منظمة الأمم المتحدة تقر تدويل القدس (٩) ،
لحقق الترائوسكو على يد ديم شوكس -
المرحون الشيوعيون - سمون دي بوفوا : الجنس
الساقي - ج بافلا : مذهب العقليين التنبهتي ،

١٩٥٠

كانون الثاني ، هيجل انرايين في سهل ايسو
(٤) - احتلال بريطانيا اسطى بالعملة النرويجية
الصكية (٩) - الرئيس ترومان يصدر امرا يصنع
القضية لبيروجنية (٢١) اذار - استفتاء حول
السنة الملكية في بنجيكا (١٢) - اضطرابات لزويه
في ابوي (٢٢) ، هسان ، الاردن تلمس لمسلطين
انصرية اليه (٢٤) - ايار ' ر شومان يقترح تلم
وحدة اوروبية للمعم اصجري والفضلا (٩) - نور
المناصرة في الاتخابات التركية (٢٤) - حوربان :
قرر المسيحيين الاثريكيين البينجكيين في الانتخابات
(٤) - رفض بريطانيا التقى الاضداد الى وحده
المعم بحجري والمواد (١٧) - اتفاق الجمهورية
لديمقراطية الالمانية وبولونيا على حدود الاور -
ميس (٩٧) - مجلس الامن يقر مبريات ضد كوروب
الشمالية ، تدخل (ولايات المتحدة (٢٧) - تموز ،
الكوريون الشماليون يعلنون انهم جويي كوريب
واندرس (٢٩) - وعد ليوبولد الثالث بالتخلي عن
الضرائب عام في لياج وشامبروا (٢٥) وبروكسل (٢٨)
واندرس (٢٩) - وعد ليوبولد ، نالت بالتخلي عن
اندرش بعد بنوخ ايتة سن الرشد (٣٩) - اب
انشاء الوحدة الأوروبية للمدفوعات (١٩) - ايلول
تولى الاميركيين في مشون (١٥) - الاستيلاء على
سيول (٢٦) - الرور القانون حول السلطات
المالية بلاميركيين (٢٣) - تشرين الاول : انتخاب
ج فارفاي رئيسا للرايل (٢) - منظمة الاسم
المنظمة تسج ياجنيك خط المرفى ال ٢٨ (٧) -
ابادة الحووش لغربية التي جيت عن كايوالسج
(١) - الجلاء من لبح - سون (١٨) - الاستيلاء
عن بيونغ - يانغ (١٨) - بلوغ اليانو (٢٦) - تشرين
الثاني - الجلاء من لاو - كاي (٢١) - دحوا - به (٢)
تدخل صيني في كوريا (٣) - كانون الاول : جلاء
الاميركيين عن بيونغ - يانغ (٤) - الجنرال دي
لار ملون سام في الهند اسسية (٦) - العينيون
يجتازون خط المرفى ال ٢٨ (٢٤)

٨٨١

٥٦ - العهد الخامس

(٢٢) - نظري الملك فاروق عن المصري (٢٦) محمد
بعد من سقطت الشاه القواد (٢١) - أيلول : أزمة
سياسية في لبنان (١٨) - تشرين الأول : سقوط
الاحمر في الانتخابات اليابانية (١) - تجميع أول
قنبلة ذرية بريطانية (٢) - حالة ناهب عبد الماوماو
في كينيا (٢٠) - قطع العلاقات الدبلوماسية بين
إيران وبريطانيا العظمى (٢٢) - تشرين الثاني :
الغضب أيزنهور وكينا (٤) - قول المارشال يابلوس
في الانتخابات اليونانية (١٦) - الجلاء من سون لا
(٢٢) - كانون الأول : قنبلة في كازابلانكا (٨) .
دوبرير جوميل : الإنسان المدمر المصنوع -
لوس دي برون : هل سيقى علم الطبيعة الكمي
غير محلي ؟

١٩٥٣

كانون الثاني : حل الأحزاب السياسية في مصر
(١٦) - هجوم القنبلة في ألام (١٤) - شباط :
معاهدة صداقة بين اليونان وتركيا وبروسلاتيا
(٢٨) - مزاج بين الشاه ومصداق (٢٨) - آذار :
 وفاة ستالين (٥) - أبطال تأميم الصناعات
المتعدية في أكتفرا (١٧) - انفجار جديد في
الاسمر في الاتحاد السوفياتي (٣١) - نيسان :
هجوم القنبلة في لاوس (١٧) - أيار : هزيمة
القادة عبد السلطان في مراكش (٢١) - تجميع أول
لقنبلة ذرية أميركية (٢٥) - حزيران : وزارة لايبيل
(٢٦) - تراجع الديمقراطيون المسيحيون الاطاريين
في الانتخابات (٣) - إعلان الجمهورية في مصر
(١٨) - أعدام دوربرغ (١٩) - تموز : وقف إطلاق
النار في كوريا (٢٧) - ناجي يحل محل دالواري
في هنغاريا (٤) - عز بيريا في الاتحاد السوفياتي
(٩) - اضطرابات في برلين (١٩) - آب :
ماتكوف بين ان الاتحاد السوفياتي يهلك القنبلة
الهيدروجينية (٥) - الجلاء من فاسا (١١) - ثورة
انغلاوي على السلطان (١٥) - الشاه يلجأ إلى
بصاداد (١٦) - اضطرابات في المدن المراكش
(١٦) - أمقاط سلطان مراكش (٢٠) - أيلول :
مساعدة مالية أميركية لإيران (٣) - فوز المسيحيين
الديمقراطيين في الانتخابات في ألمانيا الغربية
(٦) - رفض منظمة الأمم المتحدة حقبة الصين
الشعبية (١٥) - تشرين الثاني : وفاة ابن سمود
ملك النمكة العربية (٩) - كانون الأول : مؤتمرو
برمودا (٤) - (٨) - استئناف العلاقات الإنكليزية
الإيرانية (٥) - جلاء امرفيسيين من لاي شو (١١)
- أعدام بيريا .

اليزا تريولي : المصنوع الاقتر - سموليل

كانون الثاني : بدء الهجوم الأميركي على
في كوريا (١٥) - منظمة الأمم المتحدة تدعى الصين
كمتمدية (٣٠) - شباط : انفجار جديد في
الاسمر في الاتحاد السوفياتي (٢٨) - آذار :
الكويتيون الجوبيون يستردون سيول (١٤) - تقسيم
البحر في إيران (١٥) - نيسان : ملك كارل يفي
من قيادته (١١) - وزارة مصداق في إيران (٢٧) .
أيار : هجوم اميركي طائر عمالي خط المصري إلى
٢٨ ٢٧ حتى ١٤ حزيران) - حزيران : انتخابات
حامة في فرنسا - تراجع الشيوعيين والصركية
الجمهورية الشعبية (١٧) - إيران تضع يدا على
مشات حبدان (٢٠) - تموز : بدء مقاولات
الهدنة في كيريج (٨) - مقتل عبد الله ملك
الأردن (٢٠) - أيلول : ميلاق ال « الزوس » بونغ
عليه في سان فرانسيسكو (١) - معاهدة الصلح في
سان فرانسيسكو مع اليابان ، تحالف بيني اميركي
(٨) - دعوة إلى اليونان وتركيا للانضمام إلى الحلف
الاطلسي (٢٠) - كانون يارميه بتقديم المساعدات
الدالية للتعليم الخاص (٢١) - تشرين الأول : مصر
تعلن أبطال لمساعدة الإنكليزية المصرية (الربع علبا
في ١٩٢٦) - فاروق ملك السودان (٨) - تصدد
المفاوضات في بانجورجوم (١٠) - نجاح المحافظين
في الانتخابات العامة البريطانية (٢٥) - وزارة
شرشل (٢٧) - تشرين الثاني : نغمة في كازابلانكا
(١) - لوج بيرون في الانتخابات الأرمنية (١١)
- النيشكلي يقوم بانقلاب في سوريا (٢٨) - قنبلة
ساولة للانكلير في منطقة القاء - كانون الأول :
استقلال ليبيا (٢٤) .
ج - به - سارل : المحيطان والله - ١ - كلو
الإنسان المصنوع .

١٩٥٢

كانون الثاني : فتح بريطاني صامم في منطقة
القناة (٤) - (١٦) - قنبلة دامية في بنروت (١٧) -
أحزاب عام في تونس (١٨) - أعمال شغب في
سوسا وليروان (٢٢ - ٢٤) - اضطرابات دامية
في القاهرة (٢٦) - شباط : وفاة جورج السادس .
البرازيل الثانية (٦) - الجلاء من صرا - يسه (٢٤)
آذار : وزارة بيناي (١١) - توقيع الوزراء النوصيين
وزعماء الدستور الجديد والشيوعيين - وزارة
بكرشي (٢٨) - أيار : اتفاق يون بين اسفاه ومانيا
الغربية (٢٦) - حزيران : قانون ملك كران (٢٧)
تموز الجنرال لجيب يستولي على السفلة في مصر

يكن * نور قابل التسمية - ألين روبيريسه *
المصوغ - ج بادلاتر : المدينة العقلية .

١٩٥٤

كانون الثاني : رفض اعلان الحرب الإسباني
الاعتراف بالسنتين بن حمله (٢١) - مؤتمر الأديمة
لي برين (٢١ حتى ١٨ شباط) - شباط : معركة
ديان بيان نو (٢ حتى ٧ أيار) - نهاية دكتاتورية
الشيخكي العسكرية في سورية (٢٥) - نيسان
وزارة اشتراكيين وحرار برئاسة فلان كتر في
بلجيكا (٢٢) في اعياد انتخابات خسر فيها
الشيخيون الاشتراكيون - لاسر رئيس مجلس
لوزراء في مصر (١٨) - مؤتمر كولومبو (٢٨) حتى
٢ أيار - أيار : مؤتمر جنيف حول الهنسة
الشمسية (٨ حتى ٢٩ تموز) حزيران : حرب
اعلية في خوانابالا ، فوز الثوار على الرئيس
اريتز (١٨ حتى ٢ تم) - حكومة مندس فران
(١٩) - تموز : انتخابات جنيف (٢٠) - انتخابات
التكديري مصري حول كتلة اسويس (٢٧) - العمل
بالتفاق ولدا اطلاق النار في تونس (٢٧) - الاعتراف
ببدا الاستقلال الفرنسي الذاتي الداخلي (٣١) -
أب : الماء الاتحاد البولندي الاسويسسي (١٠) مؤتمر
بروكس (١٩ - ٢٢) - استقالة فارناس وانصاره
(٢٢) - أيلول : بدء المفاوضات الفرنسية التونسية
(٤) - مؤتمر مالابا حول جنوب شرقي اسيا (٦ - ١٨)
تشرين الاول : اتفاق لندن بين ايطاليا وفرنسا
حول ترينستا (٥) - الجلاء عن ماقوي (٩) - اتفاق
فرنسي ألماني لي باريس حول السار - ايطاليا
والألمانيا تضمين الى ميشاق بروكسل (٢٢) - تشرين
الثاني : بدء ثورة الأوريس (١) - هول ليجيب في
مصر (١٤) - بدء حملة بيجرون على لالسيروس
(٢٥) - كانون الاول : ميشاق الأمن بين الولايات
لمحقة وفومونا (٢) - استقلال دول الهند الصينية
مستقلا تماما (٢٩) - فرنسا تيرم اتفاقات باريس
٢٣ س - بت بانظار « قروو » .

١٩٥٥

شباط : سقوط وزارة مندس فران (٩)
وحلول انصار فور مسه (٢٤) - مانتكوف يستبدل
بالمرشال بولفانين في رئاسة الوزراء في الاتحاد
الاصرياني - معاهدة تحالف بين تركيا ويران عقد
في بغداد (٢٥) نيسان ترشيل تقدم استقالته
من رئاسة الوزارة (٥) - مؤتمر الدول الإلبرو

اسبوية في بانكوف (١٨ - ٢٢) - أيار : التهام
الكثرا (الى ميشاق بغداد (٢) - إعادة السيادة الى
ألمانيا (٥) - ألمانيا الاتحادية تنضم الى الحلف
الاطلسي (٦) - انتخابات عامة في كندا جنت
مؤيدة لحزب المحافظين (٢٦) - رحلة بولفانين
وغروريشيف الى بمراد (٢٦ - ٢ حزيران) - الكثرا
تنحلي من مواهبها على كتلة الموسيس (١٨) -
التهام ايباكشان الى ميشاق بغداد (١) - إعادة
السيادة الى النمسا (٢٧) - أب : قطع العلاقات
الدبلوماسية بين الهند والبرغال حول خوا (٢٠).
أيلول : سقوط الرئيس بيجرون في الأرجنتين
(٢٩) واستبداله بحكومة يرتمها الجنرال ايبانودي
(١) - ارجاع الاتحاد امريكاني مدينة بورخالا
لفنسيا (٢٠) تشرين الاول : اعلان استقلال
جمهورية فيشام الجنوبية (٢٦) - اضطرابات عنيفة
في قبرص (٢٨) - تشرين الثاني : إعادة مصيد
الخاص الى حربه في المغرب (٥) - اعلان استقلال
المغرب (٦) - حل الجمعية الوطنية الفرنسية
(٣٠) - كانون الاول : رحلة بولفانين وغروريشيف
الى بنومبا (١) - ٧ : انسحاب نقابة الممسك
الأمريكيين ومنظمة العمل في اتحاد وأحسد (٢) -
تشكيل اللجنة الصهيونية في فرنسا استعدادا
للانتخابات النيابية (٦) - اعلان استقلال جمهورية
السودان (١٩)

ل. بروفيني : ميثلو - : الامام باردن : موت
راكب الدراجة ، وفيلم م - واي : الأب يتشالي .

١٩٥٦

كانون الثاني : استقلال اسودان (١) - تشرين
حظ يكون موسكو (٤) - أيار في حوبه للورارة
في فرنسا (٢٩) - شباط : مظاهرات في مدينة
الجواثر ضد زيارة رئيس مجلس لوزراء - واستقالة
المقيم العام الفرنسي كاترو (٦) - تأسيس المنظمة
الاروبية للطاقة الكهربائية (دورانون) من قبل الدول
أيس (١) - المنح للوزير المشرع الحزب
الشيوعي في الاتحاد السوفياني (١٤) وخطباء
غروتشوف وميكويان ضد هيئة التفضية - آذار
جنوب باشا قائد الجيش العربي يطر من الأردن
(١) - آذار الثانيون - الجلاء للاطوار لوالمة عبر
لنصار (٢٢) - اعاده الاعتبار الى لارلو راجيك
في حقونا (٢٩) - بيان : بورقية يؤيد أول
وزارة في تونس (٤) - حل منظمة لتومطورم
(١٧) - دياره بولمدين وغروريشيف ببريطانيا
لنكس (٨) ٢٧ أيار : معاهدة بين فرنسا
والهند تنحلي فرنسا عن مستعمراتها في الهند

للاتحاد الهندي (٢٨) . حوربان : المارشال ليتو يقوم
 برحلة الى الاتحاد السوفييتي (٢ - ٢٠) - اضطراب
 عام واضطرابات دامية في يوربان (٢٨) . لوز :
 لقضاء ناصر نهرود ليتو في برودي لوضع اسم
 الاتحاد الايطالي (١٧ - ٢٩) - الولايات المتحدة
 الاميركية تصعب عرضها بتحويل نائب الحامي
 (٢٦) ، أب : اعادة الاعتبار الى غوموكا (٤) واعداد
 عضويته في اللجنة المركزية للحزب السوفييتي
 امسوح (١٩) . نظريين الاول : احلال ٥ مشاك
 تشاور ٤ محل مشاك رجعة العمل المقود عام
 ١٩٤٦ بين الحرب الشيوعي الايطالي والحرب
 الاشتراكي الايطالي (٤) - معاهدة سم عقد بين
 اليابان والاتحاد السوفييتي (١٦) - ايري ساجي
 يرأس حكومة متعادلا (٢٤) - الثورة في هنغاريا
 (٢٨ - ٢٨) - اسرائيل تهاجم مصر (٢٩) - فرنسا
 وانكسرتا تملان مصر لوقف القتال مع اسرائيل
 (٣٠) . نظريين الثاني : تأليف حكومة الحاد وطني
 في هنغاريا (٣) - تدخل القوات السوفييتية (٤)
 - هبوط المظليين الفرنسيين والانكسار في مصر
 وانزال جيوش في يوسيد - اعادة انتفاضة الرئيس
 ايزيدور (٦) - انطوني ايدن يتصل حسن ولادة
 انشورن الخارجية ليطال (٢٠) كاتون الثاني : غرب
 وانكسرا تسحب قواتها من مصر (٢٤) - ميذا
 ايزيدور (٢١) .

الظام اوتان - لرا : اجتياز باريس ، وكوتوسال
 عباس الصمت ، لاموريس المتطرد الاحمر ،

الروسي (٢٢-٢٩) . لوز : اميركا تقدم اللذين
 مساعدات اقتصادية وعسكرية (١) - اعلان استقلال
 تونس وانتخابات بوزفوية رئيس نيلا (٢٥) .
 أب : تمضي لجنة الفرنك ٢٠ (١٢) - اعلان
 استقلال مايزيا (٢٦) . ابول : اضطرابات تنصرية
 عند الزموج في ليتل دوك اركنحو (٤) - المرحال
 ليتو يترقب محدود الاودير - النايبي (١١) - سود
 الحرب اندمقراطي المسيحي باكتيرة المقلد في
 الانتخابات العامة في ألمانيا الغربية (١٦) . نظريين
 الاول : اطلاق القمر اسوفييتي سيوتيك (٢) -
 نظريين الثاني : اطلاق القمر سيوتيك الثاني .
 الاشتراكيون الديمقراطيون يوزون بالانكسار الطفلة
 في مجلس هبورج (١٠) - صند انكسار بوزفوية
 سربان خدمتهما لحل قضية البوار (٢٢) - المار
 القاتون : الاطار للجزائر في الجمعية الوطنية (٢٩)
 فوز حزب العمال في انتخابات ميوزيلندا (٣) .
 كاتون الاول : مقروح دابانسي يرمي لانشاء منطقة
 مولا من الطاقة القوية في اديوبا الوسطى (٩) -
 مؤتمر القاهرة الرسمي للفرسان الافرو اسويدي
 (٢٦ - ٢٨) .

ليلم ويند كبير * باب البليكي ، وليم لندا :
 كمال وليم انصار برشان * المارولة البرية ،
 وليم كاتروف : هندسة عمر المقاتل .

١٩٥٨

كاتون الثاني : انشاء حلف الهند الغربية (٣)
 - السير انولد ميلادي يبلغ القطب الجنوبي (٢) -
 حادث سافية سيني يوسف : دخول دورية فرنسية
 الاوغسي القوسية فتقتد ١٤ قبلا (١) مقودين (١)
 خريطة مرفوعة الى الاسم المتحدة عند التجارب
 الدرية يوشه ١٩٢٥ هذا (١٣) - ثورة في فنزويلا
 فتقع بيريس خيمس (١٤) . شياط . اعلان الوحدة
 بين سوريا ومصر تنضم اليها اليمن في (١) -
 الطيران العربي يقتصف من الجو سافية سيني
 يوسف (٨) - تشكل الحلف العربي من العراق
 والاردن (١٤) . اذار : اطلاق الصاروخ الاميركي
 تنقاره الاول ١٧٧ - ثورة فيل كاسترو في كوبا
 ضد دكتاتورية الرئيس يانسا (١٧) - الملك ابن
 السود يتنقل من الملك لاجيه الامير فيصل الثاني
 لمر (٢٢) - توقف الاتحاد السوفييتي عن حيازة
 الدرية والتساج الاسطة الدرية المدمرة (٣١) .
 ميسان : قبول الحكومة الفرنسية بنتائج مهمة مؤدي
 بيلي وخناسا (١٢) - مؤتمر امرا لفلول
 افريقيا (١٥ - ٢٢) - مؤتمر افريق في طنجة
 (٢٧ - ٢٠) . ايار : بدء الاضطرابات الدامية في

١٩٥٧

كاتون الثاني : هنولد مكملان يؤلف الوزارة
 البريطانية (١٠) - مصر ترم المصارف وشركات التأمين
 والشركات التجارية الكبرى (١٥) - انتخابات عامة
 في بولونيا موانية للرئيس غوموكا (٢٠) - مارس -
 اللطية العربي يتال استقلاله باسم افانا (٥) -
 مؤد المصورين في ولاية كيرا في الهند (١٤) -
 الضام دوليات المتحدة الاميركية لشوية (لجنة
 العسكرية في حيدرآباد (٢٢) - فوز الحزب ودا .
 في الانتخابات العامة في افريقيا الفرنسية وفي
 مقاطعة افريقيا الغربية الفرنسية ومور الوطنيين
 ب مافسك (٣١) . نيسان : اصابة شبح ترعة
 السويس للملاحة الدولية (٨) - انايا بيوم الثاني
 مفر طين صرغته للتعذيب (١٢) - انقلاب في الاردن
 موال للرب ، والمليك حسين يفر في دكتاتوريته
 (٢٢-٢٨) . ايار : سقوط حكومة في موليه (٣١)
 حوربان : اعراج مولود ، ومانكوف وكراغانوفيتس
 وسيليم من عضوية اللجنة المركزية للحزب الشيوعي

٨٨٤

لبنان (١٥) - ثورة لواء الجيش ودمشقيين في مدينة الجزائر ضد حكومة فلان (١٢) - اروس يطلون نائب ثمر اصطناعي ولده ١٢٢٧ كيلو غراما في مدار الارض (١٥) - وزراء فلان تقدم استقالته (١٨) - تأليف لجنة السلامة العامة في الجزائر للجماعات على الجزائر والصحراء (٢٣) - حيزون : استقال ديول بتولي الحكم في فرنسا (١) - اقرار المجلس الوطني للسلطات المظلمة والقانون الدستوري (٢) - الصلة الاتحاد السوفياتي لغرض تسليم التكنولوجيات للثورة ١٧-١٨ : الامتلاك تصبح الولاية التامة والاربعين في الولايات المتحدة الاميركية (٣٠) - تموز - تشوب الثورة في العراق واطلاق الجمهورية ١١ - آب - المواصلات الدولية الاميركية تقوم برحلة لعب الحديد عبر المنجم النحاسي من المحيط الهندي الى المحيط الاطلسي (٣) - بدء الهجوم الكبير الذي قام به فيل كاسرو في كوبا (١٢) - ايلول - تشكيل الحرس الوطني في الجزائر (١٥) - تشكيل حكومة الجزائر الحرة في القاهرة (١٦) - استفتاء في فرنسا حول تعديل الدستور (نعم ٧٩،٢٥ لا ٢٠،٧٥) - القصة تفرغ (٢٨) - تشرين الاول - اعلان جمهورية مضاف (١٤) - الكويت تنضم الى عضوية الجامعة العربية (٢٦) - تشرين الثاني : الانتصارات النيابية في فرنسا (٢٣ - ٣٠) - اعلان جمهوريات السودان والكونغو واستغال والتشاد والهايتي وجمهورية انصار في الوحدة الفرنسية (٢٤-١٦) - انقلاب عسكري يقوم به اللواء عبد في السودان (١٧) - كانون الاول - اعلان استقلال جمهورية الرقبة الوسطى (أوغندي - تشادي) وجمهورية اشاطيه الاحبي والداومي وفولتا اسيا امضاء في اوجدة الفرنسية (١١ و ١٢) .

سيجون دي يولواي تشر كتابه : مفكرات فتاة منتظمة - وكوماسي دي لموسيا الفيلد ، ومغريت فوداس - حوبرالو كتابيه ، ولورانس دوريل : بنطاز ، وستراد : الدكتور زطافو - افلام بونفانوشو : عندما تم اللقائ ، وحيتال كريم : انتصافون ، ولويس مغل : الصفاق .

١٩٥٩

كانون الثاني : انتصر الثورة التي اعلنها فيل كاسرو في كوبا - اطلاق اول صاروخ روسي بالصاروخ القمر - اضطرابات دامية في ليويونديبل (٢) - لسم اجترال ديون منطاله استمرورية وليسا ندمهورية وتسلم ميشال دوريه رئاسة الوزارة (٨) - تأليف الداومي وفولتا الفيلد ، التي انسحبت فيما بعد في اذار ، واستغل والسودان للاتحاد ساني

(١٧) - الاتحاد السوفياتي بين الدول الاربع التي الت من قبل اقرتها الاستراتيجية الروسية - الانقسانى الانكليزي التركي اليوناني حول استقلال قبرص (١٩) - اضطرابات ولال في روديسيا افريقية (٢٦) - اذار : جور هاواي تزلزل الولاية الاسيركية القسيس (٢٢) - تدخل الصين في التيت ولجود اسلافي لاما في الهند (١٦ - ٢٤) - ايار - اجتماع لجنة دول الاتحاد المؤلفة مع اشاطيه الاحبي والفيلد اسلبا والداومي (٦ - ٧) - حيزون : نجاح الناصر اسيرة للديمقراطية المسحبة في صليب (٧) - جمهورية ارجنتين تدشن سيلة مختلف النحاسي ١٢٤ - تموز : اطلاق صاروخ سوباني جديد يحمل كليلين وارمب وعادته (٢) - تشكيل جمعية اوروبية للتبادل التجاري الصر ٧ دول متوكلون) تتألف من بريطانيا النمطى وسويسرا والنمسا ومنصافه والسويد والنرويج والبرتغال (٢١) - آب مؤتمر سبع دول افريقية مستقلة في موروميا اسلا ايلول صاروخ سوباني يسل على سطح القمر (١٢) - رحلة خروفيلد الى الولايات المتحدة (١٥) - اغتراف الجبرال ديون بحق الجزائريين بتقرير مسيرهم (١٦) - تشرين الاول : اطلاق نوبك الثالث في ٢ منه الذي يدور حول القمر وباعث صراا للجاناب الظلم منه (٧) - انتصار حزب المحافظين في الانتخابات النيابية البريطانية (٨) - اطلاق الصاروخ الاميركي اسبيورد (١٢) - الحكومة البريطانية قد باتامسة حكومة مسئلة في الكونغرس عام ١٩٦٠ (١٦) - حالات الحدود بين الهند والصين في لاداج (١٢) - تشرين الثاني : مؤتمر الاكستراكي الانلي بسلف عن الاملاجات لدمشورية وقيل الكسبة عن الدولة (١٣) - كانون الاول : اقرار المجلس الوطني للقانون الذي ينص على مساعدة المدارس الخاصة في فرنسا (٣٠)

حيزون - سبارو يسل كتابه - محبورو الترد - والين روب غرليه اسبه - ول دوريل - جيل الزيتون - ولاني سالات : انكليزاريوم - و اوه جونسون : الصعود - ومارسل كامو يعطي ليليه المعتون : اورفين ميمرو - وجان دوس : اما زيمي ،

١٩٦٠

كانون الثاني : استقلال الكامرون ، وبسده انعمل بالفرنك الفرنسي الجديد (١) - الجيش يتسلم الحكم في الاوس (٢) - بدء الانسحاب بسد اسوات (٩) - الفاء وزارة الداخلية في الانصار السوفياتي وتحرير ملاحياها لوزارات الداخلية في الجمهورية التي بتألف منها الاتحاد (١٢) - معاودة

تورده يقوم بها المفاوضون في مدينة الجزائر (٢٤) -
 طارلة مستديرة في بروكسل حول الكونغو (١٩٥٥) -
 (٢٥/٢) - مؤتمر أنبول الأفريقية الثاني عقد في
 تونس (٢٥) - شهاب : استسلام الثوريين في الجزائر
 (١) - المجلس الوطني يقر السلطات المخلقة لحكومة
 دوبريه (٢) - آذار : التبع بسبب مظاهرات الزلوج
 في اتحاد جنوب إفريقيا (٢١) - تشكل حكومة
 فرومديزي في الانتدابات اسعة في الأرجنتين (٢٢).
 بيسان - احتلال الصلواخ تيروس الاول الذي يقوم
 بتصوير الأرض مع البحر (١١) - المؤتمر الإفرو آسيوي
 في كوباكري (١ - ١٥) - اضطرابات في كوريسا
 الجنوبية رقم سيفيان دي على الاستقالة (١١-١٧)
 - استقلال انطوخو (٢٧) - الأمة سياسية في تركيا
 وانقلاب عسكري (٢٧ - ٣٠) - أيار : أسوأ غيبات
 يسقطون طائرة ميسر اميركية يو ٢ فوق أراضي
 الاتحاد السوفياني (١) - ملك العرب يحكم الحكم
 ويؤلف وزارة برئاسة (٢٦) - اطلاق سبوتنك
 الرابع (١٥) - قتل مؤتمر الدعوة (١٧) - حزيران :
 مظاهرات معادية للاميركيين في اليابان ، والقاد رحبة
 (تريس ايرداور اليها (٦ - ١٦) - مؤتمر الدول
 الافريقية المستقلة في اديس ابابا (١٤ - ٢٤)
 الاتحاد اتطاري الطريق الامم العتود بين كوبا والامم
 السوياني (١٨) - استقلال مالي (٢) - مفاوضات
 ميون مع ممثلي ثوار الجزائر ولشها (٢٥ - ٢٨)
 - استقلال منشنكر والصومال (٢٦) والكونغو البينكر
 (٣٠) - تموز : اطلاق وامادة صمدوخ روسي حجمه
 ٢١٠٠ كغ وفروم يصل حيوانات (٤) - يده الاضطرابات
 الدامية في الكونغو البينكر القديم (٦) - وبغل
 القوات البليجيكية ٢٩ - انفصال كاتنفا (١١) - تموز
 الامم المتحدة (٢٤) اضطرابات في روديسيا الشمالية
 (٣) وغولفا العليا (٥) - وشاطره الحاج (٧) - تشاد
 بلجكا الى سحب قواتها في الحال من الكونغو (٩) -
 الاتحاد السوفياني يطلق صمدوخا جديدا لريادة الفضة
 (١٦) - انفصال مالي (١٩ - ٢٠) - حكومة الجزائر
 المرتدة تقترح القيام باستفتاء شمس تحت اشراف
 الامم المتحدة (٢٢) - اتفاق تعاون التصادي وقسي
 وعقد اتفاق تجاري بين قارة والامم المتحدة افريقية
 (٢٨) - تشرين الاول : استقلال اتحاد ميجيريا (١) -
 تشوب ازمات سياسية في كسل من ليكاراتشواي
 وكوبيك وفنويلا وكوسو ديكا والسلفادور وفرانكو
 - اضطرابات في البرازيل ولي الأرجنتين واشيلي
 تشينر حتى تشرين الثاني - تشرين الثاني : الجنرال
 ديمول يتكلم من « الجمهورية الجزائرية » (٤) -
 لوز كندي مرشح الحزب الديمقراطي في الانتخابات
 الرئاسة في الولايات المتحدة الاميركية (١١) - محاولة
 انتقام بشوة عسكرية في نيتام الجنوبية (١١-١٣)
 كانون الاول : فشل الثورة في النيبيا (١٤ - ١٦)

لورانس دوريل ينشر كتابه « كايا » وارنست
 سون سمنون معبر ١٠٠٥ - فيم جان لبون
 خودار على آخر نفس ، وفيلم فريديريكو فالسي
 الحياة المثيرة ، وفيلم انطونيو : الماهرة ، وفيلم
 ج. شوكراني : العودة الجندي .

١٩٩١

كانون الثاني : استفتاء فرسي يؤيد سياسة
 ديمول تجاه الجزائر (١٨) - جاليو كوافروس ينتخب
 ريسا للبرازيل (٣١) - شهاب : اطلاق صمدوخ
 سبوتنك روسي وزه ٦٤٥ اطنان وقمر اصطناعي
 روسي (١١) - ثيوت مقتل لومومبا (١٢) - لبنان :
 بدء قضية احواف ايتشان (١١) - يوري غاغارين
 يسبح في البحر لاول مرة لمدة ٩٩ دقيقة (١٢) - محاولة
 نزول لاسلة في خليج كوشون في كوريا (١٧) -
 حركة انقلاب عسكري في مدينة الجزائر تصرف بحركة
 القوات الازمية (٢٢ - ٢٥) - اعلان حالة الطوارئ
 والاضراب العام (٢٤) واستسلام الجنرال فسل -
 اتحاد جنوب إفريقيا يخرج من رابطة الامم
 البريطانية (٣٠) - أيار : دالة القتل الاميركي (١٥)
 شيرت يقوم بأول محاولة طيران غير الفضا (٥) -
 - بدء المفاوضات في ايتان (٢٠) بين الحكومة
 الرسمية والحكومة الجزائرية واجيبه الى ١٣
 حزيران - نقل رايال فروغولو (٣٠) - حزيران :
 استقلال الكويت (١٩) - تموز : اشعيكات دامية
 مع توسي بلمان بنزوت (٤ - ٢٣) - استئناف
 المفاوضات بين فرنسا ومندوبي حكومة الجزائر في
 لغرين (٢٠ - ٢٨) - أيار : الطيف الروسي
 لينول يرسم ١٧ دورة حول القمر في حربة الفضائية
 فوستوك ٢ (٧) - المباشرة باقامة « جدار » برلين
 (١٢) - اشتغال جاليو كوافروس (٢٥) واستبداله
 بـ جو فواز (٨ ايلول) - ايلول : محاولة امتداد
 فاختة عبد الجنرال ديمول (١٨) - القاد الوحدة بين
 سوريا ومصر (٢٨) - تشرين الاول : فوز حزب
 المداة في تركيا (١٥) - تشرين الثاني : انقلاب
 عسكري في جمهورية الكوادور (٧) - الحكومة
 التركية الجديدة برئاسة عصمت يبولو (٢٠) - كانون
 الاول : استيلاء القوات الهندية على الممتلكات
 البرمانية - خوا دماما وديو في الهند (١٧) .

الظلم : رسمه : السنة الماضية في حريزاد ،
 وفيلم « وايو وروينز : قصة وست سايد » و « لـ
 بوبويل : ليريدياتا »

الثالث ولشرون يستقبل امجوساي ، سجر
خروتشيف في مقابلة خاصة (٢٧) . نيسان : محاولة
تقيام ثورة عسكرية في الأرجنتين (٢٨) - نشر ابراهم
الجابوية ، السلام على الارض (٢٩) ، ايلول
عدم ايرين الشرقية ومميا ذلي جمهورية انجوساي
(٣٠) - مظامرات ابيوديين في فينتام الجنوبية ضد
حكومة ديم (٣١) - سلاح حربية طيران غوردون
كوتير بعد ان قام بـ ٢٢ دورة حول الارض (٣٢) -
(٣٣) - حوران : قومتوك * وقوسنوك ٦ وعلى ملك
الاسير رائدة الفضاء فليندا تروشكوف يودلن
للارضي بعد لصاد ١٩٦٠ ساعة في الفضاء (٣٤) -
استغاب پولس اسامس بيا (٣٥) ، آب : محاولة
انقلاب ضد لوكرت پولو رئيس جمهورية الكونغو
(٣٦) - ايلول - استقلال ماليزيا (٣٧) - الجيش
يسنم الحكم في الجمهورية اندونيسية (٣٨) - يده
النسوة اثانية للمجمع الفايكالي اثاني (٣٩) .
تشرين الاول : انقلاب عسكري في جمهورية
هوندوراس (٤٠) - الحرب بين القوات الجزائرية
والقوات الغربية بشأن الحدود (٤١) - مع ٢٠ - ٢٠
- انفصال القبيلة من حكومة بن بيل (٤٢) -
تشرين الثاني : انقلاب عسكري في صايون يعضى
ابن مقنبل الرئيس ديم واخيه (٤٣) - جويج
بايندرويشيكل حكومته في الينا (٤٤) - مقتل الرئيس
كدي في دالاس (٤٥) ، كانون الاول : تشكيل حكومة
من قلب واليسر بدلها ليه موروني (٤٦) - لسي
اطاليا - استقلال رومانيا (٤٧) وكوبا (٤٨) - سيمون
دي بولوار تشتر : قوة الانبياء .

كانون الثاني : حوادث دامية في بنما لثني
الى قطع العلاقات الدبلوماسية مع الولايات المتحدة
الاميركية (٤٩) - حركت حرد في تنانكاوكيا تقطر
مها القوات البريطانية للتدخل (٥٠) - شباط :
انقلاب عسكري في انمايون يقطر القوات الفرنسية
للتدخل في الامر (٥١) - نيسان : انريش غولار
واطراره الى احتلال الحكم لنام معارمة اليمين
في البرازيل - تموز : استقلال ملاوي (٥٢) قدما
ميسلانك (٥٣) - اطلاق الصاروخ الاميركي رايشر ٢
الذي دخل ٢٢٦٦ صورة قبل ان يتحطم على سطح
البحر (٥٤) - ايلول : انتخاب ادورد لراي من حزب
الديمقراطيين المسيحيين رئيسا لجمهورية الفلبين
(٥٥) - الميرة الثانية للمجمع الفايكالي الثاني (٥٦)
- استقلال مالطا (٥٧) - احتلال الرومي نامرية
العنانية فوسنوك حمنة ثلاثة رواد (٥٨) - سول
خروتشيف واستبداله ببريجنيف وكوسيجين (٥٩) -

كانون الثاني : مؤتمر المنظمة الاميركية الاقتصادية
في بوينس آيس (٦٢ - ٦٣) - آذار : اطلاق
الصاروخ الاميركي فيتن الثاني الذي يسبح مساء
٨٠٠٠ كلم (٦٤) - عقد التفاعلات ، بيان مع حكومة
الجزائر (٦٥) - والتوفد من الثالث يصيغ نهائيا
(٦٦) - انقلاب عسكري يجبر الرئيس فردنيري في
الارجنتين وحكومته على الاستقالة (٦٧ - ٦٨) .
يسان : استفاد حول سياسة الحكومة في الجزائر
ورأييد الشعب الفرنسي لها بنسبة ٤٧ ٪ من
امرات القترعين (٦٩) - تعيين لسيه برسيديو رئيسا
للوزراء (٧٠) - الصاروخ الاميركي رايشر الرابع معطى
بوجه القمر الظلم (٧١) - تموز : استفتاء الشعب
في الجزائر حول الاستقلال يؤيده ٩٩.٩٩٩٠٠٠ من
اصن ٦٠٠٢٤٤٠٠٠ (٧٢) - اطلاق القمر الصناعي
الاميركي للسفر من كاب كالا ليرال يتيح لاوروسا
التقاط الاشعرات المرسة من الولايات المتحدة (٧٣)
- الطيرة الصاروخية (٧٤) - ١٠ ارجل في الجو الى
حو ٩٢٤٠٠٠ متر (٧٥) - انقلاب عسكري في البيرو
(٧٦) - آب : استقلال جامايكا (٧٧) - اطلاق فوسنوك
٢ ولوسنوك (٧٨) - لنيل محاولة قتل ضد الجنرال
ديول في بني كلامر (٧٩) - استقلال اثريشتي
وهوروفو (٨٠) - ايلول : رحلة الجنرال ديمول الى
اميا (٨١ - ٨٢) - تشرين الاول : افتتاح المجمع
انمايكان الثاني (٨٣) - هجوم الصينيين على المواقع
الهندية ، الواقعة على حدود القطاع الشرقي (٨٤) -
حصار بحري حول كوبا حيث ركزت قواعد لاطلاق
الصاروخ السوفياتية (٨٥) - خروتشيف نامر بسحب
كل الاسلحة الهجومية من كوبا (٨٦) - اعلان
الجمهورية في الين وانتخاب الجنرال ملال ديا
لها ، تشرين الثاني : لوز الاتحاد الوطني للجمهورية
في الانتفاضة الشابية ، وانتاع هلد كير من
التصويت (٨٧ و ٨٨) - ريل الحصار الاميركي عن
كوب (٨٩) .

يوم الخميس قاردا : كليوم ٥ - ٧

كانون الثاني : مؤتمر صحفي للجنرال ديمول
على التفكير ان تنضم الى معاهدة روما بدون اي
تحفظ (٩٠) - تاجين الى اجل غير مسمى المعارضات
بين بريطانيا وبول السوق المشتركة (٩١) - شباط
الانقلاب عسكري في العراق وقتل اللواء قاسم (٩٢) ،
آذار : احزاب عام لصال المتاجم في الشمال وفي
الفرجين بالرغم من امر اصابوا (٩٣) - (الباب بوحنا

انقسام شريك يحقته حزب الشمال في انكلترا يؤدي
الى حكومة وطن - الهند جمهورية تنزانيا من صنع
تفانيكا ورجبار (٢٩) - تشريع الثاني : انتخاب
لنكون جوسون رئيسا للولايات المتحدة الاميركية
(٣١) - ثورة عسكرية في بوليفيا (٣٢) - اطلاق الولايات
المتحدة الصاروخ لوبد ٢ نحو المريخ (٣٠) .

١٩٦٥

كثيرون الثاني : لأجل المؤتمر الافرو اسيوي
القرار عقده في مدينة الجواكر مرتين (الاولى في ١٣
والثانية في ٢٠ لاجل غير مسمى) - انتخاب
اندونيسيا من عضوية الاسم المتحدة (٣١) - وفاة
السير ولفي كلفيل (٣٤) - انقلاب عسكري في
فينام الجنوبية (٣٧) - شيان : خروج فرنسا وحدها
من قاعدة الذهب (١١) - اطلاق وايتجرم الذي
يتسلم على القمر في ٢٠ (١٧) - استقلال شيبا (١٨)
- انقلابات عسكرية متوالية في صايغون (١٩ - ٢٢)
- مظاهرات ضد كبير من الطلاب في مدريد (٢٤) .
الار : فوز الحزب الديمقراطي المسيحي في
الانتخابات العامة في النمسا (٢٧) - لوبد انصار
بيرون والحزب المنتصر بالانتخابات العامة لسي
الارجنتين - مقتل الجنرال دالجادو رئيس المعارضة
في البرمال (٢٤) - والد الهند الروسي لبروف
يخرج من مدينته موسكو ٢ وهو مائل في الفضاء
(١٨ - ١٩) - الاميركيون يأخذون بفضله ليهللم
الفضائية يرمي (١٩) - فوز المعارضة في الانتخابات
البلدية في فرنسا (١٤ و ٢٢) - هياج في الدار
البيضاء والرباط وللم (٢٢ - ٢٣) - اطلاق العربية
جيميني الثانية وعلى منها والمان فضائيان (٢٣) .
ليبسا : وفاة بيترولين ليليا (١٧) - ثورة عسكرية
في سان دومينك تساقطها القوات الاميركية (٢٤) .
ايفر : فوق الجبهة الروندية في الانتخابات العامة
(٧) - فاسفون نيغري يشرح انشاء تحالف يشمل
الاشتراكيين والمسيحيين الديمقراطيين (٨) - اطلاق
الروس للمرة الفضائية لونا ٤ التي تنظم على سطح
القمر في بحر الخيول (٩) - تفجير القنبلة النووية
الميتية الثانية (١٤) - بريطانيا العظيم تأخذ
بالتظام الذي (٢٤) - تحية قمة نواد في صايغون

(٢٥) - مجلس الشيوخ الاميركي يقر قانون حق
الانتراع الفونج (٢٦) - حزيران : رافدا لفساء
اميركيان يخرجون في الهواء من كيرولا جيميني ٤
(٢٧ - ٢٨) - انقلاب عسكري جديد في ليتوانيا
الجنوبية : الجنرال كي يولف الحكومة (١٤) -
حول : لوبد أوروبا الفخرية ٤ (٣٠) - تصوق :
عربة الفضاء الاميركية مارينر ٤ ترمبل صورا عن
المريخ الى الارض - ملك اليونان يغير بانديرو على
تقديم استقالته (١٥) - العربية الفضائية لوبد ٣
هواري يومدين يلقب بن بيلد ويستولي على الحكم
(١٦) - فشل المفاوضات التي دارت في بروكسل
تأخذ صورا لوجه القصر المظلم (١٨) - ك٣ : دولة
سفالمورا تنسحب من اتحاد ماليزيا - نصوب
الحرب بين الهند والباكستان حول قضية كشمير
(٢٠) - اضطرابات عنصرية في لوس انجلس (١١) -
١٨ : الرائدان الفضائيان غويدون كويس وشارلز
كوبارد يغريان رقبا لباس في مدي الطيران على
من العربية جيميني ٥ (٢١-٢٩) - ايلولا : دخول
القوات الهندية باكستان (٢٠) - فرسموا ميثران
يرفع نفسه للابره (٩) - الحزب الاشتراكي القروحي
تخسر من الحكم في البلاد بعد ان استغنى به ٢٠
سنة (١٣) - اعلان وقف اطلاق النار في باكستان
(٢٢) - تشريع الاول : حزامرة في النوليسيا ضد
الرئيس موكارو (١١) - تشويي يترك رئاسة الوزارة
في الكومو لكيبا (١٣) - الصباح للهيئة العمل في
الصالح في فروط مدينة (٢٣) - دكتاتورية المارشال
كستار برلكو في البرازيل (٢٧) - خلف مهدي بن
بركة في باريس (٢٩) - تشريع الثاني : بوديسيا
تعلن استقلالها من جالب واحد على يد ايان سميت
وانكلترا تعرض شعها عقوبات ادارية واقتصادية (١١)
- الجنرال مويرو يستولي على الحكم في كونمو
نيبولدييل (١٤) - كثيرون الاول : القمر المتعاصي
لونا ٨ تنظم على سطح القمر - نجاح تجربة
الطيران السردوج لجوميني ٦ وجيميني ٧ (١٥) -
صالح الاصوات في انتخابات الرئاسة : لم يصل
الجنرال ديول سوي ٤٤١٩٤ من اصوات الناخبين
(٥) - اعادة انتخاب الجنرال ديول يميل ٤٤١٩٤
من الاصوات مقابل ٤٤١٩٠ لفرسوا مقبران (١٩) -
انقلاب عسكري في الداومس (٢٢) وفي جمهورية
افريقيا الوسطى (٣١) وآخر في لولدا العليا في ٣
٢٥ ١٩٦٦ - ارغون ينشر رواية لتليل الاعمال .

جدولت الاعلام

الاتحاد القديم ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٣ ، ٥٢	١
الاتروسك ١١٦	آرال ، بحيرة ٥١٩
اثينا غوراس ، الطيريك ٣١٥	آديب ، هانر ١٢١ ، ١٢٣
اثيوبيا ٧١٣ ، ٨٣٠ (أنظر أيضا الحبشة)	آسيا ٤٢٣ ، ٤٤٣ ، ٥٧١ ، ٦١٨ ، ٦١٩ ، ٦٢٢ ، ٦٦١ ، ٦٦٢ ، ٧٣١ ، ٧٦٦ ، ٨٢٤ ، ٨٢٦ ، ٧٦٦
احمد آباد ٦٣٦	آسيا الجنوبية الشرقية ٢٥٨ ، ٤٠٨ ، ٦٣١ ، ٦٤١ ، ٧١٣ ، ٧٤١
احمد ماهر ٦٨٨	آسيا الوسطى ٤٤٥ ، ٤٠٨
اديرة ٦٧٥	الامك ٤٠٨
ادلو ٤٨٩	الامود ٢٦٨
اديس ابابا ٧٦٣ ، ٧٦٦	اين باديس ٧٠٧
الاذاعة والتلفزيون ٤٧٤ - ٤٧٥	اين السعود ، الك ٦٧٩
ادريجان ٢٧٢ ، ٢٩٥ ، ٢٩٨	اين عرفة ٧٠٩
ارافون ١٢١	ايندجان ٧٢٥
ارامكو ٦٨٣ ، ٦٨٤	اتحاد جنوبي افريقيا ٦٢ ، ١٣٥ ، ٧٢٠ ، ٧٢٥ ، ٧٢٨ ، ٧٣٨ ، ٧٥٦ ، ٧٥٨
الارجنتين ١٤ ، ١٩ ، ٥٦ ، ٦١ ، ٦٦ ، ٦٩ ، ٧١ ، ٧٢ ، ٧٣ ، ١٣٦ ، ١٣٧ ، ١٤٥ ، ١٥٩ ، ١٦١ ، ١٨٦ ، ٢٤١ ، ٤٢٣ ، ٤٤٩ ، ٤٥٤ ، ٤٦٥ ، ٥٨١ ، ٥٨٢ ، ٥٩١ ، ٥٩٢ ، ٥٩٨ ، ٥٩٩ ، ٦٠٢ ، ٦٠٣ ، ٦٠٤ ، ٦٠٦ ، ٦١٦ ، ٦١٧ ، ٦٢٣ ، ٦٧٤ ، ٦٧٥	الاتحاد السوفياتي ٦٨ ، ١٣٦ ، ١٨٠ ، ١٩٢ ، ٢٠٦ ، ٢٤٣ ، ٢٦١ ، ٢٦٢ ، ٢٦٧ ، ٢٦٨ ، ٢٦٩ ، ٢٧٠ ، ٢٧٨ ، ٢٨٧ ، ٢٩٤ ، ٣١٤ ، ٣١٩ ، ٣٢١ ، ٣٢٣ ، ٣٢٤ ، ٣٥٣ ، ٣٦٤ ، ٣٦٩ ، ٣٧٢ ، ٣٨٨ ، ٣٩٠ ، ٣٩٥ ، ٤٠٤ ، ٤١٣ ، ٤١٦ ، ٤١٨ ، ٤٢٠ ، ٤٢١ ، ٤٢٢ ، ٤٢٤ ، ٤٦٢ ، ٤٦٦ ، ٤٧١ ، ٤٧٥ ، ٤٨٧ ، ٥٠٦ ، ٥١٣ ، ٥١٦ ، ٥٢٨ ، ٥٣٣ ، ٥٣٤ ، ٥٣٧ ، ٥٣٩ ، ٥٤٧ ، ٥٥١ ، ٥٥٣ ، ٥٥٥ ، ٥٦٤ ، ٥٧٤ ، ٥٧٥ ، ٥٧٧ ، ٥٧٨ ، ٦٠٢ ، ٦١٢ ، ٦١٧ ، ٦٢٥ ، ٦٤٣ ، ٦٤٨ ، ٦٧٨ ، ٦٨٣ ، ٧٨٥ ، ٨٠٩ ، ٨١٧ ، ٨٣٠
ارمنيا ٢٧٥ ، ٢٩٥	الاتحاد السوفياتي والازمة الاقتصادية ٢٨٥ - ٢٨٦
ارمين ، الجبال لون ٤٠٤	الاتحاد السوفياتي ونظامه السياسي ٢٩٤
ازبكستان ٢٧٥	الازمة الاقتصادية ٢٨٥ - ٢٨٦
الازمة الاقتصادية الكبرى ٨ - انفجارها	نظامه السياسي ٢٩٠ - ٢٠٤
وامتدادها ١٣ - مظاعرها ١٣٦ - نتائجها ١٤٤ - ثورة الازمات الاقتصادية ١٣٠ - ١٣١ - نتائجها الفكرية والاجتماعية ١٨٢ - ١٩٢ - نتائجها السياسية ٢٠٩ - ٢١٤ - الازمة الزامية ٧٥ - ٧٦	الاتحاد الفرنسي ٧٤٩ - ٧٥٠
ازمة (سنة ١٩٢٠) ٥٥	
ازمير ٦٨ ، ٦٧٥	
ازيكوبه ٥٢٣ ، ٧٥٤ ، ٧٥٩	

بورينو ٢٠٨ ، ٦٥٣

بوريس الملك ٢٣٨

البوسنة ٤٩

بوسنيا ٥٥١ ، ٥٥٣

بوشيان ٧٩٨

بوغوتا ٦٠٢

كوبوفينا ٤٤٥

بولس السادس ، البابا ٥١٠ ، ٥١٣

بوليا ٢٢ ، ٤٥ ، ٤٧ ، ٤٨ ، ٤٩ ، ٥٢ ،

٦٨ ، ٦٩ ، ٧١ ، ٧٢ ، ٥٨ ، ٨٦ ، ١٣٦ ،

١٣٧ ، ١٤٠ ، ١٧٥ ، ١٨١ ، ١٨٢ ، ١٨٤ ،

١٨٧ ، ٢٠٤ ، ٢١٥ ، ٢٢٦ ، ٢٢٧ ، ٢٤٨ ،

٢٥١ ، ٢٥١ ، ٢٦٤ ، ٣٧٣ ، ٣٨٢ ، ٣٩٥ ،

٣٩٧ ، ٤٠٥ ، ٤٢١ ، ٤٤٤ ، ٤٤٥ ، ٤٩٧ ،

٥٣١ ، ٥٣٢ ، ٥٣٣ ، ٥٣٤ ، ٥٣٩ ، ٥٤٥ ،

٥٤٦ ، ٥٤٧ ، ٥٤٩ ، ٥٤٩ ، ٦١٧ ، ٨٣٠ ،

بوليفيا ١٥٦ ، ٥٨١ ، ٥٨٢ ، ٥٨٤ ، ٥٨٦ ،

٥٨٩ ، ٥٩٥ ، ٥٩٦ ، ٦٠٢ ، ٦٠٩ ، ٦١٣ ،

٦١٧ ،

بولنديشري ٦٦٢

بولس ايريس ٥٨٢ ، ٥٨٧

بوهر ، نيلز ٧٨٧

بوهيميا — مورافيا ، محمية ٣٧٤ ، ٣٨٠

الوير ٧٣٨

بونكور ، بول ١٠٣

بورين ٣٠٨

بويه ، جورج ٩٨

الوهاوس ١٢٥ — ١٢٦

بوهر ، نيلز ١١١

بوهم ٤٩١

بيتان ، البارفال ٢١٢ : ٣٤٣ ، ٣٨٩ ،

٣٩١ ، ٣٩٠

بيتانكور ، رومولو ٥٩٦ ، ٦١٤ ، ٦١٥ ،

٦١٦ ،

بيشوف ١٢٠

بيراندلو ١١٨ ، ١٢٠

بيول هاريز ٣٥٨ ، ٤٠٦

بيرو ، فرنسوا ١٩ ، ٥٥٤ ، ٥٨٢ ، ٥٨٤ ،

البيرو ١٩ ، ١٥٦ ، ١٩٦ ، ٢٤١ ، ٥٨٤ ،

٥٨٩ ، ٥٩٦ ، ٥٩٩ ، ٦١٣ ،

بيرون ، جورج ٢٣٢

بيرون ، الرئيس ٦٠٥ ، ٦٠٦ ، ٦٠٨ ، ٦٠٩ ،

٦١٠ ،

بيشر ٣٩١

بيكاييا ، فرنسيس ١٢٠

بيكاسو ٢٠٠ ، ٣٠٩ ، ٤٩٥

بيس ، قانون ٦٥٧

بيهار ٦٤٥

بيلاكون ٣٧

البيجوت ٣٦٦ ، ٣٦٧

بيوس العادي عشر ، البابا ٨٦ ، ٢٣٣

بييلوروسيا ٣٧٢



التايميات ٤٦٨ — ٤٦٩ ، ٥٣٦ — ٥٣٧

التايميات في الصين ٥٦٩ — ٥٧٠

تاجيكستان ٢٧٥ ، ٢٩٥

تالاند (السيام) ٤٠٦ ، ٤٠٨ ، ٤٩٨ ،

٦١٨ ، ٦٣١ ، ٧٧٢ ،

تراب الشرقية ٦٨ ، ٦٧٥

تركيا ١٨ ، ٢١ ، ٤٥ ، ٥٢ ، ٦٨ ، ١٥٦ ،

١٧٥ ، ٢٦١ ، ٤١٨ ، ٤٢٠ ، ٤٢٢ ، ٤٢٨ ،

٤٨٠ ، ٤٩٨ ، ٥٥٤ ، ٦٢٧ ، ٦٧١ ، ٦٧٥ ،

٦٧٩ ، ٦٨٠ ، ٦٨٤ ، ٦٨٦ ، ٨١٦ ،

تركيا والحركة الاصلاحية ٦٧٥ — ٦٧٧

تروخولو ، الدكتور ٥٨٣

ترانسلفانيا ٤٤٤ ، ٤٤٥

تريستر ، الاميرال لون ٤٠٣

التركستان ٢٥٠

تركمانستان ٢٧٥ ، ٢٩٥

تروتسكي ٣١٦ ، ٣١٧ ، ٣١٩

ترومان ٤١٨ ، ٤٣٤ ، ٦٢٩

تريست ٨١

ترايا ، تربستان ١٢٠

تسانكوف ٢١٥

تشاد ٥٤٩ ، ٧٥٠

تشاكو ٥٩٦

تشرشل ٢١١ ، ٤١٧ ، ٤٦٢ ، ٦٢٢

تشميرلن ١٦٥

تشومبي ، موييز ٧٥٩ ، ٧٦٠

تيكوسلوفاكيا ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٧ ، ٤٨ ، ٤٩ ،

٥١ ، ٦٥ ، ٦٦ ، ٦٨ ، ٧١ ، ٨٦ ، ١٣٤ ،

١٤٠ ، ١٩١ ، ٢١٠ ، ٢٢٥ ، ٢٣٥ ، ٢٩٤ ،

٤٤٥ ، ٤٧٥ ، ٤٩١ ، ٥١٥ ، ٥٣١ ، ٥٣٣ ،

٥٣٤ ، ٥٣٩ ، ٥٤٥ ، ٥٤٦ ، ٥٤٧ ، ٦١٧ ،

تشيلي بنسك ٥١٨

تفليس ٢٧٤ ، ٢٩٧

تمسان ٧٠٦

تنزانيا ٧٥٩

تنسي ، مشروع ١٥٣

نيمانيك او تنزانيا ٦٧٤ ، ٧٢٤ ، ٧٣١ ،

٧٤٠ ، ٧٤١ ، ٧٥٦ ، ٧٦٢

جناح رئيس العصبة الاسلامية ٦٢١
 حشيلي ، حيوماني ٢٣٠
 حبيب ٣٩٦ ، ٤٢١ ، ٦٦٨ ، ٨٢٨
 حنيف ، انعاق ... (سنة ١٩٥٤) ٦٦٨
 حوريس ١٠٢
 حومية ١٢٠
 حنوي ٣٩ ، ٣٩٧ ، ٤٠١
 حونسون ليندن ٤٣٨ ، ٦١٥
 جوهنسيرج ٧٢٠ ، ٧٢٥
 جند ، اندريه ١١٨ ، ٢٠٢ ، ٢٠٥ ، ٢٢٧ ، ٥٠٠
 جيرودو ١١٩ ، ١٢٠ ، ٢٠١
 جيلبرت ، حور ٣٦٠
 حيمي ، صندوح ٨١٤
 جيورجيا ٢٥١ ، ٢٧٤ ، ٢٩٠ ، ٢٩٨
 جيورجيف ، الجرال ٢٣٨

لوريو ٣٦٧ ، ٤٠٢
 لتوغو ٧٢٩ ، ٧٥٠ ، ٧٥٣ ، ٧٥٨
 نوكانشمسكي - المارشال ٢٢١
 نولستوي ٥٢١
 نوبس ٦٢١ ، ٧٠٥ ، ٧٠٦ ، ٧٠٨ ، ٧٠٩
 ٧١٠ ، ٧٦٩
 التونكين ٤١٢ ، ٦٦٢ ، ٦٦٨
 توبسي ٤٣٧
 توبور ، ماند ٤٤٧
 تيبور ٦٤
 تيباد دي شاردين ، الاب ٥٠٧
 التست ٥٧٣
 تيتو ٣٦٤ ، ٤٠١ ، ٥٥١ ، ٥٥٦
 تيجون ، التطيرك ٣٢٠
 التيمس ، حريدة ٩١ ، ٩٢
 تيموشكو ٣١٨

ث

الجبنة ٢٠ ، ١٥٦ ، ٢١٣ ، ٢٣٣
 حثا ٦٥٤
 الحجاز ١٨ ، ٦٧٨ ، ٦٧٩
 الحرب امنية الادلس ٨ ، ٢٢ - ٣٢ -
 رصيدها ٤٩ - تكاليفها ٢٩ - فن الحرب
 ولعدد العربية خلال الحرب العالمية
 الاولى ٢٣٠ - ٢٣٢
 الحرب العالمية الثانية ٨ ، ٢٢٧ - ٢٢٨
 فن الحرب ٣٤٢ - ٣٤٥ ، تطورات انتلج
 واستحداثات فن الحرب ٣٥٠ - ٣٥٢ -
 الحرب اسعرية ٣٥٤ - ٣٥٦ - اعمال
 المقاومة ضد الالان ٣٩٤ - ٣٩٦ - المقاومة
 في أوروبا الشمالية الغربية ٣٩٧ - ٣٩٨
 - المقاومة في أوروبا الشرقية والجنوبية
 ٤٠٠ - ٤٠١ - المقاومة الإيطالية ٤٠١ -
 ٤٠٢ - سائحها ٦٨١ - ٦٨٤
 الحرب البردة ٤١٧ ، ٤١٨
 حرب البوكر ١٨
 حرب كوريا ٤٧٨
 الحرية الحديثة ٢٠٢ - ٢٠٤ - تمجيدها
 ٢٠٥ - ٢٠٤
 حزب اندستور (تونس) ٧٠٧ ، ٧٠٨ ، ٧١٠
 حزب المؤتمر (في الهند) ٦٣٢ ، ٦٤٨
 حزب الوفد المصري ٦٧٨
 حسي الزعيم ٦٨٨
 حيدر آباد ٦٤٥

ث

ثلمان ٩٩
 الثورة الروسية ٣٣ ، ٣٥ ، ٩١ - ٩٢ ،
 ٢٤٣ - ٢٥٤
 الثورة في ألمانيا ٣٦ - ٣٧
 الثورة في هنغاريا ٣٧

ج

الحار ، موسيقاه ١٢٤
 حاكارتا ٦٥٢
 جوا ٢٠ ، ٦٤٨ ، ٦٥١ ، ٦٥٢ ، ٦٥٣ ، ٦٦٤
 جايمنس ١١٣
 جب ، المبتشرق ٦٧٣
 الجبل الاسود ٥٥٢ ، ٥٥٤ ، ٥٥٦
 جل طارق ٢٤٠
 جتلند ، معركة ٣٥٤ ، ٣٦٤
 جدانوف ٥٢٤
 جرب ٧٠٦
 جرشوين ١٢٤
 الجزائر ٢٠٥ ، ٥٠٧ ، ٦٢١ ، ٧٠٥ ، ٧٠٨ ، ٧١٠ ، ٧١١ ، ٧١٢ ، ٨٢٦
 الجزيرة العربية ٦٧١ ، ٦٧٤ ، ٦٧٥ ، ٦٧٩
 جمال الدين الامعاني ٦٧١ ، ٦٧٢
 الجمعية التجارية الاسلامية ٦٤٩

خ

الدولية الثالثة : تأليهما عام ١٩١٩ - ٨٢ ،

- ٨٢ ، ١٠٩
الدوريكانيز ، جزر ٨٤ ، ٢٦٦
دوركهايم ١١٥
دوسلدورف ٢٤
دوشان ، مارسيل ١٢٠
دو مالويه ، مرسوا ٦١٥
دومر ٦٦٣
دومرغ ١٦٧ ، ٢١٢
دولان ١٢٠
الدومبيك ٥٨٣ ، ٥٩١ ، ٦٠٠ ، ٦١٣ ،
٦١٥ ، ٦١٦ ، ٦١٧
الدومنيون ١٤ ، ٧١ ، ١٤٦ ، ١٥٣ ، ٤١٠
الدون ، نهن ٥١٨
دوهامل ، جورج ٢٠٤ ، ٢٠٣
ديان - بيان - نو ٦٦٨
دي مري ٨٠١
ديب ٢٥٩
ديكو - الاميرال ٦٦٦
الديمقراطية : ازمتها في اوربا الوسطي
١٠٠ - ١٠٢ ، الديمقراطية السومياتية
٣١٢ - ٣١٤ ، الديمقراطيات الشعبية في
اوربا الوسطي والشرقية ٥٣١ - ٥٤٠ ،
توحيد الديمقراطيات الشعبية ٥٣٨ - ٥٣٩
الديموغرافية ، الحركة ١٨٣ - ١٨٨ ،
و ٨٢٤ - ٨٣٠
دين التيسون ٤١٨
دي برويل ١١١
ديوسي ١٢٤
ديترويت ٤٣٨
دي غرانيزون ، الكولوبيل ٢٢٢
دي غول ٣٤٤ ، ٣٩٦
دي فلا ، الموسيقى ٢٣٩
دي لاتور دي نان ٢٠٤
دي مان ، هنري ١٩٧ ، ١٩٨ ، ١٩٩
ديات ١٩٨

ز

- الزاي العام والانتخابات ٩٠ - ٩٦
زابالو ، معاهدة (١٩٢٢) ٢٦١
الزاسجالية : مناهضتها ١٩٤ - ١٩٥
الرابطة الإسلامية في الهند ٦٣٤ ، ٦٣٧ ،
٦٣٨
زاتيوهو ٢٦
زاديت ٢٢١

د

- داركوف (٢٧)
الخانات ١٨٠ - ١٨٢
خاي دمنه ، الامبراطور ٦٦٣
خروتشوف ٥٢٥ ، ٥٢٠ ، ٥٤٤
الخليج العربي ٦٧٥
خيمس ، بيريس ٦١٤ ، ٦١٥
خيمس ، خوان رامون ٢٣٩
البادية ١٢٠ ، ١٢١ ، ١٢٥
الدار البيضاء ٧٠٦ ، ٧٢٥ ، ٧٦٢
دارجنليو ، الاميرال ٦٦٧
دارسان ٣٩١
داريه ٢٢٣
دامال ، ماتويل ١١٧
داميسون ٨١٠
دانس ، جون فوستر ٤٢٢
دانتزيغ ٤٥ ، ٥٢
الدانمارك ١٤٠ ، ١٩٦ ، ٢٧٤ ، ٣٧٥ ،
٣٨٢ ، ٣٨٣ ، ٣٨٤ ، ٣٩٤ ، ٣٩٧ ، ٤٦٥ ،
٥٦١ ، ٥٨٢
الدانمارك الحمية النموذجية ٣٨٤
دانوزير ، غبريل ٨٤
دانوب ٣٥ ، ٥١ ، ٤١٧
داني - كليمانس ١١٩
الدهومي ٧١٩ ، ٧٣٤ ، ٧٥٩ ، ٧٦٢
داور (مشروع) ٢٦٢
درايزر ١١٩
درايموس ٨٦
الدردنيل ٢٠ ، ٣٥٩
دريس ٣٧٠
دفريل ٣٩٤
دمبريل ، ليون ٢١٤
دكر ٧٢٦ ، ٧٢٨ ، ٧٢٠
دلفي ١١٥
دلفوس ، المستشار ٢٠٤ ، ٢٣٦
دلانيا ٨٤ ، ٤٠١
دلهي ٦٣٤
دملق ٦٧٩ ، ٦٨٨
ديبر ٢٦٧ ، ٢٦٩ ، ٥١٨
ديكين ٢٥٤ ، ٢٥٢ ، ٢٥٣
دونوا ، الصرال ٦١١
الدولية الثانية ٢٢ ، ١٠٣ ، ١٠٩

٣٧٨ ، ٤٤٤ ، ٥١٥ ، ٥٣١ ، ٥٣٣ ، ٥٣٥
 ٥٣٩ ، ٥٤٧ ، ٥٤٩ ، ٨١٤ ،
 رومل ٣٦٢ ، ٤٠٢ ، ٦٨٢
 روموف ، ج ٢٩٢ ، ٢٩٣
 الروهر ٢٧ ، ٥٨ ، ٦٥ ، ١٠٥ ، ٨٠٨
 روهم ٢٢٥
 ريف ١٢٤ ، ٢٥١
 الريف ٥٠٦
 ريكمانس ٧٤٤
 ريكوف ٣٢١
 ريمارك ٢٢٧
 الرين ، نهر ٤٥ ، ٥١ ، ٣٥ ، ٢٥٤
 رينو ، بول ٩٨ ، ١٦٩
 رينوديل ١٠٢ ، ١٩٨
 الريو ١٨٩ ، ٥٨١ ، ٨١٢

ز

زارا ، مدينة ٤٤
 زرماس ٣٩٥
 زغلول باشا ٦٧٨
 زمستوف ، اتحاد ٣٣
 زميبا ٧٥٦
 زنجبار ٧٥١
 الزنجية ٧٦١ - ٧٦٢
 زولا ١١٦
 زيمروالد ٣٣
 زيموفياك ٣١٩ ، ٣٢١

س

سابي ، اريث ١٢٤
 السار ٣٧ ، ٤٥ ، ٥٢ ، ٦٥ ، ٦٧
 سارالوف ٥١٨
 ساوتر ٢٠٢ ، ٤٨٨ ، ٤٨٩ ، ٤٩٠ ، ٤٩٢
 ٤٩٩ ، ٥٠٠
 ساقية سيدي يوسف ٧١٠
 الساكن ٣٥ ، ٣٧
 سالازار ٨٧ ، ٢٠٤ ، ٢٢٨ ، ٦٠٧
 سالزو ٣٦٠
 سالو ، حكومة ٣٦٦
 سمارا ٣٥٠
 سانت اليين ٢٤
 سانت اكسوبري ١١٩
 سان - جوست ٢٩٩

رامبل ٢٥٢
 رافل ١٢٤
 رامون ٨٠٥
 راوندي اورندي ٥٢ ، ٧٣١ ، ٧٣٤
 رايت ، ريتارد ٢٠١
 الرياط ، مدينة ٧٠٩
 الرايستاج ، مجلس ٢٨
 رستوف ٥١٨
 رشيد رضا ، محمد ٦٧٢
 رضا خان بهلوي ٦٨٠
 روالندي ٦٣٩
 روبليس ، جبل ٢٤٠
 روتردام ٣١
 رودمورد ٧٨٧ ، ٧٨٨
 رودسيا الشمالية ٧١٣ ، ٧١٩ ، ٧٢٠ ،
 ٧٢٤ ، ٧٢٥ ، ٧٢٦ ، ٧٢٩ ، ٧٣٣ ، ٧٣٧
 ٧٤٠ ، ٧٤١ ، ٧٥٥ ، ٧٥٦ ، ٧٦٦
 رودسيا الجنوبية ٧١٧ ، ٧٢٤ ، ٧٣٦ ،
 ٧٤٠ ، ٧٥٧ ، ٧٦٢
 روزا لكسمبورج ٣٧
 دورفلت الرئيس ٩١ ، ١٤٨ ، ١٤٩ ،
 ١٦٢ ، ١٦٣ ، ١٦٤ ، ١٩٢ ، ١٩٧ ، ٢٠٥
 ٢١٠ ، ٣١٤ ، ٤٣٣ ، ٤٣٦ ، ٤٣٧ ، ٤٣٨
 ٤٩٣ ، ٥٩٩ ، ٦٢٢
 روزكا ٧٩٤
 روزبرغ ٢٩ ، ٢٢٢ ، ٢٧٢
 روستوف ٢٦٦
 روسلي ٢٣٤
 روستخ ٣٧٥
 روسو ، جان جاك ٢٩٩
 روسيا ٢٠ ، ٢١ ، ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٨ ، ٣٠ ،
 ٣٣ ، ٣٥ ، ٣٨ ، ٤٢ ، ٤٤ ، ٥٤ ، ٤٦ ،
 ٤٩ ، ٥١ ، ٥٢ ، ٥٣ ، ٥٤ ، ٧٤ ، ٨١ ،
 ١٤١ ، ١٤٣ ، ٢٢٣ ، ٢٤٨ ، ٢٤٣ ، ٢٤٩ ، ٢٥١ ،
 ٢٦٢ ، ٢٥٠ ، ٢٥٤ ، ٢٦١ ، ٢٦٨ ، ٢٩٤ ،
 ٢٩٥ ، ٣٦١ ، ٣٦٤ ، ٣٦٥ ، ٣٦٧ ، ٣٧٢ ،
 ٣٩١ ، ٤٤٢ ، ٥٢١ ، ٥٣١ ، ٥٣٣ ، ٥٦٠ ،
 ٥٧٤ ، ٦٢١
 روسيا البيضاء جمهورية ٢٩٥ ، ٣٧٣ ،
 ٣٨٠ ، ٤٤٤
 روسيل ١٢٤
 روكفلر ٦٤
 روما ٨٦ ، ٢١٦ ، ٥٣٠ ، ٧٣٤
 رومان ، جول ٢٠٢
 رومان دولان ١١٩ ، ١٩٩
 رومانيا ٤٤ ، ٤٩ ، ٨٥ ، ٨٦ ، ١٠١ ، ١٠٦ ،
 ١٣٤ ، ١٣٧ ، ١٥٦ ، ١٧٥ ، ٢٣٥ ، ٢٣٦

سورين ٥٢ ، ٤٨١ ، ٦٢٣ ، ٦٨٥ ، ٦٨٨
 السويد ٦٥ ، ١٣٦ ، ١٤٠ ، ١٥٩ ، ١٦٠ ،
 ١٧٠ ، ١٧٥ ، ١٨٣ ، ١٩٦ ، ٢٧٥ ، ٤٠٠ ،
 ٤٢٢ ، ٤٥٩ ، ٤٦١ ، ٤٦٢ ، ٤٦٦ ، ٤٧١ ،
 ٥٣٩ ، ٥٧٤ ، ٨٤٠ ،
 سفجان ري ٦٢٩ ، ٧٦٥
 شعور ، ليوبولدسين ٧٥٣ ، ٧٥٩ ، ٧٦١
 س - يات - سن ٥٦٠ ، ٥٦١
 سنكلر ٢٠٠
 سنودن ٣٣ ، ١٠٤ ، ١٦٥
 سواسون ٣٤
 السويد ٢١٤
 سوريا ٦٤٨
 سوركوف ٥٢١
 سوروكين ٢١٥ ، ٤٩٢ ، ٤٩٣
 سوق الاهراس ٧١٠
 السوق الأوروبية انشازها بموجب معاهدة
 روما (١٩٥٧) ٤٦٥ ، ٥٤٩
 سوكارتو ٢٦١ ، ٦٢٨ ، ٦٣٨ ، ٦٥١ ،
 ٦٥٤
 سومترو ٦٥٣
 السويس : قناة ١٨ ، ٤٢١
 سويسرا ١٦ ، ٣٢ ، ٤٨ ، ٦٥ ، ٦٩ ،
 ١٣٦ ، ١٣٧ ، ١٥٣ ، ١٥٩ ، ١٦٠ ، ١٨٣ ،
 ١٩١ ، ١٩٦ ، ٢١٠ ، ٢١٤ ، ٢٥٧ ، ٤٥٨ ،
 ٤٥٩ ، ٤٦١ ، ٤٦٥ ، ٤٧٠ ، ٤٨٢ ، ٥٠٣ ،
 ٥٧٤ ، ٨٣٠ ،
 سيبيريا ٢٠ ، ٤٢ ، ٤٧ ، ٢٥١ ، ٢٥٣ ،
 ٢٦٨ ، ٢٧٠ ، ٢٧٢ ، ٢٧٤ ، ٢٧٥ ، ٣٠٥ ،
 ٣١٩ ، ٥١٥ ، ٥٢٨ ،
 سيشرون ٦٥
 سيلدي براتي ٣٦٢ ، ٧٦٩
 سيراليون ٧٣٧ ، ٧٥٤ ، ٧٥٥
 سيوان ٢٢٧
 سيفقريد ٩٣
 سفر ، معاهدة ٦٧٥
 سيكوتويه ، الرئيس ٧٥٩
 سيمونوف ٥٢١
 سميان ، فرنسا ١١٦
 السينا ١٢٦ - ١٢٩ - السينا بعد
 الحرب العالمية الثانية ٤٩٣ - ٤٩٥
 سسلان ٦٢٨
 سيليرا ٤٤ ، ٤٥ ، ٥٢ ، ٦٥ ، ٣٧٥

سالت لويس ، مدينة ٧٢٥
 سان سلغادور ٥٨٥ ، ٥٩١ ، ٦١٣ ، ٦١٧
 سان فرانسيسكو ٤١٧ ، ٥٠٣ ، ٦٨٢
 ساو باولو ٤٨٦ ، ٥٨١ ، ٥٨٧ ، ٦١٠ ،
 ٦١٥
 سافون ٦٦٨
 سامكي - يكو (اتفاقات) ٦٧٤
 سبارتوكوس بوند ٣٣
 سبيلك ، ١٩٩ ، ٤٦٢
 سبسر ، هيربرت ١١٤
 ستافسكي ٢١٢
 ستابين ٢٢ ، ٢٦٢ ، ٢٦٤ ، ٢٧٨ ، ٢٨٧ ،
 ٢٩٥ ، ٢٩٧ ، ٣٠٠ ، ٣٠٣ ، ٣١٤ ، ٣١٦ ،
 ٣١٨ ، ٣١٩ ، ٣٢٠ ، ٣٦٥ ، ٣٨٨ ، ٤١٧ ،
 ٤٢١ ، ٥٢٤ ، ٥٢٥ ، ٥٧٤ ،
 ساليغراد ٣٠٥ ، ٣٦١ ، ٣٧٢ ، ٣٧٥ ،
 ٤٠٤ ، ٥٢١ ،
 ستافيليل ٧٤٦ ، ٧٦١
 ستراسورغ ٣٦٩ ، ٤٦٣
 ستراسمان ٧٨٨
 سترافسكي ١٢٤ ، ٤٦٥
 ستوب ١٥٩
 ستورنو ، دون لويجي ٩٨
 ستوفنبرخ ، الكولونيل ٤٠٤
 شيوارد ، هوستن ٢٢٢
 شوكهولم ٥١٢
 شحاس شندلير ٦٣٣ ، ٦٣٦
 شرافات ، جيوزب ٢٣٤ ، ٣٩٦
 شراواله ، مقاطعة ٦٦٢
 شردينيا ٣٦٦
 شغرد لوفسك ٥١٨
 شغورزا ، الكونت ٢٣٤ ، ٣٩٦
 سكندنافية ، اللسان ٢١٠ ، ٢٤٣ ، ٣٨٠ ،
 ٤٨١ ، ٤٩٤
 سكودا ، معامل ٣٨٠
 سلوينيا ٥١ ، ٥٥١ ، ٥٥٢
 سليبس ، جزيرة ٦٥٣
 سمات ، ووتر ٨٤
 سليمان ، جزر ٣٦٠ ، ٤٠٨
 سمرقند ٣٩٨ ، ٥١٧
 سمطس ، الصراال ١٤٥ ، ٦٢٠
 سستياغو ، مؤتمر ٦٠٢
 سنفاقورا ٦٢٢ ، ٦٥٣ ، ٤٥٨ ، ٥٦٢ ،
 ٦٦٠ ، ٦٦١ ، ٦٦٢
 السغال ٧٣٤ ، ٧٥٠
 السودان ، جمهورية ١٠٤ ، ١٧٨ ، ٦٨٨ ،
 ٧٣٢ ، ٧٥٨

ش

شاخت ، الدكتور ١٨١

۵۲۳ - ۵۲۶ - نورھا می امیر کا اٹلائیہ
۵۱۷

۷

صباح ، مقاطعة ٦٦٢
المحافة ٩ - ٩٢ و ٤٧٣ - ٤٧٤
مربيا ٣٨٠ ، ٣٨٨ ، ٤٠١ ، ٥٥١ ، ٥٥٢
سقلية ٣٥ ، ٣٥٣ ، ٣٦٠ ، ٣٦٣ ، ٣٦٠
سون بات سن ١٧ ، ٢٥٧
الصين ١٧ ، ١٨ ، فتحها لاسواق اورويا
١٤١ ، ١٤١ ، ١٤١ ، ١٤١ ، ١٤١ ، ١٤١ ، ١٤١ ، ١٤١ ،
١٨٢ ، ١٨٠ ، ١٧٤ ، ١٧٣ ، ١٥٧ ، ١٤٥
٤١٨ ، ٤٠٩ ، ٤٠٨ ، ٤٠٦ ، ٣٦٣ ، ٣٥٣
٤٢١ ، ٤٢٧ ، ٤٤٢ ، ٤٤٨ ، ٥٠٦ ، الصين
تسمى شسيوية ٥٥٨ - ٥٦٨ ، الحرب
الشيومي الصيني ٥٦٤ - ٥٦٦ ، الحرب
الاخيلة فيها (١٩٤٥) ٥٦٧ - ٥٦٨ ،
الصين الحديثة ٥٦٨ ، وحدتها ٥٧٣ -
٥٧٤ ، الطريقة الصينية ٥٧٤ ، ٥٧٥ ،
٦٢٦ ، ٦٠٥ ، ٦١٩ ، ٦١٨ ، ٥٧٨ ، ٥٧٣
٦٦٧ ، ٦٦٠ ، ٦٤٨ ، ٦٤٧ ، ٦٤٣ ، ٦٢١
٨٢٨ ، ٨٢٦ ، ٧٥٩ ، ٦٧٤ ، ٦٧١ ، ٦٦٨

↓

طريق ٢٦٢
طراوازي ، الجنرال ٥٨٢
طرابلس العرب ٥٢
طشقند ٢٧٥ ، ٢٩٥ ، ٢٩٨ ، ٥٥٧
طغلبايي ١٠٤
طنجة ٢٤٠ ، ٧١٠
طوران ، فيليب ٢٣٤
طوران ٦٨٤
طوكيو ٣٦٠ ، ٢٧٠ ، ٨١٣

عبد الحميد ، السلطان ٦٧٢
 عبد الخالق الطريس ٦٨١
 عبد الكريم ٧٠٧
 عبد الله بن الحسين ، الامير ٦٧٦ ، ٦٨٨
 عبده ، محمد ٦٧١ ، ٦٧٢
 عبود ، آل الواد ٧٧٢

قمار ، رينه ١٢١
 شاريث ، المارشال ٧٧٣
 الشنابلي ، الذهبي ٧١٩ ، ٧٢١ ، ٧٢٥ ،
 ٧٢٩ ، ٧٣٠ ، ٧٣١ ، ٧٣٣ ، ٧٣٧ ، ٧٤٨
 ٧٥٠ ، ٧٥١ ، ٧٥٣ ، ٧٥٤ ، ٧٥٥ ، ٧٦١
 شاطبي ، الماچ ٧٣٤ ، ٧٣٦ ، ٧٦٠ ،
 شانغالي ، ماراك ٢٠٠
 شانغ - كاي - شك ٩٥ ، ٢٦٢ ، ٤٢٠ ،
 ٥٠٦ ، ٥١١ ، حكومته منه ستة (١٩٣٧)
 ٥٦٢ - ٥٦٤ ، ٥٦٧ ، ٥٧٤ ، ٦٢٩
 شينغلر ، اوزوالد ٨٤ ، ٢١٨ ، ٢٢٣
 شينشك ٢٠١
 شترسمان ١٠٠
 شتومارت ٣٧٠
 الشرق الاقصى ١٨ ، ٤٩ ، ٤٧٢ ، ٤٩٤ ،
 ٤٩٧ ، ٦٧٤ ، ٦٧٨ ، ٦٨١ ، ٦٨٦ ، ٧٢١
 الشرق الاوسط ٤٢١ ، ٤٢٣ ، ٦٤٢ ،
 ٦٨٣
 الشرق الاقصى ٦٠ ، ٦٨ ، ٥٣١ ، ٦٢٥ ،
 ٧٤١ ، ٨٢٥ ، ٨٢٦
 الشركة الاميركية للامار ٦٠٠ - ٦٠١
 شرودينجر ٧٨٧
 الشريف حسين ٦٧٨
 شلب ٢٧٥
 شليمن ٢٣٠
 شنفاي ٥٥٩ ، ٥٦٤ ، ٥٦٧
 شمير ٦٥١
 شور ١١٣
 شولوكوف ٥٢١
 شومان ، (حطة) ٤٦٣
 شويرغ ١٢٤
 شومان ١٦٩
 شوشينج ٢٣٦ ، ٢٣٧
 شويزر ١٢١
 شيانو ٤٠١
 شيرا - ولتر ٨١٤
 الشيشكلي ٦٨٨
 شيكافو ٤٩٣
 الشبلي ١٩ ، ٧٢ ، ٧٣ ، ١٥٦ ، ١٧٥ ،
 ١٧٦ ، ١٩٦ ، ٢٤١ ، ٢٤٢ ، ٤٤٩ ، ٥٨١
 ٥٨٢ ، ٥٨٣ ، ٥٩١ ، ٥٩٤ ، ٥٩٦ ، ٥٩٧
 ٥٩٨ ، ٥٩٩ ، ٦٠٩ ، ٦١٣ ، ٦١٧ ،
 الشيوعية . ضعف احزابها ١.٠٢ - ١.٠٨ ،
 سرها ١٦٥ - ١٩٧ - الشيوعية العربية
 والسياسية ٢٥٤ - الحرب الشيوعي في
 روسيا ٣٠١ - ٣٠٢ - تطور الاحزاب
 الشيوعية ٥٣٣ - قيام النظام الشيوعي

العويان ٥٨٥ ، ٦٢٣
 غورنغ ١٥٤ ، ١٧٢ ، ١٧٣ ، ٤٠٤
 وغوميل دي كوستا ٢١٥
 غيوارد ١٦٤
 غيلان ، روبرت ٥٧٧
 الغبية ٧٥٠ ، ٧٥٩ ، ٧٦٢
 الغنيه البرتغالية ٧٣٤
 غينيا الجديدة أو ايربان ٣٦٠ ، ٤٠٨ ، ٥٧٨
 ٦٥٢ ، ٧١٩

الغايكان ٤٠٨ ، الجمع الغايكاني ٥١٠ -
 ٥١١ ، ٥١٣
 غاروق ، القلق ٦٨٨
 غارين ، الكسندر ٦٦٥
 قاس ، مدينة ٧٠٩
 دسكوسلوس ٦٠٤
 الفاشية ٨ ، ٩٨ ، ٩٩ ، ١٩٥ ، ١٩٦ ،
 الدكتوريات الفاشية ٢١٥ - ٢١٨ ،
 اصولها ٢١٥ - القوى ٢١٦ - ظروف
 وصولها للحكم ٢١٩ - عقيدتها ٢١٩ ، ٢٢٠
 انتهازة الفاشية الاطالية ٢٢٠ - نفوذها
 ٢٢٢ - ٢٢٤ - الاحزاب الفاشية في اوروبا
 ٢٣٦ - النظام السوفياتي والفاشية ٣١٢
 ٣١٤ ، ٤٠٢ ، ٤٦٦
 قاتلند ، جزر ٣٥٥
 فالكتهاين ٣٣٦
 فالوا ، جورج (مصبته) ٢١١
 فاليري ، بول ١١٩ ، ١٢٠ ، ٤٩٥
 فان دو دوه ١٢٥
 فان دن بروك ، موار ٨٤ ، ٢٢٢ ، ٢٢٣
 فان زيلاند ١٩٩
 فان فوغ ٢٢٧
 فاير ستون ٦٤
 فترجيرالد ، سكوت ١١٩
 فلدزوني ٢٢٠
 فراي ، الرئيس ادوارد ٦١٧
 فرانك (حاكم عام بولونيا) ٤٠٥
 فرانكفورت ٣٥٢
 فرجينيا ١١٩
 فريمان ٢٩ : ٣٣٦ ، ٣٣٨
 فرحات عباس ٦٢١ ، ٧٠٨
 فرسونيا ٤٩ ، ١٩٠ ، ٢٥١ ، ٣٦٤ ، ٥٤٤
 فرغاس ٦١٠ ، ٦١١
 فرمي ٧٨٨ ، ٧٨٩

مدن ٦٨٨
 المدلانية أو النظام المدلاني ٦٠٧ - ٦٠٨ ،
 ٦١٠
 المراق ٣٥ ، ٦٢٣ ، ٦٤٧ ، ٦٧٥ ، ٦٧٨ ،
 ٦٧٩ ، ٦٨١ ، ٦٨٤
 الملحن ٣٦٢
 العمل والعمال : اضطراباتهم ٢٨ - ٢٩ -
 حرب العمال في انكلترا ١٠٣ - ١٠٥ ،
 و ١٢٨ - ١٣٩ - الحركات والاضرابات
 العمالية ١٩٠ - ١٩٣ - العمل الاثرامي
 في الحرب الثانية ٢٨٤ - ٢٨٥ - ضعف
 الطبقة العمالية في الولايات المتحدة
 الاميركية ٤٣٣ - ٤٣٤
 عنابة ٧٠٦
 المنصرية ٨٥ - ٨٦ ، و ٣٧١ - ٣٧٤

غ

الغايون ٧١٩ ، ٧٢٣ ، ٧٢٥ ، ٧٣٦ ، ٧٦٠ ،
 غارسيا ، فريديريكو ٢٣٩
 غاغارين ٨١٣
 غاسبري ٤٦٢ ، ٤٧٥
 غالن ، الكونت ٤٠٣
 غانا ٧٥٤ - دسكاييرها المدينة ٧٥٥ ،
 ٧٥٦ ، ٧٥٨ ، ٧٥٩ ، ٧٦٢ ، ٧٧١
 غرامشي ١٠٤ ، ٢٢٤
 غاندي ٢٠ ، ١٩٩ ، ٦٣١ ، ٦٣٣ ، ٦٣٧ ،
 ٦٣٨ ، ٦٤٦
 غراندي ٤٠١
 غروبيوس ، وولتر ١٢٥
 غروتر ، جورج ١٢١
 غريفز ٧٩٣
 غستانو، ٤٠٥
 غسكوني ، دانيال ٢٠١
 غلوب باشا ٦٧٩
 غمبيا ٧٣٤ ، ٧٣٧ ، ٧٥٤
 غوانيمالا ١٥٦ ، ٥٨٢ ، ٥٨٥ ، ٥٩١ ،
 ٥٩٦ ، ٧٥٩ ، ٦٠١ ، ٦٠٢ ، ٦١٥ ، ٦١٧
 غوام ٤٠٨
 غويلز ٢١٨ ، ٢٢٤ ، ٢٨٦
 غودريان ٣٤٣
 غوينيو ٢٢٢
 غوركي ٣٠٩ ، ٣١٠
 فولد دوتز ، باري ٤٣٨
 فولار ٦١١ ، ٦١٥
 فومولكا ٤٧٥

فولكنر ٢٠١
 فولوخراد ٥١٨
 فلاديفوستوك ٢٧٦ ، ٤٢
 فلاسوف ، الجنرال ٣٨٨
 فلايدان ٢١٢ ، ٢٠٥
 الفينكونج ٦٦٩ ، ٦٧٠
 الفيتنام ٦٧٣ ، ٦٦٦ ، ٦٦٧ ، ٦٦٨ ، ٦٦٩
 فيشر ٨٠١
 فيجيه ٤٩١
 فيشي ، حكومة ٣٨٩ ، ٣٩٠ ، ٣٩١ ، ٣٩٤ ، ٣٩٧
 فيصل ، الملك ٦٧٤ ، ٦٧٩
 فيمر ، بوسين ٣١٨
 فيليبي ، سار جون ٦٧٨
 فيلاتوف ٨٠٦
 الفيليبين ٤٠٨ ، ٤٠٩ ، ٤٢٠ ، ٤٢٧ ، ٦٢٣
 ٦٢٤ ، ٦٥٣ ، ٦٥٥ ، ٦٥٨ ، ٦٥٩ ، ٦٦٧ ، ٧٧١
 فيلينا ٥١
 فيومي ٤٤ ، ٥١
 فيت ١٨٤ ، ٢٣٦ ، ٢٤٠

ق

قازاخستان ٢٧٥ ، ٢٩٥ ، ٢٩٨ ، ٥١٧ ، ٥٢٨
 قازان ٢٥٠
 قاسم ، اللواء ٧٧٢
 القاهرة ٦٧٧ ، ٦٨٤
 قراخوم ٥١٨
 القرم ٢٥٠ ، ٢٧٢ ، ٢٧٨ ، ٣٨٨ ، ٤٥٥ ، ٤٥١
 القسطنطينية ٥٢
 القصة بعد الحرب الثانية ٤٩٩ - ٥٠٤
 القفاس ٢٥٠ ، ٢٧٢ ، ٢٧٨ ، ٣٢١ ، ٣٢٢ ، ٣٧٨ ، ٣٧٢
 قولا ٢٢٥
 القومية ٨٢ ، ٨٥ - مطالب الحركات
 القومية ٦٢٥ - ٦٢٨



الكاب ٧٢٠ ، ٧٣٩ ، ٧٤٠
 كاب : انقلابه في ألمانيا ١٠٦
 كانورتو ، هزيمة ٤٢

فرنسا ١٥ ، ١٦ ، ٢٠ ، ٢٢ ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٣٠ ، ٣١ ، ٣٢ ، ٣٨ ، ٤٥ ، ٤٦ ، ٤٧ ، ٤٨ ، ٥١ ، ٥٨ ، ٦٦ ، ٦٧ ، ٦٩ ، ٧١ ، ٧٢ ، ٧٣ ، ٧٤ ، ٧٦ ، ٨٢ ، ٨٢ ، ٨٦ ، ٩٠ ، ٩٥ ، ٩٥ ، ١٠٣ ، ١٠٧ ، ١١٤ ، ١١٥ ، ١٢١ ، ١٢٨ ، ١٣٤ ، ١٣٦ ، ١٣٨ ، ١٤١ ، ١٤٢ ، ١٤٥ ، ١٤٦ ، ١٤٨ ، ١٤٩ ، ١٥٠ ، ١٥١ ، ١٥٢ ، ١٥٣ ، ١٥٩ ، ١٦٠ ، ١٦٦ ، ١٦٧ ، ١٧٠ ، ١٧١ ، ١٧٦ ، ١٧٨ ، ١٨٠ ، ١٨٣ ، ١٨٤ ، ١٨٧ ، ١٩٠ ، ١٩١ ، ١٩٢ ، ١٩٣ ، ١٩٤ ، ١٩٦ ، ١٩٨ ، ١٩٩ ، ٢٠٤ ، ٢٠٥ ، ٢١٠ ، ٢١١ ، ٢٢٣ ، ٢٤٢ ، ٢٤٤ ، ٢٦٦ ، ٢٨٥ ، ٢٨٧ ، ٣٠٥ ، ٣٢٢ ، ٣٤٢ ، ٣٦٤ ، ٣٦٦ ، ٣٧٢ ، ٣٧٥ ، ٣٨١ ، ٣٨٢ ، ٣٨٣ ، ٣٨٨ ، ٣٨٩ ، فرنسا فيشي ٣٨٩ ، ٣٩٠ ، ٣٩٤ ، ٣٩٧ ، ٤١٨ ، ٤٢٠ ، ٤٢١ ، ٤٢٨ ، ٤٤١ ، ٤٤٢ ، ٤٤٩ ، ٤٥٧ ، ٤٥٨ ، ٤٦٢ ، ٤٦٤ ، ٤٦٦ ، ٤٦٧ ، ٤٦٨ ، ٤٦٩ ، ٤٧٣ ، ٤٧٥ ، ٤٧٦ ، ٤٨١ ، ٤٩٤ ، ٤٩٦ ، ٥٠٢ ، ٥٠٧ ، ٥١٠ ، ٥٢٣ ، ٥٧٤ ، ٦٢٨ ، ٦٦٢ ، ٦٦٣ ، ٦٦٤ ، ٦٦٥ ، ٦٦٦ ، ٦٧٢ ، ٦٧٩ ، ٦٨١ ، ٦٨٨ ، ٦٧٠ ، ٧٠٧ ، ٧١٠ ، ٧١١ ، ٧٤٦ ، ٧٥٠ ، ٧٥٣ ، ٧٨٥ ، ٧٨٦ ، ٨٠٨ ، ٨٢٢ ، ٨٢٦ ، ٨٢٧ ، ٨٣١ ، فرنسا الحرة ٨٧ ، ١٨٧ ، ١٩٤ ، ٢١٣ ، ٢٤٠ ، ٢٤١ ، ٥٩٢ ، ٦٠٦ ، ٦٨١ ، فرويديري ٦١٥ ، ٦١٦ ، فرويد ١١٤ ، ٢١٧ ، ٤٨٩ ، فريشون ٧٢٠ ، فلسطين ٣٥ ، ١٨٧ ، هجرة اليهود اليها ١٨٧ ، ٦٧٤ ، ٦٧٥ ، ٦٧٩ ، ٦٨١ ، مريد مان ٨٢٠ ، ٨٢١ ، مريدولا ١٩ ، ١٥٦ ، ٤٤٩ ، ٥٨١ ، ٥٨٢ ، ٥٨٤ ، ٥٨٥ ، ٥٩٦ ، ٥٩٦ ، ٦٠٢ ، ٦١٣ ، ٦١٤ ، ٨٢٨ ، عزيزلوس ٢٢٨ ، فنلندا ٢٢ ، ٤٥ ، ٤٩ ، ١٧٥ ، ١٩٦ ، ٢١٤ ، ٢٤٩ ، ٢٥٠ ، ٤٤٤ ، ٤٦٩ ، مور ، ادفار ٨٢ ، لورد ٦٤ ، ١٢٣ ، ٨١٩ ، مورمورا ٤٣١ ، ٥٧٣ ، ٦٢٩ ، لوروشيلوف ٣١٨ ، موش ٢٢٢ ، لولبرت بولون ، الاب ٧٥٨ ، موتفا العليا ٥٦٢ ، المؤلفا ٢٥١ ، ٢٥٨ ، ٢٧٠ ، ٢٧٨ ، ٤٤٥ ، ٥١٧ ، ٥١٨

٨٢٨ ، ٤٥٢ ، ٥٨١ ، ٦٠٦ ، ٨١٧ ، ٨٢٦
 ٨٢٨
 كندي ، الرئيس ٧١٤٤٤٤٣٧٤٣٤
 كندي ، مارغريت ١١٩
 الكنائس السوداء ٧٢٤ - ٧٣٦
 الكنيسة الافريقية الارثوذكسية ٧٢٩
 الكنيسة المخلصية ٥٢٩
 الكنائس الافريقية الصهيونية ٧٢٩
 كنيسة القلب الاقدس ٧٢٩
 كنيسة البرج ٧٣٦
 كنيانا ، جومو ٧٤٢
 كوامبرا ، جامعة ٢٣٨
 الكولونيم ٧٩٦
 كوبا ١٩ ، ١٩٦ ، ٤٢٢ ، ٥٧٨ ، ٥٨٢ ،
 ٥٩١ ، ٥٩٢ ، ٥٩٥ ، ٥٩٧ ، ٦٠٠ ، ٦٠٤ ،
 نورثا ٦١٢ - ٦١٤ ، ٦١٧
 كوبان ٥٧٢
 كوبتشيك ٦١٥
 كوخ ، لوك ٣٧٣ ، ٣٧٤
 كوراديني ٢٣٠
 كوربوزيه ١٢٥ ، ١٢٦
 كورت ايستر ٣٥ ، ٣٧
 كوردون ، اللورد ٦٧٩
 كورسك ٢٧٤
 كورسكا ٣٦٦
 كورنيولوف ٢٥٠
 كورفو ٣٦٦
 كوري ، بيير وماري ١١١ ، ٧٨٨
 كوديا ٤٠٩ ، ٤٢٠ ، ٤٢١ ، ٥٥٦ ، ٦٢٥ ،
 ٦٧٠
 - حرب كوديا ٦٢٩ - ٦٣٠
 كوزباس ٥١٧
 كوستاريكا ١٩٦ ، ٥٨٣ ، ٥٩٣ ، ٦٠٠ ،
 ٦١٣ ، ٦٠٢
 كوسون ٢١
 الكوشنشين ٦٦٤ ، ٦٦٥ ، ٦٦٨
 كوكو ١١٨ ، ١٢٠
 كوكولوس كلان ٨٢
 كوكوشكا ، الرسام ٢٠٠ ، ٢٢٧
 كولا ، شبه جزيرة ٢٧٦
 كوليدج ، الرئيس ٦٠٢
 كولالا ٣١٩
 كولتشاك ٢٥٢
 كولبو ، مشروع ٧٦٥ ، ٧٦٧ - ٧٦٨
 كولبوس ١١٦ ، ٥٨٩
 كوليسا ١٩ ، ٢٤١ ، ٥٨٢ ، ٥٩٣ ، ٥٩٩
 ٦٠١ ، ٦١٣ ، ٦٥١

كابول ٦٨٠
 كارمونا ، الجنرال ٢٢٨ ، ٢١٥
 كاتما ٧١٤ ، ٧١٩ ، ٧٢١ ، ٧٢٤ ، ٧٥٦ ،
 ٧٥٧ ، ٧٥٩ ، ٧٦٠
 كلولي ، الكونت ٣٣ ، ٣٧
 كاسافيو ٧٦٠
 كاساي ، ولاية ٧٤٥ ، ٧٤٦
 كاسترو ، فيدال ٦١٢
 كافور ٢١
 الكاكية ، الحركة ٧٣٦
 الكالوك ٢٧٢
 كامبياف ٣١٩ ، ٣٢١
 كانوي ، جزر ٤٠٣
 كانتون ٥٦٤
 كانو ٤٩٠ ، ٤٩٩ ، ٧٢٠ ، ٧٣٠ ، ٧٥٥
 كانوسا ٥١٣
 كاوند ، كينيت ٧٥٩
 كابو ٣٣ ، ٢٠٣ ، ٢٠٤
 كتلوريا ٤٢ ، ١٨٧ ، ٢٤٠ ، ٢٤٤
 كراشي ٦٢٦ ، ٦٤٧
 كراستوفودسك ٥١٨
 كراكاس ٦٠٣
 الكريبات ٤٤٦
 كرتش ، شبه جزيرة ٢٧٤
 كردبباس ٦٠٤ ، ٦٠٥
 الكرفير ٢٧٢
 كرفيزيا ، جمهورية ٢٩٥
 كرنسكي ٢٤٨
 كروانيا ٥٤٥ ، ٥٥١
 كروتشي ٢٣٤
 كريت ، جزيرة ٣٥٣ ، ٣٥٤
 كشمير ٦٤٧
 كمامي ، كتاب (٨٤ ، ١٩٤ ، ٢٢٢ ، ٢٢٣ ،
 ٢٧١
 كلكتا ٦٣٦
 كلوديل ١٢٠
 كليمنصو ٣٢
 الكمرون ٦٧٤ ، ٧٢٢ ، ٧٢٥ ، ٧٣٣ ، ٧٣٤ ،
 ٧٤٥ ، ٧٤٨ ، ٧٤٩ ، ٧٥٠ ، ٧٥٣
 كمبرلي ٥٤٠
 الكمباتية ، الحركة ٧٣٥ ، ٧٣٦
 كمبوس ، الجنرال ٢٣٧
 كنب ١١٣
 كنتون ٦٦٦
 كنما ٢٧ ، ٥٦ ، ٦٢ ، ٦٩ ، ٧٢ ، ١٣٦ ،
 ١٣٧ ، ١٤٠ ، ١٤٥ ، ١٧٧ ، ١٩١ ، ١٩٥

الكوميكون ٥٢٨ ، ٥٩٩
 الكومستانغ ٥٥٨ ، ٥٦٠ ، ٥٦٩ ، اصلاحات
 ٥٦١ ، ٥٦٢ ، مصيرها ٥٦٢ ، ٥٦٤ ،
 ٥٦٨ ، ٥٧٢
 الكومنتور ١٩٦
 الكومنتورم ٥٢٨
 كوست ١١١
 الكومسومول ٢٠٢ - ٢٠٥ ، ٢٦٥
 كومو - براناميل او البليكي ٦٧٤ ، ٦٤٨
 ٧١٣ ، ٧١٥ ، ٧١٨ ، ٧١٩ ، ٧٢٠ ، ٧٢٤
 ٧٢٥ ، ٧٢٩ ، ٧٢٠ ، ٧٢١ ، ٧٢٢ ، ٧٢٣
 ٧٢٤ ، ٧٢٦ ، ٧٢٧ ، ٧٢٨ ، ٧٢٩ ، ٧٣٠
 - ٧٥٩ ، ٧٦٦ ، ٧٧٢
 كومو ليوبولد ميل ٧٥٩ - ٧٦٠ ، ٧٦٢
 كوهلر ٨٠٠
 الكويت ٦٨٥
 كويسلينغ ٢١٤ ، ٢٨٨ ، ٤٠٩
 كيركفارد ١١١ ، ١١٣ ، ٥١٢
 كينل ٤٠٥
 كيروف ٢٠٢ ، ٢٠٣ ، ٢٢١
 كيلوغ ، اتفاق ٦٠٢
 كيتو ، ج. م. ٧٠٢ ، ٢١ ، ٤٥ ، ١٦٣ ، ١٦٦
 ٢٠٧ - ٢٠٨
 كينيا ٦٢٥ ، ٧١٧ ، ٧٢٤ ، ٧٢٥ ، ٧٢٦ ، ٧٢٧
 ٧٢٧ ، ٧٤٠ ، ٧٤١ ، ٧٧٢ ، ٧٥٦
 كيتانا ، جومو ٧٥٦
 كييف ٢٥١ ، ٢٩٧ ، ٣٢١ ، ٣٧٣
 كيبيل ، مرفأ ٢٥

ل

لبنان ٦٨٥ ، ٦٨٦ ، ٦٨٨
 لتونيا ٤٩ ، ٨٦ ، ٢٢٨
 لشونة ٢١٥ ، ٧٤٧ ، ٨١٢
 لوف ، الامير ٢٤٨
 اللكسمبورج ٢٨ ، ٦٧ ، ٢٧٤ ، ٣٧٥ ، ٣٩٢
 لشت ، مؤتمر ١٨٦
 لديرغ ٥١٢
 ليرت ، حاله ٥٨٦ ، ٥٨٧ ، ٥٩٣ ، ٥٩٥
 لندن ، حاله ٢٢٧
 لندن ١٦ ، ٦١ ، ٧١ ، ١٦٦ ، ١٨٥ ، ٢٨٤
 ٣٦٤ ، ٣٩٥ ، ٣٩٦ ، ٤٠٥ ، ٥٣١ ، ٧٣٤
 ٨١٢
 لوبكه ٢٥ ، ٣٧
 لوبوس ، فيلا ١١٦

لودندورف ٢٢٤ ، ٢٢٩ ، ٢٤٠
 لورانس ٦٧٨
 لوركا ، فريدريك هارميا ١٢١ ، ٢٣٩
 لوران ٥١٢
 لوسون ، جريدة ٦٥٧
 لوليس ٢١٠
 لولين ، جلسة ٥٣٠ ، ٧٤٦
 بوكارلو ، اتفاق ٢٦٢
 بوموسا ، باتريس ٧٥٥ ، ٧٦٠
 بريس ، سنكلو ١١٩
 لابون ٧٦
 لاوريه ، هابادي ٥٨٨
 لاجوس ٧٦٢
 لانس ٧٧٢
 لاهاي ٨٢٨
 لاهور ، مؤتمر ٦٢٤
 لوند جورج ٢٥ ، ٢٢ ، ٨٩ ، ٩٤ ، ٩٥
 ليبخت ٢٢ ، ٢٧
 ليندبيرج ٣٤
 ليمان ، ولتر ١٠٦
 ليب ٣٦١ ، ٦٧٥
 ليبيريا ٧١٦ ، ٧٣٠
 ليتوانيا ٤٥ ، ٤٩ ، ٨٦ ، ٢٨٠
 لينيس ، مجرة ٤٠٤
 لين ٩٢ ، ١٩٦ ، ٢٤٨ ، ٢٥٢ ، ٢٥٤
 ٢٨٧ ، ٢٥٥ ، ٢٥٦ ، ٢٦١ ، ٢٦٢ ، ٢٧٧ ، ٢٨٧
 ٢٩٤ ، ٢٩٩ ، ٣٠٢ ، ٣٠٣ ، ٣٠٤ ، ٣٠٦
 ٣٠٩ ، ٣١٠ ، ٣١٦ ، ٣١٩ ، ٣٢٥ ، ٥٧٤
 ليفراد ٢٦٨ ، ٢٧١ ، ٢٧٢
 ليوبولد ميل ٧٢٠ ، ٧٤٤ ، ٧٤٥ ، ٧٤٦
 ليوتيه ٥٢٥
 ليور ، مدينة ٣٩
 ليوبوف ٥٢١
 ليوني ٥٣٧

م

مابيثون ، اتفاقات (١٩٣٦) ١٦٨
 ماثيوتي ١٠٤ ، ٢٢٣ ، ٢٢٤
 ماتيس ٣٠٩
 مادورا ٦٤٨ ، ٦٥٢
 مارتن دي غاد ، روجيه ١١٩ ، ٢٠١
 مارسيل ، غبريل ٢٠٢
 مارشال ، جزر ٣٦٠
 مارشال ، مشروع ٤١٦ ، ٤٢٠ ، ٤٢٩ ، ٤٣٩
 ٤٢٠ ، ٤٥٣ ، ٤٥٥ ، ٤٨٦ ، ٥٢٨ ، ٥٣٩ ، ٥٤٩

ماركس ، كارل ١٠٣ ، ١١٥ ، ١٩٦ ، ٣٢٣ ، ٤٩٠ ، ٥٢٤ ، ٨٣١ ، ٨٣٧
 الماركسية وسعيد العقلاية ٢٠٢
 ماركوس ٥٥٤
 ماركيز ١٩٨
 المارز ، معركة ٣٣٤
 ماريان ، جزر ٣٦٠
 ماركاف ٥٧٣
 مارك كارني ٤٢٢
 ماركاتكو ، الربى السوفياتي ٣٠٧
 ماسرو ١١٩ ، ٢٠١
 ماسكوف ٥٤٦
 ماسي ٥٧٨ ، ٧٦٢
 مالن ، الدكتور ٣٢٩
 مايريا ٤٠٦ ، ٤٠٨ ، ٤٢٢ ، ٥٥٩ ، ٥٧٨
 ٦٢١ ، ٦٢٤ ، ٦٢٥ ، ٦٥٩ ، ٦٦٢ ، ٦٦٤
 ٦٧٥ ، ٨٢٦
 مالن ٨٦
 مان ، لوماس ٢٢٧
 مانديس ٦٢٩
 مارهايم ٢٤٩
 ماو - تسي - تونغ ٤١٦ ، ٥١٥ ، ٥٦٤ ، ٥٦٥ ، ٥٦٨ ، ٥٧٤ ، ٦٢٣ ، ٦٦٧
 الماو ماو ، حركة ٧٤٢ ، ٧٤٣
 مياكوفسكي ٣٠٧ ، ٣٠٨
 متسويس ، تروست ١٥٨
 متسوي ، أندريه ، مؤسس الحركة
 الاميكالية ٧٣٥ ، ٧٣٦
 متسوي ، اتحاد ١٥٨
 منشورين ٨٠٢
 محمد بورج ٣٧
 مجلس الأمن ٤١٨
 محمد بن يوسف السلطان ٧٠٩
 المحيط الاطلسي ٣٥٦ - الميثاق الاطلسي
 (١٩٥٢) ٤٢٠
 احليط الهادي ٣٦٨ ، ٣٥١ ، ٣٥٨ ، ٣٥٩
 ٣٦٠ ، ٣٦٢ ، ٣٦٣ ، ٦٢٥ ، ٦٢٩ ، ٦٦٢
 المحيط الهندي ٦٦٢ ، ٧٤١
 ملراس ٦٣٥ ، ٦٣٦ ، ٦٤٢
 ملريد ٢٤٠
 مدشكر او ملاعاشي ٧١٨ ، ٧١٩ ، ٧٢٥ ، ٧٢٩ ، ٧٣٠ ، ٧٤٨ ، ٧٥١ ، ٨٢٨
 مدواي ٣٥٨ ، ٣٦٠ ، ٤٠٨
 مرسيليا ٣٩
 مزيني ٢١
 مسترال ، جيريل ٦٠٣
 المسكونية ، الحركة ٥١٢ ، ٥١٦

مصدق ٦٨٤
 مصر ١٨ ، ٧٣ ، ١٠٤ ، ١٦٥ ، ٣٥٢ ، ٦١٧ ، ٦٢٥ ، ٦٢٣ ، ٦١٩ ، ٥٨١ ، ٦٧٢ ، ٦٧٤ ، ٦٧٥ ، ٦٧٧ ، ٦٧٨ ، ٦٨١ ، ٦٨٤
 ٦٨٦ ، ٧٣٤ ، ٨٢١
 مصطفى كامل ٦٧٢ ، ٦٧٥
 معاهدات (١٩١٩ - ١٩٢٠) ٤٣ - ٤٤ ، ١٥٢ - ١٥٣
 معاهدة برست ليتوفسك ٢٤٩
 معاهدة فرساي ٢٢٣
 معاهدة رابلو (١٩٢٢) ٢٦١
 معاهدة ديبية ٨٦ - ٨٧
 المغرب ٦٨١ ، ٧٠٦ ، ٧٠٧ ، ٧٠٨ ، ٧٠٩
 مغربية ٦٨ ، ٤٤٥ ، ٥٥٣ ، ٥٥٦
 مكدونالد ٣٣ ، ١٠٤ ، ١٤٥ ، ١٩٨
 المكسيك ١٥٦ ، ١٩٤ ، ١٩٦ ، ٢٤١ ، ٥٨١
 ٥٨٣ ، ٥٨٤ ، ٥٨٩ ، ٥٩١ ، ٥٩٢ ، ٥٩٥ ، ٥٩٨ ، ٦٠٢ ، ٦٠٤
 مكسيكو ٥٨١
 مكة والمدنة ٦٧٩
 ملتر ، اللورد ٦٧٨
 المنار ، مجلة ٦٧٢
 مشانيون ٢٩٨
 مندريس فرانس ٤٨٢ ، ٧١٠
 مندري ، الكرويتال ٥٤٥
 متسك ٢٩٧
 مستو ١٧٤
 منشورين او منشوكو ١٥٧ ، ١٧٤ ، ١٨٠ ، ٢٥٣ ، ٣٣٠ ، ٤٠٦ ، ٤٠٩ ، ٥٥٨ ، ٥٥٩ ، ٥٦٧
 منظمة التعاون الاقتصادي الاوروبي ٤٢٩
 شعوليا الداخلية ٥٧٣
 الهاربها ٦٤٧
 موبوتو ، الجنرال ٧٦٠
 موراس ، شارل ٢٢٨
 مورغان ٨٠١
 مورمانسك ٤٢ ، ٢٥٠ ، ٢٠ ، ٢٧٦
 مورياك ، فرنسوا ١١٩
 موريتانيا ٧١٨ ، ٧٤٩ ، ٧٤٨
 مورينو ، ج. ل. ١١٥
 المورمبيق ٧١٩ ، ٧٤٧ ، ٧٤٨
 موس ١١٥ ، ٤٩٢
 موسكو ٢٥٠ ، ٢٥١ ، ٢٥٥ ، ٢٥٩ ، ٢٦٠ ، ٢٦٨ ، ٢٧١ ، ٢٧٢ ، ٢٧٣ ، ٢٧٨ ، ٢٨٣ ، ٢٩٥ ، ٣٠٤ ، ٥٢١ ، ٥٢٦ ، ٥٢٩ ، ٥٦٠ ، ٦٢٢
 موسلي ٢١٤

مهرجنت الصّـقـور

- ١ - لينين يتكلم الى الشعب في ١٩١٧ من على منبر مقام في ساحة بئروغراد .
- ٢ - خندق في ١٩١٧ .
- ٣ - قمع الفتنة السباراكية في برلين في السنة ١٩١٨
- ٤ - توقيع معاهدة باريس مع الدنيا في قصر عرساي ، في ٢٨ حزيران ١٩١٩ .
- ٥ - مصفق باريس ، جلسة السوق اليومية للاموال المنقولة .
- ٦ - بيكاسو ، « غونيكاس » .
- ٧ - مهرجان تاري في نورمبرغ . مؤتمر الحركة الوطني في ١٩٣٨ .
- ٨ - حارسان من الـ « باليلا » في روما . نموذج من الروح العسكرية التي خلقتها الماشينجية في الشيوعية .
- ٩ - معسكر لاهادة في « بركنولد » كما اكتشفت الجيوش اخليفة الظافرة
- ١٠ - المرفأ الصنمي لانزال الجيوش في « اترمانش » .
- ١١ - الدبابات الكندية تهاجم اسلحة مدرعة امانية مطوقة في منطقة آلسون ، في آب ١٩٤٤ .
- ١٢ - مرفأ « الحافر » الذي دمرته الفارات الجوية في ١٩٤٤ .
- ١٣ - تحرير باريس . آب ١٩٤٤ .
- ١٤ - مؤتمر يالطا : رورقلت ، وشرشل ، وستالين ، بجمعون في القرم ، في ١١ شباط ١٩٤٥ .
- ١٥ - تفجارات قنبلة ذرية في بيكيني ، حزيران ١٩٤٦ .
- ١٦ - قصر منظمة الأمم المتحدة في مانهاتن (نيويورك) .
- ١٧ - مركز روكفلر في نيويورك .
- ١٨ - الباحرة فرنسا التي انزلت الى البحر في السنة ١٩٦٠ .
- ١٩ - محرن اميركي كبير على مقربة من « ديترويت » .
- ٢٠ - شبكة طرقات عصرية في لوس انجلوس : هارپور فريواي .
- ٢١ - الساحة لحرله في موسكو ١٩٥٩ . في الوسط ضريح لينين .
- ٢٢ - جامعة موسكو . منظر لموسكو التي بشرف عليها بناء الجامعة الرابع .

- ٢٣ - مجاعة ١٩٥٣ في الهند .
- ٢٤ - المهاتما غاندي يحيط به تلاميذه .
- ٢٥ - ماوتسي - فونغ يخطب في جيوشه .
- ٢٦ - شنفاي : مدرسة في الهواء الطلق . الحزب والشيعة .
- ٢٧ - عرض الجواهر امام اميراطور اليابان بمناسبة رأس السنة .
- ٢٨ - عيد الحصاد في مزرعة جامعة .
- ٢٩ - مرفأ بادوي في العراق .
- ٣٠ - رباط : المدينة الأوروبية ومدينة البلدية .
- ٣١ - اولكين وكولومين : بريشة بايلو بيكاسو . متحف لبيستفرد .
- ٣٢ - تلامذة في « طوغو » . التلميم مفتاح للتقدم .
- ٣٣ - براريليا : المجلس الأعلى .
- ٣٤ - جون ريو وشاطيء كوبا كيانا .
- ٣٥ - ابلشتاين في مكتبته في جامعة برستون ، قبيل وفاته .
- ٣٦ - قبة مرصد جبل بالومار في الولايات المتحدة .
- ٣٧ - قاطرة كهربائية مرسية تصرب رقماً قياسياً عالمياً في سرعة السير على الخط الحديدي .
- ٣٨ - طيران ولدور رابت في معسكر وفور في ١٩٠٨ .
- ٣٩ - مطار سان فرنسيسكو .
- ٤٠ - تصميم طائرة الـ « كونيكورد » .
- ٤١ - حمر جورج واشتطن في نيويورك .
- ٤٢ - للتقدم الصناعي : الآلة لتحمل حمل الانسان .
- ٤٣ - مصنع الـ « رانس » لاستثمار طاقة المد والجزر .
- ٤٤ - مصانع (شينون) النووية .
- ٤٥ - حصاد الحنطة في إحدى مزارع الغرب الاميركي الارسط واحدى المزارع التعاونية السوفياتية
- ٤٦ - حصاد الارز في كمبوديا .
- ٤٧ - جمع العائسكان للناسي .
- ٤٨ - اختبار جيميبي : الاميركي ادوارد هوويت يشي في الفضاء .

فهرست المخزنه والنصاميم

- ١ - الحدود الجديدة والمقاطعات المتنازع عليها بعد الحرب العالمية الاولى ٤٠ - ٤١
- ٢ - مراكز البطالة في انكلترا ج'م ١٩٢٨ . . . ٧٩
- ٣ - عدد ممثلي الاحزاب في مجلس الرايشتاغ. . . ١٠١
- ٤ - الانتاج الصناعي والبطالة في العالم بين ١٩٢٩ - ١٩٣٤ ١٤٠
- ٥ - سعر الاحتكار وسعر المنافسة في المانيا بين ١٩٢٨ - ١٩٣٩ ١٤٧
- ٦ - التعميرات الطائرة على حركة البطالة في بريطانيا بين ١٩٢٠ - ١٩٤٠ ١٦٣
- ٧ - التدخل القومي للفرد في المملكة المتحدة ، المانيا ، فرنسا ، السويد ، الولايات المتحدة . . . ١٧٠
- ٨ - كشف بياني مقارن بزدمار وتطور الحزب الوطني الاشتراكي الالمانى مع تطورات الازمة الاقتصادية حسبها تمير بها ارقام البطالة ٢١٨
- ٩ - توزيع الالمان في تشيكوسلوفاكيا بين ١٩١٨ و ١٩٣٩ ٣٣١
- ١٠ - التغييرات الاقليمية في اوروبا بين ١٩٣٣ و ١٩٣٩ ٣٣٣
- ١١ - الحجة الشرقية ، ١٩١٤ - ١٩١٨ ٣٣٥
- ١٢ - الحجة الغربية بين ١٩١٥ - ١٩١٨ ٣٤١
- ١٣ - الحرب في الغرب في السنة ١٩٤٠ ٣٤٩
- ١٤ - الحرب في الغرب : جزيرات ١٩٤٤ - ايار ١٩٤٥ ٣٦١ - ٣٦٠
- ١٥ - توزيع السفن التجارية المفرقة في الاطلسي ٣٧٦ - ٣٧٧
- ١٦ - مناطق تحت سيطرة المصالحات وراء الجيوش الالمانية ٣٨١
- ١٧ - الحرب في الشرق ١٩٤١ - ١٩٤٥ . . . ٣٨٧ - ٣٨٦
- ١٨ - اهم التعميرات الاقليمية الطائرة بين ايلول ١٩٣٩ و ١٩٤١ ٣٩٢ - ٣٩٣
- ١٩ - اوروبا المحتلة ٣٩٨ - ٣٩٩
- ٢٠ - الحرب في الشرق الاقصى ٤٠٦ - ٤٠٧
- ٢١ - اوروبا في السنة ١٩٦٥ ٤١٠ - ٤١١
- ٢٢ - اوروبا المتحدة ٤١٩

- ٢٣ - التزوجات الأوروبية بين ١٩١٨ و ١٩٥٠ ٤٤٦ - ٤٤٧
- ٢٤ - خريطة الاتفاقات الغربية في سبيل المساعدة المتبادلة في السنة ١٩٥٥ ٤٨١ - ٤٨٥
- ٢٥ - نمو المدن في الاتحاد السوفياتي ١٩٢٦ - ١٩٥٩ ٥٢٢ - ٥٢٣
- ٢٦ - انتاج الفولاذ الخام في الاتحاد السوفياتي وبريطانيا العظمى والولايات المتحدة بين ١٩١٣ و ١٩٥٥ . ٥٢٥
- ٢٧ - مسيرة ماوتسي تونغ الطويلة (٣١ تشرين الاول ١٩٣٤ - ٢٠ تشرين الاول ١٩٣٥) . ٥٦٥

فهرست

مدخل ٧

الْقِسْمُ الْأَوَّلُ

أحوال أوروبا

المكتتاب الأول

أوروبا تعقد وضعها الممتاز

الفصل الأول . - السيطرة الأوروبية قبيل الحرب العالمية الأولى ١٤

تفخيم السكان في أوروبا - طاقلة أوروبا الصناعية والتجارية - طاقلة أوروبا المالية - أوروبا ذات
السيادة - أوروبا المسودة - العالم الواقع تحت السيطرة الأوروبية - الصين - الشرق الأدنى -
أمريكا اللاتينية - استعمارات الأوروبية - الهند - تفوق أوروبا في العلم والتقنية - الإحصاء
التي جدد السياحة الأوروبية نحو الاضطراب الاجتماعي

الفصل الثاني . - الحرب العالمية الأولى كزعزعة وكان البقاء ٢٣

١ - تنظيم لاقتصاد الحربي ٢٤

مشكلة التمتعة - تزويد الجيوش بالأسلحة والاعادة الحربية - مشكلة اليد العاملة - الدولة
تتولى بنفسها ادارة الاقتصاد الوطني - المشاكل المالية - مشكلة الغذاء

٢ - المشكلات السياسية والاجتماعية خلال الحرب ٢٨

الاتحاد المقدس - المؤسرة - تنفيذ الحريات العامة - نهاية الاتحاد المقدس - اضطرابات
وحركات بره

الفصل الثالث . - عملية ترسيخ صعبة وقلقة (١٩١٩ - ١٩٢٠) ٣٦

١ - الاضطراب السياسي والاعمال العسكرية الجديدة ٣٦

الثورة في ألمانيا - الثورة في فنلندا - الاضطرابات الاجتماعية - التدخل صدرويا

٢ - اعادة السلام ٤٢

المبادئ العامة - معاهدات ١٩١٩-١٩٢٠ - عصبة الأمم وحماية الأقليات - مؤتمر واشنطن

- ٤٧ - ٣ - إعادة النظام - الإصلاحات السياسية والاجتماعية
- الإصلاحات السياسية - الإصلاحات الاجتماعية - /قوانين إصلاح الزراعي في أوروبا الوسطى وأوروبا الشرقية
- ٤٩ - ٤ - رحيل الحرب
- الحقائق العشرية والحادية - تحول التجارة الأوروبية والدولية - أوروبا المتضخمة والمتقسمة عن نفسها - ازدهار الولايات المتحدة الأمريكية - الثورة الروسية - تداعي النظم الاشتراكية - حلحلة لتيار الليبرالية الاقتصادية والسياسية
- ٥٥ - الفصل الرابع - فشل محاولة إعادة الاستقرار الاقتصادي
- ٥٥ - ١ - أزمة عام ١٩٢٥ واضطراب النقد
- زعة عام ١٩٢٠ للتعويض المالي والفوضى النقدية - التضخم المالي وتناقصه المستمرة
- ٥٩ - ٢ - ازدهار الدول الواقعة بين البحار
- الولايات المتحدة الأمريكية - اليابان - تصنيع البلدان الجديدة
- ٦٢ - ٣ - الثورة الصناعية الثانية والتطور الاقتصادي
- الكهربة وحركة الاحتراق الداخلي - التطورات الاقتصادية - بين القابضة والتعبئة - الاتفاقات الوضعية والدولية - التدوير في الإنتاج
- ٦٧ - ٤ - بلية الاقتصاد العالمي
- مشكلات الناس وقضاياهم - تيارات عصرة بين الدول الأوروبية - وقف الهجرة إلى ما وراء البحار - المراقبين في وجه التداخل التجاري - القومية الاقتصادية - الجديد في توزيع الاستثمارات في الخارج - الثباتات التجارية الجديدة
- ٧٣ - ٥ - الهبوط المستمر
- انكفاء تنظيم الاقتصادية - مثل اللات - الأزمة الزراعية - كروش فرنسا - الفانص من اليد العامة - ضعف النظام الاقتصادي
- ٨١ - الفصل الخامس - البحث السياسي والاجتماعي
- ٨١ - ١ - القوى المحافظة
- و ثغور الروسية - الروح القومية - المصرية او المرفقية - دور الكنائس - أزمة النيجوراطية الليبرالية - نظرية شؤون الشروعات الكبرى - الادارة العامة ونقودها للتصاعد - الرأي العام والصحافة - في الولايات المتحدة - في بريطانيا - في فرنسا - إيطاليا تشمين بمسدم الشرحية - في اللات - زعة الديمقراطية في أوروبا الوسطى وأوروبا الشرقية
- ١٠٢ - ٢ - ضعف الاحزاب الاشتراكية والشيوعية لمعارضة
- الاشتقاق - الاحزاب الاشتراكية - الاحزاب الشيوعية - الانقسام النقابي - النظم الدولية - الخلاصة
- ١١١ - الفصل السادس - بحث الحياة الفكرية والفنية

- ١ - الجو الفكري الجديد ١١٣
- لثورة في العلوم الفيزيائية - الثورة في الفلسفة - هايدغر - أزمة العلوم الشوية - السيكونوجيا
وعلم الاجتماع
- ٢ - الثورة الأدبية والفنية ١١٦
- النماذج الجديدة - الحرب وما بعد الحرب - عهد المتشعرون - المسرح - حول الدعاية - السورالية -
وضع الأدب لدى الفلاسفة من ارمو - الرسم - الموسيقى - المخططة الجديدة - السينما
ومقتضياتها الاقتصادية والفنية - بعض الاتجاهات المتنازعة

المكتتاب الثاني

الانهار الاقتصادي ونتائجه

- الفصل الأول . - الانهار الاقتصادي ١٣٠
- ١ - انفجار الأزمة وامتدادها الى أقصى المعمور ١٣٠
- موجة الازمة الاقتصادية - لازمة ١٩٢٩ من الانحسار والتمرد ما ليس له شئيل - نقطة
الطلاق الأزمة : الولايات المتحدة - الأزمة ليبلغ أوروبا وكل أرجاء العالم - الأزمة في
الدول الجديدة
- ٢ - مظاهر الأزمة ١٣٦
- الأزمة الصناعية - الزادرون والوضع المخرج الذي تمبثروا فيه - اجور وبطالة - الجوانب
التعددية - الاقتصاد العالمي يتسكن في فوضى عميقة
- الفصل الثاني . - تدخل الدولة ونتائج الأزمة الاقتصادية ١٤٤
- تدخل الدولة يلغى نفسه - سياسة الحماية الجركية - سياسة الانكماش المالي - عملية انقراض
المشروعات التي تعاني الضيق - سياسة لتساعدات المالية والتوظيف - ممالك الحكومة بشأن
الاسعار والاجور - معالجة البطالة - تنظيم الاقتصاد - تطور القطاع العام - سياسة الاكتفاء
الذاتي - التجارة الخارجية في البلدان المتقدمة سياسة الاكتفاء الذاتي - تركيز الاستثمارات
ومحسبها - النتائج
- الفصل الثالث . - لدول وجهها لوجه مع الأزمة ١٦٢
- ١ - الحلول الوطنية المختلفة ١٦٢
- الولايات المتحدة الاميركية : النظام الجديد - النتائج - بريطانيا العظمى - فرنسا - اليابان
الوطنية - ألمانيا - اليابان - البلدان ذات الاقتصاد الزراعي

١٧٦	٢ - الوضع الاقتصادي بين ١٩٣٢ - ١٩٣٩
	مسبب الابدال وروحه - التنكس والفسح - الاقتصاد العالمي والعقود الذي يملته - الانقباض على الانخفاضات الثنائية - الحصار لاوربا - تضايقات القادرات والامواق التنافسية - النتيجة . . .
١٨٣	الفصل الرابع - . - الازمة وتناجها الفكرية والاجتماعية
١٨٣	١ - نتائج الديموغرافيا
	السكان - نمو تشجيع الانجاب - تباطؤ مركزية المدن - المحركات
١٨٨	٢ - تأثير الازمة في البناء الاجتماعي
	بين طبقات عليا وطبقات عميا - بين المزارعين والعمال
١٩٠	٣ - الحركات والاحزاب العمالية
	الحركة العمالية خلال الازمة - الولايات المتحدة الاميركية - في فرنسا - مساعدة الرأسمالية - تسرب الافكار الاشتراكية والشيوعية وتمثلها - تطور الاشتراكية - اسباب هذا التطور الاصلاحي
١٩٩	٤ - الازمة الاقتصادية وتأثيرها على الفكر
	اجور الجديد - الرواية الاميركية وتأثيرها - الماركسية وتجديد العقلانية - بلد العلم وفكره الترقي - الحرفية الجديدة - تجديد الحرفية - احسان النظر في الايديولوجية الاقتصادية - ج. م. كير - التفرع بالافى لبعض المبادئ الليبرالية التقليدية
٢٠٩	الفصل الخامس - . - الازمة وتناجها السياسية
٢٠٩	١ - تقهقر الليبرالية وازمة الديموقراطية البرلمانية
	تقوية مقام الرئاسة في الولايات المتحدة الاميركية - في بريطانيا العظمى - في فرنسا - الدول الليبرالية الاخرى
٢١٥	٢ - الدكتاتوريات الفاشية
	الفاشية - اصولها - القوى - المعاداة وشعاراتها - ظروف وصرها للحكم الفاشية - احزاب ودوره الرئيسي - افواج الشبيبة وقبوليتها في آراء هتلر ونظرياته - وصوله الى السلطة - النظام الجديد - التوحيد والمركزية - بين النازية والمسيحية - النازية والحياة الفكرية - المعمل الاقتصادي - طبقة الفلاحين - الصناعة - انتهازية الفاشية الابطالية - الدولة للثقافية - السياسة الاقتصادية والاجتماعية - مدى نفوذ الفاشية - حدودها - للمعاداة في الداخل والخارج .
٢٣٥	٣ - انتشار الانظمة الدكتاتورية في الحساء اوروبا
	في اوروبا الوسطى - الاحزاب الفاشية - النظام الدكتاتوري في النمسا - في بولونيا وهنغاريا - في اوروبا الجنوبية الشرقية والشمالية - في اوروبا الجنوبية - يرتدال سلاواو - اسبانيا - في باقي احاء العالم
٢٤٢	العالم الرأسمالي عام ١٩٣٩
	القوى السياسية كما رآها موزس

القسم الثاني

العالم السوفياتي

- ٢٤٧ الفصل الاول . - الثورة الروسية
- ٢٤٧ ١ - النصار في البيت
المنازعات الاجتماعية والفرعية - الحكومة المؤقتة والبرجوازية - طليعة اعمال الحكومة
الاشتراكية - برادر التدخل الاجبي - الحكومات المناهضة للحكومة البلشيفية - فشل
التدخل - هزيمة الثورة للماكسة - نتائج التدخل والحرب الاهلية .
- ٢٥٤ ٢ - الشيوعية الحربية والسياسة الاقتصادية الجديدة ١٩٢٤ - ١٩٢٤
مسرحية الانتقال التي تكلم عنها لينين - شيوعية الحرب - السياسة الاقتصادية الجديدة -
النتائج - ازمة اللص - السياسة الاقتصادية الجديدة - الدبلوماسية - تخطيط السياسة
الاقتصادية الجديدة .
- ٢٦٤ الفصل الثاني - الارتقاء الى مصاف الدول الاقتصادية الكبرى - الانكماش
والتنظيم الاقتصادي الجديد
- ٢٦٤ ١ - الخطط الخمسية
اعداد الخطة - الخطة الخمسية الاولى ١٩٢٨ - ١٩٣٣ - تخطيطها - الخطة الخمس سنوات الثانية
والثالثة - النتائج في السنة ١٩٤٠ - الميزات الجديدة هذه الانطلاقة الصناعية .
- ٢٧٠ ٢ - تحول قارة
الانطلاقة الديومورالية - حركات انتقال السكان - الامار - تحول مظهر البلاد - نظام الصناعة -
تحول مراكز الانتاج - آسيا السوفياتية - بلدان المنطقة المتعمدة .
- ٢٧٧ الفصل الثالث . - قلب التنظيم
- ٢٧٧ ١ - النظام الاقتصادي الجديد
المسحبة الاشتراكية والملكية الفردية - تأمين الارباب - تنظيم المصنوعات - التنظيم الصناعي -
اعداد الخطة - سبب الخطة - للتنظيم التجاري - التكوين - التجاره الخارجية - صعوبات
التطبيق - الاتحاد السوفياتي في الازمة الاقتصادية المالية - عبء التسليح - الدخل للقرمي .
- ٢٨٧ ٢ - النظام الاجتماعي الجديد
لعميد الاجور - عناصر الاجر - الفئات الاجتماعية - مستويات المعيشة .
- ٢٩٤ الفصل الرابع . - النظام السياسي الجديد
- ٢٩٤ ١ - الاطار السياسي
الدولة المتعمدة القوميات - دولة العادية ولكنها حل كثير من المركزية - انطلاقة القوميات -
حسن المسألة الاستعمارية - تطور النظام السياسي - الحزب الشيوعي - تنظيمه -
الكومسومول والرواد .

- ٣٠٥ ٢ - « الإنسان أحر وأصالح »
الصحة العامة - العائلة وحرر المرأة - التعليم - الثقافة الجديدة : الواقعية الاشتراكية - القضاء
- ٣١٦ ٣ - الديمقراطية الحرة والديموقراطية السوفياتية
الرأي الحر والنظام السرمباني - النظام السوفياتي والفلنستية - الديمقراطية السوفياتية .
- ٣١٦ ٤ - قوة النظام والمعارضة
الانسان الجديد - الجيش الاحمر - الشرطة والقضاء السياسي - المعارضة - المعارضة في داخل
الحزب - المعارضة الدينية والقومية - الدعاوى الكبرى (١٩٣٩ - ١٩٣٨) .
- ٣٢٣ الخلاصة

القسم الثالث

العالم المنقسم

تناثر الامبراطوريات الاستعمارية

الكتاب الاول

الحرب العالمية الثانية

٣٢٧

الفصل الاول . - الحربان العالميتان

٣٢٩

١ - فن الحرب والدعم الحربي خلال الحرب العالمية الاولى

٣٣٠

مهموم الحركة في السنة ١٩١٤ - قواعد استخدام الاسلحة - المبادعة في ايدي اللان - للشكل
الجديد للحرب في الغرب ، الخنادق - محاولات الهجوم في الغرب في السرات ١٩١٥
و ١٩١٦ و ١٩١٧ - تقدم الاسلحة الجديدة - معركة السنا ١٩١٨ .

٣٤٢

٢ - المفاهيم الاستراتيجية وفن الحرب اثناء الحرب العالمية الثانية

المذاهب الاستراتيجية بين الحربين - المذهب الفرنسي - المذهب الانلاني - المفهوم الفرنسي
لاستخدام المدرعات - القوات المتعاقبة في ايار ١٩٤٠ .

٣٤٥

٣ - تطور التسليح والاستعدادات في فن الحرب

تطور الاسلحة المختلفة - الدبابات - المخطاط الدبابات - الطائرات - القاذبات الجوية الاستراتيجية -
الطيران التكتيكي - الهجوم المنفرد جوا - الاسلحة الذاتية الاندلاع - الحرب البحرية
هند ١٩١٤ حتى ١٩١٨ - معركة الاطلسي - الحركة في المحيط الهادي - العمليات
الجوالة - نقل الجيوش وتوحيها - حرب الصحاري - في الشرق وجولونيا - في روسيا -
في فرنسا - ايطاليا - ال « وودولف » - بعض مظاهر الحرب الخاصة « الحرب في روسيا -
في الشرق الاقصى - الحرب ضد اديبيي .

٣٧١ الفصل الثاني . - النظام الأوروبي والآسيوي الجديد

٣٧١ ١ - النظام الألماني الجديد

النظام الجديد - نجاح المنصورية - امبراطورية الـ G. I. - الابدانة - معسكرات الموت - استثمار البلدان المحتلة - الصناعة - الاستيلاء على المزارع - رقابة الزراعة - العمل الاكراسي - الاستثمار المالي - الحكومات التابعة - التعاون - فرنسا قبشي - « الثورة القومية » - تطور النظام - الدول المحتلة الاخرى .

٣٩٤ ٢ - المقاومة

المقاومة - حكومات المنفى - المقاومة في اوروبا الشمالية الغربية - في اوروبا الشرقية والجنوبية شرقية - المقاومة الايطالية - المقاومة الالمانية - القبع الالمني .

٤٠٦ ٣ - النظام الياباني الجديد

النظام الياباني الجديد - آسيا الشرقية الكبرى - معسكرات للشعوب المهضمة - المقاومة - الهند الصينية .

٤١٣ الخلاصة

الكتاب الثاني

العالم الحر الجديد

٤١٦ الفصل الاول . - القسم العالم واختلاف توافقه

قدان الثقة بين الحلفاء - تأسيس الامم المتحدة - الحرب الباردة - الميثاق الاطلسي - هروء الحرب الباردة - الاسراع السريعة الزوال - ظروف الحرب الجديدة - اشتداد الاحتلال - التوازن الاقتصادي والسياسي في العالم .

٤٢٥ الفصل الثاني - الولايات المتحدة

زيادة الانتاج - المعرفة الى احوال ما قبل الحرب - خطر الازمة ١٩٤٩ - تدابير التخفة لايقله - التوسع الاميركي - مشروع مارشال - الازمة الزراعية - تدخل الدولة المتزايد - نظام المجتمع - صف الطبقة المتألمة - امريكا الاخرى - التطور المحافظ للتزايد - الحياة السياسية - الميوط الاقتصادي الاخير والتوسع الجديد .

٤٤٢ الفصل الثالث . - اوروبا الغربية واليابان

الحاجات المتنامية .

٤٤٤ ١ - التطور الاجتماعي

/ المزعجات البشرية في اوروبا - مسألة الهجرة الأوروبية - النظام الاجتماعي - العلاقة القطاعين الثاني والثالث .

٤٥٣ ٢ - التطور الاقتصادي

التحدر لتمام - العوامل الجديدة - احادة المساء - تقدم الانتاج الصناعي - الوصح الزراعي - الاستخدام - الانبعاث التجاري - « هرة الدولار » - مشاريع توحيد اوروبا الغربية - خطة شومان ، المعوق المشتركة والاوراقوم .

٣ - مراجع الديوقراطية الكلاسيكية

٤٦٥

التساير الجميعة - اتساع دور الدولة في الحقل الاقتصادي - التأميمات - الخطط - تخطيط
الاموال - مثل سويسرا - اتساع الوظيفة العامة - تدخل الدولة في الحقل الاجتماعي -
سياسة الازدحام والرفعية - التمتع - شروط نشر الفكر والاعلان - وكالات الاعلام -
الاذاعة والتلفزة - العودة الى الماضي - رجسان ثقافة المحافظين - تطور ألمانيا - تطور
اليان - ازمة النظام الحزبي - سلطة الاختصاصيين - استمرار تدني الرقابة البرلمانية -
تجديد السلطة .

الملاحمة

٤٨٦

الفصل الرابع . - الفكر والفن والحياة الدينية في فترة ما بعد الحرب الثانية

٤٨٨

١ - الفكر وفنون الادب

٤٨٨

ج. ب. سارتر - النسبية والعقل - التقلب على ازمة الحتمية - الدارون الجديد العلم - علم الاجتماع -
السيكولوجيا و « العلاقات البشرية » - الميزات الجديدة للابداع الفني - الفنون التصويرية -
الموسيقى - السينما بعد الحرب لم القصص في فرنسا - القصة الأميركية - القصة الايطالية -
الكتكرا ومحاولات لتجديد في البلدان الانكلوساكسونية - ألمانيا .

٢ - الحياة الدينية

٥٠٤

تكاثر الشيع - الكنيسة الكاثوليكية - الكنيسة والمجتمع - الحوية الدينية - جمع الفانيكان
الثاني - البلدان البروتستانتية - الحركة للكنوية .

الكتاب الثالث

العالم الشيوعي

الفصل الأول . - الاتحاد السوفياتي

٥١٦

ظروب احادة البناء والانطلاقة الاقتصادية - الخطط الخمسية الاخيرة - الزراعة - مستوى
المعيشة - مغارقة بالبلدان الرأسمالية - الحياة الفكرية - الاتحاد السوفياتي منذ المؤثر
العشرين - المؤسسات - اصلاح الاقتصاد - الخطط السببية (١٩٥٩ - ١٩٦٥) .

الفصل الثاني . - الديوقراطيات الشعبية في أوروبا الوسطى والشرقية

٥٣١

الوضع في السنة ١٩٤٥ - حكومات الاحزاب المتحدة - قيام النظام الشيوعي تدريجيا -
الجمهورية الديوقراطية الالمانية ؛ اصلاح الزراعة في الديوقراطيات الشعبية - التأميمات -
التسريح في التشيكوسلوفاكية - توحيد الديوقراطيات الشعبية - الخطط الطويلة الاجل وتوحيد
الكتلة الشيوعية - المجتمع الجديد - الفلاحون - العمال - العمل المتعدد للمساكن الوطنية -
التنظيم المدني الجديد - تحول السنة ١٩٥٣ - ازمة تشرين الأول ١٩٥٦ في بولونيا
ومنداريا - الوضع في السنة ١٩٦٦ - الكوميونزم .

الفصل الثالث . - يوغوسلافيا

٥٥٦

النظام السياسي الجديد . النهضة اللاحقة - عزلة يوغوسلافيا - الطريقة اليوغوسلافية - الازمة الاقتصادية الراهنة .

٥٥٨

الفصل الرابع . - الصين تسمى شيوعية

الحرب الأهلية - الصين الجديدة - المال - اليوجوسلافية الوطنية - الثورة الثقافية - الحركة الوطنية - نموها طابع المذهب الشيعة - اصلاحات الكومنتانغ .

٥٦٢

١ - مصير الكومنتانغ

حكومة تشانغ كاي شاك منذ ١٩٤٧ - وضع الحزب الشيوعي بين ١٩٦٨ و ١٩٣٥ - د النيوغرافية الجديدة - الحرب الأهلية (١٩٤٥ - ١٩٤٩) .

٥٦٨

٢ - الصين الجديدة

النظام الاقتصادي الجديد - الاصلاح الزراعي - التأمينات - القطاع التمولي - ظروف الحياة الجديدة - وحدة الصين - توسد الكتلة الصيلة السوفياتية - د الطريقة الصينية - الفترة الكبرى الى الامام - لليران الاقتصادي والاسلامي .

٥٧٨

المقدمة

الكتاب الرابع

حول البلدان الناطقة والبلدان الخاضعة للاستعمار

الفصل الأول . - اقطار اميركا اللاتينية

٥٨٠

٥٨٠

١ - المشكلات الاجتماعية والاقتصادية

للمشكلات السكانية والديمقراطية - المشكلات الكبرى - مشكلة المسود الحمر - مشكلة الزواج - الطبقات الاجتماعية الجديدة - الصراع الطبقي والمصري - الحركة الوطنية - الامتداع نحو التصنيع .

٥٩٠

٢ - الحياة السياسية

عدم الاستقرار السياسي - الازمة وتأثيرها على الحياة السياسية - الحياة السياسية ودورها الجديدة - دور الجيش - الحياة السياسية منذ ١٩٤٠ - دور الاحزاب الشيوعية .

٥٩٧

٣ - الصراع في سبيل الاستقلال

التنمية الاقتصادية والمالية - التنمية السياسية - في سبيل التحرر - النزعة الاميركية الامبريالية - ثورة المكسيك - ارجنتين بيرون - د العدائية - د برازيل فرغس .

٦١٢

٤ - وضع القارة بعد ثورة كوبا

الثورة الكوبية ونتائجها - المشكلة الزراعية - سياسة الولايات المتحدة الاميركية - فشل الحكومة الليبرالية - وضع القارة عام ١٩٦٦ .

الفصل الثاني . - ثورة الشعوب المستعمنة

تأثير الحرب العالمية الأولى - حيفة الانتداب - للغرب وتأثيره الثوري - الحرب العالمية الثانية وأثرها - أوروبا وحصارها للعدد منذ ١٩٤٥ - أوروبا وانقساماتها - مطالب الحركات القومية وخطاتها - سيمت الدول المستعمرة - تأثير حرب كوريا - سياسة التدخل لدى الدول الجديدة .

٦٣٩

الفصل الثالث . - آسيا الجنوبية وآسيا الشرق الاقصى

٦٣٩

١ - الهند

الحركة الوطنية في الهند - التطور الجذري - مسالمة انكفرا - المجتمع الهندي - بؤس الفلاحين وشغلهم - المهل - استقلال الهند وانقسامها - التركيب الاجتماعي والسياسي في باكستان - الانقلاب العسكري عام ١٩٥٨ - الاتحاد الهندي ومشكلاته - أشكال الاقتصاد - جود الهند - الاضطراب الاجتماعي ومعاله - الهند إحدى دول العالم الكبرى .

٦٤٨

٢ - آسيا الجنوبية الشرقية

حول اندونيسيا - التركيب الاجتماعي - الحركة القومية - صلاية النظام - الاستقلال - مصاعب اندونيسيا في عهد الاستقلال - الفلبينيين - استقلال الفلبينيين - بروما - ماليزيا - فشل الحملات البريطانية في إعادة حكمهم على البلاد - الهند الصينية الفرنسية قبل ١٩٤٥ - ازدياد البؤس والفساد - الحركة القومية - تأثير الفتح الياباني - المداومة القبتلية - انساح نطاق الحرب - شطرا غيتنام .

٦٧١

الفصل الرابع . - البلدان الاسلامية في الشرق وشمال افريقيا

الامت العربي - عصبة الاسلام - انتشار الاسلام .

٦٧٤

١ - فترة ما بين الحربين

العالم الاسلامي جزأ ومسود - الحركة اصلاحية في تركيا - تغير الوضع الاقتصادي - مصر - السيطرة البريطانية في الشرق الادنى - ايران والافغانستان - تأثير الأزمة الاقتصادية الكبرى .

٦٨١

٢ - نتائج الحرب العالمية الثانية

التفط رافره - نظام اللكيات الكبيرة والبؤس الاجتماعي في الشرق - التعلق الاجتماعي وثقافته السياسية - أهمية العامل الديني - تطور المجتمع الاسلامي - الحركة القومية ضد الكمالية في تركيا - اعلان الجمهورية في مصر - الشرق منذ « حادثة السويس » .

٦٩٦

٣ - اسرائيل المعبرة

من فوطس القومي الى دولة ذات سيادة - الحركة السكالية الجديدة - التطلع الاقتصادي في البلاد .

٧٠٠

٤ - البلدان الاسلامية - افريقيا الشمالية

المجتمعات المتحاوران : المجتمع الاوروبي - المجتمع الوطني - المشكلة الديموغرافية وثقافتها - البؤس بين ابتداء البلاد - التطلعات الاجتماعية الجديدة - بوليتاريا المدن - نجاح الحركات الوطنية - استقلال تونس والجزيرة - افريقيا الشمالية منذ الاستقلال .

٧١٣	الفصل الخامس . - تطور إفريقيا السوداء
٧١٣	١ - تطور الاقتصاد والمجتمع
	طرق المواصلات وأعمال - الاقتصاد القائم على النقل - تأزم وضع إنشاء البلاد - نظام الأراضي المحفوظة والعمل الإحصائي - تنقل السكان - الزواج من الرقيق والإعمار المدن - خلقة التركيب الاجتماعي القديم - المجتمع الجديد : التطورون - بروتيتارية المدن .
٧٢٦	٢ - التوتر الاجتماعي
	« المجتمع الاستعماري » - موقف المستعمرين - دعة الفصل بين الدول المستعمرة - الخطط والاستثمارات تزيد من حدة التبعية - دعة فصل إنشاء البلاد - بين الإسلام والمسيحية - الكنائس السوداء .
٧٣٧	٣ - السياسات الاستعمارية المتباينة الاتجاه
	سياسة برطانيان - إفريقيا الشرقية البريطانية - الكونغو البلجيكي - نظام امري - الفصل الفرعي - إفريقيا البرتغالية - فرنسا في إفريقيا الغربية للفرنسية وإفريقيا الاستوائية ومعدنقر - الاتحاد الفرنسي - الحركات الوطنية - إيلاء الاستقلال - إفريقيا الغربية البريطانية .
٧٥٦	إفريقيتان وجهاً لوجه
	إفريقيا الاستعمارية - الحياة السياسية لدى هذه الدول المستقلة - كونغو ليبرولدغيل - إفريقيا المستقلة مبلقنة - محاولات التجميع والافراخ .
٧٦٤	الفصل السادس . - إلغاء الاستعمار والاستعمار الجديد
٧٦٤	إلغاء الاستعمار
	السياسة الاستعمارية الجديدة - النقطة للرابطة ومساعدة الدول المتخلفة - مشروع كولبر - مؤتمر بانديوم .
٧٦٩	التطور العام الذي أخذت بأسبابه الدول الجديدة
	مشكلة المجمع والاصهار - حيز لاعتمادات التي تمسها الغرب - الروح القومية - الأنظمة الجديدة .
٧٧٤	مشكلة الاستقلال الاقتصادي
	روابط التبعية - الاستعمار الجديد - اتفاقات متعددة الأطراف الإفرواروپية .
٧٧٩	التنقيصة

التقسيم الرابع

١- العلاقة العلوم والتقنيات

٧٨٣ الفصل الاول - ثورة العلوم الطبيعية

٧٨٣ ١ - الظروف الطبيعية لمحت العلمي والنظري

مركز الجديد العلم والتقنيات في حياة المجتمع - امتحان العلم .

٧٨٦ ٢ - ثورة العلوم الطبيعية

التنظيرات الفيزيائية الجديدة - انطلاقة الفيزيائية الذرية - اموجيات العلم والكمبيوتر - تحديد الكيمياء - فيزياء الذرة والميزياء الارض .

٧٩٤ الفصل الثاني - توسع علم الحياة وثورة الطب

لقطة امراض العالم الاحيائي - خلاص عناصر الحياة - الجهاز الهضمي والاشجرة الحية - الاشجرة الحية الصغرى - الاعضاء المنظمة في الجهاز الهضمي الاخر - علم الوراثة - ثورة الطب - المفاعلات والتقنيات الطبية الجديدة - مكافحة الامراض المعدية - « معجزات » الجراحة .

٨٠٧ الفصل الثالث - انطلاقة التقنيات

٨٠٧ ١ - التقنيات الصناعية

الصناعة التركيبية - المواد المعيشية - الصناعات المعدنية - زيادة سرعة وسائل النقل - هندسة المصارف المعاصرة - مكتبة وحرارة ذاتية .

٨١٦ ٢ - التقنيات الزراعية

٢٢ آلات ومركبات - الكمبيوتر الزراعية وعلم الحياة - النتائج الاقتصادية .

٨١٨ ٣ - النتائج الاجتماعية

تطور ظروف العمل - النتائج الاجتماعية للتنمية الآلي - تطور الحياة اليومية - الخلاصة

الفصل الرابع - مسألة القرن العشرين الكبرى : تقليدية مكان يتزايدون كرايداً

٨٢٤ صريحاً

الثورة الديموقراطية في القرن العشرين - المطالبة امد الحياة - هدم المسواة امام الموت - نتائج هذا الوضع في حقل التنمية - سوء تنفيذ لتشي المشاريع - تفاوت مستويات المعيشة - مكافحة الجوع - الثورة الصناعية الجديدة .

٨٣٥ الخلاصة

٨٤٣ التوجيه البيولوجيا

٨٥٥	مراجع هربية
٨٦٩	موجز الحوليات العالمية
٨٨٩	جدول الاعلام
٩٠٨	فهرست الصور
٩١٠	فهرست الحرائط والتصاميم
٩١٢	فهرست عام

انتهى المجلد السابع والاخير

HISTOIRE GÉNÉRALE DES CIVILISATIONS

publiée sous la direction de
MAURICE CROUZET
Inspecteur général de l'Instruction publique

TOME VII

L'ÉPOQUE CONTEMPORAINE

*A LA RECHERCHE
D'UNE CIVILISATION NOUVELLE*

(CINQUIÈME ÉDITION REVUE ET AUGMENTÉE)

par

MAURICE CROUZET
Inspecteur général de l'Instruction publique

Texte traduit en arabe

Par

Youssef A. DAGHER & Farid M. DAGHER

EDITIONS OUEIDAT

Beyrouth — Paris

